مؤلفات
ثروت أباظة

٩

المقالات



الهيئة المصرية العامة للكتاب

مؤلفات..
ثروت أباظة

الاخراج الفنى : فاتن أحمد رضـــا

مؤلفات.. ٩

ثروت أباظة

المقالات

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٥

الرجل .. والكبرياء

حين نكون في رحلة مع الرئيس يمحى منا الفرد فلا يصبح هناك شيء في الوجود الا مصر ، مصر الخالدة الرائعة الثابتة الصلبة . ويفنى الشخوص ويزول الأبناء وتبقى هي على الزمان مشرق حضارة منذ الحضارة بصيص من شعاع خافت لا يكاد يضيء حتى اليوم وهي شامخة أبية تتحدى كل الظروف الطاحنة التي مرت ونالت من كل شيء فيها الا من ثباتها ومن هامتها الشماء عالية مع الشمس فوق السحاب .

يدل عليها أصحاب المال أنهم يعطون المال وتأبى هي في كبريائها أن تقول انها أعطت دماء الشباب ، وأعطت بسمة الطفل وأعطت طمأنينة الأب على بنيه وأعطت هناء شعب بأكمله كان يستطيع لولا قضية أصحاب المال الأغنياء أن يكون أكثر الشعوب رغدا وهناء وسعادة وهدوء بال .

مصر التي وجدت زعيما يستطيع أن يقول بكل كبرياء . لقد ابتلعت كبريائي عشرات المرات من أجل مصر . ذلك لأن كبرياء الشخص لا يمس كبرياء وطنه ، وكبرياء الوطن هو كبرياء جميع الأشخاص فيه .

وليس زعيما ولا انسانا من يجعل كبرياءه هو المعيار الذي تتعامل به بلاده مع الآخرين . فليس الوطن مالا مباحا يرمى به على مائدة القمار الدولية لمجرد أن شخصا يريد أن ينتقم لكبريائه .

تعرف شعوب أوروبا هذا ويعرفه ساستها وأصحاب الرأي فيها ولذلك كان اعجاب الرأي العام بالرئيس السادات مبعثه الأول انه رجل يزن الكلمة قبل أن يقولها .

وقد جلست في احدى الحفلات الى جانب كلوز بولنج المتحدث الرسمي في بون وسار بيننا الحديث فقال ان اعجابنا بالسادات مبعثه انه رجل يقدر الكلمة التي يقولها ولا يرسلها ساذجة رعناء لا هدف لها الا الهاب مشاعر الجماهير دون أن يكون لها ركيزة من منطق أو دون أن يحيط بها فكر سياسي جدير بزعيم .

ولذلك فنحن نعتبره رجل دولة من أهم الرجال الذين ظهروا في جيلنا هذا . خذ مثلا . عندما ألغى المعاهدة الروسية لقد اتخذ هذا القرار لا لمجرد الالغاء ولكن لأنه اتخذه بعد تمعن وتمحيص ودراسة . وازددنا اقتناعا أنه رجل يعرف كيف يزن الأمور حتى اذا اطمأن الى دراسته اتخذ قراره ما دام هذا القرار في مصلحة بلاده .

أن اكبار الساسة هناك لشخصه مبعثه أنه لا يفكر لشخصه وانما لبلاده . وانه ينسى حين يتخذ تصرفا سياسيا كل ما يتعلق بذات أنور السادات لتكون مصر أولا وأخيرا هي الباعث وهي الهدف وهي كل شيء .

نحن أقوى من الحيــاة

ليس فى مصر من لا يعلم أن هناك أزمة جارفة تحيط بنا سواء كان ذلك متمثلا فى هدم توازن دخل الفرد مع متطلبات الحياة أو كان ذلك فى الخدمات العامة • من المضحك المبكى أن تقدم الجرائد كل يوم دليلا على ذلك كأن الأمر ما زال يحتاج الى دليل • ومثل ذلك يقبل اذا كان المسئولون لا يعرفون ذلك ويحتاجون الى من ينبههم اليه • ولكن الشواهد جميعها تدل على أن المسئولين أكثر علمــا منا نحن أفراد الشعب بهذا الانهيار الذى تعانيه • ولذلك كان صديقى محقا حين سألنى اكتبوا لنا ماذا علينا نحن أفراد الشعب أن نعمل ولا عليكم من الماضى فقد عرفنا ما كان فيه ولا عليكم أيضا من هذه المتاعب اليومية التى نعانيها فى الرزق أو فى الخدمات العامة فكل فرد منا أدرى بأزمته من الآخرين انما وظيفتكم الآن أن ترشدوا الناس كيف يواجهون حياتهم اليومية تلك •

هو محق فى هــذا الطلب لأن الناس تعودوا أن يطلبوا النصــح ليسخروا من الناصح أو ليعملوا عكس نصيحته •

أن كل فرد فى الشعب المصرى يعرف كيف يواجه يومه وهو لا يحتاج فى ذلك الى نصيح أو مرشد • أكثر ما يثير ضحكى والمى مغا كلمة التوعية العامة التى أصبحت منتشرة الآن بشكل يدل على الجهل الفاضح بنفوس الناس • ولأضرب بذلك مثلا من هذه الاعلانات الساذجة التى تدعو الى تحديد النسل • كأن الناس لا يعرفون أنه كلما جاء لهم طفل جديد فتحت لهم أبواب جديدة من الانفاق • وكم أتمنى أن أعرف احصاء عما أحرزته هذه الجماعات وهذه التوعية من نجاح فى تحديد النسل • وانى واثق من النتيجة •

ان الناس لا تحتاج الى من يرشدهم كيف يتغلبون على الأزمة ويكفيك أن تلقى نظرة على الوجوه • انهــا لا تعبر مطلقا عن مقدار الأزمة التى تعانيها • يبدو أن فى داخل كل فرد منا جهازا يجعل الانسان يتكيف مع واقعه ويخلق للأشخاص أبوابا من الأمل حتى ولو كانت وهمية الا أنها قادرة على جعله يتقبل الحياة كما تدور به الحياة •

والمثل العامى المعروف يومىء اليك الى أى مدى يستطيع المصرى أن يسعد من داخله مهما تكن الظروف المحيطة به « كل موال ينزه صاحبه »

لكن مصرى موال ينشده أو تتغنى به نفسه فيرتد اليها هدوءها وتشيع فيها الطمأنينة ويتسرب الأمن الى حناياها ويحيا الناس ٠

قد يكون موال بعضنا بسمة طفل أو تهريج مهرج فى التليفزيون أو حديث سخيف فى الاذاعة أو شعور لا معنى له بالصحة والعافية أو أى شيء قد لا يخطر على بال أحد أنه يسبب أى سعادة ٠ فالنفس البشرية عجيبة فى قلب الأشياء الى مصادر للرضى والهناء ٠ ان الشعب المصرى الذى مرت به هذه الظروف الطاحنة أصبح لا يستطيع أن يصدر الى العالم الا أهم ما يحتاج اليه العالم اليوم ٠ اننا نستطيع أن نصدر الى العالم أجمع فى شرقه وفى غربه ٠ فى بؤسه المادى وفى ثرائه الفاحش شيئا لا يملكه هذا العالم الواسع العريض هو السعادة ٠ السعادة التى تنبت وتنمو وتتفرع وتزدهر داخل النفوس بلا تعقيد ولا ثراء ولا مواصلات هائلة ولا تليفونات صالحه ٠ انها سعادة بلا معنى ولكن لها مصدر نعرفه نحن المصريين ولا يعرفه غيرنا من شعوب الأرض ٠ انه الايمان العميق العميق فى خلايا تاريخنا وفى كل أنحاء نفوسنا ٠ ونعيش ٠ ونضحك ٠ ولتدور بنا الحياة حيثما تريدان تدور فنحن دائما ـ كنا وما زلنا وسنظل ـ أقوى من الحياة ؟

التعليم مسئولية الدولة
والثقافة مسئولية الفرد

كان لى قريب شاعر هو المرحوم توفيق عوضى أباظة ولعله من أرق من عرفت من الشعراء أذكر له شعرا كثيرا فهو يقول مثلا لصديق له يذاكره أيام أنس عاشاها معا :

وعلى اقتراحك قد نزلت ـــــ وقد نزلت على اقتراحى

فتمازجت أرواحنا ـــــ كالراح والماء القراح

وقد أهدى مرة عمامة فهو يقول لمن أهداها له :

توجت رأسى بالعمامة ـــــ وكسوتنى حلل الكرامة

فكأننى شيخ المراغة ـــــ فى المهابة والفخامة

وكان قريبى هذا فلاحا يعمل بالفأس فهو يرسل برقية الى أبى يقول فيها :

قل للوزير الألمعى مقالة ـــــ مشبوبة كذكائه الموقد

الفأس قد أكلت يدى وأنا امرؤ ـــــ للطرس لا للفأس قد خلقت يدى

قريبى هذا لم يدخل أى مدرسة وانما علم نفسه بنفسه ثم ثقف نفسه بنفسه . وكان خطه جميلا ولكنه كان بطيئا فى الكتابة بشكل ملحوظ لأن يده أصيبت بكسر فى بواكير طفولته ولكن هذا البطء فى الكتابة لم يمنعه أن ينقل ديوان المتنبى جميعا لأنه لا يقوى على شرائه . لقد كان مولعا بالشعر فلم يقف شىء فى طريقه .

وأخونا الأستاذ أمين يوسف غراب لم يختلف الى مدرسة قط وانما علم نفسه وقرأ قراءة واسعة فى القصص العربى والأجنبى المترجم حتى استطاع أن يصنع هذا الاسم الذى حققه واستطاع أن يترك بصمات على القصة القصيرة فى مصر .

واذا ألقينا نظرنا الى أدباء العالم القدامى منهم والمحدثين وجدنا أن الغالبية الكاثرة منهم لم تتلق من التعليم أكثر مما تلقاه رفاق جيلهم

ولكنهم هم ثقفوا أنفسهم واستطاعوا أن يكونوا عمالقة فى فنونهم وآدابهم ٠

فالواقع أن الثقافة مسئولية الفرد وليست مسئولية الدولة ٠

فعلى الدولة يقع عبء التعليم ولكن التثقيف واجب الراغب فيه - وهو حين يريد ذلك لا يقف شيء فى سبيله ٠

تستطيع الدولة أن تقرب مناهل الثقافة للراغبين ٠ ولكن الفرد وحده هو من يثقف نفسه وعليه أن يسعى الى الثقافة فى مظانها جميعا ٠

وليس الأمر بعسير ٠ فحتى الفقيرالمعدم يستطيع أن يختلف الى المكتبات العامة المصرية وغير المصرية ويصيب من الثقافة المتاحة له ما يطيب له أن يصبب ٠

والدعوى بأن المكتبات ليست كاملة لا تصلح اعتذار له فانه لن يقرأ جميع ما فى المكتبة حتى يتبين أوجه النقص فيها ٠

ولكن هذا الحديث لا ينفى مسئولية الدولة نفيا تاما ٠

فأنا أذكر أننا حين كنا طلبة فى المدارس الثانوية كانت مكتبات المدارس حافلة بالكتب وأذكر اننى قرأت من مكتبة المدرسة تيمور جميعة وبعض كتب توفيق الحكيم التى كانت نافدة من السوق وغير هذين ٠ فقد كانت كتب جميع الأدباء الكبار فى المكتبة بل كان بها أيضا الكثير من كتب النشء الحديث فى ذلك الحين ٠ وكانت كتب التراث جميعا فى مكتبات المدارس وأذكر مثلا اننى قرأت العمدة لابن رشيق من مكتبة المدرسة وقرأت منها أيضا كتب المنفلوطى ٠ وأنا لا أستطيع أن أتصور أن المدارس تخلو تماما من المكتبات وأن الميزانية المدرجة لها لشراء كتب تستنفد فى أشياء أخرى لا شك أنها أقل أهمية من اتاحة الثقافة للطلبة ٠ وهكذا أصبح من الطبيعى أن يعرف الطلبة كتابهم من خلال أعمالهم فى السينما والتليفزيون والراديو دون أن يقرأوا هذه الأعمال فى كتبها الأصلية ٠

المصـــادرة فى التليفزيون

دعيت الى حـديث فى التليفزيون · والذين يدعون الى حـديث فى التليفزيون يعرفون العنت والجهد والملل والضيق الذى نتعرض له · وحين نحاول الاعتذار يلقى علينا من الالحاح ما نضطر معه أن نقبل كارهين · فالكتاب ـ فيما أعتقد ـ لا يعنيهم ان تظهر وجوههم فى التليفزيون فليست وجوههم ولا رشاقتهم هى أحسن ما عندهم · ذهبت الى هذه الدعوة واتجه الحديث الى المواد التى يقدمها التليفزيون فنقدتها · فأنا لم يخطر ببالى مطلقا انه لا يجوز لى أن أنقد التليفزيون فى التليفزيون : فالذى أعرفه ـ وهو صحيح ـ أن التليفزيون وسيلة اعلام عليها أن تحتمل نقد الشعب كأصرح ما يكون النقد · والدليل على ذلك اننى حين سجلت معى المرحومة سلوى حجازى شريط تسجيل دعوت أستاذنا الدكتور حسين فوزى الى جلسة التسجيل وكان ذلك فى أواخر الستينيات ونقد الدكتور حسين التليفزيون أشد نقد وأعنفه وأذيعت الحلقة كاملة لم تحذف منها كلمة واحدة · وكان ذلك كما قدمت فى أشد الأوقات تضييقا على الحريات وكتما للأنفاس ·

عجيب اذن الا يذاع الحديث الذى نقدت فيه التليفزيون وكان ذلك منذ حوالى شهرين · وأخشى ما أخشاه الآن أن يرد المسئولون على كلمتى هذه بأن الشريط لم يذع لأسباب فنية · فقد شاهدت الشريط قبل أن أترك الاستوديو وكان الى أن تركت المبنى صالحا للعرض تماما وأنا أذكر هذا الآن حتى لأجد نفسى محرجا بذكر هذه الحقيقة عندما يواجهنى هذا الاعتذار ·

ان الأجهزة التى تعمل اليوم فى الاعلام عليها ان تعرف المناخ الذى تعيش فيه وعليها أن تتخلص مما كان يرين على أفكارها من قهر للكلمة وكتم لها أو الغاء لحريتها والا فهم أبعد ما يكونون عن الروح الجديدة التى سرت فى مصر منذ أطلقت الحريات ·

التليفزيون والمسرح

لقد أنعم الله على التليفزيون نعمة هو غير ملتفت اليها · فهو أداة للامتاع الفنى الرفيع غير مطالب بأن يبيع فنه لقاء تذاكر وربح مالى ·

ولكن التليفزيون يصر على أن ينظر الى رغبات الجمهور ويحققها شأنه فى ذلك شأن المسرح التجارى والسينما · كأنما هو منتج سينمائى يجرى وراء رغبات الجماهير العريضة ليشبعها من أى سبيل مضحيا فى سبيلها بالفن الرفيع والمثل وكل كريم أنيق شامخ من التراث ·

ولقد شاهدت هذا الاسبوع فى التليفزيون مذيعة تسير بآلاتها تسأل الجمهور عن رأيه فى التليفزيون وفيما يشاهده وطبعا قال الناس الذين تسألهم نريد متشات الكرة أو الكورة كما يكتبها التليفزيون أخيرا من شباب خفة الدم وقال آخرون لا نريد الأحاديث الكثيرة ··

ليس هذا هو المطلوب من التليفزيون · انما المفروض ان يرتفع بأذواق الجماهير بعد أن وصل بهذا الذوق الى الحضيض ·

وماذا كانت تنتظر المذيعة أن تسمع من الجماهير بعد أن ظلوا هذه السنوات الطويلة لا يشاهدون الا التافه السخيف لقد انحطت أذواق الجماهير بفضل التليفزيون فهم يسعون الى مزيد من التفاهة ·

بل اننى أعتقد أن الذوق الرخيص الذى فرضه التليفزيون على مشاهديه أثر فى ذوقهم عند مشاهدة المسرحيات ·

اذا ارتفع التليفزيون بذوق الجماهير فانها سترغم تجار المسرح أن يقدموا لها الفن الرفيع فكم يؤلمنى أن الجماهير التي كانت تقبل على مسرحيات شوقى وعزيز أباظة فى عشرينات هذا القرن الى أوائل خمسيناته هى التى تقبل اليوم على مدرسة المشاغبين وغيرها مما يشرفنى اننى نسيت اسمها ·

أن واجب الارتفاع بذوق الجماهير فى المسرح والسينما والفنون جميعا يقع على التليفزيون وعلى التليفزيون وحده ولا أريد أن أقول فى آخر هذه الكلمة أن فاقد الشيء لا يستطيع أن يعطيه ·

برامج التسلية بين الاذاعة والتليفزيون

منذ سنوات طويلة تقدم الاذاعة برنامجا اعتبره من أنجح البرامج وأجدرها بالتقليد فى التليفزيون · وهو برنامج الغلط فين الذى يعده رأفت الخياط ويخرجه على فايق زغلول · فالذى لا شـك فيه أن هذا البرنامج استطاع أن يقدم على مدى سنواته الطويلة معلومات طريفة ومفيدة للمشتركين فيه ولسامعيه على السواء ·

البرنامج يقدم بطريقة غاية فى خفة الظل بحيث يجد المشترك فيه أو المستمع له نفسه قابلا للمعلومات مقبلا عليها فى غير ضيق وفى غير شعور بأنه يستمع الى درس يمليه عليه عالم · وطبعا الجمهور العادى يجب أن يتعلم دون أن يدرى أنه يتعلم ·

كم كنت أتمنى أن ينظر صديقنا نبيل عصمت الى هذا البرنامج الاذاعى وهو يعد برنامجه تلات تلاتات ·· وآسف على العامية فان من يعالج نقدا للتليفزيون لابد له أن يكتب بالعامية والا امتنع على العاملين بالتليفزيون وهم المعنيون بالنقد أولا وأخيرا · ان يفهموا عنه شيئا ·

أنا أولا لا أعرف الصلة بين اسم الثلاثات الثلاث وبين هذا البرنامج · وثانيا أجد المواد التى تقدم فيه غاية فى الخفة فان تخللتهـا مادة فيها معلومات فهى قليلة وأحيانا أجدها مادة صعبة غاية فى الصعوبة · وأحيانا أخرى أجدها سهلة غاية فى السهولة ·

وعلى سبيل المثال فى الحلقة الأخيرة كان ضمن مواد البرنامج سؤال فى الشعر والى هنا الأمر جميل فيه تشجيع على الاهتمام بالأدب والشعر · ولكن للأسف كان السؤال منصرفا الى شعر الأغانى · آسف أقصد زجل الأغانى · ترى هل حفظ الأغانى الزجلية يدل على ثقافة ·

هذا عن الإعداد أما عن الجمهور الذى يأتى الى البرنامج فانه يدعو الى الأسف حقا فما هو الا سؤال وآخر حتى يتبين لك الى أى مدى انفصل الشباب عن الثقافة والمعلومات العامة ·

عملاق الأدب والكرامة

في مثل هذا الاسبوع ولد العقاد فولد به لمصر عملاق من عمالقة الأدب الضخام الذين استطاعوا أن يرسموا طريق الأدب العربي لجيلهم ولأجيال لاحقة ما أحسب أن تنتهي ٠

والعقاد في الأدب قيمة كبرى لا يجوز لمن يتناولها أن يكتب عنها بضعة أسطر فهذا الرائد الضخم لا يجوز أن يكتب عنه الا المجلدات الضخام وكل ما أحاول أن أقدمه في هذه السطور اننا دائما نذكره وما هذا منا عن وفاء فحسب ولكن لأنه هو فرض نفسه على الذاكرة وعلى الوجود فلا ينسى٠

والعقاد في الحياة نموذج رفيع لما يجب أن يكون عليه الأديب من احترام لنفسه ووضعها في مكان مصون ذاته لا تمس ٠

لقد عاش عمره الأدبي جميعا كاتبا صاحب رأي ٠ وصاحب الرأي دائما يصنع الأعداء لنفسه بقدر ما له من مؤيدين ٠ ولكن العقاد لم يحاول أن يرضي أصدقاءه أو يداهن أعداءه لم يكن يعنيه الا أن يرضي ضميرا واحدا هو ضمير العقاد فحسب ٠ فمن لا أعداء له لا رأي له ومن لا رأي له لا وجود له ٠

ضمير العقاد وحده هو الذي كان ينتضي القلم في يده وهو الذي يملي عليه ما يكتب لا ينظر الى ملك أو زعيم بالغا ما بلغ سلطان هذا الملك أو شعبية هذا الزعيم ٠

وقد كان العقاد يعلم مثل جميع الأحرار أنه لا سبيل الى ارضاء الجميع فلكل فرد من الناس أطماعه في الحياة ولكل انسان من يتحسبه في حياته أو يحتسب عليه ٠ فكان لابد أن ينظر الى ضميره وحده وكان ضميره هذا هو النبراس الذي جعل الأحرار جميعا يقفون الى جانبه مؤيدين ومناصرين ومعجبين ٠

ولقد عرف العقاد الحرمان ولكنه لم يعرف الهوان ٠ وعرف الخصاصة ولكنه لم يعرف الذلة ٠ وعرف اليد المجدبة من فقر ولم يعرف اليد المجدبة من الكرم فعاش عمره كريما على نفسه وآله وعلى الناس شامخا لا يرى لابن حرة يدا عليه أن مدح فلانه معجب بمن يمدح وان هاجم فلانه ساخط على من يهاجمه ينبعث مديحه وهجومه من خالص اقتناعه ونقي ضميره وشريف يده وعفيف نفسه ٠

وهكذا عاش العقاد كما مات عملاقا في الأدب بقدر ما هو عملاق في لقاء الحياة أكرم قلمه فأكرمه قلمه وصدق جيله في كل ما قدمه الى جيله فرفعه جيله كما سترفعه الأجيال القادمة علما خفاقا في الأدب والكرامة على السواء ٠

مصطفى محمود بين الدين والعلم

يقوم الدكتور مصطفى محمود بدور هام لأجيالنا من الشباب ٠ فهو يفسر لهم دينهم بصور العلم الذى يتعلقون به ويتوهمون أنه يسيطر على حياتهم وأن سيطرته هذه تجعل الدين خرافة ونوعا من الغيبية ٠

الانسان بطبيعته يحب أن يؤمن ٠٠ لأن الايمان فى ذاته ضرورة من ضرورات الحياة ولقد رأينا الملحدين ، فهم جازعون هلعون ان مستهم مصيبة عادوا الى ايمان مفزع غير مطمئن ٠

ولقد وجد الدكتور مصطفى نفســه فى النهج الذى انتهجه ووجد الشباب فيه ضالتهم التى كانوا يتلمسون فتوافق على يديه العلم الحديث والإيمان العميق ٠ وقد توافرت عند الدكتور مصطفى كل الأدوات التى تمكنه من مخاطبة الشباب ٠

فهو طبيب فى دراسته ، فنان فى هوايته ، صوفى فى عقيدته ٠ وبهذه المقومات جميعا خاطب الشباب فأحبوا ما يكتب وأقبلوا عليه وأصبح الايمان عندهم متمثلا فى صورة واضحة الملامح بينة المعالم ٠

ولذلك فانا أخالف الأستاذة الدكتورة سهير القلماوى فيما ذهبت اليه من أنها كانت تريد الدكتور مصطفى محمود أن يتفرغ للقصة العلمية ٠ فان كتابا كثيرين يستطيعون أن يكتبوا القصــة العلمية ٠ وأنا أخالف أستاذتنا الدكتورة حين قالت ٠٠ ان القصاص مصطفى محمود تاه بنا فى خضم عميق الأغوار من العلاقات المتشابكة بين العلم والعقيدة أو الدين ٠

فان الدكتور مصطفى لم يته بنا أبدا بل انه اتضح لنا عن كاتب متمكن فى الطريق الذى اختاره لنفســه والطريق الذى أعــده له قدره ودراسته وفنه وتصوفه ٠

وأخالف أستاذتنا الدكتورة فى قولها ان موضوع الايمان فى مقابل العلم هو الموضــــوع الذى ضيع فيه د٠ مصطفى محمود نفسه مؤلفــا قصصــــيا ٠ فالذى أعتقده ويعتقده الجمهـــور الكبير الذى يقرأ له أن د٠ مصطفى محمود وجد نفسه فى هذا الموضوع ٠

وأحب أن أناقش الدكتورة فيما جاء فى مقالها من أن المجموعة كلها عودة الى الاسلوب القصصى العلمى الذى برع فيه د. مصطفى والذى تؤهله له ملكاته وثقافته أن يبلغ فيه آفاقا عظيمة لولا انه غرق فى بحر الايمان والتدليل على الدين والايمان بالعلم ثم الهجوم على العلم هجوما لا يتعمق المشاكل تعمقا عودنا عليه فى قصصه . فأولا فى بحر الايمان لا يكون الغرق وانما تكون النجاة وثانيا أن الدكتور مصطفى لا يهاجم العلم بالايمان وانما يوفق بين العلم والايمان . فهو فى كل ما يكتب يحاول أن يظهر قدرة الله من خلال العلم . ولا هجوم هنا على العلم .

وأنا يا دكتورة لست أدرى لماذا يرمى بالسطحية كل من يتجه الى الايمان والدين بعمله الفنى . ولست أدرى لماذا يكون الايمان سذاجة بينما الأدب الملحد أكثر مباشرة فهو دائما يتقولب فى قوالب المذهب الالحادى ويصرخ بالحاده عاليا ولا يرميه أحد بالسذاجة .

هل اذا انضوينا تحت أعلام ديننا الذى قوم الأجيال لفترة قاربت ألفا وأربعمائة سنة نكون سذجا واذا ألحدنا الى مذهب لم يستطع أن يطبق حتى اليوم وتداعى عنه أنصاره وأفلس فى مدى خمسين عاما نكون تقدميين وفى كتابتنا عمق وأبعاد الى آخر هذه الأسماء التى لا مسميات لها عندهم . وهذا الحديث لا أسوقه اليك يا دكتورة فلست — والحمد لله — منهم . ولكنك فيما أخذت على الدكتور جعلتنى أذكرهم .

وبعد فانا مع الدكتورة ان الاسلام لا يشرف بأن حقيقة علمية اكتشفت حديثا أشارت اليها آياته البينات . فالاسلام نفسه والقرآن هما كل الشرف ولا شرف يمكن أن يضاف اليهما . ولكن هل هناك ما يمنع من ذكر الحقائق العلمية التى أشار اليها الكتاب الكريم .

وبعد مرة أخرى يا سيدتى الدكتورة ما بعد المثل الذى تفضلت فسقته عن أديبنا العالم د. مصطفى محمود . فأين القذافى بجهله وسطحيته وسذاجته وحمقه من عالم أديب تعمق العلم وتعمق دينه وقدمه الينا فى عمق وأصالة وايمان وبراعة .

شعر المناسبات

جرى بعض النقاد أن يصدرو أحكاما جامعة مانعة بالرفض دون أن يضعوا لرفضهم هـذا حيثيات تجعله مقبولا أو سائغا · ولما كان هواة الأدب ليسوا قضـاة فانهم فى أحيان كثيرة يقبلون هذه الأحكام قضية مسلمة لا يناقشونها بمنطق أو ينعمون فيها النظر ·

من هذه الأحكام المتعجلة وجدت صدى بعيدا لدى المتأدبين رفض شعر المناسبات · ومعنى هذا الرفض ، ان تسقط الغالبية العظمى من شعر العرب ·

فالمتنبى أقام مجده الأدبى جميعا على شعر المناسبات من مديح وهجاء ·

وفى أبيات المديح هذه تجد شعرا نستطيع أن ننسبه فى التحضر والذكاء الى أذكى العصور وأكثر تحضرا ·

ولولا كونكم فى النـــاس كانــوا   هــــراء كالكـــلام بلا معـــانى

كيف استطاع أن يقول أن الناس يصبحون هراء · وكيف تأتى له أن يشبه الناس بمعنى مجرد وفى وقت كان التشبيه فيه بالأسد والرئبال الحيدر الى آخر مسميات الأسد ·

وحين يمدح شعب بوان ويجرى هـذا الحديث الخالد بينـه وبين حصانه ·

يقــول بشــعب بوان حصـــــانى   أعن هذا يســـار الى الطعـــــان

أبوكم آدم ســـن المعـــــاصى   وعلمـــكم مفـــارقة الجنـــــان

كيف استطاع المتنبى منذ ألف عام ونيف أن يذم الحرب وينسبها الى المعاصى ومفارقة الجنان ويصل بينها وبين الخطأ الأول فى البشرية الذى أهداه الينا جد الانسانية فيما أهداه الينا من متاعب وشرور · فمنذ البدء أعطى الله الحرية لآدم فاختار وباشر ما اختار لقد سن المعاصى وعلمنا مفارقه الجنان وما زلنا على تعاليمه البشعة حتى الآن وحسبك نظره الى لبنان · لقد تطور الأمر فيها فبعد ان كان مفارقه للجنة أصبح اليوم تدميرا للجنة ورحم الله المتنبى ·

وحين يمدح النجدى المتوكل فيهديه فرسا يموت فى اليوم التالى فيكتب اليه :

أهديتنى أعجوبة هى فى العجائب نادرة
فرس كأن هبوبه وشـــك الرياح الطائرة
فى ليلة قطع المســـافة من هنا للآخرة

من أين كنا نستطيع أن نحصل على مثل هذه اللفتة الرائعة دون شعر المناسبات ·

هذا نثار من الأبيات مما تعيه الذاكرة أحببت به أن أنفى هذه التهمة التى حاول النقاد أن يرموا بها شعر المناسبات من أنه شعر تافه لا يستحق التقدير أو الاجلال ولو حاولت أن أرجع الى الشعر العربى لنقلت منه آلاف الأبيات الرائعة التى قيلت فى المناسبات ·

ورأيى ان على الناقد أن يطرح عن نفسه الأحكام المسبقة وينظر الى الشعر فى ذاته دون البحث فى الأسباب التى دعت الى قوله · فأول شرط فى الناقد أن يتحرر من كل الأحكام المسبقة حتى يزن الكلام بموازينه العادلة ·

شيئا لله يا رئيسة الديوان

فكرى شاب موظف باحدى الشركات لا تلقاه الا وابتسامة مشرقة تسبقه اليك ، وترحيب يبين منه الحب والشوق للناس جميعا ٠٠

وفكرى يحب أن يؤدى لك أى خدمة تقصده فيها ، وهو يسعد باداء هذه الخدمات سعادة لا توصف ، ولا يقبل فى سبيل خدماته أى مقابل ٠٠

الا أن فكرى يحب أن يتحدث فيروى لك أنباءه جميعا وأنباء الأصدقاء المشتركين الذين يسعى دائما الى معرفة أخبارهم فهو حريص على ان يطمئن على أصدقائه ما أمكنته الفرصة حرصا لا يبتعثه الا الحب والوفاء والاخوة الصادقة ٠

ومتعة فكرى فى حياته هى صلته هذه باصدقائه وحديثه اليهم وتحس وهو يحادثك عنهم أنه يمارس هواية يعشقها بدمه كله وروحه كلها ٠ تحس فى وجهه وفى عينيه متعة الفنان يمارس فنه ٠ وفنه هو حب الأصدقاء والحديث الى الأصدقاء عن الأصدقاء ٠

لقيت فكرى يوما ٠ فاذا عينان منطفئتان ووجه قاتم لا بشر فيه وحين تصافحنا وسألته كيف أنت اجابتنى منه دمعتان يصرخان بالألم الحبيس يعلو ضجيجه فى صمت ٠

ماذا بك ٠٠ فكرى ماذا بك ؟ وأشار الى لسانه وحركه فى فمه لا يستقيم له لسان ولا تصدر منه كلمة ٠٠ لماذا ٠٠ أشار الى السماء وضرب كفا بكف ولم أجد شيئا أقوله فالحديث الصامت الذى القاه لا يسمح لى أن أجد شيئا أقوله ٠

وفى يوم وجدت فكرى يدلف الى فى مكتبى بنادى القصة وقد عاد اليه اشراقه وابتسامته ولا غرو فقد عاد اليه لسانه وروى وافاض ٠

طلع عليه الصباح فاذا لسانه لاينطق لم يكن فى ليلته السابقة عرضه لكدر أو اثارة وانما كانت ليلة مثل كل الليالى صلى العشاء وقرأ فى القرآن ونام ثم أصبح وقد أمسك لسانه عن الحديث ٠

مر بالأطباء جميعا من أعصاب الى باطن الى شرايين · لا شيء به ·· أعصاب أضربت عن العمل دون طلبات ·· وتوالت الأدوية ومرت الأيام بلا فائدة ثم هو يقول انه قام فى ليلة وقد عصره الألم عصرا بعد أن صلى العشاء وأفاض فى الدعاء والرجاء · وتجلت له السيدة زينب فى الحلم تدعوه اليها فقام قبل الفجر وقصد مقام السيدة أم هاشم وارتمى على عتباتها ونذر لله النذور وقبل ان يكمل صلاة الفجر كان يقرأ بسورة الفتح بصوت مرتفع وعاد لسانه الى انطلاقه انحبست الدموع من عينيه واتجه الى مقام السيدة يقدم الشكر ويفى بالنذور ·

ترى كم من المثقفين سيقرأون هذا الكلام ويسخرون · هؤلاء لم يحسوا الثقافة فعلوم الروحانيات معترف بها فى أعظم الدول تقدما · وقد شهدت فى التليفزيون الأمريكى شخصا يشفى الناس بقوة دينية خارقة · وحسبت يومذاك انه برنامج اعـــلانى الا اننى رأيته منذ قريب يعرض بالقاهرة والبرامج الاعلانية لا تباع ·

وقد يقول قائل انها حالة نفسية وثقة من المريض انه سيشفى ؛ وما اليأس وفيم تضار الثقافة اذا اطمأن انسان الى معنى كريم هو وفاء لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وللعارفين بالله المتقربين اليه ·

لا شك أن المغالاة فى هذا سخف · بل أن المتصوفة يرفضون تصرف المجاذيب لأن المجذوب لا يدرك · أما أن يؤمن انسان بأن انسانا آخر من الأتقياء يستحق أن يزار قبره وتقرأ له الفاتحة وتوزع الصدقات على الفقراء اللائذين بساحته فانه لا يمس الثقافة فى شيء · فان قائلا لم يقل أن هذا يغنى من العلم بل أن صديقنا فكرى مع ايمانه بمقام الأولياء لم يقصد اليهم باديء ذى بدء وانما قصد الى الأطباء ولكن السيدة زينب رضى الله عنها هى التى شفته وليحلل مدعى الثقافة هذا الشفاء بما يحلو له من التحليـــل ·

كثيرا ما يكون الى جانبى أستاذنا توفيق الحكيم – وهو من أعظم المثقفين فى العصر الحاضر – ونمر على مقام سيدى بشر بالاسكندرية فما ينسى الحكيم مرة أن يقرأ له الفاتحة · بل لقد نذر فى مرة منذ سنوات أن يذبح له خروفا اذا شفى مريض عزيز من أهل بيته وشفى المريض ومازال الحكيم يذبح خروفا فى كل عام يوزعه على فقراء سيدى بشر · وقد مرت السنون الطوال على هذا النذر وثمن الخروف فى هذه السنوات وصل الى مبلغ لا شك أن أستاذنا الحكيم يتأثر بدفعه تأثرا شديدا ولكنه مع ذلك لا يتردد ·

وأخواننا المسيحيون في مصر لهم أيضـــا من يتبركون به مثل مار جرجس وسانت تريز ودميانة ٠ بل ما أظن الشموع فى الكنائس العالمية الا صورة من هذا التقرب ٠

ويبدو لى أن هذا الذى نشهده فى مصر هو فى أصله عادة مصرية قديمة لم تبارح المصريين من قبل ظهور الأديان ٠ وأيما كان الأمر فان كثيرا من الناس تجد فى نفوسها طمأنينة وانشراحا فى رحاب بيوت الله والى حوار قوم أقل ما يقال فيهم أنهم كانوا فى حياتهم يحسنون أن يعبدوا الله جل جلاله ولو لم يكرمهم الناس الا لهذا لكان هذا حسبهم وحسب الناس ٠

متسولون على أرصفة الشهرة

بعض الشباب وجدوا فى أيديهم أقلاما ووجدوا أنفسهم فى مجلات قبل أن ينضجهم الزمن ·· وتتقدم بهم السن بعض الشىء ونظروا الى ما قدموه فى ميدان الأدب فوجدوه هزيلا لا يقيم أديبا ولا شبهة أديب · ونظروا الى داخل أنفسهم فلم يجدوا شيئا فالماء الشحيح الذى قدموه فى نهر الأدب هو كل ما كانوا يملكون ولا يملكون غيره ليقدموه · وقد كانوا فى بداية حياتهم يتوقون الى الشهرة وقد ظنوا انهم بلغوها بكتاب يصدرونه أو كتابين ولكن الشهرة أخلفت ظنهم وظلوا فى بؤرة الجهل ·· الجهل منهم والجهل بهم ·· ونزلت عليهم استار الضياع فلا هم كسبوا صنعة ولا هم أصبحوا أدباء ولا هم اصابوا شهرة ·· أى شهرة ·· مساكين هؤلاء الناس · لقد اقاموا دكاكينهم على أرصفة الشهرة يشتمون كل شهير ويحطمون كل التقاليد ويحرقون كل كريم فى حياتنا الأدبية ·· ويلهم لو أبصروا لوجدوا انهم يشتمون أنفسهم لا المشاهير ويحطمون كيانهم هم لا التقاليد ويحرقون فلا يحرقون الا البقية الباقية من انسانيتهم ·

مساكين هؤلاء الناس سيظلون ينبحون على أمل أن يصبحوا كلابا شهيرة ماداموا قد فشلوا أن يصبحوا آدميين على شىء من المكانة ومع ذلك فالكلاب النابحة لا تصيب شهرة لان كل الكلاب تستطيع أن تنبح ·

المهم ان نبدأ :

حين كنت فى السعودية قال لى بعض الأصدقاء هناك أن من أهم ما يمنعنا من الذهاب الى القاهرة اننا لا نجد أحدا يحاسب أحدا ولو اننا رأينا مسئولا واحدا يقال له من أين والى أين لاطمأنت نفوسنا ولسعت اليكم الأموال ·

ولا شك أن ما حدث فى الأسبوع الماضى من محاسبة لبعض المسئولين وبصورة تقطع أن الحق كان نبراسا منفردا فى الميدان يرمى بالأمل فى نفوسنا اننا بدأنا نضع أقدامنا على الطريق الصحيح المترفع عن كل شبهة البعيد عن كل مظنة ·

اننى لا أشك أن كثيرا من المسئولين اليوم يخافون العقاب وحسبنا هذا النصيب بعض الاطمئنان على المال العام ومادامت موجة الحق قد بدأت فهى لن تقف · وموجة الحق حين تسير تعرف طريقها جيدا ولا يستطيع شىء أن يجعلها تحيد عن الهدف ·

خطاب من الدكتور وحيد رافت :

كتب الأستـــاذ الكبير الدكتور وحيد رافت هذا الخطاب الى • ويشرفنى أن أضع الخطاب كما جاءنى • فكاتبه أكبر من التعريف وما يكتبه أكبر من التلخيص ومن التعليق أيضا •

٣ أغسطس ١٩٧٦ •

بعـــد التحيــــة

استوقفت نظرى فى الأهرام « الثالث » من أغسطس كلمتكم المعادة « الى » السيد وزير الحربية حول تجنيد الشـــباب بعد سن الثلاثين ، وأشارتكم فيها الى الرسائل التى انهالت على الاهرام من أسر مصرية عديدة تطالب باعادة النظر فى هذا الأمر • ولعلكم تذكرون أن قانون الخدمة العسكرية الالزامية كان ينص فى الأصل على انتهاء هذا الالزام ببلوغ سن الثلاثين ثم رئى تمديدها الى الخامسة والثلاثين ! ••

وهو تعديل غير حكيم وغير ضرورى أما عدم حكمته فلان الشاب بعد الثلاثين وقد تقدمت به السن نسبيا وانشغل بمشاكل الحياة ، فلن يكون أهلا لأداء الخدمة العسكرية الالزامية على وجه مرض كابن الثامنة عشرة أو الخامسة والعشرين مثلا • وأما عدم ضرورة التعديل المذكور فلان الاعداد الكبيرة الخاضعة للتجنيد الالزامى كل عام ، تجاوز بصراحة الامكانيات المتاحة فى مناطق التجنيد ومعسكرات التدريب • وترتب على ذلك أن جزءا كبيرا من هؤلاء المجندين الزاميا أصبح لا يؤدى الخدمة الا صوريا أو بصورة ناقصة لا تحقق الغرض المنشود من فرضها أصلا •••

كما توافقنى على أن رفع سن التجنيد الالزامى الى الخامسة والثلاثين أدى الى أن نفرا ليس بالقليل من أبنائنا ممن اتيحت لهم فرص السفر الى الخارج قبل أداء الخدمة الالزامية أصبحوا يتحرجون من العودة الى الوطن قبل بلوغ الخامسة والثلاثين حتى لا تلاحقهم الادارات المعنية بتنظيم أعمال التجنيد • ومن بين هؤلاء المواطنين من أسعفه الحظ أو ساعدته دراساته ومواهبه ، فى العثور على عمل مجز يؤمن مستقبله ، ومن بينهم من تزوج وانجب • ولا يصـــح فى الأذهان أن يرضى مثل هؤلاء عن طيب خاطر بالتضحية بوظائفهم وأعمالهم ومســـتقبلهم ، والانفصـــال عن زوجاتهم وأولادهم ، لغرض أداء الخدمة العسكرية الالزامية فى تلك السن وربما لأجل غير مسمى قد يمتد لبضع سنين كما كان الحال فعلا فى السنوات الأخيرة •••

لذلك فلقد أحسنتم صنعا بتنبيه السيد وزير الحربية ومعاونيه الى هذا الأمر الهام •

انتهى •••

خطاب الى وزير التعليم

كم كنت أشفق عليك وأنت تدير معركة الامتحانات شاعرا بما أعرفه فيك من يقظة الضمير أنك تعتبر نفسك مسئولا عن كل خطأ قد يرتكب أثناء حلقات الامتحان جميعا بادئة بالأسئلة وهى سر لابد له أن يستخفى حتى تتماثل الفرص منتهية بقبول الناجحين بالجامعات حسب ما حصلوا عليه من مجموع ٠

واليوم أوشكت المعركة على النهاية ولا يستطيع منصف لك أو للحق الا أن يعترف أنك أدرتها بما يرضى الله والضمير النزيه ٠٠

ولا أحب ياسيدى أن أنغص عليك لذة الانتصار ولكن لابد أن أناقش معك بعض الأمور ٠

لقد توفرت السرية فى أوراق الاجابة ولكن هل أنت مطمئن يا سيدى الوزير تماما أن المدرسين الذين صححوا أوراق اللغة العربية بالذات على علم كامل بالنحو علما وذوقا يتيح لهم أن يحكموا على من يجيد الانشاء مثلا ومن لا يجيدها ٠

أنا أشك فى ذلك ٠ ولا علينا الآن من الماضى وانما أريد أن نلقى نظرة الى المستقبل ٠

الا يمكن ياسيادة الوزير اعداد حلقات دراسية لهؤلاء المدرسين ليتقنوا النحو اتقانا يتيح لهم أن يدرسوه ٠

والآن ونحن على أبواب عام جديد ماذا ستكون سياسة الوزارة فى وضع البرامج لتعليم اللغات ٠ فالعلوم حقائق ثابتة لا تحتاج الى اجتهاد أما الآداب التى تنتسب اللغات اليها فهى فن وعلم فى وقت معا ٠ من الذى سيختار النصوص فى اللغة العربية ٠ أن الطفل اذا بدأ دراسته فى اللغة العربية بقول الشاعر :

المجد لا يرضى بأن ترضى بأن   يرضى المؤمل فيك الا بالرضا

سينصرف عن الأدب العربى جميعه قديمه وحديثه ٠

والتلميذ اذا بدأ بدراسة أبيات شوقى بالطريقة التى تدرس له اليوم سيختلط عليه الأمر وتنماع فى ذهنه ملامح الذوق الفنى ويصبح وهو

لا يدرى ما هو الشعر الجيد وما هو الشعر الساقط ويترك الأدب وينصرف عنه وينصرف عن اللغة العربية كلها ٠

والتلميذ اذا قررت عليه رواية لا قيمة لها من الناحية الفنية وانما كل ما تمتاز به أنها تدعو الى مكارم الأخلاق فى أسلوب مقالى مباشر أصبح وهو لا يدرى الفارق بين العمل الفنى الذى يتمثل فى القصة والرواية والمسرحية وبين المقالات وخطب الوعظ والحكم وغير ذلك من صنوف الكلام التى لا تتسم بالفن وبذلك ينصرف عن القراءة الأدبية جميعا ٠

ان مهمة المدرسة ضخمة فهى لا تقدم المعلومات فحسب وانما هى تنشىء جيلا بأكمله تتعلق به آمال بلاده ولست أغالى أن قلت أن آمال العرب جميعا تتعلق بهذا الجيل فان مصر ستظل زعيمة العالم العربى فى الآداب والفنون ٠

ولهذا اقترح ياسيادة الوزير أن تختار لجنة من كبار الأساتذة فى الجامعة وغير الجامعة لتشترك فى وضع المقررات والبرامج فى اللغة العربية وأنى لعلى ثقة أنك تدرك خطورة المهمة التى تضطلع بها هذه اللجنة وما يجب أن يتوفر لها من علم راسخ وذوق رفيع وفقك الله ٠

يجب أن ينال الحكيم جائزة نوبل

أما أن كتب كتابنا موضع اهتمام فى الغرب فهذا أمر لا شك فيه ففى الجامعات العالمية جميعا أقسام تدرس اللغة العربية ومن الطبيعى أن يدرس أدبنا فى الرواية وفى المسرح وفى القصة وكتبنا أيضا موجودة بجميع المكتبات الجامعية • ويقف على رأس كتابنا جميعا توفيق الحكيم فيما ترجم له وفيما درس من كتبه •

ولكن اهتمام الدارسين لا يعنى العالمية • والكتاب العالميون بطبيعتهم ندرة • ونستطيع أن نزعم أنه الآن لا يعايشنا من الكتاب العالميين الا عشرة على الأكثر •

ولكن هل جائزة نوبل لا تمنح الا للكتاب العالميين • فمن الذى نالها فى عامنا هذا وما مقدار عالميته •

لا شك أن توفيق الحكيم مثلت له روايات فى جميع أنحاء العالم وتناولته الأغلبية من النقاد وعقدوا المقارنات بينه وبين عمالقة كتابهم وكثيرا ما أحرز الحكيم السبق فى هذه المقارنات ولكن كل هذا لا يعنينا ولا يزيد من قيمة الحكيم عندنا •

ان توفيق الحكيم بالنسبة للأدب العربى أكثر أهمية من أى كاتب فى العالم بالنسبة الى أدب هذا الكاتب •

فان أى كاتب فى العالم يكمل طريقا بدأه غيره منذ سنوات بعيدة •

أما الحكيم عندنا فرائد أول يفتح طريقا لم يكن من قبل معروفا •

فهو أول من أنشأ المسرح الأدبى النثرى فى اللغة العربية قاطبة • وهو أحد اثنين أو ثلاثة بدأوا الرواية العربية على الأسس العالمية وهو أحد قلة رادوا ميدان القصة القصيرة • وهو عندنا من هذا الرعيل الذين جعلوا الكاتب شخصا جديرا بالاكبار والاجلال لأنه كاتب لا لأنه وزير أو أمير وأمثال الحكيم فى العالم الغربى أدوا واجبهم واختفوا منذ مئات السنين أما بالنسبة لأدبنا نعتبر الحكيم قمة لا يجالسه أحد فيها الآن وقيمة لا يماثلها فيه أحد من كتاب العالم أجمع •

أليس من الطبيعي اذن أن نسعو كتابنا ومنهم الدكتور رشاد رشدى أن يبذلوا أقصى الجهد لينال حكيمنا جائزة نوبل تكريما للأدب العربى فى شخصه وتكريما لريادته التى ينفرد بها اليوم بين كتاب العالم ٠

وأنى لعلى ثقة أن البلاد العربية تكن لأستاذنا الحكيم ما نكنه له من تقدير واجلال وتعرف ما أتاحه الحكيم للأدب العربى من سماوات جديدة حلق فيها من بعده كتاب العرب من مسرحيين وروائيين وقصاصين ٠

ونحن على ثقة أيضا أن البلاد العربية تعتبر الحكيم كاتبا عربيا وان أقام فى مصر فان ما قدمه خلال نصف قرن لم يكن لمصر وحدها وانما لكل ناطق باللغة العربية فى كل مكان ٠

وليس ادل على ذلك من أن الأديب الجزائرى محمد ديب الكاتب المعروف عالميا والذى يكتب أدبه باللغة الفرنسية رشح الحكيم لجائزة نوبل معرفة منه بدور الحكيم فى الأدب العربى ٠

أكثير علينا نحن العرب أن ينال رائد فننا الأدبى جائزة نوبل ٠ أليس فيما قدمته شعوبنا من أجل السلام ما يجعل المشرفين على هذه الجائزة يكرمون شعوبنا فى شخص هذا الرائد العظيم ٠

هذه دعوة أوجهها الى كل أديب فى العالم العربى أن يرفع صوته معنا مناديا بما أنادى به ٠

والحكيم مرشح فعلا لجائزة نوبل فان نالها فقد نالها كل أديب عربى بل ما أحسب اننى أبعد عن الحق اذا قلت انه اذا نالها فقد نالها كل عربى ٠

المقـــالات

١٩٧٧

أيها الاخوة أهذا ما كنتم تنتظرون ؟

حديث أسوقه الى الأخوة العرب · ولمن يشكو الأخ اذا لم يشك لأخيه وما الحياة اذا انعدمت منها علاقات الأخوة والمحبة بين الناس ·

كلمات أمسك بها وأكتبها فى حرص شديد وفى ألم شديد · فقاهرة العالم العربى تتعرض فى هذه اللحظات التى اكتب فيها لمؤامرة دنيئة قذرة من قوم عرفوا كيف ينتهزون الفرص ويشعلون النار ·

من نفوس شعب يقاسى فى كل متجه من وجهات حياته · وحاول رجال الاقتصاد فيه أن يعالجوا مشكلته الاقتصادية بما تقول به نظريات الاقتصاد · ولكن الضباع التى تقتات من المحن كانت بالمرصاد فحركت فى الشعب المسكين المطحون كوامن ألمه وصبت من القرارات البترول على اللهيب فاندلعت النيران ·

أيها الاخوة العرب ألستم تدرون الأعداء الذين بداخل بنائنا يتربصون بشعبنا وبتجربتنا الدوائر ويحاولون جهد الطاقة منهم ان يحطموا هذه التجربة ليثبتوا أن الحرية لا مكان لها فى مصر ·

أيها الاخوة العرب أعجيب منى أن أقول انكم ساعدتم هؤلاء الأعداء على حبيبتكم مصر ·

مصر فنار الحضارة العربية ومشرق الثقافة والأدب والفنون والعلوم فى كل حاضرة من مدن العالم العربى ·

مصر صاحبة أقدم حضارة عرفها التاريخ وصاحبة أعظم حضارة حتى اليوم فى العالم العربى أجمع ·

أتريدون لها ما تلاقيه اليوم من تفجر يوشـــك ان يأكل الأخضر واليابس وان يحطم وجهها الضحاك الباسم فى وجه كل شدة ·

لئن كان الفقر قد أصابنا فلاننا وقفنا على أبواب عروبتكم نبذل الدم والمال بل ونبذل أيضا الكبرياء · فى سبيل دمائكم قدمنا دماءنا ومن أجل الغنى عندكم والرفاهية قدمنا المال منا وحطمنا رفاهيتنا ومن أجل الكبرياء العربية كانت حروبنا ·

أعجبت منا أن نناشدكم اليوم فى اناة وان كان الشعب يتفجر من الغيظ • وفى حلم وان كانت النفوس منا تحترق من الألم •

متعكم الله بغناكم • وانتم أحرار فى أموالكم تنفقونها انى شئتم وحتى لو كان البعض يختزنها فى بنوك سويسرا وانجلترا وغيرها من أنحاء العالم التى لا تحتاجها • ولكن ألا تذكرون أيضا أخوتكم هنا الذين بدمائهم زادوا أسعار البترول •

قسما ما عرفت مصر حقدا • ولا مدت مصر يد محتاج • وانما هو حق انتم تدركونه • فان لم نطالب بحقنا الآن والشعب تمور منه الثورات ويتربص به اعداؤه فمتى تكون المطالبة •

أيها الاخوة العرب اذكروا أن مصر هذه كانت ومازالت وسوف تظل مصركم انتم بقدر ما هى مصرنا •

وعلى أى حال أيها الاخوة طيبوا نفسا • فما تحركت مصر هذا التحرك الا احتجاجا • والاحتجاج لا يأخذ صورته المريرة هذه الا اذا صدر عن نفوس موجعة متألمة مأزومة •

ولكن مصر ستبقى • وسيبقى مجدها شامخا عملاقا الى آفاق السماء • ستبقى سواء سمعتم نداء العربى الى أخيه العربى أم لم تسمعوا •

قد تكسرت النصال على النصال • وتعودنا ان نبذل دماءنا • قدمناها قربانا فى ساحة الشرف والحروب والكرامة والسمو فما يضيرنا ان نبذل منها بعضا فى ساحة الاحتجاج •

قد يكون أمرا مقيتا كريها ان يكون احتجاجنا مكتوبا بالدم ولكن هذا قدرنا وسنحمله ونسير •

ان الشعور بالظلم مرير ومحرق • وهو أشد مرارة أن كان ظالمى هو أنا • وقديما قال شاعر عربى •

قومى همو قتلوا اميم أخى   فاذا رميت أصابنى سهمى

الشعب لابد أن يعرف

« ان الشعب اذا عرف الحقائق هدأت نفسه وقبل أن يحتمل ما يعانيه من عنت وقلة فى الدخل وارتفاع فى الأسعار » ٠

لا يجوز أن تمر هذه الأحداث التى شهدتها مصر دون شيء من التفكير والعمق ٠٠ وليس يكفى القول ان الشعب يعانى وأن أعداء الشعب العملاء قد انتهزوا فرصة الفقر المدقع الذى يعانيه الشعب ليعملوا فيه سمومهم ، ويبثوا حقدهم ، ويزيدوا ثورته ثورة ، وليس يكفى أن تهدأ الثائرة وتعود الحياة الطبيعية الى ارجاء البلاد ٠

بل لابد لنا ان نناقش نحن الشعب مكامن الفقر عندنا وأسبابه ، وكيف انهار اقتصادنا هذا الانهيار ٠

الجميع يعلم أن حرب أكتوبر التى بذلنا فيها دماءنا وأموالنا وعبقريتنا الحربية أدت الى مزيد من انهيار لاقتصادنا ومزيد من انتعاش لاقتصادهم ٠ فبعد هذه الحرب وبعدها فقط استطاعت الدول المنتجة للبترول ان تفرض زيادات باهظة فى أسعار البترول ولو أنصفت لتكفلت وحدها بما تكبدناه فى هذه الحرب حتى اذا أدت واجبها عادت فحصلت على اثمان بترولها كاملة لا ينازعها فيها منازع ٠

نحن نعـــلم هذا ٠

ولكن هل هذا هو السبب وحده ؟!

ان الشعب ثائر لانه لا يعرف الحقائق ٠ وليس غريبا أن يتساءل بعض منه كيف نهزم فى حرب يونيه وتظل الأسعار على حالها وننتصر فى حرب أكتوبر فتشتعل هذه الأسعار نفسها حتى لا يطيق العيش ٠

والشعب لا يدرى أن هذا الذى نعانيه نتيجة حرب يونيه وأكتوبر معا ٠ بل ونتيجة حروب كثيرة خضناها قبل يونيه وبعد يونيه ٠

لابد أن تعلن الحقائق كاملة ليعرف الشعب من أين جاء هذا الغلاء المجحف مع هذا الفقر المدقع ٠

يجب أن تعلن المبالغ التى فقدناها ٠

في حرب اليمـــن ..

في ثورة الجـــزائر ..

في حرب الكونغو ..

في حرب يونيه ..

في الفترة التي اعقبت حرب يونيه وهي فترة مريرة كلفتنا من المال والأرواح أكثر مما كلفتنا الحرب نفسها .

في حرب أكتوبر ..

يجب أن يعلن على الشعب هذا جميعه وغيره مما لا نعلم ومما تعرفه الدولة ولا تذكره ..

يجب أن تعلن في وضوح المبالغ التي بذلنا في بند أمن الدولة الخارجي وبند أمن الدولة الداخلي . وهي مبالغ لا شك أن الدولة تعرف مجموعها وان كان أحد لا يعرف تفاصيل الأوجه التي انفقت فيها ..

ويجب أن نعرف ما معنى أمن الدولة الخارجي وأمن الدولة الداخلي فيما سبق ثورة التصحيح .. بل فيما سبق حكم السادات جميعا ..

ان الشعب اذا عرف هذه الحقائق هدأت نفسه وقبل أن يحتمل ما يعانيه من عنت وقلة في الدخل وارتفاع في الأسعار .

ومجرد العلم في ذاته غاية في الأهمية .. فانه اذا كان معي جنيه وأنفقته جميعا لا يصيبني من الألم ما يصيبني اذا أنا فقدته ولم أعلم كيف فقدته . انها أموال الشعب هذه التي أنفقت ومن حق الشعب ــ على الأقل ــ أن يعرف فيم أنفقت ... وعلم الشعب أقل ما يمكن أن ينال في هذا المضـــمار .

أيتها الشيوعية لا تفرحى

لقد ســـكن العاصف الذى أثرته بمالك وعملائك من اعداء مصر والرافضين للحياة والمنتهكين لكل حرمة • فلا تفرحى •

لقد عشت عمرك تزرعين الحقد وتنشرين بذوره فى العالم أجمع • ولكن هيهات لك أن يخصب زرعك فى أرض الألف مئذنة ومهبط الوحى ومثوى اعلام الاسلام وموئل الصوامع والبيع ومولد الرهبنة المسيحية •

ان الهواء عندنا يرفض نبتك السام ويقتل بذرتك السفاكة •

اننا هنا أيتها الشيوعية نزرع الحب ويظلنا الايمان ونشرب الصفاء ويجمعنا النقاء •

فان كنت وجدت بيننا أعداء يبيعون أملنا لك ويهدمون كل شريف ورفيع من خلقنا باسمك فهؤلاء لا ينتمون لمصرنا وانما لك ينتمون •• بنوازع الشر والبغى وسفك الدماء وهدم القيم •

لقد قامت عندنا الثورات فى سنة ١٩ وفى سنة ٥٢ فبذلنا الدماء ولم نسفكها •

أما انت فقد ثبتى الدعائم منك باحد عشر مليونا من الانفس • وانت التى جعلت من أطفال المجر وشعبها الثائر طريقا لدباباتك ومصفحاتك وأنت التى تلقين بكل حرية تحاول أن تتنفس حولك الى جحيم من نيران جبروتك •

وعملاؤك فى أنحاء الأرض يرمون أعداءهم بأنهم أعداء الحياة فى حين تمثلين أنت ومن يهتف باسمك الموت الأخذ وخنق الحريات وهدم الحياة فى كل ما تشرف به الحياة •

فان كانت قد انتعشت آمالك ساعة أو بعض الساعة بما حدث فى مصر فكفى اليوم انتعاشك ونكسى اعلامك أخنقى أفراح صحافتك الحمراء بلون الدم فقد انتصر الشعب هنا على أعداء الشعب وارتفعت من جديد بيننا أعلام الحب البيضاء وابتسمت ورودنا وأشرقت شمسنا وعلا ايماننا وتمكن فى قلوبنا حبنا لمصرنا •

فمصر عندنا هي كل الحياة من أجلها نهب الحياة ولها وحدها ولاؤنا وفى سبيل حبها نمحق عاديات الظلام المنتشر من ليلك ونفديها بنفوسنا وبما هو أعز من نفوسنا ٠٠ بارواح أبنائنا نفديها ٠

لا تفرحى ٠٠ فلئن يكن أبناء أموالك قد خانوا مصر ٠٠ وانتهزوا من أبنائها ثورة فاججوا فيها النيران فسريعا ما ثاب الأبناء الى أمهم الكبرى مصر والى ايمانهم العميق بالله ٠٠ وخمدت الثورة بعد أن فتحت عيوننا على قطع الظلام التى تعمل باسمك والتى تحاول أن تفشى بين الناس مبادىء الحقد الذى تحتضنين وأفكار الالحاد الذى تعتنقين ولون الدماء الذى اليه تنتمين والذى به صبغت اعلامك وأعمالك ودعوتك ٠

لا تفرحى ٠٠ ان كنت بأيدى عمـــلائك قد خربت من القـــاهرة والاسكندرية ما لم تخربه اسرائيل فالذى لا شك فيه ان نفوسنا لم يمسها من التخريب شىء ٠ فهى دائما أقوى من كل تخريب وأرفع من كل الشر الذى تنشرين ٠

ايتها الشيوعية ٠٠ لقد أمسكت عنا عونك وأطلقت ذئابك الشرسة لتعبث فى بلادنا تريد أن تحطمها لانك ولانها لا تعيشون الا على خراب اليأس ولا تروون عطشكم الا من مستنفع الفقر والمحن ٠ ولكن لا تفرحى فما عرف اليأس الينا سبيلا والفقر الحقيقى الذى تنشدين لا وجود له بيننا ٠ فنحن نحب مصر وبحب الله دائما أغنياء النفوس ٠ عفيفة قلوبنا وأن نضبت أيدينا شريفة ضمائرنا ونحن بهذه النفوس والقلوب والضمائر فى ثراء لا تعرفينه أنت ولا يعرفه عملاؤك وهيهات لك أو لهم أن تعرفوه ٠

لن تطلب الفينو اذا تحسن الرغيف البلدى

ان الذين قاموا بعمليات التخريب لا ينتمون الى مصر ٠٠ مهما حاولوا اثبات جنسيتهم ٠٠ من حق أى أحد ان يعترض ٠٠ ولكن هناك طرق مشروعه للتعبير عن الرأى ٠

ان الحكومة ليست ملزمة بتوفير الجاتوه بالأسعار الرخيصة ٠ ولكنها مطالبة بتحسين الرغيف البلدى وعندئذ لن يضطر الناس للجوء للعيش الفينو ٠٠ والمفروض أن الدولة عن طريق أجهزتها المختلفة تستطيع ان تحدد بحق السلع التى يمكن ان يرفع الدعم عنها بشرط الا يؤثر ذلك على الطبقات الكادحة ٠

أما بالنسبة للدول العربية فانها مطالبة بأى تؤدى واجبها بالشهامة التى ننتظرها منها ٠

هــذا يهم أشــبه

مسكينة هذه الشيوعية دائما تعتمد على شيء ترتدى شعاره فمنذ حين قريب صب عليها العذاب الوانا وتعرضت أعراضها وأبدان المنتمين اليها للقهر والتدمير والعـذاب والسحق حتى اذا ارتدت الى الانسـان انسانيته،واستطاع المصرى أن يكون آدميا مصونة حقوقه آمنة أسرابه هادئة نفسه مطمئنة آماله معقودة أواصره بالسلام وشريعة الله لا شريعة الغاب انتفض دعاتهم يندبون أيام أعراضهم المسفوحة ودمائهم المراقة وامنهم المفزع وانسانيتهم ـ ان كانوا الى الانسان ينتمون ـ المدمرة ٠

وتعالى منهم الهتاف يجأرون به ويخفون حقيقة ما اليه يهدفون٠انهم يريدون أن يحكمنا غير المصرى فان لم يتهيأ لموسكو أن تحكم فليحكم القذافى كفترة مرحلية كما يحبون دائما أن يطلقوا على فتراتهم التى لا تحقق كل آمالهــم ٠

وفى وقاحة مكشوفة لبسوا فجأة رداء الديموقراطية ليدافعوا بها عن الشيوعية ٠٠ فعقد زعيمهم اجتماعا لغير المصريين من الصحفيين ليظهر لهم كيف لا تطبق الديموقراطية ٠

ترى لو كان هذا الحزب الشيوعى فى بلاد شيوعية وفكر أن يعارض الحكم القائم هناك أكان يتاح له أن يوجد ؟! ولرئيسه أن يعقد الاجتماعات ؟! أم كان الحزب والرئيس معا معلقين على المشـــانق أو مسحوقين تحت الدبابات أو ـ اذا سكبت عليه الشفقة والرحمة سكبا ـ كانوا الآن يلعقون الثلوج فى سيبيريا روسيا أو أى سيبيريا أخرى من بلاد الكبت والقهر والستار الحديدى ٠

ان موقف زعيم الحزب الشيوعى من الصحفيين المصريين الذين أطلق عليهم كلاب حراسته هو الموقف النموذجى الخليق بالشيوعية وزعيمها ٠

فأنا أذكر اننى سألت واحدا من ممثليها :

ـ بأى حق ترغمون الناس على أن تقبل حكمكم وترضى بالقهر الذى تفرضون والغاء الانسان فيهم وجعلهم أشياء لا آدميين ٠

فأجابنى ببساطة ودون أى تفكير :

ـ بقوة السـلاح :

فالذى فعله الزعيم الشيوعى هو تماما ما يمثل الفكر الشيوعى والخلق الأحمر ، ولقد عجبت من لوم اللائمين له وأخذهم عليه ما فعل • لقد كان عجيبا متناقضا وهو يبكى على الديموقراطية • ولقد ارتد الى خلقه الأصيل وهو يخاشن الصحفيين ويسمح لمعاونيه أن يهاجموهم وما كان بعيدا أن تتشابك الأيدى فهم هم الذين أحرقوا القاهرة وشوهوا وجهها السمح الطيب الأمين • فما بعجيب ما أتاه ولا لوم عليه ولا تثريب فهذا هو المنتظر منـه •

ولكن هناك سؤال لابد أن يطرح •

ما هو الحزب ؟

أليس هو فكر معين يهدف الى خير البلد التى نشأ فيها الحزب ويلتف حول هذا الفكر مجموعة من الناس ترى أن هذا الفكر هو أصلح ما يصلح لبلدها ولابناء الشعب الذى تنتمى اليه • فهل هناك حزب شيوعى حقيقى قائم فى مصر ؟

قبل الانتخابات كانت الأصوات تستطيع أن ترتفع حاملة شعارهم ونحن والعالم أجمع يعرف من أين تدفع مكبرات الصوت التى تحمل شعاراتهم •

وأشهد أن صوتهم كان عاليا مرتفعا حتى لقد توهم الكثيرون أنهم عدد عديد وان السائرين خلفهم الملتفين حولهم أغلبية ساحقة •

وفى أثناء المعركة الانتخابية أثاروا الضجيج واحتوتهم أتربة المعركة ••• حتى اذا انجلى ما كان غبارا وتكشف الحق نالوا مقعدين فى مجلس الشعب وأنا مازلت مصرا أن هذين الذين نالا المقعدين وصلا اليهما برغم أنهما شيوعيان لا لانهما شيوعيان •

ولكن مهما يكن الأمر من شأنهما •• هل يكون اثنان حزبا •••

••• حزبا الرئيس فيه رئيس والعضو الآخر سكرتير وأمين صندوق ومساعد سكرتير ومكتب حزب وهيئة برلمانية •

أهذا حـزب ؟

انه لافتة بلا أنصار وعنوان بلا موضوع •

ان وجودهم هذا الذى يلتف بالشرعية يتيح لهم أن يدسوا سمومهم فى التجمعات الشريفة التى نحرص كل الحرص أن تبقى شريفة •••

فهم يملكون المال تمدهم به جهات شتى ٠٠٠ وضعاف النفوس موجودون فى كل بلد وللمال اغراء وقوة جذب ولكنى مع ذلك لا أخشى على أبنائنا من الطلبة ولا على أخوتنا من العمال ولا أخشى على الفلاحين فالجمع منهم شريف ٠

وقد صمد الطلبة في الأحداث الأخيرة ٠ وانقذت المصانع بجهد العمال ولكن هذا العنوان الذى لا موضوع له سيظل يلح ويلح فلابد ان يقمع فقد كفانا سنوات عشناها بذلنا فيها ما بذلنا وآن للأجيال الجديدة أن تطمئن الى مستقبل مشرق يعوض الآباء عما لاقوه من جهد واعنات ٠

ان لافتة لا يقف تحتها شرفاء جديرة بأن تزال وعنوانا لا يندرج تحته موضوع خليق أن ينمحى ٠

قراءة الخطاب الرئيس

سيطر الشيوعيون على وجه مصر فترة طويلة من الزمان وانشأوا لأنفسهم قوات ومنظمات داخل المؤسسات الصحفية ووسائل الاعلام · وحين حلوا هم حزبهم فتحت لهم الأبواب فى كل ما يتصل بمخاطبة الجماهير فأصبحوا هم المتحدثين الرسميين للدولة · وأبعدوا عن الصحافة كل الوجوه التى لا تتلاءم معهم · وركبوا المسرح وجثموا عليه وانتشروا فى التليفزيون وفى الاذاعة متخفين أحيانا ومعلنين فى أحيان أخرى · وصبغت مصر جميعا باللون الأحمر · وكان كثير من الشباب لا يجدون وسيلة تصل بينهم وبين بلوغ أعمالهم الى الناس الا عبر هذه الجسور الحمراء فصبغوا أنفسهم بصبغتهم ومشوا فى الركاب ·

بعد ثورة التصحيح لبسوا قميصا آخر وظهروا به للناس عساه يخفى حقيقتهم ولكن الاعلام أمر شهير ذو صوت جهير · وهكذا ظلت كثير من التمثيليات التليفزيونية والاذاعية مصبوغة بنفس اللون ·

ولكن شيئا جديدا حدث فى عهد السادات · فقد ارتفعت أصوات حرة ·· ولم يعد هناك مجال للهمس وهو الصوت الوحيد الذى كان يسرى قبله فى ظلمة الليل البهيم · وحتى هذا الهمس كان يصل بكثير من الناس الى الاعتـــداء على الأعراض والأبدان والانسان فى جســـده وروحه وعقله ومشـــاعره ·

وهؤلاء الحاقدون لا يطيقون أن يسمعوا صوتا يعارض صوتهم ··· أو نغمة تختلف مع طبولهم الكريهة فوقفوا من عهد السادات جميعا موقفا رافضا ·· ورفضهم لا يتمثل فى مجادلة حجة بحجة ولا رأى برأى · انما رفضهم قتل وتدمير واحراق ونهب لا يقف بهم عن ذلك شيء من مثل فلا مثل لهم أو خلق فما الأخلاق من دينهم ولا دين فالدين عندهم مرفوض جملة وتفصيلا ·

والحقيقة من أمرهم أن الكثير منهم لايزال يقتعد مكانا ذا أثر فعال شـــديد الفاعلية فى الجامعات والوزارات وبين رجال الأمن وفى الاعـــلام على مختلف صوره سواء كان ذلك فى الاذاعة أو الصحافة أو التليفزيون أو المسرح ·

وما كشف ذلك بالأمر العسير • فالذى لا شك أن على صبرى ضم فى تنظيمه الكثيرين من هذه الرؤوس • والكثير منهم مازال فى منصبه يتوق أن يعود على صبرى الى مكان خطير بل لعله يتوق أن يعود الى أخطر مكان فى الدولة • لاقدر الله •

والسادات لا يقتل ولا يعتقل ولا يهين الانسان فى الانسان • ولكن لابد أن يبعد هؤلاء عن أن يكونوا صلة بين الطلبة والحكم أو بين الرأى العام والسلطة التنفيذية •

ولا أستطيع أن أذكر هؤلاء وأنسى السلطة التشريعية وما كان من بعض أعضائها • فالسلطة التشريعية هى الأمينة على مصالح الناس •

والمكان الوحيد الذى يجوز لعضو مجلس الشعب أن يبدى رأيه فيه هو مجلس الشعب فالجلسات معلنة أمامنا وما رأينا أحدا يمنع من الكلام فما اللجوء أذن الى اللصوص والمخربين من الناس الذين لا يشعرون بأى نوع من المسئولية أو الشرف •

ولقد ضرب الرئيس مثلا من الموقف الذى وقفه مصطفى كامل مراد فى ١٤ مايو حين فصل مجلس الشعب ١٦ عضوا من أعضائه كانوا يعينون على تحطيم الشرعية •

وان ما فعله النواب فى هذه المرة أخطر مما فعله الأعضاء الستة عشر فى مايو •• ان ألفين حرضوا الطلبة والغوغائية ان تفشو فى أمن مصر وسلامتها فى يناير يشكل عملهم جرائم عدة ••• أولها محاولة قلب نظام الحكم وثانيها التحريض على حرق المنشآت العامة وثالثها سلب الأموال العامة والخاصة ورابعها الاعتداء على أموال وأمن الناس •

والنيابة أقدر منى على توصيف التهم وتكييفها ولكن الذى لا شك فيه أنه ان كان نواب مايو قد حاولوا الاعتداء على الدستور فقط فهؤلاء اعتدوا على الدستور وعلى كل مقدس وشريف بناه لنا الحكم الذى انتصر فى أكتوبر ٧٣ • ذلك الحكم الذى فعل أروع ما فعله حكم مصرى فى العصر الحديث • فحتى الانتصــــارات التى أحرزتها مصر فى عهد محمد على وابراهيم لم تكن فى وقت كانت مصر تعانى فيه ما كانت تعانيه فى عام ٧٣ من فقر ويأس واحباط •

وبعد فالقرار الذى سنقول رأينا فيه نحن الشعب لا يجوز أن يفوت دون أن نحمى فيه تلك المادة التى تنص على ما يلى « يعاقب كل من يتهرب من أداء الضرائب أو يقدم بيانات غير صحيحة عن ثروته بالأشغال الشاقة

المؤقتة وعلى كل مواطن أن يتقدم خلال ٣ شهور ببيان كامل عن ثروته وزوجته وأولاده القصر » ·

فليملك من شاء ان يملك · ولتكن عنده الملايين وملايين الملايين مادام سيؤدى عنها حق الدولة ومادام قد جمعها من طريق حلال · فانما غناه هو غنى دولته يزيد اقتصادها ثراء وانتعاشا أما الذى نهب أموال الدولة ليثرى نفسه وبنيه فأمه هاوية ويكفيه أن يعرف على حقيقته ·

عسى ألسنة الحاقدين تكف عن اتهام الشرفاء وتشريف المتهمين · وهل بعد الأرقام حقيقة لقوم يفهمون أو حتى لا يفهمون ·

صرخ المجنون فسمعه الطغاة

هم يعرفون ان المنطقة أصبحت ترفض طغيانهم وظلمهم وجبروتهم . فان الدولة التى تظلم شعبها هيهات ان تنصف الشعوب الأخرى . ولن تجد شعبا مظلوما من حكامه فى أوروبا مثلما يظلم الحكام الروس شعبهم . وما ظنك بشعب محروم من الأمل يعيش على الرعب والخوف والهلع ، ويرى حكامه يعيشون حياة يخجل ان يعيشها عتاولة الرأسمالية فى العالم الغربى أو غير الغربى . فرضوا جبروتهم على دول الستار الحديدى جميعا وكل دولة حاولت ان ترفع عن نفسها هذا القيد الثقيل شخصوا اليها بالسلاح الفتاك ليرغموها على البقاء فى جنتهم . حين ثار أبناء المجر على الحكم الشـــيوعى كانت الدبابات تعجن الأطفـــال والشـــبان بتراب الطريق وقتلوا يومذاك مائة وخمسين ألفا من المواطنين المجريين وسمعت المذيعة الروسية تقول نعم لقد قتلت الجيوش الروسية الكثيرين ولكنها قتلت الفئة الضالة لتبقى على الفئة الصالحة .

ويوم ارادت تشيكوسلوفاكيا ان تغير من بعض أحكام الشـــيوعية التى جرت عليها الخراب والويلات تقاطرت عليها جيوش دول شيوعية خمس وسدت عليها منافذ الهواء فما انصرفت الجيـــوش حتى تم للحكم الشيوعى الوحشى كل ما يريد وقبعت تشيكوسلوفاكيا ساكنة كالعصفور فى عقدة أفعى لا تجرؤ على الاصلاح ولا تفكر فيه .

هذا هو الحكم الباغى الذى هلع اليه القذافى . وما هلع اليه من مصر فهو يعلم ان مصر فى عهد السادات لا تتدخل فى شئون الدول الأخرى وهو يعلم ان السادات لا يبغى الا الهناء والرغد لشعب مصر غير طامع مطمعا شخصيا ولا طامح الى امبراطورية ساداتية .

وقد تواترت الفرص أمام مصر فى الفترة الأخيرة لتتدخل تدخلا حربيا ولكنها ابت الا أن تتدخل تدخلا أخويا . وبهذه الاخوة توطدت صلة مصر بالعالم العربى اجمع وبالعالم الغربى أيضا ومددنا يدنا الى روســـيا السوفيتية .. يد صديق مددنا ولكنها لا تريد الا يد العبيد . وليس لدينا هذا النوع من الأيدى .

ومنذ أيام قريبة نشر فى العالم ان العلاقات المصرية السوفيتية فى سبيلها الى التحسن واذا بالعالم يفاجأ بهذه المذكرة التى قدمها السوفيت الى العالم العربى اذن فقد كانوا يمدون الينا يدا بادية الود ويخفون فى تلافيف ثيابهم يدا تبيت العدوان وتعد له ·

ولكن هيهات لهم أو للقذافى ان يبلغوا ما تهفو اليه نفوسهم فالعالم العربى قد تعرف نوايا الحكم فى مصر وتفتحت له قلوبه وصفت بيننا وبينه المشارب والموارد والمصادر فهو لا يصدق أن مصر تبيت عدوانا على أحد ، انما الذى يبيت هذا المجنون فى ليبيا الذى يرسل الينا شياطينه فى كل يوم ليعتدوا على شعب آمن مسلم أمره الى الله ·

هذا المجنون الذى بلغ به السعار ان يقتل أساتذة الجامعات ايدرى هذا الأبله قيمة الانسان الذى يقتله · انه مشرق أمل وموئل نور يشع على الأجيال · ولكن من أين لهذا الأحمق المأفون ان يقدر التعليم أو حامليه ·

ثم يلفه الذعر والهلع من شعبه ومما ينتظره من خاتمة تليق بجنونه المسعور فيهرع الى الطغاة فشبه الشىء منجذب اليه ويكتب السوفيت هذا الخرق الذى طالعوا به العالم ·

انه مجنون يصرخ وطغاه يحبون ان يستمعوا اليه ليجعلوا لتدخلهم سببا واهمين ان العـــالم أبله بينما الأبله الحق هو الذى يظن الغبـــاء بالآخـــرين ·

سيزيف والصخرة

جاء فى الأساطير ان الالهة قضت على سيزيف بالصعود الى أعلى الجبل وهو يدفع أمامه صخرة • وقضت الآلهة ألا تستقر هذه الصخرة فى أعلى الجبل أبدا • فكلما صعد بها سيزيف تعود فتنزل الى السفح ويعود سيزيف فيدفعها أمامه الى أعلى الجبل •

وفى يوم صعد سيزيف الى أعلى الجبل دافعا أمامه الصخرة وتركها وعاد لينام وكان قد تعود أن يستيقظ مع فجر كل يوم ليجد الصخرة التى وضعها على القمة فى أمسه قد عادت الى السفح مع الفجر • ومع انبثاق النور الأول يعود سيزيف فيدفع الصخرة الى أعلى الجبل ويستغرق منه هذا الجهد اليوم جميعه حتى الهزيع الأول من الليل •

وفى هذا اليوم صعد كشأنه وترك الصخرة • ونزل لينام ولينتظر الصخرة لتعود فيدفعها فى باكر الصباح •

وأشرق الفجر • ولا يدرى سيزيف لماذا راح ينظر حواليه فوجد انه يعيش فى أجمل مكان فى العالم فحوله الجداول الرقراقة والأشجار اليانعة والحدائق الغناء والطيور تستقبل النهار بموسيقى سماوية وتودعه بمواكب حافلة من الأنغام • وتعجب سيزيف أنه لم يلتفت الى هذه الجنان حواليه الا فى يومه هذا وأسف لهذا القضاء الذى فرضه عليه قدره وتمنى أن تتاح له الفرصة ان يستمتع بهذا الهناء الذى يرف حواليه ولا يصيب هو منه شيئا حتى ولا متعة النظر • كان قد مر عليه عشر سنوات وهو راضخ لقدره طائع له مستسلم غير متبرم به ولا هو ضجر • ولكنه فى يومه هذا كان يتمنى لو كان قدره أكثر رفقا به •

قام الى الصخرة ومد يديه دون ان يكلف نفسه عناء النظر ولكن يديه بالهواء استقبلتا ونظر فاذا الصخرة ليست فى السفح وتشوف القمة فاذا الصخرة راسخة هناك لم تنزل • جن جنونه من الفرح وصعد الجبل وثبا وفى مثل اللمحة الخاطفة كان واقفا هناك • الصخرة ثابتة حيث تركها فى الأمس • اذن فقد أفرجت عنه الآلهة •

جرى الى الجدول الرقراق وراح ينقع نفسه فيه ويصب من مائة صبا • وغسل ثوبه فاذا هو يعود جديدا كانما لم تعمل فيه السنون بيديها •

وبحث عن حجر وراح يسنه حتى أصبح قاطعا وراح يحلق ذقنه فهى ناعمة •
ثم استقبل الجنة التى حواليه وراح يأكل مما بها من فواكة رائعة •

وما أن أخذ فى السير حتى وجد أطفالا يلعبون عليهم ثياب نظيفة وفى وجوههم مرح ونعيم وسألهم :

ـ ماذا تعملون هنا •

ـ نلعب •

ـ ألكم بيت •

ـ طبعـــا •

ـ أيـــن •

ـ فى هذه القرية هنـــاك •

اذن فبجانبه قرية أيضا قصد اليها فاذا من بها يلتفون حوله •

ـ من أنت •

ـ ســـيزيف •

ـ صـــاحب الصـــخرة ؟

ـ نعـــم •

ـ لســـت بـــه •

ـ بل اننى هـــو •

ـ سيزيف أشـــعث أغبر الثياب طويل اللحية مكشر لا يعرف الضحك طريقا الى وجهه •

ـ لقد عفت عنى الأقـــدار •

ـ والصـــخرة •

ـ فى أعلى الجبل •

ـ ولم تنزل •

ـ بل هى باقية حيث ارسيتها بالأمس •

ـ اذن لنقيمن لك عيـــدا •

ـ ولكنكم لا تعرفـــوننى •

ـ بل نعرفك ٠٠ كنا نرقبك طوال السنوات الماضية ٠

ـ لم أر أحدا منكم ٠

ـ كنت مشــغولا عن الدنيا جميعا ٠

ـ اذن فهل اطمع ان أكون واحدا منكم ٠

ـ كـــن ٠

وأقيم العيد وضج المكان بالموسيقى والرقص ٠٠ وفى أثناء الرقص وقعت عينا سيزيف على فتاة كانت تبدو أمامه كنجمة مجنحة هبطت من السماء فيها اشعاع حلو ريان ينساب جسمها كحلم وسنان وهى ترقص كملاك وتبتسم كامل وتغنى وكأنها أمنية تتحقق ٠

ـ ما اســـمك ٠

ـ ســـيفيليا ٠

ـ زوجة أنت لا شـــك ٠

ـ بل لست زوجة ٠

ـ كيف ٠٠ أهذا الجمال جميعه لم يجد الزوج ٠

ـ يبدو أن السماء تريدنى لغير من طلبنى ٠

ـ ترى اترضى بى السماء زوجا لك ٠

ـ انى أرضى ٠

ـ اذن فالســـماء ترضى ٠

وكان الزواج وعاش سيزيف أجمل فترات حياته وانجب من سيفيليا ابنا وابنة وكان دائما يسأل أهل قريته ٠

ـ عمـــلا ٠

ـ ولـــكن لا عمل لك ٠

ـ أبـــدا ٠

ـ لقد وزعنا الأعمال من قبل مجيئك وهكذا ضاق سيزيف بالفراغ ووجد نفسه يذهب الى الصخرة يدفعها عن الجبل ولكنها كانت ثابتة لا تريد حراكا فأتى بفأس وراح يضرب حواليها حتى وهنت جذورها ودفعهـــا فسقطت الى السفح ومنذ ذلك اليوم أصبح عمله كل يوم ان يدفع الصخرة

الى القمة طوال اليوم وفى اليوم الثانى يدفعها الى أسفل ثم يعود فيصعد بها الى أعلى ٠

وعجب ابنه وابنته ٠ فتشجع ابنه وسأله :

ـ ابى ماذا تفعل ٠

ـ أعمـــــل ٠

ـ ولـــكن بلا فائدة ٠

ـ كيف تقـول هذا ؟

ـ لا أرى نتيجة لعملك ٠

ـ النتيجة الوحيدة اننى أعمل ٠

ـ أليس لكل عمل فائدة ٠

ـ لابد أن يوجد العمل أولا ٠

ـ حتى ولو كان بلا هدف ٠

ـ لو فكرت يابنى قليلا ٠٠ لو فكرت لوجدت الهدف ٠٠٠ اتراك وجدته ٠٠ لا يهم ٠٠٠ سوف تجده ٠

أمهلهم رويدا

ليس قرار السادات بزيارة اسرائيل مجرد قرار اسطوري الشجاعة وانما هو شيء أكبر من ذلك بكثير ٠

انه قرار رجل واثق بنفسه ٠ فهو لم يفكر أن يتخذ هذا القرار بعد عام ١٩٦٧ حين كانت الهزيمة تحيط بنا من كل جانب ٠ وانما فكر بعد أن حققنا نصرا اعترفت به اسرائيل نفسها اعترافا كاملا فنحن بهذا النصر لسنا ضعافا نستجدى السلام ونستمنحه من قوة لا قبل لنا بها وانما نحن نطلب السلام بعد ان حققنا النصر لاننا نجنح للسلم ونطالب الجانب الآخر ان يجنح له ولاننا نريد لهذه المنطقة التى ظلت تحارب ثلاثين عاما ان تهدأ الى مستقر وينشر الهدوء عليها جناحا تعرف فى ظله الرخاء والأمن والرفاهية ٠

ولكن هذا القرار عندي يحمل معنى أكثر عمقا وأرفع شأنا وأسمى مكانة ٠

انه يعنى ان زعيما فى العالم العربى ترك مرحلة الشعارات الزائفة واللافتات الكاذبة والصراخ الفارغ المجنون ، والهدير اللفظى الأبله ، والتهديد الكلامى الأحمق الى مرحلة السياسة العليا الرزينة الرفيعة التى تقدر الأمر بعقل هادىء مطمئن وبقلب واثق مؤمن ثم تمضى الى غاياته مادامت ترى فيه خيرا لامتها جميعا ٠

وهو يعنى أيضا أن زعيما فى العالم العربى ليس يعنيه أن يبحث عن الخطب والقصائد تنسكب على شخصه مديحا كاذبا بقدر ما يعنيه ان تصل الأمواج الصاخبة الرعناء فى محيط السياسة العربية الى هدوء وسكينة افتقدتها فلم تهتد اليهما مدة ثلاثين عاما ٠ انه نفس الزعيم الذى قال فى الولايات المتحدة الأمريكية اننا ننسى أشخاصنا وكل ما يتصل بذواتنا فى سبيل بلادنا وامتنا ٠ انه الزعيم الذى قدر ان الفرد فترة وان الأمة دوام واستمرار وابد ٠

لم يكن السادات يجهل ان هذه الدول الخطابية ستنتهز اليوم فرصة لتشق حناجرها بالخطب العنترية ٠ فكل دولة وجماعة من الدول والجماعات التى هاجمت كان أمرها معروفا قبل ان يذاع القرار ويعرف انها الدول

التى تحس أنظمة الحكم فيها انها غير شرعية ويحاول حكامها ان يستروا على شعوبهم الديكتاتورية التى يمارسونها عليهم • وانهم الجماعات التى تتكسب من الحرب ولا تريد لها ان تنتهى •

ولم يكن السادات يجهل ولم يجهل أحد أن الشيوعيين أنصار السلام الكاذب سيرفضون هذا القرار • فهو صادر من السادات الذى أبى أن يكون ألعوبة فى يدهم وكل ما يصدر من السادات عندهم مرفوض حتى وان كان يتمشى مع المبادىء التى يدعون انهم يعتنقونها •

ان كتابهم دائما يكتبون عن ابتسامة الطفل وشقاء الكادحين وهل هناك مثل الحرب فى قتل ابتسامة الطفل وزيادة الشقاء للكادحين •

واذا كان بعض العرب يرفضون القرار فى سبيل الخطب والشعارات الزائفة فما شأن أنصار الشيوعية أليسوا هم الذين يرفضون التجمع العربى ويرونه منافيا لمذهب الشيوعية العالمية التى ينادون بها •

وهل ننسى يوم جاء خروشوف الى هنا فى وضع حجـر الأساس للسد العالى والقيت أمامه الخطب تمجد القومية العربية فاذا هو يقول فى وضوح ما هذه القومية العربية التى تتحدثون عنها اذا كان الأمر أمر قومية عربية فانى سأجمع كل العاملين الروس الذين هنا ونذهب الى بلادنا •

وهو فى ذلك اليوم كان ينطق باسم المذهب الشيوعى اجمع وما أعتقد ان المذهب الشيوعى فى روسيا قد تغير • ولكنهم مع ذلك يرفضون خطوة الرئيس الســادات الى الســلام ويصدرون تعليماتهم الى عملائهم أن يرفضــوها •

ويصبح الأمر واضحا أمامنا نحن المصريين الذين نحب مصر • لقد انقسم العالم الى جانبين • جانب متحضر يرى فى هذه الزيارة التى يقوم بها السادات قمة التحضر الفكرى والسياسى وجانب رجعى متخلف يرفض الزيارة ويقف منها ذلك الموقف الغبى •

وبعد فماذا تحمل هذه الزيارة •

واحـد من اثنتين • اما أن تدرك اسرائيـل اننـا نرحب بالسلام والعيش الآمن فى المنطقة فتذهب الى مؤتمر جنيف بروح متفائلة وباقبال على الحـل •

واما أن تظل اسرائيل على تشددها وتعنتها فتلجأ الى البدائل · ولكن العالم كله يومذاك سوف يعلم انها هى التى ترفض السلام وليس العرب ·

وعلى الحالين نحن الكاسبين ·

ولكن قوما لا يريدون لنا الكسب على أية حال ·· فليظلوا اذن يشقون عقائرهم بالخطب والشعارات أو ليظلوا اذن يدبرون مكائدهم بليل ولا يعنينا أمر هؤلاء أو هؤلاء فانما هم يكيدون كيدا ·

لغة جديدة تفهمها الحضارة ؟؟

عرف العالم كثيرا من القواد المنتصرين • وعرف فيهم حبهم للحرب وحرصهم عليها وتسابقهم اليها فهى مجال مجدهم ومبعث فخرهم وعزتهم وعرف العالم كذلك دعاة سلام رفضوا السلام وسيلة للمخاطبة والعالم لا يصلح الا بالسلام وبالسلام وحده •

ولكن العالم لم يعرف قائدا منتصرا وداعية سلام عالميا يجتمعان فى شخص واحد •

وقد جمعهما السادات فى شخصه أمس •

انه كان فى خطابه زعيما ينتسب الى العالم الجديد الذى نعيش فيه • كان أبنا لفترة حضارية من تاريخ العالم لم يشهدها العالم من قبل •

نحن على مشارف عالم يرفض الحرب وسيلة للحياة وينشد السلام فى جميع ربوع الحياة • عالم سلام متحضر • العقل شعاره والعواطف الشريفة النبيلة هى أساسه ودعامته •

ان السادات وهو يتكلم عن اليتامى والأرامل والضحايا من الجانبين كان انسانا ينتسب الى عصر جديد يرفض وحشية الحروب واجرامها وما تجره على المنتصر والمهزوم من آثار أبعد ما تكون عن الانسانية • لغة جديدة يفهمها التقدم البشرى والسمو الانسانى •

قال السادات ما يريده فى كبرياء المنتصر وفى تواضع هداة السلام •

قال ان اسرائيل ظلت لفترة طويلة بينها وبين العالم العربى جدار سميك من القوة والبطش والذراع الحربية الطويلة وتحطم هذا الجدار فى أكتوبر ولكن جدارا آخر بقى من سوء الظن وعدم الثقة والتباغض ولم يشأ الزعيم الانسان المتواضع أن يقول انه جاء الى اسرائيل ليحطم هذا الجدار وليمد اليهم يدا ما تصوروا فى يوم من الأيام أنهم يستطيعون استلامها •

ولكن الحقيقة التى لا شك فيها أن الرئيس السادات حطم بزيارته هذه ذلك الجدار الباقى بين اسرائيل والعرب ذلك الجدار الذى لو قدر له أن يظل قائما لظل التوجس من الحرب قائما معه لا يزول •

ولا حياة لشعوب تعيش عمرها كله على الحروب وتعيش سلامها أن قدر لها السلام ـ متوجسة خائفة من حروب أخرى ·

ان السادات فى خطابه وفى رحلته يبذل ما يبذل عملاق سياسة وشجاعة وخلق من أجل أن تحيا المنطقة كلها حياة طبيعية يتوق اليها أبناء الحياة جميعا من أفراد هذه الشعوب ·

فاذا وجدت جماعة تريد أن ترتزق من الحروب وتعيش عليها فما لمثل هؤلاء يتوجه الزعماء الشرفاء بالعمل · يأبى الله أن تصبح الدماء تجارة والحروب وسيلة رزق وموت قوم وحياة لقوم آخرين ·

وفى شموخ الكبار يقول السادات فى الكنيست أن مشكلة فلسطين هى المشكلة الأساسية فى قضية الشرق الأوسط غير ملتفت أمر هؤلاء المتصايحين ضده المتشنجين فى التهجم عليه ·

ما كان أسهل عليه أن يسقط أمرهم فلا يذكرهم بخير أو بشر ولكنه زعيم يعرف مسئوليته ويعرف كيف يحمل قدره فى شجاعة العظماء وكبريائهم وترفعهم ·

ويعلن السادات على منبر الكنيست انه لا ينوى عقد اتفاقات منفردة فيحطم كل التقولات الرعناء التى سبقته فى رحلة التاريخ ·

لو أن هؤلاء المتصايحين أغلقوا أفواههم وفتحوا عقولهم لعرفوا أى شرف ومجد ورفعه بلغ العرب أمس بذلك الخطاب الذى القاه الزعيم الذى يعرف كيف يكون ابن عصره ورجل أمته وأمل الحياة وأبناء الحياة ·

المقـــالات

١٩٧٨

الحرافيش

الرواية الجديدة لعملاق الرواية العربية نجيب محفوظ وقد صدرت تسبق كلمة ملحمة عنوانها على الغلاف · والحقيقة أن الرواية ملحمة شعرية الألفاظ موسيقية الجرس · يحس قارئها ان كاتبها الكبير يقوم بتجربة جديدة مع نفسه تاركا الأحداث والشخوص والمعالم المكانية هى التى تجرى سياق الرواية والكاتب يتابع هؤلاء الأبطال الثلاثة فى شفافية الفنان وفى عين الشاعر وفى رؤية الروائى المتمرس القادر المطمئن الى نقاء طبعه وأصالة فنه وصدق رؤياه ولم يعد نجيب محفوظ فى حاجة الى تأكيد شموخه الفنى ولكن القراء فى حاجة دائما أن يقرأوا لنجيب محفوظ ليعيشوا فى أجوائه التى تعبق دائما بسحر الفن وعمق النظرة ·

وان كان لى أن أنعم النظر فى هذه السيمفونية أو الملحمة كما شاء كاتبها أن يسميها فأننى أوشك أن أتوهم انها استقصاء للحرب بين الخير والشر منذ بداية الخير والشر · ولا أحب أن يجد هذا الرأى المدى الواسع الأفاق الذى ينفسح أمام القارىء من خلال العمل الفنى وانما رأيى هذا لا يزيد عن اجتهاد فى تعمق العمل الفنى · وان كان هذا العمل الذى يحاكى البناء الموسيقى فى سيمفونية يأبى أن يخضع لرأى واحد أو نظرة محددة والذى لا أشك فيه أن صاحبه أراد له أن يجعل منه نغما تستطيع كل نفس أن تجد فيه المعنى الذى يتفق ورؤياها هى · وقد تم له ما أراد ؟

أما مصريون ... فلا

نقلت الأخبار فيما نقلت أيضا أنه تكون فى بغداد اتحاد يحمل اسم اتحاد الكتاب المصرى وذلك فى يوم ٢٧ فبراير . وأما الأسماء التى تكونت منها اللجنة الدائمة للاتحاد فهى أحمد عباس صالح ومحمود السعدنى وأمير اسكندر ؟ نبيل الألفى ؟ طاهر عبده ؟ محمود أمين العالم أحمد عبد المعطى حجازى عبد المنعم غزالى ؟ أ . د مصطفى هيكل ؟ خيرى حافظ ؟ عبد الحكيم قاسم .

ويحتاطون بأربعة اسمهم الاحتياطى فتحى خليل ، محمد عفيفى مطر ، وغالب هلسا ، وأنور عبد السلام ؟

وأعلن الاتحاد المصرى للكتاب بالعراق أن النظام المصرى يمارس حملات التهجير ضد الكتاب والأدباء التقدميين وأن النظام حطم كل الأجهزة النقابية التى وقفت فى صف الشعب وأطفأ كل مراكز الاشعاع فى مصر . والى هنا ينتهى الخبر .. ولا بد لمثل هذا الكلام من تعليق .

أما أن هؤلاء كتاب فمسألة فيها نظر وأما أنهم مصريون فلا . فمصر ما زالت وستظل أغلى ما ينتسب اليه القلم المصرى . وليس مصريا من ينزل بها بضاعة فى أسواق سلاطين البعث وتجار الكلمة وأبطال اللافتات.

ان اتحاد الكتاب المصرى مؤلف فى مصر بقانون صدر له من مجلس الشعب وموقع عليه من رئيس الجمهورية وهو يضم أكثر من ستمائة عضو فيهم اليسار وفيهم اليمين وأعضاء مجلس ادارته مكون من ثلاثين عضوا وهم أيضا يمثلون اليسار وغير اليسار وكل هؤلاء الكتاب أحرار فيما يختارون لأنفسهم من انتماء وهم يعلنون انتماءهم بكل وسائل النشر . فقد أغلقت فى مصر السجون السياسية والمعتقلات . واقفال هذه السجون هو السبب الرئيسى فى هجرة هذه الزمرة التى تدعى لنفسها صفة الكتابة والتقدمية فهم لا يستطيعون أن يعيشوا الا فى ظل القهر والتعذيب وتدمير الانسان وتخريب القيم والهزيمة لمصر وللعروبة وامتهان كل ما هو كريم سامق من تراثنا وخلقنا وديننا وشرفنا .

أما اذا كرم الانسان ، وارتفعت القيم ، وانتصر الدين ، وعزت العروبة ، وأمن الانسان على عرضه لا يثلم ، ودينه لا يفتنه عنه سلطان ،

وماله لا ينتهبه منه حاكم . واذا بهر النور ، وارتفعت كلمة الله فصارت العليا ، فانهم يفرون جرذانا جرباء تستجدى أيدى الظالمين وتبيع كل ما كرم الله به الانسان والبضاعة التى تعرض للبيع أول الأمر هى مصر . فما هم من مصر الا بالاسم وما اليها ينتسبون وانما الى الشيوعية الدولية التى لا تعرف وطنا ولا تعرف ضميرا ولا تعرف دينا . ومن لا دين له لا وطن له ومن لا وطن له لا خلق له ومن لا خلق له لن يكون كاتبا مهما يسكب على نفسه من صفات ومهما يطلق على نفسه هذا اللقب الشريف .

لقد عاش الكتاب الشرفاء فى مصر حين كانت الكلمة غصة فى الحلق وشوكا وقذى .

وعاش الكتاب الشرفاء فى مصر حين كانت السجون تتربص بهم فاغرة فاها الشائه المقيت الملطخ بدماء الأبرياء وقد بدت نواجذه وضروسه من وحوش أو من هم شر من الوحوش فى صورة اناس وعاش الكتاب الشرفاء فى مصر حين كانت يدهم مغلولة لا تكتب الا رمزا والشفاه منهم مطبقة لا تنطق الا غمغمة أو همسا لا يبين . وباعوا مالهم ليعيشوا كراما على أنفسهم وعلى الناس . وربما قتروا على عيشهم وعلى ذويهم . وكانت البلاد الأخرى كثيرة تطلبهم وتقدم لهم العروض فيها بريق من المال شديد . ولكنهم صمدوا وثبتوا فمصر مصرهم أقاموا بها يقتاتون الخوف ويظهرون الشجاعة ويحيطهم اليأس فتلمع على أسنة أقلامهم اشعاعات الأمل لشعبهم ولمصر .

كانوا ومازالوا وسوف يظلون يؤمنون بعدل السماء وبمستقبل مصر . وكانوا ومازالوا وسوف يظلون قطعة من هواء مصر ومن أرضها ومن كل حجر بناء فيها لأنهم كتابها .

وكان هؤلاء الذين يدعون لأنفسهم اليوم انهم كتاب أولئك الذين هاجروا عن مصر الحرة هم القيود وهم السلاسل وهم الضروس الطاحنة للآدمية والشاربة من الدماء المصرية .

حتى اذا صارت مصر بلدا أمينا طيبا غلقت سجونها ومعتقلاتها وانتشر نسيم الحرية رخاء على أرضها . فر هؤلاء الى بلاد يتخوف حكمها من الحرية ويشفقون منها لأنها ستقصيهم عن عروشهم وادعوا لأنفسهم انهم كتاب وانهم مصريون .

الى أى مصر تنسبون • أما اذا كنتم تريدون مصرنا نحن •• مصر هذه التى نعيش فيها فلقد والله كذبتم • فان لمصر اتحاد كتابها وهو على استعداد أن يقبل الكاتب منكم دون أن يضع القيود التى كنتم تضعونها ودون أن يثير الرعب الذى كنتم تثيرون • أما الحكم فى مصر فما أرغمكم على الهجرة فان حكما بلا معتقلات لا يرغم أحدا على الهجرة وانما أنتم الذين لا تطيقون الحرية •

انتسبوا الى أى بلد شئتم فما مثلكم من يشرف البلد الذى ينتسب اليه ولكن لا تنسبوا أنفسكم الى مصر فما هى منكم ولا أنتم منها فى شىء •

كونوا تجار كلمة وباعة قلم ولكن لن تكونوا كتابا مصريين مهما تدعوا لقد كذبتم فى انكم كتاب فكثير منكم ونعف أن نحرك القلم بأسمائهم لا صلة لهم بالكتاب وكثير منكم آخرون عاشوا متسلقين على أعمال كتاب مصر الحقيقيين • وكذبتم انكم مصريون فلو كنتم مصريين ما بعتم مصر لأعداء مصر •

وكذبتم أن مصر تمارس حملات تهجير أكانت مصر قد شحنتكم بضاعة الى البلاد التى تمارسون فيها تجارتكم أم سافرتم اليها لم يعق أحد سفركم • ولو كانت مصر بغير الحرية تدين أما كانت قادرة على أن تبقيكم فيها وتسومكم العذاب الذى تعرفون •

ماذا تقصدون بحملات تهجير وكيف تمارس هذه الحملات • ان الكاتب اذا كان كاتبا حقا عليه أن يحترم عقول الناس الذين يخاطبهم • فكيف يسيغ من يقرأ بيانكم أن مصر تمارس حملات التهجير وعلى أى صورة تمارس هذه الحملات الا أن تكونوا أنتم قد خفتم الضياء وهربتم من الشرف •

أما الأجهزة النقابية التى تقولون أن النظام قد حطمها فى مصر فكيف؟ هل اذا انتخب أعضاء نقابة من لا يدين بالحادكم يكون النظام هو الذى يحطم الأجهزة النقابية ان اتحاد كتاب مصر الذى أشرف بسكرتاريته العامة يشهد أن النظام لم يتدخل فى أى عمل من أعماله ونقابة الصحفيين التى أشرف بالانتساب اليها جرت الانتخابات فيها فلم يقل أحد أن النظام تدخل أى تدخل وقد نجح منكم بالفعل عدد فى مجلس النقابة ولكم أن تسألوهم ان كان النظام يتدخل أى تدخل فى النقابة ولا أعرف نقابة أملى عليها النظام شكلا معينا لها وانما هو شأنكم الكذب الصريح الذى لا يهتم بالحقيقة أو بجزء من الحقيقة •

أما أن مراكز الاشعاع قد أطفئت فهنيئا لمراكز الاشعاع والمصابيح التى تنيرونها اللهم أنكم تعلمون انكم تشيعون الظلام حيث تحلون . وقد تألقت مراكز الاشـعاع فى مصر لما أن رحلتم عن مصر . فعمالقـه الكتاب هنا والشباب الذى سيشرق الغد على يديه هنـا . فابقوا حيث أنتم وزيدوا الظلم الذى تختفون فى جدرانه ظلاما واطمئنوا .. ان أردتم أن تطمئنوا .. فمراكز الاشعاع فى مصر .. مصرنا .. مصر الشرف ومصر الضياء ومصر الحريـة .

سقط القناع ... لا حرب ولا سياسة

فى عام ٦٧ حين اجتاحت جيوش اسرائيل الجيوش العربية ووقف رجال الحرب فى الأرض المحتلة يتشامخون على العرب بالجيش الذى لا يقهر واليد الطويلة يقصدون بها الحرب لا السرقة — وراح ديانهم يقول انه بجانب التليفون ينتظر مكالمة من القاهرة .

واهتزت الأرض العربية فى زلزال مخيف ووقع الانهيار فى نفوسنا وراح الهمس يخترق أذنا الى أذن .

واستقر عند شعوبنا ان اسرائيل قوة حربية لاتقهر وعبقرية سياسية لا تماثلها عبقريـة .

وظل هذا المنطق يأكل حياتنا ويدمر أحلامنا ويغلق فى أعيننا أبواب الغد ويحبس عنا طيوف الأمل .

ولم يدر فى أذهاننا أننا هزمنا يومذاك لأن القيادة عندنا كانت منفصلة عن الشعب ففقد الشعب ايمانه بالموقعة والجيش ابن الشعب أحس انه فى حرب طاحنة يخوضها دفاعا عن شخص لا عن أمة ، ويساند بها مطامع فرد ولا يرد بها عدوانا عن وطنية مصرية أو قومية عربية .

ولم يدر فى أذهاننا ان الجهل هو الذى يسيطر على قواعد الجيش . واننا حاربنا بهذا الجهل علما . وهيهات أن يستوى جهل بعلم .

ولم يقل أحد اننا اعتسفنا الحرب اعتسافا ولم يمهد لها بتدريب عسكرى ومقومات نفسية . وانما وجد أفراد الجيش فجأة أن بيد كل منهم سلاحا ما زال مغلقا بشحم مصنعه وقد اختلط برمال الصحراء ثم قيل له أضرب لا يعرف أين يضرب ولا من يضرب .

ولم يذكر أحد ان الطيران عندنا أصبح كالنعام لكل طيارة جناحان ولكنها لا تطير بهما وانما هى رابضة مع قائدها على الأرض يصيبها ويصيبه تجمد الثابت وتيبس القعيد .

وجاءت حرب ٧٣ وقد عرف القواد كل ما وقع فيه أمراء ٦٧ من خطأ فابعدوه وتوجهوا بأرواحهم الى الله وبقلوبهم الى الوطن وبسلاحهم الى العدو فاذا الأسطورة التى أقامها أباطرة الجيش الذى لا يقهر تصبح وهما من

الوهم وخيالا من الخيال وينهزم جيش اسرائيل الذى كان لا ينهزم وتنقطع اليد الطويلة وتتشنج بقاياها فتصبح يدا شوهاء مشلولة وانتقل الشعور بالمهانة من نفوس المصريين والعرب أجمعين الى نفوس عمالقة الحرب الذين استغلوا ضعف القيادة عندنا ليوهموا أنفسهم أنهم أقوياء ·

ويتهرأ الزهو الذى جعل ديان يقول فى ٦٧ لو حاربت مصر مرة آخرى بنفس الخطة التى انتصرت بها فى ٦٧ لانتصرت لان المصريين لا يتعلمون ولا يقراون ولا يأخذون من أى درس عبرة · انقلب هذا الزهو الى دموع أسى وخزى انهمرت على مرأى من صحافة العالم لتعلن ان الهزيمة لم تلحق فقط بجيوش اسرائيل وانما هى انغرست وهذا هو الأهم فى نفوس الشعب الاسرائيلى وعلى رأسه قائد جيوشه هذا الأسطورة التى انتكست وبكت موشى ديان · اذن فهم ليسوا فى الحرب كما كنا نظن ·

فهل بقيت لهم السياسة اذن · كذلك كنا نحسب حتى انكشف أمرهم آخر الأمر ·

فالسياسى هو ذلك الرجل الذى يبحث عن مصلحة بلده فى كهوف الغيب وبين أستار المستقبل · والذى يعرف الطريق السليم بين الضباب الكثيف وغبش الغيم والظلام ·

ولكن هل ساستهم كذلك ·

انهم عجزوا أن يروا الطريق فى وضح النهار وفى الضياء الساطع ·

فلو كانوا ساسة لقدروا ما تطويه زيارة السادات للقدس ولادركوا ماذا فعلت بالرأى العام العالمى · وهم فى ذلك لا يحتاجون الى تلمس الخفاء ولا اعمال البصيرة · كل ما كان عليهم أن يقرأوا الصحف وينظروا الى أى جانب أصبح ينحاز رأى الشعوب الأوروبية والشعب الأمريكى ليدركوا ان هذه الزيارة قلبت الموازين جميعا · فالأصدقاء الذين كانوا يشجعونهم على الحرب وعلى تملك السلاح أصبحوا يرون ان مصلحة اسرائيل انما هى فى السلام والمصالحة ·

ولــو كانوا ساسة لحاولوا أن يستلوا من نفوسنا نحن المصريين كراهية أجيال بأن يظهروا النوايا الطيبة والرغبة الحقيقية ان تكون العلة بيننا سلاما لا حربا وحدودا مفتوحة لا أرضا مغتصبة ومستوطنات ومطارات حربيــة ·

ولو كانوا ساسة ما عرضوا بلادهم لغضب أمريكا جميعا رئيسا ونوابا وشعبا · وهم يحيون على ما تعطيه أمريكا من تأييد يترجـم دائما بالمال والسلاح أو ان شئت الاجمال فهو الحياة ·

ان كانوا ساسة ما حاولوا أن يجهضوا زيارة السادات فليس الى اجهاضها من سبيل.

لقد انبهر بها العالم الغربى وازداد نجاحها لما عارضها البهلوانات تجار الكلام وقطط الحروب وفيرانها .

وهى أثمرت أعظم ثمارها حتى لقد اعتبرها الكثير من المفكرين وكتاب العالم المتحضر أعظم عمل تم فى الجيل بأجمعه .

ولو لم نكسب نحن المصريين الا هذا لكان هذا حسبنا وحسب هذه الزيارة ولو لم نكسب الا السلاح الذى ننتظره من أمريكا لأول مرة لكان هذا حسبنا وحسب الزيارة ولو لم نكسب الا اننا جعلنا العالم الذى يؤيد اسرائيل ينظر اليها اليوم على أنها دولة معتدية . وأنها كدول الرفض من الناحية المقابلة ففى حين تدعو هذه الدول الى الحرب حتى اذا جاءت الحرب أصبحت دول سلام وسكينة وتخاذل كذلك نجد اسرائيل عاشت عمرها تدعو الى السلام حتى اذا امتدت لها أعظم طرق السلام أشاحت عنها فى صلف غبى وأصبحت داعية حرب وطالبة قتال ورافضة سلام .

ويسقط القناع وينكشف رجال اسرائيل على حقيقتهم فلا هم رجال حرب ولا هم رجال سياسة .

صـــوت نكير

عاد ٠٠ وعلى صفحات « الأهالى » عاد ٠٠ وأين كان يمكن أن يعود ألا على صفحات جريدة تريد أن تنتسب بعواطفها للشعب وهى فى نفس الوقت تقوم على مذهب يقهر الشعوب ويقتلها جماعات وأفرادا ٠

عاد الصـــوت النكير يدور بالحديث ويلوب بألفاظ ويلغز فلا يكاد يفصح ويدعو من وراء الكلام الى ثورة ويسأل عن رأيه فى اليسار ـ فتختلط أراؤه تتماع أفكاره والا فأقرأ معى قوله « حينما تتكلم عن خلافات اليسار فاننى أعتقد أننا نعنى رواسب مراحل وتجارب ماضية ٠٠ » ٠

« اليسار فى رأيى مددا من الوطنية ولم تعد هناك وطنية مجردة ٠٠ الوطنيـــة الآن وخاصـــة فى البلاد المتحررة لابـد أن تكون ذات محتوى اجتماعى ٠ الوطنية هى وطنية الأغلبية ولهذا لابد وأن تكون ديمقراطية ولابد أن تكون ديموقراطية اجتماعية ٠

الوطنية والوطن لمن ، للجماهير الشعبية العريضة ، ولهذا لا بد أن نتجه يسارا » ٠٠

والى هنا ينتهى ما شئت أن أنقله من حديثه ، وأريد أن أسأله ما هى الديمقراطية الاجتماعية وما هى الديمقراطية ذات المحتوى الاجتماعى ٠ وهل هناك ديمقراطية مجردة ، انما نعلم أن الديمرقراطية نظام سياسى للحكم وكل نظام سياسى للحكم لا بد أن يكون الاقتصاد والمجتمع أهم الأسس فيه فما هذا التخليط وكأنما وقع صاحب الصوت النكير على مذهب جديد ٠٠

لا علينا فهذه شنشنة عرفناهـا له وعشنا ردحا كريها من الزمان لا نسمع الا هذه النغمة الشائهة تتلمس من ورائها ما يدبر لمصر ولأبناء مصر ٠

* وانى أسألـه ما دام قد أصبح عالم التاريـخ المسئول عن كل ما حدث فى العهد الماضى ٠

هل كنت تستطيع أن تحرض العمال والفلاحين والطلبة والرأسمالية الوطنية على الثورة كما فعلت فى حديثك هذا ؟

* هل كنت تستطيع فى عهدك الزاهر أن تقول ان مقالتك قد تصل بطريقة أو بأخرى ‥ ولكن ليس على الطريق المشروع ‥ ؟ وهل كنت تستطيع أن تقول ان مقالاتك تتعرض للمنع والمصادرة ؟ هل تعتقد حقا أن الهجوم على العهد الماضى أزمة أخلاقية ؟ هل الهجوم على هتك الأعراض وتدمير انسانية الانسان والسجن والتعذيب والتشريد والقتل يتنافى مع الأخلاق ، وهل ترى أنت الأخلاق الرفيعة هى التى تسمح بالدفاع عن هذا المقت ؟

وهل ترى أن مهاجمة الشرور خطأ وانها لا تفيد ، أليس من الطبيعى أن نعرف الخطأ حتى نسير الى الصواب ٠

وهل شخص الحاكم شخص عادى لا يجوز مهاجمته بعد موته وهل يخفى عليك وأنت الصحفى المخضرم أن الحاكم لا يمثل نفسه وانما يمثل عهده ، وخاصة اذا كان حاكما مفردا لا يشاركه فى الحكم أحد ٠ وكيف يكتب التاريخ اذا لم يتناول الحكام بالرأى الحق مديحا كان هذا الرأى أو هجوما ، وتقول ان عدد المعتقلين يتراوح من ١٢ ألفا و ١٤ ألفا ، وتقول ان هذا العدد كان للعهد جميعا ‥ اذن فالعدد صغير ‥ أترى أن هذا الرقم هزيل ‥ طبعا هو هزيل بجانب ملايين الجنيهات ، التى نسمع عنها وانى أسألك فيم تدعو الى الثورة ‥ أنثور على الأمن أنثور لأن أعراضنا أصبحت مصونة ولان غدنا أصبح مأمونا ولان اسم مصر فى العالم أجمع أصبح حبيبا وليس بغيضا قريبا الى نفوس الناس انيسا وليس مكشرا عن أنيابه منفرا ونفورا ٠

واشارتك الى الثورة التى حاولت أن تغلفها واضحة حين تقول فى حديثك : « ان حالة الركود أزمة عصبية ، ولكن التاريخ لا يقف » ٠

أحلم ما شئت ، ولكن الشعب لا يثور على الأمن ، ولكن قد يثور على الرعب أيها الصحفى المخضرم ٠

وانى أسألك لماذا تقول ان مهاجمة العهد الماضى مهاجمة للشعب ، لانه لم يثر على كل هذا الظلم والهوان ٠ وأنت الصحفى المخضرم ولا يجوز أن يذكرك أحد أن الديكتاتور حين يسلط على الشعب الأعزل تنعدم مسئولية الشعب ٠ فألمانيا وهى من أعظم الشعوب ، سلط عليها هتلر ولم يتحرك الشعب الألمانى وفرنسا البلد الذى يعبد الحرية سلط عليها نابليون ولم تسقطه ، وايطاليا بلد الفن والتحرر والجمال سلط عليه موسولينى ولم يستطع الشعب أن يقاوم ، وقديما قال الشاعر العربى أبو العلاء المعرى :

جلوا صارما وتلوا باطـلا   وقالوا صدقنا فقلنـا نعم

وانى أسالك أيها الصحفى المخضرم بأى حق تحكم على السد العالى ٠ قد يكون بناؤه والطريقة التى بنى بها موضوعا سياسيا ، أما آثاره الزراعية والصناعية فمواضيع لا يجوز أن يدلى فيها أحد برأى الا المختصون ٠

وبعد فالوطنى الحقيقى لا ينتهز فرصة الأزمة الاقتصادية التى رمينا اليها بفضل الحروب المتلاحقة والرغبة الجامعة من الحاكم السـابق الى جعل نفسه امبراطورا عربيا أو أفريقيا ، الوطنى الحقيقى لا ينتهز هذه الفرصة ليثير العداوات ويمزق الجروح ، فهذه الجروح الباقية فى كيان الأمة بعض قليل من أفضالكم وآثار مؤلمة من عهدكم ٠ ورامى السهم لا يجوز له أن يدهش اذا ما سهمه أصاب المقاتل ٠

ولكن مصر على رغم حقدك ستعيش ٠٠ لانها مؤمنة بالله لا بالشيطان، بالحق لا بالباطل ، وبالحرية لا بالعبودية ، وبالديموقراطية لا بالشيوعية ٠

لا يصح الا الصحيح

ان الاكثار من الكتابة عن موضوع معين يجعل الشعور العام ينقلب ضده وقد كنا خليقين ان نكتفى بما كتب عن ثورة مايو لنكرمها عن اللجاجة ونرتفع بها عن التكرار ونرد عنها الشـــعور بالملالة ونبقى لها نورانيتها وبهاءها وتألقها ٠

ولكن هذه الثورة أتاحت الحرية للشعب المصرى ٠ وقد أتاحت هذه الحرية لقوم يرتبط ولاؤهم بغير مصر أن يقفوا من العهد الحاضر موقف الرفض ٠ وهو موقف مذهبى ولهذا فهو لا يفرق بين الجميل المشرق وبين ما يشوب العهد أحيانا من معاناة ٠ انما هم يرفضون عهد مايو جملة وتفصيلا وقد بلغ بهم التبجح انهم يرفضون مع ما يرفضون أن ثورة مايو قد ألغت الحراسات وأخرجت المعتقلين ومعنى هذين انها منعت ارهاب المال ومحقت ارهاب الجسد ٠ ومعنى هذا انها صانت العرض والمال ٠

ولن يوجد انسان يتمتع بذرة من شرف الانسانية يرفض أن يصان عرض الانسان وماله أمر يدعـــو الى الدهشة لو لم يكن هؤلاء الرافضون ينتسبون الى جنس غير الانسان والى وطن غير مصر والى ايمان بغير السماء ٠

وهكذا أصبح الكلام عن ثورة مايو ضرورة بفضل هؤلاء ولو لم يوجد أمثالهم متسربلين بالجنسية المصرية لكان الكلام عن ثورة مايو ضربا من اللغو الذى لاداعى له ٠

وكيف يسيغ المنطق أن ندافع فى القرن العشرين عن الشرف كشرف وعن العرض كعرض وعن الأمن كأمن وعن السلام كسلام وعن الطمأنينة كطمأنينـــة ٠

كل هذه المعانى الانسانية تحمل الدفاع عن نفسها فى ذاتها وكيانها ولا تحتاج الى دفاع والدفاع عنها ينحط بالانسان ٠

وكم تدمع النفس حين يصل الى خطاب فى كل مائة خطاب أو مائتين يهاجمنى لاننى أهاجم العهد الذى كانت هذه المعانى منتهكة فيه من شباب فى العشرين أو الثالثة والعشرين من أعمارهم ٠ لكم ضلل هذا الشاب ولكم جعله عهد ما قبل مايو مسفا ٠

ولكن يملأ نفسى طمأنينة أن مئات الخطابات الأخرى تؤيدنى فيما أذهب اليه ويملأنى شرفا أن أجد بعضها يعرف اننى لم أكتب كلمة واحدة فى تأييد عهد العسف والظلم والجور ويملأنى اعتزازا أن أجد بينهم من قرأ لى « شيء من الخوف » و « هارب من الأيام » و « جذور فى الهواء » وقصصى القصيرة الكثيرة التى تناولت العهد بما يجب أن يتناوله به كاتب يحترم شرف الانسان ٠

فان كان هناك شاب يرى اننى كنت صامتا فمئات آخرون يرون اننى لم أكن كذلك وان كان هناك شاب يظن اننى مدحت فى تيار النفاق الذى أرغم عليه العهد الماضى بعض الكتاب فمئات آخرون يعرفون اننى لم أكتب كلمة واحدة تمدح هذا العهد ٠

وبعد فاننى لا أجيب أولئك الجاحدين لثورة مايو الا بحجة واحدة هى ان نصر أكتوبر قد تم لانه الابن الشرعى الطبيعى لثورة مايو ٠ حين أحس الجنود ان مصر مصرهم وان الأرض التى يبذلون الدماء من أجلها انما هى أرضهم لايملكها فرد واحد لمنفعته الخاصة وحين أحس الجنود أن شرف النصر سيعود عليهم وحين أدرك الجنود انهم يحاربون تحت راية مصر وتحت شعار الله أكبر ٠ انتصر أكتوبر ٠

وحين لم تكن الأرض لهم وحين كانت رايتهم المظاهر ، الكاذبة وتحطيم الانسان والاعتداء على الشرف والعرض والمال وكل المقدسات التى صانتها الشرائع السماوية وحين كان شعارهم مجد الفرد والالحاد والشيطان انهزم يونيو ٠

ثورة مايو هى المشرق الذى نبع منه النصر ٠ ومن هذا النصر استطاع السادات أن يخطو خطوته العملاقة التى لم يعرف التساريخ لها مثيلا فى الشجاعة نحو بيت المقدس والسلام ٠

عزيز مايو هذا وحبيب الى كل نفس شريفة فى مصر وفى غير مصر من بلدان العالم التى تقدس الشرف والحرية وكرامة الانسان وقيم الشرائع فمن أشراقته انتقل العالم العربى فى نفوس ملايين الناس الى دنيا الحضارة وان كان على بعض قلوب اقفالها فان المستقبل كفيل أن يجعل الحق حقا فانه دائما لا يصح الا الصحيح ٠

اجلس انت

مرة أخرى يرى الرئيس الأسد أنه لا يجوز له أن يعقد صلحا مع مصر لأن رئيسها ذهب الى تل أبيب ومازال مصرا على السلام ٠ وهو يرى أن اجتماع القمة المنشود لن يجعل الباطل حقا ٠ وبالطبع الرئيس الأسد له رأى ينفرد به فى الباطل والحق ٠

والحقيقة أيها السيد الرئيس أنك تمثل واقع الهزيمة التى تحيط بك فى كل موقعة دخلتها ٠ ولهذا فأجلس أنت ٠

اننا ذهبنا الى تل أبيب لأننا منتصرون وسعى المنتصر الى خصومه فيه كبرياء واعتزاز وشرف أما أنت فقد هزمت وسعى المنهزم الى خصومه فيه خنوع وامتهان وذلة ٠٠ فأجلس أنت ٠

لقد عشت رئاستك لم تنتصر فى موقعة واحدة فى ميدان حرب ومنتصرا على طول الخط فى ميادين الكلام واللافتات والتهويش ٠ فأنت أيها السيد الرئيس جعجعة ولا طحن ٠ وزياط ولا فرح ٠ وهدير ولا ماء ٠ وسلاح ولا حرب وزئير ولا أسد فأجلس أنت ٠

لقد سلطت جيوشك على أبناء فلسطين وعلى أبناء العروبة فى لبنان فحين اقتحمت عرينك المتهاوى جيوش اسرائيل كنت أول الفرار عن ميدان الحرب وأول الهاجمين على منابر الخطابة ووقفت جيوشك فى المكان الذى أراده لك القواد الأسرائيليون لا تعدوه ٠ وقلت انك ستحدد مكان المعركة ٠ أيها السيد الرئيس هذا الكلام سمعناه من رئيس قبلك ولكنه كان أكثر منطقية لأنه لم تكن هناك معركة يوم قال هذا ٠

أما أن تكون المعركة دائرة وأبناء عروبتك يقتلون مئات وتهدم عليهم منازلهم ومع ذلك وبدلا من أن تصدر أوامر الهجوم تصيح أنك ستحدد أنت مكان المعركة وموعدها ٠٠ ! أيها السيد الرئيس أن المعركة دائرة فعلا فأى معركة تلك التى ستحدد مكانها وموعدها ٠٠

ثم أنت بعد ذلك وبعد أن تخاذلت وتهاوت منك السيقان وركعت ساجدا فى ميدان المعركة تصيح أنك لا تمد يدك الى الرئيس الذى ذهب الى بيت المقدس ٠

هذا الرئيس – يا أسد الحديث – انتصر فى المعركة التى خاضها فليس عجيبا أن يقصد الى من كانوا خصومه فى المعركة فمن موطن العزة والانتصار يذهب الى بيت المقدس أما أنت فلم تعرف النصر فى أى خطوة لك فلا عزة لك ولا انتصار ٠

فأجلس أنت ٠

ان مبادرة الســـادات قائمة وهى بالغة الى حيث يريد كل عربى مخلص أن تبلغ ولقد تذاءبت فى يوم ما على فض الاشتباك ثم قبلته ولقد تصايحت على السلام ثم سعيت اليه وكلما انتهى موقت وقف القتال جددته فى رعدة الجبان وفى هتاف الشجعان ٠

ولو كان الميدان العربى قد خلا من مبادرة السادات ومؤيديــه من الملوك والرؤساء الشرفاء ٠ ولو كان الميدان لا يشغله الا هذا الهراء الذى يحمله الأثير منك الىّ العالم لظل وجه العرب تائها عند كل المتحضرين فى العــالم ٠

فابق أنت جانب صياحك واجلس أنت ٠

أما نحن فالى السلام سائرون أعزة كراما نسير ، بذلنا الدم والمال وعبرنا أيام الذل والهوان والتخلف الى مشرق من آمال التحضر والرفعة والسموق ٠

أجلس أنت ٠٠ أما نحن فسائرون ٠

مستر بيجن شكرا على الطائرات

مستر بيجين أنت وحدك صاحب الفضل فى هذه الطائرات التى وافق الكونجرس على بيعها لمصر والسعودية · وانى لمشفق عليك اليوم واقفا أمام وزرائك فى مجلس الوزراء أو أمام نواب شعبك أمام الكنيست ·

حين عدت من رحلتك الماضية الى أمريكا وحين لقيت الاعراض والفتور من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية كنت تستطيع أن تقول ان كارتر غاضب عليك لانك تعطل أساسا هاما من أسس سياسته ، وانه ساخط على السياسة الاسرائيلية التى تقود أنت دفتها لأنها تقف حجر عثرة فى عملية السلام الكبرى فى العالم · وكنت تستطيع أن تقول أن غالبية الرأى العام فى أمريكا تقف الى جانب اسرائيل كما تعودت أن تقف ·· ربما كنت تستطيع أن تقول هذا وغيره ·

ولكنك ماذا تراك تقول اليوم ·· ان الرأى العام ويمثله الكونجرس جعل السعودية ومصر دولتين يمكن أن يحصلا على السلاح من أمريكا ·

أتراك تستطيع أن تقول ان الفضل فى هذا يرجع اليك أولا وأخيرا ·

فأنت يا مستر بيجين لم تستطع أن تفهم أبعاد المبادرة ··

لقد كنتم فى اسرائيل تتعاملون مع زعماء عرب لا عقول لهم ·· واستطاعوا بخطبهم الرعناء وبادعائهم أنهم سيلقون باسرائيل الى البحر ان يجعلوا الرأى العام العالمى يقف ضد مصر والبلاد العربية جميعا ·· ثم جاء انتصاركم فى عام ٦٧ فأصبح الرأى العام العالمى يرانا وقد جمعنا الى سخف التفكير خزى الهزيمة والتأخر وعدم مسايرة العصر ·

وهكذا مكث حالنا من ٦٧ الى ٧٣ ·

وأنا فى غير حاجة أن أحدثك عن انتصار ٧٣ فهو ذلك الانتصار الذى جاء بك الى الحكم وتغيرت نظرة العالم الينا وكانت نظرة الشعب الأمريكى والرئيس الأمريكى هى أهم معالم هذا التغير وأنت تعرف كيف استقبل السادات فى الولايات المتحدة وفى الكونجرس الأمريكى بالذات عام ٧٣ ··

.. ولكن هذا التغير لم تستطع أن تدركه وربما نستطيع أن نجد لك بعض العذر فقد أذهلكم انتصارنا ولم تستطيعوا أن تتبينوا الآثار البعيدة التى ترتبت عليه ٠

وحدثت مفاوضـــات كسينجر وبدأ أول لقـــاء بيننا وبينكم وتشنج بسببه امبراطور سوريا ثم ما لبث أن انتفع بحوارنا وشارك فيه وما زال منتفعا بفض الاشتباك حتى اليوم ٠٠ ما علينا فان هذا الحديث لا يخصك انما هى خلافات عربية نحلها نحن فى بيوتنا ٠

المهم ان الصمت والجمود أطبقا على المنطقة بعد زيـــارات كسينجر وتغير الرئيس الأمريكى وتغير معه وزير الخارجية ٠٠

وفجأة زلزل السادات السياسة التقليدية فى العالم وفى التاريخ وزاركم فى بيت المقدس وخطب خطبته فى الكنيسست ٠٠ واعتقد أن أعضاء مجلسك الموقر قد قارنوا بين خطابك وخطاب السادات فى الكنيسست وانى واثق أنك لم تكن سعيدا بهذه المقارنة وربما وجد أنصارك لك العذر مرة أخرى فأنت لم تصدق أن الرئيس المصرى سيزوركم حقيقة ولهذا اختلط عليك الكلام ولم تعد خطابك الاعداد الجدير بمناسبة لم يشهد التاريخ لها مثيـــلا ٠

أما مواقفك بعد هذا يا مستر بيجين فالحقيقة انى لا أعرف كيف ستجد لها عذرا أمام أنصارك أو أمام خصومك أو أمام نفسك ٠

انك لم تستطع أن ترتفع الى المستوى السياسى الذى ارتفعت اليه مبادرة السادات وانه لمن العجيب انك لا تزال رئيسا للوزراء حتى اليوم ٠

وسيكون الأعجب أن تظل رئيسا للوزراء بعد ذلك بعد أن توجت مساعيك وتكلل جهادك بصفقة الطائرات التى وافق الكونجرس عليها هذا الأسبوع ٠٠

ان الفضل فيها يرجع اليك وحدك ٠٠

فلو أنك أدركت أن الذى يحفظ أمن اسرائيل هو حرص مصر على السلام لا المستوطنات ولا الضفة الغربية لرأى فيك العالم سياسيا جديرا بأن يستقبل مبادرة السادات الى السلام ٠

ولو انك ذكرت أن اسرائيل هزمت فى حرب ٧٣ ومعها سيناء جميعا حتى ضفاف القنـــال ومعها الضفة الغربيـــة ومعها المستوطنـــات وغير المستوطنات لأدركت أن السلام اتجاه وسياسة وليس حدودا ومستوطنات ٠

وأنت تنسى أن اسرائيل فى حاجة الى السلام أكثر من حاجة مصر اليه ·فنحن دولة عاشت سبعة آلاف سنة وستعيش وأنتم دولة لم تعش ثلاثين سنة الا نصف حياة وكان نصف حياتكم الأخرى مشغولا بالحرب أو بالاعداد للحرب ·

مستر بيجين لقد بذلت — والحق يقال — جهودا مضنية لكى تفقد صداقة الرئيس الأمريكى ثم بذلت جهودا أكثر وأعظم وأضخم لتفقد صداقة الشعب الأمريكى وممثلى الشعب الأمريكى ·

وانى أخيرا أهنئك فقد كللت جهودك فى فقد هذه الصداقات بالنجاح التام ومهما يكن الأمر فانه لا يفوتنى أن أشكرك ··· شكرا مستر بيجين ·

قارنوا ثم فكروا ثم قولوا

عانت مصر من الحكم الماضى كما لم تعان دولة من قبل أشبه ما تكون بشخص مريض لا تقوى ساقاه على أن تحملاه · خائرة قواه · منهارة أوصاله ·

وحين جاء العهد الجديد بدأ هذا المريض يسترد بعضا مما فقده شيئا فشيئا وأخذ يروض ساقيه على المشى فنحن الآن فى فترة نقاهة ·

نحاول تجربة للديمقراطية من نوع خاص وتحتاج هذه المحاولة الى كثير من الاخلاص لمصر والى كثير من نكران الذات · فالشخص فى دور النقاهة لا يحتمل ما يحتمله الشخص العادى الذى يتمتع بصحته كاملة ·

وكان عجيبا أن تستطيع مصر وهى فى هذه الحال أن تنتصر فى حرب أكتوبر وكان عجيبا أن تتماسك فى شموخ ورئيسها يعبر الى السلام · وكان عجيبا أن تستطيع مصر وهى فى دور النقاهة أن تواجه الشيوعية العالمية وأطماع قوى البغى والطغيان وقوما آخرين ثبتت عيونهم على الماضى البعيد وتأبى — على ما شهدته من اساءة وطغيان — أن تحول عيونها الى الماضى القريب بلغة الحاضر والمستقبل ·

وقد أغرى هذا الثبات من مصر رئيس الجمهورية أن تظهر الأحزاب ·

ولأول مرة فى تاريخ مصر يوجد حزب شيوعى على سطح الأرض فقد كان الحزب الشيوعى دائما لا يتنفس الا فى السراديب والكهوف وكان أول ظهور شرعى له يوم اعلن حل نفسه فى صحيفة الأهرام فى الستينات ثم أنه عاد بعد ذلك الى السراديب والكهوف ·

وكان عجيبا أن يسمح للحزب الشيوعى أن يظهر على سطح الأرض · وهو عجب قد لا ينصرف الى غيره من الأحزاب ·

فالأحزاب الأخرى قد تقبل المشاركة فى الحكم مع بقاء النظام الأساسى للدولة على ما هو عليه ·

أما الحزب الشيوعى فلا يقبل هذا بحكم المبادىء التى يعتنقها · وقد طبقت هذه المبادىء حتى الآن فى دول كثيرة أرغمت على الشيوعية ارغاما فلم تختلف من دولة الى دولة وانما هى شكل واحد وصيغة واحدة ·

الحزب الشيوعى لا يقبل تعدد الأحزاب وانما هو حزب واحد له أباطرة وقياصرة وملوك وهم بطبيعة تكوينهم قلة ولكنهم بقوة السلاح يتحكمون فى مجموع الشعب تحكما شرسا ، القتل بعض ارهابه والسحق وابادة الانسان فى داخل الانسان والنفى والتشريد بعض مظاهره ٠

حماة الظلام والغباء وباء سعيهم بالخيبة والخزى وان عجبت فأعجب معى من فئة تجمعت لها كل هذه السلطات التى كانت فى أيديهم من وزارة الاعلام باذاعتها وتليفزيونها ثم هم يفشلون بعد ذلك أن ينجحوا فى مؤامرتهم ٠٠

لقد أراد هؤلاء أن يعودوا الى الحياة السياسية وقد بدأوا تدبيرهم الغبى بحملات التشكيك والتهويل من معاناة الشعب وهم يعلمون ان هذه المعاناة بذرة هم الذين زرعوها وبدماء الأبرياء رووا تربتها وهى اليوم تكتمل زرعها مسموما كريه الرائحة مقيت الثمر وتحاول مصر أن تجتث جذوره ٠

ولكنى أريد أن أسألهم بماذا كانوا سيسمون حزبهم ٠٠ حزب الدماء المراقة أم حزب الأعراض الممزقة أم حزب اغتيال الأبرياء أم حزب الحراسات على الأموال أم حزب مخادعة لشعوب أم حزب ٦٧ قد يختارون أسما من هذه الأسماء وما هذا عليهم بعجيب فهم بلا حياء ٠

فالأحزاب الأخرى مرفوضة اذن عند النظام الشيوعى لان الرأى الآخر مرفوض والملكية الخاصة مرفوضة فلا يملك شخص شيئا على اخلاف رزق ٠ ولا استثناء لهذا ٠ والعبادة مرفوضة فلا دين للشيوعى الا ماركس ولينين وكل ما يقولونه غير هذا انما هو محاولة لتجميع الناس حولهم وحرص على الا ينفروا منهم الغالبية العظمى من الناس الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ٠

فالحزب الشيوعى لا يستطيع أن يكون مشاركا فى الحكم فاذا شارك فهو انما يفعل ذلك كخطوة مرحلية ــ على حد تعبيرهم ــ ثم يثبون بعد ذلك على الحكم وهم فى هذا السبيل لا يعرفون رحمة ولا تمسهم من انسانية البشر خلجة ، فالقتل القتل ، والدماء ٠

فالحزب الشيوعى اذن لا يستريح أو يستولى على الحكم جميعا فهو لا يقبل أن يشترك فرد منهم فى وزارة وان ألف الوزارة كلها فهو لن يسكت حتى يستولى على رئاسة الجمهورية ٠

أما وحوش ١٥ مايو الذين أصابهم السعار فى الفترة الماضية والذين ولغوا فى الدماء والأعراض والأموال فالحديث عنهم يطول وقد كانت آخر

مرقعة لهم هى تلك التى حاولوا فيها اغتصاب رئاسة الجمهورية ولكن الله أخذهم أخذ عزيز مقتدر ٠

والفئة الثالثة فئة كما قلت ثبتت أنظارها على الماضى البعيد لا تريد أن ترى غيره ترفض أن ترى الماضى القريب الذى كانوا فيه جماعة تحت الحراسة وقد ألقى زعماؤهم الى السجون ولا ينالـون من المال الا النفقة وحسبك بها اسما ليدلك كيف كانت جماعة ١٥ مايو تعاملهم وهذه الفئة الثالثة تأبى أن تنظر الى الحاضر حين كانوا يملكون أموالهم كريمة أعراضهم مصونة حقوقهم ٠ وهم فى تثبيت نظرهم هذا يأبون أن يروا التغيير الكبير الذى أحدثته ثورة ٢٣ يوليو فى المجتمع ٠

وقد كنت أظن أنهم حين يعودون الى تأليف حزبهم الذى أسموه الجديد ستمتد هذه الجدة الى أفكارهم ومشاعرهم ومفاهيمهم ٠٠ ولكن هيهات ٠

وبعد فهذه الفئات الثلاث قد تناولتها فى مقالات عديدة لى فهذا الرأى الذى أسوق ليس غريبا على قلمى وأنا أكره أن أتناول قوما فى محنة ولكننى اليوم أتحدث الى شعب سيقول كلمته فى استفتاء وقد استطاعت هذه الفئات أن تثير دوامات قد تكون مقصورة على بعض جماعات من الشعب تتحدث عن الديمقراطية والخوف عليها ٠

اننى أطمئن من استمع لهذه اللهجة اننا نمارس ديمقراطية من نوع خاص ٠ وانى أرجو هؤلاء أن يلقوا نظرة الى ماض قريب كانت أجسام الشعب وأعراضه وأمواله بل كلمته وحريته حلا مباحا للحاكم تمزق فيها كما يشاء ٠

واليوم الحاكم يسأل الشعب ويسأل مجلس الشعب ٠ واليوم العرض فيها مصون والمال حرام الا على أصحابه والدماء مقدسة والمعتقلات مغلقة ولو كان حاكم اليوم كحاكم الأمس لفتح المعتقلات وكان هذا حسبه ليصبح الحديث همسا فى النفوس ولتنخلع الأفئدة ٠

ان كانت هذه القوانين لا ترضى بعضا ممن أرادوا أن يغتالوا تجربتنا الديمقراطيــة فى خطواتها الأولى فهى لا شك تحافظ على ما بقى لنــا من الديمقراطية وما دمنا فى ظله نقول أحرارا لا نخاف على حرياتنا أو دمائنا أو مستقبلنا ٠٠٠ وما دامت المحاكم هى التى تفصل فيما يقوم من خلاف بيننا وبين السلطات فنحن اذن مطمئنون طمأنينة لا يعرفها فرد فى أى بلد فى العالم العربى أو الشرق الأوسط جميعا ٠

وفى أمس القريب صودرت جريدة الأهالى ثم تقدم رئيس تحريرها الى المحاكمة فلم يحكم القاضى بعدم الاختصاص وانما أيد الحكم وقدم لحكمه

بالحيثيات والأسباب • ولو كان سطر واحد مما كتب فى جريدة الأهالى قد كتب فى كراسة خاصة ضبطت عند عضو من أعضاء الحزب لكان اليوم ترابا من التراب ولكان أصدقاؤه طعاما للقبور فان أحاطت ببعض منهم الرأفة أو الاستهانة بأمرهم فالمعتقل الى غير مدى أقل ما يصيبون • ولكن هكذا الشيوعيون دائما يستغلون الديمقراطية ليطبقوا الشيوعية •

أذكروا الأمس وأنظروا حواليكم وفكروا فيما كان يمكن أن يحدث لنا لو تمكنت فئة من هذه الفئات فى رقابنا •• ثم قولوا بعد ذلك كلمتكم •

وبعد فان صاحب الرأى المؤيد الذى يحبسه اليوم خوفا من هذه الدوامات التى يثيرها البعض جبان شأنه فى ذلك شأن المعارض الذى يخاف أن يبدى رأيــه •

وقد عشت عمرى أقول رأيى كما أحس به وكنت فى العهد الماضى اذا صودر هذا الرأى لفقته فى الرمز فان لاحقوا الرمز لجأت الى المجتمع الذى أجلس فيه وأقول ••• محيط ضيق ولكن تعودت لكلمتى أن تنطلق فلا تحبس مهما يكن مجال انتشارها • وأنا اليوم لا أغير نفسى فلم يحدث شىء يجعلنى أغير نفسى وما أظن هذا الشىء سيحدث ••• أو أنا على الأقل أرجـو ذلك •

قضية .. بلا قضية

تحاول بعض الصحف أن تثير زوابع لتشغل الرأى العام وتغتصب اهتمامه اغتصابا وليس يعنيهم من بعد أن تكون الضحية كرامات ناس وتاريخ أدب وأعمدة تراث وأركان أجيال وعمالقة فن .

وقد حاول بعض الصغار ان يتطاولوا على أقدار قمم باذخة بادعاء أن أدبهم مزور وأن غيرهم هم الذين يكتبون لهم .

وقد مات العمالقة وبقى غيرهم الذين نسب اليهم أنهم أصحاب أدبهم فما رأينا فى انتاجهم ما كنا نجده عند أدباء القمة .

أيجود هؤلاء بالفن على غيرهم ويبخلون به على أنفسهم ..

كيف ينسبون الى قمة الأدب فناً هم لا يستطيعون أن يمهروه باسمهم فيكسبوا به المال والمجد فى وقت معا .

ولو كانوا بغير الأدب والنشر يعملون لقلنا عزفوا عن الشهرة وصدوا عن المجد ولكنهم فى الميدان وحجمهم فيه معروف وحجم القمم معروف .

ان الأقلام التى تثير هذه الأقاويل أقلام هزيلة وتعرف أنها هزيلة وتحاول أن تقيم هزالها على هدم الأركان الشامخة . ياليتهم يعلمون انهم لن يزدادوا الا هزالا .

ولو ألقينا نظرة الى أصحاب هذه الدعوة لوجدناهم جميعا نباتات متسلقة بدأت حياتها بالتسلق وقطعت طريقها باستجداء الشهرة وتريد أن تنهى حياتها بالتزوير .. بئست البداية والطريق والنهاية .

ولقد حاولت أن أصد نفسى عن هذا الحديث طويلا محتقرا أن أخوض فيه مع الخائضين معتقدا أن الجمهور سيدرك أن فاقد الشىء لا يستطيع أن يعطيه . والأسماء التى اختارها الصغار لينسبوا اليها أعمال الكبار جميعها تعمل فى الأدب ولم تصل الى ما بلغته أعمال العمالقة بل ولم تشاركهم حتى فى الميدان .. هى قضية ولا قضية ودعوى تحمل عوامل انهيارها فى صحيفتها .. ولقد سمحت لنفسى أن أتناول هذا الموضوع مرة وأنا غير عائد اليه مهما تكن الظروف .

أين ذهبت المعارك الأدبية

● المعركة الأدبية ليست مباراة رياضية

● الأديب لا يكون ببطاقة توصية من أديب كبير

كثيرا ما يوجه الى الصحفيون سؤالا عجيبا وكثيرا ما يدور هذا السؤال فى الندوات التى أحضرها أو التى أدعى اليها فى الاذاعة أو التليفزيون .

.. أين ذهبت المعارك الأدبية . لماذا تخلو الجرائد اليوم من هذه المعـارك ؟

ويشفع السائل سؤاله بتذكيرنا بالمعارك الأدبية التى كان أطرافها رواد الأدب المصرى أو العربى ان شئت : طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم والرافعى والزيات وبنت الشاطىء وأمين الخولى وغيرهم .

وكأن المعركة الأدبية مباراة رياضية يتفق الأطراف على اجرائها .

يجعلنى هذا السؤال دائما أتصور أن العقاد اتفق مع شوقى على أن يلعبا معركة أدبية أو أن الدكتور طه حسين وتوفيق الحكيم عقدا اتفاقا أن يهاجم كل منهما الآخر فى مجلة الرسالة .

ولأن أدباءنا الشبان يريدون أن يستمتعوا بهجوم كبار الأدباء على بعضهم البعض يثيرون دائما هذا السؤال .

ويغالى بعضهم فيتجاوز مرحلة السؤال الى مرحلة الايقاع بين كاتب وآخر أو بين فئة وفئة . فنجدهم دائما يسألون الأدباء الكبار عن موقفهم من الشباب وهو سؤال أيضا فيه كثير من الخبث .

فالأديب لا يصبح أديبا ببطاقة توصية من أديب كبير . انما يصبح الأديب أديبا باعتراف الوسط الأدبى المنصف به .

وهكذا ثبتت أقدام الأجيال المتلاحقة من أدبائنا فى الساحة الأدبية . وقد يزيدها ثباتا اعتراف الأدباء الكبار بأدب الناشئين .

ولكن الأديب لا يخلقه الا الله بالموهبة والا جهده بالمثابرة ·

وحين كتب أستاذنا توفيق الحكيم مسرحيته الخالدة أهل الكهف كتب عنها فى ذلك كل عمالقة الأدب بلا استثناء مثل طه حسين وهيكل ومصطفى عبد الرازق والزيات ولكن هل هذه الكتابة هى التى أفسحت المجال لتوفيق الحكيم ليتصدر مكانه مع الصف الأول من الكتاب أم أن توفيق الحكيم هو الذى أفسح بقلمه لنفسه هذا المكان ·

أما الشباب من هذا الجيل الجديد فقد أتيح لهم ما لم يتسح لكل الأجيال التى سبقته ومع ذلك لا يزال الشباب من الصحفيين يحاول أن يوقع بين الأجيال بعضها وبعض ليفوز آخر الأمر باثارة صحفية ·

والأدب فى ذاته يجب أن يكون ثورة فنية لا اثارة صحفية واذا أدلى الأدباء بآراء فينبغى لها أن تكون عميقة الجذور فى الثقافة والدراسة الأدبية لا يتفيأ منها الأديب الا أن تكون حقا هادفة الى حق ·

ولهذا فاننا هنا فى الأهرام نفضل أن ننتظر قضية أدبية تفرض نفسها على الميادين الأدبية لا نفتعلها افتعالا ولا نتعسفها تعسفا ·· ومن هذا الرأى الذى نلزم أنفسنا به يقدم زميلنا الدكتور عبد العزيز شرف قضيته التى يعرضها اليوم على الرأى العام الأدبى ·

كارتر يتحدث فى الشعر والرواية والعمل الأدبى

هذا الحديث أجراه صحفى مع رئيس أكبر امبراطورية عرفها التاريخ·· وهو يتحدث عن الأدب حديثا يدعو الى الاعجاب والأكبار ، فهو لا يدعى أنه أديب ، وانما يتحدث كهاو للأدب ·· وهواة الأدب هم سر حياته ، بغيرهم لا يقوم الأدب ولا يجد هواء حياته ، فانما هو ارسال واستقبال ·· جانبان لا يستغنى واحد منهم عن الآخر ·· وكارتر رجل سياسة ، ولعل هذا ما يجعلنا نفكر هنا فى الصلة بين السياسة والأدب · فقد يظن بعض الجهلاء أن لا صلة هناك ، والحقيقة أن الأديب لابد أن يكون شاهد عصره فى الأحداث التى يتناولها ، وشاهدا على الانسانية جميعا فى الهدف الذى يتقصاه ·· وباتصال الأديب بأحداث عصره ووطنه ، يعيش فترة حياته بين الناس ، وبنظرته الى الانسانية جمعاء ، يعيش فى كل العصور ·· ولان كارتر سياسى عظيم ، فهو يكون بهذه الصلة ، ولاننا نحترم فيه هذه المعرفة ، نقدم حديثه على هذه الصفحة الأدبية ··

ارتبط بعض رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية بعلاقات خاصة بالكتاب والمثقفين ، وكان لبعضهم اهتمامات مميزة بالأدب والثقافة · تقف خطب الرئيس ابراهام لنكولن كنماذج طيبة للفصاحة وفن مخاطبة الجماهير · وكتب الرئيس تيودور روزفلت كتبا فى التاريخ والسياسة ، وكان فرنكلين روزفلت يحيط نفسه بنخبة من المفكرين والمصلحين الاجتماعيين ، ويحب أن يقرأ فى التاريخ والتراجم والرواية ·

● من الثانى والثالث ●

● عبء الحرب وعبء السلام ●

للشاعر : العوضى الوكيل

حملت عبء الحرب مستبسلا
فاحمل ـ رعاك الله ـ عبء السلام
وقل لمن رام بمصر أذى
لن ننثنى عن خطة ·· أن ننام
نحن حملنا غصن زيتون ولم
نسقط من الخطة حمل الحسام

ويسير الرئيس جيمى كارتر على هذه التقاليد التى اتبعها الرؤساء السابقون ، فقد كان طوال حياته قارئا نهما ، وقد كشفت ترجمته الذاتية التى نشرت قبل الانتخابات تحت اسم « لماذا ليس الأفضل ؟ » عن حبه للشعر والدراسات الدينية والروايات الجادة ، وفى الحديث الذى أجراه معه هارفى شابيرو محرر باب الكتب فى صحيفة نيويورك تايمز بمناسبة صدور مجموعة لخطبه فى كتاب بعنوان حكومة صالحة مثل شعبها » .. نكتشف فى الرئيس كارتر اهتمامات أدبية لها دلالاتها وخاصة فى الشعر . والمحرر الأدبى نفسه الذى أجرى هذا الحديث شاعر له ديوانات

« الأيدى ليس لها دموع تسكبها » .

كان الرئيس جيمى كارتر يردد بعض أشعار ديلان توماس بوجه هادىء وعينين قد ضاقتا على الداخل كما لم أشاهدهما أبدا على شاشة التليفزيون . شعرت انه يستمتع بايقاع كلمات الشاعر ، وكانت صورة كبيرة للرئيس الأول جورج واشنطن تطالعنا ، ومن خلفنا نوافذ واسعة تطل على حديقة زهور البيت الأبيض .

قال له المحرر الأدبى :

ـ يبدو أننا نشترك فى الاعجاب بنفس الشاعر .. وهو ديلان توماس .

يقول جيمى كارتر :

ـ انه شاعر عظيم .. لقد كنت أحب أن أمضى وقتا ممتعا فى قراءة أشعاره .. وهى مازالت مفضلة عندى حتى الآن .

● كيف تعرفت على شعره ؟

ـ أظن هذا يعود الى عام ١٩٥٤ أو ١٩٥٥ .. وكنت أشتغل بتجارة السماد .. ولم يكن عندى موظفون .. كما لم يكن هناك زبائن كثيرون يترددون على ..فكنت أحب أن أجلس على جوال سماد وأقرأ منتخبات للشعراء الحديثين ، ولم أكن حتى ذلك الوقت سمعت عن ديلان توماس ، وصادفتنى قصيدة بعنوان « رفض بكاء الموتى » ، لم أفهم القصيدة عندما قرأتها ، ولكن السطر الأخير استوقفنى وهو يقول : « بعد الموت الأول لا يوجد موت آخر ، فأخذت أستعيد قراءة القصيدة وبدأت أتفهمها . بعد هذا كنت أحب أن أقرأ مع أولادى بعض قصائد ديلان توماس نتأملها ونناقشها معا . وفى أثناء فترات الراحة بدورة المجلس التشريعى لولاية جورجيا عام ١٩٧٤ كنت أصغى ـ برفقة عشرة أو عشرين من الأعضاء الى

تسجيلات لاشعار ديلان توماس وهو يقرأها بنفسه · لقد أحببت دائما طريقة تعبير الشاعر عن نفسه ، وحسن تخيره للكلمات واستخدامه لها · أعتقد أن ديلان توماس كان فعلا شاعرا عظيما ··

● لقد صدرت ترجمتك الذاتية بكلمات للشاعر ديلان توماس ·· « عظيمة هى اليد التى تسيطر على الانسان » ··

ماذا تعنى لك هذه الكلمات ؟

ـ من الصعب أن تجد ارتباطا واضحا بين قصائد ديلان توماس وأمور الحكم العملية · ولكن الكلمات التى اقتبستها من ديلان توماس فى مقدمة كتابى تعنى لى انه غالبا ما يحدث أن يصل التحمس بالرجل القوى الى السيطرة على شئون شعب ما ·· وتظل يده عظيمة اذا هى لم تجعل الشعب بلا قلب أو احساس ·

وأعتقد أن البيت الذى يلخص هذه القصيدة بالذات هو « الايدى ليس لها دموع تسكبها » · ان القادة الأقوياء أحيانا لا يفرقون بين « القوة » و « الشعب » وان ما فى « القوة » من قسوة يجب أن يكون نذيرا لنا · ومع هذا فمن الصعب أن أشرح لك كل ما عناه الشاعر فى قصيدته ·

● هل هناك شعراء أمريكيون آخرون يجذبون اهتمامك ؟

ـ اننى أحب كثيرا منهم · لكن جيمس ديكى هو المفضل لدى وأنا أحب شعره بقدر ما أعتز بصداقته ، ولقد كان قيامه بالقاء قصيدة له قبل حفل التنصيب رائعا حقا ، كان هذا أعظم ما فى الحفل الذى ضم عددا من الفنانين المرموقين ·

● انك بدأت كتاب ترجمتك الذاتية : « لماذا ليس الأفضل ؟ » بثلاث اقتباسات أولها لرجل اللاهوت راينهولد نيبور : « ان مهمة السياسى الصعبة هى أن يقيم العدالة فى عالم آثم » ، وثانيها مقطوعة لبوب ديلان ، وكان الاقتباس الثالث بيت شعر لديلان توماس الذى كنا نتحدث عنه الآن ·· هل تعبر هذه الاقتباسات الثلاثة عن موقف فكرى لك ، أو تقف كعلامات ذات دلالة ؟

ـ لا أدرى · لعلك تجد علاقة بين شعر ديلان توماس وما اقتبسته عن نيبور ، وقد درست أعمال نيبور وكنت ارجو لقاءه · ولقد راسلت زوجته ، كما تعرفت على جون بنجهام الذى كتب دراسة تحليلية عنه ، وقد تأثرت حينما قرأت منذ ثلاث أو أربع سنوات نبأ وفاته ·

● ان الكتابة تمثل عند غالبية الكتاب وسيلة لاكتشاف الذات ٠ هل عرفت نفسك من خلال كتابتك لترجمتك الذاتية ؟

ـ حسنا ٠ نعم ٠ اعتقد انه من الصعب أن أصف ماذا عرفت عن نفسى ٠ قد يكون الشيء الأساسى الذى اكتشفته هو مدى وعيى ـ منذ بداية حياتى بدورى فى المجتمع والتزامى نحوه منذ كنت فى المزرعة ، أو فى عملى كمهندس وضابط بحرى ، ثم كرجل أعمال وسياسى ٠ أما بالنسبة للكتاب الذى يضم خطبى فلم أقم بمراجعته ٠ واننى نادرا ما أكتب خطبة مقدما ، اننى أتحدث بلا نص مكتوب ٠ وعندما أصبحت حاكما كان يقوم سكرتير مرافق لى بتسجيل خطابى ثم يسلم التسجيل لمن ينسخه ٠ ولعل الكتاب الذى يضم خطبى ـ مثل كتاب ترجمتى الذاتية ـ يجسد أفكارى ومبادئى التى التزمت بها كقائد سياسى منذ بدأت اشارك فى الحياة العامة ٠

● هل هناك نماذج من الخطباء أو من خطب التاريخ تضعها أمام ناظريك ؟

ـ اننى أقتنى مجموعات عديدة من الخطب ، من بينها مجلد يضم كل الخطب الافتتاحية منذ قامت جمهورية الولايات المتحدة ٠ تحتوى صفحة على الخطاب ، ومقابلها تحليل لظروفها التاريخية ٠ كما حصلت على مجموعة خطب ادلاى ستيفنسون ، وجون كينيدى وقد قرأتها كلها بعناية كبيرة ٠٠ لكننى لم أحاول أن أترسم خطى أى منهم ٠

● كيف تعد خطابك حاليا ٠ مثلا خطابك الأخير بجامعة نوتردام عن السياسة الخارجية ؟

ـ اننى اخطط للنقاط الرئيسية ، مثل المهندس ، واعد ثلاثين أو خمسا وثلاثين نقطة فى ذهنى بغير معين ، ثم أحاول أن أضعها فى أربعة أو خمسة موضوعات أقوم بترتيبها حسب الأهمية ، بعد هذا أكتب بعض الفقرات فى صلب الموضوع ٠

● هل تقوم هيئة معاونيك بمساعدتك ؟

ـ هناك مجموعة رائعة تعاوننى ، مثلا فى السياسة الخارجية أستعين بأفكار دكتور بريجنسكى وأفكار أخرين ٠

● افترض أن المحور الأساسى فى كتابتك ، الحكومة صالحة بصلاح مواطنيها هو الصلاح والرحمة ، والأمانة وطيبة الانسان الأمريكى العادى ؟

ـ هو هذا ‥ وكما يقول توماس جفرسون بأن الحكومة الهام ٠ هذه هى الصورة لما يجب أن تكون عليه حكومتنا ، التى لم تكن الهاما لشعبنا فقط ، بل لكل العالم ـ هنا حيث تسود الديموقراطية والمساواة فى الفرص ، أعتقد أن الناس متعطشـــون الى مفهوم للحكومة يهب لهم الالهـــام ‥

وفى السنوات الأخيرة بسبب مشاكل فيتنام وكمبوديــا ووترجيت والمخابرات المركزيــة كان هنــاك تحطيم لهذا المفهوم وفى أثنــاء الحملة الانتخابية ـ لمست حاجة الناس الى مفهوم طيب عن الحكومة ٠ وأعتقد أن الشعب كان يطالب بحكومة صالحة كما يجب أن تكون أو يكونوا هم ٠ وأعتقد أن معتقداتنا الدينية ومثالياتنا حــول ما يجب أن تكون الحكومة تعطى دفعة للاستقرار ، وأرى ان هذا لا يتعارض مع الاتجاهات التاريخية ٠

● ولكنك فى كتابك تعطى رؤية متفائلة لأمريكا وشعبها ، وهذا يقف كصورة متناقضة ـ الى حد كبير ـ مع كتاب الجنوب الأمريكى بعــد الحرب العالمية الثانيــة الذين يصورون الانسان كمذنب مكتوب عليــه السقوط ؛ وقد يكون دور الحكومة أن تحمى الانسان من طبعه الشرير ومن أنانيته ‥ لا أرى هذا منعكسا فى كتابك ‥

ـ أعتقد أن فى الناس كأفراد جوانب من الضعف والانحطاط وكل فرد له مخاوفه وشكوكه وتحيزاته واحباطاته ‥ لكن اذا نظرنا الى الشعب كمجموع ٠ والى الدستور ٠ والقوانين ‥ فانك تستطيع أن تدرك انه ـ رغم أخطائنا الفرديــة ـ فاننــا يمكن أن نكون افضــل ونتدارك هذه الأخطاء ٠

● هل تحب قراءة كتاب الجنوب مثل فوكنر ورانسوم وفلانيرى اوكنور والين تيت ووكر بيرسى ‥ ؟

ـ ان فوكنر هو أكبر كاتب قرأت له ودرسته وأقتنى كل كتبــه ، وفى بعض المناسبات كنت أقرأ منها لاولادى بصوت عال ، أعتقد انه فعلا

كما ذكرت خلال صفات الانسان وصور الصراع بين الخير والشر ، النجاح والفشل ، الزهو والانحطاط ، أكثر من أى كاتب آخر • أما زوجتى فان كاتبها المفضل هو كارسون ماك كولرز •

وأرى أن كتاب الجنوب قد حللوا بدقة مجتمعهم بشعور من الذنب ناتج عن عصر العبيد وما حدث فى الحرب الأهلية ، وهم يعبرون بشىء من الوجل عن الأمل فى التوبة •• ولهذا كان جو الأغراب طبيعيا فى أعمال فوكنر •

● قلت فى ترجمتك الذاتية انك كنت تقرأ ثلاثة أو أربعة كتب كل أسبوع •• هل مازال هذا يصدق عليك حتى اليوم ؟

ـ لا أستطيع أن أقرأ هذا العدد من الكتب اليوم ، ولعلنى أستطيع أن أقرأ كتابين كل أسبوع ، فلابد أن أقرأ أشياء كثيرة تفرض على • وصلنى الآن ملف كامل لمحادثات نيكسون ـ كسنجر ـ ماو ـ شو ، وبطبيعة الحال لا يمكن اعتبارها كتبا ولكنها موضوعات لابد من قراءتها •

● كيف ترى دور الكاتب فى أمريكا ؟ هل هو مرفه أم واعظ أم معلم أم صانع أحلام ؟

ـ أراه كل هذا • اننى أعرف اننى حين أكتب شيئا ـ وأنا لم أكتب حقيقة الا كتابا واحدا كهاو ـ فاننى كنت أحاول أن اتعمق خلال نفسى حتى أعبر عن أشـــياء بحيث أتيح للآخرين أن يشـــاركونى تجـــاربى ورؤيتى للأمور • ومثل هذا الجهد تصبح له قيمة عظيمة اذا قام به كاتب موهوب ـ ولا أعتقد اننى أملك موهبة فى هذا المجال ـ مثل ديـــلان توماس الذى استغرق فى قصيدته التى تناقشنا حولها عدة سنوات ـ ومع هذا ـ لم يكن راضيا عنها •

● كيف ترى اذن واجب الحكومة نحو الكتاب ؟

ـ ان ليونارد راندولف رئيس برنامج تنمية الأداب والفنون يريد أن يكرس مالا أكثر من أجل الشعراء ومالا أكثر من أجل المكتبات التى

تعانى مشاكل عويصة هذه الأيام - حتى تستطيع أن تقتنى كتبا أكثر للشعراء ·

وعندما كنت حاكما لجيورجيا كنت أهتم كثيرا بالكتاب والمكتبات · وكنا نقيم حفلا ندعو اليه كل الكتاب لتأكيد مدى تقديرنا لهم وتفهمنا لأدبهم » ·

الباب مفتوح على مصراعيه

اذن فقد تمت الاتفاقية .. وقدر لحرب استمرت ثلاثين عاما أن تقف عند أمد وتنتهي الى غاية . وأصبحت منطقتنا التي تمثل مصر مركز الدائرة فيها امنة الى غدها ازيل لون الدم عن أيامها ورفعت رائحة البارود عن هوائها . وسلام على موتانا في الحرب وسلام على موتانا في السلام . في سبيل الله ما لقوا في سبيل الغد لأبنائنا وفي سبيل الحياة لمصر وللعرب جميعا ما قدموا من دماء .

بدمائهم كتب لنا النصر ومن هذا النصر اخذنا طريقنا الى السلام .. سلام نوقعه وقد ارتفعت منا الرؤوس كريمة موفورة العزة .

هذا السلام الذي وقعه عن مصر رئيسها أنور السادات انما وقعه عن التاريخ أجمع ومن أجل مستقبل مصر والعالم وما أظنني أبالغ انه هيأ لأطفال العالم أمنا من المنطقة الملتهبـة التي كانت تهدد دائما بحرب حين لا تبدو منطقة أخرى تهدد بمثل التهابها .

والرئيس السادات بتوقيعه هذا يؤكد شجاعته التي رسمت سمتا جديدا في الشجاعة السياسية في العالم .

هذا النوع من الشجاعة الذي يترفع عن الغوغائية ويعف عن الصغار ويجل نفسه عن الشدق بألفاظ الحرب ليجعل منها كهفا يتخفى فيه اذا قامت الحرب فعلا . ان الرئيس السادات قائد الحرب العربيـة المنتصرة الوحيدة في العصر الحديث أجمع وحين انتصر ووجد أمريكا تنزل بأحدث أسلحتها في الميدان صاح في شجاعة الرجال لا شجاعة الأطفال وفي جدية القيادة لاهزل الرؤساء الممثلين الهازلين .. أنا لا أحارب أمريكا . وقبل وقف القتال بعد أن حقق له القتال ما أراد منه أن يحقق .

وبعد أن بذلنا نحن دماءنا . وبعد أن انتصرت جيوشنا نحن وبعد أن عبرنا نحن القنال تناوحت حولنا منابر فرسان الكلام وفئران الحروب .

كيف نقبل فك الاشتباك • حتى اذا استنفذوا الكلمات طلبوا هم فك الاشتباك •

ووصلت شجاعته قمتها حين عبر عصور السخافة والجهل والجمود الغبى والألفاظ الجوفاء وذهب الى بيت المقدس •

كانت زيارة السادات الى اسرائيل لمخاطبة المشاعر والقلوب • أما المفاوضة التى خاض غمارها فى كامب ديفيد فهى الغد وهى المصير وهى السلام •

كانت زيارة السلام بداية أمل وكانت اتفاقية كامب ديفيد تحقيق هذا الأمل •

ولقد نعلم أن كثيرا من تجار الحروب الذين جعلوا دماءنا بضاعتهم سيتصارخون وسيتصايحون • ولقد نعلم أن الزعماء الذين يحسبون انهم يتمايلون على كراسى رئاستهم سيعتلون المنابر ويرفعون السيوف الورقية • ولقد نعلم أن بعضا من الناس حاربوا فيما حاربوا الا العرب وقتلوا فما قتلوا الا أنفسنا وأنفسهم سيرسلون احتجاجهم الكلامى الى كل مطار •

نعلم هذا جميعا ولكن نعلم أيضا انه لن يمر شهر أو شهران حتى يبحثوا لأنفسهم عن مدخل الى هذه الاتفاقية • وهم اليوم يحاولون أن يقولوا عنها صلحا منفردا لانهم يريدون أن يعيبوها وهم يعلمون انها اتفاقية لهم جميعا فقد فتح الباب على مصراعيه •

وبعد فقد أوشك حديثى على نهايته ولكن هناك همسة أريد أن أبعث بها من باريس حيث أنا الآن لبضعة أيام الى من أصابهم اليأس لان المبادرة لم تأت بثمارها •

أليس من حقى أن أهمس الى هؤلاء تعجلتم والتعجل فى السياسة كبوات وخطأ ولو قد ملكتم أنفسكم بعض الحين ما احتجتم اليوم الى الندم • ولكن لا عليكم فقد شفع لكم فرحكم بنجاح المبادرة واتمام الاتفاق ولنتجه الى الله أن يجعل مشرق السلام عندنا مقترنا بمشرق الرفعة والتقدم واستدراك ما فاتنا وأدراك ما نحن جديرون به من رفعة وتقدم وسموق •

٦ أكتــوبر
حرب أثمرت السلام

ولكنه حينذاك سيكون هو غير راض عن نفسه لانه عرف الحق وسار فى غير طريقه خوفا على شخصه واجتلابا لهتافات يعرف أنها خاويـة من الصدق ومداهنة لشعارات يعلم أنها زائفـة ٠

ولكنه وقع وهو يعلم أن هؤلاء سيتذاءبون حوله ويتصايحون بمهاجمته ويتاجرون ببطولته وهم يعرفون أنه بطل ٠

ان الذى صنعه السادات هو قمة البطولة التى لم يعرفها العرب منـذ اشراقات الاسلام الأولى التى تسمت سماءها الشموس الشم الاشاوس من أمثال أبى بكر وعمر وعلى وعثمان وخالد وأبى عبيدة والمثنى الشيبانى وغيرهم ٠٠ وغيرهم كثير ٠٠

أعادهم الى ذهنى كتاب قرأته وأنا أترقب أخبار كامب ديفيد وكنت فى هذه الفترة بأوروبا بين لوزان وجنيف وباريس كان الكتاب معى أعيش به أمجادنا وتاريخنا الماضى ادافع به القلق على حاضرنا ومستقبلنا الذى يصنع هناك بين أيدى المفاوضين ٠

تحية منى لمؤلف كتاب « الطريق الى المدائن » للأستاذ المحقق العالم الأديب عادل أحمد ٠

وبعد فما أحب الى أن أنهى هذه الكلمة بجمل خوالد للامام أمير المؤمنين على ابن أبى طالب لعل قبره الذى يعيش فى ربوع العراق يذكر أهل العراق بالحق فلا يميلون عنـه الى الباطل وهم يعلمون أنـه باطل ٠ يقول الامام للاشتر النخعى :

« لا ترفض صلحا دعاك اليه عدوك ولله فيه رضى ٠ فان الصلح دعة لجنودك وراحة وأمن لبلادك ٠٠ وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة وألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالأمانة واجعل لنفسك جنه [بضم الجيم ما يحمى الانسان] دون ما أعطيت ، فانه ليس من فرائض الله شئ

النــاس أشد عليه اجتماعا مع تفرق أهوائهم وتشتيت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود .. فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك ولا تخلب عدوك فانه لا يجترىء على الله الا جاهل شقى » .

هكذا قال الامام ولقد غدرتم يا أهل العراق بعلى وبأبناء على ثم أدعيتم أنكم ندمتم فهل أنتم حقا نادمون ... ما أظن ..

من البطولات فى السلام ألوان

اعظم من بطولة الحرب

صورة من الأدب والتاريخ :

أعظم بطولة حققها خالد بن الوليد لم تكن فى حروبه العبقرية وانما كانت يوم عزله عمر بن الخطاب عن امارة الجيش وولى عليه أبا عبيدة ابن الجراح وخالد على يقين بل ان أبا عبيدة على يقين ان علمه بحرب ليس علم خالد وعبقريته لم تكن قيادة الجيوش وانما كانت فى عظمة الخلق وعمق الايمان .

كان خالد يستطيع يومذاك أن يؤلب جيشه على عمر . وكان أضعف ما كان يستطيع أن يفعله أن يتسمت بيته فيغلق أبوابه عليه ويبتعد عن الحياة العامة .

ولكن خالد لم يصنع شيئا من ذلك بل لم يكتف بأن يسير مع الجيش يتصيد أخطاء القائد ويسرها فى نفسه أو يذيعها بين الجنود .

لم يصنع شيئا من ذلك .

وانما يقف الجيش أمام حصن من الحصون ويكلف أبو عبيدة خالدا بجانب من الحصن ويعلم خالد أن قائد الحصن قد أولم وليمة فى الحصن وأنه سيسقى فيها خمرا .

وتقول الرواية انه أخبر أحد معاونيه وتقول رواية أخرى أنه أخبر اثنين منهم فالحد الأقصى للذين عرفوا هذا الأمر ثلاثة أحدهم خالد .

وفى المساء حفر ثلاثتهم طريقا الى الحصن يسير فيه الفرد فلا يكاد رأسه يبين وسار الاثنان أو الثلاثة فى هذا الطريق حتى اذا بلغوا الحصن ألقوا على جداره سلالم من الحبال كانت معهم ومعدة لمثل هذا ثم صعد الاثنان أو الثلاثة الى أعلى الحصن ونزلوا فيه .. ثلاثة رجال على أكثر ما ترويه الروايات فى حصن يضم جيشا بأكمله . وقصدوا الى باب الحصن وحاربوا حراسه وفتحوا الباب واستولى المسلمون على الحصن .

كان هذا في أول موقعة بعد عزل خالد :

ان كانت نفس خالد فقد نازعته فغلبها فهو عظيم عظمة أكبر من طبيعة

البشر ٠وان كانت نفس خالد لم تنازعه وانما اعتبرت أن النصر هو الأمر الأساسى وكل ما عدا ذلك لا يجوز أن يلتفت اليه أحد فعظمة نفسه أضخم شأنا وأكثر سموقا ٠٠

عظمة النفس هذه هى البطولة لأن البطولة أن يقوم انسان بأعمال ليس من طبيعة عامة البشر أن يقوموا بها ٠

ومن البطولات فى السلام ألوان أعظم من بطولة الحرب ٠٠

وهذا الذى أرويه عن خالد لا أقصد به أن أبين جرأته فى النزول على جيش بأكمله مع شخص أو شخصين وانما أقصد به أن أبين السماء التى بلغها فى انكار الذات واعتبار نصر المسلمين المؤمنين بالله هو غاية الغايات التى تصغر عندها كل الأمجاد الدنيوية ٠

فعظمة خالد هنا عظمة سلام أكبر وأرفع شأنا من عظمته الحربية ٠

وأنور السادات حين قال أنا لا أحارب أمريكا كان بطلا ينظر الى خير أمته لا الى مجده الشخصى لانه كان يستطيع أن يرفع الشعارات البطولية ويقول أنا لا أفكر فى أمريكا حين أريد أن أعمل ٠

وحين ذهب أنور السادات الى القدس كان يعلم أن تجار الشعارات والمزايدين بالألفاظ والدافعين بمستقبل شعوبهم وبأبناء بلادهم الى الدماء من أجل بضع كلمات يقذفون بها على المنابر الورقية ٠٠ سيقولون عنه خان القضية وذهب الى العدو :

ثم بلغ قمة بطولته حين وقع اتفاقيتى كامب ديفيد وكان يعلم وهو يوقـع ان هؤلاء المحـاربين بالكلمات سيثيرون من حوله الدنيـا ضجيجا واحتجاجا ٠ وكان يستطيع أن يمتنع عن التوقيع ويعود ويصبح بطلا على أفواه هؤلاء الخونة ٠ وفى سبيل هذه البطولة الزائفة يضيع مستقبل وطنه المصرى وأمته العربية ٠

كم أتوق أن أسأل هؤلاء الأبطال المسرحيين بأى حق يرفض السادات أن يستعيد أرضه المصريـة ٠

وبأى حق يرفض السادات أن يمنح الفلسطينيين حكما ذاتيا وهو الأمر الذى ظلت مصر تسعى اليه مع انجلترا المحتلة ما يزيد على سبعين عامـا ٠

وبأى حق يرفض أن يتيح لسوريا أن تفاوض لتنال ما نالته مصر من حقوقها المغتصبة ٠

وبأى حق يرفض أن تصبح اسرائيل لأول مرة فى تاريخ حياتها منذ نشأتها حتى اليوم فى حدود ثابتة لا تستطيع أن تعدوها ويضمن ثبات الحدود هذا أمريكا أكبر امبراطورية عرفها التاريخ وهى التى كانت طوال حياة اسرائيل سندها ظالمة كانت اسرائيل أو مظلومة ولم تترك هذا الموقف المتعنت ضد مصر والعرب بشكل واضح الا بعد زيارة السادات الى القدس • وقد بلغت قمة الموضوعية والنظرة العادلة الى حقوق العرب فى مؤتمر كامب ديفيد •

لو أن السادات رفض كل هذا لعاد الى القاهرة تزفه الهتافات وصيحات الاعجاب من الذين يحملون عليه اليوم •

شوقى الخالد
ذكرى وفاته هى ذكرى مولده

لأنه ظاهرة خالدة شاء الله سبحانه أن يجعل ذكرى مولده هى ذكرى وفاته لأن مثل شوقى فى الحياة لا يموت ولا يولد وانما يظهر فجأة فى الكون ثم يظل باقيا كجبل أو بحر أو محيط ما ذكرى مولده وذكرى وفاته الا علامات تسلكه من حيث الجنس فى عالم البشر أو هى اشارة لنا أن نشكر الله أن ظهرت هذه المعجزة فى الأدب العربى وفى مصر ٠

فقد كانت الفنون جميعا قد انحدرت فى عصر المماليك ٠ وكان أعظمها انحدارا هو الشعر حتى ان المؤرخين كانوا يجهدون أنفسهم فى البحث ليجدوا شاعرا فى هذه الفترة الأدبية الموات من حياة مصر ٠ وانك لتجد ناقدا عظيما كالدكتور شوقى ضيف يكتب عن الضحك فى الأدب المصرى فيعرض لنا فى كتابه نماذج لشعراء هذا العصر وما بعده فتعجب أن فترة مثل هذه تستطيع أن تنبت من أرضها الشباب شعراء مثل البارودى واسماعيل صبرى اللذين سبقا شوقى فى الظهور وكان شعرهما أول شعر جديرا بالقراءة والاجلال ٠

وفجأة اندلع شوقى فى سماء الأدب العربى عملاقا شامخا ، الكلمات تجرى فى ضفاف أبياته كنهر متدفق لا تختلف فيه قطرة عن قطرة يعلو منها الموج حينا ولكنه لا ينخفض ومع التواؤم الذى يسبك الفكرة مع الصياغة مع اللفظ تجد دائما النهر متلألئا تتماوج الأضواء فيه فلا تدرى من أين أنصب فيها هذا النور فمصدره خفى يشع فى النهر جميعه ينبعث من روح الشاعر وعبقريته ، وثروته اللفظية ، وثقافته العامة ، وعلمه التاريخى ، وصدق حسه الأدبى ، وادراكه لسر الكلمة ، وتعمقه فى أصولها ، ومعرفته بموقعها النفسى ، وتقديره النقى للمكان الذى تتسلل منه الى المستقبل فى موكبه الشعرى ٠

ولست أدرى لماذا أصر أن أعرض عليك نماذج من شعره لم يعرض لها كثير من النقاد ٠

فشوقى فى ثقافته الغربية أدرك أن الأدب العربى تجمد فى أغراضه وشوقى من هؤلاء الذين تخترق عبقريتهم الجمود ٠ وهو لم ير أن كسر

عمود الشعر والاستغناء عن القافية يمثلان تجديدا بقدر ما يمثلان عجزا لا ينبغي لشاعر · وقد استطاع شوقى بالشعر الأصيل وبقافيته وعموده وأوزانه أن يصنع ما يشاء بل انه جدد فى البحور ولكنه بأذنه الموسيقية أبقى على البحر وزنه · ففى قصيدة مرقص نظر الى بحر من بحور الشعر الفارسى ولا ينسى أن يذكر ذلك فى القصيدة ·

يقول فى أول القصيدة :

مـــال واحتجـــب	وادعـــى الغضـــب
ليت هـــاجــرى	يشرح الســـبب
عتبـــه رضـــا	ليتـــه عتـــب

الى أن يقول :

فارســـــية	بنتـــا العـــرب
بيـــد أنهـــا	بعض مـــا يجـــب

وغنى عن القول انه أدخل المسرح الشعرى الى الأدب العربى · ونستطيع أن نقول انه أدخل فكرة المسرح الرفيع نفسه الى الأدب العربى الأمر الذى شجع أستاذنا توفيق الحكيم أن يرود ميدان المسرح العربى والمصرى بعد ذلك ·

وقد استطاع شوقى أن يقول ما يشاء بالشعر الأصيل فى مسرحه ولعل أكبر دليل على صعوبة هذا الطريق أن أحدا لم يجرؤ على هذا الميدان منذ شوقى الا عزيز أباظة الذى استطاع أن يجعل المسرح الجامع أكثر طواعية فى يد الشاعر ان كان الشاعر من الجبروت بحيث يستطيع مواجهة هذا الموقف الصعب ·

وأدرك شوقى أيضا أن شعر الأطفال لم يفكر فيه أحد فى الأدب العربى ونظر فوجد عملاقا من عمالقة الشعر الفرنسى مثل لافونتين اهتم بهذا الشعر مع شهرته الواسعة فى عالم الشعر ·

وفى هذا النوع أحب أن أعرض عليك قصيدة من شعر شوقى التى كتبها للأطفال وهى فى الجزء الرابع من ديوانه الا اننى أحب ان أذكر قبلها بيتين غاية فى البساطة فى الجزء الرابع أيضا ·

وهذان البيتان قالهما حين بكا طفلاه حسين وعلى وهو خارج من البيت فقال :

بكيا لأجل خروجه فى زورة ... ياليت شعرى كيف يوم فراقه
لو كان يسمع يومذاك بكاهما ... ردت اليه الروح من اشفاقه

وصدق البيتين وقوة النبض والابوة فيهما يقفان بهما فى قمة من القمم الأدبية الكبرى على البساطة التى يتسمان بها ٠

ثم اسمع معى هذه القصيدة التى جمعت القصة والبساطة وقوة السبك وعظمة الصياغة وروعة اللفتات فى نهر واحد ٠

وممهد فى الوكر من ... ولد الغراب مزقق
كرو يهب متقلسى ... متأزر متمنطق
لبس الرماد على ... سواد جناحه والمفرق
ثلثاه منقار ورأس ... والأظافر ما بقى
ضخم الدماغ على الخلـ ... ـو من الحجى والمنطق
فتنت به فتوهمت ... فيه قوى لم تخلق
قالت كبرت فشت كما ... وثب الكبار وحلق
ورمت به فى الجو لم ... تشفق ولم تتحقق
فهوى فمزق فى فنا ... ء الدار شر ممزق
فرأيت غربانا تفر ... ق فى السماء وتلتقى
وسمت قافات ترد ... د فى الفضاء وترتقى
وعرفت رنة أمه ... فى الصارخات النعق
فاشرت فالتفتت فقلـ ... ـت لها مقالة مشفق
أطلقته ولو امتحنـ ... ـت جناحه لم تلق
وكما ترفق والدا ... ك عليك لم تترفقى

وبعد فالمدارس الفرنسية والانجليزية والألمانية جميعها تعلم أبناءها شعر الاعلام من شعرائهم ٠

وحين أرادت وزارة التربية والتعليم عندنا ان تعرف أبناءنا باثنين من شعرائنا قررت الكتاب الذى يهاجم به أستاذنا طه حسين شوقى وحافظ وان أستاذنا الدكتور طه لم يعتذر عن شىء كتبه الا هذا الكتاب مع مقالاته التى كان يهاجم بها المنفلوطى ولست أدرى لماذا تجعل المناهج التعليمية أبناءنا يكرهون الشعر والشعراء بالنماذج الحجرية التى تفرضها عليهم ٠

فليس غريبا مع هذه المناهج ان نلمس الضعف الواضح فى الخريجين وجهلهم الفاضح بلغتهم ولغة دينهم ولغة آبائهم ٠ بل ليس غريبا أن نلمس ضعف المدرسين أيضا فليس هؤلاء المدرسون اليوم الا تلاميذ الأمس القريب الذى شوهته المناهج التعليمية وحسبنا الله ونعم الوكيل ٠

الرواية الأصيلة هى قضايا الناس

عجيب أن ينفى الأستاذ شميس كتاب الرواية والقصة عن عالم الفكر . وكأنهم يتطفلون على الحياة الفكرية وأحسب أن الأستاذ شميس نسى مكانة كتاب الرواية والقصة فى العالم الغربى ونسى جائزة نوبل وتقديرها لهذا الفن .

وانى يؤسفنى كل الأسف أن أضطر الى مثل هذه الكلمة لأعلق على مقال لأستاذ أعرف علمه وثقافته وكنت أعتقد انه فى غير حاجة منى أو من أحد الى مثل هذه الاشارة .

ولا أعتقد مطلقا أن الأستاذ شميس نسى أن هيكل هو الذى أنشأ الرواية المصرية وأن طه حسين كتب فى معظم مضامين الرواية وأشكالها وأن العقاد صمم أن يكتب سارة والمازنى لم يترك أعظم من أعماله الروائية ولا أعتقد أن الأستاذ شميس يحتاج منى أن أذكره أن الرواية الأصيلة انما هى القضايا التى تؤرق الناس وهى أعمق فى نفاذها الى نفوس القراء من أى وسيلة من وسائل الفن الأدبى .

ولا أشك أن أستاذنا الدكتور طه حسين قال أن الكتاب مثل الماء والهواء لم يدر فى ذهنه أن مفسرا لقوله هذا سينفى الرواية والقصة من الكتاب الذى كان يعنيه عميد الأدب وأحسب انه الآن غير راض أن يكون هذا المفسر مثقفا مثل الأستاذ شميس .

الرفيق عمر بن عبد العزيز
الى متى يعتدى الشيوعيون على مقدساتنا ؟
فيجعل أحدهم عمر بن عبد العزيز ماركسيا !!

ما زالت الفئة الضالة المضللة التى تسمى نفسها بأسماء تتستر خلفها لتخفى عن الناس حقيقة الكفر الذى به يدينون والالحاد الذى يعبدون والتخلى عن الوطن المصرى والعربى الى وطن آخر اليه ينتسبون ومن ماله الذى يجرى بدماء الشعوب يعبثون ويعيشون ٠

ما زال هؤلاء الشيوعيون يعتدون على كل مقدس من مقدساتنا الاسلامية والعربية وعلى كل حرمة من حرمات الوطن العربى لا تفلت من براثنهم الدموية قيمة ولا يستعصم من فكرهم الأبتر مستعصم ويحاولون فى عدوانهم المسعور ان يتزيوا بزى المسلمين ويتسربلوا بسرابيل الايمان فاذا هم العدو القاتل السفاح يتقنع بقناع من الصداقة الكاذبة ٠

وأخالك تسألنى فيم هذا اليوم ؟ وانى مجيبك ان كشف زورهم انما هو تقرب لله وللوطن ٠ والتقرب لله وللوطن حبيب كل وقت وبغير مناسبة ٠ ففضل الله علينا سابغ فى كل وقت وذكره بعض عرفان بفضله سبحانه ولا يحتاج ذلك الى وقت بذاته أو مناسبة بعينهـا والوطن هو أشرف ما ينسب انسانا الى انسان والتفانى فيه بعض حقه ودفاع الأعداء عنه واجب تقدس أن يشاب بانقطاع ٠

ولكن هذا الحديث أسوقه اليك وأنا أواجه كتابا صدر منذ قريب لأستاذ فى الجامعة عرض لخامس الخلفاء الراشدين وآخر القمم الكبرى من الحكام الاسلاميين عمر بن عبد العزيز ٠

ذلك الخليفة الذى أعاد عمر الى الحياة بعد أن قتلت عمر تلك الفترة العصيبة من التاريخ الاسلامى والتى جعلت الاسلام ملكا عضودا بعد أن كان خلافة تقوم على الانتخاب والاختيار ٠

عمر بن عبد العزيز الذى سأله أستاذه :

ــ ماذا تريد مما تفعله ؟ ٠

ــ أن أكون مثل عمر بن الخطاب ؟

ـ لن تستطيع وان استطعت فستكون أعظم من عمر لأن الذين كانوا حول عمر كانوا يعينونه على العدل أما الذين حولك فسيحاربونك ليحققوا الظلم الذين ينعمون فيه على أكتاف العباد ٠

هذا العملاق من القيم العظمى يتناوله ذلك الكتاب الذى ظهر وكأنما كان عمر بن عبد العزيز تابعا من أتباع ماركس أو سفاحا من سفاحى لينين ٠

وانى أعف عن أن أناقش الكتاب فيما ذهب اليه ولكنى أحزن أن يصـــدر هذا الكتاب عن دار صـــحفية كبرى تابعة للدولة التى تقول لا اله الا الله محمد رسول الله ٠ وأن يصدر هذا الكتاب لكاتب ينتسب الى ساحة الجامعة ولا يقف بينه وبين التلاميذ حائل فيغزو عقولهم بهذا الكفر وذلك الالحاد ولا يملكون السلاح دفعا فمن يكشف منهم كفره قد يتعرض مستقبله كله للضياع ٠

أدركوا الجامعة من الشيوعيين وأدركوا الشباب من الالحاد وأدركوا دور النشر عندنا من الغش والغبن والخداع أو لات حين مناص ٠

أكاذيب

مليئة هذه الحياة بالأكاذيب فالناس ــ أغلب الناس ــ مولعة بالابهار ٠٠ فأنت تسمع خبرا من مصدره فاذا تتبعت هذا الخبر ورأيت أين ألقت به مطارح الرؤية لوجدت قد زادوا عليه ليطلقوا من بين ثناياه أضواء الابهار فانه يطيب لهم أن يروا الدهشة على وجوه السامعين ويطيب لهم ان يكونوا ثقاة أخبار ومصادر معلومات ولا يهمهم من بعد أن كانوا يراعون الدقة فيما يروون أولا ٠

ولعل غريزة حب الابهار هذه هى التى خلقت غريزة التمثيل عند هواته والذين أصبحوا محترفيه ٠

أما الممثل فلا ضير عليه ولا تثريب فهو صريح مع محبيه والمعجبين بفنه ٠

وانما الطامة الكبرى عند هذه الوجوه الجامدة الجادة التى تريد أن تكون عليمة ببواطن الأمور فتتنفس الكذب وتشيعه وتحترف الاسراف فى خلق حواشى الأخبار وتفاصيلها ليتصيدوا هذا الدهش فى أعين الناس وهذا الابهار فى وجوههم ٠ ولا يفكر هؤلاء أن السامعين قد يعرفون الأخبار من مصادرها الصحيحة وقد يصلون الى الحقيقة منها ٠ ولكنهم أيضا سيظلون يروون الخبر كما سمعوه محرفا لأنه وهو محرف فيه متعة الغرابة والتناقض التى تجعل الخبر مثيرا ٠

وقد أدرك الشيوعيون ومن لف لفهم هذه الحقيقة ولذلك فمن حقهم علينا أن نعترف أنهم أعظم الناس ترويجا للأكاذيب يحاربون بها الشرفاء من الذين يرفضون الحادهم بالله وخيانتهم للوطن وبعدهم عن المنطق السليم ٠

ومن حقهم علينا أن نعترف أن فيهم جرأة لا تتأتى لغيرهم فهم على الحق وحوش كاسرة يحاولون بكل الجهد الذى يملكون أن يحطموه ويعتدوا عليه ٠ وحسبك أن تقرأ رأيهم فى كبار الكتاب اذا رأى هؤلاء الكبار غير رأيهم وحسبك أن ترى تنويههم بالمفاليك الصعاليك المهازيل فى دنيا الأدب يريدون أن ينصبوا منهم أدباء كبارا وليس يعنى هؤلاء الشيوعيين أن الجمهور سرعان ما يكشف زيفهم ويعرف أن هذا المسخ

الذي يحاولون أن يجعلوا منه أديبا لا يزيد عن دمية هزيلة تسعى فى كواليسهم تتسقط من أقلامهم الخادعة كلمة مديح ·

ويتطاول بعض هؤلاء الشيوعيين فى فجوره فتجده يفتعل مناسبة يذكر فيها بعض أدباء أصلاء ثم يقذف بينهم فى وقاحة لا تتأتى الا لهم باسم هو عند الناس نكرة وعند من يعرفونه أهزوءة وبهذا يحاولون أن يحطموا الكبار حين يحشرون فى زمرتهم هذا الهزوة وليس يعنيهم أن يسخر القارىء من اسم الحشرة التى ذكروها فى هذا المكان فالحشرة على أية حال لا يمكن أن تزداد حطة عن الحشرة ·

وهذه الوسيلة فى الكتابة نعرفها لهم من زمن بعيد · ويعرفها الناس لهم · وهم أنفسهم يعرفون أن الناس قد كشفت كوامن أحقادهم وزيفهم وجرأتهم على الحق ·

ولكنهم مع ذلك لا ينتهون ولا يقف بهم من الحياء رادع ·

وكما أن من الحديث أكاذيب فكذلك هناك من الناس أكاذيب ·

وقد حولتهم الطبول الى أصنام حتى صدق الناس أنهم على شىء فاذا قدر لهم ان يمتحن علمهم ، أو تمتحن وطنيتهم انكشفوا عن جهلاء وعن خونة فى وقت معا · وهؤلاء اليوم يشغلون أنفسهم بما لا يشغل الناس وتمر الأحداث الكبرى فى حياة مصر فتنتصر فى ٧٣ انتصارا لم يعرف العالم له مثيلا لأنه انتصار رجال سلاحهم الحقيقى هو الايمان وسلاحهم المادى هزيل متخلف ·· وانتصروا ·

ونصيخ السمع للرجال الأكاذيب فلا نسمع شيئا ·

ويعبر الرئيس السادات عهود الغش والخداع والهتاف المفتون الأجوف والكلمات الرخيصة التى تريق الدماء الغالية وجهود الصراخ المجنون الذى يحاول الجهلاء من محترفيه أن يحاربوا به السلاح الحديث والفنية العسكرية ويحطم السادات جهل ثلاثين عاما تردى فيه العرب ملقين بأموالهم فى كل حمأة وباء بشرى متسابقين أطوال هذه الأعوام الطويلة وراء العاهرات يتباهون بشرب الخمور ويتفاخرون برمى الأموال على كل خسيس حقير من مناحى الحياة ·

يعبر السادات هذا جميعه ويذهب الى القدس صائحا صيحته الجهيرة الشهيرة الشريفة أذهب الى آخر الدنيا اذا كان ذهابى يحقن قطرة دماء عربية ·

ونصيخ السمع للرجال الأكاذيب فلا نسمع شيئا ٠

ثم يتم الله نصره على السادات ويوقع هذه المعاهدة الشريفة الرافعة التى باركها كل من يخفق قلبه بحب مصر والعرب ٠ ونعرف نحن المصريين اننا سنلاقى من العرب عنتا ورهقا ٠ ولكل منهم فى موقفه الرافض سبب فمنهم من يريد أن يثبت نفسه على كرسيه بادعاء البطولة ٠ ومنهم من تصطك أسنانه خوفا من المخربين قطاع الطرق الدوليين الذين يعششون فى بلادهم ومنهم من يريد لمصر أن تظل واقفة موقف الذليل لتمد يدها لغير كريم أن أعطى من وان منع اهان وتحتاج مصر الى أقلامها الكريمة ان تقف صفا فانها اليوم مصر ٠٠٠ وانهم اليوم حملة أقلامها وهى التى صنعت منهم هذه التماثيل وهى التى دقت حولهم الطبول حتى أصبحوا يكسبون الآلاف المؤلفة من يد الرأسمالية التى أقاموا حياتهم على مهاجمتها ٠

ونحاول أن نسمع من هؤلاء الكتاب المصريين رأيا فى المعـاهدة أو تأييدا لوطنهم الذى هو وطنهم ولكن لا كلمة ٠٠٠ لا تعليق ٠٠٠ صمت ٠٠٠ صمت كصمت القبور ٠٠٠ شاهت منهم الوجوه ٠

أيتركون هذه الأحداث الكبر ٠٠٠ ويتخلون عن وطنهم وهو أشد ما يكون حاجة اليهم ليبقوا على الدنانير تنسكب عليهم لا تنقطع ٠ ويريدون أن يذكروا الناس بأنفسهم فياويلهم ياليتهم جعلوا الناس ينسونهم ليبعدوا أنفسهم عن مزيد من الاحتقار ان كان الى احتقارهم من مزيد ٠

ليهرفوا ما شاءوا وليختاروا من المواضيع التى تبتعد عن السياسة ما يحلو لهم ٠ فان أحدا لا يجهل انهم فيما يختارون انما يحاولون الهروب مما يجب أن يتصدوا له وان حاولوا به ان يجروا أقلام المصريين منا الى نقاش يختارون ميدانه فقد خاب فألهم ٠٠٠ فاذا دائما هنا حيث لا نعرف لأنفسنا مكانا آخر هنا بجانب مصر ٠٠٠ وسنظل هنا واقفين ؟ ٠

قتل يوسف السباعى مرة أخرى

أشعر اليوم أن يوسف السباعى قتل مرة أخرى ... بل أشعر اليوم أن كل معنى للعدالة أصبح غريبا فى أرض السفاحين الذين يفرضون اجرامهم بقوة السلاح على معنى العدل فى أنحاء العالم .

واذا استطعنا أن نجد العزاء فى يوسف بأنه استراح وغاب عن هذا العالم الكريه .

فكيف عزاؤنا فى العدل والقيم الانسانية وأمن البشرية .

فاذا كانت الأديان جميعا ترى أن القصاص حياة فقد أصبح الرؤساء الأقزام فى بعض الدول يرون أن القتل حياة وأن الجريمة هى الدستور وأن سفك الدماء هو القانون .

ولن نبكى اليوم على يوسف وانما نبكى على من عاش بعده ليرى كيف يسود المجرمون وكيف يهون الرؤساء وكيف ترتكس البشرية فى أحط مهاوى الحيوانية .

وسواء عندنا أن تكون قبرص قد باعت دم يوسف بالمال أم ارتجف رئيسها أن ينفذ العدالة .. لأن النذالة لا تفصل الجبن والانحطاط الرعديد ليس شرا من القتل المأجور .

وانى لأستصرخ العالم المتحضر أن يفيق الى ما يصنعه قطاع الطرق الدوليون من حملة سلاح التهديد والحقد والضغينة والمتاجرين بجروح قومهم فما دام هؤلاء قد تمكنوا من الرؤساء مهما يكن هؤلاء الرؤساء مهازيل أقزاما فان أحدا لا يدرى أى غد ينتظر البشر وسلام على العالمين .

لا وئام بين الايمان والالحاد

طالعتنى مجلة السياسى التى تصدر عن دار التعاون بمقال للأستاذ عبد الستار الطويلة . ولعل أوضح سمة لهذا المقال انه يهدف الى المناقشة الهادئة وليس الى الاثارة وهو أيضا مقال عفيف اللفظ ، شريف الاسلوب . مما يجعل تجاهله أو عدم الرد عليه بعدا عن الانصاف وتحيفا على الحق وتجنبا على المنطق المجرد .

وما أحب أن أنكص عن هذا النقاش .

كما اننى أيضا لا أحب أن أنكص عن مناقشة خطاب حمله الى البريد يحمل المعانى نفسها وفى الثوب العفيف نفسه من الأستاذ مصطفى سيد ياسين المدرس الثانوى بالقاهرة أما المقال فيرى اننى أثير ارهابا فكريا فى وقت ينبغى أن تأتلف فيه القوى الوطنية .

والارهاب الفكرى فيما أعلم هو أن أطلب العقاب لمن يخالفنى فى الرأى . والعقاب الذى أعرف أن روسيا والدول الشيوعية تطبقه يتراوح بين القتل والسجن والنفى الى سيبيريا أو ما يماثلها فى البلاد التى ترفض الرأى الآخر .

والارهاب الفكرى الذى عرفناه فى مصر كان قد ابتدع الوانا أبشع من الاعتداء على أعراض الرجال والنساء كما جاء فى حكم المحاكم فالأمر لم يصبح اذن مجرد اشاعة أو أقوال تتناقلها الألسنة . وما دام عرض الرجل والمرأة أصبح مباحا فالسجن هين والقتل نعمة ونذكر بيت المتنبى :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا

والارهاب الفكرى تطبقه اليوم بلاد عربية وتتخذ مثلها العليا من السابقين بافساد ومن زعيمة اعدام انسانية الانسان موسكو ومن انتسب اليها ومن لف لفها ومن جعل منها اماما وقبلة ومتجها .

أما أنا فكل الذى طالبت به الا ينفرد الأساتذة الشيوعيون بالطلبة . فالشيوعيون أساتذة فى الجامعة كانوا أو فى المدارس أو غير ذلك يستطيعون أن يشرحوا مذهبهم ما حلا لهم الشرح فى مقالات وكتب حرة ولكن ليس لهم مطلقا ولا يجوز أن تسمح الدولة لهم أن يلقنوا مذهبهم للطلبة لأن الطلبة لا يملكون مناقشاتهم فهم بالقطع لم يتح لهم من الاطلاع

ما أتيح لأساتذتهم • فاذا تحصن منهم بعض بالايمان أو بالرأى فهذا البعض معرض لغضب الأساتذة وغضب الأساتذة معناه أن يصادر مستقبل الطلبة ويجدوا الرسوب هو نهاية جهدهم • ولا أريد أن أذكر أمثلة وهى حاضرة بين يدى وأقرب الى مما يتصور أحد •

فانفراد الأساتذة بالتلاميذ اذن هو الارهاب الفكرى وليس ما أنادى به أنا هو الارهاب الفكرى • وان تنشر الدولة وهى الدولة لهؤلاء فكرهم الشيوعى أمر لا شك انه يتنافى مع الوجه الذى ارتضته الجماهير للحكم اليوم • ويستطيع الشيوعيون وهم مستطيعون أن يجدوا الناشرين الذين يتولون طبع كتبهم واذا لم يجد الناشر فى كتبهم ربحا فهذا اذن هو رأى الجمهور القارىء ومع ذلك فالعون حاضر والناشر لكتبهم — وان كانت مجلبة للخسارة — موجود غير بعيد منهم وهم يعرفون الطريق اليه خير المعرفة •

ويقول الأستاذ الطويلة اننى اتهمت من اتهمت بالشيوعية لأنه صور عمر بن عبد العزيز بمحاولة العدالة الاجتماعية • وربما ذهب الأستاذ ياسين الى الرأى نفسه من طريق آخر فهو يقول ان عمر بن عبد العزيز كان قبل ماركس ولا يعقل أن يكون قد تأثر به وأحسب ان الأستاذ ياسين يعلم اننى أعرف هذه الحقيقة التاريخية وكنت أحسب أن كلامى بشأن تصوير عمر بن العزيز ماركسيا كان واضحا • والحقيقة اننى مازلت على هذا الحسبان فانا لن أزيده وضوحا • وانما سأشرح بعضا مما أجملته ومما جعل الأستاذ عبد الستار يظن اننى أهاجم صاحب الكتاب لأنه يدافع عن الفقراء وجعل الأستاذ ياسين يظن اننى أتحامل •

ذكر المؤلف ان عمر بن عبد العزيز استرد من بعض الناس أموالهم وتنازل هو عن أملاكه جميعا • ثم وفى قفزة عشواء اعتبر هذا التصرف من عمر بن عبد العزيز رفضا منه لفكرة الملكية الخاصة جميعا وألحقه بهذا بأصول النظرية الشيوعية ومصادرها • وهو مع ذلك يذكر بعد بضع فقرات انه رد المال الى الذين كانوا يستحقونه وان بعضا منهم شكا اليه انه لم ينل حقه كاملا فأكمل له حقه •

ولكن المؤلف ضرب صفحا عن هذه الواقعة تماما • ولو كان مؤرخا منصفا لأدرك أن عمر بن عبد العزيز حين أخذ الأرض ممن لا يستحقها وحين تنازل عنها انما كان يصحح عملا يجافى العدل وحين رد المال الى أصحابه ومن يستحقونه أكمل فكرة العدل التى ينفذها • فعمر اذن لم يكن ضد الملكية الفردية كما أراد المؤرخ المحقق الذى تفترض فيه الأمانة العلمية أن يجعله •

أما اننى أهاجم المؤلف لأن عمر أراد أن يحقق العدالة الاجتماعية فهذا أمر عجيب فالأستاذ عبد الستار الطويلة يعلم أن أى كاتب لا يصبو إلى شيء اسمى من تحقيق العدالة الاجتماعية ولكننا لا نرى العدالة الاجتماعية تتحقق فى سلب الناس أموالهم لنغدقها على غير أصحابها ليصبحوا بها طغاة جبابرة ولينفقوها على ملذاتهم الرخيصة وعلى قهر الشعوب وقتل الحرية وتدمير الانسان فى داخل الانسان كما فعل المذهب الشيوعى فى كل بلد طبقت أسسه وقوانينه ٠

أما القول بأننا نرمى الشيوعيين ظلما انهم أعداء الدين وانهم ملحدون فنحن لا ندعى عليهم ما ليس فيهم ولا ننشىء لهم ما يقول به مذهبهم ؟

وهذا أمر الحديث فيه لا يحتاج الى مناقشة ٠ أليسوا هم القائلين أن أصل العالم مادة وان الروح انما هى التطور الطبيعى للأشياء فلا خالق للناس ولا واهب للروح ٠ واليسوا هم الذين يرفضون أى صاحب دين أن ينضم الى حزبهم ٠ ثم يقصون كل من لا ينتمى الى حزبهم عن جميع وسائل الحياة ٠ فصاحب الدين اذن فى البلاد الشيوعية غير جدير بالحياة ٠

ليست هذه آراء تحتمل المناقشة أو التصديق والتكذيب وانما هى وقائع تحدث الآن ونشاهدها ويعرفها كل انسان زار البلاد الشيوعية ٠ والحقيقة ليست رأيا وانما هى حقيقة ٠ فحين أقول ان الأستاذ عبد الستار الطويلة اسمه عبد الستار الطويلة لا يحتاج الأمر الى تقليب النظر أو أعمال الرأى ٠

وانه لمن السذاجة ان نرى بعض الشيوعيين يصلون ويحجون ويريدوننا بذلك أن نعتبرهم مؤمنين بينما هم على واحدة من ثلاث أما انهم يخادعون الناس ٠ والناس لا تنخدع بسهولة ٠ أو هم يخادعون أنفسهم ولابد ان ترفض أنفسهم فى يوم ما هذا الخداع أو انهم يخادعون الله وهيهات لهم ان يخادعوه ٠

فالقاعدة القانونية ان الدليل لا يتجزأ فلا يجوز لك أن تأخذ منه ما يرضيك وتترك منه ما يخالفك ٠ وكذلك الدين لا يتجزأ ولن يقبل الله أن تصلى له وتصوم ثم تبيح السرقة وتدعو الدولة أن تغتصب أموال الناس بالباطل ٠

وليس يكفى أن يصوم صائمهم ويصلى مصليهم ويحج حاجهم ثم يعتبر الميراث أمرا مرفوضا فى مذهبه لا يقره وهو يعلم ان القرآن اهتم بالميراث فى تفصيل نكاد لا نرى له فى الكتاب الكريم مثيلا ٠ والشيوعى يعلم أيضا ان النبى صلى الله عليه وسلم ختم رسالته فى خطبة الوداع ان دماءنا وأموالنا حرام بيننا فسوى بذلك بين القتل واغتصاب المال ٠

وهم يعلمون أن القرآن قال : « أهم يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » .

وهم يطبقون هذه الآية فى مألوف حياتهم فلكل شيوعى خدم وحشم وسعاة فى مكان عمله والسعاة يتخذون الصناع سخريا وهكذا سارت الحياة وتسير فى كل مجتمع لا فرق بين مجتمع حراو آخر شيوعى الا أن العامل فى المجتمع الحر أكثر حرية وأرفع كرامة وأعظم دخلا .

وحين يقولون ان المال مال الله وانه عارية يستردها الله يعلمون انه سيستردها يوم تقوم الساعة ويوم يحاسب كل انسان يومذاك عما صنعه بما أفاض عليه من نعمة ولا يمكن أن يتجرأ أحد فيعتبر ان ملكية المال لله تبيح للعبد اغتصابه . فالدولة مهما تكن دولة ليست الا من عبيد الله . وأنا لا أعرف كيف أعتبر الشيوعيون أنفسهم هم المالكين لما يملكه الله والورثة الشرعيين لماله .

ولهم قول آخر يعتمدون فيه على حديث ان الماء والكلأ مباح للجميع وهم يعرفون الحق وانما يراوغون عنه فانما الماء والكلأ الذى لا صاحب له من الطبيعى أن يكون ملكا للجميع ولكن الماء المملوك لبعض الناس يظل على ملك صاحبه بدليل أن أبا بكر الصديق وعثمان بن عفان وعبد الرحمن ابن عوف كانوا يشترون [آبارا للناس ويقدمونها هدية لبيت المال] لتكون ملكا للمسلمين . أما الكلأ فاذا كان يقصد به انه الأرض لما سمعنا من سيدتنا البتول فاطمة الزهراء وهى تطلب من أبى بكر قطعة الأرض التى كانت ملكا لأبيها . والأمثلة لا تحصى وانما يطيب لى أن أكتفى بهذا . أما الوئام الذى ينشده الأستاذ عبد الستار الطويلة فكم كنت أرجو ان أراه ورئيس مصر ينتصر فى ٧٣ ولكنهم بدلا من ذلك راحوا يتهامسون أنه أنهزم حتى لقد قال لى قائلهم انها هزيمة أشد من ٦٧ .

وكنت أرجو ان أراه ورئيس مصر ينسى نفسه ويخاطر بحياته . وليس بعد الحياة مخاطرة — ويذهب الى القدس ولكنهم لا يقدرون جرأته وانما يتصايحون من أرجاء الأرض جميعا انه استسلم وسلم القضية الى أعداء القضية . وتتناقل الأبواق الشيوعية كلامهم .

وكنت أرجو ان أراه والرئيس يحقق للعالم العربى السلام الشريف الرفيع بعد ثلاثين عاما من الحروب نخوض غمارها أو نحيا — ان كنا نحيا — فى رهب أجوائها ولكن الشيوعيين يهاجمونه ويقفون تحت اللافتات الفارغة والهتافات الجوفاء والشجاعة الورقية ولك أن تنسب الورقية الى

ورق الكتابة أو الورق الذى جاء فى القرآن ! على انه نوع من المال ..
فلن تخطىء بهما بين اختيارك .

كنت أرجو أن أرى الشيوعيين يقفون تحت راية مصر لا تحت راية المال المغدق عليهم من الدول الرأسمالية أو راية الدول البعثية النابحة التى تلبث أن تنشق على نفسها أو راية موسكو التى ترفرف على البعث ورأس المال أيضا فى الزمن الأخير .

وأنا يا أستاذ عبد الستار لست أكتفى بوقوفك انت وقلة شريفة أعرفها فيمن ينتمى الى اليسار تحت علم مصر . فليس هؤلاء من أعنى وليس هؤلاء هم الشيوعيون .

ولن تحتاج الى اصاخة السمع فنباحهم من العراق وليبيا لا ينقطع ولا تصخ السمع للشيوعيين فى مصر فصوتهم مرتفع فهم يتشدقون به على المقاهى وفى مجلاتهم وكتبهم وفى الاجتماعات العامة وخير من فيهم صامت لا يبين والصمت منهم أيضا موقف مشين ..

كانت الدولة العربية تحتاج اليوم الى أصواتنا جميعا تصيح بهم اننا مصر .. لا مجد لكم الا بنا . ونحن مصر أصل ثقافتكم وامتدادها وحتى اليوم نحن اشراقها وسنظل كذلك حتى يرث الله الأرض من عليها .. هناك فى يوم الدينونة وهو قادم لا شك وان قال الشيوعيون بغير ذلك .

اليد السفلى

ربما كان ظهور كاتب جديد من أهم الأحداث الأدبية .. وحين أقول ظهور كاتب انما أعنى أن يظهر الكاتب فى أول ظهوره ناضجا مكتملا .. وهذه أشياء لا تحدث كثيرا فى الحياة الأدبية .. فأغلب الأمر أن يبدأ الكاتب شاديا يتحسس طريقه ويراه القراء وهو طفل أدبى ويرقبونه يصعد السلم وئيدا درجة درجة حتى اذا استقامت له الكلمة واعتدل له الطريق وتصدر مكانه يشعر القراء حينئذ أن هذا الابن الذى أصبح أبا نشأ على أيديهم وأسهموا هم فى بنائه وتكوينه ..

وتتكون شهرته ذرة ذرة أو نقطة نقطة وتمر الأعوام الطوال حتى تصبح هذه الذرات بناء شامخا لا يجرؤ أحد على تجاهله وتصبح هذه النقاط نهرا متدفقا يجرف كل من يحاول أن يعترض طريقه أو يذكر عليه انسكابه ودفاعه وعطاءه . ولهذا نجد أن الأديب الذى يولد شهيرا قليل أو هو أقل من القليل لا نكاد نذكر منه فى الأدب العربى الا النابغة الذبيانى وقد كان نبوغه المفاجىء هو السبب فى الاسم الذى اشتهر به . ونذكر أيضا عزيز أباظة الذى طلع على الناس أول ما طلع وفى يمينه أناته الحائرة التى ما ان رأت الحياة حتى استقر حائرها واستوت مع صاحبها على القمة مع عمالقة شعراء العربية وشعرهم .

وقد تكون الشهرة وليدة أسباب أخرى غير الأدب فحين يتكشف صاحب منصب أو مهنة شهير عن أديب يصبح شهيرا كأديب بالاضافة الى شهرته التى عرف بها بين الناس .

فحين نذكر الدكتور التنير مثلا الذى يعتبر فى قمة أطباء الأسنان وكيف ظهر فجأة فى سماء الأدب باسلوب رفيع ولفظة عربية نقية ونظرة أدبية وفكرية واعية لا نعجب انه نال الشهرة بأول كتاب له .

وحين كتب الدكتور العملاق نجيب محفوظ باشا مذكراته استبانت عن أديب صادق الحس دقيق العبارة رشيق القلم .

وأعرف فى هذا الباب كثيرين وان كانوا لم يسعوا الى الشهرة الا فيما تخصصوا فيه منهم الدكتور ابراهيم الدمرداش المهندس الذى ينال التقدير فى جميع المحافل الهندسية فى العالم ..

ومنهم بل وربما كان فى مقدمتهم العالم العالمى الدكتور عبد الحليم منتصر ومقالاته وآثاره الأدبية تجعل من لا يعرف حقيقته يظنه متخصصا فى الأدب لا فى العلم •• والعالمان الأدبيان كلاهما عضوا فى المجمع اللغوى •

ومنهم أيضا المرحوم الدكتور الدمرداش أحمد وقد كان طبيبا فى نفس الوقت كان يحفظ الآلاف من أبيات الشعر الى جانب قدرة فائقة على التعبير والابانة •

وبعد فما أستطيع أن أتتبع هؤلاء الكبار وانما هو حديث أسوقه بمناسبة ظهور عمل روائى للوزير السعودى الصديق الدكتور محمد عبده يمانى الذى أرسل لى متفضلا عمله هذا • وقد حرصت على قراءته لأسباب كثيرة منها اعجابى بالدكتور يمانى انسانا ومثقفا وصديقا • ومنها حرصى على تتبع الرواية فى العالم العربى • فهى تعتبر فى كثير من الدول العربية فنا وافدا دخيلا على التراث العربى الذى لم يعرف الا الشعر والخطب والرسائل والتوقيعات •

وما روى فيه من قصص كانت أقرب الى التاريخ منها الى الابداع • وان كان بعض المؤرخين قد زوروا هذا التاريخ أو زوقوه فما الى القصة الحديثة نظروا وانما كانوا يريدون بتزويرهم أو تزويقهم أن يثيروا دهشة المستمع وعجبه لعلهم ينالون بهذا العجب شيئا من الاعجاب •

فالقصة اذن فى شكلها الذى نعرفه ليست منتشرة فى العالم العربى فلم يكن غريبا ان أرى مصيرها على يد الوزير المثقف الذى يحب الرواية والقصة والذى درس قواعدها وأصولها •

والكتاب يحتوى على روايتين صغيرتين قد تبدو الرواية الأولى سيرة ذاتية وأنا شخصيا لا أميل لهذا الرأى فأنا أعتبر العمل سيرة ذاتية فى حالة واحدة وهى حين يكلمنى الكاتب باسمه السافر لا يستره باسم أخرى أو اشارة غير صريحة لنفسه فأنا أعتبر أيام أستاذنا الدكتور طه حسين رواية كاملة تصور صراع الانسان للحياة ولما تحاول أن تفرضه عليه •

وكذلك اعتبر رواية اليد السفلى رواية كاملة الأركان وان كان المؤلف يتدخل فى الرواية ويسفر عن نفسه فى كثير من الأحيان بابداء الرأى والتعليق فالرواية الحديثة أصبحت تجيز هذا بل ان الرواية الحديثة أصبحت ترى فى التحقيق الصحفى رواية أيضا •

والواقع ان المؤلف يبدو على وعى بهذا جميعه • ولكن الذى قد لا يدريه المؤلف لأنه واتاه عن طبيعة صادقة لا عن تكلف هو هذه النضارة

التى يعبق بها اسلوبه وعرضه الفنى . وقد وفق أيضا فى اشاعة التشويق والجاذبية بطريقة آخاذة وبأصالة تتضح عن قصاص مطبوع .

وانى لا هنىء الوزير القصاص بهذا العمل وانى لا هنىء القصة بميادينها الجديدة التى بدأت تنفسح لها فى العالم العربى الأمر الذى يجعلنا نطمئن انه لن يمر كثير وقت حتى نحس القصة انها بين التراث العربى فى بيتها ليست ضيفة عليه ولا دخيلة على صرحه العريق .

خلق غير مألوف

حين تقدم الرئيس الأمريكى جيمى كارتر للانتخابات لم يكن يملك بين يديه شيئا يقدمه الى الشعب الأمريكى لينتخبه . أو على الأقل لم يكن يملك شيئا مألوفا للناخبين . فقد تعود سابقوه من الرؤساء أن يقدموا ماضيا لهم أن يقدموا وعودا اقتصادية أو سياسية ثم يقوم الحزب الذى ينتمى اليه المرشح للرئاسة بالعبء كله من دعاية انتخابية لها صناعها ومحترفوها وهى دعاية درست نفس الشعب الأمريكى من كل جوانبه وعرفت كيف تخاطب كل خلجة من هذه الجوانب . وجاء هذا المرشح كارتر وتقدم بشىء واحد . لم يكن معروفا ولا مسموعا به فى كل الدعايات الانتخابية التى سبقته وهو مع ذلك قدم كل المثل العليا التى وجدت فى الحياة .. كان معروفا معانى مبهمة ثم جاءت الأديان السماوية ففصلتها ودعمت أركانها وثبتت وطائدها .

قال جيمى كارتر « الشرف » .. قال لا ينبغى لدولة عظمى مثل امريكا أن تلجأ لأى سرداب من سراديب السياســة المبهمة التى ترفع الشعارات السامية فى العلن وتحطمها فى الخفاء .

قال المرشح اننى لا أتقدم اليكم الا بكلمة واحدة هى الشرف .. لابد أن تكون أمريكا شريفة فى كل معاملاتها سواء كانت هذه المعاملة مع الأعداء أم مع الأصدقاء .

وانفجرت الكلمة فى ساحات الناخب الأمريكى .. فالكلمة بقدر ما هى قديمة قدم الأديان وما قبل الأديان أصبحت مع تراكمات سياسة النفاق وتزوير الآراء والاعتداء على الحقائق الثابتة جديدة على الأسماع وذات وقع حلو وجذاب فى النفوس .

ونجح كارتر ..

ولكن الدول التى نشأت وربت فى ظل السياسات القديمة حسبت أن شعار الرئيس الجديد ما هو الا شعار انتخابات لن يلبث أن تأكله السياسة وتفترسه ويضطر الرئيس بعد أن أصبح رئيسا لا مجرد مرشح أن يلتوى بالطريق ويحاذر الشرف ويباعد بينه وبين الحق .

فان هذه الدول تخرجت فى مدارس سياسية كانت القاعدة الأولى فيها أن من يريد أن يكون سياسيا فحتم عليه كل الحتم أن يقضى على

الشرف كل الفضاء • وكان الأساس فى هذه المعاهد أن المرشح السياسى يباح له أن يتكلم عن الشرف كما يشاء وهو مرشح حتى اذا بلغ الكرسى الذى رشح نفسه له أصبح محرما عليه كل التحريم أن يفكر فى هذا الشرف الذى كان يدعو اليه •

وعلى هذا الأساس دخلت اسرائيل المفاوضات • وعلى هذا الأساس أيضا وقعت اتفاقيتى كامب ديفيد وعلى هذا الأساس بذل زعماؤها من الوعود ما حلا لهم أن يبذلوا معتمدين دائما أنهم عند التنفيذ سينكرون كل الذى قالوه وانهم سيجدون رئيس أكبر دولة فى التاريخ ظهيرا لهم وسندا وكيف يخطر لهم أن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية سيقول الحق كل الحق ولا شىء غير الحق •

لم يفكر واحد منهم لحظة أن الرئيس الأمريكى حين رفع شعار الشرف كان جادا فى رفعه وانه سيلتزم به وانه سيؤيد الدولة الشريفة لا الدولة الصديقة •

لم يتصور أحد أن الرئيس الأمريكى حين رأى مصر على حق وانها وعدت ثم وقفت فى أمانة الى جانب وعدها وحين رأى اسرائيل على باطل وانها تبذل الوعد وهى فى الوقت نفسه تبحث لنفسها عن الطريق الذى سيمهد لها أن تخلف وعدها •

أعلن على الملأ •• ان اسرائيل وحدها هى المسئولة عن العقبات التى تقف أمام السلام •

وأحس الشعب الأمريكى أن رئيسه شريف فها هوذا يقول كلمة الحق ضد دولة يعتبرها الكثيرون الولاية الثانية والخمسين من الولايات المتحدة الأمريكية •

ويقف زعيم الأغلبية البرلمانية فيؤيد موقف مصر ويرفض موقف اسرائيل ويشير فى وضوح أن موقفها هذا سيكون له أثر كبير فى المعونات الأمريكية والمعونات الأمريكية هى الأساس الأول فى الميزانية الاسرائيلية •

كان الشرف غريبا على العصر ثم وجد مرفأ له فى أكبر دولة عرفها التاريخ وزلزلت اسرائيل واندكت كل الصروح التى أقامتها على أسس السياسة القديمة البعيدة عن الشرف •

واليوم نحن نعلم أن الصلح سيتم وأن السلام سيسود هذه المنطقة رضى ساسة اسرائيل الحاليون أم أبوا ولكن كم كنا نرجو أن يتم بين

ساسة مقبلين عليه لأنه الأساس الطبيعى للحياة بدلا من أن يتم بين طرفين أحدهما شريف يسعى الى السلام لأنه القوام الطبيعى للحياة وطرف آخر يرغم عليه ارغاما ويدفع اليه دفعا . فليس السلام وثيقة وانما هو خلق وسلوك فكيف نأمنهم فى الغد اذا كانوا يبدأون خطواتهم الأولى بهذه المراوغة وهذا الخداع . أفقد الاسرائيليون ذكاءهم حتى أصبحوا لا يدركون الأهمية الكبرى التى يعلقها العالم على السلام بيننا .. اليس فيهم من يدل ساستهم الى الطريق أم تراهم جميعا قد ضلوا الطريق ؟

▫ المقـــالات

١٩٧٩

عظيمـــان

كان عمر بن الخطاب جالســـا للقضـــاء بين الناس وبجانبه على ابن أبى طالب ٠

أما عمر بن الخطاب فهو الخليفة الثانى الذى أوصى أبو بكر به ليكون خليفة بعده ولذلك كان الناس يقولون خليفة خليفة رســول الله ولكنهم رأوا أن يلقبوه أمير المؤمنين فكان أول من حمل هذا اللقب ٠

وعمر بن الخطاب من أعظم رجال الاسلام قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم لم تطلع الشمس على خير من عمر بن الخطاب ٠

وحين حكم أصبح اسمه عنوانا على العدل فى أعظم صوره وأرفع معانيه وما زال اسم عمر حتى الآن مضرب الأمثال فى العدل وشرف الحكم والتنزه عن كل ما يصيب الرجال العظماء ٠

أما على بن أبى طالب فهو ابن عم النبى وقد رباه النبى عليه الصلاة والسلام فهو أول طفل فى الاســلام ولذلك فهو لم يعبد الأصـــنام فى حياته قط ٠

وحين تآمر أعداء النبى عليه فى ليلة هجرته الى المدينـة نام على ابن أبى طالب فى فراشه ليفديه بروحه ولولا أن المشركين كشفوا عن وجهه قبل أن ينزلوا بسيوفهم عليه لقتل وهو فى طفولته الباكرة ٠

وقد ظل على من أشجع شجعان العرب ومن أعلمهم بـلاغة وحفظا للقرآن ٠

فى ذلك اليوم كان عمر أميرا للمؤمنين وكان جالسا وبجانبه على ابن أبى طالب وآخرون وجاء رجل من اليهود الى عمر فقال له انى أشكو اليك هذا الرجل وأشار الى على بن أبى طالب فربت عمر كتف على وقال له ٠

قم يا أبا الحسن فأجلس الى جانب خصمك (أبو الحسن هو على بن أبى طالب) فقام على وقد ظهر الامتعاض على وجهه وجلس الى جانب خصمه وسمع عمر القضية وحكم فيها وانصرف خصم على وعاد على الى مجلسه بجانب عمر ٠ فربت عمر كتفه مرة أخرى وساله فى حب :

ـ أزعلت لأننى طلبت منك أن تجلس الى جانب خصمك فقال على ٠

ـ لا ٠٠٠ ولكنى زعلت لأنك قلت يا أبا الحسن وفى هذا النداء رفع للكلفة بينك وبينى وتكريم لى ولم يكن الوقت مناسبا للتكريم وأنا خصم فى قضية قد أكون ظالما فيها فقال عمر والدموع فى عينيه ٠

ـ ليس ما أسمعه غريبا من أول طفل نشأ وتربى فى أحضان سيد البشر ٠٠٠ اغفر لى خطأى يا ابن عم رسول الله ٠

اللغة فى القضية والرواية
رؤية وليست بحثـا

كانت اللغة العربية قبل ظهور عمالقة الأدب الحديث هى الوسـيلة والغاية وكان الكتاب يضعون جمال اللغة فى المقام الأول ثم ليس يهم من بعد أن كانوا قد قالوا شيئا فيه بحث وأصالة أو لم يقولوا فحين جـاء رعيل النهضة بعباقرته الكبار تغيرت موازين الأدب وأصبحت اللغـة أداة لا غاية ولكنهم مع ذلك حرصوا على جمالها وسلامتها ٠

فطه حسين الذى أدخل أصول النقد الحديث فى الأدب العـربى والذى أصل الدراسات الأدبية على القواعد الفلسفية الغربية والذى كتب فى كل ألوان الرواية كان يكتب بأسلوب موسيقى رفيع وفى ألفاظ منتقاه شريفة تقع من الأذن والنفس أحسن موقع ٠ والعقاد ذلك العملاق السامق كان حريصا فى كتابته أن تؤدى كل لفظة المعنى المطلوب منها فى تحديد واضح وكأنها ثوب مفصل على المعنى أدق تفصيل وأحسنه فلا هى واسعة فضفاضة تلم فى طواياها معانى أخرى ولا هى ضيقة حرجة تخنق المعنى وتعوقه عن الانطلاق ٠ والغريب انه نهج هذا النهج فى الشعر أيضا جامعا فى شعره بين العقل وتأمله وبين المشاعر وسموها ٠

وكتب هيكل روائعه الخالدة فاذا هو يطلق أسلوبه سهلا ميسـورا جاريا فى لقاء رقراق وفى عفة شفيفة بلورية ٠

واهتم أستاذنا توفيق الحكيم بقضـية اللغة اهتماما كبيرا فكتب مسرحه بتلك اللغة السهلة الغريبة التى يظنها القارىء عامية وهى عربية وعمد الى تجارب خاصة فى الحوار اللغوى مثل هذا النهج الذى انتهجه فى مسرحية الورطة ٠ وهذه اللغة يظنها السذج سهلة ميسرة لكل من يمسك القلم بينما هى فى الحقيقة من أصعب أنواع الأساليب وأشدها عنتا وارهاقا للكاتب ولا يستطيع الكاتب أن يكتب بهـا اذا لم يكن على ثـروة لغوية باذخـة ٠

وكذلك اهتم تيمور بقضية اللغة بطريق آخر فمع انه بدأ حياته راصدا قلمه للقصة دون كبير عناية بلغتها حتى لقد كتب بعض رواياته باللغـة السامية اذا هو يعود الى اللغة الأصيلة فى اصرار عليها وتمسـك بهـا

ويزداد حرصه على اللغة العربية السليمة فيتوفر على جمع ألفاظ الحضارة محاولا أن يجعل لكل جديد من مخترعات العلم اسما عربيا · وأذكر اننى كثيرا ما ناقشته فى هذا الجهـــد وكانت حجتى عنده أن هذه المخترعات لو وجدت فى الجاهلية لظلت باسمها الذى اخترعت به والدليل على ذلك الألفاظ الفارسية الكثيرة التى دخلت اللغة العربية وأصبحت جزءا منها مثل سندس واستبرق ومثل الفنجان والكنكة والارابزين والفســـتان والبستان ولكنه لم يكن ليقتنع بهذه الحجة وظل يوالى جهده ·

ولعله من المناسب ان أذكر هنا حوارا دار بينى وبين أحد القراء حين كتبت مرة أن القرآن استعمل ألفاظا فارسية الأصل فاذا بخطاب يصل الى فيه أن القرآن عربى بنص القرآن وذكرنى بآيات كثيرة منهـــا الآية الكريمة السامقة : « ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر · لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين » ولقد فات صاحب الخطاب اننى لم أقصد مطلقا القول أن القرآن غير عربى — لا قدر الله — وانما أقصد أن هذه الألفاظ الفارسية التى دخلت الى اللغة العربية أصبحت عربية وان كانت من أصول أعجمية شأنها شأن الناس فى كل أنحاء العالم ·

وحتى نعود الى ما كنا بصدده نكمل الكلام عن هذا الرعيل وصلته باللغة العربية ونترك مصر فنجد الأدباء فى أنحاء الوطن العربى جميعا نهجوا هذا المنهج وحسبك أن تذكر ميخائيل نعيمة واسعاف النشاشيبى وجبران خليل جبران · فهذا الرعيل اذن حافظ على اللغة الرائعة انما لم يجعلها هدفا ·· كانت وسيلة ولكن هذا لم يمنعه من تجميل الوسيلة فيما يصل الى حيث يحب أن يصل من نفس قارئه وعقله وقلبه ·

وجاء الجيل الثانى وحاول أن يحافظ على اللغة ولكن محاولتـــه لم تكن فى جمال جيل الرواد وان كنا لا نستطيع أن ننسى محمد عبد الحليم عبد الله وعبد الرحمن الشرقاوى كما لا نستطيع أبدا أن نغفـــل اللغـــة الجديدة التى ابتكرها العملاق نجيب محفوظ للرواية فقد جعل الاسلوب العربى يخدم الرواية بحيث يماشيها مماشاة اللون للون فهو يصف حينا فاذا هو يختار أرق اللفظ وأحلاه لأن ما يصفه حلو ورقيق أو يصف حينا آخر فاذا الأسلوب قاتم لاشفافية فيه لأن ما يصفه قاتم بلا شفافية وهكذا أكمل نجيب فضله على الرواية العربية لا فى البناء فقط وانما أيضـــا بالاسلوب الذى يقيم به هذا البناء ·

وجاء الجيل الثالث الذى أجـــد نفسى واحدا منه وما أحسب اننى سأكون متجنيا اذا قلت أن بعض جيلنا اهتم باللغة وعاناها وكانت تشكل عنده جزءا عضويا من العمل الفنى ولعل فتحى غانم يمثل هذا الاتجـــاه

أحسن تمثيل ولكن يؤسفني كل الأسف أن بعض كتاب جيلى هذا وقفوا من اللغة موقفا عدائيا معلنين أنهم فنانون وليسوا معلمى لغة وكأنما الفن الأدبى يمشى فى طريق بعيد عن طريق اللغة أو كأنما الفن الأدبى شئ مجرد بلا مقومات من أسلوب قوامه اللغة ومن بناء عمادة اللغة • فقد تكون اللغة علما ولكنه علم لا يستغنى الأديب عنه فالملحن لا يستطيع أن يستغنى عن أدوات العزف فبغيرها لن يستقيم له لحن ولما كان الانسان بطبيعته يميل الى الأسهل فقد اختار كثير من شباب الجيل الرابع أن يغمضوا عينهم عن اللغة تماما فاذا بقصصهم تصبح لقيطة لا نعرف لها أصلا تنتسب اليه •

وقد يختار بعض منهم تلك الجمل القصيرة ليعبر بها عن قصته • وهذا الاسلوب نفسه لا عيب فيه ولا ضير عليه فهو يتمثل فى جمل حاسمة حادة باترة تجعل السرد حيا تتواكب فيه الومضات السريعة لتكون آخر الأمر ضياء •

ولكن هذا الاسلوب يحتاج الى ثراء لفظى كبير وحسبك أن تقرأ نجيب محفوظ وهو يستعمل هذا الاسلوب فى بعض قصصه القصيرة لتعرف أن هذا الاسلوب يستطيع أن يكون شامخا ضخما • فاللفظة فيه تؤدى وظيفة جملة أو لعلها أحيانا تؤدى وظائف جمل كثيرة ولن يتأتى هذا لكاتب الا اذا كانت ثروته اللغوية واللفظية ضخمة كما ينبغى له أن يكون حسه اللغوى مكتملا شفافا يدرك أعماق المعنى فى الكلمة كما يدرك كل الاشعاعات التى تصدر عن اللفظ •

فلا ضير على جيل الشباب أن يستعمل هذا الاسلوب وانما لابد له أن يوفر له أمرين الأمر الأول أن تكون القصة التى تروى محتملة لهذا الاسلوب متوافقة مع حزم الجمل وحدتها والأمر الثانى أن يكون الكاتب مدركا لموقع الكلمة التى يستعملها وأعماقها •

وان كان بعض النقاد الكبار قد بذلوا غاية جهدهم ليلغوا الأدب العربى ويقيموا بدلا منه مسخا من أدب لا نعرف له أصلا يبصبص للأدب الانجليزى ويتقافز على الأدب الفرنسى ويتكئ على الأدب السوفيتى ويرفض الساحة العربية فاننا نعذر بعض الشباب الذين تابعوا المزمار الأجنبى متابعة الفيران الى بركة يغرقون فيها ولكن تمهيد العذر لهم لا يرفع عن كاهلهم عبء القيام بواجبهم كأدباء عرب لا مكان لهم الا فى الأدب العربى •

لهم أن ينظروا الى كل آداب العالم ولكن ليفيدوا بها أدبهم ولينشئوا آخر الأمر أدبا عربيا خالصا فى لغته وفى شكله وفى مضمونه جميعا . فهم لن يبلغوا فى أدب آخر ما يقدر لهم أن يبلغوه فى أدبهم فلكل أدب كتاب والعالم فى غير حاجة الى أجانب ليقتحموا عليهم آدابهم والعالم حين يقرأ ما يترجم لنا انما يقرأنا على اننا كتاب مصريون فان وسعوا حولنا الوطن فعلى اننا كتاب عرب هكذا خلقنا وبهذا الذى خلقنا عليه نحن معتزون ولانريد عنه منصرفا ولا نبغى عنه حولا والحمد لله على هذا غاية الحمد وأكمله .

لن يزدادوا الا تألقا وشموخا !

شاهدت منذ أيام قليلة فى التليفزيون تمثيلية عن حياة بيرم التونسى وهى تمثيلية جيدة لم يحاول مؤلفها أن يخادع الحق أو يبالغ تلك المبالغات السخيفة التى تفقد العمل الفنى رونقه ·

لكن العجيب أن المؤلف هاجم شاعر النيل حافظ هجوما صـــارخا ولمس شوقى من بعيد لمسا لا داعى له ولست أدرى لماذا يتحتم على من يحب بيرم ويعجب به أن يهاجم حافظ وشوقى ؟ اننى أذكر أن بيرم قال لى مرة ان شوقى وضخامته هى التى جعلته يترك الشعر الى الزجل !

وشيء آخر : ما هذا الاصرار على تسمية الزجل شعرا ومن قال ان الزجل تهمة ولماذا يحاول بعض الزجالين أن ينفى عن نفســه هذه الصفة مع أنها تحمل نفس الشرف الذى يحمله لقب شاعر ؟

الا يدرون أنهم بمحاولتهم الفرار من كلمة « زجال » يجعلون منها تهمة ينبغى الفرار منها ؟

لقد تألمت لما لحق شوقى وحافظ على يد المؤلف وأحســـب أنه كان يجدر به أن يدرك أن مثل هؤلاء سيظلون فى المكانة التى رفعهـــا اليهم شعرهم ولو ألفت آلاف التمثيليات من أجل الغض من شأن أى منهما !

ونظرة الى جهد الشيوعية فى محاولة تحطيم القيم وفشلها فى ذلك يؤكد هذا الذى أذهب اليه !

● **تعقيب على التعقيب**

أصالة ٠٠ أو لا أصالة

كان رد الأستاذ الفارس عبارة عن فهرست بأسماء شعراء كتبوا فى الشعر الحديث والحقيقه أنه بهذا الفهرست قد جمع الشعراء وقراءهم فى وقت معا ! فالشعر الحديث مع طول الطريق الذى قطعه لم يستطع أن يكون له جمهور وانما الذى تحمس له هو الذى لم يستطع أن يكتب الشعر الأصيل وكتب فى الشعر الحديث فأصبحت القضية ان الشعر الحديث له شعراء وليس له قراء ٠٠ ونحن حين نقول ان الأستاذ توفيق الحكيم استوحى القرآن الكريم لا نخلط بين الدين الأدب وانما نؤصل الأدب فى جذوره العربية ، بينما جنح الشعر الحديث بشعرائه الذين ذكرتهم الى جوانح شتى لايتصل منها سبب بالتراث العربى ، ولذلك أصبحوا أغرابا عن قرائهم وعن بلادهم وعن لغتهم وعن موسيقاهم الشعرية أيضا ٠٠

ولذلك قبلنا روايات الشرقاوى وعبد الصبور واعتبرناها من تراثنا الأدبى ، فليست القضية اذن أحزابا شعرية وانما القضية أصالة أو لا أصالة ونحن حين ننادى بالأصالة ، لانقف جامدين مع أدبنا العربى ، وانما نصمم على أن يكون لأدبنا معالمه الخاصة به شأن كل أدب فى العالم ٠

فليبحثوا عن طريق آخـر

ليس عجيبا ان تلجأ اسرائيل الى كل وسيلة لتحيط بخصومها وتقطع ما بينهم وبين الدول المتحضرة التى أصبح الرأى العام فيها فى صـــالح مصر ووجهة النظر العربية الأمر الذى ظلت اسرائيل تحول دون العرب ودونه عمرها كله حتى استطاعت أن تجعل العالم الغربى كله وبعض دول من الكتلة الشرقية تقف الى جانبها لا برأى الحكومات فحسب وانما بالرأى العام فى جميع هذه الدول • وكان العرب بسياستهم يساعدون اسرائيل فى سعيها بشتى وسائل ومختلف أساليب ، فيقف خطباؤهم يجأرون بأعلى أصواتهم ـ وان أصواتهم لجهيرة ـ سنقذف باسرائيل الى البحر سنقتلها •

ويثورالرأى العام العالمى علينا ونصبح عندهم صورة من البغض والكراهية والمقت •

ثم تأتى حرب فاذا الأصوات المائجة بالبطولة تختفى مذعورة لا هم لها الا الفرار •

وننهزم هزائم لاشك فى أمرها ولا شبهة ولكن ما ان ينحسر غبار الحرب • حتى تعود الخطب فصائت يقتل وهاتف يدمر وآخر يتوعد • وتتكرر المأساة •

ونخسر نحن العرب قيمتنا محاربين ونخسر شعور الناس متحدثين وساسة ونصبح عند هذه الدول المتحضرة تخلفا وبربرية واضحوكة ودمى هازلة والعالم المتحضر لم يستطع أن يتخلص بعـد من شعور الاعجـاب بالمنتصر فى الحرب •• بقية من الانسان الأول لم تزايل الانسان الأخير •

فلم يكن عجيبا ان يذهل العالم لأبنائنا وأخوتنا يخوضـــون حرب أكتوبر ويعبرون حاجزا مائيا من أوسع الحواجز المائية التى يعرفها تاريخ الحروب ثم يعتلون سدا شاهقا بنته عقول تأخذ بأحدث النظريات فى الحرب ويسقط بارليف وينتصر العرب لأول مرة فى التاريخ الحديث وتبدأ الشعوب المتحضرة فى الاعتراف بنا دولا لها وزنها الحضارى •

وتكون المبادرة ثم كامب ديفيد •

فنحن لسنا محاربين فقط وانما نحن أيضا ساســـة من الطراز الأول •• بل نحن ساسة من الرواد الذين يبتكرون فى فن السياسة ما لم

تكن تعرفه • ويدرك العالم ان ساستنا وما قاموا به فى هذه الفترة التى أعقبت الحرب يعلمون العالم كيف تكون السـياسة وكيف يقبل المنتصر السلام لأنه واثق غير ذليل ولا خانع ولا هو مغلوب على أمـره ، وتنقلب موازين اسرائيل جميعا وتخرج الاستفتاءات الشعبية فى العالم الأوربى جميعها فى غير صالحها وترى رأى عين أن هزيمتها فى أكتـوبر لم تكن الا بداية لهزائم أشد فى ميادين السياسة والرأى العام • ويضطر قادتها اضطرارا ان يوقعوا كامب ديفيد وهم كارهون حتى اذا بدأت المفاوضات المكملة للاتفاقيات راحوا يتماحكون ويتحملون ويتسقطون أسباب النكوص • ويحاولون بكل الوسائل ان يصـلوا من قلوب الشعوب الى المكانة التى كانوا يشغلونها ولكن الشعوب عرفت حقيقتهم وهيهات ان تخادع شعوب الأرض ويطول بك الزمن فى هذا الخداع •

ولما كان الصهاينة هم أخبر الناس فى فن المماكسة والتحايل والدوران حول السدود فقد سلطوا على العرب اليـوم دعاية جديدة • واتخذوا من أحداث ايران وسيلة لهم لاشعال هذه الدعاية •

فاذا مقالات فى الصحف الغربية ان الاسـلام عاد الى السيطرة على عقول الشعوب الاسلامية وان هذه الشعوب تقدح شرر الدين والويـل للعالم غير المسلم اذا انتصر الاسلام •

ومع اننى واثق ان هذه الدعاية رخيصة وانها موجهة الى قوم يرفضون ان يخدعوا بالدين الا أننى رأيت انه ينبغى علينا نحن الكتاب فى العالم العربى مسلمين وغير مسلمين ان نحطم هذه الدعوى الرخيصة التى يريد اليهود ان ينشروها عنا •

فالمسيحيون يعرفون انه ليس هناك دين أشد تسامحـا من الدين الاسلامى فى قبول الأديان الأخرى والاعتراف بها حتى ليأمرنا القرآن ان نصلى ونسلم على كل الأنبياء •

ونحن فى مصر نعايش اخواننا المسيحيين سنوات جاوزت الألف والثلاثمائة بسنوات •

وعلى كل حال فالدعوى بأن الاسـلام عاد الى السيطرة على عقول الشعوب دعوى ساقطة من أساسها • فالاسلام لم يسقط ولم يضمر فى نفوس المسلمين وان كان المسلمون قد ضمروا وانكمشوا بعض الحين •

وحين تسلط الطغيان على الشعوب المسلمة لم يكن الاسلام غائبا عن نفوس الشعب وان غاب عن نفوس الحكام •

لأن الاسلام ينصف الشعب من الحاكم وينقذ الانســـان من طغيان الانسان • ففى كل الفترة التى تسلط فيها الطغيان على الشعوب الاسلامية ظـــل الاســـــلام قويا أقوى ما يـكون فى نفوس المسلمين المطحونين بحكم الطغاة • فما كان لهم ملجأ فى أيام المقت هذه الا ايمانهم تعلقوا به •• وتعلق المسيحيون بأحكام المسيح ، فالايمان ينتعش عند البلاء لأنه الملجأ والملاذ ••

والشعوب الاسلامية التى يسومها بعض حكامها اليـوم الخسف والهوان والتى يحاول الطغاة فيها ان يحولوا بين الشعب وبين ايمانه هى فى فترة من أزهى فترات الايمان وان كان السطح الذى يرسمه الحاكم بعيدا عن أمن الدين وعدله والمساواة فيه بين الناس جميعا •

فان تكن بعض الدول الاسلامية قد هزمت فى فترة من الفترات فان الاسلام لم ينهزم أبدا فى نفوس شعوب هذه الدول • فالدولة كشخص معنوى محكوم بالعسف والظلم والطغيان قد تنهزم ولكن كل فرد من أفراد الشعب فى هذه الدول حر فى داخله لأن الطغيان لايصل الى خافية النفوس وفى هذه الخافية من النفوس عند أفراد الشعب كان الايمان دائما منتصرا وكان الاسلام دائما فى قمته • واليهود أول من يعرفون ان الاسلام ولد عملاقا وانه كدين ظل فى النفوس عملاقا •

واليهود يعرفون ان السيف فى الاسلام يفتح البلاد ولكن السيف فى الاسلام لم يفرض الدين على من لايريد الدخول فيه •

واليهود يعرفون ان عمر قال لعمرو بن العاص حين شكا اليه من كثرة الداخلين فى الاسلام وكيف يؤثر ذلك على مال الجزية « بعثنا هداة لاجباة »

فالاسلام اذا لم يفرض فرضا على شعوب الدول التى فتحها ودليل ذلك قائم لايحتاج الى اثارة •

وان كانت ايران اليوم مضطربة تتمازج الأصـــوات فيها وتختلط الآراء الا ان ايران مسلمة منذ ألف عام ونيف وكل الذين فيها مسلمون لا تختلف فئة عن فئة ولا حزب عن حزب الا ذلك الحزب الهزيل الضامر الذى يزداد مع الأيام ضمورا والذى لايؤمن بالدين ولا بالله والذى لا أحب ان أخط حروفه فالوصف فى شأنه يغنى عن ذكره والبعد عن اسمه فرصة أحب ان انتهزها •

فليحاول اليهود ان يوقعوا بيننا وبين الشعوب المتحضرة بكل سبيل ولكن عليهم ان يثقوا ان سبيل الدين منيع دون كيدهم فليميلوا عنه الى غيره فهذا لهم أجدى ولتحايلهم أنفع •

دمعة ولكنها لا تفيد

زرت سوريا فى عام ٥٩ ضمن وفد من الأدباء والفنانين وراحـــوا يطوفون بنا أنحاء سوريا وفى رحلة هناك ذهبوا بنـــا الى سفر بعيد ثم أخذت السيارة تصعد بنا جبلا ينأى بجانبه عن الحياة فهو أشبه بعجوز متبتل يقف شامخا ولكن فريدا وحيدا لا تؤنس وحشته جبـــال حوله أو هضاب وانما هى الطبيعة الجرداء الموحشة · وصعدت بنا السيارة فى عنـــاء الى أعلى الجبل فاذا مطعم هزيل يربض هنـــاك خجلا يملكه ويديره ويعمل به وحده رجل مكتمل السن وراح يطوف بنا الرجل بما طلبنا وأغلب الأمر بأنه سمع لقبى ينادينى به زميل من زملاء الرحلة · فاذا هو يترك الجميع ويتجه الى ·· أتعـــرف فكرى أباظة ·· قلت فى مكان عمى ·· أنا لا أطلب من الجرائد والمجلات الا المصور لاقرأ فكرى أباظـــة وطفرت الدموع الى عينى ·· كيف استطاع عمى فكرى أن يصل الى هذا الجانب البعيد عن الحياة على قمة الجبل الموحش فى تيه أجرد من الحياة ·

ولكن ما لبث أن عادت الى نفسى فمثله فعلا ينبغى ان يذكـــر فوق الجبـــال ·

فهو فنون شتى فى رجل واحد ورجال عمالقة كثيرون فى كيان انسان وقلوب متألفة متحابة متكاثرة فى قلب ملاك ·

واذا كان القراء والمستمعون والأصدقاء والمنتديات والأعضاء يبكونه الآن فليبكوا أيضا من أجلنا ·

فقد كتب علينا نحن أبناء هذه العائلة أن يموت لنا اباء على مر الحياة وموت الأب الواحد مرة يزلزل الأبناء زلزالا مفزعا يلازمه الى آخر العمر فكيف بنا نحن حين تهدم بموت أبينا وتنهدم معه حياتنا ثم يتمثل لنا الأب مرة أخرى فى كبير آخر نتخذه أبا فيقتطفه الموت فنهدم مرة أخرى وتظل بنا الحياة نتفرد فيها بموت كبير لنا فى كل يوم وتهدم وتنهـــار ثم اذا تماسكت بنا الحياة وكدنا نفيق عاجلنا الموت مرة أخـــرى فنموت فى كبارنا مرات ومرات ··

وفكرى أباظة الذى يرحل اليوم عنا لم يترك ولدا ولكنه تركنا جميعا وترك معنا قبسة من حب فى نفس كل انسان وشعلة من وطنية فى قلب كل مصرى • وبسمة من ذكاء على شفتى كل عربى فهل ترانا نستطيع أن نجد العزاء فى أخوتنا هؤلاء من قبسة الحب وشعلة الوطنيـــة وبسمة ذكاء • لا أظن •

فليمض عام

أو فلتمض أعوام وما السنوات وماذا تراها فاعلة بحزن من فقدوك ٠٠ أما أنـــا ٠٠ فلا وحقك ما ضعف حزنى وما وهن ولا أكذبك ٠٠ فانا لم أكذبك فى حياتك حتى أكذبك اليوم ٠٠ لقد زاد حزنى ٠٠ والمصيبة انه فى كل يوم يزداد ٠

ولقد عجبت من نفسى ومنك فللأيام على الأحزان سطوة تهد قواها وتدك منهـــا الرواسى الشامخات ٠٠ فمـــا للأيـــام عاجزة عندى أمام الحزن عليك ٠

كان لابد لى أن أنعم النظر وأمعن فى التفكير ٠٠

ولعلى قد اهتديت ٠

لقد كانت ابتسامتك المشرقة المرحة الطروب التى تطل منهـا تلك الشفافية النقية التى لم أر لها مثيلا تلوح دائما أمام عينى أملا عند يأسى ، واعجابا بالبشر اذا كشرت وحوش أخرى بشرية عن أنيـــاب الذئـاب ، وطمأنينة اذا تدافع قلق ، وثقة بالحياة اذا أفقدنى كثير من الناس الثقة بأى شىء ، وكانت ابتسامتك الشفيفة هذه تجعلنى أظن أنه مادام هناك يوسف السباعى فليس ببعيد أن يكون هناك أيضا يوسف آخر وآخر ٠ أو على الأقل أظن أنه ما دام قد وجد يوسف السباعى فأغلب الظن أنه أثر فى آخرين وجعل منهم يوسف ويوسف ويوسف ٠

وحينئذ أحس الحياة جميلة واننى يمكن أن أجد دائما أصدقاء كثيرين منك لأنك أنت بالذات من بين الأصدقاء الذين أثق فيهم وأحبهم وأنزلهم من نفسى منزلتك كنت قطب دائرة واسعة من الناس كنت أراهم جميعا خلت ابتسامتك ومن خلل نقائك ومن وراء شفافيتك ٠

أحمد الله اليك أخى يوسف ٠ أصدقائى الخلص لم يخذلونى فمازلت أحبهم وأعتقد أنهم يحبوننى ٠ وأنى من أجلهم أقبل أن اضطرب فى الحياة وأسعى فى أركانها ٠

ولكنك أنت حين ابتعدت ولم تصبح ابتسامتك ستارا ولم يعد نقاؤك وقاء واعتمت دائرة الشفافية النورانية التى كنت أطل منها على كثيرين ٠٠

حين ابتعدت وفجعتنى فيك الفاجعة وانتظرت الأيام أن تهون راحت الدائرة التى كنت قطبها تتضح جزءا فجزءا ·· هناك حيث لا ابتسامة ليوسف ولا لنقائه أو شفافيته راح الحزن يتولانى فى كل يوم مـــرة أخرى عليك ويزداد ويزداد فلا توهن منه الأيام ولا يضعف مع مرور الزمان وانمــــا يزداد عتيا وعتفوانا وايغالا ·

فأنا اذن ــ كما عهدتنى ــ لا أكذبك الآن كما لم أكذبك أبـــدا · ازداد حزنا عليك وما بغريب أن أزداد حزنا عليك ·

عارضتك مرات ومرات وتغاضبنا فكنت فى أشد أوقات غضبك تقول أنت كأخى · ولم أكن محتاجا منك أن تقولها فالعجيب الذى لم تعـــرفه والذى لم أكن أتصوره أننى كنت أحس الحب فى نبرات صوتك الغاضبة ولهذا لم أكن أعجب لنفسى وأنا أجدها تضحك ولم أكن أعجب أيضا أن أجدك تكلمنى بعد دقائق من مغاضبتنا وكأن لم تكن بيننا منذ هنيهات مغاضبة ونقاش ·

وتغيم الدائرة ·· وأرى الابتسامات ولكنها تنفرج عن أنياب عدو ·· لقد سقطت عنها أقنعة الانسان التى كنت أنت تلقبهـــا على حقائق هذه الدائــرة ·

كم كنت أرجو أن تطرد القاعدة فيهون الحزن عليك بعد عام · ولكنك كما كنت تبتكر فى انسانيتك وفى فنك الأدبى ابتكرت أيضا فى حزنى عليك · فهلا أشفقت بى وسألت من أنت عنده اليوم ولا لايرد لمثلك شفاعة ان يارب لقد أنزلت القضاء ولا راد له فتداركه بلطف فانه لايرجى اللطف الا منك سبحانك ·

غضب الظلوم وعوتب المظلوم

رحم الله عزيز أباظة أودعنا نقل أطال الله حيـــاته فما زال شـعره يسعفنا اذا عزنا القول أو سدت دون أقلامنـــا مسالك الكلام . والظلم اذا طغى أعجز عن الكلام وأقفل لكل منطق طريقا . قال عزيز أباظة .

وبغوا فلما قلت يانفس اصبرى غضب الظلوم وعوتب المظلوم

ولقد قرأت للأستاذ محمود عبد المنعم مراد مقالا غاضبا مزمجرا أن صدر قانون من مجلس الشعب أن ينال اتحاد الكتاب خمسة فى المائة من كتب التراث وهو يخشى أن ينال أستاذنا توفيق الحكيم أو ثروت أباظة مالا على جهد لم يبذله كاتب .

انى مطمئن صـــديقى العتيد القديم الكاتب محمود عبد المنعم مراد ان هذا لن يكون لأســـتاذنا الحكيم ولا لصـــديقك ثروت وانما هو مرصود لمنفعة الكتاب جميعا فى اتحادهم الذى أربى أعضاؤه اليوم على الخمسمائة كاتب ليحقق لهم بعد العنت والجهد والارهاق من الحيـــاة شيئا من أمن النفس وطمأنينة العيش فلا يحيا الفرد منهم فى هلع المرض يصيبه أو يصيب أحدا ممن يعول أو من الشيخوخة تدركه فلا يقوم على كسب العيش . وان كان الأستاذ محمود عبد المنعم مراد قد أصبح اليوم من الناشرين ويحمل قلمهم منذ عرفته فى أربعينات هذا القـــرن كاتبا يحمل آلام الكتاب .

وما خمسة فى المائة يا أخى محمود من ثمن كتب لا يدفع عنها الناشر أجر كاتب وهو يتراوح بين العشرة فى المائة والخمسة والعشرين فى المائة من سعر الغلاف للكتاب الحديث .

وأنت تعلم ــ كما أعلم أنا ــ ان هذا المبلغ لا يشـــكل قيمة عند الناشر وأنت تعلم منذ كنت كاتبا كم اعتصرنا ناشرون كتابا وربمـــا اعتصرت أنت معهم حينا من الدهر وما أظن أن مثلك اذا انتقل الى الجانب الآخر سيقبل لنفسه أن يكون عاصرا .

وأنت تعلم يا أخى محمود أنه ان لم يوجد الكاتب فلن يوجد الناشر وان الكاتب اذا أحس الأمن اطمأن وهدأت به فزعات الحياة فاذا رسا الى

هذا الأمن وتلك الطمأنينة سمق انتاجه واذا سمق انتاجه عاد الكسب الى الناشر ٠

فالكاتب والناشر جناحان لطائر الثقافة ولا بأس على جناح أن يعين جناحا ٠ ولا جناح على الكاتب الحديث ان استمد أمنه ممن خلدوا الثقافة العربية وشارك الناشرين فيما يربحون من كتبهم ٠ فان يكن الكاتب قد أفاد منها علماء فلا بأس عليه أيضا ان يفيد صبابة من مال لا تؤثر في ربح الناشرين زادهم الله ربحا وبارك لهم فيه ٠

أولى بك يا محمود وبنا أن نتكاتف معا لنخلي السبيل أمام الكتاب المصرى لنجد الطريق ميسرا أمامه ان يباع فى سائر العالم ٠ فان العراقيل التى تضعها القوانين تحول بين الكتاب المصرى المنشور فى مصر وبين ميادينه الفساح فى العالم الذى يقرأ العربية مما جعل الناشرين يطبعون كتبنا ويلتهمون السوق التى أقفلناها نحن دون أنفسنا بالقوانين التى تعرقل تصدير الكتاب المصرى ٠

وبدلا ان نتخاصم نحن الكتاب والناشرين حول خمسة فى المائة كنا نظن أنكم ستقدمونها الينا راضين تعال وضع يدك فى يدى لنقترح القوانين الملائمة لانتشار الكتاب المصرى فنحن وأنتم فئتان فرض عليهما القدر ان ترتبط بينهما العرى وتتوثق الصلات وتتوحد أسباب العيش فلو أنكم أحببتم الكتاب بعض حبهم لكم ولو أنكم قدرتم جهدهم بعض تقديرهم لعملكم فى اذاعة ما يكتبون على الناس لما استطاعت خمسة فى المائة أو نسبة مئوية مهما تكن أن تحول بين قلوبنا وقلوبكم ٠

يا أخى محمود أنت تعلم أن جزاء الكاتب الأكبر وأخاف ان أقول الأوحد أن يجد لكلمته عينا وقلبا وأنتم الذين تصلون بين عمل الكاتب وعيون الناس وقلوبهم فالفضل منكم ليس منكورا منا وبقى أن تقولوا أنتم أيضا انه لولا الكاتب وجهده الذى تعرفه أنت حق المعرفة لما وجدتم شيئا تقدمونه الى الناس ٠

فالحب بيننا أولى وهو قائم وسيظل ان شاء الله الى الأبد ٠

والا ٠٠ فبماذا يتاجرون

اللغة السياسية بعيدة كل البعد عن لغة الشعر العـــربى القديم فليس فيها :

ألستم خير من ركب المطايا
وأندى العالمين بطون راح

وليس فيها :

وانا نورد الرايات بيضا
ونصدرهن حمرا قد روينا
اذا بلغ الرضيع لنا فطاما
تخر له الجبابر ساجدينا

هذه الشنشنة وهذا الضجيج اللفظى يرفضه العصر دستورا للحياة وان قبله صياغة عربية ، ولفظا متألقا ، وحماسا ملتهبا فهو يقبله فى ابتسامة ساخرة من المكان الذى يرفع الشاعر اليه نفسه وقومه ٠

السياسة اليوم واقع حى وكسب لابد ان يلتقى به تنازل ولا يملى الشروط الا دولة اكتسحت أخرى أو أوشكت ٠٠ وخرت الأخرى ساجدة تستنبع قطرة من رحمة ٠

ونحن لم نسترد شرف الحرية فى التفاوض الا حين خضنا القتـــال ودككنا بارليف فانئذ حينئذ فقط استطعنا أن نكون أندادا لخصومنا وعلى الذين يتشككون فى هذا أن يلقوا نظرة الى أمريكا ومعاملتها لنا قبل أكتوبر ومعاملتها لنا من بعده ٠

هذه الندية فى المفاوضة التى نجنى ثمارها اليوم ٠

فهل يجهل الرافضة هذا ؟

بل أنى أعتقد أنهم أعلم الناس به وأعتقد كذلك أنهم معذورون فى الجنون الشرس الذى يعروهم كلما اقترب السلام ٠

أن السلام بيننا وبين اسرائيل لايجعل لهم بضاعة فى سوق السياسة الدولية ويقطع على الفئة قاطعة الطريق حجتها فى قطع الطريق فهم معذورون ٠

أن الصلح اذا تم بين مصر واسرائيل سقطت حجة الارهاب المفروض على بعض الدول ٠

وأصبح وجود الطغاة على رأس حكوماتهم عبثا من العبث فهم فى كل يوم يرفعون عقائرهم بالوعود انهم سيحطمون اسرائيل ويمحقون من وراء اسرائيل • واستطاعوا بأصواتهم المرتفعة أن يجعلوا شعوبهم تعيش فى وهم كبير سينتفضون منه على الحقيقة ••

وقد استطاعت ايران ان تزلزل مضاجع الطغاة فالشعب يستطيع أن يكون صانعا لمصيره • والجيوش في آخر الأمـــر وفى أوله جزء من الشعب وهى ترفض أن تدخل فى حرب أهلية خاصة حين تجد ان شعبها على حق وان طغاتها على باطل •

وحتى بعد الثورة فى ايران استطاعت النساء هناك ان تجعل الزعيم الجديد يتراجع وهو بعد مايزال فى زهوة النصر وفى حالات الاعتزاز •

وهذه الدول الرافضة تعلم حق العلم أنهـا بغير مصر لن تستطيع ان تدخل فى حرب الا اذا حاربت بعضها بعضا وهذا فى ذاته أمر ليس ببعيـــــد •

سيحاول حكام سوريا ان يغتصبوا لبنان وسيحاول حكام العراق أن يتـآمروا على حكام ســوريا ويزيدوا النار اشعالا بين شـــمال اليمن وجنوبه •

وهؤلاء الفرسان لا يمتطون خيولهم الا على بعضهم البعض ولا يشهرون سيوفهم الا على العرب •

ويقتل المسلمون فى أثيوبيا بأسلحة روسيا وكوبا فلا يرتفع صوت منهم يدافع عن الاسلام •

ويقتل المسلمون فى أفغانســـتان وفى شتى دول افريقية وغــير افريقية ولكنهم لايوجهون أى اعتراض على هذه الدماء المسفوكة •

ويلوذ لائذهم بالاتحاد السوفيتى ويرتعد من الشيوعيين وتقتـــل العراق منهم عشرات فى حفلات قتل جماعيـة وترفع شــعاراتهم فى نفس الوقت •

ويحاول من يحاول ان يقرب بين طرفى حزب البعث فيزداد النفور بينهمـــا •

وتنظر الى ساحة هؤلاء الرافضين فتجد أشلاء من الآراء تختلط بدماء المسلمين وترى الشيوعيين فى كل البلاد العربية والاسلامية قد أعدوا لكل بلد فلايش تنكر فهم فى العراق وسوريا يعيشون وهم فى ايران مسلمون شيعيون يترقبون كالذئاب ثورة هناك أو اضطرابا فيقفزون على أكتافه

فاما تملكوه واما زادوه اشتعالا . فان لاحت لهم بادرة ضعف أو فرصة تهاون عالنوا بشيوعيتهم فاذا امتد اليهم سوط السلطة تخاذلوا وعادوا الى ملابس من التنكر مفضوحة لايجهل حقيقتها أحـــد . ويظلون كذلك يتربصون بالقومية العربية جميعا وبالدين كل الدين وخاصـــة اسلامنا الكريم حتى ليقفوا فى تبجح على أبواب أرض المسلمين المقدسة لاتردهم الكعبة ولا تدافعهم الرمال القدسية التى أشرق منها الاسلام على العالم أجمع وتصبح اليمن الشيوعية غاضبة ان العون يسعى الى اليمن المسلمة وكأنما أصبح الشيوعيون وحدهم هم الجديرين بالعون تلقيه اليهم بلاد الكفر والالحاد التى تدعو عمال العالم ان يتحدوا فى صـــيحة لاتحمـــل الا معنى واحدا هو أيها الناس خونوا أوطانكم ليكون ولاؤكم لروســـيا وحدها وليس حتى للصين الشيوعية .

هذه هى حال البلاد العربية الرافضة لا يجتمع الصوت منهم الا على مهاجمتنا . ونحن الذين نفهم الواقع التاريخى الذى نعيش فيه ونسعى الى السلام لنرد مصر والدول العربية الى عالم الحضارة الذى أقصتنا عنه حروب متطاولة يمسك بعضها برقاب بعض . لانجرؤ فى غضونها على التفكير فى السلام لأن تفكير المهزوم فى السلام ذلة وخضوع واستسلام . حتى اذا أراد الله لنا ان نسترد كرامتنا بأكتوبر التفت العالم الينـــا وكأنما يلتفت الى عالم جديد عن العالم ووقفت أمريكا الى جانبنا وقد أدركت اننا نستطيع أن نكون قوة تنتصر وتصبر بعد ان ظللنا سنوات هزيمة تنكسر وتولى الأدبار .

واخترق رئيسنا عالم البداوة والجهل والكلام الأجوف وزار القدس فاذا العالم يشرئب الى هذه الحضارة العملاقة الشامخة الضـــاربة الى سبعة آلاف عام من الزمن تعود عملاقة مرة أخرى تعرف كيف تـــكون السياسة وكيف يتصرف الساسة .

ويعلو شأن مصر ويبلغ ذروته فى هذا الأمس القريب حين يسعى الينا رئيس أكبر دولة فى العالم بل وفى التاريخ .

وبعد فاننا حين نوقع الصلح نقوم بعمل تاريخى ندلف به الى الزمن الذى نعيش فيه اليوم وندلف به أيضا الى عالم الغد بعد أن عشنا هذه

الفترة الطويلة فى رجعية الأمس وتأخره ٠

وهؤلاء الرافضون لن يرضوا فلو أن المعاهدة سلمت الجولان الى سوريا والضفة الغربية الى الأردن بل ان المعاهدة لو جعلت اسرائيل تترك لتعود الى اسمها العربى فلسطين مباحة لكل من يريد العودة من الشعب الفلسطينى ٠ فلن يرضى من الرافضين أحد والا فبالله عليك بماذا يخطبون ويصيحون ويشقشقون اذا حلت القضية العربية ٠٠ انهم سيرفضون أن تحل حتى اذا حلت كما يشتهون لأنها بضاعة مربحة يتصايحون فيقبض بعضهم سلطانا ويقبض البعض الآخر مالا ٠٠ فلابد ان تبقى القضية بغير حل ٠

أما نحن فسائرون

الوزير الخدام يستعدى أبناء مصر ضد قائدهم أنور السادات ونحن نريد أن نسأل معالى الوزير عن الأسباب التى تدعو شعبنا الى ذلك ٠

ان كانت هذه الأسباب هى مجرد النصيحة التى تفضلت بها علينا فاسمح لنا يا معالى الوزير ألا نأخذ كلامك قضية مسلمة فالواضح من تصريحات معاليك أنك أكذب من مسيلمة ٠

ولما كنت واحدا من الشعب المصرى فلعله يجمل بى أن أسألك لماذا هذا العداء الذى تطالبنا به من السادات ٠ حكم السادات فأعلن فى بداية حكمه أنه ألغى الحراسات وحين شعرت بقايا الطغيان أن الشعب سيقارن عهدا بعهد وظلما بعدل ورعبا وارهابا بأمن وطمأنينة ٠ تألبت كواسرهم تجمعوا بليل وبيتوا الغدر والوسائل فى يدهم يؤازر بعضهم بعضا وتؤازر قوة منها قوة ٠ كانت فى يدهم رئاسة الجيش والتحكم فى الشرطة وقيادة الاعلام ٠ ولم يكن مع السادات الا الله الذى يكره الظلم ويحب العدل ٠ كما كان من ضمير الشعب وارادته وانتصر السادات وقضى على كل ما كان يفزع أمن المصريين بالاعتداء على الأعراض والأرواح والنفوس البشرية وطمأنينتها بله أملها وتطلعها الى الغد ٠

وعاد الى مصر نوع من الأمان لم تعهده طوال فترة الحكم السابق فلم يكن غريبا أن يحس جيشها أن مصر أصبحت ملكا ٠ فحقق معجزة الانتصار فى أكتوبر رمضان وكنتم أنتم على الجناح الآخر يامعالى الوزير تتراجعون حين نتقدم نحن وتنكصون حين نندفع نحن ٠ وحين أحسسنا بما أنتم فيه تواكبت منا كوكبات وفرق تساندكم وتقف الى جانبكم وربما كانت هذه المساندة ـ والله أعلم ـ هى السبب الذى فتح تلك الثغرة التى يحاول الخونة من العرب أن يغضوا بها من نصرنا ٠

ولكننا مع ذلك انتصرنا ولست أعنى بما يهمهم به اتباع موسكو أو آكلوا العظام البشرية من عهد الطاغية ومراكز القوى ٠٠ بل انى لست أعنى بالمماليك المهازيل من أبطال الحديث جرذان الحروب ٠٠

لست أعنى بذلك وكل ما عندى فى اجابة صدورهم الموغورة أن يلقوا نظرة الى اسرائيل وساستها وشعبها قبل أكتوبر ـ رمضان وبعد هذا التاريخ ٠

ثم يا سيدى الوزير عرف الرئيس السادات أن النصر في ذاته ليس غاية وانما هو وسيلة لغاية فسعى الى السلام لينهى بذلك حروب ثلاثين عاما مدركا ما تدركونه أنتم وما يدركه كل فلسطينى أن اسرائيل وجدت لتبقى واذا كانت أمريكا هى أول دولة أيدتها فالاتحاد السوفيتى هو الدولة الثانية ثم وقفت بجانبها جميع الدول الأوربية بلا استثناء ٠٠

فالدعاوى التى ترفعهـــا شعارات المنظمة ساقطـــة وأنتم تعرفون وتعرفون الا سبيل الى تحقيقها ٠

بل أنت تعرف أيها الوزير الطائر الحائر أن البلاد العربية التى تنتمى اليها برفضك لها رأيان رأى تعلنه الحكومات لتتقى به التخريب أو لتتقى به الجرائم ورأى تقوله الشعوب فى جلساتها الخاصة حين تأمن الاذن والأسلحة فاذا ارتفعت الأصوات وراء هتافكم بالرفض فاعلموا ان هذه الأصوات تحمل التأييد والاكبار لمصر ولرئيس مصر ٠

فهذه الأصوات التى هى الشعوب العربية جميعا تعرف أنها تلقت ثقافتها وفنونها من غناء ورسم وسينما ومسرح وتليفزيون من مصر وتعلم أن العلم فيها غرس مصر فهى أصوات مصرية مجامع الثقافة والفن والعلم والأدب ٠ ثم هى اذا خلصت الى ضمائرهم وتأملت الموقف على الســاحة العربية بعيدا عن هتافكم وهتاف غوغاء الزعمـــاء من أمثـالكم أدركت ان مصر سارت فى الطريق الوحيد المتاح لها وللعرب ليحلوا قضيتهم ٠

فاذا كنتم أنتم ومن دار فى فلككم من زعماء الرفض ترون ان الحرب هى السبيل فدونكم والحرب فالطريق اليهـا معروف منذ بدء البشرية أما الخطب واما الاجتماعات وأما التهليل والغوغائيـــة والصراخ فأنتم تعرفون كما تعرف شعوبكم أنها ليست حربا ولن تكون ٠

وقد عرفت الآن وأنا أكتب هذا المقال أن أحد زعماء العرب هدد من بعض الفلسطينيين أن يختطفوا ولده من البلد الأوربى الذى يتعلم به اذا هو لم يقدم اليهم ما يطلبون من مال فقدمه ٠

فاذا كانوا بهذا يهددون من أجل مبلغ واحد فكيف ســــيكون تهديدهم اذا هددهم السلام بحل القضية جميعا ٠

أنت ترى اذن يا معالى الوزير أن الرئيس السادات كان صادقا مع شعبه فى مصر وصادقا مع أمته فى العالم العربى فلماذا لا نعطيه كل حبنا وكل تأييدنا ٠٠ ان كان لديك فضل من عون تريد تقديمه فرده على نفسك وعلى حكمك القائم على الظلم والخسف والجبروت والكذب والغش والخداع والهزيمة تلو الهزيمة والفشل يرادف الفشل ٠

أما نحن أيها الوزير فقد حققنا سلامنا ونحن ماضون مع رئيسنا الذى أتاح لنا قدرا من الحرية لاتعرفه أى دولة من دول الرفض وأنت تعلم • والى مزيد من هذه الحرية نحن معه سائرون والى درجات أعلى من الديموقراطية نحن معه صاعدون وابقوا أنتم حيث أنتم صراخا هو الخواء وكذبا لشعوبكم وخداعا • سخرية تاريخ ، وخزى عصر ، •• واعلم أيها الوزير وكن على ثقة ان للشعب صحوة مهما يكن صمتها طويلا فانها دائما الى حقها تنهض •

جلود أسـود ومواء قطط

الأخوة علاقة بين طرفين ولن تسمع كلمة أخ الا اذا أدت الكلمة الى وجود طرف آخر على الأقل ان لم يكن عدة أطراف ٠

وقد رعينا الأخوة العربية على مدى سنوات طويلة كنا نحن فيها أغنياء ولم يكونوا كذلك ٠

أيهـا الرافضـــون اليوم على الساحات العربية ٠٠ يعلم الله أنكم تعرفون أى باطل تعتنقون ٠

لقد استمرت القضية ثلاثين عاما حاربنا فيها ما حاربنا فلم يقف النصر الى جانبنا بصورة حاسمة لاشك فيها الا فى حرب أكتوبر ٧٣ ٠

وقد انتهز رئيسنا هذه الفرصة ليعرض السلام وقد وصل اليه ٠

والسلام الذى فتح أبوابه هو الطريق الوحيد الممكن لحل القضية ٠ وكنا نستطيع ان نقنع بصلح منفرد ولنا عذرنا وكفانا ما بذلنا ولكننـــا أصررنا أن يكون الحل عربيا ففتحنا بمعاهدتنا للعرب أبوابا ما كانت لتفتح بغير يد السادات وأنتم تعرفون ذلك ٠

لقد تحملنا الحرب بدمائنا وبأموالنا وكنتم تمنون علينا ببعض المال الذى كنا نناله منكم ولو انكم سمحتم لبعض الدول أن تتحكم فى رأيكم لتبينتم أن أثمان بترولكم طارت الى أرقام أسطورية بفضل دمائنا التى بذلنا فى حرب رمضان ٠ ومع ذلك بارك الله لكم فى مالكم حتى وان كنتم تلقون به فى ميادين أوروبا بل ربمـا كانت هذه الميـادين هى أشرف ما يستقبل ملايينكم ٠

وبعض الكتاب ان لم يكن كثيرا من الكتاب يخافون القتل من قطاع الطرق من بعض الفلسطينيين وما أبشع ان يتهـــدد الرعب حياتهـــم ومستقبل بنيهم ٠

اننا فى مصر وقعنا السلام لأن السلام هو الأصل فى الحياة والحرب استثناء ٠ والمنظمات القاتلة السفاكة تريد ان تقلب الحياة فتجعل الحرب أصلا وبغير سلام لأنهم على هذه الحرب يعيشون ٠

وهم يهددون الدول الشريفـــة ولا يكتفون بالتهديد الهامس بل يعالنون فى مؤتمر بغداد على لسان زعيم من زعمائهم يدعى بعض منهم انه زعيم زعمائهم ·

والدول تهدد مصر وتهدد الكتاب والفنانين ·

والمنظمات تهدد حياة الشرفاء من حملة الأقلام ·

ولكن تبقى النفوس المؤمنة بأن الموت والحيـــاة فى كتاب مسطور سنلقاه فى اللحظة التى كتب علينا أن نلقاه فيها ·

ويبقى السادات شامخا ثابتا واثقا بنفسه فاذا موجـــات الهدير الكلامى تتكسر فى رحابة ولا يبقى منها الا نغم السعادة انه ادى ما عليه ونفذ ما يراه خيرا وليكن بعد ذلك ما يكون · وهذا النغم وتلك الموسيقى لايعرفها الا قلة من الناس تنظر فى عملها الى الله والى ما يمليه عليهـــا ضميرها · وهذه القلة هم السعداء ·

ويبقى الشعب المصرى الأشم الصـــابر يحتضن السلم ويظله بنفس رءوم شفيقة تشوقت اليه وبذلت فى ســـــــبيله الدم والأمل واشراقات سنوات طويلة من الحياة ·

وتبقى قبل هؤلاء جميعا مصر جزيرة أمن ومرفأ سلام وعلم حرية لايرفرف مثيل لها فى البلاد العربية جميعا ·· وتبقى مصر عيناها الى المستقبل لتصل الى مزيد من الحرية ومزيد من الديمقراطية · وهى تعلم ان ما يصوت حولها ويضج ليس زئير أسود وانما مواء قطط ·

لا تحاول من آية الدهر غضـــا

فى يوم استقبال الرئيس السادات سمعت لندن فاذا المراســـل يقف أمام الحقيقة الكبرى مذعنا لا يحاول عنها التواء ويصدق عليه بيت شـــوقى :

اخلع النعل وأخفض الطرف واخشع   لا تحاول من آية الدهر غضا

قالت لندن نقلا عن مراسلها ان هذا الاستقبال الذى استقبلت به جموع الشعب الرئيس السادات يدل على انه رغم المعارضة العربية فان السلام قد وصل الى كل فرد من الشعب المصرى ٠

وأنا أكتب هذا اليوم لاسأل العرب ألم يسمعوا هذا الكلام عن مراسل ليس مصريا ٠

وان لم يكونوا قد سمعوا أما عرفوا ٠٠ ألم يقل لهم سفراؤهم ٠٠ واذا كانوا قد عرفوا وهم لا شك يعرفون فهل تراهم أدركوا ان موقفهم هذا الذى يقفون انما هو ضد مصر لا ضد أنور السادات وحده ٠ فنحن هنا فى مصر أصبحنا نعتبر رئيس جمهوريتنا فردا منـــا يقول ونقول وتتمازج أرواحنا فنحن وحدة الشعب فيهـــا ليس منفصـــلا عن رئاسته ولا رئاسته منفصلة عنه ٠

فالرئيس هنا اليوم لا يقتل ولا يعذب ولا يعتقل ولايعرض شرف الانسان للامتهان ولا كرامة الآدمى لوحشية الغاب ٠ حتى الذين يتقافزون على أكتاف السلطة ويريدون ان يكونوا أبطالا لا يصيبهم ضرر ولا أذى وجميعكم جميعكم يا رجال البلاد العربية تعرفون ذلك لأنكم اشتريتم بعضـــا من هؤلاء وتعرضـــونهم فى أسواق نخاستكم ٠ عبيدا يباعون ويشترون وبضاعة تعرض حينا ثم تنزل عليها أستار النسيان ٠

وما هذا الذى أكتبه أنظر فيه الى دول يبنى رؤساؤها أمجادهم على مهاجمة مصر ورئيس مصر ، لأنهم حاولوا أن يطاولوه فقصرت بهم نفوسهم وانهارت بهم سيقانهم وانسخطوا فاذا هم فى الحروب جرذان سفين وفى السلام غربان تفريق وتخريب ٠

وما هذا الذى أكتبه أنظر فيه الى المتاجرين بتشريد أهلهم وذويهم وبالدماء الطاهرة للشباب منهم أولئك السفاحون الذين اتخذوا التهديد وسيلة الى الدول وحكام الدول فهؤلاء لا جناح عليهم ولا تثريب فالقضية بالنسبة اليهم هى بضاعتهم وويل للتاجر اذا فقد بضاعته دون ان يبيعها بما كان يقدر لها من ثمن • وانما حديثى الى قوم يعرفون الحق وساندوه بعض الطريق حتى اذا بلغ قمته واستشرف آفاق المستقبل الآمن السعيد تخلوا عن الحق وهم يعلمون انه الحق •

أولئك الذين أحببناهم ونعلم انهم أحبونا كيف تغير بهم الحال •• بلماذا •• اللهم أنك تعلم أنهم على باطل وهم يعرفون أنه باطل ولهذا نحن عليهم مشفقون •

ليس المال منهم بذى بال فمصر هذه الخالدة كانت قبل عام ٦٧ قد استطاعت بفضل حكامها وجهادهم ان تقطع علاقتها بالغرب أجمعين وبالدول الأوروبية كلها وبكثير من دول أوروبا الشرقية أيضا •

وعاشت مصر • لم تمت •

وكنا قبل ٧٣ بلا مال ولا اقتصاد • ولم تعش مصر فقط وانما أضافت الى حياتها ألف ألف حياة أخرى بحرب أكتوبر وانتصارها فيه •

ومرت مصر قبل هذا وبعد هذا بأزمات ومحن •• وعاشت •• وتعيش وستظل تعيش •• هل عرفتم دولة فى حجمنا استمرت فى حالة حرب ثلاثين عاما وزيادة ولم تصبها المجاعات التى تصيب الدول الأخرى ؟ قد يكون الفقر قد طاف بالأغلبية الكاثرة من شعبنا وقد نكون مجهدين نتدافع من الحياة أزمات وأزمات ولكننا نعيش ونحب الحياة •

ولأننا نحب الحياة وصل السلام الى كل نفس من نفوس الشعب المصرى • وأنتم واهمون اذا ظننتم بشعبنا السذاجة فهو يعلم أن الوفر والثراء والغنى ليست على الأبواب واننا فى عشية وضحاها سنصل الى أكتاف الهناء • ولكننا نعرف اننا قلنا فعلا وداعا أيتها الحرب وأهلا ياسلام •• ومعنى هذا أولا أن دماء أبنائنا أصبحت محرمة كما أراد لها رب العرش ان تكون لا تغتالها الحرب ولا يستلبها الحاكم وما دام هذا الأمن قد بلغ الى العميق العميق من نفوسنا فنحن اليوم نعرف كيف نواجه الحياة وكيف نسير فى طريقها بعون من الله انه سبحانه وحده هو العون وهو السلام وهو المهيمن •

وله وحده وجهتنا واليه وحده دعاؤنا وبه وحده آمنا ونحن به أغنياء عن العالمين •

مجلس جديد لعهد جديد

استولت الدهشة على كثير من الناس حين أعلن الرئيس استفتاء الشعب فى حل مجلس الشعب · والحقيقة اننى دهشت لدهشتهم هذه ·

فالذى لاشك فيه ان السادات قد حقق نصيبا من الديموقراطية لم يكن متوفرا لمصر · والذى لاشك فيه انه حقق هذا القدر من الديموقراطية فى فترة من أشد فترات التاريخ المصرى دقة وحرجا · فقد بدا خطواته الأولى نحو الديموقراطية قبل ان تحارب مصر معركتها فى ٧٣ مع ان الحكام حتى العادلين منهم ينتهزون فرصة الحروب والاعداد لها ليفرضوا على بلادهم الأحكام العسكرية أو العرفية سمها كما شئت فالاسمان يشكلان كارثة واحدة لمسمى واحد ·

واننا نكذب على أنفسنا وعلى الحق اذا تصورنا اننا نلنا هذا القدر من الديموقراطية بجهاد الشعب أو بكفاحه وحده وانما هى طبيعة الحاكم الشريفة التى أعطت هذه الحقوق لشعب مصر فوفرت له الأمن والطمأنينة لماله وعرضه وحياته ·

ونكذب أيضا على الحق وعلى الحاكم اذا ادعينا ان هذه الحقوق تفضل من الحاكم أو تنازل منه انما هى معاملة شريفة فقط لأن أمن الانسان وطمأنينته حق له لا يجوز لحاكم أن يغتصبه اياه أو يحرمه منه وان كان الحكم السابق قد اغتصب من الانسان المصرى هذه الحقوق فانما هو حكم شاذ مرفوض لا يقبله الشرف بل ولا تقبله كرامة الانسان ·

فاعادة هذه الحقوق انما هى رد للحق الى صاحب الحق وليس فى هذا تفضل وانما فيه شرف المعاملة ·· معاملة الآخرين ومعاملة النفس· وفيه أيضا شجاعة الحاكم واطمئنانه الى ثقة الشعب فيه · وقد كان السادات متمتعا بهذه الطمأنينة أعظم تمتع لأنه يرد الى الشعب هذه الحقوق وهو يعد لحرب يتوقف عليها مصير مصر بل مصير العرب أجمعين بل لا أحسب اننى مبالغ اذا قلت ان مصير العالم أجمع يتوقف عليها ·

وانتصرنا فى الحرب ··

ثم انتصرنا فى السلام ··

وبدأت مصر لأول مرة بعد ثلاثين عاما عهدا جديدا عليها كل الجدة . ورأى السادات الحاكم الشريف أن يرد للشعب مزيدا من حقوقه . فهو يعلن أن مصر ملتزمة بميثاق حقوق الانسان .

فالانسان اذن فى مصر كيان مقدس فى جسمه وفى روحه وفى رأيه . والحاكم فى هذه المرة يلزم نفسه بقدسية هذه الحقوق بموجب حقوق الانسان ..

وهكذا أصبح للانسان فى مصر ان يختار الرأى الذى يرى والعقيدة التى بها يؤمن دون أن يمسه من السلطان ضر ..

وما دام الانسان حرا فى رأيه فله الآن أن يختار الحزب الذى يمثل هذا الرأى ولهذا كان من الطبيعى أن يعلن السادات حرية تكوين الأحزاب .

وما دام الشعب أصبح حرا فى ان يكون ما يشاء من أحزاب فلابد اذن أن يحل مجلس الشعب القادم لتجد الأحزاب الجديدة مكانها فى المجلس الجديد لأن الوجود الحقيقى للحزب لا يتبلور الا فى أعضائه الذين يمثلونه فى مجلس الشعب .

فالدهشة اذن التى وجدتها عند بعض الناس هى التى تدعـــو الى الدهشـــة .. مصر تنتقل من عهد الحرب الى عهد السلام ورئيسها يريد ان تكون حقوق الانسان مقدسة لا تمس فأى عجب أن ينتخب الشعب ممثلين له فى عهد السلم بعد أن أدى ممثلوه فى عهد الحرب ما عليهم من واجبـــات .

والشعب حر أن يختار من كان يمثله أو يختار غيره ..

ومادام الاتجاه قد ذهب الى حل مجلس الشعب فحتم أن يعرض الحل على الشعب فى شكل استفتاء تطبيقا لنص الدستور .

ومادم العرب قد أصبحوا يخرفون بأحـــاديث هـازلة عن موقف الشعب المصرى من المعاهدة فلتعرض المعاهدة اذن على الشعب لعل الألسنة تخرس لعل ضالا منهم أن يهتدى .

واذا كان الفحيح المتخافت فى السراديب السوداء يحتال على مجانين الحكام ويوهمهم ان الحاكم المصرى فى موقف حرج فليرد الرئيس على فحيحهم ويعلن الاستفتاء ويعلن أيضا الانتخابات ليبهت الذين كفـروا فأى حاكم يعلن فتح باب الترشيح لانتخابات مجلس الشعب الا اذا كان هذا الحاكم واثقا كل الثقة من مكانته فى شعبه ومن رسوخ حكمه ومن ثبوته على وطائد عميقة الغور فى أعماق الشعب . فلو لم يكن على هذه

الثقة لما اطمأن الى التجمعات والمظاهرات والحفلات الانتخابية والخطب والمهرجين ومدعى البطولة والصارخين بالفراغ ·

انه واثق كما اننا نحن الشعب واثقون ·

وانني أحب أن أهمس فى أذن المعارضين الذين يريدون بالمعارضة أن يدعوا البطولة ان المعارضة اليوم لم تعد بطولة لأن الحاكم لا يحاسب معارضيه ولا يعتدى على أجسامهم أو أرواحهم أو أعراضهم أو كرامتهم · وانما هم يعيشون حياتهم فى هدوء وفى طمأنينة ··

ولكن البطولة الحقيقية فى أولئك الذين يؤيدون ويصـــدقون مع أنفسهم فى هذا التأييد فهم يعلمون أنهم معرضون للقتل من تجار الحروب من الفلسطينيين وما قتل يوسف السباعى ببعيد عن الأذهان كما أنهـم معرضون الى كثير من الاساءة من دول أخرى ·

ولكنهم مصريون وشرفاء ويحبون بل يتمنون ان يكون موتهم فى سبيل مصر فهم يعلمون انهم اذا ماتوا فى سبيلها باتوا أحياء الى الأبد ·

رب ذكرى قربت من نزحا

كان من المفروض أن يحتفل يوم ١٥ مايو بنفسه دون أن يعينه قلم على الاحتفال به ، فقد يخجل الانسانية أن تتناشها وتمزقها أيد غير بشرية فاذا عادت كرامة الانسان اليه يعود الأمر الى طبيعته ، وعودة الأمر الى طبيعته لا يجوز أن تحتفل به الانسانية ٠

فعيد الأضحى فى الاسلام مثلا عيد لا شك فيه لأن سموق الايمان الى مرتبة تعلو عن الملائكة أمر ينبغى أن تعتبره البشرية عيدا ، لأن البشرية استطاعت أن ترتفع على مراقى الملائكة وعمق ايمانهم ٠ أب يهم بقتل ولده الفتى وابن يعين أباه على أن ينفذ فيه أمر السماء بلا مناقشة بينهما عن سبب هذا الأمر أو دواعيه ٠

فالسماء قد أمرت والله أدرى بارادته ٠

من حق البشرية اذن جميعا لا المسلمين وحدهم أن يحتفلوا بهذا العيد ٠

ولكن عودة الكرامة الى الانسان ورد الأمن الى النفوس واقفال المعتقلات وصون الحقوق البشرية للفرد المصرى فى القرن العشرين أمور كان ينبغى أن تكون طبيعية وان كان هناك سرطان بشرى حطم طبيعة الحياة ودمر موازين القيم فلا يعنى هذا أن نحتفل بزوال هذا السرطان ، لأن طبيعة الأمور أن يعود نهر الحياة الى مجراه وأن تنساب جداول الانسانية فيما احتفرته لها أجيال من التحضر والمدنية واكرام الانسان واحترام فكره وكيانه ٠

كان ينبغى أن يكون الأمر كذلك ٠ ولكن للأسف المؤلم الممض أنه لابد أن نحتفل بهذا العيد أعظم ما يكون الاحتفال ٠

فبين أبناء مصر من يرى النور ظلاما والظلام نورا ٠ ومنهم من لا يزال يتمدح بهذه الفترة المقيتة ٠ قلة هؤلاء ، ولكن وجود واحد منهم بيننا يدل على أن الاضطراب العقلى قد تغلغل فى نفوس بعض القوم حتى لا يبغون عنه حولا ولا منصرفا ٠

ومن هؤلاء فئة الشيوعيين الذين ركبت عقولهم على جيوبهم وركبت جيوبهم على قنوات موسكو المالية ، فباعوا دينهم ووطنهم وأنفسهم وأبخسوا

الثمن ، فلو دروا معنى أن يكون الانسان مؤمنا ومعنى أن يحب الانسان وطنه لما فرطوا فى خلجة واحدة من خلجات قلوبهم تدق بغير الايمان وتنتمى لغير وطن الانسان ·

وليس لهؤلاء وحدهم نرفع ألوية مايو · وانما لدول عربية حولنا صفقت لمصر وهى مهزومة وقاطعتها وهى منتصرة · فمصر المهزومة هى مصر التى تريدها هذه البلاد العربية وليست مصر المنتصرة ·

ومصر التى تدبر المؤامرات وتهاجم جميع حكام العالم وتصبح بؤرة فتنة فى المنطقة هى مصر التى تخشاها هذه البلاد العربية ·

وليست مصر التى تمد يد الود اذا امتدت يد العداء ، والتى تنادى بالحب لتدفع به الحقد وترد المرارة المتوغلة فى النفوس ·

حتم علينا أن نرفع ألوية مايو لأننا فى ١٥ مايو رددنا مصر الى المصريين وأعدنا الايمان بالله الى نفوس قوم كان يرعبهم السلطان أن يؤمنوا بالله ·

وحين احتضن الجندى المصرى وطنه وأصبح يشعر أن أمه عادت اليه وأنه يستطيع أن يصيح بأعلى صوت « الله أكبر » ترقى الى السماوات العلا انتصرت مصر ·

ان الجيش الذى انهزم فى ٦٧ هو نفسه الذى انتصر فى ٧٣ فى مصر ·· والجيش الذى انهزم فى ٦٧ هو نفسه الذى انهزم فى ٧٣ فى سوريا · لأن سوريا فى عام ٦٧ لم تكن لأبنائها وما زالت سوريا فى ٧٣ وبعد ٧٣ لغير أبنائها ·

حين تبادلت سوريا الأسرى فى حرب ٦٧ تسلمت خمسمائة أسير فى الجيش الاسرائيلى مقابل أسيرين أحدهما ميت · اذا لم يكن الملك الفيصل قد جابههم انهم باعوا الجولان لكان فى أرقام هؤلاء الأسرى مقنع أى مقنع يجعلنا نثق انهم باعوا الجولان بل باعوا الوطن ولم يحاربوا دونـــه ·

وحين انهزموا فى ٧٣ وتراجعوا عدة أميال عن مواقعهم أرادوا لنـــا نفس المصـــير ولكنهم نسوا أن قائدنا وطنى مخلص ومؤمن واثق بشعبه وجنده موقن ان الله لا يخزى قوما مؤمنين ·

ومن هذا الانتصـــار ذهب رئيسنا الى الكنيست · ومن على منبر الكنيست بدأت خطوات المعاهدة ووقعناها ·

لقد ذهب منتصرا ووقع وهو منتصر ··· ونصره هذا وتوقيعه كان النتيجة الحتمية لما بدأ أمره فى ١٥ مايو · ولهذا نحتفل به ·

نحتفل به لأن هؤلاء المتصـــايحين من حولنـــا كلهم يحكمون بلادهم بالحديد والنار ، تختلف بينهم وسائل قهر الانسان واراقة كرامته وقيمه

ونحن نقول لهم باحتفالنا أن هذا الذى ينهجون سقط من التاريخ وأصبح وحشية بل أشد مقتا من الوحشية .

ونحن بهذا الاحتفال نقول ان حياة الانســـان وكرامته هى أرفع ما تهتم به الأديان . ونحن بالحرية التى حصلنا عليها فى مايو أصبحت أجسامنا وأعراضنا وحياتنا حراما على السلطة .. وان الصلة بيننا وبين السلطات يحكمها القانون والمحاكمة العادلة . اما القتل واما المحاكمة السرية فلا تعرفها الا العصابات وقطاع الطرق والمجرمون من طغاة الشعوب وانى أتحدى أن يذكر لى أى مؤرخ محاكمة سرية واحـدة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم أو الراشدين .

وان هذا الذى يجرى اليوم فى ايران ليس اعتداء على أرواح الناس وقيمهم فحسب وانما هو تشويه للاسلام واجهاز على القيم الرفيعة التى عرفتها عنه البشرية . بل تشويه لفكرة الدين جميعا أيا كان هذا الدين .

وبعد . فنحن نحتفل بعيدنا فى وقت قطعت دول عربيـــة كثيرة علاقاتها بمصر ويحهم ... أصدقوا حقا أنهم قطعوا علاقاتهم بنا ... هيهات . اذا أرادوا هذا حقا فليقطعوا رؤوسهم التى يملؤها علمنا ويمزقوا مشاعرهم وحسهم الفنى الذى تكون وربى على أدبنا وفننـــا . وليقفلوا آذانهم لا تسمع فنحن غناؤهم وليفقأوا عيونهم لا ترى فنحن مسرحهم ونحن أفلامهم . اننا نحن كل خلجة فن فيهم وكل خاطرة علم فى حياتهم . كنا كذلك وسنظل كذلك .

لن نخسر نحن شيئا ان قطعوا هم علاقاتهم . فالمال غاد ورائح وكما قال شاعرنا عزيز أباظة « الرزق فى لوح السماء مسطر » وقد عوضنا الله عن مالهم وهو قادر أن يضاعف ان شاء الله .

ولكن عليهم هم أن يبحثوا ماذا خسروا ... وماذا سيخسرون وقديما قال شاعرنا شوقى الذى نصبه شعراء العرب جميعا أميرا عليهم :

رب جـار تلفتت مصر توليـــــه   ســـؤال الكـريم عن جـــيرانه

بعثتنى معـــــــزيا بمـــآقى   وطنى أو مهنئـــــا بلســــانه

كان شعرى الغنـــاء فى فرح الشرق   وكـــان العـــزاء فى أحـــزانه

هكذا شاء قدرنا أن نكون نحن لسان الشرق وعلمه وفنه وأدبه ، وفى ظل من هذا نشأ شعراء العربية وعلماؤها وفنانوها .

أيها القاطعون ... انتم ما قطعتم شيئا ولن تستطيعوا أن تقطعوا شيئا الا يوم تقطعون الرؤوس منكم التى علمناها فى مدارسنا ، وشرايين الدماء منكم التى لا تنبض الا بأدبنا نحن وفننا نحن .

هذا الشاعر وهذا الشعر

الأستاذ الكبير صاحب هذه الأبيات هو الوزير السابق طه السباعى « باشا » وهو اقتصادى أصيل وقد شغل وظائف كثيرة كان لها أبعد الأثر فى الاقتصاد المصرى .

وكنت أعرف من أبى الذى كان صديقا له أنه أديب ذواقة متعمق فحين شرفت بلقائه عن طريق أخى الأكبر الأديب الراحل يوسف السباعى لم أدهش لما طالعنى منه من أدب رفيع والمام شامل بالأدب أما أنه ينظم الشعر فهى جديدة بالنسبة لى كما هى ــ لا شك ــ جديدة بالنسبة للقراء .

ولكنهم مع دهشتهم لفنه الشعرى لن يدهشوا لنظرياته الاقتصادية التى صاغها شعرا .

وأنا الآن لا أدرى هل أهنىء الشعراء بهذا الأستاذ الكبير الذى يعلن انضمامه اليهم .

أم أهنىء الاقتصاديين أن علمهم أصبح ينظم فى هذا الشعر الرصين .

الدعاية .. والانتاج

شعر : طه السباعي

لذا بالطبيعة موهنا يا صاحي
وأنشد هنالك راحة الملتاح [١]

واشرب بكاس الروح راح سكينة
ان السكون لذى الجوى كالراح

حصن الطبيعة موئل الناجين من
نكد الحياة وشرها المنداح [٢]

لهفى على عهد مضى كنا به
فى فسحة من أمرنا وسماح

بحبوحة العيش الرخيص متاحة
والرزق يأتى هينا بسراح

هذى الحضارة هل يراد بها سوى
عيش كريم وادع مرتاح

ما بالنا لا نبتغى منها سوى
متزايد الحاجات فى الحاح

خلق الفتى معدودة حاجاته
يكفيه منها أيسر الاسجاح [٣]

●●●

صنم جديد قيل عنه « دعاية »
مجموعة من زخرف وصياح

افك وتـزويق يرســـخ دائمـــا
في مســمع الجمهور ليـل صـبـاح

بالسرعة الهــوجاء جن جنـونها
وبـــكل غــت تافـــه لمـــاح

أضـحى الفضــول ضرورة من قبل ما
نجنى مــن الانتـــاج اى نجـــاح

بل في الحضارة وهي مطمح جهدنا
نبتت مفاســد من خــلال صـــلاح

والعلـم وهــو الى الرخــاء سبيلنا
أضـــحى كذلك معــول المجتـــاح

هــذى المصــانع كلمــا عددتهـــا
فســدت وشــاهت بيئــة ونواحى

يا قـوم لا أبغى مزيد همـومكم
لــكن أثــير حماســة الاصـــلاح

السادات أمسك القلم من أصابع التاريخ

ليكتب تاريخ مصر والعرب والشرق

ألقى ثروت أباظة نائب رئيس اتحاد الكتاب كلمة فى بداية الاجتماع بمناسبة اختيار الرئيس السادات رئيسا فخريا للاتحاد قال فيها أن الرئيس عرف أمانة القلم منذ بدء حياته ولذلك عرف أمانة الوطن وهو فى ذروة قمته السياسية وان الرئيس أدرك قيمة الكلمة وسرها فما صدرت عنه الا لتحمل حقا .

وأضاف : لسنا ننساك وأنت فى موقفك بمجلس الشعب وحرب النصر تستكمل جلالها فاذا أنت تعلن أمام العالم فى شجاعة لم يعهدها « أنا لا أحارب أمريكا » .. كلمة حق ينبض كل حرف منها بشعورك بالمسئولية العظمى الملقاة على عاتقك وعلى كلمتك .

وقال : وأنت يا سيدى الرئيس الذى قلبت أشرعة السياسة وقدت عاصف تيارها من الهول والحرب الى سلام أصبح ولأول مرة فى التاريخ الحديث بطولة تطاول بطولة الحرب .

وأضاف ان الرئيس شق التاريخ الى بيت المقدس فأمسك القلم من أصابع التاريخ ليكتب تاريخ مصر والعرب والشرق الأوسط .

وقال : ويواجه الحق منك الزيف عند غيرك من الحكام وتأخذهم البغتة وقد كان الحقد يعتصر قلوبهم فقد حررتها بعد أن ظلت أعواما معتقلا فى حين يريقون دم الدماء البريئة على سفوح الرعب بين شعوبهم . ولأنك تعرف الكلمة فقد حررتها بعد أن ظلت أعواما حبيسة فى صدور أبناء مصر ، وأطلقتها فى ثورتك الشامخة فى ١٥ مايو .

ثم قال : ان حملة الكلمة الذين يلتفون حولك من كتاب مصر يتقدم ركبهم علامة من علامات الأدب العالمى فى عصرنا توفيق الحكيم قد جاءوا لأنهم يشعرون أن من حقهم عليك ومن حقك عليهم بما ألفت من كتب أن تكون عضوا فى اتحادهم ويشعرون أن من حقهم عليك ومن حقك عليهم بما ألفت من تاريخ أن تكون رئيسا فخريا لهم .

وفى ظل هذه الرئاسة منك وفى اللحظة الأولى منها نريد أن نرفع موثقا علينا هو أن الثقافة كالماء والهواء والحرية ٠

وقال انه بهذا العهد نريد الكتاب المجانى أن يصل الى كل فرد من شعبنا وأن يمكن الجميع من القراءة ٠

كلمة لابد منها

تحاصرني منذ أيام من الأدباء والشعراء كما تحاصرني ذكريات الوفاء لمن عرفتهم من الروائيين والقصاصين ومن أكبرتهم من شعراء العربية منذ التراث جاهليه الى أن أصبح شعرا حديثا يقف على قمته شوقى وعزيز أباظة وناجى والمهندس ورامى ومن جاء بعدهم من أئمة الشعراء ممن اختارهم الله الى جواره ليظل شعرهم خالدا أو ممن لا زالوا يعيشون بيننا أطال الله أعمارهم جميعا ٠

يحاصرني هؤلاء وتحاصرني هذه المعاني أن أقول رأيا فيما كتبه الأستاذ الفاضل الدكتور لويس عوض فى مقال له أخيرا ٠

ويصدنى فى نفس الوقت اننى أخذت وما زلت أخذها لا أناقش متطرفا مهما يكن لون تعصبه ٠٠ فالتطرف عمى فى البصيرة يجعل على قلوب أقفالها وما أنا بمسمع الصم ولا أنا ببالغ من صاحب قلب عليه قفله سبيلا الى تفاهم ٠٠

وقد ظلت نفسى نهبا لهذين العاملين بين اقبال بعثنى عليه الوفاء وعزوف يحضنى عليه ما تعودت ٠ والمرء ما تعود ٠

وانتهى بى الأمر الى ما ترى مرئيا ان أنعم النظر فيما كتب الدكتور ٠

وثقيل على نفسى أن أعيد ما كتب ولكن لابد أن القى نظرة على موقف السيد الأستاذ الدكتور من اللغة العربية جميعا ٠

فنجد أن له شبه مذكرات كتبها جميعا باللغة العامية ٠ ولقد توهم انه من الجسامة وعلو الشأن بحيث يستطيع بكتابه أن يقضى على اللغة العربية قضاء مبرما ٠ ولكن الذى حدث ان كتابه ظهر فما أحست به اللغة العربية ولا اللغة العامية وان كان لا شك قد سمع عنه الكثير من المديح من كثيرين يجهلهم الأدب العربى ويجهلون الأدب العربى ويحاول دائما أن يتصدر بهم السيد الأستاذ الدكتور واجهة الأدب العربى ٠

وأحسب أن السيد الأستاذ الدكتور على علم عظيم وافر باللغة الانجليزية بحكم الدراسة واللغة الفرنسية بحكم الدراسة وأشياء أخرى ولكنه ــ للأسف الشديد ــ لا صلة له مطلقا بالأدب العربى ٠ وما زلنا نذكر يوم حاول أن يدعى العلم به فتصدى له العالم الجليل المتعمق الأستاذ

محمود شاكر فاذا بالسيد الأستاذ الدكتور ينهار انهيارا تاما علميا وأدبيا ونفسيا ٠

ولكنه مع ذلك يصر أن يظل محاربا باللغة العربية ولعل أقرب موقعة له تلك التى شنها بآخره فى مقاله فاذا هو يسخر من بيت شوقى الخالد ٠٠

وطنى لو شـغلت بالخلد عنـه   نازعتنى اليـه فى الخلد نفسى

والشعر العربى يكتب هكذا مشطرا ولكن السيد الأستاذ الدكتور ساقه كأنه كلام مرذل لا وزن فيه ولا قافية ٠٠

وقد أراد السيد الأستاذ الدكتور بسخريته من هذا البيت أن يسخر من شوقى جميعا ومن جاء قبله أو بعده طبعا من أصحاب الشعر الأصيل ٠٠ ولست أدرى فيما هذا الهجوم على لغتنا وتراثنا بينما نحن نحترم تقديس السيد الأستاذ الدكتور لشكسبير وشيلى وبيرون وهيجو ودى موسيه وبودلير ٠

ولماذا تراثنا نحن العرب هو الجدير بالاحتقار ٠٠ وشعر هؤلاء هو الخليق بالاكبار ولماذا لغتنا نحن العربية هى التى يجب أن تصبح عامية أو هزيلة بينما ينبغى للغة الانجليزية أو الفرنسية أن يظل لهما جلالهما ٠٠

أنا أعرف السبب ولكن أمسك بزمام القلم بعنف ألا يذكره فما كل ما يعرف يقال ٠

وبعد فهناك بيت من الشعر العربى الأصيل قاله شاعر عربى قديم فى واقعة لها قداستها عندنا نحن العرب أحب به أن أرد به غيبة الذين أراد السيد الأستاذ الدكتور أن يغبى أمرهم والبيت هو :

وليس قولك من هـذا بضـائره   العرب تعرف من أنكرت والعجـم

لمـــاذا تعجلت ؟

لقد كنت دائما على مدى السنوات الثلاثين التى عرفتك فيها تتروى وتتمهل حتى وأنت تسمر مع أصدقائك كنت لا تقول كلمة الا بعد تفكير وطول أناة ٠

كنت اذا غوضبت صبرت واذا استشكلت أمامك الملمات لجأت الى مسبحتك تقلبها فى يدك وكأنما تقلب بها أوجه الرأى أو كأنما تستلهم منها الضياء فى الظلام والهداية فى غبش الطريق ٠

فلماذا تعجلت ٠

اننا نحن أبناء جيلك نتوهم أن أمامنا فسحة من الوقت لنعد أنفسنا للموت فلماذا عجلت من أيامنا ٠ وكيف انتقل الموت الى جيلنا فيك ٠ لك الله ولنا فان الموت لا يبالى من أى حقل يخطف ثماره وربما عنى فقط أن تكون ثمارا يانعة حبيبة متفتحة موصولة الآمال بغدها طيبة العطاء فى يومها كريمة الوشائج فى ماضيها ٠ وليس يعنيه أن يكون الحقل غـير مستحق بعد لجنى عطائه ٠ فكثير من الحقول زرعت قبله وذبلت الورود فيها وتهدلت أوراقها وجف الغصن منها وانقضى عندها الأمل الا أن يكون الموت نفسه هو أملها ٠

يعدوها الموت فى جرأة ويقبل على المخضل من الزرع فيحصره قبل أوانه ولا يدرى أو ربما درى أنه انما يحصد بها سنوات كثيرة من أعمار قوم آخرين ٠ ويحصد بها أمل أطفال ما شبوا بعد الى بدء الحياة وهناءة زوجة كان زوجها هو العماد والركن والأمل والمستقبل ٠

فقدنا فيك يا على انسانا ومع بساطة هذه الكلمة الا انها أصبحت فى جيلى وجيلك نادرة ندرة الجوهر الصافى الثمين ٠ بل انك وانى قد نجد الجوهرة البريئة من الشائبة ولا نجد الانسان ٠

على اترك فى نجواك وصلاتك كنت تتعجل لقـــاء رب لم تغضبه فاستجاب دعاءك ٠٠ ما أظن فان يكن لقاء ربك حبيبا الى نفسك فلقد كنت تحب ابنتيك وزوجك أعظم ما يكون الحب وأنت أكثر بهن برا من أن تتعجل السفر ٠

لست أنساك يوم تأخرت ابنتك الكبرى عن العودة الى المنزل من المدرسة فاذا أنت ممزق بين الثورة والحيرة واللهفة والاشفاق وكان فى تقديرى يومذاك ان ألم بمكتبك دقيقة أو اثنتين فحين رأيتك على ما كنت عليه مكثت معك حتى يعود اليك فؤادك ، وأشرق وجهك حين حادثتك ابنتك . واستطعت حينئذ وحينئذ فقط أن أتركك .

وأنت اليوم هناك عند الرحمة الكبرى ... وهناك ستجد روحا كريمة طيبة تراوحك من رب العرش فتهدأ نفسك الجازعة على أسرتك ولست أشك أنك مرسل اليهن من هذه الروح قبسة ترد اليهن السكينة من الايمان ويسلمن أمرهن الى الذى لا ترد ساحته القاصدين .

سلام عليك فى عليين ... ومن يدرى فربما كان أولى بنا أن نقول لك يا أخا عمرنا وجيلنا الى لقاء .

تعقيب

السيد الأستاذ ثروت أباظة .

تحية وتقديرا وأطيب التمنيات .

طالعت كلمتك فى أهرام الجمعة ٧ سبتمبر سنة ١٩٧٩ بعنوان « كلمة لابد منها » صفحة ١٢ .

ولقد صدقت وأحسنت وأصبت .

فاللغة العربية لها جمالها وقوتها .. ولقد قال شوقى :

يا مال ما فيك من سحر ومن خطر لقد نزلت بنا عن رتبة البشر

وقال حافظ ابراهيم عن لسان حال اللغة العربية :

أرى لرجال الغرب عـزا ومنعة وكم عـز أقـوام بعـز لغـات

انا البحر فى أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتى

أرى كل يوم بالجـرائد مزلقـا من القـبر يدنينى بغـير أناة

وأسـمع للكتاب فى مصر ضـجة فأعلم أن الصـائحين نعـاتى

أيهجـرنى قومى . عفـا الله عنهم الى لغـة لم تتصـل بـرواة

ومن جمال اللغة العربية .. الكثير من النثر ، والنظم .

ومن جمال اللغة العربية :

لكل شيء اذا ما تم نقصـان فلا يغـر بطيب العيش انسـان

هى الأمـور كمـا شاهدتهـا دول من سره زمن سـاءته أزمـان

فجـائع الدهـر أنـواع منـوعة وللـزمان مسرات وأحـزان

يا غافلا وله فى الدهـر موعظـة ان كنت فى سـنة فالدهر يقظان

وقيل : بلاغ المنطق الصواب • آفة المنطق الكذب ، ولؤم الأخلاق الملق • وعفو الرأى خير من استكراه الفكرة •

وبعد فهذه اللغة لا تموت فلا تخشى ممن يتكلم أو يكتب العامية •

كناطح صـــخرة يوما ليوهنهـــا   فلم يضرهـا وأوهى قرنه الوعـل

وتقديرا وســـلاما

دكتور فيليب رفلة

دكتوراه بمرتبة الشرف فى الجغرافيا

من جامعة القـاهرة

تعليق على رأى

أخالف الزميل الأستاذ فتحى العشرى فى مأخذه الخاص بالألفاظ العربية وأجد أن الكاتب الشاب أحسن اختيار الألفاظ وهى عربية وقريبة من العامية فى وقت معا وهذا أمر نفتقده فلا نجده عند الشباب ومن حق الأديب أحمد فريد أن نحمد له هذا لا أن نأخذه عليه »

وتبقى كرامة الانسان

لست أدرى لماذا تحاول اسرائيل دائما أن تثير نفوس الشعب العربى بتصريحات لا معنى لها ولا هدف ولا غاية الا هذه الاثارة ٠

والشعب العربى اذا كانت اسرائيل لا تعلم يريد السلام وأصوات حكامه الذين يبحثون عن البطولات بأصواتهم لا تصل الى قلب الشعب العربى ولا تحرك فيه ساكنا فالسلام أمل كل هذه الشعوب ولذلك فمحاولات الحكام مضحكة ومثيرة للسخرية لأنهم يريدون أن يكونوا برفضهم أبطالا عند شعوب ترى البطولة الحقيقية فى نشر السلام على قلوبهم وعلى مستقبلهم ٠

وكان الأجدر باسرائيل وساستها أن يقطعوا الحجة ـ ان كانت هناك حجة ـ على أبطال الكلام هؤلاء ٠

وانى واثق ان ساسة اسرائيل ليسوا فى حاجة الى مثل هذه الاشارات فانى أحسب أن لديهم من الدربة والحنكة السياسية ما يغنيهم عن مثل هذه الاشارة ولكن يبدو أن هذه الحنكة تخونهم فى بعض الأحيان ٠

وقد كان النقاش الذى أثير بين رئيس وزرائنا ووزير الدولة لشئوننا الخارجية من جانب وبين ممثلى الوفد الاسرائيلى من جانب حول تصريح الساسة الاسرائيليين بالسماح للاسرائيليين بشراء أرض فى الضفة الغربية نقاشا على أرفع مستوى من جانب ممثلينا فى حين تقاصر عن هذا السمو من جانبهم ٠ وهو وحده يدل على مقدار قوة الحق الذى يقف فى جانبنا ٠

وكان عجيبا أن يقول أحد ممثليهم انه ليس من المستساغ أن يسمح للاسرائيليين بشراء أرض فى أوروبا وأمريكا ولا يسمح لهم بشراء أرض ملاصقة لدولتهم وتعتبر جزءا منها حتى الآن ٠

ولا أدرى الا يقدر المفاوض الاسرائيلى الفارق البعيد بين الوضعين فالاسرائيلى حين يشترى أرضا غير عربية يشترى فى مكان أصحابه واثقون أنه لن يستطيع أن يحتلهم آخر الأمر ٠ فهو هناك بشر من البشر يشترى أرضا فى دولة من الدول والهدف اقتصادى واضح لا شبهة فيه ٠ أما هو

حين يشترى أرضا عربية فالهدف سياسى • وليس هذا استنتاجا فهم حين يشترون فى العـالم يشترون الأرض بثمنها الطبيعى أو الأقل من الطبيعى فى أغلب الأمر أما حين يشترون فى الضفة الغربية فهم يرفعون الثمن الى ضعفيه أو ثلاثة أضعافه فى الشراء الطبيعى يكسبون اقتصاديا وهم فى الشراء العربى يكسبون سياسيا •

فالمقارنة اذن لا مكان لها فالظروف مختلفة والبائع فى أوروبا وأمريكا غير البائع فى الضفة الغربية والأرض فى أوروبا وأمريكا غير الأرض فى الضفة الغربية •

وهكذا يصبح الأمر غريبا أن يعلن ساسة اسرائيـــل هذا الاعلان وغريب أيضا أن يظنوا أن ما يتخفى وراء هذا الاعلان يجهله العرب وهم قد لدغوا من هذا الجحر مرة قبل هذا وما زالوا حتى اليوم يعانون آثار هذه اللدغة وان شئت أن تجد اسما يصف الوصف الصادق عجزت اللغة العربية والعبرية معا •

والاسرائيليون يسعون اليوم بالحاح الى تطبيع العلاقات ، وتطبيع العلاقات سيكون حين نحس رغبتهم الصادقة فى أن تصبح هذه العلاقات طبيعية فالصداقة لا تكون بعقد وانما تكون بشعور متبادل تعبر عنه أقوال طيبة تؤدى الى أفعال كريمة • وحين تتكرر هذه الأقوال والأفعال تصبح العلاقات قابلة للقاء ثم تصبح على الزمن قابلة للتطبيع ، فهل يظن الساسة الاسرائيليون أنهم يتقدمون فى هذا الطريق • أم هم يلتوون به ويستديرون باستقامته الى عكس ما يلحون عليه من تطبيع العلاقات •

وهناك حقيقة ينبغى أن نتوجه بها الى سكان الضفة الغربية • فان يكن الاسرائيليون قد أباحوا لشعوبهم أن يشتروا أرضا فى الضفة الغربية فما لنا نحن لا نمتنع أن نبيع لهم أرضنا قد يكون الثمن عاليا وقد يكون الاغراء شديدا ولكن من ضحى بالدم هين عليه أن يضحى بالمال وقد ضحت مصر بدمائها فما بكثير على أبناء القضية أن يضحوا بهذا الاغراء ويعفوا عن هذا البريق •• فالبريق من المال ما يلبث أن يخبو وتبقى بعد ذلك والى الأبد كرامة الانسان •

تحية وان كانت متأخرة

محمد رسول الله

صلى الله عليه وسلم

كنت أحس وأنا أشاهد مسلسل محمد رسول الله أن المؤلف العظيم عبد الحميد جودة السحار ومعد الحلقات الشاعر العملاق يؤمان المؤمنين جميعا فى صلاة متخشعة فى محراب الايمان والفن فى وقت معا ..

رحمك الله عبد الحميد فى الخالدين وهنيئا لك ما أنت فيه اليوم من نعيم انى لأحسب روحك الشفيفة النقية كانت تدف حول شاعرنا الذى تمازجت روحه وروحك فى حب الله ونبيه والفنـاء فى ذات العلى القدير .

وأى توفيق ذاك الذى الهم القائمين بأمر الاذاعة أن يسندوا هذا العمل الى الأستاذ عبد الفتاح مصطفى الذى اعتقد انه ليس فى العالم العربى أجمع من يستطيع أن يقدم هذا العمل بخير مما قدمه هو . الحوار الرائع واللفظ النقى الأصيل الواضح والآية فى مكانها وفى كامل جلالها ومن فى العالم العربى يجمع الفن الشعرى الرفيع والثروة اللغوية العريضة واستظهار القرآن الكريم كل هذا مع روح بللورية الصفاء غير عبد الفتاح مصطفى ثم هو يقف الى جانب رجل وهب نفسه لحب الله ولكتابة سير الأنبياء مع صنعة أصيلة فى فن الرواية وعلم عميق باللغة العربية وبالقرآن الكريم .. رحم الله عبد الحميد جودة السـحار .. وهل أدل على أنه سبحانه قد رحمه وأنزله فى أكرم جوار من نجاح هذا العمل الشاهق الذى عرض على الناس فى شهر رمضان .

وأى توفيق أصـابه المخرج وهو يحس المشـاهد فى فنية باذخة فلا يطول مشهد على ما ينبغى له ولا يقصر آخر عما يجدر به .. ثم اختياره لهؤلاء الممثلين الذى أحب أن أبدأ التحية لهم بالاعجاب الشديد بالأستاذة فردوس عبد الحميد التى وهب لها الله كل مقومات الفن من تمثيل وغناء واستطاعت فى ومضة عين أن تكون شمسا ساطعة من شموس الفن .. ما رأيتها الا وزدت اعجابا بها وهى تمسك بالدور المعقد الكثير التفاصيل فتلم بأدق ما فيه من أغوار وعقد وتظهرها جميعا بالنطق والحركة والايماءة وتجعلك مع كل هذا الابهار تنسى أنها تمثل وان كان دورها فى هذه

الحلقات مقصورا على الالقاء فقد استطاعت به فقط أن تبلغ القمة فنحن أمام صوتها وصوت الأستاذ العظيم الرائع عبد الله غيث متخشعون كأنما نحن فى رهبة صلاة أو فى حضرة نبى .

والممثلون الآخرون .. ما هذه القمم التى بلغوها لا استثنى منهم أحدا سواء ذكرته أو لم أذكره شكرى سرحان الشاب الشيخ وحمدى غيث وأنور اسماعيل الذى بلغ القمة فى قفزات سريعة ولكنها أصيلة وغيرهم أو أن شئت فقل كلهم .

وبعد .. فأنا وأنا أكتب هـذه الكلمات لا أستطيع أن أنسى اننى وزوجتى كنا نجلس فى المساء أمام هذه الحلقات ثم قبيل المغرب نشهد اعادتها والدموع تفيض من عينى وعينها لا يسمع أحدنا من الآخر الا لفظة الجلالة نطلقها مخضلة بدموع الايمان وكنت أحس كأننى وزوجى نسبح فى العوالم العليا وقد اقتربت واياها من سدرة المنتهى أو بلغناها .

ولأسـوق أيضـا الى الجمهور المصرى أملى له وحزنى على الغالبية العظمى التى كثيرا ما لغطت بالأحاديث عن التفاهات من أعمال التليفزيون ولم تذكر هذا العمل الشامخ بما هو جدير به من اجلال واكبار ..

صـــورة تاريخية

الدبابات تفتح طريق السلام

صورة ظاهرها بسيط وقاحل ٠٠ كوكبة من الجنود تحف بمشى جامد وجماعة أخرى تعتلى مصفحة تتجه بها الى جبل ٠

ولكن العجيب ان هذه الصورة الخرساء الصماء المجدبة تموج فيها مجموعة من الحياة وشوامخ من تاريخ بعيد فى الماضى وأمجاد من تاريخ ينفذ كسهم القدر الى المستقبل ٠

والأعجب ان الايمان فيها بالله وبالوطن وبالعروبة هو ظاهر الصورة الواضح وهو الخفى فيها المشرق ٠ هو الطريق الذى تشقه المصفحة فى بداية الحرب هو بسر كلمة من الله أصبح بداية الطريق الى السلام والأعجب ان هذه الصورة تجمع بين حدودها الضيقة يأس العرب وخذلانهم وهو يمحى ويتهدم ويصدع ويدك ٠ وأمل العرب وهو يتسامق وينتشى ويتفرع ويتســامى الى الأصداء التى ما زالت ترن هناك فى السماوات العلا من صـــيحات المســلمين الأوائــل فى بدر والخندق وحنين ويمتزج الهدير الحديث بالهدير القديم ليرتفع الى الله العلى القدير فناء فى ذاته ودعاء متخشعا فى رفيع حضرته ان يعز العرب ويظلوا فى حبه وفى سبيله جمعا لا يتفرق ووحدة لا تنشعب وصوتا يستمد الرخامة فيه والحنين والعظمة من روح رب العالمين ٠

من أحيا نفسا ٠٠ فكأنما أحيا الناس جميعا

لا ٠٠ ليس الأمر كما قال الرئيس السادات ٠٠ فهو قد قال فى عيد الفن أن حلمين كانا يراودان طفولته وقد حققهما ٠٠ هما : بناء قرية ميت أبى الكوم بناء يليق بكرامة الانسان وانشاء بيت للفنانين ٠ ويحمد الرئيس السادات الله انه حقق الحلمين ٠ أما حمد الله فمفروض على كل حال وفى كل الوقت ، واما هذان الحلمان يا سيدى الرئيس فليسا الا رؤى طفولة غضة طيبة لم تتصور كما لم يتصور الكبار أن يوما سيأتى على الانسان فى مصر يفقد الانسان فيه ٠٠ فكان من حقك فى هذه الأيام أن تحلم هذه الأحلام البريئة الوضاءة البعيدة كل البعد عما يتصور بشر أنه قد ينزل ببشر ٠

لم تكن تتصور أن فئة من الناس ستجعل مصر الخالدة التى شب التاريخ على ضفاف نيلها والتى أرسلت الى العالم أشعة وحدانية الله قبل رسالات السماء ، والتى عرفت نظم الحكم قبل أن يسمع بها أحد ٠٠ مصر هذه سيصبح شعبها فى يوم من الأيام موضع الاشفاق من العالم أجمع تهتز فيهم المشاعر لما يقع على الانسان المصرى من سحق للانسان فيه ويقفون مع ذلك جامدين لا يستطيعون للبلاء هذا دفعا ٠ ولا يؤيد الجماعة الطاغية الا دولة الطغيان هو دستورها والالحاد هو دينها وسحق الانسان هو وسيلتها وغايتها ٠

وجئت أنت يا سيدى الرئيس فكان أول شىء صنعت للمصريين أنك أعدت الانسان فيهم الى الانسان ٠ وسحقت أنت الطغيان وعدمت أنت بيدك المعتقلات ٠٠ وتبدل الخوف منا أمنا ٠

واذا شاع الأمن فى النفوس فليس يهم الانسان بعد ذلك أين يلقى جنبه لينام ٠ ان أبناء ميت أبى الكوم الذين تقول أنك حققت حلمك لهم بالبيوت التى أنشأت قد ينسون فضلك فى هذه البيوت ولكنهم لن ينسوا لك ولن ينسى لك مصرى شريف انك أعدت اليه آدميته ٠

والكتاب الذين كانوا مشردين بين النفاق والصمت أو الكتابة الرمزية للشجاع منهم الأبى قد ينسون لك انك بنيت لهم جناحا فى بيت الفنانين ولكنهم لن ينسوا انك أعدت الكلمة التى يريدون أن يقولوا الى شفاههم وأقلامهم ٠

يستطيع أى رئيس يا سيدى أن يبنى قرية ، قد تختلف عن أى رئيس آخر فى انك وضعت مالك الخاص وربحك الحلال من قلمك فى بناء هذه القرية يستطيع أى رئيس على كل حال أن يبنى قرية ولكن لا يستطيع أى رئيس أن يعيد الانسان الى الانسان فى شعبه لأن الانسان حرية والانسان فكر والطغاة يخشون الحرية ويخشون الفكر ٠

ويستطيع أى رئيس أن يبنى بيتا للفنانين وجناحا للكتاب ولكن لا يستطيع أى رئيس أن يطلق انسان الفن والكلمة لأن الطغاة يخشون الفن الصادق والكلمة الشريفة ٠

على هذا النور الذى أشعت فى نفوس بنى مصر عبرنا الى النصر ومن هذا النصر عبرت أنت الى السلام فحققته للعـالم أجمع ونبت فى الساحة العالمية نوع جديد من البطولة هو بطولة السلام أعظم وأسمى وأكرم عند الله وعند الناس من بطولة الحرب ٠

والحق سبحانه يقول فى كتابه العزيز « من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » وقد أحييت أنت شعبا لا من الموت فالموت قد يهون ، وانما من خوف ورعب وليس شر من الموت الا الخوف والرعب ٠

فاذا كان الكتاب هم كلمة الشعب واذا كان ينبغى عليهم أن يسمعوك هذه الكلمة فى أعياد الفن وأعياد النصر وأعياد السلام واذا كانت الكلمة لابد أن تكون شكرا فليس الشكر منهم اليك من أجل قرية ميت أبى الكوم التى تريد أن تضرب بها مثلا لقرى مصر وليس الشكر منهم لحجر الأساس الذى أرسيت وانما الشكر انهم اليوم أحرار يمدحون وهم يعلمون أنهم يستطيعون أن ينتقدوا فالمدح اذن صادق ٠ وهذا القلم الذى يكتب لك هذا اليوم عرفه الناس حين كان يعارض بالرمز لأنه لا يملك أن يعارض بالعلن وهم يعلمون اليوم أو حتم عليهم أن يعلموا أنه انما يقدم الاكبار والاجلال والشكر اليك لأنه يحس بهذه المعانى أيضا فى قلبه وفى أعراقه ويحسها نبضا فى قلب مصر وأعراقها ٠ ولن ترى مصر هذا القلم أو صاحبه الا نبضة من قلبها ومن أعراقها ٠ وانى أعلم أنه طريق صعب وأعلم كل ما يحف به من أهوال ولكنه قدرى ولن أحيد عنه ٠٠ وأشهد الله ٠

الأزهر •• وهداة الغـد

الأزهر الشريف هذه المنارة التى أضاءت ألف عام من تاريخ البشرية جميعا فى جميع أنحاء العالم عدا عليه الطوفان فيما عدا وأسماه جامعة ويعلم الله أن اسم الأزهر وحده أكبر من كل تسمية فما يشرفه فى شيء أن يقال عنه جامعة وتستطيع الجامعة أن تتخذ لنفسها ما تشـــاء من الأسماء • بل انه حتى لا بأس عليها أن تشرف بالانتساب الى الأزهر فى اسمه •

ولكن كيف نستطيع أن نتصور الأزهر ولا نفكر فى القرآن الكريم أنه لشيء عظيم أن يدرس الذين يدرسون العلوم العادية جانبا من العلوم الدينية ويحفظوا أجزاء من القرآن الكريم ولكن ليس هذا من التعليم الدينى فى شيء انما هو واجب مفروض على كل مسلم بل مفروض على كل من ينتمى الى دين أن يعرف أصول هذا الدين وكتابه ولكن الكارثة الكبرى تتمثل عندى ان الذين يدرسون فى الكليات الدينية لم يصبح حفظ القرآن شرطا من الشروط التى ينبغى توافرها ليسمح للطالب أن ينتسب الى هذه الكليات •

فالغد اذن يبشرنا بعلماء دين لا يحفظون القرآن الأســـاس الأول الذى تقوم عليه أركان الدعوة الاسلامية •

أى مصير أسود قاتم ينتظر الدعوة الاسلامية فى غدها : وكيف قبل الأئمة الهداة فى الأزهر هذا العبث وسكتوا عليه •

تستطيع أى جامعة ان تقدم الى الشباب ما تقدمه الجامعة الأزهرية فى أيامنا هذه من علوم ورياضة وطب •

ولكن الأزهر وحده فى العالم أجمع هو الذى يخرج لنا الأئمة لغدنا فمن لنا أو من لأبنائنا وأحفادنا فى هذا الغد وما مصير ديننا اذا تولى أمره من لا يحفظون القرآن •

لقد دبروا هذه المؤامرة حين أنشب الالحاد أظافره وأنيابه فى حياتنا وقيمنا ولكن السنوات مضت ولم يصحح هذا الاجرام الذى ارتكبوه ٠

فحسبنا وحسب ديننا ما صنعوا وانى أصيح اليوم بالسيد وزير التعليم العالى وبرئيس جامعة الأزهر أن يعيد ما كان من قبل من حتمية حفظ القرآن لمن ينتسب الى أى كلية دينية ٠

وانى أصيح اليوم أن تقدم الدولة كل المغريات المادية والأدبية لهؤلاء الذين يعقد عليهم الغد آماله ليكونوا هداة لأبنائنا فى دينهم ٠

فى ذكرى الأربعين .. دمعة لا نخفيها

وما الأربعون . وما السنوات . انما يقتلع الموت أصدقاءنا فيقتلع أجزاء من قلوبنا ومن ذكرياتنا ومن أملنا فيهم ولتمض الأيام بعد ذلك ما شاءت أن تمضى فانما مكانهم الذى انتزعوا به من قلوبنا وذكرياتنا وأمالنا باق بقاء الأبد حتى باذن الله فنلتقى عنده سبحانه منتزعين نحن أيضا من أزواجنا وأبنائنا وأصدقائنا .

وما هذه الكلمات التى تجرى بها قلوبنا الا دمعة تعارف الناس ان تسيل حين يمر على المصاب أربعون يوما وتنسكب الدمعة لا نحاول ان نخفيها متخذين من هذه الذكرى اعتذارا لنا عند من يرى فى الدمع ضعفا .

ولو تدبر الانسان طريقه لوجد الدمع هو الينبوع الذى يجعل الحياة محتملة بعض الاحتمال وهو سبحانه يقول للانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه . وما عوننا على الكدح الا ان تسيل من عيوننا بعض دمعات ان لم تهب لنا الراحة فلتشعرنا على الأقل ان ماء الحياة فينا لم ينضب واننا نستطيع ان نسير . وكم أخشى ان تثير هذه الكلمات أشجان زوجة أخينا الراحل على فانما تجمعنى بهذه الزوجة أخوة باكرة منذ لا يذكر كلامنا متى كان ذلك فقد كان أبوها رحمه الله عليه أخا لأبى وكان لا يكاد يمر اسبوع دون أن يزور أحدهما الآخر . وهكذا نشأنا ونحن نعتبر المرحوم الدكتور سامى كمال والد حرم أخينا على ليس طبيبا لنا فحسب وانما أخ لأبى تحابا فى الله وفى الوطن وفى المثل العليا . وكم أخشى ان أثير بهذه الكلمات مكامن الحزن فى نفسها فى حين أرجو أن أصل الى مكامن العزاء عساها تستطيع أن تواجه وحدها ابنتيها اللتين أعتقد انهما لم تفيقا بعد من الدهشة وما أحسب انهما سيفيقان منها الى أمد طويل فهما ــ ثبت الله قلبيهما ــ لا يدركان لماذا أصيبتا فى أعز مخلوق لهما وكيف لهما ان يدركا ما لا يدركه أحد من الكبار المسنين أولئك الذين لا يملكون فى أمرهم الا أن يقولوا فى اذعان حسبنا الله ونعم الوكيل ... حسبنا الله ونعم الوكيل .

عودة الى الأزهر

لم أكن أتصور حين نشرت مقالتى عن عدم اشتراط حفظ القرآن للدارسين بالكليات الدينية بجامعة الأزهر انه سيثير ما أثاره ولعل أهم بل ان أهم ما جاءنى بشأنه برقية من الشيخ الجليل العالم المجمع على قيمته العلمية والخلقية فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى وزير الأوقاف وشئون الأزهر الأسبق ·· لا أملك قبلها الا الشكر والاجلال ·

أما الأحاديث الأخرى فقد تبين لى منهـا أن المصريين فيما يبـدو لا يقدرون معنى وجود الأزهر فى عاصـمتهم ·· فقد تعودوا أن يجدوه وجعلهم هذا التعود يظنون أن وجوده أمر طبيعى ·

فهم لا يقدرون مثلا انه اذا كانت آثار مصر الفرعونية والاسـلامية تدل على حضارة عريقة لمصر فان الأزهر بالألف عام التى تضىء جوانبه والتى أضاءت به وبعلمائه جميع أنحاء العالم الاسلامى فى كل بقاع الأرض وفى القارات جميعا بلا استثناء يمثل الحضارة الحديثة لمصر ·

ولعلهم لا يعرفون أن تعبير كرسى الأستاذية المستعمل الآن فى كل جامعات العالم مستمد من كرسى الشيخ الملاصق لعمود من أعمدة الأزهر ·

فأعمدة الأزهر هذه هى أعمدة الثقافة الاسلامية فى العالم أجمع ·

ومن الجلوس حول هذه الأعمدة تخرج لا الأئمة الهداة فى الدين وحده ، وانما الاعلام الأفذاذ فى كل ميادين الحياة العامة وحسبى وحسبك أن تذكر سعد زغلول والهلباوى وطه حسين ولا أطيق وما يطيق أحد أن يحصيهم عددا وقد لقينى الأستاذ الجليل الدكتور كامل حته فأبدى رضاءه عن مقالى ولكنه استدرك أنه لا بأس أن يتعلم الطبيب أو المهنـدس أو المحامى أو غيرهم شيئا من علوم الدين الى جانب علومهم ·

والدكتور كامل على حق ولكن هذه العجالة البسيطة من التعليم الدينى التى تصاحب ما يدرسه هؤلاء يمكن تدريسها فى أية كلية دون حاجة أن تكون هذه الكلية تابعة لجامعة اسمها الجامعة الأزهرية وقد كنا فى كلية الحقوق بجامعة فؤاد التى صار اسمها جامعة القاهرة بعد تخرجنا وكنا ندرس الشريعة الاسلامية على أئمة لا اختلاف فى قيمتهم العلمية ومكانتهم فى الثقافة الدينية وهم الشيخ على الخفيف والشيخ

محمد أبو زهرة والشيخ عبد الوهاب خلاف وقد كان يمكن أن يدرسوا لنا جانبا من قواعد الدين اذا تقرر ذلك ٠

ولكن ليس هذا ما أهدف اليه فانه حتم على كل ذى دين أن يكون على علم بالأسس الهامة فى دينه ولا فضل له فى ذلك وانما ينصرف حديثى الى الكليات التى تستخرج أمثال هؤلاء الأساتذة الاعلام وكيف يتخرجون اليوم وهم لا يحفظون القرآن وكيف يكف الأزهر عن مهمته الأصلية فى تخريج الأئمة الهداة والأساتذة الاعلام ٠٠ وكيف يصبحون كذلك وهم لا يحفظون القرآن الكريم ٠

لقد ألغى حفظ القرآن تماما من الدراسة المصرية والمصيبة تتجسم فى المتخرجين من الكليات الدينية التى لا تستوجب حفظ القرآن على من يريد أن ينتسب اليها ٠ بينما كان هذا حتما على كل من يريد أن يكون من العلماء ٠

وكان حتما أيضا على طلاب دار العلوم التى كان الدخول اليها بثانوية الأزهر فجميعهم كان من حفظة القرآن الكريم ومنذ ألغى هذا الشرط الغيت اللغة العربية من المدارس وأصبح الذين يدرسونها ضعافا بصورة تدعو الى الحسرة والألم ولا أريد أن أزيد حتى لا أمزق الجراح ٠

وكان حتما أيضا على طلاب كلية القضاء الشرعى ولست أدرى كيف سيجلس القضاة الشرعيون فى غد يفصلون فى قضايا شرعية وهم لا يحفظون المنبع الأول لهذه الشريعة ٠

ان عدم حفظ القرآن الكريم للعاملين فى ميدان التعليم الدينى كارثة فى الدين ٠ وهو أيضا كارثة على اللغة ولابد أن تستدرك ٠

ولا يكون هذا الاستدراك الا بوسيلتين متلازمتين احداهما عاجلة والأخرى آجلة الأولى أن يفرض حفظ جانب كبير من القرآن على الطلبة الحاليين فى هذه الكليات والثانية الآجلة أن يصدر قانون يحدد له عام معين يجعل الانتساب الى هذه الكليات ممنوعا الا على من يحفظ القرآن الكريم ٠

وقد يقال شيء على جانب كثير من الوجاهة ٠

كان الذين ينتسبون الى الأزهر واحدا من اثنين اما أن يكون أبوه قد نذره للأزهر كما حدث لأسرة عبد الرازق فتخرج منها فى الأزهر الشيخ الجليل مصطفى عبد الرازق والشيخ الجليل على عبد الرازق وكان مثلهم من أبناء الأثرياء عددا ليس كبيرا ولكنه أيضا لم يكن قليلا ٠

واما أن يذهب الطالب الى الأزهر لأن التعليم فيه كان مجانيا بل كانت تجرى على الطلاب رواتب ضئيلة ولكنها كانت فى زمانها ذات شأن واليوم المفروض رسميا ان التعليم كله مجانى ومهما يكن هذا غير حقيقى فى جوهره الا أنه على كل حقيقة رسمية ·

والمبلغ الذى كان يرصد للطلبة لم يعد يغرى أحدا ·

ولهذا فلابد أن يصدر تشريع يجعل المتخرج فى الكليات الدينية من الجامعة الأزهرية ينال ضعفى مرتب المتخرج فى الكليات الأخرى ليكون ذلك دافعا له ان يحفظ القرآن الى جانب العلوم الدينية واللغوية الأخرى وهى كثيرة ·

وكان من المقرر أيضا أن يعفى من الجندية الذين يحفظون القرآن والحقيقة أن هذا دافع قوى ينبغى العودة الى العمل به ·

وبعد ، فقد تفضل الشيخ الجليل عبد العزيز عيسى فطلب الى أن أكتب ثانية فى هذا الموضوع وانى على استعداد أن أكتب ثانية وثالثة وألفا ليتحقق هذا الهدف ، وانى من برقية الشيخ عبد العزيز عيسى أوجه الدعوة الى الكتاب جميعا أن يكتبوا آراءهم فى هذا الشأن ·

فالسكوت على الجريمة جريمة · ومحاولة هدم ديننا ولغتنا أعظم جريمة ترتكب فى هذا العصر لأن الدين والعقيدة هما الأساس الروحى للانسان واللغة هى العقل الذى امتاز به الانسان على الحيوان حين يخرج هـذا العقل من مكامنه الخفية ليعرض على الناس وليتبينوا من الحديث ما وراء الحديث من علم أو من جهل ·

وأعداء الانسان أنصار الالحاد والمشرعون لهدم الوطنية الأساسية للأزهر يقوم مذهبهم على هدم الدين ليهدموا به الروح عند الانسان ·

وعلى هدم العقل ليقبل ما يفرضه المذهب الملحد من جعل الانسان قطعة من آلة أو حيوانا فى حقل ·

ولكن هيهات فهذا الدين يقف وراءه رب عزيز مقتدر قال فى كتابه الخالد الباقى « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ···

سبحانه وانه له لحافظ وان رغمت أنوف ·

لابد أن يعود الأزهر الى الأزهر

يوافينى البريد بكثير من الخطابات والمقالات حول موضوع القرآن والأزهر الشريف • وانى انشر هنا خطابا من الدكتور غسان زكى بدر أستاذ علم الاجتماع المساعد بآداب عين شمس • ولى على ما كتبه الدكتور تعليق ثم لى على الموقف جميعه تعليق آخر •

يقول الدكتور :

« لقد قامت دعوة تطوير الجامعة الأزهرية على أساس الغيرة على مستقبل هذه الجامعة العريقة التى يرجع استمرار تاريخها لأكثر من ألف سنة وتعتبر بذلك أقدم الجامعات المعاصرة فى العالم • واذا كانت دعوة التطوير صاحبها بعض الاخفاقات فليس فى هذا ما يجعلنا نصم عملية التطوير ككل وانما تدعونا الى مراجعة ما فى عملية التطوير من ايجابيات وسلبيات فننمى الأولى ونتجنب الثانية دون الردة الى حالة الجمود التى كانت عليها جامعة الأزهر قبل عملية التطوير •

حقا لا أحد ينكر على الأزهر تخريجه لعديد من رواد حركتنا الحديثة فى النهضة فى مجالات الدين الاسلامى والأدب العربى • فليس بيننا من لا يجد ان رســالة الأزهر الأساســية يجب ان تتركز فى رعاية هذين التخصصين من المعرفة الانسانية ، ولا ان تتبع شهرة الأزهر من العناية بهما ، لكن هناك اعتبارات حضارية معاصرة تملى على الأزهر ضرورة الاهتمام بأن يكون جامعة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانى الاحاطة بكل معرفة على المستوى التخصصى فى البحث والتعليم يمكن ان يقوم فى كل جامعة الا أن جامعة الأزهر يجب ان تتضمن هذا التخصص ليس لأن هناك طبا اسلاميا وطبا غير اسلامى وانما لاعداد الأطباء الغيورين على الدين الاسلامى ليكونوا دعاة اسلاميين فى مجال تخصصهم وليولوا مسائل البحث الطبية المتصلة بالديانة الاسلامية أولوية فى الكشف عن حقائقها كمـا يهتمون بمكافحة أمراض المناطق التى بها تجمعات من المسلمين وتوفير الطبيب المسلم الذى يفضل العمل بين أبناء دينه مهما كانت ظروف حياتهم على تفضيل العمل فى مناطق حصلت من الرعاية الطبية على قدر مناسب لا لشىء الا لتوفر فرص الحياة المغرية من أجور ومعيشة مدنية • وما يقال عن الطبيب يقال عن المحامى وعن المهندس وعن الزراعى والاقتصـــادى ••• الخ •

والواقع انه لا خلاف فى المناقشـــة الحالية حول هذه الأمور فهى مسلمات معروفة ، ولكنى أردت ذكرها حتى تكون أمام اعيننا فى مناقشة ضعف أسلوب الاعداد الدينى لطلاب جامعة الأزهر فى تخصصاتهم المختلفة . وفى رأيى يرجع ضعف الأسلوب حاليا لعملية التطوير التى جاءت بقرار تم تنفيذه فى يوم وليلة فاســـتعان الأزهر بهيئات تدريس من غير أبناء الأزهر . ومع انه استعان بأساتذة أفاضل تخصصا ودينا الا ان أسلوبهم فى وضع مناهج الدراسة والاعداد التخصصى للطلاب جاء بعيدا عن رسالة الأزهر الحقيقية ورسالة تطويره واعتبر الأزهر كأى جامعة أخرى فى رسالته . وكان الواجب الا يعتد فى التعيين فى الأزهر لوظائف التدريس بالشهادات ومعادلتها وفقا لنظام المجلس الأعلى للجامعات وانما كان يجب ان يكون لجامعة الأزهر معاييرها الخاصة فتكون الدرجة العلمية والمؤهل التخصصى أحد جوانب هذه المعايير وتكون الغيرة على الاسلام والمبادىء الانسانية العامة جوانبها الأخرى ، فلا ضرر فى اجراء امتحان للمتقدم للتعيين الا ان يكون معروفا بكتاباته التى ترى لجنة التعيين انها كافية ومناسبة لأهداف جامعة الأزهر .

ولعل من الأخطاء التى وقعت فيها جامعة الأزهر فى الحصول على طلابها انها سمحت للحاصلين على الثانوية العامة بفرصة التقدم اليها على أن يقضوا فى أول التحاقهم سنة دراسية فى دراسات دينية معتبرة أن ذلك أسلوب قويم فى اعداد الطالب الاسلامى الذى سيحمل رسالة الأزهر . والواقع ان طالب الجامعة الأزهرية من غير الحاصلين على ثانوية الأزهر يجب ان يلتحق بنظام مختلف عن نظام التنسيق . يجب ان يكون الالتحاق بامتحان مسابقة أو معادلة تحدد فيه مواد تساوى بين طالب الثانوية العامة وطالب الثانوية الأزهرية والتى على طالب الثانوية العامة النجاح فيها قبل الالتحاق بالجامعة الأزهرية فى التخصص الذى يريده . فالعبرة يجب ان تكون استيعاب هذه المواد مهما تعددت وليس سنة دراسية واستيعاب بعض المواد التى يراعى فى تصحيحها ان الطالب ليست له فرصة الالتحاق بكلية أخرى فى جامعة أخرى .

والتعليم الأزهرى ليس بتعليم عام تتولاه الدولة وانما هو نوع من التعليم الخاص الاسلامى تتولاه وزارة الأوقاف بما لها من رسالة وتمويل اسلامى فهى تساعد الدولة فى أداء سياستها العامة ولكن ليس على حساب رسالتها الخاصة . وهذا حق للأزهر ومعاهده . كما ان حق الدولة ان هناك تعليما أساســـيا تضع أسسه الدولة وتلتزم به المعاهد الأزهرية بالنسبة لمراحل التعليم حتى الثانوية العامة كالتزام مدارس اللغات به رغم تميزها فى نوعيتها التعليمية .

وهذا الموضوع يقودنا الى كلمة سريعة عن ضرورة تطوير التعليم الأزهرى فى المعاهد على أسس من هذا المعنى من الحضانة الى الثانوية العامة حتى تكون أمام تلميذ هذه المعاهد فرصة التحويل من والى التعليم العام فى الدولة فتضمن له حريته الشخصية وحرية اسرته فى تعليمه العام والأزهرى على حد سواء ٠

بقى بعد ذلك كلمة بالنسبة لحفظ القرآن الكريم وهى ما أثار فى الوقت الحالى المناقشة حول موضوع تطوير الأزهر ٠ فالحفظ ضرورة لطالب الأزهر ومعاهده ويمكن ان يراعى فى أسلوبه وطريقة الامتحان فيه أساليب التربية التى تراعى القدرات الفردية وهى مهمة يمكن ان تنهض بها كلية التربية بالأزهر ٠ وان كان لى فى هذا الموضوع رأى شخصى – ولايعتد به – فهو اننى أرى أن فهم المعانى له أولوية على الحفظ ٠ فالى جانب انه يسهل الحفظ فسيسمح للمتخصص بالبحث عن النص الحرفى فى الكتاب الكريم اذا أراد ٠ فليس من الملزم التشدد فى الحفظ الفائق للنص وانما يمكن التيسير مع المحافظة ان يكون معيار الكمال هو الحفظ الكامل السليم الواعى ٠ ما ادعو اليه هو ما أعتقد انه فعلا سائد اليوم بين شباب الأزهر وهم ازهاريو النشأة ٠

وتقبلوا خالص شكرى ٠٠ » ٠٠

أبدا فاتشكك كثيرا أن دعوة تطوير الأزهر قد قامت على أساس الغيرة على مستقبل هذه الجامعة العريقة ٠ فليس يصح فى العقول ان الغيرة على مستقبل جامعة أساسها الدين القائم على القرآن تلغى حفظ القرآن كشرط من شروط الانتساب الى الكليات الدينية ٠

أما ما جاء بعد ذلك فى خطاب الدكتور من الاعتبارات الحضارية فانى احترمها وأعتقد اننى اشرت قبل ذلك ان تعليم الأسس العامة للدين وجانب من القرآن الكريم لدارسى الطب أو الهندسة أو الحقوق أو غيرها واجب حتمى لا يعترض عليه أحد الا أنه أمر يمكن أن يتم فى أى كلية ولا بأس أيضا ان تكون هناك جامعة أزهرية تحقق هذا الهدف ٠

ولكن هؤلاء الخريجين لا يمثلون الأئمة الدينيين الذين ننادى بوجوب حفظهم للقرآن والجزء لا يغنى عن الكل ٠

وكان من الطبيعى لو ان النيات خالصة ان تقام الجامعة الأزهرية لتعليم العلوم الدنيوية جميعا مع بعض العلوم الدينية وتبقى مع ذلك مهمة الأزهر الأساسية على حالها ٠

والدكتور لا يعارض فى هذا وانما يثبت معنى أشرت أنا اليه اشارة عابرة حين أوردت حديثى مع الأستاذ الفاضل كامل حتة ولكن يبدو ان الدكتور خشى ان تمر الاشارة دون الانتباه اليها ٠

وأذن فانا متفق مع الدكتور غسان زكى بدر فى كل ما جاء فى خطابه فيما عدا حسن ظنه بمن نفذ دعوة تطوير الأزهر ٠

وبعد فما لهذا الحديث لا يصل الى أحد من المسئولين عن الجامعة الأزهرية ٠ أيكونون فى بلد آخر غير مصر أم ترى الأهرام تصدر فى المريخ ٠

وان لم يهتموا بكلام ينشر عن دين الله وقرآنه وجامعتهم فبماذا ياترى يكون اهتمامهم ٠

ايظنون اننا ننشر هذا الكلام للشهرة وللاثارة الصحفية ٠ اذن فهو العجب فما انا بحاجة الى شهرة وليس الشيخ الجليل عبد العزيز عيسى بحاجة الى شهرة والأهرام أكبر من ان أذكر قيمته فى الصحافة العالمية فما هو بحاجة الى اثارة صحفية ٠

وان كان هذا الصمت موجها الى فأنا منه بناجية فانا لا أكتب فى موضوع خاص وان كان موجها الى الصحافة كلها ممثلة فى كبرى الصحف العربية فويل اذن لمستقبل الثقافة الدينية عندنا اذا كان القائمون بأمرها لا يعرفون الخطير من الأمور والهين منها ٠

وقد كنت فيما كتبت غاية فى الرفق فانا لم أحملهم مسئولية السماح لمن لم يحفظوا القرآن بأن يعلموا القرآن والشريعة الاسلامية ، فمعارضتهم فى تلك الأيام كانت بطولة وانا لست من السذاجة حتى أحاسب قوما على عدم البطولة ٠ وقد كان العهد مقتصدا تدمير الدين واللغة ٠

وان كان هناك قوم كثيرون من كل الأديان وضعوا رقابهم على أيديهم فى سبيل ما يعتنقون ٠ ولكن مع ذلك لا جناح عليهم ٠

أما اليوم ورئيس الجمهورية يصدر أوامره ان يكون تعليم الدين فى كل سنة دراسية وبأمر فالدين مادة أساسية لا ينجح الطالب أو ينجح فيهـا ٠

فكيف اذن السكوت اليوم على قوم سيدرسون الدين لأبنائنا فى غد وهم لا يحفظون القرآن الكريم !

ان هذا النظام جريمة مستمرة والسكوت عنها مشاركة فيها .

وبعد فنحن لا نبتغى فى هذا الذى نكتبه الا وجه الله والحق . وأحسب هذا الوجه الاكرم وهذا الهدف الجليل هما غاية الأساتذة الاجلاء الذين يقومون بشأن الجامعة الأزهرية فان لم فحتم من الحتم الا يتغيوا غير هذين فى دينهم ودنياهم .. وحسبهم سبحانه والحق غاية .

الأزهر بخير ‥ ولكن

وصل الى من مكتب فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر خطاب موقع عليه من فضيلة الأستاذ جابر حمزة فراج ٠ وهو من العلماء وهو فى الوقت نفسه المدير العام للاعلام والعلاقات العامة بالأزهر الشريف وهذا نص الخطــــاب :

مما لا شك فيه أن الأزهر أكبر جامعة اسلامية ‥ وأوسع مؤسسة دينية ‥ ومن حظ مصر أن الله شرفها وخصها بهذا التراث العريق ٠ الذى ظل اشعاعة نور ‥ ودار هداية ‥ ومنبع علوم ‥ ومصدر ايمان ‥ عبر القرون والأجيال ‥ ووقف صامدا شامخا ‥ قويا باسقا ‥ حيا نابضا ‥ يؤدى رسالته السامية بنزاهة واخلاص ‥ واخرج للعالم جهابذة العلماء ‥ وخيرة الحكماء ‥ فملاوا الدنيا علما ورشدا وما من جامعة اسلامية فى مختلف الأقطار الا وكان الأزهر ســـداها ولحمتها وقلبها وروحها ‥ ولن أتكلم عن مآثر الأزهر الشريف ‥ وما قام به من مواقف باسلة ‥ يعترف بها الشرقى والغربى على السواء ‥ اذ أننى حينما أحاول حصر فضائله ‥ أو احصاء عطائه ‥ فمثلى فى ذلك كمن يحاول أن ينبش خيوط القمر من ضمير الغدير أو كمن يحاول أن يجمع الربيع فى وردة ويصب العبير فى قطرة ‥ ويركز الجمال فى نظرة ‥ ولكنها همسة أبعثها الى الأستاذ الأديب ثروت أباظة ‥ وهو من أسرة لها بالأزهر رباط وثيق ‥ اننى قبل كل شىء أشكره على حرصه على سمعة الأزهر وكرامته ‥ وأشكره على دعوته التى يهدف من ورائها الى تخريج علماء من طراز كريم ‥ وأشكره على مناداته بالاهتمام بالقرآن المجيد ‥ ولكنى أقول له هامسا : النصيحة بين الملأ فضيحة ‥ وكنت أود منه ‥ وهو المنادى بالاصلاح أن يأتى الينا ‥ ويقدم ما شاء من اقتراحات وأفكار ‥ لتأخذ مكانها من البحث والتمحيص ‥ وما الأزهر عنه ببعيد ‥ وأحب أن يطمئن سيادته بأن الأزهر بخير ‥ ولا يزال فى عطائه وسخائه ‥ ويوم أن تمسك بعراقته رموه بالتخلف والجمود ‥ ووصموه بالتأخر والتحجر ‥ وعندما توسع فى ادخال العلوم الحديثة ثار الثائرون ‥ وتحمس الغيورون ‥ وقالوا : جنح وانحرف ‥ وما هو فى الحقيقة بهذا أو ذاك ‥ نعم لقد توسعنا فى قبول الطلاب ‥ وعذرنا فى ذلك أن المدارس كانت تستوعبهم وتشدهم ‥ فجفت تلك الروافد التى كانت

تمد الأزهر ·· وقل عدد الراغبين وضاق الاقبال ·· الأمر الذى يوحى بالانقراض ·· وسامح الله من قام وقتئذ بما سماه بالخطوة الثانية ·· تلثمت بالاخلاص ·· وهى تخفى من ورائها غرضا مريرا ·· وحقدا دفينا · الا أن الأزهر هو الأزهر ·· تنبه بعد التجربة ·· فعاد الى سيرته الأولى ·· وتدارك خطر عدم حفظ القرآن الكريم ·· فأنشأ ادارة خاصة بذلك أسماها ادارة شئون القرآن الكريم ·· ومهمتها النهوض بالمكاتب ·· واعادتها الى ما كانت عليه ·· من تحفيظ القرآن المجيد ·· كما أن من خصائص هذه الادارة الاشراف الفعلى على المكاتب والعمل على مضاعفتها وذلك عن طريق التشجيع للمحفظين والحفظة ·· حيث يمنح المحفظ خمسة عشر جنيها شهريا اذا كان عنده من التلاميذ ما لا يقل عن خمسة وعشرين ·· منقطعين لحفظ القرآن ومتوجهين لدخول الأزهر ·· كذلك تمنح كل مكتب اعانة سنوية خمسين قرشا عن كل تلميذ · كما ان الادارة تمنح التلاميذ الحفظة جنيها عن كل جزء يقوم بحفظه ·· ثم تمنح المحفظ مكافأة تشجيعية سنويا ·· بقدر ما تقدم به من تلاميذ حفظة ·· والادارة تقوم بحصر واحصاء المكاتب فى جميع أنحاء الجمهورية ·· وقد تم حتى الآن حصر ألفين ومائة وسبعين مكتبا ·· كلها تعمل بتراخيص من ادارة شئون القرآن الكريم ·· وأجهزة ادارة شئون القرآن الكريم تتكون من مدير عام ومدير مساعد ·· ومفتشين موزعين على جميع المناطق الأزهرية كما تشرف الادارة على جميع المراحل بالأزهر فى المجالات القرآنية وقريبا يمتد اشرافها على كل من له علاقة بالقرآن ·· ومن هنا أحب أن يطمئن كل مسلم غيور الى أن الأزهر بخير ·· وأن كتاب الله وسنة رسوله هما الأساس المتين ·· والينبوع الدافق الذى يرتشف منه الأزهر ·· ليبقى على مر الدهور ·· نبعا صافيا ·· ومعينا لا ينضب ·· » ·

***

وأبدا فأؤكد لفضيلة الأستاذ جابر حمزة فراج أننى أكتب ما أكتب حبا فى الأزهر لا نصحا له · فعتب الأستاذ فى غير معتب · فالأمر كما يرى الأستاذ لا يحتاج أن أهمس بالنصح فى أذن الأزهر · وانما أنا أذيع حبى ناظرا الى بيت شوقى الخالد ·

فلا خير فى الحب حتى يذيع ولا خير فى الورد حتى ينم

وبعد فكل ما أورده الأستاذ لا يفيد شيئا فيما أنادى به · فتشجيع الأزهر على حفظ القرآن بهذه المبالغ الزهيدة لن يؤدى الى نفع ·· والالفان والمائة والسبعون مكتبا التى تم حصرها ليس يغنينى من أمرها جميعا شيئا ولو زيدت الى مائة ألف · فالمبانى لن تحفظ القرآن وانما يحفظ القرآن البشر الذين نزل اليهم القرآن · وهؤلاء لن يحفظوه أو يصبح الانتساب الى

الكليات التى تدرس الاسلام والشريعة الاسلامية ممتنعا الا على من حفظ القرآن ٠

فاذا ظل حفظ القرآن هواية أو تزيدا يمكن الاستغناء عنه فويل لنا اذن من هداة الغد وأبناؤنا أو أبناء أبنائنا لن يجدوا من يهديهم أو هم لن يطمئنوا الى فتاوى صادرة من رجل لا يحفظ القرآن الكريم ٠ والمتقاضون فى غد الى مجهول أقل ما فيه ظلم فكيف لقاض شرعى أن يحكم وهو لا يعرف الأساس الأول لأحكام الشريعة ٠

وأنا ياسيدى لا أعارض أن يقبل الأزهر من الطلاب ما شاء أن يقبل وانما كل ما أطالب به وتطالب به جميع الخطابات التى وصلت الى والأحاديث التليفونية التى انهالت على ألا يكون التعليم الدنيوى فى الأزهر حائلا بينه وبين التعليم الدينى ٠ فكل الجامعات تستطيع أن تعلم تعليما دنيويا ٠ ولكن الأزهر وحده هو الذى يحمل شرف التعليم الدينى ولا يجوز له ولا يساغ أن يتخلى عن هذا الشرف الذى ارتفع على مآذنه ألف عام ، وبعد فأنا ياسيدى الأستاذ حين أكتب ما أكتب أريد أن أظهر القائمين بشأن المناهج التعليمية فى كليات الأزهر الشريف على أن الرأى العام جميعه مصمم على أن يكون الأزهر قبلة التعليم الدينى فى العالم أجمع أولا وقبل كل شىء وله بعد ذلك أن يضيف الى هذا الشرف والى واجبه الأول هذا ما شاء من أنواع التعليم الأخرى ٠٠ أفى مثل هذا يجوز الجدل ما أظن والحقيقة ياسيدى أن شيئا فى خطابك لم يؤلمنى قدر نظرك الى قوم رموا الأزهر بالتخلف والجمود ثم حيرتك بعد ذلك بينهم وبين قوم يريدون الأزهر أن يشترط حفظ القرآن لمن ينتسب الى كلياته الدينية ٠ كأنك ياسيدى لا تعرف من الذى يرميكم بالتخلف والجمود انهم ياسيدى فريقان ٠٠فريق يرى الدين كله تخلفا وجمودا وما الى هؤلاء يساق حديث٠ وفريق مخلص آخر يريد التعليم الدينى أن يواكب الحياة الحديثة ويرود مسالكها ويتفهم علماؤه التقدم العلمى فيه ٠ ولم يقصد هؤلاء ولا يجرأون أن يقصدوا أن يبتعد الدارسون للدين والشريعة عن حفظ القرآن ٠ فالقرآن خالد والقرآن قديم وجديد وحفظه لمن يريد أن يعلم الناس دينهم أو يجلس بينهم قاضيا فى شئون دينهم فرض لا يمكن أن يكون موضع نقاش ٠

فخوفك ياسيدى من الذين يرمون التعليم الأزهرى بالجمود والرجعية لا يجيز لك ولا لأحد أن يرى حفظ القرآن اختياريا لمن يرمى عليهم المستقبل عبء الهداية الدينية والتشريع الاسلامى وأحكام الشريعة السمحاء ومرة ثانية لا أعتقد أن الجدل فى هذا الذى أسوق مقبولا من أحد وخاصة من قوم يحملون فى صدورهم أكرم ما كرم الله به الانسان ٠

يأبى الله هذا والمؤمنون

بالشريعة الاســلامية حكم أبو بكر وعمر ، رضى الله عنهما ، فأقاما أعدل حكم عرفه التاريخ على مدى التاريخ ، لا يقف معهما الا عمر بن عبد العزيز الذى حاول أن يتأسى بجده ابن الخطاب .

وبالشريعة الاسلامية حكم المتوكل ، واستطاع أن يجد من يسوغ له الترف الذى يصل الى السفه المثير للنفس البشرية فيروى التاريخ انه بنى أبنية بثلاثة آلاف مليون دينار ، ومهما يكن التاريخ مبالغا فى الرقم ، فالمؤكد ان عهده كان عهدا متلافا لا ذمة فيه ولا دين ولا رعاية لحرمة الدين ولا لما شرعه الله ..

والخلفاء الذين دمروا الشريعة السمحاء أكثر من أن يحصوا ولم يكن غريبا أن تغرب على أيديهم شمس الامبراطورية الاسلامية ولولا أن الدين عظيم ومكين وباذخ وأصيل فى النفوس لقضوا عليه هو أيضا .

فالدين الاسلامى أبعد الأديان عن السيف والذين يقولون ان الاسلام مكن لنفسه بالحرب والدم والسلاح جماعة من جماعتين فاما أن يكونوا أعداء للاسلام وأما أنهم جهلاء . فالفتوح الاسلامية كانت فتوحا للبلدان ولكن شعوب هذه البلدان لم تتعرض من المسلمين لأى نوع من أنواع الضغط الأدبى أو المادى ليدخلوا الى الدين الاسلامى وحسبنا أن نتذكر ما أثار خوف عمرو بن العاص حين رأى كثيرا من أهل مصر يدخلون الى الاسلام فأرسل الى عمر بن الخطاب يبثه خوفه أن ينقص الخراج اذا استمر الحال على هذا المنوال فاذا بأمير المؤمنين يجمل وظيفة القائمين بالاسلام جميعا بعد الرسالة بجملته الصغيرة السامقة « بعثنا هداة لا جباة » .

وقد يظن البعض أن هذه الجزية كانت فى ذاتها نوعا من القهر وهذا الظن مردود ومضحك فالذين كانوا يدفعون هذه الجزية كانوا يعفون من المشاركة فى المعارك الاسلامية فهم يدفعونها بدلا من ضريبة الدم التى كان يدفعها المسلمون بدمائهم . ثم هم كانوا يأخذون من بيت المال وكانت تطبق عليهم فى ذلك القواعد المطبقة على المسلمين فالجزية كانت أيضا تأمينا اجتماعيا وحتى لا أطيل فى حقيقة هذه الجزية أذكر ما قاله منتسكيو فى الجزء الثانى من كتابه روح الشرائع فقد قرر أن الجزية التى فرضـــها

المسلمون على أهل الذمة أى على غير المسلمين كانت ضريبة واحدة بدلا من ثلاثة وثلاثين نوعا من الضرائب كانت مفروضة على شعوب البلاد التى دخلها الاسلام وكانت مفروضة على هذه الشعوب من حكامهم الذين يدينون بنفس دينهم · ومن يعرف مقدار ضآلة هذه الجزية يستطيع أن يعرف أن حجمها لا يتيح لها أن تكون أكثر من ضريبة واحدة · والدليل على حرية الناس فى اختيار دينهم فى ظل الاسلام وجود أعداد كبيرة من غير المسلمين فى البلاد الاسلامية ولا أريد أن أقارن وانما أرجو فقط أن نلقى نظرة الى أسبانيا التى حكمها الاسلام نيفا وسبعمائة عام وليس فيها الآن مسلم واحد ·

أسوق هذه المقدمة جميعا لاصرخ فى العالم أجمع أن هذا الذى يصنعه الخمينى من ذبح وتقتيل بلا محاكمات ليس من الاسلام فى شىء وانما هو تشويه للاسلام وعدوان عليه بشر ما يعدو عليه عدو ، وهذا التهديد الذى تسلطه السلطة الايرانية على جماعة بريئة من الأمريكيين أمر يدعو الى الزراية والاحتقار اذا صدر من عصابة لا دين لها ولا قانون ولا خلق · فكيف به اذا كان واقعا من الجهة الرسمية فى البلاد · انما هو انحلال والاسلام قيم وهو اجرام والاسلام خلق وهو انحدار الى أسفل مدارك الحيوانية والاسلام والأديان جميعا أعظم مراقى التكريم البشرى · فيا أيها الناس فى كل مكان ليس الذى تشهدون اسلاما ولا الذين ينفذونه مسلمين ، وانما هم طغمة باغية يعتدون على الاسلام نفسه ونصوصه وقيمه وروحه ·

ولو أن هذا الذى يقع على الجماعة الأمريكية وقع على أى جماعة أخرى من أى بلد آخر لكان هذا رأينا نفسه وهو ليس رأيا وانما هو حقيقة · حتى اذا وقع هذا العسف على قوم لا يؤمنون بالله ولا اليوم الآخر ، فاننا نرفض أن تكون هذه هى الطريقة التى يعاملون بها · وحتى اذا عاملوا هم الآخرين بهذا الظلم فاننا لا نرتضيه لأنفسنا · فان كان الحادهم يرضى لهم ذلك فان ديننا نحن وما نؤمن به يأبى علينا ذلك ويأباه علينا الهنا الذى نولى له وجوهنا وقلوبنا وتأباه علينا انسانيتنا التى كرمنا الله بها ··· والله على ما نقول شهيد ·

وبعد فنحن فى هذا الذى نقول لا شأن لنا بشئون ايران الداخلية فلها أن تكون بحكومة أو لا تكون ولها أن تكون شورى أو تكون فردية الحكم ·· ولكن المؤكد أنه ليس لها ولا لزعيم فيها أن يشوه وجه الاسلام فهذا ديننا جميعا ونحن جميعا عنه مسئولون فالقتل بغير محاكمة باسم الاسلام تشويه للاسلام ·

وحجز الرهائن لاستلام انسان مريض ولا أذكر هنا منه الا أنه انسان ليس من الاسلام فى شىء ٠

ونحن حين عرضنا ضيافتنا للشاه عرضناها عرض المسلم للمسلم المريض ولا صلة لنا هنا بمنصبه الذى كان يشغله ولا صلة لنا أيضا بما ارتكب من أعمال فهو الآن قد أصبح ملكا للتاريخ وهو لا شك ملاق وجه عادل علينا حسيب وعنده وحده يكون الحساب ٠

أما الأمر الذى لا شك فيه ولا اختلاف بشأنه أنه انسان يعانى المرض ووجوده فى بلد ما يسبب الحرج لهذا البلد فنحن نرحب به كانسان ٠ ومادام سيأتى كانسان فلا صلة بينه وبين السياسة وحتى اذا سمحت له صحته أن يعمل بالسياسة فان طبيعة الضيافة المعروضة عليه لا تسمح ٠

اننا عرب واننا مسلمون وبروح العربى المسلم ندعو الشاه الى بلادنا ٠ والبواعث الانسانية هى أرفع ما تقوم عليه السياسة الشريفة ٠ واذا كان الساسة السابقون فى العالم قد شوهوا وجه السياسة وهدموا من أسسها الشرف والبواعث الانسانية فقد أثبت لهم التاريخ أى أسس عرجاء شائهة كانوا يسيرون عليها ٠

وقد حان الوقت الآن أن تكون البواعث الانسانية هى أسس السياسة العالمية ٠ فبها عبر المسلمون المصريون قناة السويس وخط بارليف وبها عبر السادات التاريخ الى بيت المقدس وبها تمت المعاهدة المصرية الاسرائيلية الأمريكية وبهذا الشعار نجح كارتر فى الانتخابات الماضية وبهذا الشعار أصبح السادات زعيما تحترمه وتقدره كل الشعوب المتحضرة فى العالم ٠

ولاننا شرفاء ولاننا ننتسب الى الانسان ولاننا أولا وقبل كل شىء مسلمون نقول للشاه مرحبا بك فى مصر انسانا لا ملكا وحسبك هذا لتكون عندنا موضع الرعاية والاهتمام ٠٠ رعاية الانسان بالانسان واهتمام البشر بشرف البشرية ٠

لا تغنى فانية عن باقية

فكرت كثيرا ان اطوى الشراع وأجمع الأوراق وأصرف القلم عن موضوع القرآن الكريم والأزهر • فلم يعد عندى ما أقوله بل اننى قلت أكثر مما كنت أتوقع أن أقول • فقد حسبت عندما دفعت بمقالتى الأولى الى المطبعة أن الأمر لن يعدو تذكرة لناسين أو تنبيها لمنشغلين • وما كنت أحسب يومذاك أن الموضوع سيتسع الى ما اتسع اليه •

وأى عجيبة يمكن أن تكون عند قول أحد من الكتاب لا بأس على الأزهر أن يعلم ما شاء من علوم الدنيا وقد زاد عليها شيئا من علوم الدين ولكن لا يجوز أن ينصرف الأزهر عن رسالته الأصلية وهى تعليم الشريعة والفقه واللسان العربى الذى لن يفهم أحد قرآنه الا اذا اتقنه • وان الخطوة الأولى فى هذا السبيل الا يقبل الأزهر فى الكليات الدينية الا من يحفظ القرآن الكريم • أن هذه الخطوة اذا لم تكن ميسورة فى قريب عاجل من الأيام فلا بأس أن يضع المختصون أمدا يرونه ملائما ليعد التلامذة أنفسهم عنـــده •

وفى هذه الفترة يفرض تعليم القرآن الكريم أثناء الدراسة الأزهرية حتى تجد عند المتخرجين فى هذه المعاهد فقها لا يمكن أن يوجد الا اذا حفظ صاحبه القرآن • ففى غد وويل لنا من غد لن نجد أئمة هداة ولن نجد قضاة شرعيين ولن نجد أساتذة للشريعة فى كليات الحقوق والكليات الدينية •

كان من الطبيعى أن يعارضنى الشـــيوعيون والملاحدة الكفرة وقد شرفت بخطاباتهم تحمل السخيمة النجسة الشرهاء وتحمل أيضا التهديد والوعيد وأنا بكل ما قالوه سعيد فحقد الكافر شرف للمؤمن وعداء الخائن وسام للمخلص ، وكره الشيوعى لى مجد اعتز به وأسعد •

ولكن الأمر الذى لم يكن منتظرا ان يجادلنى فى هذا الأمر أئمة علماء وكأنما الأمر يحتاج الى جدال •

ويتفضل المسئول عن الاعلام فى الأزهر فيقول أنه قد تم انشاء ألفى معهد لتحفيظ القرآن الكريم فتصبح المصيبة أدهى وأمر • أهناك أيضا ألفا معهد وفيم تشغل نفسها هذه المعاهد ومن ذلك الذى سيحفظ فيها القرآن الكريم ولماذا يحفظه اذا لم يكن هذا الحفظ مؤديا به الى معهد دينى ،

القرآن الكريم فيه هو الأساس وهو العماد · اذا كانت هذه المعاهد قد أنشئت لمجرد التفاخر تلك كارثة فقد خسرنا فيها مالنا بعد أن خسرنا ديننا · اذا لم تكن هذه المعاهد تمهيدا لدراسة وافية فى الفقه الدينى وفى اللغة فهى طريق مسدود ليست على الجادة ومسار مصيره الى توقف ·

أى شىء يغرى الطالب بالانتساب الى هذه المعاهد الأزهرية اذا لم تكن تشترط حفظ القرآن الكريم بعد ذلك ·

ويجىء رد آخر ان الطلبة يحفظون القرآن الكريم فى أثناء دراستهم وانى استحلف الأساتذة الأجلاء أن يصدقونى القول · أهل يحفظونه حقا حتى تتيح له سرعة الحفظ التى تتيحها السن الباكرة والعقل البكر والحافظة التى تراعى سن الطالب فى الدراسة الجامعية النضيرة ·

وبعد فأنا أقول وأنا لا أعرف الى أى مصرف يتجه هذا القول ولا من المسئول عن تنفيذ هذا الذى أطالب به · فعمل الكاتب ان يقول وعلى كل انسان بعد ذلك ان يحمل واجبه فالمسئولية هنا أمام الله رب العالمين وأمام أجيال المستقبل وهى أيضا أمام أنفسهم ·

وقد ظل العلماء الأجلاء يلقون الينا كابرا من كابر ان الفانية لا تغنى عن الباقية وان الأولى لا تغنى عن الآخرة وان الدنيا لا تغنى عن العليا ·

أما آن لهم ان يتجه هذا الحديث من أنفسهم الى أنفسهم ·

لو كان فى السكوت ايثار للسلامة وخوف من ملامة وبعد عن خطر وافلات من عقاب وحذر من سلطات لمهدت لهم العذر ·

ولكن الرئيس الذى يرأس جمهوريتنا اليوم لا يؤمن بغير الله ويفاخر بأنه حفظ القرآن الكريم ويأمر فيصبح الدين مادة أساسية فى كل مراحل التعليم واذا عمل المسئولون على أن يكون حفظ القرآن الكريم هو أساس الدراسة الدينية فان رئيس الجمهورية سيكون أسعد الناس بقرارهم · فما العقبة اذن · وأنا مازلت لا أدرى الى من يتوجه هذا الحديث · وأنا مازلت على عهدى اجلالا للامام الأكبر ولكن لا أدرى أيدخل هذا الحديث فى دائرة سلطاته أم لا يدخل ولكن من مكان الاجلال والخشوع أوجهه فما أبتغى غير وجه الله ومن ابتغى وجهه كان سبيله قصدا ·

وبعد فما عودتى اذن الى الكتابة وقد ذكرت فى صدر هذا الحديث انى كنت قد نويت أن أطوى الصفحات وأصرف الجهد الى غير هذا ·

حثنى على المضى فى أمرى أمران أولهما أننى لم أحقق بكل ما كتبت وما نشرت شيئا واننى أرفض أن يكون حديث يتغيا وجه الله ويحرص على

مستقبل الدين فى العالم الاسلامى صرخة قد تسمع ولكنها لا تؤدى الى مالا بد أن تؤدى اليه من تحرك عمل لا ململة جلسة على كرسى وظيفة ٠

وأما الأمر الثانى فهو هذه البرقيات والخطابات والمقالات التى تتوالى على الأهرام تحثنى أن أمضى فيما بدأت الى غاياته ٠ وقد استصرخت القائمين على شئون الجامعة الأزهرية فما وجدت الا أقوالا لا تقنع وأكاد أثق انهم هم أنفسهم غير مقتنعين بها ، وانى اعيد النداء الى الجامعة الأزهرية لتكون لجنة فى شأن هذا الذى انادى به لهذه اللجنة أن تحدد البرامج التى لابد من دراستها لأئمة الغد وقضاته الشرعيين وأساتذة الشريعة ولها أيضا أن تحدد العدد الذى تحتاج اليه هذه الوظائف الهامة لشئوننا الدينية واليوم أبدأ نداء جديدا الى أعضاء مجلس الشعب وانى أرى فيهم الماما كبيرا بشئون الدين وهم يستطيعون ان يطالبوا بتكوين لجنة من المتخصصين فى المجلس وغير المجلس ٠

حينذاك أرفع قلمى مطمئنا ان مستقبل أبنائنا لن يكون ضائعا بين الالحاد والتعصب الدينى فقد بلغ الأمر الى الأيدى التى يجب أن تتولاه ٠٠ وانه لأمر أعظم من أن نسكت عنه أو يتحقق ؟

ما بعد الطوفان ..

اذن فلنمض فى طريقنا فهذا قدرنا الذى اخترناه حين هدانا الله النجدين وحين ألزم كلا منا طائره فى عنقه علا بنا صوت المخلصين أن أمضوا فى الطريق فعرفنا فى أصواتهم نبرة الحق ونبعة الايمان ، ووضاءة الصدق . فالله وحده يعلم كم هزتنى المقالة الرائعة التى تفضل فارسلها الينا العالم الجليل الدكتور محمد كامل الفقى . وكنت قد سمعت عنه من الحديث ما جعلنى اتوقع فى كتابه هذا الصدق الخالص وهذا الأسلوب العربى الرصين وكانت المقالة عندما توقعت . والله وحده يعلم كم سعدت بخطاب الأستاذ حسنى الامين الذى حمل هذه الحقيقة المفجعة من ان المتخرجين فى كلية أصول الدين يرفضون التعيين فى وظائف الوعظ والارشاد . ولست أدرى بماذا يمكن ان يجادلنى من حاولوا المجادلة .

والله وحده يعلم ما أحسست به من تفاؤل بالمقال الذى أرسله الى الدكتور السيد على السيد على غير معرفة وانى أعود فارجوه ان يقدم اقتراحاته فى شكل مشروع قانون بمجلس الشعب .

وبالأمس كنت ألبى دعوة كريمة مسعدة من الأستاذ الكبير الزميل د. محمود نجيب حسنى عميد كلية الحقوق ليحتفل بمرور مائة سنة على الكلية العتيدة وناشدنى أساتذة الكلية من شبابهم وشيوخهم الا اطوى الشراع وان أمضى فيما نطالب به من حفظ القرآن كشرط لدخول الكليات الدينية من الأزهر . والبرقيات والخطابات تصل الى فى كل يوم تؤيد وتطالب بالمواصلة .

وهانذا امتثل للمناشدة وامضى فى السبيل .

وأبدأ فارد سؤالا خبيثا أعرف خبث مصدره ولهذا أعيد النصل الى صدر الهامس به . ما شأن الصفحة الأدبية بالأزهر الشريف والقرآن الكريم . وفى السؤال سخيمة فالجهل فيه ليس عجيبا .

الأدب من اعلاء الحياة .. كلمة الناس .. مشاعرهم .. دنياهم التى لا تنصلح الا بدينهم .

فالحديث عن القرآن الكريم والأزهر مكانه ليس مكانا آخر .

والقرآن هو عماد اللغة العربية منذ أشرق نور الاسلام والحفاظ على القرآن فى الصدور حفاظ على أسس اللغة العربية ٠

وبعد فالأدب العربى هو اللغة ٠ بغيرها لا أدب وان كان اللسان العربى قد ألحن الى الانجليزية حينا أو الفرنسية حينا آخر أو الروسية فى أغلب الأحيان فان هذا الانحراف لا يستطيع ان يجابه الحقيقة العظمى ان اللغة العربية هى أساس الأدب العربى ولترغم أنوف ما شاء لها الرغام ولتستدر رؤوس ما شاءت لها الاستدارة ولتنعق غربان وبوم ما شاء لها النعيق ٠ اللغة العربية التى تعتمد أول ما تعتمد على القرآن الكريم هى أم الأدب العربى وستظل كذلك الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ٠

واليوم أصبح التلاميذ والخريجون ٠ كالببغاوات العجماء لا تحسن أن تنطق لفظا أو تقيم جملة وما ذلك الا أننا أغلقنا المصادر الأولى التى كانت تخرج أساتذة اللغة وعلمائها المثقفين ٠

وبعد فسأظل أصيح أنقذوا ديننا من التعصب والالحاد حتى يتم أمر الله ولو كان ما أنادى به لانقاذ الدين وحده لكان حسبى ولكن اللغة أيضا فى غمرة الجهل بها أصبحت غريبة فى بلادهـــا أعجمية على لسان أبنائها ٠

والدين اذ أخرج عن الأزهر أصبح فى مصر غريبا والغريب يتولاه المتطرفون بالعبث حتى يأتى يوم نجد ديننا غير ديننا وقيمنا غير قيمنا ٠

والغريب يتولاه من لا دين لهم فينتشر الالحاد ٠٠ وللالحاد وسائل الى المتطرفين وقد يجتمع النقيضان على خصم واحد وخاصة اذا كان الخصم عملاقا يسانده عظيم السماوات والأرض ومن أعظم من الله سندا من أعظم من الدين الاسلامى خصما للشيوعى والمتطرف ٠ انها خشية لا يردها عنى الا قوله سبحانه « انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا » ٠ صدق الله العظيم ٠

وبعد فما ابخس زمان نضطر فيه الى الاعتذار عن أنفسنا لاننا ندافع عن دين الله ولغة الأمة العربية جمعاء ٠ ولكننا فى عهدنا هذا كالذين نجوا من الطوفان وقد كان الطوفان فى عهد الفئة الباغية ماحقا ساحقا لا يبقى ولا يذر وان حكما يعتدى على الأعراض ليس غريبا عليه أن يعتدى على كل الحرمات وأول الحرمات فى قيمنا هى الدين فبمحاولة هدمه يصـــدرون الى هدم كل ما بقى فى نفوسنا من خير ومن حب ومن سموق ومن احتقار للمادية ومن احتضان للروحية ٠ وقد عرفوا أين حصن الدين فحطموا الدين فيه وأى تحطيم أبشع وأكثر امعانا فى الفساد من أن يجعلوا الأمر فى الأزهر فوضى يدخل اليه التلاميذ اذا ضاقت بهم مسالك الكليات الأخرى ٠

ولا يشترط القانون ان يحفظوا القرآن ليتهيأوا لهذا الحفظ لدراسة دينهم ليصبحوا فى غدهم هداته وقوام الرأى فيه ٠

لقد عرف أعداء الدين أين يوجهون أسلحتهم الملوثة بالالحاد ٠ ولم يعرف أنصار الدين بعد كيف يردون كيدهم ويمنعون معهدهم الشامخ ودينهم الحق ٠ وانه ليملأ نفسى حسرة ان أثير هذا الأمر فبدلا من أن أسمع أن مدير جامعة الأزهر قد شكل لجنة أو ان أعضاء من مجلس الشعب قد اجتمعوا لينظروا فى هذا الأمر ويرابوا ما فرقته عصابة مايو اذا أنا أجد الناس جميعا تحثنى على المضى فى الأمر وأصحاب المسئولية تتردد مواقفهم بين ردود متخاذلة أو سلبية متكاسلة ٠ وهؤلاء المسئولون أكثر منى علما بمقدار الخطر الذى يهدد الغد من خريجيهم الذين يخشون أن يكونوا وعاظا فكيف اذن سيصبحون هداة ٠

ولكن ماذا نفعل وعصابة ١٥ مايو قد حطمت الانسان واذا تحطم الانسان جهل ما ينبغي أن يفعل وجهل الجانب الذى يجدر به ان يقف فيه وجهل الطريق الى الحق وان كان يراه أمامه واضحا لا يحتاج الى دليل ٠

ومع كل ذلك فاننى واثق كما يثق الأستاذ الفاضل الدكتور محمد كامل الفقى اننا سنحقق ما ننادى بتحقيقه يمدنا بهذه الثقة قوله سبحانه « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » سبحانه ومن أصدق من الله وعدا سبحانه ومن انفذ من الله فعلا ٠

أذكر وأنا طفل

كسلت فى المذاكرة وجاءت الشهادة الى أبى وأمى غير مشرفة أبدا ·· وخجلت ولكن خجلى لم يشفع لى عند والدتى فقد غضبت غضبا شديدا ·· وراحت توجه الى اللوم ·

واستمر زعلها منى أياما طويلة ·

وفى يوم دخلت حجرتى فوجدتنى ألعب ولا أذاكر فثارت ·

ـ لماذا لا تذاكر

ـ ذاكـــرت

ـ لو كنت ذاكرت لكانت شهادتك أحسن من هذا ·

ـ أنت دائما لا تقولى لى شيئا الا ذاكر ذاكر أنا زهقت ·

ـ ازهق كما تريد انما لابد أن تذاكر ·

ـ أنا لم أعد احتمل هذه العيشة ·

وقالت أمى فى هـــدوء :

ـ أنت حـــر ·

وقلت وانا أشعر كأننى ألقى بقنبلة لابد أنها ستجعلنى أعمـــل ما أشـــاء ·

ـ أنا ســـأنتحر ·

كنا فى الدور الثالث من منزلنا وكنت أظن أن أمى حين تسمع هذا التهديد بالانتحار ستضمنى الى صدرها وتطلب منى أن أفعل كل ما أريد وانى لست فى حاجة بعد ذلك مطلقا الى أن أذاكر ·· ولكن العجيب أن أمى العظيمة والتى كانت ثقافتها مقصورة على القراءة والكتابة · لم تهتز منها شعرة وانما ذهبت بكل هدوء الى الشباك وفتحته على مصراعيه وقالت فى حســـم :

ـ تفضل ارم نفسك من الشـــباك ٠

وذهبت الى الشباك فعلا وانما لاقفله ولأعود مطرقا فى خجل الى مكتبى لأذاكر ولأعيش عمرى كله أذاكر هذه الواقعة وأرى فيها أنها السبب الأول الذى جعلنى أفهم كيف تكون الأم عظيمة وكيف تكون الرحمة والحب والاشفاق متمثلة في بناء الانسان لا فى تدليله ٠

انقذوا الأجيال من ذئاب البشر

لكل انسان أن يختار عقيدته واتجاهه وفكره · ولكل انسان أن يعبر عن رأيه ما شاء له التعبير · فتلك هى الديمقراطية وهى تدفع ثمن الحرية التى تبيحها بأن يهاجمها من يشاء أن يهاجم لا سلطان عليه الا القانون ولا رقيب عليه الا ضميره ·

والشيوعيون يشيدون بالديموقراطية ليطيحوا بالديموقراطية ويطالبون فى ظل الأنظمة الحرة بمزيد من الحرية حتى تتوفر فى أيديهم الأسلحة ليقضوا على الحرية ·

والحياة تعطينا الأمثلة واضحة لا غموض فيها ولا ابهام · فيذكر التاريخ ان الثورة السوفيتية استقرت فى روسيا على جثث أحد عشر مليونا من الروس وهذا العدد يستطيع فى سهولة أن يمثل ثلاثا أو أربعا من الدول العربية بأكملها من رجال وشيوخ ومن أطفال ونساء ·

وشهدنا نحن كيف قتل مائة وخمسون ألفا من المجريين فى ثورتهم ضد الشيوعية · وشهدنا كيف نزلت جيوش خمس دول شيوعية فى تشيكوسلوفاكيا يوم فكرت أن تعدل بنظامها الشيوعى الى نظام فيه بعض الحرية الاقتصادية ·

ولم تدخل دولة جنة الشيوعية الفيحاء الا حاولت ان تهرب منها أو يهرب أفرادها على الأقل ونظرة الى يوجوسلافيا وأخرى الى حوادث الهاربين من ألمانيا الشرقية عبر السور الشهير تكفى لنعرف الحقيقة التى أسفر عنها تطبيق النظرية الماركسية ·

ونظرة أخرى الى الأحزاب الشيوعية فى الدول الأوروبية تبين لنا كيف انهدمت النظرية الشيوعية فلست أدرى ماذا بقى من النظرية تلتف حوله هذه الأحزاب بعد أن اسقطوا من برامج أحزابهم الأساس الأول للنظرية الماركسية الا يملك فرد مالا فعلا · ثم اسقطوا أيضا ان البروليتاريا هى وحدها صاحبة الحق فى الحكم طالما كانت هناك دولة فالنظرية الماركسية أصلا ترفض فكرة الدولة وتعتبرها وسيلة استغلال وقبولهم

لفكرة الدولة قبول مرحلى ·· وقد استمرت هذه المرحلية لمدة قاربت السبعين عاما ·

وبعد فليس من المعقول أن تكون هذه السطور مناقشة للنظرية الشيوعية وانما أردت بها أن أمهد لحديث أراه فى غاية الخطورة ·

فمن حق أى انسان أن يعتنق الشيوعية وهذا أمر لا يحتاج أن يكون موضع نقاش ومن حقه أيضا أن يكتب فى تمجيد النظرية الشيوعية ما شاء له عمله أو شاء له هواه سواء تمثلت هذه الكتابة فى كتب مطروحة أو فى الصحف وليس هذا الحق مقصورا على فئة دون فئة ·

ولكن الأمر الذى يرفضه العدل والمنطق أن يفرض استاذ على تلامذته أن يعتنقوا النظرية الشيوعية ويقع هذا الفرض والارغام بحكم مكان الأستاذ من التلميذ متحكما فى مصيره وفى نجاحه أو سقوطه · حينئذ لابد لنا أن نصرخ أرفعوا الارغام عن أبنائنا ·

أن الأساتذة فى الجامعات لهم مطلق الحرية فى اسقاط الطلبة وانجاحهم وهم من هذا المكان يفرضون كتبهم الشـــيوعية على الطلبة ويفرضون أفكارهم أيضا والطالب لا يستطيع أن يناقش فان ناقش فقد سقط لا محالة ·

اننا نشهد الكتب المتطرفة سواء كان هذا التطرف فى الشيوعية أو غيرها من المذاهب تفرض على الطلبة ويمتنع عليهم كل الامتناع ان يقرأوا كتبا غيرها ليناقشوها · هذا اذا فرضنا أن هناك طلبة سيشترون كتبا أخرى · فان هذا فرض نظرى لن يقع فاذا وقع فالطالب مازم بترديد رأى استاذه على أية حال ·

وهؤلاء الأساتذة الشيوعيون والمتطرفون كثيرون منهم فى كليات الآداب مجموعة كبيرة ومنهم مجموعة أخرى فى الكليات التى تدرس الاقتصاد وأنا أعتبر هذا الذى يحدث جريمة تتخفى وراء ستار الحرية وهو ستار متهتك فى هذا المجال ساقط لا وجود له ·

فالحرية لا تكون حرية الا اذا كانت مكفولة لطرفين متكافئين لا سلطان لأحدهما على الآخر ·

أنا لا أخشى من مئات الكتب وآلافها عن الشيوعية مطروحة فى الأسواق تحيط بها حرية القارىء أن يشتريها أو لا يشتريها وحريته أن يقبلها أو يرفضها وحريته أن يناقشها أو يؤيدها ·

ولكن كتابا واحدا فى كلية يفرض على الطلبة فرضا لا يمتحنون فى غيره انما هو ارهاب سافر وتحطيم لكل معانى الحرية وهو عمل لابد أن يجرم وتفرض عليه عقوبة أو يقصى الأستاذ عن كرسيه •

ان أبناء الشعب أمانة فى يد هؤلاء الأساتذة وفرض رأى متطرف عليهم خيانة للأمانة واستلاب لحرية الطالب ولمداركه ولاعطائه الحق أن يختار وكيف يختار وسكين الأستاذ المشحوذة مسـلطة على مسـتقبله جميعـا •

أنا أدرى أن أصوات الشيوعيين سترتفع اننى أحاول أن أصادر الرأى • وأنا أجادلهم قبل أن يشهروا هذه الحجة •

هل يمكن أن يكون الرأى حرا اذا وجهت سلاحا الى انسان وأرغمته أن يعتنق هذا الرأى •

وهل من حرية الرأى أن ينفرد استاذ بطلبة مازالوا فى غمار حياتهم التعليمية ولم يكتمل نضجهم ويفرض عليهم رأيه فاذا خالفه فهو لا شك ساقط • وفرض المخالفة هنا غير وارد لأن الذى يخالف لابد أن يملك سلاحا من أى نوع • لابد أن يكون دارسا للنظريات الأخرى المختلفة على الأقل وهذا أمر بعيد الاحتمال • ثم لابد أن يكون مطمئنا أن هذه المخالفة لن تطيح بمستقبله وهذا أمر مستحيل •

فالذى يحدث اذن من الأساتذة قبل الطلبة انما هو القهر بعينه والذى يحدث من الأساتذة قبل الطلبة جريمة يأباها أى ضمير لو كان هذا الضمير على شيء مهما يكن قليلا من الحياة أو الحياء ؟ •

الأزهر يعود الى الأزهر

يعلم الله وحده كم سعدت بهذا الخطاب الذى أنشره اليوم موجها الى الأهرام من فضيلة وكيل الأزهر بناء على توجيه من مولانا الامام الأكبر .

وما أعظم أن يدرك المسؤولون أهمية مادعونا اليه . وهذا الخطاب انما هو بشرى أزفها الى العالم أجمع بجميع معتقداته ومتجهاته فقد اتضح لى فى هذه الأسابيع القليلة أن الأزهر يمثل معنى رفيعا لكل ذى عقيدة فى العالم ويمثل تاريخا سامقا لكل مثقف حر فى أنحاء المعمورة .

واننى بهذا الخطاب الذى تفضلت به مشيخة الأزهر اعتبر الواجب الذى حملته هذه الصفحة على عاتقها قد بلغ غايته وأوفى على هدفه .

والكلمة من امام المسلمين الأكبر عهد رجل يحمل على كتفيه مسئولية المعهد وتتجه عيناه فى كل ما يفعل الى رب السماوات ذى العزة .

وحسبنا عهد الامام الأكبر لتطمئن اليه قلوبنا وترسو على شواطىء وعده ما اضطرب من سفين .

واذا حاولت اليوم أن أقف فى ساحة الامام الأكبر خاشعا أقدم الشكر لعهده فانى أكون متقحما لنفسى مكانا ليس لى فهو بخير الأزهر أدرى ، وهو بسبيله الأقوم أعلم ، وهو بما بينه وبين رب السماوات والأرض كفيل بأن يحمل العبء ، ويقيم الاود ، ويصلح المعوج ، ويهيىء الطريق .

وانى باسمى وباسم كل من تفضل مشاركتى الرأى فيما كتبت بهذه الصفحة ادعو الله له بالتوفيق والسداد ، وان ادعو الله له من الرشد قدر ما يخشى الله ويتقيه انه سبحانه هو المولى وهو سبحانه هو نعم النصير .

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الأديب الأستاذ ثروت أباظة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعـــد

فقد طلب الى فضيلة الامام الأكبر الدكتور محمد عبد الرحمن نصار شيخ الأزهر أن أنهى اليكم شكره على ما تناولتموه من موضوع العناية بالأزهر بصفة عامة وحفظ القرآن الكريم بصفة خاصة ٠

وان فضيلته ليعرب لكم عن تقديره الكبير لهذا الحرص الشـــديد منكم ومن السادة الذين شاركوكم الرأى وواكبوا مسيرتكم فى هذا الموضوع وأسهموا بالثورة الطيبة والنصيحة الأمينة المخلصة فى امكانية التحرك الى عمل ايجابى بناء لاعادة النظر فى أوضاع الأزهر لمزيد من الدعم لرسالته والعناية بحفظ القرآن الكريم ، والمواظبة على صيانته فى صدور الطلاب والعلماء على السواء ؟

وفضيلته انما يعنى بذلك أن يطمئنكم على ما تهدفون اليه من اصلاح ، وما تقصدون اليه من دفع لأنشطة الأزهر ، وتزويدها بطاقات تزيد من فاعليته ، وضيف الكثير الى مهمته ٠

وقد يكون من الأمور التى لم تعلن على مستوى الأعـــلام بعد أن فضيلته قد اعتنى بهذا الأمر منذ أســـندت اليه مسئولية الأزهر فوجه جزءا كبير من اهتمامه لمراجعة القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ الذى ربما يعزى اليه بعض ما تناولتموه فى تحقيقكم الصحفى ، ولا شك أن المدة التى مضت على العمل بهذا القانون وهى ما يقرب من ثمانية عشر عاما كافية لبحث تجربته على ضوء ما توضحه من نقص يحتاج الى الكمال أو وضع غير سليم يحتاج الى التصحيح ٠

ولذلك أمر فضيلته بتشكيل لجنة موسعة ضمت العناصر المعنوية بهيئات الأزهر المختلفة بالقرار رقم ٢٧٥ بتاريخ ١٩٧٩/٥/٢١ · وانتهت اللجنة فعلا من بحثها ثم عرضت النتيجة على لجنة قانونية مختصة ، وهى الآن تضع اللمسات الأخيرة لتنتهى من مهمتها فى أقرب وقت تمهيدا لاتخاذ الاجراءات لعرض المشروع على المؤسسات الدستورية ·

ولعلكم واخواننا الغيورين على رسالة الأزهر تطمئنون كل الاطمئنان الى أن الأزهر ورجاله حريصون على السير برسالة الأزهر قدما الى الترقى ، ومزيد من الدعم والفاعلية ·

ونسأل الله أن يوفقنا جميعا لخدمة العلم والدين ·

والله يهدى الى سواء السبيل ·

تحريرا فى : ١٩٧٩/١٢/٨

وكيل الأزهـــر

(دكتور/ محمد الطيب النجار)

المقـــالات

١٩٨٠

أستاذنا نجيب محفوظ فوق القمة

أنا أنتسب الى جيل يسعى الآن السنوات الأولى بعد الخمسينات من عمره ٠ زملائى فى هذا الجيل يوسف ادريس وفتحى غانم ويوسف الشارونى ٠

وأعتقد أن الموارد الأدبية العربية الحديثة التى نهلت منها هى نفسها التى نهل منها هذا الجيل الذى أشرف بالانتساب اليه ٠

والذى لا شك فيه أن نجيب محفوظ بالنسبة لى مورد من أهم الموارد التى تعلمت من فيضها فن الرواية والقصة الحديثة فانى حين بدأت كتابة الرواية كنت قد قرأت كل ما كتبه نجيب بادئا بهمس الجفون منتهيا الى زقاق المدق التى ظهرت فى أوائل الخمسينات حين بدأت أنا كتابة الرواية ٠

فأستاذية نجيب محفوظ لى لا شك فيها وان جحدتها شعرت بالصغار وخبث الطوية ولست بذاك ٠

واننى اليوم أنتهز فرصة مجموعة نجيب الجديدة الحب فوق هضبة الهرم لأنحنى فى اجلال أمام الأستاذ القمة الذى تتجدد قمته فى كل عمل جديد يظهر له ٠

فهو لم يكتف بأن يكون أول من وضع الرواية المصرية على أسسها العالمية وأول من جعل فن الرواية والقصة فنين أصيلين فى الأدب العربى بعد أن راد له الطريقة عمالقة الجيل الأول أساتذته الذين يفخر بالتلمذة عليهم هيكل وطه حسين وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور والمازنى بل يظل يعطى فى سموق وشموخ وجلال ٠

واننى أيضا مثل أستاذى نجيب أفخر بالتلمذة عليه وأعقد هذا شرفا أسعد به ٠ ويسعدنى أيضا أن أذكر لكل من لم يعرف اننا ننسى أن نجيب محفوظ نال جائزة المجمع اللغوى فى بدء حياته ثم نال جائزة الدولة فى نظامها القديم ثم نال جائزة الدولة التقديرية ٠ ننسى هذا جميعا ليبقى نجيب محفوظ وحده وبجانبه هذا القصر الشامخ العملاق الذى أقامه للرواية والقصة المصرية ٠

أستاذى نجيب هذه كلمة لم أستطع أن أوجهها اليك شفاها فكتبتها ليراها الجميع فانا أعلم الخجل الذى سأضعك فيه ان واجهتك بها والذى تستطيع الآن أن تخفيه فى صفحات الجريدة الحبيبة التى أشرف فيها بزمالتك . وأهمس لك وأهتف بالجميع أنك أكبر من كل جائزة وأكبر من كل تقدير فحسبك وحسب الناس ما قدمته للأدب العربى جائزة لك وللأدب وللناس فى وقت معا .

نضحك من خلال الدموع

كنت وعدت ان أعلق على خطاب نشرته فى الأسبوع الماضى وقد كتبت الرد فعلا ودفعت به الى المطبعة لولا أن جاءنى فى خطاب من رجل احترمه كل الاحترام هو د. فؤاد زكريا ووجدته يخشى من هذه الحملة أن تؤدى الى غير المقصود بها وحديثه فيه المنطق والشاهد .

وأحمد الله أننى رجل لا أبغى الا الاصلاح وأشد ما أخشاه أن أكون سلاحا فى يد قوم أنا حرب عليهم . فسحبت المقالة وقلت ماذا علينا لو تروينا وأعملنا فكرنا حتى لا نصيب مظلومين ونحن نحارب ظالمين . وعدت أنظر الى نفسى والى ما كتبت وما سأكتب . ألسنا مساكين نحن الكتاب . أو أليس عبء هذا القلم ثقيلا فوق ما يطيق الانسان أن يحمل .

ولقد عرض الحق سبحانه وتعالى الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان لانه ظلوم جهول .

فاذا كانت أمانة الانسان أعظم مما تطيق السماوات والأرض فكيف بأمانة القلم مع أمانة الانسانية ويل للكاتب من قلمه وانسانيته . ولطفك ياعظيم السماوات والأرض بهؤلاء الذين قدر عليهم أن يكتبوا الكلمة . فاذا كل حرف فيها أمانة وكل معنى تذهب اليه سواء قصده الكاتب أو لم يقصده أمانة ، وكل أثر تتركه أمانة ، وتمضى الكلمات عبر المستقبل فكل جيل يقرأها يضع على كتفى الكاتب أمانة .

فكم من الأمانات يحمل الكاتب وكيف يطيق وما هو من قبل ومن بعد الا انسان حمل أمانة الانسانية التى ابت السماوات والأرض أن يحملنها واشفقن منها . ثم أضاف اليها ألوانا من الأمانات شتى لا تقف عند فرد أو جماعة . ولا يحدها زمن ولا يحيط بها تاريخ وانما هى ركام من الأمانات لا يقف بها عدد ولا تحيط بها فترة ولا يطيق أن يحملها الا من أمده ربه بمدد منه . ومن سواه سبحانه يستطيع أن يعين على هذا الهول .

وتنمحى نفوسنا فاذا حياتنا الخاصة تنماع فى حياتنا العامة ويظل عملنا على اكتافنا كشيطان الأساطير لا يتركنا فى بيت ولا حتى فى خاصة حجراتنا . ولا يخلى بيننا وبين أنفسنا فهو منا بمرصد وتدهمنا المصائب كما تدهم الناس وتواجهنا الحياة بهذه الأسنان الحادة الشرسة

وترتعد نفوسنا ويظل القلم رانيا لنا لا يتركنا حتى نواجه ما قدرت لنا الحياة أن نواجهه وانما هو يطالبنا أن يشاركنا فى المصيبة لا ليخففها وانما ليحتفر لها فى نفوسنا جراحا أكثر عمقا وأشد ايلاما وأعظم خطرا ٠

ومع ذلك فها نحن أولاء نحمل القلم لانه لا يسمح لنا أن نلقيه ونحمل معه حقد حاقد ونقد ناقد ذى غرض وظن قوم أننا نلنا ما لم ينله من الحياة أحد ونذكر قول المتنبى ٠

أريـــد من زمنى ذا أن يبلـــغنى ما ليس يبلغه من نفســـه الزمن

ونضحك من خلال الدموع الحزينة لقد قتل الزمن المتنبى وكان سلاح الزمن هو شعر المتنبى نفسه فلم يكتف الزمن بقتله وانما مثل به أيضا وسخر منه لانه أراد أن يبلغه ما لا يستطيع الزمن نفسه أن يبلغه ٠

فمن أصحاب الآمال التى تولد قتيلة ونحن حملة الآلم ونحن فى نفس الوقت نحاول ـ وياليتنا نستطيع ـ أن نوزع السعادة على الناس بالعدل ٠ وكيف لمظلوم أن يوزع العدل ولكنه قدرنا وانا نصنعه ولعل صنعه وابتسامة من يصيبه العدل من اقلامنا هو جزاؤنا الأوحد وانا به لقـانعون ٠

ويل لشتاء .. بلا ربيع

عرفتهــا وهى تبدأ حياتها فى العمــل رقيقة تحسن ادارة الحديث فى ذكاء ولباقة يعينها لسانها الفرنسى بالتعليم والعربى بالمولد والنشأة والثقافة فهو يعرف كيف يعرض الأمور فى حلاوة وفهم وبيان .

ومضى بها العمل ومضت به . وطغى على الجهة التى تعمــل بها ما طغى على كثير من المرافق من رشوة وشراء ضــمائر وهوان نفس . ولكنها ظلت هى بعيدة عن مظنة تمس نزاهة يدها من قريب أو بعيد .

ومن طبيعة الأمور أن تصبح مثلها كريهة عند اللصوص . ولما كان اللصوص هم المسيطرون على أقدار الناس فى هذه الفترة الحالكة من حياة مصر فقد استطاعوا ان يقصوها عن كل مسئولية . وأصبح أمرها كبورصة النقود فى أحيان تتصدر وفى أحيان تنطوى تظهر فتصبح ذات شــأن وسلطان وتختفى فتصبح نسيا من الناس والزمان .

وكنت أراها فى هذه الفترات وتلك فارى عجبا .

اذا طوحت بها أيدى الرؤساء الى زوايا الخفاء تصبح وديعة تسيل رقة وعذوبة وتعود الى تلك الفتاة التى شهدت بدايات حياتهــا العمليــة صورة مشرفة لحواء اذا ما تثقفت حواء .

واذا عادت الى مكان فيه مسئولية أو بعض مسئوليتها كشرت عن أنياب ذئب وشمرت عن سواعد نمر وانقلبت من مثقفة الى طاغية ومن رقة وادعة الى خشونة مقيتة . حتى ملامح الوجه منهــا تنقلب فلا ترى فى قسماتها وجه ســيدة تكتهل فتثير الانس وانمــا وجه وحش تقلصت قســـماته .

مسكينة هذه السيدة فان مثيلاتها يجمعن من أغصان الربيع وزهوره دثارا يضفى عليهن الدفء والأنس عند الشــتاء . وهى لم تستطع أن تجمع هذه الأغصان ولا هذه الزهور وانما خمشتها بأظافر حداد فجفت

فى الربيع وازدادت جفافا مع الأيام • فهى فى شتائها المتربص بها من قريب بلا دثار يهيء لها الدفء فقد استطاعت فى مهارة شرتها ان تحطم أيضا قلوب أسرتها كما حطمت قلوب أصدقائها وزملائها • ومن لا أسرة له ولا صديق ويل له من الشتاء •• لهفى عليها لكم أحزن كلما ذكرت الغد الذى ينتظرها • لكم أحزن • فان الكثيرين والكثيرات ينتظـــرون وينتظرون هذا الشتاء ليكون لهم ولهن انسا وهناء ويجنون منه ما زرعوه على مدى الأيام •• اما هى فلم تزرع الا البغضاء • وكم أرجو الا تجنى ما زرعت ولكننى واثق على كل حال أنها فى شـــتائها لن تجد الهناء •

ليس للجائر مكانة

ويل للحياة اذا انتصر فيها الباطل على الحق وويل لها ثم ويل اذا كان الزياط والصراخ الأجوف والادعاء يصـــدر من الحنجرة لا من العقل ، أو من الأغراض الشخصية لامن الصـــدق يستطيع ان يطمس الحقائق ويشوهها ٠

وويل لنا نحن الكتاب ثم ويل اذا أخافنا الصراخ فملنا عما نعتقد الى ما نسمعه من هتاف باطل واذا لم نستنبع ضميرنا خالصا لوجه الله الذى أراد لنا ان نكون أصحاب عقل ورأى ٠

بغير العقل لا انسان ٠ وبغير ضـــمير لاقلم ٠ فاذا كان الزعيق والغضب المصطنع سيميل بنا عن الحق رصدنا أنفسنا له فبطن الأرض خيرا من ظهرها ٠

وأنا نعلم اننـــا نستطيع ان نتملق الصارخين ونمـالىء الزاعقين ونسترضى الزائطين ٠ ولكن الثمن الذى سندفعه أكبر من كل مايصطنعون فسنظل فى مواجهة من ضمائرنا حتى يحاسبنا الذى يعرف خائنة الأعين وما تخفى الصدور ٠

ولقد علا الصراخ حول لائحة الصحافة وكنت كلما لقيت واحدا من الصارخين وناقشته اقتنع وحاولت ان أكتب فلم أجد شيئا اكتبه فقد كان الصراخ صراخا بلا مدلول بغير مواد أستطيع ان أناقش بشأنهـــا فأرغمت نفسى على الصمت ٠ فالصراخ ان كان بغير كلام ولا منطق غير قابل للمناقشة ثم لاحت لى الفرصة أخيرا وها أنذا أكتب ٠

أولا هذه اللائحة ليس فيها مادة واحدة مختلفـــة عما جاء بقانون الصحافة والذى وضع القانون صحفيون كان من بينهم نقيب الصحفيين الذى يتزعم هذا الصراخ والقانون قانون ووسائل تغييره لاتدخل فى اختصاص مجلس الشورى ولا المجلس الأعلى للصحافة عند تكوينه وانما لاسبيل الى ذلك الا باعادة القانون الذى صنعه الصحفيون والذى شارك فى وضعه النقيب الى مجلس الشعب بالطرق التى يعرفها كل من يعرف كيف تعدل القوانين والثانية الزعم بأن وضع مجلس الشورى للائحـة غير دستورى زعم لايفصل فيه الا المحكمة الدستورية العليا والسبيل اليها

معروف وكتابة المنشورات ليست بالتأكيد واحدة من هذه الوسائل التى تؤدى الى السبيل الصحيح ٠

أما النقد المحدد الذى وجه الى اللائحة فينحصر فى ثلاث نقاط ٠ أولاها أنه لايجوز للصحفى اذا جانب واجباته ان يحاسب أمام المجلس الأعلى للصحافة أو محكمة القيم وتلك عجيبة فمحاسبته أمام المجلس الأعلى للصحافة منصوص عليها فى القانون ومحاسبته أمام محكمة القيم أمر يندرج تحته الصحفى بحكم انه مصرى ولست أعقل وما أحسب ان أحدا يعقل ان تكون محكمة القيم مختصة بمحاسبة كل مصرى الا أعضاء نقابة الصحفيين فهم أعضاء فى نقابة الصحفيين المصرية وهم أعضاء فيها بما هم مصريون أولا ٠ ولا أحسب ان صحفيا يتصور انه أصبح من جنسية أخرى لانضوائه تحت راية نقابة الصحفيين ٠

أما المأخذ الثانى فهو كيف يتحتم على الصحفى الذى سيعمل خارج مصر ان يذكر فى طلبه الى المجلس الأعلى للصحافة المرتب الذى سيتقاضاه من الجهة التى سيعمل بها وهذا أمر يسرى على كل العاملين بالخارج فهم يقدمون الى الجهة التى يعملون بها فى مصر العقد المعروض عليهم من الخارج وبه المرتب فلماذا يستثنى الصحفى مما يجرى عليه العمل من كل المصريين وما الضرر الذى سيقع على الصحفى اذا ذكر المرتب الذى سيتقاضاه فى الخارج اللهم الا أن يكون هذا المرتب شاملا فى ثناياه ثمن أشياء أخرى غير العمل الصحفى وهل يتصور أحد ان المجلس الأعلى سيطالب الصحفى ان يخفض المرتب المعروض من جهة العمل الجديدة ٠ ولماذا لاندخل فى التقدير أنه ربما كان من مصلحة الصحفى ان يذكر مرتبه هذا حتى اذا عاد الى العمل فى مصر كان فى الحسبان الأجر الذى كان يتقاضاه فى الخارج فيصبح هذا سببا معقول وعادلا لرفع أجره فى مصر ٠

أما الثالثة فانهم يأخذون على اللائحة انها تحتم على المؤسسة الصحفية ان تستأذن مجلس الشورى اذا قامت بأعمال خارجة عن طبيعة العمل الصحفى والمادة لم تقل تستأذن وانما قالت تخطر وفارق بين الأخطار والاستئذان ولست أدرى أى عجيبة أن يخطر الوكيل موكله اذا شاء ان يقوم بعمل خارج عن طبيعة التوكيل الأصلى ٠

وبعد فهل تعتبر هذه المآخذ تنكيلا بالصحفيين ٠

حين كان الصحفى يسجن عشرات السنين وتسلط عليه ألوان العذاب أشكالا وفنونا من ماس كهربائى الى كلاب تنوش جسمه الى اهدار لكل أدمية الانسان فيه كان هناء للصحفى واكراما للصحافة واعلاء للرأى

وحفاظا على الحرية حتى اذا جاء عهد جعل الصحافة سلطة رابعة وأعطاها الحق ان يمسك أبناؤها زمام أمرهم أصـــبح ذلك تنكيلا بالصـــحافة والصحفيين • ان للمجلس الأعلى حق تغيير ما يرى تغييره من اللائحة أهذا تنكيل ؟! فالتكريم اذن لابد ان يكون هو محق الانسان في الصحفي •

ان الجملة تلوب على سن القلم وأردها فتفرض نفسها فرضـــا اذا لم تستح فاصنع ماشئت أو قل ما شئت أيهـــا الأخوة الصحفيون اجعلوا الشعب يثق بكم فقيمتنا الحقة لاتتأتى الا من ثقة الناس بنا • وهيهات لنا ان نحصل على هذه الثقة اذا أردنا ان نجعل من أنفسنا نحن الصحفيين طبقة غير طبقات الشعب وهيهات لنا هيهات ان نحصل على ثقة قرائنا اذا رأونا ونحن نحاول ان ننتهب لأنفسنا حقوقا ولا نقدم أمامها واجبـــات •

اذا لم يرنا الناس نحصن حقنا بواجباتنا أصبح كلامنا عندهم هراء لاعدل فيه ولا ميزان لأنه يفتقد الحق فيفقده ويميل عن الانصاف الى الجور والعدوان ومن جار على حق مهنته جار على حق شعبه وليس للجائر عند الناس قيمة ولا مكان ولن يكون •

صورة

طويل ٠٠ ولكن !

حين ياذن الله لى بسفر الى الخارج لا أتوقع فى نفسى شيئا لا من الناس ولا من المكان ٠ ولا أحب أن أرسم ماقد تستقبلنى به الدول التى سأزورها فلا أنا أتصور الفندق ولا أنا أحب أن أتخيل الأشخاص وانما أترك البلدة التى أضع بها حقائبى تطالعنى هى بجديد منها فى كل خطوة أخطوها ٠

وليكن هذا الجديد متمثلا فى الناس وفى المكان وفيما وهب لها الله من جمال معالم وفيما حرمها الله من نعم ٠

وبقدر ما كان هذا البياض الذى أفرضه على مخيلتى يجعلنى أتمتع بكل ما هو ممتع كنت أفجع فجيعة مضاعفة فيما يواجهنى مما لا امتاع فيه ٠

ورحلتى هذه التى التقيت فيها بذلك الفتى الطويل الهايف كانت الى دولة من أكبر الدول العربيــة ووجــدت ذلك الطــويل ضمن الذين يستقبلون وفدنا وعرفت أنه أحد الذين يمثلوننا تمثيلا ثقافيا أو صحافيا أو شيئا من هذا القبيل ٠ ولم أتبين مقدار هذه الهيافة فى الفتى الا حين بدأ يتكلم ٠

ولم يتكلم طويلا فما هى الا جمل قليلة حتى وضح أمره واستبان ورددت فى نفسى ذلك العنوان الذى صدرت به هذه الصورة ٠ فأنا بحكم الطول الذى وهبه الله لى أحس ضعفا نحو الطوال وأرجو اذا تعرفت بجديد منهم لن يقول خيرا اذا قال أو يصمت فلا يقول شيئا فيصبح طوله ستارا جميلا يخفى الفراغ الذى بداخله ٠ فان السذاجة التى يرمى بها الناس من كان طويلا تجعلنى دائما حريصا الا تجد مؤيدا عمليا لها من بين اخوانى من الطوال ٠

ولهذا لم يكن عجيبا ان أفجع فى هذا الفتى حين تكلم ٠ فقد لقيتـــنا بالتحية التى يقدمها أى انسان لقادم عليه من بلاده ٠ حتى اذا استقر بنا المكان وتكلم بدأت دهشتى تتصاعد مع كل كلمة يضيفها الى الفراغ الذى يبين عنه حديثه ٠

ثم قال عجبا ٠ لقد كان لى من أقاربه زميل لولاه ما عـــرفت اسم أسرته وقد عرفت من هذا الزميل أن أسرته ذات مكانة فى قريتهم ولكن

هذه المكانة لم تصل بها ان يصبح العمدة منهم فهى أسرة ميسورة الحال فى حدود ضيقة يمكنها ما لها ان تستر ماء وجهها فهى تستطيع ان تعيش دون أن تمد يدها لطلب عون ولكنها أيضا لا تستطيع ان تمد يدها لتهب عونا ٠

دخل أحد أبنائها كلية البوليس وتقطعت به الأنفاس حتى أصبح مأمورا فى مديرية بها أسرة كبيرة العدد منتشرة فى اقليمها وغير اقليمها ٠

ويأتى الفتى الهايف الى جوارى يبالغ فى تحيتى وينبسط به الحديث فيقول ان قريبهم المأمور حين ذهب الى المديرية التى تقيم بها هذه العائلة استدعى كبيرها وقال له أنا لا أخاف عائلتكم واذا لم تسيروا كما أريد فلن أؤدبكم بالوسائل البوليسية وانما سأطلب رجالى من المجرمين فى عزبتى وأجعلهم يضربونكم ويزداد الفتى الهايف تبسطا فيقول ان هذا الكبير خاف وارتعش واذعن وسار طوع أمر المأمور البطل ٠

فهمنا طبعا ان هذا الكلام يرويه الفتى الهايف عن أيام الثلاثينات ٠ ويفترض اننا سنصدقه ٠ وليس يعنينى من أمر هذه الحكاية الا التفاهة التى بلغها هذا الأستاذ وهو يتشدق بهذا الحديث فى سبعينات القرن العشرين ٠

ليس يعنينى ما يقوله الفتى فى ذاته وانما ان يتشدق رجل ملء هدومه يعيش فى بلد من أعظم بلدان الغرب منذ سنوات ويرى الحضارة وهى ترقى الى القمر ويظل الفخر عنده باجرام أسرته وقوتها فهذا أمر يجعل الانسان حائرا مع البشر ٠ اذا لم يتفاخر هذا الفتى الذى تفترض فيه الثقافة والتحضر الانسانى بالعلم أو الفن أو الخلق فمن يتفاخر به ٠ كيف يعيش فى هذا القرن الباذخ العلم الشاهق الحضارة فتى حصل على شهادة تعليمه العالى وعاصر هذا العلم وتلك الحضارة فى أرقى منابعها ثم يتفاخر بالاجرام بلغة جاهلية قضى عليها الاسلام منذ أربعة عشر قرنا ٠

فالبشرية اذن عند هؤلاء جامدة متحجرة لا تتطور ولا تنمو مع العصر ٠ ونحن اذن قوم نعالن العالم أن حضارته وثقافته لم تصل بعد الى أغوار نفوسنا وان فينا ــ لاتزال ــ هذه البداوة الجاهلية واننا حتى نختلق أحداث الاجرام لنضفى بها على أنفسنا وأسراتنا الجلال والهيبة ٠ وبدل ان نبحث لهذه الاسرات عن أثر فى الفن أو الحياة العامة أو الوطنية أو الأخلاق الرفيعة أو المثل العليا ٠ نختلق لها الفخر من أحقر ما ينبغى أن ينتسب اليه الانسان وهل هناك أحقر من الاجرام ٠

ليكن هذا الفتى نفاجا أو فشوشا وهو الأحمق كما يقول القاموس ولينسج لأسرته من الأمجاد ما شاء ولكن أن يختار الاجرام بدلا من

الفضيلة فى القرن العشرين فواضيعة الحضارة اذن ، لو كان جاهلا بعيدا عن الحياة التى تطورت فتسنمت قمة التاريخ الحضارى لحاولنا أن نجد له العذر • ولكن وهو خريج الجامعة وهو من عاش فى هذا البلد المتحضر سنوات طوالا فهيهات هيهات لنا أن نجد عذرا بل هيهات هيهـــات أن نختلق هذا العذر •

ثم هو غبى فكل الذين كان يروى لهم أمجاد أسرته يعرفون الحقيقة • فاذا كان يتبجح بها مع من يعرفونه فماذا هو فاعل اذن مع القوم الذين يمثلنا عندهم ، لا أستطيع أن أتصور •

ولكن لا بأس فقد قرأت منـــذ قريب أنه رقى فى وظيفته فاطمأن خاطرى وهدأ جزعى فقد ســـارت أمـــور فيما تعودت أن تسير فيـــه وحسبنا الله ونعم الوكيل •

ايجـاب ولا قبول

اذا قصد اليك شخص ما لا تعرفه ولا يعرفك وقال لك انه عازف ماهر على العود فما أيسر أن تطلب اليه أن يحضر عودا ويعزف عليـه وما هى الا غمزة ريشة أو غمزتان حتى يصبح الادعاء حقيقة فهو اما ان يكون عازفا أو لا يكون ٠

واذا قصدك شخص آخر وقال لك انه رسام وعرض عليك بعض أعماله فما هى الا نظرة ثم لاتحتاج الى الثانية حتى تعرف ان كان رساما أم مدعيـا ٠

كل الفنون كذلك الا الأدب ٠٠ وما أكثـر ما يظلم الأدب بجميع أشـكاله ٠

كان الشعر له عمود وقافية فحين هدموا العمود وطمسوا القافيـة ظن الكثيرون ان الشعر تحرر من كل القيود حتى لأستقبل فى الجريدة كثيرا من شباب وغير شباب لايعرفون ما هو الوزن ولا ما هى التفعيلة ويريدون أن ينشروا شعرهم بالأهرام ٠

وأذكر أن صديقا لى طلبنى ذات يوم وقال لى أن ابنته تكتب شعرا رائعا وأنه يريد أن يصحبها الى مكتبى لأقرأ شعرها ٠ وجاء الصديق وابنته وألقيت نظرة على ما تعتبره شعرا وقلت لها بكل بساطة يا ابنتى هذا ليس شعرا ٠

كان هذا منذ سنوات وقد نسيت هذه الواقعة تماما حتى لقينى هذا الصديق منذ قريب واذا هو عابس مغضب يقول لى أننى حطمت موهبة ابنته وأصبحت تكره الأدب والأدباء منذ لقائى ٠ فكثير من الناس يظنون أن موهبة الأدب هذه متاحة للجميع وأنه حتم علينا أن نقبل منهم هذا الظن ٠٠ والحقيقة اننى أعتبر هواية أى فن نوعا من الجموح الذى يجعل صاحبه منجذبا انجذابا مغناطيسيا شديد الأسر يأخذ عليه كل حياته ٠ واذا ركب هذا الجموح انسانا لا موهبة له أكله الفن واعتصره دون أن يحقق من حياته شيئا ٠

ونظرة واحدة على الممثلين الذين يقومون بأدوار ثانوية يجعلك تعرف كم هو قاس ذلك الفن وكم هو متكبر لايرحم ولا يعطف ولا يلين لرجـاء

أو توسل أو وساطة فكل هؤلاء كانوا يريدون ان يصبحوا نجوما وانتهى بهم الأمر الى ما ترى • وانك لواجد بقايا الاعتصار هذه فى كل فن من الفنون بلا استثناء فأنا حين أقسو انما أحاول أن أحمى من أقسو عليه أن يكون ضحية جديدة للفن •

ولكن الأدب بالذات مظلوم بكثير ممن انتسبوا اليه عنوة واقتدارا بفرامانات من بعض ذوى النفوذ • فما أكثر من تكتب أسماؤهم فى كشوف الأدباء وهم من الأدب براء •

وأذكر فى الستينات أن عرض على لجنة القصة فى المجلس الأعلى للفنون والآداب خطاب موجه الى رئيس الجمهورية يشكو صاحبه القائمين على أمر القصة أنهم لايعترفون به مع أنه ظاهرة لامثيل لها لأنه يكتب القصة دون أن يعرف القراءة والكتابة والخطاب موقع ببصمة ابهامه • فهو حتى لايملك ختما •

وأنا أعرف بين من نراهم فى المحافل الأدبية أمثالا كثيرة لهذا الأمى ومع ذلك يجدون فى أنفسهم الجرأة أن يتصدروا الساحة الأدبية ويفرضوا جهلهم عليها والغريب أو ربما ليس غريبا انهم ظلوا يوهمون أنفســـهم أنهم أدباء حتى صدقوا الفرية وأمنوا بها واعتبروا انتسابهم الى الأدب أمرا مفروغا منه لايحتمل مناقشة أو جدالا •

وهم بطبيعة الحال لايخجلون أن يصدروا أحكامهم على الأدباء جميعا وهم فى اصدارهم لهذه الأحكام لايقبلون استئنافا أو مراجعة أو مناقشة • وأنهم فى ذلك معذورون فان أى انســـان مهما يكن شأنه يستطيع أن يصدر أحكاما ولكن القضاة المثقفين وحـــدهم هم الذين يستطيعون أن يكتبوا الحيثيات والأسباب •

وقد يظن البعض أن هؤلاء المدعين قد وصلوا الى هدفهم مهما تكن الوسيلة التى اصطنعوها لوصولهم هذا • ولكن الحقيقة غير ذلك •

لقد توسلوا فعلا الى الأدب بغير طرائقه المشروعة من موهبة وثقافة وقدموا بدلا من ذلك نفاقا أو الحاحا أو استغلالا أو أموالا أو غير ذلك من وسائل الوصول ، ولكن هل وصلوا ؟ •

باليقين الذى لايتزعزع أنهم لم يصلوا الى شيء •

فالأدب لايكون الا اذا اتفق طرفان وقع كل منهم بدلا من عقد واحد عشرات ومئات من العقود • وان لم يكتب العقد ولم يتم توقيع •

ان الأدب لايكون الا اذا تم ايجاب وقبول يمثلان الطرفين فى العقود. أما الايجاب فهو ما يكتبه الكاتب .. وأما القبول فهو اقبـــال القـــراء على ما يكتب .

وهكذا يتضح لك أن هؤلاء الادعياء لم يصلوا الى شىء مطلقا لأن العقد لم يتم فان عقدا ما لايتم بالايجاب وحده وقد قدموه والحـوا فى تقديمه ، ومرغوا رؤوسهم فى التراب ليتاح لهم تقديم هذا الايجاب حتى اذا اتيح لهم ذلك وقدموه امتنع الطرف الآخر عن التوقيـــع وذهبت صيحات الايجاب صرخات بلا صدى ، وأصـــوات بلا سامع ، ودعوات بلا مجيب . ان القارىء لايحفل بهم ولن يكون الكاتب كاتبا ولا الشاعر شاعرا حتى يكون له قارىء . وهذا القارىء هو أعدل قاض عرفه التاريخ لأنه القاضى الذى لاتجوز عليه الحيلة ، ولا يجرؤ أحد أن يوجه اليه أمرا ولا يجسر انسان أن يقف ببابه حاملا بطاقة توصية حتى وان كان كاتبها أعظم أدباء العالم .

فالصلة بين الكاتب والقارىء صلة حميمة خيوطها من حرير تنسجه فى انسجام ومحبة روح الكاتب ومشاعر القارىء خفية لايحس بها أحد لكنها مع ذلك صلة تبقى الى الأبد ويسلمها زمان الى زمان فى أمانة وفى حب وفى اعزاز . وربمـــا كانت هذه الصلة هى أغلى مايعتز به الكاتب وأنها ولاشك هى التى تجعله دائما يكتب بمداد من دمه ويضع فيما .. يكتب سنوات طويلة يقتطعها من عمره ومن متعته ومن سعادته ثم يحس وهو يبذل كل هذا أنه يبذله لمن يستحقه ويستحق ما هو أكثر منه ان كان هناك ما هو أكثر من الحياة ومن الدماء ومن نبض القلوب .

بطاقات هنداوى

كان يلم ببيتنا رجل فى خمسينات عمره · وكان قوى البنية أحمر الوجه يهتم بأناقته ما اتاحت له موارده القليلة أن يتأنق · فشعره الأشيب دائما مصفف فى انتظام وهدوء وحلته قديمة ، ولكن أثر الكواء عليها أكبر من أثر الزمن ، ورباط عنقه رخيص ولكنه يعنى بكيه ويعنى بربطه فقد كان رخصه يحتم عليه أن يكويه ما أمكنته الفرصة فكانت المكواة لرباط العنق أشد فتكا به من الزمن ومن دقة الربط ·

وكان هنداوى يتحدث دائما عن أيام شبابه الذهبية فقد كان حامل أثقال وقد أصاب فى هذا المنحى نجاحا ان لم يصل به الى الشهرة فقد وصل به الى أن يجعله هو ذكريات مشرقة لشبابه فى الشيخوخة ومنجم حديث باللسان بعد أن عجزت الذراعان أن تتحدثا ·

ولكن أطرف ما كان يطالعنا من هنداوى بطاقاته · فقد كان له فى كل فترة بطاقة جديدة · وبهذه البطاقات كان هنداوى يتفرد بين زوار بيتنا الكثيرين · وقد كنا جميعا حريصين أن ننال هذه البطاقات نعلق عليها هذه التعليقات الخبيثة التى يتقنها من هم فى مثل ما كنا فيه من سن فى تلك الأيام· وكان هو يعتبر هذه السخرية مديحا ويسعد به كل السعادة · العجيب أن هذه البطاقات كانت تحمل دائما صورته التى كان وضعها يتغير فى كل بطاقة وكانت تحمل دائما بيتا أو بيتين من عيون الشعر العربى فى الفخر وكانت الأبيات أحيانا تكون فى الهجاء اذا أراد أن يشتم أحدا تطاول عليه ولم تسعفه قوته العجوز أن يرد التطاول بالكلمات ·

ومازلت أذكر بعض الأبيات التى كان يختارها ويضعها تحت صورته· فهو مثلا يكتب :

الخيل والليل والبيداء تعرفنى
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

أو هو يضع :

نحن الذين اذا هاجت مواكبنا
تريد أعداؤنا من خوفها جزعا

أو يكتب :

نحن قوم تذيبنا الأعين النجل
على أننا نذيب الحديدا

فترانا لدى الكريهة أبطالا
وفى السلم للحسان عبيدا

أو يكتب من معلقة عمرو بن كلثوم :

وأنا نورد الرايات بيضا
ونصدرهن حمرا قد روينا

وكتب مرة حين مات قريب عزيز عليه :

اذا مات منا سيد قام سيد
قؤول لما قال الرجال فعول

ويكتب فى الهجاء الأبيات الشهيرة :

أما الهجاء فدق عرضك دونه
والمدح عنك كما علمت جليل

فاذهب فأنت طليق عرضك انه
عرض عززت به وأنت ذليل

وكان هنداوى حين يوزع هذه البطاقات يحس أنها انتشرت فى العالم أجمع ويهدأ نفسا ويحس أنه ذلك البطل الذى كان يصارع الحديد فيصرعه ٠

وكانت أهنأ أيامه أيام المآتم وهى كثيرة بطاقته للمعزين جميعا وفى هذه الأيام كان يحس أنه بلغ بشهرته الأرض والسماء معا ٠

ولم يكن جنون هنداوى يتجاوز هذه البطاقات فهو فيما عداها رجل هادىء طيب سهل القياد لا يثور أبدا ويفهم الحديث اذا دار أمامه ٠

ومضت الأيام وأنا أحسب أن الزمان لن يجود بمثل هنداوى ثانية ٠ ولكننى فجأة وبغير أعمال فكر منى وجدتنى أذكره بالحاح يأبى أن يتخلى عن فكرى أبدا ورحت أبحث أسباب تذكرنى له فما طال بى البحث ولا أعيانى التنقيب ٠

لقد وجدت الغالبية العظمى من حكام العرب كلهم هنداوى ٠ الا أن هنداوى كان يكتب ما يريد على البطاقة لأنه لم يكن يملك أبار بترول يصدر

بها المجلات ويشترى بها من بضاعتهم الضمير لا القلم ومن تجارتهم الوطن لا الخلق ومن عدوهم الدين والايمان لا الأفراد ولا المبادىء ٠

ان هنداوى الجديد أصبح بعض حكام ٠ وبطاقات هنداوى أصبحت بضعة مجلات ٠ وأبياته التى كان يحسن انتقاءها أصبحت مناسبة للعفن الذى نبت فيه تجار الأقلام والضمير والوطن وأعداء الدين والبشرية والسلام فليس عجيبا أن يكون غثاؤهم بديلا عن عيون الشعر التى كان ينتقيها هنداوى من قراءته أو من قراءة أصدقائه من الأدباء والشعراء ٠

وفى لفتة أخرى وجد لونا آخر من هنداوى هنا فى مصر متمثلا فى أولئك البهلوانات الذين يسيرون على الحبال فى طرقات الصحف وفى جحور الجرذان وفى ظلمات الخفافيش يوزعون المنشورات حافلة بكره مصر وبالاعتداء على مشاعر الايمان فيها وان كان بهلوان السيرك يضع على وجهه بياض الطبيعة وحمرة الخجل فقد لطخوا هم وجوههم بدماء أبنائنا على أرض سيناء ، وعشيرتنا فى الاسلام على جبال أفغانستان ، واخواننا فى البشرية على ثلوج سيبريا وأرض المجر ٠ وبدلا من أن يهاجموا الغزو الحربى الغاشم يريدون أن يحرقوا السلام فى مصر ٠ وبدلا من أن نسمع من تجمع أعداء الدين رأيا فى غزو أفغانستان وقتل المسلمين فيها الأمر الذى رفضته جميع الأحزاب الشيوعية فى الدول الحرة نجد الالحاد هنا يدور ببطاقات هنداوى خالية من الشعر الرصين ومن صورته الطيبة الودود مخضبة بدم الشرف والخلق والوطنية ٠

ونجد منهم — وما بغريب أن نجد منهم — من التحى بلحية الاسلام يدرأ بها عن نفسه شبهة الالحاد ولكن ما تلبث أفعاله أن تكشفه ، وما أسرع ما تسفر أعماله عن حقيقة الكفر الذى يؤمن به ٠

فى هذا الجنون الذى أحاط ببعض حكام العرب وبالخونة فى مصر أذكر هنداوى وبطاقاته وأقرأ الفاتحة على روحه الطاهرة لكم ظلمناه حين اعتبرناه مجنونا ولو أن العمر امتد به لأصبح بين مجانين اليوم من أعظم العقلاء ٠ يرحمه الله ٠

عملاق فى التاريخ

قليل من النــاس بل نادر من الناس من تحس بالرهبــة اذا وقفت حيالهم ، تنعم النظر فى تاريخهم ومجدهم وتعجب كيف استطاع انسان واحد أن يجمع فى وعاء كيانه البشرى كل هذا الشموخ وكل هذا الترفع وكل هذه الكبرياء وكل هذا العلم وكل هذه الأصالة وكل هذا العمق ٠

أنه مثال فى الناس لا يكون صنفا وانما لا يكون الا فردا ٠ يختاره الله سبحانه ليهب له كل هذه السجايا الشامخة ليجعل منه للبشرية من حين الى آخر قمة سامقة لما يمكن أن يصل اليه الانسان ٠

وتنظر الى ما تركه وراءه من زمن وتطيـل التـأمل فى بيت النشأة فلا تجد شيئا يقف عنده تأملك ٠ بيت مثل سائر البيوت أقرب الى الفقر منه الى الغنى ولكنه من ذلك الفقر الذى يحس فيه صاحبه بالعزة والكبرياء فقد يبيتون على الطوى ولكنهم فى وفرة من الكرامة ، وفى حصن من الشمم وفى شعور بالزهو والكبرياء ، أن الحياة تحاربهم وهم لها بمرصاد الصلابة والصبر والاستعلاء ٠

وقد يقف به الفقر أن يتم تعليمه فى فترة كان اقرانه جميعا متخرجين فى شتى جامعات يحملون فى أيديهم شهادتهم بطاقة تعريف بهم الى المجتمع الأدبى ٠ الا هو وحده بينهم يقتحم المجتمع الأدبى بلا بطاقــة عليهــا ختم جامعة أو معهد وانما بطاقة غفل من أى اعتراف رسمى ليس عليهــا شيء الا أسمه وحده لا يتقدمه لقب ولا يرادفه تعريف ٠ أسمه وحده هو اللقب وهو التعريف عباس محمود العقاد ٠ وليس غريبا أن يقف فى حفل تكريم هيـكل باشا بمناسبة حصوله على رتبة الباشويـة فيقول مهنئا أو يقول للعالم كله رأيه فى الرتب جميعا ٠

أغنى البريــة عن حـــلى لقــب
من كان يشرف بـــأسمه فـردا

بقلمه وحده شق الطريق الوعــرة تنتاشه أسنة الخصوم ، وكيــد الحاقدين وسخائم الفاشلين ٠ وهو ماض لا يلتفت أمر أحد الا أن يقول فلا يقول الا ما يعرف أنه الحق وما يقتنع به اقتناع الشريف الذى لا ينظر الى مغنم ولا يخشى العقوبة ٠

وهو أعظم ما يكون حين يقف من الرأى العام موقف صاحب الرأى لا موقف المداهن المتملق الذى يخشى ما يقول الناس ٠

فهو يأبى لنفسه أن يصبح كمغنى الموالد يردد ما يحب النـاس أن يسمعوه مقـدرا أن كثيرا من النـاس يقعون ضحية الضالين الذين يرفعون الشعارات الجاهزة ٠

ويرددها خلفهم ضعاف العقول دون ريث من تفكير أو اعمال للرأى ٠

وتلك فى رأيى هى عليا مراتب الشجاعة ٠ فقد يوجد من الكتاب من يقف فى مواجهة صاحب السلطة ولكن الشرفاء من الكتاب وحدهم هم الذين يقفون برأيهم فى مواجهة التجمعات العالية الصوت حين يحسون أن هذا الصوت لا يمثل الحق ولا يخشون ما يستطيع أن يصنعه هذا الرأى الفج من اشاعة الأقاويل ومن اطلاق الأكاذيب ومن رمى الكاتب بالنفاق أو ممالأة السلطان ٠

فى هذه المواقف كان العقاد فى قمـة عظمتـه الخلقيـة والفـكرية والانسانية جميعا ٠

في هذه المواقف رفع العقاد القلم راية جهاد وقائد رأى لا تابعا ذليلا لما يسر الناس ٠

هاجم الوفد حين الوفد فى قمة شعبيته ولم يخش الوفد وهو حزب الأغلبية ولم يخش الوفد وهو الحزب الحاكم ٠

وحين اندلعت الحرب العالمية الثانية كانت أغلبية المصريين مع الألمان كرها فى الانجليز ٠ الا العقاد فقد صاح صيحته اننا لن نقبل أن نستبدل سيدا يقدر كرامة الانسان بسيد يريد أن يرد العالم الى أسياد وعبيد ٠

وأرجف المرجفون ورموه بأنه نال الأمـوال من الانجليز فما مـال ولا اهتز قلمه ومضى فى سبيله الذى يعتقد انه الحق وليقل من شاء أن يقول ما شاء أن يقول ٠

هنا العقاد فى قمته ٠

وحين أناح على مصر عهد الطاغوت الأكبر وقف فى كبرياء الملائـكة الأطهار لا يقول الا كلمة الحق ٠ والمال قد نضب والسن قد علت والعزيمة عند أمثاله قد خارت الا هو ٠ لم يكتب الا حقا ٠

لم يستطع المال الذى لم يفلت من أظفاره المفترسة الا صاحب العزة الشماء أن يجعل العقاد يقول الا ما يريد أن يقول لا يزيد حرفا ولا ينقص حرفا أيضا ٠

وفى الستينات تكالب الشيوعيون وتعلبوا عليه فشرع قلمه فى وجوهم بالعلم الواسع وبالحجة فى اشراقة الشمس المضيئة والمحرقة معا ٠

ومات فما وجدوا عنده مالا ولا عقارا وتنخرس الألسنة ومن أعد له المال وهو من رفض أن يقابل أميرا عربيا أراد أن يشترى حقوق بعض كتبه بعشرة آلاف جنيه كانت فى ذلك الحين تتجاوز فى قيمتها المائة ألف اليوم ٠ ولم يرفض المقابلة الا لأن الأمير تأخر دقائق عن الموعد الذى حدده العقاد٠

ومن يستطيع أن يقول لعشرة آلاف جنيه يحملها أمير لا بغير سبب الا بضع دقائق تأخرها الأمير يستطيع أن يكون العقاد ٠

وهيهات أن يستطيع أحد الا من سواه ربك على هذا الخلق المتألق الذى لا يبدو فى سماء الحياة الا كل حين عهيد بعد حين ٠

وفى ذكراه اليوم أرفع أسمه فى سماء مصر مثلا يندر أن يتكرر فى حياة الشعوب لعل الذين يدعون البطولة الكاذبة أن يدركهم بعض الحياء أو بعض الخجل أو لعلهم يفكرون لحظة ولو لحظة واحدة فى مصر هذه التى تلقى من جحود بعض أبنائها شرا مما تلقاه من أشد أعدائها عداء لها ٠

أتراهم يرشدون ٠٠٠ لا وربك لن يرشدوا وعلى القلوب اقفالها ٠

ولتدركنهم من ربهم البغتة وليعلمن يومئذ الحق الذى هم عنه غافلون ٠

الذرة والتظاهر بالخوف

ثار جدل طويل حول اقامة مولدات كهربية من الذرة بمصر والموضوع كما ترى لا يجوز لغير المتخصصين الحديث فيه وما كنت لافكر أن أكتب فى هذا الأمر الجليل لولا أن هناك حديثا غير متخصص يجوز لنا نحن الغرباء عن العلم الهندسى أن نذكره ٠

فقد هالتنى الأرقام التى ساقها السيد وزير الكهرباء عن صغر حجم الطاقة الكهربية فى مصر اليوم وهالنى أكثر من ذلك المستقبل المظلم الذى سنلقاه اذا نحن لم نسارع باتاحة الفرصة لمجالات التوليد الجديدة أن تأخذ مكانها فى مصر ٠

وحين عرض الأمر على المجالس الشعبية وجدت الجميع يتحدثون وكأنها مشكلة متاحة للجميع أن يشاركوا فيها الرأى وعجبت كيف لا يكون رأى الدارسين قاطعا فى هذا المجال ٠

وقد اقتضانى الأمر أن أتقصى الحقائق من مصادرها فاذا الأمر ينكشف عن حقائق مذهلة فقد عرفت أن الموقع الذى اختاره المختصون فى مصر يوشك أن يكون أحد أعظم خمسة أمكنة فى العالم أجمع من ناحية السكان والمواصلات والصلاحية الفنية ٠

واذا الأمر يتكشف لى أن معظم دول العالم حتى المتأخرة منها بدأت تأخذ بنظام الطاقة النووية كملجأ لا غنى عنه لمواجهة ازدياد الحاجة الى الطاقة مع النقص المنتظر فى منابع البترول ٠

فاقامة محطات نووية اذن لا يجوز أن تكون الآن موضع مناقشة والعالم أجمع يتسابق فى مجالات التقدم العلمى ومن يتخلف سيجد نفسه فى صحراء جرداء من الجهل والتأخر والجمود وستصبح الشعوب فى هذه البلاد شعوبا من جنس لا ينتمى للبشرية فالعالم لا يرحم المتخلفين والعلم يرفض الناكصين المتراجعين ٠

والمعارضة التى تثور حول هذه الطاقة الجديدة مضحكة ومبكية فى آن معا ٠ فهؤلاء المعارضون يتخذون من الفقاعة التى تعرضت لها محطة نووية فى أمريكا سببا للمعارضة ٠ وفى هذا نجد عنصر الاضحاك فلو أن العالم

جميعه خاف لظللنا حتى اليوم نقطع المسافات بين مدن البلد الواحد على الحمير فان ارتقينا فعلى الخيل ولظللنا حتى اليوم نسافر الى بلدان العالم على ظهـور الجمال فيستغرق منا السفر نصف عمرنا وتستغرق العودة النصف الآخـر ٠

ولو ان هؤلاء المعارضين أنعموا النظر لوجـدوا أن محطات التوليـد النووية ظلت تقام فى العالم بنفس السرعة والانتشار الذى كانت عليه قبل حادثة الفقاعـة ٠

والعجيب أن المختصـين الذين اختاروا مكان المحطة فى مصر قدموا تقريرا يثبت أن السبب فى وجود هذه الفقاعة المتمردة قد قضى عليه ٠

وانى أريد أن أسأل هؤلاء المعارضين هل نحن فى أمان فى السيارات أو القطارات أو الطيارات ٠ بل أريد أن أسألهم هـل نحن فى أمان تحت سقوف بيوتنا والحرائق تتربص بنـا وانهدام المبانى يهدد نسبة مخيفـة ذكرها رئيس الوزراء فى خطابه ولا أحب أن أعيدها حتى لا أصاب ثانية بالذعر الذى أصبت به وأنا أسمعها ٠

ألسنا فى كل لحظة من لحظات حياتنا معرضين لخطر لا ترده عنـا الا رحمة ربك فكيف يجوز لنا نحن المؤمنين أن نخاف من التقدم العلمى ونتقيه بمنع اقامته فى بلادنا فنزداد تخلفا وتأخرا وجمودا ٠

بقى أن أذكر لك الجانب المبكى بعد أن ذكرت لك الجانب المضحك ٠ اننى أخشى كل الخشية أن تكون المنطقة التى وقع عليها الاختيار مملكة لها حكامها وأساطينها وأباطرتها فهى دولة داخل الدولة ٠ وهى دولـة ليس الطريق الشريف مصدر دخلها وهى دولة ليس العدل أساس حكمها ٠ ان كان ذلك كذلك فلا سبيل لى أن أناشد هؤلاء الحكام بعض ضمير أو بعض عدل أو بعض شرف وانما أنا أتوجه الى الحكومة الشريفة لتعمل القانون فالقانون وحده هو السيد وليس فى مصر شبر واحد من الأرض لا يسيطر عليه القانون فعصر الفوضى ومغتصبى الحقوق زال الى غير رجعة بأمر الله والحمد لله ٠

صورة من مرآة النفس

ترقيـــة

كان صاحبى موظفا من خيرة الموظفين الذين عرفتهم المصلحة التى يعمل بها • وكان رؤساؤه دائما يعجبون به ويكلفونه بما يشاءون من مهمات وهم مطمئنون انه سيؤديها على أحسن وجه • وكان صاحبى على أحسن علاقة بكل الرؤساء الذين توافدوا على المصلحة وكانوا هم أيضا يراعون الا يكلفوه الا بما يتناسب مع خبراته • فقد كان خبيرا بشئون الموظفين وترقياتهـم وعلاواتهم •

وكان صاحبى أيضا على أحسن علاقة بكل الموظفين الذين يعملون معه فى المصلحة • فكلهم يحبه • والظرفاء منهم يطيب لهم دائما أن يرووا له ما سمعوا من نكات كما كانوا يتمتعون بما يرويه لهم ، وبتعليقاته الضاحكة وان كانت ساذجة فهو حريص دائما أن يرى ابتسامة على وجه زملائه وكان حديثه دائما قادرا على أن يجعل البسمة تثب الى شفاههم حتى وان كانت ابتسامة متشحة بالتكلف •

وكنت أزوره بالمصلحة فيستقبلنى زملاؤه أحسن استقبال لحبهـم لــه •

وكان صاحبى من القلة النادرة التى أوشكت تنعدم التى ترضى عما هى فيه فهو لا يشكو من الزمن عثار حظ ، أو قلة مال ، أو ارهاقـا فى الانفاق • كان يقبل من الدنيا ما وهبت له ولا يسخط منها على شىء حرمته منه • فهو لا يطمع فى أكثر مما نال ولا يتوقع أحسن مما أصاب • تقف أماله فى هذه الساحة الرحيبة من القناعة التى لا تريد الا الستر والا أن يكرمها الله فى أبنائها •

وكان صاحبى يعرف ان للحياة سنتها الطبيعية التى لا تتغير وانـه لخاضع لهذه السنة راض بها فهو يتقبل المرض فى أبنائه لأن من طبيعـة الأمور أن يمرض الأبناء وهو ينفق على علاجهم فى صبر ويستقبل شفاءهم وكأنه أعجوبة لم يكن يتصور انها ستتحقق فقد كان يحتفل بالمناسبات السعيدة احتفالا رائعا قل ان تجده المناسبة السعيدة عند غيره من الناس فلو أن هذه المناسبات كانت ذات عقل أو كانت صاحبة منطق لما انقطعت عن زيارته أبدا •

وكان يعلم أن السمن حين تتقدم به أو بزوجه التى تقاربه فمن الطبيعى أن يواجهها هذه السمن بما يتفق وإياها من تكاسل أو مرض ٠

وهكذا كان صاحبى يمثل فى نظرى نموذجا فريدا من الانسان الرضى الخلق الهادىء المؤمن بالله المتقبل لكل ما يوافيه به القدر فى غير جزع عند الشدة وفى نشوة عارمة عند الخير ٠

حتى كان يوم قرأت فى الجرائد أنه رقى رئيسا للمصلحة التى يعمل بها ففرحت له فرحة تتناسب وما اكنه له من حب وتقدير ٠ وسارعت فالغيت ما كان مقدرا ليومى هذا من مواعيد وذهبت الى المصلحة لاهنئه ٠

كان كل الموظفين فى سعادة غامرة حتى لقد رأيت البشر يلف المصلحة جميعا ٠ ولأول مرة لا أدخل الى مكتبه مباشرة وانما قصدت قصدا أن أطلب الأذن من السكرتير مع أن الساعى الواقف على بابه أراد أن يفتح لى الباب النافذ اليه مباشرة ٠ أحسست فى مرورى بالسكرتير لذة أحببت أن أتمتع بها ٠ وحاول السكرتير أن يدخلنى دون أذن ولكننى رجوته أن يستأذن وأصررت ٠ ودخل السكرتير فاذا بصاحبى يخرج معه وهو يهتف بى ٠

ــ ما هذا ٠٠ أهذا معقول ٠٠٠ تفضل ٠

واحتضنته وقبلته ودخلنا الى غرفته وجلست معه انتظر القهوة ٠

عرفت أنه كان يرجو أن ينال هذا المنصب ولكنه كان أملا ألقى به الى سحيق من حب نفسه لا يطفو ولا يقترب من الهواء ولا يتنشق نسمة من الحياة ٠ حتى اذا لاحت الفرصة سعى سعيه وهو يائس فهو يعرف نفسه كل المعرفة انه يتغلف بالنفاق دائما اذا كان الحديث مع صاحب شأن ولكنه يقول أنه كان ينافق لا ليصل الى منصبه هذا وانما ليبقى على نفس الوظيفة التى كان يشغلها ولم يكن يدرى أن النفاق مصعد صاروخى الى هذا الحد الذى شق به هو الطريق الى سماء المصلحة ٠

كان صاحبى سعيدا وهو يحدثنى فربما كنت بل انى فعلا الشخص الوحيد الذى يحادثه بلا نفاق وبلا تحيط أو حذر ٠٠٠ جمعتنا الأيام الطويلة وتعود ان يلقى الى بسره فأنا مطلع بعد الله على مرآة نفسه بلا ستار ولا غلائل ولا خفاء ٠ ولهذا رأيت فى عينيه شعورا أكاد أثق أن أحدا لم يره الا أنا ٠٠٠ كان القلق يعدو على بريق الفرح فى عينيه ٠ وعجبت أن يبدأ القلق مسيرته فى نفسه فى اليوم الأول لتوليه الوظيفة ٠

ومرت الأيام وكنت أزوره فى غير انتظام وفى غير اكثار ٠ رأيت على وجوه الموظفين قترة وكمدا ٠ وأحسست أن ترحيبهم بى أصبح أكثر حجما مما كان ولكن الأخلاص فيه منعدم الصدق غائب حتى لا تستطيع ألفاظهم

أن تخفى سخطهم المتستر وراء زواق الكلام · وما أنا منهم ولا تربطنى بأحد فيهم رابطة الا صداقتى برئيسهم ·

وألقاه ·· أين النفس الرضـــية ·· أين القلب المطمئن ·· أين الابتسامة المنطلقة فى غير حذر تشق ظلام الحياة وقلق البشر لتسفر عن راحة الضمير وسعادة الانسانية اذا قدر للانسانية يوما أن تكون سعيدة ·

لم أسأله ··· وانما أقللت من زيارتى حتى لأوشكت تنقطع ·

وفى يوم بينما أنا فى القيلولة اذا بصديقى قادم على غير موعد ورأى دهشتى فلم يحفل بها وانفردت بنا الحجرة ·

صمت ··· ثم اندفع فى بكاء متواصل لم أجد معه أنا الا الصمت · ثم رفـع وجهه فرأيت صـديقى الذى كنت أعرفه قد عـاد الى وجهـه مرة أخرى ··· ثم تكلم ·

ــ لقد استقلت ··· بلغت من مرتب المعاش أقصـاه فاستقلت · لقد مرت بى فترة الرئاسة فقلبتنى من انسان الى لا انسان ··· ولا أعرف صفة أقولها لتغنينى عن هذا التركيب اللفظى · كرهت اخوانى جميعا فى العمل كنت أحس أنهم يعرضون على الورق وظلال سخرية تغلبهم على أمرهم وتثب الى شفاههـم ثم كنت أنظر الى أقفائهم وأنـا واثق انها تخفى عنى السخرية الصريحة · كنت أحس أنهم مجمعون على أننى آخر من يصلح لهذا العمل ··· وربما كانوا على حق · فلماذا يصبح هذا الشخص الذى عاش عمره بلا رأى ولا موقف ولا مبدأ ولا قيمة رئيسا لهم ·

كنت أعتقد أنهم يرون أن النفاق الذى بذلته هو الدرج ولكنهم مع ذلك ــ فيما أظن ــ كانوا يتصورون أنه لا يكفى وحده لكل هذا المجد الذى نلته ·

الحقيقة التى لا أستطيع أن أخفيها عنك لأنك ستعرفها دون أن أقولها أننى أنا نفسى لم أكن مقتنعا أننى رئيس فعلا · كنت أحس نفسى شيئا تائها فى الكرسى الذى أجلس عليه حتى لقد كنت أنا نفسى أفتش عن نفسى فى الكرسى اذا خلوت به وخـلا بى · حتى اذا دخـل مرؤوس لى كان زميـلا انتفشت عن نفخة كنت أضحك منها فى داخلى · ثم أنا أوجه اليه أبشع النقد فى أقسى لفظ حتى اذا خرج واجهت صغرى واقفا أمامى وداخلى يأخذ على أقطار الحياة خارجى وأقطار كيانى فى داخل كيانى ·

وكنت أحيانا أحب أن أتظرف وأبحث عن هذه الابتسامة التى كنت أرسمها على وجه زملاء الأمس ومرؤوسى اليوم فاذا الابتسامة قهقهة عالية

ادرك أفتعالها وأحار أهي مفتعلة لأننى رئيس ينافقونه أم هى مفتعلة لأنها تفرج عن السخرية منى التى يحسبونها أمامى ٠

وكنت في كل يوم أنظر الى المرآة أحس اننى أصبحت صورة حية لرسم دوريان جراى ٠٠ كانت مرآتى هى صورة دوريان جراى ففى كل يوم تختفى منها سمة طيبة لتحل محلها تكشيرة وحش ٠٠٠ كنت أفقد نفسى نأمة نأمة وشعاعا شعاعا وتنطمس فى نفسى يوما بعد يوم عواطف الطيبة والحب والرضا والقناعة والسعادة وقبول الحياة لتشتعل نفسى بنيران الغدر والحقد والسخط والطمع والشقاء ورفض كل شىء فى الحياة حتى ما هو جميل فيها ٠

أولادى ٠٠٠ أولادى ٠٠٠ كنت أتخيلهم يسخرون منى اذا خلا بعضهم ببعض ٠ زوجتى ٠٠٠ لم أقتنع يوما أنها قبلت أمر ترقيتى كشىء مسلم به كنت دائما أحس أنها تشك أننى حقا رئيس وأننى أصبحت مستقبلا للتملق بعد أن كنت مصدرا له ٠

تاهت نفسى من نفسى ٠٠٠ ونفرت حياتى من حياتى ٠٠٠ أسمع يا أخى هناك ناس خلقوا ليكونوا أى شىء الا رؤساء لأعمال وأنا منهم ٠٠٠ وتلك هى الحقيقة ٠

اليوم قدمت استقالتى وجئت اليك قبل أن أذهب الى البيت لأن حياتى التى أحببتها تركتها عندك فى تصورك لى وفى معرفتك بى وقد جئت اليك لأصحب نفسى الأولى وحياتى التى أحببتها ولن أحب غيرها وأعود الى الدنيا بما أحب أن تراه منى وما أحب أن ألقاها به ٠٠٠ سلام عليك ٠

كل سلام عندهم حرب

أعرفهم • وشاء قدرى أن أعرف خبىء حياتهم • وجميعهم يدين بغير الله ، ويصرف ولاءه لغير الوطن • ولكل منهم متجه فى الحيـاة ومنحى • ولكل منهم نحلة أو مهنة تختلف عن مهنة الآخر أو نحلته • ولست أدرى كيف تتابعوا الى ذهنى يشد كل منهم الآخر الى تفكيرى ويقف أمامى فأرى عجبـا •

وأنا اليوم أحاول أن أقدم بين يديك هذا العجب فلا أدرى أأنكره بادئا أم أنكره منتهيا ، أم لا أنكره مطلقا ، وأتركك تصل اليه وحدك وأنا واثق انك بهذا خليق •

ولكن هذه الصورة التى لا أدرى ما الذى جعلنى أحاول أن أرسمها لك نوع من الكتابة يجمع بعض ملامح القصة وبعض ملامح من المقالة • واذا أنا قدمت لك هذه الصورة التى أريد أن أقدمها لك اليوم ولم أكشف لك عما جعلها تتتابع الى ذهنى ممسكا بعضها برقاب بعض أكن قد جنحت بقلمى الى الشكل القصصى الذى يشير ولا يصرح ويومض ولا يكشف ويهمس فى خفاء ولا يجاهر فى علن •

وأنا أحب — ولا أدرى لماذا — أن احتفظ لهـذه الصور بطابعها هذا الذى لا يجعل منها قصة ولا يجعل منها مقالة •

دعنى أعرض عليك هذه الأشكال •

أما الأول فقد كان جده يعمل فى بيت وكان أهل البيت يعتبرونـه واحدا منهم حتى أن الأبناء كانوا لا ينادونه بأسمه الا اذا سبقوه بكلمة عم وظل هذا حالهم وحاله حتى كبر الأبناء وتزوجوا فكانوا يزدادون له احتراما وتوقيرا كلما مرت بهم السنون وعلت بهم السن •

وقد لقى هذا الجد ربه بعد أن أصبح ابنه موظفا بالحكومة بشهادة متوسطة واستطاع هذا الأب بجهد جهيد وكفاح مرير أن يعلم ابنه موضوع هذه الصورة فتخرج من كلية •

مسكين هذا الفتى لقد شب فى زمن الحقد فهو ينظر الى ماضى أسرته فى فزع وفرق واشفاق ويخشى أن يعلم الناس حقيقة هذا الماضى • والمجنون لا يعرف أن الناس تعرف هذا الذى يخشاه وانهم يقدرون جده أكثر

مما يقدرون أباه • وأنهم يحتقرونــه هو مع أنه يحمل هذه الشهادة التى حصل عليها • فقــد كان أبوه وأسرته جميعا قوما شرفــاء يحبهم النــاس ويقدرونهم لأنهم عاملوا ربهم فى تخشع المسلم الصادق وعاملوا الناس فى ود وايناس يسعون لهم ويسعون بينهم بالخير والحب والصفاء فجده وأخو جده كانا فى زمانهما صفحة مضيئة مشرقة من صفحات الحياة • يراهــم الناس فيحمدون الله أن بينهم مثل هؤلاء القوم الأتقياء الأنقياء • وليس يعنى الناس فى كثير أو قليل بهذه الشهادة التى يحملها هذا الغر مادامت شهادته لم تستطع أن تجعل نفسه شفيفة ولا استطاعت أن تجعل فى قلبه حبــا •

مسكين هذا الفتى يأكله الحقد فتشتعل النار فى نفسه ولكنها نار لا تأكل الا صاحبها لأن صاحبها أهون كثيرا من أن تحس به الحياة •

وهو ملحد ولكن الحاده يغريه وحده كما يغرى الضياع صاحبه فاذا كانت الأرض لا تحس به أو بالحاده فكيف بالسماء •

كل حسن فى عينيه قبح وكل سلام فى نفسه حرب ، وكل الدنيا فى عينيه قاتمة كنفسه ، كئيبة كالحادة لا دفء فيهــا ولا ايناس ومن أين وهو غريب أشد الغرابة عن أهله وهم أهله • وعن وطنه وهو وطنه • وقبل كل هؤلاء عن دينه وهو دينه •

مسكين هذا الفتى اختلت موازين الحياة فى نفسه وانقلبت لأنه يظن أنه ينتسب الى جد وأسرة لا تشرفانه وهو فى هذا حقــير ساقط الرأى • ولأن أسرته تراه أنه ملحد ويأبون أن تمس أيديهم يــد الالحاد فيه كما يأبون أن يمدوا حياته بدفء الأقارب وحب الأهل وهم فى هذا محقون •

من هذا التناقض نبت فى نفس الفتى سرطان الشيوعية •

وفى صورة أخرى بعيدة فى جذورهــا كل البعد عن هذه الصورة قريبة منها فى حقيقتها •

كان أبوه ثريا غاية الثراء وبقدر ثرائه كانت سخافته وتفاهة تفكيره •• وكان رحمة الله عليه جاهلا كل الجهل ، والجهل فى اللغة له معان كثيرة : المعنى المعروف الذى يجعل صاحبه حيوانا أعجم لا يفهم عن أحد ولا يفهم أحد عنــه • لا يقرأ فى الكتب ولا يقرأ فى الحياة فهو جاهــل • وهناك معنى آخر كانت تستعمله العرب فيقال جهل فلان على فلان أى أساء اليه وتهجم عليه ويقول عمرو بن كلثوم فى معلقته :

الا لا يجهلن أحــد علينــا فنجهل فوق جهل الجاهلينــا

وأب هذه الصورة فيه من الجهل معنيه بل ربما كانت فيه معاني الجهل كلها اذا كانت له معاني أخرى ٠

والرجل في البيت المصري هو رب الأسرة وقيمها ومثلها الأعلى فحين شب صاحب الصورة عن سن الطفولة وبدأ لقاءه بالصبا والشباب وجد هذا الأب التافه الجاهل وقد اجتمع عليه أيضا البخل ٠ والبخل عند الفقير مسبة ولكنه عند الغني كارثة ٠ وكثيرا ما يختلط البخل بالخسة والدناءة ليصبح البخيل بين الناس اهزوءة ويصبح بين أهله مسخرة ٠

وحين يصبح عماد البيت مسخرة فليس غريبـا أن يصبح صاحب الصورة شيوعيـا ٠

أما الصورة الثالثة فهي عن أب هذه الصورة أيضا ٠ وقد كان هذا الرجل جديرا بأن يكون موضع احترام وتوقير ولكن شاء الله فجعل منه موضع احتقار وامتهان ، وأكمل هو أسباب احتقاره فسرق شركة كبرى كان يرأسها وشب الفتى وأبوه من سجنين من الحديد والاحتقار معا ٠

وكان من الطبيعي أن يصبح الابن رافضا للمجتمع كله الذي امتهن أباه واحتقره ومادام المجتمع قد فعل فهو يرفض الله وهو شيوعي ٠

أما الرابع فهو ملحد بسبب آية كريمة تخاطب الانسان وتقول له ان الله خلقه فسواه فعدله ٠ ولكن صاحب الصورة يعتقد ان الله خلقه فقط وما سواه ولا عدله ٠ وهو يصدر في ذلك عن غباء مطلق فالله سبحانه وتعالى حين يقول هذا للانسان انما يريد ــ عزت مشيئته ــ أن يميز الانسان عن الحيوان أما اذا كان الانسان قبيح الوجه مشوه القوام غير معتدل القامة غير متناسق الأطراف فهو لا يخرجه بذلك عن الانسان الذي ينتسب اليه وانما هو امتحان من الله سبحانـه وتعالى الذي قال ولنبلونكم وفي هذا الاختبار يكرم الله سبحانه عبده ويتيح له أن يقترب منه بروحه اذا كانت سليمـة ولم يسمح لها صاحبها أن تلتوي بالتواء ظاهـرة وحـين يصل الانسان ٠٠ هذا الانسان الى ربه يجد نفسه أجمل الناس جميعا فالذي يعرف الطريق الى السماء تصبح الأرض عند كبريائه هينة لا تساوي أن يقيم لها وزنا ٠ ولكن صاحب الصورة شوه داخل نفسه أكثر مما شوهته الطبيعة فحقد ٠٠ وألحد ٠

ومادام قد حقد وألحد فما بغريب عليه أن يكون شيوعيا ٠

والصور شتى ولكن المرآة ازدحمت ولكنني ما زلت أعجب كيف جرت كل صورة من هاته الصور الصورة الأخرى ٠ ويزداد عجبي انني كلما ذكرت شيوعا وجدت هذه البؤرة العفنـة من الحقد رسبت في أصله ، أو ثبتت في نفسه ٠ أو تجلت في سحنته ٠ سمة واحدة لا يخطئها البصر ولا تغيب عن البصيرة ٠

نسمة من دنيا الخلود

طالعنى نعيه فى الجريدة بلا أى مناسبة . فقد طالما قرأت أخباره بالجرائد وطالما قرأت له ولكن الشىء الوحيد الذى لم أتوقع أن أقرأه عنه أنه مات . ولماذا يموت انه لم يكلف الحياة يوما شيئا حتى تضيق به وقد عاش عمره يعطى الحياة ولا يأخذ منها . وكان يقبلها بكل حالاتها وعلى وجهه ابتسامة بوهيمى وفى قلبه وعقله تفكير فيلسوف تعمق العلم والفن والمجتمع وقبل الحياة فرحة يحب أن يانس لها ، وقبل الحياة عملا عملاقا يحب أن يوغل فيه ويقوم به عرفته منذ أربعين عاما وكان هو مدرسا بالمدارس الابتدائية وكنت تلميذا بالمدارس الثانوية . وفى اللحظة الأولى من تعارفنا أدركنا انها ستكون صداقة عمر . فكانت .

هذا الصفاء الذكى ، هذا العلم الواسع المتحرر الذى لا يرفض شيئا الا اذا أوسعه ولا يقبل مبدأ أو يغوص فى العميق البعيد من دخائله .

الثقة بالنفس والتواضع لا يعدو شعور منهما على الآخر فهما متساويان فى نفسه بقوة الهيبة هى العدل كل العدل . فأنت لا تشعر منه فى أى لحظة من لحظات حياته هنة تكبر وحاشاه أن تبدو منه فى هنيهة افتة تعدو على كرامتــه .

يكبر العمالقة ويعجب بهم فى أجلال وادراك تام لخطورة الدور الذى قاموا به فى حياة مصر . كان كذلك شأنه معهم فى الأدب وفى السياسة وفى الفن لم يحاول أن يثب على كتف عملاق لأنه يعرف أن قدميه ثابتتان فى الميدان الذى يعمل فيه .

تسمعه يتكلم عن طه حسين فاذا هو فى جمل قصيرة حاسمة سريعة يصــل الى أسرار عظمة طه حسين واذا أنت فى لحظات تمســك بيديك الصروح الشاهقة التى أقامها طه حسين فى الأب العربى الحديث ثم تنتقل معه ما شئت بعد ذلك من طه حسين الى هيكل الى العقاد الى الحكيم الى المازنى الى الزيات الى تيمور فتجده قد وسعهم جميعا بهذا العلم الشامل وهذا التقدير الذى يقوم على منطق ثابت عميق بعيد الأغوار .

فاذا انتقلنا الى السياسة أو الفن وجدت غثمان نويه هناك حتى لتوشك أن تظن حين تسمعه يتكلم فى موضوع ما أنه تخصص فى هذا الموضوع ولم يدرس غيره .

فاذا خطوت من الأدب العربى الى الأدب الانجليزى وجدت عثمان متعمقا لأئمة الشعراء والروائيين والقصاصين الذين يكتبون الانجليزية ٠

وقد كتب عثمان رواية واحدة ظهرت فى الأربعينات وكان اسمها خادمك المليونير وقد رسم بها شخصية فنية فى براعة يندر أن تتأتى لغيره ٠

ثم هجر الرواية الى الترجمة فتعاون مع أستاذه وأستاذ المترجمين المحدثين محمد بدران رحمة الله عليه فقدما للمكتبة العربية أعمالا أمدت هذه المكتبة بثروة رائعة ٠

ثم استقل عثمان بالترجمة فلم يترك القلم حتى اختاره ربه وقبل أن يفجعنى الخبر بأيام قليلة فوجئت به يزورنى فى الأهرام وجلس وبشرنى بانتهائه من أهم جزء من الموسوعة التى كان يقوم بترجمتها ولم يطل مكثه واستأذن لينصرف ٠٠ أما كنت تريد شيئا ٠٠ أبدا لم يكن يريد الا أن يرانى ٠٠ لقد كان صديق العمر يودعنى ولا يدرى ولا أدرى أنا ، فقد مر بنا حين من الدهر كان كل منا يعرف مكان صاحبه فى أى لحظة من لحظات النهار أو الليل ٠

حتى اذا طوحت بنا الحياة ليلقى كل منا مصيره فيها كانت تمر بنا الأسابيع وربما الشهور ولا نلتقى ولا نتحادث ولكن العجيب أن كلا منا كان على لقاء دائم بصاحبه لا ينقطع لحظة ٠٠ كان كل منا يطالع أنباء الآخر فى الجرائد وكان الاطمئنان الذى تشيعه فى نفسينا هذه الأنباء تجعلنا نحس أننا على هذه الصلة الوثيقة التى ربطت بيننا سنوات وسنوات والتى كانت هى الأساس الأول فى التكوين الأدبى والخلقى والاجتماعى لكل منا ٠

على يديه نشرت مقالى الأول بما كانت له من صلة بأستاذنا وأبيه الروحى أحمد بك أمين وطالما ذكرت هذه الواقعة كلما أتيح لها المجال أن تقال ٠ ولكن ليس هذا هو عثمان نويه عندى وانما هو أساس من أهم الأسس التى قامت عليها ثقافتى الأدبية والاجتماعية ٠ وهو قبل كل شىء وبعد كل شىء تلك النسمة الرخاء التى تهب من حين الى آخر من عالم الخالدين الى عالم الزائلين ٠٠ وهو ما قاله شوقى وان كان لم يره ٠

وما هو ميت ولكنه بشاشة دهر محاها الزمن
ومعنى خلا القول من لفظه وحلم تطاير عنه الوسن

اللؤلؤ والذرة

فكرة راحت تلح على ذهنى فى اصرار · أقاومها فتعود الى أشد عنفا وإيغالا وامعانا · أما لماذا تلح فأمر لا أدريه ولا أستطيع النفاذ الى أسبابه ودوافعـه ·

أما لماذا أقاومها فأنا أعرف السبب · انها فكرة بعيدة كل البعد عن الواقع · تأباهـا الحقيقة وتأباهـا طبيعة الأمور كما ترفضها الحياة لأن العناصر التى تكونها شخوص وأشياء هيهات لها أن توجد منفردة ومن ثم فهيهات لها ثم هيهات أن تجتمع لتكون الصورة التى تريد أن تتشكل بها فى رأسى وعلى قلمى ·

وأنا لست كاتبا عفويا أقبل أى شىء يخطر على ذهنى · ولست أيضا متسرعا أنشط الى الكتابة بمجرد أن تلوح فى خاطرى أطياف فكرة وانما أصر الا أمسك القلم الا بعد أن أنعم النظر فى هذه الومضة التى يعرفها الكتاب وأمعن التفكير فى أعماقها وأبعادها ·

وأنا أيضا لا أرغم القلم على الكتابة كما لا أرغم الفكرة أن تتشكل فى اطار أفرضه عليها ، وانما أترك الفـكرة نفسها تشـكل هذا الاطار وتختاره فى حرية كاملة من داخلها هى فأنا من الذين يؤمنون أنه لا أحزاب فى الأدب وكم أضحك من تصنيف النقاد للكتاب حين يقولـون أن هذا الكاتب رومانسى وذاك كلاسيكى وذاك واقعى وآخر رمزى · انما الكاتب هو كل هؤلاء ·

فليست هذه المذاهب أحزابا ولا آراء مبدئية يتحتم على من يعتنق مبدأ منها أن يكون عدوا للمبدأ الآخر ·

ألست ترانى أحاول ما وسعنى الجهد أن أروغ من هذه الفكرة التى ما تزال تلح على والتى ما أزال أحاول أن أقصيها عنى ·

ولكن متى أستطاع الانسان أن يهرب من قدره أو يروغ مما تفرضه عليه مشاعره ·

أتصور أن شخصا ما يملك حمارا يحبه ويريد أن يهيىء لـه كل وسائل الراحة فهو يعين له شخصا خاصا لا عمل له الا أن يقوم بشأن الحمـار ·

وأتصور أن صاحب الحمار عنده أكوام من اللؤلؤ يكيلها كيلا ولا يعدها عدا · وأتصور أن الفتى الذى يقوم بشأن الحمار لا يعرف الفرق بين الذرة وبين اللؤلؤ · فهو يكتال اللؤلؤ ويضعه أمام الحمار لأنه يظنه ذرة · والحمار لا يأكل اللؤلؤ ولا يقبل طعمته ولكنه مادام قد رأه أمامه فهو يمضغه فيطحنه ولكنه لا يبتلعه وانما يبصقه ·

ولكن اللؤلؤ مع ذلك يأبى أن يترك الحمار فلابد أن كميات منه وفيرة بقدر سعة الفم عند الحمار قد ذهبت الى معدة الحمار ·

ومادامت معدة الحمار تستقبل شيئا لم يكن من المفروض أن تستقبله فمن الطبيعى أن يموت الحمار ·

أرأيت هى خيال كلها ··· كلها خيال ولكنها مع ذلك تلح على ·

المخطىء لا شك هو ذلك الرجل الذى يملك الحمار والذى أستأجر له الفتى والذى ترك اللؤلؤ يلهو به من لا يعرف قيمته ·

وقد دفع صاحب اللؤلؤ والحمار ومستأجر الفتى الثمن ففقد اللؤلؤ وفقد الحمار · ولكن هل هذا هو كل ما يخسره ·

المؤكد أن الذين يبيعون اللؤلؤ سيرفضون كل الرفض أن يتعاملوا مع هذا الرجل لأن الذين يبيعون اللؤلؤ لا يهمهم أن يبيعوه وانما يهمهم أولا وقبل كل شىء أن يفهم مشتريه قيمته أما اذا كانت الذرة عنده تستوى مع اللؤلؤ فهو لا يستحق أن يملك لؤلؤة واحدة بل هو حتى لا يستحق أن يرى اللؤلؤ فليس هناك أى معنى أن يرى شخص ما شيئا لا يعرف قيمته ·

تصورت هذا جميعه وتصورت لماذا تختفى اللآلىء فى كثير من الأحياء ويعتز بها أصحابها أن يعرضوها خشية أن تصادف فى سوق الجواهر أشخاصا كأصحاب الحمار أو تشتريها الحمير أنفسها فى غفلة خلط منها بين اللؤلؤ وحبات الذرة ·

عصر الحب رواية جديدة لنجيب محفوظ

عازف أنا عن الكتابة أضيق بها أشد الضيق حتى لتسائلنى نفسى فى الحاح لماذا أختار لنا القدر هذه المهنة التى لا يعرف فيها أحد قدر الآخر والتى يظن فيها كل من خط اسمه انه يستطيع أن يمارس الكتابة ثم هو فى اطمئنان وثقة يعتقد أنه قادر على كل أنواع الكتابة لا فارق بين شعر ونثر ولا بين خبر صحفى وقصة ولا بين رواية وحكاية ولا بين تحليل سياسى ورصف لأخبار سياسية كل شىء يستوى مع كل شىء وكل من يستطيع فك الخط كاتب وكل من يلهو بالقلم أديب وفنان وناثر وشاعر وناقد وباحث وعالم وعبقرى ·

لا منطق هناك ولا ضابط · وكلما ازداد الجهل أزدادت النفس خداعا بصاحبها فالميدان هزل كله البطل الأكبر فيه السخرية والقتيل فيه هو الحق والقاتل فيه هو الجهل والغارم فى كل هذا هو الأدب وهو الفن ·

عازف أنا عن الكتابة وما لى لا أعزف عن ميدان ربيت فى ساحته وكتب الله على أن أظل واحدا من المنتمين اليه فأصبح شأنى واياه شأن الوالد وولده لا يستطيع أحدهما فرارا من الآخر ·

وأمتع ما ألاقيه فى هذه الساحة نعمة القراءة واذا بها هى الأخرى يرفنقها القذى فنتصيد الجيد الفريد من بين آلاف العفن الهابط والذوق الفاسد والفن الساذج ·

وما تزال قراءة الرواية هى أهم ما أبحث عنه ولكنه أمل ما اليه من سبيل وننتظر الشهور الطوال حتى يخرج الينا عملاق الفن الروائى فى العالم العربى برواية جديدة فنجد فيها ما نصبوا اليه وفوق ما نصبوا اليه وترتد الى نفوسنا السكينة وتندماج فى كياننا تلك المشاعر الندية العذبة السمحاء التى يستطيع الفن الأصيل ·

وأين نجد رواية لنجيب محفوظ كل يوم بحسبنا أن يرد الينا نفوسنا كل عام حتى لا نشعر فى ساحة الفن الأدبى أننا غرباء عن أنفسنا وعن النـاس ·

الرواية لنجيب وانتظر النقاد أن يحللوا هذه القصة الشامخة من الأديب العالمى الذى أكرم الله به مصر فاذا الصمت يطالعنا من مواقع النقاد

وكأن شيئا لم يحدث وكأن روايـة جديـدة لنجيب محفوظ وهو نجيب محفوظ لم تظهر ·

وهكذا أجد نفسي أحمل قلمي كما أحمل قدري لأصيح هذه الصيحة المفجوعة يا هؤلاء ان رواية لنجيب محفوظ قد ظهرت ولكن من أين لهم أن يسمعوا الصرخة وقد عميت أبصارهم الا عن قرش يتسقطونه من اذاعة أو تليفزيون أو كلمة هائفة عن مسرحية هازلة دعاهم اليها منتج ·

والآن أنا أكتب هذه الكلمة لا أريد فيها أن أنقد رواية نجيب الجديدة عصر الحب كما يجب أن تنقد حتى يستطيع القـارىء أن يطير بجناحيه ويحلق ما شاء أن يطير ويحلق ·

فان يكن نقاد اليوم قد أصابهم الجشع أو الموت وهم أحياء أو وقاحة الصمت حين ينبغي الكلام فنظرة الى غد أكثر اشراقا يطلع علينا بنقاد أكثر أمانـــة ·

رواية عصر الحب تدور في بداياتها من بيت يضع الكاتب الكبير في أعلى بابه تمساحا ويجعل الباب قديما كالحا عدا عليه الزمان ولا تحتاج الى ذكاء كبير لتعرف انك على باب مصرى فاذا مسك الشك فالبيت نفسه ما يلبث أن يزيله عنك فهو البيت الرحيب الأبهاء الذى يهتف كل ركن فيه بك أهلا ··· انها مصر في سماحتها وعراقتها وفي عبق التاريخ بين ربوعها وفي عبقرية الطبيعة على جنباتها انها مصر الغانية والغانية كما يقول علماء اللغة هي الفتاة التي تستغنى عن تجميل نفسها معتزة بجمالها البكر الصافي الذى لا يحتاج الى اصطناع ·

وربة البيت هي عين المثل الأعلى الفني ··· انها في رأى نجيب كما يحب أن يكون نجيب نفسه أو هي الانسان الأعلى كما يراه الفنان المثالى المصرى نجيب ولعين ابن هو عزت يمثل فيه نجيب صراع الأشخاص الكثيرين الذين يتنابتون في داخل الشخص الواحد · يريد ويصنع غير ما يريـد ويعرف المثل الأعلى ويجنح الى الحضيض ·

وفي ساحة كتاب الله يتعرف عزت على صديقه حمدون وهو شخصية تقف على النقيض من شخصية عزت·فهو انسان واحد داخل انسان واحد· وهو يريد ويفعل ما يريد ·· مثال صادق في مثاليته وطني يرفض الخيانة وهناك الفتـاة التي أحبها عزت وتزوجها حمدون تمثـل الحب الصادق بالصديق الذى يتمسك بالوفاء حتى الجنون ·

تلك هي الشخصيات الأساسية في الرواية وهيهات لى أن أتتبعها جميعها ولكنى أنحنى اجلالا مرة أخرى أمام أستاذنا نجيب · أنحنى أمامه

وهو يجعل عزت يصبح في آخر الرواية ثلاثة من عزت · وأنحنى له حين يجعل حمدون يقتل من يظن أنه خان أمانة الوطن ثم يرفض نجيب منه ما فعله ويأبى عليه أن يكون النيابة والقاضي والجلاد فيدخل السجن ··· فالمثالى قد يخطىء ولكنه يظل شريفا وانحنى له وهو يجعل عزت يتظاهر باعترافه لحمدون انه يريد أن يتوب بينما هو يريد أن يريح نفسه من عذاب ضميره فاذا حمدون يرفض منه التوبة ويرفض أيضـا أن يريحه ويمضى ـ وقد أصبح مشلولا وبلا مورد ـ الى مناهل المعرفة من الحياة رافضا الحياة الناعمة التى يريد أن يكفلها له عزت ·

وأنحنى لنجيب وهو يجعل عين التى جسم فيها خير الانسانية تحيا وهى تموت فتأمر أن يوقف مالها على الخير ثم أنحنى له وهو يرفض المذهب الشيوعى الذى يحرم الميراث بأن يجعل عين تعين ابنها ومن بعده حفيدها نظارا على الوقف ·

وأنحنى لنجيب وهو يبدأ القصة بأن الراوى أنبأه بها وكأنه يقول منذ اللحظة الأولى ، أن ما سأقصه ليس واقعيا ولكنه مع ذلك قد يقع وعلى الحالين فهو الحياة فى صراعها الشرس الضارى ثم هى لا تخلو مع ذلك من الخير وان هذا الخير فيها باق الى الأبد خالد فيها مع خلود الانسان ··· تحية لأستاذنا نجيب وسلام أو لا سلام على النقاد ·

الأدب والسياسة

« الشيوعية والدين » عنوان كتاب جديد للأستاذ الباحث المتعمق والشاب فى نفس الوقت طارق حجى . وقد راقنى الكتاب ورأيت واجبا على أن أنوه به ولكننى قبل ذلك أحب أن أبين ناحية أحسب أنها تخفى على كثير حتى على الذين يعملون فى الميدان السياسى سواء كانوا مقحمين عليه أو علماء فيه .

فكثير من الناس يظن أن الأدب منفصل عن السياسة . ولذلك يحرص كثير ممن يريدون أن يكتبوا فى السياسة أن يقصوا الأدباء عن هذا الميدان . وبعض الصحفيين يظنون أنهم ما داموا يذهبون الى مكاتب الوزراء ويخرجون بالأخبار أو ما دام يتصل بهم العارفون بالأمور ويملون عليهم الأخبار فهم وحدهم أصحاب الحق فى الكلام فى السياسة والتعليق عليها . وأن كل من يتجرأ من الأدباء باقتحام هذا الحرم المقدس انما هو دخيل يسير فى غير طريقه ويعلق على ما لا يعلم ويدعى ما ليس له بحق .

ولكن الحقيقة البسيطة أن كل أديب لا يعتمد على السياسة أعظم اعتماد انما يكون أديبا خارج عصره لا يمثل وطنه ولا زمنه ولا يمثل الصدق الفنى فى أدبه لأن الصدق الفنى انما ينبع من خلايا المجتمع وهذه الخلايا تشكلها السياسة كما تشكل هى السياسة يؤثر كل منهما فى الآخر تأثيرا عميقا .

وليس هذا الأمر جديدا على الأدب فمنذ امرىء القيس الى حسان ابن ثابت الى شعراء العصـــور المتتابعة الى شوقى الى عزيز أباظة ومن عاصرهم ومن جاء بعدهم كانت السياسة من أهم المحاور التى دار عليها شعرهم . وحسبك نظرة الى روايات الشاعرين العملاقين لنصل الى صدق ما أذهب اليه . ثم امض حثيثا فى الأيام واقرأ مسرحيات عبد الرحمن الشرقاوى وصلاح عبد الصبور تجد السياسة أساسها الأول .

وأترك الشعر وأقرأ القصة وأذكر عودة الروح ثم بنك القلق فاذا انتقلنا الى المسرح العربى الذى أنشأه توفيق الحكيم نجد السياسة تقف وراءه فى الغالبية الكاثرة من رواياته . السلطان الحائر . ايزيس . الورطة . شجرة الحكم . ولن أستطيع الاحصاء .

وانتقل الى الرواية فى الجيل التالى ولست بحاجة ان أذكرك بنجيب محفوظ والثلاثية واللص والكلب والكرنك والحب تحب المطر وثرثرة فوق النيل ومرة أخرى أعجز عن الاحصاء • ثم ننظر الى يوسف السباعى فنجده أرخ الثورة المصرية جميعا حتى وصـــل الى ابتســـامة على شفتيه • وشيء فى صدرى وفى بيتنا رجل والرصاصة لا تزال فى جيبى والثقوب وكثير وكثير • ولن أذكر لنفسى شيئا •

انما أريد آن أقول ان الأديب شاهد عصره وان السياسة هى العنصر الذى يقف دائما وراء أعماله •

والسياسة هى حياة الناس ومجتمعهم • والأديب هو نبض هؤلاء الناس وهو مرآة هذا المجتمع الصادقة • وكل أديب يقف بناحية عن السياسة يقف بناحية عن عصره جميعا ويصبح شيئا هلاميا لا عصر له ولا مجتمع متميزا له أو لفنه •

ونحن حين نناقش النظرية الشيوعية انما نناقش نظرية تصــدت للمجتمع العالمى فى كل نواحيه ولم تترك للفرد جانبا واحدا يتصرف فيه بوحى من ضميره أو منطقه وانما صنعت هى كل شيء له جاهزا محتوما عليه لا يستطيع منه فكاكا ولا عنه حودا • وقد بدأت بدين الناس فمحته لأن كل ما وضعته بعد ذلك يتعارض مع الدين ولا سبيل لهم أن يقيموا نظريتهم قبل أن يمحقوا الدين أولا • ولهذا عجبت حين سمعت أن شيوعيا وقف منذ قريب يقول ان الدولة حين تنادى بالدين انما تثير نوعا من الفتنة وهذا الشيوعى يعرف الحق ولكنه يخادعه ويخادع نفسه شأن الشيوعيين جميعا • لأن الأديان جميعها تحارب الشــيوعية فهى حرب عليها جميعا وانما تتحد الأديان وتتواصل قواها أمام هذه الحرب ضد الحاد الشيوعية وكفرها •

وهذا الكتاب الذى أعرضه عليك لكاتب شاب متعمق واسع الثقافة سعة أعجب أن سمحت بها سنوات عمره • وهو يناقش النظرية الشيوعية مناقشة علمية يبدأها بوقفة عالم محايد وفى كتابه الشيوعية والأديان يعرض ويحلل العلاقة النظرية والعملية بين الماركســـية فكرا وتطبيقا ـ والتطبيق هو الأهم اليوم ـ وبين الأديان وأنت واجد أن كل صفحة من هذا الكتاب أساس يسلمك الى أساس آخر فى الصفحة التالية حتى يتم الكتاب أمامك آخر الأمر بنـاء فلسفيا ينهض صرحها على المزاوجة بين النظرية وواقعها التطبيقى •

ويبدأ الكتاب بكشف ناصع لا لبس فيه ولا شك للموقف الايديولوجى الماركسى من الأديان فاذا أنت أمام البون الشاسع الذى يفصل التناقض

الذى لا يحتمل الجدل بين فكرة الدين فى عميق جذورها وبين الايديولوجية الماركسيـــية ٠ ولا يفوت الكاتب الذكى العميق البحث أن يتتبع موقف الشيوعية العملى من الدين وكيف حاولت أن تخادع فى هذا الموقف وتراوغ فيه منذ عام ١٩٥٥ فى تصور ساذج انها تستطيع أن تفوت على أعدائها تسلحهم بالفكر الدينى فى محاربتهم وبعد فلا سبيل لى أن ألم بالكتاب جميعا ولكننى حريص ان أهنىء المؤلف بكتابه الصادق وببحثه العميق المتمكن وأقدم الكتـــاب مثلا رفيعا لكل من يتصدى للبحث من العلمـــاء والمفكرين ٠

المأساة والملهاة

هما قصتان تعرضت لهما هذا الاسبوع ويطيب أن أقصهما عليك فأما الأولى فهى مأساة ... والمأساة فيها مأساة جحود ونكران لولا الايمان برفيع السماوات ذى العرش ما احتملتها نفس صاحبها ولا أى انسان ذى ضمير ٠

كتب الشاعر المتمكن المؤمن كامل أمين الملحمة المحمدية وهى سيرة سيد الخلق صلى الله عليه وسلم وقد كتبها فيما يزيد على ألف وستمائة بيت على وزن واحد وقافية واحدة فألزم نفسه بما لا يطيقه صاحب الثروة اللغوية الشاهقة الرفعة ٠ وتفضل فأهدانى الملحمة وفتحت الصحيفة الأولى فالثانية فاذا هى مقدمة على نفس الوزن والراوى يحكى بها كيف أقفلت من دونه السبل ليتمكن من طبع هذا العمل الخالد وأشهد الله قد بكيت ٠ اذا كان هذا العمل العملاق لا يجد سبيلا الى النشر فأى عمل اذن جدير بأن ينشر ٠

ألف وستمائة بيت على وزن واحد وقافية واحدة وهذا من ناحية الشكل قدرة لا تتأتى الا لقلة فى العالم العربى وهى أيضا ترد على الذين يدعون أن الشعر الأصيل لا يستطيع بقيوده أن يطلق جناحى الشاعر ليسمو الى الأفاق الرفيعة التى ينبغى للشعر والشاعر أن يرتفعا اليها ٠ علم الله ان القيود انما هى جهل الشاعر بلغته وقصور علمه بأسرارها ذلك العلم الذى لا يكون الشاعر شاعرا الا به ٠

والملحمة من ناحية الموضوع مقدمة فى أكرم ساحة عرفتها البشرية فهى حياة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وآخر صلة بين السماء والأرض ٠

ولا يجد الشاعر الا أن يقوم — على خصاصة — بنفقات الطبع فتظهر الملحمة فى شكلها لا تحمل الا جهد المقل وهو على قلته يدل على اباء الشاعر وكبريائه واصراره أن يقول للناس هذا جهدى ٠

وحتى تعرف قيمة الملحمة وروعة النسج فيها اقرأ معى شكواه فى المقدمة وهو يقول فى انسياب ولوعة وصدق وقوة صياغة ٠

قابرم عقدا للطباعة بيننا ... ولم يبد لى للطبع يوما محددا
وأهملها عاما ٠ فالغيت عقده ... لأنى رأيت الكذب فيه مجسدا

فلمـــا رأيت النـــاشرين مجـــاعة وقناصـــة يستأصلون المجـــددا

وابصر فى الأعــلام من ليس بينهم وبين رسول الله خيط من الهـدى

رجعت لرأيى منـــذ أول وهلـة لتنشر من جيبى وان كنت مجهـدا

أترى كيف ترسو الكلمات مطمئنة فى مكانها مستقرة لا قلقة هى ولا معتسفة ٠

واقرأ معى :

وما لى الا آل أحمــد راحــة وما ضرنى بالحب أن أتقيـــــدا

فيأمن بيوم الهـول يشفع عند من له الملك والتمجيد والخلد سرمـدا

تمنيت لى منك الشـــفاعة عنده وما خاب من يرجو لدى الله أحمدا

وحسبى وان زادت ذنـوبى اننى أرى كرم الرحمن أندى من الندى

وانى عــلى دين النبى محمـــد أمـوت وأحيـا مسلمـا وموحدا

انه الشعر فى نبضه الاسمى وفى صياغته الرفيعة ٠

لك الله يا أخاه ٠٠٠ وحسبك سبحانه ٠٠٠ فلقد أكرمك أعظم اكرام بأن جعلك تنفرد وحدك بكل هذا الايمان وبهذه الرصانة فى حديثك عن الشفيع المرتجى صلوات الله عليه وسلامه ثم زاد فجعلك تقوم وحـدك بالطبع والنشر حتى تصبح لك المثوبة كلها ٠

وانك والله قد نلت الصفقة الرابحة جميعا لدى صاحب العرش الغنى عن العالمين ونلت الشفاعة من خير المرسلين وحسبك هذا وفوق الحسب ٠

أما الملهــاة

فهى خطاب ٠ لم أر فى حياتى أعجب منه أو ان شئت فقل لم أر أكثر منه غباء ٠

جاء الخطاب بعنوان على ظرف كبير لم يسبق لى فى حياتى أن قرأت عنوانا مثله ٠ فالخطابات جميعا تأتى من المادحين والقادحين والمهددين وظروفها تحمل اسمى فاستلمها واقرأ ما فيها ٠ أما عنوان هذا الخطاب فله شأن آخر وأى شأن وقد تعلمت منذ عشرات السنين درسا من أستاذنا نجيب محفوظ وكان ذلك حين ظهرت روايتى قصر على النيل ولم يمر على ظهورها أسابيع حتى ظهرت مقالة فى مجلة عربية لكاتب مصرى المولد شـيوعى الجنسية يهاجمنى هجوما صارخا تعدى الرواية الى شخصى ٠

فتملكتني الثورة وطلبت كعادتي اليومية نجيبا وبدأت أحدثه عن هذا المقال حديثا تبين فيه ثورتي العارمة فاذا هو يقول في هدوء وثقة ٠

ـ الله ٠٠٠ الله ٠٠٠ ماذا جرى ٠٠٠ أتظن أننا سنرضى كل القراء ٠٠٠ اننا لو أرضينا نصف قرائنا لكان هذا أكثر مما تصل اليه أمالنا ٠

وفي لحظة باخت ثورتي وهدأت كأني قرأت مقالة مديح ٠ وأصبح هذا ديدني من ذلك اليوم ولذلك لم أناقش كاتبا هاجم عملا لي في حياتي حتى الآن ٠

كانت هذه السطور مقدمة لابد منها لا تمكن من المضي في حديثي عن ملهاة الخطاب كان العنوان المكتوب على الظرف [القاهرة ـ جريدة الأهرام ـ قلم تحرير الأهرام] فالكاتب لا شك أراد أن ينفي عن نفسه علمه بأقسام التحرير وفي رغبته الشديد لاظهار هذا الجهل وأصبح من السهل أن تدرك أنه من العاملين في الصحافة ٠ العالمين بسراديبها لأن الذي يجهل هذه السراديب لا يمكن أن يفكر في كتابة هذا العنوان فالطبيعي أن يكتب اسمي ومع الاسم جريدة الأهرام شأن كل الخطابات التي يريد كاتبها أن تصل الى الشخص المقصود بها ٠ وكان من الطبيعي أن يصل الى الظرف داخل ظرف آخر من مكتب رئيس التحرير ٠

واقرأ الخطاب فاذا هو يبدأ بمديح لي وحسن ظن استغرق ما يقرب من صفحة وفجأة انقلب الاسلوب الى ذئب جائع ولوع بالدماء يهاجمني ويهاجم نجيب محفوظ في ضراوة ٠

وقبل أن أصل الى نهاية الخطاب بكثير أكون قد عرفت الأشخاص الذين يقفون وراء الاسم الذي اختاروه ليوقع الخطاب وهو محمد أمين سلامة وبين قوسين موظف كتابي ٠

فيا من لست محمدا ولا أمينا ولا سلامة ولا موظفا كتابيا ٠ لقد وقعت في أخطاء كثيرة في تأليفك لقصة الخطاب وكان ينبغي لك أن تذهب الى الأستاذ نجيب محفوظ ليحبك لك العقدة والحل ٠ وكان سيقول لك ان عدم رضائك عن رواية يعجب بها أحد الكتاب لا يستحق كل هذه الثورة وكان سيقول لك لا تعرض نفسك لمأزق التحليل لأنك بهذا تكشف نفسك على حقيقتها فمحاولتك تدل أنك بعيد كل البعد عن الرواية والقصة ويكفي دلالة على ذلك انك لم تجد شيئا تضرب به مثلا لما أعجبك من نجيب محفوظ الا رواية رادوبيس التي بدأ بها نجيب حياته الروائية والتي لا يذكرها له ناقد الا اذا أراد التاريخ لنجيب ٠ وكان سيقول لك ابحث

عن كاتب حقيقى ليجعلك تقيم لغتك فلا تخطىء فى النحو وبعد فكل هذه المعالم جعلتنى أعرف تماما من يقف وراء الخطاب · وانى مع ذلك أشكرهم على ما جاء بالخطاب من حسن ظن وعلى ما جاء بالخطاب من تمزيق أيضا ولو كان المرسل محمد أمين سلامة حقيقة لاكتفى بأن يقول انه يخالفنى فى الرأى ولا ضير عليه أن يرفض رواية لأستاذنا نجيب ولا ضير على أن أعجب بها فمتى أجمع الناس على أمر واحد وعلى كل حال فالملهاة مستمدة هنا من أن أصحاب هذا الخطاب لم يحبكوا التمثيلية · وعلى كل حال أيضا فسيظل نجيب فى قمته كما هو أما أنا فقد أدركت أن الخطاب قادم ممن كتبت عنهم فى مقدمتى عن رواية أستاذنا نجيب وهكذا وجدت السعادة تغمرنى فقد وصلت بحديثى الى حيث قدرت له أن يصل وأصبت بما كتبت حيث أردت أن أصيب ولله الحمد من قبل ومن بعد ·

أهم حدث أدبى فى عيد ثورة التصحيح

ان ظهور أبوللو الجديدة حدث اعتبره أهم الأحداث الأدبية التى وقعت فى السنوات العشرين الأخيرة · وينبغى ان يشعر به كل أديب فى العـالم العربى · ان معناه ان الأدب العربى الأصيل عاد الى سمائه ومعناه ان أية قوة على الأرض لا تستطيع ان تجلى الكلمة الأصيلة عن آفاقها العليا · ومعناه ان الزمن مهما يخادع ويتلوى بالطريق عن سننه الأقوم فانه هو نفسه لابد له ان يعود الى الجادة الحق ·

فانه دائما وعلى مر الأيام لا يصح الا الصحيح ·

ان شعر جماعة أبوللو هو جذور الشعر الأصيلة جميعا وهو تاريخ الأدب العربى الحديث وهو مستقبله وانى لا أستطيع أن أنهى هذه التحية العابرة التى أكتبهـا وعبرة فرح تتماوج فى عينى دون أن أذكر بيت شوقى أعظم من استقبل أبوللو القديمة ·

ان الجواهر أسناهـا وأكرمهـا ما يقذف المهد لا ما يقذف الزبد

النـاس والسماء

حين تتلفت حولك فتجد الرجال أباطيل ، داخلهم المرارة والحقد والحسد والصغار ، وظاهرهم الأشراق والأسماح والحب والكبرياء • وحين تتلفت حولك فتجد الهزل جدا ، والمجد حطة ، والارتفاع تسلقا ، والحق دروبا ملتوية من النفاق ، فتصبح كل المعانى السامقة ، التى علمتنا حياتنا ان نكبرها ونجلها لأن وجه الحياة لا يصفو الا بها ولأن الأديان السماوية باركتها وجعلت منها خير الدنيا والأخرة • وحين يريد وجه الحياة فيكشر ولا يبين منه الا أخس ما صنعته الطبيعة من الانسان لتقلبه وترده الى مسخ شائه • المجد عنده نفاق ، والكذب عنده ذكاء ، والأمل عنده تحطيم البشرية فى الانسان ، وتدمير الترفع عن الصغار عند الشامخين •

وعندما يتطاول الفسل الهزيل من الناس وتطبق فكاه على كل معانى الشرف والأخلاق والنقاء • حينئذ يشوه وجه الحياة وتتجه روح الانسان الى الله وقلبه الى السماء وعيناه الى نورانية المشكاة المقدسة •

وقد مر على هذا البلد حين من الزمان حاول فيه القابضون على مصائر الأمر فيه أن يلقوا بغطاء يحجب السماء عن أبناء مصر وفى ظل هذا الغطاء القاتم المعتم الكئيب ظهرت نباتات سرطانية متوحشة تسلحت بالجهل والنفاق • ويومئذ كان الجهل سلاحا لأن أباطرة ١٥ مايو كانوا يكرهون العلم فهو يمزق الغطاء بين الناس وبين السماء • وكانوا يرفعون الجهل لأنه يجعل منهم الهة • وكانوا يحبون النفاق لأن النفاق هو الصلاة التى كانت تقام فى معابدهم النجسة •

وحين أذن الله لمصر أن يظهر فيها أنور السادات كان أول ما صنعه ان رفع الغطاء وصاح الله أكبر وقد كانت فى نفوس الناس الشرفاء حقيقة لم يتخلوا عنها وانما كانوا يهمسون بها • وانكشف ما بيننا وبين الله وقضى السادات بمعجزة أمده فيها الله بروح من عنده على فجار ١٥ مايو وكان بيدهم الأمر كله • منهم زعيم الجيش وكبير الشرطة ورئيس الاعلام وانما ربك فوق كل شىء مسيطر وانتصر ١٥ مايو •

وراحت السرطانات البشرية من النبات الوضـيع تتخفى وتحتجب ولكنها تعلمت كيف تهتبل الفرص وكيف تظهر فليس عجيبا ان نرى منها

الكثير اليوم على سطح الحياة المصرية فى مختلف مجالاتها وربما فى أهم مجالاتها وحين انكشف ما بين مصر وبين الله انتصر ١٠ رمضان .

وبانتصاره حقق السادات ما اعتقد ان زعيما ما لم يحققه لمصر من سلام روحه الشجاعة وعماده الحق ، ومبناه النصر ، وأساسه الدين .

فبما رحمة من الله وفضل تحقق نصر ١٠ رمضان وبما رحمة من الله وفضل سيقضى الشرف على الخبث (وحرك الباء ليستقيم المعنى) وبما رحمة من الله وفضل سيعلو صاحب الفضل ويجتث السرطان ربيب النفاق وابن الجهل .

وباسم الله سيعود لمصر وجهها الذى يحبه كل مصرى . ولهذا أفرح كلما وجدت فى التليفزيون المصرى عملا فيه تاريخ الاسلام نرى فيه كيف كانت الحرب عنيفة غير متكافئة فى ظاهرها بين الباطل فى قوته وبين الحق فى قلته . فاذا قلبت النظر وأنعمت البصيرة وجدت أن الحرب غير متكافئة حقا لأن الضعيف فيها هو الكثرة والقوة فيها هم القلة لأن الكثرة تدافع عن عرض زائل هين هزيل . ولأن القلة تدافع عن ايمان رفيع عميق أصيل النبت سماوى الذرى أشم الأغصان ثابت الأعراق .

وكنت أعرف الأستاذة أمينة الصاوى صاحبة مسلسل فرسان الله منذ بدأت فى مصر على يديها فكرة المسرحية الروائية وبمسرحياتها العظيمة التى أخذتها عن أعمال نجيب محفوظ الروائية بدأ كثير من الكتاب يلتفتون الى فكرة المسرحية . وأستطيع أن أقول ان المسرح الحديث الذى مثل لينا هذه الأعمال قد وطد دعائمه الأولى بهذه المسرحيات التى نجحت أى نجاح وكان من نتائج نجاحها ظهور كثير من الممثلين الذين يقفون فى القمة اليوم .

وكنت أعرف الأستاذة أمينة أيضا فى أعمال تليفزيونية لها كثيرة منها ما هو باللغة العربية ومنها ما هو باللغة العامية وهى على الحالين تنضح عن فنانة درامية من الطبقة الأولى قادرة على اجتذاب المشاهد فى ذكاء ولماحية وفى فنية لا شك فيها .

ولكن هذا المسلسل الجديد كشف لى عن علم لهـا بأسرار اللغة العربية ودقائقها وعن ادراك لما تؤديه اللفظية العربية بكل أعماقها .

والمسلسل بعد ذلك قوى الترابط فيه روحانية المؤمن وفيه قدرة الفنان وأنا أعتقد أن هذه الأعمال الفنية هى خير وسيلة لتقديم تاريخنا الاسلامى بل وخلقنا الاسلامى .

فاللغة اليوم التى تصـل الى الشباب لم تصبح النصيحة الجافة ولا الخطبة المباشرة . وانما هو جيل متعجل يريد أن يتسلى فاذا وجد هذه التسلية انما هى الخلق الرفيع والمثل العليا والتضحية بالنفس فى سبيل الله وفى سبيل الرأى استقامت له معانى الحياة الكريمة وعرف دينـه وأصبح من المتاح له ان يرجع الى الكتاب الكريم يستلهمه الحقيقة التى ظهرت له بوادرها .

وانى أهنىء التليفزيون بهذه الحلقات وأهنىء الكاتبة المؤمنة القديرة أمينة الصـاوى وأرجو من التليفزيون أن يظل باحثا عن هذا السموق فلا تخونه أقدامه الى الهزيل والهرج والتافه .. فما دام يعرف الطريق الى العمل الرفيع فحتم عليه أن يثبت عليه .

وما الأدب ٠٠ ؟!

شرف لا يبلغه شرف أن يحمل الانسان قلما ٠ ذلك ما ندعيه نحن وننظر الى هذا الذى نزعمه فنجد العالم المتحضر كله يؤيد هـذا الذى نزعم ٠ وفوق هـذا العالم خالقه وبارئه ومنشئه يبدأ حديثه الى نبيه صلى الله عليه وسلم « اقرأ » ثم يقسم سبحانه بالقلم فيقول « ن والقلم وما يسطرون » ونجد الكتـاب فى أنحاء الأرض المتحضرة موئل تكريم واجلال حتى يقول تشرشل لو لم تلد بريطانيا العظمى الا شكسبير لكان هذا حسبها وكلما انحدرت الدول هان فيها شأن الأدب ٠ وكلما كان الانسان جهولا احتقر الكاتب ويزداد احتقاره للكاتب بقدر جهله ٠ وليس من الغريب ان يكون الانسان جاهلا وصاحب جاه أو صاحب منصب ٠ لأن الوصول الى المناصب يكون من طرق عديدة ليس من الحتم أن يكون العلم من بينها فهناك طريق المال وهناك طريق النفاق ومنها طريق الخنوع ومنها طريق الترقى الروتينى ٠ ومنها أيضا ان يكون صاحب المنصب خبيرا فى جزئية من جزئيات الحياة جاهلا بالحياة كلها ٠

كل هذه طرق ووسائل الى المنصب أو الجاه فليس صاحب المنصب بالضرورة صاحب علم أو صاحب ثقافة وتلك فى ذاتها كارثة تبلى بها البلاد وهذا البلاء ليس مقصورا على مصر وحدها وانما قد تجده فى بلاد كثيرة وليس ببعيد ان تجده بشكل محدود فى البلاد المتقدمة نفسها ٠

وان كان هذا شأن أصـحاب الجاه أو المنصب فالموقف من الأدب أشد ايلاما مع انصاف المتعلمين وهم شر ما يمنى به مجتمع من المجتمعات ٠ لأن الجاهل يعرف أنه جاهل ويحترم العلم والعلماء والعالم يعرف أنه عالم ويحترم العلم والفن جميعا أما نصف الجاهل أو ان شئت تهوينا عليه نصف المتعلم فهو لا يدرى ولا يدرى انه لا يدرى فيحسب انه بكل شىء عليم ٠

لقيت جهلاء من المتعمقين فى الجهل ، أغنياء من الباذخين فى الغنى يؤلفون القصص وينتجونها للسـينما لأن عندهم المال الذى يمكنهم من انتاجها ٠

ويأتون بمخرجين أشد منهم جهلا يريدون أن يحصلوا على أجرهم مهما يكن الموضوع الذى يقومون باخراجه ٠ وتحدث المصيبة الكبرى حين

يعرض الفيلم وينجح فيزداد ايقـــان المؤلف الجاهل انه مؤلف ويزداد وثوق المخرج الجاهل انه مخرج • والسر فى نجاح الفيلم بسيط غاية البساطة مؤلم غاية الايلام فنسبة الأمية فى مصر والعالم العربى فادحة وهكذا يصبح المخرج والمؤلف جاهلين يخاطبان جهلاء فاللغة بين الجميع مشتركة والنغمة واحدة ويفهم الجهلاء الجاهلين وتصبح ايرادات الأفلام هى مقيـاس نجاحها ويتبجح الجهل ويتعمق ويضحك المؤلف من هؤلاء الذين يقال عنهم أدباء وهم لا يستطيعون أن يصلوا الى ما وصل اليه من نجاح ويظن المخرج أنه أصبح امام المخرجين • وتنصاع الحقائق ويتفشى الجهل ونعود الى عامة الناس فنجدهم يتساءلون • وأصبح من حقهم ان يتساءلوا وما الأدب وما قيمته ؟

ويوم يثور هذا السؤال من عامة الناس تهون المصيبة ولكنه اذا ثار بين قوم يعملون بالصحافة أو يدعون العلم أو يتولون منصبا تتفادح الكارثة ويصيب الأدب نوع من البكم فأمام الكارثة ليس أبلغ من الصمت حديثا • فان بلادنا أكرم علينا من ان نقوم فيها بتعريف الأدب ولأن مصر أكرم علينا من ان نجعل العالم يسمع عنها ان الأدب فيها تائه بلا هوية يجهله من ينبغى ان يجله ويمسخ شأنه من ينبغى أن يكرمه ويهون أمره من ينبغى أن يضعه فى أرفع مكان ••• هناك حيث رفعه الله يوم جعل الكلمة هى معجزته الوحيدة الخالدة الباقية حتى يرث الله الأرض ومن عليها •

ما أشبه هؤلاء بالموكل الذى يوكل محاميا فى قضية حتى اذا ترافع فيها وجـاء وقت دفع الأتعاب قال الموكل « هو عمل ايه •• مش قال كلمتين » وأقل ما يرد به على الموكل ولماذا لم تقل انت الكلمتين •• ليس هذا عجيبا من الموكل الجاهل فاعترافه بفضل المحامى سيكلفه مالا والمال عزيز كما ان هذا الاعتراف لا يكون الا من شخص يعرف سر الكلمة ومن أين لجاهل ان يعرف سر الكلمة •

كذلك الأمر مع المعلقين على الأدب والأدباء من بين الجهلاء ••• فالأدب عندهم شوية كلام والأدباء عندهم قوم يهلضمون بكام كلمة ورزق الهبل على المجانين •

كل هذا الحديث لا ينفى حقيقة ثابتة ثبوت الزمن وهى ان الأدب خلود والأديب خالد ومهما تتكالب عليه الجهالة أو تتألب عليه الأغراض أو تتواثب عليه المحن فهو خلود •

ان الكاتب معين بأمر من السماء ولا يعزله الا من عينه وكل منصب له بداية ونهاية وله أول وآخر وقد تتعالى حوله الطبول وتصرخ فى رحابه مزامير الزفاف •

ولكنها طبول الى خفوت وزفاف الى طلاق · أما الأديب فانه اذا ولد فقد خلد الى ما بعد الحياة ·

فكلما مرت الليالى على الفنان ازداد عتقا كالأصل العريق الضارب الجذور فى أعماق الزمان يزداد مع الأيام ثبوتا ورسوخا وتفرعا الى العلاء وسموقا الى البقاء المترفع البالغ غايات السماء ·

والجاهلون بالأدب مصيرهم ان يصبحوا أشياء ملقاة على جانب الطريق ما يلبث التراب ان يغطيها فينساها الناس فتصبح أو تمسى كأنها لم تكن ويصدق عليها البيت الخالد ·

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فاذا مر يوما بذهنك هذا السؤال وما الأدب فاعلم ان الأدب هو ذلك الفن الذى صاحب العالم منذ العالم طفل لاه ومنذ الزمن وليد يمتص القطرات الأولى من ألبان الحياة · ولن أقول لك هو الحياة حين تتزمت الحياة وهو ملاذ العالم ان ضاق بجهود العلم وهو فسحة الأمل اذا نفذ اليأس الى مسارب الغد لا لن أقول هذا فانى بدأت هذا الحديث فلن أوفيه وما يلبث القلم منى أن يواجه بالعجز · وانما قصارى الأمر منى اذا تجرأت وسألت « وما الأدب ·· » ان أقول لك ·· اخفض الطرف واخشع ·· فانه الأدب · وهذا حسبى وهو حسبه وينبغى أن يكون حسبك شئت أو أبيت ··· لا يهم ·

وذو الشوق القديم

ربما كنت من القلائل فى الحياة الذين اذا ذكروا عهد الدراسة تولتهم رجفة رعب • بل انى اذا جثم على نومى كابوس فانما يتمثل فى شكل امتحان • فانا حتى اليوم وبعد ثلاثين عاما من تخرجى ما زلت أذكر ذلك الرجيف الذى يتولانى وأنا أخطو الى سرادق الامتحان والذى يظل بى وأظل به حتى يسلمنى ورقة الأسئلة فيزداد بى الرجيف وأنا أقرأها حتى اذا أتيت عليها ووجدت ما بها ليس غريبا عنى كل الغربة رحت أسترد الى نفسى الطمأنينة تخالسها دانية بطيئة هينة الخطو دقائق هى من أغلى الدقائق حتى أستطيع أن ألم شعث أصابعى المفككة • وأمسك بالقلم وأخط فى أول الصفحة بسم الله الرحمن الرحيم فأعود الى نفسى وتعود الى وأنسى كل شىء لأتفرغ لمواجهة هذه الأسئلة •

وتمر الأعوام وأظل على حالى من الخوف كلما ذكرت هذه اللحظات ويصل الى فى بواكير هذا العام خطاب على رأسه كلية الحقوق فيجف قلبى وأسارع لأرى التوقيع فأجد الخطاب ممهورا باسم الدكتور نجيب حسنى عميد كلية الحقوق والاسم ليس غريبا ولكن المنصب الذى يشغله يخيفنى وقبل ان أقرأ يزداد بى الخوف أتكون الكلية قد اكتشفت بعد ثلاثين عاما اننى لا أستحق شهادة الليسانس التى منحتنى • أو ربما ارتأت الكلية اننى لم أعمل بهذه الشهادة الا ثمانى سنوات من ثلاثين عاما فهى ترى أن تسترد شهادتها لتمنحها آخر يستحقها ويعمل بها : فاذا كان الأمر كذلك أترى فعلت الكلية هذا مع أستاذ الأجيال الأدبية توفيق الحكيم ومع احسان عبد القدوس ومع عبد الرحمن الشرقاوى ومع فتحى غانم • وقبل أن أسترسل أعنف بخواطرى هذه الهالعة وأقرأ الخطاب فاذا هو دعوة كريمة من الدكتور العميد لأشارك فى الاحتفال بالعيد المئوى لكلية الحقوق وتعود الى نفسى ما تعودت ان تستعيده من هدوء حين كانت تقرأ ورقة الأسئلة •

واذا الذكريات تعود واذا بى أجدها تستحدث اسم العميد فاذا هو زميل قديم طبعا ربما كان يسبقنى بعام أو عامين وتملأ نفسى الفرحة ان زميلى أصبح عميدا • وان الكلية تحتفل فى عهده بعيدها المئوى •

وأفكر وتزداد بى السعادة فان كلية الحقوق تحتفل بمائة عام من عمرها ومصر تعيش فى ظل حقوق مصونة يعمل بها القائمون بالحكم فيها

ولو كان هذا الاحتفال قد تقدم بضع سنوات لوجد القانون فى اجازة لا أمد لها فالحقوق يومذاك مضاعة والعرض ممزق والشرف مهان والأمان رعب والنوم رجفة كأنها رجفة النهاية والقوانين أراجيف والناس أوهام والأبناء ذعر للأباء والمال ألسنة من لهيب الجزع ٠

لو تقدم الاحتفال بكلية الحقوق بضعة أعوام لما وجد حقوقا يحتفل بها ٠ أما اليوم فآن لنا أن نحتفل فالحقوق لا تعيش الا مع الأمن والأمن لا يكون الا بالقانون وكأنما أراد الرئيس السادات أن يهدى كلية الحقوق أعظم هدية يمكن أن تنال فاذا هو فى عيدها يلغى الأحكام العرفية لتسمن شجرة الحرية التى غرست جذورها فى مدرجات كلية الحقوق وامتدت أغصانها لتشمل العالم العربى أجمع وريفة خضراء فى كل الفصول ٠

وأعود الى نفسى فأجد أن هذه الحقوق التى تخرجت فيها هى عماد ما كتبت جميعا فقد فرضت نفسها على فى الشكل الفنى فالمنطق ينتشر بين ربوعه ليصل بالعمل الى اقتناع القارىء ٠ وفرضت نفسها فى الموضوع فالحرية والأمن عند الاختيار هما فلسفة أعمالى الأدبية جميعا ٠

وأذكر أعمال أستاذنا وشيخنا توفيق الحكيم فأجد الأثر نفسه يتفرع السماء ويتحملق فى مذكرات نائب وفى السلطان الحائر والطعام لكل فم وبنك القلق ويستغلق على الاحصاء ٠

وأمر بروايات احسان فأجد المنطق القانونى يتسيد أعماله وان حاول أن يخرج بفنه عن بعض قوانين الحياة سارعت ثقافته القانونية لترده الى شرعيته ٠

والشرقاوى فأجده فى أعماله الفنية يهتف باسم الحرية التى هى القانون وفى بحوثه يصل الى أعماق الجذور الأمر الذى أمده به الفقه التشريعى والشرعى جميعا ٠

وفتحى غانم فأجد المنطق الفكرى الذى تعلمه من الدراسة القانونية ومن عمله بالتحقيقات هو عماد فنه جميعا تمثل هذا الفن فى رواية أو قصة قصيرة أو مقالة وأجده يغوص الى الأعماق لأن دراسة القانون ترفض السطح ٠

فياسيدى الزميل العميد ان تكن قد وهبت حياتك لتنشئة أجيال الحقوقيين فنحن الأدباء نعمل بالقانون وما تعلمناه سويا فى مدرجات الكلية ما زال مغروسا فى كل حرف من أعمالنا ٠ واننا حين نحتفل معك بعيد كليتنا المئوى فى يوم ٢٩ هذا القادم فانما نحتفل بأعياد ميلاد بعضنا

البعض ونحتفل بأعياد ميلاد أساتذتنا الأحياء الذين التقينا ببعضهم فى الاجتماع الذى تفضلت فدعوتنا اليه · أطال الله أعمارهم وبالاعلام المصابيح الذين شرفوا القضاء الجالس والقضاء الواقف وارتفعوا بهامة مصر القانون فى العالم أجمع · ونحتفل بذكرى الخالدين النابغين من أباء الكلية وأبنائها الذين سمقوا فى دنيا السياسة ودنيا الأدب فكانوا شرفا لبلادهم العربية جميعا بقدر ما كانوا شرفا لهذا المعهد القدسى الذى نحتفل فى يوم ٢٩ بميلاده ونذكر أبيات شوقى الخالدة عن المعاهد الدراسية :

وتكسر فيهم غرور الثراء — وزهو الولادة والمنصب
بيوت منزهة كالعتيق — وان لم تستر ولم تحجب
يدانى ثراها ثرى مكة — ويقرب فى الطهو من يثرب
اذا ما راتهمو حولها — يموجون كالنحل عند الربى
رأيت الحضارة فى حصنها — هناك وفى ضدها الأغلب ؟

الرجل الذى فقد رأسه

ورائد من رواد القصة والرواية

الدكتور يوسف عز الدين عيسى من القلة التى تتمتع بخلق كأخلاق الملائكة ، مترفع عن الصغار ، صاحب كبرياء شامخة تتضح فى تصرفاته أعظم وضوح عن طريق التواضع الجم الذى يكاد ينسيك أى عالم كبير وأى أديب فنان هو هذا الكيان البشرى الصورة الملائكى الدخيلة والقلب والنفس والضمير .

والدكتور يوسف عز الدين عيسى أستاذ فى علم الحشرات بالجامعة منذ تخرج . وقد زار أمريكا وعمل بها أستاذا ثم عاد الى كليات بلادنا وظل بها أستاذا وبلغ أرفع مكانة فى أستذته واعتذر عن عدم قبول العمادة عدة مرات مرتئيا أن كلمة أستاذ لا يرفعها منصب .

ثم هو من الرواد الأوائل فى التمثيلية الاذاعية وفى فن القصة والرواية وقد رفض أيضا فى هذا المجال كل وظيفة مكتفيا أن يكون كاتبا فقط مرتئيا أن كلمة كاتب تحمل فى خفايا حروفها أن صاحبها أكرمته السماء فجادت عليه بالموهبة ومن تجود عليه السماء بالموهبة والوظيفة يرى أنه لا يحتاج الى وظائف الأرض .

وأنا اليوم أنتهز فرصة روايته الجديدة بعنوان « الرجل الذى فقد رأسه » . والأستاذ الدكتور يوسف عز الدين عيسى من الكتاب القلائل الذين يقيمون الغالبية الكاثرة من أعمالهم الفنية على أسس فكرية فى شكلها يحمل مضمونها نظرا عميقا وتأملا فى مشاكل الانسانية جمعاء يعينه على ذلك علم وافر لا يتأتى لغيره من كتاب الفن الروائى أو القصصى كما يعينه عمق فى أغوار الانسان وفى جذور الحياة هناك حيث يرى الله بمعجزاته السامقة فيقوم الايمان عنده على ادراك أسرار الكون فيقف أمامها مبهورا انبهار العالم الرصين لا انبهار المؤمن الذى يعتمد على مشاعره وحدها .

ومن هذا الايمان العالم العميق تلمس نفحة الروحانية عند العالم الفنان ونقف نحن القراء أمامها فى اجلال للكاتب وفى خشوع لخالق السماوات والأرض وما بينهما ولبارىء الأنفس جميعا من انسان وحيوان ومن كل دابة تسعى على الأرض ومن كل نبات فى الأرض جذوره وفى

سطحها فروعه وفى مكامن الاعراق واللحاء والشعيرات منه سر الحياة نفحة الله وأمره أن تكون فتكون ٠

واللغة عند الأستاذ الدكتور الفنان عربية أصيلة تصك الكتاب الذين يجهلون لغتهم ويريدون أن يجعلوا من جهلهم بها أساسا من أسس الفن ليرفضوا الكتاب الذين عرفوا أنه لا حياة لكاتب فى العالم اذا لم يكن قد بلغ أولا سر اللغة وأدرك دقائقها ووصل منها الى خفاياها واشعاعات ألفاظها ومصادر هذه الألفاظ وصوارها وموسيقاها وأين تقع من نفس القارىء ومشاعره وحنايا ضميره الانسانى والفنى والاجتماعى ٠

وأبحث فى الجرائد اليومية ثم أقلب المجلات الأدبية والعلمية والأسبوعية ولا أجد أثرا لتعقيب على رواية الفنان الكبير والعالم الأستاذ فأحتسب النقد العربى عند الله وأعتبره قد مات وانتظر جيل الغد لعله يعوضنا عما فوته علينا نقاد اليوم والأمر لله من قبل ومن بعد ٠

السماء تمطر ماء جافا

هذا هو العنوان الذى اختاره الأستاذ زهير الشايب ليكون عنوانا لعمل فنى رائع اتمتع بقراءته فى هذه الأيام ٠

والكتاب تجربة ذاتية للأستاذ زهير حين سافر الى سوريا أيام الوحدة ليعمل مدرسا بها ٠٠ والتجربة الذاتية عمل فنى اذا تناوله فنان استطاع أن يبلغ به القمة واذا تناوله غير فنان استطاع ان يقدم شيئا ساذجا ولكنه يظل مع ذلك مقبولا فى القراءة ما لم يكن الكاتب بالغ السخافة ٠

وأنا أعرف زهير الشايب شابا ثم أعرفه وقد تخطى مرحلة الشباب الى الاكتمال وهو بلا مناقشة يقف مع الصف الأول من جيله علامة واضحة السمات عميقة الثقافة ٠

وهو لم ينل مكانته هذه الا بالجهد والعمل والمثابرة مع موهبة فنية متألقة ٠ وقد قرأنا له قصصا قصيرة وقرأنا له بحوثا فى الأدب والتاريخ والسياسة وانك لتلمس فى كل ما كتب تدفقا فى الأسلوب مع دقة لفظة تدل على أنه يعرف أسرار لغته كل المعرفة وانه واياها فى ألفة تجعله يتعامل معها معاملة سلسة يسودها التعارف والتعمق ٠

وقد أتقن زهير الشايب اللغة الفرنسية وترجم كتاب تاريخ مصر الشهير ونال بترجمته جائزة الدولة ٠ ونيل الجائزة فى ذاته لا يدل على شيء الا أن اللجنة كانت أمينة مع نفسها ومع الحق ٠

واليوم أقرأ له هذا الكتاب الأخير وهو تجربة ذاتية صريحة ولهذا ينبغي علينا نحن قراءه ان ننعم فيه النظر على انه جزء من سيرة شخصية لأن زهير الشايب يقول فيه أنا زهير الشايب وبهذا أتاح لنفسه أن ينثر فى الكتاب ملاحظاته السياسية البالغة الذكاء وأن يعلق على الأحداث دون أى تحرج ٠

وأنا أهدف بهذا الحديث ان أضع فارقا بين السيرة الذاتية الصريحة وبين السيرة الذاتية المستخفية كتلك التى انتهجها أستاذ الأجيال الأدبية الدكتور طه حسين فى كتابه الخالد الأيام ٠ فزهير لم يقل عن نفسه الفتى كما فعل أستاذنا ولم يطلق على أهل بيته أسماء غير أسمائهم وانما قدم

نفسه فى تواضع شديد وفى صدق أمين أيضا ثم راح يروى تلك الفترة التى عايشها من تاريخ الوحدة ٠

وقد استطاع زهير الشايب أن ينشب أصابع اسلوبه الجميل فى نفس القارىء فاذا هو يلاحقه فى متعه واذا هو ينفعل معه فى كل انفعالاته التى تدل على صفاء نفس وشفافية ودقة ملاحظة ورقة شعور ٠ فكم أعجبت به وهو يصف أول لقاء له مع أحد الموظفين بسوريا وكم أعجب به وهو يصف تلك المشاعر المتدفقة العميقة التى تبادلها المصريون الثلاثة حين اتخذ كل منهم مكانه فى السيارة التى ستقله الى البلد الذى سيعمل به من سوريا ٠

تجدها لحظات شاعرية لا يحس بها الا فنان قصصى حى خبير بالنفس الانسانية مارس السير فى أحنائها والتعرف على خباياها ٠

وكم أعجبت بالملاحظات السياسية الصادقة العميقة تلمس فيها مؤرخا أمينا لا يتحيف ولا يظلم وتلمس فيها وعيا كاملا بالأحداث ومحاولة جادة للبحث عما يتخفى وراءها فان وصل الى رأى أثبته وان عجز التقى بالحيرة وأثبت حيرته فى تواضع العالم واخلاصه الوطنى ٠

ان أحدا لا يعرف مقدار السعادة التى تغمرنى وأنا أكتب هذه السطور فمصر المعطاء تواصل تقديم أدباء يكملون طريق الريادة الذى بدأه جيل العمالقة وسارت فيه ومهدته أجيال نجيب محفوظ وأجيالنا واليوم يكمله زهير الشايب وجيله المتوثب الذى يعرف الطريق ويدرك الجهد الذى ينبغى عليه أن يبذله فهو يبذله فى اخلاص فنان وصدق عالم وأمانة وطنى وقدرة كاتب ؟

الكتابة لوجه الوطن والحق !

تنقلب الحياة بالانسان فيلقى فيها نماذج وأنماطا تتسع الهوة بين بعضها البعض ونقف حيارى مشدوهين كيف استطاعت البيئة التى أنشأت هؤلاء ان تنشىء أولئك • ونحن جميعا فرائس للحياة تضعنا حيث يتحتم علينا أن نعامل الخسيس والمترفع والذليل وذا الكبرياء • وتزداد بنا الحياة قسوة فترسم لنا خطوطا من مجرى الحديث فنقف أمام من نحقرهم ونعلم انهم حقراء صامتون برفض المجتمع ان نجابههم بالبشاعة البشرية التى يمثلونها •

وأنا واحد من الناس تعودت أن أسير بالرأى لا أكتب ما أكتب الا لوجه الوطن والحق • وابتغاء لرضاء ضمير والله على ما أقول شهيد •

أيدت الحاكم حين أزال عن شعبى الخوف والطغيان والجبروت ولو لم يفعل الا هذا لكان حسبه عند الله ولكان حسبى لأقف فى صفه وأدفع عنه غائلة الكلمة الرخيصة وأرد عن رحابه عبيد كل العهود وتجار الشرف وسدنة الطغيان حين الطغيان سيد وخدم الأمان حين الأمان هو ظل الحياة •

وأيدت الحاكم وهو يحقق النصر الوحيد الذى عرفه العرب فى العصر الحديث وأيدته وهو يشق التاريخ الى السلام ويشق المستقبل الى أمن أمة فيرد الموات بمصر حياة والحرب سلاما •

وأعرف وأنا أؤيد أنهم يقولون يداهن الحاكم لأنه حاكم ويمالىء السلطان لأنه سلطان • وردتنىنفسى الى الطريق أن من يكتم كلمة حق عند التأييد شر ممن يرد كلمة حق عند المعارضة • ففى التأييد تنافق الغوغاء ولا تقود رأيهم وتتخلى عن أمانة القلم وأمانة الضمير • وفى المعارضة قد تركب حصان البطولة وكثيرا ما يكون حصانا من القش •

وظللت حتى يومى هذا لا أقول الا ما أعتقد ولا أرضى الا ضميرى الذى يلازمنى ليلى ونهارى ويصحبنى اذا تيقظت ولا ينام فى نفسى اذا أنا نمت •

ولكننى اليوم أقف بقلمى حائرا وجلا • أو أن شئت فقل خجلا •• فانى أبسم لناس أعرف عنهم شر ما يعرفه انسان عن انسان • هم نفاية

من البشرية يجمعون السيوف والأغماد فى غير حرب وفى غير شرع وينالون الأموال بما يفعلون ويتاجرون بالكلمة بل وبالوطن محق الزمن ضميرهم . فهم شر من الحيوان ؟

وأعرف عنهم ما يجعلنى أخجل من نفسى اذا حادثتهم ولكنى أحادثهم فان هذا الذى أعرفه تتناقله الألسنة ويعرفه الناس أجمعين ولكن لا دليل عند الناس ولا دليل عندى فاذا هاجمت بغير دليل أصبحت معتديا واذا قاطعت بغير برهان فأنا ظالم ولكنى أعرف الحقيقة المريرة وهى حقيقة من شأنها ان تستخفى فان خيانة الخلق لا تتم بعقد وبيع الكلمة لا يكون بميثاق والمتاجرة بالوطن لا تكون بالعلن .

وتخجل نفسى من نفسى ثم أعود اليها أهدهد ثائرها فكما عرفنا هذا عرفنا رجالا فيهم كبرياء الانسان وقلمهم شرف الكلمة وفى معاملتهم بأنهم الأنقياء . يذكرونك بفروسية أب اذا عاملت فيهم الانسان وبعمق الحنين اذا عاملت فيهم الأديب .

هذا الصوت وآخرون

لكل انسان فى الحياة ميدان صغير يقف فيه وهو دائما يحسب انه اختار لنفسه أحسن الميادين فمن الناس من يختار ميدان المال فيصبح المال هو القيمة الوحيدة له فى الحياة ومنهم من يختار ميدان الحرية ومنهم من يختار ميدان الشرف ومنهم من يختار ميدان الضمير • وفى كثير من الأحيان يتنزه الانسان فى بعض الميادين الأخرى ثم يعود الى ميدانه •

ولكن هناك أناسا لا يتركون ميادينهم ويظلون ملازمين لها لا يبرحونها • من هؤلاء عبد العال الحمامصى وأحسب أنه وكثيرين غيره من أبناء الفلاحين والقرى من أمثالى •• يقفون معه فى نفس الميدان ولهذا أقف أنا أيضا مع هؤلاء الكثيرين • ونعلم ونحن فى مكاننا هذا اننا نرمى بالسذاجة لأننا لا نهتم كثيرا بميدان المال •• ونتهم بالجمود لأننا لا نزور ميدان النفاق ونتهم بالرجعية لأننا نرفض ميدان الألجاء ، ونتهم بالعبط لأننا نجهل تماما الميدان الذى يأكل فيه الناس الكتف ويمسحون الجوخ وينظفون التراب وهو تراب • وأنا وعبد العال وكثيرون غيرنا سعداء كل السعادة بالميدان الذى نقف فيه والذى لا يعرفه الأخرون اننا عندما ينسحب النهار عن المساء وتخلو النفس الى النفس وتصبح وأنت وحيد أمام ضميرك يدور حوار بينكما وتجد لنفسك جناحين تدف بهما فى سماء السعادة والهدوء والشعور أنك فى يومك كله أرضيت ربك وأرضيت نفسك وان ما بذلته من جهد كبير لترد اغراء المال وسحر النفاق وبريق النفع الرخيص كله هين بسيط فى سبيل هذه الخفقات التى ترتفع بها روحك الى هناك حيث تحس الطهر والنقاء والأمانة وهناك حيث تصبح قريبا كل القرب من وجه عزيز كريم ذى كبرياء يرضى عنك فيما سعيت ويرضى عنك فيما أبيت •

ويرضى عنك وأنت تسبح حوله فى ملكوته الأعلى •

كذلك هو عبد العال الحمامصى فى خلقه • وقد عرفته وهو فتى غض الأهاب قادم من الريف يعمل مع قريبه الأستاذ عدلى المولد موظفا ويكتب القصة أو المقال على استحياء فى مجلة القصة عام ٦٤ •

وتجمعت له مجموعته الأولى « للكتاكيت أجنحة » التى أعيد طبعها هذا العام ، وكان من حسن حظى أن تعهد الى لجنة القصة بالمجلس الأعلى

أن أكتب فيها رأيا وقرأتها ووجدت قلما أخضر تموج فيه المياه يفيض بالاحساس البللورى الشفيف يبين هذا الكاتب فى ثراء لغوى ولفظى وفى معرفته بموقع الكلمة والجملة · ووجدت بشريات قصاص صادق يغوص الى أعمـاق مجتمعه وينفعل به انفعال فنان وانفعال انسـان ، وكتبت للمجموعة مقدمة وظهرت وأحدثت من الأثر الأدبى ما توقعت لها من نجاح وتوفيق ·

ومرت الأيام وعمل عبد العال الحمامصى بدار الهلال فاذا هو ينكشف لى عن طاقة من الأدب الصحفى والأدب السياسى بل والصحافة السياسية يندر أن تتوافر لغيره وسرعان ما أصبحت أحاديثه أحاديث الناس وكنت أسمع شيخ الصحافة عمى فكرى باشا أباظة يؤيد رأى الناس فى عبد العال اعجابا به فهو يقدمه كلما استطاع أن يقدمه وينشر له كل ما يكتب ·

ثم تظهر مجموعته الأخيرة هذه التى دعتنى الى هذا الحديث عنه والتى جعلت من اسمها عنوان هذه الكلمة « هذا الصوت وآخرون » ·

ونحن الذين نعمل فى ميدان الفن الأدبى منشئين لا نقادا ولا أساتذة جامعة نقرأ أعمال بعضنا البعض فنحس نبض الفنان ونعرف كوامن العمل وخوافيه وتعفينا طبيعة عملنا من تحليل هذا الاحساس فى نفوسنا فذلك عمل النقاد والجامعيين ·

نضج القلم الأخضر فى يد عبد العال واستوى له الفن القصصى ووضع أقدامه فى ثبات على الطريق وعانقت ذراعاه أذرعة جيله وشقوا الطريق الوعرة التى تقف عقبات النشر وزحام الكاتبين معرقلة لخطواتهم ولكنه وجيله يتخطى العقبات والعراقيل ويستشرف واخوانه آفاق الغد ليكملوا مسيرة الفن الأدبى فى مصر وفى العالم العربى ·

وبعد فكم أرجو أن يحاول أخى عبد العال الحمامصى أن يتقن لغـة أجنبية حتى يطلع على الأدب الغربى فى مصادره ، ولولا ما أعرفه عنه من صدق العزيمة ما توجهت اليه بهذا الرجاء فانه عليه ــ بتوفيق من العلى القدير ــ قادر ان شاء الله !

الشاعر الكبير أنون

لست أدرى كيف ستقرأ هذا العنوان فهو نقل حرفى من الانجليزية مكتوب بالحروف العربية فاذا كنت من قراء الشعر الانجليزى ستقف حائرا فهذا الاسم بالتأكيد لم يمر بك وأنت ان كنت من مدعى قراءة اللغات ستزيح عن عينيك الجريدة وتنتهز فرصة وجود ابنك الذى قد يكون فى حاجة الى بعض نقود منك فيضطر أن يحتمل كل ما ستقول ، وحينئذ ستتمكن منه كل التمكن وتلقى عليه محاضرة عن الشاعر الكبير أنون ولهذا أسارع فأنصحك أن تكمل بضعة سطور من هذا المقال لتعرف حقيقة هذا الشاعر حتى لا تصبح فى موقف غير محمود أمام ابنك أو ذويك ٠

فعنوان هذا المقال يحكى عن واقعة فلا تتعجل الأمور فقد أراد أحد دعاة الكتابة يوما ان يدعم بحثا له بأسماء قصائد انجليزية لشعراء انجليز ولما كان لا يعرف الانجليزية فقد لجأ الى أحد المتمكنين منها وطلب اليه أن يملى عليه بضعة أسماء لقصائد ويذكر أسماء أصحابها ، وأمسك المتمكن من اللغة الانجليزية بفهرست كان عنده وراح يملى على المدعى مترجما أسماء قصائد ويذكر أسماء شعرائها حتى وصل الى قصيدة فذكر اسمها وترجمته وقال بالانجليزية الشاعر انون ٠ ونسى القارىء انه يملى على من لا يعرف الانجليزية وكتب المدعى القصيدة ورأى أن اسم المؤلف أنون وحده لا يضفى الجلال الذى يريد أن يحيط به موضوعه فكتب بكل بساطة قصيدة كذا للشاعر الكبير أنون وظهر المقال هكذا ٠

وضحك أستاذ الانجليزية كثيرا وتأسف انه نسى وهو يملى انه يملى على من لا يعرف الانجليزية ولهذا لم يترجم له ان أنون بالانجليزية ولم يقل له انما هى صفة وليست اسما وانها تعنى أن الشاعر مجهول ولا تعنى أن اسمه أنون ٠

هذا الخطأ وقع فيه صاحبه عن جهل ومن حق صاحبه علينا أن نغتفر جهله وان كنا لا نستطيع أن نغتفر تعالمه وادعاءه ما ليس يدرى ٠

هذا الجاهل ذكرنى وأنا أسمع قصته بأسماء قلة من الأدباء كان هدفهم منذ بدأوا الكتابة أن يدقوا الطبول لأنفسهم بصوت يرتفع كثيرا عن قدر ما يكتبونه وتبينت فى أسف شديد أنهم أصبحوا هم أنفسهم آخر

الأمر طبولا جوفاء أكثر مما أصبحوا أدباء • وخيل اليهم لشدة قرع الطبول فى آذانهم أنهم وحدهم الكتاب ولم تتح لهم الطبول أن يسمعوا صوت الآخرين فأصبحوا على جهل مطبق بالساحة الأدبية • ولأنهم جهلاء ولأنهم أصبحوا غرورا خالصا وطبلا أجوف تملأ السخافة والتفاهة والبعد عن الوعى بأدب عصرهم فراغهم راحوا يشيدون بكتاب لا يعرفهم أحد ولو كانوا يعرفون حقيقة الفن الذى يريدون أن يصبحوا فيه حكاما بعد أن هيأ لهم غرورهم أنهم أصبحوا كتابا لما راحوا يشيدون بكتاب جميعهم أنون والجهل بفن تمارسه أشد خطرا من الجهل بلغة أجنبية •

مساكين لا هم استطاعوا أن يجعلوا الكتاب الأنون نون أو يجعلوا من المجهولين معروفين ولا هم استطاعوا أن يمنعوا ازدياد احتقار الناس لهم • وراح قراؤهم يلتمسون لهم من الأعذار ما يجعل جرمهم أشد بشاعة • والمؤلم أن الاعتذار الذى يتلمسه القراء حقيقى لا شبهة فيه • ولكنه اعتذار لا يبرىء من الجريمة وانما يزيدها سوءا ويزيد الناس أسفا على هؤلاء الكتاب وما صاروا اليه فى أدبهم وفى أخلاقهم وفى أحكامهم وفى أشخاصهم •

ولأن الطبول تجعل العقل مخلوطا أو ان شئت فقل غائبا راح هؤلاء المغيبون يحاولون سحق الأهرامات الأدبية فى حياتنا وفى حمأة الهوة التى ترددوا اليها راحوا يقذفون الهرم بالحصى ، كسروا الحصى وما أحس بهم الهرم •

وبعد فمالى أمسك بعنان القلم ان يمضى لغايته • فالأسماء تفرض نفسها على سنه وتوشك أن ترغم كتابتها عليه ولكن متى احتاج الهرم أن يسمع من يقول له انك هرم ومتى احتاج الحصى من يقول له أنت الحصى • الشىء الوحيد الذى يحتاج من يكتمه هو الطبل الأجوف الذى يحتاج الى صوت الحقيقة التى تمكنت عبر العصور والأجيال أن تعاو عليه وتقول له يا هذا أنت طبل وأنت أجوف وأنت أكذوبة وعبر الأجيال أيضا لم يصدق الطبل أنه طبل ولكن تظل الحقيقة هى الحقيقة •

حسبنا الله وكيلا وحسبنا أنت شاهدا

لهفي على أولئك الذين قدر لهم أن يكون القلم صناعتهم ، فنجواهم صراخ وهمسهم صياح . وهم مطالبون أن يقولوا اذا أرادوا لأنفسهم صمتا .

وقد بدأت حياتي شأن كل من أشرف بزمالتهم كاتبا هاويا بمجلة الثقافة ثم بمجلة الرسالة ثم بهما معا فكان الأستاذ الجليل العميد أحمد أمين يشرف على مقالاتي في الثقافة . وكان الزيات صاحب الرسالة وصاحب القلم الذي يكتب الكلام ورودا والمقالات حدائق ويكتب الألفاظ نغما والفصول سيمفونيات يشرف على مقالاتي في الرسالة .

وكنت يومذاك في البواكير الأولى من حياتي فقد بدأت أكتب في هاتين المجلتين وأنا في السادسة عشرة من عمري .

وكنت أكتب حين يحلو لي أن أكتب وأصمت حين ينبغي أن أصمت لأذاكر وأواصل تعليمي لأحمل هذه الورقة التي لابد وان يحملها من يريد ان يواجه الحياة وفي يديه اقرار رسمي من الدولة انه تعلم مهما يكن هذا الاقرار كاذبا في كثير من الأحيان . وحدث في هذه الفترة الباكرة من حياتي ان هاجمت كاتبا كبيرا في رأي له وكان هجومي كله ينصب على رأيه الذي ارتأيت غيره وأرسلت المقالة الى مجلة الثقافة وكنت طالبا في التوجيهية التي يسمونها اليوم الثانوية العامة . وفوجئت وأنا أنتظر نشر المقالة بالتليفون يطلبني وسألت من يطلبني فقال في بساطة أحمد أمين .. من .. وهرعت الى التليفون أكاد أطير وكان الشباب وخفة القلب والجسم كل ذاك يمكنني في ذلك الحين أن أطير .

ـ أفندم .

ـ كيف أنت .

ـ شكرا سعادة البك .

ـ اسمع أنا أكلمك كأحمد أمين الوالد وليس كأحمد أمين رئيس تحرير الثقافة .

ـ أنا تحت أمرك أستاذا ووالدا .

ـ مقالتك في المطبعة ولكني أراها قاسية غاية القسوة والكاتب الذي تهاجمه في حالة نفسية منهارة فان شئت ان تخفف من قسوتها شكرت هذا لك وان شئت ان تنشر كما هي فهذا اليك وهي في المطبعة .

ودون ريث تفكير : ـ

ـ أمرك يا سعادة البك .

ـ شكرا .. مع السلامة .

وكنت أتكلم من مكتب أبى فسمحت لنفسى أن أجلس عليه وأكتب للتو مقالا آخر ونزلت من فورى الى مقر مجلة الثقافة بحارة الكرداسى المتفرعة من شارع عبد العزيز ووجدت مقالى فى المطبعة فعلا فطلبته من الطابع فأعطانيه وسلمته المقال الآخر وكان هو الذى نشر .

تلك هى المرة الوحيدة التى تعرضت فيها لاعتراض على مقال لى وتمر بى الأعوام وأكتب مقالا اسبوعيا بجريدة المصرى والشباب فوار والكلام عند الشباب كثير وأقرأ فكأنى حريق يلتهم الكتب لتستحيل فى كيانى الى معان وأفكار وآمال وبأس وانفعال بالسياسة وانفعال بالأدب وانفعال بكل شيء أو بلا شيء .

وأمر بالأيام السود فأفلت من الرقيب وأنشر ما أريد مقالات أو قصصا قصيرة أو روايات لم يمنع لى الرقيب الا قصتين وكان محقا .

وتدور بى الأيام وأدر بها وأعين رئيسا لمجلس ادارة مجلة الاذاعة وأتخذ لنفسى موقفا جديدا على رؤساء التحرير فلا أكتب الا اذا وجدت فى نفسى شيئا أريد أن أكتبه وطاب لى هذا الموقف وأصررت عليه .

وجئت الى الأهرام . فوجدتنى أكتب مفكرة اسبوعية وأكتب من حين الى آخر فى هذه الصفحة . ثم شاء الأهرام فألغى المفكرة وبقيت هذه الصفحة .

وأصل الى ما أريد قوله من هذا الحديث جميعا . فزملائى فى القسم الأدبى يصرون أن أكتب مقالا فى كل اسبوع وأنا أحبهم وأحس بهم جميعا اخوة أشقاء التأمت بنا الحياة على هذه الأصرة من الود الصافى فاذا هذه الصلة كاخوة أشقاء أو أكثر قربا وأعود الى ما بدأت به لهفى على أولئك الذين قدر لهم أن يكون القلم صناعتهم فنجواهم صراخ وهمسهم صياح . وأريد أن أناجيك فأخشى أن أصرخ أو أريد أن أهمس فأخشى أن أصيح . ماذا على وماذا على أخوتى فى القسم وماذا عليك أيها القارىء أن تترك لى حرية الصمت حينا وأكفيك عند ذاك أن ترى مرارة قد تعترينى أو نجوى قد يأبى كبريائى أن أصرخ بها . وهل من بأس أن أستشفع بك عند اخوانى هنا فيتركوا لى الحرية أن أكتب حين أجد أن ما أريد قوله ليس حبيبا لنفسى أن أقوله ومن خير منك ليكون شفيعى عند الأخوة الزملاء وكلنا هنا فى هذا القسم الأدبى لا نكتب الا لك ناظرين فيما نكتب الى ارضاء من جعل الكلمة معجزة خير أمة أخرجت للناس وحسبنا هو وكيلا وحسبنا أنت شاهدا .

الكاتب وأين تنتهى حريته ؟

ربما يجدر بنا أن نسأل أولا .. هل تنتهى .. وان كانت تنتهى جاز لنا حينئذ أن نورد هذا السؤال الذى يفرض نفسه عنوانا .

هل الكاتب ذو حرية مطلقة يستطيع أن يقول ما يشاء ان يقول . ويستطيع أن ينطلق معربدا فى ميادين الحياة جميعا محطما كل ما استقر المجتمع على انه قيم ثابتة لا يجوز ان تتغير ولا يتاح لأحد أن يقترب من قدسيتها هل للكاتب مثـــلا ان يدعو الى الفوضى الخلقية والاجتماعيـــة بلا رقيب عليه أو حسيب .

والتساؤل هنا جدلى بطبيعته وبطبيعة الأمر الواقع فلكل مجتمع قوانينه التى يخضع لها الكاتب كما يخضع لها كل أفراد المجتمع ولكننا اذا فرضنا ان الكاتب تحرر من هذه القوانين ينطلق له العنـــان ويصبح بغير قيد يغل يده أو يمسك بقلمه ؟

العجيب أن اجابتى على هذا السؤال هى نعم ... نعم ... نعم ... الكاتب حر من هذه القوانين ومن هذه الأقداس .

وقد تصدر العجب هذه الجملة لأننى رجل أمسكت القلم نيفا وثلاثين عاما وأصبحت الدائرة التى أتنفس فيها ويحيا بهوائها قلمى هى القيم العليا للانسان فى كل زمان ومكان حتى لقد رميت بالرجعيـــة فقبلت ومضيت فى طريقى وكتب عنى بعضهم فى البـــلاد العربية أننى سلفى فضحكت فالسلفية تعبير شرعى يلحق بفقهاء الدين ولا يوصف به كاتب روائى أو قصصى أو سياسى أو اجتماعى .

ولكننى مع ذلك مصر على أن الكاتب لا ينبغى أن يخضع لأى قيد من القيود الثابتة التى يفرضها المجتمع والتى توارثتها الأجيال .

فليصنع بهذه القيم ما شاء . وليحطمها وليبدد اذا أراد كل ما استقر الناس عليه من خلق سموه رفيعا ، ونبل سموه أصالة ، وترفع أطلقوا عليه انسانية .

فالكاتب انما يبدع للمجتمع ما يرى هو انه المثل الأعلى للمجتمع ولا يفرض المجتمع عليه مثله هو العليا .

الكاتب يحطم القيمة البالية القديمة اذا كانت لا تعجبه وينشيء هو للمجتمع القيمة الجديرة به ، الخليقة بتقدم هذا المجتمع •

ولكن هل هذه الحرية التى أومن بها للكاتب طليقة بغير أى قيد •

من أجل هذا السؤال •• أو سمه تساؤلا اذا شئت •• حاولت أن أكتب هذا المقال •

انما يقع على الكاتب قيد هو من أشد القيود التى عرفتها البشرية • فالكاتب أولا وقبل كل شيء انسان •• بل هو أو ينبغى أن يكون مثلا أعلى للانسانية • وما دام انسانا فهو فرد فى المجتمع وما دام كذلك فحتم أن يخضع لقانون البشرية مادام قد أعفى هو نفسه أو أراد أن يعفى نفسه من القوانين الوضعية • ومادام يريد أن ينال هذه الحقوق الضخمة التى لا تتاح لغيره فقد وقع عليه بحكم القانون الطبيعى البشرى واجب لايطيق أن يحمله الا هو •• ذلك الانسان ذو الحق الفريد لابد ان يكون واجبه فريدا أيضا •

فالطبيعة لا تقبل ان تعطى حقا لا يقابله واجب وبقدر عظم الحق وضخامته يكون عظم الواجب وضخامته • وليس لأحد فى العالم كائنا ما كان شأنه أن ينال حقا بلا واجب والا أصبح خلية سرطانية من البشر يجتثها المجتمع دون ريث من تفكير •

يكمن هذا الواجب فى أن يكون الكاتب صادقا مع نفسه حتى يحس المجتمع انه صادق معه • فاذا لم يكن •• أحس القارىء أن كاتبه يزيف عليه الحق ويموه عليه الحجة فيقتله • والمجتمع حين يقتل كاتبا يقتله بطريقة تبدو وكأنها هينة ميسورة بينما هى فى الواقع أشد فتكا من قذيفة المدفع ومن تدمير الصاروخ • انه يهمله ويسقطه من المكانة التى يضع فيها كتابه • فيموت ويظل حيا وويل للانسان يموت ويظل حيا •

فاذا رأى كاتب ــ مثلا ــ أن الفوضى شيء عظيم فمعنى هذا أنه يختار الفوضوية نظاما لمجتمعه اذا جاز للفوضى والنظام أن يجتمعا فى تعبير واحد • ويستطيع المجتمع أن يصمت ويستمع الى رأى الكاتب فان أحس أن حجته نابعة من اقتناعه حقا فكر المجتمع فى الأمر وقبل الكاتب عضوا فيه وليس من الحتم أن يقبل رأيه نظاما أو فوضى له اذا جاز التعبير •

ومعنى أن يكون الكاتب مقتنعا حقا بهذه الدعوة الشاذة ان يكون رأيه ساطعا من ضمير حر لا صادرا عن رغبة حقيرة فى القاء المفرقعات حوله ليجتلب بها الشهرة من أى مصدر واتته هذه الشهرة ومعنى أن يكون مقتنعا الا ينبع فى رأيه عن حالة من التناقض يعانيها وتشتعل

بنفسه حريقا حتى اذا ضاق بهذا الحريق أشعل به المجتمع كله ليضحك كثيرون أو بوحشية أبشع من نيرون ويطمئن نفسه آخر الأمر أن المجتمع كله أو الكتاب كلهم واقعون فى هذا التناقض وانهم جميعا جديرون بهذا الحريق الذى يدمر نفسه تدميرا ٠

وعلى سبيل المثال رأينا بعض الكتاب كتبوا آراءهم غير مقتنعين بها وانما كتبوها ليرضوا حاكما أو لينالوا مالا يستطيعون أن يستغنوا عنه ٠ وهم حين فعلوا كانوا واثقين أنهم يقولون مالا يؤمنون به ويدافعون عن قضية هم بحكم مبادئهم يقفون فى الجانب الآخـــر منها وقد أرادوا وهم يكتبون أن يميتوا ضمائرهم ليصلوا الى مكانة معينة أو لينالوا مالا ٠ وبريق المكانة سرعان ما ينطفىء والمـــال سرعان ما ينفد والعجيب أن الضمير يظل متربصا بهم حتى يدرك ان البريق زال وان المال قد ابتلعته نزوات الكاتب ـ فأغلب هؤلاء الكتاب أصحاب نزوات ـ حينئذ ينتفض ضميرهم كتنين ، ويندلع فى نفوسهم مهيبا فيصبحون هم ونفوسهم فى حرب طاحنة ضروس ٠ وويل لمن يدخل فى حرب مع نفسه ٠٠ فهو دائما الخاسر ويحس الكاتب حين يواجهه تنين ضـميره وحين تندلع به نيران الحق انه لم يفقد نفسه فقط وانما فقد عرضـــه وظل بعد ان فقـده حيا ٠٠ حياة الموت عندها رحمة ولطف ونجاة ، ولكن التنين والنـــار لايريدان له رحمة أو لطفا أو نجاه ٠

ويروح الكاتب يبحث لنفسه فى صراعه المروع الآخذ المرير المدمر عن باب يدلف منه الى بعض طمأنينـة فيتخبط وقد مســه الجنـــون وأحاطت به الأهوال بين أبواب يحاول ان يفتحها وقد يخيل اليه انه لو قال كل الكتاب كذلك يجد المأوى فيصيح ـ مع أن أحـــدا لا يطلب منه أن يصيح الا نفسه ـ كل الكتاب كذلك ولكن هل يعصمه الصياح وهل ينام التنين وهل تنطفىء النيران ٠٠ هيهات ٠٠ انما مثله كمثل ابن نوح ٠٠ حين أوى الى جبل يعصمه وقال ربك لا عاصم ٠٠ وبكلمة اله السماوات والأرض يصبح ابن نوح وهو ليس ابن نوح وانما يصبح كما قال ربك عملا غير صالح ٠

أرأيت الآن ان الكاتب حر ولكن حريته فى نفس الوقت أعظم ثقلا وأشد هولا من كل قيد ٠

فالكاتب لا يستطيع أن يكون حرا الا اذا كان قلمه صـــادقا مع نفسه لأنه حينئذ فقط سيراه الناس صادقا معهم ٠ فهو مع نفسه فى وفاق وحينئذ يصبح مع قارئه فى وفاق وحينئذ ينال حريته التى أتاحها له القلم الذى يحمله ٠

فالقلم ليس حبرا وانما أمانة والكاتب ليس مجرد فرد وانما هو ضمير عصر كامل لا لحظة عابرة وهو لسان جيل بأكمله ٠٠ ويلى كم ارتجف من ضخامة الأمانة على كتفى الكاتب وأحمد الله وكم أحمده ٠٠ اننى لم أخش يوما هذه الأمانة ولهذا فأنا لم أر التنين فى نفسى ولا شهدت النار تقترب من كيانى وأحمد الله وكم أحمده اننى أستطيع أن أظل ممسكا بهذا القلم وأسأل من قال « نون والقلم وما يسطرون » سبحانه أن أظل كفئا لما اختارنى أن أكون ؟

بروحى مصر

وصلت أنا وزوجتى الى لوزان .

أما كيف وصلنا فتلك قصة كتبتها ثم طويتها مترددا فى نشرها ولا أزل اتردد ، وحسبك ان تعلم اننى حين بدأت هذا الحديث اليك بكلمة وصلت الى لوزان لا أسوق خبرا تافها لا يستحق ان يذكر وانه كان دون وصولنا هذا أهوال وأهوال ، ولعله يجدر بى فقط أن أذكر ما أراه من لطف الله ورحمته بعبده فمع هذه الأهوال شاء سبحانه فى علياء سمائه ان يحيط الكارثة باللطف شأنه دائما .

وقد تمثل لطفه هذا في صحبة جمعتنى بهم أحداث الرحلة ، وجميل ان يجتمع الانسان بقوم مصريين على غير تعارف فأرى مصرى ومصرهم متمثلة فى فقيه القانون المتمكن الذى يمزج بين القانون الوضعى وبين التشريع الاسلامى فى ذكاء العالم المضطلع وايمان المسلم المتصوف فهو صادق النظرة فى القانون عميق الايمان بشرع السماء ، ثم هو بعد ذلك انسان يملأ حب الله قلبه فاذا انت ترى حب الوجود كله متمثلا فى وجهه وقد صفا صفاء السماء فى مصر حين يطيب خريفها فهى مزاج بين انتعاش النسمة الباردة الحلوة ودفء الأمن الذى عاشت به مصر وفقدته حينا من الدهر لتسترده اليوم فتصبح وحدها بين دول العالم العربى ملاذ الخائف ، وسلوى المفؤود ، وسلام اللهيف ، ودار من لا دار له ، وحضن الحب لمن فقد فى بلاده وبين قومه وذويه الحب والحنان .

كان المستشار عبد الفتاح بيومى نصار هو هذا الرجل الذى تمثلت فيه مصر بطبيعتها وحضارتها بتاريخها الثابت وحاضرها الآمن فبمثل هذا الرجل عرفنا الصبر واجتزنا المحنة واستلهم الشباب من أبنائه وأبناء أمثاله معنى كلمة مصر فكان مصرهم وبه وبمثله استلهم الزعيم الشريعة التى تعد المؤمنين بجنة تحية البشر فيها سلام فكان السلام .

وفى هذه الصحبة عرفت شبابا كالورود الخالدة التى لا تذبل وكيل النيابة ــ المعتز ــ واسمه معتز ــ بالعدل لعلمه وبالشرف يتعشقه ويراه أمرا طبيعيا لا يحتاج ان يسمع الانسان من أجله مديحا .

ورأيت الشاب المسيحى الذى يقيم فى زيورخ موريس ينشىء بها شركة ويعيش بجهده فى هناء ويتحين كل بادرة من فرصة ليحج الى مصر يلقى اهلا وصحابا ثم يعود الى زوجة والده فرحا ببلده فخورا بها ساعيا فى الحياة أشرف ما يسعى انسان ٠

ورأيت السيدة المصرية فى طريقها الى رحلة دراسة قصيرة تفيد فيها فى علمها بالمصانع الحربية نراها انيقة الملبس وتحسب وهى صامتة انها سيدة لا تجيد الا أن تختار ملبسها حتى اذا تكلمت تكشف لك الفتاة الجديدة عن علم ومعرفة بما يدور فى بلدها وأرى سلوى تحتمل معنا المشقة فى قوة مصممة هادئة هينة سلسة فى الوقت نفسه ، وعرفت محمد ابن الصعيد فى طريقه الى أوروبا يشـــق طريقا يبدأه بالعلم ورأيت غير هؤلاء ٠

بروحى أنت يامصر لقد استطاع شبابك ان يحطم ما أرادوه له من جهل وما احاطوه به من أكاذيب وراح هو بيديه المؤمنتين بالله والوطن يبحث عن الطريق فيجده ويشقه ٠

بروحى أنت يا مصر ، لم تستطع السنوات العجاف ان تقضى على أجيالها من الشباب بل لقد زادتهم صلابة وجعلتهم يعتمدون على الله وعلى أنفسهم فيصنعون الطريق الذى كان ينبغى انه يصنعه لهم قوم احترفوا الاعتداء على العرض والأمن والحياة ٠

حتى اذا عادت الحياة الى الحياة وتلفت الشباب ليرى الخراب الذى تخلف عن عهد الخراب راح هو يعمر دنياه ويعمر ايامه ويشق الطريق ٠

وأذكر شوقى وهو يقول :

شـــباب قنع لا خير فيهـــم ... وبورك فى الشـــباب الطامحينا

فى هول الرحلة رأيت مصر كما لم أتصور أن أراها فانا والذين حولى قوم لا يجمعنا الا تلك الكلمة الخالدة العريقة الطامحة « مصر » ٠٠

اذن فقد وصلت « لوزان » وقد اخترت لك ان تكون أولى مقالاتى منها شيئا يدخل الى نفسك السعادة بوطنك وقومك وقد ادخر لك حديثا آخر أطلعك عليه أو ربما عنك حبا لمصر ولك وأشفاقا على سمعة الأم الكبرى وحرصا على الا أبلغ من نفسك مالا أريد أن أبلغه من حزن أو أسى ٠

كان من الطبيعى ان اقضى يومين فى البيت الذى اقيم فيه هنا أرد الى جسمى ما هدته منه الرحلة ٠

وطبيعى ان يتأبى القلم فاين الرأس الذى يملى عليه وأين الأصابع التى تلتئم حوله ٠

ومكثت أمام التليفزيون أشاهد القناة الثالثة لتليفزيون فرنسا فهى تصل غاية فى الوضوح الى « لوزان » ٠

شاهدت برنامجا للتســـلية ٠

كيف يتسلى هؤلاء القوم ٠٠ عمليات حسابية لم أفهمها ، فانتظرت الى الفقرة التالية ٠ رجل يفتح القاموس ويقول معنى كلمة ويطلب من المتسابق ان يذكر الكلمة ٠٠ وتأتى فقرة أخرى رجل فى الأربعين من عمره يلقى شعرا أربعة أبيات أو خمسة ويطلب من المتسابق ان يقول ما تعنيه هذه الأبيات ٠٠ وتليه فقرة أخرى يلقى المذيع بيتا أو اثنين من الشعر أو قولا مأثورا ويذكر اسم شاعر أو كاتب ويطلب من المتسابق أن يذكر له أى بيت من هذه الأبيات أو أى قول من هذه الأقوال ، تنسب الى الشاعر أو الكاتب ويعرف الجمهور حينا ويخطىء أحيانا ولكن الجمهور ليس من طلبة الجامعة ولا من الأحياء وانما هم قوم يتجمعون فى عدد كبير جدا فى حديقة من الحدائق ٠

ومع هذه الفقرات تجد أشياء أخرى للضحك والتسلية تجعل الجمهور فى جو مرح سعيد ٠

ترى هل وصل حديثى هذا الى ما ينبغى ان يصل اليه ٠٠ أرجو !

لحظات مع المجنون

الرحلة من لوزان الى افيان متعة فى ذاتها بين المدينتين أو ان شئت فقل بين القطرين فأنت اذا عبرت من لوزان الى افيان لا تعبر من مجرد مدينة الى مجرد مدينة وانما تعبر أيضا من دولة سويسرا الى دولة فرنسا ولهذا فانت فى نهاية الرحلة فى ذهابك وايابك تمر بجمرك والمرور بالجمرك فى هذه البلدان مثل دخول السينما فى مصر أو أكثر يسرا والقيام بهذه الرحلة التى تستغرق نصف الساعة فى ذهابك ومثلها فى ايابك لا يهب مجرد المتعة وانما تجد الأسعار فى فرنسا أقل كثيرا من سويسرا ومع ذلك فهى فى ارتفاعها بالنسبة للقاهرة مثل قمة الجبل وسفح الوادى فمازالت القاهرة وعلى الرغم من شوارع الشواربى أكثر البلدان التى أعرفها رخصا فى أسعار حاجاتها لا استثنى من ذلك اللحم أو المستورد مما لا تدعو اليه الحاجة قدر ما يدعو اليه التظاهر ٠

ذهبت وزوجتى الى افيان ولابد حين نذهب ان نقدم الساعة ساعة لا عن اختلاف جغرافى وانما عن اختلاف وطنى فيما اعتقد فلوزان تتبع سويسرا فى ميقاتها حين تتبع افيان فرنسا وزوجتى تعلم ان جهدى فى المشى ليس كبيرا فلهذا فقد وضعتنى فى أحد المحلات اشترى منه بعض الأشـــياء وذهبت هى لتجوب محلات المدينة جميعا والا فما ذهابنا الى افيـــان ٠

ومر الوقت ونظرت الى الساعة وادركت أن السيدة زوجتى نسيت فرق الساعة فهى دقيقة دائما فى مواعيدها بل هى دائما حريصة أن تذهب الى القطارات أو الطيارات أو المراكب أيضا اذا ركبنا مراكب قبل الموعد بساعات ٠ ولم تذكر الساعة الصحيحة الا وهى واقفة أمامى وقد ارتحلت عنا المركب التى كنا ننوى أن نعود بها وأصبح علينا أن نبحث عن شىء نعمله ليستغرق ثلاث ساعات تفصلنا عن موعد المركب التالية ٠

وفى أوروبا٠٠فى أى مدينة فى أوروبا المتحضرة تستطيع ألا تصنع شيئا لساعات وتظل سعيدا ركبنا قطارا صغيرا يسير على ساحل البحيرة ويستعرض بنا افيان كلها أو أغلبها وتناولنا غداءا رمزيا واشتريت بعض أشياء مكتبية ثم بقيت ساعة قلنا نقضيها فى استراحة المرفأ ٠ وتذكرت شيئا تريد أن تشتريه ووجدنا الوقت يسمح فذهبت اليه ٠

والآن أنا أكتب لك هذه المقالة فما كانت كلها تستحق أن تكتب لولا ما رأيته أنا فى فترة غيابها تلك ولم أخبرها به لسبب سوف تعرفه أنت وتعرفه هى أيضا فى آخر هذا المقال .

كان من الطبيعى وأنا وحدى أن أجيل البصر فيمن حولى . فاذا برجل فى اكتمال الرجولة ونضجها يتحدث وحده وكأنه يناقش أمرا خطيرا ذا بال . ثم تبدر منه عدة جمل لها نغمة الخطابة ثم يعود الى النقاش الرصين المجنون فى وقت معا ومن يدرى فربما كان كلامه معقولا لا ينقصه ليكتمل العقل فيه الا أن يجد من يسمعه .

والى هنا أيضا لا غرابة فاننا لو أمعنا النظر حولنا لوجدنا المجانين أكثر من العقلاء وحبذا لو أنها تقتنع بما أقول أن تلقى نظرة على بعض الرؤساء فى الدول العربية أو الافريقية أو الآسيوية . من المؤكد على كل حال ان وجود مجنون طليق السراح أمر لا غرابة فيه ولا عجب .

ولكن لا غرابة أيضا أن أظل اختلس اليه النظر كلما واتتنى فرصة أدرك انه لا يرانى فيها . فان المرء يستطيع أن يكون شجاعا مع العقلاء أما مع المجانين فان الأمر يحتاج الى كثير من التفكير وقد عشت عمرى أرفض الدخول فى معركة مع أحد هؤلاء المجانين وأنا فى بلدى فماذا أنا صانع وأنا هنا غريب بعيد عن حماية الوطن .

فى نظرات متداركة سريعة ! ادركت سبب جنونه ، وقد كان معلقا على صورة انه اطار مستدير فى حجم الميدالية الكبيرة وفيه صورته أمام الميكروفون .

مسكين . لا ذنب له فى جنونه وانما أصابه من حوله بالجنون وهم لا يدرون وافهموه أنه زعيم أو خطيب أو أنه أديب عظيم أو سياسى داهية ثم تخلوا عنه حين واجه الناس .

أن ما أصاب هذا الرجل هو ما جعلنى أمسك القلم . فقد ذكرت الأدباء الشبان وما يريد البعض من كبار الأدباء ومن الجمعيات الأدبية أن يصنعوه لهم .

وقد تعجب أين الصلة بين الجانبين رجل مجنون من ناحية وشباب ممن يراد لهم أن يكونوا أدباء من ناحية أخرى .

هى المصير الواحد فلو أن الأديب الكبير شجع كل من يريد أن يكون أديبا حتى ولو لم يكن متمكنا لأصيب هذا الناشىء بالجنون . فليس فى الأدب واسطة . وقد كان استاذنا توفيق الحكيم فى لجنة القصة فى المجلس

الأعلى القديم يطلب الى الأعضاء عند اختيار رواية أو مجموعة قصصية أو مسرحية فى مشروع الكتاب الأول الا تقبل الا الموهبة الفذة لأن الفن لا يعرف الا ذلك ، ومن الاجرام أن تقنع شخصا بغير موهبة أنه أديب ثم يفجعه الجمهور فى حقيقة أمره ٠

ان مصيره المؤكد أنه سيسير فى الشارع معلقا الميدالية التى نالها من الأديب الكبير ولن يلتفت اليها أحد فمرة أخرى ليس فى الأدب وساطة والجمهور مع الفن جميعا لا يعرف رحمة ولا شفقة وانما هو يريد الأحسن ولا يحتاج فى ذلك الى شفاعة ٠ والموهبة تفرض نفسها على الجمعيات الأدبية وعلى الأدباء الكبار وعلى الجمهور اذا كانت موهبة حقا ولم تكن مجرد بهلوانية وهدايا وكلمات معسولة تلقى هنا أو هناك ذكرت هذا وأنا أختلس النظر الى الخطيب الذى علق الميدالية وعاش عمره بعدها يخطب لنفسه ولله فى خلقه شئون ٠

من الناس من يتقلبون عليك لانك تملك الكرامة وتخشى عليها ان تمس وهم لا يملكونها فهم لا يخشون شيئا انت تخاف على كرامتك أن تضيع وهم أشجع من كل انسان يخاف على كرامته لأنهم لا يملكون شيئا يخافون عليه • وقديما دار حوار بين اثنين من العرب أحب أن أذكره دائما قال أحدهم للآخر :

– والله ما أبالى مدحنى الناس أم ذموا •

فأجابه :

– استرحت • من حيث تعب الكرام •

وأنت تجد من لا كرامة لهم هؤلاء يحاولون دائما بكل جهدهم أن يثيروا ذوى الكرامة ولذلك ينبغى لكل ذى كرامة أن يحذرهم لأنهم يحاولون أن يفقدوه الشىء الذى يملكه ولا يملكونه • فهم يخادعونه عن كرامته • فاذا أجابهم خسر هو ولم يخسروا هم • لأنهم ساقطون عند الناس بطبيعة خلقهم ومعرفة الناس بهم وكلما حاولوا أن يهاجموا ذا الكرامة أحسوا بالسعادة اذا هو وقع فى حبائلهم ودخل حلبة المهانة معهم • وهم يشعرون بالفشل والاحباط اذا هو ادرك ما يهدفون اليه ونأى بنفسه عن الشعور بهم •

ومن هؤلاء قوم تعودوا أن يهاجموا كل من يقف موقف التأييد من العهد الذى نعيش فيه وما أيسر ان يقولوا أن كل المؤيدين يتملقون السلطة وهى كلمة رخيصة وخاصة انها تصدر عن منافقين محترفين للنفاق وهم يريدون أن يسوغوا لأنفسهم هوانها ونفاقها بأن يرموا الآخرين بما احترفوه هم • ولو أنهم نظروا الى الحق وحده لوجدوا أن الذين لا يؤيدون هذا العهد تعيث فى صدورهم احن تنتمى وان اختلفت أشكالها الى أب واحد هو عدم الصدق مع النفس •

فمنهم من يعارض لأنه فقد الخير الذى كان ينتهبه غصبا وقهرا بما ينتمى اليه من مذهب ملحد ومنهم من ينتمى الى التطرف الدينى حتى يقيم من نفسه زعيما سياسيا وقد شاء سبحانه وتعالى من فوق سبع سماوات أن

نشهد حكم الخوميني وما أساء به الى الاسلام عامة وما قضى به على وطنه قضاء مبرما ٠

ومنهم من ينتمى الى مجرمى ١٥ مايو وفقد المال والسلطان واباحة عرض الناس للكلاب كما جاء فى أحكام المحاكم ٠

ومنهم من يريد أن يركب خيلا من الورق ليجعل من نفسه بطلا حيث لا بطولة وأين البطولة فى أن تعارض عهدا لا يعتدى على عرض ولا يقتل ولا يعتقل ولا يرفت من وظيفة ولا يصيب فى رزق ولا أمن ولا دنيا ٠

عن هؤلاء جميعا أضرب صفحا وكم أحتقر من يجرؤ فيرمينى بأننى امتدح تزلفا وقد عشت من عمرى قرابة عشرين عاما أعارض بكل الوسائل التى يملكها المعارض والتى يعرفها كل المعرفة أولئك الذين يحاولون ان ينالوا منى بما يدعون ٠

والا فكيف أكون مصريا وأحمل قلما عربيا ولا اؤيد عهدا حقق لنا نصرا نحتفل اليوم بتاريخه وهو أول نصر فى تاريخ مصر الحديثة وهو نصر يعقب هزيمة لم يعرف التاريخ لها مثيلا وهو نصر فيه تأييد من روح الله فاذا جنودنا بروحه سبحانه يشقون البحر وكأنهم يملكون عصا موسى ويدكون الجبل بصورة تذكرنا بحنين التى تحصن فيها الكفار بالشواهق من القمم فاذا جنود الله تدك عليهم شواهقهم وتنتصر كلمة ربك ٠

وكيف أستطيع أن أصنع صنع الخونة فاهتف لكل من حقق لمصر الهزيمة والاحتلال وأحجب تأييدى واجلالى لمن هيأ لها المجد والانتصار ٠ لو لم يكن لهذا العهد الا هذا النصر لكان حسبه ليكون جديرا بكل أكبار وكان حسبى وحسب كل صادق مع الله ومع وطنه ومع نفسه ليكون مؤيدا له بكل ما يملكه من ايمان برب العرش وبالوطن الذى أوطنا فيه وبالحق الذى تتقصف الأقلام ان لم تقف الى جانبه ٠

اليوم هو ٦ أكتوبر واليوم أجد انني أن لم أكتب هذه الكلمات أكون خائنا لوطنى خائسا بحق القلم الذى أقسم به الحق وبحق أبنائى الذى سأترك لهم مصر وليس على أرضها محتل ٠

اللهم أنك تعلم ويعلم كل صادق من عبادك أننا فيما نقول لا نصدر الا عما يرضيك ومن أرضاك سبحانك فليس يعنيه أن يغضب العبيد ٠ أنت هو المولى وأنت سبحانك وحدك لك الرفعة ولك السجود ٠

علانية بعلانية

ظهر فى هذه الصفحة فى الأسبوع الماضى اطار يحمل تعليقا على كتاب • وكان هذا التعليق قد عرضه على الأستاذ فتحى العشرى ووافقت على نشره معتقدا أنه سيوقع عليه بما أنه هو الذى كتبه • وفى هذا التعليق رأى للأستاذ فتحى العشرى عن الحوار العامى فى الرواية كنت قد ناقشته فيه على هذه الصفحة وظل كل منا على رأيه •

ولم يكن غريبا أن يكتب رأيه هذا وهو يعلق على رواية ولكن العجيب اننى وجدت الكلمة غير موقعة • والكلمة اذا ظهرت غير موقعة فى صفحة أدب فهى تعنى أنها تحمل رأى العاملين فى هذه الصفحة جميعا فهى تلبس عليهم رأيا يرون غيره وطبعا لن يتكرر هذا • وقد كنت خليقا أن ألفت نظر زميلى الأستاذ فتحى الى ما يعنيه عدم توقيعه وينتهى الأمر عند هذا ولكنه وقد نشر أصبح لزاما على أن ألفت نظره فى علانية تواجه علانية الكلمة التى نشرها غير موقعة •

ثم أصبح لزاما على أيضا أن أعود الى مناقشة رأيه فهو يرى أن اللغة العامية تمكن الكاتب الروائى من تلوين الحوار مع اختلاف الشخصيات وهذه تجربة خاضها أســـتاذنا توفيق الحكيم وأستاذنا نجيب محفوظ وتبعتهما فيها واستطاع ثلاثتنا ان يلون الحوار بلون الشخصية باللغة العربية الفصحى ولكن الأمر يحتاج الى علم وافر بالكلمة العربية وهذا العلم مفروض فى الكاتب وبغيره يجمل به الا يكتب ونظرة واحدة الى كتاب العالم الغربى من الرواد ترينا الى أى مدى هم ملمون بلغتهم •

وأخرى •• قد يحتاج التلوين الذى يدعو اليه زميلنا فتحى الى كلمة عامية واحدة أو كلمتين وانا لا اتردد فى وضعها أو وضعهما اذا وجدت نفسى أريد ذلك وأنا فى غمرة الكتابة الروائية وهذه الكلمة تفرض نفسها غالبا حتى لا تجد بحسك الفنى بديلا عنها ولعلك ستدهش ولو أنه يجمل بك الا تدهش أن عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين كان يحبذ هذا التصرف الفنى بحس الفنان فيه وكان لا يرى ضيرا فى هذه الكلمة أو هاتين الكلمتين أو فى جملة بأكملها لا مثيل لها فى العربية ، وكان فى نفس الوقت بأستاذيته يرفض الحوار العامى رفضا مطلقا •

وبعد فلأخى الأستاذ فتحى أن يظل متشبثا برأيه ما حلا له التشبث ولكن عليه الا ينسى أن من حقنا نحن أيضا أن نستمسك بما نرى •

وتأكلون التراث أكلا لما

التراث فى هذه الآية الكريمة بمعنى ميراث اليتـامى وبهذا المعنى وبآيات كثيرة أخرى فى القرآن الكريم وبتفصيله سبحانه وتعالى للمواريث ينقطع الطريق على الملحدين لأن الميراث فى أغلب أمره مال يغل مالا . والشيوعية ترفض أن يغل مال مالا والانسانية ترفض أن يستغل المال الانسان . وعدم الاغلال هو أهم عنصر من العناصر الشيوعية فى النظرية الماركسية ، وحكم البروليتاريا هو أهم عنصر من العناصر السياسية فى النظرية ، والالحاد بالله سبحانه وتعالى هو دينهم الوحيد الذى لا دين غيره . فكل شيوعى اذن ملحد بحكم النظرية فان كان مؤمنا فهو غير شيوعى وكل شيوعى يدعو الى حكم البروليتاريا متخذا به ستارا لقهر البروليتاريا وغير البروليتاريا فى آن معا .

وكل شيوعى يرفض أن تسمح الدولة باستثمار ماله ومن لا يعتنق هذه المبادىء يكن غير شيوعى أو شيوعيا منافقا وأغلبهم كذلك .

وقد اضطرت الأحزاب الشيوعية فى أوروبا ان تهدم هذه الأركان جميعا لتجد لنفسها منفذا الى الحكم وكشفت الشعوب عن نفاقهم ولم يصلوا بهم الى الحكم . وحين كنت فى سويسرا شاهدت حديثا تليفزيونيا بين عالم كيماوى أعلن أكثر من مرة أنه شيوعى متطرف . وكان المذيع ــ شأن المذيعين هناك ــ غاية فى الذكاء فما زال به حتى ضيق عليه الخناق فى فكرة الدين فأعلن الشيوعى انه غير ملحد ولم ينتظر المذيع بل عاجله فكيف أذن تؤمن بالنظرية الماركسية فأبلس الشيوعى وأطبق عليه الفخ فأصبح كفأرة أحيطت بالمنجل والمطرقة فلا تستطيع فكاكا . وفى نفس البرنامج مع هذا الشيوعى أجرى المذيع لقاء بين ضيفه الشيوعى وبين الكاتب العالمى جورج سيمنون . وبدأ أن الشيوعى يحترم الكاتب الكبير احتراما بالغا وجورج سيمنون من أعظم كتاب الرواية المعاصرة والحقيقة أننى لم أكن أعرفه حتى لفت نظرى اليه أستاذنا توفيق الحكيم منذ ما يقرب من عشرين عاما وقال عنه انه كاتب للرواية البوليسية ولكن العجيب فيه إنه دائما يضفى على روايته لمسة انسانية ترتفع بهما الى مستوى الرواية العالمية . ومنذ ذلك اليوم وأنا أقرأ له .

كان اللقاء بين الأثنين ممتعا وفجأة سأل جورج سيمنون ضيفه الشيوعى ــ ما رأيك فى الروح ٠

وهنا ارتج على صاحب النظرية المادية فالعجيب أن هؤلاء الشيوعيين يرمون المؤمنين بالجهل لانهم يصدقون الغيبيات ٠ وفى نفس الوقت يقولون ان أصل العالم المادة وهنا لابد أن نقول لهم أنهم بين واحدة من اثنتين أما أن يكونوا قد شهدوا بداية العالم ورأوه وهو ينشأ من المادة أو أنهم هم الذين يختلقون الغيبيات التى لا يدل على صدقها أى شاهد ثم يصدقون ما اختلقوا كعباد الأوثان يصنعونها بأيديهم ثم يصلون لها ويعبدونها ٠

وبعد فقد مضى بى الحديث وأريد أن أعود الى عنوان المقال ، فأحس أن قول الله سبحانه « وتأكلون التراث أكلا لما » جعلنى أفكر فى تراثنا الاسلامى بالمعنى الذى اكتسبته اللفظة على الأيام وأذكر هؤلاء الذين حاولوا أن يأكلوا تراثنا الأدبى ويحطموا اللغة العربية حتى لقد ذهب بعضهم الى كتابة كتب بأكملها باللغة العامية ولم يكن الأمر محتاجا منى الى انعام نظر فتراثنا هو لغتنا ولغتنا هى لغة القرآن الكريم فان حطموها حجبوا ما بين الناس وبين الذكر الحكيم ويضيع الدين ٠ والقى نظرة على هؤلاء فان هم جميعا ملحدون أو من أعداء الدين الاسلامى بالذات ٠ وهؤلاء لا يدركون أن الله من فوق سبع سماوات قال « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وتسطع المعجزة فاذا الزمن يلتهم كتبهم ويضرس بها وتصبح هملا من الهمل لا يذكرها أحد ثم لا يعرفها أحد واذا بالقرآن الكريم يتصدر كل مكان فهو فى جيب الرجل أو فى سيارته ان لم يكن فى صدره محفوظا وهو حلية المرأة المسلمة تعتز به وتفتخر ٠

ولا يستطيعون ــ وهيهات لهم أن يستطيعوا ــ أن يأكلوا التراث وانما يأكلهم التراث وينزوى الملحدون كالخجل الخزيان ٠ وتعلو كلمة ربك وهل كان يمكن الا ان تعلو كلمة ربك فهم يكيدون كيدا ويكيد ربك كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا ٠

ديوان شوقى بدلا من الشوقيات

(١)

اهنىء الأستاذ الجليل الدكتور أحمد محمد الحوفى أو أهنىء الشعر العربى بالطبعة الجديدة التى حققها الأستاذ الدكتور للشوقيات والتى رأى أن يضع لها اسما جديدا هو « ديوان شوقى » بدلا من الاسم الذى عرفناه ولا عليه ولا علينا ولا على الشوقيات أن يتغير الاسم • فالأسماء مهما يكن شأنها لا تفيد شيئا وانما المهم ما يندرج تحتها انسانا كان أو موضوعا •

وأحب قبل أن أتحدث عن هذا الديوان أن أذكر الجريمة التى ارتكبت فى عهد الطغيان فى آخر طبعة للشوقيات • فقد تجرأ القائمون على طبعها فى ذلك العهد فألغوا من شعر شوقى كل ما يتصل بالخديويين أو الملوك أو الأمراء ولم أر شيئا أدعى للضحك مما فعلوه فكأنما كانوا ينتظرون من شوقى الذى مات قبل ثورة ٥٢ بما يزيد على ثلاثين عاما أن يحيى هذه الثورة ويغدق عليها المديح • فهم يعاقبونه ما دام لم يفعل بأن يحذفوا كل شعره الذى يتصل بالبيت المالك •

وقد نسى هؤلاء العباقرة أنه لولا وجود هذا البيت المالك لما كان هناك أى معنى لثورة ٥٢ • ونسى هؤلاء العباقرة أن حذف قصائد شوقى عن الملوك والأمراء لا يمكن أن يلغى التاريخ •

ما علينا أن أعود الى الديوان الجديد وأشهد أن الأستاذ الدكتور الحوفى قد بذل جهدا صادقا مخلصا فى تحقيق الديوان وأشهد أن تقسيمه للديوان كان موفقا غاية التوفيق • ومن كمال التحقيق ومن مظاهر الصدق العلمى ما اثبته الأستاذ الدكتور من أخطاء شوقى وقد أحصاها وحصرها فاذا هى عشرون • وذهلت •• فى كل هذا الشعر الذى كتبه لم يخطىء الا فى عشرين لفظة وتأكد عندى ما سمعته أن الشيخ عبد المطلب وكان من أعلم — أن لم يكن أعلم — علماء عصره فى اللغة العربية كان يقول « لا يقف بجانبى ويكاد يسبقنى فى العالم باللغة فى عصرنا هذا الا شوقى » •

وحتى يكون القراء على بينة مما أقول فان الشعراء الاعلام الذين سبقوا شوقى لهم أخطاء تتجاوز هذا العدد الذى وقع فيه شوقى بأرقام ضخمة ولهذا اتفق علماء اللغة أن الاستشهاد بصحة اللفظ العربى تنتهى

عند بشار بن برد ومعنى هذا أن الذين جاءوا بعده لا يعتبر استعمالهم للفظ دليلا قاطعا على صحته ٠

وأنا من هؤلاء الكثيرين الذين يعتبرون شوقى أعظم شاعر انجبته العربية حتى يومنا هذا وأرى أن المقارنة بينه وبين المتنبى تخرج المتنبى خاسرا اذا كانت المقارنة بين شعر شوقى كافة والمتنبى كافة ٠ وقد قرأت للمتنبى قراءة ودراسة في النسخة التى حققها المرحوم الأستاذ البرقوقى وقد بدأت مع القصيدة الأولى فى الديوان حتى انتهيت الى الأخيرة ٠ ولهذا وجدت شعرا كثيرا بل أكثر من الكثير لا يجوز أن ينتسب الى قمة الشعر العربى الى ما قبل شوقى ٠ والعجيب أننى وجدت أن هذا هو رأى شوقى والأعجب أن الدكتور الحوفى قد استشهد برأى شوقى هذا ٠

ولى درر الأخلاق فى المدح والهوى ... وللمتنبى درة وحصـــــــاة

وعلى أية حال فهذا رأيى ورأى كثيرين كمـــا قدمت ٠ أما الأمر الذى لا يختلف فيه اثنان الا اذا كان أحدهما لا يجيد العربية أو لا يريد أن يجيدها أو فى نفسه مرض أن شوقى من أعظم شعراء العربية من جاهليتها الى شعرها الذى ليس بشعر والذى يوشك لولا أفراد لا يكملون أصابع اليد الواحدة أن يكون شعرا ليس عربيا ٠

واذا كان الأمر كذلك ــ وانه لكذلك ــ فكيف أستطيع أن أنفى عن شوقي وكل الشعراء المصريين الذين سبقوه والذين عاهدوه والذين نهلوا من ورده فأقصوه عن التراث العربى وعن مصر ذاهبا الى حيث يريد أن يذهب البعض أن مصر هى الفراعنة وأن أغلب هؤلاء الشعراء ينتسبون الى أصول غير مصرية وغير عربية ولكنهم وآباؤهم نشأوا فى مصر فكان أدبهم وهو الأدب العربى هو أساس ثقافتهم ٠

وشوقى يقول عن نفسه : « أنا اذن عربى ٠ تركى ٠ يونانى ٠ جركسى » فهل يجرؤ أحد أن ينفى شوقى عن الانتساب الى مصر فمن اذن المصرى وهل يجرؤ أحد أن ينفى شوقى عن الأدب العربى فمن اذن شاعرها فى العصر الحـديث ومن اذن من هؤلاء الشعراء اسـتطاع أن يرد الى الشعر العربى وجهه المشرق المتلألىء فى العالم العربى كافة ٠ وحسبى أن أذكر بعض القافية لنتبين كيف كان شعره من هذا العالم ٠ وما أسوق الا شاهدا واحدا على سبيل المثال يؤيد ما رأيناه نحن رأى العين حين طفنا بهذه البلاد ورأينا منزلة شوقى فيها بعد قرابة نصف قرن من وفاته.

يقول شوقى عن نفسه فى دمشق :

دخلتك والأصـــيل له ائتــلاف ووجهك ضاحك القسمات طلق
وتحت جنانك الأنهار تجرى ومـــلء رباك أوراق وورق
وحـــولى فتيـــة غر صـــباح لهم فى الفضل غايات وسبق
على لهواتهم شعراء لســـن وفى أعطافهم خطباء شـــدق
رواة قصـــائدى فأعجب لشعر بكـــل محـــلة يرويه خلق

وقد كانت دمشق كذلك قبل أن تدك المطرقة حرية الشعب فيها ويحصد اسلامهم المنجل ·

اذن فشوقى شاعر العربية وما أنا بحاجة لأدلة أسوقها لأثبت ذلك فأدب مصر هو أدب العروبة جمعاء مصادره الأساسية الرجيحة الغالبة هى التراث العربى وقراؤه هم أبناء العروبة فى شتى أوطان الأمة العربية · وليس من مصادرنا نحن أبناء مصر شيء نسميه أدبا فرعونيا وليست لغتنا التى نتحدث بها عامية كانت ، أو كانت فصـــيحة الا اللغـــة العربية لا الفرعونية · ولكن جدود المصريين هم الفراعنة ثم تداخلت بينهم أصول أخرى اندمجت فيهم وأصبحت جزءا من كيانهم لا يستغنون عنه ولا أصحاب هذه الأصول عن مصر بغانين · ومن هؤلاء تكون الشعب المصرى تمتد أعراقه فى عمق الزمن آلافا من السنين تحصيها سبعا أو تحصيها عشرا ولكنها سنوات كاندفاع المعادن التى فى المجرى والأشـــجار والزهور والأعشاب · حتى اذا بلغت عصرنا أصبح هذا الماء بكل ما يحمله هو الشعب المصرى · فدعوى الفرعونية هذه دعوى ساقطة سواء صدرت من مصريين وقعوا فى حبائلها أو لفقوها لغرض فى نفس اليعاقيب منهم · ولو أننا قصرنا شعبنا على أصحاب الأصول الفرعونية لتقلص الى عشر أو ربما أقل من عشر الشعب المصرى الحالى الذى له فى تراب مصر عظام جدود أطمأنت فى مكانها منذ آلاف السنين أو مئاته ·

ولو أننا طبقنا هذه النظرية المغرضة المضحكة المؤلمة الخبيثة الهازلة لطرد الانجليز اسرتهم المالكة ذات الأصل الألمانى ولتمزقت أوطان وأوطان وهدمت من الحضارة صروح عالية فانما عاشت الشعوب وتجددت دماؤها بهذه العناصر التى دخلت فيها وأصبحت جزءا من كيانها ملتحما بنسيجها لا تستطيع العين أن تفصله عنها وان استعانت بألف مجهر حديث فهيهات لغير قلة نادرة من المصريين وغير المصريين فى جميع أنحاء العالم أن يصلوا

فى أصولهم الى أكثر من جدهم الرابع أو السابع أن كانوا نسابين محترفين ومالنا نذهب بعيدا ، ومالنا لا نسأل دعاة الفرعونية هؤلاء عن حكمهم فى الشعب الأمريكى اذا أردنا أن ننفى عنه الجنسية الأمريكية ٠

دعونا نترك لغوهم هذا ونعود الى هذه الظاهرة الكونية التى أسماها الله شوقى فنصنع باقة ضخمة من أجمل الورود حول اسمه على أن تظل هذه الورود معانى مخضلة مليئة بالحياة خالدة كما شعره مخضل ندى كالنبت الجديد على مدى السنين ملىء بالحياة خالد على الزمان ما بقى الزمان ٠

أبيات من الشعر

هناك أبيات تكنزها الحافظة وتلقى بها الى زوايا النسيان لا تظهر على سطح الفكر أو ينعشها من مرقدها ما نشهده حولنا • فاذا البيت أو الأبيات تقفز فارضة نفسها عليك لا تستطيع منها فكاكا ولا عنها منصرفا • والبيت الذى يلح على فى هذه الأيام وربما جهلت سبب الحاحه هو قول الشاعر القديم •

لا يبلغ العالم من الجاهل   ما يبلغ الجاهل من نفسه

ويلح على بيت آخر للخالد المتنبى •

وتكبر فى عين الصغير صغارها   وتصغر فى عين العظيم العظائم

ومرة أخرى لا أدرى سبب الحاحه • انما هى أبيات تتقدم الى الحافظة الواعية تلبية لنداء خفى وكانما للأبيات عقل وحس وشعور وكانما تدرك وهى فى غيابة النسيان ان صاحبها الذى أكرمها بحفظها فى حاجة اليها فهى تقدم نفسها اليه فى طواعية ووفاء • فان للغة العربية وفاء لا يعرفه الناس فى مألوف حياتهم فهى تحب من يحبها وتكرم من يكرمها وتكشف عن أسرارها لمن تحس فى قلبه ومشاعره خفقا بجمالها ووجيبا برنين ألفاظها وموسيقى جملها • وما الشعر الا شجرة من جنة اللغة الباسقة ودوحة من روضها المئناف الوريف •

أتكون هذه الأبيات قدمت نفسها الى اجابة لما أراه حولى أم تكون قد جاشت الى قلمى لما أراه فى العالم العربى فهل كان أحد يستطيع أن يصيب أبناء العراق بمثل ما يصيبهم به زعيمهم الأخرق أو كان أحد يستطيع أن يصيب أبناء فارس المسلمين بمثل ما يصيبهم به زعيمهم الأخرق والزعيمان كلاهما أكان أحد يستطيع أن ينال منهما بمثل ما ينالان هما من نفسيهما • والأهبل الآخر فى ليبيا أكان أحد يستطيع أن يشوه صورته بمثل البشاعة التى يصنعها هو بصورة نفسه وهكذا الأمر مع الأسد الذى أعتقد أن نصيبه من اسمه ليس نصيب الأسد على أية حال ولا حتى نصيب الأشبال ونجهد اذا مشينا وراء الآخرين • أليس كلهم يصدق عليهم البيتان فى صدر هذا المقال • لقد جنى عليهم جهلهم بما لا يستطيع ان يجنيه عليهم أحد • والجهل كلمة من أكثر الكلمات ثراء فى اللغة العربية

فهى لا تفيد أن صاحبها لا يعرف فقط وانما تفيد أيضا أن صاحبها أحمق معتد · يقول عمرو بن كلثوم ·

الا لا يجهلن أحد علينـــا فنجهل فـوق جهـل الجاهلينـــا

ويذكرنى ما تعانيه ايران بالبيت الأشهر ·

رب يوم بكيت فيه فلمـــا صرت فى غيره بكيت عليه

ويذكرنى بقصة حدثت فى بيتنا حين كان قريبنا الشاعر توفيق يبيت مع صديق أبى فى حجرة واحدة وكان الصديق كثير الجلبة فى ليله فطلب الشاعر الى أبى أن يأمر له بمكان آخر يبيت فيه فتم له ما أراد واذا هو يرسل الى أبى فى باكر الصباح هذين البيتين اللذين اشتهرا فى محيط الأسرة والأصدقاء يسخرون بهما من حامد الذى صاحب توفيق فى حجرته الأخرى التى هرب اليها ·

تحـــيت عنى حســـــينا فجـــاء حامـــــد العـــن

مـــازال يصـــــخب حتى ســـمعت صـــوت المؤذن

وتذكرنى العراق وما يعانيه شعبها ببيت لشاعرنا عزيز أباظة عن لسان شعب بغداد نفسه فى خالدته العباسة ·

قطيعـــك ذل واســـتخزى فـــادرك أيهـــا الـــراعى

أبيات من الشعر قفز بعضها الى عقلى قبل ان أشرع فى الكتابة وقفز بعضها الآخر الى سن القلم وأنا أكتب ورحت أرويها لك ترى هل وافتنى لهذه الأسباب التى جاءت فى هذه الكلمة أم لأسباب أخرى من يدرى ·· ومتى عرفت نفســـها النفس ··· هيهات ··· هيهات لهـــا ان تعرف وهيهات لى ·

ديوان أصداء الناى

أعرف الأستاذ الدكتور أحمد هيكل منذ لا أذكر متى فقد نشأت فوجدتنى معه وظلت صلتى به ممتدة طوال فترة دراستى ودراسته ثم امتدت حتى ذهب الى أسبانيا مستشارا ثقافيا لسفارتنا هناك فما انقطعت ـ والحمد لله ـ الصلة بيننا الا فى ندرة اللقاء فاذا تلاقينا فى أجازته وجدت نفسى أحادثه وكأنما كان معى بالأمس وأحسب أنه كان يجد نفسه يحادثنى وكأنه مقيم فى قاهرتنا أو زقازيقنا معا ·

والعجيب اننى عبر هذه المدة أعرف عنه كل شيء ·· أعرف كل ما يعرفه الناس عنه من خلق اشم وأدب رفيع فى مهنة الأدب أو مهنة الحياة وعفة عن الصغائر وبعد عن كل دنية · وأعرف أيضا من حياته مالا يعرفه الا الصديق اللصيق ·

وأعرف حبه للشعر وروايته له ونقده العميق لفنونه نقدا يجمع الى أصالة العالم ودراسته ذوق الفنان ورهافة حسه ·

أعرف هذا جميعه ولا أعرف أنه شاعر · وتلك عجيبة · ولكنها منه غير عجيبة فهو ـ مع كل هذه الخصال التى يندر أن تجتمع فى انسان ـ ذو حياء جم وتواضع لا يبلغه الا العلماء · لقد فاته عن قصد أن يروى لى شيئا من شعره على طول هذه السنين ·

ولكن الشعر لا يخضع للحياء وانما ينفجر كما تنفجر عين الماء الغنية بمائها وتصبح جداول أو تصبح كما قال المتنبى ·

وامواه يصل بها حصاها صليل الحلى فى ايدى الغوانى

وهكذا وكما ينبعث ينبوع الماء الى ظاهر الحياة ظهر ديوان الدكتور أحمد هيكل اصداء الناى ولم يكن عجيب ان يكون شعره بهذا الجمال والرقة اذا تغزل والوطنية اذا كتب للوطن والايمان اذا كتب فى الدين فالذوق رفيع واللغة فى يديه طيعة والألفاظ حاضرة من قريب بما ينال القارىء الذى وهب نفسه للأدب واللغة والكلمة الشريفة والمعنى الرفيع من ثراء اسمعه يقول مخاطبا روح الحرية عادت الى بلدنا الحبيب · مفتتحا ديوانه :

دعى عينى فى عينيك ترتاحان فى الظل الحنون
فياكم عاشتا بالسهد تحترقان فى نار الحنين
وياكم طافتا فى أوجه الدنيا وآلاف العيون
عسى أن تلمحا سناك الحلو فى ليل الشجون
وبعد اليأس قد ألقت مراسيها بمرفئها سفينى
وكانت فرحة اللقيا التى داوت جراحات السنين

وتأتى بعد ذلك قصيدة من أجمل قصائد الديوان ان لم تكن من أجمل قصائد الشعر العربى وهى بعنوان « جنتى وأحزان الخريف » وهو يخاطب ـ فيما اعتقد ـ مصر حين تركها فى عهود الطغيان ويصف تركه لها محزونا بلا قلب ويصف عودته لها يقبل لهفان الجوانح أرضها ويمزج فيها دمع عينيه بترابها • وهذه القصيدة فيها وحدة متكاملة حتى ليجنى عليها الذى يختار بعضا من أبياتها ويترك بعضا آخر • وهو فى قصيدة بعد عام يقول غزلا على استحياء وفى خجل وعفة ونضارة •

ونائيـة هيهـــات ألقى ديارها واشفى بلقياها جراح مشاعرى
فقد بعدت حتى كان مزارها محال وان كانت بقلبى وخاطرى
تعجبت من عام تقضى وانه لفى عمر الأيام حسوة طائر

وتعبر الديوان فتجد بابا فى القوميات يتحدث فيه الى مختلف البلاد العربية ثم تعدوه فى اعجاب لتصل الى ما شاء الشاعر أن يسميه اسلاميات وهى تسمية كريمة حبيبة وعند هذا الباب حتم علينا ان نقف خاشعين أمام الاسم أولا ثم ننعم النظر فى شعره • ويتحدث الى سيد الخلق صلى الله عليه وسلم فى أول قصيدة فى الباب حديثا فى غاية فى الجمال :

يايتيما كالدر سدت على اليتم ملايـــين ادركـــوا الآباء
يا عليما وما خططت حروفا أنت أعجزت فى الورى العلماء
ياصبورا على الأذى وله الأنفس ترضى بأن يـــكن فداء

ولعله يجمل بنا أن نذكر بعض أبيات له بعنوان من أجل الحرية وقد قالها فى ذكرى الهجرة الخالدة • ونحن نحتفل هذه الأيام بافتتاح القرن الخامس عشر من الهجرة • والقصيدة فيما أرى غاية فى الابداع وقد نظر الشاعر فيها الى الهجرة نظرة الحر الى الحرية • وهل فى تاريخ العالم عمل يمجد الحرية كما مجدها سيد الخلق بهجرته الشريفة عليه الصــلاة والســـلام •

ليس يحيا بها حياة الهوان غير عبد الاغلال والأرسان
فالنفوس الكبار ترتخص الروح ففيم الهوان بالأوطان
لا تضيق الدنيا الرحيبة بالحر ولكن يضيق عقل الجبان
هكذا قالها وخاض المنايا ثابت الخطو عبقرى الجنان

حيا الله صاحب الهجرة الشريفة وصلى عليه وعلى آله أجمعين وسلم .

عميد الأدب العربى نحن لا ننساه

وان كان مثله ـ وما أظن له مثلا ـ لا يذكر فى يوم بذاته · ولا تقدم التحية اليه فى وقت معين من العام · وانما هو يذكر فى كل ساعة من ساعات اليوم وفى كل يوم من أيام العام فهيهات أن تشرق شمس وتغرب دون أن يذكره أديب كبير أو أستاذ جامعى أو قارىء من الهواة أو طالب فى معهد ·· فاسمه يدور مع الشمس فى دورانها ولا يغيب معها حين تغيب وانما يظل مشرق نور ومصباح أجيال ومطلع ضياء على الزمان منذ أطل على الزمان وحتى ينتهى الزمان والمكان ـ ومن عجب أن تحجب الدنيا عنه نورها فيهب لها هو النور وينشىء لها أدبا حديثا ويفتح منافذ الضياء على الأدب العالمى ليصل بينه وبين الأدب العربى ويصدق عليه قول شاعر القطرين محمود سامى البارودى حين كف بصره فى نهايات حياته ·

اذا وسع الكون فكر امرىء فلا بأس بالطرف أن يحسرا

على الشمس أن تهدى المبصرين وليس على الشمس أن تبصرا

لقد كان الأدب قبل طه حسين ورعيله لفظا وجملة ومحسنات وسجعا وفراغا ولولا التراث العربى الخالد من القرآن الكريم وسموقه الالهى ولولا الشعر العربى الأصيل لاندثر الأدب العربى · فلم يكن فى الساحة الأدبية الا الشعر فى ارهاصات البارودى وصحبه التى استقامت لتصبح « شوقى » وليتجدد ميلاد الشعر العربى الشاهق على يديه أما النثر فلم يكن فى ميدانه الا المنفلوطى بموهبة عظيمة فى الفن الأدبى ولكنها عاجزة بما صاحبها عن مناهل الأدب الغربى ويدرك المنفلوطى فى ذكاء أريب حاجة الأدب العربى الى دم جديد والى أن يواكب الأدب العالمى الذى ظهرت فيه الرواية والمسرحية والقصة ويروح الرجل فى جهد واصرار لا يتأتيان الا لعظيم يترجم من الأدب مستعينا بغيره على الترجمة فلا يستطيع أن يتغلغل الى أعماق الأعمال التى ترجمها فاذا هى أسلوب رائع فى حينه ولكنه بعيد كل البعد عن شواهق الأدب العالمى ·

وفجأة يشرق على الأدب العربى هذا الجيل الذى يقدم ركبه ويرود طريقه عميد الأدب العربى وعملاقه الخالد الشامخ طه حسين ويقف معه فى الصف متسلحين بالثقافة العربية الوطيدة الأركان وبالثقافة الغربية

المتعمقة الدكتور هيكل الذى نال ليسانس الحقــوق باللغة الانجليزية والدكتوراه باللغة الفرنسية والعقاد الذى علم نفسه الانجليزية فى اصرار لم يعرفه التاريخ الا للعقاد مع ما هو عليه من أستذة باذخة فى التراث العربى والمام معجز بالفنون والعلوم وتوفيق الحكيم أول من كتب المسرح العربى النثرى فى التاريخ فاذا هو يقف مع الكتاب العالميين فى ميدان واحد وعلى قمة فى الميدان وتيمور بالقصة القصــيرة والمازنى باتقان هائل للانجليزية والعربية وموهبة فنية فى الرواية والقصة مع روح فكاهية لم يأت الزمن لها بمثيل حتى اليوم وحسبى أن أذكر أننى كنت أقرأ رواياته منفردا بحجرتى فاذا القهقهة ترتفع منى حتى ليخشى أهل بيتى أن يكون أصابنى من الجنون مس وأعذرهم وأى انسان لا يظن هذا الظن بمن يقهقه وهو منفرد فى حجرته ليس معه فيها أحد ولا يلتفتون طبعا الى هذه الشخصية المتخفية فى كتاب والتى اسمها المازنى • وغير هؤلاء من جيل العمالقة أصحاب الآداب المتعددة والذين افتتحوا الطرق الأدبيـــة الحديثة جميعا • أى زمان هذا الذى أطلع كل هذه الشموس فى وقت معا •

ويصبح من الطبيعى أن نقول ان الأدب العربى الحديث تخرج على يدى الدكتور طه حسين •

وأى عجيبة فى هذا وهو أول من نادى بالنقد على أحدث الأسس العالمية وهو من كتب فى جميع أشكال الرواية • فصراع الانسان مع مجتمعه هو دعاء الكروان وقصة الأسرة شجرة البؤس وصراع الانسان مع نفسه فى أديب والقصة الرمزية فى أحلام شهر زاد وصراع الانسان مع واقعه فى « المعذبون فى الأرض » وعند هذه الرواية لنا وقفة فقد ظن بعض الجاهلين بوظيفة الكاتب فى المجتمع أن هذه الرواية الخالدة تدعو الى الشيوعية ولو كانوا على علم يسير بالأدب ووظيفه الأديب لأدركوا أنها دعوة انسانية فهى نقيض للشيوعية وهى درع المجتمع ضدها وهى دعوة صرخ بها كل روائى فى العالم منذ وجدت الرواية • فالكاتب العظيم طه حسين يرفض أن يكون فى المجتمع قوم يموتون من الشبع والكظة وبجانبهم آخرون يموتون من الجوع والفقر • وأى أديب لا يدعو هذه الدعوى ينبغى عليه أن يترك الأدب لأن الأدب قبل أن يكون فنا انما هو مهنة الانسانية فى أسمى مراقيها وأعلى صورها • أما الشيوعية فهى تدعو ألا يغل مال مالا وبين الأغلال والاستغلال ما بين الايمان والألحاد وقد يجتمع النقيضان فى حروف متشابهة ولكن هيهات أن يجتمع الايمان والالحاد فى قلب واحد • واحـــد •

لا علينا .. نعود الى عملاقنا ونرى كيف راح يقدم المسرح الغربى فى مقالات يجمعها فى كتب ثم نرى كيف راح يقدم الأجيال التالية له فى عظمة أستاذ وحب أب . ونقف اليوم فى ذكراه .. لا نذكره فالذكرى لا تكون الا مع النسيان ونحن لا ننساه ولا نجرؤ نحن بل لا يجرؤ العالم العربى أن ينساه .. وانما نحن ننتهز الفرصة لنقول له سلام عليك فى الخالدين والى اللقاء .

المقـــالات

١٩٨١

قـــردة

يأتى على القرد لحظات يخيل اليه أنه أصبح انسانا أو قريبا من الانسان • وتعاود هذه الحالة بالذات القردة المعروضة فى حدائق الحيوان ذلك أن الأطفال وأحيانا الكبار يتحلقون حولها ويلقون اليها بأصابع الموز ان أرادوا اكرامها وبحبات الفـول ان أرادوا أن يشهدوا حركاتها وهى تقشره وتأكله •

فان زادت حلقات الناس خيل لبعض القرود أنهم أصبحوا على قدر من الأهمية فترى القرد منها يشيح عن الانسان الذى أكرمه ويصرف عنه وجهه واهتمامه واهما أنه أصبح أعظم منه شأنا وأرفع منزلة •

ترى القرد منها يتقافز على اعراف الشجر الصناعية ويغط على أسياخ الحديد فاذا هو اعلاها وحينئذ يخيل اليه أنه أصبح أعلى قامة من الانسان ولو لم يكن قردا لادرك أنه مهما يتقافز ومهما ينط سيظل قردا ويظـل الانسان انسانا كما يظل أيضا النجم نجما والقمر قمرا •

وفى عالم الأدب نجد شاشة التليفزيون قد جعلت بعض القرود يظنون أنفسهم أدميين ولو رأوا الى أنفسهم من أعين الناس ومن عقولهم لأدركوا أن الناس لا تراهم الا قردة مهما يتقافزوا ويفطوا ولكنهم هم يرون أنفسهم من داخل أنفسهم ومن عيون ذواتهم ولكم تخادع النفس ولكم تكذب العين صاحبها فتوهمه أنه أصبح شيئا وما هو بشىء وأنه يستطيع أن يصـدر الأحكام ويقسم الأقسام وهو هو نفسه لا يجوز أن يكون موضوع حكم لأن الحكم لا يكون الا على موجـود وهو غير موجـود والأقسام لا تكون الا بين كيانات قائمة وهو لا كيان له ولا كينونة •

الناس تراهم داخل آلة التليفزيون قردة داخل أقفاص • ولن يجديهم شيئا صوت كمواء القطط كما لن يجديهم شيئا تصنع فى النطق وتمشيط لشعر الرأس وترجيل للحواجب وحركات للأيـدى مرسومة فى تكلف بغيض وفتح للفم واقفال له بمسطرة وبرجل ومنقلة ولو دروا انهم بهذا يقتربون الى عالم القردة أكثر مما يقتربون الى عالم الانسان لكفوا ولكن من أين لهم أن يدروا •

أغلب الأمر أن القارىء الآن سيقول الغزت فأفصح ولكن المؤكد أن أغلب القراء من مشاهدى التليفزيون سيقولون أفصحت فاستتر وعهد على لهم ألا أزيد الأمر ابهاما أو ايضاحا . فالقردة لا يقال عنها الا قردة . والقرد لا يسمى . وان كان له اسم فانى أربأ بقلمى أن يجمع من حروفه اسما .

ولكن كل ما أستطيع أن أقوله حسبنا الله ونعم الوكيل .

ولا خير فى الورد حتى ينم

دخلت بالأمس الى مكتبى فى الأهرام فوجدت فى انتظارى خطابا فى أعلى ظرفه جمهورية مصر العربية ثم حرم الرئيس وعجبت أن وجدت اسمى مصحوبا بفضل تكريم مكتوبا بخط اليد وفتحت الخطاب فاذا به جميعه مكتوب بخط اليد أيضا واذ هو ممهور باسم سيدة مصر الأولى دون ألقاب . والخطاب تحته شكر لما أرسلته الى سماحتها من بعض كتب لى .

وقد كنت خليقا أن أحفظ الفضل فى أعماق مشاعرى لا أطلع عليه أحدا ولكن ذكرت قول شوقى الخالد .

فلا خير فى الفضل حتى يذيع ولا خير فى الود حتى ينم

ورأيت أن هذا الذى أولتنى اياه سيدة مصر الأولى الكاتبة الأديبة هو فى ذاته تحية للأدب جميعا تصادف أن كنت أنا فى كريم مجراه وفى طريق جدوله وفي مكان الاستقبال لنميره الصافى وغديره الرقراق فباسمهم أكتب هذه الكلمة وهيهات لكل الكلمات أن تفى بما أولت وما تفضلت ولكن عند الله وحده يلتمس الجزاء .. خير الجزاء .

مرحبا بالموكب والذكريات

وقد نرحب بمن يملأ الحياة الأدبية فى غير انقطاع ولا تخلف وما لنا لا نفعل وهو فى حياته الخصبة الطويلة لم يخرج علينا الا بديوانه الثانى موكب الذكريات • وكم نسعد وتسعد معنا الساحة الأدبية حين يصدر الدكتور مختار الوكيل ديوانه الجديد هذا الذى نرحب به •

فالدكتـور مختـار من هـذا الرعيل الذى أثرى الشعر العربى منذ الثلاثينات حتى اليوم وهو جيل متميز فقد أطلع على الأدب الغربى ووعى الفن الشعرى فيه فأحسن وعيه وتعمق التراث العربى فوصل الى جذوره الأصيلة واستطاع بعد ذلك أن يقدم الى القارىء العربى شعرا هو مزاج بللورى شفاف من الأدب الغربى فى روحه المرفرفة الهفهافة والأدب العربى فى أصالته الباذخة وموسيقاه السماوية الرفيعة بما له من ثروة لغوية نادرة وحس بالحرف العربى قبل أن يتأتى لغير الأفذاذ الموهوبين •

فعلى يد هذا الرعيل كان التجديد الحقيقى للشعر العربى • ذلك التجديد الذى يجعل الملبس مجلوا قشيبا أشبا ويبقى على الجوهر ــ كما هو ــ أصيلا عريقا موصول الجذور بأعماق الأدب العربى ويبقى على الذرا موصولة الأسباب بالسماء وبلغة القرآن الكريم •

والأستاذ الدكتور مختار الوكيل من أنضر وجوه هذا الجيل يجمع فنه وخلقه بين الخالدين فى الأدب أدب الفن وأدب الخلق • مثل رفيع هو فى قلبه وقلمه ولسانه تراه فترى النضارة والاشراق •• نضارة الخلق ونضارة الحلق ونضارة الفنان واشراقته النورانية المعطاء فى طبيعة تواتى ولا تكتسب مخلوقة معه فهى بعض منه وهى الابتسامة التى تضىء من الحياة وجه الحيـاة •

ونمشى معه فى موكب ذكريات ونكاد لو أطعنا أنفسنا أن نقف مع كل قصيدة وقفة حب واعجاب عزنا أن نجد لها مثيلا الا فى قليل نادر من الشعر الأصيل العـذب كجـدول نمير أو كمرآة نفس وضيئـة السـطح والأعماق •

ولعل خير ما يسعدنى •• أن أنقله واترنم به قصيدته التى جعل عنوانها المعجزة الباقية مناجاة القرآن العظيم يقول فيها :

زهونا بميراث النبى محمد ولنا بقرآن الاله تهجدا
اذا أقبل الليل انثنينا لسورة نطالع فيها الباقيات على المدى
اذا أقبل الليل استضانا بنوره لأن لنا فيه ملاذا ومسجدا
هدى ذلك القرآن للناس كلهم فليس لبعض منهمو الهدى

وما أجمل أن أتغنى معه بقصيدته يثرب :

ولما دنا الركب من يثرب أضاء السنى حالك الغيهب
وهبت على ركبنا نسمة تضوع بمسك لها طيب
وغنى السلام على بابها مؤذنها فى سنى المغرب
فانشأت الهج فى نشوة بشعر فتى مغرم معجب
ولما نفدت الى داره هرعت أقبل ترب النبى
وأحسست انى أشيم ابتساما بوجه حبيب الورى الطيب

وننتقل الى فينيسيا أو البندقية ونسمعه يغنى الحب والموت والبعث .

ظفرت بالشعر وبالأغانى
فصرت نشوان بلا دنان
يالى من هذا الهوى الفنان
القرب والبعد به سيان
والوصل ينساب مع الهجران
يا بلدة العشاق والجندول
يا عذبة الثغر لدى التقبيل
جئنا اليك من ضفاف النيل
جئنا اليك بالهوى النشوان
بالدفء يا حورية الأجفان

وبعد فهل رأيت كيف استقبل الشاعر الكبير عبير الغرب ثم جعل منه أنساما عربية شرقية وموسيقى من الشعر الأصيل الرفيع كما هو شاعرنا دائما أصيل رفيع .

أفراح القبة قمة جديدة

اذا بلغ الكاتب قمته أصبحت مسئوليته مضاعفة أضعافا بقدر القمة التى صعد اليها والذى نقبله من أديب يبدأ أو أديب فى الطريق لا نقبله من أديب عملاق تسيد فنـه ٠

وهذه الحقيقـة يعرفها أستاذنـا نجيب محفوظ وان نظرة الى كل ما قدمه هذا الكاتب الشاهق تؤكد لنا انه لم يكرر نفسه فى أى عملية له على ضخامة ما قدمه وسعته وعلى عظم المساحـة التى شغلها من الروايـة العربيـة ٠

فهو اذا لم يجدد فى المضمون جدد فى الشكل ولهذا استطاع أن يظل دائما براقا جديدا يجذبك الى أعماله فى قوة آسرة مسيطرة ٠

والسر الذى يتخفى وراء هذا التجـدد أنـه دائم القراءة ٠ والقراءة للفنان تقدح عنده شرارة الابداع ٠ هذه واحـدة ٠

وأخرى أنه لا يمسك القلم الا وهو يعلم ماذا يريد ، غير متعجل على الانتاج غير حريص على أن يكتب لمجرد الكتابة وانما حرصه الوحيد أن يقول ما لم يقله من قبل وأن يجدد القول حين يقول ٠

وثالثة أنه ينسى حين يمسك القلم أنه نجيب محفوظ ولا يذكر الا أنه سادن صغير من سدنة الفن وأن الفن لا يعطى نفسه لمن لا يعطيه نفسه ٠

ونجيب وهب نفسه لفنه منذ بداياته الأولى ومازال حتى اليوم ـ أطال الله حياته ـ واهبا نفسه لفنه وللصدق مع نفسه فى هذا الفن ٠

وروايته الجديدة بالأهرام « أفراح القبة » تؤكد هذا الذى أذهب اليـه ٠

وقد بدأ نشر هذه الرواية بالأهرام وأنا فى أوروبا فلم أتمكن من متابعتها وحين عدت حدثنى عنها بعض القراء بين معجب شديد الأعجاب وبين قائل أنه لم يفهمها ٠

وانتظرت حتى أصبحت الرواية كتابا وقرأتها ٠

ولم أدهش من الذين أعجبوا بها كما لم أدهش من الذين قالوا انهم لم يفهموها ، أما أسباب الأعجاب فطبيعية وأنا ما أقدمت على ما أكتبه الآن

الا لأقدم هذا الأعجاب . أما الأسباب التى حالت بين القصة وبين من لم يفهمها فهى من الدلائل التى تؤكد صدق نجيب محفوظ مع نفسه ورفضه أن يتنازل عما يراه فنا رفيعا فى سبيل الوصول السريع الى أى قارىء . فهو يحترم قارئه ويطالبه أن يرتفع الى المستوى الرفيع من الفن فاذا لم يرتفع فنجيب عنه فى غنى حتى يبلغ القارىء الى المستوى الذى ينبغى أن يكون عليه قارىء الرواية السامقة الرفيعة لا الحواديت المسفة الرخيصة .

والمفتاح فى الشكل الجديد الذى اختاره نجيب بسيط كل البساطة . فالرواية تقدم عدة شخصيات يتحدث فيها كل شخص ويروى نفس الرواية من وجهة نظره والطريقة التى اختارها نجيب فى السرد جديدة كل الجدة وهى على بساطتها أوقعت القارىء المتعود على السرد المباشر العادى فى عدم الفهم . ولو أنعم القارىء النظر أو أجهد نفسه بعض الجهد لوجد أن الأمر لا يعدو أن الشخصية تسرد فقرة عن الحاضر وفى الفقرة التالية تستحضر أحداثا من الماضى على الطريقة التى يسميها السينمائيون الفلاش باك وحتى لا يعنف نجيب بالقارىء كان يضع فاصلا بين كل فقرتين وهو أمر قد لا يصنعه غيره من الذين يكتبون بطريقة السرد عن النفس على لسان المتحدث فقد تعودنا أن نضع الأحداث مع المنولوج الداخلى ونترك للقارىء أن يعرف السرد والمنولوج الداخلى من واقع الكلام نفسه .

ولو كان القراء الذين لم يفهموا من قراء الرواية العربية الرفيعة والرواية العالمية الجادة لما أستعصى عليهم الفهم .

أما الاعجاب فطبيعى . فقد استطاع نجيب بعبقريته الباذخة أن يجعل الرواية التى رواها مختلف أشخاص جديدة مع كل شخص يرويها . هذا من ناحية الشكل أما من ناحية المضمون فقد رسم لأول مرة – فيما قرأت – شخصيات تعيش فى العفن ولكل منهم مثالية رفيعة قد لا يبلغها المتأنقون من مدعى الأخلاق والمثل العليا .

وكل شخص من شخوص الرواية وضيع منحل سافل اذا روى عنه غيره حتى اذا قدم هو نفسه وجدناه رفيعا له مثله وله اخلاقياته ووجدنا ما يقع فيه من اللاأخلاقية مبررا تبريرا انسانيا مقنعا لكل انسان يؤمن بالفضيلة الحقة على شرط أن يكون انسانـا يغفر للانسان الذى يعرف الجميع أنه خطاء لأنه أدمى ولأنه ليس من الملائكة .

ونجد شخصية عباس التى تكاد تكون الشخصية المحورية شخصية رفيعة كل الرفعة ينتهى بها نجيب نهاية غاية فى الروعـة . فالشخصية

ونهايتها تقول ان آمالنا وعظمتنا وسر نجاحنا جميعا فى داخلنا نحن الذين نحيى هذه الأمال حتى وان أبى واقع حياتنا أن يمدنا بأسباب الأمل أو العظمة أو النجاح ٠

هنيئا لمصر بكاتبها العملاق نجيب محفوظ ومالى لا أقول هنيئا للعربية أن يكون من كتابها نجيب محفوظ ومرة أخرى يسعدنا أن ننحنى فى ساحته اكبارا واجلالا ٠

بين الأدب والدين والعلم

أقرأ كتابا لأستاذنا توفيق الحكيم • ولى مع أستاذنا الكبير ذكريات وذكريات • فقد نشأ جيلنا كله على أدبه • وأذكر أن قوة الأسر التى يسيطر بها على قارئه لا يدانيه فيها كاتب آخر حتى اننى كنت لا أطيق أن أترك الكتاب الذى أقرأه فترة ارتدائى ملابسى • فكنت أسند الكتاب الى ما يجعلنى أقرأه فى الدقائق القليلة التى أرتدى فيها هذه الملابس •

وربما ظن البعض ان هذا الأسر الذى يقع فيه قارىء توفيق الحكيم لا يكون الا فى المسرحيات والروايات التى كتبها ولكن العجيب أن هذا الظن غير صحيح فهو قادر أن يحيط بقارئه بنفس القوة فى كتب المقالات فالقارىء لها يجتذبه ذات التشويق الذى تجتذبه به المسرحية أو الرواية •

ولكن أعظم ما فى توفيق الحكيم انه قادر أن يقدح الشرارة فى ذهن القارىء والكتاب الذى أقرأه هذه الأيام لأستاذنا الكبير هو « نظرات فى الدين والثقافة والمجتمع » •

وقد وجدتنى وأنا أقرأ له فى الدين أفكر فى ظاهرة لم أفكر فيها من قبل أبدا •

فأولئك الذين يقولون ان الطبيعة هى الخالق قوم فاتهم أن يتعمقوا بنظرهم بعض الشىء فانهم اذا فعلوا لوجدوا ان هذه الطبيعة محكومة بيد عليا لا تستطيع منها فكاكا • فالطبيعة لا مشيئة لها وهيهات لمن لا مشيئة له أن يكون خالقا وانما قصارى ما يصبو اليه أن يكون مخلوقا •

فالطبيعة تقول ان الأيدروجين والأكسوجين يكونان ماء وهكذا تجرى جميع المعادلات الكيمائية • وهذه المعادلات جميعا لا يمكن أن تؤدى الى نتيجة أخرى غير ما أراد لها الخالق أن تؤدى اليه • فلا يمكن أن ينتج الأكسجين والأيدروجين ذهبا أو نحاسا • وهيهات أيضا الا يخرج الماء من العنصرين •

ولكن الله حين يقول انه يجعل من يشاء عقيما هنا نجد المشيئة ونجد أنها وحدها القادرة على أن تجعل من تشاء عقيما • فيجتمع الزوجان ولا ينجبان ويذهبان الى الأطباء فى شرق العالم وغربه ويقول الطب كلمته وهى كلمة متواضعة تعرف قدر العلم • ليس هناك ما يمنع من الانجاب •

اذن فلماذا لا يحدث الانجاب لأن هناك مشيئة عليـا تقدر ولا تسأل عما تفعل • فاذا مرت سنون وسنون انجب الزوجان ــ نفس الزوجين ــ دون أن يتغير فى بنـائهما شيء الا أن مشيئة الله ــ وهو الله وان رغمت كل الأنوف ــ أرادت فاذا ما كان ممتنعا يتاح ومن كان عقيما ينجب •

وقس على ذلك فى المطر • فقد قامت دول على أساس المطر ينزل فى مكان معين فى موسم معين فيكون الزرع والنماء وتكون الحياة • ولو أن الطبيعة هى صاحبة الأمر لتحتم نزول المطر فى مواقيته لا يختلف موعد عن موعد هنيهة من دقيقة • ولكن المشيئة العليا هنا تريد شيئا آخر ويمتنع المطر عن النزول عامـا ثم قد يليه عام آخر ثم تليه أعوام • ولـو كانت الطبيعة هى صاحبة الأمر لنزل المطر لأنها هى نفسها محكومة وليست حاكمة يراد ولا تستطيع أن تريد •

واقرأ فى كتاب أستاذنـا الحكيم ما نقله عن الفريـد كاستلر عالم الفيزياء الحائز على جائزة نوبل عن بحوثه فى المادة ومؤلف كتاب عنوانه « المادة هذا المجهول » • وهو مثل اينشتين من العلماء المؤمنين وقد قطع فى أبحاث المادة شوطا أبعد مما وصل اليه اينشتين لأنه انطلق فى مساره بعد المرحلة التى وقف عندها سلفه العظيم • يقول العالم العظيم العالمى « أننا كلما أوغلنا فى دراسة المادة أدركنا اننا لم نعرف عنها شيئا فهناك دائما وسوف يكون والى الأبد ما هو مخفى عنا » ويجيب أستاذنا الحكيم حين يسأله عن الصلة بين العلم والدين فيقول ان العلم ينتمى الى منطقة المعرفة التى تفسر الكون على أساس مبدأ السببية فى حين أن الدين يعتمد فى ادراك الكون على مبدأ الغاية • وهذان المبدأن يكمل أحدهما الآخر ولا يعارضه وبذلك يرى كاستلر انه لا تعارض بين العلم والدين • فهما طريقان لصلاح البشريـة وتقدم الانسان ولكن لكل منهما طريقـه الخاص • والخطأ فى التوفيق بينهما انما يأتى من مطالبـة الاثنين بالسير فى نفس الطريـق واستخدام نفس الطريقة فالطريقان مختلفان والغاية واحدة •• طريق العلم تمتد فيه قضبان حديدية تسير عليها قاطرة العقل البشرى وتظل هذه القاطرة تسير حتى تجد أمامها سدا منيعا من بحار لا نهاية لها وجبال لا نفاذ خلالها فتقف القاطرة العقلية عاجزة • أما طريق الدين فليس فيه قضبان ولا قاطرة • انما هو نور يملأ النفس ويشعرها بالوصول فى حضرة الله دون أن تراه •

أقرأ هذا جميعا وتاخذنى روعة الفكر المتسق عند عالم المادة العالمى وروعة التلقى عند أدبنا المفكر العملاق وتمتلىء نفسي خشوعا أمام جلال العلم وجلال الفكر وأفكر فى خالق هذا جميعه فأصبح وكل ما أفكر فيه

وكل ما قرأته هباءة هائمة فى نور الهى لا يشبهه شيء . فما نحن ... وما الحيـاة ... وما القمر الذى بلغوه ومشوا عليه .. وما الزهـرة وما المريخ .. وما الأرض .. هباءات جميعها فى ملكوته .. وان كانت هذه الأجرام الكبرى هباءات .. فما الانسان ... ماذلك الانسان الذى يظن انـه شيء ولو اجتمع هو والجن ليخلقوا جناح ذبابـة لعجزوا وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب كما هو هين ... حتى لا يستطيع أن يسترد ما اغتصبته منه ذبابة .... وأعجب فما هذا الكبر يلم ببعضهم حتى كأنهم خرقوا الأرض أو بلغوا الجبال طولا بل وأعجب . ما الأرض حتى وان خرقوها وما الجبال حتى وان بلغوا طولا هباء كله فى هباء .

وأرثى للملحدين وأرثى لمن سيدوا المادة وغفلوا الله .. انهم وحق الله هم المغفلون والغافلون وهم الأخسرون فى الدنيا والآخرة وهم لا يعلمون أو هم يعلمون لا يهم .

أرأيت كيف استطاع أستاذ أجيالنا أن يومض الى واليك بكثير من الأفكار .. ذلك هو الكاتب المتفرد العملاق المتعمق الأصيل وان لم يكن هكذا توفيق الحكيم فمن يكون ؟! .

من الموت حياة

أعود الى ذكراه لاتجف دموعى وما أظنها تجف · ولا تنفد مناقبه وهيهات لها ان تنفذ · فكلما يتجدد الحزن عليه تتجدد منه الحسنات والمناقب لا تفرغ ولا يقف بها عدد ولا هى تنتهى الى أمد ·

وما دمعة تذرفها فى كل عام · وقد ذرف هو أيام حياته لحظة بعد لحظة ليقف الى جانب وطن وليشد أزر صديق · وليكون فى الملمات عونا ، وفى الأحداث فارسا ، وفى الرجولة مثالا وفى الخلق الأسمى رمزا وعنوانا وعلما ·

وكشأنه أحس أن ما قدمه — على عظمته وروعته — لا يكفيه وان ما جاد به وان كان يكفى جملة رجال ليكونوا أبطالا الا انه غيث هين لا يغنيه فقدم دماءه جميعا قربانا للوطن · وأكاد أوقن ان قاتله حين هم بجرمه رأى على وجهه تلك الاسماح وكأنه يقول ان كنت تريد قتلى فافعل فما أهون أن يسيل دمى من أجل السلام ومن أجل مصر فأطلق القاتل موته واستشهد السباعى وما درى الضال ودرى السباعى الشهيد أن فى موته حياة للمجد والرجولة والبطولة والسلام ·

فمصر الزعيمة حبيب اليها أن تبذل دماء الأعزة من أبنائها فى الحرب، فينتصر الحق · وحبب اليها أن تبذل دماء الأحبة من أبنائها فى السلام فينتصر السلام ·

وأى عجيبة أن يبذل يوسف دماءه من أجل مصر وهو الذى أقام الهيئات الأدبية الكبرى فى مصر · وما الأدب فى الوطن ؟ أليس هو نبض الوطن ولسانه ورفعته تجرى عند حزن وعند هناء ·

أقام السباعى نادى القصة وجمعية الأدباء فـاذا تولى الوزارة تبنى قانون اتحاد الكتاب حتى صدر القانون وانتفض اتحاد الكتاب بناء شامخا منذ ولد ·

فهل جاءك يا أخى يوسف — بل لا شك جاءك — ان زعيم مصر المفدى وقائد حربها وسلامها ورخائها قد أصبح الرئيس الفخرى لاتحاد الكتاب ·

وهل جاءك يا أخى يوسف - بل لا شك جاءك - ان زعيم مصر المفدى وقائد حربها وسلامها ورخائها قد أتاح قصرا من أفخم قصور مصر ليكون مقرا لاتحاد الكتاب ٠

أخى يوسف :

لقد أصبح الرئيس السادات الذى يعتبره العالم أعظم زعيم فى عصره رئيسنا الفخرى وقد كرمنا بما منحنا من مكان كريم يتفق وعظمة الأدب ومكانته عند من يعرف قدر الثقافة والأدب فى الأمم ٠ وعند من يدرك أن الأمم لا تكون عظيمة الا اذا كان أدبها عظيما وكان أدباؤها موضع التكريم والاجلال من شعبها وسلطاتها فى وقت معا ٠

أخى يوسف ان نادى القصة وجمعية الأدباء واتحاد الكتاب هى اشراقة من بسمتك وشعاع من صفائك وقطرات عزيزة من نضح كفاحك ٠

وهذا التكريم من زعيم العصر ورئيسنا الفخرى تقدير للأدب يحمل القلم الشريف وتقدير لدمائك فى ساحة السلام الأمين ٠

أخى يوسف ألم أقل لك ان فى موت الشهداء والصديقين حياة أى حيـاة ٠

وأشهد أنك كنت فى حياتك نبضا كريما وحياة ٠ وأشهد أنك فى موتك خفق أفئدة من الحب وحياة أى حياة ٠

أخى يوسف ٠٠٠ الى اللقاء ٠

أمنـا يضحكـون ؟!

كتب محرر صغير فى جريدة كبرى انه ضحك كثيرا حين سمع ان صحفيا يريد أن يعيد الى الحياة المناقشات الأدبية التى كانت بين أعلام الأدب فى الثقافة والرسالة وأنا ذلك الصحفى الذى أضحك الصغار ٠

وقد بتر الرأى الذى قلته وبتر الرأى تدليس فقد أردت أن أعيد هذه المناقشات الى الحياة لأعرضها على الأدباء المعاصرين ويقولوا رأيهم فيها ٠
ولو أن هذا الصغير قرأ شيئا مما كتبت أو مما كتب عنى لعلم أننا نحن الذين نعيش عصرنا لا يعيشون عصرهم أو عصر غيرهم ٠

وأحمد الله يا بنى اننى أضحكتك فهذا خير من أن أجعلك تبكى على صحفيين فى الصفحات الأدبية لا يعرفون عن طه حسين الا انه صاحب مسلسل الأيام التليفزيونى ولا عن العقاد الا انه بطل رواية العملاق وعن توفيق الحكيم الا انه لا يقدم القهوة لزواره وعن نجيب محفوظ الا انـه يذهب الى الأهرام يوم الخميس ٠ ان شئت يا بنى فابك على هؤلاء ٠٠ فأنت على رأسهم ٠

الشعر ومجلس الأمن

وصل الى من الاسكندرية خطاب من شخص أعتبره أنا صديقا لى وقد كاد بخطابه أن يمزق أواصر الصداقة التى أكنها له . والصديق غاضب ساخط يصوب سخطه الى والى الصفحة فى لهجة لم أتعود أن أقبلها من الأعداء ولم يوجهها الى صديق من قبل وقد كنت خليقا أن أثور وأن أذكر اسمه وأن أرد العدوان بعدوان ولكن ما خير الصداقة ان لم تغفر البداوات وتستر الأخطاء وتصفح عند غيظ وتسمح عند ثورة .

وغضب الصديق مبعثه أن الصفحة الأدبية نشرت منذ أسابيع أبياتا بعضها مغتصب وبعضها مكسور والذى لاشك فيه اننى غير مخطىء فيما يتصل بالأبيات المغتصبة لأننى لا أدعى أننى قرأت كل شعر الشعراء فى جميع العصور والأزمان ولكن الذى لاشك فيه أيضا أننى مخطىء خطأ لا غفران له أننى نشرت شعرا مكسورا وليس يغفر لى أننى لست شاعرا بل ولا يغفر لى شىء على الاطلاق فأنا مسئول عن هذا الخطأ مسئولية لا أملك ازاءها الا الأسف والاعتذار والوعد بألا يتكرر هذا .

هذه واحدة أما الأخرى فهى ان الكاتب الصديق ذكر فى آخر خطابه أنه أرسل صورا من رسالته هذه الى كل المسئولين . والصديق كما وقع اسمه ضابط بالمعاش وحاصل على ليسانس الحقوق فهو اذن يحمل شهادتين عاليتين الأولى فى الفنون العسكرية والثانية فى القانون . وأنا أحمل شهادة القانون هذه وقد كنا تعلمنا ونحن ندرس القانون أن لا جريمة ولا عقوبة الا بنص فما النص الوارد فى قانون العقوبات الذى يمنع نشر شعر مكسور واذا كنت لجأت للمسئولين من أجل بضعة أبيات مكسورة فماذا أنت فاعل بقوم حطموا عمود الشعر العربى كله والغوا القافية وقضوا على موسيقى هذا الفن الخالد انى أستحلفك يا سيدى بشهادتيك ألا ترسل فى شأنهم خطابا الى مجلس الأمن .

يا سيدى لقد كنت ألوم الفتيان والصغار حين يرسلون الى خطاباتهم الغاضبة لأننى أصر على سلامة اللغة وكان لومى لهم يزداد وأنا أرى الأخطاء الاملائية والنحوية تملأ خطاباتهم ويريدون على رغم ذلك أن يكونوا أدباء . أما اليوم وبعد خطابك وأنت ذو الشهادتين وجاوزت المعاش أى تحوم حول

السمتين فلا لوم عليهم ولا تثريب فما دام الشيوخ يخرجون عن وقارهم فلا بأس على الفتيان أن يعبثوا بأقلامهم ٠

وبعد فما أحب أن يكون مقالى مجرد اجابة على خطاب مزقته وألقيت به حيث ينبغى له أن يلقى وانما أنتهز هذه الفرصة لأعرض للشعر الحديث الذى ورد ذكره فى حديثى هذا :

فالواقع اننى متهم أننى ضد الشعر الحديث جملة وتفصيلا وهذا اتهام بعيد كل البعد عن الحقيقة فالحقيقة عندى أن القصيدة المفردة فى الشعر الحديث غير مقبولة اذا هى كانت غزلا مثلا أو كانت وصفا أو كانت تهويمات فنية وانما اذا تناولت مسألة سياسية انقلبت — اذا كانت جيدة — الى مقالة حسنة الأسلوب ولكنها تفقد جمال الشعر وشموخه أما أن تكون غنائية فذلك هو المستحيل والمثل حاضر من قريب فقد غنت أعظم مطربة عرفها الغناء العربى لأعظم موسيقار عرفته الموسيقى العربية لشاعر من مشاهير الشعراء المحدثين قصيدة من الشعر الحديث فلم تفشل أغنية اجتمع لها مثل هؤلاء قدر فشل هذه الأغنية بل انها كانت أكثر فشلا من أية أغنية سمعها الناس ٠

انما يصلح الشعر الحديث ويكون فى قمته اذا أصبح لغة مسرحية ولهذا أعجب كل الاعجاب بمسرحيات عبد الرحمن الشرقاوي وصلاح عبد الصبور فالشعر الحديث فى المسرح يشيع نوعا من الموسيقى الخفية الهامسة ويجعل نغمة الحوار حبيبة الى النفس قريبة الى المشاهد تتخلج لها نفسه وتطرب واعتقد أن الشعر الحديث يلاقى نفس هذا النجاح اذا حاول شاعر حديث أن يكتب به ملحمة روائية ٠

ومن الطبيعى أن تنحسر التجربة فى الشعر الحديث عن مكسب جديد للأدب وما بقليل أن يصبح الشعر الحديث لغة مسرحية حبيبة أو أسلوبا ملحميا متميزا ٠

هذا الرأى أقوله فى كل مناسبة ومع ذلك فأنا متهم دائما اننى أقف وقفة المعارض للشعر الحديث جملة وتفصيلا وما على بأس لو فعلت فجمال الأدب انه يقبل كل الأداء وليس فيه مسلمات وما يرضى قارئا قد لا يرضى آخر ولولا اختلاف الأذواق هذا لانفرد كل جيل بشاعر واحد أو كاتب واحد وانما أثرى الأدب تعدد الأذواق فيه ٠٠ ألا ترى معى هذا الرأى ؟

بين الفخر والجخ

والفخر هو ما علمتم بدأ مع الشعر منذ بدأ الشعر أما الجخ فهى كلمة لا يجهلها أحد وهى فى القاموس تفيد نفس المعنى الذى نستعملها نحن له فى مألوف كلامنا • ومعنى موضوع اللفظين واحد الا أن الفرق بينهما شاسع • فالفخر فيما نعتقد لا يكون الا شعرا • وهو يقع من الأذن العربية ••• واعيد فأقول الأذن العربية لأننا نحن كتاب عرب وقراء عرب ولسنا كتابا من الانجليز ولا نحن كتابا فرنسيين • نحن كتاب عرب فالفخر يقع من أذاننا ومن نفوسنا موقعا جميلا حبيبا • فى حين نستقبل الجخ استقبالا كريها رافضا مستسخفين صاحبه مستخفين بقائله • فهو يقول لنا بجخه اننا مغفلون وان علينا أن نصدق جخه • وهو يقول أيضا ان حقيقته هزيلة تافهة شائهة فهو يحاول أن يكسبها بالجخ ما ليس لها ويحاول أن يكسو بالكذب لباب الواقع وما نعرفه نحن عنه من قيمة ان كان له قيمة وأغلب الأمر فى شأن الجخاخ انه غير ذى قيمة •

فحين يقول الشاعر العربى :

ترى الناس ان سرنا يسيرون خلفنا
وأن نحن أومأنا الى الناس وقفوا

نحب قوله ونسيغه ولو اننا نعلم أنه ليس صحيحا ولكننى فى الشعر لا أحقق فيما هو صحيح وما هو غير صحيح ولكننى فيما يروى لى الشخص عن نفسه لا أفعل شيئا سوى أن أتبين الحق من الجخ لان روايته لا تحمل أى عنصر جمالى آخر يجعلنى أغفر له جخه وحين يقول عمرو بن كلثوم :

الا لا يجهلن أحد علينا   فنجهل فوق جهل الجاهلينا
فانا نورد الرايات بيضا   ونصدرهن حمرا قد روينا
اذا بلغ الرضيع لنا فطاما   تخر له الجبابر ساجدينا

نقول له كذبت ولكن ما أعظمك ولكننا مع النفاج أو الجخاخ نقول له كذبت وما أتفهك •

وحين يقول شوقي الخالد :

وأنا الذى أرثى الشموس اذا هوت   فتعود سيرتها من الدوران .

وحين يقول :

لا ترومى غير شعرى موكبا   ان شعرى درجات الخالدين

كل فضل لم أصغه زائل   خالد الحمد بماصغت رهين

وحين يقول :

رب جار تلفتت مصر توليه   سؤال الكريم عن جيرانه

بعثتنى معزيا بمافى وطنى   أو مهنئا بلسانه

كان شعرى الغناء فى فرح الشرق   وكان العزاء فى أحزانه

وحين يقول :

وانى نواسى هذا الزمان   فمن للزمان باذن الرشيد

حين يقول هذا جميعه وغيره . وغيره كثير ننسى الحق وغير الحق ولا يبقى أمامنا الا هذه القمم الرفيعة من الأدب الشامخ .

ولكننا نرفض هذا جميعه ان قاله فى حديث صحفى أو حتى فى حديث شخصى ونرفضه ونبغضه اذا قاله فى مقال .

أثار هذا جميعا فى نفسى عدة أحاديث ومقالات رأيتها لكتاب وشعراء فى أيامنا الأخيرة هذه جنح كل منهم عن نفسه يزيده هوانا على الناس وعلى نفسه ما أعرفه ان الروائى يكتب الرواية والقصاص يكتب القصة والشاعر يكتب ما يكتبه من شعر والناقد ينقد غيره ثم يترك للناس بعد ذلك أن يحددوا مكانته وقيمة عمله . ولكن لا أدرى لماذا اختلطت الأمور وانماعت وأصبح كل من هب ودب يتكلم عن نفسه بدلا من أن يترك عمله يتكلم عنه ولعل أعجب هؤلاء كاتب لا يعرف العربية ولم يقدم عملا فنيا واحدا طاح فى صفحات الجرائد والكتب مصنفا الناس كما شاء مذهبه الشيوعى . وتطرفه غير الشيوعى وفرض نفسه على جيله واعتبر نفسه كاتبا من الكتاب .

ترى هل يظن أن أحدا سيصدقه ... ان أبسط سؤال يتجه اليه بموجب أى كتاب أو رواية أو قصة أو ديوان جعلت نفسك مع هؤلاء الكتاب وان كان لك فى كل ميدان من هذه الميادين تجربة واحدة أيتيح هذا لك ان تفرض نفسك كاتبا عربيا مع الكتاب العرب .

وآخر يقول انه وحيد ميدانه وزمانه ما سبق منه وما لحق وأن العالم كله لا يقرأ الا له ، ولا يعرف من كتاب مصر ، ولا العالم العربى الا هو حتى ليخيل لمن يقرأه انه اذا مشى فى شوارع لندن وباريس وروما وبرلين ستتجمع من حوله الجموع وتصبح السينما والاذاعة والتليفزيون ولا شغل لها الا الكاتب الجخاخ .

وآخر يقول فى حديث انه وحده فارس الميدان لمدة ربع قرن أو تزيد وأنه لا يشاركه فى روعته وعظمته أى مشارك .

ما هذا أيها الآلهة ماذا تركتم للقراء والنقاد أن يقولوا . وكيف وانتم ولم لا تتركون الناس والقراء يقدرون أعمالكم قدرها الحقيقى . وكيف ظننتم انكم بمثل هذا الذى تدعون تزيفون الحق وتمسخون التاريخ وتغيرون الواقع وهبكم نجحتم مع جيلنا هذا الذى نعيش فيه فخلقتم من أنفسكم هذه الأكاذيب فأين أنتم من التاريخ وأنتم جميعا تعلمون ان الفن تاريخ وأن التاريخ على مدى التاريخ قد يكذب فى الأحداث السياسية ولكنه لا يكذب فى الحكم على فنان قط أم أنتم أطفال تريدون أن تفرحوا بلعب فى أيديكم حتى وان أدركتم انها ليست لكم وانها ليست شيئا الا انها لعب لا أكثر بل ربما أقل .

أنتم بما تصنعون تشوهون وجه الأدب جميعه وتجعلون الناس يميلون عن الأدباء ويعتبرونهم فئة لا هم لها الا الأحاديث الفارغة عن نفسها، ويرى فى بعضهم الدعى فهو بعيد عن العربية كل البعد ومع ذلك يصر أن يفرض نفسه عليها فرضا وهو يعلم انه يعيش حياته فى داخلها وخارجها بعيدا كل البعد عن كل ما هو عربى بل كارها كل الكرة لكل ما هو عربى ..

وصدق الله العظيم حين يقول : « ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين » ولا يستطيع أحد أن يفهم القرآن الكريم أو لغة القرآن الا اذا كان ذا لسان عربى مبين ... وهيهات لغير العربى أن يفهم ومن الكوارث ان يحكم من لا يفهم .. والله حافظ لكتابه ولغته مهما يأفك الأفاكون سبحانه له وحده القوة والجبروت .

الثقافة الجاهلة

لعلك لم تقرأ فى حياتك عنوانا يجمع متناقضين مثلما يفعل هذا العنوان فالثقافة درجة من العلم عالية لا تقف عند حد التعرف أو القراءة وانما هى تعدوها الى الالمام الشامل بشتى مناحى الحياة الى جانب الاتقان العميق لجانب من جوانب المعرفة والمثقف درجة ينالها الانسان من المجتمع بعد أن يبذل فى حياته جهدا جهيدا وهو فى أغلب الأمر ينال هذه الدرجة من الناس فى شبه اجماع لا يؤثر فيه حقد فرد أو لجاجة سخيف أو تهجم وقح • وليس من الحتم أن يكون المثقف حاملا لدرجة علمية • بل ان كثيرا ممن يحملون هذه الدرجات يعتبرهم الناس من الجهلاء لانهم فى أغلب أمرهم يصرفون هممهم الى نيل هذه الدرجة لتكون هى فى ذاتها غاية جاهلين انها لا تزيد عن أن تكون وسيلة ليحمل صاحبها لقب مثقف من المجتمع • وأن يكون الانسان مثقفا أمر ليست فى ذاته غاية وانما هو وسيلة يتمكن بها صاحبها أن يقدم الانسان عن طريقها ارتفاعا بالانسانية وعلما بالحياة وتعمقا لمثلها العليا وصورة بينة المعالم للأمل الأسمى للحياة • فالمثقف الحق لا تعنيه الألقاب ولا يسعى لها ولا ينظر اليها • وانما أهدافه دائما شئ أعظم وأكبر وأكثر شموخا وتوشك جميعا أن تتمثل فى خير البشرية وسعادتها •

فالثقافة اذن معنى رفيع سامق لا يناله الا من يستحقه ولا يستحقه الا تلك القلة النادرة التى تهب حياتها لحياة الآخرين وهناءها لهناء البشرية وهكذا تجد أن من يبلغها يحتاج الى نفس غيرية لا تفكر فى نفسها وانما تفكر فى الجميع ثم لا يقف بها الأمر عند التفكير وانما هى تحترق لتكون ضياء وتشتعل لتكون اشراقا وتفنى لتكون للآخرين حياة •

والفن قبسة من هذه الثقافة ويستطيع أن يكون الفنان مرتاح النفس هانيء الضمير لانه بفنه يقدم للبشرية ما تعيش عليه البشرية • والفن نفسه جانب من جوانب الثقافة • وقد يتفوق عليها لانه يحمل تلك الشعلة الالهية • ومن الفنون ما يحتم أن يكون صاحبها مثقفا ومنها ما لا يحتاج الى هذه الثقافة أو هو على الأقل لا يحتاج الى تعمق كبير فى الثقافة ،

فالممثل مثلا لا يحتاج أن يكون واسع الثقافة وانما كل ما يحتاجه من الثقافة أن يدرك أن لكل جانب من جوانب فنه مختصا هو وحده الذى ينبغى أن يستشار وأن يكون رأيه فى تخصصه هو الرأى النهائى ٠

ولكن بعض الممثلين ولست أدرى لماذا ـ يصرون على أن يكونوا مثقفين ٠ واصرارهم وحده لا يكفى بطبيعة الحال فهم يحتاجون حتى يصلوا الى هذه المرتبة أن يقرأوا قراءة واسعة شاملة متعمقة فى فنهم وفى غير فنهم ٠ ولو انهم فعلوا ذلك لنضبت موارد المال التى تتساقط عليهم من كل فج وصوب وحدب ٠ فبعضهم يعمل فى أربعة أفلام سينمائية وثلاثة مسلسلات تليفزيونية وخمسة أعمال اذاعيــة فى وقت معا فكيف بربك تبقى لهم صبابة من وقت أو بقيــة من زمن ليحصلوا على لقب مثقف الذى يسعون اليــه جاهــدين ٠

وأترك هؤلاء وأنتقل الى قوم أصابوا من التعليم أقله ومن الجرأة أقصاها فاذا هم يتصدون لما لا يعرفون ليقال عنهــم انهم مثقفون وهؤلاء يسيرون فى الرمال التى تبتلع الانسان كلما أوغل فى خوضها ٠ جاء الى الأهــرام خطاب يهاجمنى فى ضراوة لاننى كتبت مقالا بعنــوان استبيان لبيان وهو يرى انه ليس هناك كلمة فى اللغة اسمها استبيان ٠ ولم أكن فى حاجة أن أرجــع الى القــاموس فانما استعملت الكلمة على القياس ٠ والقياس أساس من أسس اللغة ولو ان الكاتب على شىء يسير من المعرفة باللغة لاستبان حقيقة الكلمة فأنت حين تقول « استجواب » مثلا تعنى انك تطلب جوابا وحين تقول استفهام تطلب فهما وحين تقول استبيان فأنت تطلب بيانا والأمر يختلف كل الاختلاف عما أرادنى هذا المدعى للثقافة أن أقول فهو يرى ان اللفــظ الصحيح هو استبانــة ولو كنت استعملت هذا اللفظ لانقلب المعنى رأسا على عقب لاننى لو استبنت الأمر لما احتجت الى بيان ففعل استبان يدل على أن الانسان وصل الى حقيقة الأمر واستبانه أما أنا فقد أردت من الوزير السعودى الذى كتبت اليه المقال أن يكتب بيانا آخر ليشرح به بيانه الأول لاننى لم استبن الحقيقة من بيانه ٠

وهذا الكاتب انهال على بعد ذلك بألفاظ حداد أشكره عليها لاننى استبنت منها جانب الحياة الذى ينتمى اليه ثم هو يعجب منى كيف أطلب جائزة الدولة التقديرية وأنا أقول استبيان فهو يرى ان من يقول استبيان لا يجوز أن ينال جائزة الدولة التقديرية ولو كان على شىء من الثقافة لعلم اننى لم أطلب جائزة الدولة التقديرية ولا يجيز لى القانون أن أطلبها فلست أنا الذى أرشح نفسى لها ولا يرشحنى لها فرد وانما الترشيح ميسر لهيئات بذاتها مذكورة فى قانون الجائزة منها الجامعات وبعض الهيئات الأدبية

المذكورة فى القانون على سبيل الحصر لا المثال وقد رأت بعض الجامعات والهيئات أن من يقول استبيان يجوز له أن يحصل على هذه الجائزة ٠

أما ما أغضبنى حقا من صاحب هذا الخطاب أنه لم يذكر اسمه ٠ فأنا لست صاحب سلطان يخشاه وأصحاب السلطان اليوم تهاجمهم صحف المعارضة فى كل يوم ولا ينالهم أذى فحجب اسمه اذن لا يدل على شىء الا انه جبان بالسليقة يخاف من غير مخوف والا فماذا يضيره أن يصحح خطأ لفظيا وقع فيه أحد الكتاب وماذا يضيرنى أن أخطىء فى لفظ وأعظم كتاب العربية أحصيت لهم مئات من الأخطاء حتى لقد استقر الرأى أن بشار بن برد هو آخر الشعراء الذين يعتبر شعرهم مرجعا لغويا ٠

ونترك هذا الرعديد الى جماعة أخرى من مدعى الثقافة ٠ أولئك الذين تفجر المال عندهم بصور شتى وليس يكفيهم أن يقال عنهم أغنياء وانما يصرون أن يكونوا مثقفين وهم لا يملكون الوقت للتثقيف ٠

أولئك الراغبون فى لقب المثقف دون أن يسعوا اليه وجدوا الطريق مفتوحا أمامهم من قريب ٠

وهؤلاء البعض من الممثلين والأغنياء وجدوا أن أيسر طريق هو أن يدعوا الشيوعية وقد اختاروا فعلا أحسن طريق لما يتسابقون اليه فالشيوعيون ـ وأشهد ـ أعظم الناس قدرة على ترويج الأكاذيب والباس الباطل ثوب الحق وجعل الحمير آدميين والجهلاء مثقفين ٠

ولكن الله بحكمته الكبرى جعل الشعب دائما يستبين الحق من الباطل الصدق من الكذب والأصالة من التهويش ورحم الله شاعرنا عزيز أباظة حين يصف الشعب فى خالدته العباسة فيقول :

مشعود الشعب يا جعفر حق لا هوى فيه
يحس الحب والبغض فيجريه على فيه
له من وعيه الساذج مصباح فيهديه

بهذا المصباح الالهى يتكشف الشيوعيون ويبطل ربك ما يرجفون ٠٠ سبحانه وتعالى عما يأفكون ٠

القدح الظالم هو القمة

يرى كثير من الناس أنه ينبغى عليهم أن يهاجموا من استطاعوا أن ينالوا التقدير والاعجاب فى مناحى الحياة التى يعملون بها • ويرى هؤلاء الناس أن هجومهم هذا ينأى بهم عن أن يكونوا مثل سائر الناس • وأكثر الناس تعرضا لهذا النوع من الهجوم المفتعل هم أولئك الذين يعملون فى الحياة العامة مثل الأدباء والدعاة الدينيين وأهل الفكر •

وليس ببعيد عنا ما تعرض له أستاذنا وأستاذ أجيالنا الدكتور طه حسين من قوم حاولوا جهدهم ان ينالوا من صرحه أو يمسوا قلاعه الشامخة ممثلة فيما كتب من كتب وفيما كتب ـ « وشدد التاء » وأنت تقرأ ـ من كتاب ـ « وشدد التاء » مرة أخرى ـ فطه حسين عمود من أرفع الأعمدة ان لم يكن أرفعها التى قامت عليها أجيال نجيب محفوظ ومن تلاه من كتاب سواء كان هؤلاء الكتاب فى الرواية أو القصة أو النقد أو من أساتذة الجامعات •

وطه حسين عمود من أرفع الأعمدة ان لم يكن أرفعها التى قام عليها الأدب العربى الحديث وأنا من الذين يرون ان الأدب العربى الحديث تخرج على يد طه حسين •

ومع ذلك ربما الأجدر بى أن أقول ومن أجل هذا راح كثير من الصغار يتسلقون على صروحه ويناطحون قلاعه ويهاجمون جبروته فأثاروا ما أثاروا من تراب ولكن التراب مهما يكن شأنه لا يزيد على تراب ويبقى الصرح وتبقى القلاع كما هى لا تحتاج الى من يزيل عنها الغبار فهى نفسها تنفضه وتظل متألقة مشرقة وضاءة كأحجار الماس وأعراق الذهب •

ولقى توفيق الحكيم مثلما لقى طه حسين ولقى شوقى وعزيز أباظة مثلما لقى العملاقان ولقى أخرون وأخرون وبقى الأطواد ، وأما الزبد فقد ذهب جفاء ولم يزد على زبد • وأذكر بيت شوقى الخالد •

ان الجواهر أسناهـا وأكرمها ما يقذف المهد لا ما يقذف الزبد

والمهد هنا ليس السرير الذى يولد عليه الطفل وانما المهد هنا هو الأصالة والأصالة هنا ليست الأب والأم وانما هى الجهد والعرق وأخـذ الحياة مأخذ جد لا لهو ، وعمل لا لعب ، وكفاح لا هزل ، ثم هى قبل كل

هذا وبعد كل هذه الموهبة التى يكرم بها الله من يشاء وهو سبحانه لا يسأل عما يفعل وانما هو وحده الذى يختار من يهب له قبسته الالهية المعطاء ، ولأنه الله سبحانه ولأنه يعرف أين يهب قبسته يتلقف صاحب الموهبة موهبته فينميها ويتعهدها وهو فى سبيل ذلك يبذل من الجهد ما لا يتصور الاصاغر • بل هم يتوهمون ان المشاهير ناموا واستيقظوا فوجدوا أنفسهم مشاهير • ولو عاشروهم ولو صاحبوا حياتهم ولو عرفوا كم من الليالى سهروا والناس نيام وكم شقوا والناس لاهون وكم عنتوا والناس مرتاحون وكم جهدوا والناس مسترخون لو علموا ما غاضبوا المشاهير ولا غضبوا عليهم • وكم أعجب حين أسمع ذلك السؤال لماذا لا يتيح المشاهير الفرصة للشداة وأنا لا أعرف كيف يتيح المشاهير هذه الفرصة الا أن يكون المراد منهم ان يصمتوا ، وقد نسى السائل ان الصمت لن يفيد غير المشاهير لأن الناس تستطيع أن تسمع الجميع بشرط أن تجد شيئا تسمعه فسماعها للمشهور لن يمنعها أن تسمع غيره اذا وجدت عنده ما يستحق أن تسمعه •

وقد تعجب من هذا الحديث ماذا دفعنى اليه ولو قلت لك السبب لازددت عجبا • قد أثار هذا فى نفسى هجوم على الشيخ الجليل متولى الشعراوى • وقد قال المهاجم ان ما يقوله موجود فى كتب الفقه •

وأخذنى الدهش • أكنت تريده أن يؤلف قرانا جديدا • أم تريد أن يرفض كل التفاسير السابقة • وهل أدعى الرجل انه روائى • انه داعية اسلامى عميق النظرة واسع العلم ملم باللغة الماما قل ان يتوافر لغيره قادر على استخراج المعنى القرانى العميق ليجعله قريبا غاية القرب من كافة الناس ، ثم هو قبل كل هذا وبعد كل هذا صاحب موهبة خارقة فى اجتذاب السامع الى الاعجاز الالهى فى القرآن الكريم من كل جانب له سواء تمثل هذا الاعجاز فى اختيار اللفظ أو وقع الجملة أو منطقية الحكم أو عدل القانون الربانى أو الاحاطة الشاملة بالكون وهو الكون فى كتاب واحد •

هذه الموهبة اختص الله بها الشيخ الجليل وتعهدها هو بالعلم والقراءة والاستيعاب ورصد نفسه لله ولقرآنه ولأحكام الشريعة والدعوة فكان هذه الظاهرة التى لقيت هذا الاقبال من الناس بصورة منقطعة النظير •

وأصبح من الطبيعى أن يبدأ الهجوم عليه فأنا أعتبر أن بداية الهجوم هى البلوغ الى القمة وقد بلغها الشيخ لاشك فى ذلك •

وانى أهنئه بما سمعت من قدح فما هذا القدح الظالم الا الخاتم الذى يمهر شهادة القمة التى بلغها وهو بها خليق •

البلاغ والحساب

أيريد هؤلاء الصبية لمجرد أنهم أطلقوا لحاهم أن يغتصبوا لأنفسهم حقوقا لم يعطها الله سبحانه وتعالى لخاتم أنبيائه وامامهم المشفع عنده انه سبحانه يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب الآية ٤٠ من سورة الرعد أيريدون هم أن يكونوا الله والنبى فى وقت معا ٠ خسئوا فى الدنيا والآخرة وباءوا بخزى وعذاب شديد آراهم اليوم يتباكون على الحرية ويصيح من ورائهم الملحدون وتجار الحكم وبهلوانات البطولة والله يعلم ونحن نعلم بالعقول التى وهبها الله لنا أى حرية يريدون الحرية الوحيدة التى يطالبون بها هى حرية قلب نظام الحكم ٠

عجيبة أحرية هذه أم فوضى ٠ الى أى مصـــير يريدون أن يسرقوا مصر ٠٠ الى الشيوعية الملحدة أم الى الخومينية السفاحة أم الى الفوضى اللبنانية ٠

كره الله هذا والمرسلون ٠

المتعصـــبون من المسيحيين يعتدون أول ما يعتدون على مقدســـات المسيحية وعلى حياة اخوانهم المسيحيين الأمنين الذين يريدون أن يعيشوا حياتهم طيبة هادئة رضية فى رخاء وطمأنينة كما تعودوا أن يعيشوا ثلاثة عشر قرنا ونيفا ٠

والمتعصبون المسلمون يعتدون أول ما يعتدون على حياتنا نحن المسلمين ونحن نعـلم وهم لا يعلمون انه لو اجتمع الانس والجن على أن يجعلوا انسانا يؤمن ما استطاعوا فالايمان اشراقة فى القلب تنبع من داخله وهى صلة بين الانســان وربه لا سلطان لأحد عليها ولا يطلع عليها الا الله سبحانه وهو عليها رقيب وحسيب يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور الآية ١٨ من سورة غافر فماذا تريدنا عليه هذه الطغمة الباغية أفاذا لبسنا الجلباب وأطلقنا اللحى واعتدينا على أوطاننـا ومواطنينـا من المسلمين والمسيحيين أصبحنا مسلمين ؟! من أى مشروع دينى استباحوا لأنفسهم هذا الذى يستبيحون الا أن أحدا لا يجهل عن أى مصدر يصدرون ٠

فما هم الا أدوات تلهو بها زعاماتهم وما زعاماتهم الا بضاعة اشترتها دول تملأ قلوب حكامها السخيمة على مصر أو دولة ملحدة تريد أن تحرق شعوب العـالم أجمع لتمتص خيراتهـا وتغذى بها شعبها الذى أجاعته

الشيوعية كما يفعلون بدول حلف وارسو وغيرها من الدول التى التهموها بالصيحة الشرهة الجشعة السارقة يا عمال العالم اتحدوا • اتحدوا لتقدموا العالم هدية لروسيا السوفيتية •

واتحد اللصـــوص لا يجمع بينهم الا الرغبة فى السرقة •• اجتمع أقصى اليمين وأقصى اليسار ليبيعوا وطنهم للفتنة فيصبح هشيما حتى اذا اعتلوا عرشه المحترق جعلوا منـه ايران الخومينية وليذهب الشعب الى الجحيم •

الجماعات المتعصبة من الخومينيين والجماعات المتعصبة من المسيحيين والشيوعيين الذين ضبطوا متلبسين بالخيانة العظمى وبقايا الحزب الذى قضى على الديمقراطية قبل ٥٢ وبقايا الفئة التى قضت على الانسان فى مصر قبل ١٥ مايو •

شراذم لا اتفاق بينها الا قلب نظام الحكم وخراب مصر وتدميرها حتى اذا تولى الحكم قمعها تصاوتت الأبواق بكاء على الديمقراطية فما لنا لا نلقى نظرة الى أمريكا أكبر دولة ديمقراطية فى التاريخ ونراها فى أمسها القريب وقد فصل رئيسها بجرة قلم اثنى عشر ألف مراقب جوى فى الطيران لأنهم قرروا الاضراب فرأى رئيس الدولة ان فى قرارهم تهديدا لأمن الدولة فاستعمل حقه ولم يرجع الى الكونجرس ورجع الرئيس عندنا الى المجلسين التشريعيين ولم يكتف وانما رجع الى الشعب أجمع مصدر كل السلطات الذى يستطيع أن يغير الدستور اذا شاء لولا أن الأمر لم يكن محتاجا الى تغيير الدستور فيه وحده يستطيع رئيس الدولة ان يعيد الأمور الى نصابها وان يقر ما اهتز ويثبت ما تمايل والدساتير والديمقراطية ما هى الا وسائل لا غايات اذالم يكن الشعب مطمئنا فى ظلها فعليه ان يبحث عن أمنه حيثما كان هذا الأمن • ونحن والحمد لله واجدون أمننا فى دستورنا وما بنا حاجة الى تغييره أو العبث به وبه والحمد لله ضربنا الفتنة وجرى أمرنا رخاء وسارت سفينتنا أمانا بسم الله مجريها ومرسيها عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون •

دور المثقف يعرفه المثقف

من أعجب الأسئلة التى نتعثر بها فى طريقنا ذلك السؤال الهلامى « ما هو دور المثقفين فى الفترة القادمة ؟ » وكان الحياة أصبحت مسرحية تؤلف الأدوار فيها أسئلة وأجوبة ويقول قائل ويقوم بعد ذلك كل بدوره .

ولست ألوم فى ذلك السائلين فقد طغت عليهم فترة كان الأمر فيها كله بيد فرد أو قلة وكانوا جميعا شيوعيين فى تصرفهم حتى وان لم يكونوا كذلك فى مبادئهم فالمبدأ كان غائبا على أية حال شيوعيا كان أو كان غير ذلك وانما كانوا يبحثون عن الشعارات التى تتيح لهم مزيدا من الجبروت والتحكم والاعتساف والقسر .

لا صوت يعلو على صوت المعركة وليست هناك معركة .

يد تمسك السلاح ويد تبنى . وكانت هناك يد تمسك السلاح فعلا ولكن السلاح مشهر على الشعب لا من أجل الشعب وكانت هناك يد أخرى فعلا ولكن كانت للهدم لا للبناء وتخلف عنها هذا الخراب الشامل فى كل مرافق الحياة من ماء الى كهرباء الى تليفون الى مواصلات الى انعدام مساكن الى غلاء فاحش وحين تولى الزعيم الراحل السادات كانت التركة على أكتافه مثقلة فى الخارج والداخل معا .

ففى الخارج تتربص به آثار هزيمة منكرة حطمت التاريخ ودمرت النفوس وفى الداخل خراب فى القلوب والجيوب والحياة جميعا .

فقبل السادات اذن كان دور المثقفين واضحا لا سؤال بشأنه ولا استفسار . فهو الصمت المطبق أو الكتابة الرمزية التى لا تتاح الا للقصة ومن العسير ان تتاح للمسرح .

حتى اذا تم النصر وبدأنا نعود الى مصر فى داخل مصر طالعتنا الأهوال التى كنا عنها فى غيبة المغيبين وكيف كان لنا ان نفكر فى ماء أو كهرباء أو تليفون أو مواصلات ونحن شعب هزيم مطحون فى كرامته وشرفه وتاريخه وحاضره ومستقبله .

وحين بدأنا نصلح الداخل واجهتنا كارثة أشد عنتا وأكثر ايلاما . فقد تستطيع الدولة ان تصلح التليفونات وقد بلغت فى ذلك مدى ينبغى

لنا ان نحمده وقد تستطيع أن تواجه مظاهر الدمار الظاهرة الأخرى • ولكن الذى لا سبيل الى اصلاحه نفوس زاغ عنها الايمان بالله • ومن ابتعد عن الايمان بالله فهيهات له أن يعرف معنى الشرف أو الخلق أو الأمانة أو العفة •

فالوصول الى هذه النفوس هو العقبة الحقيقية التى واجهت السادات والتى تواجه اليوم مبارك •

والنصح هنا لا يجدى فالحلال بين والحرام بين وليس بين الناس من لا يعرف الفرق بين الطريق المستقيم والطريق الأعوج • ومصر جميعا تنتمى بدينها وعقيدتها الى كتب سماوية بينت الخير والشر ففصلت أو بينت فأجملت • والناس على امتداد الحياة بهم فى أغوار الزمن أصبحوا فى غير حاجة الى من يدلهم الى مواطن الشرف ومواطن الزلل •

فلا سبيل اذن للضلال الا ان تمتد للقانون يد تعاقب فتشتد فى المعاقبة ولا سبيل الا أن تنفذ هذه القوانين فان من أسوأ ما واجهناه قوانين مسنونة مشرعة منشـورة وتنفيذ قعيد كسيح لا يعمل فزاد الطين بلة واجتمع على مصر انعدام الأمانة وانعدام الشعور بالقانون • ولست أدرى وما أظن أحدا يدرى أيهما أشد وبالا •

وفى قمة هذا الفساد الروح الشيوعية • فالشيوعيون بحكم عقيدتهم ينفون وجود الله ويبيعون آخرتهم بدنياهم وقد تقاضوا ثمن دينهم أموالا تنسكب عليهم من روسيا وممن يلوذ بها • والذى يبيع دينه يبيع وطنه الذى هو أمه وأبوه ومراح أبنائه ومستقبلهم ومن يبع هؤلاء تصبح حياته بورا وفسادا •

وفى السؤال عن دور المثقف ملمح شيوعى •

فالدول الشيوعية وحدها هى التى تحدد الأدوار لكل فئة ومن يخرج عن دوره فمصيره القتل أو النفى أو التعذيب أو هى جميعا •

والا فمن يرسم للمثقف دوره ومن هذا الذى يملك ان يقول للمثقف عليك ان تفعل كذا وتمتنع عن كذا • الا ان يكون شيوعيا تقوم عقيدته على التحكم فى عباد الله والغاء الانسان من الانسان •

المثقف وحده هو الذى يعرف دوره •

والله وحده هو الذى يهديه سواء السبيل •

ما أبعد الثقافة عن اللافتات

جاءتني باحثة انجليزية منذ بضع سنوات وكانت تريد أن تجرى معى حوارا لأنها تكتب رسـالة جامعية عن الأدب العربى ٠ وعلى عادة المصريين وسذاجة الشراقوة دعوتها الى الغداء ورأيت من المناسب أن أدعو قريبا لى كل دراسته باللغة الانجليزية فهو يتقنها اتقانا ربما يفوق به أبناءها ٠

وجلسنا ثلاثتنا وسألت الباحثة عن كتاباتى ما حلا لها السؤال ثم بدأت نقاشها مع قريبى ذى الثقافة الانجليزية وراحت تحادثه عن طه حسين فيحدثها عن ديكنز ، فان حدثته عن توفيق الحكيم حدثها عن شو ، فان سألته عن العقاد أجابها عن لوك فاذا هى تنتفض فى غضب :

ـ سيدى لقد بدأت أدرس أدبكم بعد ان فرغت من دراسة أدبى أنا فكيف سمحت لنفسك يا سيدى ان تدرس أدبى أنا قبل أن تدرس أدبك أنت ٠ لو لم يكن لك أدب عظيم لعذرتك أما ولكم هـذا الأدب فلا عذر لكم ٠ وقريبى ذو حياء فخجل من نفسه وخجلت له ٠

ترى أنجد هذا الخجل على وجوه القائمين بشأن المسرح اليوم ٠ فقد كنت ـ والله ـ أعد نفسى لحديث غير هذا الحديث وموضـــوع غير هذا الموضوع فاذا بالراديو يفاجئنى فى الأمس بحديث طويل عن اتجاه النية فى المسرح المصرى ان يعرض مسرحيات شكسبير وموليير باللغة العربية البسيطة كما يقولون على مسرح من مسارح مصر العربية ٠

وانه لشىء عظيم ان يتجه المسرح اتجاهـا جادا ولكنه شىء مفجع ومحزن وأليم ومخز ان يبدأ بأدب غير أدبه ومسرح غير مسرحه ٠

ان النية فيما قال الراديو ان تسجل هذه المسرحيات للتليفزيون ترى هل يعى هؤلاء الذين يرفعون هذه اللافتات أى مهانة يلقون فيهـا بأدبهم ٠

أيها الأساتذة الأجلاء من رافعى اللافتات هل سجلتم روايات شوقى كلها للتليفزيون هل سجلتم روايات عزيز أباظة كلها للتليفزيون ٠٠ هذا ان شئتم شـعرا فان أردتم نثرا فهل سجلتم روايات توفيق الحـكيم كلها ٠٠٠ كلها ٠٠٠ كلها ٠٠٠ للتليفزيون وهل سجلتم روايات باكثير

كلها للتليفزيون فان لم تكونوا قد فعلتم وأنتم لم تفعلوا فما هذا العبث الذى تذيعون على الناس ·

ما أعظم أن نرى شكسبير ولكن بشرط واحد أن نكون قد رأينا شوقى جميعه وعزيز أباظة جميعه · الشعر صعب على الممثلين ولكن من قال ان الثقافة عبث ولافتات · ادفعوا للممثلين أجرا يرضيهم يصبح الصعب هينا لينا رضيا وما أروع ان نرى موليير بل وكورنى وراسين وميلر وغيرهم وكل من شئتم من أعلام الغرب ولكن ليس قبل أن نرى أعلامنا وروائعنا وان رغمت من الأنوف أنوف ·

وأخرى ··· ما مسألة اللغة المبسطة هذه ··· ما هذه اللهجة المضحكة ··· من قال لكم ان الشعب شكا من اللغة الحلوة · ان هذا الشعب الذى تغلب عليه الأمية ذو حساسية فى اللفظ الأدبى يندر ان يرقى اليها كثير من دعاة الثقافة وبهذه الحساسية الرهيفة أقبل على روايات شوقى وهو شوقى وعزيز وهو عزيز وأقبل على تراجم مطران لشكسبير وهما مطران وشكسبير · فما هذا الجهد والكبد والمال المبذول فى الترجمة وهذه المسرحيات ترجمها واحد من معالم الشعر العربى الحديث ·

ان كانت هناك لفظة صعبة أو تركيب عسير فما أيسر أن يسهل الصعب ويلين العسير فما ترجمها الشاعر الكبير شعرا وانما ترجمها بالنثر وما أطوع النثر فى الاستبدال والتغيير وما أعظم ثراء اللغة العربية وما أكثر المترادفات فيها ·

يا أيها الملأ من المسئولين لقد غشاكم من أيام الطغيان ظلل اللافتات المرفوعة على الهواء والشعارات الهلامية المشهرة على فراغ وليست الثقافة ولن تكون لافتات وشعارات · وانما هى جهد وبحث وعناء لتكون متعة وزادا وغناء ·

أنا لن أخاف ولن أرتعد اذا أطلقتم فى الهواء أسماء شكسبير وموليير · ولن يخاف أحد ولن يرتعد ان يعارضكم ويصيح بكم ملتم عن الحق فعودوا وتركتم الطريق فاستقيموا ·

وان كان نطق شكسبير وموليير وراسين وكورنى وبرنارد شووابسن يعزف فى قلوبكم وعلى ألسنتكم نغما تهفو له نفوسكم وترتاح له أفئدتكم انكم صرتم مثقفين فجربوا المتنبى والبحترى وشيخ المعرة وأبا تمام وشوقى

وعزيز وتوفيق الحكيم وعلى باكثير ربما استجابت لهذه الأسماء قوميتكم واستقام بها لسانكم . وان كان لابد ان تذكروا الأسماء الغربية وتمثلوا رواياتها فمازجوا على الأقل بين مصر العربية والغربيين ممازجة العادلين لا الظالمين . والمقسطين لا القاسطين وسـلام عليكم فى المثقفين المتفرنجين ولا أقول الهازلين .

هيكل وجيل التحدى

عميد من أعظم أعمدة الأدب فى العصر الحديث وصاحب أعظم كتاب للسيرة والتاريخ الاسلامى · لقى ربه منذ ربع قرن راضيا عنده مرضيا · فسلام عليه فى الخالدين ·

كان جيل التحدى ذلك الجيل · ولد فى بداية الاحتلال وشب والأرض الطاهرة يحاول الأجنبى ان يعتدى على أقداسها وأدرك أبناء ذلك الجيل العملاق ان حرب المحتل لا سلاح لها الا الثقافة واندلع هذا الجيل العجيب يحمل مشاعل الأدب والعلم والخلق السامق والأباء المترفع والتواضع الواثق ·

ويقف هيكل علما شامخا من أعلام هذا الجيل فيجيد العربية اجادة كبار الأدباء وينال الليسانس باللغة الانجليزية والدكتوراه باللغة الفرنسية ·

ولا يذهب هذا العلم سدى · فهو أول من يدخل الرواية العالمية الى الأدب العربى ·

ويرأس تحرير جريدة السياسة فينتشل الصحف من الأوراق الصفراء الى الأوراق المشرقة البيضاء وتنتفض السياسة علامة طريق فى تاريخ الصحافة العالمية وبفضل هيكل وأبناء جيله يصبح اسم من يعمل فى الصحافة صحفيا وليس جورنالجى ولا غازتجى كما كان الأتراك يقولون ·

وبفضل السياسة وجيلها يصبح لقب الصحفى شرفا يهفو الى الحصول عليه أكبر رجال الدولة وأرفعهم شأنا ·

ونلقى اليوم على ساحة الصحافة نظرة فاذا عمالقتها أبناء السياسة أو أحفادها ·

وينظر الى التاريخ الاسلامى فيجد مؤرخيه قد أهملوا ما هاجمهم به كتاب الغرب فيتصدى لهم تصدى العالم الجليل ويسمعه حياة محمد أعظم

كتب السيرة فى العصر الحديث والقديم جميعا • ويدخل يوما الى جمع جلس فيه الامام الأكبر فى ذلك الحين فاذا هو يقول له على أعلى صوت غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر • ويترجم الكتاب الى لغات العالم ويظل حتى يومنا هذا وأغلب الظن انه سيبقى أبد الدهر من أعظم ان لم يكن أعظم ما كتب فى التاريخ الاســـلامى الخالد وبجانبه كتبه الرائعة الأخرى أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب ومنزل الوحى •

وأخطو السنوات الى يوم تنتهى الحرب العالمية العظمى وتنشأ هيئة الأمم ويذهب وفد برلمانى يمثل مصر فى المجتمع الدولى ويرأس الوفد الدكتور محمد حسين هيكل باشا وبين أعضاء الوفد عمى فكرى أباظة ويعود الوفد ويكتب فكرى أباظة ويقول لى ان أعضاء الوفود هناك قالوا له ابلغ دولتك ان رئيس وفدكم لا يشرف مصر وحدها ولا الشرق العربى وحده وانما يشرف الدول النامية فى العالم أجمع •

وأقفز الزمان ويصبح الدكتور هيكل مرشحا لرئاسة الوزارة بحكم المنطق وروح الدستور ولكن رئاسة الوزارة تتخطاه ويحس الملك انه تجنى على حق الرجل فيقول له « ان تكن أخطاتك فى هذه المرة فهى آتية اليك فى مرة قادمة » •

وينتفض الكاتب الذى يعرف قيمه القلم الخالد الذى أقسم به الله وهو الله جل وعلا وتقدست أسماؤه ويقول للملك فى اباء « اننى حين أجلس الى كرسى مكتبى وأمسك قلمى تصغر كراسى الوظائف جميعها فى نظرى » وكأنما أراد ان يقول له حتى عرش ملكك •

وتأتى الثورة وتحاكم العهد ويستدعى الدكتور هيكل فى مظنة ان الخصومة بينه وبين الوفد ستجعله يتناول سكرتير عام الوفد فؤاد سراج الدين بما يقوله خصم عن خصم واذا بهيكل الانسان الشامخ يلقى على التاريخ درسا فى الخلق وفى شرف الخصومة ويقول للمحاكمين ان فؤاد سراج الدين من أعظم البرلمانيين الذين وقفوا على منبرى البرلمان وتقف مصر جميعا رافعة الرأس ان بين زعمائها رجلا مثل هذا الرجل •

ألم أقل انه جيل التحدى •• تحدى الزمن بالخلق الأشم وتحدى المحتل بالعلم الواثق والفن الرفيع وتحدى الفناء بالخلود الى ان يرث الله الأرض ومن عليها •• فلن نقول جيل مضى رحمه الله وانما نقول جيل خلد أبقاه الله •

الكلمة ثقــة

ليس عجيبا ان يفقد الجيل ثقته بالصحافة وبالاعلام فقد مرت مصر مع الصحافة بفترة لم يعرف العالم لها مثيلا كان ذاك يوم دأبت الصحافة لفترة طويلة من حياة شباب اليوم على ان تعمى الحقائق وتنحرف بها عن الصدق والأمانة • ولسنا ننسى ما حدث عام ١٩٥٦ فى الاعتداء الثلاثى حين ظللنا ننتصر فى الصحف احتفلنا بيوم جلاء العدو عن أرضنا فكان ذلك أول نصر فى التاريخ ينتج عنه احتلال المهزوم لأرض المنتصر •

وكان نتيجة ذلك النصر العجيب الشأن أن احتل العدو شرم الشيخ وظل أمر احتلاله خافيا عن الشعب المصرى وحده حتى أعلن حكم ذلك الزمان احتلالها عام ١٩٦٧ وكانت الحرب •

وفى هذه الحرب رحنا ننتصر وننتصر حتى أعلن رئيس الجمهورية الأسبق تنحيه عن الحكم بسبب النكسة • والشباب يشهد ذلك فينفصل عن الصحافة انفصالا تاما ويصبح الصادق من أخبارها بمنأى عن اقناعه •

وفى عام ١٩٧٣ كانت الصحافة قريبة من الصدق فى بياناتها أو ان شئنا الحق كانت البيانات العسكرية أمينة غاية الأمانة صادقة كل الصدق ولكن هذا لم يمنع صحفيا بذاته ان يمتشق القلم ويحاول بكل جهده ان يمزق انتصارنا الحقيقى الوحيد فى العصر الحديث • فقبل الحرب كان يكتب عن استحالة العبور استحالة لا يطيق تخطيها الملائكة والجن جميعا — فقد أعلن الصحفى نفسه أنه لا يؤمن بالله — فحين تمكن من العبور جنود مصر بروح من الله وتأييد من سمائه انهال الصحفى على النصر تمزيقا وطفق يعظم من شأن الثغرة ويشيد بخطورتها حتى اننا لو جرينا وراءه وصدقناه لأصبح أول نصر للعالم العربى فى التاريخ القريب هزيمة منكرة شنعاء • وما هذا بغريب عليه ولا بعجيب منه فهو المحامى الأول عن الهزائم التى تمثلت فى اليمن وفى ٥٦ وفى ٦٧ وهو المدافع عنها الرافع من شأنها • ومن يدافع عن الهزيمة من الطبيعى أن يهون من النصر •

ويرى الشباب هذا ويحتار ويصيبه الدوار •• أين الحق فيما يرى ويسمع وأين الباطل • ولا شك أن هذه الأمثلة وحدها كافية فى ذاتها ودلالة على ان الصحافة لم تنهج النهج الذى يجعل أمرهـا مصدقا عند الشباب •

فاذا نسينا الحرب ما قيل فيها من حق وباطل ونظرنا الى بيانات الوزراء والمسئولين نجدها جميعا أو أغلبها على الأقل تعد ولا تفى وتفتح الآمال حتى اذا أمها الناس وجدوا سرابا خادعا لمع فانطفأ وتوهج فأظلم وأشرق فأغطش ليله وأدلهم .

وليس أسوأ عند الناس والشباب منهم خاصة من سراب خدع ولمعة كذبت واشراقة خلفت يأسا .

فالشباب يقبل على الحياة اقبالة المصدق . نفسه نور وروحه شعاع وقلبه وهج . فاذا لقيته الحياة ومن هم على قمتها بالمخادعة وبالأمل القتيل وبالكذب الصريح تخاذلت عزماته ووهنت خطاه وخبا نوره وانطمس شعاعه وانطفأ منه الوهج .

ولا أستطيع أن أرفع التبعة عن الصحافة فى هذا المضمار فقد أرى الصحفى يتعجل الخبر فينشره نيئا عبيطا لم يستقر به النبأ ولم تتأكد منه الأسباب . وقد أرى الصحفى يختلق الخبر اذا لم يجده وتلك أدهى وأمر .

بينما أعتقد ان واجب الصحفى الا يكتفى بتصريح الوزير أو المسئول اذا أصدره وانما عليه ان يصل من هذا التصريح الى أصله الأصيل والى منبعه . والى منبعه الأبعد ويمتنع عن نشره ما دام غير مطمئن اليه كل الاطمئنان .

وأخرى . أصبحت لغة الصحافة دعوة فى ذاتها الى الانحدار بالكلمة الى قاع من الجهل سحيق . فالجملة ان لم تحمل خطأ نحويا حملته فى اللغة أو فى المتن . ويقرأ الشباب ما يقرأون ويعجبون ومن حقهم ان يعجبوا فلماذا لا ينشر لهم اذن ويكتبون وهو مهما يكن سقيما تافها أكثر بريقا وحياة من موات الكلام الذى تكتب به الصحف .

ورابعة وليست أخيرة قد نرى تقافز الصحفى الواحد من أقصى اليمين الى أقصى اليسار وهو فى تقافزه لا يرعى حياء ولا يدخر صراخا ولا يقنى هتافا . وسقوط الحياء كريه والصراخ فى ذاته مقبول والهتاف دائما ذميم . والكلمة ثقة والكاتب شرف فاذا غشى الثقة نفاق واذا شاب شرف الكاتب زيف فالكلمة لن تجد الا أذنا صماء أو أذنا رافضة .

ونقلب الصحيفة فنجد الأدب فيها ضامرا يستخفى فى خجل وراء الخبر أو الاعلان أو تجد الأدب الغث تنشره الصداقة لا التقدير وتبادل المنفعة بين من يكتب ومن ينشر بلا اعمال فيه لذوق أو دربة أو علم بالفن الأدبى وقد يكون القائم على هذا الباب أبعد ما يكون عنه أو قد يكون فى

بعض الأحيان شاديا يتلمس الطريق الى الطريق وقد تصيب خطاه مرة ولكنها فى كثير من الأحيان تضل ·

وقد نجد صفحة دينية « فاذا هى تخاطب المؤمنين » · والمؤمنون لا يحتاجون الى حديث لهم فهم بايمانهم بالغون من دينهم ما يشاءون أن يبلغوا ، وأولى بالصفحة الدينية ثم أولى ان تناقش الالحاد وتعرض لنظرياته فى علم عقلى وايمان روحى معا · فان الصفحة الدينية اذا خاطبت العقل والروح بلغت من أمرها ما ينبغى ان تبلغ ·

فاذا انتقلنا الى العلوم وهى شتى وجدنا العلم منزويا مستخزيا وهو عملاق العصر وظاهرته الأولى ولكننا لا نجد الجريدة تنشر الا عن مصباح يضىء وينطفىء ويغمز بعينيه ويتلاعب بأشعته ومثل هذا الهذر يسقط بالعلم عن عرشه الى حضيض الجهل وأكاذيب الاعلانات ·

وليس يصح عندى ان ترضى الصحيفة اليومية حاجات للقارىء وانما الصحيح ان تقدم للقارىء الجديد فى العلم وان تصبح بين يديه دليلا للمراجع العلمية الكبرى لمن شاء من القراء ان يتوسع ·

أما مصيبة المصائب فى الصحف فهو الفن · هيهات ان تجد نقدا فنيا شريفا لفيلم أو مسرحية أو تليفزيون وانما طغى على الفن الصداقات فهى اعلانات مدفوع أجرها فى أغلب الأحيان الى المشرف على الصفحة الفنية وليس الى الجريدة ·

ويعرف الناس الحقائق فالصحافة صحف منشورة على الناس ، والناس لا تنخدع لفترة طويلة ثم سرعان ما يستبين لها الحق فى قدرة منها روحية عجيبة تبلغ بها الى الحقيقة مهما تبالغ الحقيقة فى الاستخفاء ورحم الله عزيز أباظة حين قال على لسان الرشيد فى رائعته العباسة ·

شعور الشعب يا جعفر حق لا هوى فيه
يميز بوحى فطرته عداه من محبيه
له من وعيه الساذج مصباح فيهديه

وفى أنفسكم أفلا تبصرون

سمعت ندوة فى الاذاعة المصرية منذ قريب فسمعت عجبا . تصدى للحديث من لا أذكر اسمه ولكننى عرفت من كلماته انه رجل ملحد . وقد راح يبين كيف خلق الكون وأسند وأنت تقرأ الخلق للمجهول فهو لا يعترف بالله وانما يقول ان غازات سماها خرجت من أشياء سماها ثم أنشأت الأرض وأنشأت الشمس والنجوم وشرح النظرية المادية بأكملها فى ثقة لا تتأتى الا لفاجر غافل عن أبسط سؤال يمكن ان نتوجه به اليه - نحن المؤمنين - أكنت هناك وشهدت ما تدعى . فانه من العجيب أن يرفض الملحدون الغيبية فى حين تقوم نظريتهم المادية جميعا على الغيبية .

وقد قال فى الحوار الاذاعى قائل على رسلك يا أستاذ فان كثيرا من الناس مؤمنون ونفوسهم مطمئنة الى هذا الايمان مرتاحة اليه فاذا هو يقول فى اصرار لا يكفى ان يكونوا مرتاحين فانه لا يجوز لهم أن يرتاحوا هم الى ايمانهم بينما العالم كله يتقدم فى العلم ويسبقنا ونتعثر نحن ونستنيم لراحتنا الموهومة هذه . وكأن الملحد قد قرر أن جميع العلماء ملحدون ونسى أو أراد أن ينسى أن أعظم دولة فى العالم بل فى التاريخ قد بلغت من العلم ما لم تبلغه دولة أخرى ومع ذلك فهى تكتب على عملتها الرسمية بالله نحن نثق أو بالله نحن نؤمن أيا ما شئت فاختر . فأمريكا أذن مطمئنة الى الايمان وهى مع طمأنينتها وارتياحها الايمانى تسبق العالم كله فى عملها . ولو أمعن هذا الملحد المفكر ولو أمعن النظر لوجد ان العلم أعظم طريق الى الايمان ولنضرب الأمثال للعالم الملحد ... ان المعادلات الكيماوية لا يمكن أن تتخلف نتائجها فتلك هى خصائصها التى ركبت بها وهى لا تملك من أمر نفسها حرية ان تتفاعل أو لا تتفاعل ولكن الظواهر التى تتصل بالسماء تتدخل فيها مشيئة لم يعرف الملحدون ولا يستطيعون ان يعرفوا مأتاها ونعرف نحن المؤمنين سرها ونؤمن به ونثق .

فالمطر الذى يغدق فى وقت معين معلوم يحتجب ويجف ولا يهمى فى هذا الوقت المعلوم ثم قد تمر به سنوات وهو ممتنع عن النزول تماما لو انه ظاهرة كيماوية لا دخل للمشيئة بها لما استطاعت ان يتخلف . ومثل أكثر قوة . لو ان الطبيعة هى التى تخلق لأصبح من المحتم ان ينجب المتزوجان بعد تسعة أشهر من زواجهما ما دام كل من الزوجين سليما

ولكن أى سر يجعل انجابهما يتأخر سنوات أو يمتنع تماما الا أن تكون هناك مشيئة عندنا الله وهى عند الملحدين حيرة ووجوم ·

والملحدون يعرفون أن البذرة والأرض والماء تعنى وجود نبات ولكن أى سر فى هذه الأرض الجدباء وفى تلك البذرة الجافة المتخشبة ينتفض فاذا هو نبات حى يصعد فى كل يوم الى السماء حتى يأتى أكله ويصبح ثمرا وفى الثمر بذرته وفى البذرة موت ثم حيـاة فهو اذن خلق وموت ونشور ما سر الحياة فى البذرة · انت يا أيها العالم الجاهل لا تدرى ولا تستطيع أن تدرى وقبل هذا جميعا نحن نعرف تطور الحياة من النطفة الى الانسان وهو تطور عرفه العلماء قريبا وذكره القرآن منذ ألف وأربعمائة سنة ولكن هل عرف الانسان كيف بدأ الموت يدب فيه منذ ميلاده حتى نهاية حياته · لقد عرف العلماء ظاهرة الحياة ولكن لم يصلوا الى حقيقة الروح قط وما أظنهم يصلون أبدا · وقد شهدت مناقشة فى التليفزيون الفرنسى بين الكاتب الفرنسى الأشهر جورج سيمنون وبين عالم ملحـد شيوعى فكان أول سؤال سأله جورج سيمنون لرفيق حديثه ماذا تقول عن الروح فبهت الذى كفر ·

ان هذا العالم الذى تعالم فى الاذاعة استطاع فى جهل مطبق أن يذكر الظواهر وعجز فى جهل أشد ان يدلنا على سر هذه الظواهر ما الذى جعل البذرة تحيا وكيف تعاونت كل ظواهر الحياة من ماء الى شمس الى ظلام الى حرور الى برد الى دفء لتوجد هذا النبات آخر الأمر وكيف تتدخل مشيئة هى عندنا مشيئة الله عندما تريد فتزيد من وقدة الحر فتميت النبات أو تزيد من وقدة البرد فتقتل الزرع ·· أما فكر المتعالم كيف أو لماذا ··· هيهات أن يجد جوابا ·

وبعد فالعالم حتى يكون عالما لابد أن يقرأ كل ما قيل حول علمه · فاذا كان هذا المتعالم الذى سمعته فى الاذاعة قد قرأ فى الطبيعة وفى خلق الكون وفى الكيمياء وفى كل ما هو بعيد عن الايمان أليس من حقى ان أسأله هل قرأت القرآن · وان كنت قرأته هل فهمته وتعمقت معانيه فان لم تكن فكيف تعارض ما لا تعرف وان كنت ففسر قوله تعالى وفى أنفسكم أفلا تبصرون ·

ان استطعت فأنت عالم وان لم ولن تستطيع فتعلم وآمن وسألتك بحق أدميتك ان كنت آدميا ان تصمت ··· أصمت ·

المقـــالات

١٩٨٢

كتاب جليل عن سيد المرسلين
صلى الله عليه وسلم

أما الكتاب فاسمه « سيرة النبى العربى » وأما المؤلف فهو الأستاذ الكبير أحمد التاجى وليس عجيبا أن يصدر هذا الكتاب الجليل المتمكن ولا يذكره أحد فالكتاب مشغولون فى غير شغل والنقاد من علماء الأدب وعلماء الدين يتركون ما ينبغى ان يرصدوا له جهدهم من خدمة العلم وابتغاء الآخرة الى خدمة المال ونشدان الدنيا فأصبحوا يبيعون دينهم بالمال ويشترون الفانية بالباقية والدنيا بالعليا ٠

ولولا أن الله سبحانه وتعالى يتيح لأمثال هذا المؤلف أن يخرجوا علينا من حين لآخر بمثل هذا الجهد الرائع لتولى اليأس نفوسنا ولحبطت آمالنا وخاب فالنا ٠ لا علينا ولنتجه معا خاشعين الى سيرة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام فنجد فى الصفحات الأولى من الكتاب عجبا ٠

أما المقدمة فهى بقلم الامام الأكبر السابق الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود وهى مقدمة كريمة تدل على أن مولانا الامام قرأ الكتاب بامعان وأمانة شأنه رحمه الله فى كل ما كان يتصدى له ٠

فاذا مضينا مع الكتاب قدما وجدنا الأستاذ يعرض فى المقدمة لقضايا احتسبها الناس والمؤرخون مسلمات حتى قل من بينهم من تعمق الحق فيها أو أنعم النظر ٠

فنجده يقول مثلا « جاء فى بعض كتب السيرة أن خديجة أم المؤمنين قالت للنبى صلى الله عليه وسلم عقب وفاة ولدها القاسم :

ــ درت لبينه القاسم فلو كان عاش حتى يستكمل رضاعته لهان فقده على ٠

فقال عليه الصلاة والسلام ٠

ــ ان له مرضعا فى الجنة تكمل رضاعته ٠

قالت :

ــ لو أعلم ذلك لهان فراقه على ٠

قــال :

– لو شئت أسمعتك صوته فى الجنة .

قالت :

– بل أصدق الله ورسوله .

ويعلق الأستاذ أحمد التاجى على ذلك قائلا :

ويعرف قراء السيرة حق المعرفة أن القاسم توفى قبل أن يبعث محمد رسولا فليس من المعقول أن ينسب الى النبى صلى الله عليه وسلم هذا الحديث .

ما دام الحديث قد صح عندهم باسناده فالأرجح أن يكون قد قاله فى شأن ولده عبد الله الملقب بالطاهر وبالطيب وقد أنجبته بعد البعثة ولم يقله فى القاسم كما رووه .

وهنا أحب أن أسأل الأستاذ الجليل سؤالا يلح على : لماذا هـذا التقديس الخائف من رواة الأحاديث . ان هذا الحديث مثلا قد جاء بالاسناد عن القاسم . وليس عن عبد الله أليس الأكثر منطقا أن يكون واحد من رواة هذا الحديث قد ألفه وأخذه عنه الآخرون فى غير تفكير .

ولقد رأيتك يا سيدى الأستاذ جريئا غاية الجرأة فى مناقضة أمور هى فى ذاتها أهم ألف مرة من مثل هذا الحديث الذى شككتنا أنت فى صحته .

ولأنقل عن كتابك نقلا :

« تذكر روايات السيرة المشهورة أيضا فى شأن رضاعة النبى أن المراضع التى وفدت الى مكة كانت زاهدة محمد الطفل اليتيم لفقره . ولم تأخذه حليمة الا لأنها تأخرت عن قومها ولم تجد غيره . وخشيت ان رجعت بدونه أن تعيرها النساء . ويذكر هؤلاء الرواة أنفسهم أن محمدا كان حينئذ فى كفالة جده عبد المطلب سيد مكة وأن عبد المطلب لم يكن فقيرا فقد افتدى ولده عبد الله قبل مولد محمد بعام بمائة من الابل قدمها قربانا فأكل منها الناس فى الوادى والوحوش فى الجبال . وفى عام مولد محمد وهو عام الفيل كانت له العديد من الابل ترعى فى وديان مكة فاستولى عليها أبرهة وكان بينه وبين عبد المطلب حوار . ويذكرون أيضا أنه حين مات عبد المطلب كفنه أولاده فى حلل ثمنها ألف مثقال من الذهب . ووجدت له ديون بمبالغ طائلة على تجار اليمن . فكيف يكون رجل هذا شأنه فى حياته وبعد مماته ثم تزهد المراضع فى الغلام الذى يكفله سيد مكة وتزعم أنه فقير . ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فقيرا ولم يكن أى نبى فقيرا .. فالفقر مذلة وما بعث نبى الا فى عز ومنعه من قومه .

أى يختاره ربه من سادة المجتمع وأوساطهم ليكون فى حياتهم انظر قول قوم شعيب لنبيهم « ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز قال يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله ... » سورة هود الآيتان ٩١ ــ ٩٢ .

ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فقيرا بمعنى انه معدم . والفرق كبير بين الفقر وبين الذى يجد ثم يزهد فى متاع الحياة ليحصل على جزاء أعظم عند الله والأنبياء من هذا القبيل ، وربما جاء هذا الفهم الخاطىء من جهلهم لمعنى قوله تعالى « ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى » سورة الضحى الآيتان ٧ ــ ٨ .

فالضلال هنا الحيرة التى اعترت النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وقد كان يخلو الى نفسه فى حراء . ويتساءل : أين ربى ؟ وكيف أصل اليه ؟ وما دين ابراهيم الذى يتلمسه الحنفاء من العرب وأمثال ذلك .

كان فقيرا الى من يأخذ بيده ويهديه الى الحق فهو فقير الى المعرفة بالله . فأنقذه الله من حيرته وعرفه بربه وأغناه عن سواه وبهذا من الله عليه فى سورة الضحى والله هو المنان . فلم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فقيرا بمعنى أنه كان قليل المال فكثر الله ماله كما يفهم المفسرون السطحيون ولهذا نقرر أن النبى لم يكن فقره قلة مال . ولم تزهد فيه المراضع كما تزعم كتب السيرة وكل ما قصته من نسج خيال القصاصين ظانين أنهم بذلك يستدرون عطف السامعين والنبى فى غنى عن ذلك » .

وبهذا انتهى النص الذى حرصت أن أنقله بحرفه فقد واجه به المؤلف فى جراءة نادرة المثال أمرا تكاد تجمع عليه كتب السيرة ان لم تكن قد أجمعت فعلا .

وبعد سيدى الأستاذ فهيهات أن أستطيع أن أسير معك فى الطريق المشرق الذى سرت فيه مصاحبا لسيرة النور الذى بعثه الله للناس رحمة وبشرى وهدى وحمله أعظم رسالة عرفتها البشرية وكل ما أستطيع قبل جهدك الباذخ الشريف أن أدعو الله أن يثيبك على قدر جهدك وعلى قدر اخلاصك وصدقك فى حمل أمانة القلم وانه سبحانه لمجيب وهو من قال عن رسوله : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » سورة التوبة الآية ١٢٨ وصدق الله العظيم .

وبعد مرة أخرى فما لنا وقد بدأنا عامنا الميلادى الجديد بمولد سيد المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام ألا ندعو لشعب مصر جميعا الذى يشهد فى هذه الأيام الأعياد بمولد الرسولين أن يكون اقتران الموعدين بشريات تصبح حقائق فى عامه الجديد وما لنا الا نتوجه الى الله القدير فى علياء سمائه وفى رفيع ملكوته ان يسبغ علينا من لدنه رحمة وأمنا وسعادة ورخاء وهناءة وبشرا وما لنا الا تكون آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ؟! ..

لكل طريق أمد

عجيب أمرنا نحن النـاس • تطغى علينا هذه الأنا فلا نمل قولها وليس يعنينا أن تبلغ مسمعا وقلوبا أو لا تبلغ وانما المهم أن نقولها ونحس حلاوة نطقها ورنينها فى آذاننا نحن ولتكن بعد ذلك طنينا كريه الوقع فى كل أذن ثقيل الوطء على كل المشاعر •

ترى المتحدث من هؤلاء وقد زاغت عيناه وتغشاه خمار من النشوة وتلبسته رغبة فى الحديث قاصفة هادرة حتى ليتفجر متحدثا عن نفسه وأمجاده وقد نزلت على عينيه أستار تحرمه أن يرى ان كان يتحدث الى من يريد أن يسمع أو من يريد أن ينصرف •• لا يهم •• المهم أن يمضى هو فى الحـديث قدما فى عزمة عارمة آخذة •• ولا يهم أيضا ان كان ما يقوله حقا أو كذبا ولا يهم أيضا ان كان سامعه يصدق ما يقول أو يسخر منه ••• المهم فقط أن يقول •

وكما تتغشى الأستاذ عينيه تتغشى عقله فلا يفرق بين المعقول أو غير المعقول وما يقال وما لا يقال وما يسوغ وما لا يسوغ •

فهذا الصنف من الناس تتلبسه الأنا فتحرمه من تقدير ذكاء الآخرين وشر أنواع الغباء ذلك الغباء الذى يستهين بذكاء الناس • بينما الحقيقة أن الناس هم الذكاء المحض فبالعقل وبالعقل وحده فضلوا العالمين وبه وبه وحده كرمهم الله وجعلهم ســـادة خلقه • فالناس كمجموع سرعان ما يتبينون الحق ويصلون من الأمور التى فواصلها وأصولها • لا يلفتهم عن الحق ادعاء ولا عن اللب خداع ولا عن الأصل عارض • وان تسربلوا بعد وصولهم الى الحقيقة بالصمت وان داروا التصريح بالسكوت • فقد يكون الصمت منهم انتظارا أو تقية •• انتظارا لخير قد يقع بعد شر أو تقية من ظالم يتقون عسفه ويضعون بينهم وبين جبروته وفاء من السكوت وادعاء من الجهل •

وقد يصمت الصامت منهم عن حياء • ويستغل المتحدثون عن أنفسهم هذا الحياء فيوسعون سامعيهم حديثا غثا كريها ان كان صادقا ، أو تافها شائها أخرق ان كان كذبا •

وشر هؤلاء الناس من يجلس فى منصب يحس انه لم يخلق له أو من يجلس فى كرسى يحس انه أوسع من حجمه جنبات وأعظم منه شأنا فهو فيه فأر فى مجلس أسد أو بعوضة على غصن نسر ٠

ويل للناس منه يومذاك ٠ فترى الفأر يزأر كما يزأر الأسد فاذا حديثه مصدر سخرية واذا صراخه لهاث جريح فى حشرجة ميت ٠ أو ترى البعوضة صاتت كصوت نسر فاذا صوتها زن وصفير منقطع يقع فى الطريق قبل أن يصل الى أذن ويتعثر عند زنها لا يكاد يبرحه ٠

ما ضر لو قال الناس حين يعرض عليهم ما لا يتقنون اصرفونا عما نجهل الى ما نعلم وعما لا نحسن الى ما نتقن ٠ ولكن هذا فى ذاته يحتاج الى قدر من الذكاء لو كان يملكه ما أصبح جاهلا ولا لبس لبس الأسد وهو فأر ولا لبس أجنحة النسر وهو بعوضة ٠

فالخطأ اذن ليس خطأه وانما خطأ من اختاره فان من يختار للناس عليه أن يتأنى ويتأمل ويمعن الفكر وينعم النظر حتى يصبح اختياره أقرب ما يكون الى السلامة ان لم يبلغ السلامة كلها ٠

وقد شهدنا فى فترات سابقة أطفالا كثيرين جلسوا فى مقاعد الرجال وما دروا عن أصول مجالسهم شيئا فانهارت بهم كراسيهم ٠ وأصبحوا وهم جلوس على الأرض ولا هم لهم الا ان يتحدثوا عن أمجادهم وكفاءتهم وعظمتهم فى جلستهم على كراسيهم وخيل لهم الوهم انهم ما زالوا على هذه الكراسى جالسين وزاد الوهم من شططهم فتهيأ لهم ان الناس لا ترى الحقيقة من أنهم أصبحوا هم ومقاعد كراسيهم حطاما على الأرض وان الكراسى أصبحت بلا قوائم ٠

وعجيب أمر الناس ٠ بين المشاهدين آخرون رأوا عاقبة من يتصدى لما لا يعرف ومن يدعى علما بما يجهل ومع ذلك يسعون جدهم الى كراسى لا صلة بين علمها وعلمهم أو جهلهم اذا شئت الحق ٠ لم يأخذوا العبرة ممن يتحدث عن عرش أمجاده وكيف انه ارتفع به الى السماء وهو على الأرض قعيد وعرشه معا ٠

وربما كان المدعى مخطئا وربما كان الساعى الى كرسى يجهل أموره مخطئا أيضا ولكن خطأهم يغفر له ان الانسان لا يعرف قدر نفسه أما خطأ من يثبته على الكرسى ويرتفع به اليـــه فهو لا يغتفر ٠٠ لا يغفره حتى

ما يعرفه أسوياء الناس عن الناس من ان الانسان ان كان جبارا متسلطا لا يحب من معاونيه الا طاعة الخدم ورأى العبيد وموافقة الاذلاء • وما هكذا يكون العلماء الذين يقدرون جلال علمهم • ولا هكذا يكون الانســان ذو الكرامة الذى يستطيع ان يتصدر من عمل مكان الرئاسة والمسئولية •

وقد عانت مصر فى أيام القهر الجدباء من سوء الاختيار حتى أصبح قاعدة توشك أن تكون بلا استثناء ومرت الأيام بنا بطاء من القهر قاتمة الظلام من الظلم وتهاوى أصحاب العروش عن عروشهم وقيض الله لمصر حاكما انسانا كانت تغلب عليه انسـانيته حتى قتله وحوش ورعى الله كنانته وأدركها برئيسنا مبارك ان شاء الله واختار ونحن اليوم ننظر نتائج اختياره فان يكن قد أصاب فهذا ما نأمل وان لم فلا بأس عليه فهو لا يزال يفتتح عهده ومعرفة الرجال تحتاج الى كثير من الوقت وكثير من الجهد ولن يمضى طويل زمن حتى يصل الى ما يرجوه وما يرجو الرجل الا خير مصر •••• مصر فقط مصر بجميعها لا متحيفا الى فئة ولا متحيز الى جماعة •

ولكن تغيير بعض وزراء لا يحسم من الأمور ما ينبغى أن ينحسم ولن يصل بمؤسساتنا الى ما يخلق بها ان تصل اليه ••• انما لكل شىء موقته ولكل طريق أمد ينتهى اليه ولكل انتظار غاية والله من فوق الجميع هو الموفق والكاشف عن البصر فهو حديد •

يمدحون القاتل والقتيل

عجيب شأن بعض الكتاب يتمدحون بالحرية ويتغنون بها فاذا غاب منها شعاع أو خبا منها ومض بكوا عليها فى حسرة وصراخ وأنين وحزن وهم فى نفس الوقت وبالقلم ذاته يشيدون بقاتليها ويتغنون بخانقيها ويهتفون صارخين بحياة مدمريها ٠

كيف يستطيعون وتستطيع أقلامهم أن تهتف فى وقت واحد وفى صوت لم يتغير بالقاتل والقتيل وبالذابح والذبيح وبالسفاح والمسفوح دمه وبالسفاك وبمن سفكت مياه حياته ٠

كيف تخرج الكلمة الواحدة من أفواههم فينصرف نصفها الى البكاء على الحرية وينصرف النصف الآخر الى الهتاف باسم من قضى عليها ٠

كيف يكون حرا من يرفع اسم السفاحين شعارا أولئك الذين أجهزوا على الحياة فى الحياة وعلى الكرامة فى الانسان وعلى العرض من الرجال والنساء ٠

كيف يكون حرا ويهتف باسم القتله ٠٠ قتلة الحياة وقتلة الأعراض وقتلة الكرامة ٠

وما الانسان ان لم يكن عرضا وكرامة ٠ وكيف يكون انسانا من يمس هذين فكيف به وقد قضى عليهما بجبروت السلاح وطغيان الحاكم وعنفوان التفرد ٠

فكيف وهو لم يأت الا بالهزائم يتلو بعضها بعضا ٠

ان معنى الانتصار ان يشعر أبناء الدولة بالكرامة ٠ بذلوا الدم فعادوا بالشرف وقدموا الحياة فأبوا بالفخار ٠ فاذا محق عنهم الشرف بالاعتداء على كرامتهم فلا فخار لهم ولا عزة ولا انتصار فكيف اذا اجتمعت عليهم الهزيمة والعار وفقدان الكرامة ومحق الانسان فى داخلهم ٠

ان الكاتب هو صوت الحرية منذ عرفت الحرية ٠

وعجيب أن يشوب صوت الكاتب عن انطلاقات الحرية شائب ٠ فهو لا شك يدرى أى صوت نكير يمكن أن يصدر عنه اذا كان هتافا بحياة السفاحين والقتلة والذين عذبوا الحياة وأهدروا كرامة البشرية واعتدوا على أرفع ما وهب الله للانسان عقله وكرامته ٠

ان يكن هذا الصوت يرتفع اعتذارا عن ماض لهم كانوا هم فيه سدنة الظلم ورافعى راياته والمؤيدين لأياديه الفراسة المخضبة بدماء الكرامة والانسانية والحياة فما أبأس موقفهم بالأمس وما أهون دفاعهم عن أنفسهم اليوم · أيحسبون أنهم بما يكتبون يخادعون الناس ··· هيهات أو يحسبون أنهم يخادعون أنفسهم ·· ألف هيهات ··· انها مرتكسة عليهم جاثمة بذنوبها على ضمائرهم تؤرقهم فى نهار وتقض منهم كل مضجع بليل ولا خلاص لهم وان كتبوا مئات المقالات ولن تزيدهم كتابتهم الا خسارا ·

وانى اليوم بهذا الذى أكتبه أصيح بهم هونا ما فان كان صوتكم بالأمس نكيرا فهو اليوم أشد نكرا وان كان بالأمس ناشزا عن الحرية فهو اليوم نافر عن الحياة فبعض هذا الذى تفعلون بالناس وبعض هذا الذى تفعلون بأنفسكم فانى أخشى ان يصيب الناس مما تكتبون رعب وقد كفاهم ما كانوا فيه من رعب وأخشى أن يحس العالم المتحضر حسيس جهنم التى تعودون بذكرياتها المشئومة فيهرب القادم الينا وينصرف المقبل علينا وينفض عنا ما اجتمع من حب واكبار واجلال · فلا تبددوا فى جمجمة قلم عناء سنين ودماء شهداء أتوا لنا بالنصر بعد الهزيمة وبالسلام بعد الحروب ·

خففوا عن شعوبكم لعل الله يخفف عنكم يوم القيامة أم أنتم بالقيامة لا توقنون ·

وما أدراك ما الانضباط

دخل أبى الى حجرة مكتبى وأنا طالب فوجد على المكتبة لافتة من كلام الله عز وجل مكتوب عليها « رب زدنى علما » فسألنى فى ابتسامة ٠

ـ ما هذه ؟

ـ قلت لافتة ٠

ـ اليس من الطبيعى ان تذاكر علمك بدلا من أن تضع لافتة تدعو الله فيها ان يزيدك علما ٠

ـ ولم أجد اجابة لهذا المنطق القاطع ٠ وأصبحت منذ ذلك العهد العهيد أكره اللافتات أشد ما يكون الكره وخاصة حين تكون مرفوعة على فـــراغ ٠

وقد تكاثرت علينا اللافتات منذ عام ٥٢ بصورة كانت مبشرة بما يقرب التأكيد بما أصابنا عام ١٩٥٦ ثم ازدادت اللافتات وزاد الصراخ والتهليل مما كان لابد أن يؤدى الى هزيمة ٦٧ التاريخية ٠

وأذكر ولعلك ذاكر معى ما بدأ فى عام ٥٢ و ٥٣ باسبوع الشجرة ٠ واسبوع البيضة واسبوع الدجاجة ثم هيئة التحرير ثم الاتحاد الاشتراكى ثم الحرية للشعب ولا حرية لأعداء الشعب ثم ارفع رأسك يا أخى ولو كان الشعار صادقا لأكمله صاحبه أرفع رأسك يا أخى لأقطعها ٠ ثم يد تبنى ويد تحمل الســلاح ثم اتضح أن اليد التى تبنى تسرق والأخرى التى تحمل السلاح تقتل به الشعب وأذكر يا أخى الميثاق وأذكر ٣٠ مارس وأذكر وهيهات لك الذكرى وأين لنا أن نجمع حصاد ربع قرن فى بضعة أسطر ٠

لكل هذا تولانى الخوف حين ارتفع شعار الانضباط ٠ واذا بالاذاعة كلهـــا تنتفض ٠٠٠٠ الانضـــباط ٠٠ والتليفزيون ٠٠٠ الانضـــباط ٠٠ والصحافة ٠٠٠ الانضباط ٠٠٠ اللجان الشعبية ٠٠٠ الانضباط ٠٠٠

وويل للانضباط من الانضباط ٠

كان يصيبنى الدوار كلما وضع المذيع مسجلة أمامى وكمم فمى بالميكرفون وسأل .. الانضباط .. والصحفيون يقبلون على الواحد وراء الآخر ويخرجون قلمهم وورقهم .. والانضباط .

أدركت منذ بدأ هذا الزياط ان الانضباط لن يتجاوز الهواء فمادام بدأ بالصراخ فما من سبيل له أن يكون عملا . وكنت أصيح فى الميكرفون وفى الصحف وفى اللجان ، سوف نستنفد طاقة الانضباط فى الحديث لا العمل ، وفى الهتاف لا التنفيذ .

واليوم وقد مر على المولد الانضباطى بضعة أشهر أين هو ؟

اليك مشاهداتى :

فى مصلحة حكومية يصدر الوزير أمرا مكتوبا الى موظفيه فيرفضون تنفيذه فهل هناك انضباط فى تحطيم القوانين مثل هذا ؟

وأخرى . اسكن فى شارع عزيز أباظة بالزمالك وهذا الشارع ممنوع الدخول فيه الا للقادم من شارع ٢٦ يولية ومنهذا الشارع أدلف الى بيتى كل يوم . ولم يحدث أن استطعت يوما أن أذهب الى بيتى دون أن أواجه سيارات ولا أقول سيارة قادمة من الجهة الممنوعة متحدية فى جرأة لا يطيقها صاحب الحق . والأدهى من ذلك والألعن اننى فوجئت يوما بسيارة نصف نقل تواجهنى فى الشارع ولكن المصيبة أنها كانت سيارة شرطة يقودها شرطى وبجانبه ضابط .. لم أطق وقفت بحيث أجعلها تقف مرغمة وصحت .. أشرطة ؟ وتخالفون المرور ... واستخزى الضابط فصمت وتقولون انضباط .. اذا كان الضابط بلا انضباط فمن يكون ؟ وقال الضابط تلك الكلمة المصرية العريقة « معلهش يا بيه » وطبعا كان لابد أن ينعم على بالبكوية فمن يستطيع أن ينتقد ضابطا الا أن يكون بيكا على الأقل . ولكن بربك قل لى بمن نستجير ؟ اذا كان من سيجيرنا هو نفسه الذى يحطم القانون .

قد يكون الأمر فى ظاهره هينا ولكنه فى دلالته خطير ممعن فى الخطورة .

ويمسى بى المساء ويكلمنى واسيلى سراندينوس كهربائى السيارات الذى أعامله منذ خمسة وثلاثين عاما .

ــ أريد أن أراك .

ــ أنا تحت أمرك .

ــ هل آتى اليك ؟

ــ بل أتى أنا اليك .

وذهبت اليه فهذه أول مرة يندبنى الى شىء يهمه وقد عشت طوال هذه السنوات أقصد اليه أنا لينقذ ما فسد من سيارتى • أليس من الطبيعى أن أقصد اليه وقد فسد فى شئون حياته ما فسد !

وقدم لى واسيلى برقية كتبها له ولسكان بيته محام يدافع عنهم الجبروت والهول متمثلا فى رجل يملك قطعة أرض فى العقار رقم ٩ عطفة أبو جبل شارع الشيخ معروف ويبنيها والى هنا لا غبار عليه الا أنه يبنى أيضا فى غير ملكه ويحاول أن يغلق المنافذ على سكان المنزل رقم ٢٠ شارع شامبليون • وجرى السكان الى القسم وراحوا يكتبون المحاضر حتى صدر الأمر بايقاف البناء • ولو وقف الأمر على ذلك ما تناولت هذا الموضوع اطلاقا فبغيض الى أن أسمع جانبا واحدا وأبغض الى ان أتناول أمرا القضاء هو صاحب الحق فيه •

ولكن العجيب حقا ان يصدر الأمر بالايقاف ويعين حارس ليحافظ على هـذا الأمر ومع ذلك يستمر المغتصب فى البنـاء وبغير ترخيص من المحافظة التى توقفت عن اصدار التراخيص لهذه المنطقة المرشحة للازالة • ولكن الرجل ماض فى البناء • بربك كيف يمكن ان يطمئن الناس فى حياتهم اذا ضاع تنفيذ القانون بهذه الصورة ؟

موظفون يرفضون تنفيذ أمر الوزير •

ضابط يخالف المرور بسيارة الشرطة •

مواطن يحطم أوامر شرطة المرافق ومحافظ العاصمة •

أهى فوضى أم انضباط •• ؟

واذا كانت هذه مشاهداتى أنا وحدى وأنا رجل أملك أن ألجأ الى الرأى العام بهذا الذى أكتبه فماذا عند الناس ولا يجدون منفذا له أن يقال أو يعلن ؟

أدركوا الانضباط •• فان الأمر جد ليس فيه هزل فالحكم يقوم أول ما يقوم على تنفيذ القانون • فان القانون يظل ورقا حتى يسعى بين الناس وينفذ فيعيش ، أو هو غير قائم •

ستار متهرىء

لا يطيق الانسان ان يرى الناس الا بما ركبت عليه نفسه وخاصة اذا كانت نفسه هذه خبيثة المنطوى لئيمة الغاية ، نفيعة المتجه ٠

فصاحب هذه النفس يلعن الآخرين ، ويلتهم حقوقهم ، ويستغل ما أتيح له ٠٠٠ كل ما أتيح له لينال ما يدفعه اليه شره ٠

فان يكن ذا سلطان استغل سلطانه لنفعه ونفع اله وذويه ومن يمتون اليه بآصرة نسب أو قرب أو صداقة ٠ أو هو مستغل ذلك السلطان الوبيل ليقتسم النفع مع من مكنه منه وأذكر الآية الشريفة ولو ان من يفعل هذا لا يعترف بالقرآن الكريم ولا بالاسلام ولا بأى دين فان من يعرف دينا أى دين حق معرفته لا يميل مع الهوى ولا يسرق ولا يرشو ولا يرتشى وانما أذكر الآية ليعرف من لا يعرف ان الله لم يفرط فى الكتاب من شىء ٠٠ حتى الرشوة ذكرها ذكرا مفصلا فى اعجاز لا يتأتى الا له سبحانه وتقدست أسماؤه يقول عز من قائل فى الآية ١٨٨ من سورة البقرة « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » يا سبحانه الله ٠٠٠ فى الفاظ قليلة عرف الرشوة وحددها ٠ فانه لا يعطى الحاكم مالا الا من يريد أن يأكل ما ليس له بحق ثم هو جل وعلا يختم الآية بقوله وأنتم تعلمون ٠٠٠ فهو هنا يدخل الى سريرة الناس ويحذرهم ان تخادع نفوسهم نفوسهم فيتوهموا ان ما يقدمونه للحاكم هدية بريئة ٠٠٠ لا ٠٠ لا تصدقوا خداع وهمكم ٠٠٠ أنتم تعلمون انها ليست هدية وانما هى الرشوة وأنتم تعلمون وان موهت لكم نفوسكم غير هذا ٠ وصاحب السلطان المرتشى أو صاحب الحاجة الراشى لا يتصوران ان بين الناس شريفا ٠ فان رأوا الشريف رأى العين وانقطعت بها مسالك السبل أن يتسقطوا له خيانة ذمة ، أو مظنة هوى ، راحوا يبحثون عن أسباب شرف الشريف ، ولا يدخل فى حسبانهم قط انه يمكن ان يكون الانسان شريفا لأنه شريف ولأن ضميره نقى ٠ ولأن الأصل هو الشرف والسرقة هى الاستثناء ٠ فمثل هذا ان خالج مشاعرهم نفوه عنها ونفضوه ورفضوا فى اصرار وعناء وتصميم ٠ فاذا أعيتهم الحيل وأقفلت من دونهم أبواب المنطق وجدوا راحة نفوسهم المريضة فى أن يصموا الشريف بأنه عبيط أهبل لا يعرف الدنيا ٠ يضيق على نفسه وعلى الناس لأنه ضامر التفكير ضيق الأفق ٠

هذا الصنف من الناس كارثة على نفسه وعلى أسرته وعلى وطنه ...

هو كارثة على نفسه لأن البيت الذى قاله زهير بن أبى سلمى خالد لا يخلف الزمان صدقه مهما يطل به الزمان .

ومهمـا تكن عند امرىء من خليقة وان خالهـا تخفى على الناس تعلم

وأما انه وبال على أسرته فلأنه يطعمها السحت ويقوتهم المال الحرام وينشىء أبناءه على خراب الضمير وانعدام الخلق وسقوط المروءة .

وينشـأ ناشىء الفتيـان منـا على ما كـان عـوده أبـوه

وأما انه خزى لوطنه وعار له وعليه فلأنه يفشى فى عمله وفى أهله الخلق المتهرىء ويهدم المثل السوى ويصبح شرنبراس لمن يحيط به من أفراد . وما الأمة الا مجموعة أفراد والشر يسرى بينهم سريان النار فى الهشيم فطريق الشر معبد ميسور وان تكن نهايته دمار وانهيار . وصدق رسول الله عليه الصلاة والسلام حين يقول : الجنة حفت بالمكاره لأن الخلق الأقوم والسبيل الشريف والبعد عن الدنية والترفع عن الدنس وطهر اليد والقلب أمور لا يطيقها الا القوى صاحب العـزيمة ذات الأيـدى والاصرار والكبرياء .

ولكن هذا المثل الذى أضربه ليس شر الناس ولا هو أسوأهم . فهناك من يكرث الحياة بشر من ذلك ومن يصيب نفسه ووطنه بوبال أعظم وخزى أشد .

فمهما يكن صاحب السلطان منعدم الضـمير فدائرة شره ضيقه محدودة تنحصر فى المحيطين به الذين يتخذونه مثلا أو سيلة .

ولكن الكاتب غير ذى الضمير هو كبرى الكوارث وهو أعظم النكبات وهو العاصفة القاصفة الآخذة أخذا وبيلا بكل ما هو كريم شريف فى الحياة .

لأن الكاتب هو ضمير القوم ولسانهم وعلمهم وأعلامهم . وقلمه مشهر مشهور وحياته معلنة ساطعة منشورة على الناس . فان أكل الكاتب على كل الموائد ، وان مدح اليوم وذم غدا الشىء نفسه ، وان كتب بيد وسرق بيد ، وان كال بمكيالين بذمة خربة . وضمير منعدم وشرف غائب ، فهو هو كارثة الكوارث ، وهو هو شر الناس وكربهم ومصيبة الحياة وبلواها .

وهو يجمع الى هذا جميعه سقوط الحياء لأن رأيه معلن فى الحالين بين سخط ورضى . ولأن الناس تعرف أن سخطه لم يكن لحق ، وان رضاه لم يكن الا لمنفعة .

فهو يكتم ويذيع الباطل ويعرف الطريق الأقوم ويختار الطريق الساقط وهو زيف فى ما يكتب وزيف فى كل ما يعلن ، وزيف ما يدعو اليه · وحتى ان دعا الى الخير لم يجد سميعا لأن الناس عرفته كاذبا ، وهم حين يرونه يدعو الى الخير سيظنون ــ وهم على حق فى ظنهم ــ ان هذا الخير الذى يدعو اليه انما هو شر ··· وشر محض ·

ومن الكتاب من يتخذون ما يهدف اليه أستارا يظن انها كثيفة تستره ، وهى فى الحق متهرئة تفضحه أما أولئك الذين يدعون اليوم الى الناصرية لا يدعون اليها ، فهى ليست شيئا ذا كيان ان تستقيم دعوة اليها · والا بربك فالى أى شىء يدعون · أما صاحبهم فقد انتقل الى عليم خبير سيوفيه حقه بالعدل الذى لا عدل مثله ·

وما بقى منه بعد ذلك ليس نظرية كالنظرية الشيوعية لها كيان وشكل ومعالم وأهداف وأركان · وانما الذى بقى منه ذكريات وآثار · بقى الذين اعتدى العهد على أعراضهم وكرامتهم وانسانيتهم وشرفهم · وبقى خراب مصر فى كل مرافقها وآخر حديث فى هذا سمعناه من الدكتور القيسونى الذى تكلم فى التليفزيون ، دون أن يقول كلمة جارحة واحدة الا حقائق لا تقبل المناقشة ·

فالام اذن يدعو دعاته ويهتف ويصيح أذنابه ؟ ·· علم الله لقد اتخذوه ستارا ليدعو به الى عودة الشيوعية الى مصر والنفوذ السوفيتى الى المنطقة · ولكن أيجرأون أن يعلنوا دعوتهم هذه صريحة هيهات · ولكن خاب أملهم · وارتكس هدفهم · وضاع فالهم · فان نظرة واحدة اليهم تريك انهم لا يصيحون بما يصيحون به الا من أجل روسيا سواء كان صياحهم عن عقيدة يكسبون من ورائها سلطانا اذا هى سيطرت على مصر أو يكسبون مالا اذا هى لم تسيطر ·

ونظرة واحدة الى أشخاصهم تكشف الأمر بما يقطع الشك ويجعله يقينا لا مجادلة فيه · كلهم···كلهم شيوعيون الا واحدا خلقته الناصرية ولا حياة له ولا وجود الى بها ولها ·

فالناصرية ليست نظرية ··· وليس يعنيهم ان يذكر الناس صاحبها أو لا يذكره ·· انما المهم ·· والأساس أن تسيطر الشيوعية على مصر وتسيطر روسيا على الشرق الأوسط ·

أيها الكتاب اذا لم يكن عندكم ضمير أفلا تستحقون ·· ولكن كيف ومن أين ؟ ··· أيتاح ضمير أو حياة لمن زاغ عن دينه وهو دينه ؟ ومن تنكر لوطنه وهو وطنه ·

القلم لابد أن يكتب

قال سبحانه وتعالى : « ن . والقلم وما يسطرون » وهل بعد القسم بالقلم اكرام لمخلوق .. ويقول جل وعلا : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » وبهذه الآيات الكريمة بدأ رفيع الدرجات ذو العرش حديثه الى نبيه صلى الله عليه وسلم الذى اختاره أن يحمل رسالته الى الناس كافة .

فالقلم اذن هو الذى علم به الله الانسان ما لم يعلم فهو أشرف ما يحمله انسان وهو أيضا أكرم ما يحمله بشر .

اذ نكس الكاتب الشريف قلمه ليكتب رفع للحق وللكرامة أعلاما شامخة . وأعلى للحرية منارات ، وأقام حصونا وقلاعا .

وقد عرف الحكام على مدى الأزمان قوة هذه الأداة هينة الحجم عظيمة الخطر فكبلها كل حاكم ظالم فاذا هى مع التكبيل تزدهر وتنتشر وتقوى واذا هى فى اباء وجبروت تحطم الكبول ، وتتحدى القيود وتنفذ من قضبان السجون الى رحابة الحياة تملؤها نورا وتنادى فيها بحرية الانسان ، وكرامة البشرية ، وعزة الآدمى .

وابدأ التاريخ من أوله اذا شئت . أو ابدأه من آخره فانك واجد القلم مع كل حكم منارة هداية ، وصوت حق يكرم من يكرمه . ويحقر من يحقره . ويرفع من يرفعه ، ويذل من يذله .

وحين يقول الرئيس حسنى مبارك فى خطابه بالمؤتمر الاقتصادى « لا حجر على رأى » يكون قد أعلن على العالم المتحضر أجمع ان مصر تعرف قيمة الرأى وشرف القلم ، وأن رئيسها لا يخفى شيئا يخشى أن يعلنه القلم ولا يستر خبثا يتحسب أن ينشره الرأى .

وحين قبل الزعيم السادات أن يكون الرئيس الفخرى لاتحاد الكتاب أعلن ادراكه لكرامة الكاتب وعظمة الكتاب ورفعة شأنهم .

وأنت تعرف الدولة الحرة من مقدار الحرية التى يتمتع بها القلم بين ربوعها . فاذا رأيت دولة تنفى أقلامها وتحطمها ، وتعصف بكتابها وعلمائها ، وتنزل العسف على أصحاب الكلمة فيها فأعلم ان هذه الدولة

تقيم دعائمها على الظلم ، وترسى القواعد فيها على الجبروت ، وانها تغتال أكرم ما وهب الله لشعوبه ، وانها اتخذت من الألفاظ الشعبية أستارا وسدولا لا تخفى ظلمها متشدقة بما ترفعه من لافتات الكادحين والجماهير والأغلبية فهذه دولة تقتل الكادحين باسم الكادحين ، وتقضى على الشعب باسم الشعب • وتحطم الانسان داخل الانسان باسم الانسانية •

ووظيفة القلم أن يكشف عن الزيف مهما يتنكر الزيف بثياب الحق • وقد قام بوظيفته طوال السنين ومر الزمان •

وكم أضحك عندما أرى قوما يريدون أن ينتسبوا الى أصحاب الأقلام وما هم منهم • فيتكلمون عن أصحاب الأقلام • ثم يزجون بأنفسهم بينهم فجأة وكأن حملهم للقلم أمر مقرر لا شك فيه ولا شية ولا ريب •

والقلم مشهر واضح معلن • والقلم نار ونور • والأمر فى شأنه لا يحتاج الى اعمال نظر أو اختلاف رأى •

فحملة الأقلام ليسوا عمالا فى سراديب ، ولا هم موظفين فى اطواء جدران وأسقف وخفاء •

وانما القلم يخاطب الناس والناس يعرفون صاحب القلم معرفتهم لآبائهم وأبنائهم ولا يخطئون ولا يتشككون فى أمره هنيهة من زمن •

فان حاول أحدهم أن يصيح بأعلى صوت له أنه صاحب قلم فلن يلتفت الناس أمره ولن يعبأوا بصياحه ولن يميلوا اليه بأذن صاغية أو غير صاغية • فصياحه عبث ودعواه كذب ، وجهده مهما يكن شأن جهده ضياع •

ومن أعجب ما رأيت لبعض هؤلاء المدعين أنهم يريدون الكتاب أن يبتعدوا عن الأشخاص ليتناولوا الحياة •

خاب رأيكم • كم هو هازل مضحك • وهل الحياة الا أشخاص • وهل التاريخ الا حكامه وهل السياسة الا أفراد • وهل يستقيم الظل والعود أعوج •

ان الذين حكموا البلاد لا يموتون بموت جسومهم لأن أعمالهم تبقى بعد حياتهم أجيالا وأجيالا • تشقى بها البلاد أو تسعد • ويهون بها شأن الناس أو يكرم • لأن أفعالهم ينصرف أثرها الى كل شعوبهم •

وانظر فى التاريخ الحديث تجد هتلر الذى ملأ الدنيا انتصارات ثم انتهى أمره بهزيمة نكراء قد ترك بلاده مقسمة الى دولتين بعد ان كانت

دولة واحدة وتجد آثار حكمه ما زالت جاثمة على شعبه وقد مر على هزيمته قرابة أربعين عاما ٠

وانظر الى موسوليني الذى أصلح كثيرا من شأن بلاده وتقدم بها تقدما عظيما ولكنه جرها الى حروب لم تكن مهيأة لها ليحقق لاسمه مجدا شخصيا فانك واجد آثار موسوليني ما زالت طاغية على أمور ايطاليا حتى يومنا هذا ٠ بل أترك هذه الحقبة التى مضى عليها أكثر من ثلاثة عقود وأوغل فى الزمن قليلا ٠ فانك واجد هنالك نابليون الذى أوشك أن يحتل أوروبا جميعا رافعا علم فرنسا ليخفى به انه يسعى لمجد نفسه وحدها والذى أبى أن يضع ممثل الكنيسة التاج على رأسه واختطفه من يده ليضعه هو على رأس نفسه معلنا ان التاج هنا بيدى أنا لا بيد الله ٠ وانك واجد هذا الجبار الذى أراد أن يستذل الأرض جميعا والذى رفض العون من السماء وهى السماء قد حطم بلاده شر تحطيم وما زالت آثار حكمه مؤثرة فى سياسة فرنسا حتى يومنا هذا ٠

وبعد فما أنا بمؤرخ وانما شاهد على عصرى وقارىء للعصور التى سبقتنى ٠ وما أنا بمستطيع ولا يستطيع غيرى أن يقدم كل الشواهد التى تؤكد ان حياة حاكم واحد تظل مؤثرة على حياة شعبه أجيالا قد تمتد الى قرون ٠

وبعد مرة أخرى ٠ فليس كل من أمسك القلم حامل قلم ٠ فقد يمسك القلم طفل يلهو به على الورق ولا يقول شيئا ٠ وكل من يدعى انه حامل قلم سيطالعه سؤال بسيط ٠ ماذا كتبت به وماذا قدمت للناس ؟ وحينئذ سيبلس الأبكم ولا يجد جوابا ويبهت الذى كفر ٠ ولا يكون صاحب قلم الا من يكتب به ٠

لا يشبهه جيل

رحم الله العقاد الشامخ كانت له جوامع الكلم فى شعره الى جانب مكتبته العملاقة التى أفاضت على العالم العربى علما أصيلا وعمقا وتحليلا لم تعرف لهما العربية من قبله مثيلا · اذكره اليوم باكيا عليه فى ذكراه وأذكره اليوم وأنا أقرأ كتابا جليلا للأستاذ صبرى أبو المجد عن أحد الشامخين من رجال ثورة ١٩١٩ · هو الأستاذ أمين الرافعى وقد وثبت الى ذهنى وأنا أقرأ الكتاب أبيات العقاد الخالد وهو يرثى أحد أعلام ثورة ١٩١٩ فيقول :

سلوا الأوطان ينبئكم ... بما يعلمه النيل
يحيى ناصر المصر ... ى والمصرى مخذول
وأول رافع صوتا ... وسيف الحرب مسلول
له فى برها جيش ... كجيش النمل موصول
وفى البحر أساطيل ... وفى الجو أبابيل
اذا لم ينعه الأحيا ... ء ، والدنيا أباطيل
نعاه فى العزيز ... ية مدفون ومجدول
وجيل فى حمى التا ... ريخ لا يشبهه جيل

الا ما أصدق العقاد أى جيل ذاك الذى أنبت كل هذه الأشجار السامقة الوارفة اختر أى ميدان شئت وانظر نجد جيل أمين الرافعى هو علمها ومنارتها وجبالها الشماء وروحها ونبضها لقد أذكى فيهم الاحتلال روح التحدى وصمموا ان يصيحوا فى وجه المحتل بعلمهم لا بصوتهم أخرج من بلادنا فما نحن بحاجة الى حضارتك فنحن أعمق منك فى اغوار التاريخ حضارة وما نحن بحاجة الى علمك فنحن قادرون على أن نكون أعظم منك علما وفنا وثقافة والعجيب أنهم أثبتوا القول بالعمل وبلغوا ببلادهم وهى فى ظل الاحتلال وفى فترة قصيرة ما تتقاصر أن تبلغه كثير من الدول الحرة وان تطاولت بها السنون ٠

وقد كان أمين الرافعى واحدا من هذا الجيل المذهل والحقيقة ان سنى لم تسمح لى ان أعرف الرجل ولكننى نشأت وأنا أسمع أبى يمتدحه

بما لم يمدح به انسانا آخر فقد كان رحمه الله يرى فيه مثلا أعلى فى الرجولة والوطنية وشرف الكلمة وعمق الرأى والزهد فى الدنيا والوقوف الى جانب الحق وان كان الموت هناك له بكل مرصد ٠

وقد جاء كتاب الأستاذ صبرى أبو المجد مفصلا لما كان يجمله رأى أبى وقد كتبه الكاتب فى لغة أخاذة وفى استطراد مشوق فتجد الأحداث فيه يأخذ بعضها برقاب بعض فى غير عنت عليك وفى تعمق للأحداث حتى يبلغ من حقائقها أقصى ما تستطيع ان تعطى ٠

يغرى بعض الناس صحفيا ممن كانوا يعملون بجريدة الأخبار ان يذهب الى دار السفارة البريطانية ليحصل على أخبار السودان ويذهب مندوب الأخبار ويقول انه قدم بطاقته ليدخل الى السكرتير الشرقى بها فاذا هو يقدمه على كل الصحفيين الآخرين ويروح السكرتير يطرى الرافعى وينوه بشرف خصومته ثم يسأل الصحفى عما يريد فيخبره فيقول له اذن أنت تريد أخبارا ٠

ــ نعم ٠

ــ ولكنك مراسل جريدة خصيمة عنيدة تتهم الانجليز بأنهم كلاب قذرة ونحن لا نعطى هذه الأخبار الا للصحف الموالية لنا فهل لك وقد جئت الى دارنا ان تبلغ الأستاذ الرافعى ان هذه العبارة التى كتبها ابراهيم عبد القادر المازنى تستحق الاعتذار حتى لا تتعرض الأخبار للمحاكمة ٠

ويخرج صحفى الأخبار ويبلغ الرافعى رئيس التحرير بما كان من أمر السكرتير الشرقى فاذا الرافعى يبدأ حملة جديدة أشد فى الفاظها وأقسى من السابقة ويقول فيها بمنطق لا يقبل الجدل « ان الانجليز يرون فى الكلمات شيئا يستحق المحاكمة ولا يرون فى ضرب الأبرياء الأمنين السودانيين ما يستحق المؤاخذة » ٠

وفى عام ١٩١٤ يشعر الرافعى ان انجلترا ستعلن الحماية على مصر وانها ستمنع الخديوى عباس حلمى الثانى من العودة الى مصر وانها تستعين بدلا منه بالأمير حسين كامل وكان من الطبيعى ان يدرك ان قرار اعلان الحماية لابد من نشره فى الصحف عند صدوره بسبب وجود الأحكام العرفية والرقابة على الصحف وينتظر الرافعى اعلان الحماية وقد بيت أمرا فما ان صدر الاعلان حتى أعلن هو اغلاق جريدة الشعب التى كان يصدرها حتى لا ينشر هذا الاعلان فى جريدة مصرية تحمل اسمه ويصف الدكتور عبد العزيز رفاعى هذا القرار فى كتابه ثورة مصر سنة ١٩١٩ بقوله ان قرار أمين الرافعى بوقف اصدار جريدة الشعب هو أول احتجاج مصرى على الحماية البريطانية ٠

وهكذا كان الرافعى بذلك هو أول صوت مصرى احتج على اعلان الحماية البريطانية وكان من الطبيعى ان يكون من أوائل المعتقلين ٠

وفى أثناء ثورة ١٩١٩ يقول الأستاذ صادق عنبر عن دور أمين الرافعى فى لجنة الوفد المركزية بقى أمين يدير دفة الحركة الوطنية فى لجنة الوفد المركزية التى كان روحها وقوامها فكان يحرر قراراتها ونداءاتها ويدير حركاتها لمصلحة القضية الوطنية باخلاص ونزاهة وهو الذى كتب المقالات الشهيرة الوطنية ديننا والاستقلال حياتنا باسم أحد أعضاء الوفد سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٢٠ فأحدثت تأثيرا كبيرا فى الرأى العام وهو أول من دعا الى مقاطعة لجنة ملنر فى أنحاء القطر المصرى ووافقه الوفد على فكرته فكانت هذه الحركة موضع اعجاب العالم بما أظهرته الأمة من الاتحاد وتماسك الصفوف وصدق النظر واستأنف جهاده فى الصحافة باصدار جريدة الأخبار فنالت من المكانة لدى الجمهور ما كان للشعب واللواء من قبل ٠

ويقول الأستاذ أحمد وفيق ما كان أمين الرافعى فى أثناء وجود الوفد فى الخارج الا محور اللجنة المركزية ومديرا لدفتها وقائدها الأعلى الى الأمام فى سبيل التمسك بالحق الكامل لمصر ٠

وبعد فانى أهنىء الأستاذ صبرى أبو المجد لاختياره هذه الشخصية الرائعة لكتابه العظيم ولو كان الفنانون السينمائيون مصريين حقا لأرخوا لتاريخ مصر بهؤلاء الاعلام الأفذاذ وليس بتاريخ المواخير ورائدات الفجور عفا الله عنهم وعنهن ٠ ولست بمستطيع أن أختم مقالى هذا ولا أذكر أبيات أمير الشعراء فى رثاء أمين الرافعى ٠

يا أمين الحقوق اديت حتى ... لم تخن مصر فى الحقوق فتيلا
ولو استطعت زدت مصر من ... الحق على نيلها المبارك نيلا
تنشد الناس فى القضية لحنا ... كالحوارى رتل الانجيلا
ما تبالى مضيت وحدك تحمى ... حوزة الحق أم مضيت قبيلا

ويقول فيها :

أخذ الموت من يد الحق سيفا ... خالدى الفرار غضا صقيلا
من سيوف الجهاد فولاذة الحق ... فهل كان قينه جبريلا
لمسته يد السماء فكان الـ ... ـبريق والرعد خفقة وصليلا
واباء الرجال أمضى من السيف ... على كف فارس مسلولا

ألم يقل لك العقاد انه جيل لا يشبهه جيل ٠

الثقة تفقد فى كلمة

رحم الله امرءا عرف قدر نفسه . هذا حديث شريف قل من الناس من يعمل به تجلس فى المجلس مدعوا الى جلسة عند صديق وتجمع الجلسة الطبيب والمحامى والأديب والمهندس وغيرهم . وينفتح عن الطب حديث فيتكلم كل الموجودين عن الطب والدواء الا الطبيب فهو صامت ، ولا يفكر أحد من الجالسين فى استشارته ولو على سبيل الاستئناس برأيه أو على الأقل من باب اشراكه فى الحديث بما أنه موجـود فى الجلسة . وينتقل الحديث الى الهندسة فيحدث الأمر نفسه وفى هذه المرة يتحدث الطبيب ويسكت المهندس وحين يصل الحديث الى القانون يسكت المحامى بعد أن كان مشتركا فى الحديث عن الطب والهندسة . أما الأدب فهو بطبيعته مال شائع ولكن الغريب انك تجد الأديب أيضـــا صامتا عند الحديث عن الأدب .

وتعود الناس على هذا الأمر فى منتدياتهم لا يعجبون منه بل تملكهم الدهشة اذا جرى على خلاف ذلك .

والحديث فى منتدى والضرب فيه بغير علم أمر محدود الضرر ، محصور الآثار على الجالسين . ولو ان هذا لا يمنعنا من التفكير فى شأن هؤلاء القوم . فادعاء العلم أمر منتظر وطبيعى من الجهلاء بكل شىء فهؤلاء يحاولون ان يدفعوا الجهل عن أنفسهم بأظهار أنهم علماء فى كل نواحى الحياة وفى شتى معارفها وفنونها أما العالم فى ناحية من مناحى العلم فالطبيعى أن يحترم علم الآخرين فيما يتقنونه . فالتهجم منه على ميدان ليس أصيلا فيه أمام الأصيل وبوجوده وعلى مرأى منه ومسمع أمر يدعو الى التفكير الشديد والتعجب الأشد .

واذا جاز هذا فى حجرة من أربعة جدران فهو لا يجوز ـ على أى صورة من الصور ـ فيما يكتبه الكاتبون بالصحف وقد سرى فى هؤلاء الكاتبين على غير انتظار وبشكل وبائى علم أصيل بالاقتصاد . فجميعهم ـ والحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه ـ أصبح فى الاقتصاد أعلم العلماء وصير نفسه الأستاذ صاحب الرأى الذى لا رأى غيره والنظرة التى لا تقبل المناقشة .

والاقتصاد ـ والله أعلم ـ هو أعظم علوم العصر شأنا فهو عمود من أعظم أعمدة السياسة العالمية والمحلية وهو أســـاس فى كل المشـــاريع الهندسية معمـــارية كانت أو ميدانية أو كهربية أو غير ذلك ٠ بل انه يدخل بعنف فى علم الذرة والصاروخ ٠

ولكل فرع من فروع الاقتصاد علماؤه العالميون يتقنون علمهم كل الاتقان ويدرسون كل ما كتب عنه كما يدرسون كل ما يتصل بعلمهم من فروع العلم الأخرى ٠ فالأمر فى الاقتصاد ليس لهوا ولا هو زخرفة كلام ولا ادعاء فتوة ولا ضربا من الاجتهاد العفوى بغير أصول راسية ثوابت من العلم المتين المتمكن ٠

ويبدأ العلم بالاقتصاد مع السنوات الأولى من الحياة العلمية للشباب فى الكليات المتخصصة وفى كلية الحقوق درسنا الاقتصاد فى سنوات الكلية الأربع ولكن هذه الدراسة فى الكليات المتخصصة ـ ومن باب أولى ـ فى كلية الحقوق لا تعنى ان المتخرج أصبح فى الاقتصاد عالما فما هذه الدراسة الا فتح باب ضيق الى طريق متسع سعة الصحراء اذا لم يمش من يرودها فى كل ثنية منها وهضبة وشعب ضل بها وتشابهت عليـه المسالك والدروب ٠

ولست أدرى كيف يجرؤ من يجهل الطريق كل الجهل ان ينصب نفسه دليلا فيه ومرشدا ٠ ولكن ما العجب فالجهل مجلبة للجهل والغرور هو أسلم الطرق الى الموت ٠

وما كان ليعنينى أمر الجاهل أو المغرور أو المتحدث من غير علم فيما لا يعلم لو ان ضرره كان مقصورا على نفسه فما دام انسان ما يصر على أن يورد نفسه موارد التهلكة على بينة من أمره أو على غير بينة فهذا شأنه ولكن المضرور عند كتابة الجاهل فيما لا يتقن ليس الكاتب وحده بل مصر جميعا فنحن فى مصر نمر بفترة لا يعرف التاريخ لها مثيلا ٠ فالعالم الخارجى لا يتصور ان الكتاب فى مصر احرار وان كل كاتب فى مصر انما يعبر عن رأيه هو لا رأى الدولة ٠ فمادامت الصـــحف ليست مملوكة لأفراد كما هو الشأن فى العالم الديموقراطى فهذا العالم وخاصة أصحاب رؤوس الأموال فيه يتصورون ان ما تنشره الصحف انما هو اتجاه الحكم فى مصر وليس رأى الكاتب الذى يبصم بتوقيعه فى آخر المقال والمال أشد شىء خوفا فى العالم ، وهو لا يقدم قيد شعرة صوب مكان لا تتوافر فيه الثقة الكاملة التامة والأمن المستتب المستقر الذى لا يشـــوب أمنه أى اضطراب ٠ فكتابة الكاتب مطالبا بقوانين اقتصادية يثير فى رأس المال جزعا وفرقا ورأس المال الحر لا يخشى شيئا قدر خشيته من القوانين

المبتسرة المتعجلة غير المدروسة دراسة واعية متعمقة متأنية لأن القانون اذا لم يكن مستقرا فهو غير موجود فأول شروط القانون ان يكون مستقرا وتلك بديهية طالعتنا فى كل مادة من مواد القوانين كلها • والقـــوانين الاقتصادية هى أولى القوانين بالاستقرار واحراها لأن الأمر فيها لا يتصل بأبناء الدولة وحدهم وانما تنبنى عليه كل الصلات الاقتصادية بالخارج والعالم الخارجى فى الاقتصاد وخاصة فى اقتصادنا نحن بالذات يعتبر الآن حياتنا التى لا حياة لنا بغيرها وليس هذا حديثا فى الاقتصاد انما هو حديث فى الحياة العامة من حق الجميع ـ وانا من هذا الجميع ـ ان يبدوا رأيهم فيه •

فأنا فى غير حاجة ان أكون عالم اقتصاد لاقول ان الاقتصاد ثقة • والثقة تفقد فى لحظة وتكتسب فى سنوات والحديث من هؤلاء الكتاب قادر على افقاد الثقة وليس شىء منهم ولا أحد بقادر ان يعيد هذه الثقة • وانى أعتقد ان هؤلاء الكتاب لا يغيب عنهم هذا الذى أقول • بل اننى اعتقد انهم يقصدون الى طرد رؤوس الأموال عن مصر لتقع فريسة فى أيدى الدول الشيوعية والشيوعيين • فالشيوعية لا تنمو الا فى الفقر والعوز والحاجة بما يطـردون من ثقة بمصر يأملون أن يحيط بها الفقر والعوز والحاجة ليصبحوا هم أصحاب الســـــلطة فيها والمتحكمين فى مقاديرها واقدارها • وان كان الثمن هو مصر • ومنذ متى كانت مصر مقدسة عندهم وهم مدينون بولائهم الى غيرها وبدينهم الى لا دين • ولكن الله غالب على أمره وان رغمت منهم الأنوف والذى حمى مصر فى نصرها وسلامها قادر سبحانه على ان يحميها من كيدهم ومكرهم الى الأبد وهو جل وعلا أعظم الماكرين •

الديمقراطية مسئولية

الديموقراطية كما يعلمها الجميع هى حكم الشعب للشعب لصالح الشعب • وقد أجمع الفقهاء على أن الديموقراطية ليست خالية من العيوب• ولكنها أقل الأنظمة عيوبا • فكل نظام آخر غيرها يتسم بالفردية أو بتحكم جماعة بذاتها قد تطلق على نفسها حزبا والواقع فى أمره أن هذا الحزب يتحكم فيه أفراد •

على أية حال استقرت النظريات أن الديموقراطية هى خير أنظمة الحكم فنظامها يعطى أكبر فرصة للرأى والرأى الآخر والأغلبية هى صاحبة القرار • ولكن الديموقراطية تظل مع ذلك هى أصعب النظم فى التطبيق • فهى بقدر ما تعطى الأغلبية حق اصدار القرار الأخير تحمل الفرد مسئولية الأمانة فى ابداء الرأى فلا يصدر الا عن المصلحة العامة لا المصـــلحة الشخصية أو المصلحة الاقليمية • فالقاعدة الدستورية أن عضو المجالس التشريعية لا يمثل دائرته ولا يمثل أقليمه وانما يمثل الوطن بأكمله • فأن تعارضت مصلحة الدائرة أو الاقليم مع مصلحة الوطن تحتم على العضو أن يقدم مصلحة الوطن وقد كان الفقه الدستورى حصيفا حين قرر أن وظيفة الناخب تنتهى عند صندوق الانتخاب • فاذا أراد أن يبدى رأيه بعد ذلك فسبيله أن يقدم هذا الرأى الى الصحافة التى جعلتها مصر سلطة رابعـــة •

والديموقراطية أصبحت اليوم نظاما أصيلا راسخ الأقدام توطدت منه الأركان • وان كانت الديموقراطية قد غابت عن مصر فترة فان هذا لا يمنع أن أصولها ثابتة وأن معالمها واضحة بينه لا اختلاف عليها •

ولا تقوم الديموقراطية الا اذا تعاونت الســـلطات جميعها لانجاح تجربتها • فينبغى على كل سلطة أن تقوم بواجبها على الوجه الأكمل والا انهارت أركان الديموقراطية وأصبحت فوضى لا مثيل لها • فان تكن الديموقراطية هى أعظم الأنظمة تحقيقا للحرية ، الا أن الحرية فيها لا تقوم الا على أسس القانون • فالقانون هو الأساس الأول فيها وبغيره لا حرية ولا ديموقراطية ولا حكم • فالأمر حينئذ فوضى يخشى معها أن يصبح حكم الفرد على مافيه من ظلم وخسف وجبروت وطغيان أقل سوءا خاصة ان كان الحاكم الفرد انسان لا سرطانا بشريا •

فالظلم فى حكم الفرد يقع على فرد أو فئة • بينما يقع الظلم فى حكم الفوضى على الشعب جميعه فيصبح كل فرد فيه وهو لا يعلم أين حقوقه والى أين تنتهى وأين واجباته ومن أين تبدأ •

فلابد أذن حتى تتحقق الديموقراطية أن تقوم السلطة التنفيذية بتطبيق القانون تطبيقا صارما لا تهاون فيه ولا تميع • ولابد أن يقدم المخطىء الى السلطة القضائية التى تصدر أحكامها ناظرة الى الفعل لا الى الفاعل ولذلك يرسمون العدالة معصوبة العينين لانها لا تفرق فى أحكامها بين شخص وآخر ولا بين ذى سلطان وذى حاجة •

والوزير فى النظام الديموقراطى مسئول مسئولية كاملة عن وزارته أمام المجالس التشريعية وهذه المسئولية واجب وكل واجب لابد معه من حقوق فلذلك فانهم يقولون ان الحق والواجب كوجهى العملة لا يستطيع وجه منهما أن ينفصل عن الوجه الآخر فاذا أصدر الوزير قرارا أو أمرا فى وزارته فحتم من الحتم أن ينفذ الموظفون قراره أو أمره فان كان مخطئا فى هذا الأمر أو ذلك القرار فالمجالس التشريعية هى التى تسائله وما كان لها أن تسائله ان لم يكن مسئولا ، فانه لا مساءلة بلا مسئولية كما ان الديموقراطية تقول انه لا مسئولية بلا مساءلة • فالمساءلة بلا مسئولية فوضى والمسئولية بلا مساءلة ديكتاتورية •

وأخطر ما أشاهده الآن هو عدم تطبيق القوانين تطبيقا يطمئن الشعب أن القانون منفذ ومهما يكن الخروج على القوانين فى جوانب هينة من حياة الناس الا ان هذا يثير الذعر فى نفوسهم أو يثيره فى نفسى أنا على الأقل •

فحين أرى أمرا كتابيا يصدر من مكتب الوزير ويرفض موظفون أن ينفذوه يصيبنى الهلع ان الفوضى أصبحت هى الديموقراطية •

وحين أسمع كلاكسات السيارات تزف الأعراس وتعتدى بأفراحها على أمن الناس وهدأة حياتهم مخالفة بذلك قوانين الازعاج جميعا أصاب بالهلع لا من الكلاكس فأمره هين ولكن من أن الديموقراطية أصبحت فوضى •

وحين أرى الناس يعتدون على أملاك الناس بل والحكومة يتولانى الجزع لا خشية على الأرض فلتذهب الأرض المغتصبة الى أى جحيم تشاء وانما على مصر أن تحكمها الفوضى •

وحين أرى بعض التليفونات تظل شهورا بغير اصلاح وبعضها يظل سنوات ، ويصدر كبار الرؤساء أوامرهم فلا تجد من يصدع بها • يضطرب

الخوف فى جوانحى لا على التليفون وان يكن تليفونى ، وانما على مصر وعلى الرؤساء • وعلى مقدار ما تنال أوامرهم من احترام •

وحين أرى سيارات تسير فى عكس اتجاهها أحس ان مصر جميعها تسير فى عكس اتجاهها تاركة الديموقراطية الى الفوضى فنحن أبناء الشعب نحس بوجود الحكومة فى الأمور الهينة من حياتنا • لاننا اذا كنا عاجزين عن تطبيق القانون وقواعد المسئولية والمساءلة والثواب والعقاب فى هين الأمور فنحن فى ضخام الأمور أشد عجزا •

وليس العفو عن المخطىء انسانية ولا عفوا عند مقدرة وانما هو اعتداء على الوطن جميعا والمسئول اذا لم يوقع الجزاء على المذنب يصبح شأنه عجيبا لانه بذلك قد يكون قد أزاح العقاب عن المسىء الذى يستحقه ليوقعه على المحسن الذى لا يستحقه • لان المحسن سيحس أنذاك انه مخطىء حين يؤدى واجبه مادام وضعه فى آخر الأمر يستوى مع المسىء والمهمل والمغتصب واللص والمنتهك لحرمات المجتمع •

فالعقوبات ليست ظلما يقع على المسىء وانما تركها ظلم يقع على المجتمع • والقانون بطبيعته ليس ظالما وانما تركه هو الظلم ينصب على الشعب كله • والقاعدة القانونية أن العقوبة مانعة رادعة مانعة بمعنى أنها تمنع المخالف أن يعود الى ما فعل ، ورادعة بمعنى أنها ترد غيره أن يرتكب نفس الخطأ •

ومن أرحم بالبشر من رب البشر وهو سبحانه قد أقام دنياه وأخرته على الثواب والعقاب فأوعد الفاسقين والعصاه بالجحيم الذى لا ينتهى سعيره ، ووعد المتقين والمحسنين جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها لا يزحزحون عنها ولا هم يبعدون • ومن أوفى من الله وعيدا ووعدا • ومن أصدق من الله قيلا • ومن أرحم بالعباد من خالقهم وهو مولاهم • نعم المولى هو ونعم النصير •

حقيقة الصفقة

عرفت الدول على مدى العصور الارهاب والارهابيين فما بجديد علينا أن تمتد أيد عادية تزهق الأرواح ، وتستلب حق الله وتدعى فى نفس الوقت انها باسمه جل وعلا ترتكب ما ترتكب . ربما كان الجديد أن هذه اليد التى تدعى انها عن اسم الله تنطلق فتقتل رجلا حقق النصر العربى الوحيد فى العصر الحديث وضحى بنفسه من أجل ان يفشى السلام الذى جعله الله سبحانه وتعالى أعظم شعار لدينه والذى جعله تحية عباده فى الأرض والجنة وفى الأولى والآخرة وفى الدنيا والعليا على السـواء .

ولكن النفوس حين تفجر . وحين يميل بها الهوى ، يصبح كل شىء مباحا عندها حتى قتل النفس التى حرم الله قتلها . ويصبح سائغا فى منطقهم الذى تملؤه الرغبات الدنيوية ان يجعلوا من أنفسهم أعداء ومحققين وقضاة ومنفذين فى وقت معا . ولا يمسى غريبا ان يغتصبوا لأنفسهم حقا لم يبحه الله لرسوله وهو رسوله فنجده سبحانه لا ينى عن القول لنبيه انما عليك البلاغ وعلينا الحساب ولست عليهم بمسيطر ولست عليهم بوكيل . ولكنهم هم نصبوا أنفسهم مبلغين ومحاسبين ومسيطرين ووكلاء ، والله يعلم والشعب العربى يعلم والعالم كله يعلم أنهم ما أرادوا بقتلهم أنور السادات الا أن يستولوا على الحكم الدنيوى والله يعلم والعالم كله يعلم ان الدين منهم براء والشعب المصرى الذى فجع فى مقتل الزعيم الذى اهدى اليه النصر والسلام لم يخش بعد وفاته شيئا الا ان يتولى اقداره تلك العصبة المأفونة سفاكة الدماء المتجمعة من السفاحين الذين يوغل بهم فجورهم أن يجعلوا من سفك الدماء والاعتداء على الأرواح التى هى أقدس ما خلق الله شريعة الله ودينه وسنته . كبرت كلمة تخرج من أفواههم وباءوا بخزى الدنيا والآخرة .

ولكن الشىء الذى هز وجدان الشعب المصرى فى الأيام الأخيرة ما قاله كاتب ينتمى الى الماضى يقول انه يتقاضى جنيها عن كل كلمة يكتبها فى الخارج ويقول فى حديث صحفى ان الشعب المصرى سيحزن أو يفجع اذا صدر الحكم بقتل القتلة .

ليس الجنيه الذى تتقاضاه ثمنا لكلامك فأنت تعلم والمشترون يعلمون انهم حين يدفعون لك الجنيه عن الكلمة لا يشترون بها حديثك الأدبى

وانما يشترون بها شعبك • ومالك لا تفعل وقد دافعت عن كل القهر والذل والعسف الذى ذاقه شعبك ورفعت من الهزيمة راية انتصار وجعلت عار الأبد نكسة •

وبهذه الجرأة على الحق زورت رأى شعب وبعت التزوير الى الصحف الأجنبية وبجرأة لا تتأتى الا لمثلك نسيت انك انت نفسك وفى ظل العهد الذى كنت لسانه وهامانه دافعت عن شنق سبعة أشخاص فى قضية شروع فى قتل • ودافعت عن زعيمك حين خطب فى مجلس الشعب فخورا انه قبض على سبعة عشر ألف مصرى فى ليلة واحدة • وكتبت انت بآخره فى جريدة الأهالى تعجب من كثرة الحديث عن المعتقلين فى العهد الناصرى وتقول ان كل الذين كانوا فى المعتقلات حين انتهى هذا العهد أربعة عشر ألف نفس مرتئيا ان أربعة عشر ألف انسان رقم لا يستحق التعليق والحديث والأخذ والرد حتى ولو كانت هذه الألوف تمثل بعددها أسرات يصل أفرادها الى ما يقرب من مائة ألف منكوب •

وحتى لو كان هذا العدد يمثل فترة واحدة الله وحده يعلم ما سبقها من فترات كم حوت السجون أثناءها من آدميين • اذن فانت ترى ان قتل سبعة فى قضية شروع فى قتل لم ينتج عنها جرح واحد أمر مشروع وترى ان الشعب كان طبيعيا مع نفسه حين لم يحزن فى ذلك الحين ولكن الشعب نفسه سيحزن لأن من قتل رئيس الدولة ومعه أربعة أشخاص سيعدمون •

انك تعرف حق المعرفة ان هذا الحكم لو لم يكن قد صدر لشاهت واجهة مصر أمام العالم المتحضر وأنت تعرف أن العالم اليوم ينظر الى مصر فى عهد مبارك على انها دولة لا تنتقم ولا يضيع فيها الحق • ولكنك لا تريد مصر أن تكون كذلك لأنها حين تصبح كذلك لن تستطيع ان تبيعها ولن تتقاضى دولارا فى الكلمة • ومادمت قد بعت بلدك وأمن شعبك وكرامة وطنك فما شىء منك بعجيب •

لافتات على فراغ

مر علينا حين من الدهر كان كل مسئول فى الدولة مرتجفا ان يبعد عن مكانه وفى ظل الرعب كنت تجد عجبا .

تجد شركات مثل الحديد والصلب تقوم باعلانات ضخام تكلفهم المال العريض والجهد الجهيد والوقت . وكلنا نعلم ان الحديد الذى ننتجه لا يفى بالحاجة اليه . فالاعلان اذن لا يؤدى الغرض منه . لأن الذى نعرفه نحن السذج من أبناء الشعب ان الاعلان يكون عن بضاعة مكدسة ليروج كاسدها وتعود بالكسب على الشركة المعلنة كسبا يعوضها عما بذلته فى الاعلانات .

أما اذا كانت البضاعة مطلوبة فى السوق حتى ليبحث طالبوها عنها بالوسائل المشروعة وغير المشروعة ويتوسطون للحصول عليها بكل ذى اكرومة أو بغير ذلك مما لا نحب أن نذكره ففيم اذن الاعلان عن هذه البضاعة .

واقع الأمر ان الاعلان كان لصاحب السلطة ليعلم ـ ان لم يكن يعلم ـ ان القائمين على هذه الشركات يقومون بواجبهم خير قيام وانهم نشطون مخلصون ينفذون الأوامر ولا يتقاعسون ولا يتقاعدون . ولا يهملون . فالاعلان اذن كان اعلانا من أشخاص بذواتهم موجها الى شخص معين بذاته ولتذهب فى سبيل ذلك الأموال والجهود وأرباح العمال .

وبهذا التفكير نفسه كانت شركات كثيرة تختلق لنفسها ميزانيات تظهر انها رابحة وواقع الأمر انها تخسر وتعجب وأعجب معك على من يضحكون على عمال الشركة أم على الشعب أم على أنفسهم . وما يلبث العجب ان يزول فالشعب وحده هو المضحوك عليه وبأوامر من الجهات العليا فى ذلك الحين ولهذا كانت الأنباء الاقتصادية كلها تظهر اننا فى خير حال وانه ليس فى الامكان أبدع مما هو كائن . بينما الحقيقة تختلف مع هذه الأنباء اختلافا كبيرا والعجيب أو ربما لم يكن عجيبا انهم كانوا يكذبون على الشعب ثم يصدقون هم أنفسهم الكذب الذى افتروه فى حين يرفض الشعب الذكى الحصيف . يدرك هذا الكذب ويكشفه ويصل منه الى الحقيقة المؤكدة بحس له لا يخيب .

أما كبرى العجائب – وكم رأينا من عجائب – تلك الاعلانات التى كانت تقوم بها المحافظات أو أن شئت الحق فقل الاعلانات التى كان يقوم بها المحافظون • طويلة عريضة تستغرق من التلفزيون نصف الساعة او الساعة ومن الصحف صفحة بأكملها ومن الاذاعة الأحاديث الممتدة فى قلب الزمن وأتساءل ويتساءل معى الناس أهناك نية لبيع المحافظات لجماعات أو أفراد وتأتى الاجابة من قريب ان المحافظ يريد ان يبلغ الجهات العليا انه قمة فى النشاط • وان لقب الوزير الذى يسبق اسمه ويسبق أيضا لقب المحافظ جدير به وهو به خليق•فيا من بيده الأمر ابق السيد الدكتور الوزير المحافظ فى مكانه فهو كما ترى من هذه الاعلانات رجل شديد البأس قوى الأيدى ذو مرة وقدرة ومران وهو أيضا مطيع ينفذ التوجيهات فى دقة وحسم والتزام •

فاذا تركنا هذا والتفتنا الى ميدان الثقافة والشباب وجدنا عجبا • فى كل محافظة قصر بأكمله يطلقون عليه قصر الثقافة ولقد مررت بطائفة من هذه القصور • انهم يقيمون الندوات من حين الى آخر ولكن العمل الرئيسى هو تقديم الأفلام السينمائية شأنهم فى ذلك شأن أى دار سينما من الدرجة العاشرة • تتماع المعايير فى نفسى • فالثقافة التى أعرفها أدب والأدب فيما أعلم كتاب قد يكون رواية أو مجموعة قصص أو كتابا فى النقد أو ديوان شعر حتى وان كان من الشعر الحديث المفكوك • أو الثقافة علوم تاريخية أو جغرافية أو كيماوية أو جيلوجية أو غير ذلك من ألوان العلوم التى لا يحدها حصر وكل هذه العلوم انسانية كانت أو اجتماعية يمثلها أيضا كتاب • أو الثقافة فن تشكيلى أو الثقافة موسيقى رفيعة • ولكن جديد على حقا أن تكون أفلام رعاة البقر وقصص الراقصات من الغوازى ثقافة ومع ذلك لاتقدم قصور الثقافة كتابا وتقدم أفلام رعاة البقر الأجنبية وأفلام الغوازى المصرية • وأبحث عن أصل هذه الثقافة الجديدة من أين جاءت ومن أنشأها ومن روادها الأوائل وأعرف فيتأكد عندى ما كنت تشككت فيه •

الثقافة هى ما أعرفها أنا لا ما تقدمه قصور الثقافة ولذلك أجد من الطبيعى ان نسميها قصورا فى الثقافة والأسم هنا مصدره الهيافة والهزال ولا أتصور ان اسميها قصور ثقافة فهى حتى لا تصلح ان تكون عشش ثقافة • نسأل فيها عن المكتبات فيقول الشباب الذين يعاملون القصور انها مقفلة لا يسمح لهم بارتيادها • ولكن المسئولين • كانوا يكذبون ذلك ويخرجون عليك باحصائيات لا تملك لها مجادلة أو دفعا ويعلم الله أن هذه الاحصاءات قد خلقت خلقا وافتعلت افتعالا وأغلب الظن انهم سيردون على بها اليوم وانا اريحهم منذ الساعة وأعلنهم اننى لن أصدقها •

ويسمح لى ان أدخل الى المكتبة فاذا هى عامرة بالكتب التى لفظتها المكتبات بلا أى اختيار أو امعان فكر ويظنون اننى سأفرح حين أجد فى متاهات المكتبة كتابين أو ثلاثة من تاليفى وتاليف زملاء لى • ولو رأوا دخيلة نفسى لوجدوا السخرية هى مشاعرى لا الفرح • فالكتب التى أراها لنفسى أو لزملائى نسخة واحدة من كل كتاب والنسخة الواحدة فى عرف المكتبات لا تخرج من قاعة المكتبة فمن شاء ان يقرأنى فلابد له ان يقيم فى المكتبة وهم فى الوقت نفسه لا يسمحون لأحد ان يقرأ فى المكتبة وتدخل فى حلقة شيطانية مفرغة وتقتنع معى انها قصور فى الثقافة وما هى على أى صورة قصور ثقافة ولا عشش ثقافة •

وأرى القائمين على شئون الشباب يقيمون النوادى فى القرى وهذا فى ذاته عمل عظيم حقا وأراهم يشترون لهم أحذية للعب الكرة الحذاء الواحد منهم يشترى مكتبة ومع ذلك لا أجد فى أى ناد من نوادى القرى هذه مكتبة واحدة توحد الله •

وأقول فى نفسى لقد كنت ألعب الكرة مع اتراب طفولتى فى المدحاية وكان بعضنا يلبس الحذاء وكان خير لاعبينا حفاه بلا أحذية • ولكن لا بأس ان يصبح اللاعبون فى القرى عالميين يلبسون أحذية خاصة للكرة حين يلعبون الكرة ولكننى اتصور وربما كنت ساذجا فى تصورى هذا ان الاهتمام بالانسان يبدأ من أعلى لا من أسفل ومن الرأس لا من القدم وأتصور ان القائمين بأمر الشباب عليهم ان يهتموا بالأقدام • لأنهم حين يهتمون بالرؤوس ستقوم الرؤوس عنهم بالاهتمام بالأقدام •

الا ترى معى الآن أنى تناولت أمورا عديدة وفى شتى أنحاء وفى مختلف جوانب • ولكن الا ترى معى ان العنوان الذى اخترته لحديثى هذا اليـك يجمـع شتيتها ويلم جنبـاتها فتنسجم جميعـا تحت مدلوله •• أرجـو ؟

الحق ٠٠ الحق أيها الكتاب

هل يأتى اليوم الذى يكتب الكاتب فيه بوحى من ضميره وحده ٠ وهل يأتى يوم على الكتاب لا يكتبون الا فيما يعرفون ٠ فاذا جهلوا طلبوا العلم فان لم يتوافر لهم اكرموا اقلامهم ان تعرف بما لا تحسن وان تصدر الفتوى وهى عنها قاصرة وتطلق الأحكام بغير حيثيات أو بحيثيات موهومة ملفقة لا صلة لها بالحق ولا سبب ٠

ان الكاتب يكتسب قيمته من استقبال الناس لما يكتب٠ولن يستطيع كاتب ان يرضى الناس أجمعين ولكنه ــ لا شك ــ قادر ان يرضى الأغلبية الكـــاثرة ولا يكون ذلك بأن يتحسس رغباتهم فيجاريها ولا بأن يبحث عما يسرهم فيتهافت عليها وانما يكون ذلك باستنباع ضميره واستلهام الحق فى نفسه بغير نظر الى منفعه شخصية وبغير رهبة من سلطان أو سيف مشـــهر ٠

ولا أطالب الكاتب أن يكون صنفا من البشر غير البشر ٠ فان الخوف قاتل حتى ان الله سبحانه وتعالى حين حذر به عباده قال « ولنبلونكم بشىء من الخوف » سورة البقرة الآية ١٥٥ ٠ لانه جل وعلا أرحم بعباده أن يبلوهم بالخوف كله ٠ فلا يستطيع أحد أن يطالب الكاتب أن يقول الحق وهو خائف ٠ فهذا مالا يطيقه الانسان فيه ٠ وحسبه بطولة ان يقول رمزا مادام لا سبيل له الى التصريح ٠

فالرمز اذن أقصى ما يستطيعه الكاتب الشريف فان خاف ــ ولا بأس عليه أن يخاف ــ أو ان كان كاتبا لا يعرف الطريق الى الرمز ــ ولا بأس عليه فى ذلك أيضا ــ فانه يستطيع أن يصمت ويميل بما يكتب الى ألوان من الكتابة لا قيود عليها ولا حظر ٠ أما أن يصبح الكاتب مثل غوازى الأفراح يطبل لكل عهد ويرقص لكل كارثة ويقذف بالباطل على الحق وبالظلم على العدل فتلك كبرى النوائب وأعظمها ٠

ومثلها ذلك الكاتب الذى صمت فى عهد الظلم مقهورا حتى اذا جاءت انسام من الحرية مال عن الحق ليلبس ثوب البطولة وليدعى انه الفارس الجرىء الذى لا يخشى فيما يدعى انه الحق لومة لائم ٠ وهو فيما يكتب يعلم علم يقين أنه يدافع عن باطل لا لشىء الا ليبدو بطلا ٠

فالمعارضة فى موطن التأييد خيانة للقلم والتأييد فى موطن المعارضة خيانة للناس • والتأييد والمعارضة كلاهما أمانة اذا كان الكاتب صادقا فيهما مع نفسه • بل إن التأييد يكون أحيانا أعظم شأنا من المعارضة لأن الكاتب يعرف وهو يؤيد أنه قد يتعرض لقالة من الناس أنه ينافق فان كان صادقا مع نفسه حقا فهو أكثر شجاعة من ذلك الذى يعارض وهو يعلم ان المعارضة لن تؤدى به الى التعرض لاعتداء على عرض أو حياة أو مال •

تلك مبادىء لا اختلاف عليها ولا مناقشة ولهذا فلا أرى حرجا ان أتكلم عن مجلس الشورى والمجلس الأعلى للصحافة وانا عضـــو لكل منهمـــا •

أما مجلس الشورى فهو متفق مع الحرية والديموقراطية لانه أقرب ما يكون شبها بمجلس الشيوخ ومجلس الشيوخ هيئة تشريعية كانت موجودة فى دستور ٢٣ المصرى وفى دستور ٣٠ أيضا ثم عاد مع دستور ٢٣ حين عاد هذا الدستور ولم يفكر أى مشرع فى مصر أن يلغيه بل ان رئيس مجلس الشيوخ كان يعتبر رئيس الهيئة التشريعية جميعها وكان يسبق رئيس مجلس النواب فى البروتوكول ولا يتقدمه الا رئيس مجلس الوزراء • وكان ثلثا أعضاء المجلس بالانتخاب وكان الثلث بالتعيين وكان الرأى الفقهى فى ذلك أن يصحح التعيين ما أخطأه الانتخاب • وكان مجلس الشيوخ ينظر فى كل مشاريع القوانين التى تتقدم بها الحكومة أو أعضاء الهيئة التشريعية سواء كان ذلك من النواب أو من الشيوخ وكان مشروع القانون يمر من المجلسين فاذا وافقا عليه أجيز وان لم يوافق عليه أحد المجلسين رده الى المجلس الآخر فاذا أصر على رأيه أجتمع المجلسان فى شكل مؤتمر وأخذ الرأى على القانون ويشترط أن تكون الأغلبية فى هذا المؤتمر الثلثين وهو أجراء دستورى لم تدع اليه الحاجة مطلقا فى كل تجربتنا الديمقراطية •

أما المجلس الأعلى للصحافة فهو مجلس يواجه حالة لا مثيل لها فى الدول الديموقراطية وهى ملكية الدولة للصحافة • وهذا أمر لا تعرفه الديموقراطية التى يملك فيها الصحافة أصحاب رأس المال • أما الدول الشيوعية فيملك الصحافة فيها القهر والبغى والقسر ولا أظن أن أحدا يفكر فى المناداة بأن تصبح الصحافة عندنا مثلما هى فى الدول الشيوعية • وليس يمنع هذا صحف الأحزاب أن تنشأ بالقواعد المقررة فى القوانين •

فللمجلس الأعلى للصحافة واجهة مشرقة شريفة تواجه موقفا لا يمكن التغلب عليه الا بأن تعود الصحافة الحالية الى الأفراد وهذا أمر يكاد يكون مستحيلا ، أما أن يملك الصحيفة العاملون فيها فاخشى العجب ان يصبح

الملاك الجدد ولا هم الا زيادة مرتباتهم وتهديد رؤساء التحرير ورؤساء مجلس الادارة بعدم انتخابهم اذا هم لم يغدقوا عليهم العلاوات والترقيات ويصبح الأمر فوضى لا مثيل لها فى العالم أيضـــا ۰ وان كانت الدول الديموقراطية لا تعرف المجلس الأعلى للصحافة فما أظنها تعرف ملكية العاملين بالجريدة للجريدة كظاهرة عامة سائدة فى كل الجرائد ۰

وبعد فنحن فى فترة من نوع خاص من الناحية الديموقراطية ولا بأس علينا أن نواجهها بمجالس من نوع خاص أيضا وان كنت أعتقد أن تجربة المجلس الأعلى للصحافة ستصبح تجربة رائدة لكل الدول الحرة ۰

لابد لقول سامع

حوار كثيرا ما أذكره لا أجد أبلغ منه فى تصنيف الناس ــ ولو حاولت أن أنساه لطالعتنى الحياة بما يذكرنى به فيعود منى الى الذاكرة لا يبرحها جلس الرجل مسترخيا مستريحا بين رهط من قومه وقال ــ والله لا أبالى مدحنى الناس أم ذمونى ·

وأجاب أحد الجالسين فى بديهة حاضرة ، وسخرية مريرة ، وصدق حاسـم ·

ــ استرحت من حيث تعب الكرام ·

وأى فارق بين انسان كريم المقصد والسعى والطريق والغاية وبين آخر سافل الفكر انانى التصرف لئيم الغاية الا أن الأول يحاول أن يكون بين الناس موضع احترام وتقدير فى حين لا يهمه أن يكون بينهم شريف أو غير شريف ·

وما أتعب الكرام منذ بدء الخليقة حتى اليوم الا حرصهم أن يكونوا موضع تقدير المجتمع من حولهم · وما سقطت المروءة عند انسان الا اذا كان لا يبالى رأى الناس ولا يلتفت الى احترامهم ·

ولعل احترام الانسان لنفسه هو أول الطريق الى احترام الناس له ، ومن يعرف كيف يحترم نفسه يصبح ميســورا عليه أن يجعل الناس يحترمونه · ولكن النفس هى أعظم شىء مخادع للنفس · فانها امارة بالسوء وانها لوامة · وبين المذهبين يتمزق ذو الضمير وينشطر فؤاده شطرين بين طريق نقى هو واثق من نقائه ولكنه يؤدى الى تقتير فى الرزق وبين طريق آخر هو بدوات الرغبة واستباق المتعة تمثلت هذه المتعة فى الجنس أو تجسمت فى سرقة أو احتيال أو نصب أو مقامرة أو معاقرة خمر الى حد السكر البين أو تعاط لمخدر بأى صورة من صور التعاطى منفوحا أو مأكولا أو مأبورا · ويقول زهير بن أبى سلمى :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة   وان خالها تخفى على الناس تعلم

وهكذا لم أذهب الى عجيب حين قلت ان احترام الذات هو أول الطريق الى احترام الآخرين لك · فانت اذا احترمتها أصبحت · وهى وليس لديكما شيء تخفيانه أو تخشيان أن يعلمه الناس ·

ولكن الحقيقة الموجعة أن غالبية من الناس لا تحاسب نفسها وليس يعنيها أن تحترم نفسها ومن أجل هذا ظهرت فى العالم فكرة القانون · فمن لم تردعه نفسه ردعه القانون · ومن اعوج خلقه عدله له العدل ·

وليس يردع القانون أو يقام العدل من أجل العقاب فقط وانما هو المجتمع كله بقاؤه رهن باقامة هذا القانون وهذا العدل ·

وكثرة القوانين مضيعة للقانون وقد انهالت علينا القوانين وأصبح القضاء الواقف والقضاء الجالس جميعا تائها حيران ليس يدرى بأى القوانين يأخذ وايها يدع وأصبح حتما من الحتم أن يعاد النظر فى كل قوانين الدولة حتى يمحى عنها التناقض والتكرار والالتباس والاستبهام · وليس النظر فى هذه القوانين أمرا هينا فقد أصبحت ركاما جبليا يحتاج مجرد النظر فيه الى جهد جهيد والى اقبال من رجال التشريع والى جهابذة فى علم الاحصاء ·

وقد يظن البعض أن كثرة هذه القوانين دليل على دقة العدل وهذا ظن خاطيء خطأ فاحشا · ولا يختلف فى بعده عن الصواب رأيان ·

ان تزايدات القوانين فى عصر تنادوا فيه باعطاء القانون أجازة فأصبح كل ذى سلطة يصدر قانونا خاصا يمكنه باستاره أن ينهب ما يشاء ويحبس من يشاء ويعتدى على كل حرمة ويهتك كل فضيلة لأن القانون اذا أخذ أجازة أصبح الشرف فى أجازة مصطحبا معه العدل والأمان والاطمئنان ·

وليس يكفى أن يعود القانون الى العمل ويقطع أجازته وانما الأهم من ذلك أن تصبح أحكامه موضع التنفيذ · فالقانون بلا انفاذ فوضى · فليس هناك جماعة بلا قانون · فحين كان قانون الغاب ساريا كان الأمر فى الغابة مستتبا · وحين حكمت القبائل بالقانون القبلى كان الصغير يطيع الكبير وكان شيخ القبيلة هو السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية جميعا · واذا كانت هذه القوانين بدائية الا أنها أدت وظيفتها أحسن ما تؤدى الوظائف حتى اذا ظهرت فكرة الدولة والتأم المجتمع وتطورت القوانين ونزلت التشريعات السماوية تبلورت فكرة القانون وأصبح هو أساس الحكم فى العالم جميعا · فأن غاب فلا حكم · وان غاب الحكم تسيدت الفوضى ·

هذا حديث ما كان له أن يقال ونحن نودع القرن العشرين ونستقبل طوالع القرن الواحد والعشرين والانسان وصل الى القمر وسار عليه وهو فى غد قافز الى الزهرة وعما قريب سيتمشى بين الكواكب وكأنه فى نزهة خلوية على الأرض • فكم يمض النفس أن نتكلم عن قانون الغاب وقانون القبيلة وقد غزا الفرد أجواز السماء •

ولكن ماذا بيدنا نحن الكتاب أن نفعل • اننا نحن لسان الناس وكلمتهم • ونحن نبضهم وفكرهم ورأيهم • فاذا قلنا فبلسانهم نقول واذا نبض منا القلم فبقلوبهم ينبض • ولكن يبدو أن المجتمع عندنا انفصل بعضه عن بعض فأصبح النبض واللسان فى دنيا • وأصبح السامعون فى دنيا أخرى •

فنحن نقول ونقول ولا نجد قولنا بلغ مسمعا ومادام قد عجز أن يصل الى آذان فهيهات ، أن يصل الى تنفيذ وأصبحنا نحن الكتاب أو أصبحت أنا على الأقل لا أدرى أأقول أم الصمت بى أجمل وأخلق وأذكر أبيات أيليا أبى ماضى :

ليس نورا كل نور مر بالأعين وسنى
مالصوت أغلقت من دونه الاسماع معنى

وليس أوجع للنفس أن تقول لغير سامع فتصبح وكأنك توجه الحديث لنفسك وما تحتاج نفسك الى حديث •

فليس الكتابة فى الصحف غاية فى ذاتها وانما هى مشاركة فى الرأى وتقديم خلجات المجتمع الى المشرفين على مقدراته فليس الأمر ضياعا فى تيه ولا استعراض ألفاظ ولا اثبات أننا نستطيع أن نكتب • فانه اذا كان الأمر كذلك لكان أولى بنا ثم أولى أن نعود الى فننا الأصيل الذى نحبه ويحبنا والذى اذا كتبنا فيه وجدنا قراءنا ينتظرون رواياتنا وقصصنا فهى بنا أجدر ونحن لكتابتها أحب واليها أشوق •

الكعبة المشرفة

وهل أجدر من الكعبة المشرفة بالحديث فى هذه الأيـــام الميمونة الغراء ٠ أول بيت أقيم للناس ، قبلة المسلمين يتجهون اليها خمس مرات كل يوم أينما ذهبت بهم المذاهب وحيثما ألقت بهم المقادير ٠ فهى رمز اجماعهم على دين واحد لايدينون بغيره ورب واحد لايدينون لغيره سبحانه الأحد الصمد ٠ وهى مطاف حجيجهم وركيزة اجتماعهم اليها يسعى منهم الملايين فى كل عام يؤدون ركن الاسلام الخامس كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا حولها لبيك اللهم لبيك تتصاعد من الملايين فاذا ملايينهم انسان واحد وقلب واحد هو قلب المؤمنين اختلفت أوطانهم ومشاربهم ولهجاتهم وألسنتهم وألوانهم ولكنهم فى لبيك اللهم لبيك أصبحوا كلهم ابن آدم ٠ وكأنهم جسم واحد لافارق ثمة بين غنى وفقير فكلهم فقراء الى الله ولا فارق ثمة بين حاكم ومحكوم فالحاكم هنا هو الله ولا فارق ثمة بين مالك وخفير فهنا يدركون أن الملك كله لله الواحد القهار ٠

المسلمون جميعا عند الكعبة مسلم واحد وجسم واحد ، فلا يدل عضو على عضو ولا تشمخ جارحة على جارحة فأعضاء الجسم الواحد كلها عزيزة على صاحبها والعزة هنا وفى كل مكان لله ٠

حول حرمها الطاهر تخشع القلوب سعيدة بخشوعها وتنحنى الأعناق عزيزة فى انحنائها وتشيع فى النفس السكينة الآمنـــة فما الدنيـــا وما ملذاتها وما أوضارها وعنتها ٠ يزول هناك كل شىء ولا يبقى الا النفس المطمئنة الوادعة أسلمت الى الرحيم مقاديرها واشرأبت آمالها الى السماوات العلا فاذا الأرض كلها كومة من تراب أو لاتساوى ٠

تغتسل هناك النفوس فكأنها وليدة يومها نقية هى نقاء الايمـــان صافية صفاء النمير طاهرة طهر ماء السماء ٠

أسعد فى كل يوم وأنا أشاهد قصتها على شاشة التليفزيون بقلم الكاتبة الاسلامية القديرة الأستاذة أمينة الصاوى فأجدها قد استطاعت فى براعة منقطعة النظير أن تروى لنا قصة الايمان والمعصية منذ أبلس

ابليس بها فى السماء ومنذ تضرع الى ربه أن ينظره الى يوم يبعثون فجعله من المنظرين ثم تمضى الكاتبة البارعة مع قصة الايمان والمعصية جاعلة روايتها تدور أوشاجها حول الكعبة المشرفة وتمتد ارسائها من أركانها وتتشابك حبالها من أستارها ٠

وأصعب أنواع الكتابة التاريخية تلك التى تتخذ من الدين الحنيف مادتها فاذا لم يكن الكاتب قادرا ذا دربه ومران وفن رفيع تعثر فى الخطاه وانتقل عمله من ميدان الابداع الفنى الى ميدان الخطب الوعظية ويصبح الغرض بعيدا كل البعد عن غايته قصيا كل الاقصاء عن التشويق فاذا المشاهد منفصل عنه منصرف ٠

وقد اقتحمت أمينة الصاوى ميدان الدراما منذ الخمسينات فكانت أول من قدم الأعمال الروائية فى شكل مسرحية ونالت منذ بدأت نجاحا فائقا أتاح الطريق بعد ذلك لمسرحة أعمال روائية كثيرة ٠

ومنذ ذلك الحين وهى تمارس الكتابة الدرامية فليس عجيبا أن تبلغ فى مسلسلة الكعبة المشرفة قمة هى تعرف طريقها اليها ٠ والذى لا أشك فيه ــ أنا المؤمن ــ أن الله أمدها بروح من عنده وهيأ لها التوفيق وجنبها مواطن الزلل فكان هذا العمل العظيم الذى نشاهده اليوم ٠ وأفتات على الحق اذا أنا لم أقدم اعجابى الشديد بمخرج الكعبة المشرفة أحمد طنطاوى فهو يؤمن بالعمل الذى يقوم به وهو يترجم هذا الايمان فنا رفيعا لاتفلت منه جملة أو انتقالة دون دراسة واعية متعمقة ٠

وقد أعجبت كل الاعجاب بالقائمين على شأن التليفزيون الذين خصصوا للعمل عالما من علماء اللغة فاذا العربية على لسان الممثلين عربية أصيلة لاهى قادمة من فرنسا ولا مستوردة من لندن ٠ وافتات على الحق اذا لم أقدم اعجابى غاية الاعجاب بعبقرية فتى الكوميدى فرنسيز وابن الأسرة المصرية التى كان منها من طبع كتاب الأغانى على حسابه الخاص ٠ جميل راتب ٠ ان هذا الممثل العملاق الذى بلغ فى الفن الفرنسى هذا المكان المرموق أبقى على جذوره المصرية والعربية فى نفسه ليكون ممثلا عربيا من الطراز الأول يقف مع أئمة التمثيل عندنا فى تاريخ المسرح والسينما على قمة واحدة ٠

ونفس هذا الاعجاب أقدمه للممثلة القديرة محسنة توفيق صاحبة الفن الأصيل والتى تعطى من نفسها ما يجعلنا نذكر بيت ابن رومى وأن كان ابن الرومى يصف به المغنية وحيد ؟

تتغنى كأنها لا تغنى من سكون الأوصال وهى تجيد

فكذلك محسنة توفيق تمثل وكأنما لا تمثل مع ان دورها تاريخى وقد كان كفيلا أن يجعلها تقع فى مصيدة التصنع والكلفة ولكنها استطاعت أن تطوع الدور لفنها فأصبحت وكأنها خلقت لتمثل هذه الجنية الطاهرة ٠

وبعد فاتعب من الاستقصاء اذا أنا تابعت الممثلين الآخرين وما ذكرت هذين الا مثالا ٠

وبعد مرة أخرى فاذا كنا قد تعودنا أن يكون الهجوم على التليفزيون ضمن غذائنا اليومى. فقد أصبح من حق المشرفين عليه أن نهنئهم بالمستوى الرفيع الذى يسعون اليـــه وحسبهم انهم أدركوا أن التليفزيون الذى ساهم فى كثير من أعماله فى الانحطاط بالذوق العام هو المسئول وحده أن يرتفع بهذا الذوق ويعيد الى وجـــه مصر الثقـافى نضرته واشراقه وأشهد ان التليفزيون اليوم يسير فى هذا الطريق ٠

كتاب من السعودية

أحس الآن اننى أجلس فى غير مقعدى وأتناول قلما غير قلمى وطالما راودنى هذا الاحساس وأنا أتصدى لعرض كتاب أو رواية ، فقد أحسب نفسى روائيا ولا أعتقد ان عرض الكتب أو التصدى للأعمال الفنية مما ينبغى لى أن أقوم به · فأنا لم أدرس الأدب دراسة أكاديمية تتيح لى هذا التصدى وانما بدا الأدب عندى هواية جامحة ثم صار مع الأيام حرفة شأنى فى ذلك شأن الأغلبية الكاثرة ممن يعتبرهم الناس كتابا منشئين · ولكن ماذا أفعل · وقد أصبح النقاد الأكاديميون فى معزل عن حياتنا الأدبية وشغلوا أنفسهم بما لا ينبغى لهم أن يشغلوا به أنفسهم · ومن يدرى ربما الحت عليهم الحياة بمطالبها فعزفوا عن النقد الذى لايعود عليهم الا بأقل القليل وراحوا يبحثون بدراساتهم الأدبية عن موارد تستطيع أن تعينهم على الحياة ·

وقد أرى اننا هنا فى مصر لا نفى الأدب العربى حقه من العناية وهذا أمر مؤسف فما أدبنا المصرى الا جزء من الأدب العربى يتفاعل معه وبه ويتأثر به ويؤثر فيه فاذا لم نكن على علم بما يكتب فى شتى البلاد العربية فاننا نضع أنفسنا فى غربة أدبية تعزلنا عن أصولنا وفروعنا فى وقت معا ·

وانى أجد الكاتب المصرى يهتم كل الاهتمام أن يترجم له كتاب الى لغة غربية ولا يعنى ان يعرف أثر كتابه فى العالم العربى الذى يكتب له والذى هو ميدانه الأصيل والذى به عاش ويعيش وسيعيش والذى بغيره ينعدم وجوده ويصبح وكأنه لم يكن · فان وجودنا نحن الكتاب العرب انما يقوم على القراء العرب وبغيرهم نحن لم نوجد ·

طافت بذهنى هذه الأفكار وأنا أقلب صفحات كتاب من امتع الكتب التى قرأتها فى الفترة الأخيرة · وهو كتاب « الى ابنتى شيرين » للشاعر السعودى الشهير حمزة شحاتة وفى الكتاب مقدمتان أما الأولى فهى للأستاذ عزيز ضياء يروى فيها جانبا من حياة صاحب الرسائل فى أسلوب مبين طيع ·

وأما المقدمة الثانية فهى بعنوان كلمة من القلب بقلم شيرين حمزة شحاتة الأبنة التى توجهت اليها الرسائل موضوع الكتاب والحقيقة اننى

أسفت ان صاحبة هذا القلم المتمكن القادر بعيدة عن حياتنا الأدبية ولست أدرى كيف طاوعتها ملكتها الأدبية أن تحبس قلمها أن ينطق • فأسلوبها من أجمل الأساليب التى قرأتها ولغتها عربية أصيلة عريقة وهى فى نفس الوقت حديثة أخذة من التطور الأدبى والتحرر الفنى بأجمل ما فيه •

وهى تعرض فى هذه المقدمة ترددها بين نشر هذه الرسائل أو ابقائها طى الكتمان وهى فى هذا العرض تتيح لنا ان نعيش بنبض ابنة أديبة رقيقة المشاعر تحب أباها وتزهى بحبه لها وتتيح لنا أيضا ان نطالع خوالج نفس تؤمن بالقيم العليا الرفيعة التى بغيرها تنهدم أجمل مقومات الحياة •

والكتاب فى موضوعه جديد على الادب العربى فنحن العرب نخجل ان نبين عن مشاعرنا نحو أبنائنا وأهل بيتنا • وكأنما هذه العلاقات أشياء ينبغى لها الا يعرفها عنا الناس • بينما هى فى اعتقادى أسمى ما نتميز به من سائر أبناء البشرية ، وأى شيء فى البشرية أكرم من الحب ، وأى حب أشرف من حب الزوج لزوجته وسبحان من قال « ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » • وأى حب أشرف من حب الأب لابنته ولابنه • ذلك الحب الذى كلما فاض وازدهر دل على انسانية الانسان وشفافيته •

والخطابات التى يجمعها الكتاب تبدأ بعد أن تزوجت الابنة وتركت بيت أبيها الكبير الخالد وأحس الأب انه يريد ان يتحدث الى ابنته كما تعود ان يتحدث فلما لم يجدها لجأ الى قلمه وتلك النعمة التى خص الله بها بعض عباده تعينهم عند الشدة وتبل شوقهم عند اللهفة وتكون معهم عند حزن واشراقة أفراحهم عند خير وأمل غدهم وهموم يومهم وأمسهم •

يقول لابنته فى احدى هذه الرسائل :

« لقد شاطرتنى فى الماضى أيتها الحبيبة متاعبى وآلامى ، بل كانت نفسك الكريمة تحمل عنى أثقلها وأشدها وطأة ، فمن حقك على الآن ان أخلصك من الشعور بهذا •• يكفينى أن أشعر فى داخل نفسى بانك معى أينما كنت وعندما يتخلى عنى الجميع ، انك دائما أمامى وصوتك ينساب الى أذنى وقلبى رقيقا حانيا وأنفاسك تتردد على وجهى وبين عينى فتاطف حرارة احساس بالضنك والمرارة والعذاب • عندما أتخلص من هذا الشعور ••• وعندما افيق من عصرة الذهول الذى يطوح بى فى هذا الفراغ الرهيب الذى خلفه لى بعادك أستطيع أن أكتب لك كتابة أصفى لا تجدين فيها أثر الألم والدموع •

أرأيت كرم من هذه المشاعر ، هى حنينه اليها واليها هى يشكو • وهى دموعه والى سببها هى يبث ألمه •

حلوة هى الأبوة وعذبة وهى فى نفس الوقت قاسية عاتية تعتصر قلوبنا على أبنائنا وبناتنا حبا وخسوفا • فناء فيهم واشفاقا عليهم حدبا ورهبة • تفرح بهم ونجزع لهم • نسعد بسعادتهم وتشقى من مجرد التفكير فى غدهم أن يكون أقل سعادة مما نرجو لهم ، على صفحات وجوهنا تلقينا أنفاسهم الأولى فى الحياة ونعيش ما نعيش لا أمـــل لنا الا أن يستقبلوا هم آخر أنفاسنا نحن فى هذه الحياة • انهم أمل الآباء والمهم فرحهم وبكاؤهم هو اشراقة الحياة للآباء والأمهات وكل أمل هؤلاء الآباء والأمهات ان يكون غروب حياة الأب والأم بين يدى أبنائهـــم وطوبى لمن يتحقق لهم هذا الأمل •

شددت الشمس من مغربها

وهل من بأس علينا أن يكون العيد عندنا مجلبة لفرح ومبعثا لسعادة وداعيا لهناء . فأعياد العالم أجمع أفراح وسرور وحبور . وأعيادنا نحن نستنفر فيها الحزن ونستثير الأشجان ونمزق الجراح حتى وان كانت التامت وكساها من الله الرؤوف لطفا ومن مرحمته ندى يرطب هجيرها ويطفىء نيرانها .

ان أعيادنا أمر من الله سبحانه وتعالى أن يكون عباده سعداء وان نظرت الى العيدين الاسلاميين لوجدت عيد الفطر يعقب رمضان الذى أدى فيه المسلمون فريضة من أكرم الفرائض التى كتبها الله عليهم فى أكرم شهر اسلامى انزلت فيه معجزة الاسلام الخالدة الباقية الى أبد الآبدين . وأما العيد الآخر فهو عيد الأضحى الذى راح ابراهيم فيه يطيع أمرا تلقاه من ربه فى رؤيا نائم أن يذبح فلذة كبده الذى أصبح بهذه الواقعة نبيا هو الآخر ان يطلب من أبيه « يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين » ويختار الله سبحانه وتعالى ذلك اليوم ليكون يوم اجتماع المسلمين من فجاج الأرض وأقطارها وأى عيد أعظم من ان يجتمع أخـوة تضمهم وشيجة الله ويؤلفهم دينه الأقوم ويلتـأم شتاتهم على لبيك اللهم لبيك .

فالعيدان اذن أفراح وبشائر وسعادة وهناء فمالنا نحن فى مصر نحاول ان نجعل منهما حزنا وأسى ونقول لأنفسنا أو لمن يسالنا انا نحزن أن يأتى العيد ولانجد من مات عنا بيننا . وما أرى حزنهم هذا الا نكولا عن التصديق بأن فقيدهم من الابرار الذين هم عند ربهم فكهون فى جنات ونعيم لدى مليك مقتدر فى مقعد صدق على سرر متقابلين .

ولو آمنوا بهذا وما ينبغى لهم الا أن يؤمنوا به لفرحوا بما صـار اليه فقيدهم وبما استقر فيه هناك حيث لا قلق على الدنيا ولا خوف من الناس ولا جزع من الغد ولا هم لنقص فى مال ولا كبر لزيادة نشب الدنيا وجاههـا ومالهـا .

اذا كنت غير قادر على ان تفرح فأنا قمين أن أبعث الفرح الى نفسك فى عيدنا هذا فقد تعودنا نحن الذين جاوزنا الخمسين من عمـرنا أن

نتحسر على الخلق والقيم فى شبابنا وكم تبادلنا الحديث عن الشباب فى أيامهم هذه وقد انعدم من نفوسهم عز الرجال ونخوة الانسان وأخوة الأدمى للبشرية وغابت عنهم تلك المشاعر الرقيقة الحبيبة التى نحسها فى اغاثة ملهوف ونجدة الانسان لأنه انسان ٠

وكانت شمس الأمل قد غربت فى نفوسنا حتى وقع لى هذا الحدث البسيط الطريف فى أمس القريب والذى كان بطله مصطفى ولن أكمل اسمه حتى يظل كما أحب أن يكون مجرد شاب من شباب اليوم استطاع بقروش قليلة ان يشد الشمس الغاربة فى نفسى ليجعلها مرة اخـــرى تشرق وتتألق فى سماء الأمل ملقية على شباب اليوم ضياء باهرا ٠ ان كان بين هذا الشباب من غيب شمس الأمل فان منه أيضا من أعادها الى مشرقها ٠ وأى جيل سلم من السوء ٠ ان كان فى جيلنا خير فقد كان فيه ومازال شر وكذلك كان كل جيل قبلنا وكذلك سيكون كل جيل بعدنا ٠ سنة الله فى كونه ولن تجد لسنة الله تبديلا ٠

ركبنا أنا وزوجتى القطار من الاسكندرية قاصدين الى القــاهرة وبعض القطارات فى هذه الأيام مقسمة الى دواوين فهى عــربات نوم خصصتها المصلحة فى أيام الصيف لتواجـــه الزحام ٠ وفى كل ديوان ثلاثة أشخاص فكان رفيق سفرنا شاب ضابط فى القوات المسلحـــة أحسب أن النجمـــة الثـــانية على كتفه لم تسطع الا منـــذ قريب ٠ صوت رفيق سفرنا فيه حياء وفى وجهه اشراق وكان المغرب قد وجب ونحن فى انتظار القطار فكسرنا صيامنا أنا وزوجتى بكسرات قليلة وركبنا وطلبنا من ساعى القطار زجاجتين من المياه الغازية نرد بهما عطش الصيام وأحضر الساعى طلباتنا ولم ندفع له ثمنهما على عادة الناس أن يدفعوا عندما يأتى الساعى ليسترد الزجاجات الفارغة ٠ وطـــال غياب الســاعى وأحببت أنا وزوجتى ان نرى ذلك النادى الذى انبأنا عنه ميكرفون القطار عسانا نقطع الوقت الذى يطول دائما عند السفر وذهبنا الى النادى واستمتعنا بكراسيه المريحة ودفعنا ثمن جلستنا غاليا فالطلبات فى ذلك النادى القطارى ــ نســبة الى القطار لا أعلم ان كانت صحيحة أم لا ــ مرتفعة الأثمان باهظـــة ٠

وبعد وقت لا أدرى طال أم قصر عدنا الى الديوان ووجـــدنا رفيق سفرنا على حاله ولم أجد الزجاجات الفارغة فقلت لزوجتى :

ــ لقد جاء الساعى وأخذ الزجاجات ولم يأخذ الأجر فماذا سنفعل الآن قالت :

ــ لابد ان فى الديوان جرسا فلندقه له ٠

قلت :

ـ فلننظر ... أظنه هذا .

وهممت ان أدق الجرس فاذا بصوت لم نسمعه طوال الرحـــلة ينبعث من رفيق سفرنا .

ـ لاداعى

ولم أسمع أو خيل الى اننى لم أسمع .

ـ ماذا

ـ لا داعى فقد دفعت الحساب .

دهشت وشـــكرته وحاولت أن أرد ما دفع فاذا نظـرة حاسـمة وابتسامة وادعة تطالعاننى منه وأرد قروشى الى جيبى وأعجب .

انه لم يقل شيئا حين رآنا ولم يقل شيئا ونحن نتحاور بشأن دفع الحساب حتى اذا رأى اننـا سنتخذ اجراءا ايجابيا صاح بهذه الكلمات فى خجل وحياء وأدب ولست ادعى ان الشاب عرفنى فقد ســألته عن اسمه وعرفته ووجدت فى الاسم مصداقا لخلق الشاب وعرفته بنفسى فقال فى حيائه وأدبه :

ـ الكاتب .

قلت : ـ نعـــم

فهو اذن لم يكن يعرفنى حين أكرم غيبتى ورد عنى عادية ســـوء الظن وأسعدنى الفتى سعادة لا يدرى مقدارها وحسبه أنه كما قلت شد من مغربها فى نفسى شمس أمل وأعادها الى الاشراق . أمتعه الله وأهله بهذا العيد الذى جعل منه لى عيدين واسعد به أباه وأخوته الذين علمت أنه انما كان يقوم بزيارتهم فى الاسكندرية وما أجمل ان أجـد أخا يســافر خصيصـا ليزور أخته ويشعرها ان لها فى الحيـاة الى جانب أبيها أطال الله عمره أخا وسندا وظهيرا .

عصامنا وملاذنا وأملنا

كثير من الشيوعيين يغضبون حين نقول عنهم « كفار ملحدون » • ويسألنى سائلهم ان الكفر والايمان صلة بين العبد وربه فكيف يصل انسان الى ضمير انسان آخر • وهذا القول مثل كثير من حججهم حق استعمل فى موضع الباطل •

اما ان الكفر والايمان صلة بين العبد وربه فأمر لا ريب فيه • واما ان العبد لايستطيع ان يعرف صلة انسان بربه فهذا أيضا لا ريب فيه • ولكن بشرط واحد هو ان تكون الصلة غير معلنة اما اذا صاح عبد انه كافر بالله لا يؤمن به ولا برسله ولا باليوم الآخر فهنا لا تصبح الصلة بين العبد وربه وانما تصبح بين العبد والمجتمع • وهو انما يعلن على الملأ كفره بالله وحينئذ تسقط الأستار عن تلك الصلة التى تكون بين الانسان وربه وتصبح جهيرة شهيرة لا تحتاج لأحد أن يتسلل الى داخل النفوس ليعرفها •

وقد كان ماركس أذكى من اتباعه • وقد كان يعلم ان نظريته لاتستقيم عند قوم يؤمنون بالله فأعلن كفره به وأعلن ان نظريته لا تقوم الا مع هذا الكفر •

ولكن أتباعه بغباء شديد أرادوا أن يخادعوا الناس عن عقيدتهم وراح بعض منهم كثير يقول انه شيوعى مؤمن بالله • وهو قول لا يصمد للمناقشة ولا يستقيم فى الأذهان • الا ان يكون قول انسان ما انه يؤمن بالله ولا يؤمن بالآخرة قولا مقبولا • فالذى يؤمن بالله لابد أن يؤمن بما يقول الله وما دام الله يعدنا ويتوعدنا بالآخرة فالايمان بالآخرة هو فى ذاته ايمان بالله •

فاذا نظرنا الى أركان الاسلام وجدناها خمسة أولها الشهادة انه لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ولا اسلام لمن يقول لا اله الا الله ولا يؤمن ان محمدا رسول الله •

وما دمنا شهدنا انه صلى الله عليه وسلم رسول الله فلابد ان نؤمن ان الله أرسله • ولابد ان نؤمن انه أرسله بالقرآن فليس مسلما من لا يؤمن ان القرآن من عند الله • والقرآن وحده ، ولايقبل الايمان ممن

يرتضى شقا من القرآن ويرفض شقا منه آخر ولا اختيار للمسلم فى هذا ٠ انما اختياره ان يكون مسلما أو غير مسلم اما ان يكون مسلما ويقبل حكم الله فى الزكاة ولا يقبله فى ميراث الأبناء للأباء فهو غير مســـلم مهما يرتفع منه الصوت انه مسلم ٠

ومهما يلبس الجبة والعمامة ومهما يطلق لحيته ٠٠ هو غير مسلم ٠ والشيوعى يرفض الملكية باطلاقها فهو اذن يرفض الميراث من باب أولى فكيف يكون مسلما ؟ وعلى أى منطق يريد ان يزور علينا ايمانه ونحن هنا لا نتدسس على ضميره وانما نأخذه بالعقيدة التى يؤمن بها الشيوعيون٠ انها تقوم فى أساسها على رفض الدين وهو يقول بها فنحن اذن لا نتدخل بينه وبين ربه فهو لا يؤمن بربه بنص اعلانه عن مذهبه ٠

والشيوعى الذى اختار الشيوعية مرتد وأبناؤه الذين يولدون له وهو شيوعى ملحدون حتى يبلغوا الرشد ويختاروا الدين الذى يؤمنون به٠ وان كان حد الردة يقع على الشيوعى المسلم الذى اختار الشيوعية فهو لا يقع على ابنه الذى ولد له وهو شيوعى لأنه أصلا لم يدخل الى الاسلام حتى يكون مرتدا ٠

واذا جاء يوم وطبق القانون الاسلامى بحدوده الجنائية فى المحاكم فلابد ان المحاكم ستطبق على الشيوعى حد المرتدين لأنهم بنظريتهم تركوا الاسلام وهم لم يتركوه سرا وانما تركوه علنا وبصريح نظريتهم ٠

والشيوعيون الذين يدعون الاســـلام لا يملكون أنفسهم ولا يملك الكتاب منهم أخلاقهم فهى كثيرا ما تتمرد عليهم وتجعلهــم يكتبون كلاما حقيرا ساقطا فى معرض الحديث عن الدين ٠ منهم كثير من المتبجحين الذين بلغ بهم التبجح انهم يريدون أيضا ان يشرحوا القرآن ٠ وبطبيعة الحادهم يريدون أن يشرحوه على هواهم وعلى ما يريده لهم كفرهم ٠ وأعجب ؟ ما لهم ولهذا ؟ ولكن فيم العجب وهل تنمو الشيوعية الا فى العفن وهل يكون العفن الا فى ظل الكفر والبعد عن الله عصامنا حين لا عصام لنـــا وملاذنا اذا انقطع بنا الملاذ وأملنا اذا استحكم اليأس ٠ ولكن الشيوعيين لايريدون لنا عصاما ولا ملاذا ولا أملا حتى يفشو فينا رجسهم شـــاه ما يطلبون ٠ وبئسوا من كفرة ملحدين ٠ ولا اله الا الله وان رغمت منهم كل الأنوف ؟ ٠

كيميــاء الحظ

يقول ابن الرومي

ان للحظ كيميــــاء اذا   ما مس كلبا أحاله انسانا

يفعل الله ما يشــاء متى   شاء كما شاء كائنا ما كان

وتخترق هذه الأبيات الأزمان تصادف فى كل جيل من تصدق عليه وتصل الينا فى أيامنا هذه فاذا هى تصــدق على الكثيرين ٠ ويتمثل كيمياء الحظ عندنا فى أفراد خاضوا الحياة وسلاحهم سقوط المروءة ، وانعدام الكرامة وهو سلاح فتاك لا يبقي ولايذر ٠

فكل ذى كرامة يتعفف عن الموبقــات بخلق رفيــع يسمو به عن السقوط الى منزلة غير رضية أو مكان لايرضاه الشريف لنفسه اما ساقط المروءة منعدم الكرامة فهو منذ البداية فى هاوية لايخاف معها على شيء فالغريق لايخشى البلل ومن أمسى فى الدرك الأسفل من الهاوية ــ ليس يخشى سقوطا والى أين السقوط وهو فى الحضيض ؟

وقد بدا بعض من هؤلاء طريقه بائعا لمهنته فكان جاسوسا لكل من يدفع الثمن ٠ باع ضميره للظالم ثم عرضه فى السوق سلعة لكل من يشتري ٠ ثم أصبح عبئا على دولته يتاجر بأسرارها وهو على علم بها فهو فى بؤرة الأحداث يعرف الكثير ممن يحركونها ثم ارتقى فى سوق الانحطاط أو تردى الى الحضيض الأسفل من الخلق فراح يتاجر فى الشرف ويبيع مالا يباع ٠ وما لا يباع بضاعة رائجــة لها زبائن من كل صنف وملة والمتاجر معهم يتعرف على الكثيرين والذى يتعرف على الكثيرين يصبح هو فى ذاته بضاعة مطلوبة لكل من لا خلق له من ذوى النفوذ ٠ وقد شهد الناس فى كثير من الفترات من لا خلق لهم من ذوى النفوذ ٠ وهكذا صار الحضيض قمة وصار التاجر فى أقذر بضــاعة فى مكان الصــدارة يأمر وينهى ، ويوقف وينفذ ، ويمنع ويسمح ، وتزداد الأخلاق ضياعا ٠ والضمير انزواء ٠ والشرف خجلا والكرامة اختفاء ٠ فهى عاجزة تتوارى خلف الحياء وتنظر فى أمل الى يومها القابل ٠ فان النور يغلب الظلام ٠ مهما يشتد الظلام وان يكن ذلك التاجر الذى لايدفع الضرائب قادرا ان يضع على النور وشاحا من العتمة فان النور يظل نورا ووشــاح العفن

يسقط من تلقاء نفسه أو يسقطه ذو النفوذ الشريف . وقد أصبح بيننا ذو النفوذ الشريف وسوف يسقط ستار القذر ويظل النور نورا .

فكيمياء الحظ لاتبقى فاعلية موادها الا قليلا . فان يكن الوضيع قد ارتفع من ضعته بكيمياء حظ كافر فانه ساقط من مكانه بأمر كن من رب العرش العظيم الذى يحق الحق بكلماته ولا يصح عنده الا الصحيح . وان يكون الظلام قد زحف فكثف فأغطش الصبح وصار ليلا فقد انجابت عن الكون السحب ولله رجال بعون منه قادرون دائما على ان يرفعوا كلمته ويعلوا عدالته ويمحقوا الباطل ويهدموا الزور ويدمروا البهتان ويجعلوا الكفر من الغابرين .

وان لكل حية ذيلا . ولكن من يحطم رأس الحية قادر دائما أن يتبع رأسها الذنب . وان كان الظلام سريع الانتشار ، يغشو فى قليل من الوقت فان للنور زحفا بطيئا ولكنه زحف واثق وحين يسطع تزول كثف الظلام الى غير رجعة والى لا معاد وينزوى الحضيض الداكن باهتا ينظر الى مصيره الحقير فى حسرة مريرة لا أسفا على كرامته الزائلة فهى لم توجد حتى تزول وانما حنقا على سلطانه الدابر . ولو تدبر لادرك ان سلطاته كادت قائمة على هاوية وكانت مرتكزة على الحضيض . وهيهات لبنـاء ان يقوم على هاوية أو يرتكز على حضيض . فان قام فمصيره الانهيار الوشيك والزوال من قريب . ولكن من أين له التدبر ؟

وسبحان الذى قال « انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا » صدق الله العظيم .

سؤال الى اسرائيل ؟!

طالعتنا الاذاعات والصحف بالمبادرة الأمريكية التى أعلنها الرئيس ريجان على العالم • ومناقشة المبادرة أمر يحتاج الى شرح طويل لا اعتقد أن هذه العجالة تتسع له وانما أدهشنى ردا الفعل اللذان استقبلت بهما المبادرة فى بلــدين •

أما الأول فرد فعل المستر بيجين الذى قال انــه يعتبر اليوم الذى صدرت فيه هذه المبادرة هو أتعس يوم فى حياته منــذ تولى الوزارة • واكتمل رد الفعل الغريب برفض اسرائيل للمبادرة وحجتهم ان المبــادرة التى أعلنها المستر ريجان تعنى اقامة دولة « فلسطينية » !! • عجيبة • ففيم اذن قبلتم مفاوضات الحكم الذاتى ووقعتم على هذا القبول فى معاهدة كامب ديفد • أم كان الأمر مراوغة سياسية وكيف تريدون أن تنتهى المشكلة الفلسطينية اذا لم تكن نهايتها اقامة كيان فلسطينى يلم شتات الفلسطينيين المبعثرين فى أنحاء العــالم والذى اكتمل تشتيتهم اليوم بعد ما صنعتم بهم فى لبنــان •

ان الانسان ينسى ولكن المظلوم لا ينبغى أن ينسى • ولقد ظلمكم هتلر فظللتم تصارعون الزمن حتى انشأتم دولة وانتقمتم ممن لم يجن عليكم واوقعتم ثاركم على من لم يظلمكم • الا تخشون يوما يصنع فيه أبناء فلسطين ما صنعتم أنتم بهم ويومئــذ لن يكون انتقامهم من غير الظالم فهــم عرب والعربى يعرف كيف يسترد حقه مهما يطل الأمد•••واقرأوا التاريخ ••• وأنتم تدعون انكم تقرأونه •

المهم الآن اننى أريد أن توجه السلطة الحاكمة فى اسرائيل الى نفسها سؤالا بل أتمنى أن يوجه كل اسرائيلى الى نفسه هذا السؤال :

ماذا كان هدفكم حين قمتم بالحرب الأولى بينكم وبين العرب فى عام ١٩٤٨هل كنتم تريدون انشاء دولة اسرائيل أم القضاء على دولة فلسطين؟!!

فاذا كانت الأولى فها هى ذى اسرائيل قد نشأت واعترفت بها أكبر دولة فى المنطقة وتضمن وجودها أكبر دولة فى العالم وفى التاريخ ورئيس هذه الدولة يدعو الدول العربية الأخرى الى الاعتراف بها رسميا وهى معترفة بها بالفعل وان لم تعلن ذلك •

أما اذا كان الهدف الذى تجمعتم من أجله هو الغاء الكيان الفلسطينى فحينئذ لن تجدوا صوتا يقبل منكم هذا التحدى ·

فقد يفهم العالم ان جماعة تريد أن تنشىء دولة تنتفى بها ظلم الآخرين لها ولكن أحدا لن يفهم ان تسعى جماعة الى محو دولة من الوجود ·

واذا كان هدفكم هو انشاء دولة اسرائيل ففيم اذن تخافون من تجمع أبناء فلسطين تحت راية دولــة جارة لكم انتم تعرفون تمام المعرفــة انها لا تنشد الا السلام الذى تدعون انكم تنشدونه · ففيم اذن رفض اسرائيل لمبادرة الرئيس ريجان ·

أما رد الفعل الثانى الذى دهشت له ولم أعجب فهو ما أعلنه حكام سوريا · ففى الوقت الذى يقول فيه السيد فاروق قدومى ممثل أكثر الجبهات تطرفا فى الكيان الفلسطينى ان المبادرة الأمريكية فيها عناصر ايجابية نجد دمشق ترفض المبادرة جملة وتفصيلا · أما انى دهشت فذلك أمر طبيعى لاشك فيه وأما انى لم أعجب فذلك لأنى لم أكن أنتظر غير ذلك من فوارس ليس لهم سلاح الا كلمة لا · وان انتهبت أرضهم وان دك العدو معاقلهم وهم صامتون ·· نعم ·· وان ؟

أمنية لن تتحقق

أقرأ لكتاب كثيرين وأتحسر على حظهم العاثر الذى فرض عليهم أن يكونوا كتابا يعرضون عقولهم وثقافتهم واسلوبهم وعرضهم على الملأ وعلى الأجيال ٠ وأتمنى لو انهم قرأوا ما يكتبون بعد كتابته ٠ وأتصور ان الله لو كان يريد لهم الستر لكان هؤلاء الكتات كتاب أرشيف فى احدى الوزارات يقيد الواحد منهم الصادر والوارد فى دقائق معدودات فى تلك الغرفة الرطبة المتهالكة التى تعود الأرشيف أن يختارها لمقامه والتى تقوم جدرانها من الدوسيهات كومتها السنون ٠

وينتهى الكاتب من قيد الصادر أو الوارد ثم يفرغ لزملائه ويقول ٠ وحينئذ يتاح له ما لا يجوز أن يتاح لكثير من الكتاب الذين أقرأ لهم فى الصحف ٠ لأنه اذا كان موظف أرشيف فان من حقه أن ينتقد ما حلا له النقد دون أن يكون فى حاجة الى تبرير نقده وما حاجته الى التبرير انما المهم أن يقول وان ينتقد ويدش ٠ حتى اذا انتهى من النقد والشتم والسب والتهجم تكلم فى كل المواضيع التى يطيب له ان يبدو أمام زملائه على علم بها فيتكلم فى الذرة وبقايا الذرة وكيف ينبغى أن تدفن ثم يتكلم فى الأيونات ثم يعرج الى القمر والصعود اليه وكيف ينبغى لمصر أن تسارع باعتلائه ولا بأس عليه اذا تكلم أيضا عن الصعود الى الشمس وليس يعنيه معقولية ما يقول أو عدم معقوليته ثم يتكلم عن الاقتصاد وكيف نعالجه فى مصر وحينئذ سيتكلم بطبيعة الحال فى الاقتصاد فى جميع أنحاء العالم فهو والحمد لله يتكلم الى اخوان له ليس يعنيهم من كلمة الاقتصاد الا التوفير ليزوج الواحد منهم ابنته ويسترها أو ليدفع مهر ابنه ويؤدى واجبه نحوه كما أدى أبوه هو واجبه ، فهو اذن حين يسمع زميله يتكلم عن اقتصاد بولندا لن يناقشه وانما سيتركه يقول ما يشاء دون أى معارضة ٠

ولكن الوقت طويل والسنة ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وأحيانا ستة وستون وهذه المواضيع كلها لا تكفى لقطع الوقت على الرغم من الاجازات الكثيرة التى تنفرد بها مصر دون سائر بلدان العالم مثل عيد الوحدة والفاتح من سبتمبر وأعياد النصر الذى تم فى وسائل الاعلام وحدها وغير ذلك من أعياد الأحزان فى مصر على الرغم من كل هذه الأجازات تبقى الأيام متطاولة وحينئذ لا يجد كاتب الأرشيف مناصا من أن يتكلم فى الدين

ويفسر القرآن كما يفهمه هو وليس الكاتب محتاجا أن يقول ان من حق كل انسان أن يفسر القرآن فان أحدا لن يطالبه بالمراجع حتى يقول هذه القالة فهو سيفسر وهم سيصمتون فالوقت المتطاول عليه متطاول عليهم أيضا ومادامو لا يجدون شيئا يصنعونه فما عليهم لو انهم استمعوا الى أى حديث حتى اذا انتهى من تفسير القرآن بادئا من الفاتحة وسورة البقرة منتهيا الى سورة الناس دلف الى السياسة الدولية فاذا ضاقت به سبلها بدأ يتناول وزارات مصر الواحدة تلو الأخرى وراح يفيض فى مقترحاته ولا عليه أن كانت هذه المقترحات كفيلة بمشيئة الرحمن أن تكون قاصمة الظهر لمصر ولكن لا بأس عليه فان شيئا من مقترحاته لن يخرج من باب الأرشيف ٠

وأتصور هذا الموظف متزوجا من سيدة تظل طوال النهار تطهو له طعامه حتى اذا عاد تصدرت هى مكان الحديث فتروح تكلمه عن أسعار الخضار واللحم والأدوات التى استلفتها من جاراتها وما استلفته منها وأذكر شطر البيت « وما من ظالم الا ويبلى بالظلم » فزوجته بالعدل الالهى تنتقم لزملائه بالديوان منه ويظل هو صامتا طوال غدائه ٠ ثم ينام قليلا ليرتاح من حديثه الذى قاله ومن حديث زوجته الذى استمع له أو لم يستمع حتى اذا صحا من القيلولة ذهب الى المقهى ليلعب الطاولة راحت زوجته تلف على الجيران تجمع الأخبار تتنطس الأسرار ويلتقى الزوجان فى الموهن الأول من الليل وتروح زوجته تنفض على مسمعه حصيلة دورانها على الجارات حتى اذا تعبت من الحديث راح هو يحدثها عن الايونات وينتقد لها الساسة والسياسيين فى شرق وغرب ويفسر لها القرآن ويشتم اليها الوزراء ويعرض عليها مقترحات التغيير وهى تتفوق على زملائه فى الأرشيف بأنها دائبة على الاعجاب به تحصنه بالحى القيوم وتذود عنه العين باسم رب الفلق وتحرسه وتضمنه باسم النبى صلى الله عليه وسلم ٠

كاتب الأرشيف هذا أحسده على النعيم الذى يقضى فيه صباحه وعصره ومساءه وأتمنى للكتاب الذين يعرضون آراءهم على الناس لو كانوا جميعا هذا الموظف حتى لا يذيع جهلهم ولا يغشو بين الناس ما ينبغى أن يستتر من عيبهم وعجزهم ٠ ولكن الله سبحانه وتعالى لحكمة لا يعلمها الا هو كتب عليهم أن ينشروا ما يخطون على الورق وان يطبع هذا الذى يخطون ويقرأه الناس فيما يقرأون والأمر من قبل ومن بعد لصاحب الأمر وحسبنا الله ونعم الوكيل ٠

فكيف يخونه دمه

حين تصنع المعروف هل تنتظر الشكر ممن تصنعه له • اذن فأنت لا تدرك معنى الذى تصنع • أو أنت ، على الأقل لا تتعمق نفسك وأنت تقدم الفضل • الحقيقة انك تسعد بأن الله سبحانه وتعالى مكنك أن تقدم للناس خيرا • وهل هناك جزاء أعظم من أن ترى سعادة مشرقة على وجه انسان • ما معنى الحياة اذا كنت لا ترى من حولك سعداء • وما قيمة سعادتك اذا هى أحيطت بالشقاء •

اذا كنت ستنتظر الى شكرك مقابل فضلك فأنت اذن لا تدرك حقيقة ما تقدم من فضل انه فى ذاته يحمل لك الجزاء الأوفى •

ولكن هناك سؤال آخر يلح على النـــاس الذين يحبون أن يصنعوا المعروف • فان كثيرا منهم يخشى قالة الناس انهم يقدمون عونهم ليشتروا مديح الناس لهم • ولو ان أصحاب الفضل استمعو الى مثل هؤلاء لما قدم أحد الى آخر فضلا • فان هناك جبلات من البشر وليسوا من البشر يحبون أن يروا الناس تعساء • وعلى رأس هؤلاء الشيوعيون فان مذهبهم لا ينمو الا فى الشقاء فان اغتصبوا السلطة أصبح اشقاء الناس هوايتهم وحرفتهم • ولكن مالنا ولهؤلاء فما اردت الحديث عنهم اليوم وانما تذكرتهم حين ذكرت الوحشية فى المعاملة والرغبة العارمة عند بعض المنتسبين الى الأدمية فى اشقاء اخوانهـم من الأدميين وهيهات لانسان سوى أن يـذكر الوحشية والشقاء ولا يذكر الشيوعية والشيوعيين •

اننى أفكر فى أمر صانع المعروف وهل يجوز له أن يرده كلام الناس عما يجب أن يصنعه للناس من خير • سيقال عنه انه متظاهر وانه يتكلف الأفضال وما هو من الفضل فى شىء وأذكر قصة من أروع ما حمله الينا التاريخ الاسلامى • يوم تمكن أحـــد الصحابة من عدو له وشهر عليه سيفه يوشك أن يقتله فصاح العدو « أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله » وفى لحظة أحس الصحابى أن الرجل انما نطق الشهادة ليتقى القتل ولم ينطقها عن اقتناع فأهوى بسيفه عليه وقتله • وعرف النبى صلى الله عليه وسلم بالواقعة فقال للصحابى :

ــ قتلت امرءا مسلما

قال الصحابى :

ـ انما اسلم خوفا ولم يسلم عن عقيدة ·

فقال عليه الصلاة والسلام :

ـ هل اطلعت على قلبه ·

فالسريرة لا يعلمها الا الله · فاذا كان الناس يتهمون من يقدم المعروف بالتظاهر أو تكلف غير طبعه فهم انما يرجمون بالغيب ويحاولون أن يدحروا الخير بين الناس بالشر الذى تمزج به نفوسهم ·

ولما كان الشر والخير هما محورا الصراع منذ بدء الخليقة فانه ينبغى على كل شريف أن يكون حربا لا تعرف الهوادة على الشر فللشر وسائل كثيرة لا يملكها الخير ·· الشر يملك القتل · والخير يقتل القتل · والشر يتخفى وراء الملذات والخير لا يخشى الوضوح · والشر يصاحب المتع العاجلة والخير ينظر الى قيمة الانسان ويرفض منه ان يكون مجرد حيوان · ولهذا لم يكن عجيبا أن يقول رسول البشرية صلى الله عليه وسلم « الجنة حفت بالمكاره » ·

فالمتع العاجلة لها لذتها وقمع النفس عنها كريه وصعب ولكن الانسان اذا أخذ نفسه بالشرف تعودت نفسه ذلك وأصبح حب الخير جزءا منه ورحم الله العقاد حين قال مادحا أحد الماجدين

وحب الخير فى دمه فكيف يخونه دمه

ولكن هل حب الخير وصنعه يحتاج حقا الى جهد من صانعه أما أنا فاعتقد أن حب الخير وصنعه هو متعة فى ذاته · ربما ترددت قليلا وأنت تقدم بعض المال الى محتاج ولكنك حين ترى هدأة القلق وطمأنينة الحيران وانحسار اللهفة عن الملهوف ارتدت اليك نفسك بسعادة لا يعدلها مال العالم أجمع ·

وليقل عنك الناس ما شاءوا فما دمت أنت صادقا مع نفسك وربك فماذا يعنيك من الناس · وكن على ثقة أن أهل الخير من أمثالك هم الغالبية العظمى من الناس وان كان الشر أكثر وضوحا فى الحياة فذلك لان الشر ذو صوت مرتفع جهير والخير يهمس ولا يعلن ويخافت ولا يصيح · ومع مرور الزمن لابد أن يمدحك الناس · ولا أستطيع أن أنسى حوارا قرأته فى كتاب من كتب التراث :

قال أحدهم :

ـ والله ما ابالى مدحنى الناس أم ذموا •

فأجابه آخـر •

ـاسترحت من حيث تعب الكرام •

وليس الخير مجرد استجلاب لمديح وانما هو كما قال العقاد : أمر يجرى فى العروق مجرى الدماء وهيهات للدماء ان تخون صاحبها •

لم يأت عيد

حين دعا ابراهيم عليه الصلاة والسلام ربه أن يجعل أفئدة من الناس تهوى الى بيته المحرم الذى أقامه بواد غير ذى زرع وحين استجاب سبحانه وتعالى لدعاء ابراهيم وفرض على المسلمين حج البيت من استطاع اليه سبيلا أراد سبحانه فى علياء سمائه أن يكون فى اجتماع المسلمين اجتماع لكلمتهم وتوحد لرأيهم واجماع منهم على ما يواجه المسلمين فى جميع أنحاء الأرض فالحج ليس مجرد عرفة ولا هو سعيا بين الصفا والمروة ولا هو طوافا بالبيت الحرام وانما هو معنى ضخم عظيم . فليس الله فى حاجة الى جمرات المسلمين ترجم ابليس ولا هو سبحانه يريد لعباده الجهد الجهيد وانما يريد سبحانه تقدست أسماؤه أن يشعر المسلمون بمعنى اجتماعهم فتجتمع كلمتهم ولا تتفرق وتتحد مشاعرهم ولا تتبدد . وقد اختار سبحانه يوم اجتماعهم ذلك اليوم المشرق فى تاريخ البشرية يوم افتدى دماء البشر بدماء الحيوان ممثلا فى الكبش الذبيح ليجعلهم يعرفون انهم فى المعاناة وحدة فلو ان ابراهيم ذبح اسماعيل لتقرب البشر بعد ذلك بذبح أبنائهم تقربا الى السماء ولكن الرحمن الرحيم رد عنهم هذا البلاء وجعل فى دفع البلاء عنهم عيدا لهم لينتفعوا هم به فليس الله فى حاجة الى الانسان وانما الانسان دائما هو المحتاج الى الله وفى احتياجه له كرامته وفى ذله اليه عزته وفى السير على هداه خيره وفى تقاته نجاته وفى اجتماع كلمة المسلمين مجد المسلمين فى دنياهم وفى حياتهم الباقية .

فأين نحن اذن من هذا الذى أراد سبحانه أن يهدينا اليه . وأين نحن من معنى الحج . وأين نحن من هدف العيد .

المسلمون تتناوشهم أيدى السفاحين فى لبنان وتجعل من أطفالهم وشيوخهم ونسائهم مذبحة سيرويها التاريخ فيما يروى من مخازى البشرية ومن مظاهر بعدها كل البعد عن أى معنى شريف فى هذه الحياة فما أخس البشر وأدناهم وهم يرتكبون من أعمال الاجرام ما يعف عنه الحيوان غير ذى العقل ولا الضمير والذى حجب الله عنه نعمة الارادة والتفكير .

وهناك افغانستان المسلمة المجاهدة المناضلة تقف فى وجه الدولة العظمى والدماء تنزف من فمها . دماء بشرية مسلمة تغتالها ولا يصعد بعض من هذه الدماء الى وجهها ليكون حمرة حياء أو بعض حياء .

والحرب قائمة بين المسلمين فى ايران ـ وما أدرى أن كانوا مازالوا مسلمين أم أصبحوا بغير دين ـ وبين المسلمين فى العراق ٠

ودول من المسلمين تضع يدها فى يد روسيا المخضبة بدماء الاسلام فى أفغانستان ٠

والمسلمون يحجون ٠٠ ويقفون بعرفة ويطوفون بالبيت ، ويسعون بين الصفا والمروة ، ويرجمون ابليس وقد علموا ان ابليس أصبح من بينهم هم ٠ ويعلم الله ويعلم الصادقون ان اباليس المسلمين أولى بالجمرات من ابليس بطحاء مكة ٠

فواضيعتا للاسلام واضيعتا لأعياده ٠٠ فلا والله ما جاء عيد ولا عيد لنا نحن المسلمين الا يوم تجتمع كلمتنا وتتوحد صفوفنا فى سبيل ديننا القيم ويومئذ يجوز لنا أن نقول قد جاء عيد وكل عام وأنتم بخير ٠

الوزير والقاموس

وجاء فى كتاب عيون الأخبار :

« وقال آخر انما قيل لمدير الأمور عند الملك وزير من الوزراء وهو الحمل يراد انه يحمل عنه من الأمور مثل الأوزار وهى الأحمال · قال الله عز وجل « ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم » أى حملا من حليهم ولهذا قيل للاثم وزر · شبه بالحمل على الظهر · قال الله تبارك وتعالى « ووضعنا عنك وزرك · الذى انقض ظهرك » ·

الى هنا وينتهى كلام عيون الأخبار لابن قتيبة · وعجبت انه لم يذكر قوله سبحانه فى سورة طه «واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى» ولا قوله جل وعلا فى سورة الفرقان « ولقد أتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا » وجاء فى اللسان « الوزير حبا الملك الذى يحمل ثقله ويعينه برأيه وقد استوزره وحالته الوزارة بالفتح وبالكسر والكسر أعلى · ووازره على الأمر أعانه والوزر بالسكون الملجا والوزر بالفتح الجبل وجمع الوزد وزراء واوزار ·

وربما كانت قراءتى فى هذه الأيام لعيون الأخبار هى الباعث لى أن أكتب هذا الكلام وربما كان الداعى الى الكتابة غير ذلك ·· لا أدرى ·

وانما أردت أن أقدم الى الوزراء ما قالته عنهم كتب التراث والقواميس راجيا من العلى القدير أن يكون الوزراء وزراء لا أوزارا ·

فالوزارة ليست السيارة وداخلها التليفون ولا هى الحاجب ومدير المكتب والسكرتير ·

والوزارة ليست دعاية وأخبار تلقى هنا وهناك بلا نتيجة ولا هى مؤتمرات ولا هى صيحات · وانما هى حمل شديد ثقيل وعلى الذى ينوء بالحمل أن يتركه لمن يستطيع حمله ·

فقد جاء علينا حين من الدهر كان الوزير مسكينا حالته يرثى لها فقد كان يعمل وعينه معلقة على أصبع الحاكم وفمه ، أما العين على الأصبع فانه يخشى أن يحرك الحاكم أصبعه ولا يرى حركتها وأخشى ما يخشاه أن يشير الحاكم بأصبعه اشارة الطرد فاذا الوزير فى الطريق · وأما العين

على الفم ففى انتظار ابتسامة رضا تشرق بها للوزير الدنيـــا جميعا أو توجسا من تكشيرة غضب تقطب بها للوزير كل آفاق الحياة ٠

ثم انقشع هذا الحين من الدهر وارتدت للوزير كرامته من الحاكم ٠ ولكن الكرامة لا تمنح وانما هى جزء من النفس تنشأ معها وتنغرس فيها كانغراس العظم فى كيان الانسان فاذا زالت الكرامة أصبح الانسان هباء لا قوام له ولا كيان ولا وجود ٠

وبعض الوزراء يظنون أنهم كلما تحدثوا كان ذلك أمكن لهم واثباتا لجسومهم على كرسى الوزارة وربما ينبغى لهؤلاء وهؤلاء أن يقرأوا هذه المادة التى قدمت بها هذه الحديث ليـــدركوا أن الوزارة عبء لا سيارة ، وحمل لا وجاهة ٠ وانما يكرمهم الناس لأنهم يحملون عنهم وزرهم ، أى حملهم ويعينون الحاكم على مهمته الكبرى ٠

فلو أن كل وزير كفى الحاكم هموم وزارته لأصبح جديرا أن يحمل لقب وزير ٠ وأما اذا كان الوزير سيكتفى بالاعلانات واللافتـــات فانـــه سيصبح فى هذه الحالة حملا على الحاكم ، أى سيصبح هو فى ذاته وزرا ولن يكون وزيرا ٠ والوزارة فى ذاتها أمانة والأمانة تقتضى فى حملهـــا الأمانـــة ٠

والوزير يجلس فى مكان تنسكب فيه الأضواء فالهفوة منه أثم عظيم ٠

والوزير فى أى وزارة يمثل واجهة للحكم كله فى داخل مصر وفى خارجها فاذا شاب الواجهة شائبة من شك شاه وجه الحكومة جميعا ٠

والواجهة النقية أصل لا تحتاج الى من يشرح الحاجة اليها ولكنها فى هذه الفترة بالذات أصبحت أصلا وحتما فى وقت معا ٠ فما أصبحت مصر تحتمل أى وزر جديد يضاف الى أوزارها ، أى أحمالها ٠

ومرة أخرى اللهم اجعل جمع الوزير عندنا وزراء لا أوزارا ٠٠ اللهم انا سألنا القريب المتعال الذى لا يرد دعوة شعب عانى وما كان له يد فيما عانى انك أنت سبحانك السميع المجيب ٠

حرية المؤامرة

بعض الناس يمتحنهم ربهم بأنفسهم . والنفس هى ما تتسلط على النفس . فان هناك عند بعض الناس نوعا من الغباء يجعلهم يظنون أنهم هم وحدهم الأذكياء فى هذه الدنيا . وانهم يستطيعون أن يضحكوا على الناس ويفرقوا عليهم الأكاذيب والأراجيف والادعاءات وكأنها حقائق ثابتة .

وقد بلا الله الشيوعيين فى كثير مما يبلو به البشر . بلاهم أول ما بلاهم فى دينهم وعقيدتهم فهم ملحدون بغير دين ومن كان بغير دين فهو بغير ملجأ ومن لا ملجأ له فالحياة حوله خراب وهو يسعى أن يجعلها خرابا حول الناس أجمعين .

وبلاهم سبحانه فى شعورهم بالحياء فهم لا حياء لهم على الاطلاق يطلقون الأكذوبة ويشفعونها بالأدلة والأسانيد والاحصاءات والنظريات فاذا أنت أثبت عليهم تحريف الحقائق وجدت كل ما يقولونه كذبا فى أساسه وتنهار منهم الأسانيد والحجج والنظريات ولكنهم لهم من الصفاقة وجمود الوجه ما يجعلهم لا يخجلون ويعيدون الكرة بأكذوبة أخرى وارجاف آخر واعتداء على الحق أشد ما يكون الاعتداء ولا بأس عليهم اذ ظهرت الحقيقة فمن لا حياء له لا صدق له .

وبلاهم أيضا بالتكبر الغبى فهم يظنون أنهم أذكياء وأن كل عباد الله المؤمنين بأى دين كلهم أغبياء وفى ظل هذا الوهم يقيمون دعايتهم . وها هم أولاء فى كل البلاد غير الشيوعية يتباكون على الحرية ويطالبون بها كاملة غير منقوصة . واذا أنت سألتهم ما هى الحرية المثالية فى البلاد الشيوعية أجابوك فى فجور من لا حياء له..لا شأن لنا بالبلاد الشيوعية فان لها ظروفها الخاصة انما نحن قوم مثقفون وطبيعى أن يطالب المثقفون بالحرية فى كل مكان واذا قالوا هذا خيل اليهم أنهم أغلقوا دونك المسالك وأغلقوا عليك الطريق لأنهم دائما يظنون أنهم أشد ذكاء من مجادليهم ومن الذين يقولون ربنا الله جلا وعلا ملكوته وسبحانه وتعالى عما يلحدون..ولو أن مجادلهم سألهم أى نوع من الحرية تريدون ستنغلق عليهم هم المسالك وتغلق الطرق جميعا . لأنك ستشفع سؤالك بأن تقول لهم ان المطالبة بالحرية هى ذاتها حرية لا يجرؤ عليها فرد فى الاتحاد السوفيتى أو فى البلاد الواقعة تحت براثنه . ثم ها أنتم أولاء تهاجمون الحكومة بكل ضراوة

وتختلقون الأباطيل على الوزراء فلا يرفع أى وزير عليكم حتى الدعوى العادية التى يرفعها المسئولون فى أكثر البلاد حرية وأعرقها ديموقراطية فما هى الحرية التى تريدونها ولا يستطيعون طبعا أن يقولوا انهم يريدون حرية المؤامرة على قلب نظام الحكم والاتصال بالدول الأجنبية علانية لتمدهم بالمال اللازم لتدمير مصر فليس يكفيهم أن يتصلوا بها سرا ٠ ويريدون حرية الفوضى والقتل والتخريب ٠ ولا يستطيعون طبعا أن يقولوا لك أنهم يريدون حرية الفوضى ليقتلوا بها الحرية المنظمة ويريدون نوعا من الديموقراطية يرسمون هم ملامحه ومعالمه ليقتلوا به كل أنواع الديموقراطية ٠

ولا يستطيعون أن يقولوا أنهم يريدون حرية الكذب والاختلاق والاعتداء على أعراض الناس وكراماتهم دون حتى أن يقول لهم أحد كذبتم وادعيتم بغير حق واتهمتم بالباطل ٠

تلك هى الحرية التى ينشدون وهذه هى الديموقراطية التى اليها يطمحون ساءت نشيدتهم وساء ما اليه يهدفون ٠

الا فليعلموا ان الحق لهم بالمرصاد وأن مصر ترفض كل فكرهم بايمانها بالله لا بالحاد وبالنظام لا بالفوضى وبمنطق الرأى لا منطق السلاح الذى يشهرونه فى أفغانستان اليوم وفى بولنده والذى شهروه من قبل فى المجر وفى غيرها من الدول التى قضى عليها سوء طالعها أن تقع فى ستارهم المشئوم ٠ والعياذ بالله رب العالمين ٠

انما الذكرى لمن ينسى

انما تكون الذكرى لمن جر عليه الزمن اذيال النسيان • ولن يجرؤ الزمن أن يجعلنا أو يجعل أى مصرى شريف ينسى السادات لحظة من لحظات يومه اذا أصبح أو ان كان ممسيا •

يذكره المصريون كلما أشرق عليهم صباح لا يتهددهم شبح الحرب الذى خيم على مصر عشرات السنين • فبشجاعة السادات وحدها انحسر عنا طوفان اللهيب وأمنت الأم على شباب ابنها والزوجة على زوجها والأبناء الصغار على أبيهم وانطلقت فى أرجاء مصر أنسام السلام الدائم عززه خلفه حسنى مبارك ومكن له • وأصبحت الحروب تطوف بالعالم ونحن منها فى مأمن ومن حرها فى حصن حصين •

يذكره كل مصرى اذا أصبح واستقبل يومه بغير خوف من يومه ولا هلع واثقا انه سيخرج الى الشارع لن يسير خلفه مخبر ولن تسلط عليه ألوان العذاب والقهر والعسف والجور بغير ذنب الا أنه مصرى وبغير جريمة الا أنه شريف • وتمضى لحظات اليوم فيذكره كل مصرى لأنه رد اليه أمنه فهو واثق أنه لن يساق فى يومه الى السجن ولن يعتدى أحد على عرضه ولا على أعراض أهله ولا على ماله ولا على حريته •

حتى اذا أمسى المساء وأليل الليل يذكره كل مصرى لأنه يستطيع أن يجلس الى التليفزيون أو الراديو دون أن يترقب الكارثة القادمة اليه من خلال وسائل الاعلام فلن تفرض حراسة ولن تفتح معتقلات ولن تعلن حرب ولن يسطى على فئة ولن تباد آمال • حتى اذا قصد المصرى الى فراش نومه ذكره لأنه واثق أنه سيقضى ليلته الى صباحه فى فراشه لن يقض مضجعه طواغيث الحاكم ولن يخدم أحد عليه سكينته ولن يعتدى أحد على قدسية بيته ولا على حرمة هدوئه ولن تساق زوجته بملبس بيتها الى السجون أو المعتقلات أو الطريق العام على أقل تقدير •

ويذكره المصريون اليوم على صعيد السياسة العالمية فيجدون أن ما كان ينصح به أصبح أملا يسعى الجميع الى تحقيقه ويسمعون زعيم العراق يقول ان أسوأ يوم شهدته العرب هو يوم قطعهم العلاقات مع مصر فيدرك المصريون أن زعيمهم الراحل قمة فى السياسة العالمية • ويذكره

المصريون اذا سافروا الى الخارج وشهدوا تقدير العالم المتحضر جميعه لذكراه ولاسمه . ويذكره المصريون حين يقرأون الصحف المعارضة اليوم ويجدون خليفة السادات يتيح لها أن تقول ما تشاء لا تراعى حتى الحق فيما تقول ولا يتعرض لها أحد بقهر أو اسكات أو روع . ويذكر المصريون أن ما تشهده اليوم من حرية هو اشراقة شمس شدها السادات الى سماء مصر بعد غروب طويل .

يذكره كل مصرى بل يذكره كل عربى يوم اتخذ قرار العبور وحدد له اليوم الذى نحتفل به ولا أقول بذكراه ومصر فى ذلك الحين لا تملك قوت يومها بله غدها . والأهوال دون العدو ضارية والهزيمة الماحقة القاصفة مازالت تجثم على نفوس العرب فى مشارق الأرض ومغاربها . وبما فضل من الله العلى القدير وثقة فى قائد المعركة وصاحب القرار عبر الجيش المصرى الهزيمة الى النصر ، والأهوال الى المجد ، والماء والنار والجبل الى الخلود .

فالسادات اذن مذكور فى كل لحظة من لحظات يومنا وفى كل يوم من أيامنا وفى كل شهر من أعوامنا وفى كل عام من حياتنا أو نحن اذن الجاحدون وما كان المصرى ولن يكون فى يوم جحودا يرده عن الجحود آباؤه الأولون وايمانه بخالق السماوات والأرض ذى العزة جل سبحانه وعلا عما يصف الجاحدون .

ملبس أجرب لزمن ممزق

ما هذا الزمان الذى أصبحت فيه القذارة هى مظهر الأناقة والصعلكة هى التطور والملابس الممزقة هى مجاراة العصر ، ومظهر اشراقه وجماله ، لقد تمزق العصر وظهر تمزقه على الملابس · وأصبحت القيم هى الأخرى جرباء فأصبح الملبس أجرب ·

رأيت نساء حليقات الشعر كأنهن الرجال · بل رأيت فى التليفزيون الفرنسى امرأة ملونة بلا شعر على الاطلاق ومازال كثير من الشباب — وان كان أقل من ذى قبل — يطلقون شعورهم فما أثار منظر اشمئزازى قدر منظر المرأة بلا شعر ومرأى الرجل يطلق لشعره العنان ·

ورأيت فى لوزان آنسة كان يمكن أن تكون جميلة ولكنها راحت تحارب ما وهب الله لها من جمال بشتى الوسائل والحيل حتى نجحت فيما تصمدته وبلغت من أهداف القبح ما سعت اليه ، فشعرها منفوش يوحى بالقذارة وملبسها مترهل عن عمد لا عن فقر · فواضح انه قد كلفها من المال كثيرا وان كان لم يكلفها من الذوق شيئا ·

ورأيت شبابا لحاهم مهملة فلا هى حليقة ولا هى مطلقة وانما شىء بين الأثنين لا أدرى كيف يحافظون عليه على حاله هذه دون تغيير ·

وأرى كثيرا من مدعى الفن يطلقون لحاهم علم الله انهم يريدون أن يلفتوا اليهم الأنظار · وقعدت بهم مواهبهم أن يلفتوا الشهرة اليهم بأعمالهم فحاولوا ذلك بلحاهم ولن يهب الله فنا لمجرد لحية ·

وان كانوا يحتجون بالحرية فان أحدا لا يمنعهم أن يصنعوا بشعورهم وملابسهم ومظهرهم ما يشاءون ولكن ماداموا يرون انهم مارسوا حريتهم بهذا القدر فليسمحوا لنا أن نقول نحن أيضا رأينا مستعملين حقنا فى الحرية نفسها ·

انكم تثيرون القرف والاشمئزاز والتقزز وان كان هذا ما سعيتم اليه فبشراكم قد بلغتم من الدنيا مناكم وبئست المنى ·

وهنيئا لكم زمنكم الأجرب الذى اغتال الزعيم الوحيد الذى حقق نصرا للعرب فى العصر الحديث · وبأيدى أقوام يدعون حرصهم على دين العرب ·

وعلم الله مادعاهم الى القتل الا التكالب على الفانية وليس النظر الى الباقية والحرص على الدنيا والرفض للعليا · والسعى الى المنصب والرئاسة والتحكم فى عباد الله بما لا يرضى الله ·

وهنيئا لـــكم زمنكم الأجرب الذى ســـمح لهنات الناس وبغاتهم أن يهاجموا الأئمة الشم الذين أدوا رسالاتهم أكرم ما تؤدى الرسالة وأوفى ما يكون القيام بالأمانة ·

فهذا عميد الأدب العربى الذى تخرج الأدب الحديث على يديه طه حسين يواجه حملة ضارية من المجاهيل الضائعين يريدون هدم مجده ونسف ركنه ومحو الشامخ من بنائه · ويصيح بهم الحق ان ما سطره التاريخ لا يمحوه الصغار ولا حتى الكبار ·

وهذا شاعر الأجيال الحديثة جميعها شوقى يعتدى على عرشه الهوف والحمقى ومدعو الشعر يريدون أن ينزلوه عنه ويجذبوه من قمته التى لم يقتعدها شاعر قبله ولا شاعر بعده هناك فى ذؤابة الشعر العربى كله ·
ووسيلتهم الى ذلك كلام لا هو من الشـــعر ولا هو من النثر ولا هو شـــكل ولا هو معنى · وانما ترجح بين السقم والضحالة · وبين العى والفهاهه · وبين العجمى والفصحى وبين العربية واللفظ والغربية بالفكر والانتماء ·

زمان أجرب اتخذ الملبس الأجرب لقيم جرباء ولفظ أكثر جربا ·

الفن فيه صوت لا يؤدى معنى ونغـــم ناشز وصخب فى غير حلاوة وضجة فى غير طرب ·

يقول المغنى الهذاء والسخف والالفاظ التى لا تركب جملة والحروف التى لا تكون لفظا فتنسكب عليه أموال الاعجاب ويصبح اسمه علما على عصره ··· وقد وافق شـــن طبقة وتلاءم غناؤه وتفاهة الزمن وتواكبا واصطحبا واشتهر غليظ الصوت بجمال النغمة وأصبحت الحشرجة طربا والقبح حسنا والخرف فنا ·

زمان سقطت فيه القيم وعلا فيه الانحطاط · وهان فيه الرفيع من شيمنا وساد فيه الدنىء من أخلاقنا ·

وسقطت المثل الرفيعة · ليحيا المال وحده بغير عنان من شرف يلوى به عن السرف أو مسكة من ضمير توقف جبروته وطغيانه فهو وحده المعبود وهو وحده السيد المتصرف · بطانته الجهل والجنس والجبروت والتكبر بلا كبرياء والترفع بلا رفعة والتطاول بلا طول والاعتداء على كل مقدس ·

والقتل لكل فضـــيلة أو فاضـــل · والبعد كل البعد عن المرحمة والحب والانسانية ولا أقول النورانية ، فهيهات ·

لهم الله المؤمنون المحسنون من أبناء العصر · فلولا ايمان بالله عميق لم يبق فيها من خير ولتركوها مختارين رافضين ان ينتظروا حتى يطويهم ما أصبحوا يتوقون اليه لينقلهم هناك عند عزيز رفيع السماوات صاحب العرش والكرسى حيث ترعى عنده وحده سبحانه حرمات شاء ان تصان ··· وانها ببعض قليل من عباده مصونه وان رغم أنف الزمن الأجرب ··

ونحن نتعلم

الأستاذ عبد الستار الطويلة من أحب الناس الى على الرغم من رأيه الذى يقف فى الجانب الآخر من رأيى وقد أسعدنى أن أقرأ له كلاما موضوعيا حتى يكون نقاشى له موضوعيا أيضا ·

وانى أبدأ فأقول للأخ عبد الستار الطويلة ان النظرية الشيوعية نظرية ضخمة وكبيرة وليس من المتاح أن يكون نقاشها موضوع مقال فى جريدة يومية يقرأها المختص وغير المختص وقد خاضت النظرية عشرات السنين وهى نظرية وعشرات أخرى وهى تطبيق فاذا راى الأستاذ عبد الستار الكتاب المعارضين لا يميلون الى مناقشتها فان مرجع ذلك الى سببين : السبب الأول ان مناقشتها مسألة أكاديمية يحيط بها الكتاب ولا تحيط بها المقالة · والسبب الآخر ان هذه النظرية أصبحت نظام حكم فى بعض البلدان فالنظرة العلمية تقتضى أن تناقش التطبيق لا النظرية ·

أما ما يقوله الأخ عبد الستار ان اليسار شىء عريض تندرج فيه النظرية الشيوعية فهذا حق نعرفه جميعا · فقد جرى العرف أن يكون أى ضغط على أصحاب الدخول الكبيرة اجراء يسارى وربما كنت أنا بهذا المفهوم يساريا أيضا لأنى أؤمن من أن الفرد اذا كسب وجب عليه أن يؤدى للدولة حقها عن كسبه فهى التى أتاحت له هذا الكسب · ولهذا المفهوم نجد أن انجلترا وهى أعرق الدول فى الديمقراطية من أقرب الدول الحرة الى اليسارية ·

أما أن النظرية الشيوعية رفضت الدين فهذا أمر لا شك فيه ، فأخى الأستاذ عبد الستار يعلم ذلك كل العلم بل ان النظرية لا تستقيم الا به فكل الأديان تحترم الملكية الخاصة · وفى قرآننا يا أستاذ عبد الستار تفصيل للميراث فى سورة النساء فى حين ان الله سبحانه وتعالى لم يذكر فى كتابه العزيز تفصيلا مماثلا لعدد الركعات فى الصلوات ·· ونبينا صلى الله عليه وسلم ختم رسالته بخطبة الوداع التى قال فيها ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم الى آخر ما قال سيد الخلق عليه أفضل الصلاة والسلام ·

فالنظرية منطقية مع نفسها حين ترفض الدين رفضا كاملا · فاذا وصلنا الى التطبيق وجدنا روسيا الشيوعية ترفض أن يدخل الحزب شخص

يدخل الكنيسة أو المسجد . وهذا أيضا منطقى مع التطبيق الشيوعى ، فالكتاب الذين يهاجمون الشيوعية اذن لا يختلقون عليها أمرا وانما يذكرون عنصرا من أهم عناصرها ولن يردهم عن ذلك أن الشيوعيين فى مصر يحجون بيت الله ويقيمون الصلاة فما هذا بنافعهم فى شىء ماداموا يؤمنون بنظرية تهدم الدين والدين لا يتجزأ يا أستاذ عبد الستار وكذلك النظرية لا تتجزأ بل ان النظريــة اذا احترمت الدين احترقت لأنه سيقع عليها حينذاك ان تحترم الملكية الفردية التى قامت النظرية كلها على تحطيمها .

فلا خلاف فى أمر الدين والنظرية اذن يا أخى عبد الستار .

أما مسألة القومية فاننى كنت أرجو أن تحترم الآخرين كما عهدتك يا صديقى وانى أذكرك بموقف خروشوف يوم جاء يضع حجر الأســـاس للسد العالى ورأى أن فكرة القومية تحمل فى ثناياها تجمعا اسلاميا أو عربيا فقال اذا كان الأمر كذلك فأنى أجمع قومى من هنا وأعود الى روسيا .

وأنت تقول ان النظرية ترمى الى التجمع القومى . وهذا تماما يا أخى ما نقوله عن الشيوعية نحن الكتاب المعارضين لها فنحن نقول ان الشيوعية تهدف الى الغاء فكرة الوطن لا فكرة القوميــة لأن الوطنية هى الانتماء الى الدولة بذاتها وبذل الروح فى سبيلها والشيوعيون يحاربون هذا الشعور ويصفون صاحبه بأنه شيفوفى نسبة الى وطنى فرنسى كان يحاربهم .

أما القومية كلفظ فقد يدعون اليها لتكون تجمعا دوليا يسهل عليهم بعد ذلك أن يقتنصوه وراء ستارهم الحديدى . على الا تكون قومية دين أو قومية عنصر .

وأنت يا أخى عبد الستار تعرف اننا نعرف النداء الشيوعى الخطير يا عمال العالم اتحدوا فهو النداء الذى يدعو العمال أن ينسوا أوطانهــم ليفكروا فى الوطن الأوحد روسيا الشيوعية . وليس بعزيز على من ترك دينه أن يتنكر لوطنه يا أخى عبد الستار . أما بقية المقال فأنى أحييك عليه؛ وأؤيد فيه كل ما نقلته عن خصوم الشيوعية الساعين الى الحرية والكافرين بالطاغوت ولك منى أحسن الأمنيات .

سلام على الانضباط

قد يستهين البعض بالمخالفات الهينة التى تطالعنا كل يوم فى شوارع القاهرة ولكن الحقيقة انها خطيرة كل الخطورة · فليس يتصور أحد أن يصبح الشارع المصرى فوضى عامة ثم نامل بعد ذلك فى أى اصلاح ·

أنا أمر بذلك الشارع الضيق الذى يصل شارع ٢٦ يوليه · بجريدة الأخبار فى طريقى الى الأهرام بشارع آخر أشد ضيقا · والطريق فى الشارعين الصغيرين مسموح بالمرور فيه للقادم من شارع ٢٦ يوليه غير يهولنى من الأمر أن أرى هيبة الدولة مهشمة هكذا فى الطريق العام · فان لا أجد سيارات تواجهنى قادمة من الجهة الممنوعة · وأعجب معى اذا قلت لك انه كثيرا ما تقابلنى سيارات نقل ضخمة محشورة فى الشارع من الجهة المقابلة ولكن عجبك لاشك سيبلغ أقصى مداه اذا أخبرتك ان سيارات الأتوبيس أيضا قد تحطم الممنوع وتدلف الى هذا الشارع المسكين لتغلقه تماما ولتتراجع أمامها كل السيارات القادمة من طريقها الشرعى ·

ان هذا الذى يحدث بصورة منتظمة يوميا تقريبا ليس مجرد اعتداء على شارعين صغيرين من شوارع القاهرة وانما هو اعتداء على هيبة الدولة جميعا ·

وليس الأمر بالنسبة الى خطيرا فى ذاته فاننى أستطيع أن أترك سيارتى والتمس طريقى الى مكتبى فى الأهرام مشيا على الأقدام وانما يهولنى من الأمر أن أرى هيبة الدولة مهشمة هكذا فى الطريق العام · فان الأمر ليس مجرد مخالفة وانما هو اعتداء على قوانين الدولة بصورة علنية وبوقاحة لا تتأتى الا لقوم يشعرون ان القانون العام لا يعمل ·

وكذلك الأمر معى وأنا فى طريقى الى بيتى فأنا أقطن بشارع عزيز أباظة بالزمالك وهو أيضا مفتوح للقادم من شارع ٢٦ يوليه مغلق فى الجهة المقابلة ومع ذلك لا يمر يوم دون أن تواجهنى أرتال من السيارات تهشم القانون قادمة من ميدان عزيز أباظة ضاربة باللافتة المانعة عرض الشارع وثقة الناس بالقانون ·

وكم أخشى أن يظن القائمون بالأمن اننى أطالب أن أذهب الى عملى والى بيتى دون أن يردنى تحطيم للقانون فى رواحى وغدوى فما أهون هذا

المطلب على مشروعيته ولكننى أروى ما أشاهده أنا فى حياتى اليومية واثقا أنه يقع فى كل الشوارع البعيدة عن وسط القاهرة والتى تحتشد فيها قوى الأمن ·

وكأنما هذه الشوارع البعيدة ليست ملكا للدولة ولا تمثل هيبة القانون بينما الحق انها ملك لكل أفراد الشعب المصرى من أسوان الى الاسكندرية بل هى ملك لكل زائر لمصر ·

وكم أرجو أن يفكر رجال الأمن ماذا يقول القادمون سائحين من أوروبا وأمريكا اذا شهدوا هذا الذى يحدث ·

بل هناك أخطر من ذلك · ان كان هناك مجرم يفكر فى ارتكاب جريمة مترددا بعض التردد ·· فالذى لا شك فيه أن تردده سيزول حين يرى الاعتداء على القانون يقع فى الطريق العام بلا ردع ولا عقوبة فالدولة التى تقع بها المخالفة فى العلن ليس عجيبا أن تقع بها الجريمة الكبرى فى الخفاء · وسلام على الانضباط حيثما كان هذا الانضباط ان كان ما زال له مكان يعرف أو مظنة يزار فيها ·

ولكن أخلاق الرجال تضيق

من أعظم الأبيات التى صادفتها فى قراءتى ذلك البيت العظيم :

لعمرك ماضاقت بلاد بأهلهـــا   ولكن أخلاق الرجـال تضيق

فالبيت مع جمال صياغته يضع قاعـدة وطنية تظل الأيام ترددهـا وتؤيدها على مدى السنوات الطوال وقد قيل هذا البيت منذ ألف عام ونيف وباليقين لم يكن الشاعر يدرى أن مصر ستلاقى من العنت والقهر ما لاقته ولم يكن يدرى أن الآلاف من أبنائها سيتركونها مهاجرين ويتركها أيضا غير أبنائها الذين اتخذوا منها موطنا واختاروها دون بلاد الله بلدا لهم . ولكن المصرى الذى يهاجر يحمل مصر معه ويأبى فى اعتزاز لا أعرف له مثيلا ان يتخلى عن جنسيته المصرية قد يقبل ان يحمل جنسية أخرى ولكنه قط لم يترك جنسيته المصرية ، بل ان الأغلبية الكاثرة منهم تتوق أن ترجع الى مصر ليكون ملاذه الأخير ومراح اطمئنانـه ومبعث دفئه من برد الغربـة وهجير الوحـدة .

وكنت مع أخى وصديقى الأديب الفنان فاروق خورشيد فى اليونان وكنا نمشى فى شوارع أثينـا نتبادل الحـديث باللغة العربية فاذا أقوام يتحلقون حولنا وقد رنت فى أذانهم أنغام اللغة المصرية ولا أقول العربية فهم لا يعرفون الا اللهجة المصرية أو أكثرهم على الأقـل لا يعرف غيرها ويصيحون بى وبصديقى : أنتم من مصر ... أنتم من البلد الحبيب .. كيف الحال هنـاك . أنستطيع أن نرجـع الآن . وفى يوم كنت أحادث صديقى فاروق ونحن فى طريقنا الى صيدلية لنشترى منها بعض دواء . ودخلت الى الصيدلية ووجهت حـديثى بالانجليزيـة الى صاحبها فاذا هو يجيب فى لغة عربية خالصة وليست مصرية وفى لسان فصيح ليس فيه من العجمة أثر قال صاحب الصيدلية :

ـ نعم يا سيدى أن هذا الدواء عندى ودهشت وصديقى من هذه اللهجة العربية والنقية وسألته :

ـ كيف عرفت أننى أتكلم العربية وضحك وهو يقول :

ـ لقد سمعت حديثكما وأنتما قادمان الى الصيدلية وراح الرجل المثقف يسأل عن أنباء مصر ولم تكن حتى ذلك الحين تسر فرحنا نحن نحاول أن نتستر على ما بها وما ندرى ان كنا أفلحنا أم تعثر بنا الكذب ·

وأرى فى كل عام فى لوزان بسويسرا عائلة يونانية تصر على أن تلتقى بى وتتعرف منى ومن زوجتى على أنباء مصر وعلم الله اننا قد نجد الأسرة تعلم من أنبائنا ما لا نعلمه ·

فاذا كان هذا حال الأجانب الذين تمصروا أو أقاموا فى مصر دون تمصر فما ظنك بنا نحن الذين رضعنا لبانها وسرت فى شوارعها وحواريها وأزقتها وريفها وبحرها فى الخوافى البعيدة من مسارب نفوسنا · لنا بين ربوعها ذكريات الطفولة والصبا والشباب ومن أقام لحقت به أيدى الكهولة والشيخوخة ولنا فى باطن أرضها أجداد أجداد أجدادنا وأباؤنا ولنا مشرق بسمة أبنائنا وعنائهم وخطى أقدامهم فى لعب وفى جد ولنا مستقبل هؤلاء الأبناء وغدهم الذى أصبح غدنا نحن ما عشنا وأهم جزء منا اذا نحن فارقنا الحياة · ولا أستطيع أن أذكر مصر ولا أذكر الحنين اليها عند ملك الشعر العربى شوقى الخالد وهو يقول :

اذا الزمان بنا غيناء زاهية	ترف أوقاتنا فيها رياحينا
الوصل صافية والعيش ناغية	والسعد حاشية والدهر ماشينا
والشمس تختال فى العقيان تحسبها	بلقيس ترفل فى وشى اليمانينا
والنيل يقبل كالدنيا اذا احتفلت	لو كان فيها وفاء للمصافينا
والسعد لو دام، والنعمى لو اطردت	والسيل لو عف والمقدار لو دينا
لم يجر للدهر أعذار ولا عرس	الا بايامنا أو فى ليالينا
وهذه الأرض من سهل ومن جبل	قبل القياصر دناها فراعينا
ولم يضع حجر بان على حجر	الا على آثارنا أو فى ليالينا
كأن أهرام مصر حائط نهضت	به يد الدهر لابنيان فانينا

وعدت على مصر العوادى ومازلنا واحسب اننا سنظل لسنوات نعانى آثار الزلزال المدمر الذى ترك مرافق مصر ركاما متهتك الأوصال ممزق النواحى والناس تصرخ وتشكو، والناس تحب الشكوى· منذ وعيت السياسة لم يرض الشعب المصرى عن حزب حاكم قط حتى وان كان هو الذى اختاره وأجلسه على كرسى الوزارة وحسبى لاذكرك مثال لاتنساه مصر · ألم ينجح

الوفد فى آخر انتخابات دستورية فى مصر قبل الثورة وكان نجاحه عارما أخاذا فقد كانت الانتخابات بعد أن ظل مبعدا عن الحكم أكثر من خمس سنوات • ومع ذلك فحريق القاهرة وقع بعد سنة وبضعة شهور قليلة من تولى الوفد مقاليد الحكم • ومهما قلت ان هذا الحريق كان وليد مؤامرة فالذى لا شك أن الشعب لو أراد لتصدى للمعتدين ولردهم على أعقابهم دون أن يلحقوا بالقاهرة الحبيبة ما ألحقوه بها من خراب •

وفى الأمس القريب يصل الى خطاب من مجهول وان كانت الجهة التى تفضلت بارساله الى غير مجهولة • واعف عن الرد عما جاء بالخطاب من دناءة فما تعودنا من هذه الجهة الا مثل هذا وانما أجيب فى شأن واحد مما جاء فى الخطاب وهو غضبه على اننى لا أتكلم فى مشاكل الشعب • لكم يتاجرون بك أيها الشعب العظيم • وهل يحتاج الشعب لأحد أن يذكر له مشاكله • أليس هو أدرى الناس بها • ما أسخف الطبيب اذا وصف للمريض داءه الذى هو أدرى الناس به دون أن يصف الدواء •

فاذا أنا تصديت لهذه المشاكل على غير علم منى مكين بدوائها فأنا ذلك الطبيب الذى يردد على مسامع المريض أعراض مرضه ثم يتركه ويمضى دون أن يذكر له الدواء •

وانما قصارى الأمر معى ان أهيب بالحكومة ان تنفذ رأى العلماء • فهى قد استشارت رجال الاقتصاد وأئمته أفتراها نفذت شيئا من آرائهم •

أما ان اتكلم عن مشاكل التليفونات فمن أين لى الخبرة بذلك ولكن لماذا لا يمتدح الناس التقدم الذى تحقق فى هذا المرافق انسوا ان وسط القاهرة ومصر الجديدة والمعادى ظلت سنوات لا ينطق فيها تليفون • الا ينبغى علينا أن نحمد التقدم حتى يجد العاملون عندنا بعض الاعتراف بالفضل بدلا من أنهار الذم التى لا يقف سيبها •

أو أتكلم على مياه الصرف أو غير ذلك فاننى أكون كذلك الطبيب السخيف • أنا لن أردد كالببغاء ما يعرفه الناس مهتبلا بالحديث الفرصة لاهاجم الحكومة فلست بذاك • فما أصبح الهجوم على الحكومة اليوم بطولة • وفيم البطولة وجرائد المعارضة تقول ما تشاء وتختلق ما تشاء أيضا وتصدر مع ذلك فى مواعيدها بل وتسافر الى الخارج أيضا تحمل أنسام الحرية التى تشهدها مصر الى العالم المتحضر الذى أصبحت الحرية فيه أمرا لا يحتاج الى الاشادة به وتعلن هذا العالم أننا نسير فى هذا الطريق واننا عنه لا ننكص • فلنضرب اذن صفحا عن الخطاب وأصحابه وعن ذلك المجهول المعروف ولا أحب أن أروى بيت المتنبى المعروف فبقدر ما أبغض الناقصين أبغض أيضا أن أمدح نفسى •

تحطيم الهواء

يشهر الكاتب المبتدىء قلمه الطفل ويشرع سنه الأخضر الغض ويهتف صارخا ٠٠ سأحطم ٠ وأول ما يتصور أنه سيحطمه التقاليد ٠ فهى عنده تلك القيود التى رثت على تعاقب الأزمان والتى عبرت الأجيال مقدسة الخطى بفضل جمود العقول فى رأيه ، موفورة الجلال بفضل جهل الشعوب التى تأخذ بها فيما يظن ٠

ويحسب الكاتب النضير الأهاب أنه أصاب من الأمر مفاصله وأنه وقع على طلبته ووجد الشيء الذى اذا حطمه سيصفق له الشباب والمتحررون بتفكيرهم والمتسامون بعقولهم ٠

ويكتب الطفل وما هى الا بعض سطور حتى يجد التقاليد تحيط به من كل جانب وأن القيم الكبرى التى اعترفت بها البشرية قبل ظهور الأديان ثم أكدت الأديان معانيها وثبتت رواسيها وشدت أطنابها هى المثل الثابتة التى لا تستطيع أى قوة شريفة أن تقف فى مواجهتها بل ان القوى الوضيعة اذا ما واجهتها فانما تواجهها خفيه متسترة بأستار هذه القيم نفسها متشحة بخمار هذه المثل الرفيعة محاولة أن تميل بها عن طريقها ، وتحيد بها عن جادتها ، وتصرفها عن سمتها الواضح الجلى الذى لاسمت غيره فالشرف واضح والصدق جلى والخلق الرفيع هو الخلق الرفيع مهما تتكالب حوله الأغراض وتتشعلب دونه شراذم اللئام ٠ ماذا يستطيع الكتاب الذين يريدون أن يحطموا التقاليد أن يحطموا ٠ أيستطيعون أن يحطموا الحب ٠ كيف ٠٠٠ ! يمتدحون البغض مثلا ؟ والكراهية والحقد والسخيمة السوداء والغل المعتم الوضيع ٠

أيستطيعون أن يقولوا ان الأمانة شر ، وان السرقة رفعة ام ان الصدق سقيم ، وان الكذب متعة ٠

ان القيم ثابتة لا تتغير ٠ وكل الذى تغير هم الناس ٠ فقد أصبحوا يعرفون الشر ويأتونه علانية ولكنهم بعد لم يستطيعوا ولن يستطيعوا أن يدافعوا عنه ٠

ان الشباب الذى يريد أن يحطم التقاليد لا يحطم الا الاغراض الهينة الساذجة البسيطة التى لا تمثل الا مظاهر هذه القيم والتى لا تصل الى لبابها أو حقيقتها ٠

فمن الأمور مثلا التى يصر الكتاب من الشباب على تأكيدها حرية الفتاة فى الاختيار • ويتوهم الشاب أنه أتى بجديدة يحطم بها التقاليد وقد يكون فى ارغام الفتاة شيء من التقاليد • ولكنها تقاليد لا تمثل القيم الحقيقية بل هى حتى لا تمثل الدين وهو القمة الرفيعة لعليا القيم • فالنبى عليه الصلاة والسلام كان يرى أن الفتى يجب أن يرى عروسه مقبلة مدبرة ويرى عليه الصلاة والسلام انه أحرى بالعروسين أن يؤدم بينهماأى يأكلان معا • وكان الرأى فى الاسلام أن الفتاة لها أن تختار زوجها وكتب التراث مليئة بالروايات عن الفتيات اللواتى رفضن الخاطبين لهن •

فانت اذن ايها الكاتب الشاب لم تحطم قيمة فالقيمة ثابتة وانما حطمت مظهرا ليس من القيم فى شيء • وحين يكتب الشباب عن احترام الأبناء لآبائهم فهم انما يحاولون أن يحطموا عماد البيت وأساسه • ولكنهم اذا مالوا الى مظاهر هذا الاحترام فانهم سيجدون متسعا ومراحا • لم يعد الأبنـــاء يحترمون الآباء بمظـاهر خارجيـة وانما يقر الاحترام فى دخيلة نفوسهم والاحترام علاقة متبادلة • فالأب غير المحترم لن يحترمه أبناؤه • فاذا وقفوا له رائحا وغاديا فهم قردة لا يدل وقوفهم الا على الســـخرية والتحقير وليس يعنى مطلقا الاجلال أو التوقير •

والفتاة فى تصرفاتها قد تعدو على المظـــاهر وقد نجد مؤلفين من الشبان أو مؤلفات من الثائرات يقولون لها اصنعى ما شئت فما دمت شريفة فقد حل لك أن تخرجى حين شئت وترجعى حين أردت والعبرة بما تصنعين وليس بما يبدو منك • والكتاب هنا يوقعون الفتيات فى كارثة ما من سبيل الى علاجها فالشرف سمعة •• وأقولها ثانية وثالثة وعشرا ••

الشرف سمعة •• فاذا راحت الفتاة تعبث بهذه السمعة بغير حكمة ولا تعقل أو بصيرة أصبحت فى نظر المجتمع عاهرة وهى التى ستدفع الثمن وحدها • والمصيبة الكبرى حين تكون شريفة وترمى بهذه الوصمة • والناس لهم الظاهر وهم معذورون فما من أحد يصل فى أمر الشرف الى الحقيقة العارية وانما الأمر كله سماعى حين يتجاوز الفاعلين •

ليت هؤلاء الشباب من الكتاب يوجهون هممهم الى الدولة وليس الى التقاليد •• ليتهم يقولون للدولة ونقول معهم لا تظلمى فئة على حساب فئة •• ولا تطحنى الموظفين فى ساحتك حتى لا يشب الحقد بنفوسهم وتغلى مراجل الغضب فى ضلوعهم على كل المجتمع • ليتهم يقولون للدولة لقد ملكت فاسجحى • وحكمت فاعدلى •

فالعدل قديم وليس فيه جديد • والعدل قيمة لا سبيل أن نعدوها •

ليت الشباب من الكتاب يقولون للناس اذا ضاقت فالى فرج ان ادلهم الليل فسوف ينكشف عن صباح ٠

فان الأمل بالشباب خليق وبالمؤمنين منهم أخلق ، ليت الشباب من الكاتبين يكفون عنا تلك السموم التى تموج بها رواياتهم فكلها يأس أسود مرير شديد المرة وكلها قاتم داكن القتامة لا فرجة فيه لأمل ٠

ليت الشباب يكتفون بما تكرر من المعانى السقيمة التى تثير طبقات المجتمع بعضها على بعض والتى تفتعل الأحن والعداوات بين أبناء الوطن الواحد ٠ فتلك نغمة يصطنعها الشيوعيون ليدمروا بها المجتمعات لانهم هم لا يسيطرون الا على المجتمعات التى تم تدميرها ٠

مناجاة

كان الموضوع الذى يشغل ذهنى هذا الأسبوع خطاب الى اسرائيل فان أمرها عجيب كل العجب كنت أريد أن أقول لحكامها وساستها ويحكم لماذا تبذلون كل هذا الجهد لتجعلوا العرب يبغضونكم أشـــد البغض ويكرهون ذكركم كل الكراهية · أنهم ولله الحمد بالغون فى بغضكم وكرهكم أقصى مدى دون حاجة منكم الى هذا العناء والمجهود ·

ويقول عنكم العالم ويقول الناس انكم أساتذة العالم فى الاقتصاد · ولكن يبدو أن العالم واهم · وأن الناس مخدوعون · فالذى يبدو من أمركم أنكم أجهل الناس فى الاقتصاد فلوانكم درستم الجدوى ـ كما يقول التعبير الاقتصادى ـ للمذابح التى تقومون بها والأموال التى تنزفونها فى تحطيم الحرية والسلام والاعتداء على حقوق من عاهدكم وسالمكم فى طابا لوجدتم خسائركم أعظم ملايين المرات مما تكسبون · الا أن يكون هذا الجهد مبذول لجعل العرب يكرهونكم وحينئذ تكونون أشد الناس جهلا بالناس بينما يقول عنكم العالم ويقول الناس انكم من أعلم خلق الله بمعاملة خلق الله وهكذا نجد مرة أخرى أن العالم واهم فى أمركم وأن الناس مخدوعون عن حقيقة ثقافتكم ·

ان كان لابد من جهد تبذلونه فانما ينبغى أن توجهوه الى محاولة ازالة البغض الذى تراكم فى نفوس العرب على مدى ثلاثين عاما ويزيد · انكم فى أشد الحاجة الى بعض محاسنة والى اصطناع شىء ولو يسير من سماحة الوجه بدلا من أسنان الذئاب التى لا تنفرج وجوهكم الا عنها ·

كان هذا الموضوع يشغلنى وأريد أن افيض فيه لولا اننى اضطررت الى مصاحبة ابنى الى مطار القاهرة ليستقل الطائرة المصرية الى باريس فى بعثة علمية تستمر ستة أشهر · وكان موعد قيام الطائرة الواحدة والنصف ظهرا وتقضى تعليمات شركات الطيران أن نكون فى المطار قبل الموعـــد بساعتين وهكذا كنا فى المطار فى الساعة الحادية عشر والنصف وانتهينا من اجراءات الجوازات وغيرها فى ساعة أو بعض الساعة ومكثت مع ابنى انتظر موعد الرحيل وأشرفت الســـاعة على الواحدة فاذا بمن ينبئنا ان الطائرة ستتأخر ساعتين أى ستغادر فى الساعة الثالثة والنصف · وحين اقتربت الساعة من الثالثة اشفق على ابنى ورجانى أن أذهب أنا الى البيت

وقد قبلت رجاءه معتقدا انه سيسافر بعد نصف ساعة · ونمت للقيولة وخرجت وعدت الى البيت قرب العاشرة فاذا أحد أصدقاء ابنى يخبرنى ان الطائرة غادرت القاهرة فى الثامنة والنصف أى أن الركاب الذين قدر عليهم أن يسافروا بهذه الطائرة مكثوا فى المطار تسع ساعات كاملة · وغادروا بيوتهم فى العاشرة صباحا ليصلوا الى باريس فى الثانية والنصف صباحا من اليوم التالى · وقد حاولت أن أتصل بالوزير توفيق عبده اسماعيل فى بيته ولكن تليفونه ابى أن يجيب فرأيت أن أقدم اليه هذه الشكوى على صفحات جريدة الحزب الذى يجمعنى واياه واضيف حتى لا أكون جائرا أن معاملة الموظفين فى شركة مصر للطيران تفوق فى رقتها وفى تهذيبها أغلب شركات الطيران الأخرى · ولكن أى ذوق يجدى مع انتظار هذه الساعات جميعا وأعلم أن هناك قطعة غيار لم يجد المهندسون فى مخازن الشركة لها مثيلا فان كان هذا حقا واغلب الأمر أنه كذلك فوامصيبتاه · اذا لم تجد الطائرة قطعة غيارها فى منزلها وعقر دارها فأين تراها تجدها بربك يا معالى الوزير · وبعد فهل ترانى فى هذا الكلام قلت شيئا أم ترانى ناجيت القارىء وبثثت اليه بعض نفسى فان تكن الأخيرة فهل على بأس أن أناجيك من حين الى حين وابث اليك شكواى مرة واستبدل بمقعدى مقعدك وبمكانى مكانك فكلنا فى الهم مصر ؟

الى من ينجح ٠٠ لقد نجحت فويل لك

لا يحسبن الناجح أنه حين ينجح فقد انتهت متاعبه وآلامه ومشاكله ٠

الا فليعلم أن هذا الذى فرغ منه انما هو أهون المتاعب وأقلها شأنا وربما كانت المتعة التى تصاحب العمل والتى ترادف أداء الواجب وارضاء الضمير تجعل هذا الذى فرغت منه ذكريات تنثال الى مشاعرك بالسعادة والهناء ٠

ولكننى يا أخى أخاف عليك مما يعقب نجاحك فأنت — لا شك — تتوقع الابتسامة المشرقة ، والاعجاب بك ٠ والفرحة الغامرة من سائر الناس عند لقائك ٠ وربما توقعت فى غمرة من طيبة نفسك فالناجح فى أغلب الأمر انسان طيب — أن حفلات التكريم ستنهال عليك وكلمات الاكبار ستنسكب ارسالا على أذنيك ٠

ومن أجل هذا التوقع منك أسارع اليك ٠ فاننى أخشى أن أتركك وشأنك فتروعك الحقيقة ٠ ويصدمك الناس ٠ ويحطم الحقد ما قد يداعب نفسك النقية من آمال ٠

أما أن نفسك نقية فهذا أمر طبيعى لأنك شغلت نفسك بأن تتقن عملك وصرفتها عن الحقد على الانسان وتقصى الصغائر والتعامى عن كبريات الأمور وعظائمها وقلت كما يقول المتنبى :

وتكبر فى عين الصغير صغارها وتصغر فى عين العظيم العظائم

ومن هذا النقاء ينفذ اليك أبناء الحقد الأسود والسخيمة الداكنة ويلوثون الشريف من نقائك والرفيع الكريم من أعمالك ٠

وسيأتيهم طيعة من قريب تستجيب لهم كما تستجيب الأفاعى للحواة ٠

فان كنت رجل أعمال وأصبت النجاح فانت لص مستغل متحايل ٠ وان كنت رجل علم ونلت شهادة الدكتوراه فأنت غشاش والذين أعطوك الدرجة العلمية جهلاء والكلية التى منحتك اياها مزورة ٠ واذا كنت صاحب فن فأنت سطحى ان كنت كاتبا ، وأنت مفتعل اذا كنت فى مهنة التمثيل ، وانت أجش الصوت أن كنت مطربا ، وانت ناشز النغمات ان كنت ملحنا ، وأنت باهت الألوان ان كنت مصورا ٠

وأنت لن تنال هذا الحقد الا اذا كنت ناجحا بلغت من النجاح رضاء الجمهور الشريف الذى لا يصدر حكما فى الفنون الا بطبيعة بريئة بعيدة كل البعد عن الغرض · خالصة الشوائب من الأحقاد · رفيعة عن التنطع عالية عن الدناءة بريئة الا من الحق والصدق · وهؤلاء الحاقدون لن يرعوا لك حرمة ولا يتقون الله فى حكم لهم · وقد تبلغ بهم الدناءة أن يهاجموك وأنت مازلت تفتتح حياتك وأنت بعد غض نضير تروض جناحين من ريش النجاح الجديد ولكنهم فى قساوتهم لا يرحمون جناحيك الهشين ولا تطلعك المتفائل الى مشرق آمال عراض وأيام وضاء ومستقبل فى فنك بشر به حاضر وباركه من الجماهير رضاء وميل اليك ·

ولا عليك فهم كما يركبون الى نجاحك مراكب القسوة والوحشية يركبون الى الشيخ الجليل الذى يقتعد القمم الرفيعة من مجده الفنى مراكب الشطط والاعتداء على جلال خلق · وبلا خجل يقف بهم الى بعض شرف · أنهم ساقطون فى حمأة عفنة من مهاوى الكفر بكل شىء وبكل ثابت وبكل رفيع · فلا يقتصدون بعض القصد ان هاجموا وانما ينطلقون لا تمسك بهم أخلاق ولا قيم ولا أصول · ومن أين لهم بهذا وهم بالله قد كفروا ومن كفر بالله فطبيعى ان يكفر بكل شريف فى كل حياة ·

فالحاقد كافر لأنه يفقد جميل الظن بالله وجميل الظن بالانسان · والحاقد فاشل يحاول أن يبرر الفشل الذى أصابه بالتنقص من نجاح الآخرين وكل ناجح فى الحياة مسئول بعد الله الذى يكفر به عن الفشل الذى يرزح هو فيه · وهو يأبى أن يرجع فشله الى خيبته هو وكسله والى مسارعته الى اللذة العاجلة والى بعده كل البعد عن الجد فى الحياة والى عزوفه كل العزوف أن يبذل بعض جهد أو يرتقى من مراقى الحياة حضيضها ورفيعها وانما هو دائما يهبط لأن الهبوط سهل وهو دائما ينزل لان النزول يسير ·

حتى اذا بلغ أقصى مهاوى الفشل فزع الى الناجحين يصب عليهم حمم حقده ويريدهم أن يدفعوا هم من نجاحهم ثمن خيبته وفشله ·

ويل لك أيها الناجح الجديد من هؤلاء · فان الفاشلين كثرة وانما لهم طبول كعزيف الجن ان كنت تعرف ما عزيف الجن والناس تحب أن تستمع الى القدح أكثر مما تحب أن تستمع الى المدح ·

ولعلك تسأل وماذا أنا صانع بهؤلاء وانى كما أفزعتك مطمئنك ·

انجح وازدد نجاحا · وأمض فى حياتك قدما الى مراقى الرفعة · واجعل نباحهم موسيقى نجاحك وعزيف جنهم عزف التكريم لتساميك

وارتفاعك ولا تلتفت الى سخيمتهم فانما يقتلهم كبرياؤك بقدر ما يقتلهم صغارهم ويسحقهم دوام نجاحك بقدر ما يسـحقهم ارتكاسهم فى أقذر حضيض من الفشل المتعفن بالحقد المسربل بالكفر والزيغ عن الحق والبعيد كل البعد عن لا اله الا الله محمد رسول الله ، اجماع ايمان المسلمين وعن قول الانجيل احبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم . فهم بحمد الله لا يؤمنون بأى دين حتى يؤمنوا بالحب الذى هو أساس رسالات السماء .

خطـاب واجـابة

جاءنى هذا الخطاب من السيد وزير الداخلية وانى انشره كما جاء ٠

الأخ الأديب / ثروت أباظة

طالعت ما نشرتموه فى جريدة مايو تحت عنـــوان « ســـلام على الانضباط » وما اشرتم اليه من عدم التزام بعض قائدى المركبات بمختلف أنواعها بقواعد وتعليمات المرور فى موقعين وردا فى مقالكم ، ولقد وجهت الأجهزة المختصة بوزارة الداخلية فى فحص وضع المرور فى هذين الموقعين واتخذت الاجراءات المناســـبة لاحكام الرقابة وتحرير المخالفات لمواجهة الحالات التى تواصل عدم الالتزام بقواعد المرور المقررة ٠

والى هنا أتجه الى سيادتكم بالشكر على هذه المعاونة الايجابية فى التعرف على جوانب القصور فيما نقدمه من خدمات متشعبة ، وبالتالى اتاحة الفرصة للتصحيح والترشيد فى المواقع التى يمكن ان يكون فيها نوعا من الخلل أو القصور ٠

ومع هذا الشكر على ما ورد فى مقالكم من جوانب موضوعية اعتب عليكم ذلك الطابع العام الذى ساد مقالكم ــ عنوانا ومضـمونا ــ لدرجة أحسست معها أنه وليد انفعال اللحظة وليس نتاج تلك النظرة الشاملة والرؤية المتأنية التى تعودناها فيما تكتبون ٠

ونحن بداية لا نقلل من أهمية الالتزام بالقانون فى مختلف المواقع والتصرفات ولا نستهين بعدد من المخالفات الصارخة التى نواصل جهودنا لمواجهتها بغير ابطاء ولكننـــا فى نفس الوقت لا نرى فى هذا الجانب المؤسف ــ كل جوانب الصورة ــ ولا نجعل هذا الاستثناء قاعدة عامة توصف بها حركة الحياة داخل المجتمع ٠

فليس متصورا ما ذكرتموه من ان وقوع بعض مخالفات المرور فى شارعين جانبيين يلقى بهيبة الدولة مهشمة فى الطريق العام ٠ ولو كان الأمر كذلك لضـــاعت هيبة العشرات من الدول المتقدمة التى ترتكب فى شوارعها الكبرى من الجرائم الصارخة مالا يمكن مقارنته بمخالفات المرور فى شوارع القاهرة ٠

وليس متصورا أيضا ما ذكرتموه من ان الشوارع البعيدة عن وسط القاهرة لا يمتد اليها اشراف المرور ، لأن قوات المرور ـ فى الفترة الأخيرة بوجه خاص حققت انتشارا هائلا فى مختلف مواقع القاهرة وبكثافة لا يوجد لها نظير فى عاصمة مماثلة ويكفى ان نذكر هنا أن هذه القوات أصبحت ضعف ما كانت عليه قبل عام واحد •

كذلك فاننى اختلف معكم حول ما ذكرتموه من ان القانون لا يعمل وان الاعتداء على القانون يقع فى الطريق العام بلا ردع أو عقوبة لأن متوسط عدد المخالفات التى تحرر للمخالفين من قائدى المركبات بالقاهره وحدها يصل الى أكثر من ٤٥٠٠ مخالفة يوميا تصل العقوبات فيها الى الحبس أو الغرامة الكبيرة •

واختلف معكم فى ان الشارع المصرى أصبح فوضى عامة ، وانه سلام على الانضباط فلا تزال أجهزة وزارة الداخلية مصممة على فرض الانضباط ـ ليس من خلال فوره تشتعل وتنطفىء ـ ولكن من خلال سياسة طويلة مستمرة تواكب مختلف الجهود التى تعمل فى مجال التنشـــئة الصحيحة ، والتطبيع الاجتماعى السليم وحتى يقوم الالتزام بالقانون بوحى من الواجب وليس فقط بسلطان من القوة •

وأخيرا أود أن أذكر سيادتكم أن المرور مشكلة عامة ـ تواجهها دول كثيرة متخلفة ومتقدمة ، ونحن نعطى لهذه المشكلة اهتمامنا الأكبر ونوجه لها كل الجهود الممكنة والامكانات المتاحة ونستطيع أن نقول مطمئنين أن هذه الجهود تعطى ثمارها وتترك تأثيرها ، وتحقق نجاحا أقل ما يقال فيه انه أوقف تفاقم المشكلة برغم حركة الحفر الواسعة فى عديد من الشوارع لاصلاح المرافق وانشاء مترو الانفاق ، وبرغم الزيادة الكبيرة التى تضاف الى اعداد السيارات ـ والتى تبلغ فى القاهرة والجيزة وحدهما ١٤٤ سيارة مع صباح كل يوم جديد •

فاذا كانت الجهود المتفانية فى مواجهة هذه المشكلة المعقدة لا تستحق شيئا من الثناء والتقدير ، فلعلنا نستطيع أن نجنبها ما يدعو الى اليأس والاحباط •

مرة أخرى أرجو أن تتقبل الشكر ، وان يتسـع صـدرك لهذا العتـــاب •

وزير الداخلية حسن أبو باشا

الى هنا وينتهى خطاب السيد الوزير وانى أستأذنك ان أجيب •

لا عليك ياســـيادة الوزير . فان هيبة الدولة تتمثل فى الأحداث الصغيرة اليومية . فالذى يحدث فى مألوف الحياة والأمن غير متعرض لهزات عنيفة هو الذى يكون هذه الهيبة ويجسم مظهرها . فليس الأمر كما تظنه من الهوان .

أما الذى ذكرته سيادتكم عن الدول التى تحدث فيها جرائم القتل فى الشوارع فهذه الدول تمثل شذوذا لا يصلح ان يكون قاعدة يقاس عليها . فالألوية الحمراء فى ايطاليا والعصابات فى شوارع ألمانيا والثائرون السياسيون فى انجلترا أو اسبانيا انما هم نوع من الخلايا السرطانية التى لا تمثل حياة طبيعية ولا يمكن أن نعتبرهم أمثلة نقيس بها الأمور ونقارن بينها وبين الحياة المستقرة فى مصر .

وبعد يا سيادة الوزير فدعنى اهنئكم بما نراه اليوم فى الشـــارع المصرى من ملاحقة لكل من يتعدى على كرامة القانون ودعنى أشـــكرك لما اشعته فى نفسى من طمأنينة بما حدثتنى به فى التليفون ودعنى أذكر لسيادتكم جملة كانت أم نابليون تقولها دائما كلما سمعت عن نصر جديد لابنها .. فقد كانت تقول « على ان يدوم هذا » سيادة الوزير ما أظنك فى حاجة الى من يردد جملة ام نابليون « على ان يدوم هذا » .

مكانك قد ظلمت

لا تعطى الحياة حقا الا وترتب أمامه واجبا سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله بديلا . فاذا كان النـــاس يقدمون الاحترام للكاتب فهم يرتبون عليه واجبات حتم عليه أن يحتملها فاذا كان كل الناس يستطيعون أن يجلسوا فى مقاهيهم ويشاهدوا ويطلقوا الأحكام الجامعة المانعة على ما يشاهدون فان أحدا لا يستطيع أن يطالبهم بحيثيات لأحكامهم . فهى رأيهم وهم أحـــرار كل الحرية أن يرضـــوا عما يشاءون ويرفضـــون ما يرفضـــون ..

ولكن الكاتب لا يملك هذا الحق المتاح لمن لا يمسك قلما . فانه اذا ابدى رأيا تحتم عليه ان يقدم لرأيه الحيثيات فاذا كان حكمه بلا أسباب أصبح فى غير حل ان يذيع رأيه .

فليس لكاتب ما ان يكتب فى جريدته ان صـــوت فلانة أو فلان لا يعجبه الا أن يذكر فى تقييم علمى ـ اذا كان بالموسيقى عالما ـ ولابد له مادام قد تعرض لصوت موسيقى ان يكون عالما بالموسيقى ـ الأسباب التى بنى حكمه عليها . فان لم يشفع الكاتب حكمه بالأسباب المرتكزة على العلم العميق وقع حكمه باطلا . ولكن هذا البطلان ـ للأسف الشديد ـ لا يملك المحكوم عليه به ان يستأنفه لدى محكمة أخرى . وانما هو اعتداء صارخ على أهم عنصر من عناصر حياته الفنية لا يملك له دفعا ولا سبيل له ان يرد عن نفسه هذا العدوان الطاغى الجبار الماحق .

فحكم الكاتب المنشور أشد على النفس وأعظم فى الأثر آلاف المرات من حكم القاضى فى محكمة . لأن حكم القاضى له استئناف ولا استئناف لحكم الكاتب ولأن حكم القاضى يمكن ان يصدر وينفذ ولا يعرف به الا قلة قليلة بينما حكم الكاتب مشهر معلن على الملأ .

وليس هذا الحديث منصرفا الى هذا المثال الذى سقته وانما هو يصدق على كل حكم منشور سواء كان هذا الحكم على كاتب أو برنامج اذاعى أو تليفزيونى أو طبيب أو مهندس أو محام أو غير هؤلاء جميعا . فانه لا يجوز بأى صورة من الصور ان يطلق الكاتب كلمة كانها أوامر خديوية لا يسبقها ولا يلحق بها أسباب وحيثيات تكون وجيهة غاية الوجاهة

قوية كل القوة قائمة على وطائد ركينة حتى يمكن لمن حكم عليه ان يناقشها اذا شاء نقاشها أو يقتنع بها اقتناعا ثابتا ينفى عنه الشعور بالظلم .

فليس لكاتب ان يقول لم يعجبنى فلان أو لم يعجبنى هذا البرنامج ثم يصمت الا أن يقول هذا فى حجرته الخاصة وبين أهله الآخرين أما أن ينشر هذا الرأى على الناس كحكم صادر من السماء فهيهات أن يجوز له ذلك . فان الله وحده هو الذى يحكم ولا معقب لحكمه لانه سبحانه يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وهو وحده سبحانه الذى خص نفسه يعلم ما لا يعلم عباده .

أما نحن البشر فنصيب ونخطيء فاذا حكمنا لزمنا ان يصحب حكمنا أسبابه وحيثياته ودواعيه .

كل هذا الحديث اسوقه لما طالعنا به أخى وصديقى الفنان صلاح جاهين من حكم بالغ القسوة وسخرية غاية فى العنف على برنامج من خيرة البرامج الجادة التى يعرضها التليفزيون . وهو برنامج حدث فى مثل هذا اليوم وقد ركز الأستاذ صلاح هجومه كله تقريبا على صوت مقدم البرنامج الذى اقسم اننى لا أعرفه وانما هزنى ما صبه عليه الفنان صلاح جاهين من اساءة بالغة لم يذكر لنا أسبابها أو دواعيها .

وصلاح جاهين فنان يدرك ما قد يعانيه المظلوم اذا وقع عليه الظلم . ونحن أبناء جيله تعرضنا جميعا للسخيمة والاحقاد والظلم وخضنا الأيام بحارا من دم الحقيقة الى ان بلغنا ما نحن فيه اليوم من مكان مهما يكن شأن هذا المكان . فأصبح يقع على كواهلنا انا وصلاح جاهين وأبناء جيلنا أن نصرخ فى وجه الظالم مكانك قد ظلمت . اما ان يقع الظلم منا نحن فهذا ما لا أرضاه لرفيق جيلى وترب طريقى صلاح جاهين .

وما دمت قد رأيت ان برنامج حدث فى مثل هذا اليوم برنامج يستحق التقدير وتمشيا مع ما ذهبت اليه من وجوب تقديم الأسباب ينبغى على ان أذكر ما أعجب به فى هذا البرنامج فهو برنامج يرد الينا أيام التاريخ القريب والبعيد فى صور . والمعلق عليه يتحدث فى صوت جاد لا ميوعة فيه فهو يحس انه صوت التاريخ ثم هو لا يفتعل هذا الصوت ولا يصطنعه انما هو صوته الطبيعى فالصوت المفتعل يعرف ولا يخفى أمره . وهو صوت رخيم طبيعى وحتى أكون شريفا فى حكمى يتحتم على أن أرجو صاحب هذا الصوت ان يصحح الأخطاء النحوية القليلة التى يقع فيها أحيانا . وبعد فالله وحده يعلم الدافع لى فيما أكتب وحسبى رحاب الله متجها وقبلة .

أسماء وبخوت

ويل للناس من الناس وويل للانسان من نفسه عشت هذا الأسبوع أيام اشاعات . والاشاعات دليل على حيوية الحياة وتفتحها ورغبة الناس في سماع الجديد من الأخبار فان لم يسمعوها تصوروها . وان أعجزهم التصور اختلقوها وألفوها وأطلقوها فاذا هي اشاعات حية تكاد ان تكون حقيقة تسعى .

وأذكر ما قرأت عن الطفيلي أشعب الذى انقطعت عنه أنباء الولائم فلم يجد ما ينعش به هذه الأنباء الا أن يطلق اشاعة ان فلانا يقيم وليمة حافلة . وراح ينشر بين الناس خبره الكاذب هذا وراح الناس يتقاطرون على بيت الداعي المزعوم فتنكشف لهم الحقيقة ولا يجدون للوليمة أثرا ويدركون ما أوقعهم فيه أشعب . ولكنهم يفاجأون بأشعب نفسه قادما الى الوليمة فيتحلقون حوله يتعجبون .

— أما أن تكذب وتجعلنا نؤم وليمة موهومة ونقصد رجلا داعيا اليها وهو لم يدع . فأمر قد لا يخلو من الطرافة أو الخبث ولكن ما مجيئك انت أيضا الى هذه الوليمة وانت تعرف انها أكذوبة انت صانعها .

ويقول أشعب في منطق لا يخلو من الغرابة ولا من السلامة :

— ومن أدراني . ربما كانت هناك وليمة وانا لا أدرى .

وهكذا نجد انه ليس عجيبا ان يصدق الناس الشائعات التى يطلقونها هم أنفسهم فهى سريعة الانتشار توشك أن تهز الحقائق لتحل محلها .

ولكن الاشاعات اليوم لا تتناول الوزارة وحدها وانما تتناول كل شيء وكل انسان .. فهذا متهم وهذا مرشح وهذا هرب وهذا هرب أموالا . فالناس لا يطيقون الهدوء وهم لا يتصورون أن تكون الحياة السياسية مستقرة . وهم يبحثون دائما عن اشاعات جديدة يعلقون عليها وتتناولها أحاديثهم اذا هم ملوا التليفزيون وما يقدمه من كآبة وحزن وألم وأسى . والذى اذا ردوه عن أنفسهم بعامل الدفاع عن النفس انقطعت بهم الأحاديث وأصبحوا أو أمسوا صامتين لا يجدون ما يلكونه في سمرهم . والسمر كما

ندرى هو أحاديث المساء • وقد أصبح الناس بعيدين كل البعد عن متعة القراءة التى كانوا يجدون فيها أنسا ودفعا للملالة وتعمقا الى حقائق الحياة وكشفا لأبعادها • فهم اذن معذورون اذا هم اختلقوا الشائعات واستعاضوا بها عما كانوا يرونه عند التليفزيون من امتاع وايناس وابعاد لوحشة الصمت وتهوين من أعباء الحياة •

ومن يدرى ربما كان منهم من يفعل فعل أشعب • فيطلق الشائعة ويصدقها ويتصرف فى حياته على أساس أنها حقيقة لا تقبل الجدل • فالناس فى عامة أمرهم لا يطلقون الاشاعة الا فيما يهمهم من الأمر وفيما يتصل بخاصة حياتهم من شئون •

ومن يدرى أيضا • ربما أطلقوا اشاعة وهم لا يدرون انها حقيقة أو ربما أطلقوها اشاعة فاذا بعد ساعات من انطلاقها تصبح حقيقة بقدرة قادرة •• فانه لو خلت الحياة من المفاجآت لخلت من أعظم متعة يحيا بها ولها الانسان • فلو عرف الانسان غده لقتله قبل ان يأتى • فمفاجآت الغد وما اختص الله سبحانه وتعالى به نفسه من اخفاء الغيب عن عباده هو وحده ما يهون علينا الحياة ويجعلنا ننتظر الغد وما يليه من أيام وكأننا نقلب أوراق لعبة نتطلع فى اطوائها عما يخفيه لنا القابل من سعادة أو شـــقاء •

رفض الحقد .. حب

وافانى البريد بخطاب لاسم أعتقد انه مزعوم هو عبد الفتاح خليف المصرى . بدأ الخطاب بمديح لى استغرق سطرين أو ثلاثة الله وحده يعلم ان كان مدحا صادقا أم يقصد به غير ذلك وكبا به التعبير . على أية حال ما لبث ان انتقل المرسل بعد ذلك الى ذم وقدح وهجاء فذكرنى بأبيات شوقى الخالد .

رفعت قيســـا فجعلته القمر ثم اغريت بقتلـــه الـــزمر

كفعل جزار اليهـــود بالبقر برأها من العيـــوب وعقر

والكاتب يعيب على اننى أناقش الفكر بالهجوم ثم هو يرى اننى بذلك اشيع الحقد مع اننى أدعى اننى أهاجم الحقد .

وأبدأ فأسأل المرسل . فماذا تصنع أنت بخطابك هذا الى . ألم تهاجمنى هجوما ضاريا وتدعى ان تلامذتك وهم تلامذتك ترفض منهم ما تقرأه لأديب تقول عنه انه كبير وانت فى كل هجومك هذا لم تذكر لى سطرا واحدا مما كتبت أنا ومما ترفضه انت حتى أناقشك فيه وانما اكتفيت بهذا الذى كتبت والذى أعف بقلمى ان يصفه لقد كتبت أنت دون أى موضوعية ودون حتى ان تكلف نفسك عناء تقديم مثال واحد أعرف به ما أثار نفسك هذه الثورة وانت فى نفس الوقت تدعى على أنا اننى غير موضوعى ولو استقام لك بعض منطق لفطنت الى الصورة التى ترديت فيهـــا .

وخطاب مثل خطابك كثير عليه ان اضعه أمامى وأرد عليه .

وانما مصيره الطبيعى المحتوم انت تعرفه وأحسب ان هذا مصير كل ما تكتب . ولكن شيئا فى الخطاب جعلنى أقفز فوقه الى قضية عامة . هى لماذا نناقش الحاقدين وهم حاقدون ولماذا نناقش الملحدين والايمان بالله أرفع من كل نقاش . ولماذا نناقش الشيوعيين الملحدين وانتماؤهم الى الشيوعية أصبح طريق حياتهم المادية الذى ان تركوه انقطعت عنهم موارد الكسب المالى التى تنسكب عليهم .

ان كنا نناقشهم لنرد الحاقد الى الحب ، أو الملحد الى الايمان ، أو الشيوعى الى الوطن فنحن اذن واهمون فما لهؤلاء من عودة ·

فالحقد مرض لا يشفيه الا بارىء النفوس وما كان لبشر ان يبرئوا منه المريض به · والملحد كتلة صماء من العفن لا ينفذ الى قلبها ومشاعرها الا العلى القدير وحده · والشيوعى الملحد اختار طريق الغربة عن الدين والوطن والناس ليكون حربا على الدين والوطن والناس وينال من أجل حريته هذه الأجر المادى المالى والانضمام الى فئة تعرف كيف تهلل له وتصفق ·

فالحديث اذن حين نسوقه الى هؤلاء حديث غير مفيد ولن يجديهم فى شىء ولن يردهم عما اختاروه لأنفسهم أو عما اختاره لهم الشيطان أو الشياطين ··

وانما نحن نخاطب الأبرياء من الناس والشباب ونرفض ان يسمعوا من مصدر واحد وبأذن واحدة ونضع بين أيديهم الرأى الآخر حتى لا تطغى على آذانهم طبول الزور والتهريج وحتى لا تجاو فى آذانهم الألفاظ الجوفاء وحتى لا يميل بهم المنطق المنهار ·

فانما أمسكنا اقلامنا لنقول بها حقا ·· وما كان للحق ان يترك الباطل يعيث فسادا فلا يرده الرأى الشريف وانما أمسكنا اقلامنا لنفشى الحب بين الناس وما كان الحب ليفشو بين الناس والحقد يطلق أصواته النكيرة ويشق حناجره صباح مساء برفض الدين والوطن وانسانية الانسان ··

واما هذا الغر المفتون الذى كتب الخطاب الى فحسبه كل الحسب اننى جعلت منه مطية لالقى هذا الحديث الى الناس · وان كان يريد ان يعرف اين الحقد والقتل وهدم انسانية الانسان فليذكر ما كان بمصر قبل ١٥ مايو وليذكر ما كان فى المجر من سحق الأطفال والشيوخ والفساد والدبابات · وليذكر مقتلة مائة وخمسين ألفا فى يوم وبعض يوم هناك وليذكر ما حدث فى تشيكوسلوفاكيا ولينظر ان كان على قدر ولو ضئيل من البصيرة ما يحدث اليوم فى افغانستان وليقل لى أو ليقل لنفسه فاننى ارجو الا يخاطبنى بعد وان خاطبنى فلن يجد لخطابه الا الصمت ·· أين الحب فى هذه الأمثلة التى أسوقها اليه وماذا نناقش فى أعراض تستحيا ، وأموال تنتهب ، وانفس بشرية وأبدان تسوى بالأرض بفعل الدبابات وحريات تنتهك ، وانسانية يعتدى على كرامتها بوحشية يعف عنها الحيوان ··

ليس الحب لفظا وانما الحب أولا وقبل كل شيء حق يرعى . وانسانية تحترم وكرامة تصان . والحب يرفض الحقد . ورفض الحقد أول درجات الحب . « ايحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه » فاذا كان مجرد الغيبة عند الله أكل لحم الأخوة موتى فما ظنك بالحقد عنده .

والله أعد للظالمين نارا وقودها الناس والحجارة لا يموتون فيها ولا يحيون . وبارىء النفوس جل وعلا هو الأعلم كيف يعامل الحاقدين الظالمين الكافرين الملحدين الخائنين للبشر وللاوطان ..

وهو نفسه سبحانه من اعد للمحسنين الذين عرفوا الحب بكل معانيه .. حب الله وانبيائه وحب اخوتهم فى البشرية وحب الخير والجمال والاشراق والطيبة والسماحة جنات تجرى من تحتها الأنهار متكئين فيها على رفرف خضر وعبقرى حسان وعلى سرر هناك متقابلين .

والذى أعد نار جهنم والحميم والاسفلين هو نفسه سبحانه الرحمن الرحيم الذى هيأ جنات النعيم والسندس والاستبرق والحلى والأساور من الذهب والفضة والياقوت والمرجان والسرر المتقابلة والتحية هناك سلام ...

ولكن الأرقام لا تكذب

البائعون لكل شرف ، المادحون من جعل بيوتهم تتشرد فى الشوارع مثل كلاب السكك أو اشد ذلة ، المتاجرون بلا اله الا الله محمد رسول الله ، الباسطون أيديهم ثمنا لاوطانهم ، أولئك الذين تجمعوا لابورك جمعهم واصدروا مناشيرهم الحمراء بلون الدم الذى يسفكه زعماؤهم فى كل يوم . وبلون الدم المنسكب من تجاراتهم .

أولئك يغروننى فى كل اسبوع أن أشهر القلم عليهم ، خاب فألهم . هيهات ان انيلهم هذا الشرف . وهم فى سبيل هذا الأمل يخرجون كل يوم بكذبة شائهة حقيرة أعلو عليها ولا أتعرض لها ويظلون يترددون من حضيض حتى خرجوا آخر الأمر بالاعتداء على الأرقام مشككين فى الذمة المالية لقوم لأحذيتهم من طهارة الذمة ما ليس لأكبر رأس فيهم . ولن أجعلهم يزحزحون قلمى عن طريقه ولن أبلغهم مأربهم ولن أذكر جريدتهم ولن أخط اسم عصابتهم . وليمضوا فى طرقهم الدنيئة مبتدعين أنواعا من الحضيض تعف عنها البشرية ولا تستغرب منهم . فمن يرتكب آثامهم يصبح أجدر الناس بابتكار أنواع من السفالات لم يعرفها السفلة من قديم الزمان ولا من حديثه . يصدق عليهم بيت الشـــاعر الذى وصف به أحدهم :

نشأته فى أحقر البيئات ديدنها   خلق المعاصى التى ليست بمعروفة

ولقد أعلم انهم مقهورون بالغيظ يتخبطهم مس من أربابهم الشياطين ولقد أعلم أسباب هذا القهر ولكن الحقد أشد الجهات احباطا حين يواجه المخمورين الأذلاء المهازيل الذين يهربون من واقعهم بالمغيبات وعن شرفهم بالطبول وعن الكرامة بتجريح الشرف ومن كراهية الناس لذكرهم باهتبال الأرقام الكاذبة فى جملتها وتفصيلها فى جرأة العاهرات ودناءة القوادين وهم أحقر من الفئتين هوانا .

اللهم حوالينا ولا علينا . اللهم لقد أذللت الكافرين بك فى كل متجه يتجهون اليه . وأحققت الحق بيدك وبيد عبادك الذين لا يبتغون غير وجهك وجها ، ولا غير ساحتك متجها ولا يهتدون الا بنورك الاسنى .

اللهم اننا لهم بكل مرصاد وانا على عهدك بنا لن نذكر فى يوم اسما لتجمعهم الشائه الا فى ساحة القضاء .

تجديف فى الهواء

للأستاذ نجيب محفوظ قصة واضحة الرمزية لم يغب عنها ذكاء الكاتب القدير العميق وهى ترسم صورة بيت لعروسين دلفا اليه فى ليلة العرس فاذا بايدى قوم كأنهم من الجن أو العفاريت قد جعلت منه ركاما واذا هو على حد تعبير القرآن الكريم يعنى صعيدا زلقا • فاثاثه حطام أقرب الى التراب منه الى مكونات المنزل التى يعرفها النــاس من فرش وأســـتار •

وتلح على ذهنى هذه الصورة وأوغل فيها قدما • واتصور ان أهل العروسين لا شك قد جاءوا من كل حدب وصوب وتجمع الجيران والمارة ووقفوا أمام تلال الخراب هذه •

أما بعضهم فكان حاسما حازما فقبض على المخربين وسار بهم الى مصيرهم المحتوم • واما بعضهم فراح يزيل الأطلال فى صبر ودأب وعزيمة وأما بعضهم وهم قلة الا أن أصواتهم عالية مرتفعة فقد وقفوا على أبواب الدار • منهم من يصيح بأعلى صوته اسيفا على مصير المخربين •

ـ لماذا تأخذون هؤلاء الأبطال الى هذا المصـــير ، انهم يحطمـــون الرأسمالية ويقهرون الترف ويدمرون الفرش الوثيرة والأدوات التى يصنعها الاستعمار وعملاؤه ، أولئك الذين يتقذون من عرق الفلاحين والعمال ومن جهـد البروليتاريا للاستعمار الغربى ما أنتم يا من قبضتم على المخربين الا اتباع للاســـتعمار الغربى وما انتم الا البرجوازية المتطلعة الى طحن البروليتاريا ، اننا نعتبركم انتم المخربين للبشرية ونحملكم مسئولية عملكم • وسيكون جزاؤكم وبيلا يوم نتولى الأمر • اننا نشجب قبضكم على المخربين ونشجب محاولتكم اعادة البناء • ونشجب ان تزول هذه الآثار ونشجب ان يعيش أحد فى أمان • ونشجب ان يستمتع أحد بالحياة ونشجب ان يطعم انسان فى مكان نظيف • ونشجب ان تكون لكل اسرة أكثر من حجرة ، بل اننا نشجب ان يكون لها حجرة وحدها • ونشجب ان يعيش الانسان مثل الحيوان •

ولينم أربعة أزواج وثمانية أزواج فى غرفة واحدة وليكن معهم أطفالهم ولترجع الانسانية الى العصر الحجرى • نشجب ان يكون للانسان

سيارة ما لم يكن مؤمنا مثلنا بالبروليتاريا • فان آمن بالبروليتاريا الكادحة من العمال والفلاحين فلا بأس أن يكون له بدل السيارة سيارتان وعشر ان أراد وشقة وبيت وقصر اذا أراد لأننا نحن المؤمنين بالبروليتاريا من العمال والفلاحين وحدنا الذين نستحق ان نعيش وليست البروليتاريا فالبروليتاريا على استعداد لأن تهب جهدها وحياتها ودماءها لهؤلاء الذين يؤمنون بها من أمثالنا أما البروليتاريا من العمال والفلاحين نفسها فلتكدح ولتعرق ولتشق ولنعش مكممة الأفواه لا نقول منقبضة الأسارير لا تبتسم مضيقا عليها فى المطعم فلا تأكل الا ما يقيم الأود • وفى الملبس فلا ترتدى الا ما يستر العورة وليس من الضرورى حتى ان يكون ملبسها قادرا على رد البرد أو الحر •

وهذا الحديث الذى اتخيله اتحت لنفسى ان أخلط فيه بين ما يدور فى نفس هذه الفئة وبين ما يمكن ان تلوكه ألسنتها • وعند الخيال يستباح خلط همسات النفس وجمجمة اللسان وصراخ الحناجر •

وعلى أبواب الخراب وقفت فئة أخرى تقول — لا حول ولا قوة الا بالله •• خربوا كل شىء •• دمروا كل شىء لم يبق فى المكان شىء ضاع المكان وسكان المكان • وانهدت الأركان وانهارت الآمال واختفى من الغد اشراقه وعم الظلام كل مكان واحتوى اليأس النفوس • ياالهول المصاب • لقد خدعنا • حسبناه موسى فاذا هو فرعون •• كنا نظنهم مصلحين فاذا هم فجرة مفسدون • ياالضيعة الأمل ياالخراب الديار •

كل هذا وفى داخل البيت العمل دائب ازيلت الأطلال وبدأ البناء وتمت انتصارات على الدمار المادى والنفسى وعم المكان سلام والناس تسعى تزيل ما بقى من الأطلال ، معظمهم نظيف مخلص صادق مع ربه ومع نفسه ومع الآخرين وبعضهم لص ينتهز من العاملين انشغالهم عنه ويسرق • ويتعرفون على بعض اللصوص أو يخادعهم بعض آخرون ولكن العمل ماض والجهد جهيد والعزم شديد ضربوا بايديهم آفاق الغد فانشق عن الأمل الوليد ، ولكن الواقفين على أبواب الحياة لا عمل لهم الا صراخ العاجزين منهم فئة يمزقها الاصلاح لأنها فئة لا تعيش الا على الخراب وفئة تقول حزنا لأنها لا تعرف الا ان تقول • وفئة تعمل لأن الحياة أقوى من الخراب ولأن الاخلاص هو الأساس فى الحياة وما عداه استثناء وتجديف فى الهواء •

وبعد فماذا أقصد أنا وماذا يقصد أستاذنا نجيب محفوظ • وهل تراه تصور ان يمسك أحد بقصته وينشىء عليها هذا الأثر الذى لا أدرى والذى انتظر من صديقى نجيب ان يخبرنى الى أى لون من ألوان الأدب

ينتسب • أهو قصة أم هو مقال أم هو حديث يساق أم ايغال فى واجهة صورة وفيما تشـــعه وليس فى أعماقها • أم هو هذا جميعا فى اطار واحد •• !!

تعليقـــات

الى ابنى بهاء رمزى

يابنى الوعظ يكون لمن لا غرض له أما اذا كان الانسان مرتبطا ارتباطا ماليا أو غير مالى بجهة ما فان الوعظ لا يقع منه موقع الايمان به • وانما يوجه المخلصون كلاما الى أولئك الأبرياء الذين لم يختاروا طريقهم بعد أو الذين اختاروا على نقاء ويتشككون ان يكونوا على غير صواب وهم على صواب أما أن رفض الحقد حب فهذا لا يعنى أن الحب هو رفض الحقد فقط وانما يعنى أن رفض الحقد جانب مبدئى من الحب فلا يعرف الحب من يعرف الحقد •

ولك كل شكر •

قد نشرت ما كتبه الأستاذ كانى عن شوقى وقلبى يتمزق أن يصبح العمالقة الضخام قطعة من لحم منتهش فى أرض مسبعة جائحة جانية ظالمة هادرة بكل أصوات الأجحاف ولكن لحرية النشر قدسيتها وقد حفظت هذه القدسية وانني اليوم انهى هذا النقاش بمقال الأستاذ محمد التهامى والأستاذ عامر وبكلمتى هذه •

هيبة الكاتب

تأتى الفكرة الى الكاتب وتروق له ولا ينعم فيها النظر ولا يمعن فيها الفكر وانما يسارع الى القلم ويكتبها وقد يظن انه جاء بما لم يأت به الأوائل ولا الأواخر . أو قد يتهاون ويظن انها مجرد كلمة يقرأها القارىء فى بعض من دقائق ثم يرمى بها دبر نفسه فكأنه ما قرأ شيئا .

ويل للكاتب ان كان هذا دأبه فان القارىء يرصد على كاتبه كل كلمة يقولها . وقد يطالع القارىء كاتبه بكلمة قالها منذ سنوات وسنوات .

والكاتب لا يستطيع ان يذكر كل ما كتبه وخاصة اذا كان كاتبا منتظما فى جريدة أو مجلة . لا عاصم للكاتب الا يناقض نفسه الا ان يكون صادقا مع نفسه هذه فالنفس لاتتناقض . قد يختلف بها الحال من الرضا الى السخط ومن الاقبال الى النفور ومن الانشراح الى الضيق ولكنها فى رضاها وسخطها وفى اقبالها ونفورها وفى انشراحها وضيقها تظل كما هى . لا تنماع مقوماتها ولا تتغير دعائمها ولا تختلف القيم الأساسية التى تتوطد على أطنابها معالمها واتجاهاتها .

والكاتب انسان قسم الله له ان يكون مرسوم تعيينه صادرا من السماء وهو مرسوم من مادتين : المادة الأولى صادرة الى الكاتب كن كاتبا فيكون . والمادة الثانية للقراء واقرأوا لهذا الكاتب فيقرأوا ولا يكون الكاتب كاتبا الا اذا إكتمل المرسوم بمادته الثانية تلك . فليس هناك كاتب بلا قراء .

وقد كان الكتاب فى مصر قوما يستعينون على اقامة مكانتهم فى المجتمع بوظائف أخرى فمنهم من كان يعمل رئيسا لتحرير جريدة ومنهم من كان يعمل موظفا ويحرص على هذه الوظيفة ومنهم من بلغ كرسى الوزارة على سن قلمه ونال رتبة الباشاوية بأدبه . ولكن كاتبا واحدا فى تاريخ مصر مصمم ان تكون قيمة الكاتب فى مصر مستمدة من انه يحمل لقب كاتب وفقط فما استعان فى بناء قيمته بوظيفة ولا سعى الى رتبة وان كانت الرتب والنياشين والأوسمة والقلائد قد سعت اليه .

ذلك هو أستاذنا وأستاذ الجيل الذى سبقنا كبير كتاب العالم العربى اليوم توفيق الحكيم ٠

فكما أنشأ توفيق الحكيم المسرح العربى المصرى ٠ أنشأ فى نفس الوقت القيمة السامقة للكاتب بما هو كاتب فقط لا بما هو باشا ولا بك ولا بما هو وزير أو نائب وزير أو وكيل وزارة ٠

وعلى نسقه مشى نجيب محفوظ ومشت الأجيال اللاحقة تستمد القيمة العليا لنفسها فى المجتمع بلقب كاتب فقط مدركين انهم يحملون هذا اللقب بمرسوم صادر من فوق سبع سماوات لا يلغيه انسان ولا يعوقه عن ان يكون حقيقة دامغة لا تقبل الجدل سلطان مهما يكن شأنه ولا جماعة مهما تكن كافرة عادية على الحق ولا قوة فى الأرض بالغة ما بلغت هذه القوة من جبروت ٠

وقد مررنا بأزمان عسيرة ٠ ووقف الكاتب الشريف ليكون الضياء الوحيد فى حالك الظلمات ولتكون كلمته نور الحق فى جانح الظلم وفى جوانح الليالى الداكنة السوداء ٠ وبهؤلاء الكتاب ظل وجه مصر مشرقا فى طول البلاد العربية وعرضها بل وعلى اتساع العالم والمعمورة أجمع تعلن ان مصر الخالدة الباقية فيها الكلمة الشريفة وفيها من يستطيع دائما ان يقول الله أكبر على كل من طغى وتجبر فانا لا أعرف وظيفة فى العالم تعدل أن يكون الانسان كاتبا لأن كل وظيفة يصدر الأمر بها انسان أو جماعة ولكن الكاتب تصدر الأمر بكينونته كاتبا السماء وهيهات للأرض ان تطاول السماء ٠

انسان واحد هو الذى يستطيع ان يعزل الكاتب من وظيفته هو الكاتب نفسه لأن الله حين منحه موهبة الكتابة أخذ عليه عهدا غير مكتوب ان يكون شريفا لا يخادع الناس ولا يقول الا ما يؤمن به ولا يفشى الا الخير ولا يدعو الا لما هو الأسمى والأرفع من قيم الحياة ٠ لقد وهب الله للكاتب قبسة من نوره وما كان لقبسة من نور الله ان تكون خداعا أو مينا أو غشا أو كذبا أو دعوة للسفول أو اعتداء على الحق أو اعتسافا لكرامة الانسان ٠ فاذا خان الكاتب العهد سقط عنه اللقب وأصبح حفنة من تراب الحياة ٠ تراب الموت بالنسبة اليها أمل وأى أمل ومهما يبلغ الكاتب من وظائف فهو انما يتولى هذه الوظائف ليؤدى واجبه نحو وطنه ولا ينكص عن ندب بلاده له ان يقف فى خدمتها فى الميدان الذى تريده فيه ان يكون ٠ ولكن مهما تكن هذه الوظيفة رفيعة ومهما تكسبه من سلطان وهيبة ٠ يظل لقب الكاتب أعظم رفعة وهيبة كلمة كاتب لا تلحق بها هيبة ٠

خلقه .. فسواه .. فعدله

يقع كثير من الناس فى خطأ فادح حين يقسمون الناس الى طبقات ويطلقون على كل طبقة أحكاما عامة وكأنهم فصائل من البقر والماشية يصدق على الواحدة منها ما يصدق على المجموع والفضل فى تصنيف هؤلاء البشر يرجع الى النظرية الشيوعية فهى التى تشابه البقر عليها وجعلت البشر وهم البشر فصائل من خشب وحديد . فالنظرية لاتعترف بالروح ومن ثم فهى لاتعترف بانسانية الانسان . وكل غنى شرير سافل مستغل وكل فقير شريف نبيل مظلوم .

ويأبى الواقع هذا . فأنت تجد بين الأغنياء الشريف واللص والنبيل والسافل والكريم والخسيس . وتجد هذا التباين نفسه فى كل فئة من فئات المجتمع بل ان الأسرة الواحدة التى يعيش أفرادها فى ظروف اجتماعية واحدة يخرج الأبناء فيها لكل ابن خلقه الخاص وأفكاره التى يتفرد بها لايماثله فيها أحد . وتجد فيها الابن اللص وتجد فيها المتطرف فى الشرف الذى يرفض أن يحيد عنه قيد أنملة . وتجد فى الأسرة الفتاة المستهترة وتجد فيها الفتاة المغالية فى المحافظة على القيم والأخلاق ان كانت هناك مغالاة فى المحافظة على القيم والأخلاق .

والتركيبة الخلقية هذه عجيبة فى شأنها فهى كملامح الوجه لا تعرف كيف تكونت مقوماتها . فكما تجد فى الأسرة الأسمر والأبيض وخشن الشعر وناعمه تجد ذلك التباين فى الأخلاق أيضا .

وتطالعك الحياة بأشياء مذهلة . فالحقد كما يقول العلم وكما تقول طبيعة الأشياء لايكون الا من انسان يشعر بالصغر اذا قارن نفسه بانسان آخر فيشعر المفضول بالحقد على الفاضل وكثيرا ما يشعر بالحقد على المفضل الذى وهب له من الخيرات ما لم يكن يتوقعه .

ولكنى رأيت حاقدين وهب الله لهم الثراء العريض والشهرة البعيدة والهناء العائلى وفضلهم على كثير من نفس فئتهم وجيلهم .

ولكنها تركيبة النفس هذه التى لايعرف أحد كيف تتكون ولا لماذا ولا يستطيع أى عالم فى الاجتماع أو فى النفس أن يجد لها السبب المقنع أو الرأى الفصل .

وما بعجيب ان يفضل بعض الناس بعضا فى الرزق فكذلك خلقهم الله • يقول سبحانه وتعالى فى سورة الزخرف الآية ٣٢ « أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجـــات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمـــة ربك خـير مما يجمعون » •

تعاليت يا سبحانك وتقدست آلاؤك • أترى كيف ينهى الآية بأن رحمة ربك خير مما يجمعون • فالتفاوت فى الرزق لا يكون اذن الا هنا فى هذه الحياة الدنيا وليس فى العليا • أما هناك فرحمة ربك خير مما يجمعون ولا يرتفع بعض فوق بعض فى درجات أو درجة • وانما تشملهم جميعا رحمة ربك فى كريم سيبها • فلا ســـيد هناك ولا مســود ولا مســـخر ولا مسخر له • انما هى رحمة ربك فحسب •

وتحاول ان تجد فى الحياة الدنيا نظاما يمكن ان يسير بغير رئيس ومرؤوس فلا تجد • وتجد هذا النظام فى أبشع صـــورة وأبعدها عن الانسانية فى البلاد الشيوعية • فرئيس الحزب هناك هو الذى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر متعسفا غاية التعسف ظالما كل الظلم • واضعا نفسه فى مكان رحمة السماء التى تعطى فلا تعطى الا بالعدل الالهى وتقدر الرزق فلا تقدره وتجعله قليـــلا أو ضئيلا الا بالميزان الأعلى من انقسط الأوفى من رحمة عالم رحيم متعال •

ولكن الشيوعيين يقولون مالا يفعلون ويدعون مالا يعملون فيطالبون بالعدل للكادحين ثم يسحقون هؤلاء الكادحين ويطالبون أن يكون الحكم للطبقة العاملة ثم يلقون باثقال أحزابهم فى مختلف الدول الشيوعية على هذه الطبقة أفدح ما يكون الأثقال •

ويحاولون مع ذلك أن يجتذبوا اليهم هذه الطبقة العاملة فى الدول التى لم يصبها وباؤهم بالألفاظ الجوفاء وبالخطب الرنانة والمنشورات الكاذبـة •

ويتساءل بعض قوم فلماذا لا يستطيعون مع كل هذه الجلبة وهذا الضجيج وهذه الأمانى التى يزينون بها نظريتهم أن يجتذبوا اليهم العمال فى كل أنحاء العالم وخاصة البلاد التى لايحظى فيها العمال بتلك الأجور العالية التى ينالها عمال العالم الرأسمالى • والأمر لايحتاج الى اعمال فكر ولا الى أنعام نظر فان الايمان بالله يقف دائما حصنا منيعا ضـــد الشيوعية فى جميع أنحاء العالم ولا أقول فى مصر وحدها • فقد رأيت فى بولندا طاقة من الايمان لم أتصور ان أجدها فى بلد قط •

اما فى مصر ذات الألف مئذنة يتقدمها مئذنة الأزهر الشريف ومنارته فهيهات للشيوعية والالحاد أن تجد فيها مراحا أو مرعى خصيبا كان هذا المرعى أو غير خصيب ٠ وانما ستظل نبتا شائها فى مباءة عفنة من الكفر والاعتداء على كل نبيل وشريف فى حياتنا وسيظل الصائتون بها جماعة من المهازيل الهذاة ينششون الخرائب وينعقون فيها وتبقى مصر مشرقة الأفاق مضيئة الجنبات بـ لا اله الا الله محمد رسول الله ٠ » بل وبأجراس الكنائس وحرص المسيحى المصرى على دينه وعلى ايمانه وعلى أخوته من أبناء وطنـــــه ٠

وأخرى تقف كالصرح المريد أمام أكاذيب الشيوعية والشيوعيين تلك هى الحقيقة التى اتضحت معالمها عند تطبيق النظرية وحسبك نظرة عابرة سريعة الى عدد الهاربين من جحيم الشيوعية الى البلاد التى يسود فيها القانون الالهى والقانون البشرى ٠ وأذكرك بذلك القطار الذى جمع فيه سائقه عشرات ممن خنقت الشيوعية أنفاسهم وسار القطار حتى بلغ ذلك الجدار الذى يفصل برلين الشيوعية والتى يسمونها ديموقراطية تمحكا فى الديموقراطية وتمحلا — عن برلين الغربية واذا بسائق القطار يدخل بقطاره وبمن معه فى الجدار نفسه معرضا نفسه وصـــحبه لموت الصدمة مفضلا ومفضلين الموت عن تلك الحيـــاة المقيتة التى تجثم على انسانيتهم فى الحكم الشيوعى ٠ وما حدث فى تشيكوسلوفاكيا وما حدث فى المجر وما يحدث اليوم فى بولندا كل هذا وأشباهه وأشباهه كثير أثبت لعمال العالم ان وعود النظرية الشيوعيـــــة كذب واهم لاتعرف الحق ولا يعرفها الحق ٠ والذين يقاومون الشيوعية شباب وكانت قبلهم أجيال أخرى قاومتهم وأذكرك بكتاب كرافتشنكو الشهير « أثرت الحرية » ولكن هؤلاء المقاومين ليسوا جيلا بأكمله فالحياة لا تعرف التماثل فى الأجيال وانما تجد فى الجيل الواحد الجسور الجرىء وتجد الخانع الخائف وهكذا لاتنطبق صفة واحدة على جماعة بأكملها أبدا فالله سبحانه شاء برفيـــع حكمته ان يلزم كل انسان طائره فى عنقه ٠ ومادام الأمر كذلك وهو كذلك فرد فى كل جيل له مقوماته وله معالمه الخلقية الخاصة به وان كانت بعض أوضاع سياسية قد أنشأت بعض قيم فاســـدة الا أن الخير بقى خيرا والشر بقى شرا وليس هناك أحد لا يعـــرف الخبيث من الطيب ولا الحلال من الحرام ٠ وان بين الشيوعيين أنفسهم وهم من أنكروا الله وهو الله ، من ترغمه الانسانية أن يكون شكورا اذا مسه خير من انسان ومن لايستطيع أن يجحد المعروف اذا نال معروفا ٠ مع ان النظرية تحذرهم أن يخدعهم غير الشيوعيين باللمسات الانســانية فيصرفوهم عن مذهبهم الدموى الذى لايعترف بتفرد الكيان البشرى الا أن بعضا منهم مع ذلك لايستطيع ان يتخلى عن انسانيته أو لايطيق أن يجحد الفضل للمفضل

وهكذا يحطمون هم أنفسهم بتصرفاتهم فكرة ان الطبقة ينطبق على الفرد منها ما ينطبق على الجميع وان الجيل بأكمله يصدق على الواحد منه ما يصدق على الجيل بأسره بل ان الحزب الشيوعى أثبت ما أثبتته جميع أحزاب العالم ان ما يتصف به أحد أفراد الحزب ليس من الحتم ان يتصف به جميع أفراد الحزب حتى وان ربطت بينهم بعض مبادىء أو أفكار خاصة وان الحزب الشيوعى والأحزاب المتطرفة عامة تمثل عند من يقتنع بها دون دافع مالى أو نفع شخصى فترة أكثر مما تمثل عقيدة ٠

فهى عند غير المنتفعين قطعة زمنية من المراهقة الفكرية ما يلبث الفتى اذا شب عن طيش الشباب ورعونته ان يرتد عنها ٠ فالانسان رغم أنف الشيوعية يتأثر بسنه وبثقافته وقد يترك أقصى اليسار أو أقصى اليمين الى موقف عادل فى الحياة يتعمقها ويبلغ من أسرارها وجذورها ما يجعله انسانا سويا كما أراده الله ان يكون فهو سبحانه الذى خلقه فسواه فعدله فى أى صورة ما شاء ركبه ؟

القلم شرف

انفجرت المياه فى الجيزة وضاقت القاهرة والعواصم بمن فيهـــا وناءت التليفونات بأحمالها وتقطعت المواصلات ونضبت ميـــاه المنازل وانطفأت الأنوار فى أغلب أنحاء القطر • ليس منا من لايعـــرف هذا ويحزن له • والحكومة تبذل ما تطيق وما لا تطيق • ونكون ظالمين اذا لم نقل ان كثيرا من هذه المرافق يأخذ طريقه الى التحسن •

ولكن الشيوعيين فى كل الجرائد القومية والمعارضة انتهزوا الفرصة وراحوا يبثون السم الناقع فيما يكتبون ويرجعون أسباب هذا الانهيار الى أسباب غاية فى الغرابة وان لهم على الحق جرأة لا تتأتى الا لهم •

وماداموا قد جحدوا وجود الله فانهم لايستحون من بعدها ان يعتدوا على كل شريف ونبيل فى حياتنا • وقد انتهزوا فى ذلة العبيد الحرية المتاحة فى مصر ليهاجموا كل ذى سلطة مهما تكن سمعته قمة فى النقاء ومهما يكن حريصا على أمـــوال الدولة ومهما يكن بعيـــدا كل البعد عن المظاهر الكاذبة أو المواكب الخادعة أو محـــاولة اجتـــذاب التصفيق والهتاف • وهم فيما يكتبون يشيرون فى غير حيـــاء ويظنون ان القراء أغبياء وأنهم لن يعرفوا الى من يقصدون ماداموا لايذكرون الاسم الذى يستهدفون • وعلم الله ان هذا الاسم له من حب النـــاس خير وقاء • وعلم الله ان أغبى الأغبياء هو ذلك الذى لايقدر ذكاء الآخرين •

ولو أراد هؤلاء المعتدون على كرامات الناس ان يقولوا الحق لذكروا كيف صارت مصر الى ما هى عليه اليوم • فان الماء لم ينفجر والقـــاهرة والعواصم لم تضق بمن فيها والتليفونات لم تصمت والمواصلات لم تنقطع والمياه لم تنضب والأنوار لم تنطفىء نتيجة سنة ولا عشر سنوات وانما كل هذا ظهر مرة واحدة نتيجة اهمال هذه المرافق فى فترة الظلم والقهر والطغيان والجبروت • فى هذه الأيام الحالكة الســـواد من تاريخ مصر حين كانت تستنزف أموال مصر لتقيم تمثالا لزعامة موهومة فى البلاد العربية والبلاد الافريقية أو أى بلاد • أموال المياه المنفجرة والميـــاه الناضبة والتليفونات الخرساء والأنوار السوداء والمواصـــلات المتقطعة صرفت على جبال اليمن وعلى مؤامرات سوريا وعلى حرب الكونغو وعلى مالى وعلى الوحدة التى سرعان ماحلت ، هذا غير الأموال التى سرقت ونهبت

وأخذت طريقها الى بنوك سويسرا وغيرها والتى صاحت عليها الصيحة يومذاك ان هذه الأموال مرصودة لتواجه الثورة المضادة وتقمعها اذا هى حاولت ان تقوم ٠

هل ذكر الكتاب النادبون اليوم الصائحون باسم الشعب الجرم الفـــادح المخزى الذى ارتكبـــوه يـوم أيدوا كل هـذا الظلم الذى وقع على مصر ٠

وباسم الشعب يدعون اليوم أنهم يتكلمون والشعب دائما مظلوم ، باسمه ينادى أقصى اليسار وأقصى اليمين ولكنه يعرف ان الشيوعيين يريدون ان يستغلوا الأمة لينتهبوا أمواله وحريته جميعا ٠ والكتاب الذين يرمون الشرفاء بالدفاع عن الأغنياء كتاب كاذبون فليس فى العالم كاتب واحد يدافع عن الأغنياء لأنهم فى غير حاجة الى دفاع وانما الكاتب الشريف فى كل مكان فى العالم يدافع عن المظلوم دائما ٠ والفقير هو وحده من يستحق الدفاع عنه وكل كاتب شريف انما يحاول قدر جهده ان يوفر لهذا الفقير حياة كريمة ان لم تصل الى حد الرغد فلابد لها أن تصل الى مكان احترام الانسان فيه ٠

والكاتب الشريف فى كل مكان فى العالم لا هم له الا ان يكون كل الناس سعداء وكل كاتب لايدرك هذا أولى به ان يترك القلم وليس بين كتاب العالم من يستغل الفقير ويعتصر آلامه ليزيده آلاما ولينتهب حريته بعد ذلك الا كاتب حقير لاضمير له ولا دين له ولاشرف ؛ والذى أكتب عنه هذا هو أدرى الناس بنفسه وادرى الناس انه هو ذلك الحقير المجرد من الضمير والدين والشرف والأمر لله من قبل ومن بعد ٠

ان الحق قديم

كانت جريدة المصرى جريدة وفدية فكانت مثلا عاليـــا للصحف الحزبية كيف تكون · لم تساند حزبها يوما على الظلم بل كانت تقف منه موقف المعارض اذا أحست يوما انه جار على الحق · ويوم حاول بعض النواب الوفديين استصدار قانون من البرلمان بتقييد حـرية الصحافة وقفت جريدة المصرى الوفدية صارخة فى وجه حزبها رافضة القانون فى عنف حاســـم حتى اضطر مجلس النواب الوفدى ان يطوى القـــانون فلا يصدر ·

وتستكتبنى جريدة المصرى وأبى سكرتير عـــام حزب الأحـــرار الدستوريين ومن ألد خصوم الحزب الوفدى ان لم يكن ألد خصومه وأكتب بها وأنا طالب بالحقوق وأظل أكتب بها الى ان اغلقت أبوابها قسرا فلم تمنع لى يوما كلمة سواء كان ذلك قبل الثورة أو بعدها وسواء كان ذلك وانا طالب أو وأنا محام ·

وتقوم الثورة وكانت يوم قيامها أمل شعب خيم عليـــه اليأس ، ورجاء أمة انقطع عنها الرجاء ، وتقف جريدة المصرى مؤيدة الثورة يوم ميلادها وهى تترجح يوم ذاك بين النجاح والسحق والملك لايزال جاثما بجبروته على العرش · وتظل جريدة المصرى تؤيد الثورة التى أعلنت فى بيانها الأول انها قامت لتحافظ على الدستور وترد عنه المتلاعبين به المعتدين عليه · فحين وجدت جريدة المصرى ان الثورة ألغت الدستور وجنحت من الديمقراطية الى الديكتاتورية وقفت تعارضها بنفس الشجاعة التى كانت تؤيدها بها فاذا بالأهوال تطالعها من كل حدب وصوب واذا بالقوانين تصدر خصيصا لمصادرتها ثم تصدر قوانين أخرى تصادر أموال أصحابها وكلّ مايتملكون حتى الصور الفنية التى كان يقتنيها كبير أسرة أبو الفتح المرحوم محمود أبو الفتح ·

ويسارع الأخوة الثلاثة الى خـــارج البلاد محرومين من مصر ومن قريتهم كفر الشهداء التى أطلق عليها هذا الاسم لكثرة الشهداء الذين قدموا أرواحهم فداء للوطن فى عهد الاحتـــلال وقتلوا بيـــد الانجليز المحتلين · وأخشى ان يصبح منها اليوم شهداء بيد المصريين ·

ويأتى عهد السادات وتعود الحرية الى مصر ويعود الى حضنها حسين وأحمد الباقيان من الأسرة بعد وفاة عميدها غريبا عن تراب مصره . ويأمر السادات فتفتح الجرائد صفحاتها لأحمد أبو الفتح ويكتب ولايزال يكتب مقاله الاسبوعى فى جريدة أخبار اليوم ولكنـه يأبى فى كبرياء الرجال وفى عفة صاحب الحق ان يذكر مأساة أسرته التى لم تسترجع من أموالها شيئا . بينما نال الجميع بعض حقهم ونال آخرون كل حقهم . ونال غير المصريين أيضا بعضا من حقوقهم الا أسرة أبو الفتح هى وحدها التى لم تنل من أموالها شيئا لأنها هى بالذات صدرت لها قوانين خاصة تحرمها من حقوقها ، وقد قال القاضى الذى حاكمها وأصدر عليها أحكامه وهو عضو بمجلس الثورة فى مذكراته ان رئيس الجمهورية أصدر اليه أوامره بنص الحكم فان كان صادقا فالحكم باطل منذ صدوره وان كان كاذبا فالحكم أكثر بطلانا لأنه صدر عن قاض يختلق على رئيس الدولة مالم يأمر به وهو بهذا الاختلاق يحاول ان يعتذر عن حكم أصدره وهو غير مقتنع به .

وأنا اليوم أخاطب الدولة ولا أخاطب القضاء لأن القضاء أرفع من ان يخاطبه أحد على صفحات الجرائد وأكثر رفعة ان يخاطبه أحد بأى صورة أخرى فى غير ساحته ولكنى أخاطب الدولة التى اسـتولت على المال ان ترد ما ليس لها بحق وأذكرها بالكلمة الخالدة ان الحق قديم والرجوع الى الحق خير من التمادى فى الباطل .

وأذكر واقعـة لشيخ القضاه عبد العزيز باشا فهمى وهو رئيس محكمة النقض فقد عرضت عليه قضية ملخصها ان شخصا دخل الى حجرة نومه فوجد مع زوجته شخصا غريبا فى فراشه فاخرج مسدسه وأطلق عليه النار فأخطأه وسارع المعتدى الى مسدسه وأطلقه على الزوج وكان أحكم تصويبا فقتل الزوج . وحين قدم القاتل الزانى الى محكمة الجنايات حكمت ببرائته . فجريمة القتل دفاع عن النفس فى أوضح صورة للدفاع عن النفس وجريمة الزنا لايقيمها الا الزوج والزوج مات قتيلا وعرضت القضية على محكمة النقض ونظر العالم الجليل عبد العزيز باشا فهمى القضية واستهول الجريمة واستهول الحكم فرفضه وقال فى الحيثيات ان المشرع حين وضع هذه القوانين لم يكن يتصور ان يعتدى شخص على شرف آخر وحياته وينجو من القصاص ولهذا فاننى سأرجع الى القانون الطبيعى وأصدر حكمه على المتهم بالسجن عشر سنوات .

فاذا كان شيخ القضاة أبى ان يطبق القانون الذى لايشـوبه أى بطلان شكلى مرتئيا ان الجريمة التى وقعت لم يتحسب القانون أن تقع .

ومرتئيا بضمير القاضى العظيم المشرع ان القوانين انمـــا تصدر لتحقق العدالة · فالعدالة هى غرضها الأسمى وهدفها الأرفع فاذا هى قصرت ان توقع القصاص على من يستحقه تركها ورجع الى العدالة فى مفهومها العلوى وطبقها ·

فما الخطب اذا كانت القوانين التى انتهبت أموال أسرة أبو الفتح صادرة يوم صدورها عن انتقام لا عن عدالة وما الخطب اذا كانت الدولة هى التى استولت على هذه الأموال · فلو ان هذه الأموال انتقلت الى أفراد وتعلق بها حق مكتسب لأصبح من العسير ان ترد · اما والدولة هى التى أصدرت القوانين الجائرة أليس من الطبيعى اذن ان ترد الدولة حقوقهم التى لايمنع ردها مانع عملى ويصبح شـــأنهم شأن جميع الذين خضعوا للحراسة ثم استردوا من حقوقهم القدر الذى لم تتعلق به حقوق جهات أخرى · أو ليس من الطبيعى ان تبادر الدولة فترد الظلم والمقت عن رعايا لها لم يقدموا لمصر الا التضحية والشرف والصدق وأمانة الكلمة ··

والاعتداء على المال قريب كل القرب من القتل ، فكيف يجوز للدولة ان تمنع انسانا أصاب مالا حلالا شريف المصدر ان يمارس حياة كريمة هو جدير بها ·

والدولة خصم شريف فاذا رأت الدولة انها أصابت من المال ما ليس لها بحق فان عليها ان تعيد الحق الى صاحبه دون حاجة الى القضاء وخاصة والدولة تعلم ان الفترة التى سبقت حكم السادات كانت القوانين تصدر فيها لمحاربة الأفراد غير ناظرة الى المجموع وليس فينا من ينسى القانون الذى صدر خصيصا لمنع وزير خرج من الوزارة مغضوبا عليه ان يعمل فى أى بلد عربى قبل مرور سنوات خمس · وكان القانون يصر على ان يجعل الوزير السابق يتكفف الناس ليحصل على لقمـــة العيش · وقد وجـد العدل فى عهد السادات منفسحا من الحياة لم يكن متاحا له فيما سبقه · وفى عهد حسنى مبارك يسود العدل كل مرافق الحيـــاة وها هى ذى المعارضة تقول ما تشاء دون قيد عليها ولا رقيب وما الحرية الا العدل أفليس من حق هذه الأسرة التى قدمت حياتها فى مصر وانفقت أموالها فى سبيل الرأى الذى تعتنقه أن تنال الحق الذى اغتصب منها قهـــرا قاصفا عاصفا ·

وقد اختلف مع الأستاذ الكبير أحمد أبو الفتح فى بعض مايكتب بجريدة أخبار اليوم وقد أرى انه يطالب بأشياء ان قبلها التفكير الأمثل فان طبيعة الحياة فى مصر اليوم ترفضها ولا تطيقها ولا تحتملهـــا وقد تحمل فى باطنها من الوبال مالا يتفق مع ظاهرها من بريق ولكننى احترم كل كلمة يقولها لانى أعرف أنها صادرة عن ضميره وحده ، لا يبتعثها دافع شخصى ولا يبتزها اغراء دنيـــوى وحسب الكاتب شرفا ان يـكون كذلك ٠

وقائع وليس ردا

جاء بجريدة الأهالى اننى كنت أكتب بجريدة الجمهـــورية ثم المع الحذاء وأذهب الى على صبرى وأنال ما يسمونه بتعبيرهم ما فيه القسمة ٠

وانى أعلن اننى لم التق بعلى صبرى فى حيـــاتى لا فى مقابلة خاصـــــة ولا فى مقابلة عامة ولا حتى فى محفل ولا فى بيت عن طريق الصدفة ٠ ولا بد للقول من الدليل ٠ والدليل حاضر من قريب ٠ اذا كنت لقيته ونلت ما فيه القسمة فلابد ان أمدحه أو أمدح رئيسه واننى أتحدى كل من فى جريدة الأهالى وكل انسان فى العالم ان يجد لى كلمة مدح واحدة موقعة باسمى فى على صبرى أو رئيسه أو زميل لعلى صبرى ٠ ففيم اذن كان ما فيه القسمة ؟ اذا كنت لم أقدم البضاعة التى يزعمون أننى نلت ثمنها ؟!

وسؤال آخر ٠ ترى هل تعترف جريدة الأهالى وكتابها أن على صبرى كان يعطى ما فيه القسمة لبعض الناس ٠ لاشك انهـــا تعترف بذلك ٠ ترى من أى مال كان يصرف هذا المـــال ومن أجل ماذا ، وأحب أن أعلن أيضا ان محاولات كثيرة بذلت لكى التقى بمن هو أعلى من على صبرى، والذين قاموا بهذه المحاولات يعرفون تماما ماذا كان موقفى منها ، أما أنا فيابى شعورى بأن ما فعلته انما فعلته عن صدق ضميرى أن أذكره ولهذا فلن أذكره ٠

وأخرى ان مصر تعرف اننى من بيت لم يتعود ان يأخذ ، وأستطيع ان أقول أكثر من هذا ولكن معرفة الناس بالحقيقة تغنينى عن قولها ٠

أما الكتاب الذين قررت جريدة الأهالى اننى قصدت اليهم بما كتبت دون ان أذكر أسماءهم فهى أسماء هاجمتها من قبل وكنت أستطيع أن أصرح بها اليوم لو كنت اليها اقصد لا يمنعنى أحد أو شىء وأنا لست مسئولا عما فهمه كتاب الأهالى فشأنهم والكتاب الذين ذكرتهم وعليهـــم هم أن يعلنوهم أن هذا رأى الأهالى فيهم ٠

وبعد فما تناولت القلم وكتبت هذا الذى كتبته الا ليستقيم الحق فى أذهان الناس أما ما جاء فى المقال قبل ذلك ومع ذلك وبعد ذلك فليس مثلى الذى يجيب عنه ٠

ثروت أباظة ــ ٤٤٩

الفهـــرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٠٦٢٧/١٩٩٤

ISBN — 977 — 01 — 4190 — 9

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٠٠٠ قرشا

مؤلفات ثروت أباظة

١٠



المقالات

الاخراج الفني : فاتن أحمد رضـــا

مؤلفات.. ١٠

ثروت أباظة

المقالات

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٦

سـمات من الزمان

- ١ -

كان وفديا متعصـبا ، ولكن تعصبه كان بعيدا كل البعد عن أى اقتناع أو مناقشة فكرية أو جدل منطقى • ولكن تعصبه أولا وأخيرا كان لأن صديقه الذى يحنو عليه ويسانده أباه فى منصب العمودية كان وزيرا من الوزراء الثابتين فى الوزارات الوفدية •

ومن ناحية أخرى كانت الأغلبية الوفدية سببا قـويا فى تعصبه للوفد ، فقد كان ينتوى أمرا ويخفيه فى دخيلة قلبه ، وان لم يكن يخفى الوسيلة أو الوسائل التى تحقق له هذا الهدف الخبىء فى بعيد نفسه •

وقد كان اخفاؤه لهذا الهدف عنصرا من عناصر سعيه الوثيق الى تحقيق هذا الهدف •

كان مراد دياب طلبة ابن عمدة وحفيد عمدة ، وكان هذا فخرا أى فخر لأسرتهم ، وطالما تناقل أبناء وأحفاد العمدة القديم عبد الستار طلبه أن التليفون لم يغادر باحة دارهم منذ ستين عاما •

وكان مراد خليقا أن يكتفى بهذا الشرف ولكنه كان يزيد على أبيه وجده بأنه نال حظا من التعليم بعد دراسته فى الكتاب حتى نال الابتدائية ، وقضى بعض سـنوات متعثرة فى التعليم الثانوى حتى وصـل متقطع الأنفاس الى الثـالثة الثانوية حين كان زملاؤه قد حصلوا على التوجيهية ودخلوا الجامعة بينما لم يتجاوز أبوه وجده الدراسـة فى الكتاب تلك الدراسة التى مكنت لهما أن يجيدا القراءة والكتابة وحفظ نصيب لا بأس به من كتاب الله الكريم ، وان كانت الأيام أنستهما ما حفظا من القرآن لأن كليهما لم يحرص على ما حفظ بلزوم القرآن ومداومة قراءته •

على أية حـال كان دياب طلبة والد مراد حريصا على أن يعلم ابنه ويصل به الى التخرج فى الجامعة وان يكن مراد قد خذله فما كان لهذا شأن كبير عند دياب فحسبه أن له ولدا يرث عنه العمودية بعد أن كاد يصل الى اليأس من انعام الله عليه بولد •

فقد ظل بلا مولود أو مولودة خمس سنوات بعد زواجه من ابنة عمه بهدوية عبد الموجود طلبة ٠

وكان مراد أول ما من الله به عليـه ، وتبعته بنتان أسمى الأولى نجاح ، وربما كان هذا الاسم ينبض بما كان يراوده ، من نجاح أخيها فى الدراسة ، وأسمى الأخرى فاطمة تيمنا بستنا فاطمة كريمة النبى عليه الصلاة والسلام ٠

كان فى صـحبة مراد فى المدرسـة نديم راشـد ، وكان أبوه من الشخصيات المرموقة فى حزب الوفد ، وكان ينتظر الوزراء فى كل مرة يؤلف فيها الوفد الوزارة ٠

توطدت الصداقة بين مراد ونديم ٠ ولما كان مراد يقيم عند عمه صالح طلبة الذى كان موظفا بوزارة الأشغال بالقاهرة ، فقد كانت الرقابة عليه هينة لينة لا تعنت فيها ولا حزم ولذلك كان يستطيع أن يقضى وقته جميعا فى غير مواعيد الدراسة فى منزل فكرى بك راشد مع ابنه نديم ٠ وكان كثيرا ما يتناول غداءه مع سعادة البك فى يومى الاثنين والخميس اللذين كانت الدراسة فيهما لا تستغرق الا نصف اليوم ٠

وعلى مائدة الغـداء فى يوم من أيام الاثنين كان الجميع يعلم أن الوفد يؤلف الوزارة فى تلك الساعات ٠ وكان فكرى بك فى حالة من الترقب الذى يجاهد أن يخفيه بكل ما يملك السياسى من خبرة واسعة فى كبت مشاعره وزجرها أن تبين منها خلجة على وجهه بله فى تصرفه ٠

كان جالسا الى المائدة يتلطف كل التلطف مع مراد صـديق ابنه ويعده بهدية قيمة اذا هو نجح مع نديم فى الامتحان ٠

وكان مراد سعيدا بهذا التلطف غاية السعادة ، مضمرا أن يبلغ أباه بهذه المكانة التى بلغها عند هذا السياسى الكبير ٠

وفجأة رن جرس التليفون ، وجاء الخادم يبلغ فكرى بك أن معالى سكرتير الحزب يطلبه على التليفون ، وهنا انكشف كل ما كان يكاتمه فكرى من ترقب ، وهب لا تكاد تسعفه قدماه الى التليفون ٠

وتوقف كل من على المائدة من المآكل بل والمشرب ٠

وعاد سعادة فكرى بك وهو معالى فكرى بك وزيرا للدولة وكأنما لم يجد أحدا يفرغ عليه سعادته الا مراد ، فاذا هو يصيح به :

ــ أنت فتى ميمون الطالع يا مراد طلبة وستنال منى هدية عظيمة لأننى طوال فترة الغداء وأنا متفائل بك ٠

ومنذ ذلك اليوم أصبح مراد مقربا من فكرى الذى أصبح باشا وكان مراد سعيدا بمكانته هذه ، وكان يحس أن الباشا يدلله ولا يرفض له طلبا ، وعرف أهل الميمونة التي ينتمي اليها والتي يشغل أبوه فيها منصب العمدة هذا المكان الذى بلغه مراد فى ساحة معالى فكرى باشا ، فكانوا كثيرا ما يلجأون اليه ليرجو لهم الباشا فيما يعرض لهم من مشاكل أو تعيينات أو ترقيات أو تنقلات • وكان الباشا يستجيب لرجائه ، سواء كان خارج الوزراة أو داخلها •

فرجال هذا الزمان لم تكن الحزبية تقف بين بعضهم البعض ان تقوم بينهم الصداقات ، وأن يلبى كل منهم ما يتشفع فيه واحد لدى الآخر مهما يكن أمر الخلاف الحزبى الا اذا كان المطلب يضر بالحزب الذى ينتمى اليه صاحب المنصب • وكان المشفع دائما ذكيا فلا يعرض نفسه لمطلب يمس حزب صديقه • فهو الآخر سياسى ويعلم كل العلم ما يجوز الرجاء فيه وما لا يجوز •

وهكذا لم يكن عجيبا أن ينشأ مراد طلبة وفديا متحمسا ، ولم يكن بهذا يخالف ضميره ، فهو لا يعرف عن حزب الوفد أو غيره من الأحزاب شيئا على الاطلاق حتى يثبت ضميره على شيء أو يخالفه لا شأن له بتاريخ أى حزب أو مبادئه ، وفدا كان هذا الحزب أو كان حزبا آخر •

كل ما كان يعنيه أن فكرى باشا راشد واحد من وزراء الحزب الوفدى فهو اذن وفدى •

●●●

- ٢ -

كان مراد فى العشرين من عمره حين رأى أبوه أن من الخير له ولابنه وللزراعة وللعمودية أن يمكث مراد بالميمونة ولا داعى لاكمال الدراسة فهو على كل حال ، سواء نال الشهادة الجامعية أو لم ينلها ، كان أمله كله أن يصبح مراد عمدة بعده ، وأن يشرف على المائتى فدان اللتين يملكهما •

وهكذا استقر مراد بالقرية ، وكان زميله نديم قد أصبح فى السنة الثانية من كلية الحقوق بجامعة فؤاد ، ولكن هذا الفارق فى الدراسة لم يقطع ما بين الصديقين من رابطة وثيقة ، ولم يؤثر فى شيء على رعاية فكرى باشا لمراد •

حتى لقد طلب الباشا من مراد أن يدعو أباه للغداء معه • فرجال السياسة ثروتهم تتكون من الناس قبل المال •

ورحب الحاج دياب بهذه الدعوة • مع صداقته لعمر المفتى عضو النواب الحر الدستورى عن الدائرة • ولكن معرفة فكرى باشا أعظم نفعا

وهكذا عرف مراد معالى فكرى باشا ، بل انه لم يكتف بهذا ، بل دعاه الى الغداء بالميمونة مركز الزقازيق ، وقبل الباشا الدعوة •

وحين لباها وجد العمدة قد أقام على شرف الباشا حفلا حافلا ، فالمظاهرات تستقبل الباشا قبل ظاهر القرية بعديد من الكيلو مترات ، والقرى المجاورة تجامل العمدة والباشا جميعا بالتجمهر أمام قريتهم والهتاف لمعالى الباشا •

وكان دياب من العمد الأذكياء فدعا عمد البلاد التى يمر عليها الباشا أولا ليظهر أمامهم أنه يستطيع أن يدعو الباشاوات الى بيته ، ولأنه يعلم كل العلم أن الباشا يحب أن يتعرف الى هؤلاء العمد ليكونوا أو يكون كثير منهم — على الأقل — من أنصار الحزب عند الانتخابات •

وطبعا انطلقت الأعيرة النارية الى عنان السماء فما كان العمد جميعا سواء الداعى أو المدعوون ينظرون الى السماء فى هذه الساعات ، بل كانت نظراتهم وآمالهم جميعا أرضية مغرقة فى الأرضية •

وبعد الغداء أعلن الحاج دياب أنه منذ اليوم وفدى متحمس ، ولن يترك الوفد مهما تكن الضغوط عليه ، ولم يكن عجيبا ان يقول زميله عمدة النمايرة أنه أيضا يعلن انضمامه الى الوفد ، وكان الحاج دهشان النمر عمدة النمايرة من كبار العمد ومن كبار الأعيان أيضا ، وكانت بلدته أكبر البلاد عددا فى المنطقة •

وهكذا لم يكن عجيبا أيضا أن يعلن جميع العمد انضمامهم الى الوفد • ومهما يكن شأن هذه المظاهرة فكل هؤلاء العمد كانوا على أتم استعداد للانضمام للأحزاب الأخرى حين تتولى الحكم ، ولكن لا بأس بالمجاملة ما دامت لن تصيبهم فى مناصبهم أو أموالهم أى اصابة مهما تكن هينة بل هى الى النفع أقرب ، وكان كل منهم يعرف عن نفسه وعن الآخرين أنهم على أتم الاستعداد للانضمام للأحرار الدستوريين أو السعديين اذا كانوا فى حضرة أى وزير من أى من الحزبين •

ولم يكن فكرى باشا يغبى هذا ، بل كان يعرفه كل المعرفة فهو سياسى مخضرم •

وبممارسته الحزبية ومرانه السياسى تظاهر بأنه صدق كل الذين انضموا الى حزبه ، وأظهر الفرح الشديد بهذا الكسب الحزبى الكبير ، والله يعلم بل أحسب أن جميع الحاضرين بلا استثناء كانوا يعلمون ويعملون دستور النفاق هذا الذى يسود الانضمام والقبول فى وقت معا ٠

وربما كان هذا اليوم هو ميلاد أو تمكن الخاطر الذى يهفو له مراد ٠

وما البأس وها هو ذا فى سنه هذه الباكرة يتمكن من اقامة هذا الاستقبال الضخم للوزير الوفدى الأمر الذى يعجز عنه كثير من عتاولة العمد وعتاتهم ٠

وما البأس عليه أن يتوق الى هذا الذى يأمله لنفسه ، وما البأس عليه أن يذكر البيت القديم :

منى ان تكن حقا تكن أعذب المنى والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

● ● ●

\- ٣ -

قال الحاج دياب لولده مراد :

\- لقد قاربت السن التى ينبغى فيها أن تعين عمدة وأنا أريد أن أراك عمدة على حياة عينى ٠

\- أطال الله عمرك يا أباه وأعطاك الصحة والعافية ٠

\- فليطل عمرى ما شاء الله أن يطول وأنت عمدة ٠

\- أنا لم أعص لك أمرا فى حياتى ٠ ولكن لى رأيا آخر ٠

\- نهارك أسود ٠٠ رآيا آخر فيهم ٠

\- لا تخف ٠ سيرضيك هذا الرأى ولكن أوانه لم يأت بعد ٠

\- ما هو ؟

\- سوف أقوله لك فى الوقت المناسب ٠

\- وما المانع أن تقوله الآن ٠

\- من ناحية المانع لا مانع ، ولكن لكل كلام حينه ٠

\- ما هذه الفلسفة لماذا لا تقول ما تفكر فيه ؟

ـ لو قلته الآن سيبوخ لك على أن نفرح أنا وأنت فرحا لا مثيل له ٠

ـ افرح كما شئت ، ولكن لا ترفض العمودية ٠

ـ يا أبى أنا تحت أمرك ، ولك أن تتأكد أنى لن أخرج عن طاعتك طول عمرى ، والله على ما أقول شهيد ٠

ـ اذن فافعل ما تحب ، ولا تنس أن التليفون لم ينتقل من دوار آل طلبة منذ قرابة سبعين عاما ٠

ـ ولن ينتقل ٠٠ لا تخف ٠٠ التليفون قاعد فى مكانه ٠

وضحك الأب والابن معا وقال مراد :

ـ أنا تحت أمرك ٠

وقال الحاج دياب وهو يبتسم :

ـ ومن وجاهة العمودية أن تكون رب أسرة ٠

وتولى مراد شىء من الدهشة فهو لم يكن يتوقع أن يحيد الحديث الى هذا الأمر ، ولكنه سرعان ما تمالك نفسه ٠

ـ أما أن أتزوج فهـذا أمر محترم ، ولكن هل ترى اختـرت لى الزوجة أيضا ؟

ـ معاذ الله بل أنت الذى تختار ٠

وقال مراد وفى نفسه ما فيها من آمال عراض :

ـ فاترك لى بعض الوقت ، وسوف أرضيك ان شاء الله ٠

●●●

كان مدنى طلبة ابن عم مراد من أقرب أسرته اليه ، وكان يخالصه بدخيلة نفسه لا يخفى عنه شيئا الا هذا الأمل الذى يداريه فى البعيد القريب من أعماقه ٠

قال له :

ـ مدنى ! اذا طلبت منك أن تخطب لى فمن تراك تختار ؟

ـ انت يا بنى تعلمت فى مصر ، ولابد أنك تريد من تحب حتى تتزوج ٠

ـ دعك من حكاية الحب هذه ٠

ـ معناها أنك لم تحب فى مصر ٠

ـ وهبنى أحببت ٠
ـ لعلك تصبو الى هذه المحبوبة ٠
ـ هيهات !!
ـ هذه قصة لم تحكها لى ٠
ـ لم تأت مناسبة ٠
ـ وها هى ذى قد جاءت ٠
ـ أحكى لك ٠
ـ احك ٠
ـ كنت مقيما ـ كما تعلم ـ مع عمنا صالح
ـ بالمنيرة أعرف ذلك ٠
ـ ولم يكن البيت بعيدا عن مدرسة الخديو اسماعيل ٠
ـ لا جديد فى هذا ٠
ـ أمام المدرسة مباشرة عمارة جديدة كنا مبهورين بهـــا ، وكان يسكن فيها واحد من زملائنا اسمه وافى الامبابى ٠ وكان تلميذا عظيما فى الفصل لا يترك المذاكرة ليلا ولا نهارا ، فقلت فى نفسى أمد خيوط الصداقة بيننا لعلى أذاكر وأنجح بدلا من هذه الخيبة الثقيلة التى أعانيها ٠

لم أكذب خبرا توددت الى الولد ، وكان لطيف المعشر رضى الخلق ، وقلت له ألا تعمل فى معروفا وتجعلنى أذاكر معك ؟ فقال وهو يمزح لن تستطيع معى صبرا قلت أنا أتصور أن أكون فى مثل تقدمك ، وكل ما أريده هو أن أنجح ولا أقضى فى كل سنة سنتين أو ثلاثا ٠ قال وتسمع الكلام ؟ قلت واسمع الكلام ٠٠ لا أطيل عليك ٠٠ قامت بينى وبين وافى صداقة ٠٠ وكنت أفرغ من المدرسة فيصحبنى الى بيته وقد اشترط على واحدة من اثنتين : اما ألا أزيد بقائى عنده عن ساعة يشرح لى فيها كل ما أطلبـــه واما أن أبقى معـــه أذاكر حتى التاســـعة مساء بلا توقف ٠ تصور أنت أننى أذاكر من الرابعة الى التاسعة ملعون أبو النجاح ان لم يتحقق الا بهذا ٠ قلت له : لا يا عم أنا تكفينى الساعة وتفيض ٠

فى ثانى أو ثالث يوم ذهبت اليه ، ودخلت الحجرة فتاة طالما رأيتها خارجة من باب العمارة ، وطالما أعجبت بها ، ولم أكن أعرف أن لها بوافى أى صلة ٠ وأذكر أننى تجرأت مرة وقلت لها : صباح الخير ٠ فلم تلتفت الى وذهبت الى طريقها وكأنها ما سمعت شيئا ٠

فحين دخلت الى الحجرة التى أجلس فيها أنا ووافى خيل الى أن

قلبى سيقف من المفاجأة فالبنت حلوة يا ولد يا مدنى حلاوة تفوق الوصف ٠

ـ كيف ؟

ـ ماذا تعنى بكيف ؟

ـ يعنى ما شكلها ؟

ـ حلوة ٠

ـ يا أخى ماذا وراءنا صفها وأطل فى وصفها ٠

ـ عينان سوداوان واسعتان ذوات رموش تشرئب الى أعلى فى انثناءة مقوسة رائعة الحلاوة موضوعتان داخل خدين ناعمين أنعم من الحرير ٠

ـ وكيف عرفت ؟ لامست خدها ؟

ـ ليس فى أول يوم على أى حال ٠ بالنظر هل لابد أن تمسك الحرير لكى تعرفه ٠

ـ نهايته أكمل ٠

ـ قوام ممشوق كل شىء فيه مرسوم بدقة شغل رب قادر وهى الى النحافة أقرب ، ولكن ذلك لم يمنع الأماكن التى يجمل بها أن تكون عظيمة من أن تكون عظيمة فى كبرياء يا ولد يا مدنى وفى اشارات تأمر بالاعجاب ولا ترضى به بديلا أنا رأيتها داخله ٠

ـ وقلبك كان سيقف قلت هذا من قبل ٠

ـ وركبنى ذهول وقبل أن أفيق قال لها وافى : تعالى يا هند هذا زميلنا مراد وفجأة تذكرت محاولتى أن ألقى عليها تحية الصباح ، وركبنى الرعب أن تذكر شيئا عنها لأخيها ، ولكنها قالت فى صوت ناعم مخملى كما يقولون وفى غير كلفة : أهلا وفى خبث لم تشأ أن تفوت الفرصة دون أن تغمزنى فى تجرئى على القاء تحية الصباح ٠ فقالت كثيرا ما رأيته وهو ذاهب الى المدرسة يظهر أن عمارتنا فى طريقه ٠ والخبيثة تعلم أننى لو شئت أن أذهب الى المدرسة مباشرة لذهبت دون أن أمر بباب العمارة ٠ فقد كان طريقى من شارع الملك الناصر ، والقاصد الى مدرستى لا يحتاج أن يمر بالعمارة ولكننى كنت أتحرى أن أقف لحظات أمام العمارة لعلها تخرج ٠

ـ يعنى كنت تعرف جمالها ٠

ـ لم أكن تحققت منه كما فعلت وهى تسلم على ويدها فى يدى وتقول أهلا ٠ كنت أعرف أنها جميلة ، ولكن تفاصيل هذا الجمال لم

تتضح فى ابهار كما اتضحت وهى معنا فى الغرفة · قالت لأخيها أنت مشغول أجىء لك فى وقت آخر فقال لها هل هناك شىء ؟ قالت مسألة حساب كنت أريد أن أسألك فيها · قلت أقسم بالله العظيم ثلاثا ان لم تحل لها المسألة لشيبت من فورى لا ساعة ولا عشر فضحكت ملء قلبها ، وسألت عن حكاية الساعة هذه ، فأخبرتها وأكملت : وأنا يا آنسة هند لست أتحمل المذاكرة أكثر من ساعة فى اليوم الذى أكون فيه مجدا كل الجد ، وهيهات لى أن أكون كفء أستاذنا وافى ·

ـ طبعا كنت تريدها أن تحل المسألة لتبقى أطول فترة ممكنة ·

ـ عجيبة وفهمتها وحدك ! فلماذا يقولون عنك غبى ؟

ـ أنت قليل الأدب ·· أكمل ·

ـ حل المسألة وأنا لا أفهم مما يقول شيئا ، فأنا عنه وعن المسألة فى شغل شاغل بالمسألة الالهية الكبرى التى أبدع الله خلقها · قل عرفتها · وأصبح من الطبيعى أن أنتظرها فى اليوم التالى ، وأصبح من الطبيعى أن أقول : صباح الخير ، فتقول : صباح الخير · يوم والثانى والعاشر تجرأت وقلت لها : وبعد ؟ قالت : وبعد فى ماذا ؟ فى صباح الخير · وصباح الخير أليس لها آخر ؟ قالت : ماذا تقصد ؟ قلت : أنت تعرفين ما أقصد ، قالت : بل لا أعرف شيئا · قلت لابد من التصريح قالت بماذا ؟ بأننى معجب غاية الاعجاب اما أن ألقاك أو فقاطعينى أو ماذا ؟ تنتحر مثلا ، قلت الحقيقة أننى لن أنتحر فبصراحة ليس عندى هذه الشجاعة ، ولكننى لا أدرى ماذا سأفعل ، وكلمة منى وكلمة منها تواعدنا على اللقاء · وواجهت فى هذا اللقاء يامدنى يأخى أكبر حب عرفته أو سأعرفه فى حياتى ·

ـ الى أى مدى كان هذا الحب ؟

ـ على مهلك · ماذا تتصور ؟ أتظنها عاهرة من الطريق ؟ انها فتاة بنت ناس وأبوها تاجر كبير ·

ـ يعنى الى أى حد وصل الحب ؟

ـ قبـــله ·

ـ فقــط ·

ـ ولم أكن أتصور أننى سأنالها فى حياتى لولا أن هند أحبتنى يا مدنى ·· أحبتنى فعلا ووثقت بى وثوقا كاملا ·

ـ متى كان هذا ؟

ـ قبل أن أترك المدرسة بسنتين ٠

ـ يعنى كنت فى الثامنة عشرة ٠

ـ تقريبـــا ٠

ـ فلماذا لم تطلب من أبيك أن أن يزوجك بها ؟ لقد كان وأنت فى هذه السن واثقا أنك ان شاء الله لن تفلح فى الدراسة ٠

ـ قلت انتظر سنة أخرى أكون اقتربت من العشرين ٠

ـ فلنفرض

ـ فى هذه السنة حدث الخراب الكامل ٠

ـ لمن ؟

ـ لأبيهـــا ٠

ـ ماذا حـــدث ؟

ـ أفلس الأب افلاسا كاملا ٠

ـ ومالنا نحن ؟

ـ كيف ٠

ـ ألا تحبهـــا ؟

ـ أحبها جميعها بجمالها وبمال أبيها ٠

ـ تقصد أنك كنت تنظر الى غنى أبيها ؟

ـ لا شك انه كان شيئا مهما ٠

ـ وماذا فعلت ؟

ـ ليس أنا الذى فعل ٠ ربك هو الذى فعل ترك وافى مدرســـة الخديو اسماعيل لأن أباه لم يكن يستطيع أن يدفع ايجار الشقة المرتفع وأصبحت لا أرى هندا ٠

ـ ألم تبحث عنها ؟

ـ عرفت أنهم سكنوا فى الحلمية ٠

ـ ولم تذهب ؟

ـ ولماذا أذهب ؟!

ـ لا ٠٠٠ لك حق ٠٠٠ ولماذا تذهب ؟

ـ المهم هل تعرف لى عروســـا ؟

ـ الآن أستطيع أن أقول لك : نعم أعرف ٠

ـ هل أنت واثق ؟

ـ عرفت من العروس التى تريدها ولكن قل لى لماذا ؟
ـ أى لماذا ؟
ـ انك عندك من المال ما يكفيك ويفيض ٠
ـ يكفينى لأن آكون ماذا ؟
ـ عمـــدة ٠
ـ أنت العمدة ٠
ـ ماذا تقـــول ؟
ـ كلام ابن عم حديت ٠
ـ طبعا ٠ وهل يمكن أن يكون العمدة أحداً آخر غيرك ؟
ـ نرجع لموضوعنا ٠ ماذا تعرف عن العروس التى أريدها ؟
ـ أن تكون ذات مال ٠
ـ طبعا ٠٠ وماذا أيضا ؟
ـ هذا الذى فهمته وأكذب لو ادعيت أننى فهمت معه شيئا آخر ؟
ـ دعنى أرحك من البحث ٠
ـ أرحنى أراحك الله
ـ عليك أن تتعرف لى من البلاد التى حولنا البنات اللاتى تصلحن زوجات لى ٠
ـ أتريد بحجة الزواج أن ترى بنات المنطقة كلها ؟
ـ اعمل ما أقوله لك ، وسترى أنك مغفل فى استنتاجاتك ٠
ـ ألا يمكن أن تتكلم من غير قلة أدب ؟
ـ ماذا أعمل لك مادمت تريد أن تعمل نفسك ذكيا وأنت خائب ؟
ـ حفظت ٠
ـ انت بالذات تعرف الناحية كلها ٠٠ فأنت الى جانب أرضك تعمل فى تجارة القطن على خفيف ولكن لا شيء يجعل الواحد يعرف الناس فى البلاد مثل هذه التجارة ٠
ـ والله انك ناصح ٠٠٠ فلماذا اذن لم تفلح فى المدارس ؟
ـ المدارس شيء ، والدنيا شيء آخر ٠
ـ كل الخائبين يقولون هذا القول ٠
ـ لعنة الله عليك ٠٠ لا تغير الحديث ٠
ـ يا سيدى علم ٠

ـ عــــلم ؟!

ـ علم وينفـــذ •

٤

طلب الحاج دياب زميله الحاج دهشان عمدة النمايرة في التليفون المباشر ، لا في تليفون العمودية •

ـ يا صباح الخير •

ـ يا أهلا حاج دياب •• مشتاق لك •

ـ من بعض ما عندنا •

ـ أتأتى الى أم آتى أنا اليك ؟

ـ غداؤنا عندك اليوم •

ـ يا مرحب •

ـ أنا والعائلة جميعا •

ـ أى سعادة وهناء ؟

●●●

ـ أنا اليوم يا حاج دهشان أسعد انسان فى العالم •

ـ اذاً فأنا أيضا أسعد الناس فسعادتك سعادتى •

ـ قل لى لماذا ؟

ـ ولماذا أسأل وأنت ستقول فحديثك عن سعادتك تمهيد لحديث آخر قادم فى السكة •

ـ طــول عمـرك لا تفــوتك الفـــائتة •• أنا طلبت الغداء عندك لسـبب •

ـ انطــق •

ـ أريد نازلى ابنتك الوحيدة لابنى الوحيد •

ـ لمراد ؟

ـ وهل عندى ولد آخر ؟

ـ وأين رآها ؟

وهنا نطق مراد :

ـ وهل لابد أن أراها يا عم الحاج ؟

ـ هذا سلوككم يا أبناء المدارس •

ـ يكفينى انها ابنتك •

ـ قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أنظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما » •

وقال الحاج دياب :

ـ ألم تجهز لنا الغداء ؟

ـ لقمة على ما قسم •

ـ ستراه ويراها ، ويؤدم بينهما •

● ● ●

لم تكن جميلة ولكنها كانت صبيحة الوجه ودودا هادئة الحديث والتصرف تحسن استقبال الضيف • وقد كان مراد ينوى خطبتها على أية حال وان كانت عجوزا شوهاء شمطاء رديئة الخلق والخلقة فقد كان ـ كما قال ـ يريد أباها الحاج دهشان فهو رجل ذو ثراء كما تعلم ليس له من البنين ولا البنات الا نازلى ، ثم هو صاحب شفاعة عند الكبار من المديرية كلها • بل ومن غيرها أيضا •

ولم يخل الأمر على الغداء من ابتسامة يسفر بها مراد لنازلى اجابتها ابتسامة منها •

قال الحاج وهم يتناولون قهوة ما بعد الغداء •

ـ نقرأ الفاتحـــة •

ونظر الحاج دهشان الى مراد :

ـ سأكون لك ابنا صالحا ان شاء الله يا عم الحاج •

وقال الحاج دهشان :

ـ أنا ليس لى فى الدنيا الا هى ، وقد بعت لها أرضى كلها بعقد

مسجل ، ولا أمل لى الا أن تكون سعيدة ·

وقال مراد :

ـ أظننى فى غير حاجة ان اقدم لك نفسى ، فانت منى كأبى وتعرف عنى كل شىء ·

ـ ماعدا أنك لا تحب العلم ·

وهنا قال الحاج دياب :

ـ شغلتنا يا حاج دهشان لا تحتاج الى علم ·

وقال الحاج دهشان :

ـ ولكن نازلى أخذت الابتدائية وترطن وكأنهـــا بنت من بنات فرنســـا ·

وهنا سأل مراد :

ـ أكانت بمدرسة الراهبات بالزقازيق ؟

وقال الحاج دهشان :

ـ طبعـــا ·

وقال مراد :

ـ ربنا يســـتر ·

وقال دهشـــان :

ـ مالـــك ؟

وقال مراد :

ـ أصل أنا فى مسألة اللغات مثل يدك والأرض ·

وضحك ثلاثتهم ، وقال الحاج دياب :

ـ وماله ! هى تعلمك ·

وقال مراد :

ـ ان شـــاء الله ·

وقال الحاج دياب :

ـ امدد يدك يا حاج دهشان •

وقال الحاج دهشـــــان :

ـ على بركة الله ••

ولكن مراد سأل فى شبه خجل ليس طبعا فيه :

ـ أسألتها يا عم الحاج • ربما تكون غير راضية عنى •

ولولا ابتسامة المائدة ما سأل مراد هذا السؤال •

وقال الحاج دهشان :

ـ أو كنت أقول على بركة الله • ان لم أكن ســألتها انها بنتى الوحيدة وغدا تعرف الى أى مدى يحب الآباء أبناءهم فهذا شىء لا يعرفه الأبناء الا حين يصبحون آباء •

وأنهى الحاج دياب الحديث •

ـ امدد يدك يا حاج دهشان •

ـ على بركة الله ان شاء الله •

ومد يده وقرأ ثلاثتهم الفاتحة •

●●●

٥

تم الزواج ، وانتقلت نازلى الى دار الحاج دياب ريثما يتم المنزل الذى رسمه مهندس حسن الذوق ليقيم فيه مراد وزوجه ، وكانت الحاجة بدوية أم مراد سيدة رضية الخلق ، وقد فرحت بزواج ابنها الأوحد فرحا لا يدانيه فرح ، ورحبت بنازلى غاية الترحاب ، وخصصت للعروسين جناحا فى الدور الأعلى من المنزل ، وأصرت قبل الزواج أن يلحق بالجناح حمام خاص بالعروسين ، ولم يجد المهندس الذى رسم بيت مراد مشقة أن يقلب غرفة مجاورة للجناح الى حمام للعروسين •

ومع ذلك فان الحاج لم ينجح فى جعل مراد وزوجته مستقلين عن البيت الكبير ، أو السراية كما يسمى أهل الميمونة بيت العمدة • وربما كان اتساعه وأنه مبنى بالطوب الأحمر سببا فى هذا اللقب الذى أضفاه أهل البلدة على منزل العمدة •

كان مأكل العروسين وشربهما وسائر ما يشغل أهل البيت متوحدا لا انفصال فيه بين العروسين والحاجة بدوية أو الحاج دياب ٠

وأصرت نازلى أن تقوم هى نفسها بعمل القهوة لحميها وحماتها كلما طاب لهما أن يتناولا القهوة ٠ وكانت نازلى صناعا فى شئون المطبخ فكثيرا ما كانت تتحف الأسرة بطعام تختاره هى لهم وتتقن صنعه ٠

وهكذا ازداد حب بدوية لنازلى وبخاصة أنها وجدت نازلى لا تحاول أن تبدو وكأنها ست البيت ٠ بل كان ترجع فى صغير الأمور قبل كبيرها الى نينا بدوية كما كانت تدعوها ٠

وما هو الا شهر وبعض شهر حتى انطلقت الزغاريد فى بيت العمدة اعلانا عن الحمل الذى ظهرت بوادره على نازلى والذى أكده الطبيب المختص فى البندر٠

كان طبيعيا أن يشمل الفرح الأسرة جميعا ، ولم ينس الحاج دياب أو الحاجة بدوية منذ عرفا هذا النبأ العظيم أن يدعوا بعد كل صلاة أن تقوم نازلى بالسلامة وأن تهب لهما غلاما ٠

وتمر الأيام والشهور ويأتى الغلام ، ويصبح اسمه دياب مراد دياب طلبة ٠

ولا تمر على ولادة الطفل أيام حتى يصبح بيت العروسين الجديد مستعدا لاستقبال الأسرة الجديدة ٠

ربما كان فرح الحاج دياب أعظم من الجميع ، فقد ضمن لاسمه البقاء من بعده وبعد ابنه ٠ فالجد يلد حفيده مرتين كمـــا يقول أمير الشـــعراء ٠

وفى ذكاء شديد وفطرة مواتية ينتهز مراد الفرصة من سعادة أبيه الغامرة ويقول له :

ــ ما رأيك يا أبا فى الانتخابات الجائية ؟

ــ أى انتخابات ؟ هل هناك انتخابات ؟

ــ لابد أن تاتى انتخابات ٠

ــ طبعا ولكن متى ؟

ــ على الأقل حين تنتهى الدورة ٠

ــ يا من يعيش !

ـ ربنا يطيل عمرك الأمر ليس بعيدا سنة والأخرى ويبدأ الاستعداد للبرلمان الجديد ٠

ـ ولد يا مراد ٠

ـ نعم يا ابا ٠

ـ قل ما تريد ولا تلف على أبيك ؟

ـ أنا لا ألف ولا أدور ٠٠ ألم تنضم للوفد وتصبح عضوا فيه ؟

ـ انضممت وأصبحت عضوا فيه ٠

ـ أو لم تصبح صديقا لفكرى باشا راشد ؟

ـ افرض ٠

ـ أنا لا أفرض أنا أعرف مكانك عنده وصـــلتى أنا بابنه نديم ، والباشا يستقبلنى بكل ترحاب كلما زرتهم ٠

ـ هل عرف أنك أصبحت أبا ؟

ـ لا أظن ولكنك تذكر أننا دعوناه الى الفرح وجاء ومعه ابنه نديم وسجادة غالية الثمن ٠

ـ حصـــل ٠

ـ آبا ٠

ـ هيـــه ٠

ـ لماذا لا ترشح نفسك فى الانتخابات الجائية ؟

وبهت الحاج دياب لحظات ثم أفاق فى بطء شديد ليجد نفسه قائلا لابنـــه :

ـ أجننت ؟!

وابتسم مراد أنه أثار انبهار ابيه :

ـ أترى أننى جننت ؟

ـ والعمـــودية ؟!

ـ أى عمودية يا آبا ؟ أنا أكلمك لتكون عضو مجلس نواب تقول لى عمودية « أى عمودية » يا آباه ؟!

ـ أفوتها ؟!

ـ وهى أين ستروح ! انها باقية فى العائلة ٠

ـ أنت تريد أن تصبح عمدة بسرعة ٠

ـ أنا ٠٠ لا يمكن ٠٠ أولا أنا لم أبلغ السن ٠٠ ومسألة العمودية بعيدة عن ذهنى تماما ولا أفكر فيها ٠

ـ كيف ؟!

ـ يا أبا أريد أن تكون عضو نواب ، والعمودية لها حديث آخر

ـ فاجأتنى يا ولد يا مراد ٠

ـ وفيم المفاجأة ؟

ـ لم أكن أفكر فى هذا عمرى كله ٠

ـ غلطـــان ٠

وصمت الحاج دياب وشرد ذهنه وأمعن فى التفكير ، ثم ما لبثت ابتسامة متفاخرة آن علت شفتيه ٠

ـ والله يا ولد ربما كنت على حق يمكن أنا غلطان فعلا ولماذا لا ؟
وصاح مراد :

ـ يعيش حضرة النائب ٠

ـ هس لا يسمعنا أحد ٠

ـ لك حق ٠٠ اسمع اذن يا آبا ٠

ـ هيـــه ٠

ـ لعضوية النواب ترتيبات مهمة ٠

ـ فعلا ٠٠٠ أتعرفها ؟

ـ يا آبا أنا ليس لى أمل فى حياتى منذ أدركت الحياة الا أن أراك نائبـــا ٠

وهكذا راوغ مراد أباه عن دخلية نفسه وعن الأمل الذى طالما أخفاه لقد كان يريد أن يكون هو نائبا وليس يعنيه أن يكون أبوه أو لا يكون ولقد دبر فيما دبر أنه مادامت سنه لا تسعفه لنيل هذا المنصب فلماذا لا يسبقه فيه أبوه ٠

ويخلف هو أباه وتكون الطريق قد مهدت ، ويكون قد لف الدائرة وعرف من لم يكن يعرف ، وعرفه من لم يكن سمع عنه •

وما كان اختياره نازلى فيمن عرضه عليه مدنى الا لأن أباها عمدة لأكبر بلد فى الدايرة الى جانب ثرائه وهكذا وجد فى نازلى كل الذى يحقق ما تهفو له نفسه ، ويدنى له من الأمل المتشبث به تشبث الانســـان بالحيـــاة •

قال أبوه :

ـ ومن أين نبدأ ؟

ـ وهل المسألة عايزة تفكير ؟

ـ كيف ؟

ـ نبدأ بالباشا •

ـ أى والله صحيح نبدأ بالباشا •

●●●

ـ ٦ ـ

قال مراد للباشـــا :

ـ أتكلم أنا أم يتكلم أبى ؟

ـ وهل هذا سؤال مادام أبوك موجودا فالكلام يكون له •

ـ طبعا الأمر كما تقول معاليك ولكن أريد أنا أن أتكلم •

وضحك الباشا وقال :

ـ والله كبرت يا مراد وأصبحت تلف وتدور على سياسى محترف •

ـ أولا معاليك لم تهنئنى •

ـ ألم أحضر فرحك ؟

ـ وهدية معاليك تتصدر المديرية كلها لا بيتنا فقط •

ـ اذ فيم أهنئك ؟

ـ بالحاج دياب الصغير •

وأراد الباشا أن يبدو مسرورا كل السرور وهو يقول :

ـ كذا .. انت لحقت .. ألف مبروك .. وقبل أن نتكلم افتح يدك
وأخرج محفظة والتقط منها ورقة كبيرة واستطرد قائلا :

ـ نقطة المولود يا أبا دياب .

وأعطاه ورقة بمائة جنيه وقال الحاج دياب :

ـ كثير يا معالى الباشا .. هذا كثير .
وقال مراد :

ـ لا يا أبا أنا عند الباشا مثل نديم بك وأنا أعرف ذلك ربنا يطيل عمرك يا معالى الباشا ويكرمك .

وقل الباشا :

ـ المهم .. ماذا كنت تريد أن تقول ؟

ـ مرة واحدة كده نريد أن نرشح أبى لمجلس النواب عن دايرتنا ..

ـ العضو الآن عمر المفتى . ونحن نرشح فى هذه الدائرة ..

وقاطعه مراد :

ـ كامل الزينى .

وقال الباشا :

ـ عمر المفتى قوى .

وقال مراد :

ـ ليس هو القوى ، ولكن كامل الزينى هو الضعيف ولا يخـدم الدائرة مطلقا .. اذا كان يعمل محاميا ، ويسلخ أهل الدايرة فى الأتعاب الى جانب انه ..

وقاطعه الباشا قائلا :

ـ بخيل .. أعرف ذلك وبيته مقفل دائما .

وصـاح مراد :

ـ يعيش معالى الباشا .

وقال الباشا فى تؤدة وفى تفكير :

ـ والله يا ولد يا مراد ٠٠ المسألة فيها كلام ٠

وقال مراد :

ـ قل معاليك نعم وهى لا يصبح فيها كلام ٠

وقال الباشـــا :

ـ المسألة ليست بهذه السهولة ٠ كامل عضو قديم والأمر ليس بيدى وحدى ، بل لابد من الرجوع الى الرئيس والسكرتير العام وأعضاء مجلس الادارة فى الحزب ٠٠ الأمر ليس سهلا كما تتصور وبخاصة أن لكامل أصدقاء كثيرين فى الحزب ٠

وقال مراد :

ـ وماذا يهم أن يكون العضو قديما أو جديدا اذا كان لاينجح ؟

ـ المسألة ليست كما تتصور ٠

ـ البركة فيك ٠

ـ ليست حكاية بركة ٠

ـ أنت تذلل كل العقبات ٠

ـ بل أنت يا حاج دياب الذى يمكنك أن تساعدنى ٠

وكان الحاج دياب تائها طوال هذا الحوار وكأنما أفاق فجأة بنداء الباشا له صائحا :

ـ أفنــــدم ٠

ـ ألست معنـــا ؟

ـ بل معك تماما يا معالى الباشا ٠٠ أنتظر أمرك ٠

ونظر الباشا الى الحاج دياب وابنه ، وصمت لحظات طويلة ثم قال :

ـ ألم تكن عضوا فى حزب قبل ذلك يا حاج دياب ؟

ـ أول مرة يا معالى الباشا ٠ النائب الذى أعرفه عمر بك المفتى رجل طيب ، وتعـودنا أن نعطيـه أصـواتنا فالمعرفة بيننا معرفة جـدود ٠ وأنا لا أشتغل بالسياسة الا وقت الانتخابات ٠

وأعاد اليهما الباشا نظرة ثاقبة ثم قال لمراد :

ـ قل لى يا فصيح أنت يا من أسكت أباك وتكلمت . ألم تأت عندنا فى الحزب ولو مرة .

ـ كيف ؟ اننى ذهبت لمعاليك هناك أكثر من مرة ، سواء وحدى أو مع نديم ..

وصمت لحظة ثم قال مستدركا :

ـ مع نديم بك .

ـ وقال الباشا :

ـ أليس هذا الحزب يحتاج الى ميزانية ضخمة ؟

وهنا صاح الحاج دياب :

ـ أفنــدم .

ـ أم ماذا تظن ؟

ـ أنا يا باشا تحت أمرك ، ولكن ميزانية لماذا ؟

ـ يا الهى ! لماذا ألا تعرف يا حاج دياب ؟ أبسط شىء الانفاق على الانتخابات . واصدار الصحف ، وهذا وحده يحتاج الى مئات الألوف .

ـ أى والله معقول . انما قل لى يا معالى الباشا .. أينفق الحزب على الانتخابات ؟

ـ طبعا .. مثلا لنا أعضاء أقوياء فى دوائرهم ؟ ولكن ضعفاء فى حالتهم المالية .

وهنا قال مراد :

ـ ماداموا ليسوا قادرين على الانتخابات فليتركوها للقادرين .

وضحك الباشــا :

ـ على مهلك يا أستاذ الموضوع ليس بهذه البساطة فهؤلاء أن لم يساعدهم الحزب تركوه وأصبحوا ضده ، وليس بعيدا أن يرشحوا أنفسهم بأموال حزب آخر الى جانب انهم سيؤثرون فى دوائر أخرى بشخصياتهم .

وقال مراد وكأنما رد الى عقله :

ـ والله معقول يا معالى الباشا .

ـ الى جانب مصاريف أخرى حزبيـــة سرية لا يعرفهـا الا رئيس الحزب والسكرتير العام ، وهذه طبعا لا تذكر ٠

وهنا قال مراد مذهولا :

ـ مثل ماذا يا معالى الباشا ؟

ـ مثل الأموال التى نعطيها لمن ينقل لنا أخبار الأحزاب ٠٠ ولاحظ أننى أفشيت لك سرا من أسرار الحزب ٠

وصـــاح مـــراد :

ـ يا خبر أسود ٠

ـ لا أسود ولا أبيض هذه ســياسة والأحزاب الأخـــرى تعمل مثلنا ٠ وهناك المصاريف الادارية فى الحزب مثلا ٠

وهنا أراد دياب أن يعرف رأسه من رجليه وسأل الباشا فى حسم :

ـ كامل الزينى يدفع للحزب كم جنيها يا معالى الباشا ؟

ـ المبالغ لا أعرفها ، ولكنـــه يدفع مع الاشتراك مبلغـــا محترما فيما أعتقد ٠

ـ أنا يا باشا أدفع ضعفى ما يدفع ٠

وتجلت الفرحة على وجه مراد ، وقال فى شجاعة :

ـ ونحن سننجح يا باشا ، وكامل لم ينجح مرة واحدة فى حياته ٠٠ ما رأى معاليك ؟

ـ توكلنـــا على الله ٠٠ على فكرة أنتم مدعـوان لفـرح نديم يوم الخميس القـــادم ٠

وصـــاح مراد :

ـ وهو مازال فى الكلية ٠

ـ ابنة عمه وواضح انهما متفقان ، فقلت بدلا من أن تشغله عن المذاكرة يتزوجها ٠

وقال مراد :

ـ على بركة الله يا معالى الباشا ولو أننى أرجو أن تبلغ نديم أنى عاتب عليه ٠

ـ لماذا ؟

ـ أنا أقرب صديق له وأعرف الخبر من معاليك ٠

ـ انه لم يبح لأحد مطلقا ٠ لابد أن تحضر الفرح ٠

ولم ينس الحاج دهشان أن يرسل الى الباشا عشرة خراف نتوطا لتذبح فى الفرح ٠

●●●

- ٧ -

حين خلا مراد الى أبيه قال الحاج دياب :

ـ استرحت ؟

ـ كيف ؟

ـ ألم يعد الباشا ؟

ـ أتظن أن الحكاية انتهت هكذا ؟

ـ على الأقل مؤقتا الى أن تأتى الانتخابات ٠

ـ يا أبا الحكاية أكبر بكثير مما تظن ٠

ـ يعنى يا ولد أنت ناوى تعلمنى الانتخابات وأنا فيها منذ بدعوا الانتخاباتفى البلد ؟!

ـ أنت فيها بأن تعطى صوتك ، وهذه أول مرة ترشح فيها ٠

ـ أتريدنى أن أعلن ترشيحى من الآن وأصبح مضحكة ٠

ـ لا يا أبا ٠٠ لا اعلان ولا يحزنون ٠

ـ فماذا تريدنا أن نعمل ؟

ـ نعمل ٠

ـ ماذا نعمل ؟!

ـ أصحابك فى البلاد تزورهم ٠

ـ هكذا من غير مناسبة ٠

ـ زيارات ودية أما المناسبات سواء كانت مآتم أم أفراحا فلا يفوتنك منها واحدة · وتدفع في الأفراح نقطة كبيرة ·· واذا كان صاحب المأتم رقيق الحال نغمزه بكم جنيه ليواجه أعباء الوفاة ··

ـ من الآن يا ابني ؟

ـ بل من الأمس يا أبا ·

وأعجبت الاجابة الحاج دياب فراح يقهقه ملء فمه ، ثم قطع الضحكة وهو يقول :

ـ ولكن الأمر سيكلفنا كثيرا يا ولد ·

ـ ليس هناك مال يساوي أن تصبح عضو مجلس نواب ·

ولم يستطع أن يكتم آماله فاذا هو يقول في تسرع الشباب :

ـ والذي سننفقه اليوم جنيها سنجمعه غدا عشرة ·

ووجم الحاج دياب وهو يسأل في شبه استنكار :

ـ كيف ؟

وتنبه مراد الى تعجله وأراد أن يصلح ما أوشك أن يفسد ·

ـ مصالحنا في المديرية بل في الدولة كلها ·· هل يستطيع أحد أن يقف ضدنا ، وغير هذا كثير مما ستعرفه حين تصبح عضو نواب يا أبا ·

وأطرق الحاج دياب قليلا :

ـ طيب والعمودية ؟

ـ مالها ؟

ـ من يتولاها ؟ أنت لم تصل الى السن القانونية ·

ـ عضو النواب يعين من يريد ·

ـ وتخرج من دار طلبة ؟

ـ بل تبقى ·

ـ هل تقترح أحدا ؟

ـ عندي ألف ·· فقط توكل أنت على الله ·

ـ توكلنا على الله ·

●●●

وبدأ الحاج دياب يعمل بنصائح مراد الذى كان يعد للأمر منذ زمن بعيد ، وقد بدأ حملته باقامة دعوة غداء واسعة كل السعة بمناسبة ميلاد دياب الصغير ، وانتقال مراد وأسرته الى بيتهم الجديد .

ولم يقتصر مراد ودياب دعوتهما على العمد ، بل دعوا كل ذو مكانة أو أكرومة فى بلده .

ولم يخل الأمر من القاء الشيخ سليم الديب المدرس الازامى بالميمونة قصيدة شعر مهما تكن هشة بعيدة عن الرصانة الا انها أدت الغرض منها ، واستقبلها شهود الحفل بالتصفيق والتهليل .

وتبارى آخرون فى القاء خطب المديح والتمنيات الطيبات للمولود الكريم والتنبؤ له بأن يكون عمدة بعد مراد .

ولم يفت الأذكياء الماكرين من العمد وأعيان البلاد والتجار أن هذه الدعوة تخفى وراءها ما تخفى وان لم يستطع ذكاؤهم أن يصل واثقا الى ما ينتويه العمدة وان كان بعضهم لم يستبعد أن يكون عاقدا العزم على ترشيح نفسه فى الانتخابات . ومما جعل هذا الأمر معقولا الى حد ما فى ذهن من قام بذهنه أنه لم يدع عمر بك المفتى مع أنه تعود فيما قبل أن يكثر من دعوته .

وهمس خميس الملوانى فى اذن الحاج دهشان :

ـ نسيبك ناوى على ماذا ؟

ـ لم يفاتحنى فى شىء .

ـ بل فاتحك .

ـ كيف ؟

ـ لقد فاتح الجميع بهذه العزومة الطويلة العريضة التى لا أشك أنها ستتلوها عزائم أخرى .

ـ بأى مناسبة ؟

ـ ومن غير مناسبة وشرفك ؟

ـ دع شرفى فى حاله .

ـ وشرفى أنا ولا تزعل .

ـ « لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون » .

ـ صدق الله العظيم . لو أننى أعتقد أن هذا النبأ ستتأخر بعض الشىء ؟

ـ ماذا تقصد ؟

ـ ما تعـــلم ٠

ـ أتظن ذلك يا خميس ٠

ـ ان غدا لناظره لقريب ٠

ـ ولكن غدا هذا بعيد بعض الشيء ٠

ـ انه يعمل له من بعيد ٠

ـ آه ٠ ربنا يوفقه ٠

ـ ويوفقنا ٠

ـ ماذا تنوى ٠

ـ وقت الله يعين الله ٠

ـ على رأيك ٠

●●●

ـ ٨ ـ

ما أسرع السنوات وأبطأ الأيام والساعات !!

استطاع دياب ومراد أن يجمعا الناس حولهما بشتى طرق ومختلف سبل لا يقصران فى مجاملة أو مال أو تهنئة أو مواساة ٠ ويكاد لا يمر بهما أسبوع أو أسبوعان دون أن يولما الولائم ٠

حتى اذ حل موعد الانتخاب كان الحاج دياب قد أخذ أهبته كاملة للترشيح ٠

وصدق فكرى راشد وعده له بعد أن قدم ديـــاب للحزب ضعفى ما كان يدفع كامل الزينى ٠

ورشح حزب الوفد الحاج دياب طلبة ليكون نائبه فى هذه الدائرة وكان للوفد فى هذه الانتخابات كفة راجحة غاية الرجحان ، لأن الشعب المصرى لا يحب أن يبقى حزب أو حزبان فترة طويلة فى الحكم أقصى فيها حزب الوفد عن الوزارة ٠

ويعلم الله أن الوفد قد كسب من ابتعاده عن الحكم أضعاف ما كسب خصومه من بقائهم فى الحكم ٠

فالوفد لم يكمل دورة واحدة فى حياته فما ان يتولى الوزارة ويمضى به بعض الوقت ، ويبدأ الشعب فى كراهيته كما يكره المحكوم حاكمه الظالم حتى يقيله الملك فتنقلب كراهية الشعب له اقبالا عليه واعجابا به لا حبا فيه وانما كراهية لفكرة الاقالة ذاتها التى أصرت انجلترا المحتلة أن توضع فى الدستور اطمئنانا منهم أن أحداً من الملوك لن يجرؤ على معارضتهم اذا هم أرادوا أن يغيروا الوزارة ويأتوا برئيس جديد ، كما أتوا بمصطفى النحاس فى حادث ٤ فبراير الشهير الجهير الحقير .

نجح الحاج دياب طلبة فى الانتخابات وجلس تحت قبة البرلمان ولا ينسى أحد كم كان فرحا سعيدا حتى لقد لبس وشاح النواب ، وذهب الى مقهى لونابارك فى القاهرة منذ باكر الصباح قبل موعد الافتتاح ليعلم كل من يمر به أنه عضو بمجلس النواب .

كان عليه أن يختار بين العمودية والنيابة فى ثلاثة أشهر . وطبعا هو لم ينفق هذا الانفاق من ماله وجهده ليبقى آخر الأمر بالعمودية .

ومراد لم يبلغ السن القانونية .

ـ ماذا تفعل فى العمودية يامراد ؟ .. أنت بعد لم تبلغ السن .

ـ وحتى اذا بلغتها انما مسألة العمودية هذه لا أفكر فيها على الاطلاق .

ـ هل جننت ؟

ـ لاتغضب أنا لم أبلغ السن القانونية وحين أبلغها يفرجها الذى لا تغفل له عين .

ـ ليكن ، هل فكرت فيمن يكون عمدة من دار طلبة ؟

ـ هل سعادة النائب فكر ؟

ـ ربما ولكننى أحب أن أسمع منك .

ـ ما رأيك فى مدنى طلبة .

ـ مدنى بن الحاج اسماعيل

ـ شباب ذكى وفاهم وعلى قدر من التعليم المطلوب وبلغ السن .

ـ ألا تخشى أن يكون كثيرون من كبار العائلة طامعين فيها ؟

ـ هم يحبونه جميعا ولن يرضى أحد منهم أن يرد لك رأيا وانت كبيرهم وزعيمهم ، وشرفتهم بما لم يشرفهم به أحد من عائلتهم فى حياة العائلة من جدهم الكبير الى يومنا هذا .

ـ ولكنى لا أريد أن أغضبهم •

ـ وهل جئنا بعمدة من خارج العائلة ؟

ـ ولكنى مع ذلك لا أحب أن أغضبهم •

ـ أقول لك أنا سأمر على كبار العائلة وأعرض على كل منهم الأمر على أن الشباب يجب أن يأخذ حظه وأن العمودية هم وانفاق ، ومسألة الانفاق هذه مهمة جدا عندهم جميعا فليس فى العائلة ـ والحمد لله ـ كريم الا أنت ، وسأقول ان دوار العمدة لابد أن يظل مفتوحا ليلا ونهارا ليستقبل ضيوف البلدة وموظفى المديرية •• و •• و •• أترك الشيوخ على أنا •

ـ اتفقنا •• اذا قبلوا نتوكل على الله •

ـ سيقبلون وبخاصة مدنى يعتبر من أغنياء الأسرة فقد ورث كما تعلم أباه وأمه التى كانت غنية هى الأخرى •

ـ على بركة الله •

● ● ●

وصدق حدس مراد ووجد أغلب الكبار فى العائلة زاهدين فى العمودية • فقد كانوا تعودوا على نوع خاص من المعيشة يصعب عليهم أن يغيروه فى سنهم المتقدمة هذه ، ومن كان طامعا فى العمودية أقنعه مراد بمنطقه هذا الذى قدمه بين يدى أبيه •

● ● ●

قصد مراد الى بيت مدنى وكان قد تحرى أن يكون ترشيحه له عند أبيه سرا مكتوما عنه ، كما حرص ألا يذكر اسمه لواحد من شيوخ الأسرة الذين كلمهم ، وانما كان يطلق حديثه مع محدثه ، وكأنه لا يجد فى الأسرة صالحا للعمودية الا هو ، وينتظر أثر هذا منه ويميل معه فى الحديث ، وينفره من العمودية فى لهجة الحريص على ماله وصحته وينبئه أنه اذا رفض العمودية •

ـ سنتعب كثيرا حتى نجد العمدة المناسب ، ولكن وماله نتعب نحن وترتاح أنت •

وهكذا لم يظهر اسم مدنى فى الأفق على الاطلاق ، ومن يتصور أن يتولى العمودية شاب أكمل السن منذ شهور ولا يتولاها الكبار المتصدرون لمجالس القرية واجتماعاتها •

قال مراد لمدنى :

ــ كم تدفع لتصبح عمدة ؟

وقفز مدنى عن كرسيه :

ــ ماذا تقول ؟

ــ ما سـمعت .

ــ وهل يعقل هذا ؟

ــ كم تدفـع ؟

ــ كم تريـد ؟

ــ ألف جنيـه .

ــ ألف جنيـه !!

ــ ألف جنيـه .

ــ ادفـع .

ــ هـات .

ــ الآن .

ــ فى بيتك أكثر من هذا .

ــ من سيأخذها ؟

ــ أنـا .

ــ أنت ؟! حسبت أن الحاج دياب هو ..

ــ الحاج دياب لا يعرف عن الألف جنيه شيئا .

ــ يا أخى خف بعض الشىء .. اننى سرك ونجيك وحبيبك .

ــ ولهذا لم أقل ثلاثة آلاف .

ــ لك حق .

ــ هـات .

ــ الفلوس فى الداخل .. لحظات وتكون فى يدك .

●●●

وأصبح مدنى طلبة عمدة للميمونة .

●●●

كانت هذه الوزارة هى الأخيرة لحزب الوفد ، وهى التى ألغى فيها النحاس باشا المعاهدة ، وكان ساسة مصر جميعا يعلمون أن الغاءها خراب مؤكد لمصر ، ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا أن يعالنوا برأيهم هذا ، فالغاء المعاهدة فى ظاهره عمل وطنى لابد أن تؤيده الأحزاب الأخرى بل لقد أيده أيضا الساسة الكبار البعيدون عن الأحزاب ، ولكنهم جميعا ، وبلا استثناء ، كانوا واثقين أنه سيؤدى بمصر الى أوخم العواقب ٠

كانت مقاومة المصريين للانجليز على أشدها ، حتى لقد فجر الانجليز فجورا لا مثيل له فى تاريخهم بمصر الا فى حادثة دنشواى ، وقد تمثل أبشع ما تمثل فى حصارهم لمركز شرطة الاسماعيلية الأمر الذى اضطر وزير الداخلية فؤاد سراج الدين باشا ان يأمر بأن يقاوم المصريون الذين كانوا من الوطنية فى أعلى معانيها وأجلى صورها حين نفذوا الأمر وجادوا بأرواحهم فى سبيل مصر ٠

كان نديم قد حصـل على شهادة الليسانس ، ورغب عن الوظيفـة الحكومية التى كانت يسيرة بالنسبة له غاية اليسر ، فعمل محاميا فى مكتب واحد من كبار المحامين هو منير فراج ، وكان من زملائه فى المكتب عبد الوهاب فتحى وأمجد شرف الدين ، وكان كلاهما يعمل فى حـركة المقاومة بكل جد وجهد ٠ وكانا على صلة بالضباط الذين كانوا يطلقون على أنفسهم الضباط الأحرار ، وكان أقرب هؤلاء الضباط اليهما سـعيد سلطان وكان برتبة يوزباشى ٠

وقد انضـم نديم بحماسـة شديدة الى زميله وتعرف باليوزباشى سعيد الذى فرح به كابن واحد من الوزراء فى الحزب الحاكم ٠

وكان المحامون الثلاثة بحكم صلتهم بالموكلين فى المكتب يستطيعون أن يتعرفوا مواطن السلاح وأخبرهم نديم أنه أيضـا يعرف كيف يخفى هذا السلاح ٠

وفى يوم من الأيام التى كان تمر شأنها شأن سائر الأيام وجد مراد نفسـه يستقبل نديم فى بيته الخاص ٠٠ وتعانق الصـديقان فى شرفة البيت ، والدنيا لا تكاد تسع مراد من الفرح ٠٠ وبادر نديم سائلا :

ـ أين سيارتك ؟

ـ أحببت أن أجىء بالقطار ٠

ـ لمـاذا ؟

ـ ستعرف ٠

ـ وهو كذلك ٠

ـ أولا أريد أن أرى دياب الصغير ٠

ـ والكبير أيضا وحياتك ٠

ـ طبعا ولكن أريد أن نكون وحدنا قبل أن نذهب الى حضرة النائب٠

ـ أمـرك

وحين خلا بهما المكان قال نديم وهو يحتسى القوة :

ـ أنا أعمل فى المقاومة ٠

وقفز مراد عن كرسيه قائلا :

ـ يا نهار أسود من الحبر الكوبيا ٠

وقال له نديم فى هدوء ورباطة جأش

ـ اقعد ٠٠ اقعد ٠٠ اذا كان هذا رد فعلك لأننى قلت لك اننى أعمل بالمقاومة فماذا أنت صانع اذا أكملت ما جئت لك بشأنه ؟

وقال مراد وهو يجلس شبه تائه

ـ من أجل هذا جئت ؟

ـ هذا خبر لا يحتاج الى مجيء ٠٠ لقد جئت لأنك ستعمل معى ٠

وهب مراد واقفا :

ـ أنا ؟ وماذا أفعل فى المقاومة ؟ أخاف من خيالى ٠

ـ أقعد يا أخى ٠٠ وهل ستذهب الى الثكنات الانجليزية ؟

والتقط مراد بعض أنفاسه وسأل وهو يلهث :

ـ اذن ماذا سـأفعل ؟

ـ اقعـد ٠

ـ قعـدت

ـ الأسبوع القادم سآتى اليك ومعى واحد من الضباط الأحرار ٠

ـ هل سمعت عنهم ؟

ـ لا ٠

ـ انهم جماعة تكونت فى حرب فلسطين ، ويريدون أن يغيروا الامور فى مصر ، وهم الآن مشغولون بمعـاونة المقاومة العمل مع الفدائيين ٠

منهم من يذهب الى الثكنات متخفيا ، ومنهم من يعد لهم السلاح ويرسله الى العاملين بالميدان •

ـ وصاحبك هذا من أى الفريقين ؟

ـ يعمل على الناحيتين •

ـ وأنا ماذا سيكون عملى ؟

ـ سنخفي عندك السلاح •

وصمت مراد ، واحترم نديم صمته ، اذا أخفيت السلاح أصبحت واحدا منهم ، وحين يأتى الوقت يرشحنى الوفد وأصبح من الأبطـــال ولو حـــدث ـ ولو أن هذا بعيــد ـ واستطاع هؤلاء الضباط أن يغيروا الأوضاع فسيكون لهم شأن أى شأن ولا شــك ان صــاحب نديم هذا سيصبح فى المقـــدمة •• ومسألة اخفـاء السلاح ليست صعبة على • فأنا هنا أعرف مخابىء كثيرة ، بل ان بيتى نفسه لن يفكر فيه أحـــد •• ما المانع •• ما المانع •• كله فائدة •• لاخطر هناك ، وأنا سأظهر بمظهر الأبطـال •

ـ نديم ؟

ـ نعـــم •

ـ أنا نفسى ملكك فما بال بيتى ؟ •• أنا تحت أمرك •

وقام نديم ، فقام مراد ، وتعانق الصديقان •

ـ متى تجىء أنت وصاحبك ؟

ـ سنطب عليك •

ـ أهلا فى كل وقت ما اسم صاحبك ؟

ـ ستعرف حين يجىء •

ـ أسرار •

ـ ربمـــا •

ـ أمـرك •

●●●

لم تمض أيام حتى كان نديم وسعيد عند مراد • ولاحظ مراد أن سعيد ارتاح له •• كما اطمأن هو اليه •• وبعد أن تبادلا حديثا عاما فاجأ سعيد مراد :

ـ أين ستخبىء السلاح ؟

ولم يفاجأ مراد بالسؤال ، وان كان فوجيء من توقيت القسائه ، فقد جاء على غير انتظار بعيدا كل البعد عما كانوا يأخذون فيه حديث •• ألجمته المفاجأة لحظة ثم قال :

ـ هنا فى بيتى •

ـ فقط •

ـ وفى أماكن أخرى كثيرة •

ـ معناها أن يعرف أصحاب هذه الأماكن ما نحاول أن تخفيه •

ـ اطمئن هذه مسئوليتى •

ـ لا هذه مسئوليتى أنا •

ـ ما رأيك فى بيت العمدة ودواره ؟

ـ وسيعلم •

ـ انه كشخصى وكل ما أرجوك فيه أن تطمئن تمـاما وتثق فى ثقـة تامة •

ـ لو لم أكن وثقت فيك من النظرة الأولى لما فتحت الموضوع أمامك•

ـ أكثر الله من أمثالك يا سعيد بك •

ـ بك هذه بعيدة عن قاموسنا كل البعد •• سعيد سلطان وتقول لى سعيد كما أننى لن أقول لك الا يا مراد دون بك ولا يحزنون •

ـ ويا ولد يا مراد اذا أحببت •

وضحك ثلاثتهم ، وقال سعيد لمراد :

ـ ستكون بيننا رحلة طويلة يا ولد يامراد •

ـ أحس بهذا •

ـ واضح انك رجل يعتمد عليك •

وقال نديم :

ـ وهل كنت عرفتك به اذا لم يكن كذلك ؟

وقال سعيد :

ـ أهدافك مرسومة فى ذهنك ، وستصل اليها •

وقال مراد :

ـ المهم ان أعرف الطريق اليها •

وقال سعيد :

ـ ربما تكون قد وضعت رجلك عليه •

وقال مراد :

ـ البركة فيك أنت ونديم •

وقال سعيد :

ـ توكل على الله •

ـ وقال نديم :

ـ أنا أعرفه كما أعرف نفسى هو مستعد ان يتوكل على الله أو على الشيطان • فقط المهم ان يصل •

وصاح مراد مذعورا ، وكأنه يرى نديم يقرأ خبىء نفسه •

ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم •• حرام عليك يا شيخ •

ـ وقال نديم :

ـ ولا يهمك •• فلنتوكل على الله •

وقال مراد :

ـ هكذا يكون الكلام •• توكلنا على الله •

وقال سعيد :

ـ توكلنا على الله •

●●●

ـ ١٠ ـ

تلاحقت الأحداث بصورة لم تشهد مصر لها مثيلا ، وحدث حريق القاهرة الذى لم يستطع أحد أن يحدد الفاعل الأصلى فيه •

واستقالت وزارة النحاس باشا وتدهـور الحجم فى مصر تدهورا فظيعا ، ورفض حزب الأحرار الدسـتوريين والهيئة السعدية تأليف

الوزارة ، وكانت حجتهم قوية ، فقد كتب رجال الحزبين بالاشتراك مع كبار الساسة من المستقلين عريضة اشتهرت بعريضة الثلاثين لأن الموقعين عليها كانوا ثلاثين عملاقا من عمالقة مصر • نددوا فى العريضة بتصرفات الملك الشخصية والعامة تنديداً لم يكن له سابقة فى تاريخ مصر ، وطالبوه أن يقوم من تصرفاته الشخصية ، ويبعد عن حاشيته ذا السمعة الساقطة ، وحذروه ، أنه اذا لم يفعل فان المستقبل لمصر وللجميع مظلم ومخيف •

وذعر الملك من العريضة ، ولكنه كان يسعى الى حتفه بظلفه ، وظل على ماهو عليه من فساد وضلال وهوى لم يغير من نفسه شيئا ، كما لم يغير من زبانيته أحدا ، فكان طبيعيا أن يحدث ما توقعه زعماء مصر ورجالاتها •

فحين أزفت الآزفة وحاول الملك أن يستصرخ الحزبين الكبيرين اللذين كانا خارج الحكم فقال الحزبان فى اجماع رائع ما كان لنا أن نستجيب فما كنا لاهين حين كتبنا عريضة الثلاثين ، وما يتصور أحد أن نستجيب لصرخته حتى ينفذ كل ما جاء بالعريضة •

وهكذا تعاقبت الوزارات المحايدة وهى نـــوع من الوزارات التى لا يكتب لها البقاء عادة ، ولكنه فى هذه المرة تجاوز الرقم القياسى فى قلة الأيام التى كانت تبقى فيها الوزارة حاكمـــة حتى لقـد رأى المصريون بهى الدين بركات باشا يكلف بتأليف الوزارة وبدأ يؤلفها فعلا حتى حل عليه عميق المساء فنام على أن يكمل التأليف فى غده •

نام وهو رئيس وزراء ، وصحا ليجد الصحف تعلن أن حسين سرى باشا ألف الوزارة ، وحلف الوزراء اليمين ، وسارت الحال على هذا المنوال حتى قامت الثورة •

●●●

ولم يكن عجيبا أن يستقبلها الشعب بما هو معروف فى التاريخ من ترحاب صاخب طاغ ، ومن فرح عريض جهير •

●●●

وما لبثت الثورة أن شنت هجومها الشرس على الأحزاب ورجالها ، وقتلت الدستور أول ما قتلت مع أن بيانها الأول أعلن أنها جاءت لتحمى الدستور من العبث به ولتثبيت أركانه ، فكان أول ما فعلت فى سبيل تثبيت هذه الأركان أن تلغى الدستور ، فكان شأنها شأن الطبيب الذى دخـــل البيت لينقذ رب الأسرة المريض فكان أول ما صنعه أن أطـــلق الرصاص على قلب المريض ، وقتله فى الحال متمثلا بالقول الشائع أن

الموت احدى الراحتين ، وقد اختارت الثورة الموت للدستور حتى يرتاح تماما من الاعتداء عليه ٠

●●●

هيهات ! فما قدمت اليك لأكون مؤرخا لما حدث فى هذه الفترة وما خربت من بيوت ، وما هتكت من أعراض ، وما استباحت من كرامات ، وما سفحت من دماء ، وما استلبت من أموال ٠٠ فكل هذا أتركه للتاريخ ٠٠ وقد حكم فعلا وكان منطوق الحكم على منصات القضاء المصرى رفيع الشأن سامى المكان ٠

ولكن ما لنا وهذا ، ولو أن حديث الأفاعى طويل المدى ، ولكننى لا أسوق لك تلك الأحداث فى هذه الرواية ، فمكانها مجالات أخرى غير هذه الرواية بين يديك التى أخشى عليها أن يلهينى عنها غير ما رصدته لهـــا ٠

فلنعد الى البدء ونقف أثر أبطالنا ونتتبع طريقهم الخاص ، وما حديثى عن الثورة الا حتم من الحتم ففى ركام أحداثها مهدوا سبيلهم ولابد لمن يروى ما ساروا فيه من سبيل أن يرسم ولو فى كلمات قلائل معالم هذه السبيل ٠

فاليهم اذن عودتنـــا نقص خطـاهم ٠ ونتتبع سيرهم ومسراهم ٠ فانما هم الذين اجتذبوا عقلى ومشاعرى أن أروى هذا الذى بين يديك ولك الحرية المطلقة أن تطلق عليها من الأسماء ما شئت ٠ أما أنا فانما أريد أن أكتب لك ما عهدت منى من روايات ٠٠٠ فهى اذن رواية ٠

●●●

- ١١ -

صادرت الثورة فيما صادرت أسرة محمد على بأموالها ، وعلى رأسها طبعا الملك وزوجته وأولاده ، وأعلنت أنها كونت لجنة لتحصر أموال الملك والأسرة العلوية وغيرها من الأموال المصادرة جميعا ، وكان سعيد واحدا فى هذه اللجنة ٠ وبدأت اللجنة أعمالها ، وكان من بين أعضاء اللجنة واحد من رجال المال فى الحكومة ٠٠

فى الجلسة الأولى لاجتماع اللجنة قال العضو المختص ، وقد بدأوا باحصاء أموال فاروق وزوجه ، وقال المختص لسكرتير اللجنة :

ـ أكتب عندك يا سيدى عدد واحد قرط ·· ثانيا ··

واذا بالمندوب المالى الذى انتدب مراقبا على طريقة الاحصاء يتولاه الذعر ويصيح :

ـ انتظر كيف ننتقل الى ثانيا ؟

ـ وماذا تريد ؟

ـ هذا القرط الذى بدأت به الاحصاء ما وصفه ؟ ان هنـــاك

قرطا لا يساوى أكثر من خمسة قروش ، وآخر يفوق ثمنه المليون جنيه ! لابد من ذكر وصف القرط وما فيه من أحجار كريمة وأحجامها والتقدير المالى له ·

فاذا عضو اللجنة يقول :

ـ لا ·· لا ·· الأوامر عندنا كذا

ولم يكن السعار من الثورة قد بدأ واضحا بعد مما جعل المندوب المالى يصيح :

ـ وأنا مستقيل من اللجنة ·

ـ أنت حـر ·

ـ سلام عليكم ·

ـ وعليكم السلام ·

●●●

وحينئذ بدأت اللجنـة أعمالها فعلا ، ووجد سعيد نفسه في موضع تردد معه بعض الشيء ·· اذا استقلت فالله يعلم مصيرى ، واذا اعترضت فمصيرى المؤكد مصادرة حياتى جميعا ، ليس أمامى الا أن أفعـــل مثل ما يفعلون مادامت الأوامر هكذا · فمفهوم طبعا ما يراد منا ، ومفهوم طبعا أننا سننال حظنا من الغنائم ·

لاسبيل الى التردد · أنا واحد منهم وسأظل واحدا منهم ·

●●●

النائب دياب طلبة أعلن انتماءه للثورة أعظم مايكون الانتماء ، وقد استطاع أن يتصرف فى أرضه وأمواله بحيث لم تنل منه الثورة سهما من أرضه ، أو مليما من ماله · وقد كان شأنه فى غمار الناس أهون من أن

يكون تحت الحراسة ، وقد رضى المسئولون عن الثورة انضمامه إليهم ، واعتبروه جنديا من جنودها ·

أما مراد فقد رأى فى الثورة فى أول عهدها كارثة تسحق آماله جميعا ··

ولكن الأيام مالبثت أن أتاحت لهذه الآمال أن تنتعش من موات · فقد كان المسئولون عن الثورة فى المديرية من أصدقاءه المقربين اللصقاء ، فكان طريقه اليهم واسعا ، وكانت الأبواب مفتحه أمامه على مصراعيها جميعا ·

وكان أول ما صنع من الناحية السلبية أن يقطع صـــلاته جميعا بنـديم ·

ولم يكن هذا غريبا على نديم فما انتظر من صديقه الحميم غير هذا ·

ولم يكن أثر الثورة على نديم فادحا كما كان بالنسبة لوزراء آخرين · فلم يكن أبوه ذا شأن خطير فى الحزب ، وان يكن قد بلغ منصب الوزارة فما كان وزيرا ذا خطر يخشاه أعداؤه ·

ولم يكن فكرى باشا ذا مال يستحق أن توضـع عليه الحراسة · فما كان وفير الغنى ·

ومادام مقدور الرزق والخطر ففيم تلتفت اليه الثورة · فلتصرف انتقامها الى الذين ان حاربتهم أصابت بهم أحزابهم وأشياعهم ومناصريهم ·

أما نديم فقد ظل يعمل فى مكتب المحاماة ، وقطع تمـــاما جهـاده السياسى ·

وقد استطاع نديم فى فترة قصيرة أن يصبح المحامى الثانى للمحامى الكبير منير فراج ، ومضى فى طريق المحاماة صعدا · وقال له منير :

ـ يانديم أعرف أنك تنوى أن تفتح مكتبا خاصا ·

ـ ليس الآن على أى حال يا سعادة البك ·

ـ لا تفعل هذا الآن ولا بعد الآن ·

ـ أمرك ، ولكن لماذا ؟

ـ أنا أرى مستقبلك فى المحاماة عظيما ، وأنا ليس لى أولاد ، وسنى أصبحت لاتحتمل جهد المحاماة · فأنا سأبيع لك المكتب لأنك الوحيـد بين زملائك الذى أطمئن على قضايا موكلى بين يديه ؟

ـ لكن يا سعادة البك ·

ـ لكن يا سعادة البك .

فقاطعه منير بك :

ـ لا تكمل أنا أعرف تماما حالتك المالية وحالة الباشا أيضا . سيكون البيع أقرب الى الهدية منه الى البيع . لولا خشيتى أن أثير عليك حسد زملائك لأهديته اليك . والله يعلم ما اخترتك الا لأمانتك . ولحرصى على مصالح موكلى الذين بذلت عمرى كله فى اكتساب ثقتهم .

ـ أنا لا أدرى ماذا أقول .. الا أننى دائما سأظل ابنك فى المحاماة ، وفى الحياة جميعا .

وسواء بالنسبة للقضايا التى ستتركها فى المكتب ، أو القضايا التى قد يأتى بها موكلون جدد الذين لن يقصدوا الا الى الاسم الرفيع الذى يتمتع به المكتب بفضلك . فانك أنت دائما ستظل أستاذى ومرجعى فى كل هذه القضايا قديمها وحديثها .

ـ هذا ما توقعته .. لاتقل كلمة مما دار حولنا الا لوالدك . فانا لا أريد أحدا غيره يعلم ما انتويت .

ـ هذا طبعا ما كنت أنوى عمله .

ـ على بركة الله .

●●●

ـ ١٢ ـ

فوجىء مراد بتليفون منزله يستدعيه .

ـ ألو من ؟

ـ أنا سعيد سلطان يا مراد .

ـ يا مرحب يامرحب سعادة الباشا .

ـ الباشاوية ألغيت .

ـ لكى تأخذوها أنتم . وأين الباشاوات منكم ياسادة الدنيا كلها ؟!

ـ أنت لم تتغير .

ـ أمر منك ان أتغير الى أى شكل تريد . أنا من يدك ذى الى يدك ذى .

ـ أحب أن أراك •

ـ أجىء الآن •

ـ تعرف بيتى ؟

ـ لم أصل الى هذا الشرف •

ـ فى الحلمية شارع نسيم باشا رقم ٤ الدور الرابع •

ـ بعد ساعة •

ـ لا • أنا أنتظرك فى الساعة السابعة اليوم •

●●●

بيت متهالك عجيب الشأن لامساحة له عبارة عن واجهة بلا عمق الا بمقدار حجرة واحدة • فالحجرات فيه متراصة متجاورة فى نظام عجيب لم يشهد له مراد مثيلا • وعرف لماذا يخبره سعيد عن رقم الشقة لأن الدور على ضآلته شقة واحدة ، وكانت المرة الأولى التى يشاهد فيها مراد عمارة بأكملها لاتزيد على واجهة فقط ، وهى تدل دلالة واضحة عن الحالة المالية لسكان هذا البناء العجيب الذى لايجرؤ أحد أن يسميه عمارة •

فتح الباب لمراد فتاة فى سن الشباب الباكر تلبس جلبابا من الكستور الرخيص لاتوحى لرائيها بشىء ، فلاهى جميلة ، ولا هى قبيحة ، ولا هى طويلة فارعة ، ولا هى قصيرة قزعة ، ولا هى نحيفة ضامرة ولا سمينة ممتلئة • انها كالشىء الذى لا معنى له ، أو مثلها مثل الكلمة العابرة التى ان سقطت من الكلام لايتغير معناه • وقادته الى غرفة خبيثة الأثاث والرائحة معا واضح أنها لم تفتح منذ عهد بعيد •

ـ أهلا وسهلا •

ـ مراد طلبه • البك ينتظرنى •

ـ تفضل •• أتشرب قهوة أم تفضل الشاى ؟

ـ لا داعى للتعب •

ـ هذا واجب لابد منه •

ـ اذن قهوة زيادة اذا سمحت •

ـ حاضر •• سعيد أخى يلبس وسيأتى حالا •

●●●

قال سعيد :

ـ اسمع ·· ان الحديث الذى سيجرى بيننا اذا عرفه أحد ثالث ··

ـ لا سمح الله ·

ـ لا · المسألة ليست مسألة كلام ·· اذا عرفت أنك نطقت بكلمة مما سأقوله لك سأقتلك ؟

ـ عيب يا سعيد بك ·· ألا تثق فى ؟

ـ ما عيب الا العيب ·· أنا لا أقصد أقتلك على سبيل التهديد والتخويف ·· لا · سأقتلك فعلا بالرصاص وأنت تعلم أن هذا ليس صعبا بالنسبة الى ·

ـ يا خبر أسود ·· على كل حال ان كنت تشك فى فعلا فلا داعى أن تقول لى شيئا ·

ـ لو كنت أشك ما طلبتك ·

ـ اذن فما هذا الكلام الذى تقوله ؟

ـ لأخلص ذمتى من ذنبك ·· ليس عندى الا القتل ·

ـ أمرى الى الله ·

ـ وأمام هذا التهديد هناك الوعد بالثراء بصورة لاتخطر لك على بال ·

ـ كيف ؟

ـ لن أقول لك أكثر من أننى أعمل بلجنة الجرد ·

ـ وما معنى هذا ؟

ـ معناه كثير جدا ·

ـ أفهم ·

ـ سأحصل على مجوهرات وتحف لا تقدر بمال ·

ـ معقول ····· وأثاث طبعا ·

ـ لا الأثاث والأشياء الكبرى لها جهات أخرى ·

ـ مفهوم · والمطلوب ؟

ـ ألم تفهم ؟

ـ فقط أستفسر •

ـ هذه التحف والمجوهرات اذا بعتها أنا فى مصر فستباع بأبخس الأثمان • هذا بجانب أننى لا أجرؤ أن أعرف نفسى للمشترين •

ـ وماذا تريده منى ؟

ـ تبيعها بالنيابة عنى ، ولك النسبة المئوية التى ترضيك فى كل صفقة •

ـ أين أبيعها ؟

ـ فى الخارج طبعا •

ـ والخروج بها وكل ما يتعلق بالمسـائل الأمنية وشرطة المطار والتفتيش ؟

ـ كل هذا لا شأن لك به ••• ما رأيك ؟

ـ وهل فيها رأى ؟!

ـ اتفقنا •

ـ على بركة الله •

ـ على بركة الله •

●●●

- ١٣ -

ما أسرع ما انضم مراد الى هيئة التحرير ، وما لبث سعيد أن جعل منه عضوا متميزا فى شتى مناحى الحياة السياسية ، فعرف الدهاليز والدروب •

وكان من الطبيعى أن يصبح موئل طلاب الجامعات ، ليس فى الميمونة وحدها كما كان شأنه أيام صلته بفكرى باشا ، وانما اتسع مجال خدماته مدفوعة الأجر ، فشمل المنطقة كلها •

وكان الحاج دياب فخورا كل الفخر بما بلغه ابنه من مكانة رفيعة ، ولم يكن يعنيه فى قليل أو كثير أن يتقاضى ابنه أجرا مقابل خدماته أو لا يتقاضى •

ولم يكن مراد كاذبا كل الكذب حين يقول لمن يرشونه أنه يضطر أن يقدم هذه الرشي لمن يملكون قضاء هذه الحوائج .

وكانت نازلي أشد الناس فرحا بالأهمية الباذخة التي يموج في ساحتها مراد تياها فخورا . وكانت في نفس الوقت أشد الناس خوفا . لقد كان خليقا أن يكتفي بالصفقة التي عقدها مع سعيد ليصبح من أثرى أثرياء المديرية جميعا .

ولكن أي شيء يمنعه أن يتقاضى الرشاوى ، ويزيد أمواله ويجعلها قناطير مقنطرة . فهو من غياب ضميره في سعادة نفسية ومالية لا يبلغها أي انسان من الذين يخافون الله ، أو أولئك الذين وهب الله لهم انارة من ضمير .

وكان دياب الصغير في أول عهد أبيه بهذه الفتوحات المشهودة يغمغم الكلمات ولكنه مع مرور السنوات أصبح ينطقها .

ولم يكن لدى مراد أي فراغ لينظر الى مستقبل ولده ، وترك هذا الأمر بكليته لزوجه نازلي ، واستأجر شقة أنيقة بالقاهرة ، فقد كانت أعماله تقتضي منه أن يقيم بالقاهرة ، أياما كثيرة ، فان الاتفاق وحده الذي تم بينه وبين سعيد كان يحتم بقاءه بالقاهرة فترات طويلة قد تستغرق أسبوعا أو أسابيع في بعض الأحيان . فكيف اذا أضيفت اليه الأعمال التي كان يتوسط فيها لذوى الحاجات ، كما أن هيئة التحرير في القاهرة غيرها في أي محافظة من المحافظات . فهي في القاهرة تساعد أفرادها على أن يكونوا ذوى جاه عريض في الوزارات والمصالح .

وهكذا استأجر شقة أنيقة بحي المنيل ، واستجلب اليها من البلد فتوح سيد أحمد ليكون طاهيا وخادما في وقت معا ، وليحرس الشقة أثناء غيابه عنها .

وهكذا كانت نازلي هي وحدها ، بعون ضئيل من حميها الحاج دياب ، مسئولة عن ابنها دياب ، وقد حرصت على أن تجعله ينتظم في الدراسة المنزلية منذ سن باكرة فقد ضنت به أن ينتظم في المدرسة فأقامت له مدرسة خاصة كاملة في البيت ، وقد بدأت معه بأن استجلبت له الشيخ عبد المعطي الدروى ليعلمه القرآن ، فحفظ بعض سوره . ثم انتقلت به الى التعليم المدني ، وراحت تستدعي المدرسين الى البيت حتى لا يذهب دياب الصغير الى المدرسة .

وحين دخل دياب الى المدرسة الابتدائية كان متفوقا على زملائه بما حصل من التعليم المنزلي .

ومضت السنون ٠

وكان من الطبيعي أن يكون لسعيد شأن أي شأن في أن يكون مراد مرشح السلطة في الدائرة ٠

وحين ذهب مراد الى سعيد في شأن الانتخابات لم يكن طبعا محتاجا أن يسأله عن عنوانه الجديد ٠ فقد كان بحكم الاتفاق الذى تم بينهما كثير الذهاب اليه ٠ وان كانت نوعا من الكثرة التى لا تلفت الأنظار ، الأمر الذى كان يراعيه الطرفان معا كل الرعاية ٠

كان سعيد وأخته قد انتقلا الى شقة فاخرة في جاردن سيتى في عمارة من العمارات التى استولت عليها الحكومة في شارع النباتات ٠ وكانت الشقة مكونة من سبع غرف وبهو طويل مترامي الأطراف ٠ وطبعا لم يكن الذى يفتح الباب محبوبة أخت سعيد ، وانما كان واحدا من الخدم الثلاثة الذين يعملون في بيت سعيد ٠ ولكن هذا لم يمنع أن يرى مراد محبوبة في أغلب المرات التى يزور فيها شريكه سعيد ٠ وطبعا لم تستطع الثروة أو الجاه أن يغيرا شيئا من وجهها وطبيعة خلقها ، وان كان قوامها قد امتلأ بعض الشيء امتلاء لا يصل لحد السمنة ولم تكن الملابس غالية الثمن التى تفقد الذوق بمطيقة وحدها أن تغير من شخصية محبوبة ، ولكن الذى لا شك فيه أن بلغت من السنين عددا يجعلها قريبة كل القرب من أن تكون عانسا ٠

كان مراد طبعا يعرف مواعيد سعيد ، فما كان ليذهب اليه ويخطئه قط ، قال لسعيد :

ــ شكرا لك كل الشكر على ترشيحى ٠

ــ وهل كنت تنتظر غير هذا ؟

ــ ولكن هناك مشكلة ٠

ــ ما هى ؟

ــ سيتقدم في الدائرة ستة مرشحين ٠

ــ من هم ؟

ــ لا تهم أسماؤهم الا أن من بينهم عمر المفتى ٠

ــ لا تخف منه ٠

ــ كيف ؟ لقد كان نائب الدائرة لسنوات طويلة ٠

ــ ألم ينتصر عليه أبوك ٠

ـ كان وفديا ، وطبعا أنت تعرف أن الحكومة كانت تساعد الوفد في هذه الانتخابات ومع ذلك نجح أبى بصعوبة بالغة • ولولا وقوف العمد معه لما نجح •

ـ سنشطب اسمه •

ـ عظيم •••• والباقون ؟

ـ صعب •

ـ وهل هناك شيء صعب بالنسبة اليك ؟

ـ لا نريد أن نزيد من أعدائنا •

ـ يا سيدى الأمر لا يستحق ••• أنت فقط كلم المسئول ، وسينفذ لك كل ما تريد •

ـ غير معقول •

ـ اذن لا فائدة •

ـ ادخل الانتخابات وأعدك بالمساعدة •

ـ لا أضمن النجاح •

ـ وأنا لا أستطيع أن أشطب خمسة •

ـ الأمر لله •

●●●

وانصرف مراد ، وهو يفكر ويطيل التفكير ، وحين عاد الى الميمونة وجد نازلى تعلم دياب مبادىء اللغة الفرنسية ، فلم يعلق على ما تفعل ، ولا انتظر أن يتعلق به دياب شأنه فى كل يوم يراه فيه •

فلم يكن مراد يراه كل يوم ، فقد أصبح بقاؤه فى القاهرة يعادل ان لم يزد على بقائه فى بيته بالبلدة وتعودت نازلى على هذا الوضع راضية به ، وان كان رضاؤها ليس عن اختيار • فهى لم تكن تملك الا تقبل اهمال مراد لها ولابنهما فى وقت معا •

ولم تكن نازلى غبية ولا جاهلة فان تكن السنوات التى قضتها فى التعليم قليلة الا أنها أصبحت تتكلم الفرنسية بقدر من الطلاقة لا بأس به ، وزاد من معرفتها باللغة الفرنسية قراءتها لكتب العالميين من كتاب فرنسا وما ترجم الى الفرنسية من الآداب الأخرى الانجليزية أو الروسية

أو الألمانية كما كانت حريصة على القراءة العربية لكبار الكتاب هذا جميعا الى جانب حرصها على تتبع الأخبار فى الصحف والراديو على السواء ٠

وهكذا أصبحت على قدر من الثقافة يعتبر غريبا على زوجة تعيش فى القرية ، لا تكاد تغادرها الا القليل النادر ، مرات الى الزقازيق ، ومرات أقل الى القاهرة ٠

وقد تمكنت ثقافتها أن تجعلها تعرف تمام المعرفة ذلك السعار المحموم الذى أصاب زوجها فى جمع المال وسعة السلطة والجاه ، وأدركت أن شخصا هذا شأنه لا يمكن أن يلتفت الى بيته أو تعليم ولده ، فحزمت أمرها أن تكون هى المسئولة وحدها عن تعليم دياب وتثقيفه أيضا ٠ فان حزبها أمر لجأت الى حميها ، وقد كان يستجيب لكل ما تريده ، مدركا بحنكة الشيخ المجرب أن نازلى تنازلت عن حقوق الزوجة وأصبحت وحدها المسئولة عن ابنها الذى أهمل أبوه شأنه ٠

وما كان مراد ليستطيع أن يهتم بشئون بيته وماله وآماله العراض وكان عليه أن يختار بين أن يكون أبا وزوجا مع مال موفور ولكن ليس بالوفرة التى يريدها ، وجاه لا بأس به ، ولكن ليس بالضخامة التى يصبو اليها ، وبين أن يكون نوعا من الديناصور البشرى وقد اختار الأمر الأخير وليذهب ولده وزوجه الى أى مصير يلقفهما ٠

وقد اختار فعلا المال والجاه ، وانقضى الأمر ، وأصبحت ملائكة السماء والأرض عاجزة كل العجز أن تجعله يغير وجهته أو سمته ٠

كما أنه كان يعتبر أن نازلى قد استنفدت أغراضها بعد أن توثقت صلته بسعيد وان كان ما زال يطمع الى عون أبيها فى الانتخابات ٠

ولو أن الحاج دهشان ما زال ذا مكانة فى البلدان الأخرى وطبعا فى عموديته الكبيرة الا أن مراد قدر أن الحكومة أقوى من كل الأعمدة التى تستند اليها مكانة الحاج دهشان فلم يكن عجيبا اذن أن يسعى سعيه الخبيث المستميت لدى سعيد أن تشطب الحكومة المرشحين أمامه ٠

وهو فى دوامة الحصول على عضوية البرلمان فى شبه غيبوبة تلهيه كل الالهاء عن ابنه وزوجه ، أو أى انسان ، أو أى شىء فى الدنيا أو الآخرة على السواء ٠

فلم يكن غريبا أن تعتبر نازلى نفسها متزوجة من بعض رجل وأن أغلب هذا الرجل أصبح سعارا فى سبيل المال والسلطة ٠

ولم تحاول أن تناقشه أو حتى تسأله الى أى غاية يريد أن ينتهى ، وأى مدى يشتهى أن يبلغ ٠

فهى تعلم بثقافتها أنه ليس لطالب سلطة أو مال غاية ينتهى عندها أو مدى يقف عنده •

●●●

أما الحاج دياب فتفرغ كل التفرغ لأرضـــه والأرض التى كتبها بأسماء ابنه وابنتيه • ومع أن مدنى طلبة كان يقوم بشئون العمودية فقد حرص أن يكون تحت جناح عمه الحاج دياب وقد حرص أن يجلس الى الناس فى دوار العمدة القديم ، وأن يظل تليفون العمدة أمام هذا الدوار الذي لم يغادره منذ السنوات الطوال • وهكذا كان الأمر مستقرا في القرية كل الاستقرار ، واستطاع مراد أن يفرغ لسعار المال والجاه تفرغا كاملا •

- ١٤ -

قال مراد لسعيد :

- جئتك اليوم فى أمر بعيد كل البعد عما يشغلنا •

- خيرا •

- لا مقدمات • أريد أن تزوجنى محبوبة •

وصدم سعيد بالطلب ، وصمت وأن لم يطل صمته ، ثم عاد وقال :

- ماذا تقول ؟

- لماذا كل هذه الدهشة ؟

- ألا تعرف ؟

- أى عجيبة أن أتزوج أختك ؟

- الزواج في ذاته ليس عجيبة ولكنك أنت •••

فقاطعه مراد :

- متزوج •

- وعندك دياب •

- أتظننى أحتاج منك أن تعرفني أنني متزوج وعندي ولدا ؟

- اذن •

- زوجتي مشغولة تماما بابنها • وهي مقيمة في البلدة •

- ولماذا لا تاتي الى مصر ؟

ـ ولماذا لا أتزوج من محبوبة ، وتقيم هى فى مصر ، وتظل نازلى بالبلدة ؟

ـ هل نسيت أن دياب سيضطر أن يأتى للقاهرة ؟

ـ من أجل الجامعة تقصد ؟

ـ مثلا •

ـ ما زالت أمامنا سنوات •

ـ السنوات تمر سريعة •

ـ يقيم معى ومع محبوبة •

ـ وهل تقبل نازلى ؟

ـ دع هذا لوقته المهم ما رأيك أنت ؟

ـ والله المسألة تحتاج الى تفكير ، ثم طبعا لابد •••

وقاطعه مراد :

ـ من موافقتها ••• هذا أمر لا شك فيه •

●●●

ومن سيتزوج مثلى اذا لم أقبل أن أكون زوجة ثانية ، لقد مرت السنوات وقاربت من العنوسة وأنا أعلم أننى لست جميلة • وزوارنا قليلون أو نادرون • وسعيد قطع رجل أقاربنا جميعا لأنه فى مكانته الجديدة أصبح لا يشرفه أن ينتسب اليه هؤلاء الأقارب • وطبعا سيرفض سعيد أى متقدم من أقاربنا • فجميعهم من صغار الفلاحين أو الصناع وطبعا سعيد لن يقبل أى شخص منهم اذا تجرأ وطلب يدى • ليس لى أمل فى الزواج اذا أنا لم أقبل مراد •

وما شأنى أنا بزوجته الثانية • هى فى البلد وأنا هنا ، ولن ترانى ولن أراها • وكل منا فى حالها •

وابنها •••

مالى أنا بابنها •••

ماذا أصنع اذا أقام معى •

الذى يفعله ربنا ساعتها سيكون •

صحيح سعيد ترك لى الخيار ولكن هل أمامى خيار •

وواضح أن سعيد مقبل على هذا الزواج طبعا • فهو يخشى أن أظل معه اذا عنست ، وأحول بينه وبين الزواج أو أكون مصدر مضايقة له – على الأقل – عندما يتزوج •

وقد مضى عليه شهور يحدثنى عن منى ابنة رئيسه •• وواضح أنه يريد أن يتزوجها •

وماله ؟ لقد كبر هو الآخر ، ولابد له أن يلحق بالقطار •

واذا لم يتزوج وهو فى هذه السن وهذه البحبوحة التى صار اليها فمتى ؟ انه لا خيار أمامى ••• زوجة ثانية ••• زوجة ثانية والله يفعل ما يريد •

●●●

وتم الزواج ، وانتقلت محبوبة الى بيت مراد بالمنيل • ولم تجرؤ أن تطلب اليه أن يستأجر لها شقة أفخر • فهو قد رأى الشقة التى كانت تسكن فيها قبل أن تنتقل الى شقة جاردن سيتى •

واستطاع مراد أن يكتم خبر زواجه عن أبيه وزوجته على الرغم من أنه زواج رسمى وليس عرفيا ، ولكن فتوح ذهب الى البلد فى أجازة بعد أشهر من الزواج وهمس فى أذن الحاج دياب •

●●●

قال الحاج دياب لابنه :

– لماذا يا مراد ؟

– يا آبا أنا وحدى فى مصر التى أصبحت أقضى بها معظم وقتى ، والوحدة وحشة •

– لا •• ليس هذا هو السبب •

– وما المانع أن أتزوج يا آبا ؟

– زوجتك نازلى لا مثيل لها ، وربنا يبارك لك في دياب •

– وهل أنا قصرت نحو زوجتى أو ابنى ؟

– أنت مقصر معها قبل أن تتزوج •

– البركة فيك يا آبا •

ـ البيت لا يستغنى عن رجله • والزوجة تحتاج الى زوجها ، والابن يحتاج الى أبيه •

ـ يا أبا هل معنى أن أتزوج واحدة تقيم معى فى مصر أننى سأترك نازلى أو دياب ؟

ـ المهم لا فائدة من الكلام ••• الحقيقة يا دياب أنا لا أخاف عليك من أحد الا من نفسك •

ـ لماذا يا أبا ؟

ـ تريد أن تحصل على الدنيا كلها دون أن تقدم أى ثمن •

ـ ومن الذى لا يريد هذا يا أبا ؟

ـ لو كان الناس جميعهم مثلك لأكل بعضهم بعضا •

ـ توكل على الله يا أبا •

ـ وهل لنا غيره •• أنا لن أخبر نازلى بزواجك •

ـ مصيرها تعلم •

ـ لتعلم من غيرى •

●●●

فتوح متزوج • وزوجته تعمل عند نازلى فى البيت ، واستطاعت عديلة أن تكتم الخبر عن ستها يوما ويومين وثلاثة ، ولكن هل تستطيع المرأة أن تكتم سرا كهذا أكثر من بضعة أيام •••• هيهات •

●●●

نزل الخبر على نازلى نزول الصاعقة ••• فهى مهما تكن مثقفة فهى امرأة ••• ومشاعرها كمشاعر النساء جميعا •

لماذا ••• ماذا فعلت له ؟! ••• أهذا جزائى لأننى لا أحاسبه على اهماله لى ولابنه وأنى لا أسأله متى تسافر ومتى تعود ••• لا ••• انه يسعى بزواجه هذا الى شىء آخر غير الزواج ••• المؤكد أن فى زواجه نفعا ماديا له •

عديلة تقول أن الزوجة ليست جميلة ••• لعلها تحاول بهذا أن تعزينى • ولكنه عزاء لا قيمة له • وأعتقد أن عديلة على حق ، وأن زوجته

الثانية ليست جميلة . فهو لا يهمه الجمال أو القبح . المهم أن يصل الى أطماعه التى لا تنتهى .

والآن كيف أتصرف ؟

أذهب الى أبى .....

ولم لا ... لابد أن يعرف .

وماذا بعد أن يعرف ؟

وماذا أفيد أنا حين أجعل الأمر الذى سيسمعه الناس فيصدقه بعضهم ويكذبه آخرون حقيقة ثابتة لا شك فيها .

أى فائدة تعود على حين أعلن أننى فشلت فى أن أبقى على زوجى . مع أن الله يعلم أننى أنا لم أفشل أن أكون زوجة صالحة ، والذى فشل هو مراد فى أن يكون انسانا طبيعيا ، شأنه شأن كل الناس . وانما هو انسان تعميه مطامعه وان داس بها على شريكة عمره ، بل وان أساء الى ابنه الوحيد مهما يكن قدر الاساءة . ولكن كم من الناس سيقيم ميزان العدل بينى وبينه .

وماذا أنا قائلة لأبى ... طبعا سأخبره ، ولكن ماذا يستطيع أن يفعل ... لقد مارس مراد حقا شرعيا له ... وأنا بين أمرين اثنين اما أن أقبل وأصمت ، أو أثير الدنيا وأفضح ما ينبغى أن أستره من من أمر بيتى ، ولن أسىء بهذا الا لولدى ولنفسى ، وأنا لم يبق لى فى الدنيا الا ولدى .

قالت نازلى لمراد فى أول لقاء بعد علمها بزواجه :

ـ مبروك .

ـ خير .

ـ مبروك يا مراد وكتر خيرك .

ـ أعرفت ؟

ـ لا شىء يختبىء .

ـ لن تجد منى أى تغيير .

ـ لا يمكن أن تتغير .

ـ كيف ؟ ألا تخشين أن يجعلنى الوضع الجديد أتغير ؟

ـ الى ماذا ... أنت وقبل أن تتزوج لم تكن تهتم بى ولا بديانا

أى اهتمام فماذا يستطيع زواجك الجديد أن يصنع منك أسوأ من هذا ؟

ـ هل ينقصك شيء ؟

ـ أنا انسانة ، ولست مثلك . أنت كيان لا شأن له بالانسانية . أنت عبارة عن سعار للمال وللجاه ، وقد طمرت أطماعك الانسان فيك حتى لتحسب أن الانسان ما دام يأكل ويشرب فهو لا ينقصه شيء فسؤالك ان كان ينقصنى شيء غير غريب منك .

وأصر مراد قائلا :

ـ هل ينقصك شيء ؟

ـ ينقصنى الزوج لى ، والأب لابنتى ... فقط مسألة بسيطة .

ـ لقد أفسدتك القراءة .

ـ القراءة لا تفسد ، وانما الجهل هو الذى يفسد .

ـ أنا جاهل ؟!

ـ لست مثقفا على أية حال .

ـ الأمر لا يصل الى قلة الأدب .

ـ فعلا لك حق . فالحقائق دائما قلة أدب .

ـ انتهينا .

ـ بل بدأنا .

ـ ماذا تريدين أن تفعلى ؟

ـ ماذا تظن أننى سأفعل ؟

ـ أنا لا أعلم أنت حرة . افعلى ما تشائين .

ـ لا وحياة دياب لن أجعل حبيبا يرثى له أو لى ، أو أجعل عدوا يشمت به أو بى .

ـ أنت دائما عاقلة .

ـ أكثر من اللازم .

ـ هذا ما توقعته .

ـ بل هذا ما شجعك على الزواج بي •

ـ أتعتقدين ذلك ؟

ـ أقول شجعك • أما السبب الحقيقى والأهم فهو أمر آخر أعرفه كل المعرفة •

ـ ما هو ؟

ـ المنفعة ••• الانتخابات ••• المال ••• الجاه ••• أخذ الرشاوى من الناس •

ـ ماذا ••• ماذا ••• ما هذا كله ؟

ـ أسباب زواجك ان لم يكن كل ما ذكرت فبعضه على الأقل •

ـ لا ••• ناصحة •

ـ لا •• لست ناصحة ، ولكن ان لم أعرف زوجى فمن أعرف ؟ أهكذا تظنين بى ؟

ـ ليس ظنا بل ثقة تامة •

ـ أنت متأكدة •

ـ وأنت ألست متأكدا ؟

ـ ان لم أسع الى تحسين وضعى فى هذا السن فمتى ؟

ـ كل المسعورين يجدون الأعذار لسعارهم •

ـ رجعنا الى قلة الأدب •

ـ العفو يا سعادة البك ! أم تريد أن أقول الباشا ، وما البأس الباشويات اليوم أصبحت على قفا من يشيل •

ـ وسخرية أيضا !!

ـ قلنا العفو •

ـ انتهينا •

ـ انتهينا •

- ١٥ -

سافر مراد عدة مرات الى دول أوروبية مختلفة ، وكان يستعين بلغته الانجليزية المتهرئة فى بيع ما كان يحمله من تحف ومصوغات ، وقد كان العائد ضخما جزيلا ٠

ولكن مراد أحس أن هذه المجوهرات التى كان يبيعها فى شتى البلاد الأوروبية ليست هى كل ما يحصل عليه سعيد ٠

وقد جرى العمل على أن يودع نصف حق سعيد فى بنوك متفرقة فى دول العالم ، ويرجع اليه بالنصف الآخر ٠

وطبعا كان الخروج من مصر والدخول اليهـا بالنسبة لمراد أمرا ميسرا كل التيسير ، مع استحالته لسائر الناس الذين لا يتمتعون بما يتمتع به هو من صلات عليا مع سعيد ٠

●●●

حين تزوج مراد من محبوبة أصبح بالنسبة لسعيد موضع ثقة كاملة يستطيع أن يبيح له ما لم يكن يبيحه حين كانت الصـلة أقل شـأنا مما صارت اليه ٠

ـ اسمع يا زوج أختى ٠

ـ قل ما شئت ٠

ـ كل الذى بعته من مجوهرات لا يساوى شيئا بالنسبة لما أخفيه عندى ولم أبعه بعد ٠

ـ كنت واثقا من ذلك ٠

ـ لماذا ؟

ـ ليس فيما أبيعه شىء خارق للمألوف ٠٠٠ مجوهرات نفيسـه نعم ٠ ولكن بالنسبة للأسرات الكبيرة وأسرة محمد على ٠٠٠ شىء أقل من المستوى الى حد ما ٠

ـ كنت تعلم أن الأسر الأخرى أيضا أصبحت تحت اشرافى ٠

ـ وهل تعجب أن أعرف شيئا كهذا ؟

ـ لنتكلم فى المهم ٠

ـ أنا تحت أمرك ٠

ـ ستخرج فى كل مرة بقطعتين أو ثلاث على الأكثر ٠

ـ ليكن ٠

ـ لاحظ أننى لا أحصل على هذه الأشياء وحدى ٠ وانما يشترك فى قبض أثمانها أشخاص كثيرون ٠

ـ أعلم هذا ٠

ـ وهذا أيضا تعلمه ٠

ـ شيء بدهى ٠ فما كانوا ليبقوا عليك طوال هذه الفترة ان كانوا لا ينالون منك أكثر مما يتوقعون ٠

ـ لا يخشى عليك ٠

ـ أنا أخشى عليك أنت ٠

وجزع سعيد وامتقع لونه ٠

ـ لماذا ٠٠٠٠ ؟ لماذا ؟

ـ هؤلاء قوم لا صديق لهم ٠

ـ هذا صحيح ، ولكن العمل الذى أقوم به يصعب أن يجدوا من يحل فيه غيرى ٠

ـ ولهذا لا تتسرع فى بيع المجوهرات ، ولا فى توزيع النفائس من المفروشـــات والسجاجيد واللوحات العـــالمية ، بل أجعل توزيعك بمقدار ٠

وصمت سعيد لحظات طوالا ثم قال :

ـ لعلك على حق ٠

ـ المهم نتكلم فى السفر ٠

ـ بعد ثلاثة أيام ستسافر ٠

ـ الى أين فى هذه المرة ؟

ـ الى باريس ومعك ثلاث قطع ٠

ـ طبعا لن أعرضها على صائغ واحد ٠

ـ طبعا ٠٠٠ تعرض كل قطعة منفردة ، بل ينبغى الا يعلم من يشترى منك قطعة أن معك غيرها ٠

ـ مفهوم ٠

استطاع مراد أن يبيع قطعتين لصائغين مختلفين ، وأبقى القطعة الكبرى ، وهى وشاح ضخم من الماس الخالص والذهب الأصفر والأبيض جميعا ، وقد ذهب به مراد الى أشهر متجر ماس فى العالم ••• وقدمه الى الموظف ، فاذا بالموظف يرفع سماعة التليفون ، ويطلب صاحب المتجر • وفى لحظات يأتى وينظر الى الوشاح ، ويقلبه بين يديه بعناية شديدة ، ثم يقول لمراد بالانجليزية :

ـ هل يمكن أن تتركه لنا وتأتى غدا لنتفاوض فى الثمن ؟

ـ كيف ؟

ـ سأعطيك ايصالا به حتى تبيت ليلتك مطمئنا ، ولو أن متجرنا لا يحتاج لمثل هذا الاجراء •

ـ أمرك •

وكتب له صاحب المتجر الايصال ، وانقلب مراد الى فندقه متصورا أن الوشاح من العظمة بحيث يحتاج الأمر الى لجنة لتقرير قيمته الحقيقية •

وفى الصباح قال له صاحب المتجر :

ـ هذا الوشاح نحن الذين صنعناه خصيصا لشاه ايران ليهديه الى عروسه فى ذلك الحين الأميرة فوزية • وهو وشاح شهير فى عالم الماس •

وقدم الى مراد كتابا به القطع النادرة التى صنعها المتجر وفتح فى الكتاب صفحة معينة وأشار الى صورة بها وهو يقول :

ـ أليس هذا هو الوشاح الذى تعرضه علينا ؟

وكان مراد يتوقع أى شىء الا هذا الذى هو فيه ، وتولاه الجزع والعجب ، وارتعدت منه الفرائص ، بل أن تأمات وجهه أصابتها الرعشة الواضحة ولم يجد شيئا يقول الا ••

ـ أنت تعلم أن الحكومة المصرية استولت على أموال أسرة محمد على •

وقال التاجر :

ـ والأسرات الأخرى أيضا •

وقال مراد وهو في رجفته لا يزال :

ـ فأى عجيبة أن تبيع الحكومة ما استولت عليه ؟

وقال صاحب المتجر في صراحة وحسم :

ـ اذا كانت حكومتكم قد سرقت أموال أسراتها فليس معنى هذا أن نعاونها •

ثم انك لم تقدم لنا صفتك الرسمية التى تدل على أنك تمثل الحكومة المصرية •

وقال مراد :

ـ وماذا تريد أن تفعل ؟

ـ لقد فعلت •

ولم يسعف الجفاف الذى أصاب لسان مراد الا بأن يلملم حروفا متناثرة •

ـ ماذا ؟

قالها بصعوبة شديدة حتى لقد دهش كيف استطاع أن يجمعها لتصبح كلمة مسموعة •

وقال صاحب المتجر :

ـ لقد اتصلنا بشاه ايران فأمر بأن نأخذ الوشاح ولا نقدمك الى الشرطة •

وهب مراد واقفا :

ـ الشرطة ؟!

ـ هذا ما كان ينبغى أن نفعله • أنت تبيع قطعة نادرة من الماس • ولست صاحبها • بل انى واثق أنك لا تملك ما يثبت تمثيلك للحكومة المصرية •

وأطرق مراد يجمع شتات نفســـه ويجرض ريقه لعله يعينة على الحديث • واستطاع أخيرا أن يقول :

ـ ما أنا الا رسول • فهل يمكن أن تكتب لى ورقة أعطيها لمن كلفني ببيع هذه القطعة ؟

ونظر اليه صاحب المتجر طويلا ثم قال :

ـ نظرا لحالتك التي أراها لا مانع من هذا •

ـ وبالعربية الفصحى تنفس مراد الصعداء وهو يقول :

ـ الحمد لله ٠

●●●

- ١٦ -

أدرك مراد أن أيام سعيد لن تطول ٠

مراد اليوم عضو مجلس أمة بعد أن استطاع سعيد أن يجعل الحكومة ترفض ترشيح أربعة مما كانوا مرشحين ضد مراد ، ولم تبق الا على مرشحين اثنين هزيلين فكان طبيعيا أن يفوز مراد بالدائرة ٠

وقد فكر طويلا بعد أن عاد الى مصر من رحلته الماسية ٠

الماس والمجوهرات ستنتهى ٠ وكذلك الرياش والنفائس مصيرها الى نفاد ٠ فما مصير سعيد بعد ذلك ؟ أيبعدونه أم يبقون عليه ؟ وان أبقوا عليه وهو أمر مستبعد أيبقى هو على أنا ، لأكن زوج أخته بل لأكن أخاه الشقيق ما لهؤلاء أمان ٠

لقد تزوجت محبوبة لأضمن عضويتى فى مجلس الأمة ٠ أما بعد ذلك فالذى لا شك فيه أن مفعولها ضئيل جدا ٠

صحيح سعيد تزوج وأصبح لا يتصور أن تعود أخته للعيش معه ٠ ولكن هذا لن يمنعه أن يمزق العلاقة التى بينى وبينه مطمئنا فى نفسه أن أخته تستطيع أن تعيش وحدها اذا عن لى أن أطلقها ، ولا تثريب عليه فى هذا التفكير ٠

وان كان على مصاريف معيشتها فقد أصبح يستطيع أن يعطيها ما يكفيها ويفيض عن حاجتها دون أن تتأثر أمواله الطائلة بهذا ٠

لا مناص لى أن أوطد صلتى بأصحاب السلطان بالطرق المشروعة وغير المشروعة ٠٠٠ والطرق غير المشروعة أقوى وأيسر ٠

ماذا ترانى أستطيع أن أفعل ما دمت ما أزال على صلة طيبة بسعيد ٠ فما لى لا أجعله مفتاح الباب الى الساحات الرفيعة لأصحاب الجاه والسلطان ؟

ولكن لابد أولا من شقة فاخرة أستطيع فيها أن أدعو هؤلاء الآلهة الجدد ٠

ـ لابد من ذلك أولا ....

لابد .

وما أسرع ما أتاح له سعيد شقة بجواره فى جاردن سيتى تحقق ما يصبو اليه .

وما أسرع ما راح يدعو أهل القمة الى بيته الجديد ، وما أسرع ما لبوا .

وتوالت الحفلات ، وكان العدد فيها فى كل مرة يزيد واحدا أو اثنين ، وكان الواحد أو الإثنان يمثلان عند مراد نجاحا يفوق كل الحدود .

وراحت الأواصر تترابط بين مراد وبين وجوه الزمان ، وراحت الهدايا منه تترى اليهم ، وتوثقت علاقاته بعرى الهدايا ، واستطاع بذكاء شديد أن يدرك الهدية المناسبة لكل وجه من الوجوه .

وكانت حفلات الشقة الجديدة حفلات صاخبة فيها ما يرضي الأذواق جميعا ، شرابا كان أو كان دخانا أو طعاما مما لم يكن متوافرا الا فى السراديب الرفيعة التي لا يبلغهـــا الا الكبـــار والضخام واللائذون بهم والمتسببون اليهم .

ومهما تكن أناقة الحفلات وروعتها وتوافر جميع عناصر البهجة فيها فلم تكن تخلو أيضا من سيدات صنعهن مراد خصيصا لهذه الحفلات ، وكن بطبيعة الحال يدرين مصيرهن المحتوم اذا تجرأت واحدة منهن وأذاعت من أمر هذه المهرجانات ما ينبغى أن يظل مستورا فى طى الكتمان .

ولم يكن مراد حريصا أن يكون المدعوون كثرة . بل هم قلة يعرف كل منهم ـ قبل أن يأتى ـ أسماء المدعوين القادمين معه .

ولم يكن مراد يعنى أي عناية باسم التنظيم الذي ينضـــوي تحت لوائه .

فهو مع هيئة التحرير ، وهو في الإتحاد القومي ، وهو مستعد أن يكون في أي تجمع ما دام علي صلة بالأعمدة الكبرى من هذا التنظيم .

لم تمنع الحفلات مراد أن ينجب من محبوبة طفلا وأسماه أيمن • فقد جاء الطفل ويمن الطالع يفرش ظلاله على حياة مراد أكثر مما كان يتوقع •

ولم تمنعه مشاغله فى القاهرة أن يلم بنازلى ودياب ، فكان يشهد تقدم دياب فى الدراسة وتفوقه تفوقا ملحوظا • بل انه أيضا عرف مبادىء اللغة الفرنسية وراحت أمه تغدق عليه من كتب هذه اللغة ما يناسب سنه •

وكانت نازلى تعلم كل العلم أن مجىء دياب الى بيته فى البلدة ليس رعاية لحقوقها أو حقوق ابنها فقد كانت تعلم أنه أصبح شريكا للفلاحين فى بهائمهم ، ولكل التجار فى تجارتهم ، وكانت تعلم أن جميع شركائه فى غاية السعادة بهذه المشاركة • فقد ضمنوا أن لهم ظهرا قويا يستندون اليه •

ولم تعجب نازلى حين زار أبوها زوجها فى البلدة ، وعرض عليه أن يشاركه فى ماكينة الطحين التى يملكها والتى آن لها أن تعفى من الخدمة ، وتحل محلها أخرى حديثة •

وهكذا اطمأنت نازلى الى ما فعلته حين علمت أن مراد تزوج عليها وحين رفضت أن تترك بيتها الى بيت أبيها • فما كان أبوها ليناصرها اذا لجأت اليه •

●●●

وتمر السنوات ومراد يصبح النائب الدائم فى الدائرة ، ويصبح من الوجوه الواضحة فى الاتحاد الاشتراكى العربى •

وكما سبق أن قلت لك لم يكن يعنى مراد شيئا الاسم الذى يعلن للتجمع الذى ينتمى اليه •

الا أن الجديد الذى لاحظه مراد أن سعيد لم يعد ذو خطوة عند المسئولين ، وأصبح بعض منهم يخشى أن يذهب الى حفلاته لصلته بسعيد •

وحين تكرر هذا من شخصيات لهـا خطرها لم يتردد مراد لحظة وطلق محبوبة وأعادها هى وابنهـا الى شقة المنيل وان لم يقطع عنهما ما يكفيهما لملاقاة الحياة •

وكان عمله هذا حاسما بالنسبة لسعيد • فقد أدرك تماما الموقف

الذى يريد مراد أن يتخذه منه · فلم يحاول الاتصال به من قريب أو بعيد ·

وعادت الحفلات التى بهجتها · فما كان لمحبوبة أية صلة بهذه الحفلات بل كانت تحرص فى أثنائها ألا تغادر حجرتها ، ولا شأن لها أى شأن بما يجرى فى حجرات الاستقبال والمائدة · وحاول مراد أن يبقى على دماء من ماء وجهه بقوله لها :

ـ اننا فلاحون ، وحريمنا لا يسهرن مع الرجال ·

مع أن هؤلاء الحريم أنفسهن كن يتصدرن للدعوات الأخرى التى لا تتداول فيها الأيدى الكاسات أو مصادر الدخان ·

●●●

- ١٨ -

لم تكن وفاة الحاج دياب مفاجأة لمراد فقد بلغ من السن ما جعل أيامه الأخيرة متصلة المرض ·

وكان مراد فى السنوات الأخيرة هو الذى يشرف على الزراعة ، وما كان اشرافه عليها يكلفه أى جهد · فقد حرص الحاج دياب بعد الثورة ألا يقوم بزراعة أرضه أو أرض مراد أو بنتيه اللتين كونت كل منهما أسرة · الأمر الذى جعل أرضه وأرض ولده وبنتيه فى مأمن تام من كل قوانين الاصلاح الزراعى ·

ولكن مراد بعد وفاة أبيه رأى أن يزرع الأرض جميعها بالموالح · وكان قد استطاع فى أثنــاء أسـفاره الى الخارج أن يتعرف ببعض المستوردين ، وكان يدرى أيضا أنه لا يفهم شيئا فى شئون الزراعة · كما أن مدنى العمدة لا يجيد زراعـة الموالح ، وان كان يجيد زراعـة المحاصيل المألوفة من قطن الى ذرة الى قمح الى شعير الى برسيم أما خارج هذه الحدود فلا يعرف شيئا ·

وقد اتفق مراد مع أختيه بعد وفاة أبيهما أن يزرع أرضهما هما أيضا بالموالح ورحبت أختاه بما يريد ·

وبهذا أصبحت المساحة التى سيزرعها جديرة بأن يشرف عليهـا مهندس زراعى من خريجى الزراعة العليا المتخصصين فى الموالح ، وكان يقدم له مرتبا ضخما لا يحلم به الخريج من أمثاله · فقد كان يدفع له

مائة جنيه فى الشهر مع نسبة ٥٪ من الأرباح وكان المهندس واسمه فؤاد برعى ماهرا كل المهارة فى خبرته ٠

فما هى الا سنوات حتى أصبح محصـــول الموالح فى أرض مراد وأختيه مضرب الأمثال فى الوفرة وامتياز الثمار فى وقت معا مما شجعه على أن يسافر ويستفيد بصـلاته السابقة فى الأسفار ، ويوقع العقود بالتصدير ويزيد ماله ويزيد ٠

●●●

وقد اختار الله أيضا الحاج دهشان الى جواره بعد أن كان قد باع أرض نازلى جميعها لمشترين آخرين قبل موته بفترة طويلة ٠

وقد كان البيع لأنها وزوجها سيصبحان مخالفين لقوانين الاصــلاح الزراعى ٠ فلم يكن عجيبا أن يتغلب الحاج دهشان على تلك الصعوبة بأن يبيع الأرض للفلاحين ويقيم عمارة فاخرة بالقاهرة باسم ابنته ٠ وطبعا كان مراد هو الذى يدير هذه العمارة ٠

وكان طبيعيا بعد قوانين الاسكان ألا يؤجر فيها شقة واحدة بايجار عادى ٠ وانما أجر شققها جميعا ايجارا مفروشا حتى يستطيع أن يخرج السكان وقتما يشاء ٠ وفى نفس الوقت أبقى شقتين متجاورتين بدون تأجير لتتصرف فيهما نازلى كما تشاء ، أو لتقيم فيهما حين يذهب دياب الى الجامعة ٠

وهكذا مات الحاج دهشان مطمئنا على ابنته ٠

أما آلة الطحين فقد ارتأى مراد بعد وفاة حميه أن يبيعها ٠

ـ ما رأيك يا نازلى فى ماكينة الطحين ؟

ـ ما تراه يا مراد ٠

ـ أنا أرى أنها تحتاج لوجود شخص مأمون الى جوارها حتى تظل تنتج كما كانت تنتج أيام المرحوم الحاج ٠

ـ فعلا ٠

ـ والشخص المأمون لا يوجد فى هذا الزمان ٠

ـ فماذا ترى ؟

ـ سأعرضها للبيع ٠

ـ وماله ؟

ـ أنا عندى فعلا توكيل ، ولكن أردت أن أعرف رأيك •

ـ الحقيقة أنك مع حبك للمال لا تبخل على ولا على دياب • ثم ان حقى من العمارة يصلنى على دائر المليم • فالذى تراه أفعله •

وفعلا باع مراد ماكينة الطحين وقال لنازلى :

ـ ما رأيك نشترى بثمنها أرضا للبناء فى القاهرة •

ـ ما المناسبة ؟

ـ تكون لدياب حين يكبر •

ـ نحن عندنا شقتان فى عمارة الدقى •

ـ أعلم ولكن دياب سيتزوج فى يوم من الأيام •

ـ نخلى له شقة في عمارتنا •

ـ ولماذا ؟

ـ مع أزمة السكن الأرض ثمنها سيزيد •

ـ أكتب الأرض باسم دياب مباشرة •

ـ وهو كذلك •

وهكذا كانت الأحوال المالية لمراد فى انتعاش مستمر • والانتعاش يغرى بالمزيد منه • والأرقام ليس لها نهاية • فليمض به الطريق ونحن من ورائه نقص أثره ونتنطس أنباءه •

● ● ●

- ١٩ -

فى ثورة مايو كان مراد غاية فى الحصافة والذكاء ، وكان يدرى على وجه اليقين لمن سيكون النصر •

فما أسرع ما تنكر لكل المارقين على السلطة العليا للبلاد ، وراح بأنف متمرس يبحث عن الأعمدة الجديدة للحكم الجديد •

ولم يهمه فى شىء أنه كان يدعو الى الاشتراكية بكل قوته أيام سيطرة الاشتراكية وكان فى آرائه البرلمانية متحمسا للمذهب الاشتراكى تحمسا يقصر عنه ماركس ولينين وستالين جميعا •

ولم يهمه فى شىء الأعراض التى انتهكت ، ولا مذبحة ٦٦ ، ٦٧ لمن أسمتهم بالاقطاع فهو مع كل ما له كان محصنا بآرائه الاشتراكية ، وهتافاته المتواصلة للعهد ، وأربابه وصلاته الوثيقة بمن كانوا يبقون فى الصـــدراة وتنكره كل التنكر لمن يقصيهم الحكم ، ويتخذ منهم موقفـا عدائيا ، وكأنهم لم يكونوا فى يوم من الأيام هم الأقمار الساطعة فى دعواته وصلاته ومهرجاناته ومشاربه المائية أو ذات الدخان ٠

وحين وقعت حرب ٦٧ أوشك أن يشارك النائب الراقص فى رقصه لولا بقية هزيلة من حياء ٠

فقد أدرك أن الهزيمة وان كانت قد زلزلت العهد زلزالا شديدا الا أنها لن تقضى عليه ، فكان من أوائل من حشدوا الهاتفين ، واستأجر عشر لوريات مليئة بالرجال والعصى انتظارا لمهزلة التنازل ، وكان يدرى كل شىء عن مناورة التنازل والتجميع والهتافات ، فلم يترك الفرصـــة للمشاركة فى التمثيلية الفجة التى مثلها العهد بعد الهزيمة النكراء ، ولم يعنه فى شىء من قتلوا من أبناء مصر مع الأموال الضخام التى سفحت مع الدماء على رمال سيناء ٠

وفى مجلس الأمة كان أشد المصفقين للنائب الراقص على أشـــلاء مصر ٠ حتى اذا أراد الله للعهد أن ينتهى كان هو مع العهد الجديد أشد ما يكون تحمسا ، وأعلى ما يكون صـــوتا فى الهتاف والتأييد للعهد الجديد ٠

وقد أدرك العهد أن مراد ممن يمكن الاعتماد عليهم ، فما دام رجل قد احترف الهتاف فهو لن ينصرف عنه فى سبيل أى شىء ، وانما سيستمر على الهتاف لأن حنجرته لا تستطيع أن تصنع شيئا الا هذا الهتاف ٠
ولابد من هاتفين لكل عهد ٠

فما أسرع ما أقيمت الولائم فى بيت مراد لسدنة العهد الجديد ، وما أحسن ما سارت معه الأمور ٠

●●●

وطبعا كان ضمن المرشحين فى منبر مصر ٠

وكان أول من قيد اسمه فى حزب مصر ٠

كما كان الأول أيضا فى قيد اسمه بالحزب الوطنى ٠

وظل هو دائما نائب الدائرة ٠

انتقلت نازلى الى عمارتها بالقاهرة ليصبح دياب طالبا فى كليه الحقوق ويبدأ دياب حياة جديدة كل الجدة مع أنه كثيرا ما كان يأتى الى القاهرة فى الاجازات ويقيم فى شقتى والدته اللتين احتفظ بهما أبوه ٠

وكان طبيعيا أن ينضم مراد الى أسرته ويؤجر شقته الفاخرة مفروشة ومع ذلك كان لا شأن له بدياب الا فى المامات عابرة ٠

وكان دياب متقدما فى دراسته دائما ، ولما كان يتقن اللغة الفرنسية فقد اختار كلية الحقوق ٠ ووافقت أمه ، أما أبوه فلم يشترك فى الرأى الا بالموافقة وفى الكلية تعرف به طالب اسمه فكرى نديم راشد ٠

وفى أحد الأيام بينما دياب وزوجته وابنه على مائدة الغداء أحب مراد على غير المألوف من عادته أن يظهر اهتماما بشئون دياب ولو على سبيل قطع الصمت على مائدة الطعام ٠

ـ ما أخبار الكلية يا عم دياب ؟

ـ الحمد لله عظيمة ٠ والدراسات فيها تستهوينى ٠

ـ هل تعرفت بأصدقاء هناك ؟

ـ كثيرين ٠٠ أذكرتنى يا أبى ٠

ـ بماذا ٠٠٠ خيرا ٠

ـ كنت أسمع جدى يتحدث عن الوزير السابق فكرى باشا راشد ٠

ـ نعم لقد كنت أنا سبب تعرفه على جدك ٠

ـ كيف يا أبى ؟

وكان دياب تواقا أن يتحدث الى أبيه أو يتحدث أبوه اليه ٠ فما ان وجد أباه فتح حديثا حتى سارع يستحثه أن يتكلم ٠ قال أبوه :

ـ ألم يقل لك أبى ٠٠

ـ ربما قال ٠٠٠ ولكنى أحب أن أسمع منك ٠

ـ كان ابنه نديم زميلى فى المدرسة ، وكان الباشا يحبنى مثل ابنه ، لأنه كان يستبشر بى ٠ فقد كنت على مائدته يوم استدعى ليكون وزيرا ٠ وبعد ذلك دعانا أنا وأبى الى بيته ، ودعاه أبى الى بيتنا فى البلد ، وأقام له حفلة مازالت بلدنا والبلاد المجاورة تتحدث عنها حتى اليوم ٠

ـ أيكون فكرى هذا ابن نديم صديقك ؟

ـ لابد أن يكون كذلك ٠

ـ ماذا يعمل نديم ؟

ـ فى المحاماة وقد أصبح اليوم من أكبر المحامين فى مصر ٠

ـ انه هو لا شك ٠

ـ ان للزمن تصاريف عجيبة ٠

ـ انه شاب مهذب جدا ، وقد تعلم فى المدارس الفرنسية ٠

ـ لقد حضرت فرح أبيه ، وكان بعد ميلادك بفترة قصيرة جدا ٠٠٠ أنا لا أنسى ذلك اليوم ٠٠٠ انما أعتقد أنه أصغر منك بسنتين على الأقل ٠

وهنا تدخلت نازلى :

ـ طبعا فان دياب لم ينتظم فى المدارس الا بعد أبناء سنه بسنتين تقريبا وربما أكثر ٠٠ فأنت تعلم أننى كنت حريصة أن يتعلم فى البيت وربما تكون هذه الدراسة هى التى جعلته دائما متفوقا على زملائه ٠

وقال دياب :

ـ لك حق هذا صحيح ٠٠ قل لى يا دياب هل تقدر أن تأتى لى من زميلك بتليفون أبيه ٠

ـ أقدر جدا ٠

ـ والله زمان ٠

●●●

أدار دياب قرص التليفون وأجابه صوت وقور :

ـ ألو

ـ لو عرفتنى تكون فعلا أكبر محامى فى مصر ٠

ـ تحدث قليلا ٠

ـ وفيم تريد الحديث ؟

ـ فى أى شىء يعجبك ٠

ـ تريد أن تستجوبنى كما تستجوب الشهود فى المحكمة ‧‧ ولكنى لن أمكنك من هذا ‧

ـ أهذا معقول ؟! ‧‧ بعد كل هذه السنين ‧ مراد أيها الرجل الناقص ‧

ـ أنعم وأكرم ‧ أنت نديم بذكائك الشديد لم ينقص بل زاد ‧

ـ أين أنت ‧‧‧ لا تقل أنت مشغول فى أشياء كثيرة فأخبارك تصل الى أولا فأولا ‧

ـ الكلام فى التليفون لا ينفع ، تتغدى أو تتعشى معى أو عندى لا يهم ‧

ـ اذن ‧‧‧ نتعشى عندى يوم الاثنين القادم ‧

ـ وهو كذلك ‧

ـ أنت ونازلى هانم ودياب ‧

ـ طبعا ‧‧‧ فان دياب هو السبب فى تجديد الصـــلات فهو كما تعرف ‧‧

ـ نعم عرفت من فكرى أنهما زميلان فى الكلية ‧

ـ يوم الاثنين اذن ‧

ـ يوم الاثنين ان شاء الله فى الثامنة والنصف ، وأيضا لترى دينا أخت فكرى ‧

ـ بسم الله ما شاء الله ودينا أيضا ‧

ـ نعم وهى طالبة فى الجامعة الامريكية ‧

ـ اللهم وفقها يارب ‧

ـ أنا منتظركم ‧

ـ ان شـــاء الله ‧

وهكذا عادت الصداقة القديمة الى مجراها ‧ ولم يعد هناك حرج على دياب أن يصادق أبناء الوزراء السابقين الذين حاربتهم الثورة بكل ســـلاح ‧

فالعهد الجديد لم يكن جبارا فاتكا كسابقه ‧

وتعرف دياب على السيدة الهام وجدى زوجة نديم وأم ولده وابنة عمه ، ولم يكن رآها الا فى يوم الفرح • كما تعرف بابنته دينا فتاة جميلة واضحة الذكاء مع خفة روح لا تخفى •

وكانت السنون قد أعملت يدها فى الصديقين والزوجتين ، ولكن السمات الأساسية لم تتغير • فمهما تصنع التجاعيد فانها لا تستطيع أن تمحو ما يعرفه الصديق عن صديقه من الملامح والطريقة التى يتحدث بهما كل منهما •

وان كانت الموضوعات قد تغيرت اليوم عن الأمس البعيد ، وتعرفت نازلى على الهام • وتقاربت بينهما الأفكار ، وعرفت كل منهما أن ثقافة الأخرى فرنسية • فالموضوعات بينهما موصــــولة لا فارق ثمة بين ابنة العمدة السابق ، وابنة المستشار السابق أيضا •

فكل المناصب بالنسبة للآباء من الزوجين ومن الزوجتين مناصب سابقة • وقد جاوز أربعتهم سنوات الشباب والكهولة واقتربوا جميعا من الشيخوخة ولم يبق من شبابهم الا الآمال المعلقة بأولادهم الجالسين معهم يشاركون فى الحديث بمنطق مختلف كل الاختلاف عن الوالدين والأمين جميعا •

وأحس دياب اعجابا شديدا بدينا التى لم يكن رآها الا فى ليلتهم هذه ، وقد استطاع فى لباقة أن يبدى اعجابه فى كلمة عابرة وفى الاهتمام الشديد بما تقول •

●●●

- ٣١ -

حرص مراد فى مهرجان الانفتاح ألا يغامر بأمواله مطلقا ، كما حرص ألا يفتح أبوابا جديدة من التجارة ، ولكنه حرص على توطيــــد علاقاته وصداقاته برجال البنوك الكبار والاقتصاديين ، منتسبين الى الحكومة كانوا أم كانوا من العاملين فى الميادين الاقتصـــــادية أو التجارية العامة والخاصة على السواء وقد اتخذ لنفسه موقفا صلبا وهو ألا يشارك أصحاب الملايين أو رجال الأعمال فى مشروعات اقتصادية مطلقا •

وكثيرا ما ألح عليه أصحاب مشروعات ضخمة أن يشترك معهم فكان يأبى هذا لأنه يرى أن كل مشروع يحتمل المكسب والخسارة ، وهو لا يريد أن يخسر مطلقا •

وكان المال موفورا لديه وقابلا للزيادة . فقد كان رجال الأعمال هؤلاء يلجأون اليه في كثير من الأحيان لتسهيل أمور لهم لدى الحكومة ولدى البنوك . وكان لا يتأخر عن قاصد مطلقا مادام يقدم له الهدية التى تسميها نحن الرشوة .

وقد كان محصول هذه الرشى ضخما الى حد بعيد . فقد كانت الرشوة تبدأ حيث تبدأ ، وقد تنتهى بنصف مليون أو ربعه .

فما بعجيب منه اذن أن يرفض الدخول في مشروعات قابلة لكسب أو لخسارة . فهو مهما يكسب منها لن يصل كسبه الى دخله من باب الرشـــوة .

قصـــده عبد الحميد عنارة رجل الأعمال الكبير والذى يعمل فى الاستيراد والتصدير . والاستيراد طبعا أكثر من التصدير وكان عنارة يستورد فيما يستورد الحديد بجميع أحجامه وأنواعه . وقال عبد الحميد لدياب :

ـ أمامى صفقة عمر .

ـ خـــيرا .

ـ حـــديد .

ـ بـــكم ؟

ـ بمائة مليون جنيه .

ـ يا واقعة ســـوداء !!

ـ يا رجل حرام عليك قل بيضاء ان شاء الله .

ـ بيضاء بيضاء ان شاء الله . والمطلوب منى ؟

ـ تدخـــل معى .

ـ أين .

ـ فى العملية .

ـ حرام عليك . الرقم وحده أصابنى بالرعب . فكيف أتصور ان أشارك فى عملية بهذا الحجم ؟

ـ انها مضمونة كما أنك ترانى الآن .

ـ مبروكـــة عليك .

ـ دخولك أساسى ٠

ـ لماذا ٠٠٠ هل تعتقد أن أموالى كلها ذات قيمـــة فى مثل هذه المبـــالغ ؟

ـ ليس مالك هو المطلوب ٠٠٠ هل تعتقد أن عندى ما يواجه مبلغا كهذا ٠٠٠ ؟ لو كان عندى لاعتزلت العمل ٠

ـ اذن ماذا تريد منى ؟

ـ ألا تعرف ؟

ـ لابد أن تقول ٠

ـ مســـاعدتك ٠

ـ مساعدتى أنا ٠٠٠ فيم ؟

ـ لا يا مراد بك أنت لا تحتاج الى شرح ٠

ـ ربما كنت غير محتاج الى شرح ، ولكن لابد أن تكون المسائل واضحة تماما حتى لا يحصل لبس ٠

ـ تساعدنى فى الحصول على المبلغ من البنك ٠

ـ على مائة مليون ؟

ـ لا على ثمانين فقط ٠

ـ والله الأمر يتوقف ٠٠٠

ـ على ماذا ؟

ـ على ما تعرضه أنت على ٠

ـ كم يكفيـــك ؟

ـ فى عملية كهذه ٠٠٠ لا أقل من مليونين ٠

ـ لا ٠٠ لا ٠٠ لا يمكن ٠٠ هذا كثير ٠

ـ أمرك ٠٠٠ أنا لن أقبل أقل من هذا مليما واحدا ٠

ـ ألا يكفيك مليون ؟

ـ لا يكفينى أقل من المليونين بعشرة جنيهات ٠

ـ أنت متشـــدد جدا ٠

ـ وعلى شرط •

ـ وشرط أيضا ؟

ـ ألا أتكلم في الموضوع قبل أن أحصل على حقي •

ـ أنت سميته حقك ؟!

ـ أنت تعرف الجهد الذي أبذله في حياتي لتصبح وساطتي مقبولة • فهو حقي لا شك •

ـ فلنقل نصفه قبل موافقة البنك و •••

ـ لا تكمل ••• لن أخطو الى البنك خطـــوة قبل أن آخذ حقي كامـــلا •

ـ اتفقنــــا •

ـ على بركة الله •

وفعلا ذهب مراد مع عنارة الى البنك ، وقدمه الى رئيس البنـــك وأوصى بكل حماس • وكان من الذكاء بحيث استأذن أن ينصرف لموعد مهم ، مقدرا أن رئيس البنك ربما يريد أن ينال حقه هو أيضا •

●●●

- ٢٢ -

نال دياب شهادة الليسانس ولم تمض الا أشــهر قلائل حتى عين بالنيابة العامة •

وبدأ يفكر في الزواج يشجعه أبوه وأمه على ذلك وبخاصة أنه كان مستقرا على العروس التي سيخطبها •

فقد استطاع بعد تعرفه بدينا أن يصل اليها في الجامعة الأمريكية ، ونشأ بينهما ما ينشأ بين كل شـــاب وفتاة يجد كل منهما في الآخر ما يرضي مشاعره ومنطقه وعقله جميعا •

وفي حفل صاخب انتهز فيه مراد الفرصـــة ودعا كل ذي مكانة أو شأن أو مال أو صلة تمت الخطبة والوالدان والأمان ســـعداء غاية الســـعادة •

أما أيمن فقد توكأ فى دراسته حتى وصل الى كلية التجارة لاهثا ، وكان أبوه يحرص على أن يتصل به أو بأمه مرة أو مرتين فى الأسبوع ليتأكد أنهما فى غير حاجة الى مال •

فان يكن مراد مسعورا فى المال الا أنه حريص كل الحرص أن يكون ابنه الذى ينتسب اليه فى مظهر لائق بين زملائه ومن يعرفونه •

وربما كان هذا الحرص فى ذاته مكملا لمعالم السعار المالى الذى يتمتع به •

فان مظاهر الأبناء ما هى الا لافتة لآبائهم ، ومراد فى حاجة جائحة أن تكون عناصر الأبهة جميعها متوافرة له فيها يستطيع أن يسعى سعيه فى الوساطات ، ويستطيع أن يحافظ على صلاته بذوى الشأن والسلطان •

ولهذا لم يكن غريبا أن يشترى لأيمن سيارة يوم دخل الجامعة كما فعل لدياب من قبل •

فهو يعلم بخبرته أن السيارة فى الجامعة أصبحت منتشرة وأنه من العار ألا يكون ابن مراد طلبة دون سيارة مهما يكن مطلقا لأمه • فزملاؤه لا شأن لهم بما بين الأب والأم ، وانما لهم الشأن كل الشأن ان كان زميلهم ذا وفرة فى المال والوجاهة •

والعار والشرف عند مراد لا يتمثلان الا فى المال والسيارات ومظاهر الرفاهية وعضوية المجلس الذى أصبح اسمه مجلس الشعب ، ثم ليس فى أى شىء آخر •

وهكذا كان أيمن بما لا يملكه من تفوق فى الدراسة يعوض نكوصه فى العلم بتفوقه فى اظهار الغنى واتخاذ كل الوسائل التى تجعل منه بين اخوانه شخصا يشار اليه •

وأى شىء يعينه على هذا أكثر من أن يعرف طلاب الكلية جميعا والأساتذة أن أباه عضو بمجلس الشعب ، وأنه ثرى ذو سيارة ووفرة فى المال وقدر كبير من وجاهة المظهر والملبس ، وليذهب الجوهر الى أى جحيم يطيب له •

ولم يكن غريبا أن يصبح كثير الأصدقاء من الزملاء ، والكثرة تجمع فى طواياها الخبيث والطيب • والخبيث أكثر اقناعا من حميد الخلق السوى الطريق • وهكذا كان من المتوقع ما حدث حين طلبت محبوبة زوجها السابق مراد بالتليفون وهى تصيح مولولة :

ـ الحقنى يا مراد •

ـ ماذا بك ؟

ـ الولـــد ٠

ـ ما لـــه ؟

ـ مغمى عليه !!

ـ هل طلبت الدكتور ؟

ـ أى دكتور ٠٠٠ الحقنى أنت وهات معاك دكتور ٠

●●●

تبين أن أيمن تناول قدرا من المخـدرات لم يحتملهـا ففقد الوعى وأسعفه الطبيب الذى أحضره أبوه وأبلغ أباه بحقيقة الغيبوبة ٠

●●●

وكان طبيعيا أن ينقل أيمن الى المستشفى ، وكان طبيعيا أن يحضر خاله سعيد ٠ بادره مراد :

ـ أهذا جزائى لأننى لم أتأخر عن أى طلب له أو لأمه ؟

ورد سعيد فى جفاء :

ـ هذا جزاؤك أنك أهملته ٠ والأبوة ليست المال وحده ٠

ـ أخوه لا ينال من اهتمامى أكثر منه ٠

ـ الخطأ لا يبرر الخطأ ٠

ـ ولكن أخاه من أحسن الناس خلقا ، وهو أيضا متفوق ٠

ـ لا تنتظر أن يكون الأخ كأخيه لكل منهما ظروفه النفسية ٠

ـ اسمع أنا سأنقل أيمن الى بيتى ليكون تحت اشرافى ٠

ـ ألا يغضب هذا زوجتك ؟

ـ زوجتى سيدة مثالية وستعامله كما تعامل دياب ٠

ـ ومحبـــوبة ؟

ـ انك أخـــوها ٠

ـ نعم ٠٠٠ أهلا بها ٠٠٠

ـ أعرف أنك تزوجت وخلفت ولدين • ولكنك لن تعجز عن ايجاد غرفة لأختك •

ـ طبعا لن أعجز •

ـ ولن أنسى أنا العشرة وسوف يكون لديها ما يكفيها •

ـ أنا لن أكون نذلا لدرجة أننى أرفض قبول أختى فى بيتى : وليس من المعقول أن أتركها وحدها •

ـ وهو كذلك •

طبعا مراد قد أعد فى نفسه أن يؤجر الشقة التى ترك فيها محبوبة وابنها مفروشة ، ولا شك أن ما سيعطيه لها أقل مما سيتقاضاه من الايجار وفى نفس الوقت يشعر ابنه أيمن أنه لم يهمل أمه •

شفى أيمن من الادمان وانتقل الى بيت أبيه • ودأبت نازلى أن تعامله أحسن معاملة • كما أن دياب كان يشعر بنوع من الأنس بوجود أخيه معه • وبخاصة أن النيابة كانت تأخذ كل وقته ، ولم يكن يلم بالبيت الا فى فترات ضئيلة • وكان قد روعه أن يصاب أخوه بالادمان • فمثل هذا الأمر اذا عرف يؤثر لا شك على مكانته فى النيابة • فقد كان يدرك أنها وظيفة حساسة غاية الحساسية وأى لغط حول واحد من أسرته كفيل بأن يؤثر على نظرة المسئولين والزملاء اليه •

ولذلك كان حريصا كل الحرص على متابعة أخيه فى دراسته وصلاته وخلطائه وأصدقائه •

وتحت هذه الرقابة الثلاثية من الأب وزوجة الأب والأخ لم يجد أيمن سردابا يعود به الى الادمان ، ولم يجد شيئا يفعله الا المذاكرة وأمره الى الله •

●●●

- ٢٣ -

حصل عبد الحميد عنارة على الاعتماد الذى توسط فيه مراد لدى البنـــك •

ولكنه بدلا من أن يستورد به الحديد رأى أن الكننب مهما يبلغ لن يصل الى المبلغ الذى حصل عليه فعلا • فراح يهرب أجزاء منه على فترات الى الخارج ، معدا نفسه أن يلحق بالمال ، ويقيم بالخارج بعد أن يودعه

جميعا بعيدا عن السلطات المصرية وان كانت نيته هذه لم تمنعه أن يسافر بعد كل مبلغ يهربه حتى يطمئن على سلامة وصوله واستقراره فى البنك الأجنبى ·

ولم يكن عنارة يتصور أن عليه عيونا رواصد · فاذا أمره ينكشف فجأة قبل أن يهرب من المبلغ الا ثلاثة ملايين من الجنيهات لم يرد فى مقابلها حديد كما كانت الاتفاقية مع البنك تنص ·

وقبض على عبد الحميد عنارة ·

وتداولت الصحف الصفقة السارقة لأموال البنك والدولة معا ، وبدأ التحقيق واتسع ، ولاكت الصحف اسم مراد دياب طلبة عضو مجلس الشـــعب ·

وكدأب الصحافة ما ان تجد فرصة كهذه يكون من بين عناصرها شخص مثل مراد حتى توسعها بالتفاصيل · منها الصادق ومنها ما تتناقله الاشاعات ومنها ما يختلقه المختلقون ·

وأصبح مراد فى حالة من الكرب لم تمر به فى حياته جميعا، واختلط عقله · وفجع يوم عرف أن وزارة العدل طلبت رفع الحصانة عنه ·

ولم يجد له ملاذا الا نديم يلجأ اليه ويستفتيه من الناحيتين الشخصية والقانونية معا ·

وســـأله نديم :

ـ هل لك صلة بهذه العملية ؟

ـ أكذب لو قلت لا ·

ـ تذكر أننى محام ، والمحامى اذا لم يعرف الحقيقة كاملة يستحيل عليه أن يدلى برأى ·

ـ طبعـــا ·

ـ ما صـــلتك ؟

ـ أنا الذى قدمت عبد الحميد عنارة الى أمجد حسانين رئيس مجلس ادارة البنك ·

ـ هل ضمنت ؟

ـ ليس لى توقيع واحد فى العملية ، وكل صلتى بها أننى زكيت عنارة عند أمجد حسانين الذى طالما دعوته الى بيتى ·

ـ ماذا تعرف عن أمجد حسانين ؟

ـ لا أعرف دخائله •

ـ ولكن اسمه ليس فوق مستوى الشبهات •

ـ معــك حق •

ـ فلماذا تتصل به ؟

ـ اذا لم أصادق الا من ترتفع أسماؤهم عن الشبهات لخاصمت الكثيرين من الذين ترتبط مصالحى بمعرفتهم •

ـ ماذا تقصد بكلمة مصالحى ؟

ـ سبحان الله ألا تعلم ؟

ـ طبعا أعلم ، ولكن أريدك أنت أن تقول •

ـ أنا أعمل فى التصدير ، ثم اننى عضو بمجلس الشعب ، وأبناء الدائرة لهم طلبات لا تنتهى • فلابد أن أكون وثيق الصلة بكل من يملك التوقيــع •

ـ كيف تعلل السبب الذى دعا الى ذكر اسمك فى قضية عنارة ؟

ـ طبعا لابد أن أمجد ذكر اسمى •

ـ أنت واثق أنك لم توقع على ورقة ؟

ـ ثقتى من أننى أقعد أمامك • لقد طلب منى عنارة أن أشاركه ولكنى رفضت •

ـ هل تقاضيت منه شيئا ؟

ـ ولكنى لم أوقع على ورقة فهذه أمور لا يمكن اثباتها •

ـ لك حق •

ـ بماذا تنصحنى أن أفعل ؟

ـ متى يجتمع مجلس الشعب •

ـ يوم السبت القادم •

ـ هل سينظر فى رفع الحصانة ؟

ـ لا أظن فقد أحال رئيس المجلس الطلب الى اللجنة التشريعية ، وهى عادة تستغرق وقتا حتى تقدم تقريرها الى المجلس •

ـ أتريد نصيحتى ؟

ـ فلماذا أنا هنا ؟

ـ طلب الحصانة ، هل هو مقدم بالاتهام أم لسماع الأقوال ؟

ـ لســـماع الأقوال ٠

ـ عظيم ٠٠٠ سعادتك تتقدم بطلب الى المجلس برفع الحصانة ٠

ـ أنا ؟

ـ طبعا ليس أنا ٠٠٠ أنت طبعـــا ٠ وبهذا تظهر أنك لا تخشى أن تسأل وأنك مطمئن الى براءة ساحتك ٠

●●●

رفعت الحصـــانة وتمت المحاكمة وأدين فيها رئيس البنك للخطأ الجسيم وعدم التثبت من الضمانات المقدمة على ضعفها كما أدين طبعا عبد الحميد عنارة ٠

وبرأت المحاكمة ساحة مراد دياب طلبة ٠

●●●

هيهات فان مثل هذه الأمور لا تجدى فيها براءة المحكمة ٠ فقد زاد اللغط حول مراد ٠ حكى كل من قدم له رشوة كيف قدمها وكم دفع له ٠
وما احتفظ به الراشون من أسرار أصبح على كل لسان ، وخيم السواد والمهانة على بيت دياب ٠

وارتفعت الرقابة عن أيمن ٠ وعاد الى طريقه القديم ٠٠٠ اذا كان أبى لصا فما أهون أن أكون أنا مدمنا ٠

أما الذى أصيب اصابة قاتلة فهو المسكين دياب عضو النيابة ٠

جلس دياب أمام نديم فى مكتبه

ـ أرجو أن تأمر كاتبك ألا يدخل اليك أحدا ٠

ـ وهو كذلك ٠

أصدر أوامره وقال دياب :

ـ ان الذى بينى وبين دينا اعجاب شديد ، وربما كان اجلالى لك يمنعنى من أقول الكلمة الحقيقية ٠

ـ أنا لست محتاجا أن أسمعها ٠

ـ ألا زلت ترانى كفئا لها ؟

ـ وما الذى جد ؟

ـ الذى تعرفه ٠

ـ الذى أعرفه ليس جديدا على ٠

ـ أكنت ٠٠٠

وقاطعـــه نديم :

ـ أنا أعرف أباك منذ نحن تلاميذ صغار ، وصداقتى به ، بل وحبى له لم يكونا فى يوم من الأيام حائلا بينى وبين معرفة أخلاقه معرفة تامة ٠

ـ وقبلتنى ؟

ـ لســـببين ٠

ـ أولهما ؟

ـ اننى أعلم أن والدتك هى التى قامت بشأنك منذ الطفولة ٠

ـ هذا حق ٠٠٠ ولكن أتعرف والدتى ؟

ـ أخلاقها وما صنعته مع أبيك حين تزوج عليها من أجل مصالحه وثقافتها وعقلها ٠٠ كل هذا معروف وأنا محام وأخبار الناس تأتى الى من كل سبيل ٠

ـ وما السبب الثانى ؟

ـ أنا أستطيع من لقاء أو لقائين أن أعرف دخيلة الناس • وقد ارتحت اليك ووثقت أنك على النقيض من أبيك تماما ، وقد صدق حدسى بما سمعته عنك فى الفترة القصيرة التى قضيتها فى النيابة •

ـ أشكرك ••• وأحمد الله على أن يكون هذا رأيك ، ولكن يبقى الأهم من ذلك رأى دينا •

ـ أنت خطيبها أسألها أنت •

ـ قد تجد حرجا أن تقول لى رأيها صريحا •

ـ دع هذا لى •

ـ هذا ما أرجـــوه •

ـ وهو كذلك •

ـ وهناك خبر آخر أرجو أن تعرفه •

ـ خـــيرا •

ـ لقد استقلت من النيابة •

ـ ليس هذا غريبا عليك • وماذا تنوى أن تفعل ؟

ـ هذا ما سأقوله لسعادتك حين تخبرنى برأى دينا •

ـ ليـــكن •

ـ متى آتى ؟

ـ لن أطيل فترة انتظارك ••• ليكن هذا اليوم فى الساعة السابعة

ـ أســـتأذن •

ـ مع الســـلامة •

وقصد نديم أن يقف اجلالا لخطيب ابنته ويصافحه بحرارة وهو يودعـــه •

●●●

قال نديم لابنته دينا ما دار بينه وبين خطيبها بما فى ذلك استقالته من النيابة وكانت أمها بمشهد •

ـ فما رأيك ؟

ـ ما رأيك أنت ؟

ـ رأيى أحتفظ به لنفسى حتى لا يكون له أى تأثير عليك .

وقالت الهام والدة دينا :

ـ أنا لا أريد أن أدلى برأى . ولكن اسمحا لى أن أعجب بموقف دياب واقدامه هو على هذا السؤال . وأنا أعرف مقدار حبه لدينا وحرصه على الزواج منها .

وقال نديم :

ـ اتركى دينا تقل رأيها .

وقالت دينــا :

ـ الحقيقة يا أبى أنا لا أرى له ذنبا فيما يفعله أبوه . واذا كان ذا ضمير وأبى يفرض نفسه علينا بعد ما شاع عن أبيه فلا يجوز أن أكون أنا حقيرة وأتخلى عنه فى شدته . أنا الآن متمسكة به أكثر ما كنت .

●●●

ونقل نديم رأى دينا الى دياب وقال له :

ـ والآن حان لك أن تخبرنى ماذا تنوى من جهة عملك ؟

ـ ان كل ما فكرت فيه مرده اليك واليك وحدك .

ـ أوضــــح .

ـ أريد أن أعمل فى مكتبك .

ـ لقد كنت أخشى أن تكون متجها الى وجهة أخرى .

ـ اذن تقبلنى ؟

ـ اذا كنت قبلتك زوجا لابنتى الوحيدة فأنا أرحب بك زميلا فى مكتبى طبعا .

وعمل دياب بمكتب نديم ، وتم الزواج فى فرح قصد مراد أن يكون باذخ الفخامة ليعلن به نسبه الى نديم المحامى العملاق وابن فكرى باشا راشــــد .

●●●

يقى فى هذه الرواية سطر واحد ٠

لقد رشـــح مراد نفســـه فى الانتخابات التالية ، وفاز بنجاح ســـاحق !!

ولا تعليق

تمت

مجلس الشورى فى ٥ أكتوبر سنة ١٩٩٤ الساعة الثانية والنصف مساء ٢٩ ربيع ثان عام ١٤١٥ هـ ٠

مقـــــالات

ســـنة ٨٣

الحزب ... وكيف يكـون ؟

حين قامت الثورة ألغت الأحزاب بعد شهور قليلة من قيامها .

وحاولت الثورة بشتى وسائـل وبمختلف طرق أن تنشىء تجمعات تجعل منها أحزابا .

أنشأت هيئة التحرير وجعلت منها فى كل مدينة فرعـا ثم جعلت منها فى كل قرية فريعا وظن أعضاء هيئة التحرير انهم قادة وراح كل منهم برسم نفسه لانتخابات لم يكن يدخلها الا الوصوليون وأصحاب المصالح الشخصية وفشا أمرهم بين أنحاء بلادنا حتى ضاق بهم الناس وضاقوا هم بالناس لأنهم كانوا أبعد ما يكونون عن الشعب انما كانوا أقرب شىء الى جيش احتلال مصرى يحتل المصريين وقد كانوا مصريين بالجنسية لا بالجنس وبالاسم لا بالانتماء .

وكان كره الشعب لهيئة التحـرير من الظهور والوضـوح حتى لم نستطع السلطة أن تتعامى عنه فألغت هيئة التحرير وأنشأت شيئا اسمه الاتحاد الاشتراكى وكان التيار الشيوعى قد بدأ يتدسس فى عنف فى السياسة المصرية ولكنه فى نفس الوقت كان يخشى أن يكشف القناع عن اسمه الحقيقى وكان من أمثلة هذا التخفى ذلك الاعلان الذى صدر بالصحف فى ستينات هذا القرن أن الحزب الشيوعى المصرى قد قرر أن يحل نفسه، ولم يكن أحد قد قرأ اسم الحزب الشيوعى فى الصحف قبل اليوم الذى أعلن فيه حل نفسه .

فالحزب اذا لم يعلن فهو ليس حزبا يستطيع أن يكون جماعة ارهابية أو تجمعا سريا أو أى شىء الا أن يكون حزبا وهكذا ولد الحزب الشيوعى المصرى ومات فى خبر واحد موءود هو منذ ميلاده .

وقد كان من الطبيعى أن يعلن الحزب الشيوعى حله لنفسه فقد كان أعضاء الاتحاد الاشتراكى مثل على صبرى ورفعت وغيرهما ممن لا داعى لتذكير الناس بهم يقومون عن الحزب بكل ما يشتهى الحزب أن يصنعه وطفا على سطح الحياة المصرى الشيوعيون والمتشيعون والنهازون الذين لا يشبهون الا أبرة البوصلة تتجه حيث تتحقق منفعتهم بغير مبدأ وبغير

شرف وبغير ضمير وحين يتخفى هذا تتعلق المنفعة الخاصة ويطفح على سطح البحيرات الآسنة العفن والقذر والوباء •

وتكدس هذا جميعه فى لافتات الاتحاد الاشتراكى ونشأ أبناؤنا أمل مصر اليوم وضميرها المنشود ومستقبلها المرتقب وهم لا يعرفون ماذا تعنى كلمة الحزب فقد رأوا أعضاء الاتحاد الاشتراكى فى القرى والأحياء يقيمون من أنفسهم آلهة صغيرة والشعب الذى يريد أن يعيش ويريد أن يطمئن وهو حريص كل الحرص أن يبتعد عن المشاكل وأن يتلافى الخلافات فيسمع ويطيع لا يدرى لماذا ولا يهمه أن يدرى كل همه أن يتركوه لينصرف الى لقمة ينتزعها من فم الأيام انتزاعا •

فحين أعلن السادات قيام المنابر ثم الأحزاب ظلت هذه الأسماء عند كثير من شبابنا أسماء لا يدرون ماذا تعنى •

ولهذا أرى الحزب الوطنى وهو حزب الأغلبية بحق ليس يدرى شبابه ماذا عليه أن يصنع فهو يسمع من يقول ان عليه أن يشارك فى رفع المعاناة عن الشعب والحقيقة ان هذه ليست وظيفة الحزب فالحزب ينتخب نوابه ، ونوابه يشرعون للوزراء والوزارة هى التى ينبغى أن تعمل على رفع المعاناة عن الجماهير واذا كان على الجماهير واجب فهى أن تعين الوزارة على عملها ولا تزيد العبء عليها وهذا واجب كل فرد فى مصر مهما يكن الحزب الذى ينتمى اليه فالحزب اذن بمفهومه الواسع ـ انما هو الناخبون • والديمقراطية تقول ان وظيفة الناخب تنتهى عند صندوق الانتخاب ـ فماذا اذن هو واجب الحزب ؟

الحقيقة ان هناك واجبا يقع أول ما يقع على قيادات الحزب بأن تجتمع بأعضائه وتشرح لهم فكرة الديمقراطية وفكرة الأحزب ثم عليها بعد ذلك أن تشرح فى أمانة وصدق آراء الأحزاب الأخرى وأفكارها ومن هذه الأحزاب ما له أفكار ومنها ما لا يمثل الا تجمعات لا تلتئم الا على المهاجمة كاذبة كانت هذه المهاجمة أو صادقة •

على قيادات الحزب الوطنى أن تشرح لأعضائه من الشباب الأفكار والتجمعات عليها أن تشرح لهم ولو فى تبسيط فكرة النظرية الشيوعية وتشرح لهم مدى ما وصل اليه تطبيقها فى مختلف بلاد العالم ولا بأس أن يستعين الحزب بعلماء جامعيين محايدين حتى يعرف الشباب الحقيقة كاملة ولا يسمع الألفاظ ولا يعرف مدلولها ، وعلى الحزب أن يستعين بائمة الهداة ليشرح الفارق بين الدين ، ذلك الصلة السامقة بين الانسان وربه ، وبين الدين عند قوم يريدون أن يجعلوا منه وسيلة للوصول الى الحكم وقد رأينا أمثلة رائعة من الدكتور أحمد هيكل والدكتور الأحمدى

وغيرهما فى المناقشات التى عرضها علينا التليفزيون وعلى القيادات أن تشرح فكرة الديمقراطية فى مصر وهى ديمقراطية من نوع خاص لا تطبق مصر غيرها ، الآن بعد هذه الفترة الطويلة من غياب الديمقراطية لأن الديمقراطية تواصل وأجيال تخلف أجيالا وليست الديمقراطية عملية كيماوية تتم فى لحظة اذا توافرت عناصر المادة المراد الحصول عليها ، وانما الديمقراطية شجرة ذات فروع ومن الفروع تنبت فروع والشجرة الديمقراطية تستغرق السنوات الطوال •

على قيادات الحزب أن تستعين بالعلماء ليعلموا هذا لشباب الحزب حتى اذا عرف الشباب هذا وأكثر من هذا أصبح الحزب حقيقة وأصبح يجتمع على فكرة يمثلها أفراد يشق أبناء الحزب أنهم يسيرون على هدى الفكرة التى اعتنقوها ويستطيعون أن يناقشوا كل الأفكار الأخرى ويتصدوا لها بالفكر لا بالتهريج •

بهذا وهكذا على مدى العصور تكونت الأحزاب وبغير هذا أخشى أن تظل الأحزاب أسماء بلا أعمال ولافتات بلا بيوت وانى واثق ان هذا الذى أقول يعرفه كل من يعمل بالسياسة فى مصر أو فى خارج مصر ولا يحتاج الا الى شىء بسيط غاية فى البساطة هو أن ننفذه •• !

مايو ١٠/١/١٩٨٣ ••

الصـدق الفنى
فى ديوان جديد
للشاعر عـلى الفقى

الشاعر على الفقى من ذلك الرعيل النابه من الشعراء الذين حملوا الراية بعد الخالد شوقى ذلك الجيل الذى ازدهرت به سنون الأربعينات والخمسـينات والذى لاننسى منه نـاجى وعلى محمود طه ومحمود حسن اسماعيل وصالح جودت وغنيم وأبو فاشا ومخيمر وعبد العليم عيسى ومحمد مصطفى حمام ومحمد الأسمر وعبد الفتاح مصطفى ومصطفى عبد الرحمن والمهدى مصطفى ومحمد عبد الغنى حسن وأحمد الغزالى . وقد كان من الطبيعى أن يتصدر هؤلاء الكبار وزملاؤهم ممن لا تعيهم الذاكرة الصدارة فى الشعر العربى لولا أن طغى على الأدب العربى والصحف المصرية لون مائع من الشعر واللغة وحاول أعداء العربية وما لى لأقول أعداء الدين أن يطمسوا معالمها بلون من الشعر الذى لا يدرى لنفسه أصـلا ينتمى اليه فلا هو الى عربية انتسب ولا هو بأعجميـة اتصـل . وران هـذا الوجه المصبوغ على الأسلوب الأدبى جميعه وأصبح كثير ممن يدعون الأدب يكتبون بلغة العيى أو العيان وهو كما يقول القاموس من لا يستقيم لفظه وهكذا تميع الأدب العربى فى موطنه وتاه فى البلد الأم وأصبح غريبا بغير دار تحميه ولا قلم يقف بجانبه ولولا الشامخون من أجيال الطليعة مثل طه حسين والعقاد وهيكل والزيات وأحمد أمين وتوفيق الحكيم وتيمور والمازنى ومن جاء بعدهم مثل نجيب محفوظ ومحمد عبد الحليم عبد الله والسحار لأصبح مصير النثر كمصير الشعر ولا نفصل الكاتب العربى عن القارىء العربى ولكن الله برفيع حكمته أراد لهذه اللغة التى هى لغة قرآنه أن تبقى وأن رغمت من الأنوف أنوف .

واليوم أكتب عن شاعر ألزمته الظروف أن يظل صامتا فترة طويلة يغرينى بالكتابة عنه أنه شـاعر كبير حجبته سنون العدوان على العربية وأجبرته أن يقل من النشر ويغرينى أيضا هذا السيل من المكالمات وبرقيات التهنئة والخطابات التى انهالت على بعد أن كتبت مقالى عن الظلم الذى وقع على أسرة أبو الفتح حتى أرسل الى محام رفيع الأسلوب شريف اللفظ يقول

انه لا يعرف أسرة أبو الفتوح ولكنه يعرف الظلم الذى تعرضوا له ، وكان يريد أن يكتب مستصرخا الحكومة أن ترفع عنهم ما وقع من عنت وجور ولكننى كفيته مؤونة الكتابة ٠

وليس هناك كاتب لا يسره أن يجد لما يكتبه صدى أو بعض صدى مهما علت السن بهذا الكاتب ولكننى فى هذه المرة تملكتنى النشوة وغمرتنى البهجة ان مصر تعرف الحق وان أبناءها يرفضون الظلم ويمحقونه وان مصر تعرف لصاحب الفضل فضله وتعرف لغير الشريف ذلته وهوانه وان أبناءها اذا صمتوا فـانما يصمتون فى انتظار العدل لا جهلا منهم بهذا العدل ٠ وقد كنت حين كتبت هذه المقالة التى جعلت عنوانها ان الحق قديم أظن أننى أخاطب الحكومة وحدها فليس غريبـا اذن أن تتملكنى النشوة وتغمرنى البهجة حين وجدت نفسى أخاطب الانسان فى مصر أو ان شئت فقل فى كل مكان ٠

ولهذا فأنا أكتب عن هذا الديوان « فى غيابة الجب » راجيا ألا يكون حديثى الى الأدباء وحدهم أو الشعراء وحدهم وانما الى بنى العربية كلهم ليعرفوا ان بين ظهرانيهم شعراء وكتابا شرفاء لم يلوثوا قلمهم يوما بكلمة نفاق وانهم اذا كانوا قد ارتضوا لأنفسهم أن يختفوا عن الساحة فلانهم وجدوا فى الاختفاء كراماتهم وصونا لشرف كلمتهم واعلاء لضمير الفنان بين جـوانحهم ٠

والشاعر على الفقى شاعر على دراية واسعة بلغته تجد الألفاظ فى أبياته مستقرة مستريحة ساكنة ثائرة وتحس ان الشاعر لم يرغم كلمة أن تنسلك مع اخواتها وانما الألفاظ عنده نمير متدفق سلسل المجرى عذب النغم نفاذ الى صميم الوجدان بسحر الشاعرية وبالقدرة الفائقة التى أتاحها الله للشاعر العظيم ٠

أسمعه يقول :

كفكفى يـا نفسى دمـع الندم	ليس يأسو الجرح طول الألم
واهدئى لا تعجبى من عاطـــل	عز قــدرا ، وهو دون الحـلم
اصمتى لا تنطقى عن جاهــــل	صار بين النـاس رب القلم
ولئيــــم مســرف فى غيـــــه	ملك الأمـــر ، ولمـا يرخــم
وانظرى حولك كم من ملهم	واصرخى ياليتـه لـم يلهـم

وأسمعه يقول فى كبرياء الشاعر واعتزازه :

ومن الظلم ان ننام على الظلم	ونغضى عن كبريـات الكبائـر
ومن العجـز ان نسـلم طوعـا	والمنـايا من حـولنا والمخـاطر

ويضيق الشاعر بالحقد والحاقدين فيصيح بهم :

يا عدو الحياة كانت كما شئنا صفاء ، ورتقا ، وابتساما
تتلاقى فيها القلوب على الود وتسمو حبا ، وتصفو وئاما
جمعتها أواصر الدم والقربى فكانت محبة وسلاما
عامرات بالخير قربا وبعدا لم يزرها الخصام الا لماما
دب ما بينها الشقاق فأضحت تقطع العمر فرقة وخصاما
قد بذرت البغضاء في الشعب حتى لم يعد فيه من يصون الذماما
واذا الأبن نافر من أبيه والشقيقان قطعا الأرحاما

ولا يكتفى بهذا الحديث للحاقدين وانما هو يلحقها بقصيدة أخرى وما هذا بعجيب فنفس الشاعر صفاء وحب وما بغريب ان يرفض الصفاء الحقد وما بعجيب أن يهاجم الحب الحاقدين .. أسمعه يقول :

العداء المحموم والغل والحقد تفشى ما بين جار وجار
مضى يخرق الحواجز كالسيل يثير الشقاق في كل دار
بين زوج وبعلها بعد عمر قضياه في نعمة وقرار
بين أم وبنتها ، بين جد وحفيد نضا ثياب الوقار
بين مولى وخادم . بين بان ومقيم ، وبين كاس وعار

يثور الشاعر الكبير وهو يرى الأزهر الأشم يفقد تفرده بين جامعات العالم فيصيح بقصيدته الأزهر العتيد :

أين منك الرجال رجال الدين أين الحماة أين الثقاة ؟!
ناشرو العلم والمعارف والنور على هديهم تسير الحياة
حاملو مشعل الهدى يغمر الناس فتنجاب عنهمو الظلمات
رافعو راية الشريعة فوق الشمس تعنو لها الهامات
ناصرو الحق في السلام وفي الحرب اذا ما عدا عليه العداة
لايبالون بطش باغ ولا عاد ولم تثن عزمهم مثلات
أوهنوا الأزهر العتيد فاقعى وتولت أيامه النضرات
وذوى زهرة ، وصوح مرعا وجالت بروضه الأفات
وهوى صرحه وفرق أهليه من الدهر غربة وشتات
وانطوى عهده وشاهت مجاليه وحلت بصحنه الكارثات

ويروع الشاعر لما أصاب لغة القرآن الكريم من وهن ولما يحاول أعداؤها أن ينزلوه بها فينظم قصيدته الرائعة لغة الوحى يقول فيها :

لغة الضاد أذنت بمغيب بعد ما غاب من بنيك النحاة
نال منها المشيب في ضحوة العمر والوى بجامعيها الشتات

ومشى الداء عاتيا فى حنايـا	ها ، عضـالا تحار فيه الأساة
وبدت الكنة على السمع عجما	ورانت آياتهـا البينـــات
قوضـوا صرحها العتيد فأقوى	وتهاوى الأســاس واللبنـات
خيمت فوقهـا الكآبه والحـزن	، وراحت أيـامها المشرقـات
أعرضت ســاحة المعــاهد عنها	وأشــاحت بوجهها الجامعـات
وغدت كالغريب فى العلم الرحب	وســارت على لغاهـا اللغـات
وأين منك الحياة يالغة الوحى	ومن قاتليـــك أين النجـــاة

وأحسب أن الشاعر يحس اليوم ان اللغة لم تقتل وهيهات لأحـد أن يقتلها وهى لغة القرآن الكريم الذى وعد الله سـبحانه وتعالى بحفظه بقوله :

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »

وقد صدق سبحانه وتعالى وعده وهل ادل على ذلك من أن اللغة العربية لغة القرآن الكريم ما زالت هى لغة العرب ووحدتهم ألفا وأربعمائة عام وتزيد وستظل ٠٠ ! اطمئن أيها الشـاعر الكبير فما كان لهذه اللغة الا أن تعيش وتظل مصاحبة للحياة ما بقيت الحياة ٠٠ !!

ما على ظنى بأس

من الطبيعى أن ترد الى خطابات كثيرة ومن الطبيعى أن تكون هذه الخطابات مختلفة الاتجاهات · وليس من المعقول أن أجيب على كل خطاب يصل الى · وانما هناك خطابات بذاتها أجدها تفتح فى موضوعات أجد أن الكلام فيه عام ليس مقصورا على شخصى ولا هو مقصورا على كاتبه ·

من هذه الخطابات ذلك الذى جاءنى فى بريد هذا الأسبوع من الطالب جمال عيسى نافع بكلية الأعلام · والخطاب سؤال برىء شريف عما يدعونى أن أتجه بكتاباتى فى بعض الأحيان الى الطابع السياسى أو المضمون السياسى ويرى هو أنه أحرى بى أن أميل عن هذا الى الأدب · وخاصة فى صفحة الأدب ·

والواقع يا صاحبى ان ليس هناك أدب بغير سياسة فأنا لست أستاذا فى الجامعة أتناول الموضوعات الأكاديمية كالجمال الفنى عند البحترى وجزالة اللفظ عند المتنبى وسلاسة الأسلوب عند البهاء زهير · ولا أنا أيضا ناقد أتناول بداية الرواية فى الغرب وتطور الأساليب الروائية والنظريات الأدبية من كلاسيكية الى رومانسية الى واقعية الى دادية الى رمزية الى ما يسمونه اليجورى الى العبثية ·

أنا يا صديقى لست بهذا · انما أنا كاتب روائى وكاتب قصاص وكاتب تمثيلية اذاعية سابقا ومسرح سابقا أيضا وكاتب مقالة أدبية بما أنا روائى وقصاص · والمقالة يا سيدى نوع من أنواع الأدب لها حريتها التامة أن تتناول ما تشاء من شئون الحياة · وانما يطلب من الأديب كاتب المقال أن يظل أديبا فيختار تعبيره ويقدم مقالته بشكل فنى لا يهبط به عن المستوى الأدبى الذى ينبغى أن يتسم به ·

وليس هناك يا أخى أدب بلا سياسة فالأدب بلا سياسة لغو انما الأديب شاهد على عصره وهو لسان هذا العصر وكلمته ورأيه وصيحته وأحيانا هو صرخته ·

ولا أعرف أننى كتبت رواية بعيدة عن السياسة فان لم تكن السياسة هى أساسها فهى خلفيتها ولو أنك تتبعت معى الروائيين الذين نحترمهم

فى العالم الغربى أو العالم العربى لوجدت أن السياسة ان لم تكن صلب رواياتهم وأساسها فهى تطل عليك من خلف الرواية فى الحاح واصرار ٠

والأديب يظل أديبا فى كل فن يتناوله فهو أديب حين يكون روائيا وهو أديب حين يكون قصاصا وهو أديب حين يكون كاتب مقال ٠

فالأدب هو مرآة العصر واذا لم يستطع الأديب أن يكون ابن عصره فأولى به أن يختفى من الحياة ٠

فأنت اذا قرأت بلزاك فى فرنسا عرفت كيف كانت فرنسا فى عصر بلزاك واذا قرأت تولستوى ودستيوفسكى فى روسيا عرفت ما هى روسيا فى عصرهما واذا قرأت ديكنز فى انجلترا عرفت كيف كانت الحياة فى انجلترا فى عصر ديكنز ولعل كتابه مذكرات بيكويك يغنيك كل الغناء ويغنينى معك عن مزيد من التفصيل ٠

والأمثلة التى اخترتها أنت لى من مقالاتى أسئلة كان أولى بك أن تراها أدبا فالذى لا شك فيه أن الشكل الذى تقدمت به اليك هو شكل فنى ٠ وهذا عملى أنا ٠ أما تفسيره واستخراج ما وراءه من أعماق فهو عملك أنت ٠ فالواقع اذن أنك أنت الذى كنت سياسيا حين قرأت مقالى أو قصتى بينما لم أكن أنا الا أديبا قدم خاطرة فنية فى شكل جديد يجمع بين القصة والمقالة وليس على أنا حرج ولا قيد أن أختار لما أكتب الشكل الذى يحلو لى ٠

واذا كنت يا صاحبى قد فسرت قصتى أو مقالى تفسيرا سياسيا فهذا شأنك أنت وليس شأنى أنا وربما بل لعل الأرجح أن الغالبية العظمى من القراء قد ساروا على نهجك ونسجوا على منوالك ولكن هذا يظل شأنهم هم وليس شأنى ٠

على أن هذا الحديث ليس مانعى أن أكتب مقالات سياسية صريحة لا مجال فيها لتأويل ولا اختلاف فى شأنها عند التفسير لأن الأديب المنشىء له أن يختار لتفكيره القالب الذى يحلو له وليس عليه فى ذلك سلطان الا نفسه وما تمليه عليه ٠

ولست أدرى يا أخى لماذا تريد أن تفصل الأديب عن السياسة أليست السياسة هى العناية بأمر الشعب والعمل على اسعاده بكل الوسائل الممكنة ٠ أوليس الأديب هو ذلك الانسان الذى أصبح الشعب هو عجينته وهو دماؤه وهو شرايينه ٠ أوليس من الحتم أن يكون الأديب منقوعا فى

تقاليد بلده وقيمها تشرب كل قطرة من قطرات أخلاقها وتشكل بها حتى أصبح هو بلده وأصبحت بلده هو • فان كان الأمر كذلك وأنه لكذلك فمن يكتب فى السياسة اذا لم يكتب الأديب •

وبعد يا أخى اذا لم يكن الأديب هو ذلك الذى اعتقد أنا أنه كذلك أليس من حقه على الأقل أن يكون مصريا مثل كل المصريين • أفتسمح لكل مصرى أن يتكلم فى السياسة ولا تسمح لأديب أقل ما يوصف به أن يعرف كيف يكتب ان يكتب فى السياسة •

وأنت يا أخى نسيت ـ لا شك ـ شعر شوقى فى السياسة فهل أذكرك ببعضه • وما البأس ما دمت تحب الأدب • اقرأ شوقى وهو يصف المؤتمر الذى تم فيه الصلح بين الأحزاب :

صرح على الوادى المبارك ضاحى ... متظاهر الأعلام والأوضاح
ضافى الجلالة كالعميق مفضل ... ساحات فضل فى رحاب سماح
وكأن رفرفة رواق من ضحى ... وكأن حائطه عمود صباح

الى أن يقول :

هبت سماحا بالحياة شبابها ... والشيب بالأرماق غير شحاح
ومشت الى الخيل الدوارع وانبرت ... للظافر الشاكى بغير سلاح
وقفات حق لم تقفها أمة ... الا انثنت آمالها بنجاح
واذا الشعوب بنوا حقيقة ملكهم ... جعلوا المآتم حائط الأفراح

ويصف رجال المؤتمر فيقول :

شمس النهار تعلمى الميزان من ... « سعد » الديار وشيخها النضاح
ميلى انظريه فى الندى كأنه ... عثمان عن أم الكتاب يلاحى
عدلى الجليل ابن الجليل من الملا ... والماجد ابن الماجد المسماح
حلو السجية فى قناة مرة ... ثمل الشمائل فى وقار صاح

ويقول عن محمود باشا سليمان والد محمد محمود باشا الذى استضاف المؤتمر فى بيته :

يادار محمود سلمت وبوركت ... أركانك الهرمية الصفاح
وازددت من حسن الثناء وطيبه ... حجرا هو الدرى فى الأمداح
الأمة انتقلت اليك كأنما ... أنزلتها من بيتها بجناح
بركات الشيخ بالصعيد محمل ... عبء السنين مؤمل نفاح
بالأمس جاد على القضية بابنه ... واليوم آواها بأكرم ساح

وبعد فقد اخترت هذه القصيدة وحدها لاقنعك بها ولو شئت لذكرت لك مئات الأبيات لشوقى فى السياسة .

وبعد يا أخى فانى أشكر لك خطابك وعهد بينى وبينك وبين القراء ألا يقرأوا لى الا أدبا وكن على ثقة يا سيدى ان السياسة هى أهم ما يتناوله الأدب سواء كان هذا التناول بالمقالة الصريحة أو المقالة الرمزية أم بالرواية أم بالقصة أم بالمسرحية وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيننى أن أحفظ عهدى هذا اليك والى القراء وهو عهد قطعه على نفسه الأئمة الرواد هيكل وطه حسين والعقاد والمازنى والزيات وأحمد أمين وتوفيق الحكيم وكلهم أديب فنان . ثم جاء نجيب واحسان والسباعى والشرقاوى فكانت أغلب رواياتهم سياسية ما عدا شيخنا نجيب محمفوظ فان كل رواياته سياسية بالرمز والتنكير والتصريح أيضا ، ولو كنت تقرأ لنجيب مقاله الأسبوعى فى الأهرام لرأيت أن الأديب الفنان اذا لم يكن على أعمق وعى بحياة بلده السياسية فأولى به أن يترك مهنة الأدب الروائى والقصصى ويبحث له عن صنعة أخرى ولو انك قرأت أعمال أخينا عبد الرحمن الشرقاوى الروائية والقصصية والمسرحية لوجدت السياسة تدمغ كل سطر فيها .

وبعد يا أخى فقد كان سؤالك غاية فى البراءة والشرف ولهذا وجدت من حقك على أن أجيبك بكل اخلاص وبشىء من الاطالة أيضا . ومع ذلك فانى على استعداد أن اناقشك الرأى وانس تماما ان لى صفحة أكتب فيها فى حين لاصفحة لك فاعتبر صفحتى هذه صفحة لك حتى تقتنع أنت أو أقتنع أنا وما عليك اذا اقتنعت بأس ولا على أنا أيضا بأس اذا أقنعتنى وسلام عليك .

الأهـــرام ١٩٨٣/١/١٦ ..

لأمر فيك تجديد

يقول المتنبى :

عيـــد بأية حال عــدت يا عيـــد بما مضى أم لأمـر فيـــك تجـديد

وبيت المتنبى هذا نفحة ملهمة فهو يعلم أن الانسان دائما يهفو الى التجديد وأنه دائما غير راض ففى التجديد أمل والعيش بالأمل ولو لفترة قليلة خير من الركون الى اليأس • ولم يحدث في التاريخ أن رضى قوم عما هم فيه فان كانت تلك هى طبيعة البشر وهم فى رغد وهناء فكيف بهم اذا كانوا يلاقون من حياتهم عنتا وقد مرت مصر بفترات رهيبة وتولى المناصب فيها من يعرف كيف يكون ذليلا ومن كان هينا على نفسه فبذل من ماء وجهــه حتى نضب ماء وجهه واستطاع بالصغار أن يصبح كبيرا وبالنفاق أن يصبح ذا سلطان وفشا هذا النوع على وجه مصر حتى أصبحت لا تجد من هو جدير بمنصبه الا القليلين النادرين • ونحين يصنحب هذا أموال شحيحة بقيت بعد أن صرفت الأموال الطائلة فى مصارف بعيدة كل البعد عن مرافق مصر • وتركت مصر نهبا للزمن يأكل أنابيب المياه فيها جارية أو منصرفة والتليفونات تعمل بالحبـال لا بالأسـلاك بينما تليفونات العـــالم أجمع تعمل بالالكترونات لا بالســلوك • ووســائل المواصـلات تسلمها من لا يعرف من أمورها شيئا حتى لم تصبح هناك مواصلات وطرق القاهرة ضاقت بروادها وسياراتها لأن المال الذى كان ينبغى أن ينفق فى تلافى الكارثة قبل وقوعهـــا اســتلب لخراب مصر لا لتعميرهـا • ونرى الى اليابان التى اشتركت فى حرب عالمية ضروس خرجنا منها نحن ونحن دائنون لبريطانيا العظمى ، وخرجت منها اليابان هشيما محطما فاذا نحن اليوم نجد الطرقات فيها طبقا فوق طبق فوق طبق • أو تنظر الى ألمانيا التى خرجت من الحرب دولتين لا دولة واحدة فنجد ألمانيا الغربية مثلا أعلى فى المواصلات والتليفونات ومرافق الحياة جميعا • وتملأنا الحسرة نفوسنا والحكومة هنا تلاحق المصـــائب التى تراكمت عليها من فعل السنين ولكنها لا تحسم الأمور وتحاول أن ترضى

الشعب ولا تشركه معها فى مواجهة واقعه • ويفرح الشعب بالدعم وكأن الدعم مال مرسل من السماء وليس ماله هو ولو أن هذا الدعم نظم فلا يناله الا من يستحقه لأصبح الأمر فى شأنه مقبولا ولكننى لا أتصور أن يشترى بعضهم سيارة بخمسة وعشرين ألف جنيه وفيديو بألفين وخمسمائة جنيه وثلاجة بألفى جنيه أو ثلاثة آلاف ومع ذلك يستفيد من الدعم فى البنزين والسجائر ورغيف العيش والدواء • والنتيجة أننا لا نجد الدواء • وهو الدواء •

وادراك الأزمة ليس بالكتابة عنها فى الصحف ولا بالرسوم الكاريكاتيرية وليس ادراك الأزمة بأن نجعل موضوعها أحاديث الصباح وسمر المساء انما ادراك الأزمة يكون بمواجهتها ولست اقتصاديا حتى أقحم نفسى فى وسائل هذه المواجهة وانما الذى أعرفه تمام المعرفة وأثق فيه • انه ليس من العدل أن ينتهب أموال الدولة شخص قادر على أن يركب سيارة فاخرة ويستمتع بفيديو ويدخن • وعلى الدولة وحدها أن تعرف كيف تضع الفروق بين الذين يصارعون الحياة ليحصلوا على لقمة العيش فتدعم لهؤلاء عيشهم وتيسر لهم بعض اليسر فى عنت حياتهم وبين أولئك الذين يستمتعون من الحياة بكل ما تمنحه الحياة من متع ثم هم بعد ذلك يغولون الدولة ويقبلون لأنفسهم أن يشتروا الرغيف والسجائر والكستور والغاز والكهرباء مدعومة من الدولة • هذه الدولة التى ينبغى أن يدعموها هم بالضرائب المفروضة على دخولهم حتى تستطيع أن تواجه الالتزامات المفروضة عليها نحو غير القادرين •

ان يكن الدواء مرا فالمرض أشد مرارة وان تكن القوانين تبدو قاسية فى مظهرها فهى عادلة فى غاياتها وأهدافها والشعب لابد أن يدرك أن هذا الدعم انما يقتطع من قوته هو وانه انما يصرف فى مصارف غير عادلة •• ما دام يذهب الى القادرين فى وقت نحن فى أشد الحاجة اليه لنواجه المرافق المتهرئة والديون التى ما تزال تزداد فى كل عام •

ولابد أن يعرف كل فرد من هذا الشعب فقيرا كان أو غنيا أن كلمة مصر تعنيه هو وتعنى زوجه وابنه وليس يكفى أن نبكى من أجل مصر ودواء مصر فى جيوبنا لا نخرجه لتتداوى به ونتداوى به نحن أيضا • والغنى لابد أن يعرف أن مصر اذا لم تحصل على الازدهار المالى فغناه الى فقر بل ان غناه الذى يظن انه يتمتع به انما هو وهم قد يطلع عليه صباح فيجده فقرا وجوعا ومسغبة وشقاء •

واذا كان الغنى لا يعف عن الدعم فهو خائن لنفسه قبل أن يكون خائنا لوطنه وهو معتد على أبنائه قبل أن يكون معتديا على بلاده •

مايو ١٩٨٣/١/٣١ ••

أدب السياسة ٠٠ وسياسة الأدب

الأستاذ جمال عيسى نافع الطالب بكلية الاعلام أرسل الى خطابا آخر يقارع فيه حجتى بحجته والخطاب جدير بكل اهتمام فالموضوع الذى يثيره الأستاذ نافع موضوع عام لا يجوز أن يترك فيه الرأى مائعا غير واضح المعالم فهو يقول مثلا أن الأستاذ نجيب محفوظ يكتب رأيه السياسى فى الصفحة المخصصة للسياسة فى جريدة الأهرام فى حين أكتب أنا رأيى السياسى فى الصفحة المخصصة للأدب وردى على ذلك يسير قريب فأولا الأستاذ نجيب ليس له صفحة أدبية فى الأهرام ولو خصصت له صفحة لكتب فيها رأيه السياسى لأنه يرى كما أرى أنا أن الكتابة فى السياسة أدب ما دام التناول أدبيا أما رأيك أن كتابتى حزبية فالشيوعية كما تعلم نظرية تبحث فى الدين والسياسة والمجتمع والأدب ومناقشة هذه الآراء جميعا مناقشة سياسية لا شك فيها أتناولها أنا ــ فيما أظن ــ بأسلوب أدبى ٠ ورفض الشيوعية فى رأيى موضوع قومى وليس حزبيا لأنك تعرف لا شك أن الشيوعية ترفض القومية وترفض الانتماء الى الوطن ٠ أما اذا تناولت فى صفحتى من يعتدى على انسانية الانسان وكرامة البشر فأنا أديب كاتب أنادى بما ينادى به أى أديب فى العالم أجمع ٠٠ وحين أهاجم فى مقالتى من حرضوا على سحق الانسان وامتهان كرامة الآدمى وانتهاك أبسط ما ينبغى أن ينال البشر من حقوق فأنا انسان أولا وأنا أكتب فى الأدب وسواء عندى اعتبرته أدبا سياسيا أو سياسة أدبية ٠

أما الأمر الثانى الذى تثيره يا أخى هو سؤالك الذى تبنيه على سؤالى فأنا أسأل فمن يكتب فى السياسة اذا لم يكتب الأديب وبناء على هذا السؤال تتساءل أنت فمن يكتب فى الأدب اذا لم يكتب الأديب وكنت أريدك أنت أن تجيب على هذا السؤال ٠ والجواب واضح أنه هو الأديب أيضا يكتب فمن قال أن الأديب اذا كتب فى السياسة امتنع عليه أن يكتب فى الأدب هل قلت أنا هذا وهل تتصور ان أقوله ٠ حين أقول ان الأدب بلا سياسة لغو انما أقصد أن يكون الأديب على أدق علم بالحياة السياسية حوله ثم ليس من الحتم بعد ذلك ألا يكتب الا سياسة فأننا اذا أخذنا بهذا الرأى ألغينا التراث العربى القديم كله وما ظننت لحظة أنك تتوهم أننى أفكر هذا التفكير ٠ كل ما أريد أن أصل به اليك أن الأديب لابد أن يكون شاهد عصره ثم هو على كامل حريته بعد ذلك أن يكتب أدبا

خالصا أو أدبا سياسيا • وأريد أيضا ان أصل اليك برأى آخر أكثر أهمية ان كتابة الأديب فى السياسة لا تقصيه عن الأدب بل هى تجعله فى صميم فن الأدب وهكذا يا سيدى يظل كل من ذكرتهم من الشعراء مثل قيس وابن أبى ربيعة ومن لم تذكر أكثر ممن ذكرت مئات ومئات يظل هؤلاء جميعا شعراء من أعظم الشعراء •

أما التناقض الذى ترى اننى وقعت فيه فانى آسف أن أقول أنك أنت الذى وقعت فيه فحين أقول اننى كتبت خاطرة فنية فى شكل جديد يجمع بين القصة والمقالة بعد أن قلت أننى لم أكتب رواية أو قصة بعيدة عن السياسة لا أتناقض أنا مع نفسى • فالسياسة حين تكون فى خلفية الرواية أو القصة أو المقالة لا تحتم على القارىء أن يقرأها على أنها سياسة لأننى لم أكن سياسيا صريحا فيما كتبت فحين تفهمها أنت فهما سياسيا محددا تصبح أنت السياسى الصريح لا أنا • أما انك تريدنى أن أكتب السياسة فى مجلة مايو والأدب فى جريدة الأهرام فأنت بهذا تفرض على ما أكتب وما أظنك تريد هذا أما أنا فلم أقبل بعد من أحد أن يفرض على ما أكتب •

وأما التحليل الذى قرأته لبعض القصائد والذى تشير اليه فتأكد يا أخى وما لى لا أقول يا بنى أننى قرأت من أمثاله طول حياتى وان كان لى أسلوب أكتب به وثروة لفظية تعيننى على أن أقول ما أريد فما اكتسبتها الا من هذه القراءة وأمثالها •

أما المثل الذى اخترته لى أنه أدب أعجبك فى مقالى عن الأستاذ على الفقى فأنك لو أنعمت فيه النظر لوجدت السياسة تسيطر عليه أيضـــا والألفاظ التى أعجبتك منه تؤكد ما أذهب اليه أنا أن الكتابة فى السياسة لا تعوق الأسلوب الأدبى أن يأخذ طريقه ومجراه •

وعلى سبيل التذكير سأقدم لك من روايات شوقى التى يعتبرها الجميع أدبا خالصا لا شك فيه سياسة لا يختلف حولها اثنان اقرأ معى فى مجنون ليلى وهو يقول :

ليـــلى : دار النبى كيف خلفتهـــ كيف تركت الأمـــر فيها يساسى

ابن ذريح : تركتها بالليل مضبوطة يحكمهـــا وال شـــديد المراس

كـــلام النـــاس فى يثـــرب همس وخطو الناس فيها احتراس

واقرأه معى وهو يقول على لسان الأخير :

نصيب صـــه ولا تســـلكن بنـــا مســـالك التهـــم

نحـــن رجـــــال دولـة قوامـة عـــلى الأمـــم
ليس بعينهـــــا عمـــــى ولا بأذنيهـــــا صـــــمم
تســـمع فى ظـــل القصـــور همس رعيـــــان الغنـــم

اتشك يا بنى لحظة ان هذا الشعر فى صميم السياسة فاذا شـككت فاقرأ معى ما يقول فى روايتـــه الخالدة كليوباترة

اســـمع الشـــعب ديـــون كيـــف يوجـــون اليـــه
مـــلأ الجـــو هتـــافا بحيـــــاتى قـــاتليه
أثـــر البهتـــان فيـــه وانطلـــى الـــزور عليـــه
يـاله مـــن ببغـــــاء عقلـــه فى آذنيـــــه

واليـــك :

هتفوا بمن شرب الطلا فى تاجهم وأصـــار عرشهمو فراش غـــرام
ومشى على تاريخهـــم مســـتهزئا ولو اســتطاع مشى على الأهـــرام

واقرأ قصيدة كليوباترة فى وصفها لمعركة اكتيوما واقرأ روما حنانك واغفرى لفتاك ٠

يا بنى لا سبيل للنقاش لقد اختلطت السياسة بالأدب فى العصر الحديث وهيهات هيهات وألف هيهات أن يستطيع أحـد أن يفصـــل بينهما ٠٠٠ ومرة أخرى انى أحييك ٠

الأهـــرام : ١٩٨٣/٢/٦ ٠٠

الجاهلية الحديثة

لغة النقاش واسلوبه هما أهم معالم الحضـارة • فالمتحضر الذى يستطيع أن يقارع الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان والدليل بالدليل انسان يتكلم عن حضارة ويصدر فى رأيه عن عقيدة ويواجه النظرة الأخرى بوجهة نظره هو من داخله لا من داخل منفعته •

والقرآن الكريم قمة الحضارة الانسانية يقول الله فيه لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم : « وجادلهم بالتى هى أحسن » ذلك أن حجة القرآن الكريم الهية لا شك فيها ومن أكثر ثقة بحجته من خالق البشر أجمعين •

ولكن الكفار حين كانت تقرعهم الحجة ولا يستطيعون معها مواجهة يفرون من العقل والمنطق والمجادلة بالتى هى أحسن الى اللجاجة الحمقاء والهجوم الدنىء والاعتداء على النبى الأجل صلوات الله عليه وسلامه وعلى صحابته والتابعين بكل وسيلة حقيرة يملكونها ولذلك لم يكن عجيبا أن يندب النبى عليه الصلاة والسلام حسن بن ثابت ليرد بشعره على هجاء الكفار ويحطم بلسانه الحديد ايذاءهم للنبى صلى الله عليه وسلم •

وقد كان الكفـار لا يحكمون عقلهم وانما كانوا يحكمون جاهليتهم وصوالحهم المالية • فمنهم من كان يتاجر فى الحريم وكان هؤلاء يسمون بأصحاب الألوية الحمراء • ويبدو ان هذه التجارة لم تكن مجلبة لسقوط الكرامة فى عصر الجاهلية وكانوا فى جاهليتهم يعتمدون على الربا • وقد حرم الاسلام الربا وكانوا يعتمدون على المراهنة وقد حرم الاسلام القمار ، فالعقل اذن ليس له شأن مطلقا بدفاع الكفار عن كفرهم • وانما الأموال التى كانت تنهمر عليهم من جاهليتهم هى التى كانت تتحكم فيهم • واذا ذكرنا الى جانب ذلك ضياع هيبتهم بجانب هيبة النبى عليه الصلاة والسلام وانهيـار كبرهم الكاذب مع المسـاواة التى جاء بها الاسلام فجعلهم هم وعبيدهم عند الله سـواء الأمر الذى محق نعرتهم الجاهلية وانتفاخهم الأجوف عرفنا ان الاسلام كان وبالا عليهم فى كل ما يقدسونه وما كانوا يقدسون الأوثان والأصنام وانما كانوا يقدسون المال وان كان من الألوية والتكبر الفارغ فما كان عجيبا منهم أن يرفضوا الاعتراف بأنه الا اله الا الله

وأن محمداً رسول الله • فقد كان كل فرد منهم يظن انه لا اله الا هو ذاته وأنه لا يحتاج الى رسول بشرا كان ذلك الرسول أم كان ملاكا •

وموقفنا من الشيوعيين فى هذه الأيام هو موقف الحق من الجاهلية منذ ألف وأربعمائة عام •

كلما جادلهم مجادل بالحسنى انهالوا عليه بالسب والهجوم والتطاول ذلك أن الأسباب التى تقف وراء الشيوعية فى نفوسهم هى نفس الأسباب التى كانت تقف وراء نفوس زعماء الجاهلية وكبرائها •

نسأل الشيوعيين : أليست النظرية ملحدة بطبيعة تكوينها فيقولون من أنتم حتى تحكموا على الملحدين والمؤمنين فنقول لهم ان النظرية شيوعية وأنتم بانتمائكم اليها تعلنون الحادكم • فالأمر لم يصبح بين الفرد منكم وربه وانما أصبح معلنا ومشهرا لا حاجة معه الى اجتهاد أو رأى • فيشتمون ويسبون لأن الحاجة انقطعت وليس لهم غير الشتم وسيلة !! •

نقول لهم ان الشيوعية قتلت ٦٠ مليون مواطنا روسيا فى احصاء علمى منذ بدأت الى أن مات ستالين فيرموننا بالكذب وبكذب الاحصاء فنقول فان كان الاحصاء كاذبا فما هو الاحصاء الصادق فتغلق دونهم المسالك ويسبون ويشتمون •

نقول لهم ان الدول التى فرضت عليها الشيوعية جميعها لم يكن للشعب نصيب فى اختيار الشيوعية بها وانما فرضت عليها النظرية وتطبيقها بقوة السلاح والدليل على ذلك ان كل هذه الدول حاولت ان تزيح نفسها من جنة الشيوعية ، ونذكر المجر وتشيكوسلوفاكيا وبولندا وغيرها ونذكر مقتله مائة وستين ألفا من المجر عام ٥٦ وقول المذيعة الشيوعية نعم قتلوا مثل هذا العدد ولكن الذين قتلوا انما هم الضالون أعداء الشعب ونسألهم من الشعب اذن اذا كان القتلى منهم مائة وستين ألفا • فيسبون ويشتمون • !

ونسألهم اليوم ما رأيكم فى أفغانستان ولا نزيد • فالأنباء التى ترد الينا منها أكبر من أى تعليق فيسبون أيضا ويشتمون • والسب والشتيمة لا يقيم حجة ولكن أليس من حقهم علينا أن نرثى لهم لانعدام الحجة بين أيديهم أو — على الأقل — لاضطرارهم الحتمى أن يخفوا الأسباب الحقيقية التى تجعلهم يكفرون بالله ويؤمنون بالشيوعية • وماذا يمكن أن ننتظر منهم ان يقولوا • لو كان أرباب الجاهلية كشفوا عن الأسباب الحقيقية التى جعلتهم يحاربون الاسلام لكشف هؤلاء عن الأسباب الحقيقية التى جعلتهم يعتنقون مذهبهم الذى به يدينون • !

ولكن أترى يحق لنا أن نعجب أن تمر ألف وأربعمائة عام ونيف والنفوس هى النفوس ونعجب أن تمر هذه الأحقاب والأجيال ويظل المال الدنس مسيطرا على ايمان فئة من الناس • ولكن ما العجب انما هم ناس من الناس كذلك هم فى الجاهلية كانوا وكذلك هم فى قمة الحضـــارة والمدنية ما يزالون والأمر من قبل ومن بعد لله الواحد القهار •• !!

مايو ١٩٨٣/٢/٧ ••

انها لكبيرة .. ولكن ما أهونها

من أعجب ما يثيره أولئك الذين يرفضون السلام ان هناك غزوا فكريا ستمنى به مصر ، وأسأل ومن الغازى ؟ ! . وتتمـاع الاجابات وتختلط فلست تعرف منها سمة ولا تتبين لها خطوطا ، ثم يقول قائلهم ومن اسرائيل . وتثور ثائرتى . أهذه الدولة التى لم تنشأ بعد والتى تترنح لغتها الأدبية بين لغات العالم أجمع تغزو مصر جميعا غزوا ثقافيا ! فياالهوان آنفسنا على أنفسنا وكأننا لا ندرى من نحن .

نحن مصر رواد الثقافة فى الشرق أجمع لغتنا هى لغة القرآن اللغة الوحيدة التى نزل بها كتاب سماوى ، وظل على لفظه وحرفه ألفا وأربعمائة عام لم يتغير منه جزء من حرف .

شعرنا هو شعر العرب وروايتنا هى رواية العرب وقصتنا هى قصة العرب ومسرحنا هو مسرح العرب . وفننا هو فن العرب نحن أصحاب الأفلام السينمائية العربية فى الشرق كله وغناؤنا هو الغناء الوحيد الذى يردده العالم العربى كله . نحن هؤلاء .. يغزو ثقافتنا قوم يكتبون أدبهم بكل لغات العالم . واذا شاءوا أن يدرسوا الأدب العربى ويكتبوا عنه درسوا أدبنـــا نحن وكتبنا نحن وروايتنا نحن . أهؤلاء القوم الذين ما يزالون يصارعون الزمن ليثبتوا أحقيتهم فى الأرض التى يقيمون عليها يغزون مصر التى ينغرس تاريخها فى أعماق الزمن منذ سبعة آلاف عام .

وهناك ما نشر منذ أيام أنهم وجدوا آثارا بالاسكندرية عمرها سبعة آلاف عام . أمثلنـــا نحن يغزوهم شعب لا قومية له وانما هو فرق من شتى دول ومن مختلف جنسيات ومن ألوان متباينة متباعدة لا يجمع بينهم وطن واحد بل لا تجمع بينهم منطقة بل لا تضم خيوط أنسجتهم قارة . فمنهم الروسى ومنهم الأمريكى ومنهم الفرنسى ومنهم الانجليزى ومنهم المصرى ومنهم السورى ومنهم اللبنانى ومنهم من كل بلد فى العالم فرقة . أهؤلاء يغزون مصر ثقافيا .

ولكن ما العجب ؟ .. والذين يثيرون هذه القـالة هم الشيوعيون الذين لا يعترفون بالوطن أبا ولا بالقوميــة أما ولا بآصرة التاريخ نســبا وقربى . انهم فقط يريدون أن يشوهوا السلام الذى حصلنا عليه والذى

استعدنا به أرضنا وأمن به طائرنا واستقر معه مضطرب حياتنا . الذين كانوا هم السبب الأول فى اضطرابه وانقضاضه . وحين نحاول اليوم فى ظل الأمن الذى مده علينا السلام أن نربط ما تقطع من أوصال مرافقنا ، صرخوا بنا الغزو الثقافى أو راحوا فى تبجح لا يتمتع به الا الكفرة يعيبون هم ما خربوا بأيديهم من جنبات حياتنا ويعيرون مصر بالمياه الفائضة أو الغائضة أو التليفونات .

الا فليعلم هؤلاء الذين برعوا فى تركيب الجمل ذات البريق الخادع والألفاظ ذات المدلول الكاذب ان شعبا فى العالم لا يستطيع ان يغزو مصر غزوا ثقافيا ، وقد حاولتم أنتم وتحاولون وتستميتون فى محاولاتكم .. ولكن كل جهدكم مصيره الفشل الكامل الذريع ولن تستطيعوا أن تمسوا ثقافة مصر ولا دين مصر ولا قومية مصر ولا تستطيع أمريكا وهى أمريكا ولا تستطيع أى دولة أو جماعة أن تقترب من ثقافة مصر . فاذا اقتربت فستأخذ ثقافة مصر ما يزيدها قوة ومنعة وعنفوانا ورسوخا وشموخا .. وتبقى . والدليل على ما أقول حاضر من قريب ومن بعيد . فأما القريب فأنتم قد استوليتم على أقدار مصر فى الستينات وقلتم تقدمية عن مذهبكم وقلتم رجعية عن ديننا ولغتنا .. ثم حاكمتم الله ورفضتكم مصر ولم يكن شعورها نحوكم الا مقتا وسخرية واحتقارا وبقى ديننا وسيبقى ، وبقيت لغتنا وستبقى .

أما الدليل من بعيد فقد احتل نابليون مصر وحاول أن يخادعها باسلام منه كاذب ليتسلل الى ثقافتها وقوميتها فما استطاع وانما اكتسبت مصر من الحضارة الغربية ما دعمت به لغتها وقوميتها وازدادت الثقافة المصرية عظمة وجبروتا ومنعة .

وأعقبه الانجليز وحاولوا ما حاول بسلاح المحتل وجيشه وجبروته فاذا محاولاتهم تجعل المصريين ينتبهون الى الخطر الذى يريد أن يقترب منهم فاذا العباقرة فى كل علم وفن ينبثون متفجرين حرابا فى صدور المحتل وينشأ ذلك الجيل العجيب فى كل ألوان الثقافة وأنواعها ونرى هيكل وطه وحسين والحكيم والمازنى والعقاد وعبد العزيز فهمى ومرقص فهمى وعلى ابراهيم والمنياوى ومشرفة وغيرهم وغيرهم مما لايحصيهم العدد . واذا الانجليز أنفسهم يعترفون بعبقرية المثقفين المصريين ويستعين علماؤهم بعلمائنا .

وبعد فصيحوا أنتم وهللوا بلغوكم ما شئتم فان مصر التى رفضتكم حكاما سيزداد رفضها لكم دجالين ومخرفين وكفرة .

مايو ١٩٨٣/٢/١٤ ..

الأدب ٠٠ والطبول !

الكاتب انسان ، وليس انسانا من لا ضعف فيه والأصل فى الكاتب انه وجد نفسه محبا للأدب مكبا عليه تمسك الهواية بتلابيبه وبمجامع نفسه لا يستطيع عنها فكاكا ولا عنها منصرفا ٠ ولذلك أحار حين يسأل المذيع أو المذيعة كاتبا « كيف بدأت هوايتك للأدب ؟ » وأعجب من السؤال وأجده فى منتهى السذاجة فهو أشبه بمن يسأل انسانا ما كيف وجدت عينيك خضراوين ؟ أو كيف أصبحت طويلا أو لماذا خلقت قصيرا ؟ ٠ فالأمر فى الهواية جزء من الطبيعة مركب فى النفس مفروض عليها فرضا ٠ ويذهب الشباب الى الكتاب المعروفين يسألونهم كيف نجد طريقنا فى الأدب ٠ وكأنه يسأل عن عنوان بيت وينتظر من الكاتب القديم أن يقول له مل يمنة ثم يسرة ثم امش الى آخر الشارع تجد الأدب ينتظرك ٠ ان الأدباء فى جميع أنحاء الأرض وجدوا أنفسهم أدباء وحركتهم غريزتهم الى ما يقرأون والى ما لا يقرأون وأغلب الأمر أنهم حين بدءوا القراءة لم يكونوا مصريين أن يصبحوا كتابا وانما وجدوا متعتهم وهواء حياتهم الذى ينشقونه فى رائحة هذه الكتب حتى لا حياة لهم دون أن يقرأوا وهم يقرأون كل شيء وأى شيء فى نهم لا ينتهى الى شبع بل كلما ازدادوا قراءة ازدادوا نهما للقراءة واعرف منهم من كان يقرأ كتابين وثلاثة كتب وأربعة فى وقت معا وهو لا يسأل نفسه لماذا يقرأ ولا يفكر حتى ان يسأل نفسه انها متعته التى لا تماثلها متعة فى الحياة ٠ ثم يأتى على هذا القارىء حين يحس انه يريد أن يكتب وأنه يريد أن يقول شيئا ٠ وهنا يبدأ شقاء المتعة ويغفر طريق الآلام فاه أبشع ما تكون الآلام ٠ فالقراءة متعة خالصة ليس يعنى القارىء رأى الآخرين فيما يقرأه وانما هو يستمتع فقط أما حين يبدأ الكتابة فان مصيره أصبح معلقا بالآخرين ٠ وهؤلاء الآخرون لا يرحمون ولا تنفع عندهم شفاعة ولا يجدى لديهم رجاء ٠

ولكن هذا لم يمنع بعض كتاب أن يبدءوا كتاباتهم ويلازموا بدايتهم بطبول وقد مارسوا أعمالهم الأدبية بمصاحبة هذه الطبول ولكن اهتمامهم بالدعاية لهذه الأعمال كان أضخم بكثير من اهتمامهم باتقان أعمالهم الأدبية٠ وقد نجح بعضهم ان يصدروا أسماءهم فى عالم الأدب لا بفضل طبولهم ولكن لأنهم فعلا كانوا على نصيب لا بأس به من الاجادة ٠ وان كانت

الطبول تعطيهم أكثر من حقهم بعض الوقت فان أصـــوات هذه الطبول ستخفت ويبتلعهـــا الزمن فيما يبتلع ولا يبقى منهم ولا لهم الا الأدب الأصيل .

فكم من أديب كان مع ابن المقفع ومع الحريرى ومع بديع الزمان وهؤلاء الأدباء كانوا أكثر شهرة فى هذه الأزمان من هؤلاء العمالقة ولكن ما أسرع ما انحسرت عنهم الشهرة ونخل الزمن الأعمال ولم يبق منها الا الباذخ الرفيع الذى فرضه الزمن على البقاء .

وهناك مثال آخر فالأصفهانى كان يكره المتنبى كراهيـة شخصية ولذلك حرص الا يذكر عنه كلمة واحدة فى كتابه الخالد الأغانى ومع ذلك اخترق المتنبى جدران الأجيال وظل أعظم شعراء العربية حتى ظهر شوقى وهذا رأيى أنا وان كان آخرون يرون ان شوقى لم يلحق به ولكن المتنبى يظل هو المتنبى على رغم الأصفهانى وألف أصفهانى معه . وخلود المتنبى لا يرجع الى الطبل الكثير الذى أطلقه حول نفسه وانما هو خلد برغم هذا الطبل لأن شعره هذا لابد أن يخلد ولا يستطيع انسان كائنا من كان أن يرده عن الخلود وكما لا يستطيع انسان أن يرد كاتبا أصيلا عن الخلود لا يستطيع أحد ولا جماعة أن ترغم كاتبا أو فنانا على الجمهور . وكم قرأنا عن سلاطين حاولوا أن يضموا الى بلاطهم شعراء ليجعلوا منهم متنبين (جمع متنبى) أو بحاترة (جمع بحترى) أو نواويس (جمع النواسى أو أبى نواس) فخاب فال السلاطين وظل العمالقة عمالقة والأقزام أقزاما وأجاز الخلود هذه الحقيقة فبقى العظماء وضاع المهازيل فى زحمة الأيام .

وفى الستينيات من هذا القرن حاول الشيوعيون أن يخلقوا كتابا واستصدروا من ذوى السلطان فرمانات بتعيين مهازيل هيـاف روائيين وقصاصين وشعراء وكانت فرمانات هذا العصر مصحوبة بالقهر والسطوة والجبروت وكان الناس ينفذون كل فرمان يصدر لهم اتقاء لهذا القهر وتلك السطوة وذلك الجبروت . الا فرمانات الأدباء والروائيين والقصاصين والشعراء فقد رفضها الناس وخاب الشيوعيون فيما سـعوا اليه خيبة واسعة .

وكيف كان لهم ان ينجحوا وقد حاولت دولتهم الأم روسيا السوفيتية أن تخلق روائيا أو قصاصا فحبط سعيها وخاب فالها ومات بسترناك وهرب سولجستين .

وتعسفوا فى محاولاتهم هذه حتى أصـــدروا أوامرهم فى روسيا يمنعون بها الناس أن يقرأوا لبعض الكتاب العالميين فذاعت كتب هؤلاء الكتاب حتى اضطرت أن ترجع روسيا عن أوامرها تلك .

وذلك لأن الأدب الخالد يحطم أوامر السلطان حتى ولو كان سفاحا القتل أقل ما ينزله من عقاب ·

والأدب حرية فحين حاولت روسيا أن تلزم كتابها الا يكتبوا الا فيم يريد الحزب أن يكتبوا مات الأدب السوفيتى وخلد من رفض هذه الأوامر مثل د· جيفاجو وكل كتب سولجستين ·

وهكذا لا حيلة مع الناس ان يفصلهم أحد أو جماعة أو حتى دولة عن كاتب أحبوه أو يصلهم أحد أو جماعة أو دولة بكاتب رفضوه ·

ولكننى فى الحق أحس وخزة ألم حين أجد كاتبا لا يعرف قيمة القلم الذى يمسك به · وحين أقول كاتبا فانما أقصد من يستحق هذا اللقب ، وهو ذلك الذى أسبغ الله عليه موهبة الكتابة وجعل له قراء يعجبون به ويرضون عما يكتب · هذا الكاتب أحس وخزة ألم اذا رأيته يسعى وراء الصحافة والاذاعة والتليفزيون ليذيعوا اسمه ويعلنوا عنه ويحدثوا له ذكرا ·

فاعتقادى أن الكاتب الحق يجب أن يعرف مكانته · وهى اسمى بكثير جدا من أن يستجدى معها اذاعة اسمه فى جريدة بطريقة معينة كأن يكون فى الصفحة الأولى وأن يكون اسمه بحجم معين أو أن يتوسل الى التليفزيون أو الاذاعـــة كل هـــذه الأشــياء تجعلنى أحس أن الكاتب لا يدرك قيمة أن يكون كاتبا واذا اغتفرنا هذا لشاب يبدأ حياته الأدبية فأنا لا أستطيع أن أقبله من كاتب استقر اسمه بين الكتاب · كذلك يقع فى نفسى أسوأ وقع أن أرى بعض كتاب يدورون بالهدايا العينية والمثلية على من يستطيع أن ينشر عنهم خبرا أو كلمة أو حكاية سخيفة ، فان أمثال هؤلاء يسيئون الى أنفسهم والى مكانة الأديب شر اساءة · وتبلغ الاساءة ذروتها حــين يذيع بعض الكتاب المســتقرين أخبارا عن أنفســهم لا تتصل بسبب الى الحقيقة والأمر فى شأنها سرعان ما ينكشف ثم يبلغ مبنى الألم أقصاه حين أجد هذا الكاتب المختلق جامد الحس لا يمس الحياء ذرة من كيانه أو قطرة من ماء وجهه ·

اذا لم يعرف الكاتب قيمته ويرتفع بها عن الصغار فانه بهذا لا يشين نفسه وحده وانما يشين معه كل من ينتسب معه الى أقدس مهنة عرفها التاريخ ·

وكفى بمهنة الكتابة شرفا أن الله اختار الكتاب ليكون معجزته الخالدة على مدى الزمان وكفى القلم شرفا قوله تعالى « ن والقلم وما يسطرون »

الأهـــرام ١٩٨٣/٢/١٤ ··

اذا رضيت فحسبك

قال صاحبى :

ــ اننى فى موقف ما أظن أن أحدا شهده قبلى • لى صديق رقيق الحال أعينه على الحياة ما أتاحت لى الحيــاة أن أعين • وقد وقفت الى جانبه منذ عرفته ونحن صبيان فى معاهد الدراسة الأولى • ولم يكمل هو تعليمه واستطعت أن أسعى له أن يعين بما نال من شهادة متواضعة ثم مرت بنا الحياة لا يفارقنى فهو يسعى الى فى أوقات متقاربة يستعيننى فأعين ان كان بمال فبمال أو كان برجاء لدى مسئول فبرجاء حتى أصبح يعتبرنى مسئولا عنه مسئولية شخصية واستقر فى نفسه ان من حقه أن يطلب دائما واستقر فيها أيضا ان ليس من حقى أن أرفض أو أتردد أو أفكر فى التردد •

وحين تمر السنوات الطوال على منوال واحد يصبح نسيج هذا المنوال أمرا مفروغا منه لا يقبل التعديل أو التغيير • وهكذا استقرت الصلة بينى وبين هذا الصديق • ولكن النفس لا تستطيع أن تطمئن الى وضع هى غير راضية عنه • وهذه النفس شأنها عجيب فهى قد تقبل الأمر لسنوات طوال ثم فجــأة تنفجر ثائرة وتأبى ما كانت ترضاه وترفض ما كانت تقبله •

وقد ثارت على نفسى فى هذه الأيام والعجيب أن عقلى يؤيدها فى ثورتهــا ••

•• فأنا شخص أسعد بعمل الخير • وأحمد الله دائما كلما أمكننى أن أقدم معروفا لانسان وأشعر أن الله يكرمنى بأن جعلنى أستطيع أن أكون ذا فائدة لانسان • مهما يكن شأن هذا الانسان • وأنا يا صاحبى لم أرد طالب حاجة أستطيع أن أقضيها قط أو أنا على الأقل لا أذكر اننى فعلت ذلك فى حياتى • ولم أفكر يوما أن يكون هذا الذى أسعى له عدوا أم صديقا • ولكن نفسى مع ذلك ثائرة على بشأن هذا الصديق فى هذه الأيام ثورة عارمة لا تهدأ ولا تستقر بى على قرار •

أما أن عقلى يؤيدها فهذا أمر طبيعى فصديقى هذا الذى حملت عبء حياته طوال حياته يملك قدرا من الحقد لو وزع على العالم أجمع لجعلهم

جميعا حاقدين • قد يشكر لى المعروف حين أقدمه ولكنه لا يستطيع أن يخفى عن عينيه ذلك البريق الخاطف من الغضب أن يدى هى التى تعطى ويده هى التى تأخذ واننى المفضل دائما فى حين هو المفضول على سبيل الدوام والاستمرار وبغير استثناء •

قلت لصاحبى •

ـ ما الذى يغضبك من حسده •

قـال :

ـ الحسد نفسه •

ـ والذى يغضبك من الحسد •

ـ قد لا يعنينى الشكر وقد لا يعنينى أيضا أن أحس اننى صنعت الجميل فى مكانه أو فى غير مكانه أما ان ينقلب ما أقدمه من خير حسدا على •

ـ ألا تشعر بالسعادة وأنت محسود •

ـ أشعر بالتعاسة أن يحسدنى من أقدم له الجميل •

ـ فأنت المخطىء اذن وليس هو •

ـ خطأ لا أستطيع أن أصححه • انه شعور منى بالغضب لا أستطيع أن أتقيه •

ـ أعتقد أن غضبك فى غير موضعه • فالذى يحسدك ينال جزاءه من داخل نفسه • فهو يحترق بغضبه وأنت لا ينالك من حسـده شىء يضيرك •

ـ ألست انسانا •• أليس لى الحق ان أشعر بسعادة الذى أقدم له المعروف • فاذا رأيت فى عينيه بدلا من هذه السعادة حقدا وحسدا الا يحق لى أن أغضب • أو أحزن على الأقل •

ـ هل سألت نفسك يوما لماذا تقدم الخير لمن تقدمه له •

ـ لا والله ما فعلت •

ـ فانت اذن تقدم الخير عن طبيعة لا عن تصنع •

ـ أو أقدمه لأننى لا أفكر أن أمتنع عن عمل خير أستطيع أن أقدمه •

ـ لم يختلف الأمران •

ـ ولكن الطرف الآخر ٠٠ ألا يشكر ٠

ـ وماذا يعنيك من شكرانه ٠

ـ أليس من الطبيعى أن أحس أننى أسعدته ٠

ـ اذا كان هذا هدفك أصبح ما تطلبه من حقك ٠

ـ لا ٠٠ أنا لا أظن أن هذا هو هدفى ٠

ـ الحقيقة أنك تشعر بالسعادة لأنك قدمت خيرا وأنت بهذه السعادة قد نلت مكافأتك وليس من حقك أن تطلب أكثر من هذا ٠ بل اننى أعتقد أنك نلت بسعادتك أعظم الجزاء فماذا تريد أكثر من هذا ٠

ـ لعلك على حق ٠

ـ لقد فعلت خيرا وسعدت به ونال المفضول خيرا وشقى به فكلاكما نال الجزاء الذى يستحقه وهو جزاء عادل لا ظلم فيه ٠

ـ ولكننى مع ذلك كنت أرجو أن أجده سعيدا ٠

ـ ان الحقد والحسد مرضان فلماذا تشقى أنت بمرض غيرك ٠

ـ أليس من الطبيعى أن يشقى الانسان لمرض الآخرين ٠

ـ اذا لم يكن هؤلاء الآخرون هم الذين يصنعون أمراضهم بأيديهم ٠

ـ ومن يدرى أليس من الممكن أن يكون الله قد خلقهم مرضى بالحسد والحقد فأفقدهم الشعور بشكر المعروف ٠

ـ لقد بدأت تدافع عنهم ٠

ـ أهذا دفاع ٠

ـ لقد جعلت من أمراضهم أمراضا خلقية ٠

ـ ألا يجوز هذا ٠

ـ لا أظن وانما أعتقد أنهم هم الذين يغذون الحقد فى نفوسهم ويمرنون عليه ويلتذون به ٠

ـ فى الحقد لذة ٠

ـ من الناس من يجد لذة فى الشكوى فى غير داع للشكوى وهكذا الحاقدون والحاسدون ٠

ـ لقد بدأت أنت تهاجمهم ٠

ـ انما قصدت أنهم يستطيعون أن يشـــفوا أنفسهم من أدوائهم ولكنهم لا يريدون ومع هذا ليس هناك ما يدعوك أن تغضب منهم وانما هناك ما يدعوك ويدعونى أن نشفق عليهم فهم فى شقاء لا ينتهى · وأى بؤس أدهى من انسان لا يرضى · والله يقول لنبيه صلى الله عليه وسـلم ليبشره : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » والرضا قمة السعادة وعطاء الله هنا هو هذه القمة · لم يقل سأعطيك ملكا ولا مالا وانما اكتفى بقوله انه سيعطيه ما يجعله يرضى فالرضا مكانة لا ينالها أعظم ملك ولا يبلغها أعظم مليونير فاذا أنت رضيت وأنت تعطى فحسبك ··· فقد بلغت وأنت المعطى ولم يبلغ حاسدك وهو الآخذ ··· ! يكفيك هذا ··

قال صاحبى فى سعادة :

ـ الحمـــد لله ·

الأهـــرام ١٩٨٣/٢/٢١ ··

المـــواهب

أى موهبة رائعة تلك التى وهبها الله جل علاه للقارىء انه سبحانه العدل المطلق ٠

أعطى الكاتب من موهبة الكتابة وضم الأنامل على القـــلم والتعرف على الكلمة والبلوغ الى أسرارها وكوامن خوافيها واللعب بالمعانى والتصرف فى الجمل وتركيب الحرف يثير به الحزن والضحك وينزل الدمع الهتون من العيون الجامدة القادرة المتحجرة ، ويسعد الشقى الذى طم عليه الأسى والألم والحزن ٠ ويجعل الحجـــة بينة المعـــالم واضـــحة الســـمات ٠ ويدعم الرأى فاذا هو قصر باذخ قوى الأركان متين البنيان أو يدحض الحجة فاذا هى وقد كانت تبدو قوية شامخة تصبح هباء من الهباء وكأنها لم تكن بالأمس حجة سامقة البناء شديدة الأركان ٠

أعطى سبحانه الكاتب هذا جميعه وبقدر العطاء تكون المسئولية ٠٠ لهذا قدر سبحانه الا يكون هناك كاتب الا أن يكون له قراء أو هو اذن كاتب غير موجود يكتب فى الهواء ، ويصرخ فى الوديان ، ويخط على المياه ، اذن فاذا قلنا كلمة كاتب يعنى هذا من تلقاء نفسه أنه ذو قراء ٠ ومن هذا الطرف الآخر الملازم لكل كاتب تأتى المحاسبة ولا أقول تأتى المسئولية ٠٠ لأن مسئولية الكاتب لابد أن تنبع من داخل نفسه ومن قرارة ضميره ومن عميق كيانه فاذا تخلى عن هذه المسئولية وأراد أن يفوت على القارىء كلاما غير مقتنع به فانه يتردى فى هاوية ليس لها قرار ٠

فليبذل فى سبيل الرأى الذى لم يقتنع به كل ما يطيق من مهارة ومن لعب باللفظ ومن تجهيل للأسلوب وليبلغ من البيان أرفع سماوات البيان الا أنه مع ذلك لن يستطيع أن يخدع القارىء عن الحق أبدا وتلك هى الموهبة التى أعطاها الله للقارىء فالقارىء أذكى من أن يخدعه مخادع مهما يكن بارعا فى الخداع ذلك لأن القارىء ليس واحدا وانما هو مجموع قوم متواصلين فيما بينهم وما يفوت على واحد يدركه الآخر وما لا يعرفه فرد يكشفه غيره والذى يدرك الحقيقة لا يخفيها وانما يذيعها ٠ والكلمة بين الناس أوسع انتشارا من أى صحيفة فالكلمة بين الناس تتلقفها اذن عن لسان ثم يذيعها لسان الى اذن فاذا هى بين الناس أحدوثة واذا الكاتب مفضوح بين خلق الله ٠

والعجيب ان الناس لا تنسى وان نسى الكاتب ولا شك أن الكاتب المحترف ينسى أحيانا ما يكون قد كتبه منذ سنوات فهو يكتب بصورة منتظمة وكمية ما يكتبه كبيرة فلا عجب أن ينسى وربما تسألنى فان كان ينسى فهو معرض أن يخالف اليوم رأيا كتبه منذ سنوات وهنا أصيح بك هذا مستحيل فهو قد ينسى كيف صاغ رأيه ولكنه لا يمكن أن ينسى رأيا قاله ما دام هذا الرأى نابعا من صميم وجدانه فان لم يكن فليتحمل اذن ما سيواجهه به قراؤه فانهـــم هم لا ينسون وتلك قد تبـــدو عجيبة لا يتوقعها أحد من الناس فانهم أبدا لا ينسون ما يكون الكاتب قد كتبه وان مر على ما كتبه هذا عشرات السنين ٠ واذا أنعمت النظر فستجد أنه ليس هناك داع للعجب فالقراء آلاف وآلاف وأجيال تخلف أجيال ومن لم يشهد فقد سمع ومن لم يقرأ بنفسه فقد قرأ بغيره من أبيه أو أمه أو جده أو أخيه أو صديقه ٠

فالكاتب الذى يهاجم اليوم من كان يمجد بالأمس عليه أن يعرف أن القراء يعرفون أنه منافق محترف وأنهم يذكرون كل ما كان يمجد به ولا يغفرون هذا له وعدم غفرانهم يتمثل فى احتقار داخلى يكنونه للكاتب قد لا يبينون عنه ولكنه مستقر فى دخيلة نفوسهم لا شك فى ذلك ٠

والكاتب الذى يغير رأيا عليه أن يعلن أنه غير رأيه وأن يبين لماذا جنح من رأى الى آخر فى وضوح وفى غير مواربة لأنه لن يستطيع أن يزيف رأيه الجديد على القارىء ٠

والكاتب الذى يخطىء عليه أن يعتذر فالاعتذار عمل شريف فى كل وقت الخداع عمل خسيس فى كل وقت أيضا ٠

مايو ٢٨/٢/١٩٨٣ ٠٠

أما نحن فلا نعجب

تقول ابنتى مامعناه

ـ يا أبى سمعت عن قوم يعملون اليوم عند أثرياء من دول البترول وكانوا فى مصر يحملون ألقابا ورثوها وهى ألقاب رفيعة أقصى ما تكون الرفعة سامقة أعلى ما يكون السموق وكانوا يملكون أموالا • ولاشك أن المال مهما يكن مصدره واللقب مهما يكن موروثا خليقان أن يكسبهما شيئا من الكبرياء وقد كنا نسمع أنهم كانوا متكبرين فى الأرض • وأنا يا أبى لا أعجب لهؤلاء القوم ان يعملوا لدى أصحاب الثراء فمن حق كل انسان بل من واجبه أن يبحث عن الرزق ولكن المهنة التى يمتهنون حقيرة غاية الحقارة دنيئة كل الدناءة حتى أننى لا أسمح لنفسى أن أنطق بها • فقلت لابنتى :

ـ أحمد الله يا أبنتى أن جيلك يملك ملكة التعجب والدهشة فاننا نحن جيل حرم علينا أن نعجب من شىء أو ندهش لأمر فقد مر بجيلنا من الأهوال ما أفقده نعمة التعجب •

وان كنت عجبت من أمر هؤلاء فلانك لاتعرفين أنهم قوم كانوا على قدر من الغباء لم يتح لجماعة من الناس قط • فقد سكبت عليهم مصر من نعمها ما جعلهم على قمتها ثراء ومكانة وجاها وسلطانا وبدلا من أن يشكروا لها أنعمها ويندمجوا بشعبها ويبذلوا من أموالهم ومن جاههم ما يعين بائسا ويكسو عريانا ويقيت جائعا • وبدلا من أن يتصدروا جهات البر وجمعيات الخير طغى أغلبهم واستكبر وشغلوا بكل حقير تافه من الحياة الا قلة منهم كانت حيث ينبغى لها أن تكون والشكر لهذه القلة محتم لأنها اختطت فى الحياة طريقا لم يسنه لها الكثرة العالبة من أسرتها •

أما الكثرة الغالبة فكانت غارقة فى عميها وترفها الفارغ وكانت لا تنطق العربية وتتعلم كل اللغات الا لغة مصر التى تعيش من جدواها ومن خيرها • فحين نزلت بهم الكارثة تمزقوا فتاتا من الآدميين لا يجدون ملجأ أو ملاذا وهانوا على أنفسهم وهانوا على الناس ولاشك انك يا ابنتى سمعتنى أردد بيت المتنبى •

من يهن يسهل الهوان عليه

ما لجـــرح بميت ايـلام

فان العظمة يا ابنتى والكبرياء واحترام الذات لايكونها المال والسلطان وانما هى تنغرس فى داخل النفوس الشريفة اذا كانت لا تقدم الا صالحا ولا تسعي الا الخير ولا تعمل الا كل ما هو شريف نقي يعود نفعه على المجتمع بأسره وليس على فرد ولا على أسرة فقط • فهؤلاء يا ابنتى لهم عذرهم اذا هم انحدروا الى مهاوى الحضيض فما كانوا عظماء قط وما كان انتفاخهم الا هواء فاسدا • ومظهرا خداعا لا يقتنع به الا من كان تافها مثلهم •

فلا عليــك يا ابنتى أن تعجبى ولكن أليس الأولى بك يا ابنتى أن تعجبى من أقوام آخرين ، ألا تعجبين من قوم هبط عليهم الثراء الفاحش تصيدوه من كل طريق ملتو ومن كل مظنة عفنة حتى أصبحوا على جبل من المال وان يكن مالا حراما • الا تعجبين منهم بعد ذلك يظلون يجمعون المال لا يشبعون ، ربما قلت يا أبى أن هــؤلاء أصبح جمع المال بالنسبة اليهم غاية لا وسيلة واننى يا ابنتى اذا قلت هذا سأوافقك عليه ولكن الا تعجبين أنهم لايزالون يبيعون كرامتهم ببيع السماح ويقبلون أن يكونوا موطئا للنعــال ويقبلون أن يظلوا متســولين على الأبواب يسألون الرضاء أو يستجدون منصــبا أو يتشممون أرجـــل كرسى فعل الكلاب التى لا صاحب لها •

وان شئت يا ابنتى فاعجبى من قوم أكرمهم قومهم وجعلوا لهم فى المجتمع المصرى وزنا ولكنهم يخونون قومهم ومصرهم ويتسقطون على بلاد تقف منا موقف العداء والتهجم والاستفزاز فى صغار مضحك وفى طفولة تدعو الى السخرية والهزء يتمتعون بها فى كل أنحاء العالم المتحضر وغير المتحضر على السواء الى هؤلاء من تكرمهم بلادهم ليكونوا هناك يدا تتسول ولتكون البضاعة التى يبيعونها كرامة مصر وكرامة الشعب المصرى •

ألم تتعجبى يا ابنتى من أقوام يظلون يطوفون ببلاد العالم ليزدادوا على الغنى مالا هم عنه غناء • ولكن رخصت عليهم كرامتهم وهانت عليهم نفوسهم ومادامت نفوسهم قد هانت عليهم فلاشـــك أن مصر التى هم ينتسبون اليها شاءوا أم أبوا أكثر عليهم هوانا •

أو لم تعجبى يا ابنتى من قوم نالوا المناصب وشاركوا فى المصائب التى تواجه مصر اليوم وفى الكوارث التى تحيط بشوارعهـــا ومبانيها وتليفوناتها وكهربائها • وأبعدوا عن مناصبهم فاذا السعار يتفشاهم واذا هم ينقلبون صراخا لاينقطع وحين كان الواحد منهم ملقى على كرســـيه السلطانى كالشيء لايستطيع أن يهمس بمعارضة ولا يجرؤ ان يحادث نفسه بكلمة واحدة من جملة تدل على أنه لايوافق • ولكن اليوم وفى ظل

الحرية ينطلق هجومه ويعلو صوته وكأنه البطل المغوار أو الأسد الرئبال وبماذا يطالب ؟ أيطالب بالحرية ناسيا أنه حين يطالب بها على الملأ يعلن بما لايدع مجالا للشك أنه فى ظلها يعيش وفى أجوائهـا يتنفس بـل ويصيح أيضـا ٠

وان شئت يا ابنتى فاعجبى من قوم يقوم قائمهم على اذلال الانسان وقتل الشعوب وسفك دمائها والتسلط عليها قهرا بقوة السلاح والفتك والجبروت ٠ ولا عليك يا ابنتى أن تفكرى من هم فما يكلفك الأمر الا نظرة الى أفغانستان وبولندا اليوم أو نظرة أخرى الى ما فعلوا فى المجر وفى تشيكوسلوفاكيا وفى غيرها ٠

أعجبى لهؤلاء القوم يساندون شيعتهم فى مصر ويظاهرونهـم بكل وسـائل المساندة والمظاهرة ولن أفعـل ٠ ويصيح شيعتهم مطالبين بالديموقراطية والديموقراطية كما تعلمين هى حكم الشعب للشعب لمصلحة الشعب ٠ فهم اذن يطالبون أن يحـكم الشعب بالشعب ٠ وهم الذين يقتلون الشعوب لتقبل حكمهم وهم الذين يختطفون الأطفال اليوم فى أفغانستان ليلقنوهم الحادهم ٠ وقد سمعنا عن عصابات تختطف أطفالا ولكنك ما أظنك يا أبنتى سمعت عن دولة تختطف أطفالا شيعة هذه الدولة وأنصارها يطالبون بالديموقراطية وبالحرية ٠ ولايجدون من يقول لهم أنهم حين يطالبون بالديموقراطية والحرية ويعلنون هذه المطالبة يؤكدون دون أن يشعروا أنهم يعيشون الديموقراطية أو ما يشبهها على الأقل ويعيشون الحرية أكمل ما تكون الحرية ٠ لأن البلاد الدكتاتورية لا تسمح طبعا لأحـد أن ينادى فيهـا بالديموقراطية وويل كل الويل لمن يطـالب فيها بالحرية ٠ وقد عشنا يا ابنتى أياما سوداء لا تذكرينها أنت كانت الحرية فيها قتيلا لايجرؤ أحد أن يذكر مقتلته ٠ وكانت لا اله الا الله لا تقال الا خفية وكأنها جريمة ٠

وبعد يا ابنتى فما أقل هذا الذى ذكرت مما يستحق تعجبك ٠ أما أنا يا ابنتى فكما قلت لك فقد فقدت نعمة التعجب لا أفقدك الله اياها فان فى تعجبك أنت وأبناء جيلك أملنا فى الغـد ونظرتنـا المضيئة الى المستقبـل ٠

الأهـرام ١٩٨٣/٣/٢١ ٠٠

فى الديكتاتورية اذن ؟!

تدل اسرائيل على العرب فى اذاعتهـا وفى اذاعات العـالم بواسطة عملائها وبممثليها ومندوبيها أنها الدولة الوحيدة فى المنطقة التى تطبق الديموقراطية تطبيقا سليما ٠ وأنا لا أريد أن أدخل فى جدل حول هذه المقولة ولكن أريد أن أتساءل ليس هناك شيء اسمه روح الديموقراطية فهل تقبل الديموقراطية أن يحكم بيجن بأغلبية صوت واحد طوال هذه المدة التى حكم بها ٠ بهذه الأغلبية الوهمية ٠

وهـل تقبـل روح الديموقراطيـة أن يخالف ما تسمى معاهدة كامب ديفيد الى اقراره من سـم فى الشرق الأوسط وهـل احترام هذه المعـاهدة يتمشى مع الهجـوم البشـع الذى قام به على بيروت أو يتمشى مع المجـازر التى حـدثت هنـاك ٠ وهـل يتمشى مع المسـتوطنات التى يقيمونها فى كل يوم ليواجه العالم العـربى بعد ذلك بحالة الأمر الواقع ٠ وهل هذا الموقف الصغير الذى يقفونه فى طابا من الديموقراطية فى شيء أم الديموقراطية عندهم لافتة يرفعونها ثم يتصرفون تصرف الدول التى تعيش بلا قانون على الاطلاق سواء كان هذا القانون منتسـبا الى الديموقراطية أو الى الديكتاتورية أبشع ماتكون صور الديكتاتورية ٠

والغريب أنهم يتحدثون عن تطبيع العـلاقات أن العـلاقة كلمة تعنى فى مبناها أنها صلة بين كائنين اثنين على الأقل ٠ فمع أى جهـة تريد اسرائيل أن تطبع العلاقات مع مصر التى تريد أن تغتصب منها طابا والتى تجزر اخوانها فى لبنان وتحتلها حتى اليوم لا تريد عنها جلاء أن العلاقات بين الدول لابد أن تكون بين الشعوب فليس هناك قوة ترغم أحدا ٠ على اقامة علاقة مع آخر وانما تنمو هذه العلاقة من المحاسنة وطيب الجوار والتقارب فى المشاعر فهل ديموقراطية اسرائيـل التى يتزعمها بيجن تتيح هذا ؟ هيهات : وعلى أية حال اذا كان بيجن يحكم بأغلبية صوت واحد وهو مطمئن الى هذا الحكم مرتئيا أن تلك هى الديمواقراطية ٠ فما قوله اليوم بعد أن سقط مرشح الحكومة أو مرشـح بيجن فى الانتخابات ٠ أمايزال بيجن يرى أنه يتمتع بالأغلبية الأوحدية التى كان متمتعا بها ٠

هل هناك شك أو ظل من الشك أنه فقد بالأغلبية بهذه الانتخابات الأخيرة لرئيس الجمهورية الاسرائيلية • وليست هذه انتخابات بلدية ولا حكم محلي وانما هي انتخابات رئيس الجمهورية بأكمله وهو عنوان الدولة حتى وان كانت ديموقراطيتهم المزعومة ديموقراطية برلمانية الا أن رئيس الجمهورية يظـل هو رمز دولتهم ورئيسـها الذى يمهد مراسـيم التعيين لرئيس الوزراء والوزراء والذى لابد أن يوقع قرار اجراء الانتخابات الى غير ذلك من مهام • فهل يرى السيد بيجن أن يظل في الحكم بعد هذا الحكم على حزبه أم أن له أن يستقيل ويجرى انتخابات أخرى حتى يصدق زعمه وزعم مندوبيه وعملائه أن اسرائيل تعيش حكما ديموقراطيا حقا •

وأن لاسرائيل وشعبها أن يقولوا رأيهم الصريح فى الاعتـداء على لبنان وفى مذبحة شاتيلا وفى ألعوبة طابا التى يتمسكون بها أن الفندق المقام على الأرض المصرية هنـاك مملوك لذوى المناصـب والنفوذ فى حـكم بيجن •

وان للشعب الاسرائيلي الذى استبشر بالسلام أن يحاكم رئيس وزرائه وحكومته على ما صنعوه بهذا السلام وعلى محاولاتهم المستميتة أن يقتلوه ويقضوا عليه وكأنما نسوا ما اتفقوا عليه أن تكون كامب ديفيد هى الباب الى السلام الشامل فى المنطقة ترى هل يظن السيد بيجن أن حرب لبنان هذه سلام • وهل يظن أن بقاءه فى لبنان يبشر بأى سلام • ماذا يظن السلام المستتر ببيجن وما هو مفهوم السلام عنده • أم ترى الأمور جميعا مختلطة فى اسرائيل فالصوت الواحد أغلبية والحكم به ديموقراطية وسقوط مرشح الحكومة لرئاسة الجمهورية أغلبية والحكم بعده ديموقراطية والحرب سلام والمجازر انسانية ، وبناء المستوطنات على أرض العرب تقرب للعرب ، واغتصاب طابا تحبب للمصريين •

ان كان الأمر كذلك فالشعب الاسرائيلي خليق أن يصحح الأفكار لرئيس وزرائه كما تعودت الشعوب دائما أن تصحح وضع الميزان حين يميل الميزان •

مايو ١٩٨٣/٣/٢٨ ••

أو فليشهروا اسلامهم

حين ظهر نجيب محفوظ كان واضحا ان الشكل عنده مخالف تماما للمذهب الشيوعى فمن المعروف أن الشكل فى المذهب يقتضى ان تنتهى الرواية أو المسرحية أو القصة بالتفاؤل لأن الحلول لجميع المشاكل حاضرة عندهم من قريب . فما على الفرد أو الأسرة أو الجماعة أو الدولة التى تواجه مشكلة الا أن تطبق المذهب الشيوعى حتى تصبح المشكلات جميعها محلولة فى أمان الله . أو فى أمان النظرية المادية فهم لا يعترفون بالله .

ولكن نجيب لم يكن شيوعيا فى يوم من الأيام وانما هو منذ بدأ الكتابة يؤمن بالمذهب الاشتراكى بصورة لا يختلف معه فيها كاتب فى العالم فهو ينادى بالحرية وينادى بتقريب الثروات وذلك بأن يقدم ذو الغنى حق المجتمع الذى أثراه الى المجتمع حتى يحاول به أن يقيم حياة قوم آخرين يطحنهم الفقر . ويرى للفقير الحق فى أن يعيش عيشة كريمة لا يتعرض فيها للجوع أو العرى أو المذلة . وقد كانت هذه الأفكار فى الأربعينات سائدة بين الكتاب بعيدة كل البعد عن جمهور الناس . ولكن من المؤكد انه ليس فى العالم كاتب لا يؤيد نجيب محفوظ فى أفكاره هذه فليس من المعقول أن يكون كاتبا ينطق بلسان الانسان فى بلده وفى كل مكان فى العالم ويقبل أن يسيطر على الآدمى الفقر أو الجهل أو المرض .

وهذه الأفكار لاتتعارض مع الحرية والديمقراطية بطبيعة الحال وهى مستوحاة أولا وقبل كل شىء من العقائد السماوية .

ولذلك فالاشتراكية هى أعدى أعداء الشيوعية لأنها تحقق شعاراتهم وترفض فى نفس الوقت طغيان الطبقة البروليتارية كما ترفض القهر واذلال انسانية الانسان وجعله قطعة من آلة أو سائمة يتاجر بانسانيتها المستلبة قادة الحزب وطواغيته .

فلم يكن عجيبا اذن أن يهاجم الشيوعيون نجيب محفوظ فى أول حياته الفنية وقال عنه بعضهم البرجوازى الصغير وغير ذلك من الألقاب التى يبرعون فى تصنيعها والتى تموت فور ظهورها على سطح الحياة .

ولكن نجيب محفوظ لم يأبه لهجومهم ولم يلتفت الى شعارهم وانما

سار في الطريق الذى يسير فيه كل كاتب شريف فهو صادق مع نفسه ، لا يكتب الا ما يؤمن به ولا يخط حرفا لاتمليه عليه خالصة نفسه مستنبطا ما يعتقد غير ناظر الى فئة بذاتها أو فكر يتعارض مع فكره فانما غايته الارتفاع بالانسان عن الجهل وحمايته من طغيان المادة واذلالهـا • ومع الأيام أصبح نجيب محفوظ جبلا فارعا شاهقا فاذا بالحزب الشيوعى يحتضنه فجأة مزيفا على الناس ذلك الفارق البعيد بين ما تهدف اليه أفكار نجيب وبين ما تسعى اليه الشيوعية •

ولكن نجيب الذكى الفهم الذى استطاع بعبقريته أن ينفذ الى أعمق أغوار الانسـان والانسانيـة لم يستجب لمديحهـم مدركا الزيف الذى يحاولون به أن يخدعوا الناس عن حقيقة فنه • وكما صمت عند الهجوم والهجاء والثورة عليه سكت عند المديح والاكرام والتهليل له •

وسار طريقه الذى يؤمن به وأذكر أبيات شوقى لغاندى :

وعـد لم تحفـل الذام ولم تغتـر بالحمـد
فهذا النجـم لاتـرقى اليـه همـة النقـد

وبدأ نجيب يبحث برواياته وبعقله عن الايمان بالله دون فكر مسبق فكانت روايته الأولى أولاد حارتنا وتبعها بروايات أخرى كلها بحث عن فكرة الايمان من واقع حياة الانسان لا من واقع الفكرة المتوارثة حتى انتهى الى رواية الشحاذ وأنهاها بالصوت يسمعه الجريح وحياته تترجح بين الذهاب والبقـاء لماذا تبحث عنى وأنا قريب منك • وهـكذا أعلن الايمان والاسلام جميعا بالفكر والمنطق فالله بنص القرآن قريب من عبده يجيب دعوة الداعى اذا دعاه •

حينئذ أدرك الشيوعيون أنهم فشلوا تماما فى احتواء نجيب محفوظ فبدأوا ينقلبون عليه شر منقلب • ولم يحفل الفنان الشريف أمرهم وأكمل طريقه وسط صراخهم الغاضب عليه فاذا هو يكتب ثرثرة فوق النيـل وميرامار ويصـيح فى وجه الطاغوت بتلك القنبلة الثقيلة الرائعة الرافضة الثائرة «الكرنك» يدين بها عهدا بأكمله ينتمى الى الشيوعية قدر ما ينتمى اليه الشيوعيون •

حينئذ أصبح نجيب محفوظ من أعظم أعدائهم وعالنـوا بالغضب عليه وصدرت الأوامر صريحة بمهاجمته أو بعدم الكتابة عن رواياته واهمين أن صمتهم سيصرف القراء عنه • وطبعا خاب فألهم وارتكسوا فى الخيبة وظل نجيب هو نجيب فياطالما جربوا الهجوم والصمت مع كتاب آخرين • وبقى الكتاب ومات النقاد منهم عند الناس وعند الحق •

وقاموا بتجربتهم نفسها مع أستاذنا الرائد توفيق الحكيم ولكنـــه استعصم منهم بمكانته وثقته بفنه وكرثهم بالسلطان الحائر وايزيس وبنك القلق ثم أنزل بهم هو الآخر قنبلته الصريحة الصارخة « عودة الوعى » لم يغلفها باطار روائى ولا أحاط صراحتها بأستار فنية وانما هى كتابة مقالية صريحة لاتحتمل تأويلا ولا مناص من مواجهتها فهاج هائجهم وماج مائجهم وصاتوا وسفلوا الى الحضيض الذى يسفلون اليه دائما . ويظل توفيق الحكيم هو توفيق الحكيم ويظلون هم فى مهواهم وحضيضهم .

كل هذا لاغرابه فيه فمن الطبيعى أن يحاول حزب بلا كتاب مبدعين خلاقين أن يبحث لنفسه عن كاتب مبدع ولا عجب ان تختاروا جباتين من الكتاب الذين يدافعون عن انسانية الانسان حتى وان كان مذهب الحزب الشيوعى يسعى الى طحن الانسان واعدام آدميته وكرامته بدعوى أنهم سيعطونه لقمة العيش . وحتى لو انتهى الأمر بهم وبالانسان انهم استلبوا آدميته ولم يعطوه لقمة العيش .

فالأمر فى ذاته لايدعو الى الدهشة

وانما الدهشة استولت اليوم على كثير من الناس لسبت من بينهم من هذه الضجة التى يحيط بها الكتاب الشيوعيون جارودى الذى محق مذهبهم محقا وركله لايرضاه لنفسه مذهبا وأشهر اسلامه مرتئيا فى الدين الأقوم السبيل الوحيد الى مواجهة مشكلات العصر .

يتسائل كثير من الناس فيم احتفاء الشيوعيين بجارودى ولايلتفت أحد من هؤلاء المتسائلين الى ما كتبه قراجوز من خدم الشيوعية فى احدى الصحف أنه يتمنى لو لم يكن جارودى قد أسلم حتى يحارب مع العرب فى الجانب الآخر . فالعقيدة عند القراجوز أمر يسير يباع ويشترى ويعلن ويحبس . واسلام مفكر عظيم مثل جارودى أمر كان يتمنى الا يحدث حتى يفيد القضية العربية وكانما أصبحت القضية العربية هى الكفر والالحاد ورفض الاسلام .

واحسرتاه على الناس وعلى الدين عند هؤلاء الذين يحملون أســـماء مسلمة وقلوبا كافرة .

ان أمر هذا الكاتب أقرب مايكون بالراقصة الرخيصة التى تشيع عن نفسها كل حقير من الشائعات بأمل أن يظل اسمها على الألسنة حتى يثب الى الذهن اذا كان هناك فرح يقام أو ليلة تحيا بغير ذكر الله .

ولكن هذه الراقصة يأتيها الثراء من المتاجرة بشرفها فى حين يقوم وجود الكاتب من وجود شرفه ، فكيف يبيعه بيع السماح وفى سبيل ماذا وأى شىء فى الوجود يساوي أن يفقد الكاتب شرفه ويركع لغير الله .

ان الشهرة للكاتب لابد أن تأتى صاغرة تسعى اليه ولايسعى هو اليها والا فلا جاءت ولا كانت ويبقى هو عزيزا على نفسه وعلى عشرة قراء يقرأونه حتى وان كانوا عمال مطبعته ·

وعلى كل حال فلنترك أمر هذا القراجوز الذى أرفض أن أذكر اسمه حتى لا أنيله ما يصبو اليه من شهرة وذيوع صيت قذر ولنبحث عن حالة المديح التى أحاط بها الشيوعيون قدوم جارودى الى مصر مدعوا من الأزهر الشريف العريق الشامخ فى تاريخ الاسلام وتاريخ البشرية ·

أما أنا فاعتقد أن الأوامر صدرت من موسكو بهذه الحفاوة حتى يظن الناس ان جارودى لم يقتل الشيوعية باسلامه · وعند عامة الناس الذين يسوح بينهم الشيوعيون بأراجيفهم يمكن أن يلبس هؤلاء الشيوعيون الأفاقون العدو ثوب الصديق والحق ثوب الباطل · لا يهمهم أن يناقضوا أنفسهم وأن يكيلوا المديح اليوم لمن كالوا له الذم بالأمس ·

فان لم أكن محقا فى هذا الظن فعلى الشيوعيين اذن اذا كانوا صادقين فى الاعجاب بجارودى وبفكره وبفنه وبما سنه لنفسه بالحياة أن يرتضوا خطته ويسيروا فى طريقه ويفعلوا مافعل عليهم اذن أن يشهروا اسلامهم كما أشهره هو أو فليصمتوا ·· وليعلموا اذا لم يكونوا قد علموا أن الاسلام يجب ما قبله وفى مغفرة الله سعة حتى لتشمل ما أجرموا فى حق البشرية وقد أعلن جارودى اسلامه بعد بحث واختيار ·

وأعلنوا هم الحادهم بالاختيار أيضا ولكن أشك كثيرا أنهم بحثوا فى أصول الاسلام ثم اختاروا النظرية وأغلب الأمر انهم قارنوا بين الفوائد التى تعود عليهم من الاسلام والفوائد التى تعود عليهم من الشيوعية ثم اختاروا ·

فاذا شاءوا اليوم أن يرجعوا الى ساحة الاسلام فسوف يجدون مغفرة الله تنتظرهم ·· فانه الله ·· وانه أكبر ·· أكبر من كل مخلوق ومغفرته أكبر من كل ذنب · فان عدتم اليه بعد شرك وكفر والحاد فهو قابل التوب وهو العزيز الحميد ، فقط أشهروا اسلامكم كما أشهر جارودى اسلامه واستغنوا عن الدنيا وفكروا فى الآخرة وفى كرامتكم ·· ترى هل يجد ندائى سامعا ·· من يدرى ·· فما شىء على الله ببعيد ·

الأهـــرام ١٩٨٣/٣/٢٨ ··

كرامة ومال

هو رجل واسع الثراء عميق الجهل يقال له في منطقته فلان بك . شاءت الظروف أن يكون مدينا لنا نتيجة محاسبة — لا اقتراض بطبيعة الحال — بمبلغ مائتي جنيه . وكان المبلغ مستحقا لي ولاخوتي معي فكان من الحتم أن أطالب به . وقد فعلت فراح يراوغ ويماطل ويسوف ويؤجل حتى اضطررت آخر الأمر أن أقول له انني سأقدم الكمبيالة للمحكمة وكنت محاميا في هذه الفترة من الزمان وفهم البك بحكم ممارسته للحياة معنى أن يقدم محام كمبيالة للمحكمة . فان الكمبيالة هي التي ستترافع أما مرافعة المحامي فتكون بالصمت . وسارع البك قادما الى وقد أيقن ألا سبيل له من التهرب الكامل وبقي أن يماحك في المبلغ نفسه وأخذتني الدهشة فثروة الرجل باذخة والمبلغ بالنسبة اليه على الأقل ضئيل لا يحتاج الى هذه المماحكة فاضطررت آخر الأمر أن أقول له — يا فلان بك ان المال قد صنع لنحفظ به كرامتنا بادىء ذي بدء واذا بالرجل يقول في بساطة وفي سليقة مواتية ودون أي تردد — والله يا فلان أن مسألة الكرامة دي متلزمنيش .. مش تحت خبر ملهاش لزوم عندي نهائي . الكرامة دي متعبة وأنا مش ناقص تعب .

ولست أدري مدى الذهول الذي أصابني الا أنني واثق أنه كان ذهولا مفجعا فقد وجدتني دون أن أحس أمزق الكمبيالة وألقي بها في وجهه وأنا أقول :

— وأنا ملتزمنيش فلوس من واحد زيك حتى ولو كانت حقي وحق أخــوتي .

وصاح الرجــل :

— الله يخليك .. الله يطول في عمرك .

وقام وخرج وهو في غاية السعادة أنه كسب المائتي جنيه وخسر حياءه وماء وجهه ولكن أكان ذا حياء أو كان لوجهه ماء حتى يخسره .. أنه لم يخسر شيئا فهو يعلن في بساطة أنه بلا كرامة ومن يعلن مثل هذا الاعلان لا يبقى له شيء يحافظ عليه الا المال .

كانت هذه القصة فى السنوات الأولى من الخمسينات • وقد نسيته فيما ينسى الانسان وانما أذكرها كلما كررت الحياة أمام عينى تبجحا أو سقوط الكرامة قريبا مما أشهدنيه ذلك البك الثرى ، ولكنى واثق أن الحياة لم تلق أمام عينى مثلا له حتى كانت الأيام القليلة الماضية وروى لى أحد الناشرين الشرفاء قصة عن كاتب كان يتعامل معه أعادت الى ذهنى صـــورة تلك الجبلة التى بنيت بمعاملتها منذ قرابة ثلاثين عاما • قال الناشر أنه تعاقد مع الكاتب على نشر بعض كتبه ودفع له مقدم العقد وبدأ يطبع الكتب • ولكن الناشر فوجىء بأن الكاتب تعــاقد على نفس الكتب مع ناشر آخر فى نفس الوقت وقبض منه مقدم العقد فقصد الى الكاتب يسأله عن صحة ما بلغه فأكد له الكاتب أن ما بلغه وقع فعلا •

ـ أهذا يصـــح ؟!

واذا بالكاتب التقدمى يقول له فى هدوء وبساطة :

ـ عليك أن تعاملنى على أنى ابن •• بلا قيم ولا أخلاق

وروع الناشر مما يسمع وقال له :

ـ وأنا لا أعامل ابن •• بلا قيم ولا أخلاق

وتركه وانصرف

وهكذا وجدت فى هذه القصة مهانة للانسانية أعظم من تلك التى شهدتها من البك الثرى • فان الجهل قد يصـــــلح مبررا لهوان البك ولكن ما المبرر للكاتب التقدمى المثقف وهو من ناحية الثراء موفور لا يحتاج الى صبابة من مال وانما يرتكب هذا الذى يرتكبه لأن نفسه لا ترى بأسا أن يفعله •

وقد يجد الكاتب من يقول عنه مدافعا أنه لا بأس عليه أن يكون بلا أخلاق ما دام يقدم فنا وان التاريخ ليذكر لنا كتابا مثله وشعراء ولكنهم قدموا فنا مازال باقيا على مر العصور وقد يذكر المدافع فى هذا المضمار بودلير وأوسكار وايلد وأبا نواس وغيرهم وغيرهم كثير ولكن هذا الدفاع ينهار اذا ذكرنا العهد الذى كان يعيش فيه هؤلاء الكتاب وما أصبح الكاتب يمثله اليوم • لو أننا ألقينا نظرة على التاريخ لعرفنا الفارق البعيد بين مكانة الشاعر والفنان فى ذلك الحين وبين مكانته اليوم • فالشعراء فى الأمة العربية كانوا يعيشون على جدوى الحكام والأثرياء وكانوا يصطنعون المديح ليجدوا قوت يومهم وقوت عيالهم فاذا لم يستجب لهم الأمير أو الثرى أو صاحب النفوذ أوسعوه هجوما وذما وحسبنا أن نذكر المتنبى وموقفه من كافور وغيره من حكام ذلك الزمان •

وفى فرنســا يكفى أن أذكر موقف الكونتيسيـة التى كانت تأوى لافونتين فى بيتها ليجد ما يطعمه • ولكنها كانت تعتبره حليـة تباهى بوجودها فى بيتها كأنه قطعة أثاث نادرة أو تحفة فنية لاتزيد على صورة على الحائط أو علبة نشوق جميلة الصنع حتى أنها سئلت يوما :

ـ من ستصحبين معك الى مصيفك

فأجابت :

ـ لا أحد كلبى ولافونتين •

وهكذا نزلت بالكاتب العبقرى الى مرتبة الكلاب •

فذلك عصر لم يكن الكتاب فيه أصحاب فكر الا من كان منهم قادرا على مواجهة الحياة دون عون من صاحب ثراء أو صاحب سلطان •

أما العصر الحـديث فقد رفع الكتاب الى مكانة سامقة فى المجتمع وأصبح المسرح والسينما والاذاعة والتليفزيون يدرون على الكتاب فى البلاد المتقدمة ما يجعلهم يعيشون عيشة رغدة وسعادة وبلهنية • أما فى البلاد التى تماثل بلادنا فان الكاتب يستطيع أن يكون مكفول الرزق فى غير ثراء نعم ولكن فى غير حاجة أيضا أن يبيع قلمه أو ضميره • ومهما يكن الأمر فهو فى غير حاجة أن يكون كما وصف ذلك الكاتب نفسه • بل ان كتاب ذلك الزمان الذى كان الشعراء فيه يستجدون العيش وكان الكتاب فيه مقتنيات فى قصور الأثرياء لم نسمع ان كاتبا فيه أو شاعرا وصف نفسه بهذا الذى يراه الكاتب الذى تروى قصته فى نفسه • ولكن مادام قد ارتأى أن هذه هى حقيقته فهو من هذه الناحية ومن هذه الناحية فقط أعلم الناس بنفسه وان كان فى غير هذا أجهل الناس بنفسه مادام الأمر كذلك فان لهذا الكاتب أن يصنع ما يشاء فلا حساب عليه وقديما قال الشـــاعر •

من يهن يسهل الهوان عليه　　　　ما لجـرح بميت ايـــلام ؟

الأهـــرام ١٩٨٣/٥/٨ ••

لا عجب

تنازعني وأنا أمسك القلم مذهبان أحدهما يغريني بالكتابة والآخر يقصيني عنها • ولكل من المذهبين منطقه ورأيه وحجته فأما الأول فيرى أنني كتبت عن الأستاذ هيكل وهو قائم حي فلا داعي هناك أن أكتب عنه وقد أنتحر بشهوة الشهرة والتكبر وأصبح قتيلا عدما لا وجود له ، وأما الآخر فيرى أن هنك أشياء تحتاج الى تذكير الناس بها حتى لايعجبوا مما بلغه الأستاذ هيكل وأمثاله من حضيض • فقد كان طريقهم الذى اختاروه لأنفسهم مؤديا بطبيعته الى هذه النهاية التى لا نهاية غيرها فهو طريق لايتفرع ولا يزدوج وانما هو طريق واحد الى نهاية واحدة لانهاية غيرها واستقربي الأمر الى ما ترى ورحت أتساءل ولم يطل بي التساؤل • كيف وقع الأستاذ هيكل في هذا المأزق صحيح أن الشخصية العامة لاينطبق عليها ما ينطبق على سائر الناس من وجوب ستر العيوب على الموتى فلا نذكر الا محاسنهم وصحيح أن التاريخ مزق الأستار على العظماء فذكر كل مايدور في حياتهم الخاصة من خير ومن شر فلم يترك من خفاياهم خافية الا ذكرها ولكن المؤرخين حين صنعوا ذلك لم يكونوا معاصرين لهؤلاء العظماء ولم يكتب أحد منهم عن هؤلاء الأشخاص في الفترة المتصلة بحياتهم الا نقدا أو مدحا لأعمالهم العامة أما التنقيب في شئونهم فلم يأت الا بعد فترة طويلة من حياتهم كان الذين عاصروهم قد ماتوا أثناءها وكان أبناؤهم قد أصبحوا أيضا في ذمة التاريخ أما في الزمن المعاصر لهؤلاء العظماء فما أحسب أن أحدا صنع هذا دون أن يجد من الرأى العام استنكارا ورفضا واحتقارا • وأذكر بعد وفاة الرئيس الأسبق أن تناوله مصرى في الكويت بصورة بشعة وكتب عن أهله وذويه بقلم عنيف وكانت الحكومة الكويتية لاتحب الرئيس الأسبق ولكنها رفضت هذا الذى كتب وأمرت المصرى أن يرحل عنها في مدى أربع وعشرين ساعة من ظهور مقالته •

ومهما يكن رأينا في الأستاذ هيكل فاننا لانستطيع أن نجحد انه امام علامة في فن النفاق • خبير لايشق له غبار في ميدان الملق • ويكفيه ما ذكره هو في كتابه عن زعيمه حين كلفه أن يبحث له أمرا وينتهي اليه رأيه فيه فلم يجد مايقوله لزعيمه الا جملته الخالدة في سجل الهوان : انك أنت الزعيم الملهم فاستلهم وحيك وأصنع ما يشير عليك به •

فكيف أخفق هذا الاخفاق هذه المرة وسقط هذا السقوط · وفتح على نفسه وعلى زعيمه بابا لو ولجنا منه اليهما لزكمت منا الأنوف · ولكن ما كان لنا أن ندخل بابا مثل هذا عفة منا وبعدا عن المهاوى التى سار اليها الأستاذ هيكل بطبيعة مواتية وسليقة غير مبصرة ولكن حقيرة ·

وبعد فالسادات راية خفاقة فى سماء مصر والعالم العربى بل والعالم أجمع الى أبد الآبدين فقد صنع الحرب وهو من هيأ لجيش مصر الفرصة العبقرية أن يستردوا كرامتهم التى أهدرها الحكم السابق على حكم السادات فى رمال سيناء وعلى هضاب التاريخ · وهو الذى أفاد من هذا النصر الفريد فى حياة العرب الحديثة فشق الخطوب والأهوال الى سيناء وكانت حياته هى الثمن وكذلك أفذاذ التاريخ يقدمون حياتهم رخيصة عينة فى سبيل أوطانهم وشعوبهم · والسادات من قبل نصره الحربى انتصر على نفسه فلم يقبل أن يظل ممسكا بأرواح الناس يصرفها كيف شاء وكأنه شيطان مسلط على بنى قومه فهو الذى أطلق الحريات فى ١٥ مايو وأصبح المصرى الذى كان قبل السادات مرعوبا على حياته وعرضه وماله وكرامته ، مطمئنا الى الحياة ، أمن سربه ، وهدأ مضطربه وقر ثائر خوفه ، يتطلع الى الغد فى أمل وينام ليله فى أمان ويسعى فى مناكبها فى طمأنينة، فى وجهه اشراق ، وعلى فمه ابتسامة ، وفى قلبه ايمان · وبهذا انتصر الجيش وقد تعلق بأسباب السماء وأصبح الجنود البواسل الكرام يحسون أنهم عن أوطانهم يدافعون وليس عن مطامع رئيسهم وآماله أن يصبح زعيما لعالم ·· أى عالم ·· أفريقيا كان هذا العالم أو عربيا ·

وقد كان هيكل هو سوط سيده وكان مكبر الصوت الذى يعلن عقوباته البعيدة عن كل عدل أو منطلق والبعيدة طبعا عن أى رحمة أو انسانية فالرحمة والانسانية والمحبة مراتب فوق مرتبة العدل او المنطق ·

وكان هيكل هو اليأس القاتل وجيشنا الباسل يعد نفسه لمعركة العصر الحديث حتى لقد أغرت كتاباته بعض الكتاب منا الذين كانوا يظنون أنه مطلع على بواطن الأمور أن يكتبوا بيانهم يقولون للرئيس السادات مادامت الحرب بعيدة المنال فأعطنا حريتنا · ولم نكن نعلم وأنى لنا أن تعلم أن الحرب قاب قوسين أو أدنى والكاتب الذى ظللنا السنوات الطوال نبحث عن مصائرنا فى ضباب صراحته قد أعلن أن دون الحرب أهوال لايقوى عليها الا الجن والشياطين ونسى أن الله الذى خلق الجن العاصى خلق الجن الصالح المؤمن فكان جيشنا منهم وصاح الله أكبر وكان النصر الذى لم نكن نحن أصحاب البيان نتوقعه فحين شهدناه لم نكابر ولم نجادل فى الحق الذى لاشك فيه واعترفنا جميعا بعظمة السادات لم يتخلف منا أحد ولا حتى المأفون والمخدور الغارق فى خمره ومورفينه ·

فالأستاذ هيكل كان دائما الزغرودة والأغنيـــة السعيدة الهانئـة والأهزوجة الفرحانة الطروب فى أحزاننا وأهوالنا وآلامنا ومأتمنا ٠

وكان البوم المشؤوم والغراب الناعق وزعيم النائحات فى أفراحنا الحقيقية التى تتمثل فى عودة حريتنا وفى انتصار جيشنا وفى افشاء السلام على ربوعنا وفى عودة سيناء الى أرضنا وهى ملتقى كلام الله بنبيه موسى ومراح يوسف الصديق ومأمن مريم وعيسى ومسرى محمد صلى الله عليه وسلم الى المسجد الأقصى ٠ وهى من بعد ومن قبل التاريخ أرض مصر ٠ أترى أن مثل هذا يمكن أن يثير العجب فيما يفعل أو يقول هيهات ٠

١٩٨٣/٥/١١ ٠٠

الحق واضـح

لا انسى كلمة منشورة كتبها الشاعر الكبير عزيز أباظة قال فيها « ان النصائح هى أبغض الطيبات على النفوس ٠٠ » وانى مؤمن بهـذه الحكمة ايمانا كاملا فالذى يسألك النصيحة فى أغلب الأمر يريدك ان تشير عليه بما عزمت نفسه على صنعه وليس بما يمليه عليك ضميرك ٠٠ فان وافق رأيك ما ينتويه فأنت فى رأيه قد نصحت فأخلصت فان خالفت مذهبه فأنت عنده لم تخلصه النصيحة ٠٠

فان كان هذا للفرد فان أمرك مع المجموع اشد خطرا ٠٠ فانه من نافلة القول ومن العبث الضائع ان ننصح الشعب بالأمانة والاخلاص فى العمل والجدية فى الانتاج ومراعاة الله فى العمل وفى أداء الواجب كاملا مادام قد تقاضى الحقوق كاملة ٠٠ فليس بين البشر من لا يعرف اين تنتهى حقوقه وأين تبدأ واجباته ٠٠ فاذا رأيت ظالما ذا لجاجة على الحق واعتداء على العدل ٠٠ فهو جائر يعرف انه جائر وليس الحق بمبهم عنده ولا هو بغامض وانما هو كما قال الشاعر القديم :

والظلم من شـيم النفـوس فـان
تجـد ذا عفـة فلعـله لا يظـلم

والله سبحانه وتعـالى هو خالق النفـوس يعرف منها وخائنة الاعين وما تخفى الصدور ولا يغيب عنه من ظاهر الانسان ومن باطنه نامة ولا خلجة ولأنه سبحانه يعرف هذه النفوس خلق لهم الثواب والعقاب ولو كان البشر يسيرون على الصراط المستقيم دون خوف من عقاب أو طمع فى ثواب لاكتفوا بما هداهم به الله وليس بعـد هدى الله هدى ٠٠ فالحرام بين والحلال بين ٠٠ والضمائر رقيبه على النفوس ٠٠ والضمائر تعرف الحق وتجيد معرفته ولكنها ٠٠ أيضـا تعرف كيف تنام وتغفو وكيف تبيح ما ليس مباحا وتجيز ما ليس جائزا ٠٠

فالبشر لا يحتاجون بعد الكتب المنزلة الى من يهديهم سواء السبيل وربما احتاجوا الى من يشرح لهم ما جاء فى هذه الكتب فى تفصيل ٠ أما الأسس فلا تحتاج حتى الى شرح فليس بين البشر من لا يعرف ان الاعتداء على أى حق من حقوق الآخرين كبيرة عند الله ٠٠ فالاعتداء على

العرض كبيرة والاعتداء على المال كبيرة والاعتداء على الكرامة كبيرة وكبيرة الكبائر الاعتداء على حقوق الدولة لأنه اعتداء على حق المجموع والمجموع أعظــم من الفرد وصــور الحقــد تتسع فتشمل فى ثوبهــا حقوق شعب بأكمله ..

فمحاولة النصح للناس الا يسرقوا والا يعتدوا على عرض الى آخر هذه المحاولات عبث .. فكل انسان يعرف تماما وهو يرتكب هذه الجرائم انه يرتكب اثما يرفضه الله من فوق سبع سموات ويرفض كل انسان شريف فى المجتمع ، بل قد يرفضه غير الشريف أيضا ولكن يرفضه ان وقع من غيره ويقبله لنفسه فمن بين مخادعات النفس للنفس أن كثيرا من الناس يعتقدون انهم صنف آخر غير صنف البشر وان ما هو محرم على الناس مباح لهم . وبعض الناس من غير الشرفاء يرفضون اجرام الغير بألسنتهم ويعجبون به فى دخيلة أنفسهم ويتوهمون انهم لو انهم هم الذين ارتكبوا هذا الجرم لكانوا خليقين ان يستروه ، فلا يظهر ولا يعرفه أحد فهم حين يعلنون غضبهم على المخطىء لا يغضبون للخطأ فى ذاته وانما يغضبون لخيبة فاعله الذى لم يدبر أمره بحيث لا ينكشف ما ارتكب ولا يفتضح ما أجرم .. وهم طبعا لا يعرفون بيت ابن ابى سلمى ..

ومهمــــا تــــكن عند امرىء من خليقة

وان خالها تخفى على النــــاس تعــــلم .

الناس اذن ليسوا فى حاجة الى نصح أو ارشاد وانما هم فى حاجة أشد الحاجة الى ثواب وعقاب فينال المحسن جزاء احسانه وينال المسىء عقبى اساءته . فالبشر بشر وليسوا ملائكة .. وهيهات أن يقوم انسان بعمله ان لم يعرف ان وراءه قانونا سيثيبه بالخير عند احسان وسينزل عليه العقاب عند اساءة .. على هذا تسير الدول بشتى نظمها الدول الشيوعية تقتل المسىء فان ترفقت نفته الى ما يشبه الموت . واذا غاب العقاب والثواب انتكس الانتاج وتناقص الى أسوأ حال يمكن أن يصل اليه . ولن يكون هناك مخلوق أرفق بخلق الله من الخالق نفسه وهو سبحانه وتعالى أعد للظالمين سعيرا وأعد للمتقين جنات النعيم .

مايو ١٦/٥/١٩٨٣ ..

المجتمع والأدب والسياسة

قدم الى الصحفي الأديب الفلسطيني يوسف بركات موفدا من جريدة أردنية كبرى وكان من بين الأسئلة التى وجهها الى « لماذا يكتب الأستاذ احسان عبد القدوس مقالات سياسية بكمية أكبر مما يكتب فى القصة أو الرواية . ألست ترى انه يجب عليه أن يعود الى كتابة القصة والرواية ويقلل من كتابته للمقال » .

وكان جوابى على الصحفي هو ان الكاتب يستلهم نفسه فيما يكتب ويترك قلمه على سجيته فان أرغم القلم على لون بذاته نفر منه القلم وأبى ان يجرى فى يده . وقد رأيت الموضوع جديرا بمناقشة أكثر اتســاعا فالقصة أو الرواية لا يستطيع الكاتب أن يقتسرها اقتسارا أو يعتسفها اعتسافا فهى فكرة تثب الى الذهن يقذف اليه بها مجهول لا يعلم أحد الا الله حقيقتها يسميها بعض الناس وحيــا ويسميها بعض آخرون الهاما وهى مسميات لمجهول يحاول بها المخلوق ان يستر جهله .

فهيهات وألف هيهات ان يكتب روائى أصيل رواية لا تنبعث شرارتها الأولى من ذلك المجهول الذى نطلق عليه أسماء ولا نعرف عن سره شيئا وكذلك الأمر فى المقالة وفى القصة وفى المسرحية . فالكاتب يعتمد دائما على تلك الخاطرة التى تومض فى ذهنه ثم تتناولها موهبته وقلمه وثقافته وتجربته فتصبح فى الصورة التى يطالع بها الناس . فليس من حق أحد مهما يكن شأنه أن يسأل كاتبا لماذا تكتب مقالة ولا تكتب قصة قصيرة أو رواية أو مسرحية لأن الخاطرة الأولى هي التى تحدد للكاتب الطريق الذى يرى أنه يصلح لمسيرة هذه الخاطرة وبلورتها .

وليس من حق أحد أن يسأل كاتبا لماذا يكتب فى السياسة ولا يكتب فى الأدب . فليس هناك أدب بلا سياسة الا أن يكون أدبا رومانسيا يستنبع الخيال . فكل أدب عظيم أدب سياسى لأن السياسة تتسع فتشمل كل مناحى الحياة فى المجتمع . والأدب يتسع ويشمل كل خفايا الانسان وكل أفعاله . فاذا لم يلتق الأدب والسياسة ومجال كل منهما الانسان فانها تصبح عجيبة من العجائب التى لا يسيغها منطق ولا يقبلها عقل سليم .

حتى الشعراء فى العصور التى كان الشعر فيها وسيلة لكسب العيش كانوا يكتبون أدبا سياسيا ٠

فحين يقول المتنبى فى رائعته شعب بوان :

يقــول بشــعب بوان حصــانى
اعن هذا يســـار الى الطعـــان

أبوكـــم آدم ســـن المعـــاصى
وعلمكـــم مفـــارقة الجنـــان

يصبح شعره من عيون الأدب الانسانى والسياسة موضوعها الانسان فهو يدعو بابياته الى السلام ويسخر من الانسان الذى يترك النعيم ليسعى الى الشقاء والقتل وسفك الدماء ٠

وحتى حين يصف المتنبى شعب بوان وجداوله وعناقيد العنب فيه وخمائله يصف الانسان ومدى الجمال الذى يستطيع أن يحققه اذا اتقن عمله ٠ وهذا شأن من شئون السياسة ٠

وحين يصف سيف الدولة فى الحرب ويقول :

وقفت وما فى الموت شـــك لواقف
كأنـــك فى جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطـــال كلمى هزيمـــة
ووجهـــك وضـــاح وثغرك باســـم

نجـده سياسيا من الطبقـة الأولى يصف شجاعة القـائد الحربى وما ينبغى ان يكون عليه من الجرأة والسكون والهدوء فى عاصف الحرب ودفاعها والحرب جزء من السياسة ٠

واذا تركنا المتنبى وذهبنا الى البحترى وتذكرنا أبياته الرائعة فى السينية الشهيرة عن ايوان كسرى التى يصف فى أبيات منها الرسوم فى الايوان ويبلغ القمة الرفيعة من تجسيده هذه الرسوم فيقول :

يغتلى فيهمـــو ارتيـــابى حتى
تتقراهمـــو يـــداى بلمس

فهو لا يصدق ان هذه الرسوم رسوم فيجرى أصابعه عليها ليستوثق انهم ليسوا أحياء وانهم حقا رسوم ٠

هو فى هذه القصيدة يصف التاريخ ومدى الرفاهية التى كان يعيش فيها كسرى ٠ والتاريخ مصدر رئيسى للسياسة وتسجيل لها فى وقت معا

والبحترى سياسى حين يصف مقتل المتوكل بقصيدة من أروع قصائد الأدب العربى والتى يقول فيها :

أكان ولى العهـد اضمر غـدرة

فمن عجب ان ولى العهـد غـادره

وهو فى هذه الكلمات القلائل يضع قضية سياسية كاملة مقتضاها انه لا يجوز ان يقوم بأمر الجماعة غادر لا عهد له ولا موثق ٠

واذا تركنا هذا الزمان والشواهد فيه تجل عن الاحصاء وجئنا الى عصرنا الحديث استحال علينا ان نلم بالشعر السياسى الذى قيل فيه وحسبنا ان نلقى نظرة سريعة خاطفة على شعر أمير الشعراء ولن الجأ الى الديوان وأنا اكتفى بما أذكر ٠

فى السينية التى يقول فى مطلعها :

اختلاف النهـار والليـل ينسى

اذكرا لى الصبا وأيـام أنسى

وسلا مصر هل سـلا القلب عنها

أو أسى جرحـه الزمان المـؤسى

كلمـا مرت الليـالى عليـه رق

والعهـد فى الليـالى تقسى

نفسى مرجـل وقلـبى شراع

بهما فى الدمـوع سـيرى وارسى

واجعـلى وجهـك الفنـار

ومجراك يد الثغر بين رمل ومكس

وطنى لو شـغلت بالخلـد عنه

نازعتنى اليـه فى الخلـد نفسى

ولن أذكر شعرا لشوقى بعد ذلك فان الأمر يحتاج الى كتب عديدة ليلم بشعره السياسى فان أغلب شعره سياسى وحسبى ان أذكر بعضا من قصائده « كبار الحوادث فى وادى النيل » « صدى الحرب » « انتصار الأتراك » « بعد المنفى » « مشروع ملنر » « مشروع ٢٨ فبراير » « تكليل انقره » « وداع كرومر » « نكبة دمشق » فاذا أضفنا الى هذه القصائد اغلب مراثى الجزء الثالث نجد ان السياسة هى المصدر الأول لالهام شوقى ٠

واذا انتقلنا الى عزيز أباظة نجد كل رواياته سياسية حتى قيس ولبنى لا تخلو من السياسة . وان نقاشه لحكم الفرد وحكم الشعب فى روايته قيصر تعتبر من كنوز الفلسفة السياسية .

فاذا تركنا الشعر وانتقلنا الى النثر نجد ان جميع كتابنا بلا استثناء تقف السياسة وراء كتاباتهم لا تتركهم ولا هم يبتعدون عنها فطه حسين والدكتور هيكل والعقاد والزيات والمازنى والحكيم ونجيب محفوظ ويوسف السباعى وعبد الرحمن الشرقاوى واحسان عبد القدوس وفتحى غانم وكل من لم أذكرهم لا يكاد يبتعد منهم أحد عن السياسة وان ابتعد فهو انما يولى وجهه الى المجتمع والمجتمع هو مسرح السياسة وشغلها الشاغل . فليس غريبا اذن أن يكتب احسان مقالاته وليس غريبا أيضا ان تتجه روايات له كثيرة الى السياسة بل ان رواياته الاجتماعية هى فى ذاتها سياسية لأن الرواية لا مورد لها الا المجتمع الذى هو أساس السياسة . فالسياسة هدفها الأول أن ترتقى بالمجتمع أو هكذا يدعى الساسة على الأقل ولا يرد على هذه القاعدة خذلان ان جعل بعض الساسة مناصبهم شباكا لمنافع شخصية ففى كل فئة الصالح والفاسد ولا يعيب هذا الفئة وانما يعيب الفرد وحده .

الأهـــرام ٢٠/٥/١٩٨٣ ..

القاموس والمعارضة

قرأت فى جريدة معارضة مقالا لرجل احترمه ويحترمه الرأى العام ولفت نظرى عنوان المقال من ان حرية الرأى المتاحة اليوم هى حرية النباح. وعجبت ان يقول رجل فى مثل مكانته هذه القولة ويكتبها ويوقع عليها.

ورأيت ان أرجع الى القاموس أبحث عن الكلمة فاننى لم اتصور ان يكتب رجل عرف برجاحة العقل وقوة المنطق ويحتم عليه عمله أن يعرف معنى الكلمة، هذه اللفظة بمفهومها الذى نعرفه ويصف بها الحرية التى يتمتع بها كما تتمتع بها الجريدة التى نشر بها هذا الرأى كما تمرح فى اتساعها كل الجرائد المعارضة.

ورجعت الى القاموس وبحثت عن مادة نبح وهاك ما وجدت « نبح نبحا ونبوحا ونبيحا ونباحا وتنباحا الكلب صات فهو نابح والجمع نوابح ونبح ونبوح. يقال نبحه الكلب ونبح عليه وأصل النباح لصوت الكلب » اذن فالنباح الذى يقصده الأستاذ الدكتور بجريدة الشعب هو النباح الذى نعرفه للكلاب ويعرفه معنا كل من ينطق العربية الأصيلة أو العامية. أفيكون الأستاذ الدكتور قد عرف للنباح معنى آخر لم يرد فى القاموس ... ربما ... فان كان ذلك كذلك فلماذا لم يشر الى هذا المعنى فى صدر مقاله وخاصة انه لم يقل فى المقال جميعا شيئا يستحق المناقشة الأمر الذى دهشت ان يكون من رجل له ما للأستاذ الدكتور من شهرة واحترام.

أفيقصد الأستاذ الدكتور ان كلام المعارضين نباح. الحقيقة ان العنوان والمقال لا يمكن ان تخرج منهما بغير هذا المعنى والأستاذ الدكتور محام كبير فلماذا لم يختم مذكرته بالطلبات التى تعلمنا حين كنا نعمل بالمحاماة انه ينبغى ان تختم بها كل مذكرة. أليس من حقنا أن نطالب الأستاذ الدكتور أن يذكر لنا فى نهاية مقاله ماذا يريد. أوليس من حقنا اذن ان نضع نحن هذه الطلبات أو نضع النتيجة المنطقية للمقدمات التى ساقها فنتصور انه يطالب المعارضة ان تقلب صوتها من النباح الصوتى الى الكلام الآدمى فتقول ما يفهم وتناقش الأمور وتقترح على الهيئة التنفيذية أو الهيئة التشريعية حتى تصبح معارضتها ليست أصوات نباح التى رأى الأستاذ الدكتور انها أصواتهم ـ وانما أصوات بشر يتفاهمون ويعرضون للرأى بالنقد والتفنيد لا بالنباح.

فاذا كان هذا ما يقصد اليه الأستاذ الدكتور ولا احسب انه يقصد الى غيره فنعم الرأى رأيه واكرم بالهدف الذى يسعى اليه ٠

واذا استمعت المعارضة الى هذا الرأى واستجابت له اتيح للقائمين بالأمر ان يتعرفوا ما تريد المعارضة فى كلام واضـــح مبين لأن الناس لا تستطيع أن تفهم شيئا من النباح الذى يصف به الأستاذ الدكتور الحرية المتاحة اليوم ٠ حتى سيدنا سـليمان عليه السـلام تعلم لسان الطير وما أحسبه تعلم للنباح معنى ٠

وبعد فمعالم الحرية واحدة لا تكاد تتغير من بلد الى آخر ولكن الذى يتغير من بلد الى بلد بصورة بشعة هم الممارسون لهذه الحرية ٠

فاذا استجابت المعارضة لدعوة الأستاذ الدكتور وقالت ولم تنبح أصبح من الممكن ان تستجيب الهيئة التنفيذية بدورها لدعوة كاتب آخر معارض لكل شيء ينشر مقالاته بجريدة قومية يدعو فيها الحكومة ان تستجيب لاقتراحاته المعارضة ٠

واحسب انه يريد من الحكومة ان تستجيب لاقتراحاته هو فقط لأن المعارضة فى رأى جريدة الشعب وكاتبها الكبير تنبح ولا تقترح فاذا كان فيها واحد يقترح أحيانا اقتراحا فهو صوت واحد لا يبين بين أصوات النباح ٠ ولا أحسب ان الصوت الواحد يكفى لتستجيب الهيئة التنفيذية والتشريعية لمقترحاته ٠ فانه يبدو لى ان هذا الكاتب الذى ينتمى بولائه واعجابه وحبه وثرائه الى العهد الشمولى يرى انه ينبغى على مصر ان يقول فيصبح قوله هو الأمر وان يشير فتصبح اشـــارته هى النفاذ والطاعة والامتثال ٠ والواقع الذى ننشده جميعا أن يصبح الأمر شورى وأن تثبت دعائم الديمقراطية التى تتصارع فيها الآراء ويكون الخضوع فيها لرأى الأغلبية التى نتمنى ان تصبح مع الأيام أغلبية رشيدة بعيدة من الغوغائية والله سبحانه كفيل بتحقيق الآمال جميعا ٠

مايو ١٩٨٣/٥/٢٣ ٠٠

الى هؤلاء وحسبى هم

اصدر وزير الداخلية بيانا ان هناك عناصر شيوعية تعمل فى الخفاء وقد يبدو هذا غريبا وهو فى نفس الوقت غير عجيب · اما انه يبدو غريبا فذلك لأن قراء هذا النبأ سيتساءلون فيم يعمل الشيوعيون فى الخفاء ولهم جريدة تصدر فى مصر تحمل كل آرائهم وتحمل من أفكارهم ما يصدم الشعور العام ويثير النفوس الشريفة وهم لا يكفون بجريدتهم عن تمزيق جروح الناس وتأليبهم على النظام العام وهم يقولون ما يقولون فى علن وفى غير مواربة ولا غموض ·· ففيم اذن حاجتهم ان يعملوا خفية ·

الى هـذا قد يذهب تاريخهم وأخـــلاقهم وتركيبة مذهبهم وتكوين نفوســـهم ··

أما غير هؤلاء وانا منهم فنرى ان عملهم السرى لا غرابة فيه فكما لا يعيش السمك الا فى الماء لا يعيش الشيوعى الا تحت الأرض وانى اعتذر للسمك ان شبهتهم به ·· فان خياشيم الشيوعى لا تستطيع ان تشم من الهواء الا فاسده ·· فهناك تحت الأرض فى سراديب العفن الذى يعيشون فيه ·· يدبرون المؤامرات ويختلقون الشـــائعات ، ويبتكرون التهم على الشرفاء ويمزقون السمعة الواضحة النقاء ، ويعلنون فيما بينهم سخيمتهم على كل من يتقى الله والضمير فيما يقول أو يفعل أو يتغيا ·

وهناك سراديب العفن يبيتون أمرهم بالليل الدائم الذى يعيشون فيه على الايمان بالله ، يحاولون ان يزعزعوا رواسخه الشماء فى نفوس المؤمنين ··

وفى هذا الخفاء تدبر الكوارث التى لا يستطيعون ان يعلنوا عنها فى الصحيفة المعلنة على الناس ، وانما تعمل الصحيفة على تهيئة الرأى العام لما يدبره المتآمرون المستخفون فى غياهب الأرض من مؤامرات ضد الدين والوطن والشرف ، والنقاء ، والحرية ··

فارض الشيوعية لا تكون الا فى مستنقع العذاب والانسحاق لجماهير الناس ، ولا ينمو نبتها الا بدماء البشر وعصير كراماتهم ··

ورجال الأمن هم المسئولون عن أمر هؤلاء ونحمد الله ان وزير الأمن عندنا يقظ على علم بما يفعلون ونحمد الله ان عينيه قد اخترقتا عليهم سراديبهم وكشفت عنهم خفاءهم ..

ولكننا نحن الشعب نجد الأجواء من حولنا تفوح منها في كثير من الأحيان ريح الشيوعية .. وان كان هؤلاء المتآمرون يدبرون أمرهم تحت الأرض فان هناك قوما آخرين يسترون عن العلن بالتنكر في ازياء بريئة يخفون تحتها أسلحة فاتكة تنفذ الى العلن في حياتنا بخبث أسود . وربما كان الذين تحت الأرض هم الذين يرسمون الأدوار ويحددون الأعمال لمن هم على سطح الأرض .. فان أولئك يتولون من أمورنا نواحي هي غاية في الخطورة .. وهم يبثون الدعاية الشيوعية مستخفية في كلام ظاهره بريء ولكن الحقيقة فيه تحمل السم الزعاف .. وقد يتنكر هذا الكلام في زي تمثيلية أو مسرحية يتنبه للشيوعية فيها بعض الناس ويسرى السم في نفوس البعض الآخرين دون ان يدركوا أنهم تجرعوه وسرى في دمائهم ففي أجهزة الاعلام فئة ليست قليلة من الشيوعيين .. وفساد الفرد منهم يكفي لفساد الآلاف لأنهم متصلون بالجماهير ولهم في الحديث اليهم تمرس ودربة .. ولهم في دس السم الشيوعي بأعمالهم وسائل وطرق ..

والشيوعيون أيضا منتشرون في الوسائل الأخرى لمخاطبة الجماهير وقد يتنكر بعض منهم بكثرة الحديث عن الايمان أو باصدار كتب عناوينها الايمان وموضوعها الالحاد وهؤلاء يتخذون من وظائفهم الرسمية درعا يدارون بها عن أنفسهم المظنة لأن المتعاملين معهم يسترون عليهم ليبلغوا هم هدفهم الذي يسعون اليه من نشر أو اذاعة أو تليفزيون ..

وهناك أساتذة في الجامعات يمسكون برقاب الطلبة العزل الذين لا يملكون سلاحا أمام السلاح الفاتك الخطير الذي يشهره الأستاذ الشيوعي عليهم من اسقاط في الامتحان واضاعة للمستقبل وتدمير للحياة .. وهؤلاء الأساتذة الشيوعيون لهم جرأة على الحق لا تتأتى الا لمن ألحد بالله والوطن والقيم الرفيعة وبالخلق الأسمى وتدلى الى حضيض لا يبلغه الا من كان مثلهم شيوعيا ..

وبعد فان عملي الحياة ان انبه الناس الى هذا الوباء فان كانت كلماتي هذه ستستطيع ان تجد سبيلها الى الناس فيصبحوا على حذر مما يدسه الاعلاميون الشيوعيون من سم لهم فما حيلتي مع هؤلاء الطلبة المغلوبين على أمرهم والأساتذة يسدون عليهم منافذ الحياة ..

احسب انه ليس هناك من سبيل الى هؤلاء الأساتذة الا ان يكون زملاؤهم من المؤمنين بالله وبالوطن على بينة بأمرهم ..

وان تكون مجالس الجامعات على وعى بما يصنعه هؤلاء الشواذ فيقمعوا جبروتهم ويقلموا اظفارهم السفاكة ، ويحدوا من بطشهم الرهيب ..

ولقد أعلم ان هناك من يتساءل عن هذا الحديث الذى نسوقه عن الشيوعية فان كان للمؤمنين فهم ليسوا فى حاجة اليه فلن يستطيع الكافرون مهما يكن لهم من أساليب أن يزحزحوا ايمانهم قيد شعرة ..

وان كان الحديث للشيوعيين فهم مرتبطون بمذهبهم ارتباط حياة مادية تعود عليهم بالبحبوحة فى العيش والرفاهية فى الدنيا التى اشتروها بآخرتهم وبوطنهم وبكرامتهم وبضمائرهم .. فما هم اذن بعائدين الى الطريق الحق مهما يكن الحق واضحا أمامهم ومهما تكن الحجة التى تواجههم منى أو من غيرى قوية لا رد لها ولا جواب عليها ..

والحق اننى اكتب هذا الذى اكتبه لشباب برىء لم يختر طريقه بعد وتتجاذبه نوازع متعارضة من أضواء الكلمات البراقة التى يلفقها عليهم الشيوعيون .. من تقدمية ورفض للرجعية وخروج عن مألوف الناس من دين ووطنية وخلق ونوازع أخرى مما استقر عليه المجتمع الشريف من قيم دينية وخلقية ووطنية ..

الى هؤلاء اسوق الحديث وحسبى هم ؟

الأهـــرام ١٩٨٣/٥/٢٩ ..

الآن عرفت السبب

الأستاذ عبد الدايم أحمد عمر موجه عام اللغة العربية يصرخ ونحن أبناء العربية نصرخ معه • ضاعت اللغة العربية وهى الى ضياع أشد مع ما تلقاه من وزارة التربية والتعليم فكلام الأستاذ عبد الدايم أحمد عمر كلام رجل مسئول وليس الأمر هزلا ولا قولا من غير مختص •

فهو يقول ان النظم الجديدة منها ألا يرسب تلميذ فى الصف الأول الاعدادى والنقل شبه الالى من الصف السادس الابتدائى اذا كان راسبا فى اللغة العربية • ثم يضيف ان نسبة النجاح فى الصف الأول الاعدادى باحدى المدارس التى زارها فى الأيام الأخيرة هى ٤٣٪ فاذا بالادارة ـ ولا أعلم اى ادارة ـ تصدر الى المدرسة أمرا • انه لابد أن ينجح الجميع فى الدور الثانى فلا رسوب ولا اعادة فى الصف الأول • والى هنا ينتهى كلام الأستاذ الموجه • والذى نعرفه ان الطالب اذا لم يعرف مبادىء اللغة فى السنوات الأولى من حياته المدرسية يصبح من العسير عليه ان يكون على الفة أو معرفة باللغة بعد ذلك • وقديما علمنا أساتذتنا ان العلم فى الصغر كالنقش على الحجر • فلا عجب اذن والحال على ما ذكر الموجه ان يصبح التعليم فى المدارس المصرية فى الصغر كالنقش على الماء لا يجدى ولا يأتى بثمرة •

وقد كنت اعجب كيف يرســـل الى خريجون من الجامعات مقالات وما يسمونه هم بقصائد واجد فيها أخطاء املائية تتأبى على الحصر وتثير فى نفس الوقت لواعج الألم واليأس والأسى لما بلغته اللغة العربية عند أبنائنا • أما اليوم وبعد أن قرأت ما كتبه الأستاذ الموجه لا عجب بل العجب أن يكتب هذا الجيل كلاما سليما لأنه حينئذ سيكون قد بذل جهدا مضاعفا ألف ضعف ليقيم لغته معتمدا على نفسه دون عون من مدرسة أو استاذ •

وكم أنا حزين ان أوجه هذا الحديث الى وزارة التربية والتعليم التى يقوم على شأنها رجل أكن له كل تقدير واحترام • ولكن الكارثة أعظم من أن نسكت عليها • أما يكفينا ما حل باللغة العربية وبتعليم القرآن الكريم حين أصبح الأزهر جميعه مدرسة مدنية أو جامعة مدنية لا يختلف شأنه عن آلاف الجامعات باقطار الأرض • أكان لابد ان تكتمل المصيبة أيضا بأن النجاح فى اللغة العربية يصـــبح مفروضـــا دون ان يتعلم التلاميذ شيئا •

انني أعرف أن العجز في المدرسين وفي أماكن الدرس هو السبب الذي يقف وراء هذا الأمر العجيب الذي طالعنا به موجة اللغة العربية . ولكن أيكون العجز سببا أن تصبح مدارسنا ديار جهالة بدلا من أن تكون ديار علم .

كيف يمكن ان يتعلم التلميذ اذا لم يكن على ثقة انه سيسقط آخر العام ان لم يذاكر وسينجح اذا هو ذاكر .. أم ترى أصبح التلاميذ الصغار يتمتعون بحق النجاح دون عقوبة السقوط شأنهم في ذلك شأن العاملين الذين لا يؤدون واجبهم ويملأون الدنيا صراخا مطالبين بحقوقهم . فواضيعة العلم اذن .

واذا كان التلميذ لا يعرف في بدء حياته ان العلم حتمي وان المذاكرة هي السبيل الوحيد ان يصبح متعلما فمتى يعرف ذلك . ان خطوات التلميذ الأولى هي التي تحدد وجهته في الحياة وهي التي ترسم له الطريق حين يشب عن الطوق . وقد سمعنا من علماء النفس ان الطفل وهو رضيع يحتاج الى عطف أمه ويحتاج الى من يهدهد فراشه ويربت كتفه ، فاذا كان هذا وهو بعد رضيع فكيف يكون الأمر اذا وجد التلميذ المجد نفسه يتساوى مع اللاهي الذي لا يبذل أي جهد الا في لعب الكرة ومشاهدة التليفزيون . وغير ذلك مما لا يتصل بالمذاكرة أو التعليم . وما الذي يدعوه للمذاكرة والكرة أكثر متعة والتليفزيون أكثر تسلية وهو على كل ناجح ناجح وليذهب العلم والدراسة والمستقبل الى أي جحيم يشاء .

وحسبنا الله ونعم الوكيل في مستقبل التعليم ولا أقول الثقافة في مصر العظيمة .

مايو ١٩٨٣/٥/٣٠ ..

الكتاب والكرة

حين كنت طالبا بالمدرسة الثانوية كانت المكتبة فى المدرسة عامرة بكل ما نفكر أن نقرأه من الكتب • ولم نكن نكتفى نحن التلاميذ بذلك وانما كنا ننشىء مكتبة فى فصلنا يأتى فيها كل تلميذ بما قرأه من كتب اشتراها وتكون النتيجة أن يقرأ تلاميذ الفصل جميع الكتب التى اشتراها زملاؤه • ولم تكن الكتب مرتفعة الثمن شأنها اليوم ولم يكن الآباء يضنون على أبنائهم بثمن الكتب •

وكنا فى أيام الأجازات الصيفية نجد المكتبة العامة فى باب الخلق نقرأ فيها كل ما نريد • فاذا انتقلنا الى الزقازيق وجدنا مكتبة البلدية وبها كل ما نطلبه • فاذا ذهبنا الى المصيف فى رأس البر أو الاسكندرية كانت الكتب تسعى الينا على الشواطىء وفى الكازينوهات المقامة على البحر الأبيض أو على النيل •

وكان من المفروض أن يزدهر الكتاب وينتشر على مدى الأعوام ولكنه واحسرتاه انحسر وذوى واقفرت منه الحياة •

ولست انسى خطابا جاءنى من احدى مدن الصعيد كتبه الى طالب بالجامعة يقول لى أنه لم يقرأ فى حياته الا نصف كتاب استلفه من صديق له واسترده الصديق قبل أن يتاح له أن يكمل قراءته •

والواقع ان هذا الخطاب ملأنى جزعا واشفاقا على مستقبل الشباب عنــدنا •

وربما يقـــول قائل وكيف للشـــباب أن يقرأ واغراء التلفزيون والرياضة والملاعب يأخذ عليه كل وقته • وهذا قول مردود • فقد كانت الرياضة مزدهرة فى أيامنا مع الكتاب • ولكل عصر متعه وملاهيه فقد كنا نشاهد أفلام السينما جميعا تقريبا وكنا نذهب كل أسبوع الى مسرح الريحانى الرائع الخالد الذى لم يأت له مثيل أو قريب من مثيل حتى اليوم • فحياتنا لم تكن قراءة فقط وانما كان الكتاب هو أعظم متعة فى حياتنا التى كانت مليئة بأصناف الامتاع الرفيع الأخرى •

واذا كان التليفزيون اليـوم يسد منافذ الحياة فالحاجة الى الكتاب

تصبح أشد فربما كان فى الكتاب ترياقا من سم المسلسلات التافهة وربما اذا عرف الشباب الأدب الرفيع اضطر كتاب المسلسلات أن يبذلوا جهدا ليقدموا الى المشاهد المثقف فنا رفيعا أو قريبا من الارتفاع على الأقل ٠ وأعجب وأنا أشاهد فى كل قرية ناديا رياضيا ٠ ويهتم ذلك النادى بالكرة على جميع أصنافها من كرة قدم الى كرة يد الى كرة طائرة الى كرة طاولة وان النفقات التى تبذل فى اعداد لعبة واحدة من لعبات الكرة تكفى لانشاء مكتبة حافلة ولكن القائمين بأمر الشباب استقر فى أذهانهم بصورة لا تقبل المناقشة أن يهتموا بالأقدام ويتركوا الرؤوس ٠

فاذا كان هذا أمر هيئات الشباب أفما كان من الطبيعى أن تعوض وزارة الثقافة هذا الاهمال الفظيع فى شأن الكتاب عند هيئات الشباب بأن تقيم مكتبة فى القاهرة تليق باسم القاهرة ثم تقيم مكتبة فى كل حى ومكتبة فى كل مبنى من تلك المبانى التى ظلموها فأطلقوا عليها قصور ثقافة وربما كان أولى بها أن يسموها قصورا فى الثقافة لتقصيرها فى شأن الكتاب ٠

واذا كانت وزارة الثقافة قد تخلت عن الكتاب واعتبرته مادة لا تدخل فى اطار اختصاصها الثقافى ٠ أفلا ترى وزارة التربية والتعليم أن واجبها يحتم عليها أن تقوم هى بامداد مكتبات المدارس بالكتب بحيث يجد التلاميذ بغيتهم فيها وتتعاون مع الناشرين ليمدوا المكتبات بالكتب بدلا من أن تعفى نفسها من هذا الواجب مكتفية بأن تعطى كل مدرسة بضعة مليمات ينفقها النظار فى نشاطات الجسم ولا يفكرون أن ينفقوها فى نشاطات العقل ٠

واذا كانت كل هذه الهيئات قد تخلت عن واجباتها فكيف نستطيع أن نقول للشباب تلك الكلمة التى افتتح بها الله سبحانه رسالته الى خاتم الأنبياء وسيد البشر صلى الله عليه وسلم « اقرأ » فان أول سؤال سيجيبنى به الشاب ماذا أقرأ وأين أقرأ وكيف أقرأ وأين لى بثمن الكتاب وأين لى بالمكتبة العامة ٠ فلا لوم عليه اذن ولا تثريب أن يكون جاهلا أشد الجهل مادام يعيش فى مجتمع أصبحت فيه الأقدام فوق الرؤوس ٠

مايو ١٩٨٣/٦/٦ ٠

لابد لهـا من وقود

كريم هو الله رؤوف بعباده شفوق · بما رحمة منه استطاع الانسان عبر العصور وعلى مر الدهور أن يحتمل آلامه وأن يصبر نفسه على البلاء تتداول عليه أيام النحس والسعود · والنحس من بعد سعود شر أنواع البلاء · فاذا هو صابر صادق · وتصدق عليه الآيات الكريمات : « كم تركوا من جنات وعيون · وزروع ومقام كريم · ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين · فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين » « سورة الدخان » ويذهب هؤلاء الى الجحيم أو يغفر لهم ربهم فيوفيهم جزاءهم فانه سبحانه هو العدل المطلق ولهذا فاليأس لا يداخل أبناءهم من رحمة الله ولا يمسهم قنوط ويسعون فى الحياة سعيهم ، منهم من يتبع الطريق الأقوم ومنهم من يحيد · وجميعهم على شوك الحياة صابر · لقد خلق الله هذا الانسان من قوة لا تماثلها قوة ومن ضعف لا يدانيه ضعف هو قوى حين تتصل أسبابه بالرحاب القدسى وحين يتجه بروحه الى الملكوت الاعلى فانه حينئذ يصبح وقد عجزت مغريات الأرض جميعا أن تلحق به ·· قد تتأرجح خطاه فى أول الطريق وقد تراوحه من متع الدنيا أقسام تتخلج لها نفسه بين اقدام واحجام حتى اذا سيطر على نوازعه وتملك أمره وزجر الدنيا · ازدجرت وأصبح هو أقوى ما عرفت البشرية · انه الانسان الذى حمل الأمانة وبيده أن يختار المتعة العاجلة واللذة العابرة والنساء والمال وكل ما يقدمه الشيطان من اغراء أو يخوض فى غير هذا ينظر الى الآفاق العليا من السماء وتصبح هذه الدنيا جميعا بكل ما يحكمه الشيطان فيها هباءة لا قيمة لها الانسان سيدها وجبارها ، وهو هو نفسه عبد الله الخاضع له ، اخبت اليه وسجد مع الساجدين وسبح باسمه واجدا فى عبوديته تسييده ، وفى خضوعه جبروته ، وفى اصابة كرامته عزته ، وفى سجوده مجده وكبرياءه ·

وذلك الانسان بلغ ما بلغ بايمان داخلى · هو واحد من النجدين الذى هداه الله اليه · وطريق من طريقين · وهو الطائر الذى فى عنقـه ليختار حرا فى اختياره بين لذة سريعة فى الدنيـا وبين متعة خالدة فى الآخرة · ومتعة الدنيا حاضرة ماثلة يشهدها بكل حواسه يراها بعينيه ويشمها ويسمعها ويلمسها · ومتعة الآخرة ايمان فى النفس لا يزيد على

مجرد شعور لم يره ولم يشمه ولم يسمعه ولم يلمسه وانما أدركه بقلبه • ثم أمعن فيه بعقله وملأت كلمات الله أقطار الدنيا حوله حين يقول سبحانه عز من قائل « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » فاذا الانسان المؤمن يصبح هذا العملاق السيد العبد الجبار الخاضع •

هذا التسيد وهذه العبودية وذلك التجبر وذلك الخضوع هو مصدر سعادة لا يعرفها الا من كان مثله • وبهذه السعادة يقطع الانسان طريقه الوعر الخشن بين أنياب البشر الحادة وبين أضراس الدنيا الفاتكة تغريه بكل فتنتها أو تذله بكل ظلمها ويظل هو ذلك السيد العابد عازفا عن فتنة الدنيا ومتكبرا على اذلالها فلا تملك الا أن تنحسر عنه وهى خاضعة ذليلة •

يعمل فلا يعمل الا فيما يشرف ويسعى فلا يسعى الا فى النور • والناس أغلبهم لا يحبون الشرف ولا يحبون النور • فقد أرهنتهم الدنيا أن يقاوموها وأذلهم سلطانها أن يخضعوها •

هؤلاء المساكين من الناس هم الفئة الغالبة • ضعاف • لا لأنهم لم يتسيدوا الدنيا ويتغلبوا على أنفسهم فان هذا أمر شاق عسير لا يطيقه الا من كان عاتى القوة فذا عملاقا •

أما هم فمساكين لانهم حينما يلقون بأنفسهم الى اضراس الدنيا تظل تمخضهم بين نحس وسعود وبين مرتفع وحضيض وتمضغهم فتفقد نفوسهم احتراما لأنفسهم ويصبحون دون أن يشعروا فى دفاع الهول الوبيل واى هول يلقاه انسان شر من احتقاره لنفسه وبغضه لها واستصغاره لشأنها • هذا الانسان الحقير هو شر عدو للانسان الذى تمكن من الدنيا وحرمها أن تتمكن منه •

وقد يكون الانسان الضعيف مالكا لمال لا يحصيه عددا ولسلطان ليس له أمد وقد يكون الانسان القوى مقترا عليه فى الرزق وليس له من السلطان نصيب • ولكن وبعزة الله وقدرته يصبح الغنى الباذخ الغنى أمام هذا الفقير حشرة أو أقل شأنا • ويصبح ذو السلطان الشاهق العريض أمام من اختار سلطان الله متسولا يستجدى منه قبسة هينة مما يسعد به من راحة ضمير ، وهدوء خاطر ، واطمئنان حياة ، وثقة بالنفس ولا يستمدها الا من ذلك الايمان وتلك الثقة بالله الواحد القهار •

وتصبح الدنيا عند ذى المال والسلطان هى حياته الواحدة فهو يعلم انه لو فقدها فالجحيم مثواه فى الناحية الأخرى • فهو أحرص ما يكون على هذه الدنيا • والدنيا لا تذل أحدا قدر ما تذل حريصا عليها • فقد

يزول ماله ويدمر عليه سلطانه وتصدق عليه الآيات الكريمة من سورة الدخان ولكنه يظل متشبثا بالحياة وان كان فيها يتسول المطعم أو كان فيها ذليلا عبدا للبشر ولما يلقونه اليه من فتات ويحاول أن ينسى ولايستطيع أن ينسى قوله سبحانه وتعالى : « يا أيهـــا الانســـان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه » « سورة الانشقاق » فهو يخشى هذا اللقاء فهو لم يعد له فى حياته شيئا ••• كان فى فم الدنيا الجائعة أكلته وكان يخيل اليه أنه يأكلها وامتصته وكان يتوهم أنه امتصها حتى أفاق الى نفسه استبانت له الحقيقة • لم يبق منه الا ما يصلح للحريق •

مسكين هذا الانسان • حمل الأمانة وما كان كفؤا لها والذى خلقه يعلم ضعفه بل لا يعلمه الا هو • وهو سبحانه يمهد بالغفران طريق الخاطئين ويفرس بالرحمة سبيل الضائعين • ولا يرفض فى رحاب رضوانه الا المشركين الذين يجادلون فيه عن جهالة ، ويصـــدون عن وحدانيته بالحادهم وعن ملكوته بكفرهم • أولئك هم التائهون حقا • وأولئك هم وقودها •• وانه لابد لها من وقود •

الأهـــرام ١٩٨٣/٦/١٢ ••

لا ملجأ الا هــو

أكتب هذا وأنا فى طريقى الى أقدس زيارة يقوم بها مسلم فأنا ذاهب لأطوف بالكعبة الغراء وأسعى بين الخالدين الصفا والمروة ثم أزور أشرف قبر عرفته الحياة لأشرف انسان عرفته الحياتان • وأنا رجل كثير الأسفار ولى عند كل سفر بهجة وتشوق واشراق نفسى متطلع سعيد • ولكننى لا أشعر فى سفر لى بما أشعر به فى طريقى الى الأراضى المقدسة •

فالبهجة التى تحتوينى فى الاعداد لهذا السفر لا تعدلها عندى بهجة فى العالم مهما يكن مأتاها ومهما تتلون أسبابها • يمازجها خشوع نفسى ورضا عن الحياة وتصالح معها وقبول لكل ما نلاقيه فيه من الالاقى • أحس أننى فى طريقى الى مكان يجدد كيانى كله أعود منه فى طهارة وليد، وفى خبرة كهل ، وفى نقاء النور ، وفى شفافية ايمان لا يعرفها الا من يقول من أعماق فؤاده ومن بعيد مشاعره لا اله الا الله • محمد رسول الله • أطوف هناك بأركان الكعبة • لبيك اللهم لبيك • وهل لنا فى الحياة الا لبيك • اللهم لبيك وأسعى بين الصفا والمروة أردد الدعاء كما يلقنه لى الملقن وقد يلحن فى اللغة فأقيم اللحن على لسانى وأستمر فى الدعاء فاللغة هى اللغة التى اصطفاها الله لتكون لسانه وسبحانه الى البشر أجمعين فى المعجزة الوحيدة من معجزات الأنبياء التى شاء سبحانه أن تظل باقية حتى ينفخ فى الصور • حتى اذا أديت مناسك مكة سبقنى قلبى الى الرسول عليه الصلاة والسلام أهفو الى الوقوف فى رحابة فلا والله ما خفق فؤادى مثل خفقه وأنا أمام شباكه يحف به الطاهران أبو بكر وعمر • ما هذا الجلال الذى أضفاه رب العرش على هذا المكان ••• ما هذا الاشراق لا يبرح جنابه فى ليل أو نهار ••• صدق رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ••• وهل كان الا رسولا نبيا ••• ان الروضة قطعة من الجنة • فنحن هناك فى سماء ولا أرض فى سموق لا تعرفه نفوسنا الا فى هذا الرحاب الأسنى ولولا تواضعه صلى الله عليه وسلم لقال ان أمام شباكه نفحة من نفحات النعيم • وهناك حيث مهبط الوحى وحيث وصل جبريل عليه السلام السماء بالأرض وحيث أرسل الخالق كلماته الى رسوله البشر النبى الأمى سيد العالمين •

هناك تدرك أن كل ما تعرفه عن الجنة وهم من الوهم ••• لأن الجنة التى أعدها الله للمتقين وصفها سبحانه بما يعرفه البشر ولكن المشاعر

التى سيكون عليها البشر لا يعرفها الا هو سبحانه وتعالى لأنها أبعد ما تكون عن ادراك البشر فى هذه الحياة • ويخيل الى أن نفحة منها تسرى هناك بين الروضة الشريفة وبين مثوى النبى عليه الصلاة والسلام •

أنا فى طريقى الى هناك فهينة هى الدنيا بكل ما فيها من آمال وآلام • وصغار هم البشر بكل ما يدبرون ويبيتون • ونفسى منذ الآن ليس فيها ألا الشوق الى لقاء أول بيت أقيم للناس ببكة المكرمة وأعظم نائم فى البشر أجمعين •

كل ما يمر بنا هنا من أزمات لا شىء كل ما يكيده لنا الأعداء هزل لا جد فيه • وكل الحياة بما تسعه الحياة لا يساوى وقفتى أمام أعظم انسان عرفته البشرية وأمام مسعاى بين الصفا والمروة وطوافى حول البيت •

ولو لم أنل فى حياتى كلها الا هذا الشعور الذى يراوحنى الآن لكان حسبى زادا فى دنياى جميعا •

مساكين أنتم أيها المشركون لو عرفتم حلاوة الايمان لعرفتم مدى السعادة التى تحيط بى • لكم الله • فانكم مهما تشركوا ستعلمون أنه لا سبيل لنفوسكم أن تطمئن ولا لنيران سعاركم أن تهدأ ألا أن تقولوا هو الله ••• لا اله الا هو سبحانه • ولا ملجأ لنا منه الا له تقدست أسماؤه •

• ١٩٨٣/٦/١٣ •

بعض المسلمين وليس الاسلام

الاسلام هو أعظم حضارة عرفتها البشرية فمعجزته هى المعجزة الباقية على الدهور لا يحتاج أن يرويها راو عن راوية ٠٠ وانما هى كتاب كريم فى صحف مطهرة لقفها عام عن عام حتى زاد بقاؤها من الف وأربعمائة عام وهذا واقع حدث فعلا لا مجال فيه لظن وهو باق الى قيام الساعة وهذا يقين المؤمنين الذى يصل فى ثبوته عندهم الى ثقة هى والواقع الذى حدث فعلا سواء ٠٠

وقد يرمينا الملحدون شيوعيين كانوا أو كانوا آدميين اننا نؤمن بالغيب ونسخر نحن المؤمنين مما يقولون فنحن نؤمن بالله الذى يرينا آياته فى الآفاق وفى أنفسنا ونحن مبصرون ، نحن نؤمن بأن الروح فى الانسان والروح فى كل مخلوقات هى من صنع الله لا يعلم سرها الا هو ٠٠ ومادام هناك سر لم يعرفه الانسان وهذا السر فى ذاته أصل حياته ووجوده وسببه حياة العالم أجمع فهناك اذن قوة عليا لا يدركها عقل الانسان ولا يستطيع الوصول اليها ٠٠

ونعلم نحن المسلمين ان هذا القرآن لا يسطع الا من قوة عليا لا ندرك مداها ولا سبيل لنا ان نبلغ أيسر أسبابها وبما هذا نحن مؤمنون وبما كتاب الله نحن مسلمون ٠٠

فلا غيب اذن فى الأمر ولا غيبوبة ٠٠

أما الغيبية الحقيقية والرجم بالظن الذى يصل الى أبعد آفاق السذاجة والسطحية فهو فى قول الملحدين شيوعيين كانوا أم كانوا آدميين ان أصل العالم مادة ٠٠٠ عجيبة ٠٠ أو كانوا عند ذلك العالم وهو ينشأ ٠٠ فمن أين لهم اذن أن يعرفوا ان المادة أصله الا أن يكون ذلك اعمالا للظن الذى لم يثبته علم ٠ فادعاؤهم انهم يعتنقون العلم بهذا الذى يقولون هو فى ذاته غيبية لأن العلم لا يعرف الا اليقين فمن أى يقين عندهم أثبتوا ان أصل العالم مادة ٠٠

ان العلماء الحقيقيين أجمعوا فى أقطار الأرض جميعا على انهم وصلوا من العلم الى ظواهره والى جزء من مداه وان هناك اصبعا تطلع عليهم عند أمد

معين من بحوثهم تأمر فى حسم الملك الوحد الأحد : مكانكم ··· الى هناك وينتهى اجتهادكم وما بعد ذلك هو شأن العليم الأول والآخر والذى تنتهى اليه أسرار كل ما فى السماوات والأرض التى هو بديعها ··

ويجمع العلماء ان هذه الأصبع واحدة هى هى لا يتغير شكلها فى شتى مناحى العلوم هى أصبع الكهرباء والذرة والطبيعة والكيمياء والطب وكل العلوم بلا استثناء ··

عرف الانسان كيف تسير آلة جسمه ولكنه لا يعرف سر الروح ولا يعرف ما الذى جعل الكبد يفرز الصفراء ولا ما الذى جعل العيون تبصر وتفيض بالدمع ولا عرفوا سر تلك القوة الالهية المتمثلة فى العقل ··

ووصل الانسان الى القمر ولكنه لم يعرف من الذى أودع فى الوقود هذه الطاقة ·· عرفوا الظاهر ولم يعرفوا سره ولا باطنه توصلوا الى العارض البادى ولم يتوصلوا الى ما وراء هذه القوة العجيبة فى الجماد التى بلغ من جبروتها أن وصلت بالانسان الى القمر كل ما استطاع الانسان أن يتوصل اليه هو مدى فاعلية ما تحمله المادة من قوة أما سر هذه المادة فهو لم يعرفها كما لم يعرف الطبيب ما الذى نظم الجسم هذا النظام الأمثل ولهذا يضطر الطبيب أن يؤمن بقوله تعالى « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » ويضطر علماء الأخلاق أن يؤمنوا بقوله تعالى « ثم رددناه أسفل سافلين » فلا شك ان فى بنى الانسان من هو فى أسفل سافلين وهل هناك أسفل من الجاحدين الذين يرون آيات الله رأى عين فى أنفسهم وفى الآفاق ولا تصيح كل خالجة فيهم الله أكبر لا اله الا الله ·

ثم يدعون انهم مسلمون ··· أو مسلمون هم وهم يقولون بالمادة لا بالله ·· أو مسلمون هم وقد حرموا ما أحل الله وما نهى عن المساس به ·· أو مسلمون هم وهم يدينون بالولاء لبلاد تقتل النفس الانسانية وتعذبها وتشردها وتحبسها وتغلق عليها منافذ الحرية ·· أو مسلمون هم فهل قرأوا قوله تعالى « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون » من الآية ٨٥ من سورة أسمها سورة البقرة أفسمعوا بها ما أظن والا فما لهم يقولون ان المؤمنين بدين الله بعيدون كل البعد عن الحضارة وانهم جامدون متحجرون حتى لقد أشاعوا بين فصيلة من الشباب ان التفتح العقلى والسمو الفكرى والتألق الذهنى لا يكون الا هؤلاء الذين لا يحافظون على دينهم ولا يرعون حقوق ربهم لأنه لا رب عندهم الا المادة ولا اله الا الطغيان ولا فيصل الا السلاح ولا حاكم الا الجبروت ·

أو مسلمون هم فما لهم يطلقون تلك الكبيرة ان التمسك بأسباب

السماء بعد عن الحضارة ولو أنعموا النظر أو أمضوا الفكر لتبين لهم ان الدين هو الحضارة البشرية وان الدين الاسلامى هو قمة هذه الحضارة لأن الطريق الذى اختاره بارىء البشر للبشر والا فليذكروا هم لنا طريقا آخر لا يضل الانسان ولا يصبح قطعة من جماد حقير لا تصلح أن تكون انسانا ..

اذا كانوا يظنون ان تخلف بعض الدول الاسلامية دليل على تخلف الاسلام فهم يغالطون أنفسهم ويغالطون الناس فما تخلف الاسلام وانما تخلفت الأغلبية الكاثرة من المسلمين وما كان تخلفهم هذا الا لخروجهم عن أوامر الاسلام وروحه وقيمه الباذخة السموق .. فالقرآن يحض على العلم وهم لم يتعلموا والاسلام يحض على السعى وهم قعدوا ويحض على السمو بالرغبات وهم سفلوا! ويحض على كرم المال والنفس وهم بخلوا فلا والله الذى لا اله الا هو ما تخلف الاسلام وانما تخلف بعض المسلمين .. وبعض منهم آخر ربما كان قليلا ولكنه يحطم قول المجترئين على جلال ديننا .. أولئك قوم غزوا الغرب فى قمة تقدمه العلمى وكانوا أساتذة أجلاء علماء سابقون فسبقوا ولم يلحق بهم لاحق .. والأمثلة لا حصر لها ولا تعداد وهم سابقون بفضل دينهم وتمسكهم بروح هذا الدين وتعاليمه .. وتحضره وتقدميته فليست التقدمية الالحاد وانما هى ايمان فالالحاد سابق على الدين .. والايمان تصحيح لمسار البشرية والاسلام أعظم ما هدى به الله البشر « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » سورة المائدة . ولا يمكن أن تكون آخر رسالة من السماء الى الأرض ألا قمة الحضارة الفكرية .. فاذا قيل لنا ان غير المسلمين هم الذين تقدموا حضاريا لقلنا لهم ما كان ذلك منهم ألا لانهم هم طبقوا تعاليم الاسلام من علم وثقافة وسعى وجهد .. اهتدوا اليها بما أودعه الله فى قلوب البشر من قبسته النورانية فوصلوا الى ما وصلوا اليه من حضارة بينما زاغ المسلمون أنفسهم عن تعاليم دينهم فتأخروا هم ولكن الدين من تأخرهم براء فهم قد تأخروا على الرغم من انهم مسلمون لا لأنهم مسلمون فليس الاسلام مجرد صلاة وصيام وزكاة .. وانما هو روح وجهاد وسعى حثيث وتجميل للحياة وتمازج بين العلم والروح ..

وليس هناك دين ولا تشريع أغفل الروح وأفلح أو أغفل العلم وكتب له النجاح .

فليقصر اذن الكافرون الملحدون .. وليحترموا آدمية الانسان .. وليتركوا له الحرية التى وهبها الله .. وأما الاسلام فانه سيد الحياة شاءوا أم أبوا .. والله غالب على أمره وان كره الملحدون شيوعيين كانوا أم كانوا من البشر ؟

١٩٨٣/٦/١٩

الله للغة العرب

أترانا نكتب لأنه ينبغي علينا أن نكتب أم ترانا نكتب لتسلية القراء وازجاء أوقات فراغهم ودفع الملاله عنهم ‥ أم هي والسلام ملء لصفحات جريدة لابد أن يشغل صفحاتها البيض حبر أسود منقوش بقلم كتاب تعود القراء أن يطالعوا أسماءهم في كل يوم أو في أيام معينة من الأسبوع ان كان الأمر كذلك أو شبيها بذلك فبطن الأرض خير من ظهرها ‥ ولنقصف الأقلام ولتكن الصحف بيضاء فهذا خير لها ولنا على السواء ٠ وان كان الأمر كذلك أو شبيها بذلك فأولى بنا نحن الذين نسود الصحف أن ننقش الأقلام ونتسمت بجهدنا سمتا أكثر نفعا لنا وللناس وحسبنا الله ونعم الوكيل ‥

واذا كان الأمر كذلك أو شبيها بذلك فقد ضاعت الكلمة اذن وهي التي اختارها الله سبحانه وتعالى معجزته الباقية على الدهر وآيته الخالدة الى الزمان ٠

وان لم يكن الأمر كذلك أو شبيها بذلك فما للمسئولين يسمعون ولا يجيبون ‥ ويقرأون ولا يحفلون ‥ أم تراهم لا يسمعون ولا يقرأون فتلك اذن الكارثة التي لا تصل اليها كارثة والمصيبة التي لا تماثلها مصيبة ‥ فالمسئولون هم القائمون على الأمر والكاتب هو صوت هذا الشعب الذي يقومون على أمره فان لم يسمعوا ما يقول الشعب فكيف اذن سيقومون بشأنه ويصبحون أمناء على مستقبله حراسا على صوالحه ‥ ولست أعني ان كل ما يكتبه الكاتب يصبح أمرا واجب التنفيذ والا أصبح الكتاب هم الحكام وانما أعني أن يكون كل ما يكتبه كاتب دون غرض أو غاية أو مصلحة شخصية موضوع نقاش من المسئول واهتمام ومداولة ‥

ولابد أن يعرف المسئول ان بقاءه على كرسيه أمر وقتي له نهاية أسرعت النهاية أم توانت وأبطأت ولكن صوت الكاتب الذي تخلو نبرته من المنفعة الخاصة أو من السعي الى البطولة الزائفة يبقى صداه على مدى الزمان بلا نهاية ‥

ربما كان هذا الذي أكتبه مليئا بالسخط والغضب واقسم ما غضبت لنفسي انما للحق الذي أؤمن به كانت غضبتي ومنذ سنوات

كتبت عدة مقالات طالبت فيها ·· أن يعود الأزهر الى الأزهر ·· وصرخت ان العالم تملؤه الجامعـات المدنية ولكن ليس فى العـالم الا أزهر واحد استضاءت بفيض أنواره جنبات الشرق أجمع وألقى شعاعه الى كل مناحى الدنيا ·· وكان هذا الأزهر أمينا على فقه القرآن الكريم والدين الحنيف ·· واللغة العربية هى السـبيل الى فهم القرآن والدين وحسبنا ما جـاء فى كتاب أخينا عبد الرحمن الشرقاوى عن الامام الشافعى نقلا عن الثقاة من أنه كان يقيم فترات طويلة فى البـادية ليستقيم لسانه العربى ويصبح جديرا بأن يتصدى لما تصدى له حتى استقام له مذهب يتبعه فيه حتى اليوم قوم لا يحيط بهم حصر فهو واحد من أئمة أربعة استقرت أسماؤهم على قمة العلم فى الفقه الاسـلامى ·· والأئمة الثلاثة الآخرون هم أيضـا كانوا على ثقة لا تقبل المناقشة من انهم اذا لم يعرفوا لغتهم حق المعرفة فليس لهم أن يجلسوا للفتوى وكذلك الأمر مع كل ما سـار على نهجهـم أو مشى فى طريقهم ··

وطالبت فى ذلك الحين أن تعود الكليات الدينية الى سابق العهد بها وان يصبح حفظ القرآن شرطا لدخول هذه الكليـات ·· وان ردنى أحد بأن حفظ القرآن لم يعد ضرورة بعد أن وجدت المطبعة وتبعتها الاذاعة والتليفزيون سارعت اليه ·· ما على القرآن خفت فهو محفوظ بأمر كن من صاحب الأمر وانما خوفى على اللسان العربى عند النشئة وعند المهتمين بشئون الدين الاسلامى فاولئك أن لم يحفظوا القرآن فاننا على مدى سنوات قليلة لن نجد قارئا فاذا وجدنا فلن نجد متفقها فى الدين يخلف الأئمة الأعلام الذين يضيئون اليوم ساحات الأزهر والحياة فى طول بلاد العـالم وعرضها ··

وقد كتبت حينذاك عدة مقالات ولم أجد لها صدى فثرت وأعلنت اننى سأطوى الشراع واتوقف عن الكتابة فى هذا الموضـوع وعند ذلك كلمنى فضيلة الامام الأكبر السابق عارضا أن يزورنى فأقسمت أن أزوره أنا وزرته ودار بيننا حديث طويل انتهى الى أن الأزهر اقتنع بما قلت وانه فى مدى عامين من ذلك اليوم سيكون النظام الذى رجوت أن يكون ومضت بعد العامين أعوام والحال على ما هو وأذكر البيت العربى القديم :

كان لم يكن بين الحجون الى الصفـا ··
انيس ولـم يسـمر بمـكة سـامر ·

وبالأمس القريب قرأت مقالا لأستاذ فاضل هو الأستاذ حليم فريد تادرس موجه أول الفلسفة بالتعليم الثـانوى ·· ويتسـاءل الأستاذ فى بداية مقاله عن أسباب تدهور اللغة العربية بين أبناء الجيل الحالى ويرجع

ذلك الى أربعة أسباب وأورد من بين الأسباب السبب الذى أراه أنا أهمها وأعظمها شأنا وهو هبوط مستوى معلم اللغة العربية ويقول ان هذا يظهر من قبول كليات الأزهر المتخصصة لطلاب لم يتلقوا اللغة العربية فى معاهد الأزهر ويقترح الأستاذ حليم فريد تادرس تقرير أجزاء من القرآن الكريم على تلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية حفظا وتفسيرا بحيث ينتهى الطالب من مراحل التعليم قبل الجامعى وقد حفظ معظم القرآن . ويرى الأستاذ ان تلك من ناحية ضرورة دينية ومن ناحية أخرى ضرورة تعليمية لغوية خاصة اذا علمنا ان اللغة العربية ترتبط ببلاغة القرآن هذا المعجز الخارق على تعبير الأستاذ حليم ويرى الأستاذ أيضا اعادة النظر فى نظام القبول الحالى بكلية دار العلوم وكليات اللغة العربية بالأزهر وأقسام اللغة العربية بالجامعات المصرية بحيث لا يتسرب الى هذه الكليات أو الأقسام الا من تؤهله قدرته اللغوية على دراسة اللغة العربية والتخصص فيها أسوة بما هو متبع فى أقسام اللغات الأجنبية بالجامعات ..

ويرى الأستاذ حليم انه لابد من عودة الأزهر الى ساحته الأساسية ليقوم بوظائفه الأساسية مسجدا جامعا ومجمعا لحراسة الاسلام وحماية دعوته وجامعة كبرى للتربية والتعليم الدينيين وعلى رأسهما القرآن الكريم واللغة العربية ليؤدى على الأقل الدور الذى أداه فى عهد العثمانيين (٩٢٢ ــ ١٢١٣ هـ) وهو العهد الذى استغرق نحو ثلاثة قرون كانت من أسوأ عهود الأزهر والأمة الاسلامية فى تاريخه العلمى والثقافى اذ كان للأزهر فى هذا العهد الفضل الأكبر فى مغالبة عوامل الانحلال والضعف والعجمة وفى حفظ ما بقى من التراث العلمى والعربى ولولاه لقضى على هذا التراث بل لقضى على اللغة العربية ذاتها ..

والى هنا ينتهى كلام الأستاذ حليم فريد تادرس موجه الفلسفة وتبدأ حسراتنا تعود الينا أمواجا كثيفة وسوادا ماله من بصيص لقد انحسر الأزهر الشريف عن حياتنا وأصبح عهد العثمانيين الذى كان من أحلك عهود مصر أملا لنا نصبو اليه ونهفو الى المكانة التى بلغها الأزهر فى ظلال أيامه ..

وتجتاح النفس أمواج أخرى من الألم وأوشك أن أقول من الخزى ونحن نرى اللغات الأجنبية فى الجامعات تنال نصيبا وافرا من الاهتمام بينما تضيع لغتنا ويلتوى لساننا بالعجمة فى بلد الأزهر مصر عميدة الشرق العربى ..

والامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق رجل جليل فاضل وأنا لا أشك لحظة أنه على بينة بهذا الهوان الذى تعانيه لغة القرآن وهو قادر على أن يرد على المدافعين عن الجامعة الحديثة بقولهم ان أغلب الصحابة كانوا

لا يحفظون القرآن بكلمة بسيطة غاية البساطة هى ان لسان الصحابة كان عربيا أصيلا ولم تكن اللكنة والانهيار والضياع قد أصابت اللغة العربية فما عليهم من بأس الا يحفظوا القرآن ‥ والصحابة لم يكونوا معلمين للغة العربية فى المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية والجامعة ولو كان لعلموا أبناء العربية كيف يكون النطق العربى والنحو العربى واللسان العربى ‥ أما المدرسون اليوم فهيهات ان يستطيعون تعليم العربية لأنهم هم أنفسهم لم يتعلموها ‥ ولا يمكن أن يعطى الشيء من لا يملكه وانى أحذر أن يأتى الى مثل هذا الخطاب الذى جاءنى منذ قريب من شاب يقول اننى ظلمت الجيل الجديد حين رميته بالجهل ويذكر لى صاحب الخطاب انه هو شخصيا يعرف خمس لغات ‥‥ يا أخانا اننا حين نقول كلاما عن فئة أو من جيل انما نذكر الصفات الغالبة فى هذا الجيل والاستثناء يؤكد القاعدة ‥

ترى هل هناك مزيد يقال ‥ وان كان هناك مزيد هل هناك فائدة ترجى من قوله ‥ ما أظن ‥ ومرة أخرى حسبنا الله ونعم الوكيل ‥

‥ ١٩٨٣/٦/٢٣

يا شوثاه .. يا شوثاه

لنا صديق شاعر هو اليوم من أكبر شعراء مصر . كان وهو طالب يسكن بالقاهرة حين كان أبوه وأسرته يقيمون فى محافظة من محافظات الدلتا . واحتاج الشاعر الى مال فأخذ يرسل الى أبيه يستنجده ولكن أباه لم يكن يرد على استغاثته به واشتد به الضيق ونضب المال من يده حتى لم يعد لديه ثمن تذكرة القطار أو السيارة العامة التى تنقله الى أبيه . فلم يجد بدا من أن يرسل برقية الى أبيه فيها « مات ابنكم احضر فورا » ثم وقع البرقية باسم أحد أصدقائه .

وكانت البرقيات فى ذلك الحين تصل فى موعدها تماما فما هى الا سحابة نهار حتى كان أبوه وأمه على باب بيته بالقاهرة . وكان هو مع صحبه ينتظر قدومهم بلهفة المفلس المنتظر لفرج الله فما أن سمع صوت بكاء أبيه ونحيب أمه على باب الشقة حتى قفز من فوره الى غرفة نومه ووضع الغطاء على جثمان نفسه وتماوت . ولقى الأصدقاء الأب والأم بعد أن وضعوا على وجوههم مسحات الحزن والأسى . ودخل الأبوان المفشودان وقد علا نحيبهما وراحا يقولان « أين ابننا .. ترى الغالى .. أين هو » .

وقاد الصحاب الأبوين الغارقين فى الدموع الى حجرة الفقيد المزعوم وتقدمت الأم تكشف الغطاء عن وجهه فاذا هو يقفز واقفا على السرير فى وجه أبيه وأمه صائحا .

— ألا تأتى يا أبى الا اذا مت ...

ويروع الأبوان ويغمى على الأم ويظل بها الصحاب حتى تعود الى وعيها ويحصل الشاعر على المال الذى كان أبوه أحضره ليدفنه به ..

وبعد فشر البلاء ما يضحك ... فقد ذكرت هذه القصة وأنا أشهد ما يحدث اليوم على الساحة المصرية . يتلوث الماء وتتلوث الحياة كلها بأكوام القمامة . ويزداد تلوثها بالعربات المخزية المخجلة التى تنقلها والتى تذيع على العالم أجمع أن مصر الرائدة تصر أن تظل تحيا فى عهد المماليك بذلك الحمار وتلك العربة وهذه المافيا التى يفرضها الزبالون على دولة

ذات طول وحول وذات جيش وشرطة ووزارات ومحافظات عجزت جميعا أن تنقل الزبالة بالسيارات لان الزبالين يرفضون أن يتنازلوا عن العربة والحمار ٠

انها لكارثة ليس لها من دون الله كاشفة ٠

ويتلوث ماء الشرب وتظهر الحالات المرضية فى أنحاء مصر جميعا وحينئذ ٠٠٠ وحينئذ فقط تهب وزارة الصحة لتقاوم التلوث وتواجه القذر ٠٠٠ أكان لابد أن تموت حتى تقاوم الدولة التلوث ٠ فهل التلوث هو الأصل والاستثناء هو النظافة اذن فيا لضيعتنا وهواننا على الحكومة التى هى بمثابة الأب والأم للشعب جميعا ٠ ولكن الشعب لا يستطيع أن يصنع صنيع الشاعر المتماوت مع الحكومة لأن الحكومة لا يجوز عليها ما يجوز على أب مسكين فى أعماق الدلتا لا يملك أن يعرف من الأمور الا ظاهرها ولا سبيل له أن يصل الى مواطنها ٠ أما الحكومة فهى العليمة ببواطن الأمور ٠ وهى هى اعلام الشعب وهى هى حماه وهى هى مفزعة ووقاؤه ٠ فمن للشعب أن أغضى عنه اعلامه وحماه ومفزعة والشعب أيضا لا يعرف كيف يتماوت وانما يعرف فقط كيف يموت ٠

وعلى الحكومة أن ترد عنه العادية ٠ وان تحميه من نفسه ومن أعدائه ٠ فاذا كانت الحكومة لا تستطيع أن تواجه مافيا الزبالين فياغوثاه يا غوثاه ٠

ان الزبالين لا يجمعون الزبالة وانما يستعرضون بها شوارع مصر العريضة ويوزعون بالعربات البطيئة الحقيرة وبحميرهم العرجاء الجراثيم على أبناء مصر بكل عدل وأمانة ٠ ان كان فى توزيع الموت عدل أو أمانة ٠

وحتى لا أكون مثل المعارضة التى تحاول أن تتصيد الأخطاء دون ذكر العلاج أهيب بالحكومة صائحا بكل ما يملك قام أن يصيح اننا لابد أن نستعين بخبراء الغرب وتقدمه فى هذا الميدان وليكن ما ننفقه فى هذا السبيل باهظا فاننا قبل أن نوفر الماء والكهرباء والتليفون لابد أن نحافظ على الانسان الذى سيستعمل الماء ولكهرباء والتليفون ٠

ولو قدر لمسئول أن يزور السعودية لوجدها قمة فى النظافة بفضل الشركات التى أتاحت لها الحكومة أن تقوم بهذا العبء ولا مجال عندنا للحديث عن الأموال ففى هذا تنفق الأموال أولا ثم نبحث بعد ذلك عن أى مصرف آخر ٠

مايو ١٩٨٣/٧/٤ ٠٠

الله ·· الله فيم تكتبون

يبدو أن عودة الحرية بعد غيبة طويلة جعل معالمها غير واضحة وألقى على سماتها ظلالا من ضباب حتى أصبح بعض الكتاب يخلط بينها وبين الفوضى الغوغائية ·· وراح هؤلاء الكتاب يبحثون لأنفسهم على حساب الحرية عن بطولات تدعو الى الأسى ، والأسف والحزن ، فما هم بكتاب صغار ولا هم فى حاجة الى هذا النوع المخرب من الكتابة ملقين بمستقبل مصر الى جحيم اصطلوا هم بسعيره أكثر مما اصطلينا ·· وكواهم لظاه أكثر مما أكتوى به غيرهم ·· وأحرقت نيرانه سنوات غالية من حياتهم ·· وقد كنت أتصور أى شئ الا أن يطلع علينا هؤلاء الكتاب بدعوة الى الثورة ·· والدعوة منه موجهة الى فئاته هى أبعد ما تكون عن حب الوطن أو مراعاة الله أو تحسب الضمير ·· فبعض هذه الفئات ينتمى بولائه لغير مصر ، وينتمى بعقيدته لغير الله بحكم المذهب الذى يدينون به ··

وبعض منهم آخر كانوا السوط فى يد الطغيان وكانوا النار المحرقة وكانوا المشاركين فى الاعتداء على الأعراض والأموال والأرزاق ·

وكانوا هم المعينين على خراب مصر التى مازالت تعانى آثاره حتى اليوم ·· أتلك هى الحرية ·· علم الله أن الحرية براء منهم الى يوم الحساب ··

أما الفئة الأولى فهى تركب خيول الحرية والديمقراطية واطلاق الرأى جاهدة أن تسعى بها الى الحكم ويومئذ ـ لا كان هذا اليوم ولا شهده الوطن أبدا ـ فلا حرية هناك بل القهر والقتل وسفك الدماء وكتم الأنفاس واطلاق الفساد واعدام الدين ، واعلاء الألحاد ، والانتماء الى الشيوعية العالمية التى لا ترى لأحد حقا فى أن يكون وطنيا ولا تسمح لصاحب دين سماوى أن يعبد الله ·

وأما الفئة الأخرى فهى الفئة الباغية التى ضرب الخبث فى تاريخها فهى الفساد والافساد والقتل والتعذيب وتحطيم القيم وهدم كل ما هو سامق نبيل فى حياة الانسان ··

عجيب مذهل ان يدعو كاتب مثل هذه الفئات أن تثور ... ومن أجل ماذا ... من أجل الحرية .. يالك من مظلومة أيها الحرية .. يركبك الراكبون ليقتلوك .. ويصيح بك الصائحون ليكتموا أنفاسك .. ويرفعوا أعلامك الوضاءة المشرقة ليمزقوها ويحرقوها فاذا هي ذرات من رماد أو هشيم .

ويصيح الكاتب الذى اربأ بقلمى أن يذكر أسمه حفاظا منى على كرامته وقدره .. ان الانتخاب بالقائمة النسبية عدوان على حرية الشعب وقمع للديمقراطية واعتداء على قدسيتها ..

ولا أدرى من أى مرجع دستورى جاء بهذا الرأى الساذج الا أن يكون الكاتب يريد أن يصيح فى غير مادام للصياح ويتظاهر بالغضب من أجل الديمقراطية دون أن تكون الديمقراطية غاضبة ولا رافضة ولا هى تشعر أن القائمة النسبية تمس قدسيتها من قريب أو بعيد ..

وقد كنت أرجو – والكاتب ليس هين الشأن – أن يرجع الى المراجع الدستورية ويتحرى الأمر قبل أن يجرى قلمه بما جرى به .. فليس الأمر صياحا ولا يكون الكسب فى ميدان الرأى للصوت المرتفع .. ولا للضجيج الفارغ الخالى من البحث ..

فليس الأمر هتافا وانما هو علم ودراسة وتعمق وتفهم والنظرة العاجلة البريئة من الهوى والبحث عن بطولة زائفة تدرك أن الانتخاب بالقائمة النسبية تعمل به دول ديمقراطية تعتبر من أعظم الدول فى هذا المضمار وحسبى أن أذكر سويسرا وألمانيا الغربية والبلاد الاسكندنافية وغيرها كثير ..

وأنا من الذين يرون ان الانتخاب بالقائمة فيه تحضر ينبغى لمصر أن تسعى اليه .. فالاختيار فى انتخابات القائمة النسبية يكون للآراء والمبادىء والأفكار ولا يكون للأشخاص ..

وهذا يجعل الناخب يدرس الآراء وينتخبها ولا يعطى صوته للشخص لمجرد صلته به سواء كانت هذه الصلة متمثلة فى قرابة أو صداقة أو منفعة .. وفى ظل هذا الانتخاب المعتمد على القائمة تمحى تماما أى مظنة لأى صلة بعيدة عن المصلحة العامة ولا يكون هناك مجال لما يعرفه الكاتب تمام المعرفة ولم يعرفه المصريون جميعا من وسائل انتخابية بعيدة عن النزاهة كل البعد ..

والأصل فى النائب أن يكون نائبا عن الدولة كلها وليس عن دائرته فقط .. ولكن واقع الأمر يجرى على عكس هذا تماما .. فالنائب المسكين

مشغول ليله ونهاره بتعيين أبناء الدائرة ونقلهم وترقية أقاربهم وادخال أبنائهم للمدارس والحصول على استثناءات لا يحظى بها أفراد الشعب الذين لا يكون نائبهم بهذا النشاط الذى لا اعتبره أنا وطنيا بأى حال من الأحوال ··

والنائب فى الانتخاب المباشر يظل طوال فترة نيابته وعينه على الدائرة وأعيانها وأصحاب الجاه والسلطان والأصوات فيها فان أرضاهم فقد ضمن النجاح وان عجز فالويل له والثبور والسقوط فى الانتخاب والخروج من رحمة الله ·

ولست أنسى ذلك النائب الذى أغدق على أفراد دائرته من الأموال العامة حتى اتهم وقدم للمحاكمة وجاءت الانتخابات والقضية التى تتهم ذمته أمام القضاء فاذا الهتافات فى الدائرة تكتسحها · ·حرامى ·· حرامى لكن بنحبه ·· وينجح المرشح المشكوك فى نزاهته نجاحا منقطع النظير ··

أيرضى الكاتب عن هذا ··· أيرى أن الانتخابات فى مصر على ما هى عليه الآن تتيح الفرصة للعالم والمثقف أم هى تتيحها لأقرب المرشحين الى الناخبين وأكثرهم خدمة لمطالبهم التى غالبا ما تكون استثناء وخروجا على القانون واعتداء على عدالة الفرص ··

أيستطيع أستاذ فى الجامعة يحتاج المجلس التشريعى الى رأيه وعلمه ودراسته وممارسته أن يقترب من دائرة انتخابية وينجح فيها ·· ومن أين له هذا وهو مشغول بدراسته وبقضايا وطنه يتعمقها تعمق أستاذ عالم ··· أنه اذا رشح نفسه يضمن السقوط الفادح ان شاء الله وأغلب الأمر انه لن ينال مائة صوت من آلاف الناخبين ··

أيستطيع مثقف أن يرشح نفسه ·· أيستطيع طبيب أو مهندس أو محام أو اقتصادى ·· هيهات الا أن يكون قد تنازل عن كثير من الوقت الذى كان يجب أن يكرسه لعلمه ليخدم مصالح الأفراد فى دائرته وانى لأعلم أنه بين أعضاء مجلس الشعب اليوم وفى كل مجلس سابق أساتذة عظماء وكان فى مجالس قبل الثورة ساسة عباقرة ولكنهم فى كل المجالس كانوا قلة نادرة ومصر اليوم تحتاج أن تكون مجالسها التشريعية زاخرة بكنوزها الثقافية ·· فهى اليوم أشد ما تكون حاجة الى علم العالم وجرأته فى الحق وقدرته على أن يعلن الرأى فى سبيل مصر لا من أجل أشخاص فى مصر ··

والانتخاب بالقائمة النسبية لن يبعد الموجودين اليوم فكل حزب لا يمكن أن يستغنى عن النابهين فيه ولكن المؤكد ان عدد النابهين سيزدادون

وتصبح المجالس التشريعية قادرة على أن تواجه الأزمات التى تعانيها ..

فيا أيها الكاتب رفقا بمصر ورفقا بالحرية ورفقا بالديمقراطية واتق الله فيما تكتب .. فان الكاتب أولى النـاس بأن يخشى الله ولاء لوطنـه ورعاية لحقه وشكرا لرب العرش ان حمله أمانة القلم ..

الأهـــرام ١٩٨٣/٧/١٠ ..

لن نتقدم الى الوراء

قامت الأحزاب المصرية قبل الثورة والأساس الفكرى فيها جميعا هو تخليص البلاد من الاحتلال ٠

وقد قرأت برامج هذه الأحزاب جميعا فما وجدت حزبا يختلف عن حزب ٠ والسؤال الطبيعى الذى يرد فيم اذن تكونت هذه الأحزاب وان نظرة عاجلة الى تاريخ انشائها يلقى الضوء على الخلافات بينها ٠

أما حزب الوفد فقد تكون بعد أن ذهب سعد زغلول وعبد العزيز فهمى وعلى شعراوى الى المندوب الانجليزى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى يطالبون باستقلال مصر ٠ وبعد أن أدوا الرسالة قال المندوب الانجليزى انهم لا يمثلون الأمة فكان رد مصر هو تكوين حزب الوفد وقد انضم الى الثلاثة الرواد صفوة من أقطاب مصر وكبار شخصياتها منهم محمد محمود واسماعيل صدقى وحمد الباسل وغيرهم ورافق طريقهم كل الشباب الذين أصبحوا فيما بعد زعماء ووزراء وجمعت التوكيلات لأعضاء الوفد الجديد ان الأمة المصرية تفوض وفدها هذا لمفاوضة الانجليز بغية الحصول على الاستقلال لمصر ٠ ونفى الانجليز أقطاب الوفد واندلعت ثورة ١٩ ولم يجد الانجليز بدا من قبول المفاوضات ٠وذهب الوفد للمفاوضة وتقول مذكرات محمد كامل سليم الكثير عن هذه المفاوضات ٠ وقد بدا فى هذه المذكرات الصدق الأمين الذى لم يستطع الرجل العف الضمير أن يخفيه ٠ فعلى رغم حبه العميق لسعد زغلول واخلاصه له كان يروى وقائع المفاوضات والأعمال التى قام بها كل مفاوض والأحداث الصغيرة التى تربط أعضاء الوفد بالوفد أو ببعضهم البعض فى كل صدق وبعد عن التحيز وأنا لا أنسى له – وكيف لى أن أنسى – تلك القصة الصغيرة الضخمة التى رواها عن عبد العزيز فهمى فقد كان أعضاء الوفد يقيمون فى فنادق باريس على حسابهم الخاص وليس على حساب الوفد حتى تقرر أن ينضم الى الوفد الدكتور حافظ عفيفى ومصطفى النحاس وكان كلاهما فى أول حياته فلم يكن عجيبا أن يكون كلاهما رقيق الحال لا تطيق موارده الاقامة فى باريس ورأى سعد زغلول فى كياسة ولباقة أن ينزل أعضاء الوفد فى الفنادق على نفقة الوفد حتى لا يكون العضوان الجديدان استثناء من القاعدة العامة ولا يشعران بالحرج أمام زملائهم ووافق أعضاء الوفد الا عبد العزيز فهمى

ولكن الأغلبية أخذت قرارها واتفق الأعضاء على أن يأخذ كل عضو خمسمائة جنيه ينفق منها على اقامته • وظل عبد العزيز فهمى مصرا على رفضه حتى قال له محمد محمود انه سيحرج زملاءه بهذه الرفض فاضطر الرجل أن يقبل ولكن أنظروا ماذا فعل •• كان يقيم على نفقته فى فندق من فنادق الدرجة الأولى بغرفة أنيقة لها حمام خاص • فحين أصر اخوانه أن تكون الاقامة على حساب الوفد راح يبحث حتى وجد غرفة فوق سطح بيت حقير تشترك فى حمامها الغرف الأخرى على السطح حتى اذا انتهت المفاوضات بقى من الخمسمائة جنيه مئات أعادها الى ميزانية الوفد •

وبعد فتلك قصة عارضة المهم أن سعد زغلول اختلف مع جميع أعضاء الوفد الا اثنين منهم أو ثلاثة حسب رواية محمد كامل سليم • وحين عاد الى مصر دون أن تنجح المفاوضات تكون حزب الأحرار والبندالأول فى برنامجه هو خروج الانجليز من مصر • وانما تكون الحزب من الذين يعارضون سياسة سعد زغلول ولهذا لم يكن عجيبا أن يكتسب عضو حزب الوفد اسما آخر بجانب صفة الوفد وهو صفة سعدى نسبة الى سعد زغلول كما اكتسب الحزب الدستورى صفة عدلى نسبة الى عدلى يكن رئيس حزب الأحرار •

وهكذا كانت الأشخاص لا الأهداف هى التى تجمع الأحزاب • وحين نشأ حزب الهيئة السعدية كان نتيجة مباشرة لاختلاف أحمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى مع النحاس • وكان الحزب الجديد صريحا فنسب نفسه الى سعد فى صميم اسمه •

وهكذا أيضا نشأ حزب الكتلة •

واليوم وقد خرج الانجليز من مصر ومر على هذه الفترة نيف وستون عاما أيكون من المعقول أو الطبيعى أن تتكون الأحزاب حول أشخاص • ألم تبلغ مصر بعد رشدها لتكون الأحزاب فيها حول مبادىء لا أشخاص • تلك اذن عجيبة من عجائب الدهر أن يتقدم العالم أجمع الى الأمام فى حين تتقدم مصر الى الوراء وحسبنا الله ونعم الوكيل •

مايو ١١ يوليو ١٩٨٣ ••

أم لأمر فيك تجديد

يطيب لى ونحن فى أعقاب العيد أن أتذاكر هذه الأبيات لأيليا أبو ماضى فى قصيدته هدايا العيد :

خرج الناس يشترون هدايا العيد للأصدقاء والأحباب
فتمنيت لو تساعفنى الدنيا فأقضى فى العيد بعض رغابى
كنت أهدى اذن من الصبر أرطالا للمنشئين والكتاب
والى كل تاجر حرم التوفيق زقين من عصير الكذاب
والى معشر الكسالى قصورا من لجين وعسجد فى السحاب
علنى استريح منهم فقد صاروا كظلى فى جيئتى وذهابى
والى ذى الغنى الذى يكنز المال ازدياد الذى به من عذاب
كلما عد ماله مطمئنا أبصر الفقر واقفا بالباب
والى الصاحب المراوغ وجها أسودا حالكا كوجه الغراب
اذا لاح فرت الناس ذعرا من طريق المنافق الكذاب
والى من يسبنى فى غيابى شرفا كى يصونه من سبابى
والى حاسدى عمرا طويلا ليدوم الأسى بهم من مابى

وفى القصيدة أبيات كثيرة اكتفيت منها بهذه الأبيات • وشعر أيليا بطبيعته لا يحتاج الى تعليق فهو مع اشراقة الديباجة فيه وسلاسته وعذوبتها واضح بين حتى اننى أحسب أن أى شرح له أو تعليق عليه يفسد جماله يغض من سموقه • فالشاعر المهجرى العظيم قادر دائما على أن يقدم اليك المعنى كاملا عميقا فى غير حاجة الى مزيد من تبيان وفى غير حاجة أيضا الى تعميق •

ولكن القصيدة جعلتنى أتساءل ترى لو كان الشاعر العربى الكبير حيا أكان سيكتفى بتقديم الهدايا الى أفراد جماعات أم كان سيقدم هداياه الى الشعوب التى جعلت الأعياد مذابح • والهدايا قنابل • والتهنئات

أرواحا تزهق • ووشائج أرحام تمزق • جماعات تمحق • وأمهات تثكل • أطفالا تتيتم • آباء يفقدون كل عائلاتهم •

لو كان الشاعر كبيرا حيا لضن بصبره يقدمه الى الأدباء والشعراء وحاول أن يقدم الى أسود أفغانستان وهي تحارب في اصرار وجبروت ثاني قوة كبرى في العالم والتاريخ • والدولة الغازية التي يدعي شياعها انهم يبحثون عن السلام للانسان وعن الابتسام يقدمونه الى شفاه الأطفال تنقض انقضاض الظلم المؤيد بالمال والسلاح على أفغانستان التي لا تملك شيئا الا الايمان بالله الواحد الأحد لا ترتد عن ايمانها الا بالشهادة عالمة ان في هذه الشهادة أسمى ما يتمناه المؤمنون • وتسوخ أقدام العدوان في بحار من دماء والضحايا منهم بيد المؤمنين أكثر من الضحايا في الشعب المؤمن الذي يقتلهم العدوان بآخر ما وصل اليه العصر البغيض من آلات سفك الدماء والقضاء على أرواح الأبرياء • والظلم بقدر ما هو واقع على أفغانستان المؤمنة الشامخة بايمانها واقع أيضا على أفراد الجيش الغازي فهم مسياقون الى هذه الحرب لا يدرون أين يحاربون ولا لماذا ولا يدرون لماذا يقتلون هذا الشعب ولا لماذا يقتلهم هذا الشعب فجميع أفراد الجيش الغازي ينطبق عليه بيت شوقي أمير الشعراء :

كالشاة تنساق الى القتل بيد جبار ذي بطش

ولو كان ايليا أبو ماضي حيا لأهدى بعض العقل الى ايران التي تصر على الحرب مع دولة مسلمة تريد أن تكف عن الحرب وتقدم في كل يوم عروضا للصلح ولكن ايران المسلمة التي يحكمها لأول مرة في تاريخها عالم مسلم ترفض السلام والصلح وكل ما يعرض عليها • ومهما تكن العراق هي البادئة بالحرب أفلا يكفي الزعيم الايراني العالم المسلم أن تكون العراق نفسها هي البادئة بالسلام • أين الاسلام اذن وليس بين أسماء الأديان اسم يحوي من حروف السلام ما يحويه اسم الاسلام ولكن الاسلام عندهم اسم على غير مسمى وكلام بغير عمل وشقشقة ولا تنفيذ •

ولو كان ايليا حيا لأهدى بعض الحياء لذلك السادل المخبول في الجماهيرية وهو يتقافز فعل القردة في كل ميدان حرب أو شقاق أو حتى معركة أيد وعصي •

ولو كان ايليا أبو ماضي حيا لأهدى سوريا بعض الرحمة تخفف بها الوطء على شعبها أو على شعب لبنان الذي قاسى من البلاء سنوات طوالا عجافا حمراء داكنا لونها قطعت أوصاله وأوهنت قواه فأصبح وهو يوشك أن يكون بلا كيان ليس يدري أيواجه الانقسامات والصراعات في داخله أو يواجه العدو الصهيوني الذي يريد أن يحطم كل العرب أم يواجه الأخ

الشقيق من سوريا وهو يحتل أرضه ويرفض له السلام ويأبى أن يجلو عن لبنان التى دخلها بدعوى حمايتها فأصبحت وهى أشد ما تكون حاجة الى من يحميها من حاميها ويرد عنها عدوان شقيقتها سوريا التى أمست شرا عليه من صهيون ودولة اسرائيل وأذكر البيت العربى الشهير :

وظلم ذوى القربى أشد مرارة   على النفس من وقع الحسام المهند

رحمك الله أيليا أبا ماضى وقد فعل وأكرمك أن ترى هذا البلاء الذى نعانيه فنصيح جميعا مع المتنبى عيد بأية حال عدت يا عيد ٠

الأهـــرام ١٧ يوليو ١٩٨٣ ٠٠

قصة عجيبة

المهندس عصام عباس رئيس مجلس ادارة الشركة المساهمة للمبانى التابعة لشركة المقاولين العرب • وهو المسئول عن هذه الشركة وعن الانجازات الضخمة التى حققها كما أنه المسئول عن نادى المقاولين العرب وعما حققه من نجاح • وهو شعلة من النشاط الأمين الصادق الشريف • وانى أقدم له هذا التقديم لأننى ما كنت أصدق ما سمعته منه لولا أنه هو قائله وليس غيره •

يقيم المهندس عصام عباس فى ميدان رحيب يقع خلف نادى الزمالك• وفى نفس الميدان أقامت الحكومة منشأة لبيع المواد الغذائية على جميع أصنافها •

أصبح الصباح ذات يوم فوجدت المنشأة والسكان أن الميدان الذى جمله السكان على نفقتهم الخاصة قد انقلب الى مقلب للزبالة • وأصبحت القمامة هى مسرح المواد الغذائية وصالون الانتظار للمشترين • وقد كنت خليقا ألا أروى هذه القصة والحكومة الآن تعمل على نظافة القاهرة ومن المعقول أن أنتظر حتى أرى ما سيؤول اليه أمر هذا الميدان فى الاجراءات الجديدة التى تعدها الحكومة لمواجهة مثل هذه الأمور •

ولكن الذى يعنينى من القصة فى هذه المرة ليس هو القمامة وانما الذى يعنينى هو كيف جاءت الى هذا المكان فقد قصد المهندس عصام عباس الى رئيس الحى المسئول فروى عليه حكاية عجبا هى التى دفعتنى أن أقدم هذه القصة الى جميع المسئولين لا استثنى أحدا •

قال رئيس الحى • ان هذا المقلب كان مكانه بعيدا عن العمران فى منطقة لا يسكنها الا بضعة أفراد قليلين جدا • وحدث ان انفجرت هناك ماسورة مياه عطلت السيارات التى تحمل القمامة أن تذهب الى مكانها واحتاج الأمر أن يحفروا فى المكان الذى كان معدا لتجميعها لاصلاح الماسورة حتى اذا أصلحت الماسورة وحاولت السيارات أن تعود لتلقى أحمالها فى المكان الذى تعودت أن تلقيها فيه وقف أحد السكان القليلين هناك وأقسم بالطلاق ألا تلقى القمامة فى هذا المكان فاضطر رئيس الحى — على حسب روايته هو — أن يترك هذا المكان ويغير مكان القمامة من المقلب

القديم الى المكان الجديد أمام منشأة الدولة لبيع الأغذية وفى وسط الميدان الذى جمله سباكنوه على نفقتهم الخاصة · الى هنا ينتهى كلام رئيس الحى وأبدأ أنا فى الأسى والألم والحسرة الموشكة على اليأس ·

فقد أعلم أن زوجا ما يملك أن يرمى بيمين الطلاق على زوجته ولها هى أن تطيعه أو لا تطيعه ولقد أعلم أن مثل هذه الايمان تحتاج الى فتوى شرعية تقضى بوقوعها أو عدم وقوعها · أما أن يرمى شخص ما أنا لا أعرف مقدار سطوته وسلطانه يمين الطلاق على الحكومة فتلك عجيبة من عجائب الدهر لا ينقضى بلاؤها حتى قيام الساعة . أما الكارثة الكبرى التى لا مثيل لها فى التاريخ أن يخاف رئيس الحى من يمين الطلاق وينقل المكان ويقول للمهندس عصام عباس ماذا أفعل ·· ماذا أفعل ·· الرجال ذو السلطان والذى يمثل الدولة يقول للمهندس الحر الذى يمثل الشعب· ماذا أفعل·· الرجل حائر لا يعرف ماذا يفعل ·· فما مصيرنا نحت الشعب ·· وماذا نفعل نحن والى من نلجأ اذا كان رئيس الحى يخضع ليمين طلاق ويسأل أفراد الشعب ماذا أفعل ··

ليست النظافة هنا هى التى أبكيها وانما هيبة الدولة التى يمثلها رئيس الحى هذا الذى لا أعرف اسمه والذى يعرفه لا شك المهندس عصام عُباس ·

وليس الموضوع أمرا فرديا لا يستحق أن يروى وانما هو مصير الحكومة جميعا التى لا يعرف رئيس حى فيها كيف يواجه يمين طلاق يلقيه عليه واحد من أفراد الشعب ·· فان هذا الأمر اذا سكتنا عليه أصبح الأمر فوضى ضاربة الأطناب وهيهات أن تصلح الفوضى أساسا لأى أصلاح·

مايو ١٨ يوليو ١٩٨٣ ··

قراءات ومشاهدات

قرأت في الفترة القريبة الماضية روايتين ومجموعة قصصية أما الروايتان فهما « تمساح البحيرة » للأستاذ اقبال بركة و « الاختطاف » للأستاذ حسن محسب٠٠واما المجموعة القصصية فهى «النبش فى الدماغ» للأستاذ أحمد الشيخ ٠ وشاهدت على طول شهر رمضان أغلب مسلسلات التليفزيون وانما يعنينى منها مسلسل محمد رسول الله وحسبى رسول الله صلى الله عليه وسلم سببا للكتابة أما رواية الأستاذة اقبال بركة فهى رواية عظيمة بكل المقاييس الفنية وقد استطاعت الكاتبة المتمكنة أن ترسم شخصية البطلة بكل المشاعر التى تتراوح فى نفس فتاة فى مثل سنها ومثل ظروفها الاجتماعية والعاطفية وكما كانت اقبال موفقة فى رسم هذه الشخصية واكبها نفس التوفيق فى رسم شخصيات الأم وصديق الزوج وكانت بالغة التقفيق فى رسم شخصية الأب ولعله من المناسب هنا أن أتكلم عن شخصية الأب هذه ٠ فهى شخصية مسطحة وقد جرى كثير من النقاد أن يجعلوا من كلمة مسطحة هجوما على رسم الشخصية جاهلين أن أعظم الشخصيات الدرامية هى الشخصية المسطحة لأنها الشخصية التى تهب نفسها لقضية واحدة لا يشغلها فى الحياة غيرها وحينئذ تصبح الشخصية بطولية لا يعنى المؤلف من شأنها الا بالقضية التى كرست نفسها لها ٠ وأعماق هذه الشخصية هامة فى الناحية التى تتصل بالقضية التى حرص الكاتب على أن يرصد الشخصية للدفاع عنها فشخصية جان دارك مثلا شخصية مسطحة وهى مع ذلك من أعظم الشخصيات الدرامية التى عرفتها الأعمال الروائية أو المسرحية على السواء ٠ وهكذا يقع النقاد فى أحبولة الكلمة ويظنون أنهم يحطمون الشخصية الفنية اذا وصفوها بأنها مسطحة ٠ وانما يعيب الشخصية أن تكون سطحية وهنا تتجه الكلمة الى معنى آخر هو السذاجة وعدم الاقناع وهذا طبعا يعيب العمل الفنى ويوشك أن يحطمه وأشهد أن شخصيات رواية « تمساح البحيرة » جميعا بعيدة عن السطحية ٠ الا شخصية واحدة اعتمدت فيها الكاتبة على ما كانت تنشره وسائل الاعلام دون معايشة لنماذج هذه النفر من الناس ٠ هذه الشخصية هى شخصية الجد فى روايتها فواضح أن الأستاذة اقبال لم تعرف نموذجا لمثل هذا الجد قط ولهذا جاء رسمها للشخصية ترديدا لشعارات هيئة التحرير والاتحاد الاشتراكى وهكذا أصبحت هذه الشخصية

باهتة ساذجة سطحية وليست مسطحة . وأنا كنت أرجو للأستاذة اقبال وهى على القدر من الموهبة أن تتعمق فى هذه الشخصية وتتعرف على أبعادها ولا تكتفى فى شأنها بألفاظ جوفاء تعطى وجها واحدا باهتا لفئة قامت على أكتافها وعلى كدحها لفترة طويلة أعمدة الاقتصاد المصرى . وان كان فى بعض من أفرادها عيوب فقد كان على الكاتبة أن ترى الى الشخصيات الأخرى التى تمحى عندها هذه المثالب ، وكان عليها فى رسمها للنموذج الواحد أن ترى فيه الجانبين وترى فى سماته كل معالم هذا النموذج وهى سمات كثيرة فيه الرفيع السامق وفيه أيضا المادى الذى لا رفعة فيه ولا سموق .

وحان لى الآن أن انتقل الى رواية الأستاذ حسن محسب « الاختطاف » وهى رواية تدل على براعة الكاتب وفنيته وقدرته على رسم المجتمع الذى اختاره فى تفوق وعمق . فشخصية الزوجة مرسومة بريشة قادرة صناع وشخصية الزوج الذى عاش فترة من أبشع فترات مصر وهو المصرى الصميم الذى تجرى دماء مصر فى أعراقه منذ آلاف السنين واحسب أن هذه الشخصية التى رسمها الأستاذ حسن محسب تعتبر نموذجا رائعا لعصره جمعت جوانب من الحياة شقيت بها الحياة وشقى بها خاصة هذا الجيل الذى يمثله بطل الرواية . وكان الأستاذ حسن محسب عظيما حين نفذ الى الرواية فى سرعة السهم فاذا نحن منذ اللحظة الأولى فى أعماق المشكلة التى اختارها لروايته واذا هو يجسد الفجيعة فى سرد روائى بارع ثم هو يلاحق هذه الفجيعة فى نفس البطل ويظهرنا على آثارها ثم ينتقل فى براعة الى ما كان فى حياة البطل من احباط بسبب القوة الغاشمة والسلاح الظالم والرواية كلها صراع بين حق الانسان فى الشرف والحياة وبين السلاح الذى لا يعرف حقا .

وحسن محسب كان موفقا كل التوفيق فى رسم هذا الصراع بقلم يجمع الى الفنية القادرة الانسانية البللورية الشفيفة وان كان لابد لى أن آخذ على الكاتب شيئا فهو أنه افتعل التشويق فى نهايات بعض الفصول بينما الرواية بطبيعة موضوعها وبقدرة مؤلفها كان فيها من التشويق ما يكفيها ويزيد .

أما المجموعة القصصية التى قرأتها للأستاذ أحمد الشيخ فقد وجدت فى قصصها أديبا متمكنا قادرا يعرف كيف يضع كلمته ويصونها عن أن تكون لهوا فالكلمة معنى يختارها الكاتب فى قدرة حتى لا تحتاج الى مرادف لها فهى حادة قاطعة قوية شاعرة أنها فى مكانها الطبيعى غير قلقة ولا هى متوفزة .

وموضوعات القصص بالغة الذكاء تموج بالانسانية والشفافية وطريقة العرض تجمع الى الحداثة والتجديد المنطقى والمعقولية فهو كاتب يعرف

عصره ويعبر عنه لأبناء الجيل وبلغتهم وباسلوبهم فهو يفهم معاناتهم لأنه منهم وهم يفهمون عنه ويحسون أنهم هم أبطال قصصه وان عناء المؤلف هو عناؤهم والذى يشغله فى الحياة هو الذى يشغلهم ·

أترك الكتاب بعض الشيء وأنتقل معك الى مسلسل الرسول صلى الله عليه وسلم · وأبدأ بأن أهنىء نور الدمرداش عميد مخرجى التليفزيون بهذا العمل العملاق الذى قدمه اخراجا أما النص فلى عنه بعد ذلك حديث· أما نور الدمرداش كمخرج فقد بلغ قمة التوفيق فقد استطاع أن يقدم الينا المسلمين أعزة شامخين لا أذلة ضعافا خانعين · يلبسون أكرم ملبس متفرحين بما آتاهم الله من فضله فى الدنيا مقبلين على أعتاب الآخرة اقبال المشوق المعدم الذى لا يشعر بأن له فى هذه الدنيا ما يبقى عليه وهذا هو قمة الايمان · فالذى يقبل على الموت وهو ضيق بالدنيا رجل ضعيف الايمان أما الرجل الذى تطالعه الدنيا بوجهها البسام المشرق فيقبل عليها فى غير معصية ولا جنوح عن سنن الله ونبيه حتى اذا دعا داعى الجهاد أقبل على العليا اقباله المتعجل الهانىء السعيد بكل ما يتكشف عنه مصير المعركة فأما نصر فحياة فى الدنيا وأما نصر فحياة أكرم وأعظم فى العليا خالدا هناك عند ملك الملوك رب العرش سبحانه وتعالى ·

واستطاع نور الدمرداش أن يقدم الينا الشخصيات المؤمنة سعيدة باسمة فحطم بذلك تلك الطقوس البغيضة التى ترسم المسلم حزينا دائما كسيرا مكشرا غاضبا · وتلك عجيبة من عجائب الزمان · ما الذى يحزنه وهو الذى عرف الطريق واتصل ما بينه وبين الايمان ·· وأى شيء يملأ النفس سعادة وهناء وحبورا وطمأنينة ورضا وفرحة واشراقا مثل الايمان وكلما كان الايمان عميقا ازدادت السعادة والهناءة والحبور والطمأنينة ·

ان نور الدمرداش ما زال يقتعد قمته التى عرفها له العالم العربى لم يتركها بل أحسب أنه يصنع لنفسه قمما جديدة أما النص فلى عليه قول آخر فالأستاذ صبرى سلامة خير من يتكلم العربية فى الاذاعة وأنا لا أقول من خير ولكن هو خير من يتكلمها ولكن الحوار التليفزيونى أمر آخر هو أيضا · فالصياغة التى نسمعها فى الحوار وان كانت مطعمة بالكثير من الأساليب العربية الا أنها هى نفسها حديثة وليست هى الصياغة العربية التى تواكب ذلك الزمان · وقد سمعنا النغمة الصحيحة فى أسمى مراتبها من الكاتب الكبير عبد الفتاح مصطفى فان لغة هذا العصر كانت تجرى على ألسنة الأبطال وكأنهم هم الذين يتحدثون من وراء التاريخ ولكن هذا لا يمنعنى أن أرحب بأخى الصديق سلامة فى ميدان التمثيلية وأحسب أنه سيبلغ المكانة الجديرة به اذا هو قدم الينا أعمالا فى عصور أكثر حداثة من عصر النبى عليه الصلاة والسلام ···

الأهــــرام ١٩٨٣/٧/٢٤ ··

انما القانون نفاذ

ليس فى تنفيذ القانون عنف انما فى عدم تنفيذه يقع الظلم على مجموع الناس • لأن الذى يخالف القانون ـ فردا كان أو عددا قليلا ـ من الشعب فاذا الدولة لم توقع عليه أو عليهم الجزاء الأوفى وقعت الظلم الأكبر على مجموع الناس الذين لم يخالفوا القانون • وكل تهاون فى توقيع العقوبة أو فى تنفيذ القانون ـ أى قانون ـ انما هو ظلم فادح يقع على جميع أفراد المجتمع •وانما سميت النيابة نيابة عامة لأنها تنوب عن أفراد المجتمع فى تقديم المعتدى على القانون الى القضاء ليأمر القاضى بتوقيع العقوبة عليه • واذا لم تنفذ السلطة التنفيذية القانون وأحكام القضاء أصبح الأمر فوضى • وشعر المواطنون الآمنون أن انتاجهم الطريق الشريف خطر عليهم وأمسوا غير آمنين على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم •

وقد يكون القضاء بطيئا لتراكم القضايا أمامه ولقلة عدد القضاة وقد نغتفر له هذا ولكن السلطة التنفيذية لا نغتفر لها البطء فى تنفيذ القانون• فكل معتمد على القانون هو فى الحقيقة معتمد على الدولة جميعا والشعب بأسره هو أول من يعانى من الاعتداء •

فالعمارة التى يبنى صاحبها أو أصحابها أدوارا بغير ترخيص عدوان فادح على القانون • وتعريض لأرواح أسرات بأكملها أن تموت شر ميتة • وهذا العدوان فى ذاته تشجيع للآخرين أن يعتدوا على القانون وينهار كيان المجتمع ، والشعب هو المضرور فى كل جانب من جوانب حياته •

وليس فى منع المعتدى من الاعتداء مظنة عنف أو شبهة قسوة انما العنف الحقيقى والقسوة كل القسوة فيما صنع هو •

والمرتشى فى وظيفة عامة محطم للمجتمع وجريمة الذى يسكت عنه أبشع من جريمته • والرحمة بريئة كل البراءة من صنع المتستر على المرتشين • فالذى لا يرحم مجتمعا بأسره ليس جديرا بأن يرحمه أحد ، بل ان فى رحمته اجحافا وظلما يقعان على الناس أجمعين • وليس فى الدولة التى تمت فيها الجريمة فقط • لأن المعانى الانسانية مترابطة فى شتى أنحاء الأرض وكل مساس بها فى أى مكان يسىء اليها جميعا أشبه ما تكون بجسم انسان ان مس الألم اصبعا فيه شمل الألم الانسان كله •

وبعد فقد يكون هناك دواع يخفف معها الحكم على المرتشى • وهذه الدواعى ينظر فيها قاضى الموضوع وهى من شأنه وحده • ولذلك نجد العقوبات دائما تتراوح بين حد أدنى وحد أقصى ، والقانون فى العالم قديم •وان وقع فى تطبيقه ظلم واحد فان عدم تطبيقه يؤدى الى ظلم العالم أجمع •

وكنا فى كلية الحقوق قد تدارسنا مثالا على تنفيذ القانون يعتبر من أعظم النماذج التى تدل على أن تطبيق القانون لابد منه مهما تكن الدوافع • فقد كانوا يقولون لنا اذا تصادف أن صديقا عزيزا يأكل معك على المائدة ووقفت لقمة فى زوره وسارعت أنت لتنقذه فضربته بجماع يدك على ظهره راجيا أن تخرج اللقمة من زوره وتتخلى عن منافذ الهواء التى قد يؤدى احتلالها الى موته • ولكن بدلا من أن تخرج اللقمة خرجت روح صديقك بفعل ضربتك•••أيقع عليك العقاب أم لا يقع • والمنطق هنا يقول أنه لا عقاب ولكن القانون يحتم العقاب • لأن اذن المجنى عليه الضمنى أو الصريح لا يمنع من العقوبة • وقد تتساءل أنت كيف لا يسير القانون مع المنطق ولكن هذا السؤال متسرع فالواقع أن القانون قد فرض العقاب تمشيا مع المنطق • لأن القاتل قد يستطيع أن يحصل على اذن القتيل قبل أن يقتله ويهرب من العقوبة • وفى هذا المثال الذى سقته قد تخفف العقوبة الى أقصى حد فيلحق بها ايقاف التنفيذ أو قد تكون حبسا بسيطا لمدة أسبوع واحد • ولكن لا بد من العقوبة على أية حال • وقد فرض القانون العقوبة فى هذا المثال على أنها الأصل حتى يكون قاضى الموضوع حرا فى تقدير كل حالة على حدة • فاذا وجد دافعا فقد تصل العقوبة الى حدها الأقصى •

وهكذا نجد أن القوانين لا عيب فيها ولا عوج وانما العيب فى التنفيذ •

وحين أتكلم عن القوانين انما أقصد الثابت الأصيل منها ولكن الطوفان الذى طالعنا من القوانين لابد من اعادة النظر فيها حتى تنسجم جميع القوانين مع بعضها البعض ولا يستبهم الأمر فيها ولا يستخفى على المنفذين • فان قانونا لا ينفذ قانون لم يولد •

مايو ١٩٨٣/٧/٢٥ ••

جاهلية جـديدة

حين جاء الاسلام كان المجتمع العالمى يقوم الأساس فيه على القوة المادية الباطشة • فالسيد هو من يملك السلاح والمال والعبيد وكانت هذه الأعمدة للسيادة واضحة كل الوضوح فى المجتمع القبلى الكائن فى جزيرة العرب • فالبطش بالانســان هو المظهر الأول للسيادة ، وكثرة العبيد والمال هى المعالم التى ترفع الانسان بين قومه ، والانحلال الخلقى وانعدام القيم وفوضى الأمور هى السمات الأساسية التى تقوم عليها شئون الجماعة • وعبادة الفرد هى العبــادة • وما كانت الأصنام حبيبة اليهم الا لأنها كانت تنأى بالانسان عن التفكير وتجعل المجتمع يقبل ما يرزح فيه من تعبد للأفراد • فما كانت الأصنام الا أقنعة لهؤلاء السادة حتى يعبد الناس الأصنام فى ظاهر الأمر بينما هم فى الحقيقة يعبدون السادة الذين يحمون هذه الأصنام ويدافعون عنها بأرواحهم •

والشعر الجاهلى ملىء بالأمثلة التى تؤيد هذا المذهب الذى يؤكد أن الفرد الغاشم كان هو الحاكم المطلق السيد الذى لا يرد له أمر وأسمع معى عمرو بن كلثوم فى معلقته :

اذا بلغ الرضيع لنا فطاما تخر له الجبابر ساجدينا

وهذا المعنى تكرر فى كل الشعر الجاهلى الذى نظمه شعراؤهم فى الفخر •

وتلك عجيبة من العجائب• فما الذى يجعل الجبابر يسجدون للرضيع الذى لم يصنع بيديه شرفــا ولاقدم لمجتمعه فضـــلا الا أن يكون الجبابر خائفين من قومه ذوى البطش والجبروت •• وربما قيل ان هذا الشعر كان تفاخرا كاذبا ولا يدل على واقع الأمر • وهذا القول حق ولكن يظل هذا الشعر مع ذلك يمثــل ما يهفو اليه أبناء المجتمع الذين ينطق الشعــراء بلسانهم من جعل الناس وعلى رأسهم الجبابر ساجدين لقومهم مرتعدين منهم خائفين مرعوبين من سطوهم •

وكان من مظاهر السطوة كثرة المال وما كان المجتمع يعنى فى قليل أو كثير من أين يحصل صاحب المال على ماله • وهكذا كان السادة يشترون

الاماء ويجعلون منهم تجارة ويبيعون المتعة لمن يشتريها ممارسين بذلك أحقر ما يمارسه انسان فى مفاهيم الفترة التى أعقبت ظهور الاسـلام ٠ وكان الأثريـاء السادة لا يرون أى بأس أن يكونوا قطاع طريق يسرقون المال بالقوة ممن لا قوة له ولا حول ٠ ويعود قاطع الطريق بعد أن يرتكب جريمته ليصبح بكل وقاحة سيدا فى قومه الحر له الجبابر ساجدين ٠

وكانت المرأة متاعا لا أكثر حتى اننا نجد الدكتور هيكل فى مقدمة كتابه الخالد حياة محمد يقول ان المرأة فى عصر من عصور الجاهلية لم تكن زوجة لفرد وانما كانت زوجة للقبيلة كلها وما كان على الذى يريد أن ينفرد بها الا أن يغرس عصاه خارج خيمتها فيعرف أفراد القبيلة أن واحدا منهم فى خلوة معها ويرتد عن الخيمة بما فيها ولا أقول من فيها فقد كان الذين بداخلها فى تقديرنا نحن حيوانات وما كانوا آدميين ٠

وتتم الخيانة اذا خـلا بالمرأة واحد من غير أفراد القبيـلة ويقول الدكتور هيكل انه حدث مرة أن اجتمعت القبيلة جميعا أمام خيمة امرأة لها فلم يجدوا أحدا منهم غائبا فاقتحموا الخيمة واكتشفوا ان امرأتهم تخونهم فقتلوها هى ومن معها وهكذا كان المجتمع متحللا منهارا أبشع ما يكون التحلل والانهيار ٠ وظهر الدين الجديد يصيح « لا اله الا الله »٠٠ الله أكبر ، اذن فالأفراد ليسوا آلهة ، واذن لن يعبد الناس أفرادا من الناس وان لا سادة هناك ولا عبيد ٠ واذن سيستلب الدين الجديد كل مظاهر السيادة التى يرتع فى نعمائها السادة الذين يتاجرون فى المتعة والذين يغتصبون أموال الناس وكراماتهم أفكا وبهتانا وعنوة ٠ بلا حق لهم فقد كان الحق غريبا فى دنياهم يكاد لا يجد له مأوى الا عند قلة نادرة هى التى سارعت الى الاسلام أول من سارع ٠ واذن فلا تجارة فى أجسـاد البشر ولا كسب من بيـع المتعة ٠ واذن فلا اعتداء على أمـوال النـاس ولا عدوان على كراماتهم ولا على مقدراتهم ٠ ويوغـل الاسـلام فى تحطيم سلطانهم فيسوى بين الرجـل والمرأة فى الحقوق ويجعل الذمة الماليـة للمرأة منفصلة عن الذمة المالية للرجل ويحدد حقوقها فى تفصيل لم تعهده البشرية من قبل اذن فالعتاة المستكبرون لن يستطيعون حتى أن يمسوا أموال زوجاتهم ٠ ما هذا الدين ومن أين جاءهم ليقضى على كل ما يلغون فيه من دماء البشر ٠

ويزداد الدين وضوحا٠وتتوالى آياته ٠ ان فضل الانسان على الانسان لا يكون الا بتقوى الله والاخلاص فى عبادته وحده لا شريك له ٠ والتصدر فى المجتمع يكون بالعطـاء لا بالأخذ أو النهب ٠ والعطاء لا يكون بالمال فحسب وانما بالنفس وبالمعاملة وبالتحية ويقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه لوال له هو أبو موسى الأشعرى « أس بين الناس فى وجهك

وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك » ويرن هذا الخطاب فى سمع الأجيال حتى يصبح فى زماننا الأخير واحدا من أسس القوانين العالمية ٠ وماله لا يكون وقد حرص فيه أمير المؤمنين أن يحاسب القاضى أو الوالى نفسه فى نأمة وجهه وفى الجهة التى يتسمتها هذه الوجه فلا يقبل على شخص ويعرض عن آخر ٠٠ يالهوان المجتمع الجاهلى اذن ويالضيعته ٠ انه الاسلام قد قلب كل الموازين وسحق كل العرف الذى كان سائدا كما قلب الأصنام وسحقها ٠ ان هذا الدين الذى صنع ذلك جميعه فى فترة من أقسى فترات التاريخ على الانسان سواء كان هذا الانسان فى الجزيرة يحيا أم كان يعيش فى مكان من أطراف المعمورة بل لعل الأمر كان أشد وأنكى فى فارس وبلاد الروم وهما الامبراطوريتان اللتان كانتا على قمة عالم ذلك الزمان ولذلك لم يكن عجيبا أن ينهار سلطانهم أمام مبادىء الاسلام البالغة السموق ٠

ولكن ماذا حدث بعد ذلك ٠ أما الاسلام فقد اشتد عوده وأصبح يكتسب مع مرور الزمان قوة وعنفوانا ويتجدد جديده الانتشار وبمقارنته بجميع النظم الأخرى التى تحكم المجتمعات ولكن ويا لهول لكن هنا ٠ عاد كثير من المسلمين الى الجاهلية الأولى ٠ وعاد الاتجار بالمتعة يتسيد مجتمعات كثيرة وأوشك تاجر المتعة أن يعلن عن بضاعته فى وسائل الاعلام الحديثة التى تنطلق الكلمة فيها فاذا هى تتردد فى أسماع العالم أجمع وسقط الحياء عن هؤلاء التجار ويوشك بعضهم أن يباهى بتجارته ٠

وعاد المال الى التحكم فى المجتمعات الاسلامية فهو السيد الذى لا سيد غيره ٠ وأصبح القوى هو الذى يأخذ لا الذى يعطى وأصبح الرفيع المقام هو الذى ينهب لا الذى يعدل ٠

وتفجرت الذرة فاذا السلاح هو أداة المال فى التحكم وفى وضع الأمم فى منازلها التى يختارها لها المال بمعونة من السلاح وحاربت الدولة المسلمة الدولة المسلمة ٠ وفشا فى الدول العربية سرطان حاكم لا يسمع عن حرب الا زج بنفسه فيها يعين من يحلو له أن يعينه بلا فكر أو تدبر أو نظر الى صوالح دولته أو جماهيريته كما شاء أن يسميها فى جنون أخرق مضحك مبك فى أن معا ٠

وانقسمت جماعات الفدائيين على بعضها البعض وحارب الأخ أخاه وكلاهما نبت قضية واحدة وهب حياته لها ثم عدل عن ذلك وسفح دماء نفسه من أجل وهم وبلا مبدأ جلى ولا سبب فيه لمحة من منطق ٠

لقد عاد مسلمون كثيرون الى جاهلية أخرى جديدة هى أسوأ من الجاهلية القديمة وأعظم رزءا من كل ما واجهته المجتمعات الاسلامية على مر العصور ·

ولكن الاسلام أقوى · وهو قادر أن يرد الغاوين الى رشاد والصابئين الى مستقيم الصراط والله غالب على أمره الى أبد الآبدين ·

الأهـــرام ١٩٨٣/٧/٣٠ ··

تجربة مع الشيوعيين

الأستاذ الدكتور طارق حجى غنى عن التعريف فهو كاتب مستقر فى ميدان الحياة المصرية وهو يحمل قلما عربيا فصيحا وأستاذ فى القانون العام وقد قام بتدريس القانون فى كثير من جامعات العالم العربى ..

ظهر له منذ قريب كتاب جديد عنوانه « تجربتى مع الشيوعية » والكاتب ــ كما ترى ــ أستاذ محقق فهو لا يلقى الكلام على عواهنه ولا يسوق الرأى الا بعد أن يبذل الجهد الجهيد فى الحصول له على الأدلة التى لا تقبل المناقضة . وهو يقبل على بحثه اقبال العالم الحر الرأى . ويرى فيه رأيه بما تقدمه اليه الأدلة والأسانيد فهو فيما يقدم من رأى قاض يحاسبه ضميره على كل كلمة يقولها حتى اذا أصدر حكمه كانت الحيثيات حاضرة بين يديه من قريب . وقاضى الرأى يحمل على كتفيه مسئولية أفدح ثقلا من قاضى المحكمة . فان الرأى المنشور قد تكون له عواقب وخيمة على ملايين من الناس اذا لم يقف من ورائه الحق والصدق والبحث الذى ينأى به عن الغرض والتحيز الذى لا يرضى به العلم . وقد كان الدكتور طارق حجى شيوعيا فى بواكير حياته وهو يروى عن الشيوعيين المصريين الذين خالطهم فى هذه الحقبة فنرى أسماء كثيرة يرمز اليها بالحروف الأولى مثل ل.أ . و أ ب.ب . و ى . أ.و م.س . أو أ .ص . ع ول . ع وغ . ش . وف . م . وغيرهم .

وهو يرى عن بعض ما شاهد من هؤلاء ما تأنف الانسانية من ذكره وما أضرب أنا عنه صفحا ولو أننى ما تمنيت فى حياتى أن أنقل الى القراء كتابا بأكمله بكل حرف من حروفه الا هذا الكتاب الذى بلغ فى صدقه وقوة الحجة فيه وسلامة المنطق أو عمق البحث وجدية الكاتب ما لم أشهده الا فى كتب العمالقة الأفذاذ الذين فرضوا أنفسهم على تاريخ البحوث الاجتماعية والفقهية .

وكم أتمنى أن تواتى الشجاعة واحدا من الشيوعيين الذين تخصصوا فى السب والهجر والايذاء فيتصدى لهذا الكتاب بالنقاش الجاد أن استطاع الى النقاش الجاد سبيلا .

وما دمت لا أستطيع أن أنقل الكتاب جميعا فانى أرجو أن أقدم بعضا قليلا مما جاء فيه ·

يقول المؤلف مثلا أنه تبين له من الدراسة ومن معايشة الشيوعيين أن المذهب وأشياعه يرون أنه ينبغى التمرد على كل القواعد الأخلاقية · والأصول الاجتماعية · فالأصالة والأمانة والاستقامة والطهارة والنزاهة والشرف والعفة والبراءة ··· كلها نعوت ذميمة ابتكرهـا البرجوازيون ولا أساس حقيقيا لها من الصحة الا خدمة مصالح الطبقة المستغلة وبهذا التمهيد استطاع المؤلف أن يعلن من الحقائق والاحصاءات ما لم يكن أحد يتصوره رغم أنها حقائق وعلى الرغم من أنها أرقام احصائية يقدمها الى القارىء وما أحسب قارئا سيقرأها الا ويصـاب بما أصبت به أنا من الذهول · وانى ناقل اليك كلام المؤلف بنصه فان فيه ما فوق الكفاية ·

يقول فى صفحة ٢٤ من الكتاب :

« وقد قدمت لنا التجارب المعاصرة والأيام المتوالية على تلك التجارب أعظم وأجلى الأدلة على فداحة الأخطار الجسيمة لهذا المفهوم الأخلاقى وعلى التجاوزات غير الانسانية لاستشرائه وغلبته على تصرفات وأفعال الماركسيين سواء كأفراد أو كجماعات وتنظيمات ، فبالاستناد لهذا المفهوم التبريرى الميكيافيلى فان ضحايا لينين من بين معارضيه ما بين سنة ١٩١٧ وسنة ١٩٢٣ فقط قد بلغوا مليونا وثمانمائة وواحدا وستين ألفا وخمسمائة وثمانية وستين قتيلا · وكما ذكر البروفيسور كونوف فى دراسته عن ضحايا النظام السوفيتى فان عدد هؤلاء ما بين سنة ١٩١٧ و ١٩٥٩ قد بلغ زهاء ستة وستين مليون مواطن ·

واستناد لنفس المفهـوم فان دراسة الصحفى البريطانى « فاندر اليست » التى نشر موجزها فى عدد ١٩ مارس سنة ١٩٧٩ من جريدة « الديلى تلغراف » البريطانية تحصى ضحايا النظم الماركسية منذ سنة ١٩١٧ وحتى ١٩٧٩ بمائة وثلاثة وأربعين مليون قتيل ، منهم ٦٦ر٧ مليون قتيل بالاتحاد السوفيتى حتى سنة ١٩٥٩ وثلاثة ملايين بالاتحاد السوفيتى ما بين ١٩٥٩ و ١٩٧٩ و ٦٣ر٨ مليون قتيل فى الصين الشعبية وثلاثة ملايين قتيل المانى على يد الجيش الأحمر (بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تماما) ومليونين فى كمبوديا خلال أقل من ثلاث سنوات فقط ١٩٧٥ ــ ١٩٧٨ على يد نظام الخمير الحمر وثلاثة ملايين فى مناطق أخرى من العالم » ·

الى هنا وينتهى الاحصـاء الذى نقله الدكتور طارق حجى وكنت خليقا الا أعلق فكل تعليق يتضاءل أمام هذه الأرقام الا أننى أريد فقط أن أذكر أن هؤلاء القتلى لم يقتلوا فى حروب وانما هم ضحايا جيش بكل

سلاحه الجبار الضخم أمامه قوم عزل من السلاح أو يكادون ، ونمضى مع الكاتب بعد ذلك لتجده يكشف لنا فى بحوث لا تقبل الجدل وبناء على أحداث لا ينكرها الشيوعيون مدى ما لقيه المخالفون فى الرأى من عذاب وتشريد ونفى وسجن ويضرب مثلا على ذلك ما حدث للكتاب والعلماء الروس ثم نجد الكاتب ينقل الينا من أراء لينين وماركس وانجلز وتروتسكى وماو وغيرهم ما يجعلنا على بينة بقيمة الديموقراطية عند مؤسسى المذهب الشيوعى • ففى صفحة ٤١ يقول الكتاب « ولينين هو القائل : ففى البرلمانات يكتفون بالهزر بقصد معين هو خداع العامة ••• وقد استطاعوا توسيخ السوفيتات على نمط البرلمانية البرجوازية الأشد اثارة للقرف وذلك يجعلها ندوات للهزر الفارغ » •

وانجلز يقول فى مقدمته لمقالاته أنه لا يستطيع أبدا استعمال كلمة اشتراكى ــ ديموقراطى • ويصف ممثلى الشعب بكلاب الصالونات •

ويقول تروتسكى ان المشاكل بين البروليتاريا وغيرها لا تحل بالدم والحديد •

ويقول ماو « أن دولتنا هى دولة الدكتاتورية الديموقراطية الشعبية » •• ثم يقول فى تفصيل لهذه العبارة أن هذا النظام يقوم على :

ــ خضوع الأقلية للأغلبية •

ــ خضوع الأغلبية للحزب •

ــ خضوع الحزب للجنة المركزية •

وانطلاقا من هذا المفهوم يقول الدكتور حجى ان الماركسى لا يسمح ــ متى قبض على زمام السلطة ــ بحرية الأحزاب وحرية المعارضة السياسية • ويأتى فى سياق الكتاب أن المنظرين يرون استغلال السذاجة الديموقراطية بمطالبتهم بالحرية والأحزاب • والمعارضة حتى اذا تمكن الماركسى من السلطة قضى على هذا جميعه •

ثم يتحدث الدكتور حجى عن الماركسيين وولائهم الوطنى المفقود ويسوق من الأدلة ما لا يبقى مجالا لشك أن ولاء الشيوعى منعدم الا لروسيا وحدها ويقدم سجلا رائعا أيضا عن موقف الشيوعيين العرب والمصريين في القضية الفلسطينية وكيف عارضوا انشاء اسرائيل ثم كيف أيدوا انشاءها بكل قوتهم وكيف عارضوا التقسيم فى ٤٨ ثم أيدوه بكل قوتهم حتى لقد خرجت مظاهرات يتقدمها زعيم شيوعى عربى وآخر يهودى تدعو الى المعايشة السلمية بينهما • ثم كيف طالبوا بحرب اليهود ثم كيف اختلقوا الخزعبلات عن نصر ٧٣ أول نصر عربى فى العصر الحديث •

وحين ينتقل الى الاقتصاد يبين كيف أن النظرية الماركسية وحديثها عن العمل وفائض القيمة قد نشأت ميتة وازدادت مواتا بظهور البترول ومع ذلك فهو يرجع هذه النظرية الى كتاب آخرين من علماء الاقتصاد مثل ريكادو وطومسون بل أنه يرجع بها الى عبد الرحمن بن خلدون الذى سبق هؤلاء بقرون بالحديث عن العمل وقيمته وان كانت حصافة ابن خلدون قد حالت بينه وبين زلات ماركس الذى اعتبر العمل هو القاعدة المطلقة ليبنى عليه رأيه الذى كونه مسبقا دون بحث ٠

وعند الحديث عن الدين حسبنا أن نذكر ما أورده الدكتور حجى من أقوال ماركس « والدين أفيون الشعوب فهو اختراع ابتكرته عقلية المستغلين لامتصـــــاص غضب المستغلين وتوطينهم على قبول الأمر الواقع والصبر على الاستغلال والرضاء بالقضاء وعدم النظر لما فى يد الغير وعدم الاعتداء على ما أعطاه الله لفريق من عباده ٠٠٠ الدين هو الأفيون الذى يخدر المظلومين والمستغلين ليظلوا راضين بقسمتهم فى الحياة ٠٠ الدين رجعى بطبيعته ورجال الدين رجعيون حتما والدولة التى ترفـع رايات الدين هى دولة رجعية بالضرورة » الى هنا وينتهى ما اقتبسه الدكتور حجى من أقوال ماركس وأحسب أن أى تعليق على هذا تزيد لا نحتاج اليه ٠ والله أكبر ٠

الأهـــرام ١٩٨٣/٧/٣١ ٠٠

أســماء فى جملة

أعتقد اننى تتبعت المسلســل التليفزيونى المأخوذ عن رواية أخى الصديق العظيم يوسف السباعى رحمه الله . وكدت أرفض حلقاته الأولى الثلاث لأنها كانت بعيدة عن النص الأدبى ولكن ما لبثت أن وجدت المسلسل يدخل فى صميم الرواية ويخرج عنها أحسن عمل اقتبسه كتاب السيناريو من الرواية العظيمة للكاتب الكبير .. وانى أسوق هذا الحديث تمهيدا لجملتى حوار بين فؤاد المهندس كبير ممثلى الكوميديا المصرية وبين القدير محمد شوقى .

فبعد ان فشت الصراحة فى القاهرة بفعل حبوب الصراحة التى ألقياها فى النيل جرى هذا الحوار بين الصديقين يقول فؤاد المهندس .

ـ انت أجدع صديق عرفته .

وفى حدة صريحة صادقة يبادر محمد شوقى قائلا .

ـ بالعكس أنا أنذل واحد فى الدنيا وأنا جدع لما أعرف أن الجدعنة مش حتضرنى أما اذا عرفت اننى ممكن أنضر من الجدعنة فأنا أعظم ندل فى الدنيا .

وعجبت كيف يستطيع الفن أن يكون سامقا فى رسم الواقع الى هذه الدرجة . فالكثرة الغالبة من كتاب المعارضة اليوم جاءت أسماؤهم على لسان محمد شوقى فى هذا المسلسل .

فهم اليوم يزأرون عن أنياب السـباع ويصيحون بالحاكم العـادل صياح الشجعان فى الحروب . وكلما زادت الحرية تباكوا على الحرية وكلما اقتربنا من الديمقراطية والتحضر ولولوا على ضياع الديمقراطية .

وما هم بصناديد . كل ما فى الأمر أنهم كما وصفهم محمد شوقى يعلمون علم يقين أن أى ضرر لن يصيبهم من زئيرهم وصياحهم ولا من صيالهم وجولاتهم وما دروا أنهم بكل هذا التهجم الذى يزيفونه على الشعب يثبتون للعالم أجمع ان مصر اليوم تتمتع فى ظل حكم حسنى مبارك بحرية لم تشهدها مصر من قبل . ومن أين لها أن تشهدها .

ثم نكبت مصر بعد ذلك بحكام مصريين لا يعانون الاحتلال وانما بمراكز القوى المصريين كان احتلالهم فاذا هم يسمونها أسوأ عذاب شهدته محتلة كانت أو غير محتلة ٠

ثم جاء السادات فأعاد اليها كرامتها السليبة بحرب أكتوبر وأفسح بعد ذلك الميادين للحرية أن تسعى هونا فى البلاد فالحرية المفاجئة بعد الكبت والطغيان قد تؤدى الى الفوضى والانهيـار حتى اذا تولى الرئيس مبارك الحكم أتاح الحرية الكاملة لكل الآراء ٠ ولكن البكاء لم يرتفع على الحرية قدر ما ارتفع اليوم بعد كل هذه الحرية التى نشهدها ٠

أين كانت هذه الأقلام حين كنا محتاجين اليها ٠ كانت طبـلا مع الطبالين وزمرا مع الزامرين ٠ ولست أقبل من أصحابها ان يقولوا كنا مرغمين ٠ فقد كان فى استطاعتهم وهم الكتاب المحترفون المتمرسون أن يقولوا ما يشاءون من وراء الكلمات ٠ فاذا لم تسعفهم هذه الشجاعة فقد كان بيدهم لا شك أن يصمتوا والصمت فى كثير من الأحيان يكون أشد وقعا من أى كلام فما بالك اذا كان الكلام نفاقا رخيصا تافها حقيرا ٠

لك الله يا أستاذ محمد شوقى لقد ذكرت فى جملتك البسيطة عديدا من الأسماء وأنت لا تدرى ٠

مايو ١٩٨٣/٨/١ ٠٠

تتغير الدنيـا ولا تتغير

ما أكثر ما نقرأ ··· وكم تخدعنا الكلمات المطبوعة فتجعلنا نقرأ ما كان يحسن بنا ألا نقرأه ·· وقد زاد الهزال وندر الكريم · واختلطت معانى الحياة فأصبحت الثقافة هى رقص العـــاريات والعلم هو دعاية الفارغين · وســاد تجار الشرف وتوارى ذو الخلق الرفيع يدارى شرفه وسمو نفسه وكأنه بهما من ذوى العاهات ·

عصر بخيس مهين هو نتــاج فترة رشـــا فيها القائمون على الأمر الجماعات كجماعات لا أفرادا أو وحدانا ·

فسولوا للعاملين أن يأخذوا ولا يعطوا ورتبوا لهم حقوقا ولم يرتبوا عليهم واجبات وانماع ميزان الحياة · فاذا العامل فى المصنع لا يعمل الا أن يلهو واثقا أن العلاوة ستوافيه وان العقاب عنه قصى بعيد وتنخرب مصر ويهبط الانتــــاج فيها وتلجأ الدولة الى الضمير فلا تجده أو الى الأمانة فتفتقدها لتفقدها ويعـلو الضجيج مع ضجيج الآلات التى لا تجـــد من يديرها ·

ويزيد عـــدد المدافعين عن عدد اللائمين فى زمن الخلق الخراب · والشرف المضاع · والضمير القتيل وبيد أصحابه كان القتل ·

ويرشو عهد تلك الفترة التلاميذ فيقدم لهم التعليم المجانى بغير قيد ولا شرط وتنفق الدولة من دماء أبنائها الشرفاء ويأبى التلاميذ أن يبذلوا بعض الجهد ليردوا فضل الدولة ويرسب الطـــالب عامـا وعامين ولا يجد رادعا ولا عقوبة · فما له اذن لا يلهو ويلعب ما شاء · وما له لا ينصرف عن المذاكرة ما حلا له المنصرف ما دام واثقا أنه فى عامه القادم تلميذ وبمجانية كاملة أيضا ·

وحين يصيح شريف أوقفوا هذا العبث تتعالى الصيحات فى وجهه ان التعليم مجانى وسيظل مجانيا · حتى للطلبة العابثين الماجنين اللاهين اللاعبين ·· نعم حتى لهم ·

فاذا قال عقلاء ليكن التعليم مجانيا للجاد من الطلبة وليس للماجن ارتفعت لافتة الفساد صائحة بل للجميع · وحين يقول قائل أليس هناك

فى مقابل كل حق واجب • يلفظون بما لا تفهم ويهلوسون بما لا يعقل • ونصر نحن على القول ان المجانية للشعب ان يتعلم على شرط واحد هو أن يكون راغبا فى التعليم لا راغبا عنه فاذا رسب الطالب مرة حرم من المجانية • ولكن هل من مجيب •

ان الزمان زمان لهو ومجون ، ونرى الفن فى زماننـا هذا فنجد الأشعار بلا موسيقى ونرى الموسيقى بلا طرب ونرى الرسوم بلا معنى ونرى الكلام وقد فقد مقوماته وأسسه فلا الرواية رواية ولا القصة قصة ولا التمثيلية تمثيلية ولا المسرحية مسرحية •

ويدخل الى الميدان من لا يدرى عن أسسه شيئا ويسـقط الذوق العام • فنرى التمثيلية فاذا هى مقالة ونرى المقالة فاذا هى عى وبلاهة ونرى القصـــة فاذا هى حدوتة ونرى الرواية فاذا هى ظـلام وقتـامة وانحطاط • وتنشأ طبقة من المغنين تضج ولا تطرب وتصوت ولا تقول • ونسمع الأصـوات فاذا الحرف لا يكتمل كلمة والكلمة لا تكتمل جملة والجملة لا تعطى معنى ويعم الخراب • فان فن الحياة الخراب لابد أن يكون خرابا •

ونصـبح البلد الوحيـد فى العالم الذى ينال الانسان فيه حقوقا ولا يتحمل واجبات فيسقط معنى الحياة ويسقط معها فنها •

ونرى الرشوة وهى عماد الاقتصاد ونرى صاحب القلم وهو يبيع قلمه وهو يعلم أن من يبيع قلمه فقد باع شرفه • ونرى كتابا يتاجرون بالوطنية على شعبهم ويزايدون بادعاء البطولة على قومهم • وهم يدرون أنهم لصوص يسرقون ثقة القراء بهم وربما لا يدرون أنهم بما يفعلون شر من اللص الذى قد يسرق مالا محـدود القيمـة بينما ثقـة الشعب لا يساويها مال فى العالم •

واقرأ بين خرف المخرفين أنه لا بأس أن تتغير بعض القيم • شاه من قائل وشاه قوله • كيف تتغير القيم • هيهات • فان القيم أصبحت قيما لأنها ثابتة لا تتغير •

فالقاتل منذ قتل قابيل وهابيل واللص سارق مرفوض من كل خلق ومن كل دين والمرتشى ساقط الكرامة آكل للسحت ملعون بنص كتابنا والسحت هو الرشوة وهو ملعون من الله والناس وملعون قبل الأديان •

والخائن خائن وتاجر العرض فى الحضيض الأسفل من المجتمع وفى الدرك الأسفل من النار • والمنافق انسان رخيص باع انسانيته باختياره فصار شرا من الحيوان •

والشريف يظل شريفاوالنبيل من الخلق يظل نبيلا ويظل السـامق سـامقا •

ومرفوض قول القائل نترك الماضى • فان فترة الطغيان هى التى حطمت هذه القيم • وقد نصلح ما خرب ودمر من وسائل الحياة ولكن هيهات ان القيم ما تفسخ من قيمنا واضمحل الا اذا ادركنا ادراك يقين لا شك فيه أن القيم ثابتة وانه لا يجوز لها ولا يعقل أحد أن يتغير منها شيء • ولابد ان نعرف المائل حتى نقيم مائله وان نستوثق من المعوج حتى نقوم عوجه •

ولا يقولن قائل ان كل ماض فات • فلا هو من الماضى ولا هو قد فات • فموسولينى مازال يلقى بظله على ايطاليا حتى اليوم وهتلر مازال تخريبه لألمانية ماثلا فى تقسيمه لشعبها الى دولتين تشقى كل منهما بما جلبه عليهما • وشاه ايران هو مصدر ما تلاقيه ايران من دمار •

وقد شقينا بفاروق ولا نستطيع ان نقول عنه انه ماض ولا من جاء بعده يعتبر ماضيا •

فالتاريخ حلقات مترابطة متصلة لا تنفصل حلقة منه عن حلقة •

والذى نشهده اليوم من فساد ضمائر وفساد ذمم وانحطاط بشرى هو بعض أثار الأيام القريبة التى رأنت علينا بالطغيان •

والرئيس الحالى من أشرف من عرفت خلقا ومقصدا وهو بهذا الشرف فى الخلق والمقصد يريد ان يعيد الى مصر وجهها المشرق النبيل • ومن كان مثله شريفا يكون ضيقه بالانحطاط مضاعفا ألف ضعف • وهو يعلم علم اليقين انه لابد ان تعود لمصر القيم التى نشأ فى ظلها وهو يعلم علم يقين ان القيم ثابتة ثبوت الأزل • قط لم تتغير وأبدا لن تتغير •

وأنه قد تتغير العوائد والتقاليد والمظاهر أما القيم فهى أشد ثبوتا من اعتى الجبال تتغير الدنيا ولا تتغير ؟

الأهرام ١٩٨٣/٨/٧ :

هم يعلمون ولكن ... !

قد يظن بعض الكتاب انه لا ضير عليهم اذا هم تظاهروا بالبطولة وكالوا الشتم والنقد للحكام . وغالوا فى المطالبة بالحرية متمثلين بالدول الديموقراطية الأخرى . ولكن هؤلاء الكتاب قسمان أحد القسمين وهم قلة كبار ويعرفون أن الذى يطالبون به طبل أجوف وهم انما يكتبون ما يكتبون ليظهروا أنهم كبار ويظنون فى سذاجة أن الكبار لا يجوز لهم أن يميلوا الى التأييــد . ولا ينبغى لهم أن يقــارنوا بين ألوان الخسف والهوان والاعتداء على الأعراض وعلى حياة الناس وكرامتهم الذى كنا فيه وبين ما ننعم به اليوم من حرية تبيح لهم ـ على الأقل ـ أن يكتبوا هذا الذى يكتبون دون رقيب أو حسيب الا ضمائرهم . وهم ينسون أو هم ـ على اليقين ـ يريدون أن ينسوا أن مصر العظيمة بعد ما بلاها الله به من نقص فى الأموال وبعد هذه الحرية التى نعيش فى ظلها اليوم أصبحت مطمع المخابيل من عشاق الزعامات أمثال ذلك الأهبل فى الجماهيرية الذى ينفق من أموال دولته بغير عقل ليسقط الحكم فى القاهرة وفى تشاد أو فى أى بلد تتيح له أن يكون زعيما عربيا غير مكتف أن يكون رئيسا لجماهيريته التى جعل اسمها اسم جمع وقد أعيته الحيل ان يجمع الى دولته أخرى .

وهم يريدون أن ينسوا هذه العصابات المسلطة على حكم مصر بأموال تغدق عليهم فى الخارج ليسقطوا النظام ويصبحوا هم حكاما على أقدارنا ويا هول مصر والعالم لو تم لهم ما يريدون .

وهم فئات يتقاذفها أقصى اليمين وأقصى اليســـار وهم على تنافر المبادىء بينهم مجمعون على خراب مصر وتدميرها فى سبيل أن يجلسوا هم على كراسى الحكم . أغرتهم بذلك الحرية الممنوحة والتى أن زادت عن ذلك لتم لهم ما يريدون . والكتاب الكبار ـ وهم قلة قليلة ـ يدركون ذلك كل الادراك ولكنهم فى سنهم الكبيرة هذه يريدون أن يتعاموا عن هــذه الحقيقة ليسمعوا التصفيق من الدول الرافضة والدول الشيوعية التى يعادونها ويرفضــون مبادئها ولكن صــوت التصفيق يسكرهم وتتملكهم نشوة المخمور الصغير ويضربون بمصالح بلادهم عرض كل أفق .

وأنا فيما أسوق من حديث لا أحتاج الى دليل . وهم يملكون من

الأدلة أكثر مما أملك لوجودهم فى سراديب الصحافة ومعرفتهم الأخبار والأنباء والخفايا بصورة لا تتأتى لغيرهم ٠

ولقد أعلم انهم سيقولون انه بمزيد من الحرية يمتنع على هؤلاء أن يصلوا الى أهدافهم ٠ ولهذا القول بريق الحق ولكنه يحمل فى طواياه سم الباطل وكذبه وتمويه الأمور وكذابها ٠ فان الدول التى تأخذ بالأنظمة التى يدعون اليها من تعدد الأحزاب بلا قيود ومن اطلاق الحرية بلا حدود دول استقرت فيها الديموقراطية مئات السنين وبعضها تجاوزت سنوات الديموقراطية ٠ فيها الألف وسبعمائة سنة ٠ وهى دول يدرك الشعب فيها مصالحه تماما ٠ وينتخب حين ينتخب المبدأ لا الشخصى لأنها شعوب ليس فيها أمى واحـد ٠ ونحن بانتخابات القائمـة النسبية نحاول مع المحاولين أن ينتخب الشعب المبدأ للمبدأ ولا ينتخب الشخص الذى يسعى لادخال الابن الى المدرسة والحمار الى الشفخانة وينقل الموظف أو يسعى لترقيته استثناء متعديا على حقوق المواطنين الذين يرفض نائبهم أن يطالب لأحد بما ليس له بحق ٠

وبعد فهذا شأن كبار الكتاب من أصحاب المعارضـة الثابتة التى لا تحاول أن تكون عادلة ٠

أما القسم الآخر فان شأنه حقير يدعو الى التقزز فهم قوم ــ وكم يؤلمنى أن أقول هذا ــ قد باعوا أقلامهم لصحف تعيش على مهاجمة مصر والغض من شأنها وذكر كل ما تعانيه من متاعب بكل تضخيم ومبالغة ، والتغاضى عن كل الجهد الذى تبذله مصر للتغلب على هذه الفترة الحرجة من تاريخها ٠

وبعد مرة أخرى فمصر دولة قدر لها أن تخرج من فترة طغيان ماحقة صدرت فيها القوانين بغير دراسة وافتعلت فيها الصناعة افتعالا وفرضت عليها أوضاع سياسية لم يشهد العالم لها مثيلا ٠ وملك الأمر فيها الجاهل والمنافق والباحث عن مصالحه على حساب مصالح الشعب ٠ ولا يستطيع الرئيس الحالى كما لم يستطع الرئيس الشهيد الراحل أن يغير هذا جميعه بين عشية وضحاها ولذلك كان لابد أن تصدر التشريعات وهى تتحسب تشريعات أخرى وتحاول الا تواجهها وانما تستفيد منها ما أمكن الاستفادة ٠ ويحاول الرئيس الحالى ــ أعانه الله ــ أن يجعل الصناعة والقطاع العام فى مصر على أسس علمية حتى تنال منه البلاد أقصى خير متاح ٠ فانه يستحيل أن يلغى القطاع العام وقد أصبح اليوم عماد الاقتصاد المصرى ولكن لابد أن يتجه الى ما يعود على مصر بأكبر عائد يمكن أن يعطيه ٠

علم الله ان الكتاب الكبار يعلمون هذا كل العلم وأرجـو الله أن يرشدوا ٠ وعلم الله أن الكتاب الذين يتاجرون بأقلامهم يعلمون هذا أيضا ولكن حسبنا الله ونعم الوكيل ٠

أيها التاريخ ترقب

سبحانه جل وعلا ، له عند اليأس يد لطف ترد اليأس الى أمـــل وتحيل ظلام القنوط الى اشراقة فرحة ، وهو ســـبحانه وتعالى من يقول ألم نشرح لك صدرك • ووضـعنا عنك وزرك • الذى انقض ظهـــرك ورفعنا لك ذكرك • فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب •

ويكرر سبحانه وتعالى ان مع العسر يسرا مرتين فى بلاغة معجزة لا يصل اليها الا بارىء النفوس • العالم بمداخلها الخبيثة والخبير بأين تستقر الكلمة فى الضمائر وهو سبحانه حين يقول هذا لنبيه عليه الصلاة والسلام لا يقصر قوله عليه وحده وانما هو يخاطب الناس كافة والتاريخ بأسره •

فكل انسان انقض ظهره الوزر يضع الله عنه وزره ايمان يملأ صدره بلطف الله العلى القدير ، ثم هو سبحانه يرفع له ذكره ويؤيـده بالقول الثابت ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فامض فى غايتك أيها العبد المؤمن وارغب الى ربك الذى وضع عنك وزرك ورفع لك ذكرك وهيأ لك بعد العسر يسرا لأن الله سبحانه يتبع عسر المؤمن بيسر من لدنه تقدست مشيئته •

وقد مرت مصر بعسر أي عسر وتعرض شـــبابنا لفترة من أحلك فترات التاريخ وقد استقبلوها فى مشارق أعمارهم وفى غضارة حياتهم• والعيدان منهم كانت لا تزال خضرا غضة • فوضعوا كل ثقتهم فى جماعة لا تستحق هذه الثقة • وفجأة تفجرت الحقيقة على نفوسهم الشابة المفعمة بالأمل • المترعة بالوثوق فيمن أسلموهم قيادهم عن اقتنـــاع وخبرة • وقد كانوا قد ضربوا صفحا وأغلقوا أذنا عن كل ما كان يتناقله آباؤهم واخوانهم الذين يكبرونهم عما يرتكبه العهد من أثام تبدأ بالاعتداء على الأعراض وتنتهى بالاعتداء على الحياة بازهاقها • وكانوا قد ضربوا صفحا وأغلقوا أذنا وعينا عن الرعب الذى تغشى وجه مصر جميعـا مقتنعين فى حماسة الشباب أن كل هذا يهون فى سبيل مصر فقد كانوا يظنـون أن ما كان العهد يقترفه كان من أجل مصر وليس من أجل الاستيلاء على مصر والالقاء بها ورقة مراهنة لاصطياد الأمجـــاد الفردية واقامة امبراطورية

لشخص فى زمان اندثرت فيه الامبراطوريات · حتى اذا رأى الشباب مصر وقد صرعت كرامتها فى عام ٦٧ أفاقوا الى صراخ الحق · ورفضـوا من بعد أن يضربوا صفحا أو يغلقوا أذنا أو يغمضوا عينا · وهالتهم ــ كان الله لهم ــ تلك الهـوة السحيقة بين ما اقتنعـوا به وبين ما طالعتهم به الحقيقة التى ترفض المناقشة · وانماعت أمامهم وجوه الحياة · وغابت فى أعينهم مسالك الطريق وراحوا ينعمون النظر فاذا دينهم قد ضاع فى غمرة الالحاد · ووطنهم قد تلاشى فى تقديس الأفراد ، وقيمهم قد انهارت فى حمأة الشعارات ، واذا الفراغ يطل عليهم من وراء اللافتات ، وكفروا بما رفع عليهم من أقوال تردد أن الولاء سابق على الكفاءة ، والولاء هنا لغة كاذبة تعنى فى صريحها النفاق فمن شاء أن يصحح الكذب بالصدق فعليه أن يقول النفاق قبل الكفـاءة أو الوطنية أو الايمـان بالله أو بالحـرية أو بكرامة الانســان ·

وهكذا تصدعت قلوبنا نحن الآباء والأخوة الكبار على شباب هذا الجيل المصرى وحسبنا أنه تاه عن مصريته ضل السبيل عن ربه وفقد الانتماء لقيمه الأصيلة · وما كان من لا يعرف الايمان بالله والحب للوطن أن يكون منتميا ·

وازددنا جزعا ونحن نرى الدين يصبح عند بعض منهـم سلما يصطنعونه الى مغانم دنيوية وطريقا يزيفونه ليستولوا به على الحكم ، ورأينا فئات منهم تغلوا فى دينها غلوا ينأى بها عن الدين فى جوهـره وروحه ويدنو بهم الى مظهر لا يعنى الا الفراغ من لحية تطلق أو جلباب أصبح كأستار مسرح للمضحكات التى لا جد فيها ولا عمق · ويزداد بنا الجزع ويبلغ أقصى مداه فى نفوسنا حين نرى فئة أخرى منهم يخدعها الشيوعيون عن أديانهم وعن عروبتهم ليقـذفوا بهم الى متاهات ماركس ولينين والى مذابح ستالين وماو ·

ولكن الله سبحانه وتعالى يمد من فوق سبع سماوات يده باللطف الربانى فيرفع عنا وعنهم وزرنا ووزرهم الذى انقض ظهـورنا وظهورهم ويرفع بذكر مصر ذكرنا وذكرهم · ونلتفت فجأة فنجد مصر على حقيقتها تموج بالحياة فى نفوس الأصلاء من شبابها · أولئك الذين لا تعرف الأرض مفرقهم الا مصلين · فهم شم الأنوف · عامرة أفئدتهم بالايمـان برب العالمين مخضلة جنبات جوانحهم بحب مصرهم العالية فاذا هم يزحفون زرافات ووحدانا الى قلعة صلاح الدين ومسجد محمد على ليعيدوا اليها واليه رونق مصر وجلال الايمان ·

ان الشباب الذى عمل فى صمت ولكن فى عزم يعيـد الزخـرف الى الآثار التى هدمت والمتاحف التى احترقت والى المسـاجد التى دمرت أراد أن يعيـد بشبابه الشباب الى مصر ، وبجمال روحه الجمالى وجـه

مصر • وبعزمه الفتوة الى عزمات مصر • وبفنه الريادة الى فن مصر أراد الشباب وفعــل •

اذن فذلك هو الشباب الذى أحزننـا بعض منه بمظهره • ها هو ذا يتكشف لنا عن أصوله ويزيح عن حقيقته الباذخة ما ألصقه بها التافهون منهم والضائعون والمضيعون •

هذا الشباب الذى وقف الأيام الطوال والشهور المتلاحقة على الهواء ليزيح عن آثار مصر ما أفسدته أزمان مقيتة أزاح فى ذات الوقت عن نفسه سوء الظن به الذى رماه عليه فئة منه قليلة قلة الاستثناء الذى يؤكد القـاعدة • والقـاعدة هنا عملاقة تقف رؤوسها عالية مع المآذن التى عاد اليها الله أكبر الله أكبر ولا اله الا الله • ومحمد رسول الله صلى الله عليه وســلم •

ان هذا الشباب هو مصر القادمة • فأصبح أيهـا التاريخ ان مصر المؤمنة بالله وبالشرف وبالحق وبالحرية قادمة اليك فى الطريق وقد بدت منها الطلائع كاشراقة فجر فى يوم ربيع •

ان هذا الشباب الذى عرف الله والوطن والجمال لن يعرف الرشوة الكافرة ولا التجارة الشائهة ولا الخنـوع الذليل • انه غـد مصر أيها التاريخ •• فترقب •

انه كلمة الله ووعده الحق •• ان بعد العسر يسرا •• ان بعد العسر يسرا •• ان بعد العسر يسرا •• فاللهم شـكرا لك على ما شرحت من صدورنا • وما وضعت من أحمالنا ، وما رفعت من ذكرنا واللهم غفرانك لنا حين تولانا اليأس فى عسرنا وحين نسينا أن بعد العسر يسرا •

الأهرام ١٤/٨/١٩٨٣ :

انها كرامة مصر

يقول الله تعالى فى سورة الأنعام « وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون » الآية ١٢٣٠

ولو كان الشيوعيون يقرأون القرآن أو يتدبرون محكم آياته ما أقدموا على ما أقدموا عليه من اشاعة الشك فى القرعة التى جرت بمجلس الشورى ٠

ولو كانوا يعقلون ٠ وهيهات للمحد أن يعقل ٠٠ ما سقطوا كالأنعام العمياء فى هوة هم الذين حفروها لأنفسهم ٠

فقرعة تجرى على ملأ الناس ويكون نتيجتها خروج نصف الأعضاء الذين يزيدون على المائة ولا يفكر واحد منهم أن يتشكك لحظة أو جزءا من لحظة فى سلامة الاجراءات هى قرعة لا يمس نزاهتها الا مخبول ٠ أو أكابر المجرمين الذين يحاولون أن يمكروا فلا يمكرون الا بأنفسهم ٠ ولا عجب فانهم لايشعرون ٠

ان ما كتبته جريدة الأهالى هو شر ما ترمى به الأهالى نفسها ٠ فهم فيما نشروه كانوا مسلطين على أنفسهم وليس على مجلس الشورى فقد كشفوا فى وقاحة لا تتأتى الا للكافرين أنهم غاية فى السذاجة والسخف ٠ وليس هذا بغريب منهم ولا هو عجيب فقديما قال الشاعر

لايبلغ العالم من جاهل
ما يبلغ الجاهل من نفسه

والا فكيف يتصور أحد أن تزور لجنتان القرعة للمعينين والمرشحين ثم لايستفيد أعضاء اللجان جميعا ثم يجرون التزوير بعد ذلك لغيرهم ٠ فكيف اذن أسفرت القرعة عن خروج رئيسى اللجنتين وثلاثة أرباع اللجنتين كليهما ٠

وكيف جرى التزييف والذين خرجوا جميعا شهود عليه ٠ أكل هؤلاء أصابتهم الغفلة ولم توات النباهة الا كتاب جريدة الأهالى ٠

وكيف جرى التزييف والصحافة شاهدة عليه من شرفاتها • أكل الصحفيين الذين حضروا أغبياء وليس فى مصر أذكياء الا ملحدو الأهالى •

وكيف زورت القرعة والأوراق تسحب بمشهد من قرابة ثلاثمائة مشاهد بينهم أساتذة الجامعات ومديروها وأعلام مصر فى كل ميدان من ميادين الحياة المصرية بل والعربية •

وقبل هذا جميعا لماذا تزيف القرعة والأمر لا يعدو خروج نصف الأعضاء قد يعود أغلبهم الى أماكنهم بعد فترة وجيزة يظل فيها الأعضاء الذين خرجوا أعضاء لا تتخلى عنهم عضويتهم الا بعد انتخاب وتعيين من ستصدر بهم القوائم ترشيحا وتعيينا •

ولكن الأمر على سخافته لاينبغى أن تسكت عليه مصر • فقد يكون مقبولا فى عرف الكذب والادعاء أن يهاجم حزب فردا بذاته مهما يكن شأن هذا الفرد • وقد تسكت مصر عن حملة التشويه وتلويث السـمعة التى يشنها حزب التجمع فى جريدته على قوم يرفضون الالحاد ويرفضـون أن يكون المصرى منتميا لغير مصر • وللفرد أن يرفـع الأمر الى القضاء اذا مسوا كرامته أو طهارة يده •

ولكن أن يتجرأ أعضاء حزب التجمع وجريدتهم على انتهاك حرمة مجلس تشريعى بأكمله فيرموا المجلس فى شخصيته المعنوية بالتزوير والتزييف وعدم الأمانة ويرموا أعضاءه مجتمعين بالغفلة والغباء وهم من هم قدرا ومكانة فذلك ينبغى أن تتصدى له مصر جميعا •

فالكلام موجه الى العالم أجمع يريد به أصحابه أن ينالوا من شرف مجلس كريم رفيع القدر • ويرى به أصحابه أيضا أن ينالوا من سمعة أبناء مصر جميعا الذين يتصور أعضاء حزب التجمع أنهم سيصدقون هذا الهراء والخرف •

ان هذا الذى نشرته الأهالى ليس امتهانا لمجلس الشورى كشخصية معنوية • وليس امتهانا لاعضائه الذين خرجوا والذين بقوا على السواء فحسب وانما هو امتهان لعقليـة الشعب المصرى أجمـع لا أستثنى منه أحـــدا •

ولقد نعلم أن أعضاء حزب التجمع لا يؤمنون بمصريتهم لأن الشيوعية لا تؤمن بالوطن • ولكن أن يعلنوا هذا على ملأ العـــالم أمر لابد للشعب المصرى أن يتخذ منه اجراء لا أقول بوسيلة من وسائل القهر فان الأحرار لايقبلون القهر وان كان الشيوعيون يدينون به ولا يستعملون ســلاحا غيره • وانما على أبناء مصر أن يعلنوا على ملأ العالم أنهم ليسوا أولئك الذين ترميهم جريدة الأهالى وترمى علماءهم ومثقفيهم بالغفلة والغباء •

وان أقل ما ينبغى أن يصنعه أبناء مصر أن يقاطعوا هذه الجريدة الحمراء المخضبة بدماء البشرية ودماء كرامة المصريين الشرفاء وكرامة الوطن التى تعلو كل كرامة •

مايو ١٩٨٣/٨/١٥ ••

الأدب والبشرية

أقرأ فى هذه الايام كتاب « الخالدون مائة أعظمهم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام » والكتاب ترجمه الى العربية الكاتب الكبير الأستاذ أنيس منصور .. ومؤلف الكتاب مايكل هارت عالم فلكى رياضى .

والكتاب عرض سريع لهؤلاء الخالدين يمكن أن يكون تعريفا بهم لمن لا يعرف عنهم شيئا ، أما هؤلاء الذين يعرفون هذه الشخصيات سيجدون فى العجالة التى أوردها الكتاب تذكرة لهم بهؤلاء الأعلام . والكتاب ممتع فى عرضه يهب للقارىء سعادة ويدفع عنه الملالة حتى اننا لنقرأ ما يعرضه الكتاب فنجد أنفسنا تواقين الى المضى فيه ولا نجد عسرا فى عرضه للشخصيات التى قدمت أشياء خالدة فى تاريخ البشرية فى فروع بعيدة عن تخصصات القارىء .

وانما أثار اهتمامى فى هذه الشخصيات ما كتبه المؤلف عن شكسبير من رأى يدل على أن الكاتب لا يدرى شيئا عن وظيفة الأدب ولا عن قيمته فى الحياة . فهو رأى أقل ما يقال عنه أنه ساذج فطرى . عجبت كل العجب أن يصدر عن شخص له ما للمؤلف من ثقافة . ثم رددت تعجبى وقمعت الدهشة حين تذكرت أن المؤلف عالم فلكى ورياضى وأولئك قوم فى أغلبهم لا يدركون الا المحسوسات ومن يدرك المحسوسات ولا يدرك غيرها انسان جامد الحس . قاصر النظر . سطحى التفكير . وليس هذا الذى أقوله عنهم ذما وانما هو وصف لا أظنهم يضيقون به . فالذى يتكلم لغة الأرقام ولا يقبل الا العلم البصرى لا يؤمن الا بما يراه رأى عين لا تتعمق بصيرته الى عالم الروح والى مكامن النفس والى دخائل الضمائر ومكنونها .

يقول الكاتب :

« وعلى الرغم من عبقرية شكسبير وعظمته المؤكدة فانه لم يظهر فى وقت مبكر من قائمة الخالدين . وقد جاء دوره متأخرا قليلا لا لأننى لا أقدر عظمته وعبقريته ولكن لأننى أعتقد أن الأدباء والفنانين ليس لهم الا أثر ضئيل على تاريخ الانسانية » .

واعتقاده هذا هو الذى أثارنى الى هذا المقال . فالرجل اذن لا يفكر الا تفكيرا محدودا . الدليل على ذلك اننا نجده يضع بين خالديه أسماء

أفنت من الأرواح ما أفنت ودمرت من البشرية ما دمرت واعتبر أن هؤلاء الخالدين فى رأيه أعظم أثرا على البشرية · فالذى يهـــدم البشرية عنده يتقدم على الأدباء والفنانين لأنه يعتقد أن الأدباء والفنانين ليس لهم الا أثر ضئيل على تاريخ الانسانية ·

ولأنه عالم فلكي ورياضى لم يستطع أن يتخيل لحظة ماذا كل يمسى تاريخ البشرية لو خلا من الأدباء والفنانين ·

فلو أن الاحساس بالفن مسه من قريب أو بعيد لتخيل عالما لا أدب فيه ولا فن · ولو أنه أعمل النظر قليلا فى التاريخ لوجد الأدب هو الذى جعل الناس تعرف معنى الحـرية ومعنى الشرف ومعنى الشرف ومعنى الأقوة ومعنى الوفاء والحب الذى صعدت البشرية على هداه الى مراقى الانسانية ·

ولو أن هذا الكاتب نفسه قرأ شكسبير وأحسن قراءته لوجد أن كثيرين ممن اعتبرهم خالدين انما هم قتلة ســـفاحون أعاقوا البشرية · وان كان هو قد ذكر ما صنعوه فى ظاهر الحياة وسطحها فان شكسبير قد غاص منهم الى الأعماق وكشف خبيئة نفوسهم وجعل الفرد منهم الذى طغا وتجبر وعتا لا يزيد فى حقيقته عن مخبول أو مجنون · وأنه ما ارتكب ما ارتكب الا لأنه نبا فى تركيبه عن شرف الانسان وعما ينبغى لأسمى المخلوقات من رحمة واشفاق بالبشر وعطف على أخوته فى الانسانيه · ولو أنه قرأ شكسبير والأدباء الأخرين فى لغته وفي غير لغته لوجد أن الامبراطور الأعظـــم والملك المتـــوج والرئيس المتـــأله الذى تهتف باسمه الحشود عن حق أو ضلالة ليسوا عند الأديب الا أناسى وبشرا من البشر لا يزيدون عنهم فى شيء · وربما كان أولئك الأباطرة والملوك والرؤساء أقل من الناس شأنا بلؤم الطبع ، وخسة المتجه ، ودناءة الهدف · وربما كانوا أحقر من الانسان بالوسائل الوحشية التى يتبعونها · وبالاحتيال واخفاء الحقائق والبطش الوحشى ، بطشا يبين فى أعين أمثال المؤلف من الماديين مبررا وهو عند الأدباء الأمناء لاتبرير له مطلقـــا · فما يقبـــل الأديب أن يهان الانسان وما يقبل الأديب أن يستغل شخص ما مهما يكن ملكا أو امبراطورا أو رئيسا سطوة منصبه ليهين الانسانية متمثلة هذه الانسانية فى أى فرد مهما يكن مكانه فى المجتمع · وما يقبل الأديب أن يكون الفقر مذلة ولا أن يكون نوع العمل مهما يكن شأنه داعيا للاعتداء على كرامة الانسان أو على حقه فى الحياة الحرة الشريفة ·

ولو أن الكاتب قرأ شكسبير أو غيره من الأدباء لعرف أن الخصومة السياسية ورفض الرأى لا يجوز أن يسمح للامبراطور أو الملك أو الرئيس أن يقمع بالسلطان خصمه أو ينال بالسيف رضاه · فما الامبراطور أو الملك أو الرئيس الا فرد يخطىء كما يخطىء الناس ويصيب كما يصيبون ·

ولو أنه قرأ شكسبير أو غيره من الأدباء لعرف أنهم يرون أن الشرف ليس مقصورا على طبقة دون طبقة ولا على ناس دون ناس وانما هو مشاع بين كل الطبقات لا اختلاف بينهم ولا فارق . فكما يجوز أن يكون ابن الامبراطور أو الملك أو الرئيس شريفا يجوز أيضا أن يكون وضيعا فى خلقه ساقط الكرامة يرتضى لنفسه مالا يرضاه الا السفلة والأفاقون .

ويجوز أيضا أن يكون الفقير شريفا سامق النفس عالى الهمة ويجوز أيضا أن يكون ابن الوضيع وضيعا .

ولو كان قرأ لشكسبير أو لأحد من الأدباء لعرف أن المال الذى أصبح الها فى النظرية المادية الشيوعية والذى هو الاله فى النظرية الرأسمالية ليس عند الكتاب فيما يكتبون الا وسيلة وما هو بغاية . وأن الناس الذين يجعلون منه غاية هم أرخص خلق الله على الله وعلى البشر .

وان الغنى لا يجعل الانسان عظيما وان الفقر لا يجعل الانسان حقيرا وانما الانسان عند الأديب عمله وليس ماله وخلقه وليس أخلاق ثيابه .

فالادباء والكتاب هم صرخة البشرية فى وجه من يعادى البشرية على نور أقلامهم سار الخالدون الذين ذكرهم بأستثناء محمد وعيسى — عليهما الصلاة والسلام — فى كتابه اللذين جاءهما الهدى من السماء .

وقد اختار الله لأعظم الخالدين محمد عليه الصلاة والسلام أن تكون معجزته متمثلة فى الكلمة ، ولكن العالم الفلكى الرياضى لا يستطيع أن يفهم هذا المعنى ولا أن يقدره . ومن أين له أن يعرف قدر القرآن الكريم وهو لا يتحدث لغته .

اذا كان المؤرخون هم الناقلون أحداث التاريخ الى الأجيال فان الكتاب هم الناقلون منائر القيم الى كل الأزمان .

واذا كان المؤرخ يثبت الأحداث فان الاديب يبلور روح العصور الى العصور .

واذا كان هناك من يكفر بقدر الأديب فهو جاهل . أو غبى . وكلاهما شر من أخيه .

وان كان هناك من يقول ان الأدباء بما يملكون من أقلام يعظمون قدر أنفسهم فان هذا القائل عمى عن الحقيقة وانفصل عن البشر . لأن الناس هم الذين يقدرون الكتاب ويرفعونهم الى مراتب الأنبياء والصديقين بما أناروا أزمان البشر منذ الأزل والى الأبد .

الأهـــرام ١٩٨٣/٨/٢١ ..

اقتراحات وليست برنامجا

غمرتنـــا السعادة وأنا أسمع جملة معينــة فى خطـاب الرئيس حسنى مبارك الى المغتربين من المصريين وأنا حريص أن أنقل الجملة بنصها من الخطاب فهو يقول ..

« واسمحوا لى أيها الاخوة والأخوات أن أطرح عليكم بعض النقاط التى تعينكم على الخروج بتصور كامل للأسلوب الأمثل لخدمة مصركم العزيزة أثناء وجودكم فى الخارج وهى نقاط لا أطرحها لكى تتحول آليا لبرنامج عمل بل أن ما أقصده هو أن تكون مجالا للدراسة والتمحيص والنقاش الى جانب ما تبدونه من أفكار وآراء » .

ثم أضاف الرئيس فى تأكيد وهو يطرح النقطة الخامسة من مقترحاته كلمة قالها من خارج الخطاب المكتوب وباللغة العامية « برضه ده مش برنامج عمل » .

وهذه الكلمات القليلة خطيرة الشأن فى حياتنا الديموقراطيـــة . فالرئيس يعلن على الملأ أنه يريد فى مجال الرأى أن يبدى رأيه شأنه فى ذلك شأن أى عضو من أعضاء اللجان ولا يريـد أن تكون آراؤه قرارات وانما يريد أن يبديها فقط وقد كان ينبغى ألا يحتاج الرئيس أن يعلن هذا لولا ما يشهده فى الحياة العــامة من أقوام يعتبرون كل حديث لرئيس الجمهورية قرارات أو برنامج عمل . غافلين أن الرئيس حين يريد أن يصدر قرارا جمهوريا فانه يتخذ لذلك الوسائل الدستورية المعروفة لاصدار القـــرار ..

ولكن الرئيس يريد أن يكون فردا من الجماعة وأن يكون له فى الشورى رأى شأنه فى ذلك شأن ســـائر أفراد الجماعة .. ويريد من الجماعة أن تناقش هذه الآراء بالرفض أو القبول فاذا انتهـــوا الى راى يكون هذا الرأى قرارا أو توصية .

والرئيس يريد أن يقول لكل العاملين فى مصر ، ان كونه رئيسا للجمهورية لا يجوز أن يمنعه الحق فى ابداء رأى على أن يكون مجرد رأى وليس قرارا جمهوريا . وهذه التفرقة بين الانسان المصرى حسنى مبارك وبين الرئيس المصرى حسنى مبارك غاية فى الأهمية فى حياتنا العامة .

فالانسان المصرى حسنى مبارك يريد أن يدلى برأيه ويكون هذا الرأى موضوع مناقشة حرة ولايكون أمرا واجب التنفيذ فور صدوره عنه ·

أما الرئيس حسنى مبارك فانه حين يريد أن يصدر قرارا جمهوريا فهو يستشير فى شأنه أولى الرأى المتخصصين فى ميدان القرار حتى اذا اطمأن أن الرأى قد أنضجه التقليب واستقر عليه التفكير وامعان النظر أصدره قرارا واجب التنفيذ · فالرأى أمر مختلف كل الاختلاف عن القرار·

والرئيس حسنى مبارك بهذا الذى قاله يعلن على الملأ أنه يريد أن يكون فردا من الشعب المصرى يناقش شئون مصر مع الناس أجمعين ويريد الا تمنعه رئاسة الجمهورية من تداول الرأى والادلاء بما يراه كفرد من الناس وليس كرئيس جمهورية يملك أن يصدر القرار ·

ويريد أن يعلن على الملأ أن رئيس الجمهورية لا يجوز له فى الحكم الديمقراطى أن ينفرد وحده بالرأى وأنه لا ينبغى له أن يصـــدر قرارا ما الا بعد أن يعرف آراء الآخرين فيه ··

ان هذه الكلمات القلائل التى قالها الرئيس حسنى مبارك هى الفارق الفاصل المحدد بين الدكتاتورية وروح الديموقراطية ··

فالديكتاتور يصدر القرار منفردا به وفى أى لحظة ودون أى مشورة· وقد يكون وهو يصدر القرار ممغوصا أو مصدوعا فيخـرج قراره أيضـا ممغوصا أو مصدوعا ، ومغص القرار وصداعه يصيب قوما كثيرين وقد يقضى عليهم قضاء مبرما ، وذلك لأن الديكتاتور كثيرا ما ينسى أنه انسان يصدق عليه ما يصدق على الانسان من خطأ وصواب ، ومن مرض وصحة ، ومن بهجة وشقاء ·

يحسب الديكتاتور أنه نسيج وحده من الناس وأن الذى خلقه سواه من طينة غير طينة البشر · ولذلك وجد الأباطرة والطغاة من الملوك والظلمة من رجال الثورات من يقول لهم ان الوحى ينزل على السنتهم من السماء مباشرة وان ما ينطقون به انما هو أوامر من رفيع السماوات ذى العرش· وصدقوا هم فى أنفسهم هذه الأوهام · والنفس هى شر مخادع لصاحبها · والمنافقون من الناس يعلمون هذه الحقيقـة فيزيـدون الطغـاة طغيانا ويزودونهم بالحجج التى تجعل نفوسهم تخادعهم عن الحق كل خداع ··

مايو ٢٢/٨/١٩٨٣ ··

ومن الهدم بناء

فى قديم الزمان منذ ألف عام ونيف قال المتنبى :

وكم ذا بمصر من المضحكات
ولكنـــه ضـــحك كالبكا

والعجب ان هذه المضحكات تزداد على الأيام ارتفاعا وتزداد دواعى البكاء فيها شدة وشناعة .

ارتفع قوم بغير ضمير بعمائرهم .. وسارعوا فباعوها حتى يتحمل غيرهم البلاء كله متمثلا فى مالهم أول الأمر ثم متمثلا فى حياتهم جميعا .

وكان من الطبيعى ان تصرخ مصر ويعلو منها الضجيج ان بين أبنائها أقواما تجردوا الى هذا الحد من الانسانية بل وتجردوا أيضا من بعد النظر لأن أدوات البناء من أسمنت وحديد لا تقبل الرشوة وتأبى ان تسكت على مايرتكبون ولابد لها ان تعلن احتجاجها .. واحتجاجها ليس كلمات على الورق وانما هو انهيار وقضاء على أرواح وعلى مستقبل أقوام لا تفـرق حين تقتل بين شخص وآخر وانما هى تقتل الجميع فى غير عقل ولا رحمة .. ولماذا ترحم قوما اقبلوا على شراء هذه الشقق دون ان يتحققوا من ان البناء قام فيها على أسس هندسية سليمة ورخصت ببنائه الجهـــات المتخصصة فى اعطاء الترخيصات .. وحين يعلن الأسمنت والحديد رفضه سيصبح الملاك ومهندسوهم جميعا مسئولين وهكذا تخلى عنهم بعد النظر أيضـــا ..

وحين أصبح انهيار العمارات ظاهرة .. وحين أصبح لا يقتل من يقتل فقط من أفراد وانما تعدى ذلك الى سمعة مصر التى تحتاج اليهـا لتعيد الطمأنينة الممزقة التى ورثتها عن أيام القهر .. تصدت السلطات لهذه الظاهرة وصدر القانون بهدم كل بناء قام بغير اذن ..

وبدأت الجهات التنفيذية تمارس واجبها فى تطبيق القانون .. فاذا بأقلام مصرية ويمسك بها آدميون من بنى الانسان تصيح بالذين يطبقون القانون أن ما يفعلونه ظلم وطغيان .. وأن الهدم لا يستغرق الا لحظات

فى حين يحتاج البناء الى سنوات ‥ وقد نسوا ان الذى حدث ليس هدما وانما هو بناء ‥ هم يهدمون بضعة طوابق ويبنون هيبة دولة بأكملها ‥

ما هذا الهراء أيها الآدميون ‥ أيبقى البناء لتنهار فى كل يوم عمارة على ساكنيها وعلى سمعة مصر وكرامتها ‥

أتبقى العمارات لتتحدى القانون وتجعل منه أضحوكة ‥ ان بلدا لايحترم فيها القانون بلد جديرة بأن تمحى من الوجود ‥ وان شعبا يعيش فى بلد بلا قانون شعب مشرد تائه يأكل الناس فيه بعضهم بعضا والشريعة بينهم السلاح والتقرب من ذوى السلطان ويومذاك يصبح الفرد فى هلع وفى حيرة مهلكة بلا حماية ‥

فالقانون وحده هو الحماية ‥ وان الابقاء على العمارات التى ارتفعت بغير اذن قتل للقانون وقتل لهيبة الحق ، وهيبة الدولة ٠ وحين تصبح الدولة بلا هيبة تسقط جميعا ولا تستحق ان تعاش ٠

ان الذى أقام هذه العمارات أقامها على باطل فهى باطل ولابد ان يسحق الحق والقانون كل ما هو باطل ‥ وان قوما سكنوا هذه العمارات هم واحد من اثنين اما جاهل لم يحاول ان يعرف كيف أقيمت هذه العمارات وهكذا يصبح مغفلا والقانون لا يحمى المغفل ‥ واما مغامر قامر بحياته وبماله راجيا ان تغضى الحكومة عنه عينا اذا سكت عنه الأسمنت والحديد ولم ينهارا عليه وعلى أسرته ‥ وعلى المغامر ان يقبل كل ما ينتج عن مغامرته ٠

والدفاع عن هؤلاء وهؤلاء من ملاك الى مشترين من ملاك أو مستأجرين جريمة أضخم من جريمة المالك الغشاش القاتل السفاح ‥ لأن الدفاع عنهم دفاع عن تمزيق القوانين وعن قتل الناس وعن القضاء على سمعة مصر وكرامة القانون وهيبة الدولة ‥

وهاتان عمارتان قد سقطتا فى يوم واحد فى الاسكندرية والقاهرة ‥ وتزداد الكارثة فى كل يوم هولا واتساعا ‥ ونسمع — وويل لأرواح الناس مما نسمع — ان التنفيذ قد أوقف فى بعض العمارات حتى تحكم المحكمة ‥ ترى هل الأسمنت والحديد عندهما خبر بالانتظار حتى تحكم المحاكم وهى التى تغص بالمتقاضين وهيهات ان تفرغ قبل وقت لا يعلم أحد مداه الا الله سبحانه فى علياء سمائه ٠

واذا كان الأسمنت والحديد قد بلغهما هذا الذى قيل فهل يستطيع أحد أن يسألهما ان كانا ينتويان الانتظار أم سينقضان على السكان بغير اذن من المحكمة أو من أى جهة أخرى ‥

ولقد يتصور بعض الناس أن يجرم المجرمون القتلة من أجل مزيد من المال وان كان الذين يرتكبونه تمزيقا أى تمزيق لكل معانى الانسانية ٠

ولكن كيف نتصور ان يدافع عن هذا أصـــحاب أقلام يريدون ان يقيموا من أنفسهم زعماء ٠٠ علم الله ان زعامتهم لن تكون الا وبالا عليهم ٠٠ لأنهم لا يتركون عملا تقوم به الدولة الا هاجموه فى شراسة حتى حين تحافظ الدولة على هيبتها وهيبة القانون فى وقت معا ٠٠

وليس مقبولا او يقال ان أزمة المساكن اليوم تدعو الى التهاون فى تطبيق القانون ٠٠ فنظرة واحدة الى هذه العمارات التى خالفت تجعلنا ندرك فورا انها لغير الذين يعانون من أزمة السكن وانمـــا هى للاثرياء الفاحش ثراؤهم وأغلبهم يريد ان يحسن بها مسكنه أو يتاجر فيها ٠٠ فأغلب هذه العمارات ان لم تكن جميعها من السكن الفاخر وليس فيها ما بنى ليواجه أزمة الشعب فى المساكن ٠٠ ومحاولة اللجوء الى هذه الحجة رفع لشعارات على الهواء تعود هؤلاء الكتاب ان يرفعوها كلما وجدوا الى ذلك من سبيل ٠٠

حتى وان كان هذا على حساب مصر ٠٠ نعم وان ٠٠ حتى وان كان على حساب القانون : نعم وان ٠٠ حتى وان كان على حساب هيبة الدولة ٠٠ نعم وان ٠

الأهـــرام ١٩٨٣/٨/٢٨ ٠٠

الديمقراطية رجال لا رجل

الديموقراطية هى أكثر الأنظمة احتياجا للبشر • فمعروف أنها حكم الشعب بالشعب لمصلحة الشعب ، وقد بدأت الديموقراطية أيام الرومان وكان الجمهور كله يشترك فى ابداء الرأى ، فيجتمع الشعب فى الساحة ويطرح عليه موضوع المناقشة • وشهوة الكلام قديمة فى البشر فكل انسان يحب أن يستعرض معارفه على الناس ، ولا أحد يعرف الحقيقة عن نفسه • فان الله سبحانه وتعالى بلطف منه وبتقدير عليم بنفس عباده جعل كل انسان يجد ما يرضى به عن نفسه حتى يقبل الحياة • ولو أن كل انسان عرف حقيقة نفسه لانتحر نصف البشر أو ثلاثة أرباعهم • وربما كنت متفائلا فى هذه النسبة •

وهكذا استقر الأمر أن ينيب الشعب عنه نوابا وأطلقوا عليهم مجلس السناتورز التى ترجمت بمجلس الشيوخ فى بعض البلاد وترجمت عندنا بمجلس الشورى ، وهكذا بدأت فكرة النيابة منذ أيام الرومان وكم تعثرت وكم استقام بها الطريق •• ثم استقرت الديموقراطية وأصبحت خير أنظمة الحكم • ويقول عنها علماء القانون أنها ليست النظام الأمثل ولكنها أقل الأنظمة عيوبا • وأكثرها اتاحة لتحقيق حكم الشعب للشعب • وقد كان من أوضح عيوب الديموقراطية أن النائب يحاول أن يرضى ناخبيه على حساب المصلحة العامة على رغم القاعدة الدستورية المعروفة أن النائب يمثل الأمة كلها منذ يوم انتخابه • وعلى الرغم من القاعدة الدستورية الأخرى التى تقول : ان عمل الناخب ينتهى عند صندوق الانتخاب • ولكن القواعد القانونية شىء وتنفيذها شىء آخر تماما •

فانه من النادر أن نجد نائبا يفضل مصلحة الأمة كلها على مصلحة دائرته • فهو دائم النظر اليها يبحث عما يضمن له أن يعيدوا انتخابه عند الانتخابات القادمة ، ويندر أن نجد ناخبا يترك نائبه يتفرغ لدراسة مهام عضو الهيئة التشريعية وهى مهام جسيمة تحتاج الى كثير من الجهد • وهكذا ترى أن الذين ساندوا النائب فى الانتخابات لا يفكون الحصار عنه مطلقا وانما هم دائما يلاحقونه بمطالبهم ومطالب أصدقائهم وأصدقاء أصدقائهم ان لم يجنوا من ذلك مالا على سبيل الرشوة المؤكدة جنوا من

ذلك سلطانا ومكانة بين الناس وهى فى ذاتها نوع من الرشوة أيضا وان كانت رشوة غير دنيئة ٠

وهكذا رأت بعض البلاد العريقة فى الديموقراطية أن تلجأ الى انتخابات القائمة ٠ ولا شك أن هذا النوع من الانتخاب يجعل النائب فى نجاة من المطالب الشخصية لأبناء الدائرة الى جانب ما تتيحه انتخابات القائمة النسبية من تمثيل للأغلبية المطلقة من الشعب وليس للأغلبية النسبية فهى تحفظ أصوات الناخبين أن تضيع عبثا ٠

وهكذا تتحقق الحكمة الكبرى من الديموقراطية ٠ ولكن يقى ما هو أهم من ذلك وهو أن يكون أغلبية النواب الذين تقدمهم القائمة على درجة رفيعة من شرف السمعة وطهارة اليد والثقافة السياسية العامة والعلم بأحوال البلاد والأمانة المطلقة عند الكلام فى المجالس التشريعية فلا يكون الدافع شخصيا ٠ وينبغى قبل كل هذا أن يكون النائب موضع احترام من كل الذين يعرفونه فلا يسلك مسالك التهم ولا يراه أحد فى مكان ينقص من هيبته فهو يمثل الدولة فى أعلى مراتب الدولة فهو الذى يشرع لها التشريعات والقوانين وهو الرقيب على رئيس مجلس الوزراء والوزراء ٠ واذا كان الرقيب متهما سقطت الحياة النيابية جميعا ٠

وهكذا فالديموقراطية هى النظام الذى لا يستقيم الا بمجموعة ضخمة من الشخصيات الرفيعة المستوى التى تعف عن الصغار وتكبر نفسها عن الاستجداء وتعلو بمكانها عن الشبهات ٠ وليس هم بالأمر اليسير المنال ٠ ولكنه فى نفس الوقت أمر لا غنى عنه لتتحقق الديموقراطية ٠

ففى حكم الفرد يكفى أن يكون الحاكم المطلق شريفا وفى الحكم العسكرى يكفى أن تكون القلة الحاكمة شريفة أما فى الديموقراطية فلا بد أن تكون العناصر التى تعمل فى كل الأجهزة التشريعية على مستوى رفيع من الشرف وأنا فى غنى كل الغنى أن أذكر عيوب الحكم الفردى مهما يكن شأن الفرد الحاكم وعيوب الحكم العسكرى مهما يكن العسكريون الحاكمون ٠

مايو ١٩٨٣/٨/٢٩ ٠٠

صـورة قلميـة

الثورة المذءوب

من لوزان ـ سويسرا

سعار أصاب الرجل منذ البواكير الأولى من حياته أنفق عمره يتعلم لغات غير لغته العربية وله من الوقاحة ما يحاول به أن يكون أديبا فى اللغة العربية وانتهت حياته أو أوشكت ولكن المسكين فشل أن يكون بين قومه أديبا وفشل أن يكون فى اللغات التى تعلمها وأتقنها شيئا مذكورا أو غير مذكور ٠

أنه ثور أصابه سعار الذئاب المفترسة يريد أن يحطم الحياة من حوله ولكن لأنه ضئيل القـدر هين الشأن حقير النفس وضيع الفكر لم يحطم الا نفسه ٠

هم أول ما هـم باللغة العربية والتراث العربى وراح يحارب كل ما هو أصيل فى أدبنا وتراثنا ونظره الكليل المنحرف مصوب على أن اللغة العربية هى لغة القرآن وهو يظن بما ركبت عليه نفسه من اجتماع الثور والذئب أنه يستطيع أن يحطم اللغة ليبعد الناس عن القرآن وعن الدين واستقبله فيما تكالب عليه الفشل الوبيل ٠ وأحس الناس بما فى هجمته من سعار فرفعوا المصاحف على الرؤوس وألجموه بما لا يطيق وانهالوا عليه رجما فاذا الثور فيه والذئب جميعا يتمخضان عن كلب أجرب يضع ذيله بين فخذيه الخلفيتين ويسارع فى تلصص المجرمين يعدو باحثا عن مخبأ أمين يلعق فيه جربه وجراحه ويصمت حتى يهدأ ما ثار من الناس وحتى ينثنى عنه الراجمون وينساه الذين يقولون لا اله الا الله محمد سيد الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

فاذا هذا الضجيج عاد الى الميدان مرة أخرى يحاول فى غباء الثور وفى سعار الذئب أن يبحث عن قنص آخر بعد أن عزه أن يهاجم لغة القرآن ورأى بشائه بصره ومريض بصيرته أن يهاجم من يجله المسلمون من عمالقة العلماء وأشراف الفقهاء وراح يرمى عليهم سخائمه ويختلق عنهم تهما لم يسمع أحد أنها يمكن أن ترقى الى أعتابهم ٠ ولكن ذنبهم الوحيد ان العرب

المسلمين يذكرون أسماءهم فى اجلال واكبار وتقديس · وذنبهم الأكبر عنده أن كل الفقهاء الذين جاءوا بعدهم تتلمذوا عليهم أو على تلامذتهم · بل ان أعلام الوطنية والاخلاص القومى ينتسبون بأفكارهم الى تعاليمهم · وهذه ذنوب عند الثور المذعوب لا غفران لها · فماذا عليه لو أنه صدم فيهم مشاعر الجماعة وحاول أن يزيل هذه الهالة عن افذاذ لم يذكرهم التاريخ الا بما يشرف الرجال ويرفع صيتهم على أحقاب الزمان ·

ومرة أخرى تداولتـه الحجـارة وانهال عليـه المسـلمون والعرب والوطنيون بسـهام الحـق يردونه عن قوم يكنون لهم الاحترام والتوقير ويلعنونه ·

ويحاول الثور المذعوب أن يلجأ الى حرية الرأى · والى أن كل انسان ينبغى أن يتمكن من ابداء رأيه مهما يكن شأن هذا الرأى وهو قول حق ولكنه يستتر عند هذا الرجل بالذات باطلا فادحا · فاولئك الذين يجرح مشاعرهم بهذه الوحشية ويسب لهم أعلام دينهم لا يستطيعون أن يمنحوا أنفسهم الحرية فى مهاجمة ما يقدسه هو وأمثاله من الذين يحاولون أن يحطموا المساجد وأشياخها على رؤوس مرتاديها ومريديهم لأن ديننا ينهانا أن نثير الفتن بين الناس والفتنة عندنا أشد من القتل بينما هى عند الثور المذعوب هدف حياة ونشيدة عمر وهب نفسه لها لا يريم عنها ولا ينثنى ·

وبلغت به الوقاحة أن هاجم القرآن نفسه وحاول أن يرد آياته الى عصور سابقة عليه وحاول أن يفسرها وهو أبعد ما يكون عن دراسة أعماقها أو لغتها أو مفاهيمها أو أسباب نزولها ·

والحرية هى كرامة الانسـان ولكن من قال ان الحرية هى تحطيم الأديـان · وامتهان كرامة الجماعة · والاعتداء على مقدسات الشـعوب وما آمنوا به ·

فصلة الانسان بربه صلة لا يعلمها الا الانسان نفسه وعالم الغيب والشهادة والاعتداء على هذا الحرم تحطيم للحرية نفسـها الا أن تكون الفتنة هى بغية المعتدى والوقيعة بين الأديان هى هدفه الذى يتغياه ويرصد حياته لبلوغه · ومرة أخرى يفر الثور المذعوب كلبا أجرب يلوى ذيله بين فخذيه ويتلمس مخبأ يرد عنه عاديات الهجوم ·

ولكن هـل من ينتهى ·· هيهات ·· اذا كان قد خاب فاله وحبط مسعاه مع الدين وجها لوجه ومع فقهاء الدين بالاعلان فما له لا يحاول أن يهاجم شعراء العربية وكتابها أجمعين ويجعل من ذكراهم عفنا وحينئذ يقول هذا رأيى وما على من بأس أن أرفض كل هذا الشعر وكل هذا الأدب وهذا حقه لا شك فى ذلك ولكن كشأنه يستتر به باطلا حقيرا ·

فان الناقد حين يرفض شاعرا عملاقا أو كاتبا شامخا يتعين عليه أن يذكر عيوب هذا الشاعر أو ذلك الكاتب وما الذى يدعوه الى رفضه ولماذا هو أكذوبة فى أدبنا · والا كان الرفض وليد أغراض أخرى وخبيئات نفس مريضة ترمى برفض الشاعر أو الكاتب الى رفض اللغة التى أكبرها هذا الشاعر أو ذلك الكاتب فأكبرته والذى أكرمها فأكرمته ورفعها فرفعته·

ان الأفذاذ من شعراء الأمة وكتابها هم تاريخ أدبها وهم الرايات الخفاقة التى تسافر عبر الأجيال تحمل الخلود لبلادهم على مر العصور وتحمل أجيالهم على أعناق الزمن الى سائر الأجيال ·

وقد كان تشرشل الزعيم الانجليزى على وعى عظيم بشأن الشعراء حين قال لو لم يكن لبريطانيا فضل الا أنها ولدت شكسبير لكان حسبها ·

ومازال الفرنسيون يتيهون فخرا بكورنى وراسين وهيجو وبودلير وبكتابها من أمثال بلزاك ودوديه وأناتول فرانس وغيرهم ومازالت ألمانيا ترفع علم جيته وزفايج وعظماء شعرائها خفاقا على كل الأجيال وكذلك تفعل كل الدول ·

فما بال هذا الثور المذءوب يريد أن ينكس أعلام العمالقة من شعرائنا وكتابنا ويرفض أى شاعر أو كاتب لم يشهد هو ميلاده ولم يعلن هو شاعريته ويمنحه هو صك الوجود الا أن يكون متشبثا بتحطيم لغتنا فى وهم منه كبير أنه سيستطيع أن يحطم بها ديننا وقرآننا ·· ولكن ربنا قال « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وهو طبعا لا يؤمن بما قال ربنا · ولكن الا يؤمن بما تم فعلا وبما يرى أن القرآن بقى الفا وأربعمائة سنة ونيف لم يتغير منه حرف واحد ولكن على قلوب أقفالها وعلى البصائر منه مغاليقها · فليمكر ما شاء له المكر فانا نحن المؤمنين نعلم كل العلم أن الله خير الماكرين ···

الأهـــرام ١٩٨٣/٩/٤ ··

المبدأ ثم الشخص

هل تدرك الأحزاب المعنى الحقيقى لانتخابات القائمة · أننا لأول مرة فى مصر لن ننتخب شخصا · وقد كان الأمر دائما يسير على أن يختار الناخب بين أشخاص ، والناخب فى أغلب الأمر وأوشك أن أقول دائما يختار من يعرف · وقد يكون من يعرف هذا ليس هو الأصلح ولكن اللى نعرفه أحسن من اللى ما نعرفوش · وهذا مثل خاطىء خطأ فاحشا · وأبسط دليل على خطئه اننا ما دمنا منعرفوش فكيف نحكم عليه ·

واختيار النائب أمانة أى أمانة · فانك اذا كنت تحسن الاختيار لمن يخلع لك ضرسا وان كنت تختار فى دقة من يتولى الدفاع عنك فى قضية لا تزيد حصيلتها عن مائة جنيه أليس من الطبيعى أن تحسن الاختيار غاية الاحسان لهذا الذى سيشرع لبلادك جميعا ويعطى رأيه فى كبريات المسائل التى تتعرض لها مصر ويراقب الهيئة التنفيذية ويستجوبها ويسألها حريصا على المصلحة العامة بعيدا عن المصلحة الخاصة ·

واليوم يقع هذا العبء أول ما يقع على الأحزاب فهى التى ستقبل ترشيح من يتقدم لها ثم هى ستعرض نفسها فى قوائمها ، فى هذا العرض سيعرف الناس ان كان الحزب يريد المصلحة العامة أم هو ينظر الى غير ذلك من صداقات وعلاقات وكل ما لا يتصل بمصالح الدولة فى شىء · ولا يحسبن حزب من الأحزاب أن خافية من خوافى المرشحين بعيدة عن علم الناس · فالناس يعرفون الناس · ومن يعرف يخبر من لا يعرف · وما يحسبه الانسان سرا مكنونا لم يطلع عليه أحد هو فى الحقيقة معلن بين الناس مشاع · وللهمس صدى أشد وقعا وأعلى طنينا من وسائل الأعلام · وقديما قال الشاعر:

ومهما تكن عند امرىء من خليقة

وان خالها تخفى على الناس تعلم

والحزب يعرض بعض نفسه بمرشحيه وفى انتخابات القائمة ينتخب الناس أحزابا ولا ينتخب أفرادا · والحزب الذى لا يكتسب احترام الناخبين بشره منذ اليوم بالسقوط الوبيل والفشل الثقيل ·

ولكن قائمة المرشحين ليست الا جانبا من الصورة التى يقدمها الحزب الى ناخبيه • ولكن الشيء الذى يحدد معالم الصورة ويتسع حتى يوشك أن يملأ الصورة جميعها هو المبدأ الذى سيتقدم به الحزب الى الناخبين • فكل حزب بغير مبدأ لا قيمة له ولا وجود له • ولابد أن تكون هذه المبادىء واضحة المعالم جلية الحدود لا شبهة فيها ولا غموض •• وليس يكفى فى هذا المضمار أن يقول حزب ما ان مبدأه ديموقراطى وحسب فالديمقراطية صور وألوان شتى لابد أن يذكر الحزب النهج الديمواقراطى الذى ينتوى أن ينهجه ولابد أن يقع هذا فى مواد كمواد القوانين سواء بسواء حتى يكون الناخب على بينة بمصير صوته •

والحزب الذى يريد أن يكون شيوعيا عليه أن يبين فى وضوح ما هى الشيوعية وما هى المبادىء التى سينتهجها ويعرضها على الناس فى وضوح والمفروض أن يكون أمينا فى العرض ولكن من أين تأتى الأمانة لقوم يرفضون الله والوطن • وقديما قال الشاعر :

ومكلف الأشياء ضد طباعها
متطلب فى الماء جذوة نار

وعلى أية حال ، فانه لابد لكل حزب أن يفكر منذ اليوم فى طبع المبدأ الذى سيتقدم به الى ناخبيه وينشره عليهم وهذا المبدأ يشكل تعهدا من الحزب الى الناخبين أنه سيسير على هذا النهج فى أى موقع يشغله سواء كان هذا الموقع فى الحكم أو فى المعارضة • حتى اذا حاد عن هذه المبادىء أو جنح عنها أصبح من الطبيعى أن يحاسبه ناخبوه فى الانتخابات التالية • والواقع أن الأحزاب التى سبقت الثورة كانت جميعها تطبع مبادئها • والواقع أيضا أنه لم يكن هناك خلاف يذكر بين مبادىء الأحزاب بعضها وبعض • فكلها كانت تضع فى صدر مبادئها العمل على انتهاء الاحتلال البريطانى ثم تجىء بعد ذلك عدة مبادىء أخرى لا اختلاف فيها وان كان الخلاف فى الأشخاص وليس فى المبادىء •

ولكن الأمر اليوم مختلف كل الاختلاف • فالأحزاب الشيوعية لم يكن يسمح لها بالقيام فى هذه الفترة • والاحتلال الانجليزى كان يجثم على البلاد وكان من الطبيعى أن يكون هدف الأحزاب جميعا هو التخلص من هذا الاحتلال • ففى ظله تكون أيدى المصريين مغلولة وليست مطلقة الحرية •

أما اليوم فلا احتلال يجثم على مصر • ومصر تنعم بحرية لم تشهدها من قبل فلا عذر للأحزاب أن هى لم تعلن عن مبادئها التى تطلب بها من الناخب أن يدلى بصوته فى جانبها •

مايو ١٩٨٣/٩/٥ ••

على أنفسهم يعتدون

ان هناك بعض القوانين تبدو فى ظاهرها أنها لمصلحة الشعب بينما هى فى الواقع ضد الشعب · فحتى يكون القانون لمصلحة الشعب يجب أن يعم نفعه جميعا لا فئة منه دون فئة · لأن الفئة التى يجاملها القانون انما يجاملها على حساب الشعب أجمع · فالهيئة التنفيذية اذا تقدمت بمشروع قانون يعطى بعض الحقوق لفئات لا ترتب عليها واجبات يقوم الشعب أجمع بدفع الثمن ولا يدفعه أعضاء الهيئة التنفيذية · ومجلس الشعب حين يوافق على هذا القانون انما يفرض على الشعب أجمع أن يدفع لهذه الفئة ما اعفيت من دفعه ولا يدفعه أعضاء مجلس الشعب · وهؤلاء الأعضاء يمثل كل عضو منهم الأمة جميعها بكل طبقاتها وجميع فئاتها ومختلف محافظاتها ومراكزها وقراها لا استثناء فى ذلك ولا اختلاف ·

وحين غاب القانون راجت القرارات الفردية تصدر جزافا لمصالح فئات بعضها فى غيبة عن الضمير وفى غفلة من الحق · وما دام القانون قد غاب فكل شىء مباح ·

وتراكمت الاعفاءات والشعب يدفع الثمن · وتكاثرت حقوق الأفراد دون أن تفرض عليهم واجبات · وكل من أصاب فى هذه الهوجة ما يسميه هو حقا وما هو بحق يعض عليه بالنواجذ ويرفض أن يتقبل مقابل الحق أن يتحمل واجبا ·

وأعرف فيما أعرف أن ما يزيد عن ٢٦٪ ستة وعشرين فى المائة من الانتاج قد نقص لاستعمال أصحاب الحقوق المزعومة حقوقهم فى الحصول على الأجازات · فاذا كانت هذه النسبة نقصت من أجل ذلك فقط · فكم نقص مقابل العمل فى تكاسل وفى غير جدية وفى تدلل الذى يعلم أن أحدا لن يستطيع أن يوقع عليه جزاء رادعا أو غير رادع ·

تلك كارثة ان لم يتصد لها الذين يحملون أمانة تمثيل الشعب انتهى الأمر باقتصادنا الى الانهيار الكامل · فالمفروض أن يكون اقتصاد الشعب من أجل مصلحة الشعب أجمع وليس من أجل مصلحة فئة من الشعب · وان نظرة بسيطة لهذا الأمر تجعل هؤلاء المتواكلين النائمين الناهبين لحقوق الشعب يثبتون أنهم يخدعون فلا يخدعون الا أنفسهم ·

ويتهاونون فلا يتهاونون الا فى حق أبنائهم وأسراتهم وذواتهم . فهم أيضا من الشعب فاذا انهار الاقتصاد الوطنى فهو ينهار على رؤوس الشعب أجمع لا يفرق بين فرد وفرد ، ولا بين فئة وفئة .

ولهذا فلابد أن يتنبه مجلس الشعب الى هذا الوبال ويسارع باصدار قوانين من أجل الشعب جميعه وليس من أجل فئة خاصة من الشعب. فان القانون حين أنشىء لمجموع الذين يعيشون على أرض واحدة وانما يحسد بانشائه الا تفتئت فئة على حق فئة أخرى . وضعت فئة على فئة يؤدى أن يقع الظلم على الفئة التى أغدقت عليها سواكب الحقوق الخالية من الواجبات لأن هذه الفئة لا تستطيع الا أن تكون أفرادا من الشعب فان كانت قد تناولت حقا باليمين أو اليسار فهى هى ستدفعه باليمين أو اليسار ، لأن ما تناله جماعة من الشعب يدفعه الشعب أجمع . هكذا يتضح أن فرح هذه الفئات بما نالت من حقوق فرح ساذج عبيط لأنها توهمت انها اغتصبت حقا ولم تدرك أن الاغتصاب كان من نفسها . وليس من شعب آخر .

فالذين يعملون بغير ضمير والذين يظنون أنهم أفلتوا من عقاب القانون بما استلبوا من حقوق ومن عقاب الرئيس بما كف من يده ومن عقاب الله على غيبة ضمائرهم فاتهم أن عقاب الدنيا وقع عليهم فعلا بتكاسلهم وبأيديهم أوقعوا العقاب على أنفسهم لأنهم يجعلون الانتاج ينقص وترتفع الأسعار وهم الذين يشترون وليس غيرهم . وان كانوا يظنون أنهم يستطيعون أن يتصايحوا لينالوا أرباحا من شركاتهم التى لم تربح فليعلموا أنهم نالوا هذا الربح من الشعب جميعا وهم بعض من هذا الشعب وانهم سيردون ما أخذوه زيادة فى أثمان الأشياء التى يرتفع سعرها نتيجة تهريجهم .

ولا سبيل لنا أن ندعو هؤلاء أن يتقوا الله فى أوطانهم والذين يصنع صنعهم لا يعرف الله وانما أدعوهم أن يفكروا فى شأن مصالحهم هم لأن عدوانهم واقع عليهم هم وهم لا يعرفون .

مايو ١٢/٩/١٩٨٣ ..

بهلــوان فى لوزان

أجلس فى لوزان على مقهى صغير فى ميدان شهير هنا يسمى ميدان سان فرنسوا ، ويمتــاز هـذا المكان بالهدوء وكثرة المارة • وعجيب ان يجتمع فى مكان واحد الحركة والهدوء فى وقت معا • وقد أحببت سويسرا كلها من هذا الميدان فالناس دائما فى سعادة وفى اقبال على الحياة دون ان تعدو هناءتهم على هدوء الآخرين • فالسعادة عندهم ابتسامة تنبىء عن قلب ليس فيه ما ينغص حياته • والاقبال على الحياة عندهم توســـعة للآخرين ان يقبلوا على حياتهم •

فى اليــوم التالى لوصــولى الى لوزان ذهبت الى المقهى فى الصباح فوجدتها على عهدى بها • ولا أدرى ما الذى جعلنى آفكر ان أذهــب إليها فى بعد الظهيرة أيضا • وقليلا ما أفعل • فوجدت الميدان مزدحما متحلقا حول بهلوان يعرض ألعابه عليهم وهم على مشاهدته مقبلون • وفكرت قليلا • وعجبت • كيف اهرب من البهلوانات فى القاهرة لأجدهم سبقونى الى لوزان • ولكننى عدت الى نفسى وفكرت • ان هناك فرقا • فبهلوانات القاهرة يعرضون ألعابهم وقد تزيوا بزى المحترمين من القوم وأسفروا للناس عن وجوههم التى خلقهم الله بها واتخذوا أدوات البهلوانيــة من العمل والقلم والورق • وادعــوا الحق وهم فى أقصى الباطل وتظــاهروا بالأمانة وهم غرقى فى الخداع والمخادعة •

أما بهلوان لوزان فهو بهلوان يعلن على الملأ انه بهلوان ولا خفاء •

وبهلوان لوزان ينشد الحصول على صبابة من مال ويقولها فى صراحة ووضوح ويتزيا لغايته فى ملابس البهلوان ويصبغ وجهه بصبغة المهرج • فهو بما يقدم سعيد والناس بما يرون منه سعداء بغير حقيقته • وهو يقف على أرجل طويلة ولكنه لا يحسب بهذا انه أرفع من الناس قدرا • أو أنه قادر بذلك على ان يخدعهم عن حقيقة قامته •

وبهلوانات القاهرة قصار القامة ضئيل حجمهم بكل المقاييس ولكنهم فى جرأة المنافقين يحاولون ان يموهوا على الناس ويجعلوهم يظنــون بهم ارتفاع الهامة وشموخ الرأس • ولو كانوا على قدر ولو ضئيل من الذكاء لقدروا أن أول مبادىء الذكاء ان تقدر ذكاء الآخرين وأن الشعوب هى

أذكى العالم نفرا فمن يحاول ان يخدعهم سرعان ما يكشفوا أمره ويتبينوا حقيقته ٠

من هذه البهلوانات من عملوا في خدمة الطغيان فكانوا الآلة الصماء تمسك بهم يد حديدية فراسه باطشة راحت تلعبهم وتتلاعب بهم ٠

ومنهم من كانوا لصاحب السلطان أو قل لصاحب الطغيان جواسيس ينقلون اليه أنباء الآمنين من النـاس فان لم يجدوها لفقوها ثم جعلوه يتخذها ذريعة لكل ما تقشعر منه الانسانية وتأنف ان يكون بين أفرادها من يفكر فيه بله يصنعه ٠

ومنهم من أمر بهم ان يكونوا قواد جيوش وأســاطين حرب فاذا بطولاتهم تسفر عن ٦٧ وحسبهم هي خزيا ٠

وجميع هؤلاء اليوم يريدون أن ينتفضوا عن وطنيين مرنوا على مكاذبة الحياة والغدر بعقول المصريين فهم يسعون جهدهم ان يعودوا الى الحياة العامة وليس يبالون تاريخهم الأسود بل هم يدعون اليـوم انهم كانوا يرفضون ما كان يحدث ولا أدرى ماذا هم قائلون عما اقترفوه فعلا وهم قضاة أو رجال دولة ٠ ولست أدرى أيضا ماذا هم قائلون عما اغتالوه من أموال لأنفسهم مازالوا ينعمون بها حتى اليوم الى جانب ما اغتالوه من أرواح بشر مصريين وما اغتالوه من كرامة مصر نفسها ٠ بل ان منهم من يصور له وهمه ان انقاذ اقتصاد مصر معلق بعبقريته فهو يعد المشاريع ليزيح عن مصر الهول الآخذ الذى كان هو نفسه من الدعامات الكبرى في انزالها بمصر ٠

بهلوانات كثيرة ذكرنى بها ذلك البهلوان ولكن بهلوان لوزان لم يسىء الى بلاده ولم يشارك في انتهاب أموالها والبهلوانات الآخرون شقوا الأفق ليغيبوا فيه شمس مصر يريدون اليوم ان يعوقوا الأيدى التى تحـــاول أن تشد شمس مصر من مغربها لتعود الى الاشراق على ربوعها ٠ ولتزدان مصر بالحرية التى خنقوها وتهنأ بالحب الذى جعلوه حقدا وبغضا وكراهية ٠ وبالسلام بعد حرب منتصرة حققناها بعد ان أشعلوا هم الحرب على أبناء مصر حين فشلوا فى حروبهم مع أعداء مصر ٠

الأهـــرام ١٩٨٣/٩/١٥ ٠٠

المنافق الشجاع

صورة قلمية

شجاع غاية الشجاعة · جبان أشد الجبن ·· يزار كالأسد الأغلب الكاسر · ويموء كالقط الرعديد الذليل · وله لكل حالة ملبس ولكل موقف وجه ولكل قوم مظهر ولكل جلسة نغمة ·

يمدح غاية المديح فيبلغ من النفاق أحط النفاق وأرخصه · حتى اذا خلا بمن يأمن شره ويثق أنه لن يمخض به الأرض أو يمزق منه الأوصال هاجم فى شراسة وعدا على كرام الناس فى وقاحة من لا حياء عنده · وفى سعار من لا عرض له ·

رأيته مع صديق لى أجله واحترمه · وهذا الصديق لا يقبل الضيم قادر دائما على أن يرد العدوان بمثله ان لم يكن بأشد · رأيت المنافق الشجاع أمامه كقط ذليل يسوق له المديح وابلا بغير حدود ويتزلف له فى خسة وضراعة يوشك أن ينحنى على يديه يقبلهما ظهر البطن · ورأيت الصديق الذى أجله يخجل من المديح · ويتواضع ويبحث عن شىء من الألفاظ ترد عنه عادية هذا المديح وكان الرجل الكريم يعلم أن رأى المنافق يبتعثه الرعب ويعلنه النفاق · حتى أذن الله وانفضت الجلسة ثم لم تمض الا أيام قلائل · وجمعتنى والمنافق دعوة لم يكن فيها ذلك الذى أوسعه نفاقا منذ أقل من أسبوع · وكانت الدعوة تضم السيدات والرجال · وكانت جلستى قريبة من المنافق وقد صاحب الدعوة المدعوين بعضهم الى بعض · وكان بين السيدات سيدة نجهل أن اسمها اسم الأسرة التى يحمله الصديق الذى كان موضع التكريم والاجلال من المنافق الشجاع وما هى الا لحظة حتى وجدته يسأل السيدة :

ــ ألك قرابة بفلان ؟

فقالت السيدة فى تواضع :

ــ انه أخى ·

واذا المنافق الشجاع يقول دون أن يمسك لسانه بعض الحياء من وجودى أو بعض الأدب المفروض فى الحديث الى السيدات ·

ـ انه أسخف انسان عرفته ٠

واذا السيدة تقول وقد وقفت عن مجلسها :

ـ انه أخي واني أحبه كل الحب ولا أسمح لأحد أن يتحدث عنه في غيابه وتستطيع أن تقول رأيك فيه له هو ان أردت أما أنا فاسمح لي أن أنصرف عن مجلس يذكر فيه اسم أخي بهذا الأسلوب ٠

وانصرفت السيدة عن مجلسنا في أدب ودون أن يرتفع لها صوت أو يعلو منها حس ٠ وقد كان المنافق الشجاع يعلم أن السيدة لن تسمح لنفسها أن تفعل أكثر مما فعلت فهو يعلم من طول ما عاشر الحياة كيف يتصرف الكرام ٠

أما أنا فلم أطق صمتا وسألته :

ـ قل لي أيها الرجل ٠ أليس الشخص المقصود هو نفسه الذي رأيتك منذ أيام قلائل تسكب عليه غدقا من المديح أوشكت أن تغرقه به ٠

ولكن للمنافقين فلسفة خاصة ٠ ربما كانت فلسفة حقيرة مهينة ولكنها ترضيهم عن أنفسهم وتهب لهم الأمن والطمأنينة ٠ فاذا يقول لي :

ـ وماذا كنت تريدني أن أقوله له ٠ لو أنني قلت رأيي الحقيقي لما أمنت أن يضربني ضربة قد تودي بحياتي ٠

ومرة أخرى لم أطق صمتا ٠

ـ كنت تستطيع الا تكيل له المديح أو الذم ٠ وأنت تعلم أنه يعرف رأيك الحقيقي فيه لأنك تعلم أن رأيه فيك شر من رأيك فيه ٠ أما وقد نافقت ما نافقت وعلى مشهد مني فكنت تستطيع على الأقل الا تقول لأخته ما قلته الآن حتى لا ازداد احتقارا لك ٠

ـ ولكن رأيك لا يعنيني ٠

ـ ذلك لأنني لا أضرب الناس وان كنت أعتقد الآن أن هذه قاعدة ينبغي أن أخرج عليها من حين الى آخر ٠ وعلى كل حال ما شأن أخته التي لم ترها الا اليوم حتى تجرحها في أخيها وهو غائب ٠

ـ أريد أن أقول رأيي ٠

ـ فاذا بلغه ؟

ـ واضح أنها سيدة فاضلة ولن تنقل الى أخيها ما سمعته مني ٠

حتى لا تجرحه فالفضليات من السيدات لا يحببن أن ينقلن الى الناس

الا ما يسعد الناس • فما بالك وهو أخوها الذى تحبه • لا شك أنها لن تخبره حتى لا تغضبه •

— وحسبت أنت الحسبة فى لحظات وأعلنت رأيك فى هذه الخسة اذن فاعلم أنى ناقل هذا الحديث الى صاحبه •

— لو كنت أعرف انك ممن ينقلون الحديث ما قلت الذى قلت •

— اسمع الحقيقة اننى كنت أحتقرك احتقارا شديدا حتى لقد كنت أحسب أنه ليس هناك من سبيل الى مزيد لهذا الاحتقار • ولكننى أهنئك فقد بلغت من المهانة مكانة لا يبلغها الا أنت وأهنئك فقد نجحت أن تجعل احتقارى لك يزداد أضعافا مضاعفة أهنئك •

— شكرا •

ليس الصديق الذى كان موضوع المديح والهجوم نكرة فى الناس ولا هين الشأن • بل هو رجل بعيد الصيت واسع الشهرة له شأن عظماء الرجال الكثيرين الذين يحبونه حبا عميقا صادقا • وله أيضا الأعداء الذين يبغضونه أشد البغض • ومن لا يغيض له ولا رأى له • وهو صاحب رأى وهو يعلنه فى غير مداراة ولا تحايل وانما هو يصدع به أعداءه فى علن الكرام وفى صدق أصحاب الرسالات لم يكن عجيبا اذن ان ينتقل اليه هذا الحوار جميعا من شخص آخر أثر الصمت فى الدعوة التى جرى فيها الحديث • ولم يعلن أنه يعرف الشخص موضوع الحديث •

لقيت الصديق الذى أجله وسألنى فتأبيت أن أقص عليه شيئا مما حدث وعرف هو أننى أداور بالحديث لا أنفى ولا أثبت فادرك صحة ما بلغه فهو يعلم أننى لا أريد أن أكذب وهو يعلم أننى أربأ بنفسى عن النميمة والايقاع بين الناس • فلست بهذا • فاذا الرجل يقول فى كبرياء

— أنا لا أشكرك فمثلك أتوقع عنده ما قلت • أما هذا المسكين الذى تريد أن تستر عليه فاعلم انه مفضوح بما ينشره على الناس • وأنا لا أغضب من أى انسان يسبنى فى غيبتى فحسبى شرفا أن أمثال هؤلاء يخشوننى ولا يجرأون على مهاجمتى الا حين أكون بغير مشهد وحين يكونون بعيدين عن حضرتى •

وقلت فى صدق •

— وهذا ما أتوقعه عندك • وهكذا يكون شأن الكرام •

الأهـــرام ١٩٨٣/٩/١٨ ••

ماذا لو أكرموا أنفسهم

حين انتهت الحرب العالمية الثانية أجريت الانتخابات فى انجلترا وكان الحزب المرشح للفوز واحدا من الحزبين الكبيرين المحافظين والعمال ۰ وكان يتزعم حزب المحافظين ونستون تشرشل الذى حقق النصر الباذخ للامبراطورية وأبقى عليها كرامتها التى أوشك هتلر أن يمحقها محقا ۰۰ وكان يتزعم حزب العمال كلسست اتلى وكانت هيئة الأمم المتحدة تنشأ فى نفس الفترة التى كانت الانتخابات دائرة فى انجلترا ۰ ولم يكن أحد يتصور أن يهزم تشرشل وحزب المحافظين فى الانتخابات بعد ان حقق هذا النصر التاريخى ۰ ولكن هذا التأكد لم يمنع تشرشل ان يصحب أتلى معه كلما توجه الى اجتماع من اجتماعات هيئة الأمم المتحدة ولم يكن أتلى فى ذلك يشغل أى منصب رسمى الا انه زعيم الحزب المعارض الذى يراوده أمل ضعيف ان ينجح فى الانتخابات ۰ ولكن هذا القصور الذى كان غاية فى الهزال لم يمنع تشرشل ان يصحب خصمه فى كل مرة حضر فيها اجتماعات الهيئة الدولية الكبرى ۰ ذلك ان الزعيم البريطانى كان يضع مصلحة انجلترا فوق كل اعتبار ۰ وكان يدرك أن الخصومة بينه وبين أتلى انما هى خصومة لا تتغيا الا صوالح بريطانيا ۰

وما دام الأمر كذلك فلابد أن يكون زعيم حزب المعارضة على علم دقيق بجميع التيارات التى تسرى فى المجتمع الدولى ۰ فقد كان تشرشل لا يتصور ان تنتهى رئاسته للوزارة ولا يكون رئيس وزراء انجلترا على غير علم بالأحوال الدولية جميعا ۰ ولم يكن يقبل ان يتسقط رئيس الوزراء أنباء المجتمع الدولى من الجرائد والراديو بل لابد أن يكون مشاركا فى هذا المجتمع يدرى كل الخلفيات التى تتخفى وراء الدول وممثليها فى هيئة الأمم ومجلس الأمن وجميع المؤسسات الدولية التى كانت تتكون فى ذلك الحين ۰

وحدثت المعجزة ونجح المحافظون فى الانتخابات وأصبح أتلى رئيسا للوزراء ۰

وهذا يدل أولا على ان ثبات النظام الديمقراطى فى انجلترا هو أهم عناصر الديمقراطية فيها ۰ وهكذا كان تشرشل على يقين أن أتلى هو الذى

سيكون رئيس الوزراء اذا نجح حزب المحافظين وليس هناك بديل لذلك ولا شك فيه ٠

ويدل أيضا على ان الأحزاب جميعا تعرف فى ثقة أن صوالح الدولة هى أهم عناصر الحياة السياسية ٠ وقد رسخ هذا التفكير من طريقة المعارضة على مدى السنين ٠٠ فهى معارضة رشيدة تؤيد حين ينبغى التأييد وتعارض حين ترى أن المعارضة أصلح للوطن وللشعب وليس للمصلحة الشخصية وليس للبطولات الذاتية ٠

وكانت المعارضة فى انجلترا وما زالت تدرك انها اذا ذكرت بيانات كاذبة للشعب فستفقد ثقة الشعب الى الأبد فلا تجد معارضا يقف فى ساحة المجلسين التشريعيين ويدلى ببيانات هو غير واثق منها كل الوثوق وهكذا تكون المعارضة فعالة تصل الى أهدافها من الصالح العام وتهز أعمدة الحكومة اذا أخطأت الحكومة ٠

أما حين تكون المعارضة لا شيء الا التوقح والهجوم البذيء والاعتداء على الكرامات والتهجم على اقدار النــاس دون ذكر وقائع محددة مؤيدة بالأسانيد والحجج فانها تصبح هذرا فارغا لا يخيف الحكومة بل يجعلها تسقطها من حسابها لأنها هانت على نفسها فهانت على الشعب وأصبحت معارضة بلا كرامة ولا قيمة ٠ ومن لا كرامة له ولا قيمة لا يخيف حكومة ولا يخيف أفرادا ٠ لأن المعارضة تستمد قوتهــا من تأييد الشعب لهــا والشعب لا يؤيد من يكذبه ولا من يحــاول أن يخــدعه ولا من يدأب على تضليله ٠ فاذا راحت المعارضة تثير قضايا تحشد لها كل وسائلها من الدعاية ثم ما تلبث هذه القضايا عند تحقيقها أن تتكشف عن أكاذيب لا يساندها واقع ولا يدعمها حق حينئذ يفقد الشعب ثقته فى المعارضة والمعارضين ٠ واذا قرأ صحفهم كانت قراءته أشبه ما تكون بمشاهدة سيرك من الحيوانات والبهلوانات والبلياتشو ٠

وهذه المعارضة الهازلة تفقد الديمقراطية أهم جانب فيها ٠٠ فقيمة الديموقراطية الأولى ان تكون فيها معارضة ٠ ولكن المعارضة الهازلة ليست معارضة وانما هى تهريج والشعب قادر دائما ان يعرف التهريج وقادرا أيضا على أن ينزله الى الدرك الحقير الذى يستحقه ٠

فماذا على المعارضة لو انها احترمت نفسها لتكون معارضة جديرة بدولة تحاول أن تعيد الى نظامها الحياة الديمقراطية الشريفة ٠

وماذا على المعارضة لو أدركت أن الهجوم اليوم لا يشكل بطولة فالدولة لا تمنع أحدا أن يقول كلمته والدولة لا تعتدى على عرض أو مال أو حياة فلا بطولة هناك الا بطولة المهرجين فى السيرك وأعيذهم ان يكونوا كذلك ٠

مايو ١٩٨٣/٩/١٩ ٠٠

لابد للمد أن ينحسر

ماذا أصاب السينما المصرية ؟ وأى شيطان هذا الذى سيطر على موضوعاتها ومؤلفيها ومخرجيها ومشاهديها فى وقت معا ٠

كيف أصبحت المواخير والحانات فى مصر هى تاريخ مصر ٠

وكيف أصبح الداعرات والراقصات وبائعات الهوى والقوادون هم أعلام مصر الخفاقة وهم الساسة والأبطال وهم المجد والفخار ٠

أيتصور هؤلاء المؤلفون وأولئك المخرجون أن مصر ماخور كبير لا يمثله الا هذه الحثالة التى تسحقها نعال من يتعاملون معها قبل أن تسحقها نعال الآخرين ٠

اننى بما أشاهده اليوم من أفلام وما أراه من اعلانات سينمائية أعتبر أن الدعارة قد عادت الى مصر عودة رسمية تحف بها مواكب الطبل والزمر والدعاية والاعلان ٠

وقد كانت قبل أن تلغى متخفية مستخزية اذا ذكر أحد أمرها ذكره همسا فى حياء ٠

ولكن الحياء سقط وأسفرت الدعارة عن وجهها المقيت فى أفلام الكتاب والمخرجين ٠

والعجيب فى أمر هذه الأفلام انها حين ترسم المخطئات لابد أن تجعل منهن ضحايا وأنهن الطاهرات العفيفات البريئات اللاتى أرغمهن الزمان على ممارسة المهنة الوبيلة فى الأفلام بعد ذلك تدور كلها مثل ظلم المجتمع لهاتيك الداعرات وكأنهن ما القين أنفسهن ولا ارتكبن خطيئة ولا اشتركن مع من اعتدى عليهن فيما صار اليه أمرهن ٠

والذى نعرفه أن الزنا لا يتم الا بطرفين ، والذين يعرفه الناس أن أحدا لا يستطيع أن يصل الى امرأة تأبى ذلك الا أن يكون ذلك بحريتها الكاملة ٠ وما شاهدت فيلما الا وجدت التى يريدون أن يجعلوا منها ضحية كانت تستطيع ألا تكون ضحية فى كل الظروف التى يفتعلونها افتعالا والتى يدبرها المؤلف فى سذاجة بالغة التهافت وربما لا أستثنى من ذلك الا حالة التهديد والاغتصاب وتلك حالات نادرة كل الندرة ٠ والنادر

لا يصلح أن يكون قاعدة الا أن يتاجربه المنتجون والمؤلفون والمخرجون ٠

انني أتصــــور أن المنتجين والمؤلفين والمخرجين الذين يقدمون هذه الأفــــلام قد ارتضوا لأنفسهم أن يكونوا تجار خطيئة ٠ واذا كان تاجر الخطيئة يمارس تجارته متسترا في همس فهم يمارسونها علانية يذيعون أنباء تجارتهم بكل وسائل الاعلان ٠

واذا كان تاجر الخطيئة يمارس تجارته مع أفراد فهم يمارسونها مع جماهير وشعوب ٠

واذا كان تاجر الخطيئة ســاقط الحياء وضيعا فهم أشد منه فجرا وأنكأ منه فحشا وأسقط حياء وأحط وضاعة ٠

أيدري هؤلاء ماذا يصنعون بالفتيات وهم يعلنون عليهن الا بأس عليك يا فتاة أن تخطئي فانك ستعتبرين حينئذ شهيدة جار عليها الزمان ولم تجر هي على عرضها وعرض أبيها وأمها وشرف أخواتهــا وأسرتهــا جميعا ٠

أيدري هؤلاء التجار ماذا يصنعون بتاريخ مصر وقد جعلوا معــالمه الجغرافية المواخير والحانات وبيوت الدعارة ٠ ومعالمه التاريخية الداعرات والقوادين والساقطين والفاشلين والمنحرفين والشذاذ والمهترئين من البشر ٠

أيدري هؤلاء ماذا يصنعون بمصر اليوم وهو يقدمونها الى العالم كله على هذه الصورة النتنة وكأنها لم تلد من فتاة الا الداعرة ولا من رجل الا القواد والشاذ فنحن اذن لسنا أول دولة في العالم العربي تصبح فيه المرأة على هذا المستوى الرفيق السامق الذي نشرف به في كل بلد في العالم نزوره ٠

ان المرأة عندنا شرف وعفة وملائكية وأمومة في بيتها وهي في مجالات الأدب فخار ومجد وفي ميادين العلوم رفعة واعتزاز لمصر جميعا وللمصريين بل للعرب بل للانسانية جمعاء ٠

ومصر في رجالها أعظم من أن تذكر فضلها ولا سبيل أن نحيط بعظمتها وبغناها في رجالها ٠ فان غنى مصر الأول والحقيقي انما هو بما تملكه من عظماء في كل ميــدان ٠ هي رائدة الثقافة العربية العلمية والأدبية والفنية على السواء ٠

وهي التي تصدر اليوم الكفاءات الشاهقة من علمائها الى أعظم البلاد تحضرا ٠

فلماذا يريدون أن يجعلوا مصر العالمية برجالها على هذه الصورة ٠٠ !
أكل هذا من أجل بضعة أموال يجمعونها ٠ أو ليس هناك من سبيل آخر

لجمع هذه الأموال • أتراهم لو قدموا فنا لا دعارة فيه يخطئهم المال • أم هي نفوسهم وما ركبت عليه من حب الاتجار بالخطيئة • أم هانوا على أنفسهم وهانت عندهم كرامتهم فهم يصرخون على ملأ العالم أنهم تجار خطيئة ويفخرون بالخزي • ويعتزون بالذلة • ويباهون بالفجور •

ان هناك دولا أوروبية ما زالت بها الدعارة رسمية ونشاهد أفلامها فاذا هي رفيعة المستوى في موضوعها وفي فنها على السواء •

ومعروف أن الفن هو كيف تقول وأننا نرى أفلام هذه الدول اذا تعرضت لموضوع داعر فان هذا يكون استثناء نادرا لا يكون سمة ولا يشكل موجة • ثم هم حين يفعلون يجعلون الداعر داعرا والشريف شريفا ولا يدافعون عن الخطيئة وكأنها هي سنة الحياة •

فاذا كان هذا في بلاد ليس فيها ما في بلادنا من تقاليد شرقية وتعاليم تقدس الحياة النقية والعرف ترى الشرف حياة والموت دون العرض أسمى مراتب المجد • فكيف سولت لهؤلاء المنتجين والمؤلفين والمخرجين نفوسهم أن يعصفوا في شراسة ضارية بكل مقدساتنا وتقاليدنا وتعاليمنا وأعرافنا • ان أشد الأقوام عداء لمصر لا يستطيعون أن يسيئوا اليها كما يسيء هؤلاء المصريون ببطاقاتهم ، الشياطين الكافرون الفاسقون بحقيقتهم وانتمائهم •

وأنا لا أطالب الرقابة • فواضح أنه لم تعد هناك رقابة • فان اسم أي فيلم من هذه الأسماء كان كفيلا وحده بالرفض بادىء ذي بدء • وقد أحسن الوزير فعلا حين منع فيلمين ولكن الأمر أفدح من مجرد فيلمين • لقد أصبح الأمر ظاهرة ولذلك فانني أطالب الجمهور أن يتيقظ لما يريد أن يصمه به هؤلاء الداعرون من اقبال على السقوط وما يريدون أن يصموا به مصر من خزي •

ولكنني واثق أن كل موجة الى انحسار • وان الجمهور ان أقبل على مثل هذا الهوان فترة فهو مرتد عنه من فوره • وفي البلاد التي يسمح فيها بالأفلام الداعرة أصبحت دور السينما خالية من عرض هذه الأفلام وانحسرت هناك الموجة لأن الجمهور الذي أقبل سرعان ما أصابه القرف وانصرف متعففا أن يرى الانسان وهو ينقلب الى حيوان •

فيا أيها المنتجون ويا أيها المؤلفون ويا أيها المخرجون قريبا ستعرفون الى أي منقلب أنتم ساعون ولن يخلف الله موعده •

الأهـــرام ١٩٨٣/٩/٢٠ ••

الوزراء ومواقع العمل

من الشعارات التى ارتفعت حينا من الزمان وتمكنت منا حتى أصبحت وكأنها قاعدة مسلمة بها لا تقبل المناقشة ٠٠ أن الوزراء يجب أن يتركوا مكاتبهم وينزلوا الى الشعب ويتواجدوا فى مواقع العمل وهذا شعار يدعو الى الضحك والأسف فى وقت معا ، وكم صاحب الضحك الأسف ٠

فعلى كاهل الوزير تقع مسئولية كل الأعمال التى تقوم بها وزارته وقد تبلغ هذه الأعمال مائة أو تزيد عددا ، فلو كان الوزير من الجن السابح فى أطباق السماء لاستحال عليه أن يتواجد فى كل هذه المشروعات التى تقوم بها وزارته ٠

انما على الوزير أن يحسن اختيار المشرفين على مرافق وزارته ٠ ويثيب المحسن ويعاقب المسىء ، ويجلس فى مكتبه تتوالى عليه التقارير عن كل المشروعات ويجده المسئولون حيث ينبغى أن يجدوه فى مكتبه ليرجعوا اليه فى كبريات الأمور ٠ وليتصل بالوزراء الآخرين ليزيل ما قد يتأتى من وزاراتهم من معوقات فان حدث حادث خطير فى أحد المواقع فهنا فقط ينتقل الوزير ليرى الأمر على حقيقته ويعرف مداه ثم يعود الى مكتبه ويجتمع بمعاونيه ويوجه كلا منهم الى الوجهة التى يختارها له ليواجه هذا الحدث ٠

ان كل وزير يعلم ٠ أن ذهابه الى مواقع العمل ما هو الا دعاية ودعاية لا جمهور لها ٠ فاما ان كان ذهابه ليمتدحه الشعب فان الشعب لا يعنيه أن يذهب الوزير أو لا يذهب وانما يعنيه فقط النتيجة وان يتم العمل بالصورة التى تحقق أمله فيه سواء عنده أن يكون هذا قد تحقق بزيارة الوزير أم بغير زيارته ٠

واما ان كان المقصود بالدعاية أشخاصا بذواتهم فتلك هى النكبة النكباء لأن وظيفة الوزير هى قمة الوظائف الحكومية ولا يجرؤ وزير أن يفكر فى ارضاء أحد الا نفسه وضميره فان الديمقراطية لا تعرف للوزير رئيسا ، ورئيس الوزراء انما هو رئيس مجلس الوزراء لا يرأس الوزير الا فى المجلس ولا يجوز له أن يتدخل فى أعمال وزارته لأن مسئولية الوزير أمام المجالس النيابية مسئولية كاملة لا يشاركه فيها رئيس مجلس

الوزراء • ففيم الدعاية اذن ولمن هى موجهة • فان الدعاية لا تكون الا اذا وجدت من يستقبلها فمن المستقبل اذن فى هذه الحالة •

ان مكان الوزير هو مكتبه ولا يستطيع وزير ان يجرى شئون وزارته من الطريق العام ومن مواقع العمل فانما هذه أمكنه معاونيه وليست بحال من الأحوال مكانه هو •

والوزير يعلم والشعب من قبله يعلم ان زيارة الوزير لمواقع العمل لن تجعله يعرف كيف يسير العمل فى الموقع الذى زاره •

فالوزير والشعب يعلم ان كثيرا من الموظفين يموهون الحقائق ويعدون فى يوم زيارة الوزير ما لم يكن معدا وما لن يكون معدا بعد زيارة الوزير • فالأمر لن يكون الا تلفيقا وتظاهرا سيتظاهر الوزير أنه صدقه لأنه لا يملك من الوقت ما يكشف به عن الحقائق المستورة • وهكذا تصبح زيارة الوزير وبالا وتخديرا للوزير يظل تحت تأثيره طوال سنوات العمل فى هذا الموقع حتى يكشف الأمر ، ولابد لكل نبأ من مستقر ويكون الوزير قد ترك الوزارة وتبدأ المأساة فصولها مرة أخرى مع الوزير الجديد اذا ظل المسكين واقعا تحت تأثير هذا الشعار المضحك المؤسف •

ان أهم ما يجب أن يتوفر فى الوزير ان يحسن اختيار معاونيه ليكونوا هم عيونه المبصرة ويكون بهم حاضرا فى كل موقع دون أن يبرح مكتبه ، ففى مكتب الوزير يجب أن يجد كل العاملين الرئيس الأعلى للوزارة • ومن مكتب الوزير ينبغى أن تصدر القرارات بعد دراسة كبار الخبراء •

فانه مهما يكن الوزير خبيرا فى أعمال وزارته فهو لن يستطيع أن يصل الى القرار الأمثل اذا هو لم يستمع الى آراء جميع الخبراء فى شتى شئون الوزارة • ولست أحب ولا يتصور أحد أن القرارات يمكن أن تصدر من الطريق العام •

ان كثيرا من اللافتات رفعت على كلمات جوفاء بهرت بعض الناس فأخذ بها دون اعمال نظر فيها • ومع أن هذه اللافتات قد أثبتت بقوة خواءها •• الا أن كلماتها مع الأسف ما زالت تعيش ••؟

مايو ١٩٨٣/٩/٢٦ ••

وداعا ٠٠ يا عوضى

أخى العوضى

كيف تسافر فى رحلة الخلود وأنا عنك بعيد ٠ لقد تعودت منك طيلة السنوات الخمسين التى عرفتك فيها ألا تصنع شيئا الا بعد أن تنبئنى به فأنا من كل أنبائك على بينة منذ كنت أنا طفلا فى المدرسة الابتدائية ومنذ كنت أنت مدرسا بمدرسة خليل أغا ٠ فكيف تقسو علينا هذه القسوة وتتوارى عنا فى صمت لم نتعوده منك : ترى هل كرهت الحياة التى وهبت لها قلبك وفنك وروحك ولم تهب لك الا الجحود والنكران ٠ لست بهذا ٠ فقد كنت ـ عمرك ـ الصفوح ، النقى الصفحة الناصع السريرة ، المشرق النفس بالأمل فى الغد اذا أختانك اليوم ٠ أتراك مللت انتظار هذا الغد فارتحلت أنت اليه حتى لا تنتظره بعد اليوم ٠ ولماذا اخترت يوم سفرك وأنا فى بلاد غير البلاد ٠٠ بعيد عنك ٠٠ أتراك أردت الا تحملنى مرارة الوداع فقد كنت دائما أشفق الناس بى وبكل من تحب ٠٠ وربما أردتنى أن أردد مع البحترى الذى كنت تحبه وتكبره والذى لم يصل الى قوة صياغته ورفيع نسجه الا القلة النادرة من الشعراء ٠٠ وكنت منهم ٠

لا تعـذلنى فى مسـيرك
يـوم سـرت ولم الاقك
انـى حزرت موافقـا
للبين تسفح غرب ماقك
وعـرفت ما يجـد المودع
عنـد ضـمك واعتنـاقك
فتركـت ذلك عامـدا
وخرجت أهـرب من فراقك

وبعد يا أخى العوضى وأنت فى دار الخلود أذكرك بأبيات نعيت بها أنت صديقا لك شاعرا واسمح لى أن أستبدل باسمه اسمك ٠

عبد الحميد وداع ذى مقة
ان الوداع لموقف مـر
عرفوك بعد الموت نابغة
وكذاك تعرف أهلها مصر

وان كانت مصر فى هذا الزمان تعرف للنابغين حقهم بعد الموت فقد أصبحت اليوم تجحد حق النابغين حتى بعد فراقهم فاذا أنت وأنت من أنت تودع الحياة ويمر خبر موتك على صفحات الجرائد التى ملأتها شعرا ردده العالم العربى لفترة تزيد على نصف قرن تطوى الخبر كأن لم يفقد العالم العربى واللسان العربى والشعر العربى واحدا من أعظم الصادحين فيه فاذا كانت مصر أحزنتك يوم مات صديقك لأنها لا تعرف الفضل لأصحابه الا بعد موتهم فليزدد اليوم حزنك عليها فقد أصبحت اليوم وقد فقدت أيضا هذا القدر الضئيل من الوفاء وحسبنا وحسبك الله ونعم الوكيل .

١٩٨٣/١٠/١ ..

اسلام وشيوعية ٠٠ لا يلتقيان

أقرأ باعجاب الفصول التى ينشرها الكاتب الكبير الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى بجريدة الأهرام بعنوان « على امام المتقين » وقد ظللت على اعجابى بها حتى جاءنى هنا فى لوزان أهرام الأربعاء ٧ سبتمبر المنشور به الفصل الثامن من البحث ٠ وجدت المقال يتعارض بعض منه مع الجزء الأكبر من آخره ٠ وعبد الرحمن الشرقاوى من الكتاب الذين أكن لهم كل تقدير واكبار وتجمعنى واياه ــ والحمد لله ــ صلة من أقوى صلات الصداقة وأعمقها ٠٠ ومن حق هذه الصداقة على ان يكون الحق هو عمادها لا المجاملة فان الصداقة من مادة الصدق والذى لا يصدق صديقه عدو ٠ وحق الله أولى الحقوق بالرعاية لا يسبقه حق فى الوجود ٠

يقول الأستاذ عبد الرحمن فى منتصف المقال تقريبا « وقال على أنه لا بأس بالغنى والتمتع بزينة الحياة التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق التى أحلها الله لا بأس بهذا كله ٠٠ ومن حرم ما أحل الله فهو آثم كمن أحل ما حرمه الله ولكن هذا المال يجب لكى يكون حلالا : أن يتوافر له أول الأمر أن يكسبه صاحبه بعمله وبلائه وجهده ٠ الا أن يكون منحة من ولى الأمر لقرابة أو مودة أو نحو ذلك ٠ ان القـــرآن الكريم يفسر بعضه البعض وحين قال تعـالى « والله فضل بعضـــكم على بعض فى الرزق » قال فى الوقت نفســه « وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيمـا درجات منه ومغفرة ورحمة ٠ وقال « وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى » ٠ واذن فحق الملك قائم فى أصله على العمل على ما يكسبه الانسان بعمله ومن هنا يحفظه الله تعالى فيحميه من السرقة ويكفل الميراث ٠

الى هنا ينتهى كلام الأستاذ الشرقاوى الذى لا أخالفه فى مضمونه وان كنت أتشكك فى تفسير الآية الكريمة « وفضل الله المجاهدين ٠٠ الى آخر الآية » فما أحسب أن التفاسير ذهبت الى أن هذا التفضيل يكون فى الرزق فى الحياة الدنيا وانما هى الدرجات التى أعدها سبحانه فى الباقية الخالدة وكذلك أخالفه فى تفسير الآية » أن ليس للانسان الا ما سعى ٠٠ الى آخر الآية » وأعتقد اعتقادا راسخا أن المقصود من الآية أن ليس للانســـان الا ما سعى فلا ينال عند الله أجر فضل لم يقم به تمشيا مع قوله تعـالى

« وكل انسان الزمناه طائره في عنقه » وقوله « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم » ومع كثير جـــدا من الآيات التى تقرر أن الانسان مسئول عن عمله أيا ما كان الأمر فهذا هو الجزء الذى لايمكن أن يختلف فيه مسلم مع الأستاذ الشرقاوى · وهو بهذا الجزء يقرر أن التملك حلال مادام ليس منحة من ولى الأمر وان الله يحمى هذا التملك وينظم توريثه ·

ولكن قليلا ما نمضى فى المقال فاذا نحن نجد المالكين جميعا مصيرهم جهنم والنار والكى بالذهب والفضة واليك ما يقول الأستاذ الشرقاوى ·

« وان عليا ليذكر عثمان بأيام عمر وبما اتفقوا عليه جميعا بأن يعيد عمر توزيع الثروة حين راعهم انتشار الفقر على الرغـــم من تكدس ثروات الناس !! ما نسى أحد بعد من الصحابة واقتناع عمر وعثمان بقول على انه ما من أحد يخزن فوق حاجته الا حرم آخرين من ذوى الحاجة وان عليـــا ليذكر عثمان بعهـد عمر والله لئن بقيت الى الحول لألحق أسفل الناس بأعلاهم · لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول الأغنياء فرددتها على الفقراء » ·

وانى أسأل الأستاذ عبد الرحمن أى المال هذا الذى يريد أن يتصرف به عمر هذا التصرف · ان كان مال الجماعة فهذا حقه اما ان كان مال الأفراد فهيهات ان يقول عمر هذا القول أو يقوله على والا لما احتاج ماركس ان ينشىء نظريته الشيوعية واكتفى برأى عمر هذا وعلى · وان كان هذا رأى عمر وقد صحب النبى عليه الصلاة والسلام قرابة عشرين عاما وكان مع أبى بكر فى عامى خلافته ثم كان هو أمير مؤمنين لمدة تسع سـنوات فما له اذن لم يشر بهذا الرأى وهو يشـــير وما له لم ينفذه وهو أمير المؤمنين ·

وكيف يقصد عمر مال الناس بهذا الرأى كمـا يوحى بذلك أخى الأستاذ الشرقاوى وهو من شهد خطبة الوداع والنبى صلى الله عليه وسلم يقول « ان دماءكم وأموالكم حرام بينكم » وكيف يلقى عمر ربه وما عرف التاريخ بعد النبى عليه الصلاة والسلام خائفا من ربه كما كان يخاف عمر والله سبحانه هو القائل « أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » وماذا هو قائل فى الآيات تترى جميعا بمعنى ·· « يبسط الله الرزق لمن يشاء ويقدر » أى يجعله مقدورا قليلا ·

ويوغل الأستاذ عبد الرحمن حين يقترب من النهاية فى هذا الفصل فيذكر ما يلغى به كل ما جاء من قبل فى هذه الحلقة من شرعية التملك والميراث · يقول على لسان على فيما أظن « ثم ان الاقتناء مباح وهو غير

مذموم ان لم تكن هناك حاجات تسد أما ان كانت هنـــاك حاجة لأحـــد فما يحق لمسلم ان يقتنى فوق حاجته ولو دينارا ·· ولقد مات رجل فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان فى الأمة كثيرون من أصحاب الحاجات والجياع فوجد فى منزل الرجل دينارا فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام عنه أنه كانز وسيكوى بهذا الدينار كية واحدة ·· ووجد فى منزل آخر دينارين فقال صلى الله عليه وسلم وهما كيتان ·

وذكر قبل ذلك حديثا للنبى عليه الصلاة والسلام على رواية على أيضا « من ترك صفراء أو بيضاء كوى بها وكان يعنى من كنز وترك مالا وفى الأمة أصحاب حاجة مسلمين كانوا أم ذميين ·

ويذكر قبل ذلك ان النبى صلوات الله وسلامه عليه سئل « أى مال نتخذ يا رسول الله قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين أحدكم على دينه » ·

الى هنا وأقف · ما هذا يا أخانا · هل ألغى النبى عليه الصلاة والسلام الميراث دون أن ندرى ودون أن يتنبــه الى ذلك كل المسلمين حتى الأئمة الذين ألفت عنهم كتابا من أحسن كتبك وفيم أتعب اذن ماركس نفسه ما كان عليه الا ان يعلن اسلامه ويرفع هذه الأحاديث شعارا دون ان يقتل ما قتل من مئات الملايين فى سبيل مذهبه ·

اذن يا أستاذ عبـد الرحمن فآيات المواريث جميعهـا المقصود بها أن تقسم بين الورثة لسانا ذاكر وقلبا خاشعا وزوجة تعين أحدنا على دينه · وكيف يقسم هؤلاء ؟! وبعد هذا فمن ترك صفراء أو بيضاء كوى بها · فان كان فدانا قوم بمائة دينار ذهبا أيكوى به وكانز الدينار له كية وكانز الدينارين له كيتان · فما هو مصير عبد الرحمن بن عوف الذى ترك جبالا من الذهب قطعت بالفؤوس ووزعت على أبنائه وهم أحد عشر ابنا فأصبح كل منهم أغنى أغنياء العرب · وقد بشر النبى عليه الصلاة والســـلام عبد الرحمن بن عوف بالجنة والنبى صلى الله عليه وسلم كما جاء فى القرآن ليس الا بشرا رسولا فهو لم يبشر ابن عوف الا بما أوحى به الله والله كان يعلم اللحظة التى سيموت فيها عبد الرحمن ويعلم انه سيترك هذا الذهب وبشره بالجنة أفيكوى عبد الرحمن بن عوف بكل هذا ·· فما الجنة اذن ·· انه لن يراها ولن يعرفها ·

اذن فلا ميراث أو يكون المسلمون جميعا والذميون أيضا فى اكتفاء وفى غير حاجة اذن يعطى الانسان كل ماله للدولة ويترك أبنـــاءه جياعا يتكففون الناس وكان بيده ان يحمى ماء وجوههم فى أى شرع هذا وفى أى دين وفى أى ملة · ولماذا اذن رفض ماركس الأديان وسماها أفيون الشعوب وما أحسب انه فعل ذلك الا ناظرا آكبر النظر الى الدين الاسلامى فهو أعظم الأديان عناية بالميراث وبحق الانسان فى ماله ·

وفى أى عصر وفى أى زمن اكتفى النـــاس جميعا وفى أى دولة ما أحسب ان هذا حدث قط وما أحسب أنه سيحدث أبدا · اذن فلا ميراث الا أن يكون الميراث لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين أحدنا على دينه ومع ذلك فأنت تعلم ان فاطمة البتول ابنة سيدنا النبى صلى الله عليه وسلم طالبت أبا بكر بقطعة أرض كان النبى عليه الصلاة والسلام قد أمـر لها بريعها وهى زوجة على وبنت خير المرسلين ·

أكانت الأمة فى ذلك الحين جميعها مكتفية ولم يكن مسلم ولا ذمى فيها محتاجا ·

بعض هذا يا أخى ·· بعض هذا ·· فانني والله أعرف عنك انك مسلم صادق الاسلام · وأنت تحاول باخلاص ان تقرب المذهب الشيوعى الى الاسلام ·· هيهات يا صاحبى · لا يلتقيان · وان امام المتقين لو شهد ما تقوله على لسانه اليوم لسألك فى بساطة ويسر ؟ ولماذا لم أصنع أنا هذا حين وليت الخلافة » اما كان أيسر عليـــه ان يلغى الميراث بموجب هذه الأحاديث النبوية · ولا يكلفك مشقة هذا الاجتهاد ·

وبعد فقد رجعت الى تفسير الكشاف للزمخشرى لاستبين الرأى فى الآية الكريمة « والذين يكنزون الذهب والفضـــة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم · يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ·

فوجدت الأستاذ عبد الرحمن نقل عن الزمخشرى ولكنه نقل ما يؤيد رأيه والغى تماما ما ينسف رأيه نسفا كاملا ، ولا اكتمك لقد عجبت ولهذا فانني سأنقل اليك مادة الزمخشرى كاملة · وان فيها غناء كل الغناء عن أى رأى ، يقول الزمخشرى فى تفسير هذه الآية الكريمة :

« قيل نسخت الزكاة أية الكنز وقيل هى ثابتـــة وانما عنى بترك الانفاق فى سبيل الله منع الزكاة وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما أدى زكاته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى ولم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وعن ابن عمر رضى الله عنه كل ما أديت زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع أراضين وما لم يؤد زكاته فهو الذى ذكر الله تعالى وان كان على ظهر الأرض فان قلت ما نصنع بما روى سالم بن الجعد أنها لما نزلت قال رسول الله (صـــلى الله عليه وسلم) تبا للذهب تبـــا للفضة قالها ثلاثا فقالوا أى مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين أحدكم على دينه وبقوله عليه الصلاة والسلام من ترك صفراء أو بيضاء كوى بها · وتوفى رجل فوجد فى مئزره دينار فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كية وتوفى آخر فوجد فى مئزره ديناران فقال كيتان قلت

كان هذا قبل ان تفرض الزكاة فأما بعد فرض الزكاة فالله أعدل وأكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث أذن له فيه ويؤدى عليه ما أوجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله (وكلاهما من المبشرين بالجنة) وعبيد الله رضى الله عنهم يقتنون الأموال ويتصرفون فيها وما عابهم أحد ممن أعرض عن القنية لأن الأعراض اختيار للأفضل والا دخل فى الورع والزهد عن الدنيا . والاقتناء مباح موسع لايذم صاحبه ولكل حد وما روى عن علي أربعة آلاف فما دونه نفقة فما زاد فهو كنز كلام فى الأفضل » .

والى هنا ينتهى كلام الزمخشرى وبهذا يستقيم فى العقل كل الذى استشهد به الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى ولو أنه نقل الرأى جميعا دون أن يحجب أهم ما فيه وهو ما يصل بين هذا الرأى وبين الدين جميعا لما استولت الدهشة على أذهان الناس . فان رأى الأستاذ الشرقاوى يجعل كل صاحب دينار كافرا ورأى الزمخشرى الذى نقل عنه الأستاذ الشرقاوى أن كل اكناز مهما بلغ حلال ما دامت الزكاة قد أديت عنه هو الفرق نفسه بين الاسلام والشيوعية . فالطريقان شتى متباعدان متنافران لا يلتقيان أبد الدهر .

وبعد يا أخى الأعز فأنا أعرف قوة ايمانك وانك مستمسك بدينك فبربك يا أخى الأعز الا أعدت النظر فى رأيك الآخر فهيهات لرأيك هذا ان يستقر أمنا أو قلقا فى نفس مسلم أبدا . وفقك الله .

الأهرام ٢/١٠/١٩٨٣ .

على قلوب أقفالها

ان الذى يقرأ صحف المعارضة قاطبة يشعر أنها صحف تظهر فى أى بلد عدو لمصر ويقطع انها لا تصدر فى مصر على أى حال وربما كانت أقرب البلاد الى الذهن هى اسرائيل • فانها لو فكرت فى اصدار صحيفة عن مصر لن تكون السخيمة فيها والمخادعة عن الحق والبعد عن الصدق أبشع ولا أكثر هوانا مما تطالعنا به صحف المعارضة •

وأقل ما يقال بشأنها صحف تمتلىء بالغباء قدر ما يسودها الحقد • فان المعارض الذكى هو الذى يذكر الحسنات والسيئات فيجعل القارىء يصدقه فيما يتعرض له من نقد •

وقد تم فى الشهور الأخيرة انجازان مصريان كلاهما بعيد عن الحكومة كل البعد وكانت المعارضة تستطيع أن تعرض لهذين العملين الضخمين بالاكبار والاعجاب فتنفى عن نفسها تهمة الاسرائيلية وتلبس زى مصر حتى ولو كان هذا على سبيل ذر الرماد فى العيون •

فالعمل الذى قام به الشبيبة المصرية من تجديد قلعة صلاح الدين ومسجد محمد على بالقلعة عمل تحدث عنه العالم كله فى اجلال واعجاب •

وهؤلاء الشباب ينتمون الى مصر فقط وليسوا باليقين والقطع من شباب الحزب الوطنى ولو ان المعارضة أشادت بهم لأوهمت القارىء أنها معارضة مصرية تنتمى الى كتلة ليكود أو حزب العمل الاسرائيلى • وأنا لا أدرى أى ضمير كان يمكن أن يلم بالمعارضة لو أنها أشادت بما قام به هؤلاء الشباب أنهم مصر القادمة ، مصر التفاؤل الأمل الغد الشعاع فى الظلام والاشراق بعد الغروب والاصباحة بعد المساء •

ولكن المعارضة غبية كل الغباء وتصر ان تجعل القراء يرفضـــون كل ما تقول حتى وان تصادف يوما وقالت حقا ونادرا ما تقول • ولو كنا نهدف الى كشف المعارضـــة وتركها تتردى فى مهاوى الاحتقار لما أشرنا اليها بهذا الذى نشير • ولكننى أؤمن ايمانا راسخا أنه لا ديمقراطيـــة بلا معارضة وأتمنى التوفيق للمعارضـــة قدر ما أتمنى التوفيق للدولة فالمعارضة هى الديمقراطية ودولة لا معارضة بها دولة ديكتاتورية تنفرد

فيها الوزارة بالحكم ولا نفكر فى قرار لها ولا تحتسب الرأى الآخر ولكن لكى تنجح المعارضة لابد أن يشعر الجمهور أنها معارضة شريفة بعيدة عن الهوى • لا تتلقى أموالها وأوامرها من خارج مصر • ولا تكتب وعيون كتابها على أعداء مصر من الدول الديكتاتورية والدول الملحدة تترضاها لتنال منها التأييد متمثلا فى المال وفى شراء نسخ الجريدة •

فاذا هى فعلت هذا وهذا ما تفعله سقط أثرها عند الشعب وأصبح شأنها هزيلا لا تجعل الحكومة تقيم لها وزنا لأنها تصبح ولا وزن لها عند الشعب الذى هو مصدر السلطات فى الدول الديموقراطية •

أما العمل الآخر الذى لم تحاول المعارضة أن تذكره فهو ذلك الانجاز الرائع الذى قامت به شركة « المقاولون العرب » فى الكوبرى العلوى بالجيزة • والمهندسون الذين قاموا به كلهم مصريون وقد استطاعوا أن يخضعوا الزمن لارادتهم واستطاعوا أن يطوعوا الحديد لرغباتهم فعل العمالقة الأفذاذ من رجال الهندسة العالميين • وشركة « المقاولون العرب » ليست فى الحكومة ولا هى من الحزب الوطنى والمهندسون المصريون الذين قاموا بهذا العمل الرائع مصريون فقط •

ألم يكن من باب الذكاء وبعد النظر أن تشيد المعارضة فى صحفها بهذا الذى قاموا به • أم ان المعارضة لا تذكر المقاولون العرب فى صحفها الا اذا كان ذلك عن طريق الاعلانات المدفوعة •

أليس هذا حقيرا • أيظنون ان الشعب لا يعى أنهم ينشرون الاعلانات المدفوعة ويمتنعون عن ذكر الحقائق ما دام ذكرها لن يعود عليهم بالعائد المالى ، أومثل هؤلاء يتصورون أن الشعب يستجيب لما ينشرون من سخائم وهجوم أبله واعتداء على حرمات الناس بالباطل • أو لايدركون أنهم بهذا الذى يصنعون يجعلون أنفسهم موضع اتهام حتى اذا تصادف يوما وذكروا حقا وهاجموا هجوما لا تزوير فيه ولا تدليس •

ان هذا الذى يرتكسون فيه هو الغباء بعينه • ولكن على قلوب أقفالها • وعلى عقول أستارها • وعلى أبصار غشاوتها •• وهيهات لمثل هؤلاء أن يعرفوا يوما الطريق الصحيح •

مايو ٣/١٠/١٩٨٣ ••

رد على الصديق ثروت أباظة
بل هو الاسلام

لعل الحياة فى مصر لم تعرف قط مثلى ومثلك صديقان يتحابان فى الله الى آخر ما يسع قلباهما الحب ، وهما على الرغم من ذلك يختلفان فى الرأى الى أبعد ما يكون الخلاف ٠٠ !

أكان للناس عجبا أن هذا الخلاف لم يتحول الى خصومة أو شقاق!٠٠ ربما ٠٠ ولكن الله حفظ لنا الصداقة والقدرة على الصدق فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ٠٠ فما اختلفنا الا على تقدير ما يراه كل واحد منا محققا لمصلحة الأمة ٠٠ والخلاف حول الحقيقة مهما يستعر ، انما يتجرد عن الهوى والضغن ، فهو لابد أن يؤدى الى الالتقاء حولها ، والاهتداء اليها٠٠!

وخلافنا اليوم فى فهم موقف الاسـلام من المال ، خلاف سعى اليه السلف الصالح منذ مشرق الاسلام ، وما اتهم أحد منهم أخاه ولا سخر منـــه ٠٠ !

وسيظل هذا الخلاف قائما ، حتى يتيح الله لهذه الأمة من يجمع كلمتها على الطريق ٠٠

ولكنى أعتب عليك أنك تناولت الأمر فى غضب ٠٠ وأنا أعرف ابنى أحمد وهو أحد الكتاب الشباب ، يقف معك ولكن بغير غضب ! وهو يعرف انى أملك ما أورثه اياه ٠٠ وليته ينجو من ديونى فلا يرثها !!

أنا أعتب عليك أنك تصورت أمورا ماكنت أحسبك تقع فيها ٠٠ ولكن عداءك المضطرم للشيوعية أخفى عنك كثيرا من الحقائق ، ودفعك الى فهم أشياء أنت أول من ينكرها ، وسلك بك سبيلا ما أظن أنك ترضاه لنفسك فى ساعات الهدوء ، حيث تسود الحكمة ، وتمسـك الحصـــافة بأزمة الانفعال ! ولكن الغضب أعمى كما يقال ٠٠ !

فكيف طاوعك قلمك فى تناول الأمر بما تناولته به من سخرية ٠ ؟! لكنى لن أرد عليك بمثلها ٠٠ !

كيف تخيلت أن فيما أفهمه عن موقف عدد من كبار الصحابة من أمر المال ، دعوة الى الغاء المواريث ٠٠!!

وكيف فهمت أن كلامي عن العدل الاجتماعي في الاسلام دعوة الى الشيوعية ، أو مصالحة بين الاسلام والشيوعية ٠٠ ؟! ٠٠ عفا الله عنك يا صديقي عفا الله عنك لم أذنت لقلمك أن يتهمني بما تعلم أني أبعد الناس عنه ، وابرأ الخلق منه ؟ فقد كتبت عنى انى نقلت من الزمخشرى تفسيره لآية الكنز ، وزعمت أني أخذت من تفسيره ما يوافق رأيي وألغيت ما ينسفه نسفا كاملا ، لأوفق كما زعمت بين الشيوعية والاسلام !!

فمن أين جاءك انى أريد أن أوفق بين الشيوعية والاسلام ٠ ! لكنك لترى فى كل دعوة للعدل الاجتماعى وانصاف الفقراء ، دعوة للشيوعية ! وأنت بهذا تمجد الشيوعية من حيث تريد أن تحاربها ٠٠ ! ثم ما زعمك انى أخفى من تفسير الزمخشرى ما ينسف رأيي ؟! فما ينشره الأهرام على صفحاته انما هو كتاب ، وما يخالف رأيي من تفسير الزمخشرى نشرته فى صفحة سابقة عند الحديث على الخلاف بين أبى ذر ومعاوية ، فى صفحة قرأتها فى القاهرة ومدحتها مشكورا ، أما ما قرأته فى لوزان ، فقد كان هو الرأى الآخر ! ٠٠ وتفسير الزمخشرى ليس سرا أفضى به الى أنا وحدى ! ٠٠ ، وليس مخطوطة استأثر أنا بامتلاكها ، ولكنه كتاب مطبوع متاح لكل القراء !! فكيف يجوز عندك أن أحدا يمكن أن يخفى منه شيئا عفا الله عنك !! أنت تعرفنى ، وتعرف أني لا أصنع هذا ، فهذا ضد الأمانة العلمية ثم انك لتعرف اننى لم أعتمد على الزمخشرى وحده ، ولا اعتمد على مفسر واحد ، وانما أعمد الى استيعاب كل كتب السيرة والتفسير والحديث ، وكتابات الأئمة ، لأستخلص منها رأيا قبل ان أنسبه الى أحد الصحابة ، وبصفة خاصة الى صحابى كالامام على أو أبى ذر الذى وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه أصدق الناس ولقد أذكر لك ان ما تنكره من أقوال بعض الصحابة فى المال ثابت محقق ٠

أنا لا أنكر ما تذهب أنت اليه بل أختلف معك حوله ٠٠ وهذا الخلاف الذى يؤيدك فيه أكبر أبنائى فالرأى الذى اخترتماه هو ان ما أدى عنه الزكاة ليس كنزا وهو رأى عثمان ومعاوية وكعب الاحبار وقد استندوا الى قول لرسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنا فأعتنق الرأى الآخر الذى يرى أنه اذا كان فى الأمة أصحاب حاجة ٠ فليس من حق أحد أن يقتنى فوق ما يحتاج اليه ، وان على ولى الأمر ان يأخذ من الأغنياء ، لمصلحة الأمة : وهذا هو نظام الضرائب التصاعدية ، سبق اليه الاسلام بقرون ، ليقيم المجتمع الفاضل ٠٠ والضرائب التصاعدية ليست نظاما شيوعيا ولكنها من خصائص النظام الرأسمالى كما تعلم ٠

ان النظام الذى تصوره الاسلام للمجتمع جاء من عند الله ، وما يجمل بنا أن نقارنه بغيره ٠

وهو نظام يقوم على احترام الملكية الفردية ، وعلى التكافل الاجتماعى، والتراحم بين الناس ، ولايمكن أن يتمخض الاسلام عن أمة يملك فيها عدد محدود من الناس البلايين من الأموال ، ولا يطالبون بشىء غير الزكاة ، وفى الأمة أصحاب حاجات بالملايين ، وفيها مصـــالح مهـدرة ، ومرافق معطلة ، وثغور مهددة ، وفيها شعوب : يهددها الجوع !!

ان الرأى الذى نادى به أغلب الصحابة الكبار لا يحرم الانسان من الميراث ، والأحاديث التى وردت لم تلغ الميراث فى غفلة من الناس ومن أئمة الفقه كما تقول ساخرا ولكنها تحض الناس على التراحم ، وترفض ان ينعم أحد بما فوق الكفاية ، وفى الأمة من حظهم من الرزق دون الكفاف، وفيها مصالح تتطلب النفقات ٠٠ والا فما معنى قوله تعالى : « وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » مع قوله حق معلوم ؟! فالحق المعلوم هو الزكاة فما الحق المطلق ؟!

وما معنى قوله تعـــالى : « يسألونك ماذا ينفقون قل العفو الآية ٠ وما معنى قوله تعالى ليس البر ٠٠ الآية ٠٠ وما معنى قوله تعالى عن المال « كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم ؟ وما معنى كل الآيـات التى تأمـــر الناس بالبر ؟! ٠٠ اننا لنختلف فى تفسير بعض الآيات ٠٠ هذا حق ، فأنت تأخذ بقول أحد المفسرين وآخذ بقول غيره ٠٠ ولكن هناك أصولا عامة لا يمكن الخلاف عليها ٠٠

وما معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم أن من بات شبعان وجاره طاو ليس منا ٠

وما معنى حديث الفضل وهو صحيح ٠

« عن أبى سعيد الخدرى : بينما نحن فى سفر اذ جاء رجل على راحلة له ، فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا أى متعرضـا بشىء يدفـع حاجة والأقرب ان راحلته كان قد أعجزها السير فأراد مساعدة فى ظهر يحمله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان معه فضـــل ظهر فيعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ٠٠ فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد فى فضـــل ؟ » ٠

لقد كان عثمان يرى ان فى الزكاة ما يكفى ، وانه لا يستطيع أن يحمل الناس على الزهد ، ولا على ان يبذلوا أكثر من الزكاة ٠

على أن بذل ما فـوق الحاجـــة اذا ما اقتضـــت المصـــلحة لا شأن له بالميراث كما شئت أن تفهم ٠٠ فالحاجة تقـــدر بمكانها وزمانها ومقتضياتها ٠٠ ويدخل فيها ما يكفى الأهل والأولاد فى حياة عائلهم وبعد موته ، وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يرد الى من تصدق بماله

كله بعض هذا المال ليكفى حاجات أولاده من بعده : ومع ذلك فقد تصدق أبو بكر بكل ماله ، ومات صفر اليدين بعد أن كان من أغنى تجار قريش أكان فى رأيك يهدر حق الميراث أو يلغيه ؟ وكذلك مات عمر وعلى ومن بعدهم عمر بن عبد العزيز ولم يتركوا ما يورثونه ! أكانوا يلغون المواريث؟ هذه مكارم لا ننتظرها من أهل زماننا ٠٠ ولكننا ننتظر منهم أن يكونوا كما كان عثمان وطلحة وابن عوف من أغنيـــاء المسلمين ٠ فقد كانوا يجودون بأضعاف أضعاف ما يؤدونه للزكاة ، ثم ماتوا وتركوا لورثتهم ثروات طائلة ٠٠ حتى لقد أنكر أبو ذر على عبد الرحمن بن عوف أن يترك كل تلك الثروة ، ولقـــد كان عبد الرحمن يبكى وهو على فراش الموت اشفاقا على نفسه من تلك الثروة كلهـــا ٠٠ على الرغـــم مما بذل مـــن صدقات ٠!٠٠ وقد بشر الرسول صـــلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بالجنة ، وقال عن أبى ذر أنه أصدق الناس ! وليس منع الناس من امتلاك ما فوق الحاجة أن اقتضت مصلحة الأمة ، أخذ بالأفضل ، بل هو واجب شرعى عند بعض الفقهاء وحسبك أن بعض الأئمة كانوا يحتمون على ولى الأمر أن يقهر من يملك مسكنا فوق حاجته على أن يأوى فيه من لامسكن له ، ومنهم من اعتبر ولى الأمر آثما ان لم يوفر حد الكفاية لكل فرد وان لم يأخذ من الأغنياء ما زاد عن حاجتهم ، ان اقتضت مصلحة الأمة ذلك فى حالات الحرب ، والسلم ، وهذا كلام مفصل فى كتابى الذى تفضلت مشكورا بمدحـــه ٠

وأحسبك توافقنى على أن هذا النظر الاسلامى الى المال ينشىء مجتمعا فاضلا يسوده التراحم والتكافل بدلا من المجتمعات التى يهددها الصراع الطبقى الدامى بالتمزق والفتنـــــة ! لا بأس بالغنى ان اكتفى الفقير ، ولا بأس بالغنى لمن اتقى كما قال الامام على وأنا أرجو أن تعيد قراءة رأى أبى بكر وعمر وعلى وأبى ذر فى المال ، وستعرف أن عمر كان حريا بأن يرد فضول الأغنياء على الفقراء لو أنه عاش ، وان عليا ما حورب الا لأنه سوى فى القسمة بين الناس ، وأقام سياسته فى المال على قوله : « ان الله فرض فى أموال الأغنياء أقوات الفقراء ، فما جاع فقير الا لتخمة غنى » ٠٠ كما أرجو أن نتدبر حكمة عمر بن عبد العزيز ، حين صادر الفضل من أموال أقاربه من كبار الأثرياء ورده الى بيت المال ، فأثرت الأمة ٠

وبعد ٠٠ فانا على يقين من انك لو رجعت الى قراءة ما ســـبق لك قراءته من كتابتى ، بلا خوف أن يكون فى الأمر توفيق بين الشيوعيـــة والاسلام ٠٠ أنا على يقين انك ان فعلت هذا وأن أعدت قراءة ما جاءت به الآثار عن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكبار صحابته والتابعين ، فانه من العدل الاجتماعى ، لأيقنت أن فى الاسلام ما يغنى عن كل المذاهب الوضعية الأخرى ، وأنه مازال أكثر تقدما ، وأقدر على تحقيق المجتمع

الفاضل من كل النظريات فلا حاجة بنا الى التوفيق بينه وبين غيره ٠٠ ومع ذلك فقد علمنا الاسلام أن نأخذ من النظم الوضعية ما يحقق المصلحة، وحسبك أن الخلفاء الراشدين أخذوا نظم الادارة من حضارات أخرى غير اسلامية كالحضارة المصرية والرومانية والفارسية والهندية ٠٠ وفيهـا حضارات تؤمن بتعدد الآلهة ٠٠ !!

واني لعلى يقين من انك حين تعود الى نفسك لتفكر في هدوء ، ستجد أن الخلاف حول المال يجب أن ينتهى لنصوغ مجتمعا نحتـرم فيه الحق والحرية وكرامة الانسان ، ويحقق لكل أفراده الرقى والازدهار والأمن ٠٠ فينعم من يعمل بثمرات عمله ، وتصبح الملكية وظيفة اجتماعية لها احترامها وحمايتها مكفولة شرعا بل هى واجبة ، وعليها دورها فى تحقيق المصلحة العامة ورفاهية المجتمع ٠ وأيسر حماية لحق الملكية هى حماية الميراث وأيسر واجب عليها هو أن تستخدم لاثراء الأمة ٠٠ وأن بذل الفضـل يصبح أحيانا ضرورة ٠

ان مقتك للشيوعية ـ ومن حقك أن تمقتها كما تشاء ـ يجب الا يثير حولك دخانا يحجب عنك أصالة دعوة العدالة الاجتماعية فى الاسلام ، وهى احدى حقائق الدين الذى أعرف انك تؤمن به ايمانا عميقا ٠٠

أنا أعـرف هـذا عنك فما بالك تغضـب اذا أردنا أن نحمل هؤلاء الأغنياء أن ينفقوا ما فوق الحاجة لاصـلاح أمور الأمة ؟! ليست هذه شيوعية انما هو الاسلام ٠

الأهـــرام ٩/١٠/١٨٣ ٠٠

حضيض جديد

قال الشاعر توفيق عوضى أباظة يصف شخصا على غير خلق ·

نشـــأت فى أقذر البيئـــات ديدنهـــا

خلق المعاصى التى ليســـت بمعـــروفه

والواقع أننى لم أجد هذا البيت ينطبق على انسان ما وحمـــدت الله على ذلك ولكن يبدو أن المقادير كانت تجمع لى أمثال هذا المهجو لتضعهم جميعا فى تجمع واحد شاء حظه النكد أن يصدر جريدة كان لها الفضل أن تنشر على النـــاس حقيقـــة الانحطاط الذى هوت الى حضيضه نفوسهم فيصبح أمرهم شهيرا جهيرا بدلا من أن يظل خبيئا مستورا وأذكر بيت زهير بن أبى سلمى ·

ومهما تكن عنـــد امرىء مـــن خليقه

وان خالهـــا تخفى على الناس تعـــلم

فلقد أتصور أن انسانا ما أو جماعة تقف موقفا عدائيا من سياسى وقد يكون من الطبيعى ان يتناول انسان ما هذا السياسى بالنقد الشديد بعد موته لأن حياة السياسى لا تنتهى بموته فكل سياسى يقوم بأعمال يمتد أثرها على المجموع ويرصدها له أو عليه التاريخ ، ولو امتنع الكتاب عن التعليق على أعمال الساسة اكراما لوفاتهم لما كان هناك تاريخ على الاطلاق· فالرأى القائل بعدم مناقشة أعمال الأموات لا ينسحب بحال من الأحوال على الساسة ولا ينسحب على أى انسان تصدى للحياة العامة تمثلت هذه الحياة فى السياسة أو الفن أو العلوم ·

والا بربك قل لى كيف كنا سننقدم شعراء الجاهلية وصدر الاسلام وما تلاه من عصور اذا اقتصر الأمر عند الرواة على الرواية دون التعليق · وماذا كان سيكتب تاريخ الفن فى شتى مناحيه اذا هو امتنع عن ذكر الموتى من الفنانين ·

لاخلاف هنا ولا يمكن أن يكون هناك خلاف ·

ولكن لاخلاف أيضـــا ان للموت قدسيته · ولحياة الانسان مكانتها

عند بني الانسان • فانا لا أتصور ان يفرح انسان مهما يكن حقير النفس، ساقط الكرامة لموت أى انسان بالغة ما بلغت الاساءة التى وجهها اليه • فاذا بلغت السفالة بانسان دركها الأدنى وفرح لمقتل انسان ما أو لموته فانه لا يمكن ان يتصور أحد أن يعلن هذا الفرح على ملأ من الناس أما أن ينشر فرحه فى جريدة تحمل اسم حزب وتحمل شعاراته وآراه وأفكاره فذلك هو ما ذكرنى ببيت الشاعر انهم خلقوا من السفلات ما لم تعرفه البشرية وما لم يمر على ذهن آدمى أن آدميا آخر سيهوى اليها •

نعرف من هؤلاء الكتاب من كان يفخر فى كتاب له منشور بأنه عمل فى تجارة المتعة كما عمل باللصوصية •• ونعرف منهم من ارتضى لنفسه مالا يرضاه الرجال • ونعرف منهم من باع قلمه وضميره وشرفه لأعداء وطنه ونعرف عنهم أنهم بلا دين وانهم يرفضون كل ما هو روحى نبيل فى حياة الانسان •

ونعرف منهم من يرى الشرف فى الخسة والكرامة فى الذلة ، والرفعة فى الهوان ، والأمانة فى الخيانة ، والنبل فى التردى الى قاع الحضيض •

لهم فى ذلك فلسفتهم فهم بما ارتضوا لأنفسهم يمسون فى حصن منيع من الهجوم عليهم وماذا يأخذ الريح من البلاط فهم حين يعلنون الناس بأنهم يعرفون عن أنفسهم كل حقارة يقطعون الطريق على من يريد أن يرميهم بما فيهم من قذر • ماداموا هم أنفسهم قد اعترفوا به وأعلنوه • وقديما جرى حوار من اثنين من العرب قال أحدهم •

ــ والله ما أبالى مدحنى الناس أم ذموا •

فأجابه الآخر :

ــ استرحت من حيث تعب الكرام •

كل هذا نعرفه فيهم ولكننا مع ذلك لم نتوقع أن يبدعوا فى السفالة دركا لم يسبقهم اليه سابق ويرسمون شخصا يرقص فرحا بذكرى مقتل السادات • فما سمعنا من قبل ان قتلة رقصوا حول قتيل • ولا عن أعداء مهما تكن خستهم أطلقوا الزغاريد مع رصاص القتلة ، الا أن يكون هذا التجمع جنسا آخر من غير البشر • وجبلة أخرى لا تنتسب الى الانسان • ونوعا جديدا من الحيوان لم تستطع أجيال الحيوان على مدى العصور أن تهوى الى مهواه أو تتردى الى مستواه •

مايو ١٠/١٠/١٩٨٣ ••

تعقيب علــى رد

توقعت أن يرد الأستاذ الأخ عبد الرحمن الشرقاوى على المقال الذى نشرته الاسبوع الماضى معلقا على أحد فصوله « عن على امام المتقين » وتوقعت أيضا أن يكون رده بهذا الأدب الرفيع وهذا الخلق الأسمى الذى لا أعرف عنـــه غيره ٠

وبقى أن أعقب على رده وأبدأ بأنى ما الى السخرية قصدت وحاشاى أن أفعل وانما هدفت الى أن أبين انتفاء ما استشهد به مع ما أنزله الله على رسوله عليه الصلاة والسلام فيما يتصل بالمال بعد الأحاديث التى ساقها الأستاذ عبد الرحمن مؤيدا بها وجهة نظره وما أحسب الأستاذ الشرقاوى لا يعلم اننى حريص على العدل الاجتماعى حين يتمثل فى تضييق الفوارق بين الطبقات وفى أن يتصدق الغنى على الفقر بوازع من نفســه وأرفض فى الوقت ذاته أن تستولى الدولة على كل مال يغل ريعا للناس فيتأدى بنا الأمر الى ما تتأدى اليه فى البلاد الشيوعية وفارق كبير بين أن تندب الناس للصدقة وتحثهم عليها ليقدموها بمحض اختيارهم وبين أن نفرض عليهم الفقر فينكشف غبار المعركة عن مجتمع كله فقير معدم بدلا من مجتمع يسوده المرحمة والتواد والتعاطف والحب فان الناس اذا أصبحوا جميعا فقراء سادت بينهم شريعة الغاب التى نراها ســـائدة فى البـــلاد الشيوعية ٠

وأنا أيهــــا الصـــديق الأعز والذى سيظل دائما صـــديقى الأعز معجبا بنظام الضرائب التصـــاعدية وأحبذها وأراها من أصلح الأنظـــمة الاقتصادية لمواجهة عصرنا هذا فلا خلاف بيننا فى هذا الشأن ٠

أما الآيات التى استشهدت بها فهى هى ما قصدت أنا اليه ولا أتصور الحياة بغيرها وهل يمكن أن يدعو الرحمن لغير هذا وكيف نتوهم أن يوصى الله عباده بوصاة خيرا من أن يكون فى أموال الأغنياء حق معلوم للسائل والمحروم وهو الذى بسط الرزق لهم وقدره على غيرهم ٠

وما استشهدت به من أحاديث أيضا لا خلاف عليه وهل يمكن أن يكون هناك خلاف بينى ـ وأنا من تعرف من دخائله ما لعله يجهله عن نفسه ـ وبينك فى أنه لا يجوز أن يبيت انسان على شبع وهو يعلم أن

جاره جائع أما ما سقته عن رأى عثمان من أن الزكاة تكفى فاننى أرى انها من ناحية الوجوب كافية ولكنها من الناحية الانسانية أقل من الكفاية وما أحسب أن هناك خلافا على هذا ٠

أما ان الحاجة فينبغى الا تزيد عما يكفى الأهل والأولاد فى حياة عائلهم فقط فهنا أختلف معك خلافا لا محيد عنه فانه اذا استقر الأمر على ذلك انتفى الميراث وعدنا الى التناقض مرة أخرى فانه اذا صح انه لا ينبغى للانسان أن يدخر لابنائه ما يقيهم شر الحاجة من بعده ويجعلهم فى غنى عن الاستجداء ينتفى الميراث انتفاء تاما وانت ياسيدى تقول فى صدر مقالك أنه لاخلاف حول الميراث فكيف يكون هذا اذا كنت لن أبقى لهم من باقية الا ما أنفقه عليهم فى حياتى وماذا سيرثون اذن ٠

أما استشهادك بأبى بكر فاستشهاد بشخصية من قمم التاريخ والانسانية وما أظن أن مثله يمكن أن يكون كسائر البشر وان ما صنعه خاص به وحده وهو صديق النبى صلى الله عليه وسلم وصفيه وثانى اثنين اذ هما فى الغار ٠ أما يا سيدى ما ذكرته عن بكاء عبد الرحمن بن عوف حين اقترب منه الموت فاسمح لى أن أعجب منه فقد كان يستطيع بكل بساطة أن يمنح ماله كله لبيت المال ويكف عن البقاء ويبقى على ماله لأبنائه فتصرف يدعو الى الدهشة !

أما ما ذكرته عن مجتمع التراحم فانى واثق أنك لا يمكن أن تتصوره بقهر الناس وارغامهم على مالم يشرعه الله وان كان هذا رأى بعض الفقهاء فلاشك أن هناك آراء أخرى أكثر قوة تجعل الصدقة بعد الزكاة متدوبة مستحبة وليست حتمية مفروضة كما تريد أن تؤكد وان ما سار عليه المسلمون لألف وأربعمائة عام لدليل على صدق ما ذهب اليه ٠

أما ما تقوله عن الدول الغنية والدول الفقيرة فاننى لا أتصور الحياة حياة شريفة الا بما ترى أنت فى هذا المضمار ٠

وأما ما ذكرته عن عمر بن عبد العزيز فهو دليل لى وليس على فقد أخذ عمر المال ممن كانوا ينتهبوه ولم يكن لهم بحق ورده الى أصحابه الشرعيين ورد الى بيت المال ما لم يجد له صاحبا على قيد الحياة وهذا أمر يتحتم على ولى الأمر وجوبا وليس مجرد حق له واذا هو لم يفعله ونكص عنه وقع عليه التقصير ٠

وبعد يا أخى فان ماذكرته عن حسن ظنك بى هو وأكثر منه علمى بك ولولا خشيتى أن يقال اننا نهزنا الفرصة لنتقارض الثناء لذكرت كل ما أكنه لك من حب وتقدير واعجاب ٠

على أن رأيك هذا اذا أخذت به دولة اســـلامية ما فانها لن تطبقه الا مرة واحدة فى عام واحد أما العام التالى فانها باذن واحد أحد لن تجد عند أى فرد من رعاياها ما يستحق أن يدفع عنه الزكاة ومادامت الزكاة قد سقطت فان الصدقة أيضا تسقط من باب أولى وانك يا أخى لو أعملت الرأى فيما تقول لوجدت انك به لا تلغى الميراث وحده وانما تلغى الزكاة أيضا • والا فعلى أى مال سيزكى المواطن فى عامه التالى مادام قد دفع بماله الفائض جميعا الى الدولة فى عامه الفائت • انه سيكون مستحقا لمال الزكاة ولن يجده أو لمن يتصدق عليه وهيهات ان يعثر على متصـــــدق أو صدقة •

الأهـــرام ١٩٨٣/١٠/١٥ ••

أعلم ولكن ... !!

أى شيطان مريد خائن تلبس أقلام بعض الكتاب اليوم . لقد ركبتهم الأنانية حتى ما يكادون يبصرون الا أنفسهم . ويا ليتهم يبصرونها وفى عقولهم بقية من تفكير أو فى نفوسهم اثارة من بعد نظر . وانما هم يكتبون تسيطر عليهم هذه الأنا ثم لتذهب مصر وأبناؤها جميعا الى الجحيم ما البأس ما دمت أنا أكتب وما دمت أنا أهاجم وما دمت أنا أرسم نفسى أمام الجهلاء بطلا . وما دمت أنا أحصل على أموال أعداء مصر والمتآمرين عليها من شتى جوانب ومن مختلف نحل . انما المهم هو أنا .

انما البطولة لا يعرفها عنى الجهلاء الا اذا أنا هاجمت وأوسعت النظام المصرى نقدا وتجريحا وتعنيفا واذا كان بين الناس من يدرك أنه لا بطولة اليوم فى النقد وانما البطولة فى الحق فان هؤلاء الذين يدركون هذه الحقيقة قلة لا يعتد بها ولا يؤبه لها . فقد تعود عامة الناس أن يعتبروا من يهاجم النظام بطلا حتى وان كان النظام لا ينتقم من مهاجميه نعم وان ، حتى وان كان النظام لا يقتل ولا يعتقل ولا يعتدى على عرض أو مال أو كرامة نعم وان ، حتى ولو كانت هذه البطولة فى حقيقتها بطولة ورقية جوفاء سيحكم عليها التاريخ أنها خيانة لأمانة القلم واسقاط لثقة الناس فيك نعم وان ، فان التاريخ ليس يعنينى وانما المهم أن أبدو الآن أمام الناس بطلا .

نعم أعلم أن هذا الذى انادى به اليوم دمار لمصر أى دمار واعتداء على أمنها وحاضرها ومستقبلها واتاحة للحرائق أن تشتعل فى جوانبها بسخائم الملحدين والمتطرفين وأعدائها فى الخارج والخونة من أبنائها فى الداخل . وأعلم أن الذى أنادى به اليوم يجعلنى أبدو أمام الناس مدافعا عن الديمقراطية والحرية وأعلم أنه لو أن القائمين بالأمر استجابوا لدعوتى لخربت مصر جميعا وأعلم أن الحرية المتاحة اليوم لم نكن نحلم منذ سنوات قليلة أن نصل الى نصيب منها أى نصيب وأعلم أن هذا القدر من الحرية جعل المتطرفين يقتلون رئيس الدولة فى يوم الاحتفال بالنصر الذى حققه مع جنود مصر . وجعل الملحدين يصبحون كالوباء المنتشر فى شتى مناحى الثقافة والاعلام فى مصر وأنهم يستجدون بهجومهم الأموال من أعداء مصر

عربا كانوا هؤلاء الأعداء أو كانوا ملحدين سفاكين يسفحون دماء الانسانية في الانسان ٠

وأعلم أن مصر اذا هي لم تحصن نفسها ضد هؤلاء الأعداء من خارج مصر ومن داخلها فستصبح بين عشية وضحاها نيرانا ودماء ورماد وأعلم ان اختلال الأمن سيفشى في نواحيهــا ويظلم على جنباتها وأعلم أن أعظم دول العالم المتحضر قد تحسبت لحركات الارهاب فيها بحصون من القوانين ٠ وأعلم ان هذه الدول لا تتعرض لأحقاد خارجية عليها مثل هذه التي تتعرض لها مصر وأعلم أن القوانين انما تشرع لتواجه ما تحتاجه الدولة وأن هذه القوانين تتشكل بالفترة التي تمر بها البــلاد أعلم أن كل المعتــدين على الحريات يرفعون من الحرية شعارا يجعلون منه ستارا ليقتلوا به الحرية نفسها ويجهزوا عليها ٠ واعلم أن القائمين بالأمر في مصر لم يستــغلوا يوما قانونا ليصادروا به رأيــا أو يعتدوا به على برىء مهما يكن الجانب الذي يقف فيه حتى وان كان هذا الجانب مناقضا لموقف السلطة ورأيها ٠

أعلم هذا جميعا ولكن ماذا يهم أن أعرفه أو لا أعرفه انما المهم أن أشتم أنا وأن أهاجم أنا وأن أدافع عن الديمقراطية أنا وأن أدافع عن الحرية حتى وان كانت حرية موهومة أنا ٠ وان آكون بطلا أنا حتى وان كنت بطــلا يشهر سيفا من ورق ويدافع عن باطل يعلم أنه باطل وان تلبس بالحق في مظهره واعلم أيضا أنه كان الأجدر بي وقد حملت أمانة القلم أن أكون كفؤا لحمل هذه الأمانة واعلم أيضا أنه كان الأخلق بي وقد أولاني الناس ثقتهم أن أكون لسان الحق الى ضمائرهم حتى وان قلت مالا يجعلني أمام الغوغاء منهم بطــلا ٠ أعلم ذلك ولكنني ان فعلت انقطعت عني شلالات المال التي تنهمر على حساباتي في الخارج أنها الدنانير التي تتدفق على رغدا وهناء وبذخــا ٠

كل هذا يدور بنفسه ٠ ولا يدور بنفسه قط انما حين نمثل أمام الديان سيكون لباسنا ثوبا من قماش لا جيوب له ويوم الحساب سيجد كل انسان كتابه منشورا ولن يكون في هذا الكتاب حسابات البنوك ٠

٠٠ ١٩٨٣/١٠/١٧

لغـة العرب لغة الثراء

ان الانسان لا يستطيع أن يعيش متوائما مع نفسه الا اذا أحس أن له في مقومات كيـــانه ما يعتز به ٠ وهو قادر على أن يختلق هـذا الاعتزاز ان لم يجده ٠ فاذا كان الأمر كذلك مع الفرد ٠٠ فهو مع الأمم أكثر وضوحا فكل أمة في العالم تعتز بأمجادها وتتغنى بها ٠ وانني أعارض ما قرأته لأخي الأستاذ أنيس منصور في أحد مواقفه من رفض لتغنى أبناء مصر بأمجاد مصر ٠ متصورا ان هذا التغنى يجعلهم في غنـاء عن العمل وانهم يكتفون بالصوت عن العمل وهذا ليس صحيحا في الشعب المصرى فنحن شعب يغنى وهو يعمل والغناء يحث العامل على النشاط وقديما كان حداء الأبل في الصحراء يخفف أعباء الطريق على المسافرين ويحث الجمال أن تحتمل المشقة ومن هذا الحداء نبت الشعر العربى كله وكل شعب له خصائصه التى لا يشاركه فيها أحد والأمر المؤكد أن كسل المصريين ليس راجعا الى أنهم يتغنون بأمجاد مصر وانما هم كسالى رغم أنهـــم يتغنون بأمجاد مصر فقد كان هذا التغنى خليقا بأن يدفعهم الى العمل لا الى النكوص عنه فالشعب كسول رغم أنه يعرف أمجاده ويتغنى بها وليس لأنه يشيد بهذه الأمجاد ٠

واللغة من أهم المقومات التى تعتز بهـــا الأمم العريقة فأنت تجد الفرنسى وهو ينطق لغته فخورا بهذه اللغة سعيدا أنه ينطقهـــا النطق الصحيح ويكتب بها في ألفة معها وفى حب لها يجدد فيها دون أن يعدو على موسيقاها أو على جرس الجملة ووقعها فى نفس المتلقى لها مستمعا كان هذا المتلقى أو قارئا ٠

وكذلك يفعل الانجليز الأصلاء فهم حريصون ان ينطقوا حـــروف لغتهم النطق السليم القوى الواضح وتلمح في وجوههم الاعتزاز بأنفسهم أنهم يحسنون نطق لغتهم وهم يجددون فى أساليبهم ولكنهم لا يعتدون عليها فعل الأب الثرى يقدم لابنه أحدث ما ابتكرته بيوت الأزيـــاء ليراه دائما مشرقا متجددا أنيقا ولكنه لا يحاول بأية حال من الأحوال ان يغير من معالم ولده فهو دائما يراه أجمل مخلوق فى العالم ٠

ولقد قرأت منذ قريب كتابا عن بعض رواد مؤلفى الرواية الأمريكية بقلم نقاد مختلفين ويوشك النقاد أن يجمعوا أن الكاتب الذى اختـــاروه

الأهرام ١٩ أكتوبر ١٩٨٣

لبحثهم كان يحاول أن يجد لغة أمريكية جديدة لأن الشعب الأمريكي حديث التكوين ولم تتأصل له لغة خاصة به أو هو على الأقل كان كذلك حين بدأ هؤلاء الرواد ممارسة أعمالهم الفنية ٠

واللغة العربية لغة أمة بأكملها وهى لغة فرضت نفسها على التاريخ لآلاف السنين والناطقون بهذه اللغة لهم ذوقهم الخاص وهو ذوق رفيع وليس فيه جمود فهو يحب التجديد فى اللغـــة ولكنـه لا يحب الاعتداء عليهـــا ٠

واللغة العربية لها خصائصها شأن كل اللغات وقد أحب أبناؤها هذه الخصائص حبا نابعا من المشاعر قبل ان ينبع من العقل ٠

فلغتنا ــ فيما أعتقد ــ أعظم اللغـــات ثراء وقد رأيت من الانجليز والفرنسيين من يبهره هذا الثراء فاللغة الوحيدة فى العالم التى يستطيع الشاعر بها أن ينظم خمسمائة بيت على وزن واحد وقافية لا تتغير هى اللغة العربية ولو كانت اللغة الانجليزية أو اللغة الفرنسية بهذا الثراء ما لجأ الشعراء فيهما الى شعر المقاطع أو الشعر الحديث ٠

واذا تركنا الشعر وانتقلنا الى النثر نجد ان الاسلوب العربى يحب المترادفات فهى تؤكد المعنى وتكسب الأسلوب جمالا ورواء وتضفى على الأثر الأدبى أصالة ومكنة وأبعادا لا تطيق الكلمة الواحدة أن تحملها الى نفس القارىء ٠

واذا كانت اللغة العلمية لا تميل الى هذه المترادفات فانها حبيبة فى اللغة الأدبية ، وتلون الاسلوب بتلون الموضوع ثراء وقدرة من اللغة على مواجهة شتى مجالات ومختلف ميادين ٠

وأنا مع هذا لا أميل الى الرأى القائل بتعريب اللغة العلمية فان العلم عالمى بطبعه وينبغى على المشتغلين به عندنا أن يتقنوا اللغات الأجنبية غاية الاتقان حتى لا ينفصلوا عن العالم المتحضر فى أبحاثه التى تكلفهم من الأموال والآلات مالا طاقة لنا به والأمر الذى لا شك فيه ان العالم المتحضر ينتفع بجهود علمائنا بما يقدمون من بحوث فى ميادين العلم ٠ وما هذا الذى أقول من قبيل التفاخر وانما هو واقع تؤيده الحقائق التى لا سبيل الى نكرانها والعلم تبادل معرفة وان هذا الثراء الذى تتمتع به لغتنا يرسى فى نفوسنا ثقة مطمئنة بلغتنا فنحن لا نخشى ان تعدو عليها لغة فى العالم مهما يكن شأنها ٠ وقديما أخـذت العربية من الفارسية والتركية ومن الفرنسية والايطالية والانجليزية فازدادت ثراء كما أخذت كل هذه اللغات من اللغة العربية ولم تشعر بهوان فقر أو ذلة حاجة ٠

والأذن العربية مازالت على رغم تطاول السنين تحب اللغة الأصيلة

وتجس وقع الكلمة المختارة الجميلة · ولهذا لم ينجح في أدبنا الاسلوب التلغرافي · فهو لا يصل الى نفس القارىء في العمل الأدبي وانما يجعله يحس أنه يقرأ كشف حساب لا أدبا فنيا ولا أسلوبا عربيا ·

وقد حاول بعض النقاد ممن ذهبوا الى الغرب والتوى منهم اللسان وفقدوا هناك الذوق العربي أن يضعوا في الأدب العربي قاعدة تقول ان جمال اللغة في العمل الفني يقف حائلا بين العمل وبين مستقبليه وخاصة اذا كان هذا العمل قصة أو رواية ·

والحقيقة التي لا شك فيها أنهم هم أنفسهم وجدوا أنهم عاجزون من كتابة اللغة الفنية الجميلة فانشأوا من القبح قاعدة ·

ولما كان الجمهور حين يقرأ يترك نفسه على سجيته ويضرب صفحا عن القواعد المفتعلة التي يريد أن يزيفها عليه النقاد فانه رفض هذه القاعدة وأصر أن يقرأ أسلوبا جميلا وأقبل على هذا الأسلوب ورفض غيره ولعل الرواية الشاهقة الباذخة التي كتبها أخيرا أستاذنا نجيب محفوظ في الأهرام تؤكد هذا المعنى فان نجيب محفوظ من أكثـــر الناس احساسا بجمهور القراء وادراكا لذوقه وأنت ترى أنه بلغ في هذه الرواية قمة فائقة من جمال الأسلوب ·

ولقد قرأت منذ قريب بحثا لغويا في بعض التركيبات اللغوية في القرآن الكريم وقد حاول العالم الجليل ان يبرر بعض أساليب القرآن ويتقصى الأسباب التي من أجلها أنزل سبحانه الآية في نظامها هذا الذى تحفظه به وضرب مثلا بقوله سبحانه فبما رحمة من الله لنت لهم وبقوله « لا أقسم بهذا البلد » وبآيات أخرى كثيرة وراح يستعرض آراء النحاة في هذا الشأن ثم يدلي برأيه وعنـــدى أنه لم يكن محتاجا الى كل هذا الجهد فان جمال هذه الآيات مستمدة من نظامها هذا والله سبحانه وتعالى الذى خلق النفوس هو الأعلم بما يصل الى بعيد أعماقها ويبلغ منها ما لا يبلغه بيان بشر ·

وليس أدل على أن الذوق العربي يحب لغته بكل ما فيها جمـــال أسلوبي ومترادفات وتقديم وتأخير من هذا الشعور بالسمو النوراني الذى نقرأ به القرآن الكريم أو نستمع اليه وهو شعور يفقد جماله اذا حاولنا ان نحلله أو نرجعه الى منطق انه الحب ولقاء النفس بما تهواه ·

ومهما يحاول أعداء اللغة والعاجزون أن يهونوا من شـــأن الجمال اللغوى ويدفعوا الناشئة الى لغة التقارير فان الأديب سيظل محبا للتعبير الموسيقي الثرى الرهيف · وسيظل القـارىء حريصـا أن يقرأ أدبا فنيا لا نشرة ارصاد جوية ·

الأهـــرام ١٩٨٣/١٠/١٩ ··

نيام على غير مضاجع

من الناس أقوام مارسوا الكتابة سنين عددا واتاحت لهم الظروف أن تظهر كتاباتهم وأغلب الأمر أنهم أرغموا الظروف أن تتيح لهم الطلوع على الناس بما يكتبون فطلعوا ومرت الأعوام فما أحس بهم أحد فلا النقاد اعترفوا بهم ولا القراء أحسوا بوجودهم فكان طبيعيا أن يقفوا خارج الحلبة ليسبوا كل من فيها ويهاجموه فى ضراوة لا بديل لها وبغير منطق وبغير ذوق فنى أو غير فنى وبغير ابداء أسباب فليس الى الحق يهدفون ولا هم ينشدون العدل فيما يعيبون انما بغيتهم الوحيدة هى أن يهاجموا آملين أن يحطموا المشاهير فى مظنة منهم كاذبة ان لو تحطم هؤلاء لن يبقى غيرهم فى الميدان ولو كانت بهم مسكة من عقل لأدركوا أن هؤلاء المشاهير غير قابلين للتحطيم لانهم لم ينالوا شهرتهم بالحظ أو البساطة وانما نالوها بموافقة الغالبية العظمى من قراء اللغة التى يكتبون فيها عربية كانت أو كانت غير عربية ولو كانت بهم بقية من ذكاء لأدركوا ان اختفاء هؤلاء المشاهير بالوفاة أو الصمت لن يتيح لهم أن يظهروا لأن الشعب حين قبل العمالقة قبلهم لأنهم عبروا عنه وحين رفضهم هم رفضهم لأنهم غير صالحين لمخاطبته ولم يرفضهم لأنه مكتف بكتابه فالشعوب دائما تحب أن يتعدد كتابها ومفكروها ٠

وهكذا لم يكن عجبا ان نجد هؤلاء الضائعين فى تيه الأدب يتخيرون القمم الصماء ليهاجموها محاولين أن يقضوا على ذؤابتها فاذا هم يتهاوون الى سفحها وقد تحطموا وتمزقوا خرقا ٠

وقد واجه طه حسين وشوقى والعقاد والمازنى وتوفيق الحكيم وعزيز أباظة ومحمود تيمور وغيرهم من العمالقة ألوانا من الهجوم شتى وأفانين من القذف بلغت فى بعض الأحيان مبالغ الوحشية الشرسة الطاحنة فما زادهم هذا الهجوم الا بريقا وتوهجا وما ازداد المهاجمون الا انطفاء وخفوت ذكر ٠

والرغبة فى الشهرة عند المهازيل تشكل نوعا من السعار المجنون الذى يجعلهم يستهينون بكل ما يتصل بشرف الآدمية فنجد منهم من

يحاول أن يحدث أي تفجر ليحدث به دويا وحتى ولو كان هذا التفجير سينسفه هو نسفا حتى لا يبقى منه على شيء ٠

وليس يعنيه أن يصدم شعور الناس ويعتدي على مقدساتهم ويدمغ الكرامة بالهوان والنبل بالخسة وما أصدق المتنبي حين قال :

من يهن يسهل الهوان عليه   ما لجــرح بميت ايلام

فنجد واحد منهم يكتب كتابا لا يستحي فيه أن يذكر أنه كان لصا وتاجر متعة وذلك منه وصول من الحضيض الى هاوية لم تعرفها البشرية فأصحاب هذه المهن في مألوف أمرهم يسترونها على أنفسهم ولا يعالنون بها الا حين تقتضيهم المهنة أن يعلنوا فما رأينا لصا يباهي بأنه لص ولا تاجر أعراض يفاخر بأنه يمارس تلك الصنعة ٠ أما أن ينشر هذا فتلك جديدة في السفالة والانحطاط والهوى الى غير قرار ومن عجب أنه بعد ذلك يظهر على الناس ويهاجم كل شريف في الحيـاة حتى أصبح الشرفاء يعتبرون الهجوم منه وساما لا يدانيه وسام وشرفا يحزنهم أن يفوتهم ٠

ونجد آخر يهون كل جليــل في حياتنا وكل سامق من تاريخنــا القديم والحديث على السواء وهو ــ للأسف الشديد ــ مدرك عواقب هذا الذي يفشيه من آثــار وبيلة تقــع عليه أولا ثم هي بعد ذلك تثير نفوس الأغلبية الكاثرة من الناس في مصر وفي الشعوب العربية كافة ولكن ماذا يهمه مادام هو قد أحدث التفجير الذي ينشده وليكن هو أول الضحايا وليكن التاريخ من بعض ضحاياه ولتذهب مشاعر الناس الى الجحيم ٠

واني أحس أنه بما يصنع يريد أن ينتقم من البشر أجمعين ما داموا هم لم يكسبوه الشهرة التي أرادها لنفسه ولم ينزلوه من نفوسهم المنزل الذي يتوهم انه حقيق به ٠

وآخرون كانت كتاباتهم هذاء لم يخطها الا مهلوس مجنون لا يعي ما يقول وكان من الطبيعي أن يعيا الناس عن فهمه ويعتبروا ما يكتبه لغة أخرى غير لغتهم وكان من الطبيعي أن ينصرفوا عنه كأنه لم يوجد ٠

وكان لابد لمثل هذا وللآخرين من أمثاله أن يناموا ولا سبيل الى نوم مع الشعور بالفشل والاحباط فهم اذن يحتـالون على أنفسهم ويخادعونها عن الحق وينسجون لها من الوهم ما يجعلهــا تطمئن صــاحبها أنه نابغة سبق زمانه وان الذين أصابتهم الشهرة انما اقتنصوها بماء وجوههم وبما انهم جهلاء يخاطبون جهلاء وبما أنهم تافهون لا يرتفعون الى السموات التي نحلق فيها نحن بأفكارنا ولو اننا نافقنا الناشرين وحاولنا ارضاء الناس بكتابة ما تستجيب لهم حواسهم الساذجة الفجة لأصبنا من الشهرة ما لم

يصب أولئك المهازيل الذين يتصدرون الحياة الأدبية فى هذا الزمن النكد فكل زمان لا يشتهرون فيه زمن نكد وأن شهرتنا قادمة لا شك فى قدومها وينامون ٠

ولو انهم لم يناموا وحاسبوا وهمهم حساب عقلاء لاحساب مهلوسين لتبينوا ان الشعوب لا تبغض أحدا قدر بغضها للمنافقين ولها فى كشفهم عيـون راصدة لا تنام وليس يخفى عليها من أمرهم خافية وان للشعوب عقولا تسجل كما لا تسجل أحدث الآلات الالكترونية وقد تنسى الشعوب ولكن لانها تريد أن تنسى وهى حين تنسى يكون ذلك منها عن ادراك لا عن غيبة وعى أو غفلة ٠

وكم من نافق وهوى به نفاقه الى أسفل درك بالنفاق فشل به نفسه مئات من الناس والمنافق قصير مدى الخطى منكمشة جيـاته هزيل نجاحه ومهما يبلغ بنفاقه من سلطان فهو عند الناس محقور الشأن لا وزن له ولا قيمـــه ٠

وان كان النفاق سبيلا ممهدا فى عالم الوظيفة فهو طريق مغلق فى عالم الفكر والأدب والفن بعامة ٠

فقد يجد المنافق فى عالم الوظيفة من يبصقه الى منصب ولكنه فى عالم الأدب والفكر ليس له الا الناس ملاذا وهم وحدهم من يرفعون شأنه ليكون علما أو يخسفون به الأرض ليكون موطىء نعال ٠

أما وهمهم انهم سبقوا عصرهم فهو باطل بطلانا أصليا ليس له من زوال فأن الكاتب ابن عصره يستمد منه ويعطى له وبما هذا خلد الشعراء والكتاب على مدى الزمان فان الأجيال حين تتسلم المشاهير بعضها من بعضها تتسلمها بعصورها وبالأزمان التى عاشت فيها وعبرت عنها وما كتب لها الخلود الا لأنها كانت من مرايا عصرها ومن أضوائه ولو أنها حاولت أن تعبر عن غير عصرهـا أو تكتب لغير زمانها لأصـابها الفشـل الذريع ولامتنعت الأجيال أن تتداولها الى الخلود ٠

وبعد افترائى قد اصبت بـالاحباط قوما اسـتكانوا الى أوهامهم واطمأنوا اليها وانقضت أنا على سكينتهم وأوهامهم فعصفت واذعرت طائرهم وأسلمتهم الى اليأس قد أكون ولكن البتر العضو الأشل أخلق وان عليهم أن يفيقوا الى حقيقتهـم ويبحثوا عن عمل يتقنونه بدلا من أن ينـاموا بغير مضـاجع على أرصفة طريق ليس طريقهم فهم فيه غرباء ولا أمل لهم أن يصبحوا من أهله اللهم قد بلغت اللهم فاشهد ٠

الأهـــرام ٢٣/١٠/١٩٨٣ ٠٠

نقد فى موضعه

الأستاذ حسين الرملى صديق قديم وهو صاحب تاريخ طويل فى الصحافة وقد عرفته منذ قرابة أربعين عاما حين كان يزور أبى فى بيتنا بالعباسية • وقد علق باحدى صحف المعارضة على مقال لى فى جريدة مايو تعليقا آراه محقا فى نصفه مجانبا للحق فى نصفه الآخر •

ولكننى قبل أن أفصل هذا الاجمال أحب أن أهمس فى أذن الأستاذ حسين اننى كنت أرجو منه وهو الصديق القديم أن يصطنع فى الحديث عنى أو الى اسلوبا غير هذا الذى كتب به • فهذا ميدان لو تزاحمنا فيه لكن هو الخاسر لاجدال • وقد كان أولى به ثم أولى أن يرعى صداقة قديمة بيننا لم يشبها شائب • وودا رعيته له وما أزال أرعاه ولولا هذا الود ولولاه وحده لكان ردى عليه بأسلوب غير هذا الذى أكتب به الآن وهو يعلم اننى أعرف كيف أستطيع أن أعمل أساليب الهجوم بشتى ألوانه من سخرية الى اقذاع الى شعر اذا أراد • الى قصة الى صورة ، فتلك هى صناعتى وما هى بصناعته ، وبضاعتى وما هى ببضاعته ، ولكننى لآصرة الزمان الطويل الذى عرفته فيه ولحرمة صلته بأبى ودخوله الى بيتنا ، سأغضى عما اتخذه من اسلوب عينا له محبة وأروض نفسى أن تقبل منه ما لم تقبل قط من أحد قبل •

وبعد فأنا لست بالمفتى ولست فى حاجة الى ألقاب • فالفارغون وحدهم هم من يحتاجون الى ألقاب انما أنا انسان أحاول أن أفكر بحرية وألتمس من الذى يقرأ لى أن يفكر هو أيضا متحررا من الدخن ومما يشوب النفس من ادران المصالح الشخصية •

فليس عجيبا اذن أن أناشد المعارضة أن تذكر ما تراه من أشياء لا يختلف حول التمدح بها اثنان الا أن يكون أحدهما مغرضا • وحين أقول العالم لم أقصد طبعا اننى طفت بآلاف الملايين فى بلاد المعمورة أستطلع رأيهم وانما أعنى الصحف الأجنبية التى تناولت الموضوع بالتعليق وأى انسان يعرف العربية وما يؤديه اللفظ يفهم عنى ما أقول •

والاعتراف بهذا الفضل لا يمنع أى منصف أن يؤيدك فيما ذهبت أنت اليه من وجوب البحث فى أمر مجوهرات الأسرة المالكة •

وأى شريف لا يمكن أن يعارضك فهذا أمر جدير بالبحث كل الجدارة فان هذه المجوهرات أموال دولة أو أموال غير ، وكل اعتداء عليها سرقة واختلاس وغصب ولا يرضى أى مصرى ، والسكوت عنها ٠٠ ينبغى تماما الا يكون ٠

والمجوهرات الباقية موجودة الآن بخزائن البنك الأهلى وقصر عائشة فهمى مخصص لعرض هذه المجوهرات ولا يحتاج الأمر الا أن تأمر الحكومة فتخرج المجوهرات من خزائن البنك وتأخذ طريقها الى قصر عائشة فهمى الذى استولت عليه الحكومة لهذا الغرض بالذات ٠ وقد أقام ورثة عائشة فهمى دعوى على الحكومة ببطلان الاستيلاء لأن القصر خصص لغير الغرض الذى صدر به أمر الاستيلاء ، لكن الحكومة كسبت الدعوى بحجة أن الغرض الذى استولت على القصر من أجله ما زال قائما الا أن اللجان المتخصصة لم تنته بعد من جرد المجوهرات ٠

وواضح ان الجرد استغرق من السنوات ما لا تستغرقه كنوز العالم أجمع ٠ وقد نتصور ان العهد السابق على ثورة مايو كان حريصا الا يذيع على الناس ما تداول هذه المجوهرات من تصرفات ٠٠ ولكننا اليوم فى عصر نرفع فيه الأمانة على رؤوس الأشهاد ونعلن فيه للعالمين ان أمر الدولة لا يستقيم اذا هى لم تنزل بالمسىء الجزاء ناظرين الى قوله سبحانه وتعالى « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب » ٠

وليس القصاص مجرد عقوبة تنزل بمن ارتكب اثما وانما هى ردع لكل من يفكر أن يقدم على هذه الآثام ٠ ولهذا تؤكد القوانين جميعها ان العقوبة مانعة رادعة ٠

وليس من المعقول ان يخالفك فى هذا الأمر انسان يحرم شرف الانسانية ٠

ولكن ألا ترى معى ان هذا الحديث لا يمنعك ولا يمنع المعارضة أن تعترف بالحسنات حتى يتسنى لها أن يكون نقدها موضع احترام من الشعب ؟! فان الشعوب لا تصدق المادحين الذى لا ينطقون الا بالمديح كما لا تصدق المهاجمين الذين لا ينطقون الا ذما ٠

وأعيذك أنت بالذات أن تكون واحدا من الفئة الأولى أو واحدا من الفئة الثانية شعارها الكذب والاختلاق وكلا الوصفين شر من صاحبه -

مايو ١٩٨٣/١٠/٢٤ ٠٠

في ذكرى عميد الأدب العربي
حياة من السير

كانت أنواع القطن التى تزرع فى مصر فى ثلاثينات هذا القرن نوعين هما ـ فيما أذكر ـ المعرض والزجورا • وكان الزارعون يختارون النوع الذى يجود محصوله فى الأرض التى يقومون بزراعتها وحدث انه جمع أحد أعيان الريف الظرفاء قطنه وعرضه للبيع وجاء اليه التاجر يريد أن يشتريه • وسأل التاجر •

ـ ما نوع قطنك •

ـ أيهما الأغلى سعرا •

ـ المعرض •

ـ اذن فقطنى معرض •

ـ عظيم وأنا اشتريت •

ودفع التاجر العربون وفى اليوم التالى أتى بالاكياس لتعبأ ودخل يرى القطن ولكنه قبل أن يمد اليه يده عرف القطن ونوعه والتفت الى الظريف البائع •

ـ ولكن يا بك هذا القطن زجورا وليس معرض •

ـ كيف •

ـ أنا لا احتاج للفحص •

ـ ولكن هذا الذى تقول غير صحيح •

ـ كيف ؟ هذا أمر لا يختلف فيه اثنان •

ـ قل لى أولا •• قطن من هذا •

ـ قطنك أنت •

ـ فأنا وحدى صاحب الحق فى تسميته وقد سميته معرض وأنا حر •

وأصبح هذا الحوار نادرة يتندر بها أبناء المنطقة جميعا على أنه نكتة يتناقلونها • أو على الأقل هذا ما كنت أظنه أنا • حتى جاد علينا الزمن الأخير بجماعة من النقاد يصنفون الكتاب حسب ما يشتهون يثبتون من يشاءون في قائمة الأدب وينفون عنها من لا يرضون عنهم • وان كان الفلاح الظريف قد رأى ان محصول قطنه ملكه هو يسميه بالاسم الذى يختاره • فقد رأى النقاد الذين اشير اليهم ان الساحة الأدبية جميعها ملك لهم يدخلون فيها من يشاءون ويمنعون عنها من لا يتفق معهم في المذهب ومن لا يبذل ماء وجهه عند أقدامهم لينال تذكرة الدخول الى الساحة الأدبية التى استقر فى أوهامهم انهم يملكونها •

والاذن منهم بالدخول أو المنع يقع باحكام نهائية لا حيثيات لها ومن ثم فهى أحكام غير قابلة للاستئناف أو لاعادة النظر •

فالحكم منهم يصدر بالصمت أحيانا • • أو يصدر فى أحيان أخرى بمرسوم أو فرمان خديوى يرسم الأسماء التى يرضون عنها أدباء ولا يذكر أسماء المغضوب عليهم •

واذا كان الله سبحانه وتعالى يدخل الى جنته من أحسن عملا والى جحيمه من أساء • واذا كان جل علاه يعرض الناس في يوم الحشر ويحاكمهم مع انه يعرف ما يخفون وما يبدون واذا كان تقدس عدله يريد لعباده أن يكونوا على بينة من أسباب الحكم لهم بجنات النعيم أو الحكم عليهم بعذاب الجحيم • فان النقاد يستكثرون هذا على عبادهم من الكتاب فيقربون من يستلطفون ويتجاهلون من يستثقلون ولا يقبلون أن يسألهم أحد من الناس لماذا ؟ فهم يرون انهم فوق السؤال بله المساءلة •

ولهذا لم يكن عجيبا أن يصبح الكتاب والقراء فى واد والنقاد فى واد آخر صنعه لهم كبرهم الكاذب وخداعهم لأنفسهم واعتقادهم الموهوم انهم من جنس غير جنس الناس • ومن طينة غير طينتهم •

ولما كان الناس الذين هم القراء لا يحبون أن يخاطبوا جنسا غير جنسهم فقد أصبحوا بعيدين كل البعد عن النقاد لا يشعرون بهم ولا ينتظرون رأيهم فيما يصدر من أعمال فنية وتصدى القراء أنفسهم للحكم على الأعمال الفنية يقبلون عليها بالقدر الذى يقدرونها به غير ملتفتين الى النقاد وآرائهم •

ولكن هذا الحديث عن بعض النقاد ليس يمنعنى أن أذكر أن هناك نقادا من الجيل الذى لا أستطيع أن أصفه بالشباب ولا أستطيع أن أتجاوز به الكهولة ولكنه جيل يمثل عندي لطف الله الذى يرسله سبحانه عند كل خطب ليزيح بالأمل فيه قتامة اليأس •

ولكن أفراد هذا الجيل قلة لا تستطيع أن تواكب الأعمال الفنية الكثيرة التي ينتجها الكتاب المنشئون .

أما النقاد الذين مارسوا النقد في الخمسينات والذين تجاوزوا اليوم الكهولة . والذين كنا نأمل عندهم أن يتصدروا حركة النقد الأدبي في مصر والعالم العربي فقد انشغلوا بغير النقد . وانصرفوا عن تقديم الأعمال الأدبية للناشئة وعن تعمق الأعمال الفنية لكبار الكتاب .

واني أكتب هذه الكلمات في ذكرى عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين الذي ظل الى آخر يوم من أيام حياته يشجع ناشئة الأدب ويقدم أعمال الكبار من الكتاب .

والدكتور طه حسين زعيم جيل العمالقة . وقد كان رحمه الله أديبا شاملا لانه أدرك ان الدور الذي ينبغي لجيله هو أن يفتح النوافذ جميعا بين الأدب العربي والآداب العالمية جميعا فقد كان أستاذا في الجامعة وكل أجيال الأستاذ في الأدب العربي اليوم هم تلامذة تلامذته . وهو أول من وضع النقد العربي على الأسس العالمية . بعد أن كان النقد في كتب التراث لا يزيد عن أحكام جامعة أو استقصاء للألفاظ . او وضع قواعد نقدية للشعر وحده . وما كان هذا قصورا عند هؤلاء النقاد القدامى فقد كان الشعر هو الأدب العربي كله أو يكاد .ولم تكن الألوان الجديدة من الأدب قد ظهرت بعد في أدبنا .

فحين ظهر مسرح توفيق الحكيم بادر طه حسين يشيد بهذه الظاهرة الجديدة في الأدب العربي . وحين ظهرت زينب لأستاذنا العظيم الدكتور محمد حسين هيكل باشا لم يكتف الدكتور طه حسين بالنقد وانما كتب في الرواية حتى لنكاد نقول انه لم يترك لونا من ألوان الرواية دون أن يكتب فيه . فهو يكتب صراع الانسان مع عقبات الحياة في الأيام التي لا أحب أن أعتبرها سيرة ذاتية وان كانت تروى تاريخ حياته الا انني أعتقد أن السيرة الذاتية لا تتحقق الا اذا أسفر الكاتب سفورا تاما عن أسمه وعن شخصيته الحقيقية . أما اذا روى عن شخص آخر حتى وان لم يتخذ له اسما قائلا عنه الفتى مثلما فعل الدكتور العميد ، وان هو اصطنع لأشخاص الرواية أسماء غير أسمائهم فان العمل حينئذ يصبح عملا روائيا لا يحاسب عليه الكاتب محاسبة تاريخية وانما ينظر اليه على أنه ابداع فني .

وكتب طه حسين الرواية الرمزية في شهرزاد . وكتب رواية الأسرة في شجرة البؤس . وكتب رواية الصراع مع التقاليد في دعاء الكروان . وكتب صراع الانسان بين آماله وقدراته في رواية أديب وأنشأ الأعمال

الفنية القصصية والروائية التاريخية فى على هامش السيرة • وفى المعذبون فى الأرض • ولا سبيل الى لاحصاء الكامل • ثم ننظر الى الدكتور العميد فنجده قد ألف فى التاريخ أعمالا أصبحت برائع أسلوبه • وبتدفقه كالنمير حينا وكالبحر أحيانا أعمالا أدبية من سوامق الإدب العربى مثل مرآة الاسلام والشيخان والفتنة الكبرى •

ولا يقف الرائد العميد عند هذا بل يقدم الأعمال الفنية الكبرى فى الأدب الفرنسى من مسرح وقصة •

فليس عجيبا اذن أن يعرف العالم العربى هذا الجيل على انه جيل الأدب الشامل الذى يعمل قلمه فى شتى مناحى الأدب وفروعه وكان طبيعيا أن يكون الجيل التالى له هو جيل التخصص • فيتخصص أدباء فى فن الرواية والقصة وآخرون فى فن المسرح وآخرون فى الأدب النقدى •

وقد ظهرت أجيال الروائيين تتابعت أعمالهم وملأت الساحة الأدبية فى العالم العربى أجمع •

وظهر جيل المسرحيين وان كان مقصرا بعض الشىء وظهر النقاد ألا أنهم قليلا ما ثبتوا فى مواقعهم ثم مالوا الى الأدب الانشائى أو البحث عن المال أو الصمت الكامل فأصبحوا وهم لا ينتمون الى الأدباء المنشئين ولا هم الى النقاد ينتسبون • واكتفوا بأن يطلقوا حكما عاما طالما لا عدل فيه ولا حق • ان الحركة الأدبية قد خمدت ليرفعوا أنفسهم من تأثر الأعمال الأدبية والكتاب الجدد وتقديمها وتقديمهم بينما الحقيقة التى شك فيها ان الحركة الأدبية ثرية غاية الثراء بما يكتب كبار الكتاب غنية كل الغناء بالأجيال الجديدة التى أصبحت اليوم مئات من القصاصين والروائيين والمسرحيين والشعراء •

وبعد فليس عجيبا أن تثير ذكرى الدكتور العميد كل هذه الخواطر فهو من يصدق عليه قول أمير الشعراء :

لم يمت من له أثر	وحياة من السير
ادعه غائبا وان	بعدت غاية السفر
أيب الفضل كلما	أبت الشمس والقمر
انما الميت من مشى	ميت الخير والخير
من اذا عاش لم يفد	واذا مات لم يضر

رحم الله العميد والأمير جميعا •

الأهرام ١٩٨٣/١٠/٣٠ ••

قوة الحاكم فى عدله

أشد الناس ضعفا هو الطاغية فهو كلما أعمل السيف والجبروت أسفر عن جبنه الراعد المذعور فهو يقتل الأرواح ويعتدى على الكيان البشرى وعلى جماعات الناس لأنه يخشاهم خشية أخذة تأخذ عليه تفكيره وتسد عليه منافذ الهواء الطلق ويتوهم أنه اذا هو لم يقتل هؤلاء فهم قاتلوه • وكلما قتل ازداد تعطشا للدماء وعدوانا على كرامة الانسان وأفتئاتا على حق الحياة والكرامة • والانسانية والنبالة •

والرئيسن أقوى ما يكون الرئيس هو من يرفض أن يغضب وهو من يسمح لكل الناس أن تقول ما تشتهى فلا يمسها منه عدوان أو قمع أو منع أو مصادرة •

ان الرئيس القوى هو الذى يستطيع أن يكون قويا على مشاعره فلا تتغلب عليه هذه المشاعر فهو انسان وهو لاشك يغضب حين تهاجمه الألسنة • ولكن قوته الحقيقية تتضح فى أن يبقى غضبه فى ضلوعه ولا يتمثل منه هذا الغضب فى اصدار أوامر حادة أو اتخاذ اجراءات عنيفة •

وقد شهدنا فترة تجرأ فيها صحفى فكتب نقدا لتسريح مذيعة بالتليفزيون المصرى فاذا بالسلطان فى ذلك الحين يطيح بالصحفى ويكسر قلمه ويجعل منه أمثولة تتوعد كل من يحاول يوما أن ينقد أى شىء •

واليوم نرى الأبطال الورقيين يهاجمون فى حدة وفى عنف وفى ظلم وفى طغيان كل شىء وكل انسان ويجرؤون مع هذا أن يصيحوا أين هى الحرية ولا يجدون من يقول لهم الحرية هى هذا الذى تكتبون ولكنكم تتاجرون بأوطانكم وتبيعون سمعتها الى الدول التى تدفع لكم وتقبضون الثمن أحيانا برسم أنفسكم أبطالا أمام مواطنيكم لأننا شعب تعود أن يعتبر المهاجم بطلا والمؤيد منافقا وكأن الشعب لم يدرك بعد أن الحال اليوم قد انقلب تماما فالمؤيدون اليوم هم المهددون بالقتل والمعارضون اليوم هم الناعمون بالأموال تنكب عليهم من دول وجماعات وصحف ومجلات •

والهجوم يتمثل في ألفاظ وجمل ذات رنين وصراخ ولكنها لاتثبت للنقاش ولا تقف مع منطق • ولو أنهم كتبوا نقدهم بشيء ولو قليل من الرأى والفكر حتى يكون الأمر موضوع نقاش وجدل شأن المحترمين من البشر لكان هذا بهم أمثل وأخلق •

وكان في هذا لو يعقلون اكرام لأقــلامهم وارتفاع بها عن رخص البضاعة وعن حقارة الظلم وعن اسفاف الطغاة •

وان أحدا لم يسلب الرئيس الحالى شـيئا من المكنات التى كان يطغى بها الطاغية • ولكنه لأنه قوي ولأنه مطمئن الى صلته بالله سبحانه• ولأنه واثق أنه لم يظلم أحدا ولم يعتد على حق أو كرامة انســان ليس يعنيه أن يهاجم المهاجمون الذين يحاولون أن يتقافزوا على أكتافه فهى أكتاف صلبة لرجل قوى هيهات أن يضعف أمام هذا الهراء الذى عرف به تجار القــلم أدعيــاء البطولة فانهم هــم الضعاف لأنهم هــم الذين لم يستطيعوا أن يثبتوا أمام اغراء المال • ولم يستطع بعض منهم آخرون أن يثبتوا أمام اغراء ادعاء البطولة الفارغة •

وكم هو ميسور سهل أن آتى بكتاباتهم وسيوف الطاغية مشهرة مرفوعة وأقدمها للقراء ليروا أبطال اليوم وهو يعفرون حــر رؤوسهم فى تراب الحاكم وعلى عتبات سجونه ولكنى أربأ بنفسى أن أصــدم الشعب فيمن يعتبرهم كتابه • وكم أتمنى أن يعفوا هم وينزلوا أنفسهم فى المكان الذى أحال انزالهم فيه بمقولة أنهم كتاب الشعب بينما هم فى الواقع يتاجرون بثقة الشعب فيهم وقد فاتهم انهم بهذا الذى يصنعون يتاجرون بأمتهم جميعا ويبيعون سمعتها رخيصة كل الرخص مهما تكن المبالغ التى يحصلون عليها الى المتقولين عليها والى الحاسدين لها والى الحاقدين الذين يسعدهم أن يروا مصر وهى فقيرة • وهى تعانى أزماتها جميعا هى الزعيمة وهى الامام وهى مصدر الاشعاع الثقافى والعلمى والفكرى والأدبى والفنى لكل ناطق بالعربية فى جميع أنحاء العالم وستظل كذلك مهما يتاجرون فى سمعتها عباد المال من بعض أبنائها • ومهما ترغم من الأنوف أنوف •

مايو ١٩٨٣/١٠/٣١ ••

وان خالها تخفى ..

وقف القلم طويلا قبل أن أبدأ هذا المقال ، فأنا أبحث عن تعريف يحدد الزمان الذى أريد أن أروى منه هذه القصة اليك · فهو فى زمان كان فيه الآدميون سلعة تباع وتشترى · وكانت السلعة تسمى العبيد فماذا ترانى أقول : لأميز هذا الزمان عن غيره · هل يصلح لى أن أقول زمن العبيد والسادة هيهات فان هذا التعريف يجعل الزمان يختلط بكل الأزمنة ويقع القارىء فى متاهة من التاريخ ولا يستطيع أن يتعرف على الزمان الذى أقصد اليه ·

فكل الأزمنة كان فيها عبيد أو كان فيها عبودية · وان كان العبيد فى الزمان الماضى يباعون ويشترون بالمال الصريح · فكم شهدنا من عهود كان الانسان فيها يباع بالوظيفة أو بالجنس أو بالمال وان كان الزمان الماضى يقر البيع بين المتعاقدين بايجاب من البائع وقبول من المشترى · فلكم شهدنا البائع هو البضـاعة ذاتها فباع النـاس أنفسهم للسلطان أو للشيطان أو للمرأة أو للرغبة أو لهوان نفس أو لضعة قصد أو لسقوط مروءة · وكأن بائعو أنفسهم لا يزالون يجدون المشترى حاضرا من قريب ·

وما أحسبك تلح على أن أقدم اليك الأمثلة فالأمثلة تطالعك كل يوم فى كتاب يبيعون أنفسهم وأوطانهم الى من يشترى فى سوق النخاسة الذى اتسع واستفحل أمره وأصبح المشـترون فيها دولا يمثلهـا رؤساء مخاريق وجدوا من يقول لهم ان من يبيع نفسه يبيع وطنه فألقوا بأموال شـعوبهم فى السوق واشتروا الأقلام · وأصبحت سوق العبيد حقيقة قائمة لا يحكمها قانون الا الخيانة ولا تضبطها قاعدة الا الوضاعة من بائع نفسه والمشترى جميعا ·

وكان العبيد فى ظلمة الحياة يبـاعون ويشترون بقوانين معلنة وضوابط واضحة · فهـل تحضر الزمان أم تأخر · وهل ارتفعت قيمة الانسان أم تدهورت ·

وبعـد فما زلت حائرا أبدأ رواية قصـتى اليك · فلأقل اذن فى ذلك الزمان الذى كانت فيه تجارة العبيد معلنه غير مستترة مشهورة غير مخبوءة كان هناك عبد يتوق الى الحريه · وكان يعرف ان سيده رجـل

صالح يقيم الصلاة ويأتى الزكاة . وكان هذا السيد معجبا بخطيب يخطب الجمعة فكان حريصا كل الحرص على أن يصلى كل أسبوع فى المسجد الذى يخطب فيه هذا الخطيب . فقصد العبد الى الخطيب يرجوه أن يجعل خطبة الجمعة عن وجوب اعتاق العبيد وأن يذكر الناس بقوله تعالى فى سورة البلد « فلا اقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة : فك رقبة » ووعد الخطيب أن يستجيب لرجاء العبد المشوق الى الحرية .

وانتظر العبد ومرت الأسابيع والخطيب فى كل جمعة ولكنه لا يفى بوعده ويعجب العبد . فهو يعرف هذا الرجل . ويعلم عنه أنه لا يعد الا أنجز فما باله فى هذه المرة يخلف وعده وينكص عنه .

وفى احدى الجمع خطب الخطيب فاذا خطبته كلها عن كرامة الانسان وعن كراهية الله للاستعباد وراح يقرأ بين المصلين كل ما جاء فى القرآن الكريم من حث للمؤمنين أن يعتقوا عبيدهم وان يتقربوا الى الذات العلية بفك الرقاب .

وفى نفس اليوم أطلق السيد العبد وفك عنه أسر العبودية . وقصد العبد الى الشيخ .

ــ شكر الله لك أيها الرجل الصالح .

ــ انما أديت واجبى يا بنى .

ــ وأوفيت بعهدك أيضا .

ــ ان العهد كان مسئولا يا بنى .

ــ ولكنك يا مولاى تراخيت فى انجاز وعدك وما عهدتك كذلك .

ــ يعلم الله وحده سبب هذا التراخى .

ــ ألا يجوز أن أعلمه أنا أيضا ؟

ــ لا بأس يا بنى . انك حين طلبت الى ذلك لم أكن أملك شيئا من المال فانتظرت حتى جمعت من المال ما يكفى لشراء عبد فاشتريته ثم أطلقته وحين فعلت وجدت من حقى أن أعظ الناس بفك رقاب الناس . لأن الواعظ لا يسمع قوله اذا لم يعظ المثل من نفسه . ولو كنت قد ألقيت خطبتى هذه دون أن أصنع ما صنعت ما استجاب لى سيدك السابق ولا استجاب لى غيره . فالكلمة تحمل قيمتها اذا صدرت عن شخص يعمل بها قبل الآخرين . ويجعل من نفسه المثل الذى به يتأسى السامعون وحينئذ .. وحينئذ فقط تقع الكلمة فى موقعها . وتبلغ من السامع حيث يريد لها أن تبلغ .

وكانت الحجة قاطعة وكرر الحر الشكر وانصرف عن الخطيب هانئا سعيدا ..

وأنا اليوم أذكر هذه القصة وقد طالعتها منذ قريب فى أحد الكتب لأنعم النظر فى مضطرب الحياة • فأجد الداعين الى الشرف هم أكثر الناس فجورا • والمتشدقين بالأمانة هم أعظم الناس خيانة ، والمتربعين على دست النصيحة هم أكثر الناس حاجة للنصيحة • فلا عجب اذن أن يذهب كلامهم هباء من الهباء • وكيف يسوغ عند الناس أن يروا المتحدث عن التقشف هو أكثر الناس ثراء •• جمع أمواله من الدول التى استأجرته ليهاجم مصر وحكام مصر حتى اذا نال من المال ما يكفى أحفاد أحفاد أحفاده قدم الى مصر يصيح فى النـــاس أن اكتفوا بالقليـــل واقفلوا الانفتاح وعودوا الى الانغـــلاق •

وكيف يسوغ عند الناس أن يروا المسئول يخطب فى كل يوم عن الأمانة والشرف والاستقامة وهم يعلمون عنه أنه لص خائن للأمانة مضيع للشرف لا اســتقامة له ألا اذا قصد الى السرقة والاغتصاب والنهب فانه حينئذ يعرف الطريق اليها حق المعرفة •

وكيف يسوغ عند الناس أن يتكلم قوم عن حق الله وهم ملحدون لا يعترفون بالله ولا بالأديان ولا بالروح فالعالم كله مادة والمادة هى أصل الكون •

وكيف يسوغ عند النـــاس أنه يرعى قوم الجرأة والبطولة اليوم والحرية متاحة والدار أمان والحكم شعاره القانون وقد رأيناهم يعفرون رؤوسهم على أعتاب الطغيان ويمتدحون بالظلم ويشيدون بالجبروت ثم هم اليوم يهاجمون الحرية وينتهزون منها فرصـــة ليظهروا أنفســـهم فى صورة الأبطال ويبيعون هجومهم الى الجرائد التى تطبع خارج مصر والتى تريد أن يزداد توزيعها بالهجوم على كبرى الدول العربية وما زيادة التوزيع لشراء من الجمهور وانما لشراء من الدول ••

ان جميع هؤلاء وأمثالهم يحسبون انهم قادرون أن يخفوا حقائقهم على الشعب وليس يعنيهم قول زهير بن أبى سلمى :

ومهما تـــكن عنـــد امرىء من خليـــقة
وان خـــالها تخفى على النـــاس تعلم

الأهـــرام ٦/١١/١٩٨٣ ••

الصدق احترام للشعب وللحكم

حين كانت تنتهى الانتخابات أو الاستفتاءات ويصدر بيان وزارة الداخلية أن الحضور كان بنسبة ٩٨٪ وأن عدد المؤيدين هو ٩٩٫٩٪ كان الشعب يتظاهر بأنه صدق النسبة ويسكت ولا يعلق أحد الا بالتهليل والتكبير والاعجاب والمظاهرات والحفلات · ويسمع العالم المتحضر هذه الأرقام ويسخر ما شاءت السخرية ويهزأ ما حلا له الهزء ولكن لم تكن مصر فى عهد الطغيان تعنى بسخرية المتحضرين وما كانت تحفل بالهزء منهم ·

وفى انتخابات مجلس الشورى الأخيرة أعلنت وزارة الداخلية أن عدد الحضور كان ٥١٪ وكنت أنتظر أن تطلع علينا صحف المعارضة مباركة هذا الصدق من الدولة · ولكن يبدو أن المعارضة قد أدمنت الكذب حتى لم تعد تطيق أن ترى الصدق ·

ولو أننا استقرأنا نسبة الحضور فى الانتخابات العامة فى دول العالم المتحضر لوجدناها جميعا أقل من هذه النسبة التى طلعت بها بيانات وزارة الداخلية · ·

وقد كان الأحرى بالكتاب أن يباركوا هذه النغمة الجديدة فى بيانات رجال الدولة بعد أن طال غيابها عن سمع مصر · ولكن على قلوب أقفالها · وقد غمر حب الكذب نفوس أبطال النفاق فاصبحوا لا يدرون كيف يعجبون بالصدق ·

وقد امتنعت الأحزاب المعارضة عن هذه الانتخابات وان هذه النسبة التى توجهت الى صناديق الانتخاب تعتبر نسبة كبيرة اذا نحن أخذنا فى الاعتبار أن الشعب أدرك أنه ليس هناك معركة ما ينبغى عليه أن يدلى فيها بصوته · وأن هؤلاء الذين أعطوا أصواتهم انما أرادوا فقط أن يعلنوا أنهم يؤيدون الحكم حتى وهو فى غير معركة مع معارضيه واذا كان رجال الفقه الدستورى يقولون ان عدم اعطاء الرأى هو فى ذاته رأى فان هذا لا ينطبق على ما وقع فى الانتخابات الأخيرة ·

فالامتناع هنا لم يكن رأيا ولا كان حجب ثقة انما كان عن شعور من أغلب الذين امتنعوا أن الحكم فى غير حاجة الى صوتهم ما دام المنافسون قد أضربوا عن دخول الانتخابات ·

والشعب المصرى يعلم أن الأحزاب حين امتنعت عن دخول الانتخاب لم يكن ذلك منها احتجاجا على طريقة الانتخاب بقدر ما كان ثقة من هذه الأحزاب أنها بعون « واحد أحد » لن تحصل على شيء ·

وأنا مع هذا لا أقبل فكرة الانتخاب بالأغلبية المطلقة فى نظام القائمة فهو ظاهرة غير مسبوقة · ولكن الاختيار هنا لمجلس شورى لم يتمتع بعد بما تتمتع به المجالس التشريعية من حقوق تفرض بها رأيها على السلطة التنفيذية · انما يريد أولو الشأن أن يختاروا قوما يستشيرونهم فى شئون الدولة دون أن تكون مشورتهم ملزمة فلا بأس على الرئيس اذن أن يختار مستشاريه واذا هو رأى أن يشترك الشعب فى اختيار هؤلاء المستشارين كان ذلك منه أحرى وأولى ·

ولكننى أعتقد أنه حين تعطى الحقوق التشريعية كاملة لمجلس الشورى فانه لابد حينئذ أن تكون الانتخابات له بالقائمة النسبية شأنه فى ذلك شأن مجلس الشعب ·

وانى واثق ان هذا الذى أطالب به لا يغيب عن ذهن المشرعين حين ينال مجلس الشورى حقوقه التشريعية كاملة ··

وبعد فالديمقراطية بعد عشرات السنين من الديكتاتورية لابد لها أن تمشى فى خطى وئيدة وثابتة فى وقت معا · والطفرة فيها تؤدى الى كوارث لا قبل لدولة بها · فالارهابيون لا يجدون حصانا خيرا من الديمقراطية ليصل بهم الى هدم أنظمة الدولة جميعا ·

وليس ذلك لأننا دولة جديدة فى الديمقراطية فقد عرفناها منذ سنوات طويلة ورأيناها وهى تزدهر وتضيء ورأيناها وهى تتعثر وتخبو وشهدنا رئيس الوزراء الذى سقط فى الانتخابات شهدنا أيضا أعضاء الشيوخ الذين يطردون بالجملة · وشهدنا كذلك المحتل وهو يعبث بالديمقراطية بكل وسائل العبث ·

ولكن الذى لاشك فيه أن الديمقراطية قد غابت عن مصر فترة بلغت ثمانية عشر عاما وما هذه الأعوام بالشيء القليل فحين تعود الديمقراطية فلا عجب أن تحس أنها غريبة بعض الشيء وأنها تحتاج لسنوات لتكتمل ملامحها وتقوى مؤسساتها · أما التهريج بها والدجل باسمها والكسب المالى بشعاراتها فما هو من الوطنية فى شيء ولا من الأمانة ولا هو أيضا ديمقراطية · وانما هو ديكتاتورية قلم واستغلال لثقة الشعب شر استغلال ·

مايو ٧/١١/١٩٨٣ ··

لو .. حرف امتناع الوجود

انتمى الى ثورة ١٩ بالمولد فأبى أحد رجالها وما أنا بحاجة الى ذكر دوره فيها ، فقد اغنانى عن ذلك كبير مؤرخى العصر عبد الرحمن الرافعى كما أغنانى الأستاذ عبد الحميد جودة السحار بما أورده فى مذكراته عن هذه الفترة وكذلك فعل كل من كتب عن هذه الثورة الخالدة فى تاريخ مصر .

وقد عرفت من أبى تاريخ هذه الثورة منذ بدأت حتى انتهت بتصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ذلك التصريح الخالد فى تاريخ مصر الذى قال عنه شوقى .

اذا التصريح كان براح كفر
فلم جن الرجال به غراما

وكيف يكون فى أيد حلالا
وفى أخرى من الأيدى حراما

وما أدرى غداة سقيتموه
اترياقا سقيتم أم سماما

وهذا الكلام كان موجها يومذاك الى حزب الوفد الذى رفض التصريح ثم انتفع بأثاره بصورة لم تتحقق للحزب الذى أتى بالتصريح والذى اشترك فى وضع الدستور .. واذا نحن مضينا فى هذا الحديث لما انتهينا وما الى هذه الأحداث نظرت وأنا أكتب مقالى هذا .. وانما هو استطراد أغرانى به الحديث عن الثورة الخالدة .

وكنت عرفت فيما عرفت من أبى أن ثورة سنة ١٩١٩ بدأت فى كلية الحقوق بعد أن كان الشعب المصرى كله متحفزا لها منتظرا لقيامها فى أية لحظة فكانت مصر يوم ذلك شعلة معبأة تنتظر الشرارة وتتوقعها من أى مصدر حتى انقدحت الشرارة من كلية الحقوق ..

وعرفت بعد ذلك الرئيس السابق المرحوم خالد الذكر ابراهيم عبد الهادى باشا وكنت دائم الزيارة له لفترة تقارب العشرين عاما .

وعرفت منه أن طلبة الحقوق نظموا مظاهرة تجمعت فى فناء الكلية تهتف هتافات معادية للاحتلال الذى نفى سعد زغلول ومحمد محمود واسماعيل صدقى وحمد الباسل ووقف ناظر الحقوق الانجليزى يخطب فى الطلبة ويأمرهم بأن يعودوا للدراسة التى جاءوا ليتلقوها رافضا منهم أن يعملوا بالسياسة ٠

وصعد ابراهيم عبد الهادى من بين الطلبة ووقف الى جانب الناظر وقال له : اننا جئنا هنا لنتعلم الحقوق ولا سبيل لنا أن نتعلم الحقوق من قوم نفوا آباءنا عن أرض الوطن ٠ وليس من المعقول أن نعرف الحقوق من قوم اغتصبوا حقوق بلادنا ثم هتف « تحيا الثورة » وبدأت ثورة ١٩١٩ ٠

وقرأت مثل هذا أيضا دون ذكر أسماء فى كتاب الرافعى وقرأته أيضا بلا أسماء فى الروايات التى أرخت للثورة مثل رواية أستاذنا نجيب محفوظ (بين القصرين) وكتبته أنا فى روايتى « الضباب » ثم كتبته بصورة أخرى فى روايتى طائر فى العنق وأيضا لم أذكر أسماء لأن الرواية تنقل أثار الأحداث وليس من شأنها أن تؤرخ للأحداث ٠٠ ولكنها مع ذلك اذا تعرضت للتاريخ تحتم عليها الا تشوه معالمه والا تطمس سماته الكبرى ٠٠

وكم أنا سعيد أن ينشر هذا الذى أكتبه فى نفس اليوم الذى اختاره الخالدون الثلاثة سعد ــ وعبد العزيز فهمى ــ وعلى شعراوى ليذهبوا الى المندوب البريطانى ويطالبوا بانهاء الاحتلال والجلاء عن بلادهم بادئين بذلك أعظم ثورة شعبية عرفها التاريخ الحديث ٠

وكم أنا أسف حزين ان أذكر السبب الذى جعلنى أكتب هذا الذى أكتب فقد شاء قدرى أن أشاهد فى التليفزيون المصرى رواية عن سلطانة الطرب (منيرة المهدية) فشهدت عجبا ٠٠٠ !!

رأيت تاريخ مصر تصنعه المغنيات والراقصات ٠٠ ورأيت السينما المصرية تسجل كفاح مصر بزعامة أولئك المغنيات والراقصات ٠٠ فقد شهدنا ألمظ وكأنها مصطفى كامل وعبده الحامولى وكأنه محمد فريد ٠٠ وشفيقة القبطية وكأنها سينوت حنا وها نحن أولاء نشاهد منيرة المهدية وكأنها سعد زغلول وزوج ابنتها ابراهيم عبد العال وكأنه ابراهيم عبد الهادى ٠

وتلك كارثة ولكن انتظر فان الداهية الكبرى لم أذكرها بعد لقد فوجئت ان كل الذى عرفته من أبى ومن ابراهيم عبد الهادي ومن عبد الرحمن الرافعى ومن السحار ومن نجيب محفوظ ومن كل الذين كتبوا عن ثورة ١٩١٩ وكل الذين عرفتهم من رجالات هذه الثورة مثل النقراشي باشا وأحمد ماهر باشا لم يكن تاريخا وانما كان تأليفا •

فالثورة لم تنقدح شرارتها من كلية الحقوق كما روى أعلامها ، وكما ذكر التاريخ وكما قالت الحقب ••

وانما الحقيقة كما جاءت فى الفيلم ان الثورة بدأت من كباريه منيرة المهدية بين كاسات الخمر وضرب الدفوف وعزف الأوتار ، وهز الوسط ودق الصاجات ••

وحسب تاريخ مصر الله انه سبحانه وتعالى نعم الوكيل ••

ولكن يبقى شيء فى هذا الفيلم التاريخى الجليل فهو مثل كل المصائب ليس يخلو من ظاهرة تستحق التسجيل •• فقد صور الفيلم عودة منيرة المهدية الى الغناء فى أخريات حياتها بعد أن يبس صوتها وجف ماؤها وتقلصت عن نغماتها الطلاوة وانحسر انطلاقها الى خفوت ووهن ••

والجمهور وحش كاسر حين يتصدى للحكم على فن من الفنون فهو لا يذكر للفنان الذى يعرض عليه فنه ماضيه ولا سابقته فى الميدان وليس يرعى له تقدم سن وليس ينظر الى السنوات الثقال التى يحملها المشتغل فى الميدان العام مهما يكن نوع هذا الميدان فنا كان أو سياسة أو ثقافة •

وانما هو يعنى فقط بما يعرض عليه ••

وقد وقعت منيرة المهدية فى خطأ فادح حين حاولت أن ترغم الأيام على الشباب فى حين الأيام عجوز مثقلة بالشيخوخة •

ولكن العجيب أن منيرة المهدية لم تكن أول من حاولت هذه المحاولة مع الأيام وهكذا لم يكن عجبا أن تكون الأخيرة فمازلنا نشهد من يحاول أن يضفى الشباب على الشيخوخة •

ويعيد التاريخ نفسه •• ويرغم الواقع الواهمين أن يفيقوا الى الحقيقة ويفيئوا الى الرشد •• ولكنهم مساكين فانهم لا يفيقون ولا يفيئون الا بعد أن يكونوا قد أهدروا كرامة الكبر فيهم وسحقوا جلال السنين •

وتلك سنة الحياة في أبنائها فكل انسان يظن أنه ما يقع للآخرين لا يمكن أن يقع له ، وكل إنسان يظن أنه استثناء من البشر لا يجرى عليه ما يجرى على سائر أبناء البشر ٠

ولو ان البشر اتخذ من تاريخ البشر عبرة لحفظ الكبير كرامته ولامتنع القاتل عن القتل وارتدع السارق عن السرقة ٠٠

و (لو) حرف امتناع لوجود ٠٠ فكيف تكون دنيا اذن اذا هى لم تمتلىء بالمضيعين لكرامتهم الممتهنين لحياة الانسان المعتدين على حقوق الآخرين ؟!!

الأهـــرام ١٣/١١/١٩٨٣ ٠٠

العرب والثقافة الشيوعيـة

من الطبيعي السائغ أن يصدر حزب شيوعي جريدة شيوعية فليس عليه في ذلك حرج ولا مأخذ • انما المأخذ يكون في اختلاق الأكاذيب وفي الاعتماد المالي على غير قرائه والدولة التي يصدر فيها • ويكون المأخذ حين يشجب عملا تقوم به دولة غير شيوعية ويبارك نفس العمل اذا قامت به روسيا • انما هذه مآخذ يعرفها أصحاب الضمير وهم — للأسف — بلا ضمير • ومن لا ضمير له لا تجوز معه محاسبة وان وجبت معه مقاطعة • لأن الكاتب ضمير • والشعب قادر دائما بقوة من روح الله أن يكشف من يختانون ثقته ويزيفون عليه الحقائق • وأخشى أن أمضي في هذا المضمار الى غاية أخرى لست اتغياها من كلمتي هذه • وحديث الافاعي طويل المدى كما قال أمير الشعراء شوقي •

وانما العجب كل العجب أن تصدر عن حكومة مصر وهي الدولة الاسلامية مجلات شيوعية لحما ودما • ولست أقصد المجلات القومية ومنها الشيوعي أيضا وانما أقصد المجلات التي تصدر عن وزارة الثقافة المصرية •

كيف تكون هذه المجـلات شيوعية وهي واجهـة مصر الرسمية • هل أصبحت ثقافة مصر شيوعية دون أن يعرف مثقفو مصر •

تلك كارثة •

وأخـــرى •

أرى جرائد ومجلات عربية تصدر عن بلاد اسلامية ، الدين فيها هو الحياة جميعا ومع ذلك تتجه هذه المجلات والجرائد وجهة شيوعية عنيفة ولكن بطريقة مستترة مرن الشيوعيون على اخضاعها • فهم يشيدون بالكتاب الشيوعيين ويستكتبونهم • ولا يذكرون في جرائدهم أو مجلاتهم جملة واحدة تدين الالحاد الشيوعي أو التصرفات الشيوعية غير الانسانية مع الدول أو الآدميين على السواء • ما هذا الذي يحدث في الصحافة العربية الاسلامية • أيكون القائمون على أمرها ضمنوا أن يقرأ المسلمون والمؤمنون صحافتهم فهم يبحثون عن قراء آخرين من مذاهب الالحاد والكفر الشيوعي • وما حاجتهم الى هؤلاء القراء والمال عند هذه الصحافة موفور

بحمد الله . والقراء الملحدون قلة لا يقـــام لهم وزن ولا يحسب لهم حســـاب .

وأخـــرى .

شهدت فى بعض البلاد العربية الاسلامية التى زرتها مثقفين بالغى الثراء ومع ذلك رأيتهم يتبنون المذهب الالحادى . واحسب أنهم يقولون فى أنفسهم أنهم ماداموا قد ضمنوا الثراء والسعة والرفاهية فعليهم أن يبحثوا عن الشهرة . وأحسب أنهم ظنوا أن الشهرة تجىء من الشيوعيين لأنهم أصحاب طبل وزمر وأصوات مرتفعة وصخب وضجيج وصراخ .

وأحسب أيضا أنهم فكروا أن الشهرة تكون اذا وقع الفعل من شخص ليس من المتوقع أن يحدثه . فاذا شوهد صاحب دين فى مشرب خمر أصاب شهرة واذا شوهد صاحب فسق فى جامع أصاب شهرة . ومن المقطوع به أن الشيوعية غير متوقعة من مسلم أو مؤمن . وهى أيضا غير منتظرة من ثرى واسع الثراء .

لكن فاتهم أن شهرة هذا شأنها قصيرة الأمد سريعة الزوال ما تومض حتى تخبو ، ولا تبدو حتى تمحى . ويطويها الزمان فى أغلفة النسيان .

فالشهرة فى الفن والثقافة لا تكون الا بما ينتجه الفنان والمثقف . ولو أن روسيا وجيوشها وأقمارها الصناعية ودباباتها فى أفغانستان وفى غير أفغانستان وحول الكرملين حاولت أن تقيم كاتبا من جاهل أو مثقفا من غبى أو فنانا من غير موهبة لما استطاعت .

فقد تخضع الشعوب للقهر فى كل شىء الا فى أحكامها على أصحاب الأقلام أو أصحاب المواهب . فذلك حق خالص للشعوب لا يتنازعها فيه منازع ولا يرغمها عليها حاكم مهما تكن أسلحته وبالغا ما بلغ جبروته .

وكذلك لا تستطيع الأقمار والأساطيل والدبابات أن تحرم أديبا من اعجاب الشعوب . والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى . وبحسبنا نظرة واحدة الى الاتحاد السوفيتى وما حاوله مع كتابه وكيف باءت الدولة بالهزيمة والفشل وفاز الكتاب بالنصر والبقاء سنة الله فى عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا ؟

مايو ١٩٨٣/١١/١٤ ..

لا يصلح العلم فوضى

قرأت فى مجلة أكتوبر مقالة لأخى الكاتب الكبير انيس منصور أجد من الأمانة أن أشيد بها وأن أضم صوتى الى صوته فيما ينادى به • وحسبنا نحن الكتاب ان نصرخ فما لنا فى الحياة الا هذا القلم نصرخ به ونستصرخ المسئولين الى ما نراه حقا • فقد تصدى انيس منصور الى مشكلة التعليم وما يواجهه أبناء مصر من كارثة بسببه •

فالدولة تقدم العلم مجانا لكل أبنائها • وهذا فى ذاته واجب عليها ينبغى ان تتصدى له • ولكننا ما عرفنا واجبا لا يلازمه حق الا فى مصر • وقديما قال علماء القانون والمجتمع ان الحق والواجب كوجهى العملة فاذا تصـــورنا انتزاع وجه من وجهى العملة أمكننا تصـــور وجود واجب لا يلازمه حق •

فالدولة حين تتيح للتلميذ ان يتعلم على نفقتها أصبح حتما على التلميذ ان ينجح لأنه حين يرسب انما ينتهب حق النجباء من التلاميذ الذين لا يرسبون ولهذا يتعين على الدولة ان يكون التعليم فى مدارسها مجانيا مادام التلميذ ينجح اما اذا رسب فعليه ان يدفع مصاريف تعليمه كامـــلة •

فاذا تكرر رسوبه تحتم ان تحوله الدولة من التعليم العام الى التعليم المهنى •

كذلك ينبغى ان تنظر الدولة فى شأن التلاميذ الضعاف فى الشهادات العامة وتحول الذين لا يحصلون على مجموع معين فى الشهادة الاعدادية الى التعليم المهنى • فقد أصبحنا فى حاجة شديدة الى متخرجين فى هذا النوع من التعليم • والدولة بهذا لا تصادر مستقبل التلاميذ وانما هى تجعل التلميذ يسير فى الطريق الأمثل له ونبعد به عن طريق أغلب الأمر انه يحقق فيه نجاحا • ومن العجب اننا نسمع بعض الناس يقولون ان التفوق فى التعليم لا يدل على النجابة • وقد يخذل المستقبل تلميذا كان فى طليعة اخوانه فى فصول الدراسة • وقد تنفتح الآفاق أمام تلاميذ لم يكونوا من المتقدمين فى دراستهم •

ويقول أمير الشعراء شوقى :

وكـــم منجب فى تلقى الـــدروس
تلـــقى الحيـــاة فـــلم ينجب

ويقول آخــرون ان العقــاد وهو العقــاد لم يحصــل الا على الشهادة الابتدائية وأن تشرشل لم يكن نابغا فى الدراسة وكذلك شأن كثيرين من العلماء وكبار الساسة ٠

ولكن هؤلاء جميعا استثناء من القاعدة العامة ٠ واذا كان غير الناجبين ذوى طموح فعليهم أن يدفعوا مصاريف دراستهم ٠ وعليهم أيضا أن يثقفوا أنفسهم كما ثقف العقاد وتشرشل جميع النابغين الذين لم يكونوا نجباء فى دراستهم أنفسهم ٠

ويقول انيس فى مقالته ان تعيين الدولة لجميع الخريجين يجعل الشاب لين العريكة خائرا فى مواجهة الحياة يرضى منها بالأدنى ولا يتطلع الى الأسمى ويكتفى بالبخيس من العيش ولا يتطلع الى الأرفع ٠

والحق ان تعيين جميع الخريجين أمر يرهق الدولة ارهاقا لا تطيقه أية دولة فى العالم ٠ وليس الارهاق متأتيا من مرتبات الخريجين وانما هو يتمثل أسوأ ما يتمثل فى تراكم الاعداد الضخمة على أعمال الدولة ٠ فالعمل الذى ينبغى ان يقوم به موظف واحد نجد الدولة ترصد له مائة موظف وتصبح المسئولية شائعة بينهم ٠ وحين تشيع المسئولية تضيع ولا تجد الدولة من تسائله عنها ٠

ولست أدرى أى بأس فى أن تقدم الدولة مرتبا لكل خريج ما دام بغير عمل حتى اذا وجد عملا فى أى مرفق انقطع عنه هذا المرتب ٠ ويكون بذلك شأننا شأن أعظم الدول الديموقراطية واغناها أيضا ٠ تلك التى تعطى مرتبات فى حالة البطالة ٠ ولكن أغنى الدول هذه لا تطيق مواردها تعيين كل المتخرجين فى مرافق الحكومة لأنها تعلم علم يقين انها اذا فعلت ستصاب الدولة بالشلل الكامل الذى نواجهه نحن ٠

واخرى ٠

لماذا لا يدفع القادرون مصاريف أولادهم ٠ وليكن ذلك باختيارهم فالله وحده هو المطلع على أحوال الناس المالية ٠ فقد يبدو المرء ثريا متعففا ورزقه مقدور عليه لا سعة فيه ٠ أو قد يبدو آخر فقيرا معدما وهو مكتنز يجمع المال بشر الوسائل ويحميه عن الانفاق ببذل ماء الوجه ، وسفح الكرامة ، واهدار الاحترام ٠ ولعل من أجمل الأبيات التى سمعتها فى هذا الشأن من الحياة قول شاعر قديم :

وقائلة ما بـال لـونك حائـلا
فقلت لهـا خل الأمور كمـا هيا

اذا قلت عن زهـد تمـدحت خلتى
وان قلت عن فقر شـكوت الهيا

فلا عجب اذن ان يكون الانسان ذا كرامة ويخفى فقرا ، أو ذا وقاحة ويخفى غنى • والله وحده العليم بدخائل الناس وحقائق يسرهم وعسرهم •

فليكن اذن التعليم المجانى اختياريا ولتقدر المدارس مصاريف يدفعها من يشاء ويعفى منها من يرغب فى ذلك •

والناس معادن • وليس كل الناس سفلة يضنون بالمال على دولتهم وينتهبون منها مصاريف تعليم أولادهم وهم عليها قادرون وكم رأينا اناسا يطحنهم الفقر ويؤدون الأمانات الى أهلها • وأعلم أيضا أن هناك أقواما يغصون بالغنى ويشرقون بالمال ويختلسون الأموال من كل مظنة لها •

فالغنى والفقر انما يتمثلان فى نفس الانسان وليس فى جيبه ولا فى حسابات البنوك •

الأهـرام ٢٠/١١/١٩٨٣ ••

ومن الصمت كلام

النص فى أى ناحية من نواحى الحياة هو مساجلة بين فكر وفكر وبين رأى ورأى ولابد أن تتوافر لهذا النقاش عوامل لا غنى عنها • أول هذه العوامل أن يكون كل صاحب رأى انما ينطلق فى رأيه عن باعث شريف وليس شخصيا • فاذا تدخل العامل الشخصى أصبحت الحجة واهنة متهافتة • فالنقاش هو صراع شريف بين رأى ورأى وبين فكر وفكر وبين علم وعلم • ولا يصلح أن يكون بين رأى يصدر عن العقل وبين رأى آخر يصدر عن الجيب أو حساب البنك • فالواديان مختلفان واللغتان متنافرتان ولن ينتج النقاش بينهما رأيا نيرا بأية حال •

فالنقاش الشريف لابد له أن يكون هادفا الى اقتناع أحد المتناقشين برأى الآخر • فاذا كان أحد المتناقشين مقيد الضمير بما يتلقاه من مال مقابل الدفاع عن رأيه • فهو بضميره المباع سيظل يدافع عن هذا الرأى حتى اذا اقتنع بالرأى الآخر • بل لعله مقتنع بالرأى الآخر قبل أن يبدأ النقاش ولكنه عازف عنه لأنه رأى لا يشترى ضمائر الناس •

فالنقاش اذن فى هذه الحالة لغو لا طائل تحته وثرثرة لا فائدة منها وشقشقة لا تؤدى الى مقصد أو هدف •

ومن الحتم أيضا أن يكون المتناقشان متحررين تماما من أية مؤثرات خارجية • فلا يكون لأحد الطرفين سيطرة من أى نوع على الطرف الآخر • ولعل هذا هو السبب الذى من أجله منعت دساتير العالم موظفى الحكومة أن يكونوا أعضاء فى المجالس التشريعية • فالمنطق ليس يقبل أن يناقش موظف باحدى الوزارات وزيره الذى يمسك بيده مقدراته ومستقبله الوظيفى • واذا لم يناقش موظف الوزارة شئون الوزارة التى يعمل بها والتى يعرف من خفاياها ما لا يعرفه أعضاء المجالس النيابية الآخرين فأى شأن يناقش اذن • ومادام لن يناقش فما بقاؤه فى كرسى النيابة وهو منتخب له لكى يناقش مشرعا كان فى مناقشته أمر مراقبا للسلطة التنفيذية •

ويدخل فى هذا الاطار أيضا • أن الموظف فى الأغلب الأعم يستحيل عليه أن يراقب وزيره وهو وزيره • فهو فى الأغلب الأعم أيضا لن يناقشه

الا حين يترك الوزارة ويكون السيف قد سبق العزل • ويومذاك لات حين نقـــاش •

وليس من الحتم أن يكون المتناقشان على مستوى واحد من الهيئـة الاجتماعية • فقد يكون شخص ما عالما وفى غير منصب وقد يكون آخر جاهلا وفى منصب • فالعلم لا يبحث عن المناصب وانما يبحث عن العقول • والمناصب كثيرا ما تخطىء طريقها الى العقول الراجحة أو العلم الوفير •

انما من الحتم أن يكون المتناقشان على مســـتوى واحد من الثقة بالنفس فلا يشعر أحدهما أنه أقل شأنا من الآخر • والثقة بالنفس مصدرها الشخصية المطمئنة الى ما تقدم من حجة • ومصدرها الجرأة التى يركبها الله سبحانه وتعالى فى بعض النفوس ويحرم منها نفوسا أخرى • فاذا تخاذل المتنافس عن جبن أصبح النقاش غير متكافىء • وحين ينعدم التكافؤ ينهار النقاش ويمسى غير ذى موضوع •

واختلاق الأكاذيب وافتعال البطولات وامتشاق السيوف الورقية كل هذا وأمثاله يجعل من يستعمله ضعيفا هزيلا واضح الأنهيار فى حجته لأن صاحب الحجة القوية يتركها هى تفعل فعلها فى اقامة الدليل على ما يرى • ولا يلجأ لاجىء الى هذه الأفاعيل الا حين يرى نفسه جريحا فى الميدان فهو يفضل أن ينتحر بالكذب والادعاء ويلبس ما لا يناسبه من ثياب • وهكذا نجد أن كثيرا مما يقال يغضى عنه الكرام ويعفون أن يعلقوا عليه • لأنهم يرون أن الكلام غير جدير بالنقاش وأن قائله أهون من أن يكون طرفا فى منـــاظره •

وفى كثير من الأحيان يكون الصمت أبلغ من الكلام • ومن درس المرافعات يعلم أن هناك نوعا من المرافعة اسمه المرافعة بالصمت • وكثيرا ما يلجأ اليهم الكرام فى مضطرب الحياة لأنها كثيرة ما تكون بالكرام أجدر وأحـــرى •

مايو ١٩٨٣/١١/٢١ ••

لا يغلب ظلم حقا

قال الشــــاعر :

تلو باطلا وجلوا صــــارما وقالوا صدقنا فقلنــــا نعم

وقد شاء الله لمصر ان تميع فيها الأمور ويجلس على عرشها ملك كان فى زمانه شر الملوك جميعا ، طيش احمق ، وخفة جاهل ، وغيبة ضمير ، وسوء مظهر ومخبر ٠

وكانت الثورة يومذاك املا ٠ وتحقق الأمل ٠ واشرقت نفــوس الشعوب مرتقبة الفجر ، ولكن صدق على مصر بيت الشعر :

على الــذم بتنـا مجمعين وحالنـا
من الرعب حال المجمعين على الحمد

ولم يكن الشعب يستطيع ان يصنع شيئا وسيف الظلم مشهر على الرؤوس فلم يكن للشعب بد من ان يقول نعم واللهو بحياة الشعوب لابد ان ينتهى بكارثة تحل على الجميع ٠ الباطشين ومن بطش بهم فى وقت معا ٠ وكانت كارثة ٦٧ فاذا هى تتسع ويتأجج سعيرها فيشمل العالم العربى اجمع ولا تكتفى بمصر وحدها وانما هى تمعن فى بلواها فتحطم مع كرامتنا تاريخنا وأمجادنا وآمالنا ٠

ولما كانت سنة الكون أن تتأدى كل موجة فيه الى انحسار ٠ فقد أذن الله لمصر ان يتولى أمورها رجل راشد صادق الوطنية عميق الشعور بمصريته ووقف ينظر الخراب وادرك انه بين اثنتين لا ثالث لهما ٠ أما أن تنتصر مصر فى حرب ترد اليها والى العرب الكرامة الضائعة والشرف المزال والمحطم من أمجادها ٠ وأما ان نموت جميعا فى ساحة القتال ٠ وكثيرا ما يكون الموت خيرا من الحياة ٠

وكانت حرب ٧٣ ٠ وما كانت حرب ٧٣ لتصل الى الانتصار الذى حققته اذا لم يكن السادات قد ادرك قبل ان يعد لها ان الشعب يحتاج أن يشعر بانتمائه الى مصر وانه لن يشعر بهذا الانتماء وهذه الطغمة من الذئاب الدموية تنتاش لحمه وكرامته وأمنه وحياته ٠ فكانت ثورة مايو هى التمهيد الطبيعى للحرب ٠

وبعد أن هزمت مصر في ٦٧ وليس بيننا وبين العدو قناة السويس ولا خط برليف • انتصر الجيش المصرى نفسه وعبر بحور النـار وحطم اسطورة بارليف ورفع العلم المصرى على جبال كنا على يقين ان القدم المصرية لن تطأها •

وشفع السادات هذا الانتصار الحربى الذى أذهل العالم بانتصار سياسى لم يسبق له مثيل فى التاريخ وحقق لمصر السلام الذى لولاه لكان حالنا اليوم مثل الشعب اللبنانى الذى امست حياة أبنائه نهبا للصديق والعدو وللحليف والخصم حتى لا يدرى بين الذين يعيشون فى ساحته من محب ومن كاره • ومن يؤازر ومن يهاجم وحسبه الله ونعم الوكيل • ولما كان العظماء يقدمون دماءهم ثمنا لشجاعتهم فقد شاء الله سبحانه فى علياء سمائه ان تكون نهاية السادات فى يوم مجده وفخاره وان يراق دمه فداء لشجاعته •

وحكم مصر حسنى مبارك وقد ادرك أن الحكم اليوم للحرية الحقة الصادقة وليست الحرية المكذوبة المشوهة • فمصر اليوم عزيزة الجانب مطمئنة الى سلام موثق لا شك فيه • ومصر تحتاج ان تستعيد الثقة المالية التى محاها حكم الطغاه والثقة لا تعود الى دولة اذا لم تكن الحرية هى أساس الحكم فيها وقاعدة الحياة بين ربوعها •

وأتاح حسنى مبارك للحرية فى مصر ان تكون هى الحياة • فأصبح تجار الكلام ادعياء البطولة يستخدمون الحرية فى الاعتداء على أقدار الناس • ولكن تلك هى الحرية • ولم يكن حسنى مبارك يجهل ان الحرية تفتح ساحتها للشرفاء ولغير الشرفاء • وهكذا اتضح الرئيس حسنى مبارك عن زعيم يعتبر قمة فى القوة وشدة البأس •

وكانت قوته متمثلة فى قبوله لكل ما يقال لا يحاول ان يستعمل سلطاته فى قمع قائل أو فى اسكات مبطل كذوب • وانما جعل الأمر للرأى وحده ودون ان يتدخل السلطان فى هذا الرأى فالقوة الحقة انما هى أن يملك الحاكم نفسه لا يفلت من يده زمام الأمر فى غضبه أو سخطه فالحاكم أقوى ما يكون الحاكم هو الواثق بأن ما يفعله هو الحق وما يتغياه هو الخـــير •

فاذا انتقد ناقد نظر فيما يقول فان كان حقا انتفع به وان كان باطلا اعرض عنه دون أن يمس المبطل بأذى وحسبه رأى الناس فيما يقول ولما كانت الحرية فى مصر اليوم كاشراق الصباح الذى لا خلاف عليه •

فقد ادرك أولئك الذين امتصوا دماء الشعب وأصبح ثراؤهم بها يطاول أشد عتاة الرأسمالية ان لا سبيل لهم أن يعودوا الى الحكم الا أن

يتنادوا ويصطرخوا ضاعت الحرية فادركها يا شعب مصر • وضاعت الثورة فهبوا يا أبناء مصر •

ولو أنهم ينشدون الحق وحده لكان تناديهم ضاعت حريتنا في قتلك يا شعب مصر • فأعد رقابك الى أفواهنا •

وضاعت مصادر الثروة من أيدينا فلا نملك اليوم ان نزيدها فأعطنا ثروتك يا شعب مصر •

وهم يدركون ان الذى بقى من الثورة هو خير ما جاءت به من هدم للملكية واعلاء لقيم هم لم يحافظوا عليها وهم من حاولوا أن يطمسوها ولكنها بقيت لأنها أصيلة •

وهم يعلمون ان الحرية التى تعيشها مصر اليوم هى التى سمحت لهم ان يصدر أحدهم بحزب ملحد جريدة أسبوعية ليس فيها الا الهجوم السافر على رئيس الدولة وكل شريف فى مصر وهى التى سمحت لبعض منهم ان يذهب الى البلاد العربية يستجدى من حكامها المال والرضا منتهزا فرصة الخلاف الطارىء بين مصر وبين تلك الدول • وسمحت لبعض آخرين ان يتآمر علنا على الحكم فى مصر •

وهم يعلمون علم يقين أنهم حين كانوا فى طغوتهم وجبروتهم كانوا يقتلون من يضع يده لمجرد السلام فى يد واحد من أعدائهم • والأمثلة معروفة ولم يعد اليوم شيء خافيا • ولكن على قلوب منهم اقفالها وفى الوجوه منهم صفاقة لا تكون الا للطواغيت • وانهم لهم الطواغيت •

الأهـــرام ١٩٨٣/١١/٢٧ ••

السياسة والمجالس التشريعية

المجالس التشريعية هى الواجهة الكبرى للديمقراطية فى كل أنحاء العالم • وكان الأمر فى أيام الرومان يطرح على الشعب كافة ويروح كل فرد يستعرض نفسه أمام الجمهور وكانت المنافسات تطول دون جدوى • ثم انتهى الأمر الى اختيار نواب عن الشعب وعرفت منذ ذلك الحين البعيد فكرة التمثيل النيابى • ولكن الديمقراطية ليست عبثا ولا هى مجرد تمثيل شرفى وانما هى مسئولية ضخمة ثقيلة • ومن أعجب ما قرأت أن أحد أباطرة الرومان أراد أن يترك الأمر تماما لمجلس الشيوخ ويجعل رأيه ملزما لا استشاريا • ففى هذا الزمن السحيق كان رأى الشعب أو رأى ممثليه مجرد مشورة يأخذ بها الامبراطور أو لا يأخذ • ولكن هذا الامبراطور الذى أروى عنه أراد أن يتنازل عن حقه ويتركه كله لممثلى الشعب • فأصدر قراره بأن يكون رأى مجلس الشورى هو الرأى النهائى ولا معقب عليه • وحتى يؤكد هذا المعنى ويشفع القول بالعمل سافر الى أطراف الامبراطورية •

واجتمع مجلس الشيوخ وعرض للموضوعات التى تحتاج الى رأى فاذا المجلس وهو الجماعة التى اختارها الشعب من كبار خطبائه ومفكريه وأصحاب الرأى فيه اذا هؤلاء يجمعون أمرهم على انهم لا يستطيعون أن يتحملوا المسئولية وحدهم ولابد أن يحمل عنهم الامبراطور هذا العبء وسافر الأعضاء جميعا الى الامبراطور وطالبوه أن يعود الى العاصمة ويصدر قراراته : أما هم فيكفيهم أن يكونوا مستشارين فحسب • وقد يقول قائل من أبناء هذا العصر الذى نعيش فيه اليوم أن هؤلاء عبيد تعودوا أن يستمعوا الى الأمر ويصدعوا به وأنهم عاجزون عن اصدار القرار •

بينما أرى أنا فيهم أنهم كانوا شرفاء أمناء مع شعبهم ومع أنفسهم وانهم رفضوا أن يحملوا مسئولية جديدة عليهم حرصا منهم على مصالح شعبهم • ولو لم يكونوا أمناء شرفاء لأصدروا قراراتهم ولتذهب صوالح شعبهم الى الجحيم •

فالديمقراطية تحتاج الى شعور عميق بالمسئولية وليس من السائغ أن يطلق فيها الرأى فجا ساذجا بلا دراسة وأعمال فكر والديمقراطية

ممارسة ومدارسة • فاذا انقطعت الديمقراطية فترة عن الممارسة كان لابد في العودة اليها أن تكون العودة واعية متفتحة نستعين فيها بالقمم العليا في جميع أنحاء الحياة ومختلف جنباتها •

فليس الصراع كافيا • وليست الشعارات الفارغة صالحة للممارسة الديمقراطية الفعالة • وانما لابد أن نقصد الى العلماء والفقهاء • نستعين بهم على فراغ الساحة من الساسة •

فالسياسي هو الذي يستعين بالعلماء في شتى الموضـــوعات التى يدرسها ثم يجمع آراءهم بنظرة السياسي والعالم بصوالح شعبه والخبير بالممارسة والمعايشة للحياة في كل متاهاتها ودروبها ومسالكها فيخرج رأيه أقرب ما يكون للصواب • لأن وظيفة السياسي أن ينظر الى المستقبل ويعد له وكأنه يراه رأى العين ويعرفه معرفة يقين •

وهذا لا يكون بضرب الرمل أو بالادعاء وانما يكون علما بالتاريخ وتعمقا بعيد الأغوار للنفس البشرية واستعانة بكل ذى علم فى علمه ويكون أيضا بموهبة فذة فالساسة يمسكون فى أيديهم أقدار البشرية جميعا • فاذا غابوا عن الميدان كان لابد أن تسعى الديمقراطية الى العلماء والخبراء بأمل أن يكون منهم مع الأيام ساسة •

والمجالس التشريعية هى ساحة الساسة • فيها يلتقى الرأى بالرأى ويصطرع الفكر بالفكر ومن رأى الأغلبية يكون القرار الذى يواجه اليوم ويتحسب الغد ، فالأغلبية وحدها لا تكفى وانما لابد لهذه الأغلبية من ساسة يبصرونها بخبرتهم الى شتى مناحى الفكرة وما لها وما عليها وما قد ينشأ عنها من خير أو شر •

فليست الديمقراطية مجرد شتيمة من المعارضة ورد من الحكومة •

وليست خطبا ولافتات • وليست صراخا وشق حناجر • وانما هى مستقبل شعب ومصير أمة وحياة أقوام أو موتهم • وكم من قرار صدر فأفنى أمما بأكملها لأنه صدر عن غير دراسة ولم يصدر عن باعث شريف وانما كان باعثه اعتساف ملابس بطولة زائفه • فاختيار نائب فى مجلس تشريعي أمر يعتبر فى حقيقته مصير أمة بأسرها ؟

مايو ٢٨/١١/١٩٨٣ ••

كان الله في عون التاريخ

شرفت بعضوية مجلس الشورى منذ أنشائه • ولا أذكر اننى كتبت شيئا أعلق به على موضوع تحدثت فيه داخل المجلس ولكننى فى هذه المرة مرغم أن أختط لنفسى خطة تخالف ما جريت عليه حتى اليوم • فقد بدأ النقاش بحديث من الزميل الكريم نظمى بطرس تناول فيه أحزاب ما قبل الثورة بهجوم قاس عنيف وكان هجومه جائحا لم يتحسب فيه استثناء ولم يفصل مفرقا بين عهد وعهد أو فترة وفترة • ورأيت فيما سمعت ظلما تأباه النفس وجورا لا يقبل الصمت فطلبت الكلمة للتعليق وقلت ما معناه ان تناول الأحزاب قبل الثورة لا يجوز أن يكون بهذه الصورة فى مجلس له احترامه وتوقيره عند الناس • وأن أحزاب ما قبل الثورة هى وليدة ثورة تعتبر من أكرم ثورات التاريخ • وأننا نكبر الحرية التى نعيش فيها اليوم لأننا عرفنا الحرية قبل الثورة ورجوت الزملاء الأعضاء أن يراعوا المسئولية التى نحملها على اكتافنا حين نتكلم فى المجلس الذى يحظى بين الناس بكل اجلال وتوقير •

وحدثت أن خرجت من الجلسة لبعض شأنى غير متوقع أن يكون هذا الذى قلت موضع نقاش أو تعليق من أحد • ولكننى فوجئت باسمى يتردد بين ردهات المجلس فى ناقل الصوت الذى يذيع الجلسة فى حجرات المجلس فأطفأت سيجارتى وسارعت الى القاعة لأجد الأستاذ موسى صبرى يكمل كلمته التى لم أسمع أولها وطلبت الكلمة لأرد على ما سمعت منها • ورددت ولا أحب أن أعيد ما قلت فمضبطه الجلسة كفيلة بذلك • ثم فوجئت يوم الخميس بخطاب من الأستاذ سعد فخرى عبد النور منشور بجريدة الأخبار وبتعليق مفصل من الأستاذ موسى صبرى • ووجدت أنه أصبح من الحتم على أن أفصل ما أجملت حتى أزيح عنه اللبس الذى عراه نتيجة الايجاز والاشارة دون الشرح والافاضة •

فواقع الأمر أننى حين تحدثت عما قبل ثورة ٥٢ لم أقصد ما سبقها مباشرة وانما قصدت فترة من الزمن توغل فى أعماق التاريخ حتى تصل الى أحداث ثورة ١٩ الخالدة •

فالذى لا شك فيه أن الديموقراطية فى هذه الفترة كانت موجودة وجودا فيه بعض النقص • وكيف لدولة يحتلها محتل بجيشه وسلطاته

وله فيها الناب والظفر والكلمة الأخيرة ان تتمتع بديموقراطية كاملة ·

وقد كان الشعب المصرى حين ثار ثورته فى سنة ١٩١٩ ويحاول أن يزيح المحتل كله ولكن المحتل كان يزحزح أقدامه فى تثاقل وفى بطء مقيت · وهو يملك القوة الغاشمة التى لا تقف أمامها قوة فلم يكن عجبا أن يقبل الشعب المصرى كل باب أو نافذة تصــــل بينه وبين الحرية الكاملة التى يقاتل من أجلها ويسعى لها سعيها وهو مؤمن بها كل الايمــــان ·

وحصلت مصر على تصريح ٢٨ فبراير ونتج عنه دستور ٢٣ وكان هذا أكبر خطوة نالتها مصر فى طريق الحرية · وقد وضع الدستور جماعة من أكبر فقهاء القانون واعتبر العالم الدستور المصرى من أعظم الدساتير العالمية ولكن لابد لنا أن نذكر أن هذا الدستور قد وضــــع فى ظل الاحتــــلال ·

ولذلك نجد فيه مادة لا يمكن أن يقبلها شعب حر على الاطلاق · وهى المادة التى تعطى الملك الحق فى اقالة الوزارة اذا وقع الخلاف بينهما · وهى مادة جعلت الدستور مناقضا مع نفسه كل التناقض فكيف ينص فى مادة منه على أن الملك يملك ولا يحكم ثم يعطيه فى نفس الدستور حق الاقالة الا أن يكون المحتل بجبروته قد فرض هذه المادة فرضا حتى يظل الأمر فى يده · فان حق الاقالة مادام فى يد الملك ومادام الملك يدين فى بقائه للمحتل وحده فالأمر اذن أولا وأخيرا فى يد الانجليز المحتلين · وما أحسب أن حزب الوفد انتفع بشىء فى حياته جميعا قدر النفع الذى أفاده من هذه المادة فان رئيس الوزراء الوفدى لم يقدم استقالته الا مرة واحدة على طول الحياة النيابية فى مصر · أما فى المرات الأخرى فلم يكن يخرج من الوزارة الا وقد اقاله الملك · وكان الوفد يحكم ويرتكب ما يرتكب من أخطاء ويبدأ الشــــعب فى معرفته على حقيقته من تقريب للأصهار واستثناءات وتجاهل لمواد الدستور · ثم تأتى الاقالة من الملك فتغسل عن الوفد جميع أخطائه وتعيده الى شبابه الأول ويعود أغلب الشعب الى الالتفاف حوله ·

وهكذا أصبح الأمر كما قال الدكتور هيكل باشا « أن الديمقراطية هيهات لها أن تصبح كاملة فى مصر وفى مصر احتلال وملك يخضــــع للاحتــــلال » ··

وفى ظل الاحتلال كان الخلاف بين الأحزاب اختلافا حول تصرفات وأشخاص ولم يكن اختلافا حول مبادىء فمبادىء الأحزاب جميعا كانت توشك أن تكون متطابقة · وكانت المادة الأولى فيها جلاء الجــــيوش الانجليزية عن مصر ·

ولنعبر الآن من الحديث العام الى الحديث عن الوفد منذ جاء على أسنة الحراب فى فبراير سنة ٤٢ الانجليزية الى أن أقيل فى ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٤ ثم حين عاد فى سنة ١٩٥٠ ٠

ولست أفكر أن أتحدث عنه حديثا مفصلا فان المجال لا يحتمل هذا ولكننى اكتفى بأن أذكر الذين عاصروا هذه الفترة بالاعتقالات التى قام بها الوفد لعلى ماهر باشا وغيره وغيره لحساب الانجليز واسقاط عضوية مجلس النواب عن مكرم عبيد باشا واعتقاله لحساب حزب الوفد ٠ واختلطت مصالح الاحتلال بمصالح الوزارة الوفدية ولم تتعارض وكانت الحجة عند المحتل أنه مشتبك فى حرب عالمية ولكن الوفد لم تكن له حجة ٠ واقيل الوفد فى سنة ١٩٤٤ ثم عاد بأغلبية ساحقة فى عام ٥٠ ٠

ألم أقل لك ان الاقالة كانت تطهره أمام الشعب تطهيرا ٠ وحين عاد حزم أمره أن يمالىء الملك بكل الوسائل وسمعنا عن النحاس باشا حين لم يكن له مطلب فى الحياة الا أن يقبل يد الملك الطاهرة وقد كانت فى ذلك الحين أشد ما تكون تلوثا ٠ وأن لم تكن هذه الواقعة صحيحة فقد سمعنا فى أمرها تشكيكا فالذى لا شك فيه ذلك التصريح الذى أدلى به النحاس باشا حين سئل عن شأن من شئون الحكم وكان الملك فى ذلك الحين فى كابرى فقال « أن فى كابرى قبلة يجب أن نتجه اليها جميعا » ٠ وهكذا جعل الملك قبلة وكعبة ٠

وصنع الوفد ما صنع بأعضاء مجلس الشيوخ من القمم الشامخة وطردهم ٠ وغير المضبطة ولو أننى لا ألومه كل اللوم على تغيير المضبطة هذا ٠ فمادام الانجليز هم الذين أمروا فانه لا يملك الا الخضوع ٠

ولكن مهما يكن الأمر ٠ فان الانسان لم يكن فى هذا العهد بكل سوءاته هالعا على يومه وغده ٠ وكانت العقوبة القصوى هى الاعتقال ٠ وكان هذا جميعه فى ظل ملك فاسد وجيش شرس أجنبى محتل ٠ ولهذا كان من الطبيعى أن يفرح الناس بقيام ثورة ٢٣ التى أعلنت أنها تقوم للمحافظة على الدستور ٠

ثم ٠٠٠ ويل لنا من ثم ٠٠ الغى الدستور جميعا ٠ فكان شأننا شأن من استعان بطبيب لينقذ مريضا ٠ فاذا الطبيب يطلق الرصاص على المريض ٠

وخرج الانجليز ٠ وكنا نظن أننا سنحتمى فى ظل حكامنـــا وقد أصبحوا لأول مرة فى تاريخنا من أبناء مصردماؤنا دماؤهم وعرضنا عرضهم فاذا مصر تصبح وهى حرة من المحتل رعشة خوف ولوثه مذعور فالعرض

مباح والدم مهدر وكل قيمة فى الحياة محطمة محترقة فهى هشيم • وجف ماء الحياة وزاغت الأبصار وارتعدت الفرائص •• كل الفرائص • وحدث ما حدث ونزل بنا من الكوارث ما نزل حتى جاء المغفور له صاحب الأيادى الناصعة على تاريخ مصر أنور السادات فرد الى النفوس الطمأنينة والى الوطن والعرب الكرامة وتوج حياته بالسلام •

ونحن اليوم فى حكم حسنى مبارك نحقق من الآمال ما هفونا اليه حين تخلصنا من الملك الفاسد ومن المحتل الغاشم • وما صبونا اليه من حرية لا مثيل لها •

فالمقارنة التى عقدتها أذن فى مجلس الشورى كانت بين ما كان قبل ٥٢ وما بعدها من حكم الطغيان •

وقد عرفت أن الأستاذ موسى صبرى قال فيما قال أننى ارتجفت غاضبا علم الله يا أخى موسى أن رجفتى كانت لك لا عليك • ومالى لا ارتجف وقد كانت الجرائد حتى فى حكم الوفد الذى أدينه اليوم تطلع كل يوم مليئة بالهجوم السافر على رئيس الوفد ووزارته وعلى الملك فى بعض الأحيان فى حين نفيت أنت من الصحافة جميعا لأنك تجرأت فكتبت نقدا لمذيعة فى التليفزيون • وهذا بعض ضئيل من كل فظيع مريع سفاح •

أن التاريخ الذى نذكره اليوم لم يصبح بعد تاريخا وانما هو واقع عشناه واصطلينا ناره ونعمنا بما فيه من حسنات • فاذا كنا نختلف فيه اليوم فالى أى مصير هو صائر حين يصبح سماعا لا عيانا ، وذكرى لا واقعا •• كان الله فى عون التاريخ •

«الأهـــرام ١٩٨٣/١٢/٤ ••

هل من الصدق اخفاء الحق

فى الصفحة الأولى من مجـــلة الأهالى هذا الأســـبوع جاء عنوان « القضاء : الأهالى صادقة » ونشرت المجلة بعد ذلك خبرين أما الأول فهو عن حكم صدر لصالح المجلة وقد نشرته المجلة بحيثياته أما الخبر الثانى فيتصل بى ونصه كما جاء فى المجلة .

كما أصـــدرت محكمة قصر النيل حكمها برفض الدعوى المدنية والجنائية المرفوعة من ثروت أباظة ضد جريدة الأهالى والزامه بالمصروفات وخمسة جنيهات أتعابا للمحاماه ٠

وانتهى الخبر عند هذا وقد كنت ارجو ان تذكر المجلة الحيثيات كما صنعت فى الخبر الأول ولكنها رأت أن تخفى الحقيقة واخفاء جزء من الحقيقة نوع رخيص من الكذب وكان جديرا بالمجلة مادامت جعلت عنوان الخبرين « القضاء : الأهالى صادقة » أن تكون صادقة على الأقل فى هذه المرة ولكن أذكر البيت القديم :

ومكلف الأشـــياء ضـــد طباعهـا
متطلب فى المـــاء جـــذوة نـــار

ودأب المجلة ألا تكون صـــادقة قط حتى وان كان العنوان قوامه صـــدقها ٠

ولما كنت متخرجا فى كلية الحقوق فقد أخذت نفسى الا اتناول قضية ٠ ينظرها القضاء ٠ والقضية الآن فى الاستئناف ٠ كما أخذت نفسى الا أعلق على حكم للقضاء ٠ وانا أشد حرصا على هذا الذى أخذت به نفسى اذا كنت أنا طرفا فى الدعوة ٠ وهكذا لم أجد بدا من أن أطلب من المحامى الأديب الأستاذ صبرى العسكرى أن يكتب لى هو أسباب رفض الدعوى حتى لا أخرج عما أحب أن أظل عليه من منهج ٠ وقد كتب الأستاذ صبرى العسكرى يقول :

الحكم قضى بعـــدم قبول الدعويين المدنية والجنائية لأن صحيفة الدعوى موقعة من محام بتوكيل عام وترى المحكمة أنه يلزم توكيل خاص والا كانت الدعوى غير مقبولة دون النظر فى موضوعها ٠ ولأن هذا الرأى

مختلف عليه لأن المحامي الموكل بالخصومة القضائية هو وكيل خاص فى كل الأحوال فقد استأنفنا الحكم ومحدد لنظر الاستئناف يوم ١١ يناير سنة ١٩٨٤ ٠ ومع هذا فان هذا الحكم فى كل الأحوال لا يمنع من المطالبة بالتعويض أمام المحكمة المدنية لأنه حكم لم يحسم موضوع الخلاف ٠

الى هنا وينتهي كلام الأستاذ صبرى العسكرى المحامي ٠ وبقى أن أقول انني طلبت الى الأستاذ صبرى العسكرى اقامة الدعوى المدنية ٠

وربما كان جديرا بالذكر أيضا أنني طلبت اليه أن يعلن فى صحيفة الدعوى تنازلى عن التعويض لصالح اتحاد الكتاب فما كنت لأقبل لذمتى الخاصة ما أنا متشكك كل التشكك في مصدره ولذا رصدته للنفع العام فى حساب اتحاد الكتاب ٠ وقد تفضل الأستاذ صبرى العسكرى فذكر هذا التنازل فى صحيفة الدعوى التى رفضت لأسباب شكلية وانه لفاعل نفس الشيء فى الدعوى المدنية ان شاء الله ٠

وبعد فأنني اقف عند هذا ولا أزيد حرفا ٠ فمادام الأمر معروضا على القضاء يمتنع على أن أشفعه بأى تعليق ٠ الا انني احنى رأسي للحكم الذى صدر مادام هذا هو الرأى القانوني للسيد القاضى ٠

وان كان هناك رأى آخر فالقضاء وحده صاحب الحق فى تأييد هذا الرأى ٠ والأمر على كل الأحوال ليس مجالا للكتابة الصحفية ٠

مايو ١٩٨٣/١٢/٥

وليبق وجه مصر مضيئا ..

قال سبحانه وتعالى فى محكم آياته « وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه » سورة الاسراء الآية ١٣ . وهذه الحكومة وهذا العهد جميعه برىء كل البراءة من التبديد الذى يقال أنه وقع على جواهر الأسرة المالكة . ولا شك أيضا أن عهد الرئيس الراحل أنور السادات برىء هو أيضا كل البراءة مما يذاع ويشاع حول هذه المجوهرات ولذلك لم يكن عجيبا أن يخصص العهد قصرا بأكمله لاستقبال هذه المجوهرات . وقد شاء لى الله أن أحضر نقاشا بين الوزراء المسئولين عن هذه الجواهر وقد عرفت من هذا النقاش أن البنـك الأهلى يحوى فى خزائنه مجوهرات تنتسب فى أصولها الى الأسرة المالكة .

وأغلب الأمر انها ليست كل المجوهرات التى خافتها الأسرة . وقد وقع هذا فى مشاعرى من مجمل النقاش . وأحسب أن الوزراء المختصين يحجمون عن عرض هذه المجوهرات تحسبا مما قد يثار حولها من قيل وقال .

ولكن الأمر ينبغي أن يواجه بشجاعة وحسم .

وما لا يدرك كلمة لا يترك كله . وأنه ليجمل بالوزراء المختصين أن ينقذوا البقية من هذا المجوهرات وتعرض فى معرض وتبرأ من شأنها ذمة الحكومة جميعا .

فاذا كانت الحكومة تعرف أن بعضا من هذه الثروة قد تعرض لسرقة أو نهب فواجب الحكومة مجتمعة أن تعرض الأمر جميعه على القضاء .

وعند ساحة العدالة تتســـاوى الرؤوس ولا يكون ثمة فارق بين رئيس ومرؤوس أو بين وزير وخفير وعلى الجانى أن يتلقى جزاءه شأنه فى ذلك شأن أى فرد فى الدولة .

اذا كانت الأيام قد تراكمت على الجناة فأخفت معالمهم فعلى السلطة التنفيذية أن تزيح الشبهة عن نفسها وتنزلها عن كاهلها ليتحملها من تحوم حوله أو من تمسك بخناقه . وقد يكون حكم الجماهير والتاريخ أعظم هؤلاء من حكم القضاء .

واذا كان هناك من التهم ما يستقيم له أن يقدم الى القضاء فحتم على السلطة التنفيــذية أن تقدمه فالتستر على الجريمة جريمة · والجريمة مرفوضة من الفرد ويستحق من أجلها الجزاء أما الدولة فواجبها أن تحارب الجريمة وتمنعها وتقدم مرتبكها والعدالة معصوبة العينين لأنها لا تنظر الى المتغاضين وانها فقط تسمع حججهم وتصدر أحكامها والمعتدى على أموال الدولة معتد على أموال الشعب جميعه ·

وقد سمعنا أن شخصا ما فى عهد الطغيان وجهت اليه الدولة تهمة الرشــوة لأنه أعطى ساعيــا خمسين قرشا اكرامية ولكن الدولة كانت غاشمة وكانت تريد أن تحكم عليه وحكمت ·

وهذه الدولة نفسها هى التى تحوم حول فترتها الشبهات فى شان مجوهرات أسرة محمد على فكيف تسكت الدولة على أموال يقال أنها انتهبت ويقال انها سعت تنتشر فى شتى أنحاء العالم تعلن أن مصر الدولة لم تستطع أن تحافظ على ثروتها وأموالها ·

وهذه كارثة ولكنها وقعت فعلا ولا يزيح آثارها عن وجه مصر الا أن تعلن الدولة الشريفة العفيفة التى نعيش فى ظلها اليوم أنها براء من هذه التهمة وانها تعاقب المعتدى شأنها فى ذلك شأن الدولة التى تحترم سمعتها وتبقى على كرامتها وشرفها ·

ومصر فى الخارج هى مصر · وأعيذ السلطة التنفيذية أن يسمع العالم أن أموال مصر قد سرقت ثم لا يسمع أن مصر أنزلت بالســارق العقاب وليكن شكل هذا العقاب ما يكون وليتمثل فى أحكام يصدرهـــا القضاء أو فليتمثل فى أحكام يصدرها الرأى العام الذى هو مصر جميعا ·· بهذا وبهذا وحده نبقى على وجه مصر وضاءته واشراقه فى ظل حكم رئيس عفيف اليد شريف الضمير نقى المقصد والخطى ·

مايو ١١/١٢/١٩٨٣م

بين الخطيئة والغفران

مسكين ذلك الانسان • يبدأ حياته طفلا فالدنيا حوله نور وطهر ونقاء وتتزاحم عليه من الكبار دعاوى الشرف والزهد والعدالة • ويتعرف على دينه فيجده ضياء واشراقا وسموقا • ثم يدلف الى باب الحياة وويل له حين يدلف الى باب الحياة تحيط به مغريات الجسد وحاجات الانسان الى الغنى ويجد أن الانسان لا يصيب مالا وافرا الا اذا فقد طهرا أو كرامة أو نقاء • وتلح عليه الحياة بسعارها ويتمزق بين أضواء الطفولة وبراءتها وبين مغريات العصر وسفالاته • والاختيار له وحده • فالله سبحانه فى علياء سمائه هدى عباده النجدين وألهم النفوس فجورها وتقواها وجعل لكل انسان طائره فى عنقه وترك له حق الاختيار فهو اما جانح الى قويم من النجدين أو جامح الى معوج منهما •

ويشفق رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمته جميعا • ويقول فى شموخ الانسان الصادق وعظمة الأنبياء « حفت الجنة بالمكاره » فالذى يختار الطريق الى الجنة يكره نفسه أن تختار غير ما تهوى ويلويها أن تميل الى ما تهفو اليه من متعة عاجلة محققة • وتتكالب المغريات على الانسان الضعيف فيزل ثم يثوب الى رشده فيطلب الغفران • ويقول الشاعر :

وانى لأرجـــو الله حتى كأننـــى   أرى بجميل الظن مـا الله فاعلـه

فهو واثق من الغفران ، لأن الله سبحانه شرع الغفران للخطائين • ولو لم توجد الخطيئة ما سمى الله نفسه بالغفور ويقول أبو نواس :

ان كان لا يرجـــوك الا محســـن   فبمن يلـــوذ ويســـتجير المذنب

ولكن الانسان لا يقمع نفسه عن الخطيئة بل يظل متعلقا بها تغريه متعتها ويطيبه اغراؤها وتجتذبه نشوتها • فاذا وزعه من الايمـان وازع رده بالأمل فى المغفرة • ويمضى الى خطيئته لا يلوى على شىء حتى اذا انحسر خمارها وثاب الى نفسه اللوامة تاب وآب وعاد يرجو الله سبحانه الغفران • وهل هناك أوسع من مغفرة الله • سبحانه هو بارىء النفوس وهو العليم الخبير بضعفها • وهو العليم بما يصنعه الشيطان من تجميل الشر ومن جعل الشين زينا والمقبوح من الفعل مكسوا بالرواء والبهاء والجاذبية •

ويظل الانسان بين شد وجذب وبين اقبال على المحرمات وانصراف عنها • ويبلغ أحدهما الكبر وتحيط به الشيخوخة ويضطره العجز الى الاستقامة • ولكنها استقامة هو مرغم عليها ولم يقصد اليها عن اختيار • فهو تائب فى غير عفة ، ولا يقعد به الكبر أن يصرح بذلك فيقول ذلك البيت الشهير :

هل الله عاف عن ذنــوب تسلفت أم الله ان لم يعف عنها يعيدهـا

وما رأيت بيتا يجمع التوبة والفجور فى شطريه كما يفعل ذلك البيت فهو يرجو الله أن يغفر الله وهو فى الوقت ذاته لا يخجل ان يقول للذات العلية اذا كان لابد من العقاب فلا بأس ولكن أرجو أن تتاح لى القدرة على اتيان ذنوبى مرة أخرى لتتوفر لى المتعة ما دامت المغفرة غير متاحة وهكذا نجد أن الفجور قديم قدم الصلاح • وان الفجور لا يقف به أمد ولا ينتهى عند حـد كما ان الصـلاح عميق الأغوار بعيد المدى • والانسانية تتأرجح بين الجانبين بغير حيرة وانما عن بصيرة ووعى وفى الوقت نفسه بين رغبة عاجلة فى متعة عابرة وبين ايمان عميق الجذور يرجو وجه غفور رحيم •

والانسان ظالم لنفسه فهو الذى اختار أن يحمل الأمانة التى أشفقت منها السماوات والأرض والجبال وأبين أن يحملنها • حتى اذا استجاب الله لسؤال الانسان وألقى على كتفيه أمانة الاختيار تخبط فى حياته هذا التخبط وراح يضرب فى الأرض ونظره الى السماء • فهو بين رغبات الأرض وبين ايمانه بالسماء فى شد وجذب واقبال وادبار •

ويضيق بعض الناس فيعلن الحاده وكفره مختارا اليأس مفضلا له عن رعب الانتظار موهما نفسه أن اليأس احدى الراحتين ولكن هيهات فالملحدون أشد الناس عذابا • لأنهم فى البعيد من نفوسهم يعلمون انهم على باطل • وهم فى أعماقهم يتمنون ان يحظوا بالجنة التى وعد الله بها المتقين من عباده • ولكنهم يدركون أيضا أنهم أبعد الناس عنها بما كفروا وألحـدوا ويظلون مع أنفسهم فى صراع مرير بين ما أعلنـوا من الحاد وما تشعر به قلوبهم من أن صاحب هذا القرآن لا يقول الا حقا • وما تزال أفئدتهم بين يأس وأمل وبين اقدام واحجام فعل اللص المبتدىء يمد يده للسرقة برغبة الغنى حتى وان كان عن طريق محرم ويكف يده بأمل التوبة والغفران من الرحمـن الرحيم الذى وسـع غفرانه ذنوب البشر وشملت رحمته المؤمن والعاصى والعابد والعربيد والقانت والزنديق ويقول شوقى الخالد فى رثاء اسماعيل أباظة باشا :

الى الله اســماعيل وأنزل بساحة أطل النـدى أقطارهـــا والنواحيا

ترى الرحمة الكبرى وراء سمائهــا تلــف التقى فى سيبهــا والمعاصيا
لدى ملك لا يمنع الظــل لائذا ولا الصفح توابا ولا العفو راجيــا

ويعربد أبو نواس ما شاءت له عربدته ويقول شعرا ملحدا يتناقله النــاس على مر العصور ويمعن فى الفسوق والمروق متخذا من التظرف ستارا يحتمى فيه · ثم تطالعه السن ويدرك انه أوشك على النهاية ويصيح صارخا بنفسه ·

« يا كبير الذنب » ·

وتمر أمام عينيه حياته جميعا فيرى نفسه محاطا بالنار لا يموت فيها ولا يحيا ويتبدل جلده كلما احترق له جلده ويأخذه الهول ويلتاع ويدرك أى عــذاب هو ملاقيه ولا يجد لنفسه الهالعة ملاذا الا عفو الله ويكمل البيت :

يا كبـــير الذنـــب عفـــو الله مـــن ذنبـــك أكبـــر
كـــن مـــع الله يكـــن لـــك واتـــق الله لعلـــك
لا تكـــــن الا معـــــدا للمنـــايـــا فكـــأنك
ان للـــــه لســـــهما واقعـــا دونـــك أو بـــك

ويصيح الزمان فاذا الصوت الذى سمعه ملحدا كافرا زنديقا يعود فيملأ الدنيا ايمانا ومناشدة للمرحمة ودموعا تخضب الأرض فى طلب غفران السماء ·

فالله غالب على أمره · والملحد من دنياه فى عذاب وبيل وهو فى الأخرى لدى عالم الغيب والشــهادة وهو سبحانه وحــده العالم بمصيره ومنقلبه ·

الأهـــرام ١٩٨٣/١٢/١١

لبيك رسول الله لبيك

تظهر هذه المقالة وأنا ضيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم • وكل قاصد الى رحابه صلى الله عليه وسلم يحس انه مدعو • ففي رحاب أكرم المخلوقات لا تسمع الا مرحبا • وفي افناءحرمه القدسى تقيم مرحب لا تغيب عنه ولا تشيح عن قادم •

وأنا رجل كثير الأسفار فقد طويت من الأرض آفاقا وآفاقا • فزرت كثيرا من البلاد العربية ورأيت المدن الحديثة البناء • وبهرني الشارع ليس فيه بيت قديم أو بناء عتيق • وزرت باريس ولندن وزرت مدنا كثيرة في أمريكا ورأيت في نيويورك الناطحات وهي تخمش بأظافرها السحاب وتجرى صعدا في العلو فلا يمسك بها بصرى • وزرت بولندا وساحلت بحر ايجه في تركيا • وشهدت في استامبول متحف توب كابو حاشدا بلهو الأمبراطورية العثمانية الذى ابهظ الشعوب الاسلامية وقضى على دولة بني عثمان وشهدت في غرفات المتحف ذاته زهد النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته فرأيت في حجرتين متلاصقتين كيف قامت دولة الاسلام على التقى والورع والزهد والتقشف وكيف غابت آخر امبراطورية اسلامية في بحار من شهوة التملك وبريق الابهـار بالمال لا بالعلم وبالاسراف في المظهر دون نظر الى الجوهر •

واعتليت الجبال في سويسرا واشهد في ربوعها كل عام عجبا من خلق الله سبحانه وتعالى الذى يصفه شوقي الخالد بقوله :

لف في طيلسـانه طرد الأرض فطـاب الأديم من طيلسـانه
سـاحر فتنة العيـون مبين فصـل الماء في الربى بجمـانه
عبقرى الخيـال زاد على الطيف وأربى عليه في ألوانـه
صبغة الله أين منهـا رفائيـل ومنقاشـه وسـحر بنـانه

وكنت حاضر النفس والجسم في كل ما زرت • وحين اندلع نظرى الى القمم من ناطحات السحاب لم أشعر هناك بهوان الانسان كما قال بعض الكتاب وانما شعرت انني أنا الانسان أعلى من هذه القمم وأرفع ، فأنا الانسان بما أتاح الله لى من عقل بنيت هذه الناطحات وأنشأتها وأعليتها • وأنا الانسان بلغت القمر باذن الله الذى جعل البشر سيد المخلوقات • ولكن الشعور الذى أحس به وأنا في جوار النبى عليه الصلاة والسلام لم يخالجني في أى مكان من هذه الأماكن التي زرتها •

ما هذا الذى يتلبسنى وأنا فى جنابه الطهر ٠

أرى جسمي الضخم هذا يتصاغر ويتضاءل ويمحى فى اللا وجود فقله ذرة أو قله هباءة أو قله لا شيء أو قله كان شيئا ثم لم يكن ٠

ولم يبق منه الا قلب يمور به الشوق والحنين وانا فى الرحاب ويفهق بالخشوع والهيبة والخضوع فانا أمام سيدى ومولاى ولا أعرف لى فى البشر سيدا ولا مولى سواه ٠

ولم يبق منى الا دموع ساجيات هوامل لا ينقطع سيبها ولا يشح لها انهمار ٠ وأنا رجل لست بخطاء وما أنا بكثير الذنوب طريقى طريق المعتدلين من البشر ٠ لم أسرف على نفسى ولم أحملها ما لا تطيق ٠ سبيلى فى الحياة قليل العوج ، هين الأمت ، يسير الالتواء ٠ فما هذه الرعشة تمخضنى عند القبر السنى ٠ وما هذه الرعدة الحبيبة عند مهبط الوحى والمكان القدسى الذى شهد آخر لقاء بين رسول السماء ورسول البشر ٠

أهى ارتياعى من القرب لذات الرسول عليه الصلاة والسلام ٠

أهى رهبتى وأنا ماثل بدارة أكرم البشر اجمعين ٠

أهى وقوفى فى ساحته وهو رسول ذى الجلال واصطفاؤه ليكون خاتم الأنبياء وليكون وحده من بين مخلوقاته بشيرا ونذيرا ولتكون معجزته الوحيدة بين معجزات الأنبياء التى خصها الله بالحفظ والخلود على الزمان فخلدت وتخلد الى الأبد الأبيد ٠

أهى شيء من هذا ٠ أم هى هذا جميعا ٠ أم هى ما لا أدرى وما يخفى على بصر الانسان الكليل وبصيرته وقد أصبحت فى سياج بلورى من الجلال فى أوج أوجه وفى الذؤابة الشماء العليا من عظمة هذا الانسان النبى الذى لم يكن الا بشرا رسولا أدبه ربه فأحسن ، وأدب هو البشرية بنهجه وسنته وسننه فمنها من سار الطريق ومنها من تعثر راجيا عند الرحمن الرحيم العفو والغفران ٠

أنا فى هذا الرحاب روح فكأنى خفقة جناحين لطائر من طيور الجنة ٠ أو نبعة من نهر الكوثر ٠ أو همسة تسبيح فى عليين ٠

لبيك نبى الله لبيك ٠٠ الى قدس رحابك أطير مع الطير أو مع الانسام الحنون أو مع شعاع من الشمس سنى غير قائظ ٠

لبيك يا سيدى وسيد الخلق اجمعين وهل أملك لدعوتك الا لبيك ٠

الأهرام ١٩٨٣/١٢/١٨

العثرة عند كثرة الكلام

ألاحظ أن بعضا من أعضاء مجلسى الشعب والشورى يتحدثون فى كل الموضوعات التى تعرض على المجلسين وأحسب ان فى هذا اضاعة لوقت المجلس فيما لا يفيد ۰ فانه لا يعقل أن يكون انسان ما عالما بكل ما يعرض على المجلس ۰ ومن أجل هذا نجد ان هؤلاء المتحدثين يقولون كلاما لا جديد فيه ولا يقدم للمجلس وجهة نظر غائبة عنه ۰ بينما دور المتحدث فى هذه المجالس ينبغى دائما أن يضيف جديدا ۰ ولذلك يكبر الأعضاء من يتنازل عن كلمته اذا سبقه أحد الأعضاء بقول المعنى الذى كان ينوى ان يقوله ۰

واننى أرجو أن يعرف هؤلاء الأعضاء المحبون للكلام ان الصمت كثيرا ما يكون أكثر بلاغة من الكلام اذا كان الكلام لا يضيف جديدا ۰

وليس من المقبول عقلا ولا منطقا ان يقف عضو ويطلب الكلمة ليقول انه يوافق على الموضوع المعروض أو يرفضه لأن اعطاء الرأى وحده لا يحتاج الى خطبة فالمؤكد ان العضو سينتهى به الأمر الى اعطاء الموافقة أو حجبها عندما يطرح الموضوع على المجلس لأخذ الرأى ۰

والعضو غير المتخصص فى الأمر المطروح للمناقشة ينبغى أن يستمع الى كل الآراء التى يدلى بها المتخصصون من أعضاء المجلس ليكون رأيه بعد ان ينجلى أمامه الموضوع تماما وتصبح جوانبه كلها بينة المعالم ۰

والحديث منه أثناء النقاش ظلم منه لنفسه وظلم منه لأعضاء المجلس أن يسمعوا شيئا لا يضيف جديدا الى ما يعرفه كل واحد منهم ۰

وقد أعلم أن هذا البعض من النواب يطلب الكلمة ويقول ما لايستحق القول ناظرا الى الناخبين فى دائرته غير مهتم بوقع كلامه على الأعضاء وعلى الجمهور العام الذى سيقرأ أو يسمع ما قال ۰

والرأى العام يكون رأيه عن الأشخاص الذين يمثلونه من مجموع كلماتهم وأعمالهم ۰ والثقة تتكون من ممارسات طويلة ولكنها تفقد فى لحظة واحدة ۰ أو فى كلمة واحدة ۰ وكثرة الكلام مجلبة للعثار ۰ والعثرة الواحدة تفقد الثقة لفترات طويلة ۰ والذين فى مثل سنى يذكرون ما رواه

لهم آباؤهم عن عضو برلمان فى أول مجلس نواب انتخب بعد دستور ٢٣ وقف يخطب فقال • أنا مصمصم بدلا من أنا مصمم فظلت كلمة مصمصم لاصقة به وهأنذا ارويها بعد مرور قرابة خمسين عاما على قولها • ولم ينجح هذا العضو فى أية انتخابات بعد ذلك قط •

ويقول الانجليز الذى يمارس كل حرفة لا حرفة له • أو من يدعى المامه بحرف شتى لا يجيد شيئا •

ويقول الانجليز أيضا لست صغيرا لدرجة اننى أعرف كل شيء • والمتمكن حين يتحدث يأمن الخطأ ولا يتعرض له • ولكن الذى يظن نفسه متمكنا من كل شيء أو يخيل اليه انه يستطيع أن يموه على المستمعين فيجعلهم يظنون أنه متمكن بينما هو فارغ غير ملم بما يتحدث فيه سرعان ما ينكشف أمره • فان أحدا لا يستطيع أن يزيف حقيقة أمره على مجموع من الناس فما بالك اذا كان هذا المجموع أعضـــاء مجلس تشريعى • وما خطبك اذا كان كلامه سينشر على الناس أجمعين ويتبينون حقيقته انهم لا شك بالغون أعماقه مدركون أن حديثه لا يصدر الا عن شخص لم يتهيأ للحديث بالمدارسة والتفهم والاحاطة بكل جوانبه •

وان أول شروط الذكاء هو احترامك لذكاء الآخرين • والذى يلقى حديثه ويظن أنه بدهائه يستطيع أن يستغفل الناس سرعان ما يكشف الناس أمره • وان استطاع أن يبدو أمام من لا يعلمون أنه عالم سرعان ما يصبح غير العالم عالما حين يلتقى بالرأى الناضج فيما ينشره المختصون المتمكنون المتعمقون •

مايو ١٩٨٣/١٢/١٩

تدريس العربية بالعربية

قرأت منذ فترة مقالا بعنوان « يجب تدريس الطب بالعربية » بتوقيع سالم نجم أستاذ بكلية الطب ـ جامعة الأزهر •

وأشهد أننى أحسست عند قراءة العنوان بيد هاصرة شديدة العنف تعتصر قلبى •

أو فرغنا من تدريس العربية بالعربية أولا حتى ننصرف الى تدريس الطب بالعربية أم نريد أن نجعل الخريجين عندنا فى شتى المجالات طيورا عجماء لا تنطق بأى لغة من لغات الكون •

ان طلبة الطب الآن يتعلمون دروسهم باللغة الانجليزية وهذا يجعلهم على صلة يمكن أن تكون وثيقة بتخصصهم • أنريدهم أن يدرسوا الطب بالعربية حتى تنقطع الصلة بينهم وبين هذه المصادر ويزدادوا جهلا •

وأين هى اللغة العربية التى نريدهم أن يدرسوا بها •• وهل الأستاذ أو الدكتور صاحب التوقيع يظن أن هناك لغة عربية تدرس فى أى مكان •• وكيف •• ومن أين •• ؟ ومن الذى يدرسها •• ؟ ما تعليمه •• ما المامه بها • لقد انتهى تدريس العربية الأصيلة منذ سمحنا لكليات الأزهر المتخصصة فى اللغة وفى الشريعة أن تقبل تلامذتها من حملة الثانوية العامة دون شرط حفظ القرآن الكريم فقتلنا بذلك اللسان العربى ، ومنذ سمحنا لدار العلوم ان تقبل حملة الثانوية العامة دون شرط حفظ القرآن الكريم الذى كان أساسيا لقبول الطلبة فى هذا الحصن الحصين للغة القرآن والتراث •

وكان الطلبة فى كليات الأزهر وكلية دار العلوم يدرسون الشعر فى جميع عصوره ويحفظون الفية ابن مالك فيصبحون مرجعا فى النحو ويدرسون العروض وبحور الشعر وكل ما يدخل عليها وما يتصل بها فكان عندنا علماء فى علم اللغة ان فات بعضهم الذوق الأدبى الرقيع لم يفته العلم اللغوى الراسخ •

ولقد صرخت على صفحات الأهرام أعيدوا الأزهر الى الأزهر وتفضل الشيخ الأكبر الدكتور بيصار رحمه الله واتصل بى وأراد أن يزورنى فعزمت عليه أن أزوره أنا وفعلت ووعدنى بأن الذى أطالب به سيتحقق فى مدى عامين ومرت خمسة أعوام ولم يتحقق شيء وكنت قد كففت عن مواصلة المطالبة بعودة الأزهر الى الأزهر مكتفيا بهذا الوعد من أمامنا الأكبر . ولكن الأزهر أفلح فى اسكاتى فقط وهذا أمر هين لم يكن يحتاج الى كثير جهد ولم يفلح الأزهر أن يعود الى الأزهر حتى اليوم .

وما النتيجة ؟ النتيجة هذا الخطاب الذى قرأته فى بريد الأهرام فى يوم الخميس ٨ ديسمبر والذى كتبه طالب بالثانوية العامة عن جميع زملائه طلبة الصف الثالث علمى وأدبى بمدرسة لم تذكرها الأهرام ولست أدرى لماذا أو ربما كنت أدرى . وقد نشرت الأهرام الخطاب بعنوان رسالة بليغة وعلق عليه المحرر بصرخة ألم وذعر وقد هالته الأخطاء التى جاءت فى الخطاب . وقد فكرت أن أعيد نشر الخطاب ولكننى رددت نفسى أو ردها .

عن ذلك شعور بالغثاء والقرف وأنا أقرأ فكيف أتمالك أن أنقل وكيف يستطيع القلم أن يخط هذه الكارثة على ورق ، لا تخف ، لن أنقل الخطاب اليك فان كنت قرأته مرة فحسبك مرة ولن أزيدك ألما بأن أجعلك تقرؤه مرتين وان كنت لم تقرأه فقد أنجاك الله ولا داعى لأن أصرف اليك من البلاء ما صرفه الله عنك سبحانه وتعالى .

ولكن حسبك أن تعلم أن الخطاب يكاد يخلو تماما من كلمة صحيحة فى الاملاء ولا أقول النحو وحسبك وحسبنا الله .. انه نعم الوكيل والذى كتب الخطاب هو الفصيح بين اخوانه . واخوانه هم طلبة الثانوية العامة الذين يختمون اليوم دراساتهم العامة أى انهم انتهوا فعلا أو ينتهون هذا العام من دراسة اللغة العربية جميعا والذى لا شك فيه انهم أتموا دراسة الاملاء والنحو .

هؤلاء هم المدرسون فى غد والمحامون والأطباء والمهندسون ولسان مصر فى المجتمعات العربية والدولية . واذا كان هذا لساننا فنحن اذن بكم لا نبين ولا أمل لنا أن نقول . وويل لغدنا من غدنا وويل للغتنا من الناطقين بها .

فأى لغة عربية تلك التى نريد أن يدرس بها طلبة الطب ؟ .. وأين هى .. وعلى أى لسان تقال وبأى قلم تكتب ؟ .

كان الأزهر ودار العلوم هما حصن هذه اللغة ورئيس جامعة الأزهر شيخ جليل عالم باللغة علما أصيلا وعميد دار العلوم واحد من أدباء عصره شاعرا وأستاذا وعالما بأسرار اللغة وخوافيها .

ولكن ماذا يستطيع الرجلان أن يصنعا ؟

انى واثق ان الدكتور أحمد هيكل عميد دار العلوم يبذل من الجهد أقصاه ليقوم اللسان العربى على شفاه طلبته ، ولكن كلنا يعلم أن الاتصال باللغة يكون فى السنوات الخضر من حياتنا تلك السنوات التى تعلم فيها الدكتور هيكل القرآن الكريم فى الكتاب فاستقام لسانه واستقامت له اللغة وأحبها وأحبته فماذا هو صانع مع طلبة يلتحقون بكليته المسئولة عن تخريج أساتذة اللغة واللغة عليهم غريبة ولولا المجموع ـ لعن الله اليوم الذى عرفناه فيه ـ ما التحق هؤلاء بكلية دار العلوم . فهم يدرسون اللغة العربية لأنهم لا يملكون أن يدرسوا شيئا آخر .

واللغة العربية ـ شأن كل لغة ـ كائن حى ذو مشاعر واحساس فهى لا تحب من لا يعشقها ولا تفتح نوافذها وتكشف أسرارها الا لمن تعلم انه سادن فى محرابها متعلق بأستارها واهب نفسه لها ولجمالها وابداعها وفنون سحرها . أما الشيخ الدكتور فرهود فالأمر بالنسبة اليه أكثر صعوبة وكيف له أن يواجه هذه الكليات التى تدرس الشريعة واللغة . والطلبة قادمون اليه لا يكادون يعرفون أن اللغة العربية اسمها العربية . كان الله فى عونه وعون الأســـاتذة الذين يقومون بالتدريس فى هذه الكليات .

ولقد نسمع قائلا يقول ان الصحابة لم يكونوا كلهم حافظين للقرآن الكريم .

ولكن لغة الصحابة كانت هى العربية ولم تكن قد عدت عليها تلك العجمة التى تراكمت على اللسان العربى نتيجة اتصاله بالفرس والروم والترك ونتيجة مرور ألف وأربعمائة عام على نزول القرآن الكريم .

وحين ننادى اليوم بحفظ القرآن الكريم وعودة الأزهر الى الأزهر لا نطالب بذلك خوفا على القرآن الكريم ... جل ان يخاف عليه أحد ... وقد جاء فيه وعد قيوم السماوات والأرض « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وقد فعل ... والمطابع اليوم تطبع أعدادا من المصـــاحف لا تطبعها من أى كتاب آخر لكننا نطالب بحفظ القرآن الكريم لنحافظ على لغته ولغتنا التى بغيرها لن يستطيع عربى أن يكلم عربيا .

ونطالب بحفظه لنجد فى غـد هداة ودعـاة يعرفون كيف يعلمون الأجيال دينهم ولغتهم ·

وما أجهل أجيال اليوم بدينهم ! ··· هذا الجهل الذى نشهده من المتطرفين وهم يعرضون على الرأى العام فى شاشات التليفزيون ·

وما أجهل أجيال اليوم بلغتهم هذا الجهل الذى لا يحتاج الى دليل أقوى من ذلك الخطـاب الذى نشرته الأهرام يوم الخميس ٨ ديسـمبر فملأت به نفوسنا حسرة وألما ··· ومرة ثانية وثالثة وألفا ··· حسبنا الله ونعم الوكيل ·

الأهـــرام ١٩٨٣/١٢/٢٥ ··

انتخابات القائمة والعلماء

تواجه مصر لأول مرة فى حياتها النيابية الانتخابات بالقائمة النسبية ولا شك أن كل حزب سيعمل جهده أن يحصل على أكثر الأصوات للقائمة التى سيتقدم بها الى الناخبين ٠

وأحسب أن الأحزاب ستجرى فى اختيار ممثليها على ما جرى عليه فى الماضى من اختيار أعضاء تعرفهم الدوائر الانتخابية ويعرفون هم أهلها وأصحاب العزوة فيها ٠

وهذا أمر طبيعى ولكن القوائم اذا اقتصر الأمر فيها على هؤلاء فان الأحزاب تكون قد جانبت الطريق الأمثل وتنكبت الفرصة العظيمة التى تتيحها لها انتخابات القوائم ٠

ففى هذه الصورة من الانتخابات يتاح للأحزاب ما لا يتاح لها فى الانتخابات الفردية ٠

فالناخب فى هذه الانتخابات ينتخب المبدأ أولا والشخص ثانيا ، وطبيعى أن الأشخاص فى القائمة يمثلون مبدأ قبل أن يمثلوا أنفسهم ٠

وهكذا يقع على ضـــمير الأحزاب أن تبحث عن العلمـاء والخبراء وترشحهم وهذه فرصة لا يمكن أن تتاح فى الانتخابات الفردية لأن هؤلاء العلماء يشغلهم علمهم عن الاتصال بالناس والتعرف عليهم فاذا فكر واحد منهم أن يرشح نفسه فى أية دائرة فمصيره السقوط المؤكد باذن الله ٠ فان أحدا لا يعرفه وأغلب العلوم غير متصلة بالاعـلام ووسائل الدعاية وهكذا يصبح العلماء والخبراء منقطعين تماما عن جماهيرهم ولا يعرف قيمتهم الا أمثالهم من العاماء والخاصة من الناس ٠

المفروض ان الذين يرشحون للأحزاب هم هؤلاء الخاصة والمؤكد أن الذين يقومون بهذا الترشـيح يعرفون أقدار الناس وينزلونهم منازلهم الصحيحة ، فأول شروط السياسى أن يعرف علماء وطنه وخبراءه والمتمكنين فى كل فرع من فروع المعرفة والذى لا شك فيه ان الانتخاب الفردى كان يغلق المنافذ أمام هؤلاء الأفراد الذين يشاركون فى مجالس بلادهم

التشريعية وتستفيد هذه المجالس من علمهم ومن خبرتهم فالاشتغال منهم بالعلم والمعرفة جعلهم بمعزل عن الجماهير الناخبة ·

ولكن الفرصة تتاح أمامهم مفتوحة الأبواب على مصاريعها فى انتخابات القائمة ، وما أحوج مصر فى الأزمات التى تتعرض لهـا أن تعمل عقول علمائنا جميعها من أجل مواجهة هذه الأزمات والتغلب عليها وبدلا من أن يكون جهد هذه العقول مقصورا على الجامعة وقاعات الدرس وغرفات المعامل يصبح جهدهم جهيرا عالى الصوت فى قاعات المجالس التشريعية ويشارك فى الحياة السياسية ويدلى برأيه ولن تجده يدلى برأيه الا فيما يعرفه تمام المعرفة ثم هو عند أخذ الأصوات سيكون لا شك أكثر استيعابا لما يعرض من أمور وسيكون صوته على الأرجح فى الجانب الأمثل لمصلحة البـــلاد ·

وقد روى عن هتلر الديكتاتورى الطاغية انه كان اذا عرض له أمر يحتاج الى خبراء يمتنع عن ابداء الرأى فيه ويدعو الى ذلك أصحاب العلم المشاهير فى هذا الميدان ويطلب اليهم أن يجتمعوا دون أن يحضر اجتماعهم ويخرجوا عليه بالرأى الأمثل ·

ويروى انه كان يقول لمن يعارض سياسته منهم يا سيدى أنا لا أحترم رأيك فى السياسة ولكننى فى علمك أكن لك كل الاحترام وهو بهذه التفرقة كان يطمئن نفسه أنه يتفرده بالحكم على صواب وللطغاة فى كل عصر فلسفتهم الخاصة التى يحاولون بها أن يريحوا ضمائرهم ولو أن هتلر صنع هذا الصنيع فى الحرب ما وصل بوطنه الى الكارثة التى حاقت به ولكنه الفرد وطغيانه وكبره وهيهات مع الفردية من صلاح ·

الأهـــرام ١٩٨٣/١٢/٢٦ ··

حين يلتوى الزمان

ليس المثل الأعلى أمرا هين المنال · فقد يكون الانسان شريفا أمينا · وقد يكون صادقا يحترم كلمته · وقد يكون لطيف المعشر قريب المأخذ شفاف النفس · وقد يكون سمحا طيب الخلق · وقد يكون بعيدا عن كل ما يشين الانسان أو ينتقص من كرامته · وقد يكون مؤمنا يؤدى لربه فروض دينه لا يخلف منها فرضا · وقد يكون زوجا رؤوفا وأبا حانيا أو ابنا مطيعا لايسمع منه أبواه الا ما يرضيان عنه · وقد يكون صديقا وفيا لايذكر صديقه فى غيبته الا بخير ويصدقه الرأى عند المشورة ويرعى شئونه كما يرعى شئون نفسه ·

قد يكون الانسان هذا جميعا ولكنه مع هذا لايكون مثلا أعلى وانما يكون انسانا سويا وليس سافلا ولا وضيعا ولا منحطا ولا خائنا ولكن لايكفى الا يكون واحد من هؤلاء ليصبح مثلا أعلى ·

ان المثل الأعلى فيما أتصور هو احتمال ما لايحتمله البشر فى سبيل مبدأ أو رأى أو شخص ، المثل الأعلى هو ذلك الانسان الذى يصنع ما لا تطيق الطبيعة البشرية أن تحتمله ، وهؤلاء يذكرهم التاريخ لأنهم تفوقوا على الانسان فيما يفعلون وفى رأيى أنهم أيضا يتفوقون على الملائكة لأن الملائكة لا فضل لها فى ملائكيتها فقد خلقها الله بطبيعة جعلتها روحا بلا مادة وشفافية مطلقة لا ضبابية فيها ولا اعتام ·

والمثل العليا فى التاريخ تملأ التاريخ والتاريخ لايسجل اسم الأسوياء ولكنه يذكر فقط من خرق نواميس الطبيعة وارتفع عما تعارف الناس عليه·

يذكر مثلا الخنساء تلك الشاعرة العظيمة التى بكت أخاها صخرا فى الجاهلية وظلت ترثيه عمرها كله فحين دخلت الاسلام وسألوها أتبكين كافرا فقالت ·

ـ وهذا مايزيد حزنى عليه

فهى اذن تعرف اللوعة أشد ما تكون اللوعة · ولكنها أصبحت مثلا أعلى فى الصبر والايمان والرضى والسكينة حين مات أبناؤها الأربعة فى موقعة القادسية ونعاهم اليها الناعى فاذا هى سعيدة بموتهم تتمنى لو كانوا عشرة وماتوا فى سبيل الله ·

هنا تصبح الخنساء مثلا أعلى • لأنهـا استطاعت بايمانهـا ان تسمو على الأمهات جميعا واثقة انها ستلقى أبناءها فى خير مكان تتمناه أم لأبنائها وهذه الثقة فى ذاتها هي المثل الأعلى فهي تؤمن بقلبها بالله وبالجنة التى وعد بها الشهداء والصديقين وكأنها رأتها رأى عين فاذا هى هانئة الخاطر راضية النفس قريرة العين لموت أبنائها فى ميـدان القتال لا يعنيهـا أن تسـأل عن شيء الا أن تطمئن ان كانوا أدوا واجبهم جرأة وشجاعة فى المعركة أم كانوا من الناكصين الجبناء حتى اذا عرفت أنهم كانوا فرسانا صدقا عند اللقاء يتسابقون الى الموت عازفين عن الحيـاة طابت نفسها وسعدت وأصبحت على الأزمان مثلا أعلى •

وأذكر قصة عن الحجاج حين قد ضل على فئة كانت تحاربه وأراد محاكمتها ووضع لمحاكمتها قانونا لايستنه الا الطغاة قال انه سيسأل هؤلاء الثوار قبل أن يحكم عليهـم « على أى دين أنت » فمن قال انه على دين الاسلام قتله لأن فى اجابته اصرار على الثورة ومن قال انه لم يكن على دين الاسلام عفا عنه مرتئيا أنه باعترافه هذا كفر عن ذنبه وانه لن يعود بعدها الى مناجزته وبدأت المحاكمة وتقدم اليه شاب فى ريعان الشباب وفتوته وسأله الحجاج •

ـ على أى دين أنت

فقـال الفتى

ـ على دين محمد عليه الصلاة والسلام •

فقال الحجاج

ـ اقتـلوه

فقتلوه • وتقدم بعده شيخ عجوز فسأله الحجاج

ـ على أى دين أنت

فقال الشيخ

ـ على دين أبيك الشيخ يوسف

فقال الحجـاج

ـ لقد كان والله قواما صواما

أطلقوا الرجـل

ويطلقونه ولكن الرجل لم ينطلق ولو كان انطلق ما أصبح علامة من

علامات المثل العليا وما ذكره التاريخ • ظل الرجل واقفا وصاح بالحجاج :

ـ يا كافر أيقول لك الفتى أنه على دين محمد صلى الله عليه وسلم فتقتله وأقول اننى على دين أبيك فتطلقنى ولو لم يكن لأبيك مساءة الا انه أبوك لكفاه خزيا •

ويصيح الحجاج

ـ اقتلوا الرجل

فيقتلونه ويصبح تاريخا ومثلا أعلى فى مواجهة الظالم والاقبال على الموت فى سبيل كلمة الحق • بينما أصبح الشاب مثلا أعلى فى التضحية بالنفس فى المبدأ •

أمثال الخنساء وهذا الرجل وهذا الشاب كثير فى التاريخ وهم فى الوقت نفسه قلة نادرة فى البشرية وأمثالهم هم المثل العليا •

ولكن اذا التوى الزمان وعاج معتدله وانحسرت القيم وهان الشرف ومات الحياء ، وأصبحت المعانى السامية فى الحياة تنخفى فى خشية حتى لايحاربها السفلة • وحين يضطر الخلق السوى أن يتوارى فى خجل حذر التهجم من الكفرة والمجحفين وآكلى لحوم اخوانهم أمواتا وأحياء • وحين تصبح الكلمة العليا لكل من تسلق على سلم الهوان والنفاق والمتاجرة بكل ما هو حضيض فى الهوة السفلى من الحياة • وحين يخجـــل النبل وتتبجح الخسة ، وحين تنزوى الأمانة وتستشرى الخيانة •

حينئذ وحينئذ فقط يصبح الأسوياء مثلا عليا فى العالم وتتمدح الأمانة والصدق • ولطف المعشر ، وشفافية النفس والسماحة ، والطيبة والمحافظة على الكرامة ، والايمان ، ورأفة الزوج بزوجه وحنوه على أبنائه وطاعة الابن لأبويه وبره بهما ، وحفظ غيبة الصديق وصدق المشورة • ويصبح الذين يتخلقون بالخلق السوى مثلا عليا لأن الحياة فرضت علينا مثلا سفلى • ولكن لابد لنا أن نقول حسبنا الله ونعم الوكيل •

فلا دنيا ولا آخـرة

أليست الخيانة والطغيان والمجازر والحروب والاعتداء على الحياة وتمزيق البشرية كلها كانت وليدة الطمع والجشع ورغبة الانسان اللاهبة المحرقة أن يحصل على المال والسلطان وكلما بلغ منهما الى مكان تطلع الى المكان الذى يعلوه فالانسان جشع بطبعه وقل منهم القنوع ومن أدرى بالانسان من بارئه وهو سبحانه يقول « قتل الانسان ما أكفره » • وليس هناك حد لجشع المال فالأرقام لا تنتهى ومادام المال قد أصبح غاية لا وسيلة عند مخلوق ما فويل لهذا المخلوق من نفسه • فهو لا يبحث عن المال ليرد عن نفسه وبنيه غائلة الحاجة وانما هو يستزيد من المال لذات المال وحينئذ لن يقف به اللهج والجهد عند أمد ينتهى اليه •

وليس هناك حد لجشع السلطة فكلما بلغ الانسان الكنود منها قدرا راح يبحث عن سلطة جديدة وهو لا يريدها لاصلاح شأن من تسلطن عليهم وانما يبحث عنها لتحقيق ذاته فان لم يصل بالطريق المشروع ــ وهو لن يصل به فالطريق المشروع لا يعطى السلطة المطلقة لأحد أبدا ــ خان وان خان الأقربين وقتل وان قتل الشعوب وطغى وتجبر وألغى الضمير من حياته فأصبح شرا من الحيوان •

فالحيوان لا يقتل الا حين يجوع يريد أن يسد جوعه • أو حين يخاف يريد أن يأمن • أما السلطان الطاغية فهو يقطع الرؤوس ليجعل منها سلما الى سلطانه أو يقطعها اذا كانت تفكر وهو لا يسمح لأحد غيره أن يفكر ، أو هو يقطعها لأنه يخشاها حتى وان كانت خشيته مجرد وهم لا يؤيده برهان ولا يقوم عليه دليل • فالخوف فى أغلب أمره لا منطق له ، والسلطان الخائف ذئب مسعور •

والعجيب العجيب أن الانسان يصنع هذا جميعه وهو على ثقة لا مجال فيها لشك انه ميت لا محالة • وهو على ثقة أيضا أنه عندما يموت لن يصحب معه مالا ولا سلطانا • بل هو سيصحب معه ــ لا شك ــ ما ارتكب من آثام وجرائم فى سبيل هذا المال وذلك السلطان • وكلما ازداد ماله زادت آثامه وكلما طغى سلطانه تزاحمت جرائمه •

وفى الناحية الأخرى من الحياة لن يكون فى حاجة الى المال بل ان ماله سيكون وبالا عليه فتكوى به جباههم وجنوبهم ويشقون به شقاء جسيما ، فلا هو استمتع بالمال فى الدنيا واعتصر منه ما يعتصره منه أولئك الذين يرون فى المال وسيلة لا غاية طريقا لا هدفا ولا هو جعل منه مفازة الى آخرة كريمة فتصدق به وأحس بتلك المتعة الفريدة التى يحسها المحسن حتى لأحسب أن الله بهذا الاحساس قد وهب له كل المكافأة التى وعده بها ولا هو ظفر بالآخرة بل انه واجد هناك ماله ينتظره ليكون عليه نارا لاهبة يكتوى بها ...

أما صاحب السلطان فهو ملاق وبالا أشد وعذابا أنكى فقد خاض بسلطانه وفى سبيل سلطان جديد بحورا من دماء . وأهوالا من أرواح وداس بقدميه كرامات ناس وأمنهم وطمأنينتهم واعتدى على معنى كلمة الانسان الذى كرمه الله وفضله على العالمين .

وقد يقول قائل : ويحك قد ابتعدت عن المنطق وافترضت أن جامع المال الملهوج أو صاحب السلطان المسعور يؤمن بجنة أو نار . أو يفكر فى الله الواحد القهار الذى لا يدوم الا وجهه .

وانى واثق أن مثل هؤلاء لا يفكرون في الله فان فكروا فبكفر والحاد وانكار وهكذا يكون من الطبيعى أن يكون رأيهم أنه لا آخرة هناك وانه لا بعث ولا نشور وانه لا يخلقنا الا الطبيعة ولا يبلينا الا الزمن ولا يميتنا الا الدهر وان الانسان ما هو الا عدم والى عدم .

وحينئذ يصبح أمرهم أكثر اثارة للدهشة والعجب . اذا كان الأمر كذلك ــ وما هو بذلك ــ ففيم حرصه على جمع المال وفيم سعاره فى ارتقاء السـلطان .

الحقيقة أنه لا منطق مع هؤلاء وانما هو جنون يتسلط عليهم فيختلط الأمر عليهم لاختلاط العقل فيهم . ولكن لله فى خلقه شئون فبقدر هذا الجنون الذى يتسلط عليهم ويغشى أبصارهم عن نهاية الانسان نجد عقولهم غاية فى الذكاء والنشاط عند جمع المال أو السعى الى السلطان . فانهم حينئذ يتكشفون عن ذكاء نادر وحده بادرة وتوقد ذهن يجعل كثيرا من الناس يعجب بهم . ولو كان هؤلاء المعجبون على ذرة ضئيلة من نفاذ الى الأغوار وعدم انخداع بالمظاهر لأشفقوا عليهم كل الاشفاق ولرثوا لحالهم غاية الرثاء فان الفرد منهم السان فى شكله بعيد كل البعد عن الانسانية فى مخبره وفى داخله وفى تصرفه وفى مشاعره . فهو بلا عاطفة على الاطلاق لا يعرف الحب لأحد حتى ولا لبنيه ، وقد تسال كيف وحب البنين غريزة أودعها الله فى الآباء ولكن بربك لا تعجل فى الحكم فمن قال لك أن

الله سوى هؤلاء الجشعين للمال والســـلطان على ما سوى عليهم سائر الناس • انهم سرطانات بشرية خلقها الله سبحانه ليعرف النـــاس أنه سبحانه قادر على أن يشكل الناس ألوانا شتى وأصنافا متفاوتة وانه قادر أن يرتفع ببعض منهم الى مرتبة هي خير من الملائكية وينزل بقوم آخرين الى منزلة هي أسفل من الحشرية بله الحيوانية •

انهم مخلوقات شاذة نفوسهم مسلطة على نفوسهم • والويل كل الويل لهم من ذواتهم • والويل كل الويل لهم من ذوى قرباهم ومن كان بهم على معرفة ولا أقول صداقة لأنهم لا يعرفون الصـــداقة الا لمنفعة وما هكذا تكون •

انهم لا يعرفون نبض القلب بالشفقة أو بالعاطفة • ومن لا يعرف الحب لن يجد أحدا يحبه ومن لا يعرف الشفقة يصبح عند الناس كتلة صماء من صخر مشوه لا معنى له ولا فائدة من وجوده ، ومن لا عاطفة له ذميم عند الناس مقبوح الاسم والسمعة مرفوض من الناس لأن الناس لا يستطيعون أن يعيشوا بغير حب وجمال ونبض عواطف ورقة مشاعر •

هؤلاء الجامعون للمال أو للســـلطان هم أكثر الناس بغضا عند أقربائهم وكلما توثقت وشائج القربى ازدادت دوافع الكراهية • وهكذا فأبناؤهم هم أشد الناس كرها لهم • أتراك الآن رثيت لهم كما أرثى •

لا الدنيا أصابوا ولا الآخرة • ولا هم استمتعوا بمالهم فقد أذهلهم جمعه عن المتعة به • ولا بسلطانهم فقد أرعبهم زوال الســـلطان وسعار البحث عن الجديد منه أن ينعموا بأبهة السلطان ومباهجه • وهم في الآخرة شرابهم الغسلين ومهادهم النار وبئس المهاد ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم •

مقـــالات

١٩٨٤

رأى لا سلاح

أخى العزيز الأستاذ الكبير عبد الرحمن الشرقاوى ·

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فانى قد اطلعت على ما أورده بعضهم على لسانى محاولا أن يتخذ من خلاف الرأى بيننا سلاحا يشهره عليك · وعلم الله كم كرهت هذا · فقد شهروا هذا السلاح عليكم فى موطن لا أشك انك بعيد عنه كل البعد · وقد تآخينا أنت وأنا فى الله وفى ظلال كريمة من حب الصالحين الأتقياء وأنا أعلم من اسلامك العميق وايمانك ما لا يجرؤ شك أن يتسلل اليه · وأنا أعلم انك تؤدى الفرائض جميعا أصدق ما يكون الأداء · وأنا أعلم أن أحب الألقاب اليك هى ما اكتسبته بحجك الى بيت الله الحرام انت وأهل بيتك · فاذا شهدت عليك بغير هذا أكون خائنا للحق مستحقا لغضب الله ورسوله · أما ما بيننا من خلاف فمرده انك تريد أن تطبق على المجتمع فكرا اقتصاديا ترى أن بعض الصحابة استنبطه من الاسلام وتسوق فى سبيل ذلك من الحجة ما يمدك به بعض الفقهاء ·

وأرى أنا غير هذا الرأى · ولعل أهم نقطة خلاف بيننا هى ما ذكرته من أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال حين وجد فى جيب رجل توفاه الله دينارا : « هى كية » وعندما وجد دينارين فى جيب آخر قال « هما كيتان » وجدت الزمخشرى يقول ان هذا كان قبل نزول الآيات الخاصة بالمواريث فى سورة النساء وقد تصورت انك اعتمدت على الزمخشرى وحجبت هذا الجزء من رأيه ولكنك قلت ان اعتمادك فيما رويت كان على غير الزمخشرى · وبهذا ينحسم الأمر ·

وربما طاب لى اليوم ان أضيف على هذه القصة ما عرفته بعد ذلك من عالم متمكن ان هذه الدنانير الثلاثة وجدها النبى صلوات الله عليه وسلامه عند رجلين من أهل الصفة · وكان طبيعيا أن يقول النبى صلى الله عليه وسلم ما قال ما دام الرجلان من قوم زهدوا فى الدنيا زهدا كاملا ووهبوا أنفسهم لله ومن يفعل ذلك حرم عليه أن يحمل مالا لأن المفروض عليه أنه لا يبتغى من هذه الدنيا شيئا يشتريه بمال والمفروض فيه

ألا يترك شيئا لأنه اختار الآخرة لنفسه وعلى هذا الأساس كان سائر المسلمين من مال المسلمين ما ليس له بحق وهكذا تصبح هـذه الواقعة مؤيدة لما أذهب اليه أنا ٠

وبعد فما توهمت يوما ان أحدا يمسك بسطور أكتبها عنك ليجعل منها حربا على شخصك أو على ايمانك ٠

وانك لا شك واثق كما انى واثق ان أحدا لن يستطيع أن يشوب ما عطرته السنون من صلة بيننا كان الايمان بالله أوثق أواصرها وانما أحببت أن أكتب هذا اليك لتجهز على هذه المحاولة عند من قرأ هذا الذى قرأت ودخل الكلام الى ضميره من مدخل لست أرضاه ٠

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠

الأهـــرام ٤ ينـــاير ١٩٨٤ ٠٠

هو وحده الأكبر

ذهب الرجل العجوز الى الطبيب وشكا اليه ٠

ـ يا دكتور أنا اذا سرت أكثر من ساعة ألهث ولا أستطيع اكمال المسيرة ويسأله الطبيب ٠

ـ كم عمرك ٠

ـ ثمانون عاما ٠

ـ اذن فيكفيك جدا أن تسير ساعة ٠٠٠ هذا شيء عظيم ٠

ـ نعم ولكن صديقى وهو فى الخامسة والثمانين يمشى ساعتين ٠

ـ أرأيته ٠

ـ هو يقول ٠

ـ عظيم ٠٠٠ وانت أيضـــا تستطيع أن تقول انك تمشى ساعتين وهكذا حل الطبيب مشكلة ٠٠ العجوز فى لحظة ٠

وأحسب ان شأن الكتاب اليوم عند بعض المسئولين أصبح مثل شأن هذا العجوز ٠ فنحن نكتب ونعتصر دمائنا ليكون مدادا والمسئولون عنا فى شغل فاكهون ٠ وأحسب أنهم يقولون فى سريرة أنفسهم ليقل الكتاب ما يشاءون فما هى الا كلمة تكتب يقرأها القارىء ثم يلقى بها دبر فكره ويا دار ما دخلك شر ٠

وأحسب أنهم يظنون أن الكتاب وحملة الأقلام ما هم الا مصفقين على أرصفة الشارع السياسى ٠ أو هتافين فى حجرات خالية ٠٠ لصوت هتافهم فيها صدى ولكن ليس له من سميع فلا داعى اذن أن يكون له مجيب ٠

وهموا اذن ٠ انما الكتاب هم أنوار الشارع السياسى الكاشفة تحمل اليهم هموم الشعب وتقود من الجماهير آراءها وأفكارها ومذاهبها ٠ وهذه الجماهير هى التى انتخبت هذا البعض من المسئولين وجعلت منهم الغلبية يجوز لها أن تعين الوزراء وتجلسهم على كراسيهم ٠

وقد أرى الكتاب يكتبون في كل واد ومتجه وقليل ما أرى استجابة أو أرى على الأقل اجابة وانما اشاحة عما يكتبه الكتاب وكأنهم ما كتبوا أو كأنهم يكتبون في بلد ودار غير الدار وقديما قال الشاعر الجاهلى :

الا ان لم تكن ابل فمعزى

ونحن نقول لهذا البعض من المسئولين فان لم تكن استجابة بالعمل فاجابة بالقول تجعل الكتاب يشعرون انهم أسمعوا أحياء ولم يصرخوا فى تيه من الوادى ٠

أيكون المسئولون لم يقرأوا الصحف ٠ فذلك عجب اذن ٠

فقد عاصرنا الوزراء منذ نعومة أظفارنا وكنا نرى مكاتبهم لا يزيد عدد العاملين فيها عن ثلاثة نفر أو أربعة وكان هناك واحد منهم مسئولا أن يقتطع من كل الجرائد ما جاء فيها متصلا بالوزارة التى يعمل فيها الوزير ٠

أيكون هذا التقليد قد ألغى وقد أصبح اليوم مدير مكتب الوزير بدرجة وكيل وزارة وأصبح العاملون بمكتب الوزير يتجاوزون المئة عددا ٠

واذا لم يعرف ما يكتب عن وزارته فى الصحافة ٠ وفى صحيفة حزبه بالذات فما هى القنوات التى تصل بينه وبين جماهير الشعب التى ارتضته وزيرا والوزير فى اللغة حامل الأعبـاء ٠ فأى أعبـاء سيحمل اذا كان لا يدرى من أم الجماهير صاحبة هذه الأعباء شيئا ٠ أنا أكتب هـذا فى صحيفة الحزب أمر الذى لا يجاهر كتابه بالحق ـ مهما يكن مريرا حزب ضعيف ويكون كتابه غير جديرين بحمل القلم ٠ ذلك الشيء الضئيل الحجم والذي بلغ من سمو شأنه أن أقسم به صاحب الكبرياء الواحد الأحد سبحانه عز وجل من قائل ٠

(ن ٠ والقلم وما يسطرون) والسورة كلها تحمل اسمه فهى القلم ٠

فنحن من نحمل هذا القلم ونحن من نسطر ما يسطرون ٠ فرفقا أيها الوزراء ٠ وان لم تجيبوا حديثا يعمل فلا أقل من بيان والله وحده هو الأكبر ٠

مايو ١٣ فبراير ١٩٨٤ ٠٠

ماذا فعلتم بأمكم ..؟!

ان كان العصر قد أصبح شأنها مقيتا قدر ما شاهت السينما المصرية فوارحمتا على العالمين وعلينا ان نعلن منذ اليوم ان الحياة قد سقطت الى حضيض لا اقالة لها منه .

لا ليس يفيد ايقاف فيلمين أو عشرة أو عشرين . انما ينبغي أن نعيد النظر فى السينما المصرية جميعا . ان كان هناك نظر يستطيع أن يرى هذه الدهياء النكباء التى أصابت الفن السينمائى فى مصر . والسينما اذا انهار بناؤها فى مصر فقد انهد بناؤها فى العالم العربى أجمع فياغوثاه يا غوثاه يا غوثاه .

ولقد كنا عرفنا ان الأفلام هابطة وعزلنا أنفسنا عن دور السينما لا نغشاها ولا نقترب منها وقلنا لعل هناك بعض أفلام قليلة هابطة بعض الهبوط ولعل هناك ما هو أقل منها هبوطا .

واذا السينما تغزو بيوتنا عن طريق هذا الجهاز اللعين المسمى فيديو وتوالت الأفلام إن كلمة الهبوط كلمة فيها كثير من المجاملة وكلمة السقوط لا تكفى والمؤكد أن اللغة العربية لم تصطنع بعد لفظة تواجه الحالة التى تردى اليها الفيلم المصرى ذلك ان اللغة لا تستطيع أن تخلق لفظة لحالة لم تشهدها وظاهرة الفيلم المصرى اليوم تتضاءل أمامها كل ألفاظ السقوط والتردى والفشل والقبح وما شئت من ألفاظ اللغة العربية أو أى لغة فى العالم .

ولعلنا لو تركنا مادة السقوط الى غيرها من مواد الألفاظ العربيـة تكون أقرب فى مواجهة الفيلم المصرى ربما نستطيع أن ننظر الى الخزى والمهانة واذلال الفن .. وماذا .. لا .. ما زلنا بعيدين كل البعد عن وصف الفيلم المصرى .

أيها المنتجون أيها المخرجون أيها المؤلفون للسينما أيها الممثلون وأنتم يا من يطلقون على أنفسهم لقب الفنيين ماذا فعلتم بأمكم السينما المصرية التى سكبت عليكم المال الغامر والشهرة العريضة فى مصر وفى العالم العربى كيف سولت لكم أنفسكم ان تسوموها هذا الهوان وان تلبسوها هذا العار الذى تكسونها به فى أفلامكم ٠

المنتجون يريدون أن يثروا ٠٠٠ ألا سبيل الى الثراء الا بيع هذه المادة التى تعتبر المخدرات بالنسبة اليها شرفا ٠

والمخرجون توقفوا ـ لا شك ـ عن ابداء رأيهم فى الموضوعات التى يطلبهم المنتجون لاخراجها فهذا الذى بليت به السينما المصرية من المستحيل أن يكون قد مر على رأى فنى أو أنعم فيه النظر انسان على جانب مهما يكن هزيلا من الفن أو الخبرة ٠

وكتاب السيناريو مصيبتهم أعظم وأشد هولا ، فقد رأيت فى مقدمة هذه الأفلام أسماء أعرفها تمام المعرفة وبعضها أعد لى أعمالا فى السينما أو فى التليفزيون وأنا أعرف قدراتهم بل اننى واثق أن أذواقهم الفنية ومواهبهم تستطيع أن تقدم أعمالا مشرفة والبعض منهم كتاب قصة وموهبتهم القصصية لامعة فكيف ارتضوا لأنفسهم ولمواهبهم ان تمتهن على هذه الصورة الشائنة الفادحة الاذلال ٠

أنا لن أقبل قالة منهم أنهم يحتاجون للمال فالفن للفنان عرض وليس يرضى أحد أن يبيح اسمه للمهانة فى سبيل أى شىء وأنا لا أنسى الحديث « طالب القوت ما تعدى » ولكننى أعرف من خاصة أمرهم ما يجعلنى واثقا انهم ليسوا طلاب قوت فالقوت موفور لديهم بمرتباتهم الثابتة على الأقل وبأعمال أخرى شريفة يقومون بما فهم اذن طلاب رفاهية وسيارة فارهة بدلا من سيارة رخيصة وعيش بالغ الرفاهية بدلا من عيش عادى ولا بأس بهم أن يسعوا الى هذا النوع من السيارات والى هذه البلهنية من العيش ولكن حتم عليهم أن يسعوا سعيهم هـذا بشرفهم وبالمحافظة على كرامة أقلامهم وأسمائهم فلئن يكونوا شرفاء ويأكلوا الطعام الشعبى الذى يعرفه الشرفاء خيرا من أن يركبوا أفخم مركب ويطعموا أدسم طعام ويدفعوا شرفهم ثمنا لهذا المركب وذلك الطعام ٠

وانني أبشرهم منذ اليوم أن دولة الحضيض التى اختاروها مسبحا لأقلامهم ما تلبث ان تزول ويومئذ سينظر اليهم الناس نظرتهم الى كل الذين واللواتى باعوا الشرف وتاجروا بالأعراض وقد يتخفى تاجر العرض عن الأعين ويمارس عمله فى ستار من الجدران أما هم فهم يتاجرون بأقلامهم وبشرفهم على ملأ الناس علانية بلا أى ستار ٠

وقد يظن القارىء اننى قسوت على كتاب السيناريو والحوار أكثر من قسوتى على غيرهم ونعم قد فعلت فانى الى هذه الفئة أنتسب ولست أرضى لنفسى أن أنتسب الى قوم فيهم مثل هؤلاء ٠

ان الأفلام التى أشاهدها ليس فيها سيناريو ولا حوار انما بها هرج وتهريج وحروف لا تكمل لفظا والفـاظ لا تؤدى معنى وجمل تتنـافر ولا تتصل يشرف منها بعض ويغرب منها بعض آخر فى محاولة سمجة للاضحاك ولا تنال الا القرف والسخط والحسرة على ما تأدت اليه سينما الدولة العربية الأم مصر ومرة أخرى يا غوثاه يا غوثاه يا غوثاه !

الأهـــرام ١٩ فبراير ١٩٨٤

لو اتحد المسلمون

ما جرأت روسيا الملحـــدة على غزو أفغانستان

ان القرار الذى أصدره المؤتمر الاســلامى بدعوة مصر لحضــور الاجتماعات قرار سياسى رائع أعاد الأمور الى نصابها ·· الا اننى أعتقد والشعب المصرى جميعه معى اننا كنا دائما نحضر اجتماعات المؤتمر ·· وكان يمثلنا فيها كل ملك أو حاكم أو رئيس من ملوك وحكام ورؤساء الدول الاسلامية عربية كانت أو كانت آسيوية أو أفريقية ··

وقد كانت مصر بكل مشاعرها مع أحداث العالم الاسلامى فى مشارق الأرض ومغاربها لم تغب لحظة عن هذه الأحداث ولم تنكص يوما عن ابداء رأيها فيها ·· فان أى أمر يشغل العالم الاسلامى من شأنه أن يشغل أكبر دولة اسلامية ·· فهى الأخت الكبرى فى الدول الاسلامية وصلة الدين صلة رحم ·· وهيهــات لصلة الرحم أن تعرف القطيعة أبدا أو تعترف بها ··

ولعل أبيات البحترى التى قالها حين رأى قبيلة يقتتل بنوها هى أجمل ما فى الشعر العربى فى هذا المضمار يقول البحترى :

شواجر أرماح تقطـــع دونهـــا   شواجر أرحام ملـــوم قطوعهـــا
اذا اشتجرت يوما فقاضت دماؤها   تذكرت القربى ففاضت دموعها

وها نحن المسلمين نرى الدول الاســـلامية تشتجر أرماحهــا ·· أما الأولى بنا أن نقول تشتجر مدافعها وصواريخها وطائراتها وقنابلهــا وتفيض الدماء وتفيض الدموع فان كل دم يسيل لابد أن تسيل معه دموع من أب أو أم أو زوجة أو ابن أو أخ أو أخت أو منهم جميعا ·· ولا يتذكر المحتربون آصرة الاســلام فيكفون أســلحتهم عن الانطلاق ودماؤهم عن الانهمار ويكفكفون الدموع التى أصبحت أنهارا أو بحارا ·

وتأبى ايران الصلح وترفع علم الاسلام على جبروتها وتقطع صلات الرحم والاسلام متناسية قوله تعالى «لهم دار السلام عند ربهم» الأنعام ١٢٧ وقوله تعالى « يوم الخلود » ق ٣٤ ·

« دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام » يونس ١٠ وقوله تعالى « والله يدعــو الى دار الســـلام » يونس ٢٥ وقوله تعالى « والله يدعو الى دار السلام » يونس ٢٥ وقوله تعالى « ادخلوها بسلام » ٠

بل نسوا قوله تعالى « هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام » الحشر ٢٣ واذا كانت هذه أوامر الله للمسلمين مع أعداء الاسلام فما ظنك ان كان العدو دولة مسلمة ٠٠

ولو أن المسلمين اتحدت كلمتهم وتوحدت صفوفهم ارتاب صدعهم وتجمع شتاتهم لارهبوا عدو الله وعدوهم مسلما كان هذا العدو أو كان كافرا ملحدا على غير ولا ملة ، ولو كانوا كذلك ما اجترأت روسيا الملحدة أن تغزو أفغانستان المسلمة المؤمنة الشامخة الأبية ولكن وويل لها ٠٠

الأفغانى الذى لم يمد اليها يدا بعدوان وانما هو الجشع وما يظنون أنفسهم عليه من قوة ويقف الشعب الأفغانى قليل العدد والعدة فى وجه العملاق الكئيب صاحب القنبلة الذرية وعدو الله فيقهر كيد ويرد مكره ٠٠

ولو أن الدول الاسلامية تكاتفت مع أفغانستان لازدادت قوة بالسلاح مع قوة الروح السامقة التى تحارب بها المعتدين ٠٠

وأعجب وما أظنك الا عاجبــا معى من دول تدعى الاســـلام توثق أواصرها بالدولة الباغية وتستمدها السلاح لا لشىء الا لتتشدق انها تملك السلاح أو لتعتدى بها على دول ضعيفة بغير حق ٠

وان الخطوة التى خطاها المؤتمر الاسلامى نحو عودة مصر الى مقعدها هى البشير لنا ان الدول الاسلامية عرفت اليوم أن عزتها فى وحدتها وان منعتها فى تجمعها وان شموخها فى ائتلافها وانها منذ تفرقت بددا هانت وضعفت ودب الخلاف بين ربوعها فى زمان تستطيع فيه أن تفرض ارادتها بما حباها الله به من موارد طبيعية وباتجاه العالم اليها كدول صاحبة نفوذ مؤثر فى العالم أجمع ٠

وقد فرض الله الحج الى الكعبة المشرفة ليعرف المسلمون على اختلاف أقطارهم انهم أمة واحدة يجمعهم أول بيت وضع للناس بيت الله بمكة المقدسة فليس الحج مجرد شعيرة من شعائر الاسلام وانما تجمع من فرقة ووحدة من شتات ولقاء من تباعد وانهم حين يطوفون ليسوا أفرادا ولا هم أمما وانما هم فرد واحد وأمة واحدة اسمها الاســلام وكيانها الاســلام وشعارها لا اله الا الله محمد رسول الله وأكرم به من شعار ٠

المســاء ١٩٨٤/٢/٢٠

الثوب المرقع

أرى الوفد الجديد يقبل فى ثوبه الجديد كل لون وكل نحلة وكل رأى · والذى نعرفه عن الديمقراطية ان كل حزب فيها يمثل رأيا معينا واضح المعالم بين السمات لا تخطئه عين ولا يختلط الأمر فيه مع الأحزاب الأخرى ·

واذا كان الوفد جديدا حقا لرأينا الجدة على ثيابه · ولكننا نرى فيه ثوبا قديما يحاول ادعاء التجديد برقع شتى · كل رقعة لها نسيج خاص بها ولون يختلف كل الاختلاف عن الرقع الأخرى · والبناء الأساسى للوفد الجديد ليس جديدا · فمعالى رئيسه هو هو سكرتير عام الوفد القديم · والنجوم الساطعة التى تحيط بها هى ما تبقى من الوفد القديم · ففيم اذن يختار حزب الوفد لفظ الجديد ليعبر به عن الاسم الذى يحمله شعارا له · اللهم الا ان يكون هذا تهربا من الحظر الذى يمنع الأحزاب القديمة أن تعود الى نشاطها · فالوفد اذن ليس جديدا وانما هو قديم ·· قديم لا شك فى قدمه · وما دام الأمر كذلك فاننا نسأله بكل الاخلاص أن يكون جديدا فى تصرفه وفى ممارسته للحياة الديمقراطية اذا كان قد عجز ان يجد اسما جديدا له ·

نسأله ألا يفكر فى ممارسة الحياة الحزبية الجديدة بالروح التى كان يمارس بها نشاطه فى الحياة الحزبية القديمة ·· تلك الروح التى كانت من أقوى الأسباب التى أدت الى الكوارث التى تلاحقت على مصر وجعلتها اليوم تنوء بالحمل الملقى على كواهل القائمين بأمرها ·

فلينسى الوفد الجديد الوفد القديم · وليطالعنا منه شرف القصد وشرف الخصومة · ونزاهة اليد وطهارة الذمة ·

ولا بد أن تبدو علامات تبشرنا بهذا الروح الجديدة · ولكن العلامات ــ للأسف الشديد ــ لا تنبىء عن هذا ··

فاننا حين نرى الوفد يقبل بين طياته أقصى اليسار وأقصى اليمين ندرك انه يبحث عن الأغلبية من أى سبيل فعل المرابى يبحث عن المال ولا يسأل عن مصادره ·

ولا يستطيع أحد أن يتصور كيف يندرج فى أسماء الحزب من يمثلون الشيوعية والتطرف الدينى فى وقت معا ٠

ولا يستطيع أحد أن يتصور أن يقبل الوفد بين طياته الذى يحس انه طريد عدالة أو محاطا بسمعة غير طيبة ٠ فهو يسارع بترك الحزب الحاكم ويلجأ الى حزب معارض ليستطيع بعد ذلك أن يدعى انه لم يقدم الى المحاكمة الا أنه ترك حزب الأغلبية الى حزب المعارضة ٠

فالمفروض انه لا حماية لأحد في مواجهة القانون ويد القانون حرة كل الحرية لا يقيدها الا الحق ومواد القانون ذاته وليس يعنى القانون أن يكون المخطىء فى حزب الحكومة أو فى حزب المعارضة ٠ ولهذا رسموا العدالة معصوبة العينين لأنها لا ترى المتقاضين ولا تريد أن تعرف أشخاصهم وانما يهمها فقط أفعالهم ثم تحكم بعد ذلك بالبراءة أو بالادانة ٠

وبعد فاننا نناشد الوفد قديما كان أو كان جديدا ان يرتفع بمستوى المعارضة ٠ فالأمل معقود عليه فى هذا المضمار ٠ وبالمعارضة تكتمل الديمقراطية ولا ديمقراطية بلا معارضة ٠ ولكم أخشى أن يدخل الوفد الجديد أو القديم الى مجلس الشعب بتكوينه هذا ثم تتفجر من داخله حقائق هؤلاء الذين تأكدوا أنهم لا سبيل لهم الى مجلس الشعب الا من باب حزب الوفد ٠ فهو الحزب الوحيد اليوم الذى يمثل أملا فى المعارضة ولا أحسب ان الأحزاب الأخرى سيكون لها شأن بجانبه ٠

وانى لأرجو أن يقدر حزب الوفد هذه المسئولية ويقوم بعبئها ناظرا الى مصلحة الوطن وليس الى مصلحة الحزب وانى واثق انهم يعلمون انه على المدى الطويل تتوافق مصالح الوطن مع مصالح الحزب أما اذا مال الحزب عنى هذه الغاية فما يلبث مريدوه أن يشيحوا عنه وينصرفوا أسفين ٠

مايو ٢٠ فبراير ١٩٨٤

الغاب أكثر رحمة

ويقولون امنعوا فيلم السادات وقاطعوا الشركة التى أنتجته . أى فرية هذه التى يفترون . وهل أساء فيلم السادات الى مشاعر المصريين جزءا على مليون مما يسىء أى فيلم مصرى من انتاج السنوات الأخيرة الى مشاعر المصريين والى قيمهم والى أبنــاء مصر من مختلف نحلهم ومهنهم وأعمالهم.

هل استطاع أى انتاج خارجى وان كان صادرا عن أشد البلاد عداء لمصر أن يجعل المصريين جميعاً بلا خلق ولا قيم ولا شرف ولا أى شعور بالمسئولية أو بالأمانة هيهات ..

انك ان رأيت ـ لا قدر الله لك ترى ـ فيلما من هذه الأفلام لوجدت رجال مصر جميعا فى حضيض من السفالة ماله من قرار .

هل اجترأ أى عــدو لمصر أن يرسم قضاة مصر جميعا من الفجرة المراهقين التافهين . يساومون المحامين ويسجنونهم ويميلون مع الفتــاة الجميلة ويسكتون غيرها هل استطاع أى عدو لمصر أن يسخر من منصة القضاء مثلما سخر الفيلم المصرى .. هيهات .

هل استطاع أى عدو فاجر زنديق من أعداء مصر أن يجعل المحامين فى مصر نصابين لصوصا محتالين يتاجرون فى المخدرات والعملات المزيفة هل تجرأ عدو لمصر أن يجعل المحامين مراهقين حقراء لا تفكير لهم الا فى الجنس يمارســـونه ويشجعون عليــه أخواتهم البنات ويبيعون أولئك الأخوات بيع سماح من أجل احتيال فى قضية . هل تجرأ عــدو سافر العداء أو دفينه أن يصنع هذا بقضاء مصر الواقف .. هيهات .

ان القضاء الذى جلس على كرسيه عبد العزيز فهمى وسعد زغلول ومن تبعهما بعدل واحسان الى يومنا هذا كان دائما لا يحظى عند أعداء مصر الا بكل اجلال أو تقديس .

وان المحاماة التى مارسها عبد العزيز فهمى وسعد زغلول ووهيب دوس وتوفيق دوس ومرقص فهمى والهلباوى وأحمد رشدى ومحمد على علوبة وأحمد على علوبة ومصطفى مرعى ومكرم عبيد وغيرهم وغيرهم كثيرين

لا يحصيهم العد ومن تبعهم بشرف وأمانة الى يومنا هذا كان دائما ولا يزال موضع كل اجلال وتقدير عند أعداء مصر بله أصدقائها ٠

ولكن تعالوا فانظروا ماذا صنعت به السينما المصرية اليوم هل استطاع أي عدو لمصر أن يجعل فن مصر الأسمى فى الموسيقى طبالا وراقصة فليس بمصر اذن محمد عبد الوهاب ولا من قبله سيد درويش ولا الاعلام الكبار فى فن الموسيقى التى يرددها العالم العربى وغير العربى٠ انما الفن الموسيقى فى مصر ليس الا الراقصة والطبال ٠

هل استطاع أى عدو لمصر أن يجعل جميع الأغنياء فى مصر لصوصا سفاكين للدماء آكالين للسحت ٠ يمتصون أموالهم من دماء البشر وينفقونها ان انفقوها على الجرائم وهتك الأعراض والملذات الحقيرة واللهو الفارغ ولعمرى كيف يتاح لهم الوقت ان يحافظوا على ثرواتهم التى هى ثروة مصر اذا كان وقتهم جميعه مستنزفا فى هذه المباءات الحقيرة التى يصورها الفيلم المصرى فى أيامنا هذه المقفرة من كل حياء ولا أقول ــ لا قدر الله ــ ثقافة ٠

هل استطاع أى عدو لمصر أن يجعل فقراء مصر جميعا قتلة لصوصا مخدورين لا حياة لهم الا بالحشيش أو بالمورفين أو بغيره مما لم أكن أعلم من أسمائه شيئا الا ما ثقفنى به الفيلم المصرى وما نسيته والحمد لله ٠

هل استطاع أى عدو لمصر أن يجعل المعامل الدوائية عندنا أوكار جريمة يضيع فيها الشريف ويثرى فيها كل حقير يعتدى على جميع الحرمة ويقتل النفس البشرية وكأنه يريق كوب ماء على رمال ٠

هل هناك عدو لمصر مهما تكن عداوته تجاسر يوما وجعل كل صلات الأخوة والبنوة والأمومة والأبوة والعمومة والخؤولة مهتكة لا قيمة لها ولا معنى وانما جميع الانسان فى مصر وحوش ضارية لا تكرم صلة رحم ولا مودة قربى ولا ايناس بينها ولا طمأنينة ٠

الغاب بأشجاره القائمة وطرائقه المغلقة ووحوشه الضارية وزواحفه السامة اذا قارناه بسينما مصر الحالية أمان وسكينة ومرحمة وهدوء نفس وراحة بال ٠

لا خوف على مصر من أعدائها ٠٠ ما كان أهونهم ٠٠ وما أهونهم اليوم ٠٠ انما الخوف عليها ممن يدعون انهم أصدقاؤها المدافعون عن حرماتها فى هذه الأفلام الكوارث التى يذبحون بها كل كريم نبيل فى حياتنا ٠

لقد تطاولت الألسنة فى أزمنة كثيرة من تاريخنا ولكن ما أكـرم ما قاله الأعداء اذا نحن قارناه بما يقوله عنا هؤلاء الذين يدعون أنهم من أبناء مصر كذبوا فما هى بأمهم ولن تكون ·

ليست مصر أما لمن يبيع كرامتها بيع السماح ليثرى بمال أبنائها · وليست مصر أما لمن يذبح قيمها وتاريخها ليبيع الدماء فى سوق الغوغائية والجهل فى غيبة من الثقافة والعلم ·

ليست مصر أما لمن يقول عنها ان كل الموظفين فيها مرتشون · وان المحامين لصوص وان القضاة فجرة وان الأطباء محتالون وان العلماء تجار موت ومخدرات لا ، ولا مصر أم هؤلاء الذين يمنحونهم الجوائز ويصفقون لهم ويطبلون فى غيبة عقولهم عنهم ·

ان الذين يمنحون الجوائز لهؤلاء يقيمون الأفراح حول العجل الذبيح ولو أنعموا النظر لتبينوا انهم هم أنفسهم العجل والذبيحة ولكنهم فى جهلهم يعمهون « زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين » ·· صدق الله العظيم ··

الأهـــرام ١٩٨٤/٢/٢٦

الحزبية والمبدأ

لابد لكل حزب من برنامج . وقد كانت لأحزاب ما قبل الثورة جميعها مبادىء . وقد قدر لى أن أقرأها جميعا . وكانت كلها برامج رائعة تقوم على أسس عظيمة رائعة . وقد كان أهم شىء فيها هو التخلص من الاحتلال الأجنبى . وكما كانت الأحزاب متفقة على هذا المبدأ كانت أيضا توشك أن تكون متفقة على أغلب المبادىء الأخرى . وكانت الأحزاب تهدف الى الارتفاع بمستوى الفلاح والعامل وتدعو الى التقدم الحضارى فى جميع مرافق الدولة . ولم يكن هناك خلاف جوهرى بين الأحزاب بعضها وبعض .

ولكن الخلاف بين هذه الأحزاب لم يكن فى المبادىء وانما كان فى الأشخاص . وكان لكل حزب رجاله المتحمسون له . وكانت بعض الأحزاب ترعى الله وهى تكافىء أنصارها وكانت أحزاب أخرى تعطى بغير حساب .

ولكن اليوم الأمر مختلف كل الاختلاف . فقد تم الجلاء ولم يعد المبدأ الأساسى الذى كان أهم ما تسعى اليه الأحزاب قائما .

واحسب أن أحزاب ما قبل الثورة لو بقيت الى يومنا هذا لغيرت برامجها جميعا ولأصبح لكل حزب لون خاص به يتسم بصفات مميزة . وليس من الحكمة أن يكون الفارق بين الأحزاب بعضها وبعض كبيرا وانما لابد على أية حال أن يكون لكل حزب مبدأ وبرنامج واضح .

فالحزب الديموقراطى والحزب الجمهورى فى الولايات المتحدة الأمريكية كلاهما قريب من الآخر ولكن يظل هناك بينهما اختلاف ليجعل لتكلتهم الحزبى معنى .

وحزب العمال وحزب المحافظين فى انجلترا يبدوان لأول وهلة وكان الخلاف بينهما كبير واسع لا حدود له بينما الحقيقة أن العمال ينالون فى حكم المحافظين من الميزات ما لا ينالون مثله فى ظل حزب العمال .

واليوم وقد اخترنا القائمة نظاما لانتخاباتنا لابد أن يكون لكل حزب سيتقدم الى جمهور الناخبين برنامج واضح المعالم بين السمات .

وليس من الحكمة أن يكون برنامجا مفصلا طويلا بل تكفى القواعد الأساسية التى يدين لها الحزب حتى يعرف الناخب لماذا ينتخب هذه القائمة ويترك تلك ٠

وأعتقد انه كلمـــا كان البرنامج قليل الكلمـــات كان أقرب الى الجمهور ٠

ان كل فرد من أفراد الشعب سيجد نفسه فى الخطوط العريضة التى اختارها الحزب بنفسه فان رضى الناخب عن المكان الذى وضعه فيه برنامج الحزب اختار قائمته فى غير تردد ٠

ولكن ينبغى بعد هذا أن يكون هذا البرنامج دستورا للحزب لا يميل عنه ولا يحيد قيد أنمله ٠ فاذا أراد أن يغير فيه فلابد له أن يرجع الى نوابه الذين يمثلون الناخبين الذين انتخبوه من أجل هذه المبادىء ٠

ولهذا كان انتخاب القائمة رائعا ٠ فالناخب للقائمة يختار المبدأ لا الشخص ٠ فالشخص زائل والمبدأ يبقى ٠

وحينئذ يتم ما تقول به الديموقراطية أن وظيفة الناخب تنتهى عند صـــندوق الانتخاب ٠ ووظيفـــة النائب لا تكون الا بين جدران المجلس التشريعى ٠ فاذا عاون عضو المجلس التشريعى أبناء دائرته فى أمر من أمورهم فان هذا سيكون من مدخل الصلات الاقليمية وليس من مدخل النظر الى الانتخاب ٠

وهكذا يصبح الناخب نائبا عن مصر جميعا وليس عن دائرة بذاتها ويشعر الناخب أن نائبه يصدر فى رأيه عن المصلحة العليا للبلاد فترتفع مكانته عنده وهكذا يطمئن الناخب أنه اختار القائمة التى تعود على الوطن جميعا بالخير والنفع والرفاهية ٠

مايو ١٩٨٤/٢/٢٧

حـديث الصـباح

من أجمل الحوارات التى قرأتها ذلك الحوار القصير غاية القصر البليغ كل البلاغة بين اثنين من العرب ٠

قال أحدهم ٠ والله ما أبالى مدحنى الناس أم ذموا

فاجابه الآخر ٠ استرحت من حيث تعب الكرام

والى هنا وينتهى الحوار ٠

والكرام هنا ليسوا أولئك الذين يجودون بالمال فحسب انما هم أولئك الذين يكرمون أنفسهم عن المذلة والهوان والذين يجعلون الحياة حولهم جديرة أن تعاش ٠ والذين اذا عاهدوا أوفوا بالعهود ٠ والذين يقصدهم القاصدون فيجدون سهلا ومرحبا فى اللقاء ٠ واستجابة عند الرجاء ٠ فهم الموطأون أكنافا ٠ الباذلون لقصادهم ابتسامة يتعلق بها أمل الآملين ٠ والذين يسـارعون الى الخير لأن الخير يسرى فى دمائهم فهم يصنعونه عن طبيعة مواتية ٠ وعن سجية مطبوعة ٠ حتى لا يستطيعون أن يقدموا الا الخير والمعروف ٠ والذين هم سلام حيث حلوا والذين هم الملهمون للمديح العربى جميعه ٠ والذين هم العلامات الوضاحة المضيئة فى تاريخ الخلق العربى الأصيل ٠ والذين أرسوا النبالة العربية التى أصبحت مثلا عاليا فهى فى الحياة جمالها وبهاؤها ٠

والرجل الذى قال انه لا يهمه مدحه الناس أم ذموا رجل عزل نفسه عن الحياة وأراد أن يعيشها لمتعته الخاصة ولا شأن له بناسها ٠ فالحياة عنده متعة وبعد عن كل ما هو كريم سامق ٠ ولهذا لخص الآخر الذى أجابه موقفه بقوله استرحت من حيث تعب الكرام ٠ لأن الكرام يكابدون من الحيـاة غاية المكابدة ٠ فهم يحرمون أنفسهم ليعطوا غيرهم ٠ وهم يختارون السبيل الأقوم وهو أكثر السبل وعورة وعنفا ٠ والحديث النبوى الشريف هو أصدق ما قيل فى هذا المضمار ٠ فحين قال عليه الصلاة والسلام « الجنة حفت بالمكاره » وصل الى أعماق النفس البشرية ٠ فهو عليه الصلاة والسلام يدرك أن الخلق الأسمى يكلف صاحبه الكثير من الجهد ٠

وليس النظر الى مدح الناس هو الذى يجعل الانسان يختار أن يكون كريما · هيهات لأحد أن يرضى الناس أجمعين فهو أن أرضى فئة مهما تكن خيرة سيغضب فئة أخرى قد تكون شريرة ولكنها فئة تتكون من مجموعة من الناس ·

والأشرار أصحاب أصوات عالية ولهم قدرة فائقة أن يلبسوا الباطل ثوب الحق · ولهم قدرة أن يجعلوا الخير شرا والايمان كفرا · والشرف هوانا · والكرامة مذلة ·

وهم قادرون بما لهم من أعـوان ومريدون أن يجعلوا لنباحهم لحنا ولنعيقهم نغمة · ويستطيعون أن يدعوا أنهم يمثلون أبناء الشعب الكادح والسواد الأعظم من المخلوقات · ومن هذا الذى سيحصى ويفند ما يدعون ·

مايو ٢ مارس ١٩٨٤

الأدب والتليفزيون

ما رأيت قوما يعرفون الصواب فهو منهم أقرب من حبل الوريد ثم يعرضون عنه نافرين فى غباء أصيل مثل هؤلاء الذين ينتجون المسلسلات التليفزيونية فهم يتركون الروايات العربية الضخمة الرائعة لكبار كتاب الروايات العربية ويختارون لانتاجهم أبخس الأعمال وأكثرها ضمورا وأقلها شأنا وأهونها فكرا • ولهم فى ذلك حجة مرفوضة هى انهم يحاولون ارضاء الجماهير • والحجة مرفوضـــة لأن المشترين للمسلسلات التليفزيونية انما هى الدول وليس الأفراد والدول ـ لا شك ـ تبحث عن الأعمـال السامقة لتعرضها على جماهيرها •

والحجة مرفوضة أيضا لأن التليفزيون يستطيع أن يرتفع بذوق الجماهير ، لأنه جهاز فى كل بيت والمشاهدون له يقبلون ما فيه • فان كانت الأعمال الرفيعة هى المعروضة عليهم فانهم سيقبلون عليها ربما بشيء من التحفظ أول الأمر ثم ما يلبث ذوقهم ان يرتفع فلا يقبلون الا الأعمال الفنية السامقة •

وأنا لا أدرى وما أحسب أحدا يدرى من الذى سمح لهؤلاء المنتجين أن يرموا الشعوب العربية بالسخافة والجهل وفساد الذوق •

قد يكون مقبولا من منتجى السينما أن ينافقوا المشاعر الوضيعة فى الشـــباب ليستجدوا منهم ثمن التذكرة • ولكن هذا غـير مقبـول فى التليفزيون فان شاشة التليفزيون هي جزء من الأسرة وثيق الصلة بكل أفرادها ثم هى ليست وسيلة للتجارة مع أفراد وانما المشترون دائما دول عربية أو اسلامية لها من أصالة دينها ومن تقاليدها ومن خلقها حدود وعصمة •

فالمنتج التليفزيونى مرتبط بهذه الأصول ولا يجوز له ما تفلت به المنتجون للسينما من مجون واعتداء على كل ما هو شريف ونبيل فى مقومات حياتنا •

وليس يجوز فى العقول أيضا أن يقبل هؤلاء المنتجون دولا كانوا أم أفرادا او شركات على الأعمال التى لا تفكر الا فى التسلية وقتل الوقت قتلا ساذجا أهبل دون أدنى محاولة لازجاء فكرة رفيعة أو خلق نبيل أو

معنى شريف • لا شيء الا أن يجلس المتفرجون أمام الشاشة فاغرة أفواههم بلهاء نظرتهم جاحظة عيونهم • تخفق منهم القلوب وتجرى الدماء وتعمل كل أعضاء جسومهم الا العقول التى تجد نفسها فى غير حاجة الى العمل •

وفيم تعمل والذى يعرض عليها لا يخاطب العقول وانما يخاطب فضول الانسان وتشوقه ان يصل الى آخر القصة •

وفيم تعمل العقول وهى واثقة أن الذى يعرض عليها حين تكتمل أحداثه لن يكون له معنى يحتاج الى أعمال عقل أو فكر •

كنت أحسب أن التليفزيون سينتهز هذه الفرصة التى أتاحها له تعلق الانسان بالمسلسلات ليقدم لهم روايات كل كتاب العربية الجادين لا الهازلين • القائلين قولا رفيعا ولا الذين يداهنون غرائز الحيوان فى الانسان ولا الذين يخاطبون سذاجة الطفولة فى الكبار •

والروايات العظيمة وحدها تتجاوز المئة عددا اذا نحن أحصيناها منذ ظهرت زينب لأبى القصة العربية الدكتور محمد حسين هيكل حتى اليوم •

وحين تفرغ هذه الروايات ما البأس بنا ان نميل الى الأدب العالمى فنختار منه ما شاء لنا الاختيار • نعرب ما يجمل به التعريب ونترجم الجدير بالترجمة •

واذا انتهت كل هذه الأعمال سيكون الذوق الفنى قد ارتفع وسيكون الأدباء الشباب قد بدأوا يقدمون الروائع • ويصبح المنتجون فى كل ما يقدمون أدوات بناء ورفع للأذواق واعلاء للفن السامى ولا يمسون أدوات هدم وافساد للأذواق واعتداء على كل ما هو نبيل فى حياتنا •

وحين يجيء هذا اليوم سيجد المنتجون للسينما أنفسهم مضطرين الا يقدموا هذا الغثاء الرخيص الذى قضوا به على صناعة السينما فى البلاد العربية لأن الجماهير التى يحتجون بها اليوم ستكون قد عرفت السمو كيف يكون والفن كيف يتألق والمعانى الرفيعة فى الحيـاة التى لا يصبح فنا الا بها •

وان تكريم الأجيال للأدباء لم يأت عفو خاطر من الأزمان وانما هو وليد شعور عميق ان هؤلاء الأدباء والكتاب انما هم مشاعل النور فى جنبات التاريخ والبلاد •

وحين قال تشرشل يوما ان الامبراطورية البريطانية لا تفخر بشيء قدر فخرها بانها أخـرجت شـكسبير لم يكن أحمق أو مأفونا وانما كان سياسيا خبر الدنيا وخبرته وعرف أين يكمن سر العظمة فى الأمم • انه لا يتمثل فيما أصابت الدولة من انتصارات حربية وانما هو فيما انتجت

الدولة من فن وعلم . وما لبثت الأيام ان أثبتت ان تشرشل قد أصاب بقوله مفصل الحق . فقد زالت الامبراطورية البريطانية . ولم يبق منها الا دولة من الدرجة الثانية وظل شكسبير هو شكسبير يزداد فى كل يوم تألقا وعلو قدر .

ترى أيفهم القائمون على شئون التليفزيون فى الدول أو شركات الانتاج السبب الذى جعلنى أسوق هذا الحديث عن الأدباء والفنانين .. أرجو ذلك .

الأهـــرام ١٩٨٤/٣/٤

الحــرية والفــوضى

تعودت الأحزاب الشيوعية فى كل بقاع الأرض التى تدنسها أن تدعو الى الحرية وترفع عقيدتها بتمجيدها حتى اذا أتيحت لها قتلتها شر قتلة وقضت عليها القضاء المبرم ٠

ويوم يتمكن الشيوعيون من الحكم تكون الحرية هى القتيل الأول فى قائمة قتلاها تلك القائمة التى لا تقف بها نهاية الا أن يزول الحكم الشيوعى نفسه ٠

ونحن لا ننسى يوم ثارت المجر فاذا الدبابات تسحق الأجساد البشرية من كل المجريين لا تعفى العجائز من النساء اللواتى لا شأن لهن بالسياسة ولا بما يطالب به الأحرار من أبناء البلاد ولا تعفى الدبابات الأطفال على أكتاف أمهاتهم أو أولئك الذين ما زالت خطواتهم تتعثر بهم فى المسير وتسفر المعركة بين السلاح الروسى الفتاك وبين الشعب الأعزل الذى هب يطالب بالحرية وليس له من سلاح الا ايمانه بما يطالب عن قتل مئات الألوف من المجريين ويضطر الثائرون أن يكتموا أصواتهم ، سلاحهم الوحيد ولا تخجل المعلقة الاذاعية السوفيتية أن تقول لملأ العالم ٠ نعم ان القتلى كانوا كثيرين ولكنهم الفئة الفاسدة التى لابد لها أن تقتل حتى ينعم الشعب المجرى بجنة الشيوعية الغناء ٠

فالأطفال الرضع والعجائز من النساء كانوا اذن فئة مفسدة ولكن من يستطيع أن يناقش ٠

وحين حاولت تشيكوسلوفاكيا أن تطالب بالحرية سـارعت اليهـا الأسلحة الثقيلة من خمس دول شيوعية وحاصرت أبنية الحكومة وفرض الحكم الشيوعى نفسه ٠

ومع ذلك نجد الشيوعيين فى كل الدول التى يسمح لهم فيها بتكوين أحزاب يغدقون الأموال على الشباب ويكفلونهم ويضـعون على ألسنتهم مطالب هم يعلمون كل العلم أن الاستجابة لها انتقال من الحرية الى الفوضى التى لا يكون معها الا الخراب المحقق والانهيار التام لنظام الحكم القائم الذى يمارس الحرية أعظم ما تكون الحرية ٠

حتى اذا أبت الحكومات أن تستجيب لهذه المطالب المستحيلة الرعناء التى لا تدل الا على السفه والخرق والسخف أصبحت الحكومة على ألسنة الشيوعية والشيوعيين حربا على الحرية وأصبحت مستبدة ظالمة ٠

فالظلم عند الشيوعيين يتمثل فى شيء واحد هو منع الفوضى لأن الفوضى هى الطريق الوحيد لهم أن يستولوا هم على الحكم ليطبقوا هم عدالتهم التى تتمثل فى الاعتداء على حياة الناس أجمعين وعلى كرامتهم وعلى أعراضهم وعلى أموالهم وتلك الأخيرة هى أهون ما يفقده الناس فى حكم السفاحين من الشيوعيين ٠

والشيوعية فى سبيل نشر الفوضى فى البلاد الحرة تتحالف مع كل الأحزاب المعارضة حتى ولو كانت هذه الأحزاب تمثل القمة العليا من الرأسالية وتمثل التعصب الدينى العنيف فكل شيء مباح عند الشيوعيين فهم ـ والحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه ـ لا خلق لهم ولا شرف ٠

وكيف ننتظر ممن ينكر وجود الله وهو الله أن يكون صاحب عهد أو ميثاق ، أو كيف تأمل أن تجد عند قوم لا انتماء لهم لأوطانهم وهى أوطانهم شيئا من خلق أو بقية مهما تكن هينة من شرف ٠

ولكن الشيوعيين يخادعون الله ويجهلون انه خادعهم ويجهلون أنهم مهما يرفعوا من شعارات لن يصلوا الى مآربهم الوبيل ٠ فالناس يعرفون ما يبيتون لأوطانهم من شر ٠ وما يحاولون أن يمكروا به لشعوبهم ٠ وهم لم يقرأوا القرآن والا لعلموا أن الله سبحانه هو خير الماكرين ٠

مايو ١٩٨٤/٣/٥ ٠٠

أدركي مصر يا مصر

حين تواجهنا الأفلام المصرية بهذا الهول الآخذ في السقوط . نصيح بأعلى صوتنا ادركوا مصر . الى أى قوم نتجه بصيحتنا تلك . انما نصيح بمصر ان تدرك ما يصنعه بعض أبنائها بثقافتها وبواجهتها فمصر الشعب ومصر الجمهور غير هؤلاء الذين يتصدرون الميادين الثقافية في أرض مصر .

فمصر الشعب . مصر الغالبية العظمى هى الركن الركين للاسلام . الدين راسخ فى العميق البعيد من نفوسها . ان من يمر فى شوارع القاهرة ذات الألف مئذنة ونيف يرى الشعب في يوم الجمعة وقد ضاقت به هذه المساجد التى زادت على الألف وافترش الناس الطريق العام .

ناس مؤمنون بالله والخلق وبالنبل لأنهم يؤمنون بأنه لا اله الا الله وبأن محمدا رسول الله . ودين التوحيد هذا هو مصدر هذا الخلق .

وما ببعيد عن هذا الشأن المسيحيون من أقباط مصر . فهم بخلق كتابهم السماوى يتخلقون وهم على هديه سائرون وان هدى السماء عندهم هو سبيلهم وهو تقاهم « ذلك بأن منهم قسيسين ورهبان وانهم لا يستكبرون . واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » .

ومصر الاسلام هى صاحبة أكبر أفواج الحجاج الى البيت الحرام وليست مصر هى أكبر الدول الاسلامية عددا .

هذه هى مصر وهذا هو شعبها . ولكن ما هكذا الحال مع الذين يعبرون عن كثير من وجوه الثقافة فى مصر .

ليست مصر هى هذه الأفلام الساقطة التى تعرضها شاشات السينما . ولا مصر هى هذه اللافتات المرفوعة على فراغ والتى تحاول أن تجعل الرقص والغناء الغبى سمات مصر الفنية وليست مصر هى هذه الكتب المتهافتة التى تصدر من جهات رسمية عن مصر ولا هى المجلات الشيوعية التى تظهر مدعية أنها تمثل أدب مصر والتى تتولى شأنها البيوت الحكومية فى مصر .

وليست مصر هى الغوغائية الثقافية وليست مصر فى فنها راقصة وطبالا ·

ليست مصر بهذا ولهذا فاننا نصيح أول ما نصيح بشعب مصر ان أرفض هذا الفن الذى يزيفونه باسمك وأحارب هذا الهوان الذى يدلسونه عليك ولا تقبل أنت أيها الشعب هذه الثقافة التى ليست من الثقافة فى شىء والتى يزورونها على العالم بما لك من مكان رفيع فى هذا العالم ·

ونصيح بالشرفاء من المنتجين السينمائيين والمخرجين وكتاب السيناريو ان ادركوا فنكم الذى امتهنته فئة منكم ينتسبون اليكم وتنتسبون اليهم · ونحن فى صياحنا نهيب بمن لم يسقط بعد أن أحذر أن يغريك بريق المال باصالة الخلق ويلهيك تجار الرذيلة عن سموق الفن وابائه ويخدعك أعداء وطنك عن حق مصر عليك · فان هذا الهجوم العشوائى على كل كريم أشم فى حياتنا لا يكون الا من أعداء مصر · بل ان أعداء مصر أقل ضراوة من هؤلاء الذين يرفعون علمها ويطعنون عزتها ويعتدون على المشرق الوضاء من وجهها الثقافى ·

ونصيح بالقائمين على شئون الثقافة فى مصر فى عجب ودهش وحزن وأسى · أمثل هذه الأفلام تنال الجوائز ويكرم العاملون فيها ونصيح يا دولة احجبى جوائزك عن كل من شارك فى هذه الأفلام التى تعتبر جرائم مستمرة · وامنعى دور العرض ان تعرض هذه الأفلام · فدور العرض التى تملكينها وتحمل أسمك لا يجوز أن تدنسها هذه الأفلام · وأنت يا دولة · دولة ولست تاجرة · ولا يجوز أن يزحزحك المال عن المحافظة على كرامة مصر · فأنت تمثلين مصر جميعا وتتصرفين حين تتصرفين باسم مصر جميعا واذا كانت الرقابة عندك عاجزة أن تعرف الخبيث من الطيب واذا كانت تخشى أن تتهم بالجمود وضيق الأفق فأنت يا من تشرفين على ثقافة مصر مسئولة الا يصدر عنك الا كل ما هو سامق شريف . ولقد سمعنا عن الرقابة ورأينا منها عجبا سواء كان ذلك فى السينما أم فى التليفزيون .

أما فى السينما ففى الوقت الذى نرى فيه الرقابة تجيز هذه الأفلام الداعرة المسفة نجدها تتشدد غاية التشدد فى أفلام أخرى تحاول أن تقول شيئا ذا قيمة · وأحسب ان الرقباء يقولون فى أنفسهم الدعارة أهون من الثقافة · والهذر والاسفاف أسلم من الجد الذى فيه شك واما فى التليفزيون فقد رأيت رأى العين كيف تسفح الرقابة كل عمل رفيع ويتجزأ الرقباء والرقيبات من الجهلاء والجاهلات الذين باعدوا بين أنفسهم

وبين الثقافة والفن بكل جهدهم يتصدون للأعمال الكبرى بالمنع فى ادعاء ان هذه الأعمال انما تخفى من وراء نصوصها معانى أخرى غير الظاهر منهــا • بل ويتجرأون وهم الذين لا يعرفون عن الفن الأدبى شيئا على الاطلاق ان يحكموا أحكاما نهائية على ما يتعرضـــون له من أعمال وقد يختلف الرأى حول أى عمل فنى وليس على الرافض بأس أن يرفض دون أن يبدى لرفضه سببا الا أن يكون هذا الرافض مسئولا فانه يتحتم عليه أن يبدى أســبابه ويناقش هذه الأسباب مع الذى قدم العمل الأدبى للاعداد • وتكون النتيجة هذه الأعمال الهابطة من الناحية الفنية غاية الهبوط وان كانت ـ والحق يقال ـ بعيدة كل البعد عما تردت فيه السينما المصرية من دنس وضيع فأفــلام التليفزيون وتمثيلياته أغلبها أقل من المستوى الفنى الحقيقى لمصر • ولكن الأفلام والتمثيليات مع ذلك لا تخدش الحياء قط • ومن حق التليفزيون علينا أن نشيد فعلا بمسلسل الجزار الشاعر • وبفيلم الرجل لذى قال لا • فالأمر فى التليفزيون يمكن اصلاحه ويمكن تدارك الهبوط فيه • انما الفاجعة المتمثلة فى السينما فلابد أن يتصدى لها الشعب والفنانون والدولة جميعا فى وقت معا •

الكاتب ثقة

الكاتب لا يصبح كاتبا الا اذا شعر القارىء له أنه صادق مع نفسه. فالقارىء يعلم أن الكاتب اذا صدق مع نفسه صدق مع قارئه حتى وان كان رأيه مخالفا له ٠

والكاتب لا يستطيع أن يكون صادقا مع نفسه الا اذا ألم فى القضية التى يتصدى لها بجميع جوانبها ٠ فلا يسمع من طرف دون طرف ٠ ولا يميل بالهوى مع جانب دون جانب ٠

فهناك فارق كبير بين أنواع الكتابه بعضها وبعض ٠ فالكاتب الروائى مثلا يخلق الحدث وأشخاص الرواية ويشكل الأحداث والأشخاص بما يتسق وما يذهب اليه مذهبه فى الرواية ٠

والكاتب الروائى يتناول كليات تتسع فتشمل الانسانية كافة ٠ مثل حرية الرأى ٠ وكرامة الانسان ٠ ورفض الحيوانية فى خلق البشر ٠ وغير هذا من الأفكار الكبرى التى لا تختلف من مكان الى مكان ٠

وقد يكون مكان الرواية وأشخاصها يحملون جنسية معينة وهكذا تنتسب الرواية فى جنسيتها الى هذا المكان ولكنها فى أغلب الأمر تنتسب فيما تعالجه الى الجنس البشرى أجمع ٠

ولكن كاتب المقال السياسى فى الجريدة أو المجلة يتناول مشكلة معينة بذاتها يعرفها قراء وطنه ويريدون أن يعرفوا رأى الكاتب فيها ٠ وهكذا يتحتم على الكاتب الشريف اذا تصدى لمشكلة فى الوطن أن يكون على علم واف بجميع حقائق هذه المشكلة ٠ وليس يجوز له أن يستجيب للدعاية التى تروج حول قضية بذاتها وليس يجوز بالتالى أن يكتب رأيه منافقا الدعاية التى انطلقت فى هذه القضية ٠

فليس أعلى الأصوات هو أصدقها ٠ وقد ينشأ خلاف بين أغلبية وأقلية ويكون موقف الأقلية هو الأقرب للعدالة ٠ فكثيرا ما تسيطر المنفعة الشخصية على العدالة والتعقل ٠ ولهذا تمنع التشريعات جميعا أن يحكم القاضى بعلمه ٠ فاذا كان القاضى على علم بالقضية المعروضة عليه ويكون ما علمه قد بلغه بصفته الشخصية وليس بصفته القضائية

امتنع عليه أن ينظر القضية المطروحة على منصة القضاء التى يجلس اليها .

وهكذا يتحتم على الكاتب ومنصبه أخطر من منصب القاضى . لأن القاضى فى أغلب القضايا يحكم فى قضية ينصرف أثرها الى أفراد قليلين أما الكاتب فانه يخاطب الرأى العام جميعه .

فليس يسوغ أن ينحاز الكاتب فى كل قضية الى الجماعة الأكثر عددا من الجانبين المتنازعين .

وليس من الحتم أن يكون العمال دائما على حق لمجرد أنهم قاموا بمظاهرات وهم الأكثر عددا . وان ما حدث فى لندن فى الانتخابات الأخيرة يدل على أن غالبية الشعب قد ضاقت باضرابات العمال وبكثرة المطالب التى ينهالون بها على الحكومات . وكان هذا الضيق هو السبب الأساسى لنجاح مسز تاتشر فى الانتخابات .

وليس من الحتم كذلك أن يكون التلاميذ والطلبة اذا قاموا بمظاهرات ضد أساتذتهم على حق فان كان الأساتذة أقل عددا فالذى لاشك فيه انهم أكثر ثقافة وعلما .

وانى أكتب هذا وقلبى يفيض مرارة لما قرأته لصحفى كبير أقدره وأحترمه فى قضية تشغل الرأى العام فاذا ما قرأته يميل عن الحق الى محاولة ارضاء الأغلبية . فما هكذا يكون ابداء الرأى لصحفى له ماضيه وله أسمه . فاننى أخشى أن يفقد هذا الكاتب ثقة قرائه وانه اذا فقد هذه الثقة سيفقدها أيضا عند الذين يحاول ارضاءهم . فان الهوى والرغبات الطارئة قليلا ما تبقى ويعود الحق الى النفس ويرتد المنطق الى العقول ويعرف الانسان السوى أنه جانب الحق . وحين يعود هذا الحق الى النفوس ويرتد المنطق الى العقول سيدرك ذو الهوى اليوم أن كاتبه لم يكن يصدقه .

والثقة تتكون فى السنوات الطوال . وتضيع فى لحظة من زمن أو فى كلمة من قلم . والثقة اذا ضاعت أصبحت عودتها ضربا من المستحيل .

فليتق الكتاب الله فى أنفسهم . فاننى أخشى أن يفقدوا فى قفزة رعناء من القلم ما أرسوه فى طريق طويل من ثقة القارىء بهم . فانهم حينئذ سيكونون هم أول الخاسرين وما لخسارتهم يومئذ من علاج .

مايو ١١ مارس ١٩٨٤ ..

قلوب وأقفال

كرم الله الانسان بالعقل وهداه النجدين • ولكن قوما من الناس اختاروا الضلالة ورفضوا الهدى وأقبلوا على الالحاد وانصرفت قلوبهم عن الايمان • ومع الضلالة والالحاد تزوغ الأبصار وتعمى عن كل حق • ويصبح التفكير أحول مضحكا يدعو الى السخرية والرثاء لما صنع هؤلاء البشر بعقولهم وبتفكيرهم • وقاتل الله الغرض فانه يجعل الناس من هؤلاء الناس يقولون فلا يقولون الا لغوا وينطقون فاذا نطقهم هذاء غير مفهوم خير منه الخرس والصمت والبكم •

هذا ما ثار بنفسى وأنا أقرأ أراء الشيوعيين فى حديث بمجلة الأهالى الشيوعية •

وانى عارض لبعض أقوالهم ولن أذكر أسماءهم اكراما لهم فهم من قبل وبعد أعضاء فى اتحاد أنا عضو فيه •أو يمكن أن يكونوا أعضاء فى هذا الاتحاد على الأقل قال قائل منهم ان الاتحاد لم يسع حتى الآن الى ضمان أبسط حقوق الكتاب وهو حرية التعبير • هذا قوله • أما حقيقة ما يريد قوله أن الاتحاد لم يسع الى ضمان ما يرونه حقوق الكتاب الشيوعيين فى حرية التخريب وقلب نظام الحكم • أما حرية التعبير فلست أدرى على وجه التحقيق أى حرية يريدونها أكثر من هذه التى يمارسونها • ألا يصدرون مجلة أسبوعية ولو شاءوا لجعلوها يومية أليسوا يطلعون على الناس كل أسبوع بهجوم على كل المسئولين فى مصر أقذع وأفظع ما يكون الهجوم •

ولكنهم يريدون من الاتحاد أن يصبح أعضاؤه مع الصائحين ويرفعون العقائر بالهول والثبور وعظائم الأمور كلما قبضت سلطات الأمن على مؤامرة تخريبية أو أخرى لقلب نظام الحكم ولو ان المسئولين لم يقدموا المتهمين الى المحاكمة لجاز للاتحاد أن يحتج أما أن تكون هناك جريمة معروضة أمام القضاء فماذا يستطيع الاتحاد أن يفعل واحترام القضاء مبدأ حضارى انه أنكره الشيوعيون تحتم على المتحضرين أن يتمسكوا به فالقضاء هو الأساس الأول فى استقرار الدول ولكن كيف تأتى الشيوعية اذن اذا كانت الدولة مستقرة • ولكن الاتحاد يعرف واجبه وبهذه المعرفة يرعى الناحية الانسانية ويقف الى جانب المتهمين ويقدم لهم

أو لأسراتهم مرتبات شهرية طوال الفترة التى يقضونها فى السجون ينتظرون الحكم أو البراءة ٠

ويقول قائلهم نفسه ان الاتحاد لم يحافظ على حقوقهم الأدبية المضيعة ولو كان هذا القائل على جانب مهما يكن ضئيلا من العدل لذكر ما يعلمه ان الاتحاد استطاع أن يجعل الدولة تعفى الكتاب تماما من الضرائب على كل ما يكتبونه سواء كان المكتوب كتابا أو مقالة أو رواية أو قصة أو مسرحية منشورة ٠

ولو كان القائل على نصيب ولو ضئيل من الحق لذكر أن الاتحاد تمكن من تغيير عقود الاذاعة والتليفزيون من عقود اذعانية الى عقود تضمن حقوق المؤلف ضمانا كاملا لم يكن أحد من الكتاب يتصور أن يصل اليه ٠

ويعمل الاتحاد الآن باشتراك مع المجلس الأعلى لتنفيذ قانون الحصول على حق الآداء العلنى للكتاب ٠

والقائل الذى قال ما قال يعلم هذا كل هذا العلم ولكن على قلوب أقفالها ٠

ويقول القائل تعليقا على أن الاتحاد يسارع الى تقديم المساعدات المالية للأعضاء ويوفر لهم السيارات وخلافه وخلافه هذا بيوت بأكملها يستطيع العضو أن يشتريها بأثمان خيالية ٠

يقول الاتحاد ليس جمعية خيرية ٠ نعم أيها القارىء ان هذه الجملة التى قرأتها حقيقية وأنا لم أخترعها عليه ٠ قال هذا اذن فهو يريد الاتحاد الا العون ولمن ينشد عونه والا يقدم له التيسيرات فى السيارة والبيت وطبعا هو يرفض ما يقدمه الاتحاد من اتاحة فرصة العمرة لأعضائه كل عام ٠ وهو يرفض كل الرفض ما سيقوم به هذا العام من اعداد رحلة حج لمن شاء من أعضائه ٠ والذى يقول هذا انسان بشر يدعى ان المبدأ الذى ينادى به يريد الخير والرفاهية للجميع ٠

ولو أنه قرأ القرآن لوجد فيه تلك الكلمات الخالدة « مناع للخير معتد أثيم » ٠ واذا قرأها فاننى أترك له أن يعرف على من تنطبق هذه الكلمات الخالدة وللآخرين عنده ان شاء الله

مايو ١٩ مارس ١٩٨٤ ٠٠

أمنيات فى شأن الكتاب

نحمد الله سبحانه أن التفت رئيس جمهوريتنا الى مشكلة الكتاب وجعلها الموضوع الأساسى لكلمته التى تفضـل بالقائها فى حفل توزيع جوائز الدولة • ونحمد الله أيضا ان استجابت لذلك مختلف الجهات • وقد كان لى شرف الاشتراك فى مناقشة مشاكل الكتاب فى لجنة الخدمات بمجلس الشـورى وقد دعت اللجنة جماعة كريمة من الناشرين لتعرف منهم ما يلاقونه من صعوبات فى نشر الكتاب المصرى • وشرفت أيضـا بالاشتراك فى الاجتماع الذى عقده اتحاد الكتاب للنظر فى مشكلة الكتاب استجابة لدعوة كريمة من السيد وزير الثقافة وجهها الى اتحاد الكتاب •

وأعتقد أن أهم ما ثار فى اللجنة هو القيود الروتينية والرقابيـة والمالية التى تعترض رواج الكتاب •

فالناشر حتى يرسل كتابا الى خارج مصر لا بد له أن يمر بالرقابة التى الغيت تماما بالنسبة للكتاب فى مصر والتى ما زالت جاثمة بعنفوان وجبروت على الكتاب اذا حاول أن يخرج من مصر •

وتلك عجيبة •

كيف يسوغ فى العقول أن يصبح الكتاب بلا رقابة فى مصر ونراقبه أشد مراقبة وهو ذاهب الى بلاد أخرى لها هى رقابتها على الكتب الداخلة اليها • وتقبل هى الكتاب ويظل الكتاب يتخبط بين ثلاثة ألوان من الرقابة فى مصر • رقابة البريد ورقابة النشر ورقابة الأزهر اذا كان الكتاب على أى صلة بالدين •

والأعجب من ذلك :

ان الكتاب اذا أجيز وخرجت منه نسـخة أو نسـختان ثم طلب المستورد الأجنبى الى الناشر أن يرسل كمية أخرى من نفس الكتاب ومن نفس الطبعة الى نفس البلد فلابد أن يعود الناشر الى الجهات التى سبق لها أن أجازت الكتاب لترى فيه رأيها مرة أخرى •

وعجيبة أخرى تتصل بالناحية المالية ٠

أن الناشر اذا أرسل الكتاب ولم يصله ثمنه بالعملة الصعبة فى مدى ستة أشهر يصبح مجرما توقع عليه عقوبة جنائية ٠

كيف يقبل المنطق القانونى أن نوقع عقوبة جنائية على فعل لم يرتكبه متحمل العقوبة وانما فعله الذى لم يرسل له الثمن ٠ وواضح أن الناشر هو الذى أضير فعلا نتيجة عدم تسلمه لثمن ما باع ٠ ولا يكتفى القانون بالخراب الذى حل به وقد باع ولم يتلق ثمن ما باع وانما يوقع عليه عقوبة التهريب فهو اذن فى موت وخرا ديار فى آن معا ٠

وقد ناقشت اللجان أيضا فكرة اعفاء أدوات الطباعة والورق من الضرائب الجمركية لجعل أثمان الكتاب قريبة من المعقول ، وكان أهم ما طالبت به جميع المتناقشين انشاء مكتبات عامة فى كافة ٠

أنحاء الجمهورية وفى النوادى الرياضية فى القرى وفى المدن وفى المصانع وفى كل التجمعات الشعبية ٠

وبعد فهل لنا أن ننشد البيت العربى القديم :

منى ان تكن حقا تكن أعذب المنى والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

الأهرام ٢٢ مارس ١٩٨٤ ٠٠

مصر ·· ليست هكذا !

قدر لى ـ لاقدر الله لك ـ أن أرى فى الفيـديو فيـلما لن أذكر من أسماء أبطاله شيئا فاننى أخشى اذا فعلت أن أقيم له دعاية واذا فعلت أكون قد مارست وظيفة لم أمارسها فى حياتى قط ولن أمارسها فى حياتى أبـدا ·

ولكنى مع ذلك أجد نفسى مسوقا الى الكتابة عنه لأن كمية التقزز التى واجهتها من هذا الفيلم لا أذكر أننى واجهتها قط فى لحظة من حياتى ·

للفيلم مؤلف ولن أذكر حجمه حتى لايصل الحدس الى اسم الفيلم وله مخرج وله أعمال رائعة ولم أكن أتصور أن ينحدر الى هذا الحضيض القذر وللفيلم طبعـا ممثلون ومادمت لم أذكر اسم الفيلم فمن حقى أن أقول أن المؤلف والمخرج والممثلين لم يكونوا فى فعلهم هذا فنانين ولم تكن الممثلات بما صنعن فى هذا الفيلم فنانات وكان كلا الجانبين يمارس صناعة وضيعة علنا يشاهده فى أثناء آداء حرفته سائر النـاس بينما أمثالهم من المحترفين الأصليين يمارسون حرفتهم فى خفية عن الناس ·

فالمؤلف اذن والمخرج والممثلون أشد وبـالا على المجتمع من أهـل الحرفة وأدنأ وضاعة وهوانا على أنفسهم وعلى الناس من أبناء المهنة ·

وأنا رجل من مصر · عايشت فيها طبقاتها · على مدى خمسين عاما· عايشت الطبقات الفقيرة فى المدينة والقرية · وعايشت الطبقات الموسرة وعايشت الطبقات المتوسطة وعرفت أقواما من شتى المهن ومن مختلف النحـل ·

أنا مصرى بكل ذرة من ذرات جسمى وبكل نقطة مهما تكن ضئيلة من دمائى · مصرى بكل شعرة من كيانى · بكل خلجة من خلجات عروقى· وبكل نبضة من نبضات قلبى ·

مصرى بالحب وبالحياة فأنا لم أبعد عن مصر فى عمرى كله الا أياما لا تكاد تذكر فى زحام السنين الطويلة · أنا لم أغب عن مصر فى أى مرة سافرت فيها أكثر من أيام لم تكتمل شهرا قط ·

لا ليس هذا الفيلم مصر ولا ليس هذا الكاتب مصر ولا هو يمكن أن يكون الا بلا وطن ·· ولا ليس هذا المخرج من مصر ولا من بنى الانسان·

كلهم حيوانات تصادف أن تكون فى رؤوسها عقول وأكثرهم فجورا منتج الفيلم الذى أغرى المؤلف بماله ونصب فخاخه للمشاهدين ٠

لهفى عليك يا مصر ٠ ماذا يصنع بك كتابك والذين يدعون فيك أنهم منك وأنهم الى الفن ينتسبون ٠

لهفى عليك يا مصر كيف صوروا المواطنين فيك جراثيم تسبح فى حمأة ملعونة من ابتكار المعاصى ومن سقوط الذات ومن تتويج اللذة الدنسة ملكة على الحياة كل الحياة ٠

لهفى عليك يامصر أهكذا يعرضك أبناؤك على العالم بلا ضمير يردهم أو بقية من كرامة تدفع اعتداءهم على وطنهم ٠ أهانت مصر على أبنائها كل هذا الهوان ٠

والكارثة التى لا مثيل لها أن للفيلم مؤلفا ويعتبره الناس من الكتاب وأن له مخرجا كرمته مصر فى يوم من الأيام ٠

لهفى على مصر وعلى السينما فى مصر وعلى كتاب مصر الذين هم مرغمون أن يكونوا زملاء لهذا الكاتب بحكم المهنة التى يعلنها عن نفسه وتعلنها عنه الجرائد ووسائل الاعلام فى مصر ٠ وأن له قراء وان له ناشرين وانه لزميل للكتاب وان رغمت منهم الأنوف ٠ وانها لراغمة ٠

رب ان كانت هذه السينما التى استقر عليها حالنا فامحقها محقا فلأن تكون بلا فن على الاطلاق خير لنا كل الخير من أن نمارس هذا الطعن القاتل لمصر وللمجتمع المصرى ٠

اللهم ان كانت هذه هى بداية الفن الحر الجديد فاجعلها اللهم النهاية لفن السينما جميعا ٠

وكنت أحسب أن الفن السينمائى اذا تداوله مؤلفون حقيقيون ومخرجون متقنون فانهم بحكم الألقاب التى يحملونها لقب كاتب ومخرج سيرتفعون بمستوى الفن السينمائى ٠

وكذب ما رأيت ما كنت أحسبه حقا

وكذب ما رأيت ما كنت أحسبه حقا وبئس ما رأيت انه فيلم مؤلفه كان مؤلفا الى أن رأيت له هذا الفيلم ٠ ومخرجه كان مخرجا الى أن أخرج هذا الفيلم ٠

ترى هل آن لى أن أفقد الأمل ؟

مجرم وضيع كل من اشترك فى هذا الفيلم ٠ ومجرم أيضا من تستدرجه الدعاية اليه ولا ينصح كل من يعرفه الا يراه ٠

قد رأينا من قبل روايات جنسية .. لا لم تبلغ هذا الفجور .

لقد رأينا عدوانا على مصر بالسلاح واللسان وأقسم أن كل ما شهدت مصر من عدوان أقل شأنا مما يصنعه بها أبناؤها ممن يدعون أنهم كتابها وفنانوها الذين كانوا ينبغى أن يكونوا الأنوار فيها والمصابيح .

ولولا أنهم والحمد لله قلة لكانت مصر اليوم من كتابها وفنانيها فى ظلام .

أى ظلام . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

يا لها من مسئولية

كنت قد كتبت مقالا أقتضى سياق الحديث فيه أن أقول اننى أطفأت سيجارتى ودخلت الى قاعة مجلس الشورى والكلمة عابرة لا شأن لهـا بموضوع المقال وربما أردت بها أن أشير الى السبب الذى دفانى الى ترك القاعة فى أثناء الاجتماع •

وتوقعت أى شىء الا أن يعلق أحد على هذه الواقعة الهيئة الشأن ولكنى شهدت عجبا •

لقينى كثير من الأصدقاء ولم يعلقوا على شىء من المقال الا على هذه الكلمة بآراء كلها فيها من الرضا ما دهشت له •

ثم حمل الى البريد خطابا من قارىء شاب حديث التخرج يقول لى فيه أنه يقرأ كل ما أكتب وأنه يكن لى كذا وكذا مما يمنعنى الحياء أن أذكره •

ثم يقول انه غضب على أشد الغضب لقولى اننى أطفأت سيجارتى معلنا بذلك على الملأ اننى مدخن غير متحسب اننى أكتب لجماهير عريضة فيها الشاب والفتى والصبى • وأن هؤلاء يتخذون من أمثالى قدوة ونبراسا وكأننى بذلك أحثهم على أن يدخنوا • والقارىء المعجب الغاضب ساخط على هذا الذى كتبت لدرجة أنه هددنى بأنه يفكر ألا يقرأ لى بعد اليوم شيئا •

ولا يحسبن أحد أننى أذكر هذا التهديد مستخفا به • فانه تهديد عنيف من قارىء الى كاتب • فالكاتب يكسب القارىء من العمل المتواصل وبالعديد من الكتابات • ويشقيه كل الشقاء أن يفقد واحدا من قرائه الذين قد ينصرف عنه أحدهم لكلمة عابرة لم يحسن الكاتب وزن أثرها قبل أن يخطها قلمه فالثقة يكتسبها الانسان فى سنوات وقد يفقدها فى لحظة •

وأكون مجافيا للحق اذا ادعيت أن خطاب هذا القارىء لم يهزنى هزا عنيفا فأنا من هؤلاء الكتاب الذين يظنون أنهم يدركون الأمانة الثقيلة التى اختاروا أن يحملوها يوم اختاروا أن يحملوا القلم • أو يوم تبينوا أن الله اختارهم ليكونوا حملة أقلام •

وأنا من هؤلاء الكتاب الذين يظنون أنهم يرعون هذه الأمانة فى كل حرف خطه قلمهم وفى كل عمل فى حياتهم خاصة كانت هذه الحياة أو كانت عامة ٠

فليس الكاتب ـ عندى ـ مجرد قلم وانما هو انسان وراء هذا القلم ولن يقبل القارىء منه ولن يقبل الناس أن يدعوهم الى القيم العليا للانسانية ثم يتردى هو فى مهاوى الفجور والفسق الخلقى والدناءة وبيع الضمير والتلون بكل لـون فى مهانة الأذلاء الصـاغرين المنافقين الذين يؤثرون السلامة على الكرامة والمال على العزة ٠

فان كان هذا ظنى وما أحاول أن أقيد به نفسى وما أجعله ديدنى وسمتى فما الشأن اذن مع كتاب آخرين حملوا القلم ولم يحملوا الأمانة وخطوا الحروف والكلمات على الورق ومشوا فى طريق آخر غـير الذى يدعون اليه أو ينادونَ به ٠

واذا كنت مع ما حملت عليه نفسى لأربعين عاما حملت فيها القلم لم أسلم من هذا الخطاب الساخط الذى حمله الى البريد من انسان واضح من حديثه انه صادق مع نفسه وانه مثقف قارىء مستقيم العقل واللسان والقلم ٠

فما مصير كتاب آخرين اتخذوا القلم تجارة لا منارة٠ ومورد كسب لا مصدر اشعاع ومجلبة للشهرة من أى سبيل وان كان ثمنها الضمير والشرف والنبالة ٠

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة » ٠ صدق الله العظيم ٠ « لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » صدق الله العظيم ٠

أما الآية الأولى فمن سورة آل عمران وأما الآية الثانية فهى خاتمة سورة البقرة ٠

وأحسب ان انسانا فى العالمين لا يحتاج الى هذا الدعاء قدر ما يحتاج اليه من حمل أمانة القلم ٠

فلا والله ما قصدت أن أدعو الى التدخين ولا والله ما أحسب أن أحدا من الشباب سيتخذ منى نبراسا فان فعل فدعائى الى الله وله أن يختار ما أحسن الله به الى ولا يختار ما غضب به الله على ٠

وأنا رجل لا أذوق الخمر ولا أعتقد أننى أرتكب معصية بل انى واثق اننى لا أرتكب عن عمد معصية ما ولكننى بشر أخطىء وأصيب والسجائر واحدة من أخطائى يشركنى فيها كثير من الأئمة الهداة الذين نعاصرهم أو الذين سبقونا ولا أقول انها واحدة من خطاياى فأنا أقدر أنها خطأ لا خطيئة · وأنها مكروه وليست معصية · وما يبرأ انسان من خطأ فهكذا البشر ·

ولكن الخطيئة التى وقعت فيها والتى أدعو الله أن يغفرها لى اننى أعلنت هذا على الملأ ولولا أننى كاتب قصة وأحب للسرد عندى أن يكون منطقيا واضح المعالم ما أنزلق القلم الى ما أنزلق اليه · وربما يغفر لى القارىء اذا علم أننى مقل فى التدخين الى حد بعيد حتى أن الأطباء لا يرفضون لى أن أدخن فما أمرنى واحد منهم أن أمتنع لأن الكمية التى أدخنها من السجائر قليلة الى حد بعيد · ترى أيصلح هذا اعتذار ؟ .. ما أظن ·

اذن فلألتمس العذر عند العفو فهو ميدان قد يتسع للخطايا وما أحسبه يضيق بالأخطاء والله من فوق البشر هو الغفور الرحمن الرحيم ·

الأهرام ٢٥ مارس ١٩٨٤ ..

تكملة لحديث

وآخرون قالوا قولا آخر وكل قولهم هذاء وخرافة وسخف • وقد كان جديرا بنا ان نعف بأقلامنا أن تتداول شأنهم وأن نرقى بعقولنا أن تناقش حديثهم • ولكن لهم جريدة وينشرون بها وأخشى أو يحسبوا هم ــ ولن يحسب غيرهم ــ اننا سكتنا لأن حجتهم ــ لا قدر الله ــ دامغة أو أن رأيهم ــ شاه رأيهم ــ على شيء من صواب •

وانني أدرى كل الدراية أنهم يحترقون أنفسا وقلوبا لأنهم لم يتمكنوا أن يغرسوا أظافرهم المخضبة بدماء الحرية في عنق اتحاد الكتاب •

وان مسعاهم خاب كل الخيبة أن يجعلوا واجهة مصر الأدبية شيوعية حمراء بلون الدماء التي تسفحها الشيوعية في كل دولة أنشبت فيها أسلحتها • فكان آخر ما يسلبون من دماء أختنا المسلمة العربية أفغانستان التي تقف لهم وقفة أسود ضارية ترد عن أرضها الطاهرة دنس الالحاد •

واني أعلم ان اتحاد الكتاب المصري المؤمن بمصريته وطنا وبعروبته قومية وبالله وبالسماء دينا ومعتقدا قد حطم الوعود التي تعهدوا بها للشيوعية العالمية أن يقدموا لها كتاب مصر مكبلين بكبول المادية والالحاد مبتعدين كل البعد عن شرف الدين وعن حب الأوطان • ولكن كتاب مصر لم يمكنوهم أن يحققوا هذه الأحلام الخائنة واستعصوا عليهم في اباء الأحرار وفي عزة من يعرف قيمة الأمانة التي يحملها حين حمل القلم وعرف حقه وربما ــ بل لا شك ــ انقطعت عنهم الأموال التي كانت تنسكب عليهم لهذا الغرض •

فليس عجيبا اذن أن يثور ثائرهم ويعلو خوارهم ويتناثر الزبد من أفواههم غثاء وتفاهة وسخفا •

وتأتي عناوين النشرة الاسبوعية التي يصدرونها باسم الأهالي ــ والأهالي براء ــ اتحاد الكتاب أم جمعية خيرية ــ الاتحاد لا يمثل كل كتاب مصر •

وقد أجبت على السخف الأول • وبقي ان أجيب على السخف الثاني الذي لا يتصور ان يكون هناك اتحاد وكتاب ولا يضم فلانا وفلانا من الأسماء التي ذكرها وهي أسماء أعرف بعضها وهو جدير بأن يكون عضوا

فى الاتحاد ولا أعرف بعضا منها آخرين ولكن معرفتى أو عدم معرفتى لا شأن لها بالموضوع • وربما تكون جديرة بالعضوية •

والشيوعى المتحدث يعلم ان هذه الأسماء لم تتقدم لعضوية الاتحاد ويعلم أيضا أن أى عضو يستوفى شروط العضوية لم يقفل الاتحاد دونه الباب قط ولأنه يعرف هذه الحقيقة فهو يقول ان الاتحاد رفض عضوية بعض هؤلاء الكتاب وهذا كذب وأتحداه أن يذكر اسما واحدا من هؤلاء الذين ذكرهم من أصحاب الأعمال الأدبية تقدم الى الاتحاد ورفض ، ويكمل قائلا أن بعض منهم امتنعوا عن التقدم الى الاتحاد ولما كان يعرف انه كاذب فهو يقول ان الاتحاد كان عليه أن يسعى الى هؤلاء ويرجوهم ويحلق فى الرجاء ان يتنازلوا ويتفضلوا ويقبلوا الانضمام الى الاتحاد •

أهناك سخف مثل هذا السخف أيعقل أن تمرغ كرامة كتاب مصر فى الوحل ونجعل اتحادهم يتوجه بالرجاء الى أى مخلوق مهما يكن شأنه بالتقدم لعضوية الاتحاد •

ولما كان هذا السخف لا يكفيه فهو يحض الاتحاد أن يقبل الكتاب الذين نشروا كتبهم على طريقة الماستر • وطريقة الماستر هذه وسـيلة منزلية للنشر • وطبعا هى وسيلة ينعدم معها تماما وجود الكتاب فكل كتاب لم يدخل الى المطبعة لم ينشر وشرط القبول فى الاتحاد أن يكون للعضو عمل ملحوظ • فاذا كان العمل الأدبى معدوما أصلا • غير موجود فكيف بربك يمكن أن يكون ملحوظا ان الاتحاد مرتبط بقانون لا يستطيع تغييره ، واذا قبل الاتحاد عضوية أصحاب الكتب الماسترية لحطم قانونه ولجعل أعضاءه يشعرون ان اتحادهم ليس جادا وانما هو هازل لا قيمة له • وأحسب ان الاتحاد اذا قبل مؤلفى الماستر سيجعل الغالبية العظمى من أصحاب الكتب الحقيقية ينفضون عنه ويقدمون استقالاتهم منه •

وعلى كل حال فصاحب كتاب الماستر اليوم يلبث ــ اذا كان أديبا حقا ــ ان يصبح صاحب كتاب حقيقى غدا وما يلبث أيضا أن يصبح كاتبا مرموقا يتخطف الناشرون كتبه فلينتظروا الغد • وليس الغد بعيد •

مايو ٢٦ مارس ١٩٨٤

حـديث الصـباح

ان الأحزاب منذ نشأت تأتلف حول أفكار متحدة • فليس يسوغ فى الأذهان أن يتكون حزب ما والأفكار بين أعضائه مختلفة كل الاختلاف متباينة غاية التباين •

قد يكون بين أعضاء الحزب المتطرف غاية التطرف فى التمسك بآراء الحزب لا يقبل فى أى تفصيل من تفاصيلها نقاشا ويكون هناك من هؤلاء الأعضاء من يترك التفاصـيل الى الأمهات ويقضى عن الفروع ويتمسك بالأساسيات • ويظل الفريقان ينتميان الى فكر واحد ومبدأ واحد ، هو مبدأ الحزب الذى يلتفون حوله •

والحريصون على الديمقراطية فى مصر هم أشد الناس حرصا على تكوين حزب الوفد الجديد سليما صحيحا حتى يصبح معارضة لها قيمتها فانه لا ديموقراطية بلا معارضة •

وأنا من الذين يؤمنون أن حزب الوفد هو الحزب الوحيد الذى يمكن أن يكون معارضة طبيعية تثبت قواعد الديموقراطية وتؤصلها • ولكن حزب الوفد يطلـع علينـا كل يوم بجديدة تجعل تفاؤلى به أقرب الى التشـاؤم • وتؤكد عندى أن الوفد الجديد لا يستطيع أن يتخلص من غوغائية الوفد القديم • وأن هذا الحزب الذى كنت أتمنى أن يكون وليدا فى أجواء جديدة يأبى ألا أن يضرب بجذوره الى الحزب القديم الذى كان يعبد الأشخاص لا المبادىء • والذى يبحث عن المنفعة الذاتية لا المنفعة العامة والذى يجهد كل الجهد أن يظفر بمقعد فى سلطة تنفيذية أو تشريعية وان كان هذا المقعد على اشلاء الخلق والرأى والشرف والنزاهة •

وآخر ما طالعنا به حزب الوفد فى العدد الأول من جريدته ذلك الذى نشر فى الصفحة الأولى منها من أسماء الشخصيات الهامة التى انضمت الى الحزب الجديد ووجدت بين هذه الأسماء اسمين عجبت كل العجب أن يرحب بهما حزب الوفد هذا الترحيب العريض •

أما الاسم الأول فهو الأستاذ أحمد الخواجة • وأمر الأستاذ أحمد الخواجة شهير جهير لا يخفى منه شىء فالذى لا شك فيه أنه كان وفديا

قبل الثورة · وكان وهو طالب مرتفع الصوت بالوفدية وبالنحاس ومن اتصل بأى سبب بالنحاس ·

ثم جاءت الثورة فاذا الأستاذ أحمد الخواجة واحد من أهم العناصر التى رحبت بالقضاء على الديموقراطية والاجراءات التى اتخذتها الثورة ضد الرئيس الحالى للوفد الجديد من سجن ومصادرة أموال بل ومعاملة غير انسانية له فى السجن ·

أيكون السيد فؤاد سراج الدين موافقـا على ما اتخذته الثورة من اجراءات ضده · والا فما قبوله وترحيبه بالأستاذ أحمد خواجة · واذا لم يكن موافقا على ما عومل به ــ وهذا هو الأرجح ــ فمرة أخرى ، ما ترحيبه بمن أيد هذه المعاملة قولا وفعلا ومؤازرة فى نقابة المحامين وفى كل مجال من مجالات الحياة العامة ··

عجيبة ·· أليس كذلك ؟!

أما الشخص الثـانى الذى أثار دهشتى انضمامه الى الوفد وأثار تشاؤمى ترحيب الوفد به فهو الأستاذ اسماعيل فهمى وزير الخارجيـة الأسـبق ··

فالأستاذ اسماعيل فهمى لم يظهر على سطح الحياة السياسية الا فى عهد أنور السادات ، وهو الآن لا يدين الا بمبدأ واحد لا غيره هو رفض معاهدة كامب ديفيد ، ورفض السلام · وقد استقال من الوزارة احتجاجا على الأمرين معا ·

والوفد قد أعلن أنه موافق على معاهدة كامب دافيد وعلى السلام · فرأى الأستاذ اسماعيل فهمى يقف على النقيض تماما من رأى الحزب المعلن · ولا يمكن ــ بأى صورة من الصور أن يلتقى المتنافران وأن يتوافق الضـــدان ·

عجيبـــة أخـــرى !!

وبعد ، فهذه بعض الأمور التى تثير الدهشة فى تكوين حزب الوفد الجديد وهى قليل من كثير فاننى كلما نظرت الى تكوين هذ الحزب أجد قماشه مرقعا بشتى ألوان تتنافر ولا تتسق وتتباعد ولا تتفق · فهو يمثل ، أقصى أقصى اليمين وأقصى أقصى اليسار · وكم أخشى اذا دخل ممثلوه الى قاعة البرلمان أن يتمزق القماش وترجع كل رقعة الى المكان الذى تنتمى اليه ولا يبقى من حزب الوفد الا كهنة لا تصلح أن تكون حزبا ·

مايو ١٩٨٤/٣/٢٩ ··

الحنين الى الماضى

لا يذكر التاريخ عصرا رضى فيه أصحابه عنه • فانك اذا طالعت الشعر العربى وجدت أغلبه يذم العصر الذى يعيش فيه حتى اذا عرف الناس الطباعة وجدت أغلب كتاب العصور تحن نفوسهم الى العصور السابقة عليهم واحسب ان هذا ليس مقصورا على العرب وحدهم بل ان الشعوب الأخرى التى نقرأ لغاتها أو التى تترجم أعمالها الى العربية لها لماضى عصورها حنين يوشيه الوعى ، والحب ولا تشذ عن هذه القاعدة الا روسيا الشيوعية لأن الكتاب فيها ليسوا أحرارا فيما يكتبون وانما يأمرهم الحزب الشيوعى ان يتمدحوا بحاضرهم ويسخطوا على ماضيهم وآبائهم فلا خيار لهم أمام أوامر الحزب ولا حيلة فانه اذا حاول منهم أحد ان يتفلت من أوامر الحزب حاصرته أيد فراسة بالتعذيب والنفى والسجن والقتل أيضا اذا هو امعن فى ممارسة حرية الانسان •

أما الشعوب الأخرى فتحن الى الماضى وربما كان الحنين الى الماضى القريب أو كان الحنين الى عصور خلت وتراكمت عليها السنون •

ومن أعجب العجب ان عصر ظهور الاسلام لم يخل من هذا الحنان وذلك التشويق حتى لنجد الروايات التى تروى عن هذه الفترة تتهم ناسها بأنهم نسوا الخلق النبيل والمثل العليا التى كان عليها أجدادهم •

ولم يدرك ناس هذه الفترة انهم كانوا يعيشون أمجد فترات التاريخ الانسانى على الاطلاق •

وكم تملكنى العجب ان أقرأ هذين البيتين :

وما بقيت من اللذات الا مخاطبة الرجال ذوى العقول
وقد كنا نعدهم قليلا فقد صاروا أقل من القليل

ثم أجد الراوى يقول ان عمر بن الخطاب كان يروى هذين البيتين ويتمثل بهما وعمر بن الخطاب هو ميزان التاريخ الذى يشبهه ميزان فى الأرض وهو العدالة الكبرى الذى لم يعرف العالم مثيلا لها فى حكام العالم على اختلاف الأزمنة والعصور •

العجيب انه لم يكن راضيا عن أبناء عصره الذين صنعوا للبشرية تاريخا لم تصنعه جماعة من الناس على امتداد التاريخ ·

أيكون هذا الحنين تشوقا من النفس الى الحياة الباقية وتطلعا من الأحياء الى اليوم الذى يلاقون فيه رفيع الدرجات ذا العرش والأحبة الذين رحلو من عالم الفناء الى عالم الخلود ·

أم يكون الشعراء قد ضاقوا ببعض أفراد من أبناء عصرهم فاطلقوا أحكامهم على العصر جميعا · فانت تجد ان المديح كان لأفراد بذواتهم فى حين تجد الهجاء يتخطى المهجو الى العصر جميعا · ولكنك مع ذلك تجد فى الشعر العربى كثيرا من الأبيات لا تكتفى بمديح الفرد وحده وانما تجمع اليه قبيلته جميعا · واقرأ معى :

مصابيح فى الهيجا مكاشيف للدجى
بنى لهـــم آباؤهـــم وبنى الجـــد

وتعذلنى افنــاء ســعد عليهـــم
وما قلت الا بالذى علمت ســعد

واقرأ معى أيضا :

قوم أبوهم ســنان حين تنســبهم
طابوا وطاب من الأولاد ما ولــدوا

محســدون على ما كان من نعــم
لازايل الله عنهم مالــه حســدوا

وقد كان عمر بن الخطاب يروى هذه الأبيات أيضا فيما يروى من شعر فقد كان رضى الله عنه من الذين يحبون الشعر ويلذ لهم روايته ·

واقرأ معى أيضا :

وهـــل ينبت الخطى الا وشــيجه
وتزرع الا فى منابتهـــا النخـــل

وانت تجد فى كل هذه الأبيات التى ارويها من الذاكرة نظرة قوية الى أثر الآباء والأجداد على خلق البنين · وهذه النظرة قول دون وعى على الحنين الى الماضى والتشبث به والاصرار على الانتساب اليه ·

وربما كان من الطريف ان اروى ذلك البيت البالغ الذكاء الذى أراد به الشاعر أن يمدح كريما ويذم أخاه فى نفس الوقت فاذا المعنى ينقاد له

على صعوبة الطريق ووعورته وتسعفه الصياغة الرائعة فاذا البيت يعدل عشرات القصائد • يقول البيت :

فـــان يك بحر الحنظليين واحـــدا
فما تســـتوى حيتانه والضـــفادع

وقد وضع هذا البيت الحنظليين فى حيرة بالغة فما يدرون أيفرحون ان فى بحارهم هذه الحيتان أم يحزنون ان بحارهم لا تخلو من الضفادع أيضـــا •

ولكن الواقع الذى لاشك فيه أننا كلما مرت بنا الأيام بقسوتها وأحاطت بنا أحقاد المعاصرين وافتراسهم للفرص وان ساروا اليها فى بحـار من دماء الكرامة والشرف وعلى رءوس اخوانهم وأصدقائهم هاج بنا الحنين الى رحاب الأبوين نتنسم من ذكريات حنانهم وحديهم وحبهم الصافى الرقراق انساما تعيننا على تقبل الحياة وتزيد شوقنا ان نمثل بين أيديهم نستروح فى ظلهم من عنت الحياة وارهاق البشرية •

وبعد فالانسان هو الحيوان الوحيد الذى يدرك كل الادراك انه غير مخلد وانه لا يبدله ان ينتقل الى حياة أخرى يجد فيها الخلود فيكون هذا الحنين الى الماضى تشوقا الى هذا الخلود • من يستطيع ان يحكم فى صحة هذه المظنة الا بارىء النفوس وعالم خوالجها والذى يدرك خائنة الاعين وما تخفى الصدور • جل علاه • أنه وحده العالم بالنفوس التى ســواها والتى ألهمها فجورها وتقواها •

الأهــــرام ١٩٨٤/٤/١

المعارضة شرف أولا

ليس يعيب انسانا ان يغير رأيه اذا تبين له الحق من الباطل • فان الحق قديم والرجوع الى الحق خير من التمادى فى الباطل • هكذا قال عمر رضى الله عنه •

ولكن ان يكون الحق هو استباق المنفعة والبحث عن منصب أو كرسى نيابى فذاك هو النفاق بعينه لا يتردى فيه الا ساقط الكرامة فاقد للشرف خائن للضمير بائع للضلالة حائد عن الهدى •

ولا شك أن الله وحده هو المطلع على الضمائر • وهو وحده الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور • ولكنه سبحانه بفضل منه ألهم الناس الوصول الى حقائق الناس .فهو سبحانه -يصف نفسه بأنه خير الماكرين • فهو بهذه الصفة يكشف عن الناس غطاءهم فاذا بصرهم حديد واذا هم يصلون الى ما يضمره المنافقون • وليس غريبا اذن ان يبور مكر المنافقين • مهما حاولوا شق الحناجر منهم بشعارات الخلق والأمانة والشرف والوطنية • ورحم الله عزيز أباظة حين يقول فى مسرحية العباسة على لسان هارون الرشيد :

شعور الشعب يا جعفر حق لا هوى فيه
يميز بوحى فطرته عداه من محبيه
له من وعيه الساذج مصباح فيهديه

وانى ألقى نظرى الى الأحزاب المعارضة • فأجد حزب التجمع يرتكس فى الالحاد ويعادى الوطن المصرى من أجل وطنه السوفيتى ويتمرغ أعضاؤه فى مهاوى الالحاد والخيانة • ولكن أصواتهم ترتفع أعلى ما يكون الصوت وتنبض حناجرهم أرفع ما يكون النبض بادعاء التدين وحب الوطن • ولكن مكر هؤلاء هو يبور وهيهات لهم أن يصلوا من الشعب الى القلوب لأن الأصوات منهم لا تنطلق من القلوب وما لا يصدر عن القلب لا يصل الى القلب أبدا •

وأنظر الى حزب الوفد الجديد فأجده حزب الوفد القديم • فهم يصدرون جريدة خلفية العنوان فيها خضراء ناظرين الى العلم الأخضر -

وليس على العلم الأخضر بأس ولكن البأس كل البأس أن ننسى أن تطورات كثيرة حدثت وان الذى كنا نقبله فى المجتمع القديم لا يمكن أن يكون الأساس فى المجتمع الجديد • وانه اذا كانت القيم الخلقية الرفيعة ثابتة لا تتغير الا أن المفاهيم السياسية لابد لها أن تتغير •

وأنظر فى كتاب الجريدة فأجدهم جميعا ماعدا الأستاذ أحمد أبو الفتح من أعداء الوفد الذى بلغوا فى عدائه أقصى مدى وأجد واحدا من هؤلاء قريبا لى مع الأسف أسماه عمى أبوه رحمه الله باسم أبى كاملا حبا فى أبى والذى كان من أشـــد أعـــداء الوفد ومن مؤسسى حزب الأحرار الدستوريين • أحقا أذن يا أخى دسوقى أصبحت تحب الوفد •• أرجو أن يكون ذلك حقا فلأن تكون مخطئا خير ألف مرة من أن تكون شيئا آخر لا أحب أبدا أن تكونه •

ليست المعارضة هدفا لذاتها ولا هى وسيلة لاظهار النفس واستعراض القدرات وانما هى ركن أساسى من أركان الديمقراطية وهى مثل جانب من جوانب الحياة ان لم تتســـم بالشرف تصـــبح كارثة على أصحابها والعياذ بالله •

مايو ١٩٨٤/٤/٢

حديث الصباح

من قال ان الشيوعيين مصريون انهم مصريون فقط حين تصبح مصر دولة من الستالايت التابعة لروسيا ٠ أم أن تكون دولة حرة مستقلة ذات سيادة .وليس فيها أثنا عشر ألف جندى روسى فهى اذن ليست بلدهم ولا هى وطنهم ولا هى منبت غذائهم ولا هى مهد طفولتهم ولا هى الدولة التى تلقوا فيها تعليمهم ويعيشون فى ربوعها ويفرحون بأفراح شعبها ويحزنون لأحزانه :. لا ليست مصر بلادهم انما هى الضحية التى يريدون أن يفترسوها ويقتلوا أبناءها ويرووا بدمائهم الحقد والكراهية ليغرسوا فى هذه الأرض شجرة شيوعيتهم وحين تتخلص مصر من العار وتسترد الأرض التى فقدتها فى حرب ٦٧ بحرب لم يعرف تاريخ الحروب الحديث لها مثيلا ٠ وحين يذهب جيش مصرى كل جنوده مصريون ودماؤهم كلها مصرية وتراق دماؤهم هناك لتلتقى بدماء شهداء ٦٧ لتسترد مصر أرضها وتسترد بذلك دماء شهدائها التى أريقت فى هذه الأرض ٠٠ لا يكون هذا نصرا ٠ ولا يكون لمصر الحق أن تشملها السعادة فان النصر قد تم بقيادة أنور السادات ومادام ليس روسيا فهو ليس جديرا بان يذكر أسمه ٠ وان النصر قد تم وكان قائد الطيران محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر اليوم ٠ ومادام هذا الرجل يأبى لمصر أن ترتمى فى أحضان روسيا ومادام يرفض أن تصبح مصر دولة ملحدة بغير دين ، شيوعية بغير قيم ، فوضوية بغير قانون فمصر اذن لا تستحق التهنئة ورئيسها الذى كان قائد طيرانها فى النصر لا يستحق الذكر ٠

هم ليسوا مصريين فأفراح مصر اذن ليست أفراحهم ٠ انهم شيوعيون والشيوعية ترفض أن يكون للانسان وطن ٠ وهم مع ذلك وفى وقاحة لا مثيل لها يتقدمون لشعب مصر وللفلاحين فى مصر ولعمال مصر ويطلبون منهم أن ينتخبوهم أعضاء فى مجلس الشعب الذى يمثل مصر ٠

والاخوان المسلمون والجمعيات الارهابية وأصحاب المساحات الواسعة فى جريدة الوفد وفى غيرها من الجرائد لا يعنيهم فى شىء أرض الأديان التى كلم فيها موسى ربه ومشى عليها عيسى عليه السلام وسرى فوقها محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ٠ وليس يعنيهم فى شىء أن تسترد مصر المسلمة أرضها بعد حرب مقدسة خاضها أبناء مصر مؤمنين

بالله وبرسله فانتصروا بايمانهم لا يغنيهم مادامت عودة الأرض ستجعل مصر عزيزة ومادامت هذه الحرب تظهر ان الايمان بالله عميق كل العمق فى نفوس المصريين – بريئا كل البراءة من ارهابهم وقتلهم الناس بغير حق وحرقهم بيوتا يذكر فيها اسم الله اثما وعدوانا واشاعة التفرقة والتنازع بين أبناء الشعب الواحد • انهم يريدون مصر أن تصبح مثل لبنان فهم لا يشعرون أنهم سعداء الا اذا رأوا الدماء تهرق والأرواح تزهق وهم دائما لا يريدون أن يذكروا الآية الكريمة من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ••• وكيف لهم أن يذكروها ثم يجرءوا على فعل ما يفعلون •

أما الوفد فمصر لم تعد مصرهم ومادام تحرير الأرض لم يأت عن طريق النحاس باشا فهو لا يمثل الشعب • وما دام المحاربون ليسوا وفديين فما هم بمصريين وأما الدماء التى سالت فى سبيل مصر فهى دماء خائنة انتهازية بذلت نفسها للحكام نفاقا منها وتزلفا لأنور •

مايو ٣ ابريل ١٩٨٤

دفاع فى غير جريمة

أعجب كل العجب من دفاع الأستاذ أحمد بهاء الدين الدائم عن قيام الثورة وكأن هناك خلافا حول هذا الأمر يستحق الدفاع • فأنا أعتقد أنه ليس فى مصر شريف يشك لحظة فى أن قيام الثورة كان ضرورة سياسية واجتماعية بل ودينية • بل ان قيام الثورة كان خير وقاية لمصر من قيام ثورة أخرى أطلت بوادرها فى حريق يناير عام ١٩٥٢ • ولو قامت هذه الثورة من غير الجيش فهى الدمار المحقق الذى نشهده اليوم فى ايران •

كان الملك قد استشرى وكان الذين حوله يسفكون دماء الحياء ويرتكبون باسمه جرائم السرقة والرشوة والفساد • وكان هو فى اختياره لحاشيته بارعا كل البراعة فى انتقاء أسوأ العناصر وأكثرها انحطاطا • وكان فجوره يبيح له أن يبعد عن دائرة صداقته كل شريف أو نبيل من رجالات مصر •

وكان حزب الوفد الذى كان يتمتع بشعبية لا تتمتع بها الأحزاب الأخرى لأسباب لا أحب أن أذكرها الآن هو الموئل الذى يعلق عليه الشعب الآمال فى مجابهة الملك والتخفيف من شروره وفساده •

فاذا حزب الوفد فى وزارته الأخيرة يصبح أكثر خضوعا للملك من حاشيته العطنة • وأسرع تلبية لنزوات الملك من الذين يهيئون له ليالى مجونة وسهراته المخجلة •

ويحس الوفد انه فقد الشعب ويحاول ان يسترده بالغاء المعاهدة فاذا به يفقد أيضا أنصاره الانجليز الذين اجلسوه على دست الوزارة فى ٤ فبراير ، ولا يسترد الشعب ، فاذا الحزب يفقد جناحيه اللذين كان يطير بهما : الشعب من ناحية والانجليز من ناحية أخرى • وقد كان وجود هذين الجناحين فى جسم الوفد ظاهرة شاذة فى ذاتها • فما اجتمع رأى الشعب والانجليز فى اناء واحد قط • وكان طبيعيا ان تتحلل هذه الظاهرة الشاذة وتتفسخ وتحل عراها • فقد ادرك الشعب ان الوفد أصبح يبحث عن الحكم لا الوطنية وانه يسعى لهدفه هذا من أى طريق حتى وان كان الطريق هو الانجليز أو كان الملك الفاسد • وما لبث الانجليز ان ادركوا ان الوفد لا آمان له وانه على استعداد ان ينقص ولاءه لهم فى لحظة معتمة

على أنه سيدور من الباب الخلفي ويحاول ان يسترضيهم فى الخفاء بعد ان ألغى المعاهدة معهم فى العلن ٠

وكان رجال الأحزاب الأخرى قد كتبوا عريضتهم الشهيرة المسماة بعريضة الثلاثين نسبة لعدد الموقعين عليها ٠ وقد طالبوا فيها الملك بأن يستقيم وان يبعد عن حاشيته المهازيل الحقراء الذين يصطنعهم وبهذه العريضة أعلنت الأحزاب الثلاثة الأحرار الدستوريون والسعديون والكتلة ومعهم بعض المستقلين الشرفاء رأيها الصريح فى الملك ٠

وحين شب حريق ينـــاير طلب الملك الى الأحزاب تأليف الوزارة فاشترطوا جميعا أن ينفذ ما جاء فى العريضة وكانوا يعلمون أن مطلبهم هذا مستحيل التنفيذ ٠

وهكذا اتجه الملك الى المستقلين فى تأليف الوزارات التى خلفت الوزارة الوفدية وتلاحق الانهيار وقامت الثورة ٠

وقد كان قيام الثورة هو النتيجة الطبيعية لهذه الهوة التى تردى فيها الملك والتى أعلنت عن نفسها فى الحريق ٠

كان لا محيص اذن عن قيام الثورة وان كل الذى نسمعه أو أغلبه كان حقا فما قيل عن رشوة عبود للملك أمر لا تستطيع الاشاعة ان تخلقه٠ فهو الحقيقة التى لا يستطيع الخيال أن يصنعها ٠ وبيع رتب الباشوية والبكوية كان حقيقة معلنة وكان جزيا كبيرا وغير ذلك مما لا يتسع له مقال أو كتاب أو كتب ٠

وكان التلاعب بالدستور أبشـع ما فى هـذه الأمور ٠ فالأحداث الشخصية التى يشارك فيها الملك أعمال فردية تشوه فى مجموعها سمعة ملك مصر الذى كان يعتبر رمز مصر ٠

أما الاعتداء على دستور مصر فهو اعتداء مباشر على مصر كلها ٠ ويكفى ما صنعه الوفد بتسعة عشر عضوا من أعضاء مجلس الشيوخ بقانون يدعو الى السخرية والهزء لنعرف مدى جرأة الوفد على دستور البلاد ٠ وحسبنا ان يكون رئيس مجلس الشيوخ من بين هؤلاء المخرجين ٠ وجاءت الثورة وأعلنت فى بيانها الأول انها جاءت لتحمى الدستور وانتعشت آمال الشعب جميعا لا أستثنى من ذلك أحدا الا قلة نادرة غابت عليها العواطف التى لا فـــكر لها ٠ وكان الوزراء الســـابقون من بين هؤلاء المستبشرين ٠ وألغيت الألقـــاب ٠ وكان العظمـاء من حملة الألقـــاب لا يعتبرونها شيئا ذا بال ٠ وأذكر ان أبى صبحنى فى ذلك اليوم ممازحا فى التليفون :

ـ صباح الخير يا أفندى ٠

فقلت له فى ضحك وأنا أحس فى صوته الفرحة بعهد جديد أنا طول عمرى أفندى انما المشكلة ماذا سنقول لسعادتك ٠

وضحك أبى رحمه الله ٠ وقد يحسب الناس ان هذه الألقاب كانت تمثل شيئا عند حامليها ولو عرفوا العظماء منهم حق المعرفة لعرفوا! انها كانت أهون شيء عندهم ٠

ويقول العقاد فى تهنئة الدكتور هيكل بالباشوية :

أغنى البريـــــة عن حـــــلى لقب
من كـــان يتشرف باســـمه فردا

وقد كان أغلبهم ذا تاريخ يغنيه عن الباشوية كل الغناء ٠ وأذكر أن باشا سخيفا أرسل الى أصدقائه يقول لهم أرجو ان تنادونى بالأخ فلان ٠ وكأن أصدقاءه كانوا سيحتارون كيف ينادونه فكان ها الذى فعله مثــار تندر وسخرية من كل الذين أرسل لهم بطاقته الغبية من الباشاوات وغير الباشـــاوات ٠

وأصدرت الثورة قانون الاصـــلاح الزراعى وقد استقبله الناس بالبشر ٠ فمهما يكن الرأى الاقتصـــادى فى شأنه الا انه كان لابد منه ليعرف الجميع أن الثورة جاءت لتغير وجه الحياة فى مصر ٠

وتزايد التأييد للثورة التى جاءت تحافظ على الدستور وتنفيذه ٠ ولم تكن الثورة فى حاجة الى أى اجراءات استثنائية فقد كانت تملك السلاح ولم يكن أعداؤها يملكون السلاح فهى اذن لم تكن محتاجة الى العنف قط ٠ وحين ثار العمال الذين قالت الثورة انها قامت من أجلهم أعدمت الثورة اثنين من زعماء الثائرين فاستتب الأمر لها تماما ٠

وحين شرع واحد من الاخوان المسلمين فى القتل قتلت الثورة بعد محاكمة تعتبر فريدة فى هزالها وهزلها سبعة من اقطاب الأخوان ولم تتحسب انها جعلت منهم شهداء ٠

وألغت الثورة الدستور فكان ذلك بين الناس عجبا ٠ لقـد جاءت الثورة لتحمى هذا الدستور فكيف يسوغ فى الضمائر ان تلغيه ٠ واذا كانت الثورة قد قامت لتنقذ الدستور فكيف تبرر هى أن تقتله ٠ ونذكر بيت شوقى :

فكيف يكـــون فى أيد حـــلالا
وفى أخرى من الأيـــدى حرامـــا

ثم تفجرت مراكز القوة طغيانا بعد انفصال سوريا • وكان هذا الذى حدث قمة العجب • ان الشعب المصرى كان مظلوما بالوحدة فقد انتزع منه اسم بلده مصر • والغى علمه •• وأصبحت مصر أم الحضارات اقليما لا دولـــة •

وكان الظلم على الشعب المصرى افدح يوم حدث الانفصال •

فلماذا ينتقم الحكام من المظلوم لمجرد انهم عاجزون عن الانتقام من الظـــالم •

وتوالت الاعتقالات والحراسات وانتهاك الحرمات •

حتى اذا حدثت نكبة ٦٧ راح الحكام ينكلون بالشعب أسوأ ما يكون التنكيل • ورأينا الاعتداء على الأعراض علانية وفى الخفاء تتسرب أخباره الى الناس ذعرا وهلعا •

ورأينا كيف سام العهد الناس هوانا ومذلة لانسانيتهم •

ويقول المدافعون انها تجاوزات •

هل السرقة قبل الثورة جريمة •

والقتل والاعتداء على الأعراض من مراكز القوة تجاوزات •

فيا أخى الأستاذ بهاء لا عليك من الدفاع عن قيام الثورة • ودافع اذا شئت عن هذا الذى ارتكبته فئة باغية باسم الثورة ان كان الى دفاع من ســبيل •

والله الذى لا اله الا هو انا لا ندرى الى أى مصــير كانت ستقذف مصر لو لم يتداركها الله جل علاه بأنور السادات يرفع الرعب والهلع عن أبنائها ولو لم يفعل الا ذلك لكفاه ولكنه يزيد فيحقق أول انتصار عربى فى العصر الحديث ثم يزيد فيشق الخطوب والأهوال الى السلام الذى لولاه لكانت مصر اليوم دمارا وحريقا وخرابا كهذا الذى نشهده فى لبنان •

ويزيد الله مصر لطفا وينعم علينا برئيسنا هذا الحالى محمد حسنى مبارك فاذا مصر تشهد حرية لم تشهدها فى أى يوم من أيام تاريخها فاذا الانسان كيان مقدس لا يمسه الا القانون الذى يسيطر على الحكام قبل المحكومين واذا الكلمة حرة طليقة من غير قيد حتى الكاذب منها والماجن لا يرد الكذب فيها أو المجون الا القانون •

فيا أخى بهاء أطو الصفحة السوداء وانشر الصفحة البيضاء وأنت تعلم بما تثقفت وقرأت ان الدفاع مهما يكن حارا لن يرد الباطل حقا ، ولن يجعل الشين زينا ، ولن يقلب الظلم عدلا ، ولن يقيم من الهوان عزة ، ولا من الهزيمة نصرا •

كم ان المزورين من المعارضين لن يستطيعوا أن يزيفوا الحق على الناس ولا على التاريخ ولن يستطيعوا مهما علا صراخهم أن يجعلوا أمن السادات خوفا · ولا نصر السادات هزيمة ، ولا سلام السادات حربا ·

وانهم لأشد عجزا أن يجعلوا حرية مبارك قهرا وسماحته ظلما وإنتصاراته الدولية هزائم وانهم لن يستطيعوا أن يزيفوا الحق على الناس ولا على التاريخ ولن يستطيعوا أن يحجبوا عن الناس انه كان قائد الطيران فى أكتوبر العظيم · وانه اليوم هو الزعيم المصرى الذى يحظى بالاجلال والاكبار والتبجيل فى جميع أنحاء العالم ، عربيا كان هذا العالم أو أفريقيا أو غربيا أو شرقيا · وان رغمت من الأنوف أنوف ·

الأهـــرام ٨ أبريل ١٩٨٤

ما أشبه الليلة بالبارحة

قد يقول قائل ان الوفد كان مضطرا قبل الثورة أن يهادن الانجليز تارة أو يرضخ للملك تارة أخرى متوسلا بذلك أن يصل الى الحكم • ولا ضير على أى حزب أن يحاول الوصول الى الحكم مادام يعتقد أنه بوصوله الى مقاعد الوزاة سيحقق للوطن الآمال وسيكف عن أمواله أيد عابثة تنتهب الأموال العامة وكأنها أموال خاصة ولكن الوفد للأسف الشديد كان يسعى لدى الانجليز والسراى لا ليكون أمينا على صوالح الدولة وانما ليجعل الدولة مالا مباحا للأقارب والأصهار وليوزع الغنائم والأرباح على كل منافق يقبل يد الزعيم وأنصاره ومعاونيه وكم كنت اتمنى حين ظهر الوفد الجديد أن يكون قد أخذ من الأيام عبرة وأن يكون قد أقام المنهار من خلقه وتصرفاته ولكن الوفد الجديد خذل الأمل فيه كما خذل الوفد القديم الشرف في التصرف والعفة في التعبير • وكان الوفد القديم لا يبالى في سبيل أن يصل الى مغانم الحكم أن يدوس كل المعانى النبيلة فى الحياة ولهذا لم يكن عجبا أن الوفد الذى بدأ ورجال الدولة العظام كلهم يقفون معه وقفة رجل واحد وفيهم الساسة الدهاة والعلماء الأئمة والمشرعون الفقهاء ينتهى بما انتهى اليه من المهازيل قد هان أمرهم واضمحل شأنهم وذبل وريقهم وأصبحت أشجارهم حشائش وصروحهم أكواخا وأبراجهم كهوفا • فقد أبى الاعلام الشامخون أن ينقلبوا الى طبول تنقر عليها عصى الغوغاء ومزامير تنفخ فيها أفواه الجهلاء وقد دأب الوفد فى القديم أنه يرد بالشتيمة على الرأى • وأن يواجه الحجة بالسباب •فاذا ضاقت عليه المسالك أرسل المأجورين من دهمائه ليضربوا ويحطموا فقد كان الرأى عندهم هو الطوب • والحجة عندهم هى العصى • والبرهان كان عندهم أيضا الرصاص اذا لزم الأمر •

وأحسب الناس اليوم لا يذكرون كيف قتل الوفد اسماعيل زهدى وحسن عبد الرازق لأنهما كانا على خلاف معهما فى الرأى • وقد كنت أرجو كما قدمت أن تكون الأيام قد هذبت ما فيهم من غوغائية فاذا هى لم تزدهم الا سعارا • وها هم أولاء يتحالفون مع الاخوان المسلمين فاذا كان الوفد فى قديم يخفى أظافره الشرسة فى بطانة من الديمقراطية فها هو

ذا اليوم يظهر بتحالفه مع الاخوان كل أظافره ويشهر معها أيضا أظافر الاخوان ٠

واذا كان الوفد القديم يطلق كلابه المسعورة بالعصى والحجارة والرصاص ٠ فان الوفد الجديد قد بدأ يقوم بنفس الدور والنعيق ينبىء عن الكارثة ٠ فالخطابات تصل الى بالسباب وبغير حجة ٠ قليلة هى الخطابات لا تتجاوز عدد أصابع القدم الواحدة ولكنها تكشف فى وضوح أن الوفد الجديد ليس جديدا ٠

الوفد القديم كان أسفل ما يكون فى تحطيم الصلات الأسرية وصلات الرحم التى أمر الله بها أن توصل والوفد الجديد أكثر ضراوة فى هذا المضمار ويزداد الوفد لجديد سعارا فى تمزيق العلاقات فيشق الأخ عن أخيه فى غير مراعاة لما يقتضيه الخلق الأمثل والشرف عند الخصومة والترفع عند اختلاف الرأى وان الخلق الرفيع لا يظهر الا عند الخصومة كما أن هذه الخصومة هى خير ميدان ليظهر المعدن الخسيس على حقيقته ٠

وبعد فقد ظهرت قوائم الوفد وجاءت كما توقعنا ٠ فما كان أحد يتصور أن تكون خيرا من هذا ٠ فبرنامج حزب الوفد الذى أعلن عنه ليس له سمات مميزة الا محاولة ارضاء الشيوعيين بالتخلى عن كامب دافيد والسلام ثم هو فى غير هذا كلام ملأ أنهار الصحف على اختلاف آرائها ٠

ومادام هذا هو جهد الوفد الجديد وما دامت هذه هى أقماره ونجومه فالأمر اذن قد وضح لقد انفض الشعب عن الغوغائية وعن المتاجرين بالأمة وآماله والرافعين الشعارات على الهواء وأدرك أن الوفد الجديد شر من الوفد القديم على سوئه ٠ فالقديم على الأقل لم يتحالف مع الاخوان المسلمين ولا هادن الشيوعيين ولا نافق من يختلف معه فى الرأى عداءهم ٠

وانه لولا أسماء ثلاثة أو أربعة فى قوائم الوفد جميعا لكانت كل أقماره فى محاق المحاق ٠ وكل نجومه فى أفول الأفول ٠

وان الصور التى نشرتها جريدة الوفد شخصان أو ثلاثة جديرون بالاحترام ٠ ولكن للأسف الشديد فيها صور يندى جبين الخلق من تصدرها قائمة الوفد ٠ فهى دليل على أن الوفد مازال كعهده يدعو الى استغلال نفوذ الحاكمين فاذا هم أبوا ورفضوا أن تكون أموال الدولة نهبا لاخوتهم وذويهم ٠ نفر منهم هؤلاء الاخوة وأعلنوا على الملأ عداءهم للحكام الذين يريدون أن يصونوا ذمتهم وأن يرعوا الله فى أموال مصر وأن يتقوا الشرف فى تصرفاتهم كرجال فرض الله عليهم المسئولية ٠ وان الأقارب الذين يريدون أن يستغلوا مناصب أقاربهم جديرون أن ينظر اليهم الناس

فى استنكار وقد كان الوفد — لو كان يرعى للشرف حرمة — خليقا أن يرفض انضمامهم لصفوفه لأنه حين يقبل وجودهم معه فهو يعلن على الناس أجمعين أنه يؤيد استغلال النفوذ والاستيلاء على حقوق الناس بكل الوسائل غير الشريفة ويعلن أيضا أنه يرحب بالذين يريدون أن يسيروا على رقاب العباد لا لشيء الا لأنهم بصدفة الولادة أصبحوا أقارب من يحملون مسئولية الحكم فى البلاد ·

وبقدر ما يصبح انضمام هؤلاء الأقارب وصمة مهينة فى جبين الوفد وزعمائه ·

بقدر ما هو شرف ورفعة وسمو وعفة ونور فى جبين الحاكمين الذين خرج عليهم أقاربهم ·

فما كان خروجهم من أجل مبدأ · فلا مبدأ هناك حيث ذهبوا انما كان خروجهم لأنهم أرادوا أن يمتصوا دماء الشعب بصلات قرباهم · ولكن أقرباءهم أنقذوا الشعب منهم وأبعدوا أسنانهم أن تنهش جسم الوطن وأيديهم أن تنهب المميزات التى لا حق لهم فيها ·

وخليق بنا اليوم أن نهنىء الحاكمين بخروج من خرج عليهم من ذوى قرباهم ·

وخليق بنا أيضا أن نصيح بالوفد الجديد · انك كدأبك الذى عهدناه فيك ·

وحسبنا الله فيك فانه سبحانه القادر على أن يمكر بالماكرين فيبطل ما يدبرون وهو وحده سبحانه القادر أن يحفظ على مصر كرامتها ويزيدها على الأيام عزة وسموقا ·

الأهـــرام ١٥ أبريل ١٩٨٤ ··

خطابات خمسة

لم يكن عجيبا وقد كشفت عن أوكار الأفاعى الأحجار التى تتخفى وراءها أن يحمل الى البريد عددا أجده أنا قليلا كل القلة فهو خمسة خطابات تمور فيها السخائم وتغتلى فيها مراجل الغيظ مما كتبت ٠

ولم يكن عجيبا أيضا أن أجد فيها المنطق المنحط البعيد كل البعد عن أى عقل ٠

ولم يكن عجيبا واحدا القوى من الخطابات الخمسة لم يحاول أن يناقش ما أقول حجة بحجة أو رأيا برأى ٠

وانا قضى ربك على أن أقول ما بنفسى ٠ مع أننى أعرف جيدا كيف أنافق الرأى العام ٠ وكيف القوى بالحديث ٠ وكيف اتجنب الصراحة ٠ وكيف أباعد بينى وبين الحق ٠ وكيف أهرب من الرأى الفصل الذى اعتقده الى الرأى المائع الذى ينافق ولا يصارح ويداهن ولا يجبه ٠

ولكننى ابيت أن أكون كذلك فأنا انظر فيما أكتب الى الساحة القدسية التى يكدح الانسان كدحا ليلقاها هناك حيث العدل المطلق وحيث أرجو أن أمسك فيها كتابى بيمينى هاكم أقرأوا كتابيه فاننى أعلم كل العلم منذ وعيت ومنذ كتبت انى ملاق حسابيه عند من لا يضيع عنده حق ولا يصلح عنده باطل ٠

وقضى ربك أن يكون رأيى مخالفا لجبهات فيها الملحد وفيها السفاك وفيها آكل السحت المرتشى المتاجر بمقدرات مصر وأموالها وكرامتها ٠

وهذا لم يكن عجيبا أن يكون من بين الخطابات من يهدد ويتوعد ومن بينها من يسب ويحتار من الالفاظ أشدها هجرا دون أن يحاول خطاب واحد أن يناقش ما أقول وكيف لهم أن يناقشوا وهم يعلمون أنه الحق فالذى أذكره تاريخا وأحداثا وليس مع التاريخ والأحداث نقاش فى حدوث التاريخ والحدث ٠ وانما لو أن لأصحاب هذه الخطابات عقلا لحاولوا أن يفسروا هذه الأحداث بغير ما فسرتها ٠

وأنا أهاجم الشيوعيين لأنهم ملحدون لا يؤمنون بالله ولأنهم سفاكون للانسان فهم قتلة مئات الملايين من الأنفس ٠ ولأنهم يخنقون الحرية

وينشدون أناشيدها ويدعون الى قيامها ليتمكنوا من قتلها . ولأنهم منافقون يبدون للناس حسنى ويضمرون لهم غدرا ، ويدعون أنهم يرجون للناس سعادة وجنة وهناء حتى اذا أنشبوا فيهم الأظافر اذاقوهم الهوان والذلة والشقاء وقتلوا كلمتهم فاذا ظفرت على الشفاه قتلوا صاحبها .

وأنا أهاجم الجماعات الدينية المتطرفة جميعا لأنهم يركبون الدين الى الدنيا ولأنهم يستحلون أرواح الانسان التى قدسها الله فأمر سبحانه أن من يقتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ولأنهم يشيعون فى المجتمع ذعرا والله يدعو الى الأمن . ويشعلون بين الناس حروبا والله سلام والاسلام سلام والأنبياء والرسل سلام . فاذا كان الله يقول لرسوله لست عليهم بمسيطر فانهم هم يدعون لأنفسهم ما حرمه الله سبحانه على الرسول وهو الرسول .

وأنا أهاجم الوفد الجديد لأنه هو الوفد القديم فى شر صوره وأبشع مراتبه فهو فى الماضى هو الحزب الذى أشاع الفساد والافساد فى مناحى مصر وهو هو الذى تاجر بثقة الناس فيه وفى زعاماته فباعها للمحتل وباعها للملك الفاسد وكان السبب الرئيسى فى حريق القاهرة الذى كان أول معالم الثورة .

ثم هو هو اليوم الذى يتحالف مع الاخوان المسلمين ويعلن ذلك ويتحالف مع الشيوعيين ويضمر ذلك . ويبدى غير ما يخفى ويعلن غير ما ينطوى عليه . ثم يعود فيعلن غير الذى صرح به من قبل سياسته كذب ونفاق وأخلاق عبيد لا ساسة وفعل تاجر بلا ضمير وأفاق بلا قيم .

وتأتى الخطابات فلا أعجب لما فيها فقد توقعته وانما عجبى كله أنها خمسة خطابات فقط اذن فأمر هؤلاء هين لا قيمة له .

وأجد فيها من يقول أننى أنافق السادات ولعمرى كيف ينافق الحى رجلا ضمه الله اليه وأصبح لا يستطيع ضرا ولا نفعا .

وأجد فيها من يقول أننى لا أجرؤ أن أتكلم عن عهد الطغيان فى مصر بعد الثورة . وانى أترك هذا القائل لأى انسان فى مصر أو فى غير مصر يقرأ ويشاهد السينما اذا لم يكن يقرأ أو يشاهد التلفزيون اذا كان لا يقرأ ولا يشاهد السينما أو يسمع الاذاعة اذا كان البصر منه كليلا فهو لا يقرأ ولا يشاهد السينما ولا التلفزيون أو هو من أبناء مصر يسمع ما يتناقلونه عن الكتاب ومذاهبهم اذا كان لا يقرأ ولا يشاهد ولا يسمع

ولكن كيف لى أن أسمع الصم أو أجعل العمى يبصرون ما دامت على القلوب أقفالها .

وبعد . فلا وربك ما غضبوا لرأى ولا انتفضوا من أجل مصر وانما هم فى جهلهم مرتكسون . وليس على الجاهل حرج . وان ربك لهم بكل مرصـــــد .

مايو أبريل ١٩٨٤ ..

حـديث الصـباح

أما الذين علت بهم السن من حزب الوفد والذين كانوا مرتبطين به قبل أن يحل والذين عادوا اليه بعودته فلا أمل فى شأنهم فما الى تغييرهم من سبيل ٠ فقد أصبحت الوفدية بالنسبة اليهم علامة من علامات الوجه وسمة من السمات الخلقية وسكن اللام أو حركها فليس هناك فارق كبير ٠

ولكن أسفى كل الأسف على الشباب الجديد الذى انضم الى الوفد وهؤلاء الشباب الذين أقصـــدهم أولئك الذين تصل بهم سنهم الى الأربعين ٠

كيف يبدأون حياتهم مخـــادعين لأنفســـهم ٠ ما هو المذهب الذى اجتـذبهم لحزب الوفد ٠ ما هو المبدأ الذى ينفرد به حـزب الوفد عن الأحزاب الأخرى حتى ينضموا اليه ٠ ما هى السمات المميزة التى اكتشفوها بعلمهم وثقافتهم فى حزب الوفد حتى ينضموا اليه ٠

اننى أتحداهم ٠٠ اذن فهى المنفعة ٠ اذن فهو البحث عن مكان شاغر فى مجلس الشعب أو كرسى خال فيما قد يتصدى له حزب الوفد من مجالس ٠

أو هكذا يكون الشرف ؟!

ان هؤلاء الشباب أعواد خضر ناضرة نظيفة ٠ لم يلوثها ما لوث حزب الوفد ٠ ولم تقع عليها الأوضار والمثالب التى ازاحت الوفد عن شعبيته ٠

فأسفى عليهم شديد ؟! لماذا يجعلون من خضرتهم سوادا ومن نضرتهم يبسا ٠ ولماذا يلوثهم حاضرهم ومستقبلهم وهم النظفاء فى ماضيهم الاطهار فى حياتهم السياسية ٠

فاذا كان هذا بدءهم فماذا يكون شأنهم حين تسير بهم السياسة فى طريقها الطويل ٠ واذا قدر لهم أن يقتعدوا كرسيا فماذا هم فاعلون به وبأى ضمير سيقومون بأعباء كراسيهم ٠

اتراهم يريدون أن يعارضوا ٠

هل المعارضة غاية أم وسيلة ؟

الذى لا شك فيه أن المعارضة ضرورة لا تستقيم الحياة الديمقراطية الا بها ٠

ولكن هل تراهم يعرفون ماذا هم معارضوه أم هى المعارضة لوجه المعارضـــة ؟!

وان كان الأمر كذلك ٠ افتراهم بما لهم من علم وثقافة يعرفون لكل مشكلة من مشاكل مصر حلا ٠

وان كانوا يعرفون فما لهم يعلنون حلولهم هذه ؟؟ أليسوا مصريين قبل أى اعتبار آخر ٠ أم ان مصر أصبحت اليوم وبعد السنوات العجاف هى آخر شىء إعتبارا ٠ وأصبح النيل منها هو أيسر الأمور منالا كم أنا حزين على مصرى الحبيبة وأنا أرى بعضا من مثقفيها الذين كانوا جديرين أن تتعلق بهم الآمال يميلون عن الحق الى الباطل جريا وراء النفع والمصلحة الخاصة والشهرة الفارغة والطبول الجوفاء والشعارات المرفوعة على فراغ ٠

أما الشيوخ فلا أمل ٠

فقد كانوا فى الحزب الذى قام على الغوغائية ، من التهريج ، وانتهاز الفرص ، وممالأة الانجليز ، وتملق السخافات ، وانتهى به الأمر بالخضوع المطلق للملك حين كان الملك متمرغا فى حمأة الرذيلة ، وحين كان رفاق صباحه السفلة من اللصوص ، وحين كان أصحاب سمره سماسرة الأعراض وبنات الهوى من أرخص نوع البنات الهوى ٠

وكانوا فى الحزب الذى قامت دعائمه على المحسوبية والاستثناءات وأبعاد أصحاب الحق وتقريب أصحاب النفاق ٠ كانوا فى الحزب الذى احترقت فيه القاهرة والذى أشعل الحريق فى أخلاق المصريين جميعا ٠ والذى زرع الديكتاتورية فى ميدان السياسة المصرية ٠

أما هؤلاء يا شباب الوفد الجديد فلا أمل منهم أما أنتم فانى أصيح بكم من مكان الاخوة فى الله وفى حب مصر ٠٠ أفيقوا وانظروا فى أى طريق أنتم سائرون والى أية هوة أنتم صائرون ؟

مايو / ابريل ١٩٨٤ ٠٠

أجاهلية يريدون ؟!

حين نعمت بالحرية من بعد كبت كان طبيعيا أن يتواثب على منابر الشجاعة كل دعي متظاهر • وكل جبان متشاجع • وكل من كان يحس في صدره أشياء يمنعها الجبروت أن تقال وترددها القيود أن تنطلق • ولكن هذه الأشياء لم يوجهها أصحابها الى الذين فرضوا عليهم الكبت والعنف والجبروت •

وانما وجهوها في قوة فائقة الى الذين أطلقوا لهم الحرية ورفعوا عنهم القهر وحطموا عن أصواتهم القيود • اتراها عجيبة من عجائب الزمن أن يصبح أنصار الحرية هم هدف السهام من الحرية وأن يمسى أعداء الحرية هم أناشيد الولاء من الذين تحرروا •

ان هذه المعارضة بطبولها ورنينها الأجوف تهاجم في ضراوة شرسة وفي غير خلق كل الذين وقفوا الى جانب الحرية وأتاحوا لأصوات هذه المعارضة أن تقول ما تشاء •

وهو سبحانه جل علاه أعلم بعباده وهو سبحانه الذى قال عز من قائل « قتل الانسان ما أكفره » •

خلقــه الله سبحانه ثم كفر به • وأنعم عليه ثم ألحــد عن دينه ووهب له المال فتنكر له ، ورزقه البنين والبنات فصد عن سبيل الله •

فاذا كان هذا شأنه مع من خلقه فسواه ومن ألهمه كل الحرية فى فجوره وتقواه وبسط له الرزق ووهب له زينة الحياة فى البنين والبنات أفنعجب اذن من هذا الانسان اذا جحد فضل من فك قيوده ورد له حريته السـليبة •

اذن أفنعجب من ذلك الانسان حين يمتدح الهزيمة ويهاجم النصر • ويجعل الذين حققوا له الأمل فى أن يرفع عن نفسه مرارة الذلة بعزة الانتصار وفجيعة الهوان بكبرياء الكرام وأى عجيبة فى ذلك •

لقد كان الانسان قبل أن يرسل الله أنبياء ، يعفر رأسه فى تراب الأصنام ويستجير بالحجارة على الحياة وحين توالت آيات السماء أعرض عنها فى كبر ورفضها فى غلظة • والآيات من السماء ما هى الا الاكرام

بالانســـان الذى خلقه الله في أحسن صورة وجعل منه سيد مخلوقاته ووهب له العقل وحق الاختيار ٠

الانســـان لكنود

ويبدو أن الانسان هو الانسان وان تحضر وركب الهواء بعد أن كان يركب الناقة ، وسمع الراديو والتليفزيون بعد أن كانت مسلاته وملهاته نقر الطبول وهز الأوساط ٠

يبدو أن الانســان جاهل بالسليقة فما زال العالم المتحضر يعجب بالقــوة ويستعملها في فض نزاعاته ٠ وما زالت الدول الكبرى تنشــب أظافرها في الدول الصغرى ٠ وما زال بعض الناس يرون الفن كل الفن في نقر الطبول وهز الأوساط ٠

فما بعجيب من المعارضين أن يرفضـــوا النصر ويحاولوا تحطيمه ويتغنوا بالهزيمة ويرفعون راياتها ان كان للهزيمة رايات ٠

ونرى حزبا يســمى نفسه بالوفد منتسبا الى حزب قام ليحارب المستعمر يصر على أن يحتفظ بالاسم وقد زال الاستعمار ٠ ويرفع شعارات زمان رفضه الشعب ٠ بل ان رفض الشعب لفترة الطغيان كان لأنه وجد الجبروت ممن انتظر عندهم الرحمة ٠ ولقيه الظلم حيث كان يلتمس العدل حتى اذا جاء العدل ٠ والنصر والسلام على يد السادات وحسنى مبارك ؟ رفض حزب الوفد العدل والنصر والسلام ٠ ورفض أيضا الحرية التى اتاحها مبارك أو أوسع ما تكون الحرية ويصرون أن يجعلوها جاهلية الى ما قبل الزمان الحر النزيه ٠

مايو/ أبريل ١٩٨٤ م٠

حـديث الصـباح

قد يرى قليل من الأصدقاء أن أرد على قوم يحلو لهم أن يوجهوا لى السب ولا أقول النقد · فالسب هو الشتيمة التى لا رأى فيها ولا منطق · وأما النقد فهو وجهة النظر الأخرى يسوقها من كان صاحب رأى ·

والواقع أن السب والشتيمة لا يرد عليهما الا من هم أمثال السبابين الشتامين ولست بذلك · فهم يحتمون منى باخلاقى وبصغارهم وأذكر الأبيات القديمة ·

أما الهجـاء فدق عرضـك دونه والمدح عنك كما علمت جليل
فاذهب فانت طليق عرضـك انه عرض عززت به وانت ذليل

وهؤلاء الشتامون أعرفهم كل المعرفة وأعرف من دخائل كل فرد فيهم ما يندى له الجبين فقد عايشت الحياة الأدبية قرابة نصف قرن ولى فيها أصدقاء بعضهم فى عدد النجوم وبعضهم فى عدد ذرات الغبار ·

ومن الطبيعى أن تكون عندى أخبار كل المهازيل التائهين فى سراديب الصحافة وفى متاهك الأدب · ولكن يأبى على خلقى ان أذكر من أمرهم شيئا وأعرف أولئك الذين دخلوا الصحافة من باب بيع العرض والآخرين الذين تنكروا لكل ما هو كريم فى الحياة وأعرف بعضا آخرين غاصوا فى الحضيض حتى أصبحوا أسفل من أى سب وأدنا من كل شتيمة · فهم باخلاقهم قد خلقوا من السفالات مالا يستطيع السباب أن يصفه مهما يكن هذا السباب قاسيا · بل أن أى سباب بالغا ما بلغ أمره يضفى عليهم شرفا لا يستحقونه ·

ومن هؤلاء من يهاجمنى فى علانية بأمل يداعبه ان ادنس قلمى وأشرفه بذكر اسمه · ولكن هيهات ومنهم من يلجأ الى الرمز ويجنح الى التمويه فيصبح شأنه كما يقول المثل العربى ــ كبائع التمر فى هجر أو كما يقول المثل المصرى يبيع الميه فى حارة السقايين ·

فقد مارسنا الرمز فى كل صور الفن الأدبى وهم يعلمون ذلك · الا أننا حين مارسناه قال عنه العالم العربى أنه نوع من الأدب وحين مارسوه جعلوه نوعا حقيرا من انعدام الأدب ·

وأنا أكتب هذا الذى أكتبه اليوم لا ردا عليهم .. فهيهات لهم أن يظفروا برد منى عليهم .

وانما أكتب هذا لأجيب على هذا الرجاء الذى يتوجه به الى قلة من أصدقائى فلا لست أنا بالذى يعنى بهؤلاء الشتامين . وما هم بأهل لعناية أحد بهم .

ومادامو يشتمون فهم ينتظرون منى أن أصنع صنيعهم واشتم وبهذا يكونون قد انتصروا أن يجذبونى الى الهوة السحيقة التى يرتمون فيها مثل الجيف العفنة .. ولن ينجحوا فى هذا أبدا . حتى ولو كنت أعلم أنهم حين يشتمون يمارسون ما تعودوه من باطل وهيافه . وانى حين اشتمهم لن أصل الى مدى سفالتهم ومهما كانت شتيمتى قاسية وموجعة فانها ستظل أقل من حقيقتهم .

شىء واحد منهم يلقاه عندى ابلغ رد . وهو أن يتطاولوا باختلاق الأكاذيب على ضميرى الأدبى أو ذمتى . والرد منى حينئذ يكون فى ساحة المحكمة . ويكون القضاء هو الرادع لهم . وانى بحكم القضاء راض غاية الرضى وانا من قبل ومن بعد مؤمن بالله وأعلم أنهم به لا يؤمنون وان لى فى كتاب الله الكريم خير على أفكهم . واقرأ معى قوله سبحانه فى الآية ٧٥ من سورة مريم .

« قل من كان فى الضــــلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب وأما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جنــــدا »

صدق الله العظيم ولن يصدق الكافرون أبدا

مايو / أبريل ١٩٨٤ ..

مفاخر .. أم ساخر

قرأت فى الأيام الماضية كتاب الاقتصادى الجليل محمد أحمد فرغلى « باشا » والكتاب فى حقيقته عرض لتاريخ مصر وللرجال الذين اشتهروا فى فترة ممتدة من تاريخ مصر .

والاقتصادى الكبير لم يحاول أن يقوم هؤلاء الأشخاص أو ينزلهم منازلهم السياسية وانما كان الكاتب صريحا فى تناوله غاية الصراحة وقدم رأيه فى هؤلاء الأشخاص من وجهة نظره الشخصية وبناء على معاملتهم له وأشهد أنه من هذه الناحية كان صادقا كل الصدق . وأشهد أيضا أن غضبه من بعض الشخصيات لم يجعله يحرم هؤلاء الأشخاص من ذكر ميزاتهم ونقاء سمعتهم وشرف ضمائرهم . ومن ذلك ما حدث بينه وبين النقراشى باشا من مغاضبة ذكر مناسبتها ثم أفاض على الرجل المديح الذى يرى أنه يستحقه .

وقد كان فرغلى باشا عفيفا فى كتابه غاية العفة فهو يعرض لشخصيات أساءت الى مصر غاية الاساءة ولكنه فى أدب جم يذكر صلتهم به ويغضى عن صلتهم بمصر .

ولا يخفى الكاتب صاحب الذكريات ولا أقول المذكرات صلته الوثيقة بأمين عثمان صاحب الدور الأول فى حادثة ٤ فبراير الشهيرة .

ولا يخفى أيضا الدور الضخم الذى صنعته ٤ فبراير فى الروح المصرية .

وقد أحاطت بهذا الحدث الجلل الكثير من الأقاويل حتى لقد ذهب بعضهم ان النحاس بقبوله الوزارة فى هذا اليوم المشئوم قد أنقذ العرش من الأنهيار .

ولكن الكتاب الذى بين يدى يكشف فى وضوح عن أن النحاس باشا كان شريكا فى المؤامرة قبل أن تقع .. وانه لولا هذا الاشتراك منه ولولا وثوق الانجليز من أنه سيقبل الحكم من أيديهم وعلى أسنة حرابهم لما جرأ الانجليز أن يحطموا أبواب عابدين ويحطموا فى الوقت نفسه كرامة الشعب المصرى جميعا .

يقول فرغلى باشا أنه كان زميلا لأمين عثمـــان فى كلية فيكتوريا بالاسكندرية ولهذا فهو ينقل عنه ما كان يقول لأن أمين عثمان كان يفضى له بأسرار حادث ٤ فبراير افضاء صديق الى صديق لا سياسى لسياسى ٠ وهو يذكر له أن الانجليز أرسلوه الى النحاس باشا ليقبل الحكم اذا جاء عرضه عليه منهم هم وليس من الملك الشرعى للبلاد ويذكر أمين عثمان أن النحاس باشا قبل هذا الوضع ٠

ويكفينى هذا لاتساءل ٠ ماذا كان يستطيع الانجليز أن يفعلوا لو أن النحاس باشا رفض الوزارة من أيدى المحتلين ٠

وهكذا وضح لنا ما حدث بد أن تولى النحاس باشا الوزارة وتجمع الوفديون حول مقر رئاسة الوزارة يهتفون باسم الزعيم الجليل وبينما هم كذلك يأتى السـفير البريطانى مايلز لمبسون الذى أجلس النحاس على كرسى الوزارة ولم يكن مجيئه صدفة ٠ فالصدفة لا تجد لنفسها دورا كبيرا من لعبة السياسة ٠ ويتعالى هتاف الوفديين بحياة مايلز لمبسون زعيم الاحتلال البريطانى لمصر ثم يأخذهم الحماس ويحملون مايلز لمبسون على أكتافهم المصرية وعجب الناس يومذاك وهم يرون القائد الأعلى للجيوش المحتلة لمصر على أكتاف الحزب الذى يزعم أنه الحزب الشعبى الأول فى مصر ٠

لمن أسوق هذا الحديث ؟!

أما الذين عاصروا أحداثه ٠ فهم يعرفونها ولكن أولئك الذين ينضمون الى الوفد اليـــوم من المثقفين فانى اعجب ٠٠ أيعرفون هذا التاريخ أم يجهلونه ؟ فان كانوا يعرفونه فكيف سولت لهم نفوسهم أن ينضموا الى حزب هذا بعض تاريخه ٠

وان كانوا يجهلونه٠أفما كان الأولى بهم وهم أصحاب العقول العلمية المثقفة أن يبحثوا عن الحقائق لا عن الزيف وأن يكرموا عقولهم وثقافتهم وأن يبدأوا حياتهم السياسية فى ركاب حزب تملأ الخيانة ماضـــيه ٠ ويتشبث فى نفس الوقت بهذا الماضى ويرغمهم وهم الانقياء صفحة الأذكياء عقولا المثقفون علما أن يتشبثوا هم أيضا بالخيانة والغوغائية ٠

ان الحزب الذى ينضمون اليه هو الحزب الذى جعل الرشوة والسرقة ـ هذا استثناء وأنا لا إستثنى الا لابنى ولأقاربى ولأنصارى فى حزب الوفد ولم يكن الموظف من هؤلاء ٠

ولو أننا تتبعنا لأكدى بنا السعى ٠ وحسبنا الكتاب الأسود الذى أصدره مكرم عبيد باشا بمعاونة الأستاذ الكبير جلال الحمامصى ٠

ولكن الذى يعنينا هنا ما أجاب الزعماء الوفديون أمين عثمان حين سألهم عن هذه المساخر لقد قال له الزعيم :

ـ ان حزبنا وأقاربنا وأصهارنا وأنسابنا قد عانوا الكثير من غياب الوفد عن الحكم فمن حقهم أن يتمتعوا بهذه الميزات .

وفات الزعيم أنه يتحدث عن دولة وليس عن عزبة خاصة أيعرف أعضاء الوفد الجدد هذا التاريخ .. أخشى ما أخشاه أن يكونوا به عارفين ولكنهم يخادعون ضمائرهم التى مازالت نقية ويظلون متنسبين الى حزب هذه مبادئه وهذه زعاماته .

أتراهم يعرفون تاريخ القمصان الزرقاء التى انتشرت فى حكمهم كالطاعون تضرب زعماء الأحزاب الأخرى وتعتدى على بيوتهم ثم فشا وباؤهم فأصبحوا يعتدون على كل المصريين غير مفرقين بين أعداء وأصدقاء .

من أين لأصحاب القمصان الزرقاء قمصانهم وأسلحتهم ان لم تكن أموال الوفد التى هى أموال الشعب الذى جبيه حزب الوفد .

ان الوفد هو أول من زرع بذرة الفاشية والديكتاتورية فى حياة مصر أيرضى المثقفون عن هذا . أفاشية يريدونها .

أيريدون لمصر حكم موسيلينى أو حكم هتلر ان كان هذا ما يريدون أن يعرفون من ثقافتهم ما حل بايطاليا من حكم موسيلينى وما حل بالمانيا ومازالت تعانيه حتى اليوم من حكم هتلر . أم يريدون لمصر حكم القهر والاعتداء على الأعراض والحياة والكرامات .

ربما لم يكن زعماء الوفد اليوم يفكرون فى قمصان زرقاء أو صفراء ولكن من المؤكد أنهم أبنـاء هذا الفكر وانصـاره ومؤيدوه والذين كانوا يصفقون له ويشيدون به .

أهؤلاء من يرتضيهم المثقفون اليوم زعماء لهم وأئمة ..

فوا حسرتاه اذن على العلم والثقافة والنقاء والشرف .

أيعرف المثقفون من أنصار الوفد اليوم الذين يحملون شعاره ويهتفون باسمه ماذا صنع النحاس باشا حين كان النقراشى باشا فى مجلس الأمن يصيح فى وجه الانجليز لأول مرة فى تاريخهم وفى تاريخ مصر « أخرجوا من بلادنا أيها القراصنة » .

أيعرفون ماذا صنع الزعيم النحاس .

أرسل برقية الى مجلس الأمن أن النقراشى لا يمثل مصر وأن كان هو رئيس مجلس الوزراء الا أنه ليس زعيم حزب الأغلبية .

أفهذه هي الوطنية التي تلتفون اليوم حول رايتها أيها المثقفون من الوفديين وبعد ....

فعلى أي مبدأ انتم .

انكم متحالفون مع الاخوان المسلمين الذين ساموا مصر وقضاء مصر وشعبها الذعر والهلع حتى لقد كنا في أربعينات هـذا القرن مهددين أن تنفجر القنابل فينا اذا نحن ذهبنا الى سينما أو ذهبنا الى دار حكومية أو الى محكمة .

أهؤلاء هم أنصاركم .. أبهذا الفزع تريدون أن تحكموا مصر فعلى أي مبدأ انتم اذن ؟ ولماذا اذن غضبتم على حكم الارهاب .

الأهـــرام أبريل ١٩٨٤ ..

فى أى بلد يقوم الحزب

واضح من برنامج حزب الوفد الذى أصدره أنه يحاول بكل جهده أن يرضى كل المعارضين مهما تباينت مذاهبهم ومهما اختلفت مناحى تفكيرهم . وهذا مطلب مستحيل . ومن هذه الاستحالة خرج البرنامج فرقا من الآراء مرقعا بغير وحدة فكر أو وحدة غاية .

وليس من سبيل فى هذه العجالة أن أتتبع مدى التناقض فى هذا البرنامج . وانما بحسبى أن أذكر أننى كنت أشعر فى بعض فقراته أننى أقرأ برنامجا لحزب شيوعى ثم أشعر فى فقرات أخرى أنه برنامج رأسمالى مغرق فى الرأسمالية . ثم هو برنامج اخوانى . ثم هو برنامج غوغائى يقيم الشعارات على الهواء .

فهو حين يتحدث عن القطاع العام شيوعى . وهو حين يتكلم عن علاقة المالك بالمستأجر رأسمالى وهو حين يتكلم عن الدين اخوانى مارق وهو حين يتكلم عما يعانيه الشعب غوغائى يستغل آلام الشعب التى رزحت على كواهله نتيجة حكم استمر ما يزيد عن عشرين عاما لم يكن ينظر الى مصر بقدر ما كان ينظر الى هذه الغوغائية التى يمارسها الوفد اليوم وان اختلف النوعان فى لون كل منهما الا أنهما كلاهما ينتسبان الى الغوغائية والبعد عن المنطق . والوفد يدرك ولكنه يخفى ادراكه أن الهدم يمكن أن يكون فى لحظة وأن البناء لا يمكن أن يكون الا فى سنوات طوال .

وأولئك الذين يستغلون ما يعانيه الشعب اليوم يريدون ان ينسوا ما كنا فيه من قهر ومن اعتداء على أعراض الانسان وانسانيته . ويريدون أن ينسوا كيف كانت حال مصر . لقد ظللنا سنوات لا نتكلم فى التليفونات وأصبحنا نتكلم . أو كنا لا نتكلم على الاطلاق والآن أصبحت الجرائد المعارضة تجول وتصول بالحق فى أقل أمرها وبالباطل فى أغلب أمرها . كنا عبيدا فى ديارنا وأصبحنا سادة أنفسنا أحرارا نشعر بعزة الانسان وبما كرمه الله به على سائر مخلوقاته . كنا نخشى أن يعلم أحد أن فى جيبنا جنيها واحدا . واليوم تتدفق الملايين من كل حدب وصوب على حزب الوفد . ولا أحب أذكر أسماء هذا الحدب أو ذلك الصوب . فأخشى أن أقول القول الذى أعرفه معرفة اليقين ولكننى لا أملك عليه دليلا .

ولا علينا من هذا جميعه فان كل ما ارجوه فى كلمتى هذه أن أستبين بوضوح موقف الوفد من معاهدة كامب ديفيد ٠٠ ومن السلام ٠ ان البرنامج يرى أن معاهدة كامب ديفيد لم تعد ذات موضوع ٠٠ أيرى الحزب اذن أن تلغى المعارضة ؟ ٠٠

أو هكذا كان رأيهم ٠ ألم يعلنوا أكثر من مرة على لسان زعيمهم ومعاونيه أنهم يوافقون على معاهدة كامب ديفيد ٠ وكان اعلانهم هذا بعد كل ما صنعته اسرائيل بلبنان ٠

فمالهم اليوم يعدلون عن هذا الرأى واسرائيل تفكر فى الانسحاب من لبنان أو هكذا تقول على الأقل ٠

أينافقون بهذا الشيوعيون ٠٠ ؟ فالشيوعيون وهم المنتمون الى روسيا يعلمون أن روسيا من أشـــد الدول تأييدا لاسرائيـــل ولكنهـــا تتخـذ موقفها اليوم من كامب ديفيد لأنها لم تكن شريكة فيها وهو موقف مرحلى كما يحلو لهم دائما أن يقولوا كلما أغلقت عليهم المسالك وعجزوا عن ايجاد رد لحجة تساق اليهم ٠

أينافقون بهذا البلاد العربية المتعصبة ففى أى بلد يقوم حزبهم ٠٠ أهو يقوم فى مصر أم فى ليبيا ٠٠ ؟

أما السلام ٠٠ فعجيب ما يرون بشأنه كأنى أراهم يحاولون أن يرفضوا السلام ٠ هل أصبحوا مثل الشيوعيين يريدون الوصول الى الحكم حتى ولو كان هذا فى زورق يسير فى دماء مصر وعلى أنقاض حياة مصر جميعـــا ٠

أنحتمل اليوم حربا ٠٠ ؟

ولكن ماذا نقول وهم الى غير مصر ينظرون وانمـــا ثبتت أنظارهم كشأنهم دائما على الهتافات الخائنة مادامت هذه الهتافات تستطيع أن تصل بهم الى مزيد من الممثلين فى مجلس الشعب ٠

وان كان هذا رأى الشيوخ ٠ أفتراه أيضا رأى الشبيبة والمثقفين الذين مازالوا فى طهارة من ثوبهم ونضارة من شـــبابهم ٠ ونقاء من ضمائرهم بلا أوضار فى ماضيهم وبلا شوائب فيما فات من أعمارهم ٠٠ وقاهم الله السوء انه سبحانه على كل شىء قدير ٠٠

مايو/ أبريل ١٩٨٤ ٠٠

حـديث الصـباح

وماذا علينا أن نقص عليكم اليوم قصة ٠ وأنا لا أرجع فيها الى نفسى كقصاص يختلف الأحداث ويؤلف بين أحداثها ٠ وانما أروى من الذاكرة ومما شاهدت منطقتنا رأى عين ومما دونه أعضاء النيابة فى ذلك الحين ٠

كان فى منطقتنا مجرم سفاح لا يستطيع أن يعيش بغير الأجرام وكان من كبار جهلاء المنطقة أيضا فكان لا يكاد يقرأ أو يكتب على الاطلاق ٠

وفجأة انتسب هذا المجرم الى حزب الوفد فى ذلك الحين ٠ فعجبنا فقد كان بعيدا عن السياسة كل البعد وقبله الوفد بين صفوفه ورشحه أيضا فى الانتخابات ٠ ولم يحاول الرجل أن يتودد الى الناس أو يخطب محبتهم لينتخبوه بل لجأ الى وسيلة ميسورة كل اليسر بالنسبة له شهر السلاح وسلط عصاباته على الناخبين فنجح ٠

وكنت أظن أن الوزير المسئول عن الأمن فى ذلك الحين سيرفض أن ينضم هذا المجرم القاتل السفاك الى أعضاء الوفد ٠

ولكننى رأيت عجبا وجدت الزينات تقام والأعلام ترفع ٠٠ والطبل يدق والمزامير تنفخ ماذا يا اخواننا أى فرح يقام عند رئيس العصابة ٠

وكان الجواب حاضرا من قريب ٠ وان كان العقل يسـتبعده كل الاستبعاد ٠ ويرفضه كل الرفض ٠

ان الوزير المسئول عن الأمن سيزور فى يومه هذا رئيس العصابة عضو مجلس النواب وسيتناول عنده طعام الغداء ٠

من ؟! ماذا تقولون ؟!

واذا بالذين أسألهم يعجبون من عجبى ويدهشـون من دهشـتى ؟ وحاولت أن أبرر لهم حيرتى ٠

وزير الأمن والمحافظة على الأرواح والأموال فى القطر المصرى يزور كبير المجرمين فى المديرية كلها !

وجاء جوابهم بنبرة الذى يشعر بسذاجة محدثه ٠

وأى عجيبة فى هذا • انه صديقه المقرب وهو كل يوم يستقبله •

وتولانى هم ثقيل •

فالوفد ووزير الأمن فى الوفد وزعماء الوفد لم يقبلوا المجرم على الرغم من اجرامه وانما قبلوه من أجل اجرامه وبفضل الأرواح التى أزهقها والأموال التى استلبها •

ومما يذكر فى هذا الشأن أنه سرق فى يوم من الأيام قطنا لثرى واسع الثراء فى المنطقة وراح ينقل أكياس القطن فى الصباح المنير • وسارع صاحب القطن يطلب الشرطة والنيابة •

ووصلت الشرطة ووصلت النيابة وبدأ التحقيق واذا بوكيل النيابة وهو زميل لى من دفعتى يفاجأ بما لا ينتظره وكيل نيابة مطلقا

سأل المجرم :

ــ ماذا تفعل ؟

ــ اتسلم القطن الذى اشتريته ؟

وكان البيع والشراء فى ذلك الحين يتم بغير ورق •• وانما يتسلم البائع الثمن ويتسلم المشترى القطن وينتهى الأمر عند ذلك •

ويقسم الثرى صاحب القطن أنه لم يبع قطنه لأحد وأنه مازال ينتظر المشترى ولكن رئيس العصابة الفاجر يقول لرئيس النيابة :

ــ اسأل الشـــهود •

ويأتى الشهود من موظفى الثرى ويشهدون أن المجرم اشترى قطن الثرى ودفع له الثمن •• ووكيل النيابة يعلم كل العلم أن هؤلاء الشهود واقعون تحت تهديد المجرم وأعوانه ولكنه لا يملك على علمه دليلا •• فلا يملك حتى يفرج عن غيظه المكبوت الا أن يثبت فى محضر النيابة •

« وبسؤال كبير مجرمى المديرية أجاب بكذا وكيت •• » •

ويحفظ التحقيق وتتم سرقة القطن بمباركة وزير الأمن وبرغم أنف العـــدالة •

وأسمع بعد ذلك أن الوزير والنائب السفاح كانا يتذاكران هذه الواقعة ويغرق كل منهما فى الضحك والقهقهة •

مايو/ أبريل ١٩٨٤ ••

أذل الحرص أعناق الرجال

« ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين » صدق الله العظيم ٠

وليس احوج من الكاتب ان يلجأ الى الحق سبحانه وتعالى ليهديه الى الحق فيما يقول ٠

ووجهات النظر تختلف ولكن الحق فى نفس الانسان الفرد واحد لا يختلف ولا يتغير ولا يمكن ان يزدوج ٠ فهيهات للانسان ان يكون شيوعيا وديموقراطيا ٠ مؤمنا بالله وبرسله وملحدا بالسماء محترما للانسان محطما للانسانية ٠ كل هذا فى آن واحد ٠٠ هيهات ٠

كما لا يمكن للانسان ان يكون بعثيا ٠ وخومينيا وانسانا وشيعيا وسنيا فى وقت معا واذا كان هذا مستحيلا لسائر الناس فهو أكثر استحالة للكاتب ٠

لأن الكاتب رأى معلن ، وان اختل منه القلم وتخلجت كتابته بين شتى آراء وقرعت يده أبواب كل المعتقدات فقد الكاتب احترامه بين الناس ولا يحسبن الكاتب ان القارىء ينسى فالقارىء ذو ذاكرة واعية وحافظة مخيفة ٠

توجهت لى آنسة فى يوم من الأيام بخطاب تطلب رأيى فى أن تقبل شابا فقد ساقه زوجا لها فنصحت لها الا تفعل وسقت ما أراه من الحجج ٠

ومرت عدة سنوات وظهرت فى الأهرام روايتى « أحلام فى الظهيرة » وفى الرواية جعلت فتاة تتزوج من شاب فقد ذراعه ٠

فاذا بقارىء من الصعيد يرسل لى كيف غيرت رأيك ٠ ولو كان قد كتب لى عنوانه لقلت له اننى فى الرواية اضمن للفتاة التى تزوجت صاحب الذراع المبتورة مستقبلها ومستقبل زوجها ٠ لأننى أنا الذى اصنع الرواية جميعا وانا أعرف مستقبل كل شخص فيها ٠

أما في الحياة فأنا أخشى على من تسألني مستقبلا لا أدريه لأنني لا أصنعه فأنا أحاول ما وسعني الجهد أن أجنبها حياة شقية مع أشخاص لا يعرف مستقبلهم الا الله ·

وهكذا نجد الحساب عسيرا للكاتب عسرا لا يطيقه أي انسان آخر ، لأن الآخرين رأيهم مقصـــور عليهم وعلى من يعاشرونهم وليس معلنا للناس كافة ·

وحين يقول كاتب ما ان حكما ما صنع المعجزات وليس عليه بأس في سبيل ذلك أن يقتل الأرواح ويعتدي على الأعراض ويدرب الكلاب أن تنهش أجســاد البشر · أصيح به ليس شيء في العــالم يساوي تعذيب انسان واحد· وحين يقول ان هذا الحكم أنجز الكثير في فترة وجيزة أقول له ان الحكم الشمولي بطبيعته يملك حرية التحرك · لأن أحدا لا يعترض فيه على الحاكم والحكم الديمقراطي بطبيعته بطيء لأن كل قرار لابد ان يناقش من المعارضين والمؤيدين · ويطول النقاش · ثم يؤخذ الرأي ثم قد تسقط الوزارة فيعود النقاش ·

وتلك هي طبيعة الديمقراطية وهي بذلك تضمن الى حد كبير ان يصدر القانون أو القرار بعد أن تحيط به كل وسائل التأكيد من سلامته · أقول هذا جميعا اذا سلمنا جــدلا أن الحكم الشــمولي أنجز الكثير أو القليل ·

وبسبب الديمقراطية طال الحوار مع الانجليز المحتلين واننا نذكر تماما معاهدة صدقي ــ بيفين وما دار حولها من نقاش انتهى الى رفضها ، ولو كان الحاكم يومذاك فردا لقبلت المعاهدة في لحظة والفوارق بين حكم الفرد والحكم الديمقراطي معروفة فاذا جاء كاتب وراح يمدح حكم الفرد ثم راح يمتدح الديمقراطية فان القارىء سيصيح به : مكانك · فان لك أن تكون صاحب رأي · ولكن لا يجوز لك ان تكون صـــاحب رأيين متعارضين في وقت واحد · والا فأنت تحاول ان تخدعنا ونحن لا نسمح ان تخدعنا · اخدع نفسك اذا شئت ولكن حذار ان تحاول خداعنا نحن ·

وحذار ان تحاول ارضاء كل الجماعات والتجمعات لأنك مهما تكن بارعا في الخداع فلن تصل الى ارضاء الجميع بل ان المؤكد انك ستصل الى اغضاب الجميع · فالصديق الذي لا يثق في صديقه يعتبره عدوا له بل ان العدو خير منه فالعدو سافر المشاعر وصديق الجميع ليس أهلا أن يطمئن الى جانبه أحد · واذا كان كذلك أمر الانسان والكاتب ــ وهو كذلك فعلا ــ فأمر الأحزاب في الأمانة أدهى وأمر · فالحزب الذي يحاول ارضاء الاخوان · والديمقراطية · والشيوعية · والديكتاتورية · كل هؤلاء في وقت واحد يصبح وهو ليس حزبا ·

وحزب الوفد يعلن فى غير خفاء انه متضامن مع الاخوان وهذا فى ذاته يسقط عنه الشرعية فالقانون صريح فى منع تكوين أحزاب دينية وذلك حتى لا يحاول أقوام ركوب خيول الدين للوصول بها الى أغراض دنيوية أغلب الأمر انها ستكون أغراضا تذل كرامة الناس وتقضى على حريتهم وتنتهب أرواحهم · وقد رأينا كيف صنع بنا الأخوان فى الأربعينيات وماذا صنعت بنا الجماعات الدينية المتطرفة فى أيامنا هذه الأخيرة · ثم ماذا يصنع الخومينى بالاسلام جميعا فى العالم ·

فحين يعلن الوفد انه تضامن مع الاخوان فان القانون الذى يمنع تكوين الأحزاب الدينية ينطبق عليه لا شك فى ذلك لأنه بذلك قد أعطى اسمه لجماعة دينية متطرفة · فهى جماعة سياسية يمنعها قانون الدولة ان تتخذ من الدين وسيلة لها الى ركوب الحكم وارتكاب المعاصى التى يرفضها الدين وتحاول فى نفس الوقت ان ترفع الدين شعارا وحزب الوفد يقبل معاهدة كامب ديفيد ولكنه فى برنامجه يرفضها وحزب الوفد يؤيد السلام ولكنه فى برنامجه يستغنى عنه ·

وحزب الوفد يرفض الشيوعية ولكنه لا يمانع أن ينضم اليه الشيوعيون ·

وحزب الوفد يرفض الثورة التى حلته وأنزلت بزعمائه شر أنواع المهانة وحزب الوفد يؤيد الثورة فى برنامجه ·

أى حزب هذا اذن ·

حذار أن يظن أحد أننى أعارض قيام حزب الوفد · فانه لا أمل لنا فى الديمقراطية الا اذا قام حزب قوى بالمعارضة حتى يكون حصنا لمصر أن يستغلها حزب واحد وحتى لا يفكر صاحب منصب ان المال العام سائبة يتصرف فيه كيف شاء ·

ولكن هذه المعارضة ان لم تكن شريفة الوجه والوسيلة والهدف فانها ستكون أشد وبالا من حكم الحزب الواحد والذى لا شك فيه ان الأساتذة الكبار من علماء القانون فى حزب الوفد يعرفون القانون ١٥٦ لسنة ١٩٨١ الخاص بتعديل بعض أحكام القانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٧٧ · وحتى أذكرهم به فاليهم نصه ·

« يعاقب بالسجن كل من أنشأ أو أسس أو أدار أو مول على أية صورة خلاف أحكام هذا القانون تنظيما حزبيا غير مشروع ولو كان مستترا تحت أى ستار دينى أو فى وصف جمعية أو هيئة أو منظمة أو جماعة أيا كانت التسمية أو الوصف الذى يطلق عليه ·

وتكون العقوبة الأشغال الشقة المؤبدة أو المؤقته اذا كان التنظيم الحزبي غير المشروع معاديا لنظام المجتمع أو اذا كان ذا طابع عسكرى أو شبه عسكرى أو أخذ طابع الترتيبات العنيفة التي تهدف الى الاعداد القتالى ، أو اذا ارتكبت الجريمة بناء على تخابر مع دولة أجنبية » ٠

ولننظر الآن الى كلمة « أيا كانت التسمية أو الوصف الذى يطلق عليه » ٠

أليس من حقنا اليوم أن نقول ان حزب الاخوان المسلمين اتخذ تسمية أخرى هى حزب الوفد ٠٠ أولا ينطبق اذن القانون رقم ١٥٦ لسنة ١٩٨١ على هذه المحاولة التى يحاول حزب الاخوان بها التخفى وراء اسم حزب الوفد ٠

وقد صرح زعماء حزب الوفد فعلا بأنهم متعاونون مع الاخوان واستقال بعض أعضاء من الوفد فعلا رافضين هذا التضامن ٠

وبعد فهل يجدى « المانيا الشيوعية » أن تسمى نفسهـا المانيـا الديمقراطية وهل يغير هذا من الحقيقة فى شىء ٠

وبعد فان لى اقتراحا لحزب الوفد وهو ان يسمى نفسه :

« حزب الوفد الجديد القديم الديمقراطى الشيوعى الاخوانى الثورى البعثى الخومينى » ٠

فان هذه الأسماء تستطيع أن تعطيه حرية الحركة حتى لا يساله أحد عن مبادئه أو وسائله أو أهدافه ٠

الأهـــرام ٢٢ أبريل ١٩٨٤ ٠٠

حـديث الصـباح

الدكتور وحيد رأفت علامة مشرقة فى تاريخ القانون وفى تاريخ مصر جميعا لم يجرؤ انسان ما مهما يكن مكابرا أن يذكره الا بكل اجلال واكبار • فهو رجل علم الأجيال العديدة وكل تلاميذه يقدرون فضله وعلمه • ثم هو عاصر الحياة المصرية منذ فجر شبابه ولم يكتب يوما حرفا نابعا من غير ضميره وان كان فيم يقوله خطر على مصالحه الشخصية • وهو رجل ذو اباء وكرامة وشرف فى كل تصرفاته وأحاديثه •

واننى أكاد أكون واثقا انه انضم الى حزب الوفد الجديد راجيا أن يكون لانضمامه أثر على الحزب فيبتعد به عن الغوغائية الى الجدية ومن الهتافات الفارغة الى تفكير العلماء الذين ينبغى أن تستنير الشعوب بآرائهم وبعلمهم وبفكرهم • والذى أظنه أيضا انه تصور أن يجد عنده زعامات حزب الوفد رجالا يقدرون العلم ويجلونه ويدركون مدى خطره وأهميته •

والرجل لم يكن وفديا قديما • والذى احسبه انه لم يكن على علم بما كان يدور فى اروقه الحزب القديم ودهاليزه •

فالدكتور وحيد رأفت بعيد كل البعد عن المناورات السياسية • وألاعيب الألفاظ التى مرن عليها الوفديون واتقنوها • فهو رجل قانون • والحياة عنده أما أن تكون شرفا خالصا أولا تكون • وهو من هؤلاء القله الذين لا يتصورون أن الشرف يتجزأ وأن الأمانة أصناف وألوان • فأما أن يكون الانسان عنده شريفا أو هو خائن وأما ان يكون الأمين أمينا أو هو لص • وليس من الحتم ان يكون اللص سارقا للمال • فالمال عنده السرقة هين وانما سرقة الثقة التى أودعها الناس فيك شر وبلا من سرقة المال •

وان صلتى بالدكتور وحيد رأفت ليست وثيقة • وانما انا أعرفه من الحياة العامة وأعجب به طول حياتى وأشهد أن الرجل لم يخذل أعجابى به فى يوم من الأيام •

بل آنه حتى حين انضم الى الوفد لم تهتز ثقتى فيه لأننى كنت أعلم أن الرجل انما انضـم لتقوم فى مصر معارضـة شريفة لا تسـتقيم الديموقراطية الا بها • وهو خير من يعرف الديموقراطية وما ينبغى أن تقوم عليه من أسس •

وبغير الحزب الآخر لا ديموقراطية • وحزب الوفد هو الحزب الباقي من الفترة التي مارست الديموقراطية فيها عملها قبل أن يلغى الدستور فكان طبيعيا مادام الدكتور وحيد يريد أن يقوم حزب معارض ان يترك الحزب الحاكم وينضم الى الحزب الذى يأمل ان يجد فى صفوفه المعارضة الشريفة النزيهة التى ترضيه •

ولا شك أنه تصور انه بما له من مكانة علمية وبما له من تقدير عند الناس سيكون مسموع الكلمة عند الحزب خاصة وهو يعلم كما يعلم الناس جميعا ان كلمته لن تكون الا للمصلحة العامة بعيدة كل البعد عن المصلحة الشخصية • فالرجل لم ينظر الى مصلحة فالرجل لم ينظر الى مصلحته الشخصية وهو شاب فى مقتبل العمر ولا يتصور أحد أن يفكر رجل فى مثل ذكائه أن يعتدى على السمعة الكريمة النظيفة التى بناها لنفسه بأن يفكر اليوم فى أية مصلحة شخصية • وماذا يمكن أن تكون مصلحته انه عالم يملأ اسمه ارجاء الدنيا • وهو والحمد لله ـ ميسور • وكل منصب مهما كبر صغير بالنسبة الى قدر الرجل •

فالذى لا شك فيه اذن أنه يقوم بدوره اليوم ليس يرجو الا وجه الله والوطن • رعاك الله أيها الرجل العظيم وايدك بروح من عنده •

فاننا منذ فترة لم نقرأ لك حديثا ولم نسمع لك رأيا • اننى لا أملك أن أقول ما لا دليل له عندى • ولكننى أملك أن أسألك بما لى من حق التلميذ على أستاذه وأن كنت لم اتشرف بالجلوس الى محاضراتك •

أيرضيك ان يتحالف الوفد مع الاخوان المسلمين أيرضيك أن يتنكر الوفد فى برنامجه لمعاهدة كامب ديفيد •

أيرضيك أن يتنكر الوفد للسلام الذى لولاه لكان حالنا اليوم حالا أنت أعرف الناس به •

أيرضيك أن تخرج صحيفة بعنوان رئيسى تقرأ ما تحته فنجده كله أكاذيب وخرافات وتصبح جريدة الوفد الجديد مثل جرائد القديمة الصفراء باستثناء جريدة المصرى •

أيرضيك أن يقبل الوفد بين صفوفه الذين يريدون أن يعيشوا على المحسوبيات والاستثناءات •

أيرضيك ••• أيرضيك ••• أيرضيك •

أستاذنا الكبير أنا لا أنتظر منك اجابة وانما أردت فقط أن أقول لك ان هناك كثيرين يقدرون موقفك ويدعون لك بالتوفيق ؟

مايو ٢٨ ابريل ١٩٨٤ ••

قولوا رأيا أو فاصمتوا

أرأيت الطفل الصغير يعدو غـاية العدوان . وينتهب ما ليس له فاذا حاولت أن تناقشه أو ترده الى شيء من العقل أو العدل راح يضرب الأرض بقدميه ويقذف الذى يؤدبه بما يعرف من ألفاظ السباب وقد تكون حصيلته فى السباب وافرة والطفل أيضا قد يغتلى به الغيظ فيضرب وقد يفعل أى شيء الا شيئا واحدا هو أن ينـاقش المنطق . أو يقابل الحجة بالحجة والرأى بالرأى .

وهذه الحال من الطفل تدعو فى أغلب الأمر الى الضحك والتسلية ويقبلها الناس — أغلب الناس — من الأطفال على انها ظرف يتفق مع سن الطفولة .

أما أن تصيب الكبار فتلك كارثة . فاذا كان هؤلاء الكبار يكتبون فى صحف مهما تكن حقيرة هينة الشأن فالكارثة لا شك أعظم والمصيبة أدهى وأمر .

فالذى يعرفه الكتاب والساسة أن يقابل الرأى رأى والحجة حجة . وأن ينبرى صوت انسان ليجيب على رأى انسان أما أن ينـاقش الرأى نباح . ويفند الحجة نقيق ويواجه المنطق عواء . فهذا أمر يدل على أن الرأى لا رد عليه . وعلى أن الحجة أقوى من المناقشة . وعلى أن المنطق لا سبيل له مع هؤلاء الذين يدعون انهم كتاب .

ويقول قائلهم اننى أتزلف للحكم وانى اناشدهم الله والحق . أين كانوا يـوم كانت الرؤوس تفصـل عن الأجسام . والأموال تصادر بغير حساب ولا تفكير . ويوم كانت اللحظة دهر من العذاب والرعب والخوف والجبروت والطغيان . ولم نكتف يومذاك بالصمت وانما ملأت كتاباتنا العالم العربى جميعا تتخفى عن الرقيب بالرمز فيفهمها العامة والخاصة وترددها الجماهير بالهمس حينا وبالهتاف أحيانا .

أنحارب الجبروت وننافق العدل . أنضع رؤسنا على أكفنا ونقدمها فى سبيل الوطن والحق والسجون فاغرة الأفواه ، وأدوات التعذيب والقهر لا تكف عن العمـل ، والكلاب المـدربة على نهش الجسوم لا تتوقف عن التمزيق . وأعراض الناس منتهبة أو مهددة .

أيكون ذلك منا والكلمة مصادرة فنخفيها بالرواية والقصة ·

ثم تنقلب فجأة وقد علت بنا السن منافقين · وفيم نفاقنا ومن أجل ماذا · ان الكاتب لا يجد لقبا أسمى من هذا اللقب حتى ينافق · وكل الألقاب الى زوال الا لقب الكاتب فانه مع الأزمان يزداد رسوخا فى قلب الزمان لا يتخلى عن صاحبه أبد الآبدين · ويموت الكاتب بجسمه ويظل أدبه ولقبه وفكره أحياء حتى تقوم الساعة ·

ففيم ننافق · ان النفاق انما يكون لطمع أو لخوف · أما الطمع ·· ففيم نطمع ونحن كتاب · أما الخوف · فماذا نخاف · والدار أمان والحاكم يترك الكلمة حرة حرية لم نشهد لها مثيلا وها هى ذى المعارضة تقول ما تقول وترمى بالبـاطل أقدار النـاس فلا تجد عند الحاكم الا صدرا رحيبـا ·

أليس من الممكن أن يكون هذا الذى أكتبه هو رأيى أو لا يقدر هؤلاء الشتامون اننى أتوقع قالة السوء منهم اننى أنافق ··· يقولونها بالباطل ولكن متى عفوا هم عن الباطل·ألا يرون ان تمسكى بما أرى على الرغم من توقعى لما يقولون ـ وقد قالوه فعلا ـ يدل على اننى أقول الحق الذى آراه وأترك حسابى عند الذى يعرف خائنة الاعين وما تخفى الصدور ·

أولا يقـدرون اننى رجـل صناعتى الأصـيلة هى الأدب والرواية والقصة · اننى أسـتطيع أن أهرب من ميدان الرأى السياسى متسترا بالأعمال الأدبية واثقا اننى لن أجد عند ميدان الأدب الا المديح أو أجد على الأكثر بعض النقد الموضوعى ·

ولكن مصر عندى هى حياتى · وقول الحق عندى هو واجب الكاتب الذى يشرفه أن يموت فى سبيله ·

فبربكم ألا فكرتم قليلا قبل أن يخط قلمكم ما يخط به من تجريح وسباب · ولست أرجـوكم هذا الرجاء محاولة منى أن أ أحمى نفسى من أقلامكم فما لكم أقلام تخيف ولا أنا متوقع أن أهاجم أقواما ولا يقابلنى منهم هجوم وانما أنـا واثق أن كل من يتصدى للرأى السياسى لابد أن ينتظر التهجم عليه ·

ولكننى أرجوكم هذا الرجاء لأنفسكم أنتم · حتى يقع كلامكم موقعا محترما عند الناس · وأرجو هذا الرجاء يعرف العالم ان المعارضة فى مصر معارضة رأى وليست مجرد سباب واعتداء على كرامات الناس فى سخف لا يماثله سخف وفى صغار لا يشبهه صغار ·

ثوبوا الى الرشد ·· أو التمسوا الرشد عند العقلاء ·

وقولوا رأيا أو اقيموا حجة أو قدموا منطقيا أو فاصمتوا ·

مايو ٣٠ أبريل ١٩٨٤ ··

بعض هذا يا باشا

تفضل السيد الأستاذ فؤاد سراج الدين فعرض بى فى خطاب انتخابى له وذكر واقعة ملخصها أننى طلبت منه الكتاب الأسود لأنشره على نفقتى الخاصة لأظهر كيف أن المخالفات التى ارتكبت فيه « هايفة » بجانب ما يحدث الآن وكان ذلك فى دعوة عشاء عند الأستاذ الجليل حسين أبو الفتح والواقعة صحيحة فى جوهرها · وكم كنت أتمنى أن تظل صادقة حتى نستطيع أن نقول ولو مرة واحدة أن الوفديين قد يصدقون أحيانا · فأنا طلبت أن أنشر الكتاب الأسود هذا حق · أما على نفقتى فهذا ما لم أقله فأنا ــ والحمد لله ــ لست من الثراء الذى يسمح لى أن أطبع كتبا على نفقتى والا لكنت طبعت كتبى أنا · وهذا تفريع لا يقدم ولا يؤخر وليس على الباشا حرج أن يخطىء فيه فلعله تصور أننى قلت هذا ولم يختلق ·

أما الذى اختلقه الباشا تماما فهو العهد الذى اردت أن اقارن بينه وبين الكتاب الأسود ·

فهو لم يكن عهد السادات بيقين ·

وهو بالطبع ليس عهد حسنى مبارك ·

وانما أردت أن أقارن بين الاستثناءات والمحسوبيات فى عهد الوفد والاعتداء على أعراض الرجال والنساء وعلى كرامة الانسان وعلى رفع التافهين الى أعلى المناصب فى عهد الطغيان تحت شعار الثقة قبل الكفاءة · والذى لا شك فيه ان كل ما وقع فى الكتاب الأسود من أوله الى آخره أهون شأنا من الاعتداء على عرض انسان واحد أو حياته أو حريته · وهكذا تكون رغبتى فى المقارنة منسجمة تماما مع الآراء التى لم اغيرها والتى ما زلت أؤمن بها · وأحسب اننى كتبت فى الأهرام أنه مهما تكن من جرائم الوفد فالذى لا شك فيه اننا لم نكن فى عهدهم مصابين بالفزع والهلع والرعب الذى فرضه علينا الطغيان أما حين جاء السادات وأطلق الحريات وسمح لحسين أبو الفتح أن يعود الى القاهرة بعد أن كان منفيا وسمح لفؤاد سراج الدين أن يدعى عنده على العشاء بعد أن كان مسجونا

أو مهددا بالسجن في كل لحظة من لحظات حياته فقد أصبح من حقنا أن نطالب بنظافة الحكم .

وحين جاء حسنى مبارك يدعو الى الطهارة والنقاء ويترك القانون يقيم الحق بغير قيد ولا سلطان فليس يجوز لنا أذن أن نقول ان الكتاب الأسود ليس أسود . فاننا ندعو الى الشرف والأمانة . وليس يعقل أحد أن الشرف يتجزأ أو أن الأمانة تتنوع فالشرف هو الشرف والأمانة هى الأمانة . والطريق اليهما واضح كل الوضوح لا لبس فيه ولا ابهام . ولاشك ان الذى وقع فى الكتاب الأسود ينبغى حتما ألا يحدث مرة أخرى .

واذا حدث فاننا نهاجمه لأننا الآن نقارن بين العدل والمحسوبية وبين المساواة والاستثناءات . ولا نقارن بين القتل والمحسوبية ولا بين الاعتداء على الأعراض والاستثناءات .

فاذا كان هذا واضحا ــ واحسب أنه واضح ــ فعلى الأستاذ فؤاد سراج الدين أن يعترف أن الكتاب الأسود كان جرائم بالنسبة للعهد الذى كتب فيه ولكنها جرائم هينة بالنسبة للطغيان والبطش والجبروت . فاذا زال الطغيان والبطش والجبروت . عاد الكتاب الأسود ليكون جرائم لا تتفق مع المثل الأعلى الذى ننشده والذى نسعى أن يكون سمة الحكم اليوم .

يصنعه من حزب حزبا كانت له جماهير فحطم ثقتها وأضاع الأمل الذى كانت تعلقه بهذا الحزب .

لست أنا يا باشا اذن الذى يعرف تقبيل الأيادى فان من كانت غايته الكلمة الشريفة لا الوظيفة لا تلمس جبهته الأرض الا مصليا للواحد القهار جل جلاله .

الأهرام ١٩٨٤/٥/٣ ..

الحـرية أمانة

حين يطلق الحاكم الحريات تصبح الحرية أمانة فى يد الشــعب جميعا لا فارق هناك بين حزب مؤيد وحزب معارض • بل ان أمانتها تقع أيضا على أكتاف الذين لا ينتمون الى أحزاب •

فالحزب المؤيد اذا راح يؤيد بصورة عشوائية دون تفكير أو تدبر فيما يعرض عليه فانه يخون الحرية شر خيانة • فليس معنى التأييد أن تظل الأيدى تصفق بشكل تلقائى دون أن يكون تصفيقها مستمدا من عقلها وتفكيرها ونظرها الى المصلحة العامة •

وانما التأييد كل التأييد أن تعرف أين المصلحة العامة وتطالب بها حتى ولو كان فيها عدوان على مصلحتك الشخصية • وانت اذا لم تفعل ذلك تكون مخادعا للحزب الذى يتولى المسئولية والذى تريده أن يكون قويا قادرا على القيام بهذه المسئولية • فليس الحكم سيارة فاخرة ولا هو كرسيا فى الوزارة ولا هو مجرد وجاهة ومنظر • وانما عبء فادح يحتاج الى الاخلاص غاية الاخلاص كما يحتاج الى كل رأى معه حتى يصدر القرار بعد تمحيص وتفكير وتدبر ليكون قرارا محققا لمصلحة الأغلبية العظمى من الشــعب •

وقرار الحكومة حين يصدر يمثل كل الذين يؤيدون الحكومة فى كل السلطات وهم جميعا مسئولون عنه مسئولية من أصدره سواء بسواء • وهم أيضا يواجهون الشعب فرادى وجماعات • والشعب يحاسب فى ذكاء ووعى ودقة • وسيحاسبهم • فاذا خادعوا أنفسهم داخل القاعات المغلقة فانهم لن يستطيعوا ان يخادعوا شعبا بأسره فى الهواء الطلق وتلك هى الحرية • وفى هذا الهواء الطلق يكمن سرها العظيم الذى استطاعت به الدول الحرة ان تحقق أكثر قدر من الرخاء والطمأنينة لشعوبها •

فى هذا الهواء الطلق يناقش الشعب الذين اختارهم ليمثلوه • وليكونوا كلمته التى تجهد كل الجهد لتحقق له هو أكبر قدر من القوة على مواجهة الحياة • والمرشحون الذين يجوبون آفاق البلاد من أقصاها الى أقصاها يقعون فى خطأ قاتل اذا تصوروا ان حصولهم على مقعد فى المجلس النيابى هو غاية المراد من رب العباد • وهو نهاية الطريق • وانما ينبغى

أن يعلموا ان المقعد النيابى بداية لطريق عسير صعب لا يستطيع السير فيه الا من أخلص ضميره لله والوطن ومن سعى غاية السعى لدراسة مشاكل الوطن جميعا لا الدائرة التى يمثلها ولا الاقليم ٠

أما المعارضة فان دورها فى المعارضة ضخم ٠ فان بيدها ان تبقى على الحرية وبيدها أيضا ان تقضى عليها ٠ ومنذ عادت الحريات الى مصر ونحن نرى المعارضة تسلك طريقا يدعو الى الرثاء وان كان لا يدعو الى العجب ٠

فما ان نادى المنادى بعودة الحرية وما ان صدرت الجرائد المعارضة حتى راح العاملون فيها يصرخون بالهجوم على الحكم الذى اعاد الحرية ٠ ولم يقف الأمر عند الجرائد المعارضة بل تخطاه فى قوة الى الجرائد الأصيلة ورأينا البطولات متناثرة فى شتى الصفحات سواء فى الجرائد المؤيدة أو فى المجلات المعارضة على السواء ٠

وانا نحن الذين عاصرنا القهر وعانيناه نعرف هؤلاء الأبطال كل المعرفة ٠ ولقد رأيناهم رأى العين فئرانا مذعورة ٠ ورأينا الهمسة تجول فى صـــدورهم مدوية تبحث عن قلم أو حتى شفتين لتنطلق الى الناس فيصيبها الخذلان وتقفل أمامها كل المنافذ فاذا هى فى داخل النفس بكاء ونشيج وألم ممزق ٠ واذا هى قتيل مذبوحة ٠ واذا هى فى آخر الأمر هتافات متشنجة عالية الصوت جريئة تهتف لمن قتل الحرية وذبح الهمسة فى نفوسهم ٠

وكنا نقرأ المقال يبدأ بجملة رائعة « أقولها فى صراحة وفى جرأة ولا أخشى أحدا » ثم تقرأ الصراحة والجرأة والبعد عن الخشية فاذا هو سيل جارف من المديح والثناء على الذين قضوا على حرية مصر وكرامة البشر ومزقوا الأعراض فى الجسوم جمعا لا من أبناء يهود وانما من أبناء مصر ٠

فحين جاءت الحرية أرادت تلك الفئران أن تطلق الصرخـات التى كتمتها فى صدرها السنوات الطوال ٠ وأرادت أن تجرب الهجوم حتى وان كان الهجوم على ما يستحق الثناء فتعالت الأصوات وتكاثر الأبطال والشجعان يحطمون فى جرأة منقطعة النظير كل شىء ولم يحاول أحد منذ أن يسأل نفسه : أين الجرأة وفيم أقول ما دام الحاكم لا يعاقب قائلا على قول له وفيم يسألون أنفسهم وهم يريدون أن يستمتعوا بجو الشتيمة وزفير السباب وليكن بعد ذلك ما يكون ٠

فليس فى مصر شىء حسن ٠ ولم يحدث فى مصر أى تقـدم منذ تسلمتها الحرية حطاما فى كل النواحى ٠ حطاما فى الروح والكرامة بهزيمة ٦٧ وبما صنع الطغاة ٠ وحطاما فى مرافق الحياة المادية بما انفقت مصر على كل البلاد ما عدا مصر ٠

فالمعارضة اذن تريد أن تصرخ فقط وتريد أن تهاجم .فحسب وليكن بعد ذلك ما يكون ٠٠ أليست هذه هى الحرية ٠

ولكن المعارضة نسيت أمورا غاية فى الخطورة فان الحرية كيان حى له عقل وله ذاكرة وله مشاعر ٠ وحين أحست الحرية انها أصبحت العوبة فى يد قوم يريدون أن يقتلوها به عرفت كيف تترك هؤلاء القوم غير أسفة عليهم ٠ فالحرية لا تحب أن تعيش فى بلد لا تطمئن على مصيرها فيه ٠

واذا كان الحكم يدخل الحرية الى البلد الذى يحكمه ٠ فان للحرية ألف باب تخرج منها ٠

وقد شهدناها وهى تخرج من كل الدول الشيوعية بلا استثناء ٠ ورأيناها تخرج أيضا من ايران ولبنان وحين تخرج الحرية فانها لا تخرج فى هدوء وصـــمت وانما تخرج فى ضجيج ٠ ليحل مكانهـــا التقتيل والتخريب ٠ والدمار الشامل الآخذ ليس يبقى على ظهر الأرض شيئا من انسان أو حيوان أو نبات ٠

وطبيعى أن يكون الشيوعيون على علم غاية العلم بهذا الذى أقول وطبيعى أيضـــا أن يصرفوا جهدهم كله للوصـــول الى هذه الغاية ٠ فان فرصتهم فى الحكم لا تتاح الا حين يعم الخراب وتسيل الدماء وتتحطم كل القيم ٠

وانهم ـ والحق يقال ـ لا يخفون فى تعاليمهم أن الأخلاق البرجوازية كلها مرفوضة وبهذا لم يكن عجيبا ان تكون شتيمتهم لأعدائهم أيها الفاضل أيها المؤمن ٠ فليس عندهم اشنع من أن يكون الانسان فاضلا الا أن يكون هذا الانسان مؤمنا أيضا ٠

ولهذا فليس غريبا أن تحاول الشيوعية تحطيم الحرية لأنها لاتستطيع الحياة فى ظل الحرية ٠ ان اجواء الحرية اجواء سامة بالنسبة للشيوعية ٠ وهم يريدون أن يقتلوا الأديان لأنهـــا تدعو الى احترام الانســـان وصـــون حريته وكرامته ٠

أما الاخوان المسلمون والجمعيات الاسلامية الارهابية فهى تتفق مع الشيوعيين فى الوسيلة والغاية وتختلف معهم فى شىء واحد فحين نجد الشيوعية تسعى سعيها التخريبى رافعة شعارا ماركسيا نجد الجمعيات الاسلامية الارهابية ترفع شعار الاسلام بعد أن تحرف آيات القرآن عن معانيها الأصيلة وتفسرها تفسيرا يبيح لها قتل الأبرياء من المسلمين وغير المسلمين على السواء واشاعة الفتنة والفوضى فى البلاد حتى يتمكنوا من الحكم صائحين أنه لا يصلح له فى ظل الفتنة الا هم بوسائلهم الارهابية وبأسلحتهم الفتاكة ٠

أما أمر الوفد الجديد فهو أعجب الأمور • انهم يعلمون كل العلم أنهم سيكونون أول حطب يلقى به الشيوعيون أو الجماعات الارهابية التي تدعى الاسلام الى النار • ولكنهم مع ذلك يحالفون هؤلاء وأولئك على السـواء •

اتكون الرغبة في الحكم عارمة الى هذا الحد الذي يجعلهم يعمون تماما عن حقيقة واضحة لا تحتاج الى أى ذكاء •

انهم لا يخدعون الا أنفسهم وان انسانا في العالم لا يتصور أن يدير حزب المكائد ويتحالف مع أعدائه ليكون هو أولى الضحايا • ولن تكون التضحية بهم مجرد حل الحزب وانما هم يعلمون كل العلم أن الذبح المادى لا الأدبى هو أول شيء يواجههم من حلفائهم هؤلاء ومع ذلك هم يمضون في طريقهم لا يردهم شيء •

أيكون ما يقومون به انتحارا جماعيا •• ولكن الأمر ليس مجرد أرواح وانما هو مستقبل وطن بأكمله بل هو مسـتقبل الأمة العربية جميعـا •

ولكن ماذا يعنيهم هذا ماداموا قد عادوا الى الحياة السياسية وماداموا قد عادوا يسمعون الهتافات والتصفيق ومادامت قد أصبحت لها جريدة تدق لهم الطبول وتهاجم كل شيء في غير حق أو ضمير •

ولكن الشعب المصرى العظيم الذى عرك الحياة والذى أنشأ حضارات العالم والذى استطاع دائما ان يدك الطغاة لن يمكن لأى فئة من هذه الفئات الباغية أن تحقق شيئا مما تهدف اليه • وانه عاد سحقها لقادر لأنه يلوذ من روح الله بأعظـم ركن • ولأنه يحب يحب الله ولأن الله يحبـه وهو سبحانه جل وعلا وتقدست أياديه محيط بالظالمين وماكـر بهـا وهو خير الماكرين •

الأهرام ٣ مايو سنة ١٩٨٤ :

خطاب الى أستاذنا الحكيم

استاذنا وأستاذ الأجيال توفيق بك ٠

أحببت ان أكتب اليك هذا في جريدتك الأهرام لأجعل الناس شهودا على ما تفعله بهم ٠

فانت يا أستاذنا لست ملكا لنفسك وانما أنت ملك لنا جميعا نحن تلاميذك وملك لمصر التى أثرت جنباتها بروائع فنك وأنت ملك للعروبة من أقصاها الى أقصاها بما أدخلت الى لغتها من فن المسرح الأدبي وبما ثبت للقصة والرواية من دعائم وبما قدمت للفكر العربى من آراء ومبادىء ستظل الى الأبد من تراث الأدب العربى والفكر العالمى ٠

فانت يا أستاذنا تخطىء كل الخطأ اذا كنت تظن أنك تملك نفسك واذا كانت الحرية متاحة لسائر الناس فهى ليست كذلك بالنسبة لك ٠ انما أراد الله لك أن تكون أمينا على كنز بشرى اسمه توفيق الحكيم والأمين على الكنز لا يجوز له ان يبدد منه شيئا ٠ فانت لا تملك اذن من جسمك شيئا ٠ وانما انت مطالب برعاية هذا الجسم كما يرعى الأمين مالا هو وديعة عنده ٠

فبأى حق اذن تمتنع عن الطعام وتجعل محبيك وأولهم ابنتك السيدة العظيمة زينب فى خوف عليك دائم وتجعل مصر والعالم العربى أجمع قلقا على كنزه الذى هو أنت وعلى وديعته التى أنت مجرد أمين عليها ٠

أنت لم تكن فى يوم من الأيام آكولا ٠ وانما نصيبك من الطعام دائما أقل نصيب ولكنك كنت دائما ذواقة تحب الطعام الجيد وتحسن الاستمتاع بـه ٠

وأنت طبعا تذكر الاسوبوكو الطعام الايطالى الذى دائما كنت تطلبه كلما خرجنا فى الاسكندرية للغداء والذهاب الى السينما ٠

وتحب ورق العنب بالكوارع وتطلبها كلما وجدتها ٠

وتحب العدس الاباظى وهو حاضر من قريب ينتظر منك اشــارة، ولست أنسى يوم كنت أتناول غدائى معك حتى اذا انتهينا منه جاء النادل

يسألنا عما نريد ليكون حلوا · وكنت أنت تتحدث ولم أرد أن أنشغل عن حديثك العذب بأى شيء · وطلبت أنت فى سرعة طبقا من العنب وفعلت مثلك حتى أفرغ لحديثك واذا أنت تجزع جزعا شديدا وتوقف الحديث وتقول لى ·

ـ أنت عايز عنب ·

فقلت ·

ـ لا بأس ·

فالتفت الى النادل وقلت له ·

ـ طيب هات لى إنا بطيخ بقى

وتضايقت أنا لأننى كنت السبب فى حرمانك مما اشتهته نفسك ولم أملك الا أن أسألك ·

ـ ليه كده يا توفيق بك ·

واذا أنت تقول فى جدية وتحذير :

ـ اياك ان تطلب طلبين من نوع واحد أبدا ·· سيحضرون لك طبق عنب واحدا ويحسبونه عليك طلبين ·

وضحكت ملء نفسى وتنازلت لك عن العنب وما زلت أنفذ نصيحتك حتى اليوم ·

فمالك اذن اليوم لا تقبل على شيء من الطعام قط · فمن اذن يستطيع أن يقدر الأطعمة ومذاقها اذا لم تكن أنت ومن يستطيع أن يضع الدساتير لما يطلب فى المطاعم وما لا يطلب ان لم تكن أنت ·· كل يا توفيق بك ·· كل وتذكر يوم أمر رفيق صحبتنا الثالث ان يكون غذاؤنا من الفول والطعمية كلما خرجنا حتى يكون الانفاق ضئيلا ما أمكن ذلك · وسمعنا كلامه ورحنا ننفذه اسبوعا وثانيا · ثم انتهزت فرصة انفردت فيها بى وقلت لى ·

ـ ما رأيك ·

ـ فيم ·

ـ فى مسألة الفول ·

ـ قلت هو عظيم مرة أو مرتين فى الشهر اما أن يكون طعاما دائما ·· فأكملت أنت ·

ـ مصيبة ··· وماذا نفعل وصاحبنا يريد أن يوفر ·

وقلت :

ـ وأنت أيضا ·

وقلت فى ابتسامتك الحبيبة ·

ـ الحقيقة ··· نعم ···

قلت :

ـ ما رأيك ··· اعمل لكم وزير مالية ·

ـ كيف

ـ كم تريد أن تدفع فى الغداء والسينما والشاى فى نادى السيارات ·

قلت :

ـ أريد أن أدفع جنيها ·

وتم الاتفاق وكنت وصديقك تطلبان أفخر الأطعمة · واذا أردت أن احسابكما تضحك ·

ـ خليها بالبركة ·

وأخليها بالبركة ·· واليوم الطعام يقدم اليك شهيا حلوا ودون أن تدفع الجنيه ·· فماذا يمنعك من الأكل يا توفيق بك ··· يا توفيق كل ·· من أجلنا جميعا كل ··

الأهرام ٤ مايو ١٩٨٤

أضـاليل الوفد

الجريدة التى تصدر عن حزب الوفد والتى يرأس مجلس ادارتها وحزبها السيد الأستاذ فؤاد سراج الدين باشا ترمى الآخرين بالهم عجول اشارة الى ضخامة أجسامهم والى جانب الدهشة التى تولتنى من هذه المفارقة رحت اتســاءل متى كان للضخامة والضآلة فى الجســم صلة بالفكر والسياسة الا أن يكون هذا تشريعا جديدا للمعارضة لا يعلم عنه أحد شيئا ولكن احسب ان هذا التشريع يمكن ان يصدر عن أى حزب الا حزب الوفد ٠

ومهما يكن الأمر فاننى عن هذا أغض الطرف فقبيح بنا أن نتنابذ فانه بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ٠ والفسوق بعد الايمان هو الانفصال عن الايمان فان يكن هذا مناسبا لحزب تحالف مع الشيوعيين فما هو بخايق بنا واننا لنعف ان نغمس القلم فى مستنقع الخنازير الذى يصدرون عنه ٠

ولنجعل كلامنا مقصورا على ما جاء فى الصفحة الأولى من جريدة الوفد فقد أوردوا جانبا من مقال لى أقول فيه فشق الأخ عن أخيه فى غير مراعاة لما يقتضيه الخلق الأمثل والشرف عند الخصومة التى هى خير ميدان ليظهر المعدن الخسيس على حقيقته ٠

وعلقوا على هذا تعليقا طويلا أنا عارض له بعد سطور وانما يهمنى ان الحق بما نقلوه عنى تعليقا لى ٠

جاء فى الجزء الأخير من مقالهم وهو قولهم والكلام بلا توقيع وهذا معناه فى لغة الصحافة انه كلام الجريدة كلها ٠

وهل من شرف الخصومة ان تقذف خصما سياسيا بهذه الأوصاف لأنه رفض الانضمام الى حزب الحكومة فاذا انضم شقيق الحاكم الى حزب معارض يكون خسيسا أما اذا انضم الى آخر الحديث ٠

وقد حسبت ان العبارة التى جاءت فى مقالتى غير واضحة مما أوقع جريدة الوفد فى هذا الخلط فاذا أنا أجد أن جميع من قراوا مقالة الوفد يدركون ان الأمر التبس عليهم ٠

ان المعدن الخسيس والمعدن النفيس يعرفان عند الخصومة وهذه قاعدة عامة رأيت انا الوفد جانب فيه الخلق الرفيع عند قبوله لأخى رئيس

الجمهورية ذلك بانني اعتقد اعتقادا جازما ان الوفد يعرف حق المعرفة ان الأخ الذى انضم اليه لم يفعل ذلك الا لانه حاول ان ينتفع بمنصب أخيه ولكن أخاه رئيس الجمهورية أبى عليه ذلك فالبرنامج الذى أعلنه الوفد ليس بعيدا عن برنامج حزب رئيس الجمهورية ذلك البعد الذى يمكن معه الادعاء ان الأخ ترك أخاه فى سبيل المبدأ فالوفد واثق اذن انه حين قبل هذا الأخ بين صفوفه • انما أراد فقط ان يعلن على الملأ انه حتى اخو الرئيس لا يتفق معه فى مبادئه ولا فى آرائه وهو عمل دعائى بعيد كل البعد عن شرف الخصومة لأن المبادىء السياسية والأخلاقية جميعا براء من هذا العمل جملته وتفصيله •

أما الاشارة الخبيثة التى ارادوا أن يفخروا بها ذكرى الرئيس الراحل أنـور الســادات فهى تدل على الحقــد والسخيمة ولا شىء آخـر وأذكر البيت القـــديم :

فان يك الفعل الذى ســاء واحــد
فافعـــاله الــلائى سررن الــوف

وعلى كل حال فالله سبحانه يقول وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه والحقيقة بعد ومن قبل حائرة معكم اذا أراد أخ أن ينتفع بسلطة أخيه ومنعه أخوه الحاكم قبلتم أنتم ذلك الأخ ورحبتم به وان أساء أخوه الى أخيهم الرئيس السابق رحتم تكبون الدم والهجوم على الأخوة المسيئين وعلى أخيهم جميعا فماذا انتم تريدون •

أما ما ذكر تم من مثال عمى أحمد أباظة عميد عائلتنا وعن أخيه الوزير ماهر فأمر لا نناقشه نحن أبناء العائلة على صفحات الجرائد وانما مكان نقاشــه الغــرف المغلقة وعلى كل حال فعمنا أحمد وفدى منذ أربعين عاما وليس غريبا ان يظل وفديا وماهر أباظة وزير عن الحزب الوطنى وليس غريبا كذلك ان يظل على مبدئه •

أما المثال الآخر عن نفسى وعن شامل أخى فنحن وستوريا بالمولد وأنا لم أعلم أن شامل أخى انضم الى الحزب السعدى الا أن تكونوا قد تصورتم انه بزواجه من كريمة المرحوم النقراشى باشا أصبح عضوا فى الهيئة السعدية وتلك أيضا جديدة فى المبادىء السياسية لم أكن أعرفها خاصة ان هذا الزواج قد تم فى عام ١٩٥٦ وكان المغفور له النقراشى باشا قد انتقل الى رحمة الله منذ عام ١٩٤٨ وكان الحزب السعدى قد حل فى يناير عام ١٩٥٣ •

وبعد فان الذين عاصروا الوفد القديم وعرفوا لغته وانحرافه بالحقائق الى التضليل لم يدهشوا كما لم ادهش أنا وان كنت قد ازددت ثقة ان

الوفد القديم هو الذى عاد وان كلمة الجديد هذه تضليل من أضاليل القديم وان كان فى الأمر جديد فهو تحالفه مع الاخوان والشيوعيين فى وقت معا والله سبحانه وتعالى لابد محيط بكل المضللين وهو سبحانه وحده يعرف خائنه الأعين وما تخفى الصدور ٠

مايو ٧ مايو سنة ١٩٨٤ م .

بيان من اتحاد الكتاب حول مسئولية الكاتب

استجابة لنداء من الأستاذ نجيب محفوظ عقد مجلس اتحاد الكتاب اجتماعا خاصا ليقدم للجهات المعنية تصورا عن مسئولية الكاتب في شتى نواحي الحياة .

أولا : لا شك أن الكاتب مسئول مسئولية أدبية عن كل ما يكتبه ولكن ربما كانت المسئولية الجنائية تحتاج الى شيء من التوضيح ويرى الاتحاد أن من واجبه أن يتصدى لهذا الايضاح .

ثانيا : الكاتب مسئول مسئولية تامة عن الكتاب الذى ينشره ذلك بأن الكتاب لا يتعرض لأية رقابة سواء كانت الرقابة من جهة ما أو من منصب بذاته . فمسئولية الكاتب عن كتابه أدبية وجنائية في وقت معا . فاذا مس الكتاب شخصية معنوية أو شخصا بذاته جاز لأى منهما أن يتقدم للمحكمة المختصة مطالبا بما يتيح له القانون أن يطالب به .

ثالثا : اذا نشر الكاتب مقالة أو حديثا في صحيفة يومية كانت أو اسبوعية أو غير ذلك فمسئوليته الادبية كاملة ولكن المسئولية الجنائية تقع على رئيس التحرير المسئول وعلى الكاتب معا .

رابعا : كل ما يظهر للكاتب في المسرح أو الاذاعة أو التليفزيون أو السينما لا يكون الكاتب مسئولا عنه مسئولية جنائية على أية صورة من الصـــور .

فالرقابة على المصنفات الفنية هي وحدها التي تجيز الأعمال للمسرح أو السينما ومادام الرقيب قد تحمل هذه المسئولية فقد أصبح وحده والجهة التي يمثلها اللذين يتحملان عبء المخاصمة في المحاكم من أية جهة أصابها الضرر من العمل المسرحي أو السينمائي .

لأن الكاتب حين يكتب للمسرح أو السينما يقع في ضميره أن الرقيب هو الذى سيجيز عرض العمل أو يحجبه .

أما فى الاذاعة والتليفزيون فان المشرفين على هذين الجهازين هم المسئولون مسئولية قضائية لأن الأعمال التى تظهر فى هذين الجهازين تتعرض لأكثر من رقيب · وهؤلاء الرقباء هم فى الواقع وكلاء عن المشرفين على هذين الجهازين وبهذا يكون الكاتب مسئولا أمام القضاء من الكتاب الذى يصدره فقط أما الميادين الأخرى التى تخاطب الجماهير فان الكاتب يكون مسئولا مع رؤساء التحرير عما ينشره فى الصحف والمجلات أما فى السينما والمسرح والاذاعة والتليفزيون فليس على الكاتب أية مسئولية جنائية وان ظل بطبيعة الحال مسئولا مسئولية أدبية بقدر ما اتصل العمل الاذاعى والتليفزيونى بالعمل الأصلى الذى أعدت عنه ·

الأهرام ٦ مايو سنة ١٩٨٤

حـديث الصباح

كان الدكتور وحيد رأفت صادقا مع نفسه - كشأنه - حين أعطى حديثه للجريدة العربية . والواقع أن الأستاذ العظيم وضع فى كلمات البرنامج الذى كان ينبغى أن يخرج به الوفد على الناس .

ولو كانوا قد فعلوا لقدموا برنامجا متميزا له معالمه الواضحة التى تنسجم مع حزب يريد أن يكون ذا مبدأ يستطيع به الناخبون أن يتعرفوا فيه على الفوارق التى لا تجعله يتمتع مع الأحزاب الأخرى .

وهكذا أظهر الدكتور العظيم أنه هو هو صاحب الرأى وصاحب العقل الفقهى المتعمق الذى يعرف كيف تكون مبادىء الأحزاب .

وان الدكتور وحيد رأفت بحديثه هذا قد أثبت بما لا يدع أى مجال لشك أنه وضع برنامج حزب الوفد ثم تداولته بعد ذلك الأيدى الجاهلة والأفكار الغوغائية والرغبات القاتلة فى الحصول على الأصوات حتى وان كان ثمن الأصوات هو المبدأ والعقيدة .

والذى نعرفه ان السياسة الشريفة هى مبدأ قبل أى شىء آخر . وأن الحزب الذى يريد أن يحظى بالاحترام يقدم عقيدته للناس ويدافع عنها بالرأى والحجة ويترك اقبال الناس عليهم لضمائرهم .

واذا رفض الناس مرة فربما عادوا اليها فى مرة أخرى . وربما استبانوا مع الأيام أن الرأى الذى رفضوا يحمل من السلامة ما يستحق مع التأييد .

وكل حزب لا يقوم على مبدأ ليس جديرا بأن يكون حزبا ولولا حرصى على أن اتجنب اللفظ الحقيقى لوصفه لذكرت اللفظ فهو يفرض نفسه على سن القلم وانى لأرده عن أن يرتسم حروفا بكثير من الجهد .

ليس الحزب على أية صورة من الصور مجرد صلات شخصية واتفاق مصالح بين الأفراد أو جماعات . وانما هو رأى وعقيدة تقف صلبة صامدة وراء برنامج واضح السمات متميز المعالم .

وهذا الرأى وهذه العقيدة هما النهج الذى تقوم عليه جميع البنود فى برنامج الحزب . وبما يقومان عليه من أسس يكون موقف الحزب فى الاقتصاد وفيما يتبع الاقتصاد من زراعة وصناعة وقطاع عام وقطاع خاص وحرية راس المال وقيوده ومدى هذه الحرية وأحجام هذه القيود .

وبناء على هذا الرأى وتلك العقيدة يكون موقف الحزب من القوانين والتشريعات والأسس التى تستلهمها وتمضى على نهجها .

ونتعرف على موقف الحزب من الشريعة الاسلامية والى أى مدى يرى الحزب تطبيقها .. اتطبق كامله أم تكون مصدرا للتشريع كما هى الآن . وكيف يكون تطبيقها كاملا ومن الذى سيقوم بعبء التطبيق أهم رجال الأزهر أم رجال القانون .

ولو كان للحزب مبدأ واضح لعرفنا رأيه فى الملكية أهى مطلقة أم مقيدة أم ملغاة وليس لها مكان فى المجتمع كما يقول الشيوعيون .

والقيم الاجتماعية والأخلاقية والدينية أهى عند الحزب مصرية عربية أم هى روسية شيوعية .

فى اشارات قليلة حاسمة وضح فكر الدكتور وحيد رافت تماما . وسواء عليك عارضته أم أيدته فانك لا تملك الا أن تحترمه ولك بعد ذلك أن تناقشه حجة بحجة ورأيا برأى .

أما البرنامج الذى خرج به علينا حزب الوفد الجديد فهو برنامج مجاملة واسترضاء لكل الأطراف المتباعدة والمتنافرة . هو يستظيع أن يكون برنامج الاخوان المسلمين والشيوعيين والوفديين فى وقت معا .

لكم أشفق على الناخبين بماذا يبررون لأنفسهم أنهم انتخبوا حزب الوفد الا اذا كان هذا منهم لمجرد القاء أصواتهم فى تيه لا معالم له . وبالطبع أنا لا أتكلم عن البقايا الدارسة من الحزب القديم فانهم مزقلة العدد بحيث يكون الحديث عنهم عبثا . وأحسب أنهم لا يزيدون فى عددهم عن عدد الخطابات التى وصلت الى تطفح بما عرفناه للوفد القديم من الفاظ ابتكرت فى عالم الدنس والوسخ والحقارة ابتكارات تخلد لهم على الزمان . كما يخلد لهم ما أبدعوه من تجنب الحق والاعتداء على كل القيم الرفيعة فى حياة البشر حتى لقد أوشكوا أن يقتربوا الى الشيوعيين فى هذا الميدان .

وبعد الا يرى حزب الوفد الجديد أن يسمى نفسه كما اقترحت عليه يوما حزب الوفد الجديد القديم الاخوانى الشيوعى .. انه لو فعل يكون أقرب الى الحقيقة من الاسم الذى ظهر به مرة أخرى الى الوجود .

مايو ١٩٨٤/٥/٩ م

حـديث الصباح
ربمـــا ... ؟ !

قال تعالى : « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » الآية ٢ سورة الحجر من الكلام ما يناقش حتى لو كان الظلم فيه فادحا . والحق فيه مضاعا . ولكنه مادام يشكل رأيا لا مجرد تهجم فهو جدير بالمناقشة .

قرأت فى مجلة الأهالى مقالة يقول صاحبها الشيوعى المتطرف ان سـيـنا لم تعد لنا . وأنه مادام يقيم على ترابها قوات أمن فهى ليست حرة ..

وكاتب هذا المقال ــ للأسف الشديد ــ أستاذ المفروض فيه أن نكون الحقائق العلمية هى الأساس الذى يقيم عليه حجته .

والأستاذ يعلم . لا شك ــ أن القوات الدولية هى قوات تفصل بين دولتين العلاقات بينهما متوترة قد تتدهور الى حرب نتيجة تصرف فردى أهوج يؤدى الى عواقب وخيمة . فالقوات الدولية اذن ليست احتلالا بأية صورة من صور الاحتلال . ولو أن دولة ما طلبت من القوات الدولية أن ترحل لنفذت هذا الطلب فورا . ومن أجل ذلك فهى تســاهم فى نفقاتهـا .

وما هكذا الاحتلال . وأنت تعرفه . عرفناه فى مصر سبعين عاما ونيفا وازهقنا من أرواحنا ما أزهقنا وابى الاحتلال ان يترك مصر .

ونشهده اليوم فى احتلال اسرائيل للجولان . وقد بح صوت الأمم المتحدة بالقرارات المتلاحقة أن تجلو اسرائيل عن لبنان كما بح صوت سوريا وكانت النتيجة أن ضمت اسرائيل الجولان الى أراضيها واعتبرتها جزءا منها لا مجرد منطقة محتلة من دولة أخرى ونشهد الاحتلال أيضا من القوات الاسرائيلية المقيمة فى اصرار على أرض لبنان ضاربة عرض الأفق بقرارات الأمم المتحدة والمبادرات الأمريكية الأم الرءوم لاسرائيل . ونشهد الاحتلال فى أبشع صورة وأشدها مقتا من الروس فى افغانستان ونشهد الاحتلال أيضا فى بقاء القوات السورية على أرض البقاع فى لبنان تظللها وتباركها

روسيا السوفيتية فالاحتلال أذن أمر مختلف كل الاختلاف عن وجود قوات دولية فى منظمة ما لحفظ السلام فى هذه المنطقة ٠

سينا أذن عادت كاملة الى مصر شاء الشيوعيون ذلك أم أبوا وها نحن أولاء نعمرها بكل الجهد ٠ وها هى ذى الرحلات السياحية ذاهبة اليها فى كل يوم وعائدة ٠ وها هو نفق أحمد حمدى يربط بينها وبين مصر وقبل هذا جميعا يعلم الأستاذ أن حصيلة البترول ومناجم سينا جميعا تدخل الى ميزانية مصر بعد أن كانت جميعها تذهب الى اسرائيل بفضل حرب ٦٧ التى ترون أنتم فيها المجد والفخار ٠

وما سمعنا عن محتل لأراض يعطى لأصحاب الأراضى المحتلة ناتجا ما فى هذه الأرض من معدن وبترول ٠

وأخرى ٠

يرى الأستاذ صاحب المقال ان مصر اليوم محتلة بالأمريكيين بعد أن كانت قبل ١٩٧٠ تدرج فى الحرية الكاملة ٠

وتلك فى الحقيقة جديدة ما سمعنا بها فى الحياة السياسية منذ عرف العالم السياسة حتى اليوم ٠

اتكون الدولة حرة كاملة الحرية وعلى أرضها قرابة سبعة عشر ألف سوفيتى يحتلون كل مطاراتها الحربية ولا يسمحون للمصريين أصحاب الأرض بالدخول فيها أو الاقتراب منها حتى وان كان من القوات المسلحة أو فلنقل خاصة وان كانوا من القوات المسلحة المصرية ٠

وتكون الدولة محتلة وليس على أرضها جندى واحد من أية دولة أجنبية أمريكية كانت أو غير أمريكية ٠

كيف يستقيم هذا فى الأذهان ٠

وتكون الدولة حرة بعد هزيمة ماحقة واسرائيل تحتل سينا وتنتهب كل ثرواتها وبينها وبين مصر كلها خطوة ان شاءوا خطوها ٠

ولا تكون الدولة حرة بعد حرب انتصرت فيها انتصارا معجزا تحدث عنه العالم أجمع وكان من نتائجه ان خرج المحتل من سينا ٠

وتكون الدولة حرة والجرائد فيها مكممة لا تفرق فيها بين جريدة وأخرى ولا يجوز كاتب ان ينتقد تسريحة شعر لمذيعة فى التليفزيون ٠

ثم تصبح الدولة غير حرة والجرائد فيها حرة حرية كاملة يقول فيها المعارضون ما شاءوا أن يقولوا حتى وان جانبوا الحقائق واعتدوا على كل ما هو نبيل فى اللفظ أو القيم أو الأخلاق ٠

مايو ١٩٨٤/٥/١١ م :

انى عائد وما هاجرت

جاءنى هذا الأسبوع خطاب رقيق غاية الرقة سعدت به سعادة يندر أن أشعر بها وانى ناقل اليك الخطاب بنصه ـ تقريبا ـ لأن الموضوع الذى أثاره جدير بالمناقشة · وقد كنت أبحث عن فرصة لأكتب فيه حتى هيأها لي هذا الشاب الفاضل الكريم هو ومن أنابوه عنهم ··

يقول الخطاب :

···· ثروت أباظة ·

تحية طيبة وبعد فنحن طلبة فى كلية الآداب جامعة عين شمس نقرأ بنهم صفحتكم الأدبية فى جريدة الأهرام الغراء · لكننا لاحظنا فى الآونة الأخيرة أنكم هجرتم الأدب الى السياسة النزالية · فهل لنا أن نطلب اليكم أن تعودوا الينا بأدبكم الذى افتقدناه · وان تتركوا السياسة لأهل السياسة ؟

شكرا جزيلا · ومعذرة لتطفلنا عليكم · والى لقاء قريب على صفحتكم الأدبية ··

عنهم

عبد القوى محمد صيام

هذا هو نص الخطاب · وبواعث السعادة فيه كثيرة ربما عجزت عن الالمام بها جميعا ·

فاللغة العربية سليمة مستقيمة والألفاظ كريمة ومنتقاة فى أناقة شديدة وفى تعرف كامل لوظيفة كل لفظة وموقعها ·

وأنا يا بنى الذى افخر أن أكون أبا له تصل الى كثير من الخطابات ويندر أن أهم الى الاجابة على خطاب منها · ولكننى ما وجدت نفسى متحمسا للكتابة قدر تحمسى حين قرأت خطابك هذا الذى قلت ألفاظه وعظمت معانيه وانى لسعيد أن تكون نائبا عن نخبة اختارتك لتبدى رأيها · فالذى لا شك فيه أن هؤلاء الذين كتبت عنهم يتمتعون مثلك بالنفس الشفيفة

وبالنقاء الطهور وانهم لم يندبوك لكتابة خطابك هذا الا صادرين عن أشرف المقاصد وأكثرها نبلا ٠

والآن أريد أن أسألك يا بنى أو أسألكم يا أبنائى ما هى وظيفة الأدب فى الحياة ان لم يكن نورا كاشفا فى الظلمة وحقا ماحقا للباطل ٠

وماذا يكون الأدب اذا لم يكن تجميلا للحياة ورفعا لاعلام الحب والأخوة والانسانية بين البشر ٠

وماذا يكون الأدب اذا لم يكن محاربة لكل الغرائز التى تقرب الانسان من الحيوان وتجعل ساحة الحياة مسبعة ذئاب ومسرحا حقيرا الغالب فيه هم الثعالب التى تمكر بالشرف وبالفضيلة ٠ والتى تحتال على المعانى السامية فى الحياة والتى تختان كل ما يرتفع بالانسانية ويعليها الى مشارف الملائـــكة ٠

وماذا يكون الأديب اذا لم يحمل القلم فى الميدان أمينا يعمل على مصالح الوطن لأن الوطن هو مجموعة الناس الذى ينتسب الأديب اليهم وهم الذين جعلوا منه صاحب قلم وهم الذين قرأوا له فحملوه مسئولية الصدق مع النفس ومعهم ٠

فاذا كان الأدب والأديب كذلك ــ وهما كذلك ــ فماذا يكون ظنك بى اذا عرفت عنى أننى أرى الحق ولا أقوله وأعرف الباطل ولا أحاربه ٠

واننى يا بنى لأعرف أن كثيرين سيقولون عنى أننى أتملق السلطان وأتقرب منه ٠

وأنها لكبيرة فادحة ٠

ولكننى تحملتها حتى أقول الحق الذى أراه ٠٠ والله على ما أقول شهيد والدليل على كذب هذا الادعاء قريب فى يد من يعرف أمرى اذا لم يكن متحيزا ضدى ٠

فأنت يا بنى لا شك تعرف أننى حاربت السلطان فى أشد أوقات جبروته وطغيانه ٠ ويوم كانت الرؤوس تطيح والأعراض تنتهك والأموال تستلب ولكنى قلت ما أريد أن أقول ٠ ولك يا بنى أن تتحرى من شئت أن يجد لى كلمة مديح واحدة فى عهد الطغيان واليوم يريد الكثيرون أن يدعوا البطولة والشجاعة فى عهد لا شجاعة فيه للمعارض ولا بطولة له ٠ فالعهد لا يمنع أحد أن يقول ما يقول ولا يعتقل انسانا مهما تكن معارضته ضارية ومهما تجاوز حدود الحق أو يباعد بينه وبين عفة اللسان ٠

وقد كنت أســـتطيع أن ألبس ملابس المعارضين وأتزيا بأزيائهم المسرحية وأدعى البطولة التى يدعون فى عهدنا العادل هذا ولكننى أبيت هذا على نفسى وخضت الميدان لا أقول الا ما أراه حقا ٠

أليس واجب الأديب يا بنى أن يقول الحق ٠

أو تراني اذن حين أقول الحق أباعد بيني وبين مهمتي الأدبية ٠

أيرضيك أن أرى مصر تموج بالخيانة والعمالة وتحالف أقوام مع آخرين يقفون من آرائهم على أقصى بعد من الطرف الآخر ليحطموا مصر ٠

أيرضيك أن أرى هذا جميعا وأصمت عنه وأحدثك عن أثر الرواية فى الأدب الحديث والفرق بين الشعر الموزون المقفى وشعر التفعيلة الواحدة ٠

أكنت وأبنائى الذين أنا أبوك ترضون عنى أن أرى مستقبلكم مهددا بالأفاقين والانتهازيين والباحثين عن منافعهم الشخصية وان جعلوا من مصر أنقاضا٠وأسكت أنا عنهم وأتكلم عن نشأة القصة والرواية والمسرح فى مصر ٠

وانى أعلم يابنى أنهم يقولون أننى أبحث عن منصب ٠

ولو كانوا على صلة مهما تكن ضئيلة بالثقافة لعرفوا أن الكاتب أكبر من أى منصب فى الوجود ٠ ان الكاتب أصبح كاتبا بمرسوم صادر من رب العرش الرازق الوهاب بما أتاح للكاتب من موهبة ومن تفرد فى أدبه ٠ فان الكاتب اذا لم يكن متفردا بأسلوبه وبفكره لا يكون كاتبا وما دام قد أصبح كاتبا فليس فى العالم منصب يزهيه أو يفكر فيه بل يسعى اليه ٠ فاذا تولى الكاتب منصبا فهو انما يصاب به على رغم أنفه ٠ وحين يقبله فهو انما يقبله ليؤدى واجبه نحو مجتمعه ٠

وقد أصبح الدكتور محمد حسين هيكل وزيرا ثم رئيسا لمجلس الشيوخ وقد كان هذا المنصب هو المنصب التالى لمنصب رئيس الوزراء فى ترتيب المناصب فى ذلك العهد ٠

ولكن لم يبق من الدكتور هيكل الا كتبه الخوالد فى التاريخ مثل : حياة محمد والصديق أبو بكر والفاروق عمر وفى الرواية مثل زينب التى بدأ بها الرواية العربية فى الأدب العربى هكذا خلقت التى كانت آخر ما كتب ٠ وغير هذا من مؤلفاته الرائعة ٠

وبلغ عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين منصب الوزير ولكن الناس نسوا هذا لطه حسين وبقى طه حسين جميعا عميد الأدب العربى وعملاقة واحدى العلامات التاريخية فى الأدب العالمى ٠

ولكن ألم يكن الدكتور هيكل يكتب فى السياسة كما كان رئيسا لتحرير السياسة فى أزهى فتراتها ٠

أو لم يكن الدكتور طه أيضا يكتب فى السياسة وكان يهاجم سعد زغلول أقسى هجوم وأعنفه ·

أو لم يكن العقاد يكتب فى السياسة وهاجم النحاس وأيد سعد زغلول وهاجم محمد محمود ·

ان هؤلاء الكتاب العمالقة وغيرهم كثير كتبوا جميعا فى السياسة بل ان الأدب السياسى أو السياسة الأدبية قامت على أكتافهم ·

وهم كتبوا فى السياسة لأنهم كانوا يرون فسادا يريدون أن يمحقوه أو رأوا صلاحا يريدون أن يؤيدوه ·

ومن يكتب فى السياسة يا بنى يعلم أنه سيتعرض لأشرس هجوم ويعلم أن مهاجميه لن يراعوا الحق فى هجومهم · وانهم سيلحقون به من الصفات ما يعلم هؤلاء الخصوم أنه منها براء ·

ولكنه يضحى بكل هذا لأن عنده كلمة حق يرى فى كتمانها جريمة لا تغتفر ·

واذا لم يحاسبه على كتمانها وطنه وشعبه الذى جعل منه كاتبا · حاسبه هو نفسه · وحساب النفس يابنى صعب عسير وأنا لا أحب يابنى أن أحاسب نفسى فأجدنى جبنت عن كلمة حق مهما أكن عالما بعواقب قولها · ·

وانى لأرجو الله يابنى ألا تتعرض فى يوم ما أنت أو صحبك الكرام لحساب من نفوسكم حسابا لا ترضون فى نهايته عن الحكم الصادر بشأنه· والآن يابنى ·· والآن يا أبنائى ·

أكنتم تريدون منى والانتخابات تجرى فى مصر بين عدة أحزاب ألا أبين لكم ما وراء كل حزب من هذه الأحزاب · أما أهل السياسة الذين تقول عنهم ··· فمن هم اذا لم يكونوا أصحاب الأقلام · أكنتم تريدون أن أبارك بالصمت ائتلاف الوفد وهو أقصى اليمين الرأسمالى مع الشيوعية وهى أقصى اليسار مع الاخوان المسلمين وهم أقصى غلاة التطرف الدينى ·

ألم يكن يعنيكم أن تعرفوا الوفد وماضيه وكيف خان ثقة الشعب فيه وقدمها هدية أو رشوة للانجليز فى ٤ فبراير حتى يصل الى الحكم ثم قدمها هدية أو رشوة الى الملك حتى يبقى فى الحكم ·

ألم يكن يعنيكم أن تعرفوا أن الوفد كان يعتمد على القمصان الزرقاء فى ضرب خصومه فى الرأى بالعصى والطوب لا بالرأى والحجة ·

وانه من قبل قتل زهدى وعبد الرازق وكان القتلة من حزب الوفد يومذاك يظنون أنهم يقتلون عبد الخالق ثروت وعدلى يكن • ومن أين لكم أن تعرفوا هذا اذا لم أقله أنا أو أى كاتب آخر على علم بهذا التاريخ •

وكيف اذن ستختارون بين قوائم الأحزاب اذا لم تعرفوا تاريخ كل حزب يقدم نفسه اليكم •

ألم يكن يعنيكم مثلا أن تعرفوا الارهاب الذى عشنا فيه بفضل الاخوان المسلمين فى أربعينات هذا القرن •

أو لم يكن يعنيكم أن تعرفوا الحاد المذهب الشيوعى وقتله لمئات الملايين من البشر •

ان الكاتب الأديب شاهد على العصر • وكل كاتب ينكص عن الشهادة شيطان أخرس • أو ترضون لى أن أكون ذلك الشيطان الأخرس •

وبعد يابنى وأبنائى فاننى أرجو أن أكون قد أجبت على خطابكم الحبيب هذا • ولا والله ما تركت الأدب وأنما كان هو الأدب السياسى ما أكتبه فى الأسابيع الماضية • حتى اذا انتهت الغمرة واستقر البناء عدت اليكم بما تعودتم أن تقرأوا لى ••

فان كنتم راضين عما أقدمه اليكم اليوم فبها ونعمت وان كنتم مصريين ألا تقرأوا الا فى الأدب الخالص • فانى عائد يا أبنائى ••

انى عائد وان كنت ما هجرت حتى أعود ••• انى هنا معكم وسأظل دائما هنا معكم •

الأهرام ١٣/٥/١٩٨٤ م :

عجـــائب ولا عجب

أما الحجة والرأى فنناقشه وأما سقط الحديث والنباح فنعف عنه واذا كان الخدم البكم من عبيد الوفد أو الكلاب المسعورة من الوالغين فى دماء الشعب فى زمن الطغيان لا يجدون حجة يسوقونها الا الســباب الأجوف وشتيمة كشتيمة النساء من فارشات الملاءات . فان عندنا فى ميدان الحقائق الكثير الذى يصم اسيادهم وطغاتهم وصمات تشمئز منها البشرية . ولكننا نحرص على كرامة قرائنا كما نحرص على كرامة اقلامنا . وان الطوب الذى يرمون به مرتد اليهم من قرائهم . لأن القارىء يدرك الحجة اذا واجهت الحجة . ويدرك العجز حين يصيب هؤلاء المفلسين من المنطق وحين تنغلق دونهم المســالك وتقفل فى وجــوههم طرائق الرأى والحجــة .

وأنا لنعلم أنهم وجدوا أنفسهم فى حيرة قاتلة كنتيجة طبيعية للطريق الذى اختاروه لأنفسهم بادئين . فهم لم يقولوا آراءهم دفاعا عن حق يرونه أو مبدأ يعتنقونه . وانما قالوها جريا وراء منافع شخصية فقدوها حين فقدوا الدماء التى كانوا يمتصونها من عروق المصريين . أو قالوها اطاعة لأوامر اسيادهم الذين يجرون عليهم الرزق .

ولما كنا ندرك حق الادراك ما هم فيه من حرج قاتل ولما كنا بدافع من الانسانية نرفض أن نزيد حرجهم فاننا نعف عن الاجابة عليهم لهذا . ولأننا مهما يفعلوا لن ينجحوا أن يجعلونا نسبح معهم فى مستنقع الخنازير الذى يسبحون فيه .

ولنخط الآن الى الآراء التى جاءت بجريدة الوفد الجديد . أو المطالبة العجيبة التى زحمت صفحاتها بأن يوقف رئيس الجمهورية زياراته الميدانية للمصانع والمنشآت الجديدة حتى تنتهى فترة الانتخابات . وتلك عجيبة وان كانت العجائب من الوفد ليست عجائب ترى هل يريدون أن يتوقف افتتاح المصانع التى تحاول التخفيف من معاناة الشعب التى ينتفعون بها هم والشيوعيون وسائر الأحزاب الأخرى مهما يكن فى ذلك التوقف من مزيد للمعاناة .

ربما كان هذا مطلبهم . فان معاناة الشعب اذا انتهت لن يجدوا بضاعة يتاجرون بها .

وهل هناك أكثر صفاقة من الشيوعيين الذى دمروا مصر كلها · وكانوا السبب الرئيسى فيما تعانيه مصر اليوم ومع ذلك نجدهم أعلى الأصوات متاجرة بهذا الخراب الذى صنعوه بفلسفتهم وتصرفاتهم · ثم هم يضعون برنامجا شيوعيا لرفع المعاناة عن الشعب وفى نفسى سؤال يلح عليها الحاحا لا قبل لى به · فى أى بلد من البلاد الشيوعية طبق هذا البرنامج وكان ناجحا · ترى هل نجح فى روسيا الدولة الشيوعية · اذن فلماذا تتسول القمح من أمريكا ·

وعلى كل حال فلنترك الشيوعيين ولنعد للوفد الذى يريد للرئيس ان يوقف جولاته · وأذكرهم أننا لسنا فى عهد ملكى الملك فيه فوق الأحزاب · ليس الأمر كذلك لا من الناحية النظرية كما كان ولا من الناحية العملية ·

ربما لم يدرك الوفد أن الملكية الغيت فى مصر منذ عام ١٩٥٢ وأن النظام الحالى نظام ديمقراطى جمهورى رئيس الجمهورية فيه رئيس للحزب الحاكم رئاسة معلنة لا خفاء فيها وانما هى معلنة اعلانا رسميا لا شك فيه ·

وانى لأعجب لماذا يريدون من رئيس الحزب ان يخفى تأييده لحزب يرأسه · ان كانت هناك آمال تداعبهم فى عودة الملكية فهى على كل حال آمال لم تصل الى التحقيق بعد · وهى أيضا آمال تجول تائهة فى نفوسهم لا تجد فى نفسها القوة على المعالنة أو الوضوح · وعليهم أن يعرفوا أن رئيس الجمهورية محمد حسنى مبارك هو هو نفسه رئيس الحزب الوطنى الديمقراطى شأنه فى تأييد حزبه شأن كل رؤساء الجمهوريات الديمقراطية التى يعتمد فيها الحكم على حزب صاحب أغلبية ··· أم تراهم سمعوا عن رئيس جمهورية ديمقراطية يتولى سلطاته الرئاسية من فراغ وبغير تأييد من حزب ···

لا أستطيع أن اجادل أى مواطن مصرى ، فى أن يعبر عن رأيه ، ان كان هذا الرأى وأنطلق فى ذلك لا من ايمانى بحقوق الانسان فحسب · بل لايمانى بقانون الانتخاب الطبيعى ، وهو ان البقاء للأصلح · ولا يمكن لنا ان نكتشف « الأصلح » الا من خلال معرفتنا ب « الاردأ » !!

ان قانون الانتخاب الطبيعى ، هو قانون الصراع بين الاضداد وحينما تتصارع القيم ، والمثل ، الهابط فيها والصاعد ، فان البقاء يكون للأصلح دائما · ولا يستطيع « الاقتصادى » ان ينشر بساط قولته المأثورة « العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من السوق » على كل أرض المجتمع الانسانى ·· لأن لكل شىء قانونه الحاكم فيه ·

ولن يفلح اجراء قهرى أو تعسفى انسانى من الحلول محل الانتخاب الطبيعى بين الاضداد لأن اعتســاف الانتخاب هنا ، يرتدى مســوح الشخصيات فينعكس شخص التدخل على ما يريد انتخابه من قيم · ان الصراع الذاتى هو محور الانتخاب الطبيعى ، وهو جوهر الحقيقة فى قاعدة « البقاء للأصلح » · وليس معنى هذا ان يترك الانسان قيم الشر وقيم الخير للصراع الذاتى ويقف منها موقف المتفرج · ذلك ان هذه القيم ، لا تتصارع بمعزل عن الانسان ، بسبب بسيط ، هو انها لم تكتسب صفاتها الا من خلال انطباعات الانسان عنها · وهى هنا تلبس الانسان دون ان يلبسها هو ، لأن له وظيفة محددة ودقيقة ، هى ادارة الصراع ، لصالح قانون الانتخاب الطبيعى ·· البقاء للأصلح ·

ان ادارة الصراع بين هذه القيم ، يجب أن تكون بين يدى أشخاص يفهمون هذا القانون ، ويدركون عمق نفعه للمجتمع · واذا ما وقع فى يدى أشخاص لا يفهمون هذا القانون ، ولا يدركون عمق نفعه للمجتمع فهم سيحسمون الصراع لصالحهم لا محالة ·

أريد أن أقول ، أن بين الديمقراطية والديكتاتورية صراع بين قيم سياسية واجتماعية · وان ادارة الصراع بينها لابد أن تنطلق من مفهوم واضح وحاسم ، هو انه صراع بين خير وشر · وان الديمقراطية قد اكتسبت صفة الخير ، من انعكاساتها على الناس ، كما ان الديكتاتورية قد اكتسبت كذلك صفة الشر من انعكاساتها على الناس ·

والصراع بين الديمقراطية والديكتاتورية ، هو صراع بين خير وشر وادارة هذا الصراع ، ينبغى ان تنطلق من مفهوم واضح ، هو الارتكاز على قانون الانتخاب الطبيعى ، البقاء للأصلح · والأصلح هنا هو القيمة النافعة للمجتمع ، بحسب ما انعكس على الناس طوال احقاب التاريخ · والقيمة النافعة هى الديمقراطية ·

لكن الديمقراطية سوف تفقد المدرك الطبيعى لها ، اذا ما تعرض الصراع لادارة سيئة النية · وسوف يحل محل المدرك الطبيعى ، مدرك مصطنع يلبس نفس الثياب ويحمل نفس الاسم · وتاريخ الشعوب يؤكد لنا عمق الهوة بين مفاهيم الديمقراطية من مكان الى مكان ومن زمان الى زمان !!

ان السبب فى ذلك واضح ، انه التفاوت الساحق فى مصداقية ادارة الصراع · فعلى حين يدار الصراع فى زمان ومكان ما · لصالح الحاكم ، فانه يدار فى مكان آخر وزمان آخر ، لصالح الشعب · وبين درجتى الجموح المصلحى هذه ، تقع العشرات من درجات الانحراف عن القانون الطبيعى للانتخــاب ·

ان ادارة الصراع عندما تنطلق من مفاهيم صحيحة ، فانها تنتهى بالضرورة ، الى نتائج صحيحة !! والذين يطبقون هذا المنهج الفلسفى النظرى، على ادارة الصراع بين قيم الخير والشر فى مصر منذ نالت استقلالها ، يرون تطبيقات فعلية لهذا المنهج الفلسفى .

فحين كانت ادارة الصراع قبل الثورة ، تدار بمعرفة الوفد والسراى، من مفاهيم خاطئة ، تخلط بين الخير والشر ، كانت النتائج متوقعة وواضحة .. وهى انهيار البنيان الاجتماعى كله عند أول ضربة من ضربات الثورة فى ٢٣ يوليو . فقد سقط النظام الملكى .. وسقطت رموزه وعلاماته ، لأن ادارة الصراع بين الوفد والملك ، كانت ترتكز على مفاهيم شخصانية .

أريد أن أقول ، ان ادارة الصراع فى ذهن الملك ، كانت تستهدف حسمه لصالح السراى ، بينما كانت ادارة الصراع فى ذهن الوفد ، تتغيا ، حسمه لصالح حزب الوفد . وكان انتصار أى منهما ، يعنى انتصار الديكتاتورية فى جانب ، أو انتصار الاقطاع فى جانب آخر !! أما الشعب نفسه ، فلم تكن تدار لمصلحته ، اية معركة . ولقد انتصر الملك فى الجولة الأولى لصراعه ، يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ عندما احترقت القاهرة وأعلنت الأحكام العرفية وأقيل الوفد .. !! وفى قول آخر فقد انتصرت الديكتاتورية ، وبسطت يدها على الشعب المصرى ، فانتهى صراع الجولة الأولى . ولأن قانون الانتخاب الطبيعى لابد أن يفرض نفسه فقد كان لانفراد الملك بالسلطة ، دوى هائل !! فحين يخلو ميدان الصراع الاجتماعى من أحد أطرافه ، فان البنيان ينهار .. ذلك انه لابد من استمرار الصراع وتجدده يوما بعد آخر ، كوقود للتحرك الاجتماعى .

ان سقوط الوفد واستسلامه لم يبدأ بعد معركة .. وانما بدأ عندما كان الطرف الآخر يستعد لاستقبال الهزيمة أو الفرار من الميدان !!

لقد دخل زعيم الأمة مصطفى النحاس ، وكيلا عن الشعب المصرى ، ليدير معه صراعا على الخير والشر لصالح الشعب .. صاحب الأرض !!

وعندما وقف الشعب صاحب القضية ، ينتظر بدء الصراع لصالحه ، فوجىء بوكيله وقد رفع راية الاستسلام !! وعندما استعد الملك طرفا للصراع مع النحاس لمصلحة الشعب ، فوجىء بخصمه وقد انحنى على يده يقبلها !! ولقد كانت مأساة مروعة .. ان ينهزم الوفد دون معركة .. وان يفر من الميدان قبل اللقاء .. وان يلقى السلاح قبل ان يرفع الملك راية الاستسلام !! وكانت نتيجة انهزام الخير (النحاس) فى مواجهة الشر (الملك) أن تعرض قانون الانتخاب الطبيعى لشروخ عميقة . فلم يعد هناك بقاء للأصلح ، لأنه قد استسلم للاردأ .. ولم يعد هناك صراع بين

الخير والشر فقد انتصر الشر بعد ان هرب الخير وهو يلثم اليد !! وكان لابد من انتظار النتيجة الحتمية وهي اسقاط شرعية التوكيل الشعبى للوفد وتمثل ذلك كله في موجة من المظاهرات بدأت تتصاعد فى شكل مظاهرات تعم أرجاء مصر ، حتى انتهت الى اعصار عاصف يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ بحرق القاهرة !! عندئذ سقط التوكيل الشعبى للوفد فتقدم الملك ليجهز عليه !!

ونفس النتيجة ، حدثت يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، حينما تصاعد الانهيار التدريجى للنظام كله ، فلم يجد ثوار يوليو عناء كبيرا فى الاجهاز على سلطة الحكم • والامساك بزمام الادارة للصراع بين القمم لصالح الشعب !! ويكاد ما يجرى على الساحة الحزبية الآن ، يمثل صورة صادقة لادارة الصراع على نهج مدرك لحقيقة قانون الانتخاب الطبيعى !! فالرئيس حسنى مبارك يمسك بيديه ادارة الصراع بين الخير والشر •• ولا يتدخل بشخصه فى هذا الصراع بين القيم •• ومن أجل ذلك فان قانون الانتخاب الطبيعى ، البقاء للأصلح ، سوف ينتهى الى نتيجة طبيعية ، هى انتصـــار ارادة الشـــعب •

والذين يلاحظون ادارة الصراع القيمى الآن ، يدركون ان ادارته لم تشأ ان تنحاز لطرف دون آخر • فعلى الرغم من أن محمد حسنى مبارك هو رئيس للحزب الوطنى ، وكان فى مقدوره ان يسخر كل امكانيات الدولة ، لحسم الصراع لصالحه ، فانه آثر أن يدير الصراع من وعى كامل لمفهوم قانون الانتخاب الطبيعى •

والذين يديرون مثل هذا الصراع ، معركة قد تختلط فيها المصالح الشخصية بمصلحة الشعب نفسه ، دون ان يخطئوا الطريق الى الشعب ، انما يمثلون افرازا حقيقيا لارادة الشعب ، وهنا فان محمد حسنى مبارك لا ينسى انه مصرى وانه يعمل من أجل الشعب المصرى •• بل انه يتجاهل تماما انه رئيس للحزب الوطنى كطرف فى الصراع على قيم الخير والشر ، ويتعامل مع أطراف الصراع جميعا على قدم المساواة • ومثل هذا النموذج الفريد فى ادارة الصراع السياسى ، لم يتواجد فى مصر من قبل !! فلم يسبق لمصر ان وجد بها مدير للصراع ، يدرأ الحدود بالشبهات !! ان هذا وحده كفيل بأن يطمئن المصريين على نتيجة هذا الصراع ، وهى أعمال قانون الانتخاب الطبيعى « البقاء للأصلح » !!

ومن الغريب ان بعض الصحف الحزبية ، والأحزاب الصحفية ، تحاول ان تستدرج ادارة الصراع الى مزالق الشخصانية !! فصحيفة الأهالى تصدر صفحتها الأولى بصيحة مضرية ، هى الرد على « رئيس الحزب الوطنى » !! أى أن الصحيفة ، تريد أن تذكر رئيس الجمهورية ، المحايد ،

بصفته الحزبية التى لا يستخدمها اطلاقا ، مستهدفة ، جر الصراع الى ميدان آخر تماما !! ومع ذلك فانه لابد من الاعتراف ، بان هذه المحاولات ، طبيعية جدا ، ولا ينبغى ان تثير الانزعاج ، لأن حق كل مصرى فى المنافسة ، مكفول ، لا بالقانون فحسب ، ولكن بمؤسسات وادارة واعية لدورهـــا تمـــاما ٠

وهنا ، فان نتيجة الانتخابات القادمة ، سوف تكون تطبيقا حرفيا لقانون الانتخاب الطبيعى فى مصر لأول مرة فى تاريخها ٠٠ وايا كانت النتائج ٠٠ فلن تسلم من طعن المجروحين ٠٠ ولا من شماتة المنتصرين ٠٠ لأن طبيعة الصراع ٠٠ تنتهى الى انتصار هنا ٠٠ ثم فرح ٠٠ وهزيمة هناك ثم حزن ٠٠

وكل ذلك ليس مهما ٠٠ انما المهم كله ٠٠ اننا أمام ادارة جديدة للصراع بين قيم الخير والشر ٠٠ وهى ادارة لم تصل من قبل ٠٠ الى كراسى الحكم ٠٠ ولا منصة القضاء ٠٠ !!

١٤ مايو سنة ١٩٨٤ :

الله فى عونهم

النظام الملكي يقوم على أن يملك ولا يحكم · وقد كان لهذا الشعار أثر خطير في حياة الملكية وخاصة في انجلترا · ومما يروى في هذا الباب أن رئيس الوزراء دزرائيلي عرف أن وصيفة الملكة فيكتوريا ترسل بطاقات توصية للوزراء بشأن أقاربها وأصدقائها · وكانت هذه الوصيفة اثيرة عند الملكة فيكتوريا مقربة اليها · ولعلها اعتمدت على هذه الصلة حين تجرأت على هذه التوصيات وقصد دزرائيلي من فوره الى القصر الملكي وطلب مقابلة عاجلة مع جلالة الملكة وحين لقيها طلب اليها أن تغير الوصيفة فورا لما أرسلت من توصيات للوزراء واعتبر هذا تدخلا من القصر الملكي في شئون الحكم لابد أن حسم بشكل حازم · وغضبت الملكة أشد الغضب وصاحت به ·

ـ لقد اصبحتم تتدخلون فى حجرة نومى ·

وقال دزرائيلى :

اذا تدخلت حجرة نومك فى شئون الحكم أصبح حتما علينا أن نتدخـل ·

وقالت الملكة غاضـبة :

وانا لن أقل هذا ·

وقال دزرائيلى وكانت الصلة بينه وبين الملكة تقوم على الحب والاحترام المتبادل ·

اذن أنا مضطر أن أقدم استقالتى ·

وقالت الملكة :

لا · أنا التى سأقدم التنازل عن العرش ·

هذا هو النظام الملكى · وقد كان دستور ٢٣ فى مصر ينص هو أيضا على أن الملك يملك ولا يحكم · ولكنه عاد فأعطى الملك حق اقالة الوزارة فالغى بذلك تماما مبدأ عدم تدخل الملك فى الحكم · وعلم الله أن هذا التدخل من الملك هو الذى جعل الدستور العوبة يلهو بها من يريد اللهو ·

وعلم الله أن هذا هو الذى جعله يلغى تماما بعد أن قال بيان الثورة ان الثورة قامت لحمايته • وربما كان هذا التدخل من الملك هو الذى أدى الى عزله وهو أيضا الذى جعل الناس تفرح بهذا العزل •

وعبرت مصر طريقها الوعر مرة أخرى الى الدستور • وأصبح النظام عندنا جمهوريا ولكنه كان نظاما ديكتاتوريا صارخا • حتى أصبح فى مصر أحزاب وعادت الديموقراطية الى مصر ولكنها عادت ديموقراطية جمهورية وليست ديموقراطية ملكية • والفارق شاسع بعيد •

فحين ملك الملك ولا يحكم فى النظام الملكى نجد رئيس الجمهورية يشارك فى الحكم مشاركة فعالة حين تكون الجمهورية رئاسية مثلما هو الحال فى مصر • اما اذا كانت برلمانية كما هو الحال فى اسرائيل فان رئيس الجمهورية يصبح رمزا لا أكثر يوقع ما يطلب منه رئيس الوزراء أن يوقعه دون مناقشة أو يستقيل •

وقد فشل هذا النظام فى فرنسا فشلا ذريعا أدى الى تغيير الوزارات بسرعة متلاحقة وافقد الحكم استقراره مما أضطر الشعب الفرنسى الى أن يأخذ بنظام الجمهورية الرئاسية •

أما النظام الملكى فهو يمنع الملك أن يحكم لأنه تولى العرش مفروضا عليه بصدفة الولادة وقد يكون طاغية باطشا أو أحمق مافونا أو قد يصلح لأى شىء الا أن يحكم •

أما رئيس الجمهورية فالشعب يختاره فطبيعى اذن أن يكون صاحب رأى فعال فى الحكم • فقد اختاره الشعب وهو على وعى كامل بكل السلطات التى يخولها له الدستور وان السلطات التى يتمتع بها رئيس الجمهورية الرئاسية فى أمريكا مثلا واسعة الى حد بعيد •

ولكن كيف يكون رئيسا للجمهورية دون أن يكون له تأييد شعبى • وكيف يكون له تأييد شعبى وليس له حزب ذو صلة وثيقة بالشعب •

فرئيس الجمهورية اذن لابد أنه يعتمد على حزب قوى •

ورئيس الجمهورية فى مصر • هو فى نفس الوقت رئيس الحزب صاحب الأغلبية الساحقة فى مجلسى الشعب والشورى على السواء •

فاى عجيبة اذن أن ينزل رئيس الحزب ليجتمع بالناخبين فى فترة الانتخابات وقد شاء رئيس الجمهورية فى أيامنا هذه الا يكون لقاؤه بالشعب مجرد لقاء انتخابى وانما أصر على أن يكون ذهابه الى المحافظات من أجل افتتاحه للمشروعات الجديدة التى يحاول بها أن يخفف الأعباء عن الشعب والتى يحاول بها أيضا أن يزيح عن كاهله وكاهل مصر العبء

الفادح الذى ورثه نتيجة السنوات العجاف دون أن يكون له يد فيه وأحسب أن لسان حاله يقول مع الشاعر القديم :

لم أكن من جناتهـــا ـ علـــم اللـــه ـ
وانى بحرهـــا اليـــوم صـــالى

فما لاقوام اذن يطالبون الرئيس بألا ينزل الى الجماهير فى هذه الأيام · اتراهم يريدون المشروعات أن يتوقف افتتاحها · فاذا توقف راحوا يضربون الدفوف بمعاناة الشعب وازماتها ·

ام تراهم يريدون أن يتوقف رئيس الجمهـــورية عن العمل فترة الانتخابات ··· ربما كان هذا أملهم · وماله لا يكون · وهم يعلمون كل العلم ماللرئيس مبارك من مكانة عند الجماهير · هذه المكانة التى نراها حين نشهد زيارات الرئيس فى التليفزيون والتى تجعل الأحزاب المعارضة تزداد ثقة بأن الأرض تميد من تحت أقدامهم حتى لقد أصبحت أخشى عليهم خشية حقيقية الا ينال حزب منهم النسبة التى تمكنه من التمثيل فى مجلس الشعب · كان الله فى عونهم اذا كانوا فى مصلحة مصر يعمـــلون ؟

الأهرام ١٧ مايو سنة ١٩٨٤ :

ان أجراها عمر

كان الشعر العربى هو وسيلة الاعلام عند العرب ولذلك كان الرسول عليه الصلاة والسلام يحتفى بالشعر والشعراء غاية الاحتفاء وكان عليه الصلاة والسلام يطرب للشعر شأن كل عربى أصيل حتى ان فارعة بنت أبى الصلت أخت الشاعر الشهير أمية بن أبى الصلت وكانت سيدة فاضلة تحفظ الكثير من الشعر كانت تقصد الى النبى بدعوة منه ويستنشدها الشعر ويمتدح ذكاءها وحسن اختيارها لما تحفظ ·

وكان عليه الصلاة والسلام يحيى الخنساء وهى تنشد الشعر فى ساحته « هيه يا خناس » ·

وكان صلوات الله عليه يغضب للشعر الذى يتطاول به الكفار على مقامه الأسنى وقصة كعب بن زهير معه معروفة حين هجا الرسول وامعن فى الهجاء فأباح النبى دمه · وكان أخو كعب مسلما حسن الاسلام فراح يشرح الاسلام لكعب حتى انشرح صدره للايمان واسلم ثم قال لأخيه :

ــ والآن ماذا أفعل فى دمى المباح ·

وقال اخـــوه :

ــ ان الذى أباحه سيد البشر اجمعين فان تبت بين يديه عفا ·

ــ اوتظنه يفعل ·

ــ انه لا شك فاعل ·

ــ فكيف وصولى اليه ولو رأنى أحد من اتباعه لقتلنى قبل ان أبلغ مكانه ·

ــ لا عليك سأصحبك ولكن اخف وجهك ·

ــ ما أرى صحبتك ستنجينى من القتل وما أرى اخفـــاء وجهى نافعـــا ·

ــ اننا سنذهب الى النبى فى موعد الصلاة وهو (صلى الله عليه وسلم) سيكون فى مكان الامامة حتى اذا انتهت الصلاة اطلب العفو ·

ـ وانى لناظم قصيدة فى مديحه يظل رنينها فى سمع الزمان الى آخر الزمان ·

وذهب الاخوان والنبى يصلى بالناس ووقفا مع المصلين حتى اذا ما انتهت الصلاة كشف كعب عن وجهه وبدأ يلقى قصيدته الخالدة :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول
متيم أثرها لم يفد مكبول

وما سعاد غداة البين اذ رحلت
الا أغن غضيض الطرف مكحول

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة لا يشتكى قصر منها ولا طول

ثم يقول :

ان الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
فى فتية من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما اسلموا زولوا
نبئت ان رسول الله أوعدنى والعفو عند رسول الله مأمول

فاذا بالرسول الكريم يقوم من مجلسه ويصيح :

ـ ولقد عفوت يا كعب ·

ويحتضن الشاعر ويخلع عليه بردة جديدة كانت مهداة حديثا الى رسول الله ، ومن أجل هذا نجد من يقول ان هذه القصيدة هى التى تسمى بالبردة نسبة الى هدية النبى عليه الصلاة والسلام · أما بردة البوصيرى فيقال ان اسمها البرأة لأن البوصيرى كان ينظمها وهو مصاب بالشلل وحين اتمها برأ ·

وأيا كان الأمر فان هذه القصيدة تدل على قيمة الشعر فى زمن الرسول وهى أيضا ذات دلالة عريضة تدحض ما يذهب اليه المتطرفون من تحميل الاسلام غير مذاهبه · وها هو ذو هادى البشرية وحامل رسالتها يستمع الى الغزل الرقيق البديع من كعب فلا يضيق به ولا يرفضه بل يخلع على الشاعر بردته ·

ومكانة حسان بن ثابت من النبى ومن الاعلام الاسلامى معروفة شهيرة · وقد كان النبى عليه الصلاة والسلام يقربه ويدنيه اليه ويمتدح شعره ويستعيده · اقرأ معى قوله :

ان الذوائب من فهد واخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته تقوى الاله وبالأمر الذى شرعوا
قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

سجية تلك منهم غير محدثة ان الخلائق فاعلم شرها البدع
لا يرفع الناس ما أوهت أكفهم عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
ان كان فى الناس سباقون بعدهم فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
أعفة ذكرت فى الوحى عفتهم لا يطبعون ولا يرديهم طمع

ولا يكتفى حسان بمديح الرسول وانما هو يهجو فى عنف واقذاع أعداء الاسلام وخصوم رسول الله والنبى الكريم يبارك منه المديح والهجاء معا ٠٠ أسمعه يقول فى هجاء الوليد بن المغيرة :

ان التى ألقتك من تحت رجلها وليدا لجهال العشى خبوب
فما لك من كعب حصاة تعدها وان قلت من شجو فانت كذوب

ويقول فى مخرمة بن المطلب وأبى صيفى بن هاشم بن عبد مناف هاجيا لهما بأمهما :

اذا ذكرت عقيلة بالمخازى تقنع من مخازيها اللئام
أبو صيفى الذى قد كان منها ومخرمة الدعى المستهام
اذا شتموا بأمهم تولوا سراعا ما يبين لهم كلام

وقد تطور الاعلام اليوم فأصبحت الاذاعة وأصبح التليفزيون واننا لنشهد انها المرة الأولى فى تاريخ مصر وأكاد أقول فى تاريخ الشرق العربى كله يسمح للأحزاب المعارضة أن تعرض برامجها فى الانتخابات فى الاذاعة وعلى شاشة التليفزيون الذى تشرف عليه الدولة التى تتكون الحكومة فيها من حزب يشارك فى المعركة الانتخابية ٠ وقد شهدنا الحكومة الوفدية حين كانت تنفرد بالاذاعة ويظل الزعيم يخطب فيها الساعات الطوال ووراءه الأتباع وأتباع الأتباع ٠ وأذكر فى هذا المضمار قصة لا تخلو من طرافة فقد اقترح أحد أعضاء الوفد اقامة حفل تكريم للرئيس بمناسبة سخيفة من المناسبات السخيفة الكثيرة التى كان يحفل بها حكم الوفد ٠

وأقيمت حفلة التكريم ٠ واذا بعض آخر يطلب اقامة حفلة تكريم لهذا الذى اقترح اقامة حفلة تكريم للرئيس ٠٠ والعجيب ان الحفلة أقيمت فعلا وتساءلنا نحن الشعب المصرى الى أى مصير سينتهى الأمر اذا اقترح أحدهم اقامة حفلة تكريم لمن اقترح اقامة حفلة تكريم لمن اقترح حفلة التكريم ٠٠

.. لنا الله فكم رأينا من سخافات وتفاهات .. ولكم نخشى أن تعـــود .

وشهدنا فى التليفزيون زعيم الحزب الشيوعى وهو يقدم برنامجه وآنا لنسأله سؤالا عاما بغير تفاصيل . فى أى بلد شيوعى جربتم هذا البرنامج ونجح . ان النظرية الشيوعية لم تعد اليوم نظرية وانما هى تطبيق ونحن اليوم ينبغى لنـا أن نناقش التطبيق لا النظرية . لأن النظريات بغير تطبيق لا تعنى شيئا .

أما وقد طبقت النظرية فعلا سبعين عاما فى روسيا السوفيتية فقد آن لنا أن نسأل الشيوعيين .. هل نجح التطبيق .

اذن فما لروسيا السوفيتية تتسول القمح من أمريكا . وما لروسيا السوفيتية تتحدث عن الحوافز وما لها تميل فى كل يوم عن النظـرية الشيوعية كلها تحاول جاهدة الخروج من جنة الماركسية .

وبعد فاننى أحسب أن الحزب الوطنى قد أغلق المنافذ على أحزاب المعارضة . فما من مطلب طلبوه الا أجابته لهم حكومة الحزب الوطنى من حرية الاجتماعات الى الصحافة الحرة حتى وان كانت تميل عن الحق وتقيم الباطل الى شرح البرنامج فى التليفزيون والاذاعة .

فبأى حجة اذن سيحتجون يوم تقول صناديق الانتخابات ان الشعب لا يثق فيهم .

رفقا أيها الحزب الوطنى فما كان ينبغى أن تغلق عليهم مســالك الحجج الى هذا الحد .

وعلى أى حال ليعلم الجميع ان الأحزاب المعارضة جميعا سترمى الانتخابات بأنها مزورة والقائمين عليها بأنهم ظلمة غير محايدين.ولا علاج لهذا .. لا علاج وان قام الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه من مرقده وأجرى الانتخابات برجال من صحابة الرسول . فان المعـارضة أيضـا ستقول : ان الانتخابات لم تكن حرة . ولله فى خلقه شئون .

الأهرام ١٩٨٤/٥/٢٠ م ..

الستراولى بنـا

القانون رقم ١٢٠ لسنة ١٩٥٠ صدر باضافة مادة جديدة الى قانون العقوبات وكانت الوزارة الوفدية فى ذلك الحين هى الوزارة الوفدية واحب أن أنقل هنا نص المادة كما جاء فى الوقائع المصرية بتاريخ ٢٦ شـــوال ١٣٦٩ ـ ١٠ أغسطس عام ١٩٥٠ ٠

« نحن فاروق الأول ملك مصر » ٠

قرر مجلس الشيوخ ومجلس النواب القانون الآتى نصه وقد صدقنا عليه وأصدرناه ٠

المادة ١ ـ يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على ستة شهور وبغرامة لا تجاوز مائة جنيه أو باحدى هاتين العقوبتين كل من ينشر فى الصحف أو فى غيرها من المطبوعات دون اذن مكتوب من وزير الداخلية أخبارا أو رسوما أو صورا أو رموزا عن الشئون الخاصة للأسرة المالكة أو لأحد أعضائها ٠

المادة ٢ ـ على وزيرى العدل والداخلية تنفيذ هذا القانون ويعمل به من تاريخ نشره فى الجريدة الرسمية ٠

صدر بقصر رأس التين فى ٢٦ شوال سنة ١٢٦٩ ـ ١٠ أغسطس ١٩٥٠ ٠ ثم بعد ذلك توقيعات وزير الداخلية فؤاد سراج الدين ووزير العدل عبد الفتاح الطويل وفاروق بأمر حضرة صاحب الجلالة رئيس مجلس الوزراء بالنيابة عثمان محرم ٠

هذا هو النص قصدت عامدا أن انشره كما هو لأن من المؤكد أن كثيرين من الشباب لم يشهدوا مثل هذه الصياغة ولولا هذا لكنت اكتفيت بنشر مضمونه ٠

وربما يعجب بعض الذين لم يتعودو قراءة مثل هذه المراسيم أن يجدوا فى صدره أن مجلسى الشيوخ والنواب قررا هذا القانون ٠

ولا عجب فى ذلك فالأصل أن الملك لم يكن يملك اصدار مراسيم ما لم تعرض عليه من المجلسين أو من مجلس الوزراء ٠

ولكن هذه القاعدة كانت فى حكومة الوفد الأخيرة حبرا على الورق

فقد كان الملك يملكهم ويحكم مصر جميعا وما كانوا هم الا موقعين على أوامره .

ومعنى صدور القانون من المجلسـين أن الوزارة تقدمت بمشروع القانون هذا أو أن أحد الشيوخ أو أحد النواب تقدم به ولا فارق هناك بين أى حالة من هذه الحالات والأخرى فالذى لا شك فيه أن الملك أصدر أمره وراحت الوزارة تضع الأمر فى صيغته الشرعية . فالأغلبية الوفدية فى الشيوخ والنواب كانت تضمن لهم اصدار أى قانون يشاءون حتى ولو كان مخجلا الى هذا الحد الذى بلغه هذا القانون . فان الدستور حين نص على أن الملك يملك ولا يحكم ضمن له كذلك الا يكون عرضة للنقد أو الهجوم ولذلك قبل ان الملك ذاته مصونه لا تمس . وهذا نص معقول تماما اذا كان الملك حقا لا يحكم فمادام لا يحكم ففيم يوجه اليه النقد اذن .

ولم يكن واضعو الدستور يتصورون أن ملكا ما سيتردى فيما تردى فيه فاروق من أعمال شائنة جرت عليه وعلى مصر الوبال . كما أن واضعى الدستور لم يكونوا يتصورون أن حكومة ما ستترك ملكا يطلق يده فى الحكم اطلاقا كاملا دون أن يرده أحد أو يراجعه رئيس وزراء أو وزير .

وعلى كل حال فصون الذات الملكية من المساس نص استثنائى ضيق كل الضيق لا يسمح لأحد مهما يكن أمره أن يتمتع به مع الملك . والتوسع فى هذا النص اهدار للدستور لا شك فيه لكن حكومة الوفد وهى تضع رأسها تحت قدمى الملك حتى تبقى فى الحكم استصدرت هذا القانون ليشمل أفراد الأسرة المالكة جميعا . وليذهب الدستور الى أى جحيم يشـاء .

ونسيت موقف سعد حين أبى أن يعين الملك فؤاد الشيوخ الا اذا كانت اسماؤهم بترشيح من رئيس الوزراء ونسيت موقف محمد محمود وهو يكسر أبواب نادى محمد على حين أراد ولى العهد محمد على توفيق أن يجعله مقصورا على أبناء الأسرة المالكة فصاح به محمد محمود نحن أبناء الفلاحين ونحن أصحاب هذا البلد وليس فى البلد مكان يمتنع علينا وانما أنتم ضيوف علينا ومن لا يقبل هذه الصفة منكم فعليه أن يرحل من بـلادنا .

نسى الوفد هذا جميعه وترك الملك يعيث فسادا بالحكم وبالأخلاق وبالقيم وبكل معنى كريم من حياتنا وحين وقف رجال مصر يصيحون بالملك أن يعود الى عقله اعتبرهم الوفديون مجرمين .

وحين وقف محمود محمد محمود رئيس ديوان المحاسبة يطلب الأسباب التى جعلت كريم ثابت يستولى على خمسة آلاف جنيه دون وجه حق ذهب

اليه فؤاد سراج الدين يغريه برتبة الباشاوية ان يسحب اعتراضه فيأبى الرجل فى نبالة وأمانة وحين تقدم مصطفى مرعى بالاستجواب أخرج فؤاد سراج الدين القمم الشامخة من شيوخ مصر وصاح فى المجلس بالدكتور هيكل رئيس المجلس محطمـــا كل أسس الديمقراطية انى أرى كرسى الرئاسة يهتز تحت رئيس مجلس الشيوخ ويقول الدكتور هيكل ان هذا الكرسى ثابت كالطود ولا يهتز أبدا ولم يكن الرجل يعلم انهم دبروا مؤامرة لقتل الدستور والديمقراطية معا ٠

ويقول قائل ان التاريخ لا يرويه الا مؤرخون وهذا حق ولكن ايمتنع علينا نحن الذين شهدنا أن نقدم شهادتنا للتاريخ ٠ اننا لا نؤرخ انما نحن شهود عيان ٠ وما نقوله لا يقبل المناقشة لأنه واقع حدث فعلا وليس رأيا نراه وقد يرى الآخرون غيره

أن هذا الذى نقول مكتوب فى الصحف ومسجل فى كل سجلات هذه الفترة من الزمان فلا مناقشة فى صحته أو عدم صحته انما تكون المناقشة فى وجهة النظر حوله وفى تبريره لمن شاء تبريره ولادانه مرتكبيه لمن شاء أدانه ٠

انما هو الحق ٠ وهذا هو الحزب الذى يعود اليوم بكل ما يحمله من تاريخ عفن لم يحاول أن يعتذر عنه وانما هو يزيده سواء بما يفعله فى حياتنـــا اليوم من استقطاب المتطرفين من اليمين واليســـار من ضـــم ورثة القمصان الزرقاء ومن محاولة احراج رئيس الجمهورية بأن يضموا اليهم اخاه لا لشىء الا ليشفوا الشقيق عن شقيقه وعجيب أن يستصدر فؤاد سراج الدين فى سنة ١٩٥٠ قانونا بأن من ينشر خبرا أو صورة أو رسما عن أى فرد من أفراد الأسرة المالكة يعتبر مجرما يعاقب بالحبس أو بالغرامة ثم يقبل هو نفسه فى حزب الوفد شقيق رئيس الجمهورية ليكون فى حزب معارض لرئيس الجمهورية ٠ وياليته كان معارضا لمبدأ وانما هو معارض لأسباب تزيد رئيس الجمهورية فخرا وشرفا ٠٠٠ عجيب فعل سراج الدين حقا ولـــكن العجائب منه ليست عجائب وما خفى من أمره وما خطى من أمره أعظم ولكن الستر أولى بنا ٠

الأهرام ١٩٨٤/٥/٢٢ م :

اقرأ هــذا مبــكرا

لست أدرى أين ستقرأ هذه الكلمات ولا أنا أدرى متى ٠٠ ربما قرأتها فى باكر الصباح قبل أن تغادر بيتك ٠ وربما قرأتها فى طريقك الى صندوق الانتخاب وربما قرأتها وأنت تنتظر دورك للادلاء بصوتك ٠ وكل أملى أن تقرأها قبل أن تقف أمام ضميرك والصندوق ٠

الأحزاب المعروضــة عليك اليوم ٠ هى : الحزب الوطنى وحزب العمل ٠ وحزب الأحرار ٠ وحزب لوفد ٠ وحزب التجمع ٠

وأنا لن أتكلم عن الحزب الوطنى فغاية القول فيه أنه الحزب الذى يرأسه محمد حسنى مبارك وهو رجل استطاع فى براعة وفى صدق وفى غير افتعال أن يجعل الأحزاب المعارضة تشيد به وبنزاهته ونقائه السياسى ومواقفه التى لا يصدر فيها الا عن حب مصر ٠٠ ومصر فقط ٠

وأنا لن أتكلم عن حزب العمل فقد كان له ممثلون فى مجلس الشعب ومجلس الشورى والشــعب قــادر على أن يتعرف على ملامح الحزب من ممثليه فى المجلسين ونفس هذا الرأى ينصرف الى حزب الأحرار وان كان لابد من تفرقة فهى اعتقادى ان قياداته ستتعرض بعد الانتخابات لأسئلة بذاتها عن بعض تصرفات فى الشركات التى يقومون على أمرها ٠ وأحسب ان القضاء سيكون صاحب الولاية فى هذه الأمور ومن ثم فليس لنا أن نخوض فيها أو نذكر عنها شيئا أما الحزبان اللذان أجد نفسى مضطرا للحديث عنهما فهما حزب الوفد الجديد وحزب التجمع الوحدوى ٠

أما حزب الوفد الجديد فلأن الكثيرين من الناخبين لا يعرفون شيئا عن ماضيه وكثيرين أخرين يجدون فيه أملا فى التغيير ٠

وحب التغيير يكون فى بعض الأحيان غاية فى ذاته عند النــاس وخاصة أولئك الذين يضخمون ما تعانيه مصر الآن والذين يرفضون أن يبحثوا عن الأسباب الحقيقية التى أوجدت مظاهر النقص هذه التى تحمل مصر اليوم عبئها ٠ بل ان بعض الناس يريدون التغيير لمجرد التغيير ٠

ولو ان هؤلاء وأولئك أنعموا النظر فى القوائم التى رشحها الحزب الوطنى لوجدوا الحزب غير نفسه فعلا فى غير ضجيج ولا صراخ ولا هتاف٠

وهل هناك تغيير أوضح من استبعاد نصف أعضاء الحزب في مجلس الشعب تقريبا . وهذا في ذاته يشير الى ما سيتلو هذا . وان كان هذا التصرف لا يحمل الدلالة الكافية فان خطاب الرئيس مبارك في أول مايو يقطع بهذا بصورة لا تحتمل الشك ، فالدماء - كما قال - لا بد أن تتجدد ولابد أن يكون لكل فترة رجالها .

فالتغيير اذ واقع من الحزب الوطني نفسه .

فهل ترانا نجد التغيير عند حزب الوفد .

أما زعيمه فهو نفسه سكرتير عام حزب الوفد القديم الذى باع كرامة مصر الى الانجليز فى ٤ فبراير والذى باع كرامة الحكم الى الملك فى وزارته الأخيرة بأمل البقاء فى الحكم . وهو هو نفسه الحزب الذى أخرج الشيوخ من مجلس الشيوخ لأنهم طالبوا بنزاهة الحكم . وهو هو نفسه الحزب الذى أشاع الفساد والرشوة والمحسوبية فى أرجاء مصر . وهو هو نفسه الذى ابتدع القمصان الزرق ليحاربوا الرأى بالعصى ويردوا الحجة بالحجارة .

وقد كنا جديرين أن نقول عفا الله عما سلف . لولا اننا نرى الوفد الجديد شرا من الوفد القديم .

فالقمصان الزرق عادت وان لم تلبس القمصان الزرقاء وانما أنت تراها حول رئيس الحزب حيثما حل . وحسبك ما حدث فى الاسكندرية لتعرف ان القمصان الزرق تمارس عملها فعلا . وأنت اذا شهدت موكب رئيس الحزب فسترى حوله هؤلاء الفتوات يحيطون به احاطة السوار القبيح بالمعصم ولنترك هذا لنخوض فى غيره .

ما هو البرنامج الذى نختاره عند حزب الوفد الجديد !؟

أهو برنامجه ؟

أم هو برنامج الاخوان المسلمين ؟
فان كان برنامجه فكيف يمثله الاخوان المسلمون ؟!

وان كان برنامج الاخوان ألا يكون الحزب بذلك قد تلاعب بالقانون وسمح للجماعات الدينية أن تتخذ أسمه ستارا تقيم فى غطاء منه حزبا يمنعه القانون أن يتكون .

والاخوان المسلمون فى ذاتهم حزب مفتعل . فاذا كانوا هم اخوانا مسلمين . فماذا نحن اذن ان لم نكن اخوانا ونكون مسلمين . علم الله أننا مسلمون بكل قطرة دم من دمائنا . الا أننا نرى الاسلام رسالة روحية

سامقة . ويرونه هو وسيلة للوصول الى الحكم ونرى نحن الاسلام مرحمة وحبا وتوادا فى الله . ويرونه هـم قتلا فرديا وجماعيا لأعدائهم ولغير أعدائهم على السواء . ومن شجرتهم التى رواها الدم خرجت الجماعات الأخرى التى لا تزال حتى يومنا هذا تثير الفرقة بين أبناء الوطن وتشعل الحقد فى نفوس الشباب وتفشى الذعر والهلع فى أفئدة المصريين المسلمين وغير المسلمين على السواء . وقد رأيناهم منذ الأربعينات حتى الثمانينات فى مصر . وها نحن أولاء نرى نموذجا بشعا لحكمهم فى ايران . وهو يخرب الدين أول ما يخرب ويقدم منه صورة دموية مفجعة للعالم المتحضر الذى كان الكثيرون فيه يفكرون فى الدخول الى الاسلام والوقوف تحت رايته حتى خرج عليهم حكم الخومينى بما خرج .

واذا كان الوفد يعلن انضمام الاخوان له فان فى خفايا كيانه كثيرا من الشيوعيين الملحدين الكافرين بالله وبكل رسله وبالروح وبالسماء جميعا .

فأى جانب فى الوفد ننتخب .

أننتخب الوفد الذى حطم الديمقراطية قبل ٥٢ ويريد أن يحطمها وهى وليد جديد وعيون العالم أجمع تنظر الينا فنحن دولة لا مثيل للحرية فيها بين دول المنطقة جميعا أم الاخوان فيه أم الشيوعيين .

والعيون فى الداخل رواصد واذا أصبحت الديمقراطية ستارا للخرق والفوضى والاضطراب فالله وحده يعلم الى أى مصير نحن صائرون .

ولنترك الوفد الجديد القديم الاخوانى الشيوعى لنلقى اطلالة على حزب الكفر والالحاد .

ونبدأ بتحليل اسمه .

فهو يسمى نفسه حزب التجمع الوحدوى . أما التجمع فهو من أسماء الأضداد فأنصار الله هم أبناء مصر جميعا وأنصار الالحاد أفراد قلة لا يستحقون الحصر . ولننظر فى كلمة الوحدوى .

أتراهم يقصدون بها الوحدة بين مصر وبين العرب . اذن فهى القومية العربية التى قال عنها خروشوف هنا فى مصر يوم جاء للسد العالى . انهم أى السوفيت لا يعرفون هذه القومية ولو كانت القومية من الأسس التى تريد مصر أن تكون بين عناصر شعارتها فانه سيجمع كل الروس الذين جاءوا للسد العالى ويعودون جميعا الى روسيا .

ولكن الوحدة أصبحت شعارا للحزب الشيوعى يوم خاصم العرب مصر بعد انتصار مصر وحصولها على سيناء وعلى السلام .

وقد كانوا فيما سموا أنفسهم قصار النظر فقد كانوا يريدون توسيع الهوة بين مصر والعرب ولكن خاب فالهم وها هم أولاء العرب يعودون الى مصر وها ذى العلاقات بيننا وبينهم تزداد فى كل يوم توثقا ٠

وبعد الاسم نبحث عن أهداف هذا الحزب وهذا أمر يحتاج الى كثير من الحديث اذا نحن ناقشنا النظرية ولا يحتاج الى أكثر من بعض جمل اذا نحن ناقشنا التطبيق ٠

الحزب الشيوعى لا يعترف بالله ولا يعترف بالروابط الشرعية ولا يعترف بالقيم الأخلاقية ولا يعترف بالصلات الاجتماعية ٠ ولا يعترف بأى معنى كريم أو نبيل فى حياة الانسان ٠

فالانسان عنده أقل من حيوان أعجمى فهو لا يزيد على مسمار فى آلة تعمل لتوفر الخبز والغذاء لكل على قدر حاجته ٠

ولما كان الالغاء سهلا فقد ألغوا من نظامهم الدين والشرائع والقيم والأخلاق وأسس المجتمع ٠

ولكن هل حصلوا على حاجة الانسان ٠

اذن فلماذا تتسول روسيا القمح وهو أبسط حاجات الانسان من أمريكا الرأسمالية ؟!

ولماذا قضى النظام الشيوعى على الاقتصاد الصناعى المزدهر فى ألمانيا الشرقية والتى يسميها الاتحاد السوفيتى ألمانيا الديمقراطية زورا وافكا وبهتانا وتمسحا فى الديمقراطية ؟! ولماذا حاولت المجر أن تخرج من جنة الشيوعية فسحقت فيها الدبابات الروسية مئات الألوف من العجائز والأطفال اختلطت جثثهم بدمائهم وعجنت أجسادهم بالدبابات ؟!

ولماذا حاولت تشيكوسلوفاكيا الخروج من جنة الشيوعية فاحتلتها فى لحظة واحدة خمس دول شيوعية ٠

ولماذا تحاربهم أفغانستان المسلمة العظيمة منذ خمس سنوات وهى دولة فقيرة كانت جديرة بأن تقبل مذهبهم لو أنه فعلا يعينهم على فقرهم ٠

ترى أين تقرأ هذا الحديث ٠٠ انه كل ما أرجوه أن تقرأه فى الموعد المناسب فاننى أحاول أن أفكر معك راجيا أن تفكر أنت أيضا معى ٠ فان كلمة ياليت كلمة لا تعيد من الزمن ما فات ٠

الأهرام ١٩٨٤/٥/٢٧ م :

اللهم فاشـــهد

خرجت علينا جريدة الوفد أمس وعلى رأسها صور ثلاث لسعد زغلول ومصطفى النحاس وفؤاد سراج الدين وكتبت بجوار صورة سراج الدين أنه عذب ثلاثين عاما ثم اعاده القضاء العادل الى زعامة الوفد • وقد تساءلت وأغلب الأمر أن كثيرين تساءلوا معى ألم يكن الأكرم والأجدر بالجريدة أن تقول ان فؤاد سراج الدين قد عـاد الى زعـامة الحزب حين سـمحت الديمقراطية التى ننعم بها اليوم أن يمارس القضاء حقه فالقضاء لا يقول كلمته الا اذا كانت الدولة حرة الأمر فيها للقانون وليس للطغيان وتلك حقيقة لو ذكرهـا الوفد لوجدت عند الناس شعورا بأن الوفد يمكن أن يقول الحق ولو مرة واحدة فى حياته ولو كان الوفد قد اعترف أننا نحيا فى ظل القانون الذى لا يعيش الا فى حماية من الديمقراطية لاطمأنت منه القلوب أنه لو قدر له أن يكون الحزب المعارض تحت قبة البرلمان فانه سيكون حزبا شريف المعارضة يقف مع الحق حيثما يكون الحق وليس مع المعارضة حيثما كانت المعارضة •

وفى نفس الجريدة كلمة رائعة للأستاذ الجليـل الدكتور وحيد رأفت استطاعت على قصرها أن تعطى كل ذى حق حقه فى التاريخ كما استطاعت على قصرها أيضا ـ أن تضع الدستور الأمثل للمعارضة الشريفة كما أتمنى أن يتخذ الوفد من هذا الرجل العالم الأمين فيلسوفا له يضع له منهج عمله السياسى ، اذن لنجا الحزب الجديد من أوضار الحزب القديم ولابتعد عن الغوغائية الى المعارضة المثقفة الرفيعة وحينئذ نستطيع أن نفخر بالديمقراطية التى نعيش فى ظلالها •

واننى سأكون أشقى الناس لو أسفرت هذه الانتخابات على أغلبية حزب واحد فأبغض شىء الى الأحرار أن يتولى الهيئة التشريعية فى بلادهم حزب واحد فالحزب الواحد هو الديكتاتورية المقنعة أو هو الديكتاتورية السافرة ان شئت الحق •

فما أحب الينا نحن الأحرار أن تكون هناك أحزاب معارضة أو حزب معارض على الأقل • ففى وجوده عصام الأمور وأمن الشعب ورقابة السلطه التشريعية على السلطة التنفيذية ووجوده يجعل القائمين على الأمور يفكرون ويمعنون فى التفكير قبل أن يتقدموا بمشروع قانون الى السلطة التشريعيه

ولا يجعل القوانين تتراكم حتى تصل الى أربعة عشر ألف قانون • المعارضة هى الديمقراطية • لا اختلاف فى ذلك ولا جدل ولكن اذا كانت سبا واشعال حرائق بلا وعى • واذا كانت تمثيلا مسرحيا لا تمثيلا نيابيا واستنشاقا لأسياف من خشب واتخاذا لملابس المهرجين •

فهى اذن الفوضى • وهى اذن الكارثة • وهى انحطاط بالديمقراطية الى درك أسفل من الفوضى •

المعارضة هى الديمقراطية وبغيرها لا ديمقراطية على أن تكون معارضة واعية يمثلها أو يقود زمامها أعلام فكر وقانون مثل الدكتور وحيد رأفت •

والمعارضة هى الفوضى والغوغائية اذا اختلقت الأكاذيب ورفضت مصلحة البلاد فى سبيل الأغراض الشخصية والبطولات الوهمية • ووضع اللافتات على الفراغ ورفع الصوت بما لايفيد شأن الذين تخلوا عن عقولهم • فانهم هم وحدهم الذين تنطلق أصواتهم من حناجرهم وليس من ضمائرهم أو عقولهم •

ان أصبحت المعارضة شريفة تنظر الى مصلحة الوطن ارتفع شأن الوطن الى أعلى الدرجات •

وان أصبحت المعارضة رفضا لمجرد الرفض وبحثا عن المنفعة الشخصية فالذى لا شك فيه أنه ستقتل الديمقراطية واذا قتلت الديمقراطية — لا قدر الله — فان المعارضة ستكون أول حطب يلقى الى الحريق •

فيا أحزاب اليوم ويا معارضة الغد — اذا قدر لك أن تجلسى تحت القبة — اعلمى علم اليقين أن الديمقراطية أمانة فى يدك أنت قبل أن تكون أمانة فى يد الحاكم فاتقوا الله فى أوطانكم فان هانت عليكم فاتقوا الله فى أنفسكم •

واللهم قد بلغت ••• اللهم فاشهد ؟

مايو ٢٨/٥/١٩٨٤ :

ظلـم فادح

ما أرى الا أن الحكومة تكلف المعارضة من أمرها عنتا بصورة بعيدة عن العدل • فهى تسمح لها أن تعرض برامجها فى التليفزيون والاذاعة • وتسمح لها أن تصدر الصحف مليئة بالقذف والسباب والاعتداء على كل الكرامات • ولكنها فى ظلم فادح لا تترك لها مجالا لهجوم منطقى معقول يجعل كلامها يقع من نفوس الناخبين موقعا يجعلهم يسخطون على الحكومة وعلى حزبها سخطا ينصرفون معه عنها وعن انتخاب قوائمها •

ومما طالعت من الصحف تبين لى أن مطالب المعارضة يمكن تلخيصها فى أمور بسيطة ميسورة لا تكلف وزراء الدولة الا بعض جهود سهلة تمكن المعارضة من أن تقول شيئا محددا واضحا ولا يصبح كلامها مجرد متاجرة بما فرضوه وزعماؤهم على مصر من الآلام وأنى سأسوق بعض أمثلة فان الاحصاء عسير •

● مطلوب من رئيس مجلس الوزراء أن يمتنع نهائيا عن الكلام عما أنجزته الحكومة لتخفيف متاعب الشعب ويحسن أيضا لو يهاجم ما قامت به الحكومة ويصفه بالانهيار وبأنه يقوم على غير أسس علمية •

● ومطلوب من وزير الزراعة أن يتوقف تماما عن الميكنة الزراعية حتى لا تجد الأرض من يزرعها • كما يجب عليه أن يكف عن البحث عن التقاوى والبذور المحسنة خشية أن تزداد المحاصيل وتتوافر فان هذا يعرقل المعارضة عن مهاجمة الحكومة وفى هذا استغلال وحشى للسلطة •

● ومطلوب من وزير المواصلات ألا يفتتح منذ اليوم أى مشروع جديد من مشروعات الخدمة التليفونية • كما ينبغى على المهندس وجدى عبد الحميد ألا يبذل أية محاولة لتحسين التليفونات خاصة هذه السنترالات الجديدة التى تجعل مصر تلحق بركب الحضارة فان مصر لو لحقت بركب الحضارة سينغلق باب ضخم على المعارضة للمتاجرة بسوء حالة التليفونات فى مصر • وغنى عن القول ان محاولة اصلاح قطارات السكك الحديدية يعتبر من الحكومة استغلالا مشينا لنفوذها •

● ومطلوب من وزير البترول أن يكف تماما عن الكشف عن أية آبار جديدة للبترول فاذا هذا سيعود على مصر بالمال الوفير والمال اذا كثر

فى يد الدولة فانها ستتوسع على أفراد الشعب وهذه التوسعة تعتبر رشوة وتجعل الانتخابات غير حرة • ثم أن مصر اذ أصابها الغنى والرخاء فان هذا يعتبر هدما كاملا لأهداف حزب التجمع التى تقوم على خراب مصر • كما أن الكشف عن هذه الآبار يدل على أن الله يرعى مصر وحزب التجمع يرفض فكرة الايمان من أساسها ويقوم أساسه على الكفر والالحاد ورفض الأديان أما حزب الوفد فيرى أن الكشف عن هذه الآبار فى وقت الانتخابات اعتداء على الديمقراطية وقتلا لها وحزب الوفد يرفض تماما أن يعتدى أحد غيره على الديمقراطية كما يرفض أن يقتل حزب آخر هذه الديمقراطية فهو وحده صاحب الحق فى الاعتداء عليها وتعذيبها وقتلها كما فعل حين أخرج أعضاء مجلس الشيوخ وحين أنشأ القمصان الزرقاء • ويعلن حزب الوفد منذ اليوم أن فرق القمصان الزرقاء قد بدأت فعلا فى التكوين •• وبدأت قواتها فعلا فى مصاحبة معالى رئيسه فى غدواته وروحاته حتى وان ذهب للعزاء فى مأتم أو فى زيارة لأحد المحاسيب •

● ومطلوب من وزير الاسكان أن يتوقف تماما عن البناء أو انشاء المصانع لأدوات البناء • ويحسن به أن يطالب الناس بأن يناموا فى الطرقات العامة لينتفعوا بالهواء العليل •

● ومطلوب من وزير الكهرباء أن يطفىء مصر جميعا ولا يحاول بأية صورة من الصور أن يطلق التيار الكهربائى فى العزب لأن هذا يجعل الناس يرون الحقيقة والمعارضة ترى أن الناس اذا رأت الحقيقة فانها ستمتنع عن اعطاء أصواتهم للمعارضة •

● ومطلوب من وزير الصحة أن يعلن أن الأوبئة جميعها منتشرة فى مصر جميعا مهما يكن هذا الزعم بعيدا عن الحقيقة • وعليه أيضا ألا يحاول الاعلان أن الوفد الجديد الذى يحاول قتل الحياة فى مصر بتحالفاته وأن حزب التجمع الذى يحاول خراب مصر وقتل الدين والاسلام والايمان فيها ليساهما الوباء الموجود حاليا وأخيرا •

مطلوب من وزير الداخلية أن يمنع أى ناخب يحاول أن يعطى صوته لقائمة الحزب الوطنى وألا يسمح للجان الانتخابات بأن تستقبل الا الذين سيعطون أصواتهم للأحزاب المعارضة •

فاذا فعل الوزراء هذا ونجحت المعارضة فانها ستعلن على الملأ أنها نالت ثقة الشعب رغم الجهود العنيفة التى حاولتها الحكومة لتزييف الانتخابات ؟

مايو ٢١/٥/١٩٨٤ :

غبـــاء سياسى

كم كنت أرجو أن أجد المعارضة التى أفرزتها الانتخابات أبعد نظرا مما رأيتها عليه ٠٠ فالسياسة مهنة قديمة لها أصـول وقواعد أصبحت ثابتة يكاد لا يخطئها المبتدئون ٠٠ ومن أول هذه القواعد ان الصادق فى السياسة خبير ـ لأنه بصـدقه يكسب من الجماهير أضـعاف أضـعاف ما يكسبه صاحب الطبول الزائفة والأبواق المداجية والحناجر المشروخة ٠

وانى أريد أن أتصور ـ لمجرد التصور ـ الى أى مدى كان سيرتفع شأن المعارض عند الجماهير اذا اعترفت بنزاهة الانتخابات ٠

ألم يكن هذا بها أولى ٠ فانها لو كانت فعلت لأحست الجماهير أن هذه المعارضة يمكن أن تكون محل ثقة٠وأنها حين تعترض سيقع اعتراضها من الجماهير موقع المصدق فيصبح لاعتراضها مكان عند الناس له خطره ٠

أما اليوم وهى تصيح صيحات الأطفـال وتفعل فعل لاعبى الكرة المتخلفين الذين يعتدون على الحكم ولا يتقنون اللعب فلا هم أصابوا الهدف ولا هم نالوا احترام الناس ٠

لو كانت المعارضة تتمتع بأى حس سياسى لأدركت أن صراخهـا المجنون الأحمق اليوم بأن الانتخابات مزورة لن يفيدهم بشىء ٠ فالنتيجة قد ظهرت والجمهور قال كلمته والعملية الانتخابية معلنة النـاس هى التى تصنعها وهؤلاء الناس أنفسهم يدرون كل الدراية أن الانتخابات لم تكن مزورة كمـا يعلمون أن الأحداث الفردية القليلة تحـــدث فى جميع انتخابات العالم المتحضر الذى تحترم فيه المعارضة رأى الناخبين ٠ ففيم اذن هذا التهليل المتهافت وهذه المتاجرة البائرة وهذا الزيف الذى تحاول المعارضة أن تلبسه على الناس ٠

وهل كان الوفديون يطمعون حقا أن ينـالوا من الأصـوات أكثر مما نالوا ٠٠ ولماذا ؟ أنهم لو أمعنوا النظر فى هذا العدد الذى ناله حزبهم لأدركوا أن الأكثرية الكاثرة من هذه الأصوات ليست وفدية وانما هى أصوات أغلبها يريد أن يعلن احتجاجه على المعاناة وأن عددا ضخما من الأصوات التى نالوها أعطت أصواتها للأشخاص الذين يعرفونهم من بين

المرشحين ولو أنهم أمعنوا الرأى لعلموا أن المعارضين بطبيعتهم أكثر تصميما من المؤيدين ٠٠ فالذى لا شك فيه أن الأصوات التى نالوها انما حصلوا عليها لأن أصحابها تشبثوا أن يثبتوا رأيهم فى صناديق الانتخاب الأمر الذى لا يتسم به المؤيدون الذين يعتقدون أنه مادامت الأغلبية العظمى ستؤيد فهذه الأغلبية فى غير حاجة الى صوت الفرد ٠٠ والفرد المؤيد ينسى دائما أن الأغلبية تتكون من أفراد ٠

والذى لاشك فيه أيضا أن هذه الانتخابات أعطت الوفد حجما أكبر من حقيقته ـ على ضآلة الحجم الذى أسفر عنه الانتخابات ـ ولو أن الانتخابات كانت قد جرت على الحزب كحزب دون أشخاص لما حصل الوفد على النسبة التى تمكنه من الجلوس تحت قبة البرلمان ٠

٠ أما حزب الأربعة فى المائة فعليه أن يدرك كل الادراك أن ثلاثة فى المائة قد انتخبت أعضاء الحزب الشيوعى برغم أنهم شيوعيون لا لأنهم شيوعيون وأوضح مثل على ذلك دائرة زعيم الشيوعية المصرية فهو ابن عائلة كبيرة فى منطقتها أيد الناخبون فيه العائلة وبالقطع لم تؤيد فيه الشيوعية ٠ ومن المؤكد انها صدقت لقب الحاج الذى يحمله وتغاضت عما يخفيه هذا اللقب فى ظاهره عن رأى الشيوعية فى الأديان جميعا ٠

وأغلب الظن أن هؤلاء الناخبين لا يريدون أن يعرفوا أن الشيوعية تحاول أن تمكر بالاسلام أسوأ المكر ٠ والمؤكد أن هؤلاء الناخبين يعلمون أن المكر السيء لا يحيق الا بأهله كما يعلمون علم اليقين ان الله خير الماكرين ٠

مايو ١٩٨٤/٦/٤ :

الصدق أجدى

فى الصفحة الأولى من جريدة الوفد خبر مكتوب بعنوان كبير وبصورة واضحة جعلتنى استبشر خيرا وأشعر بالسعادة الغامرة أن الجريدة قد تنمو فى معارضتها الى مصلحة مصر والى الابقاء على واجهة مصر نقية من الشوائب أما الخبر فيتعلق بالانفجار الذى وقع فى مصنع ٢٧ الحربى ومفاد الخبر الصحيح الذى أوردته الجريدة أن النيابة استبعدت كما أكد المستشار ماهر الجندى المحامى العام أن التحقيقات التى أجرتها النيابة لم تثبت وجود دوافع أو أسباب معينة ترجع وقوع الحادث بقصد التخريب ·

وكم كنت أتمنى أن يخلو الخبر من غمز واضح فيه الافتعال وسوء القصد حين عمد محرر الخبر فى صدره الى قوله ان الخبراء لم يستبعدوا وقوع الحادث عمدا بفعل فاعل أو نتيجة الاهمال الشديد من جانب المسئولين عن الأمن فى المصنع وهذا القول يدل على السذاجة الصحفية · فهو أولا يتعارض مع العنوان الذى اختارته الصحيفة للخبر · وهو ثانيا يتنافى مع ما صرح به المستشار ماهر الجندى المحامى العام والمشرف على التحقيق والذى لا يتصور أحد أن يصدر هذا التصريح الا بعد أن يكون واثقا مما يقول · فهو واحد من كبار رجال النيابة العامة ويقدر لكل كلمة يقولها موقعها ولا يتصور أحد أن يدلى بهذا الذى أدلى به الا بعد أن يكون واثقا تمام الثقة انه لن يعدل عن هذا القول ·

وكم كنت أتمنى أن تدرك جريدة الوفد مدى التقدير الذى كانت ستحظى به لو انها أوردت الخبر بصورة شريفة كاملة الشرف غير مشوبة بكلام واضح الهزال يجعل القارىء يزداد فقدانا للثقة بالجريدة والقائمين عليها ·

وعلى كل حال فاننى أحمد للجريدة أن جعلت عنوان الخبر صادقا وأعذرها فيما وقعت فيه من تشكيك فليس من السهل على قوم أن يتركوا ما تعودوا عليه من خلق يقوم على الاختلاق الى خلق جديد يقوم على الحق · وفى نفس الصفحة عنوان آخر أكثر وضوحا يدل على أن الجريدة لا تستطيع أن تتخلى عن الاتهامات الباطلة دفعة واحدة وان كان خبر المصنع ٢٧ قد

أوحى لنا ببعض الأمل فان العنوان الذى صدرت به الجريدة الخبر الآخر عن منظمة العفو الدولية كفيل أن يزعزع هذا الأمل وان كان لا يمحوه ·
أما العنوان فيقول « منظمة العفو الدولية تطالب بالتحقيق فى سوء المعاملة داخل السجون المصرية » ثم يقول الخبر ان المنظمة فى تقريرها عن حقوق الانسان فى مصر طالبت باجراء تحقيق شامل حول جميع الادعاءات المتعلقة بأمور التعذيب وسوء المعاملة داخل السجون المصرية ·

اذن فهى ادعاءات ولكن العنوان الذى اختارته الجريدة يشعر كأن الأمر وقع فعلا لا مجرد أنباء تنتظر التحقيق بل هم يذكرون كأنها أمور للمناقشـــة ·

أهذا هو الوجه الذى يريد الوفد أن يراه العـــالم لمصر · ولو كان صحيحا لوقفنا جميعا الى جانب الجريدة رافضين منكرين محتجين ·

ولكننا ما ان نمضى فى قراءة الخبر كما جاء فى جريدة الوفد حتى نجد النص التالى منقولا عن تقرير منظمة العفو الدولية « أكدت المنظمة فى تقريرها ان تطورات حقوق الانسان فى مصر شهدت تقدما خلال عام ٨٣ » ·

ألم يكن هذا التأكيد أجدر بأن يكون عنوان الخبر بدلا من العنوان المضلل الذى اختارته الجريدة ·

يا جريدة الوفد أقل لك ان المحررين العاملين فى رحابك يستطيعون أن يجدوا الكثير لينتقدوه · وسيكون نقدا صادقا يعود على الجريدة بالثقة والاحترام ويمكن القائمين بالأمر من معرفة نواحي النقص ليسارعوا اليها بالعـــلاج ·

يا جريدة الوفد انك تصدرين فى مصر ولن يكون لك وجود الا اذا اكتسبت احترام قرائك وثقتهم · ولن يكون هذا الا بالصدق ولا يمكن أن يكون الصدق متمثلا فى النقص وحده بل لابد مع النقص من الفضل ·

فان ذكرت الفضـــل كان مكانك عند النـــاس أثبت وكانت مادة صحائفك لمصر أنفع وأجدى ·

يا جريدة الوفد اننى اربأ بك وأنت تحملين اسم حزب يعتبر أبا للأحزاب التى نشأت فى ثورة ١٩ ان تكون جريدة صادرة من دولة أخرى من الدول التى تحقد على مصر وتريد أن تبعدها عن الزعامة التى لا ينازعها فيها الا كل كذاب مخادع ·

ومهما يكن الوفد قد ارتكب فى سنوات ما قبل ثورة يولية من آثام فانه قد حان له اليوم أن يكفر عما ارتكب بالعودة الى مصر فهى هى البداية وهى هى الأمل وهى هى مصدر كل عمل وطنى وهى هى غايته ووجهته ومقصده ·

مايو ١٩٨٤/٦/٩ :

أمستشار وجريمة ؟

كنت واثقا حين هاجمت الوفد والاخوان المسلمين والشيوعيين انني سأتعرض لحملة مسعورة بعيدة كل البعد عن المنطق أو المعقول • وكنت واثقا انني سأتلقى مئات الخطابات تنضح بما يعف أى انسان شريف أن يهبط اليه •

ولذلك عجبت حين وجدت ان جميع الخطابات لا تزيد على العشرين الا بقليل وأن عشرة منها على الأقل من شخص واحد أو من مستنقع واحد •

ولم أعن بهذه الخطابات فى شىء فمادامت لا تحمل حجة أو منطقا فان الاجابة عليها أو مناقشتها تعتبر سفولا لا يجوز لنا • وانحدارا لا يليق بصاحب رأى •

خطاب واحد احتفظت به حتى تنجلى المعركة وأناقشه •

أما الخطاب فبتوقيع المستشار يحيى البهنساوى • ومجرد صدوره من مستشار جعلنى أخف الى كتابة هذا المقال • فصاحب الخطاب يقول انه كان زميلا لى فى كلية الحقوق ومعنى ذلك انه مستشار يجلس مجلس القضاء وليس مستشارا فى طابونة ولا هو مستشار للأصدقاء فى المقهى مثل هذه الشخصية الهزلية التى مثلها نجيب الريحانى •

فهو اذن مستشار قانونى • وهو اذن ينتسب الى فئة يعتبرها العالم المتحضر ظل الله فى الأرض • وهو من الذين قال الله لهم « واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » •

وهو اذن من فئة ان غلب الهوى عليها هوت الى حضيض أبشع من أصحاب الهوى •

وهو اذن من فئة لا يجوز لها أن ترتكب جريمة من أى نوع واذا فعلت فان المجتمع لا يغفر لها ما يغفره للآخرين • فان كان وصف الجريمة بالنسبة للآخرين مخالفة فهو بالنسبة للقضاء جناية • لأن هؤلاء القضاة هم الذين أناط بهم المجتمع أن يعاقبوا الجانى ويردعوا المجرم • فان وقع الجرم منهم فهو مضاعف أضعافا •

وليس من سبيل ان أنشر نص خطاب المستشار يحيى البهنساوى وانما أنا سأقدمه الى القضاء ليرى رأيه فيه .

وسأكتفى بنشر فحواه فهو يقول كيف يجوز لى وأنا من كتبت قصة شيء من الخوف فى أوج عهود البطش والطغيان أن أصير الى ما صرت اليه من مجرد بوق من أبواق السلطة اللامتناهية .

ويتساءل لماذا ؟

« هل من أجل عرض دنيوى كعضوية مجلس شورى لا يستشار وانما أنشىء لشراء ذمم وضمائر أعضائه مقابل ثمن بخس يتمثل فى مكافآت ورحلات خارجية ! » .

وهذا نص ما جاء فى خطابه . وانى أسأله لماذا يكون تعيينى فى مجلس شورى لا يستشار رشوة لى ما دمت أنت وأنت تدعى أنك زميلى تشغل منصب مستشار يحكم فعلا .

وهل من شأن القاضى أن يطلق حكما جامعا مانعا على مجلس تشريعى لم تقرأ مناقشاته ولم تحاول حتى أن تعرف مقدار أثره على الحياة التشريعية فى بلدك . وأخيرا هل ترى ان مثلى يقبل وظيفة ما لتكون رشوة . لو كنت مستشارا حقا — وهذا ما أشك فيه — لعرفت ان وظيفة كاتب تصغر أمامها كل وظائف العالم فكيف اذن قبلت لنفسك أن تصدر الحكم وأنت تجهل الوقائع .. لا ما أظنك مستشارا ولا حتى فى مقهى .

وأعود الى الخطاب فهو يقول بالنص .

أم من أجل وظيفة أميرية فى احدى النشرات الحكومية المسماة بالصحف .

وتلك من المستشار عجيبة أخرى فهو يعترف فى صدر الخطاب اننى كاتب بما ألفت « شيء من الخوف » ثم يستنكر على أن أعين كاتبا فى أكبر جريدة فى الشرق الأوسط ثم هو يسمح لنفسه أن يعتبر الأهرام وهى الأهرام نشرة حكومية تسمى صحيفة .

لا .. لست مستشارا ولا فى طابونة .

والخطاب بعد ذلك يتكلم عن حرية الكلمة وعن جهلى بها ولست أدرى يا أستاذ يحيى — ان كنت أستاذا حقا — لماذا تكون الحرية حقا للهجوم والسباب ولا تكون حقا للتأييد أو القبول .

وما دمت تعرف اننى رفضت الطغيان فى شيء من الخوف وربما لا تعلم اننى رفضته أيضا فى رواياتى جميعا مثل « هارب من الأيام » .

وقصر على النيل · وأمواج بلا شاطئ · وجذور فى الهواء · وطائر فى العنق · وخيوط السماء · وأحلام فى الظهيرة ·

فأى عجيبة اذن أن أؤيد هذا القدر الكبير من الحرية الذى نعيش فيه اليوم والذى سمح لك أن توقع باسمك خطابا صريحا وان يكن ظالما وسخيفا وترسله الى كاتب فى جريدة وأنت تعلم ان معنى ارسالك الخطاب لكاتب انك تسمح له بنشره · أكنت تستطيع ان تفكر فى أن تفكر فى أن تفكر فى مثل هذا فى الأيام التى تصورتها أنا فى كل رواياتى والتى أعجبك منها شئ من الخوف ·

ان كنت تتصور ان للمستشار أن يكون ظالما فى الحكم جائرا فى الرأى فاننى أنا لا أتصور ان يكون الكاتب هتافا للغوغاء بغير الحق ·

ولماذا تصورت يا من تقول انك مستشار ان ما أقوله نفاق وليس رأيا · وكيف قبلت لنفسك أن تتسلل الى مصادر الرأى فى نفسى دون أن تناقشنى هذا الرأى ·

أكنت تظن اننى حين كتبت ما كتبت غاب عنى اننى سأجد من يقول عنى انى أنافق السلطة · بل كنت واثقا ان هذا سيحدث وان قائله سينسى كل ما كان من أمرى فى الماضى والمقاصل معلقة على رؤوس الناس والطغيان قد ركب فى نفس كل مصرى ·

شرطى مخابرات وآلة تسجيل من نفسه على نفسه · والرعب هو الهواء والذعر يسد آفاق الحياة · وسينسى هؤلاء الظالمون اننى لم أكتب كلمة مديح واحدة للطاغية أو لزبانيته ·

كنت أعلم ان كثيرين من الجهلاء سينسبون هذا لى · ولكننى لم أكن أتصور ان مستشارا أو من يدعى انه مستشار يظن بى هذا الظن ·

ولهذا فقد أرسلت الخطاب الموقع باسم المستشار يحيى البهنساوى الى الأستاذ صبرى العسكرى المحامى ليتخذ الاجراءات القانونية ·

وكم أرجو أن يكون هذا الخطاب مزورا وان يكون مرسله قد استعمل اسم المستشار الموقع عليه وحينئذ يقع عبء اثبات التزوير على صاحب الاسم ·

أو أرجو أن يكون هذا الاسم لا وجود له وحينئذ فاننى أعتبر الأمر منتهيا فان الجريمة من غير موجود جريمة لم تتم ؟ ·

الأهرام ١٠/٦/١٩٨٤ :

كلب الباشــا

في عدد الوفد الأخير سلط الباشا كلبا له يسميه خربوش ليرد على مقال لى وجهته الى الباشا بعنوان « بعض هذا يا باشا » وواضح أن مقالى لم يكن مفهوما فى النسخة الوفدية وما هذا بغريب فقديما قال الشاعر :

لم تبـــلغ بى الخطوب مبـلغ من
تفهم عنـــه الكـــلاب والقـــردة

ولن أحاول أن أعيد ما كتبته فاننى واثق انهم لن يختلفوا عن واحد من اثنين احدهما لا يفهم والآخر لا يريد أن يفهم وليس لى مع هذا ولا ذاك حيلة ٠

أما الخربوش فقد ذكر أننى نافقت عندما اعتذرت عن مقالى الذى نشرته بعنوان « وفى أى شىء صدق » فى مجلة الاذاعة حين كنت أتولى أمرها ثم لم ينشر الخربوش المقال مدعيا أن الصحيفة لا تتسع للمقال مع أننى أرى الصحيفة لا تحمل شيئا الا البذاءة والسفول والمخادع والكذب كما دأب الوفد أن يكون ٠ وقد شفع خربوش حديثه عنى بكثير من كنوز الانحطاط التى تمتلىء بها خزائن حزبهم وتفيض ٠٠ وجف القلم اذا حاول أن يتدلى الى حضيضهم ولكننى أكتفى بنشر المقال الذى ذكره وكنت قد نشرته ردا على بيان من اتحاد الاذاعة والتليفزيون يعترض فيه على مقالتى وبعلق أن الاتحاد براء منها فكان جوابى هو هذا المقال وأنا قبل أن أنشره أؤكد أننى أكن للمرحوم أنور السادات كل اكبار واجلال وتقدير واننى مازلت حتى اليوم أمتدحه عن حر رأى وصدق ضمير ٠ وقد انتقل الى رحمة الله وما أظن أنه يمكن ينفعنى اليوم أو يضرنى ٠ وللقراء أقدم نص مقالى وعليهم أن يحكموا ان كان من كل حدب وصوب ومن شيوعيين أو غيرهم أن يذكروا لى مقالا واحدا هذا المقال تزلفا أو نفاقا ٠ وأتحدى صحيفة الوفد ومن يمدها بالمال والخبر من كل حدب وصوب ومن شيوعيين أو غيرهم أن يذكروا لى مقالا واحدا فيه مديح أو شبهة مديح فى العهد الذى سبق أنور السادات أو قبل حرب أكتوبر بالذات فان وجدوا فعهد على أن أعترف أنهم صادقون فى كل التطاول الذى حاولوا به أن ينالوا منى ٠٠٠ وهيهات ٠٠٠ هاكم المقال ٠٠

« هذا القلم الذى أضم أصابعى عليه تعود أن تنضم عليه أصابعى وحدها دون أن تتخللها أصابع أخرى · لا أستنبع الا ضميرى · ولا أستصفى الا مشاعرى ·

حر هذا القلم ولذلك يعيش فى عهد الحرية صريحا لا يرمز واضحا يطلق الكلمة الواضحة بلا خبىء لها يتخفى وراء الحدث ·· أو وراء الأشخاص ·

عاش القلم الذى أضم عليه أناملى فترة طويلة يرمز لا يبين ، يومىء لا يعلن ، حتى اذا جاء هذا العهد الذى نعيش فيه استبان لفظه وأعلن كلمته ·

وها هو ذا الاتحاد الذى تنضوى المجلة التى أشرف عليها تحت رئاسته يعارضنى ولكنه يطلق لى الحرية ويعلن رأيه واضح المخالفة لما أرى ·

ولكننى مع ذلك لم أنقل ولم أرفت ، ولم أصادر ·

ذلك لأن اتحاد الاذاعة والتليفزيون جهاز حر ، يعمل فى ظل حكم حر ·

ورئيس حر · يريد الحرية لمصر ، ولأبناء مصر ·

لأنه يريد المجد لمصر » ·

وبعد فاننى أقدم هذه الكلمة الى الوفد جميعا بقضه وقضيضه · ولا أجد شيئا أضيفه دائما أترك الحكم لصاحب الحكم الذى يعرف خائنة الأعين وما تخفى الصدور ومن بعده للقارىء لعله يقتنع ·· اذا لم يكن قد اقتنع بعد ــ الى أى مدى يبلغ تزوير الوفديين وتحريفهم للحق والاعتداء على الحرمات شاه ما يفعلون ·

مايو ١٩٨٤/٦/١١ :

المعارضة التى نرجوها

والمعارضة هى الديموقراطية وقد أراد الله بمصر الخير كل الخير ان تجح من المعارضين هذا العدد . فقرابة ستين عضوا ليسوا بالعدد القليل بل ان خمسة معارضين يستطيعون أن يحققوا الأمل فيهم وان يثبتوا قواعد الديموقراطية ويرسوا فكرة الرأى والرأى الآخر ان كانوا أمناء فى آرائهم .

ومهما يكن رأينا فى الوفد والوفديين الا أن الذى لا شك فيه انه حزب قديم وان بعضا من أعضائه مارسوا الحياة النيابة وعرفوا الخبيث فيها والطيب وحرصوا على أن يجعلوا معارضتهم تبنى ولا تهدم .

ورئيس الوفد الحالى من الذين شهدت لهم الحياة النيابية مواقف فى المعارضة تدل على الخبرة والمقدرة . وقد شهد له بذلك خصمه السياسى الدكتور محمد حسين هيكل الذى كان زعيما لحزب الأحرار الدستوريين ورئيسا لمجلس الشيوخ فى نفس الوقت . وقد كنت أرجو أن يدخل رئيس الوفد الى البرلمان ولكنه شاء ــ ولا أدرى لماذا ــ ان يحرك المعارضة الوفدية من خارج البرلمان . وأرجو الا تكون السنون قد أنسته خبرته فى المعارضة . فنحن الشعب يتعلق أملنا بالمعارضة كما يتعلق أملنا بالحزب الحاكم .

فالسلطة التنفيذية . اذا أحست أن المعارضة جادة تتعرض لكبار الأمور وليس للتافه منها . وتدلى برأيها للبناء وليس للهدم فانها لن تقدم على تقديم مشروع بقانون الا بعد أن توفيه حقه من المدارسة وتقليب الرأى . بل ان السلطة التنفيذية اذا أقنعتها المعارضة بجديتها ستأخذ برأيها .

لا شك ــ اذا كان هـذا الرأى يؤدى الى مزيد من الخير للشعب المصرى .

والتجربة التى نمر بها اليوم خطيرة غاية فى الخطورة . فهى ممارسة للديموقراطية فى ظل نظام مختلف كل الاختلاف عما كان عليه الأمر قبل ثورة ٢٣ يوليو فقد كان الاحتلال يومذاك يجثم على البلاد ويفرض عليها ما يؤدى الى خيره هو وليس الى خير مصر . وكانت الملكية أيضا قيدا آخر

على الديموقراطية الحرة • وكل الأحزاب كانت تتحسب فى تصرفاتها الاحتلال والقصر فى آن معـا • ولا نستطيع أن نلومها على التحسب فى ذاته وانما كنا نلومها ولا نزال نلومها المبالغة فى ارضاء المحتل والرأى • فقد كان المحتل يفرض سلطانه بقوة السلاح • وبقوة هذا السلاح نفسه كان يؤيد الملك • وأمام السلاح ينعدم المنطق ورحم الله الشاعر القديم حين قال :

جلـوا صـارما وتلـوا باطـلا وقالـوا صدقنـا فقلنـا نعم

أما اليوم فالحكومة حرة كل الحرية لا قيود عليها الا السعى لمصلحة الوطن • والمعارضة حرة كل الحرية لا نرجو منها الا النزاهة وسلامة القصد •

واذا كان العبء الواقـع على أكتـاف الحكومة فادحا فى مواجهـة المشكلات التى تراكمت عبر السنين •

فان العبء الواقع على أكتاف المعارضة أشد فداحة وأعظم خطرا فان المخلصين من المصريين يطالبون المعارضة ان تتجنب الغوغائية وان تنأى بنفسها عن ركوب الخيول الورقية وامتشاق السيوف الخشبية • فاليوم لا بطولة فى مهاجمة الحكومة لأن الحاكم اليوم لا يعتقل أحدا ولا يعتدى على كرامة مواطن ولا يمنع كلمة ان تقال مهما تكن بعيدة عن الحق أو حتى بعيدة عن الأدب •

فمحاولة البطولة اذن ان مارستها المعارضة فانها ستخيب أمل الناس فيها وهم الذين يرجون منها أن تتصدى لمشاكل مصر ولكبريات المسائل وأن تكون صادقة كل الصدق حين تعارض ولا بأس عليها بل ينبغى عليها أن تكون أمينة مع نفسها ومع الذين أجلسوها فى مقاعد البرلمان فتؤيد الحكومة اذا هى رأت أن هذا التأييد فيه مصلحة الوطن •

ونذكرها ببيت المتنبى الخالد :

وتصـغر فى عين الكبير كبارهـا تكبر فى عين الصغير الصـغائر

فاذا هى كانت كذلك أصبحت لها تلك القيمة التى يتمنى المصريون المخلصون ان تكون لها •

أما اذا هى اختلفت قبل أن تدخل الى المجلس وقبل حلف اليمين على من يكون زعيم المعارضة ومن سيكون مع الوفد ومن سيكون مع الاخوان فاننا حينئذ من حقنا أن نتوجس الشر ونخشى أن تخيب فى المعارضـة آمال مصر جميعا بلا استثناء •

مايو ١٨/٦/١٩٨٤ :

الرسـول والشعراء

كنت قد كتبت مقالا بعنوان « وان أجراها عمر » وذكرت فيه أن النبى عليه الصلاة والسلام قد أهدر دم كعب بن زهير لأنه هجا الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد جاءنى خطاب طيب رقيق من شاب يبدو انه ما زال في بواكير حياته اسمه عاصم فريد البرقوقي . وقد هزنى فى الخطاب غيرة الشاب على تاريخنا الاسلامى وحرصه أن يكون نقيا من أى شائبة .

وانى أشكر لابننا عاصم جميل ظنه بى وأنا أكثر شكرا على حرصه أن يكون النبى صلوات الله عليه أرفق بالناس من أن يهدر دمهم لمجرد أنهم نظموا فيه هجاء .

ويقول عاصم « ... هل من العدل أن يقتل انسان من أجل الهجاء الذى يعتبر الآن جريمة سب . لقد جاء القرآن رحمة للناس وكرم الأم كم أننى قرأت ان ابنة النبى صلى الله عليه وسلم بكت عندما رأت الكفار يمعنون فى تعذيب والدها أثناء الصلاة ولكن النبى الكريم ربت ابنته قائلا وهل تستطيع حفنة من التراب أن تطفىء نور الاسلام . ثم هل هذه أخلاق النبى عليه الصلاة والسلام الذى وصفه الله « انك لعلى خلق عظيم » أعتقد أن هذا الكلام دخيل أرجو لو سمحتم وتكرمتم رأى سيادتكم ... » .

والى هنا ينتهى كلام ابننا المسلم النقى المسالم .

وانك يا بنى محق فى تفكيرك هذا ولكنك أيضا لو أمعنت الفكر لأدركت أن الأمر لم يكن مجرد هجاء لشخص محمد عليه الصلاة والسلام . وانما كان هجوما شاملا على الاسلام كله فى شخص النبى صلى الله عليه وسلم .

فحين أهدر النبى صلى الله عليه وسلم دم هذا الشاعر كما أهدر دم شعراء آخرون ممن هاجموا الاسلام فى شخصه انما كان يحارب من أجل دين للبشرية جميعا ولم يكن يدافع عن شخصه هو . فالنبى صلوات الله عليه وسلامه حليم غاية الحلم حين يلقى الكفار التراب على كتفيه وهو يصلى لأن هذا عدوان واقع عليه هو . فهو عليه الصلاة والسلام بشر رسول كما جاء بنص القرآن وهو الذى أدبه ربه فأحسن تاديبه وهو على خلق عظيم فهو يعفو على من يعتدى على البشر فيه .

ولكن نبى الله وحامل رسالته فليس من المعقول أن يعفو على من يعتدى على الرسول فيه • والذين هجوه هجوا فيه الرسول لا البشر والرسول هنا حامل رسالة الله ذو القوة المتين • وهى رسالة موجهة الى البشر أجمعين وليس من الحزم أن يقبل النبى عليه الصلاة والسلام أن يترك الذين يحاربونها دون عقاب • ولابد أن يكون العقاب مانعا للجريمة أن تستمر ورادعا للآخرين أن يرتكبوا نفس الجريمة • فليس عجيبا اذن يا أخانا عاصم أن يأمر النبى عليه الصلاة والسلام باهدار دم الشعراء الذين يحاربون الاسلام بأشعارهم •

وانت يا بنى لابد تدرك قيمة الشعر فى هذه الأيام التى يتحدث عنها التاريخ الاسلامى • فقد كان الشعر هو وسائل الاعلام جميعا كان الصحيفة والمجلة والاذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح أيضا • وكانت القصيدة تقال اليوم فلا يكتمل الشهر حتى تكون على أفواه العرب جميعا • ولم يكن هناك ورق وانما كان الناس يحفظونها ويلقيها بعضهم الى بعض فى مجالس الندوة ومجالس السمر حول النار فى الليل • وكانوا ينشدونها فى الأسواق وفى المجتمعات وهكذا يتبين لك ان الشعر كان أشد عنفا فى الصراع من السيف نفسه • فالسيف يقتل فردا ولكن الشعر كان يقتل قبيلة بأسرها واذا كان الفرد يقتل من أجل فرد واحد فماذا أنت قائل فيمن يقتل قبيلة • وربما تظن اننى أغالى اذا أنا سويت بين القتل واهدار الدم وبين الهجاء الذى لا يعدو بضعة ألفاظ ولكن هذه الألفاظ كانت تهدر أعراضا لقبيلة وتقضى على شرفها وكرامتها •

وأحسب انك تعرف ما معنى العرض والشرف والكرامة عند العرب • فهم يأبون كل الاباء أن يمس انسان ما كائنا من كان ما يعتزون به من مفاخر وأصـــول • وهذه يا بنى تقاليد ترى اليوم بعض آثار منها فى حياتنا • ولكنها فى هذه الفترة من تاريخ العرب كانت تتمثل لهم أكثر أهمية من الحياة وهى الحياة ومن الروح وهى الروح •

فاذا كان الأمر كذلك بالنسبة لشرف القبيلة وأمجادها فما ظنك بدين هو أول دين يأتى للناس كافة •

قد نقول ان هذا الدين قد جاء ليقضى على هذه الأخلاق الجاهلية وهذا خطأ شائع • فان الدين الاسلامى جاء ليقضى على مفاسد الجاهلية وليس ليقضى على مفاخرها وأمجادها • ولكل مجتمع شره وخيره وفساده ومجده • وقد كان الاسلام رائعا حين أبقى على الحمية العربية وعلى حرص العربى على عرضه وكرامته وانه بالايمان العميق وبالحفاظ على هذه الحمية العربية الشريفة انتصر هؤلاء العرب الحفاة الفقراء على كسرى وهو كسرى وحطموا عرش الروم وانتشر الدين الاسلامى حتى دق أبواب فرنسا •

وعلينا يا بنى اذا أردنا أن نحكم على حادثة تاريخية أن ننظر فى الفترة التى وقع فيها هذا الحدث وأنت لا تستطيع أن تحكم على تصرف النبى عليه الصلاة والسلام فى الأعوام الأولى للاسلام بعقلية التليفزيون والاذاعة بعد ألف وأربعمائة عام من وقوع هذا التصرف ٠

وبعد يا أخانا عاصم ٠ فقد أردت أن أكتب لك هذا جميعا لأظهر لك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان على خلق عظيم حين أهدر دم هؤلاء الشعراء وكان بهذا يدافع عن دين الله ٠

ولكننى أحب أن أطمئنك بالواقع بعد أن حاولت أن أطمئنك بالرأى ٠ فمع أن النبى صلى الله عليه وسلم قد أهدر دم هؤلاء الشعراء الا ان هذا الاهدار لم يؤد الى قتل أى شاعر منهم فقد سعوا جميعا الى النبى صلوات الله وسلامه عليه واعتذروا عما ارتكبوه وعفا عنهم النبى عليه الصلاة والسلام ٠ وهكذا نرى يا بنى أن النبى صلوات الله عليه تصرف منذ ألف وأربعمائه عام نفس التصرف الذى يمكن أن يصنعه اليوم بعد كل هذه السنوات فهو صلوات الله عليه كن يريد باهدار الدم أن يظهر غضبه على الشعراء الذين يهاجمون الاسلام عالما أن أحدا منهم لن يقتل وانهم سيسعون اليه يقدمون اعتذارهم ويلتمسون رضـــاءه وربما يعلن بعضهم اسلامه أيضا ٠

فاهدار الدم اذن لم يكن عقوبة يوقعها النبى عليه صلاة الله وانما كان احكام سياسة وبعد نظر من حامل الرسالة البشير النذير ٠

وقد استطاع عليه الصلاة والسلام بهذه السياسة أن يأمن جانب الشعراء وقد كانوا يمثلون الاعلام كله فى هذه الفترة ليفرغ هو الى المهام العظمى الأخرى فى نشر الرسالة ٠ وأنت لا شك تعرف كيف كان النبى عليه الصلاة والسلام يقرب حسان بن ثابت والخنساء والشعراء الآخرين ليجعل منهم هم الاعلام الاسلامى ٠

وأحسب انك الآن تستطيع أن تطمئن أن نبينا عليه أحسن الصلاة والسلام كان سياسيا من الطبقة الأولى من السياسيين ٠ وكيف لا يكون وهو الملهم ٠ واذا استقر هذا الاطمئنان فى ضميرك تحتم عليك أن تعرف أن السياسة لا تستطيع أن تكون مسالمة فقط ٠

وانما هى حرب فى موطن الحرب وسلام فى موطن السلام وادراك دقيق للموقف الذى لا يصلح فيه الا الحرب وللحظة التى يتحتم فيهـا السلام ٠ ولو انك طالعت تاريخ النبى عليه الصلاة والسلام لأدركت انه كان أعلم الناس جميعا باللحظة التى لا محيد فيها عن الحرب وبالأخرى التى لا تصلح الا بالاســـلام ٠ ولولا هذه النظرة الملهمة اللماحة الذكية

ما انتشر الدين الاسلامى هذا الانتشار فى فترة قصيرة غاية فى القصر ٠
وبعد يا بنى فقد اجتهدت فان أكن قد أصبت منك مقنعا فاننى أحمد الله
اليه وان تردد فى نفسك بعد ذلك شك فاننى منتظر منك خلجات نفسك
تناقشها معا وما على المجتهد ان أخطأ من سبيل ٠ وفقك الله وأصلح لك
أيامك قدر ما أصلح نفسك للايمان ٠

الأهرام ١٩٨٤/٦/٢٤ :

حتى تزدهر الديمقراطية

لا تستطيع المعارضة أن تبلغ ما نرجوه لها نحن المصريين من الثقة الا اذا قامت على أسس من شرف القصد وسلامة الخطى · وانى واثق أن المعارضة تعلم كل العلم ان كل مساءلة تتقدم بها الى الهيئة التنفيذية دون أن تكون وطيدة الأركان ثابتة الأساس فانها ستجعل الجماهير المصرية تفقد ثقتها بالمعارضة · وفقدان الثقة بالمعارضة ضياع للديمقراطية ·

وأطفال هؤلاء الذين يظنون أن المعارضة تجريح وسب ورفع صوت وتشنج · فمثل هذا يصلح فى ملاعب الصغار ولكنه لا يليق بمحافل الرأى ومجالس التشريع ·

واذا حاول المعارضون أن ينقلوا الى ساحة المجالس التشريعية همس الندوات وتعليقات حلقـــات السمر فانهم سيجعلون من أنفسهم مسوخا لا جدية فيما يقولون ولا ثقة فيما يوجهون من استجوابات وهكذا يتحتم عليهم أن يتعمقوا كل التعمق فيما يصل اليهم من أنباء ويتقصوا هذه الأنباء حتى يصلوا فى أمرها الى الصدق غاية الصدق حتى اذا واجهوا السلطة التنفيذية استطاعوا أن يقدموا اليهـا ما يكون فى مقدورهـــا أن تضع يدها عليه ·

أما اذا كانت المعلومات التى تعتمد عليها المعارضة مجرد شائعات وأقاويل كاذبة وأضاليل فان الحق ما يلبث ان يبين ولا تكسب المعارضة شيئا الا تلويث الشرفاء · وتلويث الشرفاء جريمة لا تغتفر لا فى حق من تلوثهم فحسب وانما فى حـق الوطن جميعه · فالشرف عملة نادرة والدولة التى تستهين برجالها الذين يتحلون بهذا الشرف لا يرجى لها أى فلاح ·

والمعارضة تعلم ما يعلمه الجميع أن محاولة النيل من أصحاب الخلق النبيل تصيب هؤلاء النبلاء بجروح لا تندمل لأنها تصيب ما يعتزون به من نبالة وعفة وتجعل سمعتهم مضغة فى الأفواه فترة تطول حتى اذا استبان الحق تكون سمعتهم قد تهرأت وان كانوا شرفاء أنقياء ·

وهؤلاء الشرفاء يصونون أنفسهم عن اغراء المادة وقد يكونون فقراء يعانون شظف العيش ولكنهم يفضلون الطهارة على المال الحرام ويعفون

بأيديهم أن تمتد الى ما ليس لهم بحق وان كانوا هم وعيالهم فى حاجة أشد الحاجة الى هذا المال · وكم هو مؤلم للنفس أن يجاهد الانســـان الشيطان ويصرعه فى نفسه وفيمن يعرض عليه الطريق الأعوج والسبيل المنحرف ثم هو بعد هذا الجهاد يطالعه بشياطين آخرين من الذين يحترفون المعارضـــة من أجل المعارضـــة فيلوثون الشريف من سمعتهم والنقى من ضمائرهم والطاهر من ايمانهم ·

فاذا كان واجب المعارضة اذن ان تتقى الله فى شرف الناس وسمعة العاملين بتقوى الله والضمير فان واجب السلطة التنفيذية أن تتيح لأعضاء مجلس الشعب من المعارضـــة كل الوسائل ان يتعرفوا على الحقيقة · فلا يجوز أن يخفى الوزراء أو الذين يعاونونهم أى معلومات يريد أى عضو فى المعارضة أن يحصل عليها · بل ان عضو المجلس من حقه أن يتقدم للمجلس معلنا فيه انه طلب معلومات وانها حجبت عنه وللمجلس فى هذه الحالة سواء كان من حزب الأغلبية أو من المعارضة أن يؤيد العضو ليحصل على ما يريد من معلومات ·

وبهذا التعاون من السلطة التشريعية وبين السلطة التنفيذية يمكن أن يتاح للديمقراطية الجو الذى تستطيع فيه أن تزدهر وأن تبلغ أوجها ·

مايو ١٩٨٤/٦/٢٥ :

كلانا لم يخطىء

أمارس مهنة الكتابة منذ أربعين عاما ونيف ولا أتذكر انني نقلت نص خطاب كامل فى مقال لى ولكنني اليوم أجد نفسى مصرا على نقل خطاب جاءني معتذرا للقراء عما جاء به من مديح لشخصى فسياق الحديث لا يتسق الا بذكره ، وانى أحتفظ بتعليقى على الخطاب بعد ان أورد نصه كاملا واسم الشاب الذى أرسل الخطاب هو كمال رياض الحصرى ··· كتب يقول :

الأستاذ ··· ثروت أباظة

أنا طالب بالصف الأول الثانوى أفقدنى الله ساقى اليمنى نتيجة شلل أصابنى وأنا طفل لكنى استطعت أن أتغلب على هذه المشكلة لأن الله قد أمدنى بالعقل الذى استطعت به أن أتغلب على هذه الاعاقة · أهوى القراءة وأحبها حبا شديدا وأتابع بصـــفة مستمرة مقالات حضرتكم فى جريدة الأهرام كل يوم أحد وأنا أعلم انك أستاذ جليل وأديب متمكن وفى أثناء مطالعتى لجريدة الأهرام الصادرة بتاريخ ٤/٢٢ جاء فى مقالك الذى يحمل عنوان « أذل الحرص أعناق الرجال » قولك : توجهت لى آنسة فى يوم من الأيام بخطاب تطلب رأيى فى أن تقبل شابا فقد ساقه زوجا لهـا فنصحت لها ألا تقبل وسقت ما أراه من الحجج ومرت عدة سنوات وظهرت فى الأهرام روايتى « أحلام فى الظهيرة » وفى الرواية جعلت فتاة تتزوج من شاب فقد زراعه فاذا بقارىء من الصعيد يرسل لى كيف غيرت رأيك · وقلت اننى فى الرواية أضمن للفتاة التى تزوجت صاحب الذراع المفقودة مستقبلها ومستقبل زوجها لأننى أنا الذى أصنع الرواية وأنا أعرف الشاب المعوق فى الحياة ·

شىء غريب سيدى الأستاذ أأنت تضمن مستقبل بطل الرواية الذى صنعته من نسيج خيالك والله لا يضمن مستقبل الشاب المعوق الذى أفقده ذراعه واخرجه ليكون عبرة لك ولغيرك من الناس ؟ ، ومع ذلك فمستقبل هذا الشاب غير مضمون ما ذنبه اذن فى أن يكون معوقا ولا يكون مثل سائر البشر يا سيدى ان الله هو الذى خلقه وهو يضمن له مستقبله فكيف

فاتت عليك هذه النقطة سيدى ؟ وهل رأيت معوقا فى الحياة لم يثبت وجوده فيها ٠

أنا لم أر سوى أنهم أناس قد حققوا ما لم يحققه الأصحاء ولم أر معوقا يعيش عالة على غيره باستثناء الذين نراهم يتسولون فى الشوارع وهؤلاء لم يريدوا صعود الجبال بل اكتفوا بالذل والمهانة سبيلا لهم وانظر حولك سوف ترى معوقين قد وصلوا لأعلى المراكز أمثال طه حسين وروزفلت وهيلين كيلر لا يا سيدى لقد أخطأت عندما قلت انك لا تضمن مستقبل المعوقين ولم تنصف هؤلاء بل لقد أضفت الى همومهم هما جديدا ٠ فعد أستاذى الجليل وشجع هؤلاء فى مقال آخر واعتذر لهم لأنهم فى حاجة الى من يشجعهم لكى يواصلوا السير فى الطريق وهم ليسوا بحاجة الى كاتب يكسر عزيمتهم عد سيدى وقل لهم انهم ليسوا أقل من الأصحاء وسامحنى ان قلت لك مخطىء وربما أكون أنا المخطىء فأنت استاذ عظيم تعرف أضعاف ما أعرفه أنا الشاب الذى لم يتجاوز السادسة عشر ولكن أحب منك أن تفسح لى صدرك وتزيدنى معرفة فى هذا الشأن وقل لى هل قولى أنا الخطأ أم قولك انت ؟ فان كان قولك فما ذنب هؤلاء أن يعيشوا بين الناس وهم عجزة أليسوا مثلهم ، ولماذا خلقهم الله كذلك ٠ سيدى سامحنى على هذا الخطاب فأنا أعرف فيك سعة الصدر وأعرف انك تقدر قراءك » ٠

وبعد فهذا هو الخطاب وانى يا بنى أشكرك غاية الشكر انك استطعت ان تكتب هذه اللغة السليمة الرقيقة الشفيفة المعبرة وأبدأ يا بنى فاطمئنك انك لم تخطىء ولا أخطأت أنا ٠

بل اننى يا بنى أعتقد أن المعوق الذى يستطيع ان يحقق ما حققت أنت هو أعظم شأنا مع كل صحيح مهما يكن شأن هذا الصحيح ٠

ولكننى يا بنى حين تسألنى فتاة عما تتردد فى شأنه من الزواج بمعوق مضطر ان انصح لها الا تفعل فهى بلا شك لا تحب هذا المعوق وان كانت تحبه ما سألت ولتزوجت منه دون أن تطلب المشورة ثم هى لم تذكر لى أن كان هذا المعوق مؤمنا بالله مثلما انت مؤمن به أم هو مجرد معوق فان كان له ايمان كايمانك لكان بزواجها أجدر من الأصحاء ٠ ولكن هذا أمر لابد أن تظهر بوادره حتى أتعرف أنا العبد عليه والله وحده هو الذى يعلم ما ينطوى عليه كيان الانسان ٠

وأنت يا بنى قلت أن من بين المعوقين متسولين فكيف أعرف أنا العبد ان كان خاطبها سيصبح متسولا ضعيف النفس أم سيكون مؤمنا

يصارع عاهته ويصرعها ويصبح شخصا فذا أعظم من كثيرين ممن لا تقف دونهم اعاقة ٠

ولقد تساءلت انت يا بنى لماذا خلقهم الله اذن ؟ فهو وحده اذن الذى يعرف السر فى أن يصابوا بما يعيقهم وهو وحده مقسم الطاقات ومن الناس القوى الذى هو مثلك والذى يجعل من اعاقته حافزا له ان يكون عظيما أو الذى يضعف أمامها ويجعل منها عذرا يبرر به تخلفه فى الحياة واننى يا بنى استحلفك أيهما أكثر عددا ؟ الذين يصرعون عاهتهم ويضبحون مثلا عليا للأصحاء والمعوقين عن ضعفهم فى مواجهة الحياة أو ترضى لى يا بنى ان أنصح فتاة مترددة فهى غير متحمسة ان تختار شخصا لا أدرى هل هو من الأغلبية أم هو من الأقلية ان تقبله زوجا لها ٠

وتقول يا بنى كيف أضمن أنا المخلوق والضعيف مصير شخص فى روايتى ولا أضمن رحمة الله ومعاذ الله أن أكون كما ذكرت انما أنا المخلوق الضعيف أعرف أن خيالى هذا سيسير فى طريق أنا أرسمه منذ البداية الى النهاية أما رحمة الله سبحانه فان لها ألوانا وأشكالا أنا لا أعرفها ولا يعرفها الا هو سبحانه فى علياء سمائه وقد تتمثل رحمته فى أن يرضى المعوق بما قدر له أو قد تتمثل فى أن يكون العائق حافزا له على الجهاد كما فعلت أنت وكما فعل هؤلاء القلة الأفذاذ الذين ذكرتهم أو القلة الآخرون الذين لم تعرفهم ولم تذكرهم وهم كثيرون عددا ولكنهم لا شك لا يقارنون فى عددهم بأولئك الذين يتخذون من الاعاقة وسيلة ليبرروا بها لأنفسهم قعودهم عن مجاهدة الحياة واستنامتهم خاضعين ٠

وبعد يا بنى فانت عندى خير من ألوف السالمين من كل عائق وكل من كان مثلك جديرا بكل اكبار واجلال وتعظيم ولو انك يا بنى تضمن لخاطب الفتاة أن يكون مثلك فاننى أنصح لها أن تتزوجه بل أحثها على ذلك وأوشك أن أثق أن زواجها منه سيكون أكثر أمانا لها من زواجها بسليم سلمت بنيته وتهشمت نفسه التى لا يعرف أحد شيئا عن المعوقات التى بها والتى قد تكون أكثر خطرا ألف مرة من ساق عاجزة أو ذراع مبتورة ٠

فاضمن لى سلامة النفس ضد المعوق ٠٠ أطمئن أنا الى مستقبل زواجه لأن من سلمت نفسه يستطيع أن يجمل الحياة ويزينها ويزيدها رونقا وبهاء ٠

ولكننى يا بنى بشر أخاف كما يخاف البشر ولا أرى من المستقبل الا ما ينبىء به الحاضر ، ولا والله ما قصدت أن أزيد هموم المعوق هما وربما أردت أن أحفز المعوقين أن يكونوا مثلك ولكن هو بعيد ذلك الفارق بين الأمل والحقيقة ٠

وانت يا بنى قد أكرمك الله بما لم يكرم به الكثرة الكاثرة من الذين سلمت أعضاؤهم جميعا فانت مؤمن بالله وهذا وحده أعظم ما يكرم به انسان وأنت تواجه حياتك فى نفس سليمة غاية السلامة وتلك نعمة يحسدك عليها الغالبية الكاثرة من الناس ودعائى الى الله ان يكون كل المعوقين مثلك ·· وحينئذ فهم ليسوا معوقين ·

بل اننى أدعو الله ان يكون السالمون على شىء ولو يسير من ايمانك وسلامة نفسك ؟

أصلح الله لك يا بنى حياتك كما أصلح ايمانك وكن على ثقة انك واجد ان شاء الله من تحبك وستكون سعيدة الحظ يوم تتزوج منك · وانها باليقين لن تطلب المشورة من أحد لأنها حين تعرفك أو تعرف أمثالك لن تكون فى حاجة الى مشورة أحد ·· أصلح الله لك الحياة صلاحا اتوقعه لك ان شاء الله ، وجعل أوقاتك كلها مشرقة مثل اشراقك فى نفسك والسلام عليك ورحمة الله ·

الأهرام ١٩٨٤/٧/١ :

كونوا مصريين أو لا تكونوا

اذا حرصت المعارضة على صغائر الأمور هان شأنها واستخف بها الشعب وأصبحت عند السلطة التنفيذية موضع سخرية بدلا من أن تكون موضع اجلال واكبار كما ينبغي لها ان تكون ٠

واذا استمرت المعارضة على دأبها هذا من السب والشتائم فان الناس سيملون وينصرفون عنها ٠

فان السباب اليوم لا يخلق لصاحبه أية بطولة للناعق به ٠ فليس هناك معتقلات وقد كانت فى يوم من الأيام أهون الشرور ناهيك بالاعتداء على الأعراض والكرامات وأرواح الناس وحياتهم ٠

اليوم لاوزر ٠ فجرائد المعارضة قد بح صوتها من الشتائم فلا هى استطاعت أن تهز مقعدا من مقاعد الوزارة ولا هى نالت من الجماهير اعجابا أو حتى رضى ٠

فالجماهير تعلم كل العلم أن العهد عهد حرية مطلقة وان السباب لا يدل على شيء الا أن المعارضة خبيرة كل الخبرة بوسائل الاسفاف وتلويث السمعة وجعل الأبيض أسود والمشرق ظلاما والعدل ظلما ٠

وانه لأمر عجيب ٠ فليس من المعقول أن تكون الموضوعات التى ينبغى أن تتكلم فيها المعارضة غائبة عنها ففى كل عهد عيوبه ومحاسنه ٠ وما كان أحرى بالمعارضة أن تتعرض لهذه العيوب وتشرح نواحى النقص فيها والأسباب التى أدت الى وجودها ٠ وهنا تكون الشجاعة الحقة لأنها حين تفعل قد تتعرض لسخط بعض الفئات ولكنها لا شك ستحصل على اعجاب الأغلبية العظمى من الجمهور وستحظى بما هو أهم من ذلك وأبقى الا وهو ارضاء الضمير واننا ــ لا شك ــ نتمنى من أعماق الأعماق أن تكون المعارضة عندنا ذات ضمير فانها اذا كانت ذات ضمير ستعتبر أن مصر مسئولة منها مسئولية كاملة شأن كل مصرى شريف ، وحينئذ ينبغى لها أن تكون داخل الأحزاب لجانا تواجه كل مشكلة من المشاكل التى تعانيها مصر نتيجة سنوات الخراب ٠ فلو أن أحزاب المعارضة اتجهت الى الاصلاح بدلا من أن تتجه الى الهجاء والسباب والاسفاف والحرص على تهوين شأنها عند

الله الوطن والناس لكان من حقها علينا أن نقدم لها الاجلال غاية الاجلال والأكبار أقصى الأكبار ٠

لو أن المعارضة واجهت بعلمائها وخبرائها مشكلة الاسكان وقالت للسلطة التنفيذية أراءها فى هذا الشأن وتناقشوا مع خبراء الحكومة وتناقشوا رأيا برأى بلا تهجم ولا اصرار على الخطأ وانما يحرص من الجانبين أن يبتغيا كل منهما مصلحة مصر وينقب عن الوسيلة المثلى التى تجعل مصر تتغلب على هذه المعاناة ٠٠ لو أن المعارضة فعلت ذلك لنالت عند الناس أضعاف أضعاف ما تناله بالهجوم الفارغ الذى لا يؤدى الى شىء ولو أنشأت المعارضة مثل هذه اللجنة٠ لشتى النواحى الأخرى من مواصلات وتليفونات وأزمة مرور وغلاء أسعار وغير ذلك ٠ ولو أن هذه اللجان لم تجعل كل هدفها اثارة الشعب على الحكومة لمجرد الاثارة ولم تتخذ المعاناة وسيلة للبكاء المصطنع ولو أن هذه اللجان اتجهت الى اقتراح الطرق المثلى للتغلب على هذه المعاناة بدلا من التغنى بها لأدركت الجماهير أن هذه المعارضة مصرية وطنية وليست منتسبة لشتى جهات أخرى منها الغربى ومنها البترولى ومنها الشيوعى ٠

وليس عيبا أن تسعى المعارضة الى الحكم فكل حزب من حقه أن يسعى الى الحكم ليحقق مبادئه ، ولكن الوسيلة الذى يتخذها الحزب فى سعيه هذا هى التى تحدد ان كان وطنيا نابعا من أعماق الوطن أم هو بضاعة تباع وتشترى فى أسواق الدول ٠ وانى أضمن للمعارضة أنها لو أصبحت مصرية ولو عملت لخير الشعب لكانت الى الحكم أقرب والله على أقول شـــهيد ٠

مايو ١٩٨٤/٧/٢

اللهم نصرا على أنفسنا

لم يأت على الناس حين من الدهر كان الجميع فيه راضين عن زمانهم أو عن حكامهم فكل جيل من أجيال البشر له صبوة الى الماضى ، وحنين الى الغابر يواكبه سخط على الحاضر ورفض لما يحيط به من واقع ٠

وأحسب أن جيل النبى عليه الصلاة والسلام كان أعظم الأجيال التى شهدتها البشرية فقد كان مليئا بالمصابيح الهداة آمنوا بالرسالة يجابهون بها غلظة الجاهلية وحرص الكافرين على أمجادهم القبلية ، وعلى أموالهم التى كانوا يقترفونها من كل ما هو دنىء حقير لا يعفون حتى عن الاتجار بالمتعة تحت ظلال ألويتهم الحمراء ٠ ووقف النبى عليه الصلاة والسلام يصيح فيهم لا اله الا الله ومحمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ٠ ولا فضل لسيد على عبد فى البشرية فالكل أمام الله والناس سـواء ٠ للمحسن فيهم الحسنى وزيادة وللمسىء منهم العقـاب والنكال واحتقار الناس فى الدنيا ونار جهنم فى الآخرة ٠

ويصبح للدعوة الاسلامية الكريمة فرسانها فى كل ميدان من ميادين الفروسية ٠ فنجد الكرام الذين ينفقون مالهم كله فى سبيل الله ٠

ونجد أصحاب الضمير المرهف يخشون الله فى أطواء نفوسهم قدر ما يخشونه فى علانية أعمالهم ٠ ونجد السيوف المشهرة تسابق الحياة الى الشهادة فى ايمان الواثق بهوان الدنيا وما وعد الله الشهداء فى الباقية الخالدة ٠ وتفيق البشرية على فترة من الزمان لم يعرفها الأحياء ولا تسامعوا فيما حمله اليهم التاريخ ٠

ولكن أكان أهل هذه الحقبة من الزمان راضين عنها ٠٠ ان من يقرأ فى أدب العرب يجد أصحاب هذه الأشراقة العظمى كان هم أيضا يتملك نفوسهم حنين الى المـاضى وتعلق به ٠ وما كان حنينهم الى الكفر فيـه ــ لا قدر الله ــ أو كان الحادا منهم الى غطرسة الجاهلية وما فيها من غلظة ٠ وانما كانوا ينظرون الى ما كان من خير قليل فى أخلاق الجاهلية ٠ من حفاظ على العهد ، ومن حكمة فى التصرف ، ومن تعفف عما يشين أخلاق الرجال ٠ ومن حرص الكرام على اكرام الضيف ، واغاثة الملهوف وحماية من لا ملجأ له ٠

ونجد عمر بن الخطاب الذى صنعه الله سبحانه وتعالى المثل الأعلى للعدل على مدى الأزمان يحن الى الماضى هو أيضا ويتمثل ببيتين فيهما ترحم على ما كان وسخط على ما هو كائن فيروى :

وما بقيت من اللذات الا
مخاطبة الرجال ذو العقول

وقد كنا نعدهم قليلا
فقد صاروا أقل من القليل

وبعد عمر بأجيال يحكم حفيده عمر بن عبد العزيز ويأخذ نفسه وزوجه وأولاده ثم يأخذ الناس بالعدل أصدق العدل ويقيم الميزان بالقسط ولا يخسره ويرسل اليه أستاذه من مكة خطابا يسأله « ماذا تريد أن تفعل » .

ويصدق ما توقعه أستاذ عمر بن عبد العزيز ولا يكمل عمر سنين عمر بن الخطاب » ويرد عليه أستاذه قائلا « لن تستطيع واذا استطعت فانك تكون خيرا من جدك ابن الخطاب نفسه لأن الذين كانوا حول عمر ابن الخطاب كانوا يعاونونه على عدله . أما الذين حولك فسوف يحاربون عدلك ولن يمكنوك منه » .

ويصدق ما توقعه أستاذ عمر عمر بن عبد العزيز ولا يكمل عمر سنين فى خلافته وتردد البشرية بعد ذلك البيت الشهير :

والظلم من شيم النفوس فان نجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

كل هذا عرفته البشرية وعرفت ما هو شر منه ولكن أى هاتف ألح على أن أمضى فى هذا الحديث اليوم . ان هذا التساؤل منى ليس حيرة أو جهلا بما يثور فى نفسى . وانما لوعة وحريق يوشك أن يسد فى عينى أقطار الأرض جميعا .

فمع أن الناس كانوا على مر العصور غير راضين عن عصورهم ولا على حكامهم . الا أن طبيعة الحياة كانت غير هذه التى صرنا اليها اليوم .

واذا نحن تركنا ذلك الزمن الماضى الذى وصلت أنباؤه الينا على صفحات الكتب . وتذكرنا الزمن الذى رأينا أحداثه على صفحات الأيام وعقدنا مقارنة بين ما كنا نرى وبين ما نحن فيه لعجبنا من أنفسنا لماذا نظل نلقى بأنفسنا فى مضطرب الحياة . ولماذا لا يبحث أمثالنا عن مخبأ لا يرى الى الناس ولا يجعلهم يرون اليه . ولكن أين المفر وقد أصبح البعد عن الحياة مستحيلا الا بالموت . فان أغلقنا على أنفسنا أبوابنا لاحقتنا الاذاعة وهاجمنا التليفزيون وغزت وحدتنا ارسال الزوار مشفقين أو عاجبين أو ساخرين .

لا مهرب اذن الا أن نواجه الحياة ونفرض على أنفسنا ما لم نكن نتصور انا ملاقوه فى يوم من الأيام .

اننا منذ نشأنا كانت الحياة حولنا تموج بالخير والشر ولم يخل زمان - أى زمان - من هشيما لا قيمة له فقد كان الشر موجودا فى كل العصور - هذا لا شك فيه - ولكنه لم يكن رافع الرأس متبجحا مدعيا أنه هو قمة الحياة وسيدها كما هو اليوم كان الشر يخجل من الخير . فأصبح اليوم والخير يخجل من الشر . كان اللص يتخفى عن العيون فأصبح اليوم الشريف هو الذى يبحث عن ستار يخفى شرفه .

كان اللص يدعى أنه شريف . ولكن اللص اليوم لم يصبح فى حاجة أن يدعى الشرف بل ان الشريف اليوم هو الذى يغلب عليه الحياء لأنه شريف .

كان الفجور يتستر ويتخفى . وأصبح اليوم الفجور يصدر الاعلانات عن نفسه . وكلما ازداد تحطيما للقيم علا ضجيجه وارتفع صوته وتباهى وتملكته العظمة وركبه الغرور وشعر بالزهو والكبرياء وازداد يقينا انه ذو كرامة .

وفى ثلاثينات هذا القرن شاع عن امرأة من جميلات هذا العصر ومن أسرة عريقة فضيحة انتشر أمرها . وحدث ان كان المرحوم محمد محمود باشا جالسا فى فندق شبرد وتقدم اليه أحد أصدقائه ومعه سيدة لا يعرفها محمد باشا . ووقف الباشا خريج أكسفورد يستقبل القادمين وقبل أن يصافح محمد باشا صديقه بادرة الصديق مقدما اليه السيدة وعرف محمد باشا أنها السيدة صاحبة الفضيحة فاذا هو يأبى أن يمد يده اليها وانما يضع يمينه خلف ظهره ويشير لها بيسراه ملوحا بسبابته وذات اليمين وذات اليسار بما يجعلها توقن انه يرفض ان يصافحها ثم يجلس ويشيح بوجهه عن صديقه وعن السيدة جميعا .

كانت الفضيحة فى ذلك الحين فضيحة . وكانت الفضائح ألوانا وأشكالا منها فضيحة كهذه التى ذكرت ومنها فضيحة المرتشى ومنها فضيحة السارق وكانت تشيع وكان المجتمع ينزل بها العقاب رفضا أو مقاطعة أو مهاجمة .

أما اليوم فالفضيحة شهرة وعظمة .

نرى تجار المخدرات يتصـــدرون المجتمع . ونرى تجار الأعراض يتصدرون المتحدثين عن الشرف . ان الشرف أصبح نوعا جديدا من الشرف لم يعرفه العالم قبل اليوم . ونرى سارقى البنوك يستغلون سرقاتهم فى سرقات أخرى .

جماعات من جنود ابليس أصبحت تسود الحياة · وان كنا نحن ومن في جيلنا عرفنا للكلمات معانيها الحقيقية · فكيف سيعرف الجيل الجديد هذه المعـــانى ، كيف يجد من يؤكد له أن الشرف ليس هو مجـــرد المال فهما يكون مصدره وانما الشرف خلق وقيمه وترفع عن كل الدنايا كان الله فى عون أجيالنا الجديدة ·

الأهرام ١٩٨٤/٧/٨ ··

وكان بشرا رسولا ..

المعجزة التى اختارها الله للخلود هى القرآن الكريم ومعجزات القرآن أعظم من أن تحصى . وقد نزل القرآن منذ ألف وأربعمائة عام ونيف . وفى هذه القرون المتطاولة ظهر أعلام الشعراء وعظماء البلغاء ولكن هيهات وألف هيهات أن نقارن كل ما نظموه من الشعر وما دبجوه من النثر الرفيع مع آية من آيات القرآن كقوله جل وعلا « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » .

وكان الله سبحانه وتعالى يرسـل أنبيـاء قبل النبى الخاتم عليه الصـلاة والسـلام بمعجزات حسـية يراها البشر رأى العين . فهم رأوا ابراهيم يلقى فى النار ، ورأوا النار وهى برد وسلام على ابراهيم ، انها معجزة حسية شهدها أبناء عصره . وآمن بابراهيم من آمن وكفر به من كفر مرتئيا فى معجزته مع النار نوعا من السحر . فالايمان فى أغلب الأمر نور فى القلب يؤيده العقل ويؤكده أما اذا جمد القلب وتحجر فهناك لا حيلة للعقل مع القلب ولا سبيل للكافر أن يؤمن .

وشهد عصر موسى العديد من معجزات السماء . رأوا عصاه وهى تلقف ما يأفكون ورأوا الله سبحانه وتعالى يشق له البحر العباب يسير بين أمواجه المتجمدة المؤمنون حتى اذا أمنوا الى الشاطىء وعبروه انطبقت أمواج البحر على الكافرين من أتباع فرعون فأغرقوا أجمعين . ثم آمن من قومه من آمن وكفر منهم من كفر .

أما عيسى عليه السلام فقد كان معجزة منذ اللحظة التى حملته فيها البتول العذراء وصار معجزة لم تتكرر وهو يولد ثم هو معجزة وهو يكلم قومه وهو فى المهد صبى وتتابعت المعجزات على يديه فأحيا الميت وشفى الأبرص ونفخ فى الطير فوهب لها الروح باذن الله .

ومع كل ذلك لم يؤمن به قومه أجمعون . وكما أنشأ بعض أنصار موسى عجلا من ذهب وعبدوه حرف بعض أنصار المسيح تعاليمه وبالغوا فيها ويشاء الله فى علياء سمائه أن يكون موت عيسى معجزة كمولده فيرفعه الى السماء وينقذه من كيد الكائدين له أولئك الذين انقلبت معجزاته عندهم نقمة عليه وانتقاما منه .

وتنقضى الأيام وتزول آثار هذه المعجزات الا أحاديث على أفواه الناس يصدقها من يصدقها وينكرها من ينكرها .

وأغلب الأمر أننا نحن المسلمين ما كنا لنصدق شيئا من هذه المعجزات لولا انها جاءت فى القرآن الكريم فأصبحت عندنا حقائق لا تقبل الشك ٠

وقد اختار الله سبحانه وتعالى أن يكون حامل رسالته بشرا من البشر ليس له أى معجزة الا معجزة القرآن التى ذكرها سبحانه بقوله « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وقد فعل وصدق وعده جل وعلا وانتقل القرآن بنصه وحرفه من القلوب الى الألسنة الى الجلود والعظام الى المطبعة فتم له الحفظ ٠

والنبى الكريم الذى حمل الينا الرسالة بشر رسول ٠ يقول تعالى فى سورة الاسراء فى الآيات ٩٠ وما بعدها « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار من خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا » صدق الله العظيم ٠

فمعجزة النبى صلى الله عليه وسلم اذن أنه بشر رسول وأن الله لم ينزل ملكا رسولا لأن الأرض ليس بها ملائكة يمشون مطمئنين ٠

وقد جاءنى خطاب من رجل مؤمن يحس فى نفسه غصة أن النبى عليه الصلاة والسلام يتصرف تصرف البشر وليس تصرف الأنبياء وهذا ما دعانى أن أسوق اليه والى من شاء هذا الحديث ٠ ان معجزة النبى صلوات الله عليه وسلامه يا أخى أنه بشر وأنه رسول ٠

فهو بشر حين يقول حبب الى الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة وهو رسول لأنه لم يعتد على حرمة ولم يرتكب حراما ولا اثما ٠

وهو بشر حين يأمر بالحرب ليرد بها الأعداء عن دينه وهو رسول حين لم يثخن فى الأرض ولم يعذب الأسرى وحين راح يتلمس الأسباب للعفو عنهم ٠

وهو بشر انسان أب حين سمع أن على بن أبى طالب يريد أن يتزوج على ابنته فاطمة فيصيح اللهم انى غاضب ، اللهم انى غاضب ، اللهم انى غاضب ٠ هو غاضب لأنه بشر ولأنه يحب ابنته كما يحب البشر بنيهم وبناتهم ولكنه نبى ورسول وأمين وشريف لأنه لم يقل ان زواج على بأخرى على فاطمة يغضب الله أو انه يخالف الدين أو أنه يقع زواجا باطلا ٠

وهو بشر حين تدمع عينه لموت أبنه · ولا يستطيع أن يخفى ألمه العميق للكارثة · وأى كارثة أفدح من فقدان ابنه وهو قطعة منه · فهو يبكى على رغم علمه أن ابنه رفع الى الجنة التى يعد بها الله على لسانه المتقين من عباده وأى عباده أعظم تقوى من طفل مازالت الأكتاف تحمله · هو يبكى لأنه بشر · ولكنه رسول فى القمة العليا من الايمان ومن الثقة بربه وبدينه وبما أنزل اليه حين يحاولون تعزيته بقولهم ان الشمس خسفت لموت ابراهيم فاذا الرســـول يقول فيه الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسف أحدهما ولا يظهر آخر لموت أحد ولا لحياته ·

وهو بشر حين يتطيب حتى لا يشم الناس منه الا أجمل رائحة · وهو رسول حين يأبى أن يترك لبنيه أى مال يعينهم على الحياة ·

وهو بشر حين يزور فاطمة ويجدها نائمة وبجانبها زوجها على ان غطى الرداء الذى يتدثران به الأقدام منهما كشف عن صدريهما وأن غطى صدريهما كشف عن أقدامهما وتأخذه الشفقة على ابنته وزوجها لأنه بشر ولكن لأنه رســـول لا يبحث لهما عن مال لو طلبه لانهال عليه من المؤمنين وانمـــا يقـــول لهما أدلـــكما على خير من هذا قولا ســـبحان الله ثلاثا وثلاثين مرة والحمد لله ثلاثا وثلاثين مرة والله أكبر ثلاثا وثلاثين مرة · فلأنه رسول حمل كلمة الله « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » دثر ابنته وزوجها بكلمات الله وطمأنينة القلب ·

ولأنه بشر أحل دم الشعراء الذين هاجموا الاسلام وكأنما القى اليه أن يفعل وهو مطمئن لأن أحدا منهم لم يقتل قط · ولأنه رسول قبل توبتهم أجمعين ورضى اسلامهم ·

ولأنه بشر كانت الشفقة تأخـذه على ابنته فاطمـة وأعمال البيت والأبناء ترهقها أشد الارهاق ولكن لأنه رسول يرفض رجاء فاطمة اليه أن يخصص لها واحدة ممن سباهم المسلمون فى غزواتهم ·

فالنبى محمد يا أخى المؤمن نبى لم يسبق له مثيل فى دنيا الأنبياء · فقد كان لكل منهم معجزة زالت مع الأيام لأن كلا منهم جاء لقوم بذاتهم وكانت معجزته موجهة لهؤلاء القوم وحدهم · ولكن النبى البشر جاء للناس كافة وللعالم أجمع ولكل الأزمان حتى يرث الله الأرض وما عليها ومن عليها · فلم يكن عجيبا يا أخى أنه لم يكن له صرح سليمان ذو القوارير ولا عرف لسان الطير ولا سخرت له الجن ولا كان عجيبا الا تأكل عصاه ما يأفك الساحرون ولم يكن عجيبا الا يشق له البحر ·

انه نبى فريد فى نوعه · نبى ارتضى له الله أن ينهزم جنده فى موقعة أحد حتى يثقوا أن نبيهم بشر من البشر وانهم ان لم يبذلوا جهدهم لنصرة دينهم فانهم منخذلون ·

انه نبى ولد من أب وأم وقال له الله « انك ميت وانهم ميتون » انه لم يخصه الله أن يحيى الميت أو يشفى الأبرص ·

انما خصه بمعجزة واحدة ·· هى القرآن الكريم ·· وخصه أيضا بكل ما فى البشر من طبــاع · الا أنه على خلق عظيم أدبه ربه فأحسن تأديبه · وقد أرسل فى عصر الجهالة والتكبر الفارغ فحطم الجهل وأذل التكبر وجعل بكلام الله الناس سواء وبدأ بنفسه · واذا لم يكن النبى بشرا مثله مثل سائر الناس ما بلغ من نفوس أنصاره هذا الايمان المذهل الذى جعلهم يفدونه ويفدون دينه بأرواحهم ·

لقد رأوا فيه انســانا مثل كل انســان فى مشاعره ونبيا شامخا مباركا ·

بشر هو يحب النساء مثل البشر ولكنه فى الحلال كالأنبياء ويحب الشعر كالعرب ولكن فى الكريم من المعانى والرفيع من الخصــال مثل الأنبياء · ويحب بنيه أشد ما يكون الحب شأن الكرام من البشر ولكنه يأبى أن يجعل أحدا منهم يتميز عن الآخرين بأقل ميزة فالناس سواء ولو كان أبوهم النبى نفسه سيد البشر صلى الله عليه وسلم ·

وبعد يا أخى فاننى أرجو أن أكون قد بلغت من نفسك ما أتمنى لنفسى أن أبلغ · وأرجو اذا قرأت هذا أن تقر حيرتك الى الايمان الخالص الذى ألمح أضواءه فى أطواء كتابك والسلام عليكم ورحمة الله ·

الأهرام ١٩٨٤/٧/١٥ :

الأزهر عز العرب

يستطيع الذين يذكرون ما كتبته عن الأزهر الشريف أن يقدروا مدى السعادة التى نعمت بها وأنا أشاهد حلقات الأزهر الشريف التى كتبت حلقاتها الكاتبة الاسلامية الكبيرة أمينة الصاوى · وربما نسى بعض الناس أن الأستاذة أمينة هى أول من أدخل فن تحويل الروايات الى مسرحيات وكان لها فضل السبق بأعمال لاقت نجاحا باهرا فى عرضها · فليس غريبا عليها وبعد هذه السنوات الطوال من الممارسة والمدارسة ومن تدريس الدراما أن تتفوق هذا التفوق الذى بلغته فى حلقات الأزهر الشريف ·

وقد استطاعت فى ذكاء رائع أن تجمع الحاضر الى الماضى واستطاعت فى ذكاء أشد أن تجعل للرواية رواة · وأن تجعل لهؤلاء الرواة أنفسهم قصة تكاد تكون مستقلة تمام الاستقلال عن تاريخ الأزهر نفسه · وأذكر اننى ترجمت مع الأستاذ عبد الله البشير مسرحية للكاتب الكبير ماكسويل أندرسون والمسرحية بعنوان « عذراء اللورين » وهى بطبيعة الحال عن جان دارك · وقد استطاع المؤلف أن يدير المسرحيات فى شكل تجارب مسرحية · واستطاع فى مهارة فائقة أن يجعل للممثلين أنفسهم كآدميين مشكلة خاصة بهم نتابع أحداثها فى الفقرات التى تفصل بين تجارب الفصول · حتى اذا بدأت التجارب وجدنا الملابس غير مكتملة تماما مع أن المفروض أنه يعرض علينا التجربة الأخيرة التى تسبق العرض الأول ولم يكن عجيبا من المسرحى العبقرى أن يجعل مسرحية الممثلين تسير جنبا الى جنب مع مسرحية جان دارك كما لم يكن عجيبا أن تنتهى المسرحيتان كلتاهما نهاية رائعة ·

وأشك كثيرا أن تكون الأستاذة أمينة الصاوى قد اطلعت على هذه المسرحية وأرجح انها الهمت الى طريقة العرض التى اختارتها عن حس مرهف وعن عمق تجربة · وأنا لا أدافع عنها فنقل الشكل مباح وجميع كتاب المسرح والرواية التمثيلية العربية نقلوا الأشكال عن الغرب ثم طوروا فيها التطور الذى يتفق مع عروبتهم والمستقبلين لأدبهم ·

وأنا فى هذه الكلمة لن أحاول أن أتناول التاريخ الذى دار حول

دور الأزهر الشريف فى الحياة المصرية فلست مؤرخا وما ارتضى لنفسى أن ألج ميدانا أنا غير متمكن فيه ·

وانما ألح على أن أوفى السيدة الأستاذة المؤلفة حقها من التكريم التى هى أهل له ثم أصرخ وبأعلى صوت أصرخ : أعيدوا هذا الأزهر الى مصر بعد أن فقدته مصر ·

ان الأزهر كما نعلم وكما علم الذى لم يكن يعلم من الحلقات هو الحصن الأول للعربية وللاسلام ولمصر وللهداة النيرات من رحلات تاريخ مصر ·

فيا أبناء مصر ويا أبناء المصريين ويا أبناء بناة الحضـارة الاسـلامية فى العالم كيف ساغ لكم أن تضيعوا الأزهر الذى سلمه اليكم أبناء الأتراك وأتباع الدولة العثمانية والنطاقين باللغة الأعجمية ·

أيحافظ على الأزهر التركى الأجنبى الألكن الذى لا يقيم من العربية حرفا · ويضيعه المصرى العربى الفصيح الفكر واليد واللسان ·

وانى لأكاد أقسم قسما أنا واثق اننى فيه غير حانث انه اذا لم تعد اللغة العربية الى الأزهر فلا أمل لأبنائنا أن ينطقوا هذه العربية ، ولن تعود العربية الى الأزهر الا اذا اشترط الأزهر على الذين يدرسون العلوم الفقهية والعربية ألا يدخلوا الأزهر الا بعد أن يحفظوا القرآن الكريم وينطقوه ويعرفوا سر الحرف فيه وكيف يخرج من اللسان والشفتين ·

العالم ملىء بالجامعات · آلاف هى مؤلفة ولكن العـالم ليس فيه الا أزهر واحد لا غير كان منذ ألف عام هو حصن العربية الحصين · وما انهار حصنها وكاد يندك ركنها الا منذ جعلنا من الأزهر كليات شأنها شأن مثيلاتها من الكليات التى تملأ أرجاء العالم ·

أستحلفكم بالله وأناشـدكم الحق · ألم تشـعروا بالعزة والفخـر والكبرياء بدينكم ولغتكم وأنتم تشاهدون حلقات الأزهر هذه التى عرضها علينا التليفزيون · وأى شىء يبقى للانسان ان فقد اعتزازه بدينه ولغته ووطنه ·

الذين ذهبوا الى البلاد الغربية رأوا كيف يعتز الانجليزى وهو ينطق لغته نطقا حاسما رائعا وكيف يتغنى الفرنسى بلغته وكأنه يلحن أنشودة ذات أنغام تشبه ألحان الجداول الرقراقة تجرى بين الماس والمرجان والزمرد والياقوت والزبرجد وكيف ينطق الألمانى حروفه وكأنه يضع فى ثناياها أمجاد أزمانه القديمة كلها وعزة الأجداد أجمعين ·

فلماذا كتب علينا نحن أن نجعل لغتنا وهى اللغة الوحيدة التى

نزل بها الكتاب الوحيد الذى أنزله الله وأصدر أمره الى الزمان أن يحفظه فحفظه بكل حرف فيه • لماذا كتب علينا أن نجعل لغتنا هذه مائعة هائمة فى دنيا التشرذم لغربة تميل بها الفتيات الجاهلات الى الفرنسية حينا أو الانجليزية حينا آخر وكأنما يغض من شأنها أن تقولها عربية أصيلة كريمة تنتسب فى أصولها الى العرب أجدادها وفى أمجادها الى القرآن الكريم أعظم كتاب عرفته البشرية •

ولماذا نسمع الشباب يتكلم العربية وكأنه يمضغ قطعة من لادن فاذا هو أعوج اللسان مائل الحروف كسير اللفظ تكاد لغته أن تكون لغة أعجمية فى نسبها غريبة فى صوتها فما تدرى أعن رجل تصــدر ألفاظه أم عن امرأة •

أكتب هذا الكلام فى نفس اليوم الذى تولى فيه وزارة شئون الأزهر الأستاذ العالم الاسلامى الشاهق الدكتور الأحمدى أبو النور • وانى لأعرفه وأعرف الى أى مدى هو فى الاسلام حجة والى أى قدر هو فى اللغة العربية مرجع كما أعلم حسن ظنه بى الأمر الذى يجعلنى أخجل دائما من فيض اكرامه • ولن يكرمنى مولانا الأستاذ الكبير فى خير من هذا الذى أرجــوه منه وله • وهو رجاء ان يقتصر على تعليم القرآن الكريم وحفظه فى الأزهر فى كليات الفقه واللغة وانى لن أمنع نفسى أن أنتهز هذه الفرصة لأرجو الوزارة جميعا ان تقدم للشعب ما ينفع الشعب لا ما يرضى بعض فئات من الشعب • فان الدواء قد يكون فى بعض الأحيان مرا ولكنه فى أغلب الأحيان ناجع • واذا كانت الديمقراطية أن يكون حكم الشعب للشعب فان بقية التعريف الذى لا غناء عنه هو أن يكون حكم الشعب للشعب لمصلحة الشعب فلنجرع دواءنا مهما يكن مرا • ولتعمل الوزارة الجديدة على مصلحة الشعب لا على تملق فئات الشعب فالشعب ليس خبيرا فى الاقتصاد • والشعب ليس خبيرا فى التليفونات ولا هو خبيرا فى الكهرباء فعلى الخبراء أن يقولوا كلمتهم التى ترضى ضمائرهم وترضى الله فى علياء سمائه واذا ضاق الشعب حينا بتجرع الدواء فانه حين يشفى سيحمد للخبراء ما قدموه له وليس الشعب هو أبناء مصر اليــوم فقط وانما الشعب هو الزمن الحاضر والمستقبل وهو نحن وأبناؤنا وليس أبا من لا يتحمل بعض الجهد كل الجهد ليكون ابنه مع الأيام سعيدا هانئا كل السعادة وغاية الهناء •

الأهرام ١٩٨٤/٧/٢٢

الألغـــوزة

● حاول الكثيرون من الناس أن يرضوا كل الناس فكان نصيبهم الفشل الذريع • كان بعض أولئك المحاولين من أصحاب المناصب وكان بعض منهم آخر من أصحاب الأقلام وكان بعض آخرون لا من هؤلاء ولا من هؤلاء ولكن الأمر الغريب أن جميعهم على اختلاف أماكنهم أصابهم الخذلان كل الخذلان والفشل غاية الفشل •

فانه لم يحدث فى تاريخ أمة ولا فى تاريخ العالم أن أجمع الناس على رأى واحد ولذلك لم يكن عجبا ان يسخر الساخرون من التسـعات المتلاحقة التى كانت تظهر فى نتائج الاستفتاءات التى كانت تجرى فى مصر •

فانه لابد أن يكون كل انسان صاحب رأى فان حاول أن يموه فى هذا الرأى ويخادع الناس عنه أدرك الناس بحسهم الملهم الموهوب أن المتحدث اليهم لا يحادثهم من قلبه وانما يحاورهم بمنفعته ولسانه فى وهم منه ساذج انه قادر على ان يدخل فى روع الناس انه صادق ولكن هيهات •

الرحاب الوحيد الذى يستطيع الانسان أن يرضيه هو رحاب الله وفى هذه الساحة القدسية لا يستطيع انسان ما مهما يكن يظن نفسه عبقريا أن يميل عن الحق قيد شعرة فهناك الذى يعرف خائنـة الأعين وما تخفى الصدور وكلما كان الانسان غبيا ظن انه يستطيع أن يماكر الناس ويزداد غباؤه أضعافا لا نهاية لها اذا ظن انه يستطيع أن يماكر رب الناس ملك الناس اله الناس الذى خلقهم وملكهم بكل خلجة من خلجاتهم وكان معبودهم الذى لا معبود لهم غيره •

وهكذا اذا كان الانسان جديرا بأن يكون انسانا تحتم عليه أن يصدق الله فيما يقول أو يفعل وهو لن يكون صادقا مع ربه الا اذا كان صادقا مع نفسه • يقول رأيه الذى يعتقد ثم يتوكل بعد ذلك على الله • وليكن على ثقة ان رأيه هذا سيغضب قوما ويرضى قوما آخرين • ومن لا رأى له لا قيمة له • وما دام صاحب رأى فلابد أن يكون هناك رأى آخر يعارضه •

لعلك سائل نفسك فيم هذه المقدمة الطويلة • ولعلك أدركت فيم أســـوقها •

لقد تم تعديل فى الوزارة وهى الهيئة التنفيذية للدولة فاذا حاول الوزراء الكثيرون الذين بقوا أو الوزراء القليلون الذين وفدوا على المنصب أن يرضوا الشعب جميعه على حساب الشعب فانهم بهذا يكونون أشد خصومة لأنفسهم من المعارضين انما ينبغى أن يرعوا الله فى كل ما يصدرون عنه وان تكون أعينهم مثبتة على المصلحة العليا للبلاد • وقد يؤدى هذا بهم الى اغضاب بعض فئات • ولكنهم اذا توخوا الرأى السديد واستشاروا أصحاب الضمائر النقية والعلم الثابت والرأى النزيه فانهم لا شك ــ سيرضون الأغلبية والأغلبية هى مصر ولن تكون الأغلبية فى يوم من الأيام قلة هنا أو جماعة ضئيلة هناك •

فكم يحز فى نفوسنا نحن المصريين ان نجد الحمير تسير وهى تحمل أبشع ما تراه العين ونسأل واذا الجواب ان أصحاب الحمير سيغضبون وكم يحز فى النفس ان نسمع ان العامل المصرى لا يعمل أكثر من ساعتين أو ثلاث ساعات • وعمال العالم الغنى يعملون ثمانى ساعات • وكم يحز فى نفوسنا ان نرضى القلة على حساب الكثرة لا لشىء الا لأن أصحاب السلطة التنفيذية ينظرون الى الأفراد ولا ينظرون الى المجموع وهيهات لمن كان هذا شأنه ان يصل الى ما ينشده من نجح أو فلاح •

وانه ليملأ النفس حسرة مريرة قاتلة أن نجد الحكومة تدعم السجائر وتيسر للناس أن يشربوا السجائر بمعونة من الشعب الذى يشرب وتكون النتيجــة العجيبة المحزنة المخزية أن يقــدم العــاقل الذى لا يدخن عونا للمستهتر الذى يدخن ــ وعلى فــكرة أنا للأسف أدخن وان كنت قليل التدخين ــ ولكن لا أستطيع على أى عرف وتحت أى مذهب ولا بأى منطق مهما يكن معوجا أن أتصور أن يشرب الانسان سما تعينه الدولة على شربه وتكون الحجة ان فى هذا تخفيفا عن الناس ••• على أى ناس يقع هذا التخفيف على قوم يقتطعون من أقوات عيالهم ليحرقوا صدورهم ويا ليتهم يفعلون ذلك من حر مالهم أو من مال الوزير وانما هو من مال الشعب الكادح الذى يتعب ليأكل أطفاله واذا الأمر يتضح انه يتعب لكى يدخن الآخرون كدحه وكده وشقاءه وتعبه •

ولما كانت بعض المصائب تدعو للضحك بل يقولون انها شر المصائب هى تلك التى تضحك فاننا نجد السجائر مكتوبا عليها ان ضررها وبيل وخطير •

ومضحكة أخرى انهم منعوا الاعلان عن السجائر فى التليفزيون وهكذا أصبح الأمر مجموعة من المتناقضات كلها يضحك وكلها يبكى فى وقت معــا •

فبدلا من أن أتقاضى من الشركات الأجنبية أموالا تنتفع بها الدولة لأعلن عن سجائرهم أمتنع عن ذلك محافظة على صحة الشعب ·

فأنا اذن رفضت المال فى سبيل صحة الشعب وهذا شيء رائع وعظيم ·

ولكن الدولة نفسها التى صنعت هذا والتى تعففت فى اعتزاز الحريصين على مصالح شعبهم تبيع للشعب نفسه وليس لشعب عدو ولا لشعب آخر سجائرهم مدعومة بأموال الشعب ·

اننى أتحدى أى اقتصادى أو عالم اجتماعى أو طبيب أو انسان يستقيم فكره بعض الاستقامة ان يشرح لى هذه الألغوزة التى تتشابك سوانحها وموانعها وبلواؤها وأضاحيكها بهذه الصورة التي لا صلة لها بعقل آدمى ·

ونسمع عن شركات أجنبية عرضت أن تقوم بأعمال النظافة فى مصر فاذا بمن يقول ان هذا تدخل أجنبى وتلك عجيبة من عجائب الزمن يزيدها سخرية ان نجد المطار قد عهد فى نظافته الى شركات أجنبية ·

أيكون المطار ليس مصريا أم هو ذلك الرعب من أصحاب الحمير حاملى القمامة ·

ان الشعب اذا لم يشعر ان حكومته رشيدة وانها تصدر فى كل ما تفعله عن الرأى السديد الذى يؤدى الى المصلحة العليا استهان بها وويل لحكومة يستهين شعبها بها ·

ولقد رأيت السعودية وهى تعهد بشركات أجنبية لتتولى النظافة فيها وشهدت النجاح الباهر الذى حققته تلك الشركات وما سمعنا أن هناك غزوا حدث من هذه الدول للسعودية · وبعد فكل هذا الذى نقول قديم والذى لم نقله أكثر مئات المرات · ولكن ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل · وقد تعدلت الحكومة فمن حقها علينا أن نذكرها ببعض ما نفكر فيه ومن حقنا عليها أن تكون صادقة مع ربها ونفسها لتكون صادقة مع شعبها وأذكر قول الشاعر :

منى ان تكن حقا تكن أعذب المنى والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

الأهرام ١٩٨٤/٧/٢٩

ان للصمت حدا

منذ أسابيع قليلة ظهرت مجموعة جديدة لعميد الرواية والقصة العربية نجيب محفوظ ومع الجهل الذى تفشى فى حياتنا الأدبية ومستوى الثقافة الذى تدهور الى حضيض لم تعهده مصر كان من الطبيعى الا يكتب أحد عن مجموعة شيخنا وامام الرواية والقصة العربية شيئا وأجمعت عزيمتى أن أكتب أنا مكررا تلك العجيبة التى لم تصبح عجيبة بتواتر حدوثها • فأنا كاتب من سدنة الرواية والقصة القصيرة في وطننا العربى • ومن الطبيعى أن يكون انتاجى أنا موضوع الكتابة ولا يكون عملى أنا الكتابة عن انتاج الآخرين • وأنا ــ والحمد الله ــ لا أشكو قلة الكتابة عنى فهى موفورة كثيرة فى مصر وفى العالم العربى على السواء • ولكن كل ما يكتب عن امامنا نجيب وعنى يفتقد التعمق والوصول الى الجذور ويفقدهما وانما هو فى أغلب الأمر تحية يشكر عليها كاتبها أو مقارنة بين بعض أعمالنا وبعضها الآخر • أما النقد الجاد الذى يفسر العمل ويتقصى أبعاده ويذهب الى العميق من أغواره فلم يعد يطالعنا به أحد والحمد لله •

وأنا حين أهم بالكتابة عن أستاذنا نجيب محفوظ لا أبلغ ما أتمنى أن يبلغه النقاد الجامعيون والمتخصصون • فغاية الأمر فيما أكتب أن أنقل الحديث بينى وبين القارىء عن عمل من الأعمال الكبرى التى ظهرت لشيخ الرواية والقصة العربية •

وأنا على عزيمتى هذه لا أزال وانما تخلجت نفسى فى تردد بين اقبال واحجام وفكرت أن أؤجل الكتابة عن المجموعة الجديدة للعملاق العربى وأفرغ الى هؤلاء الذين راحوا يهاجمون فى شخصى اتحاد الكتاب • وبعضهم من كان محترما فى يوم من الأيام ثم ظل يصارع ويبذل أقصى الجهد حتى فقد احترام الناس له وأصبح تمثالا مؤسفا للسخيمة أو صورة ممسوخة لدون كيشوت ان كان يمكن أن يمسخ دون كيشوت أكثر مما هزأت به أعماله نفسها • وبعض آخرون تاه ذكرهم وانماعت شخوصهم بين أعمدة

الأدب والصحافة فهالهم من ذكر بذكر أو اســـم يسمع عنه أحـــد فهم يحاولون أن يختلسوا الشهرة من أسنة أقلامنا ٠

وهؤلاء جميعا يأخذون على اتحاد الكتاب انه لم يأخذ موقفا فى قضية نقاش بين وزير وكاتب ٠ ولو كان الوزير خصما فى القضية بوصفه وزيرا لأصبح من الجائز أن نلتمس لهم بعض العذر ٠ ولكن الوزير انسان قبل أن يكون وزيرا وقد وصف الكاتب بصـفة ما دون أن يستغل منصب الوزارة فى اطلاق هذه الصفة وتقدم الكاتب الى ساحة القضاء فما شأن اتحاد الكتاب اذن بخلاف بين اثنين كليهما انسان تصادف ان كان أحدهما وزيرا وكان الآخر كاتبا ٠

وهؤلاء المهاجمون يرسمون أنفسهم وكأنهم مواليد الأمس ٠ فهم لم يشهدوا ما كتبه العقاد وشكرى عن شوقى ولم يشهدوا الخلاف بين الحكيم وطه حسين ٠ ولم يشهدوا الصراع المرير بين استاذنا أحمد حسن الزيات واستاذتنا الدكتورة عائشة عبد الرحمن ٠ ولم يسمعوا عن أكثر من هذا فى جيلنا القريب الماضى ٠ واذا كانوا يجهلون هذا جميعا ٠

اتراهم كانوا أطفالا فى العام الماضى يوم تعرض استاذ الأجيال توفيق الحكيم وهو رئيس اتحاد الكتاب لحملة ضارية شملت العالم العربى جميعه أيده فيها من أيده وعارضه من عارضه ولكن الاتحاد لم يتدخل فى الأمر بجملة واحدة مع ان الصراع مع رئيسه شخصيا ٠ لأن الاتحاد شخصية اعتبارية وكل عضـــو فيه له رأيه الخاص وعليه وحده أن يتحمـــل مســـئولية هذا الرأى وعليه وحـده أن يجيب على معارضـيه ٠ وليس من حق الاتحاد وهو جماعة الكتاب أن يأخذ جانبـا من الجانبين فالذى لا شك فيه أن بين هؤلاء الأعضاء من يرى رأيا معارضـا للعضـو الذى يزامله ٠

انما يتدخل الاتحاد اذا حاولت سلطة ما بقوة سلطانها أن تقهر رأيا لكاتب أو تحول دون كاتب ودون حرية قلمه ٠ واذا منع الاتحاد الآخرين أن يقولوا رأيهم لأصبح هو نفسه قوة باغية قاهرة تحاول أن تغتصب السلطان وتمنع الآخرين أن يقولوا رأيهم ٠

وحين كنت نائبا لرئيس الاتحاد هاجمتنى جريدة الأهالى عاما كاملا يكاد لا يخلو عدد فيها من هجوم عاصف على ٠ ومزقت كل ما هو شريف فى الحياة وما ظنك بقوم كفروا بالله وهو الله أيرعى مثل هؤلاء حرمة الانسان ٠ وهاجمتهم وحدى فى نطاقهم كله حتى تجرأوا وتطاولوا على نزاهة قلمى فرفعت الأمر للقضاء وتنازلت عن الحصيلة المالية للدعوى وهى عشرة آلاف جنيه للاتحاد تعففا منى أن يدخل فى ذمتى المالية مال

أنا واثق أنه غير شريف وقلت الاتحاد سيوجه هذا المال فى أوجه الخير وهو به أولى ٠

ومع ذلك لم يتدخل الاتحاد فيما بينى وبين جريدة الأهالى بجملة واحدة ٠ ولا هو تدخل فى القضية مع أن حصيلتها ستدخل الى ميزانيته ٠ وفى هذا العام دخلت فى صراع مع أحزاب وأشخاص ٠ وأنا رئيس للاتحاد وظل الاتحاد بعيدا كل البعد عن هذا الصراع ٠

وفى هذا الصراع تفضـــل المهاجمون على بشتائم وليست أوصـــافا وقالوا ما سمح لهم أدبهم وخلقهم أن يقولوه ومع ذلك لم يتقدم واحد من هؤلاء الذين يقيمون الدنيا الآن ويقعدونها بكلمة لوم على ألفاظ تفوه بها أدباء مشهورون وأدباء معدومون يردونهم الى شىء من الحياء أو بقية من احترام الذات ٠

شغلنى هذا جميعا أن أكتب عن أستاذ أجيالنا والأجيال اللاحقة لنا نجيب محفوظ ومجموعته الجديدة « التنظيم السرى » ٠

والآن وبعد أن كتبت ما كتبت أجد نفسى قد تركت قمة الفن الروائى والقصصى الى حضيض من بعض الصحافة والصحفيين ٠

وهيهات أن يجتمع النقيضان ولست أرضى من بعد أن يصاحب هذا الكلام حديث عن نجيب محفوظ الذى اعتبره قمة فى كل ناحية من نواحى الحياة فهو شخص غريب عن زمنه صاحب المثل العليا يعتنقها وينفذها وهو صاحب القلم العف واللسان النقى والضمير الشريف وان يجتمع كل هذا جميعا مع نجيب محفوظ عميد الرواية والقصة الحديثة أمر يجعلنى ظالما غاية الظلم لو أننى حاولت بعد ذلك أن أكتب عن مجموعته ٠

فليس غريبا أن أترك القمة التى كنت أنوى أن أكتب عنها لأواجه هذا السيل من السخف مرتئيا أن الفترة لا تسمح لى بتأجيل ما كتبت أما الكتابة عن نجيب محفوظ فستظل فى موقتها الى ما بعد الزمان والى أن تتخطى الخـــلود ٠

الأهرام ١٩٨٤/٨/٥ :

بين عضوى الحزب والدولة

يبدو لى أن أعضاء الأحزاب جميعا يبذلون جهدا يستنفد تفكيرهم ووقتهم فى الحصول على مناصب بذاتها فى الحزب وهذا أمر يسرى مسرى الأمراض من نظام الحزب الواحد · ويبدو أننا ـ بعد ـ لم نتعود نظام تعدد الأحزاب الذى هو الديموقراطية · فقد غابت عنا الديموقراطية فترة بعيدة وأوشكت صلتنا بها أن تصبح معدومة ··

فليست الأحزاب مناصب ولا هى أن يمر أعضاء الحزب بأصحاب النفوذ ليتمكنوا من ادخال طالب الى مدرسة أو مريض الى مستشفى · انما هذه أعمال جانبية هينة لا تمثل وظيفة المنتمى الى الحزب ·

انمـا الحزب هو مسـتقبل وطن بأكمله وجهد شاق للتعرف على ما يحتاجه أعضاء الأحزاب فى مناطقهم من انشاء مدارس أو مستشفيات أو مقاومة الآفات الزراعية أو مواجهة ضعف المحصول · ثم هو جهد أكثر مشقة فى البحث عن حلول لكل ما تعانيه مناطقهم من سلبيات · ويتقدم الأعضاء بعد ذلك الى اجتماعات حزبهم ببرامج مدروسه دراسة عملية وافية يستطيع بها أعضاء الحزب أن يجدوا أساسا لدراسة أكثر شمولا وعمقا حتى اذا تقدموا الى المجالس التشريعية تقدموا بخطط لا بخطب وبآراء لا بشقشقة لا تعنى شيئا ·

فالمنتمى الى الحزب نائبا كان أو كان غير نائب ينبغى أن يكون همه الوطن جميعه وينبغى مع ذلك الا يتدخل فى شئون السلطة التنفيذية الا بالمشورة والرجاء · فان كثيرا من أعضاء الحزب يظنون أنهم ما داموا قد نالوا منصبا فى حزب أصبح لهم حق اصدار القرار ·· وتلك كارثة عظمى فان اصدار القرارات لا يكون الا من السلطة التنفيذية واذا اختلط عمل السلطة التنفيذية بالسلطة التشريعية بالهيئة الحزبية أصبح الأمر فوضى لا قوام له وأصبح الموظفون فى الدولة حيارى تائهين لا يدرون الى أى جهة ينتمون ··

ولذلك فالقاعدة الدسـتورية الثابتة أن عمل الناخب ينتهى عند صـندوق الانتخاب ، ومعنى هذه القاعدة أن عمله الايجابى ينتهى عند صندوق الانتخاب ويبدأ بعد ذلك عمله الاستشارى فيكون هو الصـلة

الأمينة الشريفة بين جماهير الشعب وبين ممثلي السلطة التشريعية والتنفيذية ٠ ولابد أن يكون فى عمله هذا نزيها غاية النزاهة فلا يتأثر بخصومة شخصية أو رغبات خاصة وانما ينظر دائما الى المصلحة العليا للمنطقة التى يعيش فيها ٠٠ واذا فعل الجميع هذا نعمت مصر كلها بالرفاهية واستطاع أعضاء السلطتين التشريعية والتنفيذية أن يكونوا على علم بما يجرى فى أقاصى البلاد ٠٠

وليس يعنى هذا أن يحاول أعضاء الحزب الانتقام من الموظفين اذا هم لم يطيعوا أوامرهم أو اذا هم حاولوا أن يطبقوا القانون ٠ فرجال الحزب وخاصة حزب الأغلبية لابد أن يكونوا هم أول من يطبق القانون ٠ ولابد أن يكونوا هم أول الغاضبين اذا أفلت من تطبيق القانون أي فرد مهما يكن شأنه ٠٠ وكلما ارتفع منصب الفرد أصبح خضوعه للقانون أكثر وجوبا ٠٠ فقد عرفنا وزراء ذهبوا ليمثلوا مصر فى خارج البلاد ٠٠ ورفضوا أن يكلفوا خزينة الدولة مليما واحدا بل سافروا وأقاموا وعادوا على نفقتهم الخاصة ٠ وأنا لا أطالب بهذا وانما أذكره ليعرف العاملون فى السياسة أنه كان من بين الوزراء ورؤساء الوزراء من يضرب المثل بنفسه حتى يحاول أن يقتدى به كل العاملين معه من موظفين ومن أعضاء فى البرلمان أو أعضاء فى الحزب ٠ وأعرف وزير خارجية رفض أن يتقاضى التمثيل السياسى الشهرى الذى يتقاضاه وزير الخارجية ليواجه ما تحتمه عليه الوظيفة من أعباء الدعوات والولايم ٠٠٠ وأنا أيضا لا أطالب بهذا وانما أذكره فان الذكرى دائما تنفع المؤمنين ٠٠

مايو ١٩٨٤/٨/٦ :

قمة جديدة عند نجيب محفوظ

أستاذنا نجيب محفوظ من أعظم من عرفت الماما بالثقافات المختلفة فهو قد تخرج في قسم الفلسفة من كلية الآداب وكان وهو طالب شغوفا كل الشغف بالأدب فأجاد القراءة بالانجليزية وأجاد القراءة بالفرنسية وقد استطاع أن يقرأ الأدب العالمى بهاتين اللغتين فقد ترجم اليهما كل الأدب العالمى الذى لم يترجم الى العربية وقد نشأ أستاذنا نجيب فى فترة كانت حركة الترجمة الى العربية مزدهرة فيها غاية الازدهار الأمر الذى جعلنا نحن الجيل التالى له نقرأ الأدب العالمى كله باللغة العربية وما تخلفت عنه اللغة العربية ادركتنا فيه اللغة الانجليزية التى استطاع أغلب جيلنا أن يجيدها ٠

واستطاع نجيب محفوظ أن يقسو على نفسه فيقرأ من الروايات والأعمال العالمية ما يتنافر مع ذوقه ولو ترك نفسه على سجيتها لعزف عن هذه القراءة لتلك الكتب العسيرة البعيدة عن الجاذبية ولكن الأمر عنده كان جدا لا هزل فيه ولم تكن القراءة عنده مجرد متعة وانما اعتبرها ضرورة لا غنى عنها للروائى القصاص ٠

وبما اكتسب من الفلسفة درس النظريات الفلسفية جميعها وتتبعها حتى آخر ما وصلت اليه الفلسفة ٠

وبهذه العقلية نفسها قرأ فى الصوفية قراءة متمعنة دارسة لا تكتفى بمجرد الالمام وانما تعمق الصوفية الى جذورها وترى آثارها واضحة كل الوضوح فى اللص والكلاب والشحاذ وأولاد حارتنا والحرافيش بل لا تكاد تخطئها فى أغلب قصصه القصيرة ورواياته على السواء ٠

ونجيب محفوظ سياسى بكل نقطة دم تجرى فى عروقه وهو سياسى مصرى بكل خلجة قلب له ولهذا لم يكن عجيبا أن يكون من أعظم من عرفت دراسة للتاريخ المصرى وللتاريخ العالمى لأن مصر كانت دائما على صلة وثيقة بسياسة العالم ٠ ولهذا لم يكن عجيبا كذلك أن يفكر نجيب فى بداية حياته الفنية أن يتناول تاريخ مصر من أوائل التاريخ الفرعونى الى العصر الذى كتب فيه القاهرة الجديدة ولم يقف به الأمر عند التفكير بل انه كتب رواياته الفرعونية الثلاث الأولى ثم حين ألقى نظرة الى ما بعد

ذلك وجد أنه لو أصر على ما يخطط له فانه لن يصل الى ثورة عرابى الا بعد أن يتخطى مائة عام أو أكثر من عمره المديد ان شــاء الله فقفز قفزته التاريخية من كفاح طيبة الى كفاح القاهرة وكتب القاهرة الجديدة وخان الخليلى وسار طريقه الذى نعرفه جميعا اظفاره ناشبة فى قلب الظالمين لمصر وسيفه مشهر عليهم وقلبه ينبض بحب مصر نبضا عالى الرنين أحيانا أو نبضا رامزا أعظم قوى وأعلى صوتا من الأدب الصريح ٠

وربما لا يعرف الكثير أن نجيب محفوظ من أعظم الناس تعمقا فى العلوم وفى تتبع الفكر العالمى الانسانى على مدى التاريخ لا يكتفى بأشخاص العلماء وانما يتعرف فى تفهم أصيل على ما اكتشفوه وما قدموه للانسانية ٠

نجيب محفوظ هو هذا جميعه أو هذا جميعه هو بعض من نجيب محفوظ وقد يكون بين المثقفين من هو مثله ولو اننى أشك فى ذلك كثيرا ٠

ولكن الأمر المذهل أن تجتمع كل هذه الثقافات عند فنان ثم تقرأ له فتجد هذه الجبال الشماء من شتى مناحى المعرفة تختفى تمــاما عند الفنان لا تظهر فى واجهة أدبه وانما هى تقف وراء فنه مثل موسيقى السماء تدركها ولا تسمعها ويتنابض بها قلبك ولا تصك أذنك أو تصدم عينيك ٠

فهو روائيا وقصاصا فنان فقط يعرف قلمه الروائى القصصى طريقه فى شموخ مرتفع شاهق وفى غير ترفع أو تكبر أو تعال على القراء ٠

ونجيب محفوظ هو أعظم معالم تاريخ الرواية والقصة العربية على الاطلاق وقد ألفت عنه الكتب الوفيرة ولست من السذاجة الى درجة أن أحاول ارسال الأدلة على هذا الذى أقول وانما أسوق هذا الحديث الاجمالى المتعجل الذى ينبىء ولا يشرح ويشير ولا يدلل ويجمل ولا يفصل لأتحدث عن مجموعته الأخيرة التنظيم السرى التى ظهرت فى أيامنا القريبة الماضية ٠

ومرة أخــرى لن أحاول أن أرمى بنفسى الى العشــار فأتتبع قصص المجموعة واحدة بعد الأخرى وأكتب ما خالجنى وأنا أقرأ كل قصة فيها وانما قصارى الأمر معى أن أشير الى بعض الشــوامخ التى تزخر بهــا القصة ٠

فالقصة الأولى قصة صوفية وأنا لم أقرأ فى الصوفية ما يجعلنى أدرك كل الادراك ما قصد اليه نجيب محفوظ وانما قرأت فى الصوفية ما يجعلنى أدرك الهمس الذى يشدو به فى أذن القــارىء ٠ وقــرأت فى الصوفية ما جعلنى أدرك كل قارىء لهذه القصة سيخرج منها بنغمة خاصة به وحده وهذه جرأة من نجيب محفوظ يندر بين الكتاب من يقدم عليها ٠ فهو يحادث نفسه وهو يعلم علم اليقين أن نفسه لهــا الى نفوس القراء

مسارب ودروب ومسالك وهو يترك كل قارىء يحسب أن نجيب كتب هذه القصة له وحده .

وأحسب أن قصته ممر البستان تسير مع التنظيم السرى فى نفس الطريقة واذا جاز لى أن أستعمل تعبيرا موسيقيا فاننى أستطيع أن أقول أن اللازمة فى القصتين واحدة وان كان اللحن مختلفا كل الاختلاف .

وبعد فأنا لن أتابع القصص فهى جميعا من أدب نجيب محفوظ وأنا أمام نجيب لا أملك الا الاعجاب وعلى أساتذة الجامعة والنقاد المتخصصين أن يجعلوا كل قصة فى المجموعة على حدة وأنا أيضا لست فى حاجة الى أن أقول من هو نجيب محفوظ وهو أيضا أصبح فى غير حاجة الى أن يسمعها من أحد .

فكما يقول قائل ان القاهرة هى عاصمة مصر نستطيع أن نقول أن نجيب محفوظ هو عاصمة القصة العربية .

ولكن هناك قصة بالذات وقفت عندها مذهولا من هذا الرجل كيف لا ويقف به الارتفاع عند حد كيف يتفوق دائما على نفسه ويبلغ كل هذا السموق .

هذه القصة اسمها فى أثر السيدة الجميلة وتقع القصة فى سبع صفحات من القطع المتوسط القصة هى قصة الانسان على مر العصور كتبها همنجواى فى كتاب ونال عليها جائزة نوبل وكتبها نجيب محفوظ فى سبع صفحات .

أنشأ لها همنجواى محيطا وبحارا ومركبا وحوتا وأقام الدنيا وأقعدها وحظيت باعجاب العالم بحق ثم نالت جائزة نوبل وأصبح العالم كله يعرف العجوز والبحر وبعد سنوات وفى نفس الجيل يأتى نجيب محفوظ ويلقى بعلامة تعجب ضخمة لهمنجواى .

فيم أتعبت نفسك كل هذا التعب كنت تستطيع أن تقول ما قلت وأكثر فى سبع صفحات من القطع المتوسـط وان كنت أنت قد وقفت بالانسان عند شاطىء الحياة الآخر فأنا خضت به هذا الشاطىء والقيته اليـه .

ومع ذلك لم ينل نجيب محفوظ جائزة نوبل ومع ذلك أيضا هو فى غير حاجة لها فان كان لم ينلها من لجنة الجائزة فالذى لا شك فيه أن أجيال الأدب قد أعطتها له فعلا وستظل تعطيها له الى أبد الآبدين .

يا حزب الأغلبية أدرك

الذى أتصوره وأعتقد انه لا خلاف عليه ان القطاع العام وسيلة من أهم الوسائل التى تعود على الدولة بالربح • وقد أصبح القطاع العام فى مصر حقيقة لا معنى لمناقشتها فالذى لا شك فيه أن الاقتصاد المصرى يعتمد اعتمادا ضخما على القطاع العام • وكل محاولة للتشكيك فى بقائه مقضى عليها بالفشل وهو لغو لا يستحق الرد عليه بله المناقشة •

ولكننى قرأت اليوم مقالا للأستاذ الكبير مصطفى أمين يضرب مثلا بالشركة الأهلية للغزل والنسيج ويذكر فيها أرقاما ذعرت لها • ولولا أن الكاتب مصطفى أمين الذى يقدر لا شك مسئولية الكاتب لأخذنى كثير من الشك •

ولن أعرض لصياغة المقالة ولا للتعليق الذى الحق به الأستاذ مصطفى أمين الأرقام التى أوردها •

يقول ان الشركة كسبت فى سنة ١٩٧٥ مبلغ ٤٣١ ألف جنيه وهبطت الأرباح فى سنة ١٩٧٦ أى بعد سنة واحدة الى ثمانية آلاف جنيه ثم فجأة وبعد سنة واحدة تخسر الشركة مائة وعشرة آلاف جنيه وبعد سنة أخرى فى ١٩٧٨ وصلت الخسارة الى ٥٧٩ ألف جنيه ثم ارتفعت الخسارة سنة ١٩٧٩ الى خمسة ملايين من الجنيهات وفى سنة ٨٠ بلغت الخسارة سبعة ملايين وأربعمائة ألف جنيه ثم وصلت فى سنة ١٩٨٣ خسارة الشركة الى ١٦ مليون وتسعمائة ألف جنيه وهكذا بلغت خسائر الشركة فى تسعة أعوام واحدا وأربعين مليونا وثمانمائة ألف جنيه •

ويعلق الأستاذ مصطفى أمين بأسباب سياسية لتحقيق هذه الخسارة الا اننى أنا كمصرى أقف مذهولا ولا أعرف سببا فى العالم سياسيا كان هذا السبب أو اقتصاديا يسيغ لدولة أن ترى هذه الخسائر المتلاحقة ولا تدرك الأمر بالتحقيق • والعلاج الحاسم • فان هذه الأموال ليست أموال أشخاص وانما هى أموال دولة أى أموال شعب بأكمله وللشعب ممثلون فى الهيئات التشريعية وللدولة سلطة تنفيذية ولها سلطة قضائية ولها أيضا ديوان للمحاسبات وفيها أساتذة الاقتصاد وأساتذة الاجتماع وأساتذة القانون •

وللدونة سلطة تنفيذية والسلطة التنفيذية ازاء خسائر مثل هذه وحدة كاملة كلها مسئولة وليست وزارة الاقتصـــاد وحدها ولا وزارة الصناعة ولا أى وزارة أخرى يتصل لها سبب بهذه الشركة ٠

واني أسأل كل فرد فى هذه السلطات وأسأل كل فرد فى الشعب المصرى وأسأل كل فرد فى شعوب العـــالم الأول أو الثانى أو الثالث ولا أستثنى نفسى هل كان من الممكن أن يسكت أى شخص منهم لو أن واحدا على مائة أو على مليون من هذه الخسائر كانت من ماله الخاص ٠

ان مصر هذه ، مصر الجميع واذا لم يقف الجميع بجانبها فالخســارة تحل على أبنائها كلهم لا تستثنى منهم أحدا وفى هذه الكارثة التى تطل علينا تمحى الفوارق بين الأحزاب وننسى جميعا الحزب الوطنى وحزب الوفد وحزب العمل وحزب الأحرار وحزب الشيوعية وتذكر مصر وحدها فالمفروض أن الأحزاب جميعا تسعى الى غاية واحدة هى الخير كل الخير لمصر وان اختلفت بينها الوسائل والطرق والمسالك ٠

ولهذا أصر أن أصيح من هنا ٠٠ انها مصر وان حزب الأغلبية أى أن الكثرة الكاثرة من الشعب وضعت فى أعضائه ثقتها فيا حزب الأغلبية أدرك ويا كل الأحزاب أعينى ولا تشمتى فقد يشمت الانسان فى أى انسان آخر ولكنه لا يشمت فى نفسه ٠

مايو ١٩٨٤/٨/١٢ :

الريح والبلاط

كانت حقيبته خاوية أو تكاد وهو قادم الى القاهرة ولكن وعاء تاريخه كان حافلا بكل الهوان • فقد كان أبوه الوحيد فى القرية الذى لا يستطيع أن يقول انه فلاح • ثم هو لا يستطيع أيضـــا أن يفصـــح عن وظيفته الحقيقية • والقلم أيضا لا يستطيع أن يكتب هذه المهنة فان سنه لم يتعود أن يخط حروف هذه الصنعة متلاصقة • وللقلم مثل الانسان حد يقف عنده لا يعدوه وهو قادر أن يقف بصاحبه حيث يشاء • فان للقلم جفوة لا يملك المسك به الا ان يخشاها فان العلاقة بين القلم وصاحبه لابد أن يسودها الوئام والتوافق والا فويل لكل منهما من صاحبه • فحياة كل منهما تعتمد على الآخر كل الاعتماد • فلا حياة لممسك القلم بغير القلم • ولا حياة للقلم بغير صاحبه •

ولهذا أرانى مضطرا أن أصف لك موقف القرية من العزونى دون أن أذكر المهنة التى يمتهنها •

فكل رجل فى القرية يحرص أن يكون حديثه الى العزونى فى خفية عن الأعين وويل للرجل من زوجته كل الويل اذا هى سمعت ان جملتين من حوار اكتملتا حديثا بين زوجها وبين العزونى •

وقد نشأ حنفى بن العزونى وهو يرى أباه منبوذا من القرية جميعا • قصيا عن أهلها • لا يحادثه أحد منها الا همسا • وفى غيبة كل العيون • وحين كان حنفى طفلا لم يكن يدرك سر أبيه • وحين ذهب الى المدرسة وجد نفسه منبوذا من أطفالها • يعرضون جميعا عنه ويرفضون حديثه اذا توجه به اليهم فرادى أو جماعات • وكان المدرسون أشد قسوة من التلاميذ فى معاملاتهم له • وتعلم القراءة والكتابة وسر أبيه ما زال مجهولا بالنسبة اليه وأصبح الطفل صبيا يملؤه نشاط الصبا ولا مكان لمنشـطه ولا ملعب له مع الأطفال فيجرى فى الحقول لغير غاية ويقف لا يدرى لماذا وقف ويجلس ولا يدرى لماذا جلس • ويقصد الى ملاعب الأطفال فى الأجران فيقف منهم بمرقب لا يجرؤ أن يعرض عليهم المشاركة فى اللعب فقد طالما حاول ذلك فواجهه الصدود والرفض •

وأخيرا اطلع الفتى على سر أبيه . ثم ما لبث ان أصبح أبوه يجعله يقوم بالعمل عنه . وأتقن الصنعة بكل ما يحيط بها من احتقار ومذلة . وخلا بنفسه يوما . كم هو غبى أبو العزونى هذا . ان الصنعة التى يمارسها لا تصلح فى قرية . فالقرية مجتمع مقفل كل شخص فيهـا مكشوف الجوانب للجميع . وعائد هذه الصنعة فى القرية ضئيل الشأن . فأى معنى اذن لبقاء أبيه فى هذه القرية . ربما قال أبوه لنفسه انه فى القرية محقور الشأن ولكنه أيضا يعرف زبائنه وسيصبح من العسير عليه أن يتعرف على زبائن فى المدينة والمهنة تقوم على معرفة رغبة عند قوم تجد قبـولا عن قوم آخرين . فمعرفة أصحاب الرغبة وأصحاب القبـول هى أساس المهنـة . وهذا يصحب رأس ماله الضخم هذا الى المدينة . فهناك ينماع احتقاره فى تيارها وأمواجها الصاخبة وهناك كل انسان له شأن يغنيه . وهناك لا يسعى كل انسان الى معرفة أسرار الآخرين . وان حاول فنصيب محاولته ــ أغلب الأمر ــ الفشل والاخفاق .

لقد ذهب حنفى مرات الى القاهرة . وأقام فيها عند خالته فوجدها لا تدرى عن مهنة أبيه فى القرية شيئا . وجد زوج خالته يجهل شأن أبيه كل الجهل . وقد انساب حنفى فى الجموع وعرض صداقاته على الجلسـاء فى المقـاهى فما وجد اعراضـا وما صـده رفض وما سأله احد ما صناعتك أو صناعة أبيك . وعرف حنفى فى القاهرة مكتبات سور الأزبكية واشترى ألف ليلة وليلة وقصص عنترة وأبو زيد الهلالى سلامة والأميرة ذات الهمة ولم يرتفع مستواه الى أعلى من ذلك .

وصحب هذه الكتب الى القرية وانغمس فيها يكب عليها فى الأوقات التى لا يقوم فيهـا بعمل أبيـه . ومن الطبيعى أن تكون أوقات القراءة متطاولة متسعة لأن أوقات العمل بطبيعتها ضئيلة منكمشة .

وهكذا لم يكن غريبا أن ينكر على أبيه بقاءه فى القرية . ولم يكن عجيبا أن يصحب حقيبته وليس بها الا شبه ملابس ويتجه الى القاهرة .

ذهب الى خالته . وأدركت أنه ينوى الاقامة . وفدحها الأمر . وأدرك انه غير مقبول . وان الترحيب الذى كان يجده فى زيارة يومين أو ثلاثة أو أسبوعا لن يجده فى اقامة غير نازح .

ونزل الى الطريق يحس انه بالصنعة التى أتقنها وتلقاها عن أبيه أقوى الناس جميعا . ومن يستطيع أن يبارى منعدم الكرامة فى القوة والمنعة .. ان الناس ــ سائر الناس ــ لديها بقية من حياء أو اثارة من خشية ان تذل لهم كرامة أو يوجه اليهم سباب . ولكنه هو بما وهبته صنعته وصنعة أبيـه وبما احتقره الناس جميعا فى مأمن كل مأمن أن

يستطيع أحد النيل من كرامته فلا كرامة له حتى تنال • أو الغض من شأنه فلا شأن له حتى يغض منه انسان •

ذهب الى مقهى وجلس اليها ولاحظ ان الباب المجاور للمقهى مفتوح على مصراعيه يلفظ الناس ويبتلعهم لا يمل فهو فى حركة دائبة وفى شغل شاغل ، ترك كرسيه ونظر الى اللافتة المعلقة بجانب الباب « مجلة الفنون والسياسة » تقدم الى رجل جالس على دكة بجانب الباب :

ـ الا تحتاجون لعمال ؟

ـ أى نوع من العمال ؟ •

ـ أى نوع تريد ؟

ـ هل تجمع الحروف ؟

ـ أتعلم ••

ـ ومن سينتظرك حتى تتعلم •

ـ أنا خدام نعليك ، أى شغلة وأجرك عند الله •

ـ تسمع الكلام •

ـ قبل ان تقوله •

ـ تعمل قاهيا ؟

ـ وأقل من ذلك نعمة •

ـ تعرف كيف تعمل القهوة ؟

ـ والشاى •

ـ ادخـــل ••

وعمل قاهيا بالجريدة • وما هى الا أيام حتى أتاحت له مهارته أن يمارس صنعته وصنعة أبيه ، وما هى الا شهور حتى فرض نفسه كاتبا بعد ان أصبح يملك فى يديه أسرار كثير من المحررين والمحررات أيضا وما هى الا شهور أخرى حتى أصبح على صلة بسلاطين العصر ومارس معهم الصنعة التى يجيدها • وكبر شأنه وطغى وتجبر وأصبح هو وحده من يتحكم فى الجريدة وكان أول شىء صنعه أن طرد البواب الذى مكنه من الدخول الى الجريدة •

وتغير العهد ووجد حكام العهد الجديد مخزيات تدور حوله تتصل بالأمانة أول ما تتصل ووجدوه أيضا قد تآمر على سلامة الدولة وقبضوا عليه ومثل أمام المحققين فكان أول شيء قاله :

ـ ماذا يأخذ الريح من البلاط ؟

ـ انت أمام النيابة ولست فى كباريه ·

ـ أنا لم أقل شيئا ·

ـ فما هذا الريح والبلاط ؟

ـ يا بك أنا أسفل انسان فى الدنيا وليس يهمنى أى شيء ممكن أن تحكموا به · المؤكد اننى لن أشنق لأننى لم أقتل أحدا ·

ـ بل قتلت ·

ـ أنـا ؟!

ـ قتلت كرامة مهنة المفروض أن تكون أشرف مهنة ·

ـ هذا الكلام لو كان عندى شرف · ومن أين · أنا يا بك مهنتى هى قتل الشرف · ولما كان الشرف معنى وليس شخصا فلا يمكن أن تكون العقوبة هى الاعـدام · وما دمتم لن تطالبوا باعدامى فافعلوا بى ما شئتم ليس شيء فى الوجود يستطيع ان ينال منى ·

لم تجد النيابة شيئا تستطيع أن تفعله · فوكيل النيابة الذى كان يحقق معه قديم · ومر به من المتهمين أنواع وأنواع ولكنه لم ير فى حياته مثل هذا الشيء الذى يقف أمامه ·

فى قرف شديد وجه التهمة · وصدر الحكم · وسجن حنفى العزونى وخرج من السجن كأنه لم يدخله · فان يكن السجن تأديبـا وتهذيبـا واصلاحا · فهو كذلك لبنى آدم الذين مر الشرف ببيوتهم أو عرفوا الكرامة فى يوم من الأيام أما حنفى العزونى فبلاط وهيهات لرياح العالم جميعا ان تنال من البلاط شيئا ملحوظا · ولكن فى يوم من الأيام ومع كثرة مرور الرياح لابد أن يصبح البلاط رمادا هشا عدما من العدم فمهما يكن البلاط قويا بحقارته فان الحياة أقوى بسموقها ·

الأهرام ١٩ أغسطس سنة ١٩٨٤ م :

الخـداع الحبيب

شاهدت فى لندن مسرحية تدور أحداثها حول زوجة تحب صديق زوجها الذى يعمل كاتبا للمسرح والتليفزيون ٠ ولا يجد الزوج مفرا من ترك زوجته ويتزوجها الصديق الكاتب ٠ والزوجة نفسها تعمل ممثلة ٠ وموضوع المسرحية يتناول هذه العلاقة مع علاقات آخرى جانبية وان كانت مؤثرة فى أحداث الرواية ٠

والموضوع فى ذاته ليس جديدا كما ترى ٠ ولكنك تعلم ـ لا شك ـ أن الفن توقف عن اعطاء الموضوعات الجديدة منذ قرون وانما الجديد فيه هو التناول وقديما قال عنترة العبسى فى الجاهلية « هل غادر الشعراء من متردم » فاذا كان الشاعر قد يئس منذ خمسة عشر قرنا من الزمان أن يجد معنى جديدا فكيف يمكن أن نتصور وجود موضوع جديد فى أى عمل أدبى بعد مرور كل هذه القرون وبعد أن وجدت أيضـــا الميادين الجديدة من مسرحية الى رواية الى قصة قصـــيرة لم يكن الأدب العـــربى يعرفهـــا ٠

فليس عجيبا اذن أن يكون موضوع المسرحية التى أروى لك عنها قديما وانما أردت أن آكتب لك عن طريقة التناول فقد يخيل اليك اذا شاهدت المسرحية أنك تشاهد حياة حقيقية تجرى فى مألوف أيامنا ٠

والممثلون يقومون بأدوارهم وكأنهم يتكلمون فى حجرات بيوتهم ٠ هذا أيضا ليس جديدا ٠ ربما كان الجديد بالنسبة لى هو الطريقـة التى يغيرون بها المناظر ففى لحظات أو أقل تكون المناظر قد تغيرت فى سهولة ويسر معتمدة اعتمادا كليا على الكهرباء ٠

وما كان هذا جميعا يدعونى أن أجشم نفسى عناء الكتابة وأجشمك عناء القراءة ٠

وانما أعجبنى حوار فى المسرحية بين الممثلة الزوجة وبين المؤلف بعد أن أصبحت زوجته ٠

ويدور هذا الحوار حول موقف الكاتب من كتاب عصره الذين يكتبون فى نفس الميدان الذى يكتب فيه ٠ ويتصاعد هذا الحوار بين الاثنين بصورة

طبيعية ولكنها تتسم بالعمق والصدق الى حد بعيد وكم كنت أتمنى أن يكون النص بين يدى لأنتبه اليك ولكن ربما كان أجدر بى وبك أن نلقى نظرة الى المعنى العام الذى يتطور اليه فمؤداه أن كل كاتب يعتقد أن أسلوبه هو الأسلوب الأعظم ولكن الأدهى من ذلك والأسوأ أنه يعتقد أن كل الأساليب الأخرى التى يكتب بها زملاؤه لا تصلح للتعبير عما يريدون قوله للقراء ٠

ويقول الكاتب لزوجته ان الكتابة أشبه شىء باصابة هدف كرة بمضرب مصنوع خصيصا من الخشب ٠ والكاتب هو الذى يصنع هذا المضرب ويصنع أجزاءه الواحد بجانب الآخر فى مهارة فائقة وفى صبر وفى عناية بكل قطعة صغيرة من هذا المضرب حتى يكون واثقا أنه حين يضرب به الكرة ستصيب المكان الذى أراده لها ٠ وتقول له زوجته وكيف عرفت أن الكتاب الآخرين لا يقومون بهذا الجهد من وجهة نظرهم هم فكما أن كل لاعب له طريقة فى ضرب الكرة فكذلك كل كاتب له طريقته فى كتابة مسرحيته وليس من المعقول أن تظن أن المسرحية أن لم يكتبها كاتبها بالطريقة التى تكتب بها أنت فهى لا تستحق أن تخرج الى الناس ٠ وقد بدأ هذا الحديث بينهما بمناسبة تعليقه على مسرحية لزميل له تقوم هى بتمثيلها ولهذا تجده يصف كاتب هذه المسرحية بأنه لا يعرف أصول اللعبة وأنه لم ينضج ولا ينتظر أن ينضج لأنه لا يقوم بالجهد الذى ينبغى عليه أن يقوم به وتقول له زوجته من أين عرفت الجهد الذى بذله حتى تحكم عليه ٠ انما أنت كاتب يخيل اليك أن الكتاب الآخرين ان لم يجعلوا منك مثلهم الأعلى فهم ليسوا كتابا واذا جعلوا منك مثلهم الأعلى وهذا مستحيل طبعا ستصفهم بأنهم يقلدونك ويسألها الكاتب أليس طبيعيا أن يكون كل كاتب راضيا عن الاسلوب الذى يكتب به فتقول بل لابد أن يكون راضيا بشرط الا يرفض الكتاب الآخرين ٠

وأخرج من هذا الحوار وأنا معجب لهذه الدقة التى تحراها المؤلف فى وضع الكلمات على شفاه شخوصه ٠ وانتبه الى أن القراء أعظم خبرة فى القراءة من كثير من الكتاب ولا أقول من كل الكتاب ٠ فالقراء بنظرتهم يدركون المزايا والعيوب التى يتسم بها كل كاتب ويحبون كتابهم بمزاياهم وعيوبهم على السواء أو يرفضونهم اذا لم تلتق أذواقهم بالأسلوب الذى يكتب به بعض الكتاب ٠

وهذا التنوع فى المذاق هو الثراء الحقيقى للأدب ٠ فلو ان القراء جميعا كانوا بذوق واحد لما وجد فى أدبهم الا أديب واحد فى كل فن من الفنون فلن يوجد الا شاعر واحد ومسرحى واحد وروائى واحد وقصاص واحد ، ولن يبلى أدب بأسوأ من هذا أبدا ٠ انما جمال الأدب أن يكون

كل أديب فيه بمذاق خاص · واحسب اننى نفسى من هؤلاء الكتاب الذين يعجبون بأدب غيرهم مع أننى أعرف اننى صاحب أسلوب خاص بى لا يشاركنى فيه أحد · وليس هذا فضلا ولا هو عجيبة فكل كاتب كان قارئا قبل أن يكون كاتبا · وقد تكونت عندنا حاسة القراءة قبل أن نتجرأ على الكتابة · ولست وحدى بين الكتاب الذى يتمتع بقراءة الآخرين من زملاء فنه · بل ان كل أديب كاتب استطاع أن ينجو من الغرور والشعور بالتفرد بالقمة يستطيع أن يجد المتعة التى نجدها عندما نقرأ للآخرين · واننى أعتقد أن خبرة الكاتب تمكنه أن يضاعف متعته اذا وجد فيما يقرأ ما يعجب به · وهى أيضا وفى نفس الوقت تجعل غضبه أكثر حدة وعنفا اذا وجد مالا يرضى عنه ·

والكاتب · حين يقرأ يعمـــل · والقـــارىء حين يقرأ يتمتع وهذه ضريبة فرضها علينا عملنا فى ميدان هذا الفن الذى يغدق علينا ألوانا من المتعة الروحية والذى يقسو علينا فى كثير من الأحيان بألوان من العذاب لا يعرفها غيرنا · وقد يقول قائل ان لكل عمل فى العالم متعته وعذابه · وهذا حق · ولكن هذا القارىء لو عرف الجهد الذى نبذله والشقاء الذى نلاقيه فى معالجة الفكرة وملاحقتها والاحاطة بها والتعمق فيها ثم فى محاولة تقديمها فنا خالصا للقارىء يستقبلها فى استمتاع أحيانا او فى سخط أحيانا أخرى · لو عرف القارىء هذا الجهد لعلم أن شعورنا الذى نحس به أننا قلنا شيئا يستحق ان يقرأ شعور نعتبره نحن كل جزائنا ونسعد به غاية السعادة · لعلم أن هذه المهنة التى اختارها لنا المولى جل وعلا فيها من البذل أكثر بكثير مما ينال منها صاحبها لو كانت المقاييس فى الحياة قوامها المادة وحدها ·· أما نحن فنحمد الله أن الموازين عندنا فى نفوسنا أبعد ما تكون عن الحياة المادية · ونحن أعلم الناس أننا فى هذا نخادع نفوسنا ولكن من رحمة الله بنا أننا أسعد الناس بهذا الخداع ·

الأهرام ٢٦ أغسطس سنة ١٩٨٤ :

طلب عاجـــل

رأيت فى لندن مسرحيتين كنت أحب أن أكتب لك عنهما فقد أثارتا فى النفس كثيرا من المشاعر هى خليط من الاعجاب والأسى ومن السعادة والحزن وحين تهيأت للكتابة جاءنى فى الفندق الذى أقيم به صديق يعمل بالفندقة فتركت الكتابة وراح الحديث يجرى بينى وبين الصديق القديم •

وكان طبيعيا أن يسوق الحديث نفسه الى كثرة أخواننا العرب فى لندن فهى كثرة فادحة كنت قد سمعت عنها ولكن ليس من رأى كمن سمع فالذى شهدته أكثر بكثير مما سمعت به وأكثر بكثير مما تصورته •

أنهم فى كل مكان •• حيثما تقصد ستجد منهم جموعا حاشـــدة تعرفهم بسماهم اذا لم يتحدثوا وتعرفهم بملابس الســـيدات اذا كانت السيدات بصحبتهم • هناك ثلاثة أمكنة لم التق فيها بعربى واحد •

أولا : المسرح •• وقد ذهبت الى مسارح عديدة فى لندن وانى لعلى يقين كامل أننى فى كل المسارح التى قصدت اليها لم أر عربيا واحدا ولا سمعت كلمة عربية واحدة •

وأما المكان الآخر فهو المتاحف فهى أيضا خالية من اخواننا العرب تمـــاما •

وأما المكان الثالث فهو المكتبات فهى أيضا خالية تماما من زوار لندن العرب • حتى مكتبة الأخ الصديق الأستاذ محمد المعلم الحافلة بالانتـاج العربى والاسلامى لم أصادف فيها أحدا من العرب • ولقد مكثت بها قرابة الساعة • ولكن ربما كان هذا من قبيل الصدفة فالأستاذ المعلم عالم فى فن النشر والمكتبات ولو لم يكن له زبائن ما فتح هذه المكتبة العظيمة فى قلب لندن وليس فى هذا الذى أرويه لك مأخذ على أخواننا العرب • فهم فى لندن فى أجازة ومن حقهم على أنفسهم أن يمارسوا أجازاتهم بلا محاولة للاطلاع على المسرح أو المتاحف والمكتبات •

وان بعضا منهم أيضا جاء للاستشفاء • وان من حقهم على أن أذكر اننى رأيت مع الشباب كثيرا من الأمهات اللاتى يرتدين الملابس العربية التقليدية • وهذا الوفاء للأمومة هو فى ذاته أمر جدير بكل اكبار وتعظيم •

وان كان الجيل الماضى فى دول البترول قد فاته أن يتعلم اللغات الا أن : ذواقة للشعر من الطبقة الأولى ٠

عسير على أن أذكر الأمثلة ٠ ولعلك فى دهشة من أمرى اليوم ما الذى يدعونى الى هذا الحديث ولو صبرت نفسك بضعة أسطر أخرى لعلمت أننى قلت ما قلت لك اعتذارا عما رواه لى الصديق الذى يعمل بالفندقة والذى شرفنى بالصحبة وأنا أتهيأ لكتابة هذا المقال ٠

لقد روى عجبا ٠ قال ٠ دق جرس التليفون بمكتبى بالفندق الذى أعمل به واذا المتحدث نزيل عربى من أصحاب الثراء الواسع وقال :

ـ أريد عشرة آلاف جنيه استرلينى جميعها من ذات الجنيه الواحد٠

وذهلت للطلب وقلت له ٠

ـ ولكن هذا أمر غير ميسور التحقيق فور طلبه ٠

ـ ولهذا كلمتك فأنت تذلل جميع الصعاب ٠

وصمت لحظات وقلت فى نفسى ربما أراد الثرى العربى أن يوزع على العاملين بالفندق جميعا هبات من ذات الجنيه الواحد وان من واجبى أن أسارع بتلبية طلبه حتى لا أمنع خيرا سيعم على العاملين جميعا ٠ وقلت له ٠

ـ أعطنى نصف ساعة ٠

ـ لك هذا ٠ ولكن أسرع بربك ٠

وتعجبت من العجلة وساورنى فى موضوع الهبات بعض الشك فالهبة تستطيع أن تنتظر أكثر من نصف ساعة لا شك وهى حبيبة الى من ينالها فى أى وقت ينالها ٠ ولكننى راجعت نفسى وقلت لعله نذر يحب أن يوفيه فى موقته ٠

أرسلت سيارة الفندق الى البنك الذى نتعامل معه وكلمت صديقا لى فى البنك أن يعد المبلغ وأرسلت مع السيارة صندوقا يستطيع أن يتسع لهذا المبلغ الضخم ٠

وجاء المبلغ فى موقته وكلمت الثرى العربى وبشرته بتحقيق رغبته ٠ فقـال ٠

ـ اصعد مع الصندوق فانك سترى ما لم تر فى حياتك وما أعتقد أنك لن تراه أبدا ٠

ـ أنا آت مع الصندوق ٠

ودخلنا الغرفة ووضع الحمال الذى معى الصندوق الى جانب الثرى وانصرف ٠ وقال الثرى ٠

ـ أقعـــد ٠

فقعدت ووجدت معه صديقا عربيا ثريا آخر ٠ ووجدت بجانبـــه صندوقا آخر وبالصندوق أوراق من ذات الجنيه الاسترلينى قريبة العدد مما أحضرته من البنك فى نصف الساعة وحين استقر بى المجلس قال الثرى العربى ٠

ـ سترى عجبـــا

قلـت

ـ خيرا

ـ ان بهذا الصندوق الذى بجوار صديقى عشرة آلاف جنيه مثل التى تفضلت باحضارها ٠

ـ عظيـم

ـ فكرت أنا وصديقى أن نشرب أنا وهو وأنت أغلى فنجان قهوة فى التاريـخ ٠

فكدت أفهم ولكن عقلى أبى أن يصدق ٠ وأكمل الثرى العربى ٠

ـ سنحرق هذه الآلاف العشرين من الجنيهات الاسترالينيـة تحت كنكة قهوة بها ثلاثة فناجين واحد له والثانى لى والثالث لك فتكون قد شربت أغلى فنجان قهوة فى التاريخ ٠

قاطعت صديقى قبل أن يكمل وصرخت صرخة روعت الجالسين فى القاعة وأنا لم أصب فى حياتى حتى الآن برصاصة فى جسمى ولكننى أشعر اننى لو أصبت بها ما صنعت بى هذا الذى صنعته رواية صديقى ٠ وحين امتلكت أمر نفسى أكمل صاحبى قصته وان كانت قد انتهت لم يبق منها الا أن صاحبى قال لهذا المخترع العظيم الذى أستحدث بعبقريته أغلى فنجان قهوة فى التاريخ ٠

– أسمح لى يا سيدى · هذه قهوة لا تسمح لى انسانيتى أن أشربها ·

وانصرف صديقى · ولهذا اكتملت قصته جميعا ·

وبعد فأنا رجل صناعتى أن أعلق على الحياة ولكن ما أحسب أن أحدا من صناعتى مهما يكن مالكا لقوة التعبير وثراء الكلمة يستطيع أن يعلق على هذا الذى رواه لى صديقى وروايته لكم الا أن نسأل الله لقومنا الهداية فهو سبحانه وحده على ذلك القادر جل شأنه ·

الأهرام ٩/٥ سبتمبر سنة ١٩٨٤ :

بل يرحمك أنت

عائد الى القـــاهرة وفى جعبتى أحاديث عن مشاهداتى خارج مصر فاذا بى أجد جريدة الأخبار تطالعنى بمقالين جعلانى أتــرك ما فى الجعبة لشأنه وأنظر شأن هذين المقالين ٠

أما المقال الأول الذى حتم على أن أكتب فيما لا أحب ان أكتب فيه فهو مقال الشتام المحترف ، الكاتب الكبير سابقا جلال الحمامصى ٠

وقد أردت أن أقدم الحديث عنه على رغم انه متأخر فى النشر عن المقال الآخر ٠ وذلك لأن الشتام المحترف تطاول على اتحاد الكتاب ذاته ولست أدرى كيف سولت له نفسه أن يهاجم اتحادا يضـم جميع كتاب مصر ويبلغ عدد أعضائه السبعمائة ٠ لكن يبدو أن الشيخ خرج عن وقاره وفقد الحس الصحفى لما وجد نفسه يشتم الناس كل يوم ولا يعيره أحـد التفاتا ولا يحفل انســان بشـأنه وقد كنت خليقا أن أصنع صنيع الناس وأسقط أمره مع ما نسقط من تافه الأمور وهين الكلام لو أنه تطـاول على وحدى ٠ فأنا كشخص أستطيع أن أقبل هذا لأننى أعمل بالحياة العامة ومن شاء له الله أن تكون هذه صناعته فعليه أن يتحمل السخيف من الحديث والتافه من القول ٠

أما ان يزين له اهتزاز الفكر ان يتناول اتحاد الكتاب جميعا فأمر أنا لا أملك السكوت عليه ٠ حتى وان كان الصحفى أصبح شتاما محترفا يشتم ذات اليمين وذات اليسار وذات المغرب وذات المشرق وهل أدل على ذلك من أنه أقام من نفسه شيخ طريقة فى زفة الكاتب الشيوعى يوسف ادريس الذى وصف حرب ٧٣ بشهدائها ودماء مصر التى أريقت فيهــا وبما حققته من نصر هو المعجزة بأنها تمثيلية ٠ منذ متى أصبح الحمامصى شيوعيا ونحن نعرف سيرته جميعا وشهدناه فى أغلب مراحل حياته يمينيا متطرفا ٠ حتى حين فشا طاغوت الشيوعية رأيناه مختبئا فى جحر مذعورا هالعا فى سراديب الأهرام لا يجرؤ أن يصدر عنه حرف من كلمة حتى وان كان همسا بينه وبين نفسه حين كنا نحن نضع رؤوسنا على أكفنا ونكتب ما كتبنا ٠ ثم هو يتجرأ اليوم فيرمينى أنا اننى أتقرب لوزير ٠

أيها الشيخ ، اذا كنا لم نتقرب للطغيان بذهبه وجبروته والعهد قتل واعتداء على الأعراض والأنفس والكرامات أنتقرب اليوم لأحد والعهد سلام وأمن وطمأنينة انك أنت الذى تريد أن تقيم من نفسك بطلا ، ولكنك تعلم انه الزيف بذاته ما تصنع ، فلن يمسك اليوم مكروه فانت اليوم من حضن القانون فى سلام أمين ،

فما هذا المولد الذى تقيمه ليوسف ادريس ، ولقد شهدنا الموالد لأولياء الله الصالحين وللعارفين بالله تقام لأسبوع أو عشرة أيام فما لمولد الشيوعيين لاينفض ومالك يا أستاذ جلال قد اخترت لنفسك أن تصبح شيخ المولد وزماره ورواده والمحتفلون به وخليفة المولد كلهم ملحدون ، وشيوعيون ،

مالك تفعل ذلك الا أن تكون أصبحت شتاما محترفا تحارب لحرب الحرب بأمل سخيف ان تجعل من نفسك بطـلا فى غير مكان أو زمـان لبطـولة ،

ولقد كتبت لك قبل اليوم ان اتحاد الكتاب لم يتحرك حين قامت الأعاصير على أعظم كاتب فى العربية اليوم وكان حينئذ رئيس اتحاد الكتاب أستاذنا وأستاذ الأجيال توفيق الحكيم ،

الاعتداء على حق أدبى له ، ولغير ذلك لا يتحرك العملاق الذى يضم أكبر كتاب الجيل مع شباب الأدباء وأساتذة الجامعات وعلماء الأدب ، ان هذا البناء الضخم الذى قلت عنه يرحمه الله لا يهتز الا لما يتفق وجلاله وضـــخامته ،

بل حتى لا يهتز لهجومك عليه ولا حتى لكلمتك التى ختمت بهـــا مقالك بما تحمل من اشارات غاية فى الحقارة وسوء القصد ،

أطلب من الله ان يرحمك أنت فأنت فى حالك التى صرت اليهـــا أحوج للرحمة من اتحاد الكتاب الذى يستظل بروح الله سبحانه وتعالى والذى يواجه القادم اليه مسجد يذكر فيه اسم الله وتقام فيه الفروض ،

فالاتحاد فى غير حاجة لدعائك ، وأنت فى أشد الحاجة لدعاء قرائك الأقدمين والمحدثين جميعا ، أجل يرحمك الله ،

أما المقال الثانى فهو لصاحب المولد ، أو الزفة ،

فقد تفضل الدكتور يوســـف ادريس فشتمنى وأنا أعتبر المذمة الآتية من الدكتور يوسف ادريس شرفا لا أستحقه ناظرا الى بيت المتنبى الذى قال منذ ألف عام شارحا فيه هذه القضية ، وأنا أحفظ البيت كما يحفظه من يعرف العربية ويستطيع الدكتور يوسف ادريس أن يســأل

عنه أي صديق له يتكلم العربية وسيروى له البيت أما أنا فلن أروى البيت لأن مدح النفس مستحب من الشعراء بغيض الى الناس اذا جاء من غيرهم ٠

وهكذا كنت خليقا ان أغضى عينا عن مذمة الدكتور يوسف مطمئنا انها منه هو مديح ٠

ولكننى عجبت لكلمة جاءت فى مقاله والعجب من الدكتور يوسف أمر أصبح غير جائز فكل شيء منه طبيعى متسق مع ما يعرفه عنه الجميع فالأمر الذى يدعو الى العجب منه لابد ان يتفوق فيه على نفســـه فى غير المعقول ٠

قال الأستاذ الدكتور يوسف ادريس اننى أحقد عليـــه وتلك هى الجديدة التى طالعنا بها الأستاذ الدكتور يوسف أدريس ٠

فأى شيء وأى خصيصة من خصائصه تدعو أى انسان مهما يكن صغير الشأن هين النفس أن يحقد عليه ٠ أنا لا أتصور ان الدكتور يوسف ادريس يمكن أن يثير حقدا فى نفس أى انسان فى العالم ٠

وأنا أعلم ان الدكتور يوسف ادريس مغرور الى درجة يعتبر معها انه فريد فى غروره وحيد فى هذا الباب لا يقاربه فى ذلك أحد ٠ وأنا أعرف انه منذ بدأ حياته يجهد نفسه غاية الجهد ويحرج أصدقاءه الصحفيين كل الحرج لتنشر أخبار عنه دون ان يسمح حتى لهؤلاء الأصدقاء من الصحفيين ان يتحققوا مما يرغمهم على نشره ٠

واعلم انه أحرص ما يكون الانسان الجريء ان يكون القمر فى كل جريدة والنجم فى كل حفل والبؤرة فى كل عين ٠

واعلم أنه أحرص ما يكون الانسان أن يكون عريس كل زفة حتى ولم تكن فى يمينه عروس من عمل أدبى أو فكرى ٠٠

أعلم هذا جميعا ومع ذلك عجبت كل العجب أن يتصور انه يثير حقدا فى نفس أى انسان ٠ وحين قرأت هذا قلت أبحث فى نفسى لعل حقدا داخلها فأنا أعرف اننى لم أحقد قط على انسان مهما تكن شهرته أو جاهه أو ثروته أو نجاحه وأحسب اننى وقد بلغت ما بلغت من السن أصبحت ناجيا من هذا الداء ٠

الأهرام ١٩٨٤/٩/٣٠ م :

المسرح عندنا وهناك

ذهبت الى مسرحية فى لندن ما كدت أمضى فى مشاهدتها بعض الوقت حتى خطر لى خاطر يدعو الى الدهشة والعجب . أما ان هؤلاء الانجليز متأخرون فى فن المسرح الى درجة تدعو الى السخرية والاستهانة . واما ان العمالقة القائمين على المسرح عندنا يعيشون فى عالم مسرحى آخر غير الذى يعيش فيه أئمة المسرح العالمى . والحقيقة اننى حرت أى الفرضين أولى بالثقـــة .

أما ان الانجليز فى عالم المسرح متأخـــرون ويدعون الى السخرية والاستهانة فالأمر يحتاج الى تفكير كثير . بل ان مجرد الحديث عن هذا الأمر يعتبر جرأة لا تجوز . فهؤلاء القوم منهم شكسبير أعظـم الشعراء المسرحيين وهؤلاء القوم نشأ المسرح على أرضهم منذ قرون وقرون . وهؤلاء القوم لا يمر عليهم يوم دون ان تكون فى بلادهم عشرات المســارح تقدم مختلف المسرحيات من شـــتى مذاهب وشتى الأفكار .. وهؤلاء القوم يعتبرون الثقافة . والثقافة المسرحية والروائية بالذات هى فخرهم الأصيل الذى يعتزون به ويتفاخرون أكثر من تفاخرهم بأنهم كانوا الى ما قبـل الحرب العالمية الثانية الامبراطورية الأولى فى العالم التى لا تغيب الشمس عن الدول التى تحتلها .

فالفرض بأنهم متأخرون يحتاج منا الى وقاحة نعيذ أنفسنا ان نقع فيهـــا .

ولابد أن الفرض الثانى هو الأقرب الى المعقول بدليل أقفار الحياة المسرحية عندنا . لا نشاهد من المسرح الرفيع الا التصريحات والمهرجانات والندوات واللافتات المقامة على الفراغ . ويطمئن بنا الحال الى هذا فمادام المسئولون يصرحون وما دامت الجرائد تنشر المسرح قادم لا شك فى قدومه وكأنه جودو الوهمى ـ ما دام الأمر كذلك فالمسرح اذن قد قام والنصوص اذن أخرجت والممثلون قد مثلوا والمشاهدون قد شاهدوا .

والغريب يا أخى الغريب . ان عشرات المســارح تعمل فى لندن وحدها غير المسارح المنتشرة فى طول البـــلاد الضخمة وعرضها دون أى تصريحات حكومية عن هذه المسارح .

والأغرب يا أخى ان انجلترا ليست بها وزارة مسئولة عن الثقافة المسرح هو بعض اختصاصها ٠

أما المسرحية التى شاهدتها والتى حدت بى الى هذه المرارة التى لا شك أحسستها فى سطورى هذه تجرى أحداثها منذ قرابة مائتى سنة وليس فى هذا شىء يدعو الى الدهشة فقد أكتب موضوعا حديثا غاية الحداثة واختار له زمنا موغلا فى القدم كل الايغال ٠

ولكن الذى حرت فيه ان المسرحية نفسها ألفت ومثلت على مسارح لندن منذ قرابة قرن من الزمان ٠ وهى مع ذلك لا تزال تعاد على مسارح لندن ويقوم الممثل المسرحى العالمى انتونى كويل ببطولتها ٠

وموضوع الرواية من الموضوعات التى عرفها المسرح عندنا قبل الريحانى بأزمان ٠٠ فتاة أحبت سكرتير أبيها وتزوجت منه وحملت ولكن الأب يريد أن يزوجها غنيا مثله وتدور أحداث المسرحية وينتصر الحب ٠

والمسرحية بالغة الوضوح الى حد الطيبة ولا أحب أن أقول السذاجة فاسم الأب المحب للمال سترلنج وكان المؤلف لم يكتف بأقوال أشخاص المسرحية وبحديثه هو عن المال وانما أراد أن يؤكد للمشاهد أنه فى حبه للمال قد وصل حتى ان أباه أسماه استرلينى ٠ والسكرتير اسمه لف ول والاسم ، يوحى بالحبيب المحبوب ٠ فالمؤلف لم يكتف بأن تقع ابنة السيد فى هواه الى درجة الزواج منه وانما يؤكد ذلك أيضا باسمه الذى يلصقه به ٠

وقد كنت جديرا بأن تقول لى ومالهم لا يمثلون ما يشاءون ومالهم لا يقدمون ما يحلو لهم من السذاجة فان أحدا لا يشاهدهم ٠

وأنا معاجلك فمخبرك اننى لم أجد كرسيا خاليا فى المسرح ٠ كما ان اشتراك انتونى كويل فيها وهو من أعظم ممثلى المسرح واشترك فى كثير من الأفلام التى شاهدناها دليل على أنه راض عن النص ٠

وقد تسأل وفيم رضاؤه ؟ ان رضاءه كامن فى هذه المسرحية والمسرحيات التى ألفت معها وعرضت متزامنة لها تمثل فترة من فترات المسرح الانجليزى ٠

والأهم من ذلك انك تجد نفسك سعيدا وأنت تشاهد المسرحية وهكذا يجد المشاهدون الكثيرن أنفسهم سعداء أيضا والا لما أقبلوا هذا الاقبال على المسرح الذى يعرضها ٠ هم سعداء رغم كل التغيرات التى حدثت فى الأشكال المسرحية وفى المذاهب الفنية والذى لا شك فيه ان الفن اسعاد على أى لون له ٠ هو اسعاد حتى وان كان غاضبا متشائما ٠

لأنك ستسعد حينذاك بالفن وبيراعة العرض الفنى سواء كان ذلك فى المسرحية أو القصة أو الرواية ٠

أما فى مسرحيات هذه الفترة فانك ستسعد بطيبة النص وبساطته وكأن النص تلقيه جدة الى حفيدها قبل النوم فاذا اقترنت حكايتها بالاخراج العميق البسيط والتمثيل الرفيع فان المسرحية حينئذ تقفز من مجرد حدوته جدة الى فن سامق يستحق هذا الاعجاب وتسألنى وما شأن هذا بالمسرح المصرى لتعقد هذه المقارنة التى عقدتها فى صدر هذا المقال ٠

الشأن كبير : ان المسرحيين عندنا يقولون اننا نفتقر الى النصوص٠ وأنا أعلم ان هذه دعوى باطلة فقد عملت فترة مستشارا بلجنة النصوص وقرأت أعمالا غاية فى الروعة وكلما ذكرتها ذكرت الآية الكريمة « واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت » أين ذهبت هذه المسرحيات التى أقرتها اللجنة التى كنت أتشرف بعضويتها ، علم ذلك عند علام الغيوب ٠

وأعود الى هذه المقارنة التى عقدتها ٠ وأقول للمسرحيين هاكم فانظروا ٠ أليس فى كل ما قدمه المسرح المصرى من بداية الثلاثينات الى أوائل السبعينات ما يكفيكم من نصوص ٠ أم تراهم سيقولون ان بعض هذه الأعمال نقلت الى التليفزيون ولن يقبل عليها الجمهور وحينئذ أستأذنهم فى أن أخبرهم ان التليفزيون بدأ فى انجلترا لا فى أمريكا وقد تم اختراعه فيها قبل الحرب العالمية الثانية وعطلت الحرب انتشاره ٠

ويقولون ليس عندنا ممثلون يقبلون ان يعملوا فى المسرح لأن التليفزيون والسينما يقدمان من الاغراء المادى ما يجعل قبول الممثل الظهور على المسرح أمرا بعيد الاحتمال ٠

وانى أعجب هل هؤلاء الممثلون الكبار خلقوا كبارا أم هم مثلهم مثل خلق الله أجمعين كانوا أطفالا فصبيانا فشبابا فممثلين كبارا وان كان الأمر كذلك وما أحسبه الا كذلك فلماذا لا يفتح المسرح ذراعيه للخريجين الجدد من معاهد التمثيل ويتيح لهم الفرصة حتى اذا صاروا نجوما واستعصموا بالتليفزيون والسينما ونأوا بجانبهم عن المسرح كان هناك من بعدهم من يقف على المسرح ٠ وسبحان علام الغيوب ٠ قد نجد بين هؤلاء من يعتبر المسرح مكانه الأول ويقدمه عند المفاضلة على المال ولو ان هذا أمر بعيد المنال ٠ ولكننى أحسب ان الممثلين فى لندن وباريس وفى جميع البلاد التى تقدم مسرحا رفيعا يعملون أيضا فى السينما والتليفزيون ٠

وبعد فأنا لست حائرا ٠٠ انجلترا دولة من أعظم الدول تقدما فى الثقافة أما نحن فالافتراض الثانى الذى بدأت به تفكيرى فى هذا المقال هو الأخلق بنا ؟

الأهرام ٧/١٠/١٩٨٤ :

تحديد النسل والأمية

لم أر فى حياتى شيئا أكثر مضيعة للمال والجهد من هذه الحملة الدعائية لتحديد النسل . ولقد أعلم أن هناك هيئة خاصة تشرف على هذه الدعاية وتروجها . ولقد مرت أعوام عدة والدعاية قائمة على قدم وساق ولكن أثرها لايكاد يذكر . فقد عرفت أن هذه الدعاية أنتجت نقصا فى النسل بنسبة تدعو الى الرثاء ولا أكاد أذكرها من فرط تفاهتها وهى على كل حال قريبة من اثنين فى الألف من عدد المواليد لا أدرى فى اليوم أو الساعة . أمر لا يستطيع مثلى أن يفهمه أو يقومه وانما يستطيع أن يدرك بما لا يحتمل المناقشة أن هذه النسبة تعلن أن الدعاية لا أثر لها على الاطلاق .

وأغلب الأمر أن الدعاية التى تهدف الى الاصلاح المالى أو الاجتماعى على المدى البعيد لاتنتج الأثر الذى تنتجه الدعاية التى تبشر بكسب عاجل فنجد الناس يغضبون اذا خصم رئيسهم لهم مبلغا صغيرا من المال ويفرحون اذا جاءهم المولود السابع الذى سيكلفهم قدر ما خصم منهم آلاف المرات . وليس غضبهم عند الخصم غضبا أدبيا انما هو فى أغلب الأحيان غضب مادى ونجدهم يشغلون أنفسهم أياما كيف سيعوضون ما خسروه فى شهرهم هذا ولا يفكرون لحظة من أين سيرعون طفلهم السابع الذى أهل عليهم . ولهم فلسفتهم المتمثلة فى أمثال شعبية كثيرة هم مؤمنون بها دون تفكير منهم فيها أو تعمق لأبعادها :

واعتقادى الراسخ ان الدعاية التى تقوم اليوم لتحديد النسل لو أنها اتجهت الى التثقيف لكانت على المدى البعيد أجدى وأنفع ترى أن الأسرة المثقفة قليلة الانجاب بصورة قريبة من الاجماع وكذلك نجد الدول المتحضرة قليلة الانجاب لدرجة أصبحت معها قلة الانجاب عندهم هى المشكلة لا كثرته كما هو الحال فى الدول التى تفتقر الى الثقافة .

أما العلاج الحاسم الذى أتصوره لمواجهة زيادة النسل فى مصر فيتمثل عندى فى القانون وليس فى الدعاية بأية حال من الأحوال .

أتصور أن يكون التعليم مجانيا للطفلين الأول والثانى ثم يصبح بمصاريف كاملة بعد ذلك .

وأتصور أن تنكمش التيسيرات التى تمنحها الدولة لمحدودى الدخل اذا كثر الأطفال بصورة تدريجية حتى يفكروا بعض الشىء على الأقل قبل أن يكثروا من الانجاب ٠

وقديما كان الفلاحون يرون أن كثرة الانجاب كسب لهم لأن الأبناء كانوا يعاونون آباءهم فى الحقل أما اليوم فالأمر مختلف كل الاختلاف والأبناء أصبحوا قنوات انفاق لا مثيل لها فى كل فنوات الانفاق ومع ذلك فان الكثيرين من الفلاحين لايزالون يرون أن كثرة الأولاد « عزوة » لأنهم نشأوا على هذه المقولة وعسير على الزمن أن يغير مانشأ عليه الانسان ٠

وأتصور ان يمنع التعامل بعد سنتين من صدور القانون مع الفلاح الذى لا يوقع اسمه ويعرف القراءة ٠ وان هذا القانون لو صدر سيجعل اخواننا الزراع يضطرون الى تعلم القراءة والكتابة ٠

وأنا لا أعتقد أن وسائل التعليم عسـيرة أن العسـير هو الرغبة والارادة فليس فى مصر أمى لا يعرف شخصا يجيد القراءة والكتـابة ولو شاء أن يتعلم منه بارادة صادقة لبلغ ما يريد من أقرب طريق ٠ ولكن أذكر ان عاملا عين فى وظيفة غفير وقال له رئيسه وهو يسلمه العمـل لو تعلمت القراءة والكتابة به فستنال خمسة جنيهات علاوة فاذا العامل يقول « أنا كويس كده » وكويس كده هذه هى العقبة الحقيقية التى تقف حائلا بين الأمى وبين التعليم ٠

مايو ٨/١٠/١٩٨٤ م :

القانون هو الأمل

قرأت وأنا فى لوزان بيان السيد رئيس الوزراء وأشـــهد الله أننى سعدت بالجرأة التى اتسم بها البيان فى مواجهة ما تعانيه مصر • فمصر اليوم ومنذ سنوات تحتاج الى ان تواجه الحقيقة التى يعانيها اقتصادها • ومصر هى هذا الشعب وليست الشعارات المرفوعة على فراغ • فالأصوات العالية لا تعنى الحق • ولاتعنى العلاج للأزمة الاقتصادية الطاحنة التى نعانيها • وليس هناك دولة فى العالم تواجه أزماتها بالهتافات • وقد رأينا كيف سارت بنا هذه الهتافات الى طريق مظلم لابد فيه من نور الحقيقة •

فلن تحل الأزمة اذا لم يعرف كل فرد فى الشعب المصرى أننا فى أزمة وليس يجدى فى شىء أن نناشد الناس أن يراعـــوا هذه الأزمة • انما من المحتم أن تكون مواجهة الأزمات الاقتصـــادية بقوانين اقتصـــادية يسنها العلماء الكبار فى الاقتصاد ثم تطبق هذه القوانين فى دقة شديدة وهيهات أن يصدر قانون يرضى كل الناس • ولكن ما أيسر أن يصـــدر قانون يكون حاسما لنفع المجموع العام الذى هو الشعب المصرى •

وكم أضحك كثيرا حين أجد هذا الحديث الذى لا ينتهى عن الدعم• وكل الذين يحاولون أن يتملقوا الجماهير يصيحون أنه لابد للدعم أن يبقى وليس غريبا أن يجدوا عند الناس أو بعض الناس تجاوبا ، لصياحهم هذا!•

وأنا أضحك لأن هؤلاء الذين يكتبون وأولئك الذين يميلون معهم ويصيحون خلفهم جميعهم ينسون أن هذا الدعم من أموال الشعب وليس من أموال رئيس مجلس الوزراء أو الوزراء •

أن الدعم معناه أن الشعب يدفع للشعب • وحين تطـــرح قضية الدعم فانما يقصد بهذا أن يكون الانتفاع بما يدفعه الشعب من دعم أكثر شمولا وأعم خيرا • فكيف يقوم فى الأزهان أن ينتفع بدماء الشعب العامل الذى يجهد أغلبه ليجد قوت يومه قوم لديهم سيارة أو سيارات وتليفزيون أو عدد منها وفيديو أو أكثر • ويصطافون فى أغلى أماكن العالم ويعرفون الأسـعار العالميـــة والى أى مرتفع بلغت ثم هم فى مصر يأكلون العيش مدعوما والسكر مدعوما والزيت مدعوما والسجائر مدعومة •

الا فليعلم كل هؤلاء القادرين أن الذى ينتفعون به من الدعم انما هو دماء أخوانهم من أبناء الشعب المصرى ·

وأنه لعجيب غاية العجب أن يقبلوا هذا على أنفسهم ، الا أننا لا نستطيع أن نوجه اليهم اللوم حيث أتيح لهم أن يمتصوا من دماء الشعب أموال الدعم هذه ·

وكذلك الأمر بالنسبة للعمال الذين لايعملون لن تجدى معهم الخطب ولا الشعارات ولا الدعاية · وانما يجدى شيء واحد فقط وليس غيره · هو الثواب والعقاب · فينال المحسن مقابل احسانه ويلقى المسيء جزاء اهماله قد أجمع علماء الاحصاء والاقتصاد فى العالم على أن العامل المصرى أقل العمال انتاجا في العالم تقريبا · وأقر فى نفس الوقت أنه من أمهر عمال العالم · فهو اذن يعرف كيف يتقن عمله ولكنه يكسل أن يقدم اتقانه لنفسه ولبلده مكتفيا بما ينال مستغلا كل الثغرات فى قوانين صدرت كيفما اتفق حاصلا على كل الاجازات التى يسمح بها القانون والتى لا يسمح بها وهى تتجاوز ثلث العام ·

ولن ينجح الاقتصاد المصرى الا بقوانين تجعل الانتاج المصرى فى المستوى الذى تستطيعه مصر ولا نطالب بأكثر من ذلك وما ذلك بقليل ·

وبعد فقد أحزننى فى بيان رئيس الحكومة شحوب البرنامج الثقافى فى البيان ومشكلات الثقافة لا حصر لها منها مشكلات الكتاب والمكتبات ومشكلات المسرح والرقابة على الأفلام والرقابة على الفيديو وغير ذلك مما لا يحصيه عدد وأننى لأرجو أن يعوضها وزير الثقافة فى بيانه مما هو متصل بوزارته كتب الله له التوفيق وأعانه على أداء واجبه ·

مايو ١١/١٠/١٩٨٤ م :

الولاء والكفاءة

حين وصلت الى لندن تفضل الأخ الصديق الأديب الدكتور على شلبى بزيارتى فى الفندق • وأنبأنى فى استحياء انه لم يخف خبر زيارتى عن الاذاعة البريطانية وان رئيس القسم العربى بها قد حدد لى يوم كذا لتجرى معى الاذاعة حوارا فاستسلمت لرغبته وذهبت فى الموعد المحدد الى الاذاعة البريطانية ولم تكن مفاجأة لى ان يقفز الحديث الواحد الى أكثر من ستة أحاديث • واحتسبت الله فى ان تكون أيامى فى لندن أجازة أو قريبة من الاجازة • ولكن الله سبحانه وتعالى ما لبث ان شملنى بلطفه وجعلنى أحب ان أذهب الى مقر الاذاعة البريطانية بعد ان تعرفت بالدكتور صلاح نيازى المشرف على القسم الأدبى وهو عراقى الأصل لندنى الاقامة الا اننى اكتشفت ان بيننا أصرة قربى قوية الأسباب • فكلانا من الذين يعتقدون ان شوقى هو أعظم شعراء العربية فى قديم الشعر وحديثه • وكلانا يحفظ الكثير من قصائد شوقى وتناشدنا وأحسب ان كلا منا جال فى نفسه البيت المعروف :

أن يختلف نسب ، يؤلف بيننا   أدب أقمناه مقام الوالد

وعلمت من الدكتور صلاح انه بسبيله الى اعتزال العمل المنتظم فى الاذاعة ليتفرغ للتأليف • وربما ضقت بهذا النبأ فقد كنت أتمنى ان تظل هذه الشخصية الرائعة فى هذا المكان الذى اعتبره غاية فى الأهمية بالنسبة للأدب العربى • فان الاذاعة البريطانية استطاعت بقوة المواد الأدبية فى القسم العربى ان تجمع حولها مستمعين فى جميع أنحاء العالم العربى يحرصون على متابعة برامجها • ولكن من يدرى ربما يعوضنا الدكتور صلاح بمؤلفاته عما فوته علينا بتركه العمل فى هذا المكان الأدبى الهام •

وكنا ونحن نناشد أبيات شوقى نقطع حديثنا بدخول سكرتيرته الشابة فتاة فى عشرينات عمرها جميلة المحيا جادة فى عملها دقيقة كل الدقة فى المعلومات التى تنقلها لرئيسها • وربما رأى الدكتور صلاح على وجهى علامة اعجاب بدقة الفتاة وحديثها • فراح يروى لى عنها ما أذهلنى •

انها ابنة لورد • وهى ابنته الوحيدة • ويملك هذا اللورد مصنعا ضخما ضمن مقومات ثروته •

حصلت الفتاة على الشهادة العالية فى العلوم التجارية • وأراد أبوها ان يعينها فى مصنعه • ولا يعرف البشر ولاء يشابه ولاء الابنة أو الابن لأب محب فالطبيعى اذن الذى نعرفه ولا نعرف غيره ان يرفع اللورد سماعة التليفون فى شئون العاملين بالمصنع ويقول ارسلوا لى أمرا بتعيين ابنتى نائبة للمدير لأوقعه •

ولكن هذا لم يحدث • وانما الذى حدث ان تقدمت ابنة اللورد صاحب المصنع لتؤدى امتحانا أمام لجنة تجتمع كل عدد من الأشهر لتنظر فى التعيينات الجديدة • وحين تقدمت ابنة صاحب المصنع الى الامتحان كان أملها ان تحظى بوظيفة تتساوى فيها مع أى شخص آخر يبدأ التوظف فى المصنع • وحين تقدمت ابنة صاحب المصنع لم تتقدم الى لجنة خاصة تعقد من أجلها • وانما هى اللجنة التى تجتمع فى مواعيد محددة لم تغير موعدها • وحين تقدمت ابنة صاحب المصنع لم تتقدم الى لجنة خاصة تعقد من أجلها ، وانما هى اللجنة التى تجتمع فى مواعيد محددة لم تغير موعدها • وحين تقدمت مع الكثيرين غيرها ممن يأملون الحصول على وظيفة فى أول السلم • وسقطت ابنة صاحب المصنع فى الامتحان •

ولم تعين ابنة صاحب المصنع •

وأرسل بها أبوها الى أمريكا لتدرس المواد التى رسبت فيها فى امتحان المصنع الذى يملكه والذى ستئول ملكيته اليها حين يقضى الأب نحبه ويترك الدنيا فليس له فى الدنيا من وارث ولا وارثة الا هذه الابنة التى رفض المصنع أن يعنيها فى وظيفة صغرى به وذهبت ابنة اللورد الى أمريكا ودرست وعادت وتقدمت للامتحان •

وسقطت •• فانتظرت تدرس حتى اجتمعت اللجنة وتقدمت مرة أخرى وسقطت ثانية ••

يقول الدكتور صلاح نيازى الذى يروى لى هذه الواقعة انها تستعد الآن للامتحان الثالث وتذهب فى المساء الى مدرسة ليلية لتدرس مواد الامتحان وهى تعمل سكرتيرة لى فى الصباح ولهذا فهى حزينة لأنها لم تستطع النجاح فى الامتحان •

هى اذن ليست حزينة لأن أباها يعاملها هذه المعاملة •

مطلقا • فالذى يصنعه الأب هو الشيء الطبيعى الذى لا يجوز ان يصنع غيره فى هذه البلاد التى تقف مع أكبر الدول الصناعية فى العالم وتعمل مع ذلك فى الصباح • ولا تتفرغ للمذاكرة •

ويقول الدكتور صلاح ان هذا هو الطبيعى فليس من المقبول ان تكون حاصلة على شهادة ولا تعمل • ويضيف الدكتور انه زارهم فى قصرهم وفى مزرعتهم ورآها وهى تركب خيول أبيها ورأى كل ما تحلم به فتاة محققا لها فى معيشتها ولكن هذا أمر آخر لا يسمح لها ان تكون عاطلة بلا عمل كما لا يسمح لها ان تنجح الا بالحق فى امتحان التوظيف بمصنع أبيها الذى سيصبح بعد حين طويل أو قصير مصنعها هى •

وأعود الى القاهرة فأجد الذين رفعوا فى يوم من الأيام شعار الولاء قبل الكفاءة لا يكفون عن الكتابة مدافعين عن ذلك العهد الذى لانزال نعانى أهواله حتى اليوم •

ونعقد المقارنة فتحيط بالنفس حسرة ولوعة وألم •

ان هؤلاء الكتاب كانوا فى زمن الرعب خائفين • ولا لوم عليهم ان خافوا • ومن هذا الذى لايخاف من الاعتداء على العرض والنفس والمال •

وهؤلاء الكتاب كانوا يتصدرون الصحف وكانوا لا يكتبون الا فى السياسة ولم يكن متاحا لهم ان يكتبوا فى مواضيع أخرى غير السياسة لأنهم لو تركوها الى غيرها لكان هذا فى ذاته رأيا لهم يستحق من حكام ذلك الزمان التشريد والتعذيب •

وهم اليوم يريدون ان يقولوا انهم كانوا مقتنعين بما يكتبون وهم بهذا يكشفون عن غباء شديد •

أيريدون منا ان نصدق انهم كانوا مؤمنين بالمديح الذى أسبغوه على ذلك العهد •

ان كانوا بالطغيان يؤمنون فهم أشد اجراما من مرتكبى هذه الجرائم • لأن الذين ارتكبوا هذه الجرائم ارتكبوها لأنهم توهموا انهم بهذا الذى يصنعونه يحمون عروشهم التى تربعوا عليها وأموالهم التى اغتصبوها من دماء الشعب متمثلا فى الدولة أو متمثلا فى الأفراد •

أما الكتاب الذين يدافعون اليوم عن هؤلاء فيفعلون ذلك والحرية مكفولة ولا خوف عليهم ولا على أموالهم التى كنزوها •

فهم اذن يدافعون عن الباطل دون دافع جاد يستحق منهم كل هذا الكذب وهذا البهتان • الا انهم يريدون ان يدفعوا عن أنفسهم تهمة الجبن • والذى لا شك فيه ان صفة الجبن أهون بكثير من صفة الاجرام • وقد نلتمس لهم العذر على جبنهم ولكننا لا نجد لهم عذرا مطلقا لاجرامهم • فالمدافع عن الاجرام فى عهد الحرية أشد اجراما من المجرم نفسه •

ومن عجب ان أقرأ لهم مقالات يمنون بها على مصر ان الكهرباء قد سرت فى قراها • ويتخذون من هذا دليلا على أن العهد الذى يدافعون عنه تقدم بمصر •

ويلكم الا تستحون ••

ان مصر كانت ثانى دولة فى العالم تسير فيها القطارات • وكانت تواكب التقدم العالمى عاما بعد عام ويوما بعد يوم • وقد استطعتم ان تقفوا بها عن أى تقدم مدة عشرين عاما كان العالم فى أثنائها يقفز بالعلم الى القمر وكانت الدول فى أثنائها تأخذ من التقدم بما لا تتصور البشرية انها تبلغه •

وانى أستحلفكم بأى شىء تقدسونه ان تكفوا عن تعذيب مصر • فانتم لا تتصورون كم يجلب دفاعكم هذا من الأهوال لشعب مصر • ان دفاعكم يجعل المصريين يرتعدون خشية ان يكون فيما تقولون ارهاصا بعودة الطغيان • وان كان أبناء شعبكم قد رخصوا عليكم ولم يعد أمرهم يهمكم فرحمة بمصر فان دفاعكم هذا يجعل الثقة الاقتصادية بمصر تتزعزع بل يصيبها بزلزال رهيب •

أهذا ما تريدون • ما أظن فانى مازلت أعتقد ان فى نفوسكم بقية ولتكن ضئيلة من حب مصر •• فهى على كل الأحوال ورغم كل شىء مصر •• امنا جميعا ولا حياة لنا ولا لأولادنا الا بين ذراعيها • فنشدتكم الله ان تبقوا على ذراعيها •• أتراكم بالله تؤمنون •• أرجو ••

الأهرام ١٤/١٠/١٩٨٤ م

ســاء ما يلحدون

يحاول بعض الملحدين ان ينفذوا الى الصلة بين الدين والدولة عن طريق كلمة العلمانية وهم حين يفعلون ذلك يوهمون قراءهم ان الدين يتعارض مع العلم • وتلك ذاتها كبيرة واجتراء على الدين لا مثيل له • فهم يقيمون حججهم دائما بما كان عليه الحال فى أوروبـا حـين كانت الكنيسة مسيطرة على الحكم •

والمقارنة غير واردة ولا مجال لها على الاطلاق •

والكنيسة حين حكمت كان رجال الدين أنفسهم هم الحكام • اليهم ترجع أمور الدولة جميعا وفى ظل حكمهم وقعت الأهوال التى يريد بها الملحدون أن يضربوا الأمثال على الحكم الدينى •

وفى أوروبا كانت الملوك أحيانا تحكم بوصفها ظل الله فى الأرض كما كان الأمر مع لويس الرابع عشر والخامس عشر والسـادس عشر • وحين نشبت الثورة الفرنسية ادعى الثوار أنهم يحكمون بوحى من السماء • وبلغ بهم الأمر أنهم كانوا فى محاكماتهم الصورية يمتنعون عن محاكمة المتهمين أو توجيه أى ســؤال لهم فقد أفتى لهم بعض المتطرفين انهم بما وهبت لهم السماء من فيضها يستطيعون أن يتعرفوا على المجرم بمجرد أن تقع عليه أنظارهم دون حاجة الى سؤاله أو محاكمته فكان قضاة الثورة يكتفون بأن يلقوا نظراتهم التى قرروا أنها مقدسة الى المتهمين وهم يمرون أمامهم فيحكمون بالاعدام على من يشاءون ويطلقون من يشاءون • وما لهم لا يفعلون وهم يظنون أنهم صوت الله وبصره • واستغفر الله العظيم • وقع هذا فى فرنسا ووقع مثله فى أسبانيا وفى انجلترا وفى دول أوروبية أخرى لأن الذين كانوا يحكمون هم رجال الكنيسة أنفسهم •

ولكن الاسلام لم يكن كذلك فى يوم من الأيام • والبلاد التى تطبق الشريعة الاسلامية حتى اليوم نجد الحكام فيها من المدنيين ورجال الدين فيها يفسرون آيات القرآن الكريم أو الأحاديث ثم يطبق الحكام ما ينتهى اليه الرأى • فالحكم الاسلامى بعيد كل البعد عن الحكم الكنسى والمقارنة بينهما غير جائزة •

فحين يحاول الملحدون عندنا أن يحاربوا الاسلام بالأمثلة التى يضربونها فى الغرب حتى اليوم يقعون فى جهل شديد بروح الاسلام أو هم يعلمون ويتجاهلون ٠

وان نظرة واحدة الى الطريقة التى تمت بها مبايعة الخلفاء الراشدين تقطع بأن الأمر كان اجتهاديا فقد تمت المبايعة لسيدنا أبى بكر فى الثقيفة بالاتفاق واختار أبو بكر سيدنا عمر وتمت مبايعته بعد ذلك ٠ ووضع عمر قاعدة لم يعرفها العرب محاولا أن يتحرى العدل أقصى العدل شأنه ٠ دائما وبناء على هذه القاعدة تمت مبايعة سيدنا عثمان ٠ وربما كان اختلاف الطريقة فى اختيار كل خليفة هو الذى أدى الى الاضطراب الذى لم تستقر معه خلافة سيدنا على ٠

واذا نظرنا الى التاريخ الاسلامى نجد ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم كان كثيرا ما يعين اماما للصلاة غير أمير الجماعة حين يرسل بعثة فى شأن من شئون الدعوة سواء كانت البعثة فى حرب أو فى سلام ٠

واذا كان الأمر كذلك ـ وهو كذلك ـ فى الدين الاسلامى فاننا نجد ان القرآن الكريم يدعو الى العلم دعوة صريحة لا شك فيهـا ولا ابهام فالعلم اذن لا يتنافر مع الدين بل ان الدين يأمر بالتعلم ٠

ولو ان المسلمين الأوائل عاشوا حتى اليوم لنهلوا من العلم كل منهل ٠ وقد كان علماء الاسلام على مدى العصور يحاولون الالمام بشتى المعارف حتى يكونوا على بصيرة فى فتياهم ٠

فحين يحاول الملحدون أن ينفذوا الى الاسلام بكلمة العلمانية فان الاسلام يقف لهم بكل مرصد ويصدهم ان ينفذوا ويردهم خائبين ٠

وقد حاول بعضهم أن يتخذ من الاختلاف حول تفسير كلمة العلمانية سبيلا الى ما يريد ولكن هذه الحيلة ساقطة هى الأخرى ولن تفيد فالكلمة مهما يكن الاختلاف فى أمرها قد اتخذت فى أذهان الناس معنى البعد عن الدين والاعتماد على العلم وحده ٠ والخطأ الذى تقعون فيه أو الذى تريدون ان تقعوا فيه هو أن العلم عندنا لا ينفصل عن الدين وان الاسلام عندنا يحض على العلم ٠

واقرأ قول الله تعالى :

« فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » الآية ١٢٢ سورة التوبة وفى ذكاء ووعى بسر الكلمة ينبه الدكتور عبد المنعم النمر الى كلمة نفر وكيف أن الله سبحانه وتعالى ينزلها فى الآيات التى تحض على الجهاد وكقـوله

سبحانه « انفروا خفافا وثقالا » فكان الله سبحانه يساوى بين الجهاد فى سبيل الله وبين الجهاد فى طلب العلم ٠

واقرأ قول الله تعالى :

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » ٠

سورة المجادلة الآية ١١

وهذه الكلمات واضحة الدلالة بصورة لاتحتمل المكابرة ٠ فانك واجد ان الله جلا جلاله نص على الذين أوتوا العلم بعد أن ذكر المؤمنين فالايمان له ثوابه والعلماء لهم درجاتهم التى يرفعهم اليها الله والله ليس بظلام للعبيد فلن يرفع سبحانه الا من يستحق الارتفاع بعمله وجهده ٠ فالعدل المطلق سبحانه يجزى كل نفس بما عملت ٠

ثم اقرأ معى قوله سبحانه :

« هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » سورة الزمر الآية ٩

والعلم هنامطلق واضح الدلالة فهو سبحانه فى عليين كان يعلم ان الملحدين سيطلعون علينا فى الزمن الآخر بهذا الهراء الذى يزيفون عن العلمانية يحاولون بها ان يفتنوا قوما مؤمنين وهيهات لهم ان يصيبوا من ذلك الذى يبغون أثرا من فلاح ٠ ومن الأحاديث نجد قوله صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو فى الصين » ويقول « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » ٠

وقد كان النبى عيه الصلاة والسلام متحضر الذهن بصورة رائعة فنجده يستمع لمن يشير عليه بالخطة الحربية فى بدر ٠ ونجده حين سمع عن المنجنيق يستعملها فى حروبه ٠

ولو كانت الكشوف الحديثة قد لحقت بعهد النبى لاستعملها جميعا ٠ وما الذى كان سيمنعه صلى الله عليه وسلم ان يستعمل الراديو والتليفزيون فى الدعوة الى الدين والسيارة والطائرة فى التنقل بين شتى البلاد ٠ فانه الدين الذى يدعو الى قمة التحضر ويحث عليه ٠ وهكذا فانى أنصح لهؤلاء العلمانيين ان يرحلوا عن بلاد الاسلام ويحاولوا ان يروجوا لبضاعتهم فى بلاد أخرى غير البلاد التى تدين بأعظم ما بلغته البشرية من حضارة عقلية وروحية فى وقت معا ٠ ألا وهو القرآن الكريم والدين الاسلامى ٠ فاذا حاولوا ان ينفذوا الينا بما وراء الطبيعة نجد انهم يضربون فى ظلام دامس بينما نحن المؤمنين بما استقر فى نفوسنا من ايمان نعيش فى الضياء والنور والمعرفة وهم يحاولون أن يلبسوا جهلهم بالعلم والعلم منهم براء ٠

يقول بعضهم ان أصل العالم مادة • ونسألهم ان يأتوا على ذلك بدليل فلا يجدون وقد شهدت الكاتب الفرنسى العالمى جـــورج ســيمنون فى تليفزيون فرنسا يقول للمحد يناقشه يا صاحبى ان كان أصل الخلق هو المادة فمن أين جاءت الروح • ويسكت مناقشه لاينبس بكلمة ومن أين له ان ينبس فهم اذن يبنون نظريتهم على التخمين والتخمين ايمان بالغيب وهم فى نفس الوقت يأخذون علينا نحن المؤمنين اننا نؤمن بالغيب حين نؤمن بالله • وتلك عجيبة هم يؤمنون بغيب لا دليل عليــه ونحن نؤمن بغيب تجمع الأدلة على وجوده وأقربها القرآن الكريم الذى مرت عليه أربعة عشر قرنا ولم يستطع أحد أن يكون جملة واحدة قريبة فى روعتها وعظمتها الى آية من آياته تقدست كلماته وقرآننا يقول ان الروح من عند ربى فنحن فى النور وهم فى الظلام تائهون فى علمهم الذى يدعون أو الذى يختلقون• ويقول بعضهم ان الطبيعة هى أصل الكون وان العالم بدأ ببعض أبخرة ومواد نسألهم دليلا على ما يقولون فيخرسون أما نحن المؤمنين فقد آمنا بما قاله سبحانه وتعالى عن بداية الخلق واطمأنت نفوسنا الى ما قال فنحن فى نور من قوله ويقين يقول سبحانه وتعالى :

« قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين • وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيهـا وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين » • سورة فصلت•

وانا نحن المؤمنين نعى بصيرة من أمرنا وفى طمأنينة من نفوسنا لا حيرة عندنا ولا شك لأننا صدقنا كتاب رب العالمين أيها الملحدون اننى أقترح عليكم اقتراحا فيه خير لكم لو تعلمون كثيرا ماذا عليكم لو قرأتم القرآن قراءة درس وامعان حتى اذا حاولتم بعد ذلك ان تناقشوا كان نقاشكم على علم لا على جهل • ولكن كيف لكم أن تسمعوا هذا النصح •

الأهرام ١٩٨٤/١٠/٢١ م

الأمية أولا ..

لا أحسب أن أى حديث عن الانسان المصرى يأتى بثمرة ذات قيمة اذا نحن لم نجند كل جهدنا ونجيش كل طاقاتنا لنقضى على آفة الانسان المصرى الكبرى وهى الأمية .

ان الأمية رفض من الانسان أن يستعمل عقله الذى أكرم الله به الانسان وفضله به على سائر المخلوقات .

والأمية غلاف من فولاذ يغلف الأميين ويرد عنهم أى مخاطبة من العقلاء وهو نوع عجيب من الأغلفة لأنه يسمح للتهريج والأراجيف والأكاذيب أن تنفذ الى الجاهل فتفعل به الأفاعيل .

وأعداء الانسان وأعداء مصر يستغلون ذلك الغلاف أسوأ استغلال ويثيرون الجهلاء بألفاظ محمومة وبخداع عن الحق وبوعود براقة لو كان المستمع اليها على شيء مهما يكن قليلا من العلم لتبين الزيف فيها ولكنه مسكين فهو بما يرتع فيه من جهل يصبح سهل القياد يعمل أذنيه ولا يجد شيئا فى عقله حتى يعمله ـ فكل ثقافته سماعية يختلط فيها الفساد بالصلاح . والفساد فى أغلب الأمر أيسر تناولا من الصلاح . ينجذب اليه الجهلاء فى سهولة يعجبهم بريقه الظاهر ولا يملكون من العلم ما يسمح لهم أن يتعمقوا الكلام ويصلوا فيه الى الرأى الفصل .

وأعجب ما أعجب له أن نجد من يقارن بيننا وبين اليابان مثلا ثم لا يحاول . من يقيم هذه المقارنة أن يبحث عن سبب تفوق اليابان الصناعى أن يكتفى بأن يقول ان اليابان التى سحقتها الحرب العالمية استطاعت فى سنوات قلائل أن تقف مع الدول العظمى فى الميادين الصناعية والاقتصادية . ولم يفكر ان اليابان احتفلت بوفاة آخر أمى فيها منذ مائة عام . فليس عجيبا أن يصل شعبها الى هذا المستوى الرفيع من الحرص على العمل والدقة فيه والاخلاص كل الاخلاص ونعرف من الدكتور عبد القادر حاتم وقد كان يزور اليابان منذ قريب أنه رأى مظاهرة فى اليابان ترفع لافتات وسأل مرافقه عما تقول هذه اللافتات .

فاذا هى تقول ان عمال مصنع كذا يضربون عن العمل لأن الادارة قررت أن تكون الأجازة يومين فى الأسبوع بدلا من يوم واحد والعمال

يرفضون هذا على الرغم من أن يوم الأجازة سيدفع أجره للعمال ولكن هذا يتنافى مع الصالح العام ·

وتقول اللافتات ان هذا الاضراب يستمر لمدة ساعتين فقط ·

ثم تقول اللافتات أن العمال المضربين قرروا أن يعملوا اليوم لمدة ساعتين تعويضا عن الفترة التي استغرقها الاضراب ·

وهكذا تعرف فى بساطة لماذا تقدمت اليابان هذا التقدم ولماذا لا يجوز لنا أن نعقد مقارنة بينها وبين مصر أو بينها وبين أى شعب آخر ·

فاذا نظرت الى الاضرابات فى انجلترا التى احتفلت بوفاة أمى فيها منذ بضع سنوات · ربما قلت : فلماذا هذا الاضراب اذن وهم متعلمون والجواب حاضر من قريب · هم يضربون ما شاء لهم الاضراب ولكن لا يمدون يدا بعدوان الى أى مرفق من مرافق الدولة فان حاولوا فالعقاب صـــارم وشديد وحاسم ـ وربما يختلط الأمر على بعض الناس فيظن أن التفجير الذى وقع الأسبوع الماضى داخل فى نطاق هذه الاضرابات ولكن الأمـــر مختلف كل الاختلاف فهؤلاء المفجرون يريدون أن يقيموا من دولتهم التى هى جزء من انجلترا دولة مستقلة والمجرمون جماعة متطرفة تظن أنها بهذا الذى تصنع ستبلغ الذى يطمح اليه ولكن ما لنا وهذا ، فهم ليسوا عمالا وانما هم يظنون أنها حرب تحرير · وبعد فان لم نعمل على محو الأميـــة فلا أمل لنا فى أى تقدم انسانى على الاطلاق ·

مايو ٢٢/١٠/١٩٨٤ م

أصرخوا أيهـا الشباب

حين شرفت بحضور حفل تسليم الجوائز على الفائزين بجوائز الدولة ألقيت كلمتهم بحكم القاعدة التى جرى عليها العرف ان يكون الحاصل على جائزة الآداب هو المتحدث عن الفائزين .. وألقيت الكلمة متوجها فيها الى رئيس الجمهورية أن ينقـذ الكتـاب والمكتبـات من براثن التشريد والضياع . ولم أكن أتصور ان السيد الرئيس سيتناول فى كلمتـه الموضوع نفسه ولذلك لم يكن غريبا ان يلتفت الى الرئيس من منصـة الخطابة قائلا انه لم يكن يعرف اننى سأتناول هذه الكارثة التى يعيشها أو يموتها الكتاب المصرى .

وأمر الرئيس أن يكون أمامه فى مدى ثلاثة أشـهر تقرير واف عما يجب أن تتخذه الدولة من قرارات لانقاذ الكتـاب وقراء الكتاب من النكبة التى تحل بهم جميعا .

والكلام من مثلى رجاء ..

والكلام من رئيس الجمهورية قرار ..

والحمد لله .. فما دام القرار لم ينفذ فمن الطبيعى أن يذهب الرجاء صرخة فى الهواء لا أثر لها ولاحول ولا قوة .

أذكر اننى خرجت من هذا الحفل وأنا واثق ان مشكلة الكتـاب والمكتبات قد حلت نهائيا .. وكم كنت ساذجا فى وثوقى هذا . وما أسرع ما تبينت سذاجتى . فقد قامت القيامة بعد قرار الرئيس وتصـايح المسئولون وصدرت التصريحات وكتبت الجرائد والمجلات وجيشت الاذاعة جيوشها وكتب التليفزيون كتائبه وأصبحت لاتسمع فى أجـواء مصر الا الكتاب ومشكلة الكتاب وانقاذ الكتاب .

منذ هذه اللحظة أدركت فى وثوق ليس ساذجا فى هذه المرة ان مشكلة الكتاب ستبقى على ما هى عليه .. فمادام المسئولون قد أفرغوا طاقاتهم فى الكلام فالذى لاشك فيه أن عملا لن يتم .

فالقاعدة التى لم تنقض حتى اليـوم ان الذين يكثرون من الكلام لايصنعون شيئا .

اجتمعت اللجان فى مجلس الشورى وانضم اليهم نخبة رائعة واعية من الناشرين كانوا جميعا وبغير استثناء غاية فى الرصانة وقوة المنطق ، وأصدرت هذه اللجان تقريرا رائعا عما يجب ان تتخذه الحكومة من خطوات لانقاذ الكتاب ٠

واجتمعت اللجان فى المجالس القومية المتخصصة ونظرت الأمر فى جدية العلماء ووقارهم وأصدرت التقرير عما يجب ان تتخذه الحكومة من خطوات لانقاذ الكتاب ٠

وتفضل السيد وزير الثقافة فأرسل بخطاب الى اتحاد الكتاب يطلب اليه رأيه فى مشكلة الكتاب والمكتبات تمهيدا لاختيار ممثلين عن الاتحاد فى اللجنة التى ستشكلها الوزارة للنظر فى التقارير الواردة اليها والخروج منها بالحل الأمثل ٠٠ واجتمع اتحاد الكتاب خصيصا ولم يكن فى جدول أعماله شيء آخر غير الكتاب والمكتبات وأصدر الاتحاد التقرير عما يجب أن تتخذه الحكومة من خطوات لانقـــاذ الكتـــاب وأرسل التقرير الى السيد الوزير ٠

وقد كان لى شرف الحضور فى هذه اللجان جميعا وغيرها مما لاتعيه الذاكرة ٠ وأذكر ان كل التقارير التى صدرت مجمعة على الخطوات التى يجب ان تتخذها الحكومة لانقاذ الكتاب ٠

تم هذا جميعه وحملة الدعاية المكثفة مستمرة والتصريحات مستمرة واضحك ضحكا باكيا حزينا يسحق النفس ويملأها بالمضاضة والأسى حين تنتج كل هذه الضجة عربة تمر ببعض أحياء أو شـــوارع القاهرة وفيها بعض كتب وكأنما أصبحت الكتب آخر الأمر قراطيس لب أو فول سودانى ٠ ثم تختفى العربة وتمحى من الوجود ٠

كأن لم يكن بين الحجون الى الصـــفا
أنيس ولم يسمر بمكة ســـامر

واعلم أنهم سيقولون ان مثل هذه العربات موجودة فى لندن وأبنى وأين نحن من لندن ٠ ان هذه العربات هناك مساعدة للمكتبات الموجودة فى جميع أحياء لندن ولا يكتفى القائمون على الثقافة هناك بذلك وانما يقربون هذه المكتبات الى الشوارع والبيوت وكأنهم يقولون للشباب لا عليك ان تنتقل الى المكتبة فى حيك اننا نحن الذين سنأتى اليك بالكتاب الى باب بيتك ٠٠ وهذه العربات فى لندن لها مواعيد ثابتة يعرفها كل شخص فى كل منطقة وهم يعيرون الكتاب ويعـــلم مستعيره متى يجب ان يرده ليحصل على كتاب آخر ٠٠ المقارنة بعيدة والقياس لا ينطبق على حالتنـــا

المؤلم المضحك .. فما أرسلنا هذه العربات الا لننشر عنها اعلانا أو اعلانين ثم هي الى اختفاء .

ويرى أبناء الشارع الذين تصادف وجودهم هذه العربة ثم لا يجدون لها أثرا وكأنها لمحة من خاطر ما جاء حتى ذهب أو لمحة من حلم تبدد مع اليقظة أو سراب يحسبه الظمأن ماء فان قصد اليه وجده هباء من الهباء أو هراء من الهراء .

ان الأمر جد لا هزل فيه .. وليس يصلح معه عربة الأحلام ولا يجدى معه التصريحات التى تعد ولا تنفذ والتى تستعمل فعل المستقبل دائما ولا تستعمل الفعل الماضى مطلقا .

والكارثة فظيعة فى جميع جوانبها ..

كارثة أن يصدر رئيس الجمهورية قرارا علنيا على ملأ من العالم ولا تنفذه الجهات المختصة .

وكارثة أن تكون مصر مصدر الاشعاع الثقافى للعالم العربى بلا مكتبات عامة على الاطلاق نعم على الاطلاق وليس يجدينى فى شىء القول بأن هناك مكتبات عامة قليلة فهى فى قلتها تتساوى مع العدم تماما .

وكارثة أن يكون الكتاب حرا كل الحرية فى مصر حتى اذا حاول أن يخرج من مصر تكالبت على حريته أيد شرسة طاغية من شتى رقابات ومختلف جهات .

وكارثة أن تكون أدوات الطباعة جميعا بهذا الغلاء الفاحش فالورق مرتفع السعر بصورة مريعة وكذلك الاحبار وغيرها مما يحتاج اليه الكتاب .

وكارثة أن نجهل أن الثقافة هى الكتاب فليس هناك ثقافة بغير كتاب .

حتى الآثار فانها لا قيمة لها على الاطلاق اذا لم تكن هناك كتب نعرف بها ما تعنيه هذه الآثار .

حتى الحرف لا أمل لها فى التقدم والازدهار اذا لم تنشر الكتب التى تجعل الحرفيين يتقنون صنعتهم ويبلغون فيها الى الكمال أو قريبا من الكمال .

كل مناحى الحياة يتناولها الكتاب .. اينما تقلب وجهك تجد لا أمل لنا فى أى رقى بغير الكتاب .

وجميع الدول المتحضرة لا تكلف بنيها أى عنت فى الحصول على الكتاب ولهذا أصبحت متحضرة • ولو كان الكتاب فيها متخلفا عن طالبيه لتخلفت هذه الدول ولعاشت الجهالة المظلمة الداكنة السواد •

ناشدتكم الله أيها المسئولون الا تصدروا التصريحات ولكن أصدروا القرارات •

لقد مر على الاحتفال الذى ذكرته فى صدر هذا المقال قرابة عام فاذا لم أبك اليوم فمتى يكون البكاء •• أيها الكتاب أيها الناشرون أيها المثقفون أيها الشباب •• ابكوا معى واصرخوا فربما استطاع صراخنا أن يصل الى أسماع المسئولين وحسبنا وحسب مصر الله أنه نعم الوكيل •

الأهرام ٢٨/١٠/١٩٨٤ م

لا عروش مع الديمقراطية

يكتب الكثيرون فى الواجبات الملقاة على شباب الاحزاب • وقد قرأت منذ قريب بعض مقالات تدعو الشباب الى تكوين منظمات سياسية من داخل الحزب • وأحسب أن المقصود بذلك أن يشارك الشباب فى أمور الدولة • وتلك كارثة ما بعدها كارثة •

فلو ان الأمر أصبح فى يد الشباب وأصبح له عمل ايجابى فى الحياة الاجتماعية فان الأمر سيصبح هو والفوضى سواء •

لابد أن يعرف كل انسان فى أى دولة الى أى مدى تمتد سلطاته وأين تقف فليس لأى تنظيم ولا حتى للتنظيم الحزبى أى سلطة شرعيـــة فى ممارسة الحكم • انها قصارى ما يملكه أن يتداول الرأى ويصدر القرار ويقدمه اما الى مجلس الشعب ان كان الأمر يحتاج الى استصـــدار قانون أو الى الوزير المختص اذا كان الأمر لا يحتاج الا لقرار من الوزير • ومن حق الوزير بل من واجبه أن يناقش هذا الرأى المقدم اليه فان اقتنع برأى الحزب أصبح تنفيذه جائزا واذا لم يقتنع فهو أمام واحـــدة من اثنتين أما أن يكون القرار حيويا من المسائل الأم التى لايجوز الخلاف حولهـــا وحينئذ على الوزير أن يستقيل حتى لايتحمل مسئوليـــة عمـــل هو غير مقتنع به واما أن يبقى وينفذ قرار الحزب اذا الأمر ليس من الضخامة التى تستحق استقاله وزير وسعه تجمع الحزب ووحدته •

أما الشباب فليس له فى الناحية الحزبية الا أن يلاحظ ما يجرى فى محيطة ويبلغ بما يرى أصحاب المسئولية من المجالس التشريعية أو من السلطة التنفيذية • وليس للشاب الحزبى مهما يكن شأنه أن يتدخـــل تدخلا مباشرا مع الجماهير والا أصبحنا جماهيرية ليبية والعيـــاذ بالله رب العالمين •

وكذلك تكون اهتمامات التجمعات الشبابية ســـياسية فى سبب تجمعها ولكن لا يجوز لها مطلقا أن تبيح لنفسها أى سلطة تنفيذية انما من حقها أن تراقب وان تبلغ المسئولين فى مذكرات عامة وفى غير خفاء فهم انما يعملون فى وضح النهار •

وربما يتبادر سؤال : ففيم اذن تجمعهم · انما يكون تجمعهم لتدارس الحيـــاة العـامة وتبادل الثقافة وتنظيم الرحـلات التى تجمع بين الثقافة والرياضة ويقوم الشباب بزيارة آثار مصر وكتابة الدراســـات عنها · والتجمع حول أعمال أدبية وفنية ومدارستها · فان شباب الأحزاب اليوم هم نوابه فى المجالس التشريعية غدا وهم وزراؤه وهم وجه الدولة جميعا انما هذا فى الغد وليس اليـوم أما اليوم فعليهم أن يعدوا أنفسهم للعبء الذى سيقومون به والاعداد أمر مختلف كل الاختـــلاف عن المشاركة ان الشـــباب اذا شارك فستكون مشاركة جاهلة كل الجهل بالحدود التى تقف عندها وأغلب الأمر أنهم سيتجاوزون هذه الحدود · ونصـــبح فى ذعر يعرفه كل المعرفة الذين عاشوا الطغيان والذين يعيشـونه اليوم فى ليبيا الجماهيرية وفى الدولة الشيوعية التى تطلق شباب أحزابها ذئابـا مسعورة تدمر ولا تبنى وتحطم ولا تصلح ·

أن الشباب هو الغد ومن أخطر الأمور أن يكون أمل الغد حاكم اليوم وانها لتصبح كارثة لا يماثلها كارثة اذا حسب شـــباب حزب الأغلبية أو شباب أى حزب أنه مسئول مسئولية مباشرة عن أى جانب من سلطات الهيئة التنفيذية أو الهيئة التشريعية ·

فقد رأينا الشباب فى بعض الفترات يقيمون لأنفسهم العروض فى قراهم واحيائهم ورأينا ظهور الشعب المحنية هى التى تحمل هذه العروش وهذا أمر لن يعود بأى حال من الأحوال · ففى ظل الديموقراطية والحكم الجمهورى تتحطم كل العروش ولا يبقى الا عروش الدولة وحدها ؟

مايو ٢٩/١٠/١٩٨٤ م

زعيم من الوهم

وهل حياة الانسان الا ذكريات تنداح فى خفـــايا النفس متحفزة متوفزة تترقب من الحياة منفذا تثب منه الى الوجود فاذا هى تنقلب فجأة من مجرد ذكرى الى واقع يحياه الانسان وكأنه ما بارحه فى أمس البعيد ٠

وهذه الصورة قفزت الى واقعى بعـــد أن استخفت فى أطواء نفسى قرابة أربعين عاما وكنا تلاميذ فى المدارس الثانوية وفوجئنا بزميل لا يمشى كما نمشى ولا يتكلم كما نتكلم ففى مشيته بطء وخيلاء ، فاشـــل واضح التصنع وفى صوته رنين يريد أن يكون رنين التعالى فلا يتم له ما يريد وتحلقنا حوله ـ ماذا بك يا أخى ٠ كنا عرفنا اسمه كما عـــرف كل منا اســـم الآخر ٠

فقد كان أول أستاذ فى العام الدراسى الجديد يدخل الى الفصـــل وينادى الأسماء اسما اسما ويطلب من التلاميذ ان يقف كل منهم حين يسمع اسمه ٠ فما هى الا دقائق حتى عرفنا من لم نكن نعرف من الأسماء ممن لم تجمعنا واياهم سنوات سابقـــة ٠ وكان اسم هذا الزميـــل هو عبد الشكور عبد النبى وقد وقف حين وقف فى عظمة ولكنها مفتعلة وجلس حين جلس فى نفس العظمة المفتعلة وأدركنا نحن من هيئته اننا وقعنا فى عامنا هذا على مادة للسخرية لا مثيل لها فى حياتنا جميعا ٠

كان عبد الشكور يرتدى من الملابس ما يدل على أنه ليس ذا ثراء وكان قصير القامة فتراه يشب على أطراف أصابعه ليبدو أطول من حقيقته وكان يلبس الحلة ذات صفين من الأزرار ويميل الطربوش امالة واضحة الى اليسار مثل محمد محمود باشا ويضع يده اليسرى فى جيب الجاكتة مثل صدقى باشا الذى كان يفعل هذا ليخفى الشلل الذى أصاب يده ولكن عبد الشكور ظن أن صدقى باشا يفعل ذلك على سبيل العظمة وكان يضع وردة حمراء فى صدره مثل النحاس باشا وهكذا أصبح اخلاطا من الزعماء كلهم عدو للآخر جمعهم هو فى ملبسه ومظهره وحركته ومشيته ٠ بدأنا نناوشه :

ـ ماذا تريد أن تكون ٠

ـ أنا زعيم عصركم ٠

ـ ماذا قلت ؟!

ـ لابد لكل عصر من زعيم ، وقد هيأت نفسى ان أكون زعيم عصركم لأخرج الانجليز من مصر ، وقع المسكين فى شر أعماله ولم يجد من يسمى عليه أصبح مسختنا وسخريتنا وملهـاة المدرسـة وتسلية التلاميذ ولكن العجيب أنه كان لا يتحرج ولا يهتم فاذا اجتمع الطلبة وهتفوا ساخرين بحياة الزعيم العظيم حياهم بيده فى عظمة يقصر عنها الزعمـاء شـهرة وزعامة ٠

وكان أستاذ التاريخ فى فصلنا من أعظم المدرسين الذين عرفناهم فى سنوات حياتنا جميعا ولولا خشيتى ان أكشف بذكر اسمه شخصية بطل هذه الصورة لذكرته أطال الله حياته ومتعه بالصحة والعافية ٠

وقد رأى أستاذ التاريخ أن يعد كل تلميذ درسا من دروس المنهج ويلقيه على اخوانه ويناقشه الاخوان فى الدرس وهكذا تثبت المعلومات فى أذهاننا نابضة بالحياة ويكتب لها البقاء الى الأبد ٠

وحدث ان اختار الأستاذ لدرس من دروس المنهج أخانا عبد الشكور عبد النبى ووقف بيننا عبد الشـكور عبد النبى وانفجـر يخطب وكأنه مصطفى كامل باشا فى عنفوان أيامه وأعلننا أنه منذ اليوم سيتولى زعامتنا لنخرج الانجليز من مصر ٠ وانه هو وحده القـادر على ان يخرجهـم ٠ وانفجرنا فى ضحك ساخر مجلجل صاخب لم يستطع على رغـم اندفاعه ان يصيب منه أى وتر من خجل ٠ ولكن الذى خجـل من أجله أسـتاذ التاريخ الذى لم يجد بدا من أن يقول له فى أدب جم :

ـ طيب ادخل انت الى درجك دلوقت يا عبد الشكور ٠

ودخل عبد الشكور مرتفع الهامة ثابت الخطوة متعاظم المشية يشب على أطراف أصابعه ليبدو أطول من حقيقته وراح الأستاذ يكمل الدرس ٠

ولكن أستاذنا كان شاعرا رقيق الحس مرهف المشاعر وخيـل اليه أن عبد الشـكور قد أصيب فى كرامته فأراد أن يرد اليه ما تصـور انه سلب من كرامة ٠ فاستدعاه ٠

وجاء عبد الشكور الى مكان الأسـتاذ واذا به يواصل خطابه الذى أوقفه عنه الأستاذ ويعلن زعامته مرة أخـرى فى صـفاقة أشد من المرة السابقة ٠ وفى هذه المرة لم ينفجر الفصل وحده وانما انفجر معه الأستاذ الحليم الذى لم نره ثائرا فى حياتنا الا فى ذلك اليوم وصاح به :

ـ لا يا عبد الشكور أنت غير معقول ٠٠ امش أدخـل مكانك ٠٠ امش ٠

وأصبح ما حدث فى الفصل حديث المدرسة كلها ووجدنا أنفسنا نحن تلاميذ الفصل موضع الأسئلة المتزاحمة علينا من زملائنا فى الفصـــول الأخــــرى ٠

وفى اليوم التالى فوجئنا بعبد الشكور يوجه دعوة الى الشاى فى منزله لبعض تلاميذ الفصل ٠ وعجبنا لأمره ٠ ولكننا قبلنا الدعوة لنصل الى كل ما نستطيع أن نبلغه من حقيقة الزعيم ٠

البيت لموظف رقيق الحال فى أربعينات القرن ، واضح ان اعتماده الوحيد على مرتبه دون أى عون آخر ٠ فالبيت نظيف والمواد المقدمة فى الشاى هزيلة ولكن الجهد الذى وراءها واضح المعالم وبدأ أبو الزعيم الحديث فعرفنا عجبا ٠

لقد كان عبد الشكور من الوقاحة وكان أبوه من السذاجة بحيث استطاع عبد الشكور أن يقنع أباه أنه زعيم المستقبل واننا نحن أعوانه ورجال حزبه وعناصر التأييد لزعامته ولهـذا لم يكن عجيبا أن نجد الأب سعيدا بأبنه سعادة غامرة لا عقل فيها ولا تفكير ولا تدبر ٠

ومع أننـا كنا فى تلك السن القاسية التى لا تعبـأ كثـيرا بشعور الآخرين الا أننا وكنا ستة طلاب أجمعنا دون اتفاق على ألا نجرح مشاعر الأب الساذج فى أبنه الذى يثق وثوقا كاملا أنه زعيم فترته ٠

وانصرفنـــا ٠

وفى اليوم التالى كنت قد نظمت أبياتا فى عبد الشكور تفرج عن غيظى الذى كتمته فى مجلس أبيه والعجيب اننى أذكر هذه الأبيات وهى أول ما نظمت فى حياتى ٠

على زغم المظـــاهر والغرور
صغير أنت يا عبد الشكور
أترجو أن تكون زعيم قوم
لتنظر فى الصغير وفى الكبير
فدع عنك الزعامة واجتنبها
فلا فى العير وأنت ولا النفير

والأبيـات كما هو واضح بالغـة الضعف ولكن التـلاميذ تنقفوها وراحوا يتغنون بها كلما مر بهم عبد الشكور ٠

وأراد أن يدبر لى بذكائه السياسى مصيبة فجاء الى الدرج الذى أجلس فيه وأخذ مكانه بجانبى وقال :

ـــ أنا أريد أن أقابل والدك ٠

قلت :

ـــ وماله تحت أمرك فهو أيضا ممن يعملون فى السياسة وقد ينضم الى حزبك ٠

قال :

ـــ لا أنا جاد فيما أقول ٠

قلت :

ـــ ومن قال لك اننى تحت أمرك ـ ولكن فيم تريد أن تقابله ٠

قال فى جدية شديدة :

ـــ ان صلتك بالفتاة حسنية أصبحت على كل لسان وأحب أن أخبر الوالد لأخلص ذمتى أمام الله ٠

أدركت ما يقصد اليه فأنا لم أعرف فى حياتى فتاة بهذا الاسم وقد كانت حياتى جميعا بعيدة كل البعد عن المغامرات النسائية وكان أبى أعلم الناس بذلك قلت لعبد الشكور :

ـــ والله تشكر يا عبد الشكور أنت فعلا أخ ٠ فان حب هذه الفتاة يسد على أقطار الحياة وأنا أخشى أن أخيب بسبب حبها وربما لو أخبرت أنت أبى الذى لا أجرؤ أنا على اخباره يزوجنى من الفتاة أو يردعنى بسلطان الأبوة وتكون قدمت لى خدمة العمر ٠

فاذا عبد الشكور ينتفض غاضبا باكيا لأول مرة فى حياته صائحا :

ـــ أنت مش معقول ٠٠٠ أنت مش معقول ٠

وانصرف عنى وهو يرقا مدامعه بمنديله ٠

ومضت الأيام وغاب عبد الشكور عن الذاكرة · وذكرته هذه الأيام·

لم يصبح عبد الشكور زعيما ولكنه أيضا يأبى انه يتخلى عن فكرة الزعامة فاذا هو يصطنعها فى مكان لا يصلح مطلقا للزعامة ومن يحاول الزعامة فيه يصبح انسانا أخرق الرأى ضائع التفكير سقيما غاية السقم فى حكمه على الأمور ·

صورة من الماضى أبى الحاضر الا أن يردها الى الحياة ويا ليتها ظلت حيث كانت فى طوايا الذكريات الخفية ··· ولكن متى كانت « ليت » ذات نفع ··· انها كلمة الحسرة حين لا تنفع الحسرة والأمر لله من قبل ومن بعد ·

الأهرام ١٩٨٤/١١/٤

الشباب والسياسة والثقافة

حين ظهرت مقالتى فى الأسبوع الماضى بجريدة مايو عقب عليها أستاذ كبير عالم من أعظم علماء العصر فى الأدب بما يعنى انه فهم من المقال الا أريد للشباب أن يعمل بالسياسة وفى الحال أدركت اننى لم أحسن توضيح فكرتى كما ينبغى أن تتضح فمادام هذا العالم قد فهم عنها هذا المعنى فالمخطىء لاشك أنا وليس هو ·

فأنا لا أتصور أن يكون الشاب انسانا يستحق الانتماء الى وطنه اذا لم يكن هذا الشساب مهتما كل الاهتمام بالسياسة ولا أتصور انه يستحق أى احترام اذا لم يكن صاحب رأى فى سياسة بلده بل اننى أناشد الشباب أن يقولوا رأيهم هذا بكل الطرق المشروعة فمن كان صاحب قلم فعليه أن يكتب رأيه لوسائل الاعلام المختلفة ومن لم يكن صاحب قلم فعليه أن يكتب أفكاره وآراءه ويقدمها الى رجال الحزب الذى ينتمى اليه وبغير هذا يكون الشساب بعيدا عن الانتماء الى وطنه والشساب اذا فقد الانتماء فقد وجوده وكيانه ومعنى حياته ·

ولكننا بلينا فترة بشباب يتجمع فى القرى والأحياء ويقيم من نفسه طاغوتا جبارا يأمر وينهى ويلقى الرعب فى نفوس الموظفين الرسميين فى القرى والأحياء وكان هؤلاء الشباب يدعون انهم ممثلوا الحزب الحاكم ولم يكن هناك الا حزب حاكم واحد بلغ من الطغيان ما جعل فرائص العمد والموظفين ترتعد فرقا وذعرا ·

هذا التجمع الشبابى الذى يريد أن يقبض بيديه الصغيرة على أقدار المنطقة التى يعيش فيها هو الذى يتنافى وجوده تنافيا تاما مع الديمقراطية فالشباب يستطيع أن يتجمع ليتدارس وليس ليحكم وله أن ينظر فى الشئون السياسية ويبدى رأيه فيها على أن يكون رأيه مجرد رأى لا يلحق به التنفيذ الا بعض التمحيص والتدبر واستعراض الآراء الأخرى وهكذا يصبح الشباب فى تجمعاتهم السياسية صالحين لسماع الرأى الآخر فان الانسان الذى لا يعرف كيف يسمع الرأى الآخر لن يكون انسانا صالحا لشىء على الاطلاق ·

والرأى لا يكون سديدا أو قريبا من السداد اذا كان صادرا على الفطرة دون ثقافة وعلم وسعة اطلاع ولهذا اقترحت ولا أزل أقترح ان يتعرف الشباب المصرى على وطنه فيحسن التعرف على الشباب أن يدرس تاريخ الوطن بكل تفاصيله فمن ثنايا هذا التاريخ يستطيع الشباب أن يستبين طريقه الى المستقبل فان المستقبل ظلام دامس لا يهدى خطانا فيه بعض الهدايا الا ما ثبت فى وعينا من دروس الماضى أنا لا أستطيع أن أحترم رأى شاب فى السياسة اذا أنا لم أحترم علم هذا الشباب بتاريخ وطنه ولهذا أهيب بالأحزاب أن تعمل بكل جهدها أن تتيح التاريخ الصادق الأمين لشبابها يتعلمه من أساتذة محترفين فى التاريخ ولا يكون التاريخ تهبيشا من مغرضين ومشعوذين وأصحاب ضمائر مريضة على الأحزاب أن تقدم التاريخ الحقيقى المحايد الى شبابها فأمل الغد كله معقود على هذا الشباب فان أطعمته اليوم زيفا كان حكمه فى غد جورا وظلما ٠

وعلى الأحزاب أن تعمل أن يكون شبابها على وعى غايه الوعى بالجغرافية العامة لبلادنا الجغرافية المكانيه والاجتماعية والاقتصادية ٠

فهيهات أن يكون الشباب رأيا حصيفا وهو يجهل حقائق بلده وعلى الأحزاب أن تثقف شبابها ثقافة عامة فبعض الشباب وأقول بعض على سبيل التفاؤل لا صلة له بالثقافة على الاطلاق ولن نصل الى هذه الثقافة اذ نحن لم نتح لشبابنا مكتبات عامة واسعة الثراء بشتى الفنون والمعارف ومادامت الدولة تصر على الانصراف عن المكتبات العامة فلتقم الأحزاب بانشاء هذه المكتبات وفى هذه الحالة أرجو الحزب الشيوعى أن يضع الى جانب كتب ماركس ولينين وانجلز القرآن الكريم والانجيل والتوراة أترى يفعل الحزب الشيوعى هذا ما أظن ٠

مايو ٥/١١/١٩٨٤ م

كارثة الكتـــاب

أخشى ما أخشناه أن يتسرب الى بعض العقول أن ما كتبته عن كارثة الكتاب التى تحدثت عنها فى هذا المكان كان أطروفة أحاول بها أن أسلى القراء وأرد عن أوقاتهم الملالة وأدفع عن أمزجة المسئولين الرتابة وتشابه اللحظات · وقد داخلتنى هذه الخشية من الصمت القاتل الذى أعقب المقال · وكأننا أصبحنا نحن الكتاب نصيح فى وطن غير مصر ونبحث عن مشاكل غير مشاكلنا · فنحن فى دنيا والمسئولون فى أخرى · وأحسب أن القائمين على الأمور سيقولون كلمة تمر وينساها الناس فيما ينسون وينشغلون بأحداث أيامهم الصغيرة وربما قال هؤلاء المسئولون أن مشكلة الكتاب ان كانت · تهم قلة يطلقون على أنفسهم المثقفين فما هى مما يعنى به عامة الناس فى شىء · وفيما يعنيهم الكتاب وهم يريدون أن يواجهوا مشاكل يومهم وما أكثرها أو لم يبق غير الكتاب هو الآخر حتى يشغلوا أنفسهم به · ولكننى فى الحقيقة اعتبر أن الأمر أخطر من هذا اللغو بكثير · وأحب أن أعلن على الملأ أن صلتى بالسيد الأستاذ محمد عبد الحميد رضوان من أوثق الصلات مودة · ولم يلقنى الرجل ولا تحدث عنى فى غيبتى الا بما يملأنى شعورا له بالعرفان والشكر ·

ولكن الكتاب وكارثته أمر بعيد كل البعد عن الصلات الشخصية وانما هو مصير أمة بأكملها · وحين أقول أمة فانا أقصد ما أقول · فالذين يكتبون فى مصر انما يكتبون للأمة العربية جميعا ·

وأستطيع أن أعلن فى طمأنينة أن مشايخ الأزهر حين يكتبون فى مصر كتبهم انما يكتبونها للعالم الاسلامى أجمع فى كل أقطار الأرض ·

وليس مشايخ الأزهر وحدهم انما كل من يكتب فى الاسلام أزهريا كان أو غير أزهرى انما يكتب للعالم الاسلامى فى القارات الخمس ·

واذا ظلت هذه القيـــود على الكتب فكأننا نحبس الشمس عن الناظرين · ونفصل مصر عن طالبى الثقافة العربية والأدب العربى والفن العربى وما الثقافة المصرية وما الأدب المصرى وما الفن المصرى الا ثقافة وأدب وفن العالم العربى كافة ·

أما أنا فلن أسكت مهما يكن فيما أكتب الحاحا وتكرارا ولن أمل فصاحب الكلمة الصادرة من القلب · اذا أصابه الملل خان قضيته وأرجو الله ان يثبتنى فلا أخون قضية ·

وليس لى مصلحة شخصية فيما أكتب ولا ابتغيا الا وجه الله ومصر والثقافة العربية فى كل مكان ·

ليس لوزارة الثقافة أية حجة فى صمتها هذا ولا عذر لها مطلقا فى اهمالها لكارثة الكتاب · فالتقارير التى لديها واضحة المعالم بينة السمات · وأنا أعلم بما شاركت من لجان أن التقارير كلها مجمعة على وسائل العلاج · وليس فى هذه الوسائل واحدة عسيرة المنال أو صعبة البلوغ ·

فكل العقبات التى تقف دون انتشار الكتاب يمكن تذليلها فى أسبوع واحد بل وفى أقل من أسبوع ·

وان أمرا صدر من رئيس الجمهورية واجب النفاذ خاصة انه فى شأن لا يختلف فيه اثنان · ورئيس الجمهورية المصرية حين يطلب أن يكون أمامه تقرير عن الكتاب فى مدى شهور ثلاثة يتسامع العالم العربى كله بهذا المطلب الذى هو قرار من رئيس جمهورية مصر · وليس الناس فى أقطار العالم العربى بغافلين ولا هم نساءون فكلهم يعجب اليوم مثلما نعجب كيف يأمر رئيس الجمهورية وهو رئيس الجمهورية ثم لا يكون أمره موضع التنفيذ ·

وقد كان واجب الوزارة أن تبادر الى مواجهة كارثة الكتاب دون أن يشير أحد عليها بذلك فكيف اذن والذى نبهها هو المسئول الأول عن السياسة المصرية ·

وقد كتبت منذ أسبوعين أذكر ناسيا فما تذكر الناسى وانبه ساهيا فما تنبه الساهى · أيكون الأهرام غير كاف · أيكون الأهرام جريدة لا تصدر فى مصر وانما تصدر فى العالم فقط دون مصر · أتكون كتابتى غير واضحة · أليس فى دهاليز وزارة الثقافة وربوعها ومراتعها واحد قرأ الأهرام ولو صدفة · وان كان لم يقرأ فى مصر أحد أليس فى لندن أو فى دولة أوربية واحد من موظفى وزارة الثقافة يكون فى رحلة عمل ويكون قرأ الأهرام فى أوروبا فيرسل الى من فى القاهرة أن شخصا ما كتب شيئا ما عن شىء ما أسمه الكتاب ومشاكل الكتاب فى مصر ·

ألم تحدث هذه الصدفة ·· فتلك أذن عجيبة لا يماثلها فى العجب الا انصراف وزارة الثقافة عن الثقافة · فليس شىء يسمى الثقافة ولا يكون الكتاب هو مصدره الأول وأساسه ·

الكتاب يواجه من العقابات العالمية ما ينوء به فأسعار الورق باهظة وأسعار الأخبار قاصمة للظهور والمكتبات فى مصر قليلة نادرة حتى أن الكتاب الثقافي يختفى تماما من المطابع مع بداية كل عام دراسى لمدة ثلاثة أشهر أو أربعة حتى تواجه الآلات طباعة الكتب المدرسية والجامعية ٠

وطبيعى أن يخاف الناس أن يدخلوا ميدان الطباعة مع هذا النقص الشديد فى المطابع فاذا زادت الوزارة الطين بلة وصادرت الكتاب عن الخروج الى العالم فقل على مستقبل الكتاب وحاضره السلام وله الله وحده يقيل عثرته ويحيى مواته ٠

والكتاب مرتفع الثمن والذين يريدون أن يقرأوا لا يملكون ثمن الكتاب والذين يملكون ثمن الكتاب والفيديو لا يريدون أن يقرأوا ٠

وهيهات أن ينتشر فى مصر علم أو ثقافة اذا لم تنتشر المكتبات العامة فى كل ناحية من نواحى مصر ٠ وليس الأمر هزلا ٠ ولن تنتشر هذه المكتبات فى يوم وليلة وانما الأمر يحتاج الى شهور ربما تصل الى عام حتى تتوفر هذه المكتبات فى نوادى القرى والمدن وفى المساجد والكنائس وفى المصانع والتجمعات السكانية ٠

واذا انتشرت المكتبات استطاع الناشرون أن يواجهوا بعض الأعباء التى تقع على كاهلهم لأن هذه المكتبات سترد عليهم بما تشتريه من نسخ ما أنفقوه فى الطباعة على الأقل هذا من ناحية الناشرين مادام نشر الثقافة فى ذاته لم يصبح وحده غاية وهدفا ونشيدة وأملا لابد أن تسعى اليه وزراة الاسم الأساسى لها هو الثقافة ٠

واذا كانت الوزارة حتى اليوم لم تفكر فى أن تبدأ بالقاء نظرة على ما تجمع لها من تقارير فياترى متى يتاح للكتاب أن يجد مكتبة عامة يستطيع طلاب الثقافة أن يستعيروا منها كتابا ٠

لأحسب أن أحفاد أحفادنا هم الذين سينعمون بذلك ٠ هذا اذا فكرت الوزارة فى يوم من الأيام ٠٠ أى يوم من الأيام أن تلقى نظرة ولو عابرة على كارثة الكتاب التى حلت به فخسفته الى أسفل سافلين ولله الأمر من قبل ومن بعد فانه حسبنا وانه نعم الحسب ونعم الوكيل ٠

١١ نوفمبر ١٩٨٤

صديقك من صدقك

لا يكون التأييد بالموافقة دون تفكير أو تدبر انما التأييد يكون بابداء الرأى الخالص لوجه الله والوطن . فأنت اذا كنت منتميا لحزب فلاشك أنك تريد لهذا الحزب أن تكون خطاه سدادا وعمله رشادا وسعيه كرامة وطريقه طهارة ونقاء .

وأنت تخون حزبك اذا أيدته وأنت تراه يميل عن السداد ويميد عن الرشد وينكص عن الكرامة ويبتعد عن الطهارة والنقاء .

ولو كان الحزب يسعى الى ضم الأعضاء لمجرد التأييد والتصفيق والموافقة لكان خيرا للحزب أن يكون من فرد واحد لا من جماعة من الناس. فالفرد الواحد من يعارض نفسه وهو أيضا لن يطلب المشورة . ان معنى وجود حزب مكون من جماعة أن تكون الشورى ديدنهم ومداولة الرأى رائدهم حتى اذا اتفقوا فيما بينهم على رأى أيدته الأغلبية نظر المعارض فى الأمر . فان كان الخلاف حول أمر يحتمل الرأيين وليس جوهريا أساسيا فان له أن يبقى فى الحزب ولا يخرج عنه فليس من الطبيعى أن يستقيل العضو كلما اختلف رأيه عن زملائه . والا أصبح هذا العضو فى ذاته مستبدا لا يقبل الرأى الآخر ويرفض رأى الأغلبية وليس هذا من الديمقراطية ولا من الشورى فى شىء .

أما اذا كان الخلاف حول أمر جوهرى أساسى تنبنى عليه آثار ضخام تحتم على العضو أن يستقيل من الحزب احتراما لرأى أساسى يدين به فاذا رأى حزب ما مثلا رأيا ينافى أساسا من أسس الديموقراطية وكان بين أعضائه من يرفضون هذا الرأى فانه يتحتم على هؤلاء المعارضين أن يعلنوا استقالتهم من الحزب لأنه لا حزبية بلا ديموقراطية كما أنه لا ديموقراطية بلا أحزاب .

وان رأى حزب ما أن ينضم الى حزب آخر ورأى بعض الأعضاء أن هذا يهدم المبادىء التى قام عليها الحزب فان هؤلاء الأعضاء يتحتم عليهم أن يستقيلوا من الحزب كما فعل المرحوم عبد العزيز باشا فهمى حين رأى حزب الأحرار الدستوريين أن يأتلف مع الحزب الوفدى .

وكما أن الأمر كذلك فى التأييد فهو كذلك أيضا فى المعارضة ٠ فان المعارضة اذا ظل يعارض كل شيء دل بذلك على أمرين ٠ الأمر الأول هو أنه لا يصدر فى رأيه عن خالص ضميره وأن يصدر فيه عن فكرة المعارضة وحدها وفى هذا خيانة لنفسه وخيانة النفس شر أنواع الحياة ٠

أما الأمر الثانى فهو يدل على عدم جدارته بثقة الناس فيها ٠ وويل للمشتغل بالحياة العامة اذا فقد ثقة الناس فيه ٠ وحين أقول الناس انما أقصد منهم الصادق الأمين الحر فى تفكيره الذى لا تكبل رأيه قيود من تحزب أو كبول من مذهبية ٠ فهؤلاء أعداء لمن لا يرى رأيهم وقد يبلغ عداؤهم الهوس والخروج عن كل ما هو شريف فى حياة الانسان ٠

أن يفقد المشتغل بالحياة ثقة الشرفاء اذا هو لم يكن صادقا مع نفسه وللشرفاء من الناس حاسة لا تخطىء فى معرفة هؤلاء الذين لايتخذون الصدق مع النفس دينا فى الحياة ٠

وقد يؤدى هذا الصدق مع النفس الى وجود أعداء وخصوم فكأنه عدم غير موجود ٠ أو هو موجود بلا وجود ٠ كائن بلا كينونة ٠ ومن لا يخاف الله ويخاف الناس سيصل حتما الى نتيجة مؤكدة هى أنه سيغضب كل الناس ويحظى مع غضبهم باحتقارهم أيضا وقاك الله ووقانا شر الجبن والنكوص عن الرأى فانه ساء مقصدا ومالا ٠

مايو ١٩٨٤/١١/١٢ م

مصر احتفلت بعيد الحرية

فى يوم واحد كتب الأستاذ مصطفى أمين فى الأخبار والأستاذ نجيب محفوظ فى الأهرام عن يوم ١٣ نوفمبر ، وهو اليوم الذى اختاره الله سبحانه من فوق سماوات السبع ليكون بداية الصيحة لشعب مصر فى سبيل الحرية ، ومن مشارق هذا اليوم تجمع الشعب كله فى كلمة واحدة هى الحرية .. وزلزل عرش الامبراطورية التى لم تكن الشمس تغيب عما تحتله بالجبروت من بلاد خلق الله وكانت ثورة ١٩ هى ثمرة ذلك اليوم المشهود ثم كانت الحياة النيابية وتمثيل مصر فى الخارج واعتبارها دولة حرة مستقلة الأمر الذى مهد للحرية الكاملة الى سنة ١٩٥٤ حين كانت الامبراطورية البريطانية تلملم ثياب الامبراطورية لتصبح دولة عادية بلا دولة تحتلها وتضعها تحت الحماية .

وقد أحسست فيما كتبه الأستاذان الكبيران مصطفى أمين ونجيب محفوظ أنهما يريدان أن يذكرا الشعب بأمجاده وان يحتفلان بذكرى هذا اليوم الخالد من تاريخ مصر فى خشية منهما ألا يذكره أحد ويصدق عليه قول شوقى الخالد :

نسيت روعته فى بلد كل شىء فيه ينسى بعد حين

ولكن يشاء الله فى عليين أن يكرم يوم ١٣ نوفمبر أعظم اكرام على يد رئيس الجمهورية وربما من غير قصد منه الى ذلك .

ففى نفس اليوم الذى نشر فيه الصحفى الكبير كلمته فى الأخبار وعميد الرواية المصرية كلمته فى الأهرام تصدر الجريدتين خبر يحمل أمر الرئيس بازالة السجن الحربى ليصبح مراحا وساحة رياضية للشباب .

وماذا يريد يوم ١٣ نوفمبر وهو يوم الحرية الخالدة أعظم من هذا ليكون تكريما له وتذكرة عند الناس .

لقد أمر رئيس الجمهورية أن تزال حوائط السجون التى احتوت الظلم بين جنباتها وتسترت على الطغيان والجبروت وراء جدرانها وشهدت الانسانية فى الساحة التى بداخلها ما لم تشهده الانسانية فى أى يوم من الأيام اعتداء على الأعراض والكرامات والأنفس والأبدان . شهدت

الاعتداء على من جعله الله سيد مخلوقاته بما وهب له من نعمة بشرية فاذا هو في أطواء هذا السجن وديـاجيرة يصبح أحقـر من حشرة وأهون من هبـاءة ·

أصدر الرئيس أوامره بهدم السجن الحربي في يوم الاحتفال بعيد الحرية وأغلب الأمر أن الله سبحانه وتعالى أراد لهذا الأمر أن يصدر في هذا اليوم ليعلن أمانـا يا مصر لا اعتقال منذ اليوم ، ولا اعتداء عليك ، ولا تمزيق لأعضائك ، ولا سحق لأعراضك ، ولا امتهان لكرامتك ·

وليعلن الى شعب مصر أن قل ما تريد فكلمتك أمنة ورأيك بالغ الى اذن أمينة وعقلك بكل ما يفكر فيه حر يستقبل المسئولون والقائمون على مصر نتاجه في احترام واجلال وتوقير ·

ولا أحسب أن هناك احتفالا باليوم الحر أعظم من هدم الظلم في ذكراه · فليهدأ الأسـتاذ مصطفى أمين خاطرا وليطمئن الأستاذ نجيب محفوظ فؤادا فمصر بأمر العلى القدير رافع السموات لم تنس يومها ولعلها بهذا الاحتفال تنسى ما حل بها من يد أجنبية ومن أيد مصرية على السواء · ولعلها لا تذكر أن مرارتها من ظلم المصريين لها كأعظم بلاء من ظلم العدو المحتل · فاننا لا نتوقع من المحتل الا الوبال في حين لا ننتظر من أبنـاء وطننا الا الخير والطمأنينة ، ولكن لعل مصر تنسى · وقد آن لها أن تنسى ولأتذكر البيت العربي القديم :

وظلم ذوى القربى أشد مرارة

على النفس من وقع الحسام المهند

مايو ١٩/١١/١٩٨٤ م

الكتـاب هـو البشرية

أخشى أن يظن أحد أن الكتاب مجرد مظهر ثقـافى وهكذا يصـبح الاستغناء عنه أمرا غير ذى شأن • وأخشى أن يظن هذا البعض أنه مادام الذين يعملون فى ميدان الكتاب هم الذين ينادون باحيائه فالأمر لا يعدو أن يكون تعصب قوم للمهمة التى يسرهم الله لها ومحاولة منهم أن يجعلوا أداة مهمتهم شيئا خطيرا لا غناء عنه •

انما الأمر أخطر من ذلك وأجل شأنا •

إن الكتاب هو كل مرافق الحياة لا أستثنى منها مرفقا • وانى مقدم بضعة أمثلة هيهات لها أن تحيط بالموضوع كله فى خطورته وجلاله وانما هى اشارة وليس غير •

أقرب شيء الى ذهنى وهو أمر قد يبـدو أبعد ما يكون من أهميـة الكتاب •

ذلك الفوز الساحق الذى حققه الأمن المصرى أخيرا واستطاع به أن يجعل مصر مثـلا أعلى فى الذكاء والحرص على سلامة أرضها وعلى الذين اتخذوا منها حصنا يحتمون به من الطغيان والخرق والجنون •

هذا النصر كيف تم أليست الوسائل الحديثة فى الرقابة هى التى مهدت له أن يتـم • أليست هذه النظريات الحديثة فى رصد المجرمين والضرب على أيديهم قبل أن يقوموا بجرائمهم وبعده هى الكتاب •

هذا التقدم العلمى الخطير أساسه الأول هو الكتاب •

فبالكتاب عرف العالم الأدوات الحديثة فى الرقـابة وفى التقـدم العلمى فى هذا المضمار الذى لقفه جيل عن جيل استطاعت مصر أن تحقق هذا النصر الحاسم • والكتاب والثقافة والعلم هو الأساس •

ولأن مصر دولة متحضرة انتصرت ولأن القـذافى متخلـف انهزم وأصبح بين العالم أضحوكة وبين قومه أهزوءة وسخرية وهوانا وذلا •

وأخرى :

الحياة الاقتصادية فى مصر وفى كل أرجاء العالم تقوم على النظريات العالمية . وهذه النظريات ولدت فى كتب وانتشرت فى كتب واحتضنتها للعالم كتب وذاعت فى العالم أجمع فى كتب .

والزراعة التى يعنى بها اليوم السيد رئيس الجمهورية فى محاولة منه ذكية أن ينقذ غذاء الشعب . الا تعتمد فى كل تقدم لها على نظريات علمية وكيمائية . أى على الكتاب .

والصناعة التى نحاول أن نتطور بها فى كل ميدان من ميادين الحياة لا تقدم لها الا عن طريق الكتاب والمصانع المتطورة الحديثة هى نتيجة بحوث ودراسات كانت نظرية ثم صارت واقعا وعملا ولولا الكتاب لاحتاج العالم الى مئات أخرى من السنين ليبلغ فيها ما بلغه اليوم فيها .

وأسمح لى يا فخامة رئيس الجمهورية أن اخاطبك فى ميدانك وأذكر لك أنك حققت نصر الطيران فى حرب أكتوبر بمعرفتك الدقيقة بخصائص الطائرات التى كنت تتعامل بها وبالوقود الذى يستخدم فيها وبما يستطيع هذا الوقود أن يقدم . وكل هذا عرفته من الكتاب .

والأسلحة الأخرى التى حققت نصرها الخالد حققته بالمعرفة والاطلاع من قوادها ومن المخططين لها . والمعرفة والاطلاع كتاب .

والصعود الى القمر ما كان ليتم لولا أن علماءه درسوا علومهم فى الكتاب ووصلوا بهذا العلم الى القمر .

واينما توجه عينيك فى مطارح الحضارة والتقدم سيشرق لناظريك الكتاب مصدرا أساسيا .

وان رأيت فى بلد ما تخلفا وتأخرا وسفولا فلا تبحث عن السبب أنه معروف لاشك فيه . لقد غاب الكتاب عن سمائه فشمله الظلام ولف ربوعه .

أما الأدب بفروعه المختلفة من شعر ورواية وقصة ومسرحية فهو القيم .

ماىو ١٩٨٤/١١/٢٥ م :

أفراح الشعب أحزان الشيوعيين

أما أن الشيوعيين عملاء فأمر لا يحتاج الى مزيد من الحديث • وأما أنهم أغبياء فهذا أمر لا يحتاج الى دليل جديد •

ولكن العجيب حقا هو ما طالعتنا به جريدتهم هذا الأسبوع • فهم ليسوا عملاء فحسب ولكنهم يفخرون بالعمالة ويتيهون بها ويزدهون ويرفعونها شعارا على حزبهم وعقيدتهم ومذهبهم •

وهل أدل على ذلك من تلك الصفحة الكاملة التى أفردوها فى مجلتهم الأهالى للهجوم على رجال الأمن المصريين الذين تمكنوا من القبض على السفاحين المحترفين الذين استأجرهم مجنون الزمان العبيط القذافى •

أمثل هذا العمل يمكن أن يستقبله مصرى الا بالاجلال ؟ فما لهؤلاء يتخذون منه هزءة وسخرية لقد كانوا يريدون للجريمة أن تتم ، هذا أمر لاشك فيه ، فلو انها تمت ــ لاقدر الله ــ لكانت لهم فرصة رائعة للهجوم على أجهزة الأمن عندنا وكانت لهم فرصة أكبر وأعظم يتقربون بها الى سادتهم انه الأمن فى مصر مضطرب وان الحالة فوضى وانهم واثبون وثبتهم التى يتقاضون من أجلها الأموال الغزيرة •

لقد كانوا يريدون للجريمة أن تتم حتى يتغنوا بعظمة القذافى المجنون وبعبقريته • فالعباقرة عند أصحاب النظرية المادية وفائض القيمة تتمثل فى القتل والتعذيب والعدوان والتخريب والأمل الذى يسعون اليه هو الخراب الشامل الذى لا يصلح غيره لأزهارهم السوداء بلون اليأس أو الحمراء بلون الدم •

لقد كانوا يريدون للجريمة أن تتم لعلهم أنه يتخذوا من ضجيجها شعارا ليشعلوا من ورائه الحرائق ويألبوا السذاج من تابعيهم ويدبروا التجمعات ليعتدوا بها على أمن الناس وعلى المال العام وعلى أرواح الأبرياء وكراماتهم •

لاشك أنهم كانوا يريدون للجريمة أن تتم وهذا جانب العمالة فيهم لاشك فيه ولا منافسة بشأنه •

أما وقد خابت ولم تتم أما كان الأجـدر بهم لو كان فى عقـولهم بصيص من فهـم أن يصمتوا فـلا يجعلوا من النصر هزيمة ويجعلوا من العملية التى فرح بها الشعب جميعه موضوع سخرية واستهزاء وهجوم على رجال الأمن وعلى أعينه اليقظة الواعية وعلى ذكائه الحاد الذى جعل به مجنونهم يعلن على العالم أنه قاتل سفاح وهو رئيس دولة ثم يتضح بعد ذلك انه قاتل خائب وسفاح موهوم ٠

هذا اذن هو الجديد فى غباء الشيوعيين فأنهم يخترعون فى كل يوم قمة جديدة فى الغباء يصعدون اليها اذا كان مع الغباء صعود أو هم ان شئت الدقة فى التعبير يخلقون فى كل يـوم خضيضـا جديدا من الغباء والسفالة يرقمون فيه ٠

العالم أجمع معجب بعملية وزارة الداخلية الأخيرة والشعب المصرى الذى يعيش فيه هؤلاء الشيوعيون العملاء الأغبياء سعيد غاية السعادة بما حققه رجال أمنه من نصر حاسم فى ميدان الأمن وفى ميدان السياسة على حد سواء ، أما كان الأولى منكم أيها العملاء الأغبياء أن تراعوا مشاعر الشعب فتكتموا أفواهكم وتقصفوا أقلامكم فلا تجعلوا من أفراح الشعب سخرية وهزءا ولكن كيف ونحن نعلم ان أفراح الشعب هى أحزانكم وان أحزان الشعب هى أفراحهم ٠

كما كانت هزيمة الشعب هى انتصاركم وكما كان انتصار الشعب هو هزيمتكم التى يمزق حتى اليـوم جنونكم أخزاكم الله وهدم حصـونكم ومذهبكم وعقيدتكم وانه فاعل ان شاء الله ٠

مايو ١٩٨٤/١١/٢٦ م

أناشد الوزراء جميعا

أقدم للسيد الوزير محمد عبد الحميد رضوان كل شكرى على كريم ظنه بى . كما أشكره أنه يتفق معى فى الرأى أنه لا شىء يسمى الثقافة ولا يكون الكتاب هو مصدره الأول .

وأبادر فاطمئن السيد الوزير أنه لا خلاف بيننا من بعد فأنا حين أسائل وزارة الثقافة لست أقصد أن ألقى حمل المسئولية فى حل مشاكل الكتاب على اختصاصات وزيرها وحده وانما الوزارة يا سيدى وانت على رأسها مسئولان أن تحلا مشاكل الكتاب فى كل مظان هذه المشاكل .

فمن غيرك يا سيادة الوزير مسئول أن يتصل بالوزارة المسئولة عن الجمارك ليدفع الضرائب عن أوراق الطباعة ومستلزماتها واذا لم تستطع الوصول مع الوزير الى اتفاق فأنت يا سيادة الوزير مسئول أن تعرض الأمر على مجلس الوزراء وعلى مجلس الشعب .

وأنت يا سيادة الوزير وحدك المسئول عن نشر المكتبات فى جميع أنحاء القطر ويقتضى هذا منك أمورا كثيرة فأنت الذى ينبغى أن تتصل بالهيئات المشرفة على النوادى الريفية وبوزارة التربية والتعليم المشرفة على المدارس لتتدارسوا جميعا كيف يمكن انشاء مكتبات فى المدارس والنوادى . وأنت مسئول أن تتصل بوزارة الأوقاف لانشاء مكتبات فى المساجد وبالمطران لانشاء مكتبات فى الكنائس .

وأنت يا سيادة الوزير مسئول قبل هذا جميعا أن تستدعى خبراء المكتبات فى وزارتك وفى غيرها من الوزارات ليضعوا النماذج التى ينبغى أن تكون عليها المكتبة العامة ومحتويات هذه المكتبات وطرق الاستعارة فأنت تعلم يا سيادة الوزير أن المكتبات علم تخصصى له أساتذته الكبار الراسخون فى أصوله وهم يدرسونه فى المعاهد .

وأنت يا سيادة الوزير تفضلت فنقلت كلمة السيد رئيس الجمهورية الخاصة بالكتاب وأحسب أنه فاتك أن تذكر أن السيد الرئيس قد حدد مهلة ثلاثة أشهر ليعرض عليه ما انتهى اليه الرأى . وأنت يا سيادة الوزير تذكر فى كلمتك أنك قمت بحكم مسئولياتك كوزير للثقافة باعداد

مذكرة مبدئية ضمنتها كل ما هو قائم من دراسات لدى وزارة الثقافة وقدمتها للسيد الأستاذ الدكتور رئيس مجلس الوزراء آنذاك وكانت بتاريخ ٤ مارس سنة ١٩٨٤ ٠

فأنت اذن يا سيادة الوزير قدمت المذكرة قبل الموعد الذى حدده سيادة الرئيس ٠ ولكن خلافى معك يا سيادة الوزير أنك اعتبرت مهمتك قد انتهت عند هذا بينما هى فى الواقع كانت قد بدأت فى ذلك اليوم الذى قدمت فيه مذكرتك ٠ فقد كان من الحتم متابعة المذكرة وابلاغ السيد رئيس الجمهورية بمحتواها وبالعقبات التى تقف فى سبيل تنفيذ ما جاء فيها ٠

فمسئولية الوزير ليست تقديم المذكرة وانما تنفيذ ما جاء فى المذكرة ٠

واسمح لى يا سيادة الوزير أن أعقب على ما جاء فى كلمتك الحميمة من أن الوزارة تقدم الكتاب السهل بثمن زهيد فى تجربتها الجديدة التى أعدت من خلالها مكتبة الشباب ٠

يبدو يا سيادة الوزير أن وجهات النظر عن مشكلة الكتاب متباعدة بين ما نأمله نحن القراء والكتاب وبين ما تتصوره الوزارة ٠

ليس الأمر يا سيادة الوزير مجرد بضعة كتب رخيصة انما الأمر أضخم بكثير جدا من هذا المثل ٠

اننا نريد لجميع الكتب التى تصدر عن مصر أن تكون بثمن معقول ولا صلة بين هذا وبين سلسلة رخيصة تصدر تعتبر بالنسبة لما نهدف اليه أقل كثيرا من نقطة فى محيط ٠

يا سيادة الوزير فى هذا الأسبوع بالذات تضاعف سعر الورق العالمى فكان من الطبيعى أن يطغى الجشع على تجار الورق فيحبسوا ما عندهم من كميات الورق ليبيعوها بأثمان قاتلة ٠ فاذا لم تدرك الجمارك هذه المجزرة للكتب باجراء سريع حاسم يتمثل فى اعفاء الورق من الجمارك فلا أمل هناك فى حل جانب فى غاية الأهمية من مشكلة الكتاب ٠ وكذلك الأمر بالنسبة للأحبار ٠

وكلنا يعلم أنك لست مسئولا عن الجمارك ولكن كلنا يعلم كذلك أن المسئولية الوزارية كل لا يتجزأ وانك لابد أن تعرض الأمر على مجلس الوزراء وتتقدموا بمشروع الى مجلس الشعب ٠٠

هذه واحدة ٠

وأخرى ، لا يجدى فى شىء يا سيادة الوزير أن تجعل عشرات الكتب فى مكتبة الشباب رخيصة الثمن والأمر الذى ننشده نحن أن تكون جميع الكتب متاحة فى مكتبات عامة ليقرأها من لا يستطيع أن يشتريها ٠ لاشك يا سيادة الوزير أنك الآن أدركت الفارق بين الأمرين ٠

اننا نريد كتب التراث جميعا وكتب الأدباء المحدثين جميعا وكتب العلوم جميعا وكتب الجغرافيا جميعا وكتب التاريخ جميعا أن تكون متاحة فى مكتبات عامة للاستعارة ٠

تلك هى الثقافة ولن تكون الثقافة بضعة كتب للشباب يا سيادة الوزير ٠ وليس يجدى فى هذا أيضا يا سيادة الوزير معارض الكتاب التى تقام فهذه تفيد فى ترويج بيع الكتاب وفى مكاسب الجهات الناشرة من الناحية المالية ٠ ولا بأس فى ذلك ولا ضير ٠

ولكن هذا أمر يختلف كل الاختلاف عن نشر الثقافة والكتاب للجميع فى مكتبات عامة تعير الكتاب ولا تبيعه ٠

ويا سيادة الوزير أرجو أن تسمح لى أن أعيد الى ذاكرتك ما جاء فى أغلب المذكرات التى وصلت اليك والتى أعتقد أنك جمعتها فى المذكرة التى قدمتها الى مجلس الوزراء ٠ ان المذكرات تريد :

- اعفاء مستلزمات الطباعة من كافة الجمارك المفروضة عليها ٠

- انشاء مكتبات لاعارة الكتب بجميع النوادى الرياضية فى القرى وتخصيص جزء من ميزانية هذه لشراء الكتب ٠

- التوسع فى انشاء المكتبات العامة وتجديد ما اندثر منها فى المحافظات والمراكز والأحياء فى مدينتى القاهرة والاسكندرية ٠

هذه أهم الأشياء التى شملتها المذكرات ٠

وهناك كارثة أخرى وما أكثر الكوارث التى تحيط بالكتاب ٠

الكتاب فى مصر حر لا رقابة عليه ٠ فأنا أدفع بكتابى الى المطبعة فيطبع حتى اذا طبع وتداولته مصر وحاول أن يجد طريقا للعالم وقفت دونه القيود القاتلة ٠

أنت يا سيادة الوزير تملك أن ترفع بعض هذه القيود وتملك لاشك أن تسعى لدى الجهات الأخرى لترفع القيود الأخرى ٠

فالأزهر مثلا لابد أن يوافق على أى كتاب دينى يحاول أن يخرج من مصر والأزهر نفسه هو الذى وافق على الكتاب ذاته لينشر فى القاهرة ٠

أيعقل أحد هذا ٠

أيقبل الأزهر أن يقرأ المصريون شيئا لا يرضى لغير المصريين أن يقرأوه ٠

وأنت يا سيادة الوزير تعلم مشاكل الرقابة على الكتاب حين يصدر كل العلم ٠ وعليك وحدك يا سيادة الوزير تقع مسئولية القرار اذا كانت الرقابة من وزارتك وعليك وحدك أيضا تقع مسئولية السعى لدى الجهات الأخرى واستصدار القوانين لانهاء أنواع الرقابة الأخرى التى لا تختص بها وزارتك ٠

وهناك يا سيادة الوزير أمر آخر من أعظم ما يعـانيه الكتاب من كوارث وهو ما يتعرض له النـاشر عند تصدير الكتاب من جهات النقـد وادارات مكافحة التهريب مما يجعل الناشر المحترم مجرما فى غمضة عين اذا تأخر الذى صدر له الكتاب عن دفع ثمن الكتاب بالعملة الحرة فى مدة معينة ٠ وما عرفت فى حياتى قانونا يعاقب شخصا بخطأ غيره البعيد عنه والذى لا يعمل فى ظل مسئوليته الا هذا القانون الفذ العجيب وما أحسب أن ناشرا ما يرضى أن يصبح مهربا مجرما لأى سبب من الأسباب ٠

هذه يا سيادة الوزير عجالة ضئيلة غاية الضالة عن قيود الكتاب وكبوله الحديدية ٠ فلو كان الكتاب شمشون ذا الطول والحول والجبروت والطغيان لمات تحت هذه الأهوال فما ظنك ببعضعة أوراق لا تجد النصير أو المعين ٠

اسمح لى يا سيادة الوزير أن أتوجه بمقالى هذا الى السيد رئيس الوزراء والى الوزراء جميعـا ليقفوا الى جانبك لتنقذوا الكتاب من القتـل وتنقذوا الثقافـة من الضياع الذى ضاعته فعلا ٠ وانى لأرجـو السيد رئيس الوزراء أن يعـرض الأمر على السيد رئيس الجمهورية المسـئول الأول عن السياسة المصرية ليذللوا العسير ويحطموا عن ثقافة الأمة العربية السدود والقيود ؟ ٠

الأهرام نوفمبر سنة ١٩٨٤

المعتقــل الوحيــد

لست أدرى أو ربما كنت أدرى لماذا أصبحت أشعر اننى حين أكتب مقالا أصبح أشبه شىء بمن يلقى « منولوج غنائى » للنقد والترويح عن نفسى فى وقت معا ثم لا شىء بعد ذلك ٠

قد نجد عند المستمع أو القارىء ابتسامة رضاء أو هزة رأس مترنحة ثم لا شىء بعد ذلك ٠

أما اذا كان الخطاب منا لمسئولين فالأمر يختلف بعض الاختلاف ان كانت المقالة تطالبه بعمل جاد انصرف عنها منشغلا بكل شىء الا ان يقوم بهذا العمل الجاد أو يفكر فيه ٠ وحين نطالع نحن الجرائد الكثيرة والمجلات نجد الوزير معذورا حقيقة ان يفكر فى تحمل أعباء جديدة يلقيها فى رحابه أصحاب المنولوجات هؤلاء ان الأعمال تتزاحم على بابه ومن مفكرة حتى لا تدع له لحظة تفكير أو اهتمام بأشياء أخرى يريد أصحاب الأقلام أو المنولوجات ان يضيفوها الى ثقل حمله وتزاحم ساعات يومه وليله ٠ ومن أين يأتى بوقت يفكر فيه فى عبء جديد حتى ولو كان عبئا أساسيا للدولة جميعها وللأمة العربية بأسرها ٠

وبالمرصاد تقف له افتتاحات الأعمال الجديدة وقص اشرطتها ولقاء الوافدين وأصحاب الحاجات وحضور دعوات الغداء وحفلات العشاء وحذار ان يظن سيىء ظن ان هذه الدعوات لمجرد المطعم أو المشرب انها لقاءات عمل على غاية من الأهمية فهى توطد علاقات بين الوزير وبين أقوام قد تفيد العلاقات بهم فى شىء ٠

وصحيح ان الموضوعات التى نلقيها نحن أصحاب الأقلام أو أصحاب المنولوجات ــ أيهما فاختر ــ قد تكون حيوية وقد تبلغ أهميتها التأثير فى مصير أجيال حاضرة ومستقبلة وقد يكون النكوص عنها تشويها لمصر جميعها فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها ولكن كل هذا لا يهم مادام الوزير يقص الشريط ويؤدى واجباته الوزارية الاجتماعية ولا يترك حفلة يؤمها اناس الا حضرها ولا دعوة يؤمها ضيف الا شرفها ٠

وبعد فماذا يســـتطيع أصحاب المنولوجات ان يصنعوا ٠ فليجروا أقلامهم على أوراقهم ٠ ولتنقلب احبار اقلامهم الى احبار جرائدهم وليهز الناس رؤوسهم ثم يمر اليوم الذى ظهر فيه المقال ثم يعقبه آخر ثم تتوالى

الأيام • والوزراء بمواعيدهم مشغولون والقراء أو مستمعو المنولوجات انصرفوا الى هموم حياتهم اليومية و « يا دار ما دخلك شر » وما كتب كاتب ولا القى أحد منولوجا :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
انيس ولم يسمر بمكة سامر

وكان قد قيل وربما لا يزال يقال ان الصحافة سلطة رابعة وفرحت الصحافة وزاطت وتعالت طبولها وتصاعد زمرها ثم مرت الأيام • وفى كثير من الأحيان يكون مرور الأيام كمر السحاب تحسبها ثابتة وهى تمضى فى طريقها الذى لا عودة لها منه • وهى حين تمر ترسى الحق ان شاب الحق شك أو القيت دونه استار من الدعاية أو حجب من التهريج أو ضجيج من الطبول أو عجيج من المزامير •

ومرت الأيام وانتهى النبأ الى مستقر وانبلج الحق واضحا شهيرا ليست الصحافة سلطة وما لها من سلطان انما هى كلام يقال ولا يصنع شيئا •

وقد كانت الصحافة قوة عاتية لهـا فى أزمان الحرية ناب وظفر وحصن ومدفع وما كانت تسمى فى ذلك الحين سلطة الا على أفواه الناس دون أن يصدر بذلك مرسوم أو قانون •

حتى اذا صدرت المراسيم والقوانين بتنصيبها سلطة رابعة خبأ ضوءها وانحطم نابها وانكسر منها الظفر وهدمت منها الحصون وأصبحت مدافعها آلات تصاحب المنولوجات حين ينشد الكتاب هذه المنولوجات •

ليس عجيبا فى زمان أصبح هكذا شأن الكلمة فيه أن يتوارى الكتاب حسيرًا أسيفا منهزما خجلان ينظر كسير الطرف مهشم الجناح •

ونقرأ فيما نقرأ أن معرض فرانكفورت الدولى للكتاب عرض ثلاثمائة وعشرة آلاف كتاب من بينها اثنان وتسعون ألف كتاب جديد حديث الصدور • ونقرأ فيما نقرأ أن رواد المعرض كانوا مائتين وخمسين ألف زائر أى ربع مليون ونقرأ فيما نقرأ أن دور النشر المشتركة فى المعرض كانت ستة آلاف ، ومائة واثنين وتسعين ناشرا •

ونرى رئيس جمهوريتنا الأمين المؤمن الشريف يقف كالطود الشامخ فى شهر فبراير أى منذ عشرة أشهر مصدرا أوامره للمسئولين جميعا أن يعيدوا الى الكتاب عرشه الذى فقده والذى أصبح بعد أن فقده ضائعا تائها لا يجد بدلا من العرش كرسيا أو حصيرا ينتشر منه الى العالم •

ويصفق المصريون ويصفق معهم العرب • ثم ينشغل المسئولون بكل شيء الا الكتاب •

وأكتب أنا مقالات هذه الخامسة منها أو السادسة ويكتب معى كتاب كبار فى مصر والعالم العربى •

وأناشد الوزير ثم أناشد الوزراء جميعا وأستصرخ الشباب ثم أتبين آخر الآخر اننى وكل من كتب كنا نلقى منولوجات سمعها السامعون من المسئولين فأشاحوا أو لم يسمعوها فكأنها ما قيلت • وانى اليوم أتوجه الى الله العلى العظيم فهو وحده القادر على أن يجعل الصوت يصل الى الأذن ويجعل الأذن تعى ما تسمع ويجعل الناكص من الهمم ينشط والمتقاعس من الجهد يهم •

وأتوجه مرة أخرى الى الرئيس العظيم محمد حسنى مبارك ان ادرك أعظم مظهر للحضارة فى الدولة التى تسعد اليوم بالحرية التى أشعتها فى ربوعها وأفشيتها فى نواحيها فلم يبق فيها من معتقل حبيس بغير ذنب جناه الا الكتاب وهو شمس العلوم والفنون والآداب ومشرقها • وهو الذى اختاره الله سبحانه من فوق سماوات سبع ليكون معجزته الخالدة على الأرض وختم به زمان أنبياء وحديث السماء الى العباد •• أذركه فان الله مثيبك أن فعلت ثواب المحسنين الذين اذا عملوا عملا اتقنوه وأرضوا به الله وعباد الله •

الأهرام ٢/١٢/١٩٨٤ م

لا أحد يعرف كل شيء

من أجمل المقولات الانجليزية التى سمعتها تلك التى تقول لست صغيرا لدرجة اننى أعـرف كل شيء • وقد لاحظت أن كثيرا من الكتاب والمشتغلين بالحياة العامة يخوضون فى كل موضوع خوض العالم بدقائقه العارف بكل ما يحيط به •

وتجد الواحد من هؤلاء يتكلم فى الطب وفى الهندسة وفى الطاقة وفى الأدب وفى الفن • وطبيعى أن هؤلاء المتحدثين يظنون ان رأيهم هو الرأى وان قولهم هو الفصل • فالجاهل دائما هو أعلم الناس بكل شيء وتلك كبيرة من الكبائر العظمى • لان القارىء المسكين يظن أن الرأى الذى يقرأه لكاتب من هذا الصنف أو للمشتغل بالحياة العامة هو وليد علم وفير ودراسة مستفيضة فيشيع بين الناس رأي يوشك أن يكون عاما وهو فى حقيقته مبنى على الجهل كل الجهل بالموضوع الذى تكون حوله الرأى •

نرى كثيرا من الكتاب يتكلمون فى سهولة ويسر وبساطة عن مشكلة الاسكان •وتلك عجيبة من عجائب الزمان فموضـوع الاسكان لابد أن تجمع لمدارسته معـرفة بهندسة البنـاء وما يحتـاجه البنـاء من مواد والرسومات فى ذاتها تخصص والأساسـات فى ذاتها تخصص آخر • وطبيعة الأرض تخصص مختلف •• والاسكان الرخيص يحتاج الى دراسة اقتصادية كما يحتاج الاسكان الفاخر الى هذه الدراسة والدراسة الاقتصادية فى ذاتها تخصص آخر •

ومشكلة الاسـكان فى مصر تحتاج الى دراسة احصائية عن المبانى القائمة التى هى على وشك الانهيار ثم تحتاج الدراسة الى معرفة احصائية عن عدد زيادة طالبى الاسكان وكيفية مواجهه هذه الزيادة •

ولكن الكاتب مادام فى يده قلم ومادامت احدى الصحف تتيح له فراغا منها يسارع فيخبط الرأى خبطا عشوائيا ولا يهمه من بعد أصاب أم أخطأ •

أضر .

وكذلك الأمر فى مشكلة المرور جاء علينا حين من الدهر لانفتح جريدة الا وجدناها تهاجم مترو الانفاق . وننظر الى اسم الكاتب فنجده أبعد ما يكون عن معرفة أى شيء من المرور أو ما يستطيع هذا المترو أن يفعله فى حل الأزمة بينما الأمر يحتاج الى دراسة واسعة فى شتى مجالات وعديد من المناح .

وقد قدر لى أن أحضر دعوة على العشاء وجدت فيها سيدة من سيدات المجتمع حلا لها أن تظهر حلمها وثقافتها فاذا هى تتحدث عن الطاقة والأخطار الناجمة عنها وسألتها :

هل حضرتك مهندسة كهرباء .

قالت :

ـــ لا .

ـــ هل درست الطاقة واستخداماتها فى العالم ؟

قالت :

ـــ لا ولكن هذا أمر لا يحتاج الى دراسة .

قلت لها :

ـــ أنا شخصيا يا سيدتى لا أعرف شيئا عن هذا الموضوع على الاطلاق . ولو قلت لى ياسيدتى ما هو الميجاوات لأجبتك بكل صراحة لا أعرف .

ألا يكون لنا رأى .

قالت :

ـــ يكون لك رأى فيما تعرفين ياسيدتى ولا يجوز لك مطلقا أن يكون لك رأى فيما تجهلين .

قالت :

ـــ فكيف نعرف الحقيقة ؟

قلت :

ـــ بسؤال أصحاب الرأى من حقك ومن حق كل انسان أن يطالب

المسئولين أن يجمعوا أصحاب العلم من كبار الثقاة والمتعمقين فى الطاقة والكهرباء ويناقش هؤلاء وحدهم الموضوع ويخرجوا بالرأى الذى ينبغى أن يحترمه كل ما لا يعرف عن حقائقه العلمية شيئا ·

قالت :

ــــ لكن هذا بعيد عن الحرية ·

قلت :

ــــ بل هذه هى الحرية · الحرية التى هى جزء من الديموقراطية هو هذا النظام الذى يعطى الحق للعـالم أن يقول رأيه بمنتهى الصراحة فيما هو عـالم فيه وليست الحرية ومن تكون أن يحكم الجهـلاء ولا أن يصدروا قرارهم فيما لا يعلمون · واعلمى يا سيدتى ان هتلر وهو من أبشع معالم الديكتاتورية فى التاريخ كان يدعو العلماء الذى يخالفونه فى السياسة ويقول لهم · اننى لا أحترم أراءكم فى السـياسة ولكننى أحترم آراءكم فيما أنتم علماء فيه فعليكم أن تجتمعوا وحدكم لا يشترك فى اجتماعكم أحد من الساسة · والرأى العلمى الذى ستنتهون اليه هو الرأى الذى سنأخذ به الدولة ·

لو كان هتلر صنع فى الخطط الحربية ما كان يصنعه فى المسائل الفنية ما خربت ألمانيا ولكن لو حرف لا يفيد الا ضياع الفرصة وقد ضاعت ألمانيا وانشطرت الى شطرين بفضل غباء الديكتاتور ·

مايو ١٩٨٣/١٢/٣ م

مات رجــل مصرى

رجل عنا بالأمس القريب رجل • أما هو فقد صعد الى أكرم لقاء •

ونذكر أبيات شوقى الخالدة :

الى الله اسماعيل وأنزل بساحه

أطل الندى أقطارها والنواحيا

لدى ملك لا يمنع الظل لائذا

ولا الصفح ثوابا ولا العفو راجيا

ترى الرحمة الكبرى وراء سمائه

تلف التقى فى سيبها والمعاصيا

وقد كان عبد المنعم من أولئك الذين لا نعرف عنهم المعاصى • فما عرفنا فيه الا الصدق مع النفس ومع الناس • وعرفناه يتولى كل قضية تتصل بوطنه وكأنها حرم مقدس •• لا يضن عليها بجهد أو قول •

أصابه المرض فهزمه بايمان منه صادق بالله العلى القدير وبحماسه منه منقطعة النظير ان عليه نحو هذا الوطن واجبا لابد أن يؤديه •• واللهم أشهد لقد أداه •

أما هو اليوم فقد اعتضنــم بصاحب الملكوت • رب العرش العــلى الكبير المتعال • السماء والأرض مطويات بيمينه • فهو فى أمان من الحاقدين والمشائين بنميم والظالمين للاتقياء والعادين على حق الله وحقوق الناس • فهو ثمة فى نعيم أى نعيم •

أما نحن أصدقاؤه وعارفو فضله فنبكى فيه رجلا • وكم تمثل كلمة رجل هذه ثروة لا تدانيها فى العالم ثروة • نبكى فيه الاخلاص والأمانة والشرف • واذا كانت هذه الصفات مفروضــة فى الانسان السوى فقد أصبحت فى زماننا هذا أعجوبة تكاد تصبح من السماعيات التى لا يشهدها الا القلة ولا يتحلى بها الا ذو حظ عظيم •

رضى الله عن عمر الفاروق وارضاه كان يروى بيتين ووالله ما أدرى ماذا كان يروى لو شهد زماننا هذا ؟

وما بقيت من اللـذات الا مخاطبة الرجال ذوى العقول
وقد كنـا نعدهـم قليـلا فقد صاروا أقل من القليـل

وقد كان عبد المنعم الصاوى من أصحاب العقول وهؤلاء الذين هم فى زماننا هذا أندر من الندرة ٠

وكان مصريـا بكل ما تعنيه الكلمة من عمق وطول وعرض ٠ كان مصريا حين كان يكتب رواياته فتراهـا تقطر رحيقـا مصريا نعرفه نحن المصريين كل المعرفة ونميز ملامحه كما نميز خلجات وجوهنا وكان مصريا وهو يعمل فى اليونسكو ٠

وكان مصريا وهو نقيب الصحفيين الأفريقـيين وكان مصريـا وهو يسعى أن تكون مصر عضوا شامخا فى المجتمع الدولى فى كل مسـاحات المجتمع الدولى ٠

عرفت عبد المنعم الصاوى فى السنوات الأخيرة من الأربعينات ودامت هذه الصـلة حتى اختـاره الله فى أكرم جوار فما سـمعت منه يوما مذمة لصديق أو لعدو ولا رأيته يتحدث الا بما يشعر أنه الحق عنده وكم خالفته فى رحاب مجلس الشورى وكم جـادلته ولكنه رحمه الله كان يعلم اننى أجادله مجادلة رأى لرأى وحق بحق وصدق بصدق فما غضب يوما ولا مسه من جدلى طرف من سخط أو غضب بل نحن بعد الجلسة ترانا وقد تعانقت ذراعانا وسرنا وكأننا لم نكن منذ لحظات نقف على طرفى نقيض فى مناقشة ٠ كان رجـلا ٠٠٠ والداهية التى تدهمنـا من فقدان رجل دهيـاء قاصمة ٠٠ فنحن ٠٠ مصر أشد ما تكون حاجة الى الرجال رحمه الله وبسط عليه نعمائه ورضاه انه قريب مجيب ٠

مايو ١٠/١٢/١٩٨٤ م

قولوا حقا أو اصمتوا

يبدو أن المعارضة غير واعية بأبعاد الحياة التى تعيشها مصر اليوم فهى فى واد ومصر ومشاغلها فى واد آخر ٠

ولو كانت المعارضة تعيش فى مصر لحاولت أن تبحث ما يعانيه الشعب بحث قوم من أحباب الشعب لا من أعدائه ٠

لو كانت المعارضة من مصر لما حاولت أن تمزق الجروح فى جسم مصر بل أن تبحث عن الدواء يجعل الجراح تلتئم والآلام تزول ٠

ولو كانوا من مصر لما حاولوا أن يثيروا الشباب على نفسه لان الثورة فى النفوس جنون وخروج عن العقل ومن خرج عن العقل لا يتحرج أن يعتدى أول ما يعتدى على هؤلاء الذين أثاروه والذين نكأوا جراحه وزادوا من آلامه ٠

المعارضة فى مصر تعيش زمنا بعيدا عن زماننا وتعيش فى بلاد ليست بلادنا ٠

فان كانت المعارضة فى بعض الأزمان تحاول أن تجرح الحكومة لتسقطها وتتربع هى على دست الحكم بدلا منها فان هذا الزمن اليوم يختلف كل الاختلاف عن الاطار الذى نعيش فيه ٠ فقد كانت الأحزاب فى تلك الأيام متقاربة الأغلبيات وكان من الممكن أن يذهب حزب ويحل آخر ٠

أما اليوم فهيهات ٠ ومحاولة المعارضة أن تحرج الحكومة محاولة تدل على أنهم بعيدون كل البعد عن واقع الحياة التى نعيشها فى مصر ٠

فمصر التى يفكرون فى شأنها بعقلية الزمان القديم لم تكن قد تعرضت لما تعرضت له مصر اليوم من تخريب لجميع مرافق الحياة فيها ٠

ولم تكن قد مرت بالنكبات التى مررنا بها قبل أن يستقر بنا الحكم ويهدأ ما كان فائرا ويثبت ما كان زلزالا لا يبقى ولا يذر فنحن اليوم فى فترة من أدق فترات التاريخ لم تعرفها مصر منذ عهد المماليك حتى الآن ونحن اليوم نحتاج الى كل محب لمصر أن يبحث مع الحكومة عن الحل الأمثل لمواجهة ما نعانيه ٠

وفى المعارضة عقول واعية جديرة بأن تكون مصدر نفع لمصر • لو أن هذه العقول صرفت تفكيرهـا الى خير مصر بدلا من أن تصرفهـا الى احراج الحكومة •

ان احراج الحكومة اليوم عواقبه بعيدة كل البعد عن تلك العواقب التى كانت فى الزمن الماضى •

ان المعارضة اليوم تختلق العيوب لتحاول احراج الحكومة • وهى اليوم تقحم نفسـها فى موضوعات على درجة عالية من التخصص لا يجوز أن تقحم نفسها فيها الا اذا استعانت بكفاءات غاية فى الاكتمال العلمى حتى يتاح للمعارضة اذا تكلمت أن يكون كلامها موضع تقدير من الحكومة ومن الشعب أيضا • وحتى يؤدى كلامها الى المصلحة العليا للبلاد التى ينبغى ألا تفكر المعارضة الا فيها •

ليست المشكلة اليوم هى مشـكلة من يحكم حتى تحاول المعـارضة اختلاق العيوب وتصيدها وان المشكلة الكبرى هى مصر •

ان كانت حقا تقدر قداسة مصر فعليها أن تبحث عن الحل الأمثل لا عن الاثارة الفارغة • وعليها أن تضع يدها على الأدواء لتجد لها الدواء وليست لتزيد الداء استفحالا •

على المعارضة أن تعلم انها لن تكسب شيئا على الاطلاق من محاولة احراج الحكم انها لن تلى الحكم فهى أقلية لا يمكن أن تصلح لتـولى الحكم ولن تكسب احترام الشعب لان الشعب اليوم لا يعنى فى كثير أو قليـل بالذين يهاجمون لمجرد الهجوم • فقد كان هذا يعتبر بطـولة حـين كانت الأفواه مكممة والقيود والكبول مفروضة على أبناء مصر •

أما فى ظل الحرية فالمعارضة بين واحده من اثنتين لا ثالث لهما • أما أن تعارض فى علم وفى ذكاء وفى خبرة وفى محاولة للوصول الى الحل الأمثل • وأما أن تصمت تماما حتى لا تفقد احترام الناس لها • واحترام الناس هو رصيد الذين يعملون بالحياة العامة الذين لا حياة لهم بغيره •

مايو ١٧/١٢/١٩٨٤ م

من الحديث الى التنفيذ

مع هذه الكلمة خطاب أنا أعتبره تحقيقا لأمل عريض ظلت الثقافة فى مصر تهفو اليه زمنا عهيدا ٠٠ وأنا أعتبر ان تحقيق هذا الأمل الذى يفك أسر الكتاب والثقافة المصرية ويطلقها تفشى أضواءها فى العالم العربى أجمع وفى غير العالم العربى من الدول الناطقة بلغة القرآن بشرى تقر بها عين مصر ٠

وانى واثق أن هذا الخطاب الكريم من الأستاذ العظيم الدكتور عاطف عبيد وزير التنمية الادارية يحمل فى اطوائه بشريات أخرى من الاهتمام بالمكتبات العامة في المحافظات والمراكز وفى القرى فمادام الوزير يبشرنا بأن الأمر معروض على مجلس الوزراء فلا جدال أن المجلس سيبحث فى شئون الكتاب جميعا ٠

ولا شك أن المثقفين فى مصر جميعا والناطقين بالعربية فى كل مكان فى العالم ينبغى لهم أن يتقدموا بشكرهم كله الى رئيس جمهورية مصر الذى ألقى الى الحكومة أمره ان تعد دراسة شاملة حول قضية الكتاب فوضع بذلك بيده الرشيدة الحكومة أمام مسئوليتها وكانت الحكومة عند هذه المسئولية ٠

ولهذا فانى أرى أن أى حديث فى موضوع الكتاب منى اليوم تزيد لا يجوز لى ٠ فقد انتقل الأمر في شأنه من مرحلة الحديث الى مرحلة العمل والنفاذ ٠

وكما احتسبت الله ألف مرة من قبل آن لى أن أحمد الله آلاف المرات اليوم ٠ فله سبحانه الحمد كل الحمد ٠٠٠ حمدا يرضيه جل علاه وتقدست أسماؤه سبحانه ذو القوة المتين ٠

وزير شئون مجلس الوزراء ووزير الدولة للتنمية الادارية
الأستاذ / ثروت أباظة

خالص تحياتى وتقديرى ٠

سعدت باستفساركم عن برنامج الحكومة بشأن اعطاء دفعة قوية لصناعة الكتاب المصري ، ويسعدني أن أقدم لكم الحقائق الآتية ؛

أولا : تلقت الحكومة أمرا من السيد الرئيس / محمد حسنى مبارك بضرورة اعداد دراسة شاملة تنتهى الى برنامج محدد قابل للتطبيق لرعاية صناعة الكتاب فى مصر واعطائها المساندة التى تمكنها من تأكيد دور مصر القيادى فى مجال نشر الثقافة .

ثانيا : تم اعداد هذه الدراسات ، وقد حرصت على الاعتماد على كافة المعلومات المتاحة عن واقع صناعة الطباعة ، والمجالات المتاحة لتسويق الكتاب محليا ، ودور مؤسسات التعليم والثقافة فى تأصـــيل عادات القراءة ، ووسائل تشجيع الكتاب والمفكرين ، وأساليب حماية وتقوية الناشرين ومساندة جهودهم فى الداخل والخارج ، والخطة الواجب تنفيذها لزيادة صادرات الكتاب المصرى ، وازالة العقبات المادية والبيروقراطية والتي قد تعرقل الانتاج والتصدير .

ثالثا : سوف تعرض هذه الدراسة وتوصياتها على مجلس الوزراء فى جلسته القادمة فور عودة السيد وزير الثقافة من الخارج .

وسوف أوافى سيادتكم بنسخة منها بمجرد اقرار البرنامج الذى سيقرر المجلس تنفيذه .

يسعدنى أن التقى بسيادتكم فى أى وقت لمناقشة الأفكار المطروحة فى هذه الدراسة والنابعة من الواقع المصرى ، وأود أن أشكركم على عظيم اهتمامكم بقضية الكتاب المصرى حفظكم الله لهذا الوطن العزيز .

وتفضلوا بقبول وافر تحيتى وتقديرى .

وزير شئون مجلس الوزراء

ووزير الدولة للتنمية الادارية

مايو ١٩٨٤/١٢/٢٣ م :

انهـــا مصر أولا

روعت كما ارتاع غيرى حين خرجت على الناس هذه المقارنة المريرة بين انتاج القطاع العام وانتاج القطاع الخاص ٠

والقطاع العام يمثل ركيزة من أخطر ركائز الاقتصاد المصرى أن لم يكن أخطرها فما هذا الانتاج المتهافت الذى تطالعنا به هذه المقارنة ٠

ترى ايشعر العاملون فى القطاع العام أن المال ليس مالهم وكيف ؟ واليهم يعود عائده ، وعلى أبنائهم وأوطانهم ترتد مكاسبه فكيف اذن يفصلون بينه وبين جهودهم وحرصهم على نمائه وازدهاره ٠

أيمكن أن نتصـــــور أن المصريين الذين يعملون فى القطـــــاع العام لا يشعرون بالانتماء الى مصر ٠

أيمكن أن يمر بخواطرنا أنهم ليسو حريصين على أموالهم ومستقبل بلادهم اذن فما هذا الفارق الكبير بين الانتاج الذى يحققه القطاع الخاص وهذا الذى يحققه القطاع العام ٠

أيكون السبب هو كثرة العاملين فى القطاع العام كثرة لا يحتاجها العمل ٠ فلماذا اذن تم تعيينهم ولماذا لا ينظر خبراء التخطيط عندنا وهم أصحاب علم وخبرة فى هذه المشكلة ويبحثون عن وسيلة لحلها ٠ ولتتمثل هذه الحلول فى التوسع فى المشروعات أو نقل الزائدين عن الحاجة الى أعمال أخرى أو لتتمثل فى أى حل يراه رجال الاقتصاد والتخطيط حتى يتواءم العمل مع العاملين ٠ وحينئذ يكون الربح وفيرا لمصر أولا ثم لهؤلاء العاملين أنفسهم بما يتحقق لهم من أرباح بعد ذلك ٠

أم يكون السبب متربصا فى القطاع العام فى القيود التى تفرضها القوانين على المسئولين فهم عاجزون غاية العجز ان يوقعوا العقاب على المسىء ويقرروا الثواب للمحسنين ربما كان الأمر كذلك وانه لظلم وما افدح الظلم أن يتساوى المسىء بالمحسن والمجد بالكسلان وصاحب الضمير بغائب الضمير ٠ واذا كان الله سبحانه وهو العدل المطلق يكافىء المحسن باحسانه ويجزى المسىء بمساءته فكيف لا يكون هذا هو ميزان العمل عندنا فى كل مرفق من مرافق حياتنا ٠

أننا لا نستطيع أن نتصور حياة يتســـاوى فيها المخطىء بالمصيب ولا الجاد بالهازل ولا البرىء بالمذنب ·

ان حياة لا تعرف القاب والثواب هى والغابة سواء بل ان الغابة تكون ارحم منها بساكنيها واشفق منها باهليها ·

ام ربما تكون كثرة الأجازات والترخص فيها عاملا هاما فى ركود القطاع العام وضآلة الانتاج فيه · اذن فمالنا لا نعيد النظر فى هذه الأجازات ونساوى بينها وبين أجازات القطاع الخاص اليس العاملون فى القطاع الخاص آدميون مثل هؤلاء الذين يعملون فى القطاع العام ·

فلماذا اذن رفض القطاع الخاص أن يطبق نفس القوانين التى يطبقها القطاع العام على العاملين فيه ·

وكيف يسوغ فى الأفهام أن يكون فى الدولة الواحدة قانونان أحدهما يخضع له القطاع العام والآخر يخضع له القطاع الخاص ان الذى أجمع عليه العالم أن الدولة يحكمها قانون واحد وبغير هذا تصبح القوانين جميعا مائعة لا ترسى فى نفوس الشعب الجلال الذى ينبغى أن تحاط به القوانين فى النفوس ·

أن الأمر جد لا هزل فيه · وان فى مصر الأقطاب الائمة فى علوم الاقتصاد والتخطيط والقانون وعليهم جميعا أن يبحثوا هذا الأمر بحثا عميقا جادا فان الخطر الداهم الذى يطل على الاقتصاد انما يواجه اقتصاد مصر جميعا وحاضرها ومستقبلها ومادمنا نقول مصر فانه يتحتم على كل فرد فينا أن يعتبر الأمر أهم ما يسعى له انسان يعيش بين ربوعها ·

مايو ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٨٤ م :

الانضباط يبدأ بالقانون

لست اتصور ان تنصرف كلمة الانضباط الى المرور ٠ فان كان الأمر كذلك لكانت كلمة التنظيم أولى بالاستعمال ٠ انما تنصرف كلمة الانضباط الى مناحى الدولة جميعـا بلا استثناء ٠ وهى كلمة طيبة فيها كثير من الرقـة ٠

والميادين التى ينبغى ان تعمل فيها هذه الكلمة لا يكاد يشملها تعداد أو يحيط بها شمول ٠

والمقصود بالكلمة هو أن يطبق الجمهور القوانين ٠ فكثير من القوانين لا تطبق ٠ والسبب الرئيسى فى ذلك كثرة القوانين كثرة لم تسمح به أمة قبل اليوم ٠

وكثرة القوانين مثل كثرة أى شىء يوحى بعدم قيمة هذا الشىء ٠ فالذهب والأحجار الكريمة مرتفع الثمن لندرة كل منهما ٠ والنحاس رخيص تجد القطعة منه ملقاة فى الطريق ولا تعيرها التفاتا ولا تبالى بها وقد تعدوها عيناك ولا تراها ٠

فحتم أساسى أن يكون القانون ذهبا وحجرا كريما أو هو لا قيمة له ولن يكون كذلك الا اذا صدر بعد تمحيص دقيق وبحث عميق فى أصوله وأثاره ودوافعه ووسائل تطبيقه ٠

ثم اذا صدر القانون أصبح ثابتا مكينا لا يتزعزع فمن أول شروط القوانين ان تكون ثابتة حتى يستقر احترامها فى النفوس واذا لم يستقر هذا الاحترام فى نفوس الشعب فالقانون عدم ولدا ميتا موءودا لا يلتفت اليه أحد ٠

فاذا عرفنا عدد القوانين المطبقة اليوم فى مصر لأدركنا على الفور لماذا فشا فى الشعب المصرى التسيب وعدم المبالاة بالقوانين ٠

ان فى مصر أربعة عشر ألف قانون ومعنى هذا ببساطة انه ليس فى مصر قانون ٠

فمن ذلك الفرد فى الشعب الذى يعرف بل يحافظ على أربعة عشر ألف قانون ٠

ومن ذلك القاضى الذى يستطيع ان يلم بمواد أربعة عشر ألف قانون .. هيهات .. ان القضاة جميعا بلا استثناء يواجهون موقفا غاية فى الحرج لما يطالعهم من هذا السيل المتدفق كالشلال من القوانين .

ومن ذلك المحامى مهما تكن عبقريته الذى يستطيع أن يعى فى ذهنه أربعة عشر ألف قانون .

ومن فى رجال الشرطة يستطيع ان يلم بأربعة عشر ألف قانون .

أى انضباط اذن نطمح اليه أو نأمل فيه . هيهات انما هذا الذى يحدث محاولة شجاعة جريئة ولكنها تعمل فى ظل ظروف غاية فى الصعوبة ان لم تكن مستحيلة .

ان الانضباط يبدأ أول ما يبدأ بأن يكون هناك قانون .

ووجود أربعة عشر ألف قانون معناه الوحيد انه ليس هناك قانون .

فاذا لم يبدأ الانضباط باعادة النظر فى هذه القوانين وتأصيلها ووضعها فى الاطار الطبيعى المعقول فلا سبيل أن يصل رجال الأمن الى الانضباط الذى ينشدون .

ومراجعة هذه القوانين لا تحتاج الى مال وانما تحتاج الى رجال علماء فى القوانين . ومصر فى المال فقيرة ولكنها فى الرجال وفى رجال القانون ، بالذات ثرية غاية الثراء .

وأعلم ان هذا الذى ادعو اليه ليس غريبا على القائمين بالأمر سواء كانوا من السلطة التشريعية أو السلطة التنفيذية .

ولقد أعلم ان هناك لجانا بدأت فعلا فى علاج هذا الداء الوبيل . ولكن أخشى ما أخشاه ان يستغرق هذا السرطان القانونى وقتا طويلا لعلاجه واستئصاله .

ولهذا كم اتمنى ان توزع كل مجموعة من القوانين على لجنة خاصة بها بحيث لا يزيد عدد القوانين التى ستقوم بنظرها عن ثلاثمائة قانون وتعمل اللجان كلها فى وقت واحد حتى اذا أتمت عملها وأصبحت الثلاثمائة قانون عشرة مثلا اجتمعت اللجان جميعا وتدارست ما انتهت الى اثباته من قوانين حتى لا تكون بينها قوانين متعارضة أو متشابهة .

وفى مصر ـ والحمد لله ـ من رجال القانون عدد يستطيع ان يكون مئات اللجان . ولا صلاح لدولة لا تستفيد بعقولها وعلمائها . فالانسان هو أغلى عناصر هذا الوجود .

مايو ٣١/١٢/١٩٨٤ م :

فهل من هداية ؟

حـــيرة ..

الذى اعتقده أن هناك انتخابات جرت منذ أقل من عام وأظن أن نتائج هذه الانتخابات أسفرت عن فوز الحزب الوطنى بأغلبية وعن فوز حزب الوفد بمقاعد هيأت له أن يكون حزب المعارضة الأول والذى أظنه أيضا أن حزب التجمع الذى يمثل الشيوعية العالمية لم يستطع أن يحصل على مقعد واحد فى البرلمان .

فاذا كان الذى أظنه حقا فأنا فى ذهول مما أرى حولى . واذا لم يكن حقا فالذى أراه اذن معقول متسق مع طبيعة الأمور .

اننى أرى الحزب الشيوعى المصرى قد لف ذراعه حول حزب آخر ليس له وجود شرعى وان كان يحاول أن يجعل وجوده شرعيا . واسم هذا الحزب هو الحزب الناصرى . تكاتف الحزبان وفرضا على مصر حصارا اعلاميا لا يكون ولا يصح فى الأذهان الا اذا كان هذان الحزبان هما الأغلبية الساحقة وكل الأحزاب الأخرى لا وجود لها فى البرلمان أو فى الســـلطة التنفيذية .

لقد فرض الحزب الشيوعى نفسه على وسائل الاعلام المصرى جميعا وأقام على كل قلم حر يمينى وليس شيوعيا غولا يقف على رأسه ويسلط عليه الرعب والرهبة والجبروت .

ترى الشيوعيين فى التليفزيون وتراهم فى كل جريدة بنسب متفاوتة فهم فى بعض الجرائد أصحاب مقالات . وهم فى بعض الصحف السادة المتفردون قد استولوا على الدار من بابها لا ينفذ منها يمين ولا تتخطى أعتابها شهادة لا اله الا الله .

اذن فالذى يقوم بذهنى عن نتائج الانتخابات الأخيرة وهم لا حقيقة فيه . وانى لأعجب أن أكون واهما فى أمور لا سبيل فى شأنها الى شك . ولكن الأعجب الذى يدعو الى الذهول أن يكون الشعب المصرى والعالم أجمع هو أيضا واهما مثل وهمى يسيطر عليه الظن الكاذب الذى يسيطر على أن الشيوعيين لم ينالوا مقعدا واحدا فى مجلس الشعب ومع ذلك ناقص جزء

التليفزيون فى كل يوم حديث ٠ ان لم يكن فى السياسة ففى الثقافة وان لم يكن فى الثقافة ففى الدراما وان لم يكن ففى غير ذلك ٠

ومع هذا الانتشار يثور الرعب بين الكتاب فلا يجرؤ كثير من الكتاب أن يذكروا انتصار ٧٣ وصاحب قرارها الزعيم العملاق أنور السادات ولكن للكاتب اذا شاء أن يذكر الأمجاد التى أحرزتها مصر فى كارثة ٦٧ التى أدت الى احتلال مصر بأحقر دولة فى العالم ٠

أما الحرب التى أوقدها السادات ٠ والتى كان من أكبر أعمدتها رئيسنا الحالى أبقاه الله الذى استطاع أن يجعل ما صنعه الطيران المصرى فى حرب النصر موضوع دراسة فى جميع أنحاء العالم ٠٠ هذه الحرب يذكرها كثير من الكتاب وهم يتلفتون حولهم خشية الغول الشيوعى الذى وزع الشيوعيون نماذج منه فى كل ناحية من نواحى الاعلام فى مصر ٠

ولا يجرؤ الكتاب أن يذكروا رحلة السادات الخالدة الى السلام والتى كان من نتائجها أن تسلمت مصر سيناء كلها ٠٠ فقد استطاع الشيوعيون أن يصرخوا بصوت جهير كلما ذكرنا سيناء ٠٠ وأين طابا ؟

وطابا هذه لا تزيد مساحتها على مساحة بيت من بيوت مصر يتمسك بها اليهود ليخفوا خيبتهم فى الحرب وفى مفاوضات السلام وهى عاجزة أن تخفى هذه الخيبة الا اذا استطاع دبوس أن يخفى عمارة شاهقة البناء ٠٠ وهم يتمسكون بها لأن بعض الحكام لهم أنصبة فى الفندق المقام هناك على بضعة مئات من الأمتار ٠ وهم يعلمون أنهم مهما عضوا بالنواجذ على طابا فهى عائدة الينا بما لنا فيها من حق وبما يساندنا فى شأنها العدل الدولى ٠

ولكن الشيوعيين يجعلون منها شعارا على أن الحرب لم تكن انتصارا وعلى أن السلام لم يؤت ثماره ٠

وهم قادرون على أن يجعلوا الزيف يبدو وكأنه حق ٠ ولكن فالهم يخيب وهراءهم يسقط ٠ ويبقى الحق حقا والنصر نصرا ناقص منا أن ننسى أن زبانية حكم الطغيان كانوا يتاجرون وحدهم فى كل ما يستورده الانفتاح اليوم بصورة شرعية بينما كان يستورده الطغاة بطغيانهم وبالسلطة المطلقة التى اغتصبوها بالسلاح والاعتداء على الأعراض وبالتعذيب وبالقهر ٠

وهم يصرخون لكل أخبار تنشر عن سرقات وينسون أن النشر عن السرقات هو الحرية وهو السبيل أن يمنع هذه السرقات ويردع مرتكبيها ٠ وينسون أن هذه السرقات كانت مؤممة فى حكم الطغاه وكان الطغاة وحدهم يسرقون بلا رقيب ولا حسيب الا اذا شاء الحاكم أن يفضح واحدا منهم فانه يذيع ما استتر من أمره ويقصيه حتى اذا قبل الحذاء ومرغ وجهه فى تراب

الاعتاب عاد مفضوحا · لكن هو يعود · ويحكم ويتولى كل السلطات التى كان يتولاها · وأقرأ منذ قريب مقالا لأمين هويدى فى الأهرام يقول فيه أى العرب تصطلح معهم مصر ومع أى مصر يصطلحون ··

عجيبة ·· أما العرب الذين ينبغى أن يصطلحوا مع مصر فهم كل العرب ماعدا الأخرق الذى أذاع نفسه فى ليبيا أنه ارهابى محترف وماعدا الطاغية الذى ترك وطنه محتلا من اليهود فى الجولان واحتل هو لبنان فى منطقة جبل الشوف ·

أما أى مصر فهذا هو السؤال الكارثة ، انها مصر واحدة · مصر التى يعرفها التاريخ منذ مشرق التاريخ والتى يعرفها العالم اليوم محكومة برجل يخاف الله ويتقيه كل تقاته ويعف عن قهر وينأى بنفسه عن تعذيب الشعب ويسمح لك ولحلفائك الشيوعيين أن تقولوا ما تقولون وتفعلوا ما تفعلون ·

انها مصر · مصر الواحدة الباقية الخالدة التى صمدت للطغاة من الخارج والداخل ·· والتى يشيع فيها الأمن اليوم وتنعم بالحرية والسلام ·

ولكن الغريب أن يسيطر هؤلاء على الأغلبية ليس شيوعيا وأن حزب الوفد الذى يمثل الجانب الأكبر من المعارضة ضد الشيوعية ·

وهكذا فالذى ينبغى أن يثبت فى يقينى أن أعضاء مجلسى الشعب والشورى جميعا ليس فيهم شيوعى واحد ·

فما لهذا اليقين يختلف كل الاختلاف عما أراه فى الاعلام المصرى وما للشيوعيين يظهرون فى كل ميادين الأعلام ولا يسمحون لقلم يمينى واحد أن يكتب سطرا فى مجلتهم · ومالهم لا يكتفون بهذه المجلة ومالهم يبعثرون غيلانهم على سطح مصر جميعا ·

عجب يتولانى ويتولى فى مصر كل من يؤمن بالله واليوم الآخر مسلما كان هذا المصرى أو كان من اخواننا المسيحيين ·

ألا أجد أحدا يهدى الحائر من نفوسنا والذاهل من عقولنا ؟

أم نقول حسبنا الله ونعم الوكيل ونضم حيرتنا تلك مع حيرات أخرى لا عدد لها ولا حصر لا أستطيع أن أغفل منها ما قرأته من مقالات للشيوعيين يشيدون فيها بالارهابى المحترف صاحب ليبيا وبانجازاته وعدالته فى التوزيع وبعظمته مسقطين من مقالاتهم عمليات الاغتصاب الدولى التى يمارسها فى السودان وفى تشاد بل وفى لندن أيضا ·

ولست أدرى ربما يعودون الى هذه الجرائم الدولية فيوســعونها أكبارا وتعظيما واجلالا · وبما لا يفوتهم أيضا ما قام القذافى به فى مصر من محاولات خائنة وضيعة ليثير الشباب على وطننا المفدى ·

ترى أيعرف الشيوعيون معنى الوطن المفدى ·· لا ما أظن فليس فداء الوطن أو العمل فى سبيل رفعته من مبادىء الشيوعية وانما مذهبهم أن نهدم الوطن ونغرس الكراهية فى أنحائه لينمو فيه نباتهم القاتل ·

فما بغريب أن نرى فى غد مقالات تشيد بما يحاول أن يخربه القذافى من أمتنا وسلامتنا ·

مقـــــالات

١٩٨٥

أيهما أجدى ؟!

فى أى زمان تعيش المعارضة • وهل تراها تعى أننا اليوم فى عام ١٩٨٥ وانه قد مر على الفترة التى يتحدثون عنها ثلاثون عاما ونيف • كم كنت أرجو أن يخلف الوفد ظنى حين كنت أذكر تاريخه أثناء المعركة الانتخابية وكم كنت اتمنى أن يعود الى الحياة السياسية بوجه يوائم التغييرات الكبرى التى حدثت طوال ثلث قرن • فالشعب الذى يخاطبه الوفد من العشرينات الى الخمسينات مختلف تماما عن الشعب الذى يخاطبه اليوم • والأفكــار التى كان يعمل بها تغيرت تغييرا كاملا • والمناورات السياسية التى كان يتعامل بها فى تلك الفترة أصبحت غير ذات مكان ولن يكون لها أى جدوى •

والغريب العجيب أن ساسه حزب الوفد يعرفون ذلك تمام المعرفة ولا يحتاجون الى أحد أن يذكرهم به • فليس فيهم من لا يعلم أنهم بعيدون بهذه القلة التى تمثلهم فى مجلس الشعب عن الحكم بعدا قصيا فاستيلاؤهم على الحكم هو المستحيل بعينه • ولم يكن الأمر كذلك قبل يوليه ٥٢ فقد كانت لهم وسـائل كثـيرة أن يصـلوا الى الحكم أولها الانجليز وآخرها الشعب • وتهجمهم اليوم على الأحزاب التى كانت معهم فى الساحة عبث أطفال • فان التاريخ قد كتب فعلا ولن يغيره اليوم تلك النقوش التى يلهو بها من دمروا هذا التاريخ •

ومادام الأمر كذلك أليس من الطبيعى والمعقول أن يحاول الوفد أن يكون ولو لمرة واحـــدة ذا نفع فى الحيـــاة العامة فيعمل على خير مصر ومصلحتها مادام لا أمل لهم فى مصلحة شخصية •

أنا أعلم أن العمل لمصلحة مصر أمر يتجافى مع مبادئهم ومع وسائلهم السياسية • ولكن هم يعلمون اليوم كل العلم أن مبادئهم ووسائلهم لن تأتى بهم الى الحكم فما ضرهم لو تظاهروا بأنهم يريدون مصلحة مصر لوجه الله والمصلحة العامة وحدها وقد يصدقهم الناس •

لقد جانبهم التوفيق تماما حين بدأوا استجواباتهم بمشكلة الطاقة فهى مشـــكلة فنية لا يجوز الكـــلام فيها لغير المتخصصين المغرقين فى التخصص • والذى يتحدث فى غير علمه جاهل مغرق فى الجهل • ولو أنهم

تناولوا الموضوع تناولا علميا شريفا واستدعوا علماء فى الطاقة وطلبوا اليهم أن يقدموا تقريرا مفصلا كافيا عن مضار الذرة وفوائدها لكانوا بهذا حقا ساسة أذكياء يعرفون كيف يكون العمل الذى يدعو الى الاحترام ٠ ولو كان العلماء الذين دعوهم أدانوا استعمال الذرة لأصبح لكلامهم قيمة ٠ أما أن يهاجموا موضعا فنيا من زاوية سياسية فتلك مهزلة نالوا عليها الجزاء ٠

وأخرى ٠ ما حديثهم اليوم عن الانتخابات ٠ ومتى كانت مثل هذه الأحاديث مجدية أو ذات نفع ٠ أينتظرون مثلا أن يصدر مجلس الشعب قرارا بزيف الانتخابات وبطلانها وحل مجلس الشعب ٠

أم هم يريدون أن يدقوا طبولهم التى مازالوا يحتفظون بها منذ كانت الغوغائية والهتاف والقمصان الزرقاء هى مثلهم الأعلى ٠

فان كان هذا هو هدفهم فالى أى غاية يصلون ٠ وماذا يجدى عليهم هذا ٠ وأنى لأسألهم مخلصا صادقا ٠ أليس الأجدى وبينكم قوم نحترم عقولهم وثقافتهم وخبرتهم أن تبحثوا عن الطرق المثلى التى يستطيع بها الشعب أن يتخلص مما فرضته عليه السنوات العجاف ٠ أولا يعتقدون أنهم لو اتجهوا هذا المتجه أصبحوا وقد أرسوا فى نفوس الشعب الاحترام لهم والتوقير والاكبار بدلا من أن يصبحوا أمامه مسوخا وتشويها للحقائق وطواحين هواء تضرب الا فى فراغ ٠ اللهم أنهم يعلمون الحق ولكنهم كعهدهم يميلون عنه بغريزتهم والأمر لله من قبل ومن بعد ٠

مايو ٧ يناير سنة ١٩٨٥ :

في تيــه القوانين

هناك بعض القوانين تدعو الى الدهشة والعجب واعتقد أن المشرع ينبغى له أن يعيد النظر فيها ٠

وربما تكون هذه القوانين قد صدرت فى فترة انفعالية فكان الغضب هو الباعث عليها ٠ وما هكذا تصدر القوانين ٠ واعتقد أن هذا لا يجوز الا أن يكون فى مجال المعاملة انما بالمثل تصدر القوانين لتواجه الحياة السوية التى لا يؤثر فيها انفعال الغضب أو سماحة الرضى ٠

ان القوانين ثبات قبل كل شىء تواجه أمور الناس وهم فى هدأة من أمورهم ٠ فالقوانين لا تعنى بغضب الغاضب أو سخطه ولا تحفل برضاء الراضى أو قبوله ٠ انما القوانين للكافة ٠ ولجميع الأوقات ولكل حالات الانسان من سخط ومن رضاء ٠ القانون هو العدالة والعدالة مطلقة وحكمها على العمل وليس تعنى بالأشخاص ولهذا يرسمونها فتاة معصوبة العينين لأنها تسمع الأدلة وتتعرف الحق مما تسمع دون أن يكون لشخص القائل أثر فى اصدار حكمها ٠

تلك هى العدالة ٠ والعدالة هى تطبيق القانون فلابد أذن أن تكون هذه القوانين قد ولدت ميلادا طبيعيا لا تعسف فيه ولا افتعال ولا تعجل ٠ ولابد أن تصدر القوانين بعد البحث العميق ومحاولة التعرف على أثارها فى شتى نواحى الحياة ومختلف مناطها بل ينبغى أن يتحسب المشرع مستقبل الأيام وما قد تتكشف عنه ليواجهها القانون الجديد وفى الأردن توجه أحد الصحفيين بسؤال الى اقتصادى اردنى عن السر فى ثبات الاقتصـــاد الأردنى وانتعاشه فنال الاقتصـــادى ان القوانين فى المملكة الهاشمية الأردنية لم تتغير منذ عام ١٩٥٠ ٠ أى أن القوانين هناك ثابتة منذ خمسة وثلاثين عاما ٠ وليس شىء أكثر ارساء للثقة من هذا الثبات ٠ واذا كنا نريد الانتعاش الاقتصادى لمصر فلن يكون هذا أو يشعر العالم أجمع أن القوانين عندنا ثابتة باقية وانها ولدت لتبقى لا لتتغير تبعا للأهواء وجريا وراء ارضاء أو خوفا من بعض سخط ٠

ولكن القوانين القائمة اليوم لا تصلح أن تكون ثابتة فهى ولدت مشوهة منذ ولدت ٠ وقد تكاثرت حتى أصبحنا بلا قانون على الاطلاق ٠

وان لك أن تسأل أى عالم قانون فى العالم عما يراه فى دولة بها أربعة عشر ألف قانون معمول بها • فانه سيجيبك من فوره ودون لحظة تفكير • هذه دولة بلا قانون •

وربما كان السبب الذى جعلنى اكتب هذا الكلام اليوم ذلك القانون الذى يمنع العرب من تملك مبانى أو شقق فى مصر الا باذن من مجلس الوزراء • وتلك عجيبة من العجائب ما لها من مثيل • فأما أن مصر لا تريد لأخواننا العرب الا يملكوا عقارات أو شققا فحينئذ لا داعى لهذا الاستثناء الذى يبيح التملك بأمر من مجلس الوزراء وأما أن مصر تريد لأخواننا العرب أن يملكوا ففيهم هذا القيد بالمنع لا يرفعه الا مجلس الوزراء • وقد عجبت لهذا القانون فما أزال عجبى ، الا أننى علمت أننا فى هذا القانون نعامل أخواننا العرب بنفس المعاملة التى يجرون عليها فى معاملتنا فقوانينهم هم أيضا تمنع المصريين أن يتملكوا فى ديارهم •

لماذا يمنع العرب المصريين أن يتملكوا عقـــارات فى ديارهم ولماذا يرغموننا على أن نمنعهم أن يتملكوا فى ديارنا التى نحب دائما أن نعتبرها ديارهم •

احرام على بـــلا بلـــه الدوح   حـــلال للطير من كل جنس

على كل حال كم أرجو أن نتفق مع العرب فى وقت واحد أن نغير هذا القانون ويكوم تغيير هذا القانون عندنا بداية النظر فى آلاف القوانين الأخرى التى لا تصنع شيئا الا وضع الناس والقضاء والمحامين ورجال الشرطة وأعضاء النيابة جميعا فى تية هيهات لهم وألف هيهات أن يعرفوا فيه أين الطريق الى العدالة •

مايو ١٤ يناير سنة ١٩٨٥ م :

أغريب أنا اذن ؟!

مصرى أنا بكل نسمة هواء انشقها · مصرى أنا بكل لحظة من لحظات حياتى ، مصرى وهى رغد وسعادة وهناء · ومصرى أنا وهى مهزومة ومصرى أنا وهى منتصرة · مصرى أنا وهى تفدى الاسلام والعروبة بدمائها الذكية وبحر مالها · ومصرى أنا وهى ســـلام ومصرى أنا وهى محتلة بالامبراطورية أو محتلة بحثالة البشرية وشراذم الدول ومطاريدها ومصرى أنا وهي تسترد أرضها جميعا · مصرى أنا وهى مكبلة ومصرى أنا وهى حرة عزيزة كريمة ·

على ترابها لعبت · دمي كل نقطة فيه مصرية خالصة · تعلمت فى مدارسها وعرفت قريتها من أبعد أعماق قريتها وعرفت الشارع والحارة والعطفة والزقاق · ليس فى مدنها مدينة لم ازرها ·· زيارة عابرة أو زيارة متأنية ·

لم اغب عن مصر فى حياتى أكثر من شهر فلغتى لغتها وتصرفى تصرف الخلص من أبنائها واشارتى مطبوعة على جوارحى من اشارات أبنائها · لا أتصور ان انسانا ما يمكن أن يكون مصريا أكثر مما أنا مصرى · لم أشعر فى حياتى بغير نبضها وما يعنينى فى العالم مجد الا مجدها ·

أنا بعض من أنفاس الليل والنهار بين ربوعها · انا ذرة من ترابها ، أنا نقطة من نيلها أنا ورقة من أشجارها أنا نبتة من حقولها أنا صدى الآذان فى سمائها ·

فماذا حل بى فى هذه الأيام · لقد أصبحت وأنا ذلك الرجل احس انى غريب فى مصرى هذه التى أنا منها نفحة وهى منى كل أمى وكل أبى وكل زوجى وكل ابنى وكل بنتى وكل بيتى ·

ولكنى غريب فيها هذه الأيام ··· اترى هى غربة عن مصر أم غربة عن الزمن · أنا غريب ··· فعن أى المصدرين غربتى · أهى غربة عن بلدى · أم غربة عن زمنى ·

لكم تمنيت ان تكون غربة عن الزمن اذن فيشركنى فى غربتى كل أبناء جيلى فى شتى أنحاء العالم ولكن كم أنا أسيف حزين ·

أنا غريب عن مصر هذه ولست غريبا عن الزمن أنا أقدر وأقبل ولا أعجب لمجرى الحياة فى شتى دول ومختلف أمصار • أنا عنها غريب بدمى وبمولدى وبنشأتى •

ولكن ما يجرى فى مصر اليوم جعلنى أحس فى كثير من لحظات يومى اننى غريب • فأنا بين واحدة من اثنتين كلتاهما أشد مرارة من الأخرى أما أن هذه ليست مصرى التى ولدتنى وأما اننى أنا لم أعد أنا الذى عهدت نفسى •

أجلس أمام التليفزيون واسمع كلاما يقولون عنه شعرا • وأنا رجل صناعتى فى الدنيا الأدب والشعر أعرفه منذ نطقت الكلام وحفظته ورويته وصنعته • ليس ما أسمع شعرا ولا هو نثر وكنت قد تعلمت فى مدارس مصر ان الأدب هو البيان والبيان أهم ما فيه هو الوضوح • لا بيان فيما أسمع ولا وضوح انه كلام لا أعرف كيف ركب صاحبه ألفاظه ليجعل منها جملا غير مفيدة هل ما أشاهد واسمع جملة مركبة أم جريمة ترتكب ولكن التليفزيون المصرى الذى يحمل لواء الدولة ••• الدولة المصرية يذيع هذا الـكلام •••

فأنا اذن غريب عن مصر •

وأقرأ أخبار الناس فاجد النبالة قد رحلت عنا وأجد الطهارة أصبحت استثناء وأصبحت السرقة وخيانة الأمانة والاختلاس والاعتداء على أموال الشعب هو الأصل •• لا •• ليست هذه مصر •

لا شك ان لكل زمن لصوصه وناهبيه ولكنهم كانوا هم الاستثناء وكان الأصل هو الأمانة فكيف انقلب الأمر كل هذا الانقلاب •

كان الأمين على خزانة اذا مس منها مليما حوكم سواء أعاد ما اختلس أو لم يعده لأن الجريمة تتم بمجرد تحويله المال الذى كان لديه أمانة الى مال خاص له ، ولأننى أعلم اليوم ان الجريمة تسقط اذا هو أعاد المال الذى اختلسه الى الخزانة • والكارثة ان هذا يحدث بحكم مجرى العمل اليومى وليس بحكم القانون الذى لم أكن أتصور أن يحطمه فى يوم من الأيام مجرى العمل اليومى •

فأنا أذن غريب عن مصر •

اقتصاد مصر يدمر وتنصب عليه الأيدى العابثة من كل جانب والعمال لا يعملون والانتاج يتضاءل والتبجح يتسيد ولا عقوبة لمسىء ولا مثوبة لمتقن • ويختلط الكسول الجامد الحس الوقح بالنشيط ذى الحياء الابى ويصبح كلاهما سواء فى المنح والعلاوات والترقيات •

فأنا اذن غريب عن مصر •

المتعلمون أشد جهلا من الأميين والمنارة الكبرى من الأزهر الشريف أصبحت جامعة مثل كل جامعات العالم وهى التى كانت متفردة لا مثيل لها فى العالم أو فى التاريخ ومن كرسيها الموصول بالعامود صنعت كراسى الجامعات جميعا وتصدع حصن اللغة العربية وهدمت حصونها وأصبحت لغة القرآن غريبة مثلى فى بلد الأزهر الشريف واحد الجامعات وعلمها الفرد واسمع فى التليفزيون والاذاعة لغة غير اللغة التى أعرفها ••• لا هى العربية التى تعلمناها ولا هى العامية التى نشأنا نسمعها وانما هى شيء آخر حقير لا لون له ولا دلالة ولا مفهوم •

فأنا اذن غريب عن مصر

وأرى الأفلام ••• وويل لمصر من أفلامها دعارة وخدر وسكر وانحدار كل هذا بغير القصة التى تعودنا قراءتها ومشاهدتها على شاشات السينما • مصرية كانت الأفلام أو أجنبية وأسمع أرقام الايرادات وأجور الممثلين فأصيح وأصيح •

فأنا اذن غريب عن مصر

وأبحث عن مسارح الدولة فيقولون ان الممثلين الكبار نزحوا الى حيث المال الوفير فى السينما والتليفزيون واسأل وهل بدأ هؤلاء الممثلون كبارا أم كانوا شبابا شداة صنعوا مستقبلهم على خشبة المسرح ثم انتقلوا الى سماء النجوم وحضيض المال • فلماذا لا يعمل المسرح بالشباب الجديد المتخرج فى المعاهد الفنية والنصوص المصرية موجودة فى تاريخ المسرح المصرى وفى حديثه والنصوص العالمية لا تمتنع على أحد يستطيعون ان يعرضوها مترجمة أو ممصرة • لا أجد الجواب ••

وقد نشأت منذ أنا طفل لا يكاد يعى أجد فى مصر مسارح عددا •

فأنا أذن غريب عن مصر •

وأرى مسلسلات التليفزيون أشاهد منها ما يمثل فى الريف فأجد ريفا غير الذى عجنت فى جنباته كل جارحة من جوارحى •

انه ريف لا أعرفه ولا يعرفنى • لا هو الى الدلتا ينتسب ولا هو الى صلة بالصعيد يمت • ريف يصنعه المؤلف وفق هواه ويحسب انه اذا قلب القاف جيما على لسان الممثل فقد صنع الريف •

واذا كانت الرواية فى القاهرة فالهول الأخذ والزيف المشين وكلنا يعرف القاهرة وما فى بيوت القاهرة • انها قاهرة أخرى غير تلك التى يرزؤنا بها المؤلفون فى التليفزيون •

فاذا تفاضينا عن التضليل فى رسم مصر من ريفها الى حضرها وحاولنا ان نبحث عن لمحة من فن أو ومضة أصالة من الدراما فسعينا خائب وبحثنا هباء وقد رأينا أفلاما مصرية غاية فى الروعة ورأينا مسرحا مصريا غاية فى الرفعة والأصل فى الفن ان يزداد على الأيام أصالة وشموخا وتفردا ٠ والأصل فى الفنانين أن يزيدوا البناء الذى تركه لهم السابقون سموقا وعلوا ٠ ولكن للأســـف هدموا البناء القديم وما أقاموا مكانه شيئا ٠ وما هكذا مصر ٠

سماء النجوم وحضيض المال ٠ فلماذا لا يعمل الفنانين أن يزيدوا البناء الذى تركه لهم السابقون سموقا وعلوا ٠ ولكن للأســف هدموا البناء القديم وما أقاموا مكانه شيئا ٠ وما هكذا مصر ٠

فأنا اذن غريب عن مصر

وأخرى لا تقل هولا عما يحيط بنا ٠ ان عضو النيابة هو وكيل النائب العام ٠ والنائب هو الرجل الذى انابه الشعب ليحرك له الدعوى العمومية ضد كل من يعتدى على حق من حقوق أفراد الشعب وهو من باب أولى المنوط به تحريك هذه الدعوى اذا اعتدى شخص ما على قيم هذا الشعب وتراثه وثقافته ٠ فكيف اذن يقيم وكيل من وكلاء النائب العام الدعوى على التراث الأدبى وهو جزء من تاريخ هذا الشعب ٠

ان وكلاء النائب العام محتم عليهم ان يعرفوا ما هو التراث الأدبى ومحتم عليهم ان يكونوا على وعى بجانب كبير منه ٠ ترى هل فكرت النيابة العامة فى هذا التراث وفى عدد الأجيال الضخم الذى صاحب فيه هذا التراث الشعب المصرى ٠ ألم يفكر لحظة لماذا لم يقم واحد من زملائه السابقين على مدى مئات السنين بتحريك الدعوى العمومية طوال هذه السنوات أم يريد هو اليوم ان يصحح خطأ وقعت فيه أجيال النيابة المتعاقبة على مدى التاريخ أم تراه يبتدع فى وظيفة النيابة العمومية بدعة جديدة ٠ فيصبح وكيل النائب العام الذى هو وكيل الشعب سلاحا على الشعب بدلا من أن يقوم بوظيفته الأصلية فيكون سلاحا لصالح الشعب أنا لا أدرى ٠

فأنا اذن غريب عن مصر

وأخرى أدهى من كل ذلك وأمر : أرى الشيوعيين قد طفوا على سطح الاعلام المصرى فى شتى نواحيه ومجالاته وأوشكوا أن يصبغوا مصر المؤمنة الأصيلة بلون الدم ٠ وقد عاشت مصر حياتها جميعا وهى مصر الأزهر حتى بعد أن أصبح الأزهر جامعة ٠ وعاشت مصر من مشرق التاريخ دار الحضارة لا العدوان والحب لا القهر والاخاء لا التمزق ٠

وان تكن فترات قد مرت بها نصب فيها الحب وتسيد العدوان فقليلا ما كانت تمكث هذه الأوقات ·

وأنا من أكثر الناس علما أن الرئيس حسنى مبارك رجل مؤمن عميق الايمان · الديمقراطية مذهبه · والاسلام دينه · والحب ديدنه · والشرف رايته · أذن فما هذا الذى يحدث فى الاعلام المصرى ·

أنا أذن غريب عن مصر ·

وأستطيع أن أمضى فى الحديث فلا أقف ولكننى أحس خنجرا يغوص فى قلبى مع كل كلمة يخطها قلمى · فحسبى وفوق الحسب ما انغرس فى فؤادى من خناجر · والله وحده هو الموئل وما خاب من جعل الله موئل ·

الأهرام ١٩٨٥/٣/٣١ م :

فهل من هداية ؟

حـــيرة

الذى أعتقده أن هناك انتخابات جرت منذ أقل من عام وأظن أن نتائج هذه الانتخابات أسفرت عن فوز الحزب الوطنى بأغلبية وعن فوز حزب الوفد بمقاعد هيأت له أن يكون حزب المعارضة الأول والذى أظنه أيضا أن حزب التجمع الذى يمثل الشيوعية العالمية لم يستطع أن يحصل على مقعد واحد فى البرلمان ٠

فاذا كان الذى أظنه حقا فانا فى ذهول مما أرى حولى ٠ واذا لم يكن حقا الذى أراه اذن معقول متسق مع طبيعة الأمور ٠

اننى أرى الحزب الشيوعى المصرى قد لف ذراعه حول حزب آخر ليس له وجود شرعى وان كان يحاول أن يجعل وجوده شرعيا ٠ واسم هذا الحزب هو الحزب الناصرى ٠ تكاتف الحزبان وفرضا على مصر حصارا اعلاميا لا يكون ولا يصح فى الأذهان الا اذا كان هذان الحزبان هما الأغلبية الساحقة وكل الأحزاب الأخرى لا وجود لها فى البرلمان أو فى السلطة التنفيذية ٠

لقد فرض الحزب الشيوعى نفسه على وسائل الاعلام المصرى جميعا وأقام على كل قلم حر يمينى وليس شيوعيا غولا يقف على رأسه ويسلط عليه الرعب والرهبة والجبروت ٠

ترى الشيوعيين فى التليفزيون وتراهم فى كل جريدة بنسب متفاوتة فهم فى بعض الجرائد أصحاب مقالات وهم فى بعض الصحف السـادة المتفردون قد استولوا على الدار من بابها لا ينفذ منها يمين ولا تتخطى أعتابها شهادة لا اله الا الله ٠

اذن فالذى يقوم بذهنى عن نتائج الانتخابات الأخيرة وهم لا حقيقة فيه ٠ وانى لأعجب ان أكون واهما فى أمور لا سبيل فى شأنها الى شك ٠ ولكن الأعجب الذى يدعو الى الذهول أن يكون الشعب المصرى والعالم أجمع هو أيضا واهما مثل وهمى يسيطر عليه الظن الكاذب الذى يسيطر على ان

الشيوعيين لم ينالوا مقعدا واحدا ، في مجلس الشعب ومع ذلك يسيطرون على كل وسائل الاعلام بهذا الجبروت وتلك السعة وهذا الانتشار ٠

لهم في كل جريدة مقال ٠ ولهم في التليفزيون في كل يوم حديث ٠ ان لم يكن في السياسة ففي الثقافة وان لم يكن في الثقافة ففي الدراما وان لم يكن ففي غير ذاك ٠

ومع هذا الانتشار يثور الرعب بين الكتاب فلا يجرؤ كثير من الكتاب أن يذكروا انتصار ٧٣ وصاحب قرارها الزعيم العملاق أنور السادات ولكن للكاتب اذا شاء أن يذكر الأمجاد التي أحرزتها مصر في كارثة ٦٧ التي أدت الى احتلال مصر بأحقر دولة في العالم ٠

أما الحرب التي أوقدها الســـادات ٠ والتي كان من أكبر أعمدتها رئيسنا الحالي أبقاه الله الذي استطاع أن يجعل ما صنعه الطيران المصري في حرب النصر موضوع دراسة في جميع أنحاء العالم ٠٠ هذه الحرب يذكرها كثير من الكتاب وهم يتلفتون حولهم خشية الغول الشيوعي الذي وزع الشيوعيون نماذج منه في كل ناحية من نواحي الاعلام في مصر ٠

ولا يجرؤ الكتاب أن يذكروا رحلة السادات الخالدة الى السلام والتي كان من نتائجها أن تسلمت مصر سيناء كلها ٠٠ فقد استطاع الشيوعيون أن يصرخوا بصوت جهير كلما ذكرنا سيناء ٠٠ وأين طابا ؟

وطابا هذه لا تزيد مساحتها على مساحة بيت من بيوت مصر يتمسك بها اليهود ليخفوا خيبتهم في الحرب وفي مفاوضات السلام وهي عاجزة أن تخفي هذه الخيبة الا اذا استطاع دبوس أن يخفي عمارة شاهقة البناء ٠٠ وهم يتمسكون بها لأن بعض الحكام لهم أنصبة في الفندق المقام هناك على بضعة مئات من الأمتار ٠ وهم يعلمون أنهم مهما عضوا بالنواجذ على طابا فهي عائدة الينا بما لنا فيها من حق وبما يساندنا في شأنها العدل الدولي ٠

ولكن الشيوعيين يجعلون منها شعارا على أن الحرب لم تكن انتصارا وعلى أن السلام لم يؤت ثماره ٠

وهم قادرون على أن يجعلوا الزيف يبدو وكأنه حق ٠ ولكن فالهم يخيب وهزاءهم يسقط ٠ ويبقى الحق حقا والنصر نصرا والسلام سلاما ٠

وهم يثيرون الحرب الضروس على الانفتاح لأن الانفتاح هو الحرية ويريدون منا أن ننسى أن زبانية حكم الطغيان كانوا يتاجرون وحدهم في كل ما يستورده الانفتاح اليوم بصورة شرعية بينما كان يستورده الطغاء بطغيانهم وبالسلطة المطلقة التي اغتصبوها بالسلاح والاعتداء على الأعراض وبالتعذيب وبالقهر ٠

وهم يصرخون لكل اخبار تنشر عن سرقات وينسون أن النشر عن السرقات هو الحرية وهو السبيل أن يمنع هذه السرقات ويردع مرتكبيها ٠ وينسون أن هذه السرقات كانت مؤممة فى حكم الطغاه وكان الطغاة وحدهم يسرقون بلا رقيب ولا حسيب الا اذا شاء الحاكم أن يفضح واحدا منهم فانه يذيع ما استتر من أمره ويصيه حتى اذا قبل الحذاء ومرغ وجهه فى تراب الاعتاب عاد مفضوحا ٠ لكن هو يعود ٠ ويحكم ويتولى كل السلطات التى كان يتولاها ٠ واقرأ منذ قريب مقالا لأمين هويدى فى الأهرام يقول فيه أى العرب تصطلح معهم مصر ومع أى مصر يصطلحون ٠٠

عجيبة ٠٠ أما العرب الذين ينبغى أن يصطلحوا مع مصر فهم كل العرب ماعدا الأخرق الذى أذاع نفسه فى ليبيا أنه ارهابى محترف وماعدا الطاغية الذى ترك وطنه محتلا من اليهود فى الجولان واحتل هو لبنان فى منطقة جبل الشوف ٠

أما أى مصر فهذا هو السؤال الكارثة ، انها مصر واحدة ٠ مصر التى يعرفها التاريخ منذ مشرق التاريخ والتى يعرفها العالم اليوم محكومة برجل يخاف الله ويتقيه كل تقاته ويعف عن قهر وينأى بنفسه عن تعذيب الشعب ويســـمح لك ولحلفائك الشـــيوعيين أن تقولوا ما تقولون وتعلوا ما تفعلون ٠

انها مصر ٠ مصر الواحدة الباقية الخالدة التى صمدت للطغاة من الخارج والداخل ٠٠ والتى يشـــيع فيها الأمن اليوم وتنعم بالحرية والســـلام ٠

وبعد فارجو الله العلى القدير أن ينجلى الحق أمام عينى ٠

الذى أعرفه أن الحزب الوطنى صاحب الأغلبية ليس شيوعيا وأن حزب الوفد الذى يمثل الجانب الأكبر من المعارضة ضد الشيوعية ٠

وهكذا فالذى ينبغى أن يثبت فى يقينى أن أعضاء مجلسى الشعب والشورى جميعا ليس فيهم شيوعى واحد ٠

فما لهذا اليقين يختلف كل الاختلاف عما أراه فى الاعلام المصرى وما للشيوعيين يظهرون فى كل ميادين الاعلام ولا يسمحون لقلم يمينى واحد أن يكتب سطرا فى مجلتهم ٠ ومالهم لا يكتفون بهذه المجلة ومالهم يبعثرون غيلانهم على سطح مصر جميعا ٠

عجب يتولانى ويتولى فى مصر كل من يؤمن بالله واليوم الآخر مسلما كان هذا المصرى أو كان من اخواننا المسيحيين ٠

الا أجد أحدا يهدى الحائر من نفوسنا والذاهل من عقولنا ؟

أم نقول حسبنا الله ونعم الوكيل ونضم حيرتنا تلك مع حيرات أخرى لا عدد لها ولا حصر لا أستطيع أن أغفل منها ما قرأته من مقالات للشيوعيين يشيدون فيها بالارهابى المحترف صاحب ليبيا وبانجازاته وعدالته فى التوزيع وبعظمته مسقطين من مقالاتهم عمليات الاغتصاب الدولى التى يمارسها فى السودان وفى تشاد بل وفى لندن أيضا ٠

ولست أدرى ربما يعودون الى هذه الجرائم الدولية فيوسعونها آكبارا واجلالا ٠ وربما لا يفوتهم أيضا ما قام القذافى به فى مصر من محاولات خائنة وضيعة ليثير الشباب على وطننا المفدى ٠

ترى أيعرف الشيوعيون معنى الوطن المفدى ٠٠ لا ما أظن فليس فداء الوطن أو العمل فى سبيل رفعته من مبادىء الشيوعية وانما مذهبهم أن نهدم الوطن ونغرس الكراهية فى أنحائه فيه نباتهم القاتل ٠

فما بغريب أن نرى فى غد مقالات تشيد بما حاول أن يخربه القذافى من أمتنا وسلامتنا ٠

ولكن الغريب ان يسيطر هؤلاء على أعلامنا ٠٠ وأمام هذه الغرابة نقف نحن المصريين فى حيرة ٠٠ حيرة ذاهلة فهل من هدايا لحيرتنا ؟ أرجو الله ٠

الأهرام ١٩٨٥/٤/٧ م :

حديث الصباح

قال سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم « قل يأهل الكتاب هل تنقمون منا الا أن أمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل · ان أكثركم فاسقون · قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنة الله وغضب عليه وجعل منهم القردة الخنازير وعبد الطاغوته أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل » صدق الله العظيم ·

الأيتان ٥٩ و ٦٠ من سورة المائدة وقد قرأ هذا الكلام كل انسان يحاول أن يكون فى الحياة انسانا · وقد شاء سبحانه فى علياء سمائه أن يكون بين الناس مؤمنون وكفرة وأغلب الأمر بين الناس أن يكون المؤمن مؤمنا عن بينة ويكون الكافر كافرا عن جهل وعن رفض وعن غير بينة ·

وأغلب الأمر مع الملحدين انهم حاقدون على كل ما هو كريم فى الحياة ورحم الله العقاد فقد سمى مذهبهم مذهب أصحاب العاهات · والعاهة قد لا تكون فى عضو ظاهر من أعضاء الجسم · فما أكثر ما رأينا من هؤلاء كراما شرفاء فى لسانهم عفة ، وفى أفعالهم سمو · وما أكثر ما قدم هؤلاء للبشرية من افضال تذكرها لهم الأزمنة على مرور الأزمنة ·

أما الشيوعيون الملحدون فالعاهات تشملهم جميعا ولكن العاهة فى دخيلة نفوسهم متمثلة فى حقدهم على مجتمعهم الصغير فهم يصبون حقدهم الأسود المرير على مجتمعهم الكبير ·

فليس بينهم مؤمن لأن الايمان اشراق ونفوسهم ظلام ولأن الايمان طمأنينة · ونفوسهم تفور بالغليان والرفض والقلق من الغد والذعر من المجهول · ولو عرفوا حلاوة الايمان لذاقوا حلاوة الطمأنينة · ولو أدركوا الطمأنينة لأدركوا السلام مع النفس ومع الناس ومع المجتمع · ولكن من أين لهم وهم كما يصفهم القرآن الكريم قردة وخنازير وعباد طاغوت فهم شر وأضل عن سواء السبيل · وقاك الله يا أخى سخيمة الحقد وبلوى الالحاد · فان أصحاب الحقد والملحدين من عبدة الطاغوت لا يجدون ملجأ يلجأون اليه اذا ضاقت بهم مسالك الحياة وأغلقت أمام عيونهم منافذ الأمل · ولو كانوا على شىء من الايمان لتوجهوا بقلوبهم الى عالم الغيب

والشهادة وهناك يجدون الرحمة تتسع لكل يائس وترطب لهيب الألم وتشمل بالراحة والسكينة كيان الانسان ·

أما الملحدون فيزداد اللهيب بهم اشـــتعالا لأنهم لا ملجأ لهم فهم لا يؤمنون بالله ·

وهل هناك أكثر خبلا من قوم يرشحون أنفسهم للانتخاب والأصوات التى يرجون أن يحصلوا عليها كلها أصوات مؤمنة تؤمن بالله وباليوم الآخر · منهم المسلمون يقيمون الصلوات الخمس وشهادتهم أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وخاتم النبيين · ومنهم المسيحيون الذين قال عنهم الله سبحانه وتعالى فى قرآنه الكريم « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون » المائدة ٨٢ ·

مايو ١٩٨٥/٤/١٧ م :

مقـــالات

١٩٨٨

الأصـــنام الأربعـــة

كتاب جديد جاء الى منذ قريب للكاتب السياسى الكبير طارق حجى • وقد اعجبت أول ما أعجبت فى الكتاب باسمه فهو يطلق الأصناع الأربعة على المؤسسات الأربع الكبرى فى حياتنا التى نوشك أن نعتبر أنها شأن الملك فى النظم الملكية ذاتها مصونة لا تمس • بل هى أدهى من ذلك وأمر • أنها عند كثير من رجال التشريع فى مصر الهة ونصب وأصنام تراها العين ولا تقترب منها اليد • اليست الهة وأصنام • وان كان الاسلام قد حطم الأصنام وعبادة الفرد • وان كنا فى مصر قد تخلصنا من الدكتاتورية والحكم الغاشم الظالم الباطش الا أن بقية منه ذات شأن عظيم مازالت تحكمنا بعقل هذه الأصنام الأربعة التى أنشأ لها الكاتب العظيم طارق حجى كتابه الأخير أكاد أحسب أن القارىء عرف الأصنام الأربعة دون أن أذكرها له ولكن من الحتم على أذكرها مجملة كما جاءت فى الكتاب الذى أنا بصدده أما الصنم الأول فهو القطاع العام والتشريعى أيضا والصنم الثانى هو التعليم والصنم الثالث هو الزراعة والصنم الرابع هو الاسكان وليس من سبيل لى أن اتتبع الكاتب فى آرائه جميعا وانما أنا مورد لك بعض هذه الآراء فى هذه الأصنام على سبيل المثال ثم أنا تاركك وشأنك بعد ذلك مع الكتاب جميعه • وأنا لا أقدم على عرض كتاب عليك الا اذا أعجبت به غاية الأعجاب حتى لاعتبر النكوص عن عرضه تقصيرا منى فى حقك أنت • والكتاب يسمو الى مكانة جديرة بكل اعجاب دقة تعبير وعمق بحث وأصالة أسلوب واحاطة واعية بالأزمة وأسبابها منذ بدأت حتى انتهى بها المطاف أن أصبحت أصناما لها من الوقاحة ما للأصنام التى كانت معبودة قبل التاريخ •

انقل عن طارق قوله فى القطاع العام ولا يخفى على العالمين ببواطن أمور الاقتصاد أن مشكلة الاقتصاد الكبرى هى الادارة فان الادارة هى بمثابة العامل الخلاق الذى يمكن أن يخلق كل اطارات الفشل والعقم • ولا شك أن تحرير القطاع العام من عوائق الادارة الفعالة والناجحة هو أمر بالغ الصعوبة ولكنه أمر محتم • فكيف يمكن تطوير القطاع العام فى ظل تشريعات لا تحول فقط بين الادارة وتسيير العمل بل وتفرض على مجالس الادارات حصة مقررة من الجهل عندما تجعل من بين أعضاء مجالس ادارات شركات القطاع العام من لا علاقة لهم بالعلم والادارة والانتاج •

ومشكلة مجالس ادارة شركات القطاع العام توجد على مستوى أكثر خطورة وهو مستوى المجلس التشريعى الأعلى مجلس الشعب والذى يلزم القانون أن يكون نصف أعضائه من الذين توجد أعظم القرائن على أنهم الأقل كفاءة وثقافة وعلما وخبرة ٠

واكتفى بهذا القدر من مقدمته فى الكتاب عن القطاع العام وان هذه النبذة تريك كيف هو على وعى كامل بعمق المشكلة وجذورها الضاربة بعنف فى جسم الوطن ٠

وعن مشكلة التعليم انقل عنه

« فالمستقبل مرهون بما سنقدم عليه من خطوات اصلاحية فى مجال التعليم فاذا قدر أن يغلب الرأى الذى يتمسك بالأصنام التى خلقتها سنوات الأخطاء العظمى وبقينا متمسكين بشعارات ليس لها جوهر حقيقى وحلنا بين العقول المستنيرة واصلاح المؤسسة التعليمية فى مصر فقل على مستقبل بلدنا السلام » ٠

وفى هذه السطور صرخة من المؤلف أن سياسة الأصنام واللافتات المرفوعة على الهواء والشعارات الغوغائية الجوفاء اعدام مؤكد للتعليم فى مصر واعدام التعليم اعدام للمستقبل وكم كتب فى هذا الموضوع وفى موضوع الخمسين فى المائة الذى سقته للمؤلف فى الفقرة السابقة حتى أصبح القلم وقد مل واصابه الزهد فما أن أجد كاتبا مثقفا عالما يتناول هذه الموضوعات حتى احتضن ما يكتب باجنحة حانية يجمعنى وما يكتب وحدة الفكر البعيد كل البعد عن الغوغائية ٠

أما المشكلة الثالثة التى تناولها لتمثل الصنم الثالث فانى ناقل منه هذه الأسطر وما أحسب أنى محتاج بعدها الى تعليق ٠

« اننا لا يساورنا شك أن المرض الأكبر للزراعة فى مصر لم ولن يكون تأميم الأراضى الزراعية وانما كان ولا يزال المرض الأكبر هو القانون أو القوانين التى تنظم العلاقة القانونية بين المالك والمستأجر فبدون تحرير الزراعة المصرية من هذه القوانين وأثرها الهدام على القطاع الزراعى المصرى بأكمله ٠ فان الزراعة ستستمر فى الانهيار والانحدار الذى عرفه منذ أكثر من ثلاثين سـنة عندما أخذ القانون الذى ينظم العلاقة بين المالك والمستأجر يفرز سمومه القاتلة لامكانيات التقدم والابداع والتطور والانطلاق لآفاق أرحب فى دنيا الزراعة المصرية » ٠

وفى الصنم الرابع مشكلة الاسكان يقول طارق حجى :

« أما رابع الأمراض والأصنام الكبرى التى يجب مواجهتها خلال السنوات القليلة المقبلة فهو معضلة الاسكان التى لم تسببها الا القرارات المتوالية الخاطئة التى صدرت فى الخمسينات وأوائل الستينات وكانت تهدف الى « أنصاف المستأجرين » فانتهى الأمر بالدولة الى خلق اطار ذبح المستأجرين لا انصافهم » ·

والتعليق هنا يأتى من المشردين فى الطرقات ومن هؤلاء الأحياء الذى يلوذون بالأموات ليتخذوا سكنا مما يعرشون وحسبنا الله وحده فى قوانين جعلت مساكن الأموات مأوى لاحياء مازالوا على ظهر الأرض يسعون ويعيشون ويأملون ويعملون لدنياهم وبعد فتلك اشارات من الكتاب نعرضها اليك وقد اعجبت بالمؤلف حين تحدث عن الأمية كظاهرة استشرى أمرها مع مجانية التعليم واعجبت به أيضا حين كتب عن سعد زغلول فاختار منه جانبا لم يختلف فى شأنه أحد مع آخر وهو جانب توحيد عنصرى الأمة وقد كان غاندى يغبط سعد دائما على مقدرته الفائقة فى هذه الناحية وكان يقول لقد نجح سعد فيما لم انجح فيه أنا بهذا التوحيد ·

وبعد فانى أهنىء الكاتب المتمكن المتعمق الأمين طارق حجى بكتابه الجديد هذا وارجو الله له كل نجاح وتوفيق فى كل ما يهدف اليه أنه سبحانه قريب مجيب ·

الأهرام ١٩٨٨/٨/٧ م :

شـــاعر وشـــعب

الشاعر جائع يريد أن يستجدى الأمير بكل حيل النفاق وبجميع ما تعلمه فى حياته كلها من المديح الذى لا يقف به حد ولا ينتهى عند غاية فراح ينشىء قصيدته ناسيا كل شىء الا مديح الأمير واعلاء قدره والارتفاع بشأنه ... باطلا كان شعره أو كان حقا . معقولة كانت قوافيه أو كانت بعيدة عن العقل كل البعد .

وفى حماة النفاق . يضطرب المنطق ويفقد الانسان معقولية الانسان . ويحطم القيم الثوابت ويدمر المعانى الرفيعة .

وماله هو وللرفعة . وهو ينافق ويلبس الباطل حقا ، والشين زينا ، والقبح طلاوة ، والدمامة جمالا . وينسى المسكين أنه وهو فى حميا النفاق وسكرته يعلن للناس ان حقه باطل وزينه شين وطلاوته قبح وجماله دمامة .

وينسى كل ما هو كريم فى الدنيا والآخرة حتى ينسى ايمانه بالله الواحد الأحد القاهر فوق عباده ولا يبقى فى ذهنه ، ولا فى مشاعره ، ولا فى كيانه الا أن يستجلب رضا الممدوح بالوســـائل المشروعة وغير المشروعة ويصبح الشاعر مخمورا بالنفاق ، مخدورا بالذلة ، غائب الوعى بالهوان وحقارة الشان .

وانعقد مجلس الشعراء وألقى الشعراء قصائدهم . وجاء دور الشاعر الملهوج وبدأ يلقى قصيدته وأنشد بيتا فبيتين فثلاثة ثم ألقى بيتا لم يشعر بفداحة معناه الا حين انتفض المجلس جميعا صائحا كل من فيه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

وبهت الشاعر . وهلع الأمير وهب واقفا . كان البيت كفرا ليس بعده كفر قاله الشاعر وهو يحسب انه أتى بما لم يستطع الأوائل ولا الأواخر أن يصلوا اليه .

قال الشاعر للأمير :

انت الذى تنزل الأيـــام منزلهـــا
وتنقل الدهر من حال الى حـــال

وهكذا جعل الشاعر أميره الانسان الضعيف الهزيل هو الاله القاهر الذى ينزل الأيام منزلها وينقل الدهر من حال الى حال وهو الذى اذا أراد الله أن يوقف يده لوقفت لا تتحرك ولو اجتمع لها أطباء العالم اجمـــع ٠

كفر الشاعر لا شك فى ذلك وارتد ٠

وخشى الأمير على نفسه يوم يعرض على الذى ينزل الأيام منزلها وينقل الدهر من حال الى حال ٠

فاذا بالأمير يصيح بعسكره مشيرا الى الشاعر ٠

ـ اخرجوا لسانه من قفاه ٠

والله غفار رحمن رحيم ولكن العبيد قساة غلاظ لا يرحمون ٠ وسحب رجال الأمير الشاعر من مجلس الأمير وهو ذاهل مذهوب العقل فهو لم ينتبه انه وهو فى عزيف مديحه للأمير تطاول على صاحب الملكوت رب العرش اله الأكوان ٠

ذكرت هذه الواقعة وأنا أقرأ وعود الحكام عندنا فى كل يوم ٠

منذ سنوات نسمع الأحاديث التى لا معنى لها الا المبالغة كل المبالغة والبعد عن الحق كل البعد ٠ يملؤها فراغها ٠ يعمرها هزالها ٠ والناس تصدق فالكلام منشور وحول الكلام دعاية وطبل وزمر ٠

قالوا مديرية تحرير فاذا الفـــدان فيها يكلف ما تتكلفه مزرعة لاصلاحها ٠ وقالوا الوادى الجديد ٠ وقالوا ان فى مصر أرضـــا تصلح للزراعة مقدارها خمسة ملايين من الأفدنة وكأنما فى مصر ، مصر أخرى ونحن لا ندرى ٠

وتتصايح الوعود ولانفاذ وتشتبك الآمال لتلقى جميعا فى هوة الخيبة والفشــــل ٠

ونرى بين النـــاس عجبا نرى سيارة بمائة ألف جنيه وتجد من يشتريها ونرى فستانا بسبعة آلاف جنيه وتجد من يشتريه ونرى قميصا بمائتى جنيه ويجد شاريه وحلة للرجال بألف جنيــه وتجــد من يدفع الثمن ٠

ونرى بين الناس عجبا ٠ نرى قصورا ذات حمامات سباحة بل نرى حمامات السباحة فى العمارات أيضا ٠

ومظاهر غنى تجعل النفس تموج بالقرف والرفض ٠

أين يعيش هؤلاء ؟

ايعيشون في مصر التى تدعم رغيف العيش والسكر والشاى أم يعيشون فى بلاد ما تسامع الناس بها ؟

وننظر الى حالنا ..

فنجد انه لا سبيل لنا الا المواجهة .

فنحن دولة تعيش على القروض وأين ذلك الذى يقرض دولة تجعل التعليم فيهـــا جميعا مجانا والدول الدائنة لا تجرؤ الآن على مثل هذا أو شبيهه .

وأين تلك الجهة التى تقرض دولة لا يعمل العمال فيها أكثر من سبع وعشرين دقيقة فى اليوم بينما الدول الدائنة يعمل العمال فيها من ثمانى ساعات الى عشر ساعات فى اليوم .

وأين تلك الجهة التى تقرض دولة تريد أن تعين كل خريجى الجامعة فيها . بينما الدول المنتعشة المقرضة لا تجرؤ على اصدار مثل هذا القانون أو قانون قريب منه .

وبعد هذا جميعه . أين هى تلك الدولة التى تقرض دولة تتفاوت فيها الأسعار كل هذا التفاوت المخزى .

ان الأغنياء عندنا لا حياء لهم ولا كرامة فلو كانت لهم كرامة لحولوا أثمان السيارات وأحواض السباحة والحلل ذات الألف جنيه الى مشاريع تعود على أوطانهم بالربح .

انهم لا يقدرون انما بهذا البذخ الذى يعيشون فيه لا يثيرون الاحترام فى نفوس مواطنيهم وانما يثيرون السخط والازدراء والاحتقار .

والدولة لا تريد ان تواجه .. ولا تريد أن تصحح أخطاء الماضى فى التعليم المجانى وفى القطاع العام الذى يخسر الملايين وفى تعيين جميع الخريجين . لأن الدولة مثل الشاعر تريد ان ترضى الأفكار الغوغائية غير ملتفتة انها بذلك تعدو على حق الله وحق الشعب ومستقبل مصر .

وفى حماة ارضاء الكاذب يقع المسئولون فيما وقع فيه الشاعر من مبالغة . غير ان العقاب لا ينزل فى الدولة بالذى أخطأ وانما يتحمله الشعب جميعه فى حاضره ومستقبله . ولا ملاذ لنا نحن الشعب الا ان نصيح ادركنا يا رحمن يا رحيم فعندك وحدك الملاذ وحسبنا أنت ونعم الوكيـــل .

٢٣ أغسطس سنة ١٩٨٨ م

الحــق أولى

الشعب المصرى أعظم الشعوب سماحة • أبعد ما يكون الشعب المصرى عن الحسد أو الحقد • وهو شعب يفرح أن ينجح انسان ما وينــال من الغنى ما ينال • وطالما ردد الفقراء والفلاحون وهم فى بيوت اللبن اللهم زد فلانا واعطه على قدر جهده •

وهؤلاء الأغنياء الذين يصلون الى النفس عن طريق شريف يكونون فى أغلب الأمر كرماء على الفقراء فى أكفهم ندى وفى مالهم حق معلوم أو غير معلوم للسائل والمحروم •

وهذا القلب الخالص من الشعب المصرى يستلهم نقاءه من الدين الاسلامى الحنيف • عند وفاة عبد الرحمن بن عوف قسموا أولاده الذهب الذى تركه بالفؤوس وكان الورثة أحد عشر ابنا أصبح كل واحد منهم أغنى أغنياء العرب •

والاسلام رأى عبد الرحمن بن عوف يجود بالمال فى كرم لا مثيل له للفقراء ولبيت المال ولتجهيز الجيوش •

ورأى المسلمون عثمان بن عفــان فى ثراء لا نظــير له فلم يحمــل المسلمون على عثمان حقدا • ورأوه أيضا يتنازل عن ماله جميعا من أجل المسلمين ورأوه وهو يعطى قافلة بأكملها لبيت المال •

من هذه المعانى الرفيعة ومن بعدهم المصريون أن يحبوا الأغنياء • وقد عاونهم الأغنيــاء على هذا الحب بكرم السجية واعانة ذى الحاجة • والعطاء عند النــازلة والبيت المفتوح والاكناف الموطأة والســعادة كل السعادة حين يقدمون ما يقيم الحياة فى بيوت اخوانهم فى الانسانية •

أعرف أحد باشاوات العصر الماضى كان يعيش فى بيته ثمان وعشرون نفسا بين خدم وبين أقارب وبين أصدقاء وأبناء أصدقاء •

ولم يكن هذا الباشا واسع الثراء حتى اننى أعرف انه حين صدر قانون الاصلاح الزراعى لم يأخذ منه القانون فدانا واحدا لأن مســاحة أرضه كانت أقل من الحد الأدنى الذى حدده القانون •

فلم يكن عجيبا أن يكون هذا الباشا محبوبا بين أهله وناسه وعارفيه وأعرف كثيرين مثله ·

ان الشعب المصرى لا يرفض صاحب الغنى · وانما الشعب المصرى يرفض من وصل الى الثراء بالسرقة والنهب وبالنصب وبالاحتيال ·

والشعب المصرى لا يضيره أن يعيش صاحب الغنى فى بحبوحة من العيش · وانما الشعب المصرى يرفض المبالغة فى مظاهر الغنى مبالغة تدعو الى الازدراء · لا حقدا على الغنى المتظاهر بالغنى وانما احتقارا لشأنه ·

فالانسان لا يمكن أن يجلس الا فى كرسى واحد · ولا يستطيع مهما بلغ حجم ثرائه ان ينام فى أكثر من سرير واحد · ويستحيل عليه بالغا ما بلغ غناه أن يركب فى وقت واحد أكثر من سيارة واحدة والله سبحانه وتعالى يقول مستنكرا « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده ؟!! انها حل للناس ولك أيها الغنى أن تستمتع بها ما شاء لك التمتع ولكن لا تكن فى متعتك أحمق أو مجنونا · ولا تبسطها كل البسط ولا تسرف اسراف الشياطين فانى أقسم لك أنك بانفاقك الفاحش المعتوه لن تجنى الاحترام الذى تنشده من الناس · وان نلت الابهار هنيهة فما هى الا هنية يعقبها الفكر انك سفيه وانك بلا احساس انسانى وانك معتوه ·

كل هذا قد يخالط النفوس اذا كان المال الذى جمعه صاحبه من موارد نقية شريفة لا سرقة فيها ولا انتهاب لمال الآخرين ·

انما الكارثة الكبرى اننا نرى اليوم قوما انتهبوا المال العام بأسنان جشعة وبسرقات فادحة وبدلا من أن يستروا المال المنتهب نراهم يتبجحون به ويظهرونه ويوشكون أن يعلنوا عنه اعلانا · هذا المال الذى ينفقون فى وقاحة وسرف وجنون وبلهنية هو مال الشعب يلقون به الى ملذاتهم على مرأى الشعب وفى مواجهته فى غير حياء ولا خجل ولا أثر ولو ضئيل من مراعاة مشاعر الشعب الذى سرقوا أمواله وانتهبوها انتهابا ·

أصحاب مناصب هم وأصحاب أوامر وجبروت واستغلوا مناصبهم وجبروتهم فى استلاب ماليس لهم · وطريق الحرام اذا فتح فلا اغلاق له · فالحرام يغرى بالحرام والسرقة تحض على السرقة فان الضمير اذا نام لحظة مات الى الأبد · وفى غيبة الضمير كل شيء مباح وكل محرم حلال وكل فجور صلاح ·

والشعب يغضب حين يرى حكومته ترى هذه السرقات الضخام وتعرفها كل المعرفة فهى معلنة غير خفية ثم هى تقف أمامها موقفا عاجزا

عجز من لا حيلة له وكان الدولة تدعو كل صاحب منصب أن يتخذ هؤلاء اللصوص مثلا أعلى • وان من يفعل فعلهم فلن يلقى الا الاجلال والتكريم والتوقير والاحترام ويذهب الى الجحيم قانون من أين لك هذا وان كان لابد أن يطبق فلنطبقه على قابلة فى قرية انشأت لنفسها بيتا من لبن هو عصارة جهدها الطويل فى اخراج النفوس الى الحياة •

أما السارقون الذين يتبجحون بالمال الشاهق وبالثراء العريض لصوه من مال الدولة جهرا وأنفقوه فى علن فاضح ، أما هؤلاء فحلال لهم ما يصنعون مباركة لهم أموالهم المسروقة وهنيئا لهم ضمائرهم القتلى •

اننا نرى أثرياء نعرف أسرار ثرائهم وتعرفها الدولة كل المعرفة وهم أثرياء من صنف آخر حصلوا على ثرواتهم من أحط الطرق خسة واوضعها لؤما •

أولئك الذين يبيعون كرامتهم على أبواب العاهرات والكباريهات وهم يلقون جزاءهم احتقار المجتمع ونبذه لهم نبذ الكلاب الجرباء •

أما الذين يسرقون الدولة فان المجتمع المعلن يوسع لهم المكان ويحيطهم بالتبجيل والاجلال •

٢٩ أغسطس سنة ١٩٨٨ م

عقـــائر ولا بصـــائر

لست أدرى لماذا تتلكأ الحياة فى مصر أى عجيبة فى أجوائها تجعل القرارات تظل متطلعة الى الصدور فهى تصدر ولا تصدر وتتخذ ولا تنفذ وتعلن الحكومة عن الانتهاء منها ولا تعلن الحكومة عن بداية سريانها ·

وما أحسب الا أن الحكومة تريد أن ترضى جميع الناس وكل الأطراف· تريد المعارضة أن ترضى وحزب الأغلبية أن يؤيد وليس الى هذا من سـبيل ·

فالمعارضة لا تؤيد أبدا ولو ان الحكومة أصبحت يوما فأعلنت كل القرارات التى تدعو اليها المعارضة لرفضت المعارضة هذا الاعلام وطالبت بعودة الحال الى ما كان عليه ·

والحزب المؤيد أفراد وجماعات وشراذم وكل جماعة لها محور وكل عضو له غرض والبحث يدور عن المصلحة الذاتية وليس عن المصـــلحة العـــامة ·

فان كان القرار يؤدى الى نماء فى الثروة الشخصية وازدهار فى الجاه وسعة فى النفوذ فتأييد وتصفيق وتحبيذ وان كان بالقرار انتقاص من مال أو نفوذ فرفض وصخب ومعارضة حتى وان كان القرار متخذا للصالح· فالصالح العام عند أغلب الناس هو ما يحقق مصلحتى الشخصية والى الجحيم تذهب الوطنية والذمة واليمين المقسوم والثقة المعطاة وآمال دائرة ومستقبل شعب وحياة أقوام انما حياة الأقوام هى حياتى الشخصية وليكن بعد ذلك ما يكون ·

أتريد الحكومة أن ترضى النـــاس جميعا هيهات انما هى مصـــالح متقاطعة مصلحة زيد لابد أن تتعارض مع مصلحة عبيد وهيهات ألف هيهات أن ترضى زيدا وعبيدا فى وقت معا ·

والأزمات متتالية متجمعة والأمر يحتاج الى حزم حاســم لا يراعى الا حق الوطن والله ســـبحانه هو الموفق وعلى الله فليتـوكل المتوكلون

المال في يد مصر شحيح ، والدائنـــون يتكـاثرون وان لم يطمئن هؤلاء الدائنون الى مصائر أموالهم حبسوا عنا المال ٠

وان لهم لمطالب وآراء ٠ وان لهـم لمذاهب ووجهات نظر ٠ وهـم أصحاب مال ولصاحب المال أن يطمئن الى مصير ماله والا فحبسه أجمل به وأكثر ضمانا لمستقبله ٠

والشعارات عندنا توارثناها عالية الصوت مرتفعة الضجيج جهيرة الصراخ تمنع العقل أن يعمل وتقف بالمنطق أن يسود ٠

وعلى الحكومة أن تواجه هذه الغوغائية بحسم صادق وبغير خوف من صراخ الجهلاء ، فأصحاب العقائر بلا بصائر معدوموا الضمائر فليس الأمر لهوا ولا هو استجداء لتصفيق الجماهير بما يؤدى بهذه الجماهير الى الخراب والدمار ٠

وليعلم أصحاب العقائر معدوموا البصائر والضمائر ان الجماهير قد أفاقت من خمارها واستيقظت من سباتها وما أصبح يجوز عليها صراخ النصب والدجل والتضليل ٠

الجماهير تعلم اليوم ان مجانية التعليم ليست مجانية ولا هى تعليما لان الجماهير من الآباء تنفق على تعليم أبنائها المئـات والألوف فى الدروس الخصوصية وما كانت المصاريف الا نقطة فى بحر النفقات التى يبذلها الآباء المساكين فى شعار مجانية التعليم ٠

وكان التعليم يحمل معناه فأصبح لا يحمل اليوم أي معنى الا ورقة لا تفيد شيئا الا أن صاحبها قضى بضع سنوات فى سجون المدارس ثم لم يصب هناك الا الجهل ان كان الجهل يحتاج الى تعليم ٠

وحسبى وحسبك ما نرى فى الخريجين من قصور ، ولا أحب فى هذا المضمار أن أطيل فاننى أشعر اننى أنكأ به جراحا فى قلبى وما أحسب الا اننى أثير به جراحا فى قلب كل مصرى ٠

لم يتبق من التعليم المجانى الا شعار تهرأت أقمشته وتمزقت أوراقه فهو قول بلا اثبات ، ومنطوق بلا مفهوم ٠

ولن تخرج مصر من الضائقة التعليمية حتى يدفع القادر لغير القادر وينفق ذو المال على تعليم من لا مال له ٠

أما ان نرفع شعار التعليم المجانى لأصحاب السيارات ذات العشرات من الألوف فتلك كارثة تجعل الدائنين يوقنون اننا نهزل ولا نجد ، ونمزح ولا نقول حقا ٠ هيهات ألف هيهات أن تشعر مصر ان الحكومة أصبحت

تسير على الطريق مادام عدم المساس شعارا مرفوعا على فراغ • ويأبى أن يترك هواء مصر •

ان دولة مدة العمل فيها للصانع سبعة وعشرون دقيقة لا يمكن أن تصل الى مأمن من حياتها •

كم أكره أن أعقد المقارنات فهي تمض النفس وتثير في القلوب أشجانا وآلاما وحزنا ولكن الدواء مر ونجرعه لنشفى •

أفيقوا عمال مصر وطالبوا أنتم وطنكم أن يضع القوانين التي تحد من هذه الاجازات المتطاولة •

أفيقوا عمال مصر فان القوانين الحالية تجعل المجد منكم مثل الخامل والعامل الذي يعمل مثل العامل الذي يهمل ، فطالبوا أنتم بتغييرها فانها مصركم ومصر الفلاح قبل أن تكون مصر الحكومة أو المجالس •

عمال مصر هل علمتم أن الحكومة اليابانية تطالب العمال في اليابان أن يقللوا من العمل وأن يتنزهوا ويسافروا ويطلبوا الأجازات واليابان صاحبة أقوى اقتصاد في أيامنا هذه •

ها قد كتبت المقارنة فهيا عمال مصر أما شعرتم الألم الذي أحسه اذا قارنت وبالحزن الذي أشعر به حين وازنت •

عامل في دولة من أعظم الدول ثراء في التاريخ يطالبه المسئولون أن يقلل من العمل ، وعامل في مصر تعطيه الدولة بقوانينها مئات الأجازات فيكون مجموع عمله اليومي سبعا وعشرين دقيقة •

ونسمع أن الدولة ستتخذ القرارات لمواجهة الخسائر في القطاع الحكومي ثم نسمع أن الدولة ستتخذ القرارات لمواجهة الخسائر في القطاع العام ثم نسمع ••• ثم نسمع ••• وما يفيد قول عن فعل ولايجدى لى سماع عن عيان ونبكي مع المتنبي :

وكم ذا بمصر من المضحكات
ولكنه ضحك كالبكاء

هيه مصر أما كفانا بكاء من عهد المتنبي منذ ألف عام ونيف ••• حسبنا الله ونعم الوكيل •

الأهرام ١٩٨٨/٩/٢٦ م

من هــؤلاء لا نقبل ..

حوار عربى نقلته الى القراء مرات ومرات وفى كل مرة أجدنى محتاجا اليه قال أعرابى لآخر :

ـــ والله ما أبالى مدحنى الناس أم ذموا .

فأجابه الآخر :

ـــ استرحت من حيث تعب الكرام .

وهذا الذى لا يبالى مدحه الناس أم ذموا رجل من غمار الناس لايتولى وظيفة ولا يمثل معنى الا نفسه . وقد ارتضى لنفسه أن يكون هين القدر ضئيل الشأن ، مختبوءا فى طوايا العدم . ان ذمه شاعر لبخله لا يبالى الذم . وان مدحه شاعر استجداء لصبابة من ماله منع ماله وأباح عرضه . يرى ان المدح أو الذم مجرد كلام فى الهواء لا يزيد من قدره فانه لا قدر له ولا ينقص من شأنه لانه ـ فى رأى نفسه ـ لا شأن له ولا قيمة .

فما بعجيب اذن أن يتمطى هذا الحقير ويقول أنه ما يبالى أمدحه الناس أم ذموا فهو انما يريد أن يجمع مالا يستغنى به عن مديح النـاس ثم هو لا يهز هجاؤهم منه نخوة أو شعورا . والحقارة طبع ومران وتطبع . وقد تكون فى بعض الناس ويكتمها عن الناس ويسترها . ولكنها عند بعض الوقحاء منهم معلنة مشهرة مثل هذا الذى يتبجح بها ويجاهر .

والناس طبائـع وما أنت بقادر أن ترضى عن خلق النـاس أجمعين ولا أنت بقادر أيضا أن ترضى الناس أجمع .

انما طريق الانسان منا يصنعه هو بما وهب الله له من خلق وبما رسخ فى نفسه منذ باكورة حياته من قيم ومن فضيلة أو رذيلة ولكل انسان جادته وسننه ومسراه . وطائره فى عنقـه من بعد يلقى به الله ان يمينا فيمين أو يسارا فيسار لايظلمون عند ربك فتيلا .

هذا شأن الناس فى عامة أمرهم . ولكن هناك ناس من الناس أمرهم ليس مقصـورا عليهم وحدهـم فممثلو الشـعب أجمعون مسـئولون عن تصرفـاتهم أمام الذين انتخبوهـم . وهم حين انتخبوا اختارهـم الذين

اختاروهم لا ليمثلوا دائرة واحدة ولا جماعة بعينها من شعب مصر • بل ان كل عضو منهم يمثل مصر جميعا من أقصاها الى أقصاها فان قال واحد منهم لا أبالى أمدحنى الناس أم ذموا أصبح حتما علينا أن نرد على قوله بقولنا قدم استقالتك من الهيئـة التشريعية واقبع فى بيتك قطعـة من الهمل لا يحسها أحد ولا يعنى بأمرها انسان •

وان أحدا من ممثلى الشعب لن يقول هذا القول علانية • ولكن الكثيرين منهم يصنعونه صنعا • ويرتكبونه ارتكابا والصنع والارتكاب شر ألف مرة فقد يكون هناك قول بلا عمل • ولكن العمل لا يحتاج الى مزيد من التبيان •

أمامك فانظر كم من الجرائد المعارضة هاجمت أعضاء المجالس النيابية واتهمتهم باستغلال مناصبهم فى تجريف الأرض والاستيلاء على التموين والحصول على رشاوى •

وأمامك فانظر أين التكذيب من هؤلاء الأعضاء وأين القضايا يرفعونها اذا كانت التهم الموجهة اليهم باطلة •

اليسوا بهذا يعلنون بالفعل لا بالقول وحده انهم لا يبالون مدحهم الناس أم ذموا ••• وويل كل الويل اذا كان الذين يحاسبون الوزراء والذين نعتبرهم مثلا أعلى فى الخلق والأمانة والشرف يمزقون الخلق ويخونون الأمانة ويماكرون الشرف •

ويقف القلم حسرة وألما وتوجعا •

ان الأمر ليس مقصورا على أعضاء المجالس النيابية بل ان يتسع ويتسع ويوشك أن يكون الفساد عاما ضاربا أطنابه محطما كل ما تواضع الناس عليه من قواعد وأصول •

ظل الناس يقولون ـ على مدى الأجيال ـ اذا صلح الرأس صلح الجسم جميعا • فما لهذا القول يصبح فى أيامنا هذه أكذوبة لا حق فيها وماله أصبح بعيدا كل البعد عن واقعنا •

فان رأس الدولة عندنا محمد حسنى مبارك من أعظم رؤساء الدول الذين عرفهم التاريخ طهارة يد • وشرف مقصد ••• ونبالة غاية • ونقاء وسيلة • لا يدخر فى سبيل مصر ومصر وحدها جهدا • ولا يكاد ينام ليلة من أجل الشعب المصرى • ويمد العلاقات أكرم ما تكون العلاقات مع جميع دول العالم لتكون هذه الدول عونا لمصر عند حاجة وسندا لها عند أزمة •

شريف هو الرئيس فى خاصة شأنه • وكريمة هى أسرته ناصعة الصفحة فى كل تصرفاتها •

ان وجود محمد حسنى مبارك على رأس الدولة فرصة قل أن يتاح لها مثيل للشرفاء أن يبذلوا – من أجل اعلاء مصر بين الأمم – كل جهد ٠

فما لى أرى الكثير من المسئولين يبذلون أقصى الجهد من أجل تشويه مصر وسلبها ونهبها وتمزيق الوجوه التى تمثلها بالسمعة المتهرئة بالذمة الضائعة ٠ حتى أصبحت مصر نهبا لكل عديم الشرف لا يبالى أن مدحه الناس أم ذموا ٠

التهم تنهال على كبار المسئولين وزراء وغير وزراء ثم صمت كصمت القبور وكأنهم ما أتهمهم أحد بالرشوة واستغلال النفوذ واصطناع التجمعات التى يعود المال منها على خاصة جيوبهم ٠

كل هؤلا المسئولين يقولون بالعمل لا بالقول ما نبالى ان مدحنا الناس أم ذموا ٠ وتعمدوا أن يغفلوا انهم لا يمثلون أشخاصهم وانما يمثلون مصر جميعا ٠ هم من حروف أسمها ومن سمات وجهها ٠ ومن معالم مكانتها فى المجتمعات العالمية ٠

التهم تنصب على بعض المسئولين فى تصرفاتهم الشخصية والمالية والوزارية ٠ ولا نسمع من هؤلاء المسئولين تكذيبا أو تصحيحا ، أو استقالة ٠ أو على الأقل عدولا الى الطريق الأقوم ٠

من هؤلاء لانقبل ولا تقبل مصر انهم لا يعنيهم مدحهم الناس أم ذموا فان هؤلاء لا يمثلون أشخاصهم وانما هم من المعالم الواضحة فى وجه مصر وما كان لمصر أن تهان فى داخلها وفى المجتمع العالمى من أجل بعض أفراد لا يعرفون كيف يتصدرون الصفوف ٠ فليختف منهم كل ذى نقيصة ٠ وليذهب الى أغوار النسيان هناك حيث نرجو الله أن ننسى انه كان فى يوم ما صاحب صدارة وكان فى يوم ما واحد من معالم الوجه فى مصر التاريخ ومصر الرفعة ومصر الاباء ومصر الشموخ !

الأهرام ٣ أكتوبر ١٩٨٨ م

لبيك يا رسول الله

بدعوة كريمة من الأمير تركى بن عبد العزيز أنا فى طريقى الى البلاد المقدسة • والأمير تركى رجل من أعظم من عرفت من الرجال سمو خلق وأدبا نادرا وثقافة واسعة ومعرفة بمشاكل العالم العربى أجمع ومشاكل العالم أيضا كثير الاطلاع بصورة مذهلة • ومما زادنى حبا له واعجابا به حبه الشديد لمصر ولرئيس مصر ولكل ما هو شريف عفيف فى مصر • وأنا ألبى دعوته فرحا فبوهم منى أتصور ان أى دعوة توجه الى من الأرض المقدسة هى دعوة مباركة من سيد الخلق أجمعين سيدنا محمد عليه أشرف الصلاة والسلام وعلى آله أجمعين •

وانى أشعر فى هذه الأيام بنوع من الخمول والفتور وأتصور بسذاجة مؤمنة منى أن هذه الدعوة جاءت الى لتزيل عنى هذا الخمول وذلك الفتور ببركة وقوفى أمام شباك النبى صلى الله عليه وسلم •

وكم أعلم ان مدعى العلمانية سيسخرون من هذا الحديث • وكم أتمتع أنا بسخريتهم فهم قوم حرمهم الله متعة الروح وعظمة الايمان • ولو لم يكن لالحادهم عقاب غير هذا لكفاهم فهم قوم طغت المادة على حياتهم فطمست عنها الشفافية والتعلق بذات الله العلية وبروحانية الايمان ومتعة اليقين وسمو الروح الى عليين نلتمس من الذات الالهية العون على الطريق والهداية الى لسبيل والاستقامة على الجادة •

وان فى سؤاله سبحانه متعة لا يعرفها الا المؤمنون وضل عنها الملحدون ضلالا بعيدا فى حمأة من ماديتهم ، يرسفون طغت عليهم جسومهم واضمحلت عنهم أرواحهم • فهم جماد متحرك أو هم أقل شأنا •

لو عرف هؤلاء بماذا أشعر حين أقف فى حضرة الساحة النبوية الشريفة أو لو عرف هؤلاء كيف تصبح خفقات القلب رفيفا من نسائم الجنة وأنا أمر بالروضة الفيحاء أو لو عرف هؤلاء مقدار الجلال والهيبة وأنا أمام الكعبة أول بيت اقيم للناس • ولو عرف هؤلاء مدى السعادة التى تراوح المؤمن وتغاديه لعرفوا كم خسروا بما هم فيه من مادية أرضية كاذبة واهمة خادعة مضلة •

قالوا ان أصل العالم مادة • ويحهم كم يتبجحون • وقالوا ان الذين يؤمنون انما يعتنقون الغيبيات التي لا يقوم عليها دليل • ويلهم كم يصمون عن الحق ويبعدون عن المنطق •

اننا حين نؤمن نؤمن بخالق هذا الكون العظيم الذي يرفض كل منطق في العالم أن يكون قد نشأ من تلقاء نفسه دون خالق • والا فكيف أفسر التواؤم العجيب بين خلق الشمس وخلق العين وبين خلق الفواكه وخلق الانزيمات التي تهضم اللحوم في الجسم وبين خلق الأنعام وخلق الشعور بلذاتها وخلق ما يهضمها عند الانسان ولو مضينا في هذه الأمثلة لما انتهينا ولكنهم هم يقولون المادة • ويحهم الا يعقلون •

ان آية واحدة في القرآن لكافيــة بل هي فوق الكفــاية للقوم ان يفيئوا الى الرشد ويرجعوا الى الهدى ويعودوا الى الصواب • يكفيهم أن يسمعوا قوله تعالى « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » ويتدبروها •

ولكن من أين لهم أن يتدبروها وعلى العيون غشاواتها وعلى قلوب أقفالها •

لقد زرت أجمل مناطق العالم وأعظم دول الحضارة الحديثة • أقسم ما شعرت بسعادة مثل التي أشعر بها وأنا أمام شباك الرسول صلى الله عليه وسلم • ولا شعرت بمهابة أو اجلال مثلما أشعر به وأنا أمام أستار الكعبة المشرفة هناك أنا في الحرمين روح ولا جسد ، نور ولا أعتام ، سماء أنا ولا أرض ، وهناك أنا شفيف كالماس ، خفيف كالهواء ، عيناى دموع وقلبى خشوع ، وروحى رفيف ، وصوتى نغم وكل حديثى سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صلى على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا ابراهيم فى العالمين انه حميد مجيد هناك يتوه الزمن وتتنساه وتتضاءل الدنيا فلا تذكرها ولا يبقى من الانسان الا روحه ولا يفكر بشر الا في اليوم الموعود • وشاهد ومشهود في دار الخلود •

مساكين أولئك الذين لا يعرفون هذه المشاعر لقد فقدوا انسانيتهم وفقدوا أجمل ما في هذه الحياة لانهم لم يعرفوا الحياة في العليــا ولم يســعوا لها سعيها مؤمنين بها • ووقفت بهم ماديتهم عند الحياة الدنيا التافهة الهزيلة الزائلة •

لو لم يكن لله فضل علينا الا فضل الايمان لكفانا عزا •

الايمان هو الشفاء عند المرض • والأمل عند اليأس • والرحمة عند قسوة الحياة • وهو غدى الذى أحلم أن يكون أجمــل من يومى • وهو

الروحانية فى هجير المادة . وهو شعورى الدائم الذى يلازمنى عند شدة أو عند فرح ان الله سبحانه من فوقى يزيل الشدائد ويبارك الأفراح . بحباله تعلقى وبأسبابه صلاتى وحسبى هو فى لحظة من حياتى ونعم الوكيل .

أنا فى طريقى الى بيت الله وشباك الرسول صلى الله عليه وسلم وحسبى أن أكون قريبا من الحرمين الشريفين لأتزود لأيامى القادمة ولاشعر أننى أستطيع أن أواجه الحياة الدنيا جميعا بأحقادها وآلامها وقلقها وأحمالها .

فمن بيت الله ورحاب الرسول صلى الله عليه وسلم تتفرح نفسى وتشرق وتسمو الى السماوات .

فحقد الحاقد عندها باعث على السعادة فلولا النجح من الله ما كان الحقد من الحاقدين .

والآلام آمال فما شعر بالصحة من لم يشعر بالألم واذا مرضت فهو يشفين وانى لدائم الدعاء اللهم ارزقنى واغفر لى وعافنى وارحمنى .

بهذا الدعاء فى الأرض المقدسة يصح منى الجسم وتصح الروح فما دام سيرزقنى ويغفر لى ويعافينى ويرحمنى فماذا يمكن أن أطلب أبعد من هذا .

وهناك هيهات أن يعرف القلق الى سبيلا . اننى فى رحاب الله وفى رحاب رسوله وكفى بالله آمنا وبرسوله وسيلة .

وهناك أضع أحمالى وما أسعد من استطاع أن يتخفف من أحماله فيصبح خفيفا الى الدنيا والآخرة شفيفا لا يشغله الا أن يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله وصلى الله على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين .

الأهرام ٣ أكتوبر ١٩٨٨ م

الى كل هؤلاء أقصد ٠٠

ومن أعجب ما يواجهني أن تنهال على التليفونات بعد كل مقالة أكتبها عن الفساد يتساءل المتحدثون ٠٠ لا شك أنك تقصد فلانا أو تقصد فلانا الآخر ٠٠

ولقد أسمع أن بعض الناس اعتبر الكلام موجها اليه على غير معرفة منى به كأننى لا أكتب مقالة وانما رواية رمزية تستخفى فيها الشخوص وراء الرموز ٠٠ وعلم الله اننى ما قصدت الى الرمزية مطلقا فى هذه المقالات بل هو كلام فصيح مبين لا يحاول أن يخفى وراءه شيئا وفيم الخفاء ؟ ان التهم موجهة فى صراحة فى الصحف المعارضة منها وغير المعارضة وأنا لا أبيح لنفسى أن أتناول هذه التهم واناقشها فأنا لا أعرف الحق فى شأنها ولا الباطل من أمرها انما يعرفه الذى نشر وأكد أن لديه من الوثائق والأوراق ما يثبت قوله الحق أيضا الشخص المتهم وأنا لا أملك أن أذكر اسمه لا استخفاء وراء الرمز وانما أبرىء نفسى من اتهام آخرين لست على ثقة من تهمتهم ناظرا الى الحق الصادق الذى لا شك فيه ٠

وفى طوفان التهم لا تسمع ممن تمسهم تكذيبا أو شرحا أو بيانا ويملكنى العجب وأكتب ما أكتب ٠٠ ان هذه التهم لا تلوث أشخاصها وحدهم وانما تلوث مصر جميعا وانى أصيح بكل من يسألنى من تقصد ؟ اننى أقصد كل من وجهت اليه تهمة ولم يحاول أن ينفيها عن نفسه مهما يكن شأن هذا المتهم والذى لاشك فيه ان كلا منهم يعرف نفسه وان لكل متهم منهم جماعة تعرف الحقيقة من شأنه ولاشك ان الأغلبية الكاثرة من الشعب المصرى حين تقرأ مقالاتى بالأهرام فى هذا الشأن يتجه ذهن كل جماعة الى شخص بذاته بل ان كثيرا كاثرا من الأفراد يقفز الى أذهانهم اسم معين ٠٠

الى كل الذين تتجه أسماؤهم الى أذهان الجماعات وكل هؤلاء الذين تتقافز أشخاصهم الى خواطر الأفراد الى كل هؤلاء أقصد وهيهات ألف هيهات أن أكتب فى موضوع عام متقصدا شخصا واحدا بذاته انما الأمر أعظم من الفرد انه أمر أمة بأكملها يشوه وجهها ويمسخ معالمها ويجرح سماتها أمام العالم أفراد بذواتهم ينبغى وجوبا أن ينفوا التهم عن أنفسهم

أو يعتزلوا الكرسي الذى يسمح لهم بتحطيم الثقة فى مصر ٠

ان الثقة بين شخصين أو بين دولتين لا تقوم الا بعد معاملات طويلة الأمد بعيدة الأغوار عميقة الأصول ظليلة الفروع وحتى تقوم ثقة فى نفس فرد بفرد آخر يحتاج الأمر الى سنوات وسنوات ٠

وحتى تستقر ثقة فى أرجاء دولة عن دولة أخرى يحتاج الأمر الى معاملات عالمية وسنوات طوال حتى يثبت فى نفس القائمين بشأن هذه الدولة أن الدولة الأخرى جديرة بهذه الثقة وهذه الثقة تضيع فى لحظة واحدة أو تصرف واحد وقد نجحت مصر بجهود جبارة وقحة مجرمة ان تمحو الثقة فى التعامل معها محوا كاملا فى عهد الطغيان الفردى وضياع هذه الثقة فى أيام الطغيان هو الآن ما نجنى ثماره المريرة فقد كان هذا الفقدان للثقة من أهم مقومات التركة الفادحة التى ورثها الشهيد نور السادات ثم اكتملت فداحتها وهبطت بثقلها كله فى عهد رئيسنا الحال محمد حسنى مبارك أعانه الله ووهب له القوة والأيد والثبات ٠٠

وقد استطاع بالكلمة الشريفة وبالتصرفات النبيلة البعيدة كل البعد عن الشبهات وبالمعاملات النقية نقاء البللور أن يجعل العالم الذى فقد ثقته فينا يسترد هذه الثقة بمصر وبهذه الثقة نعيش اليوم وأكاد أقول اننا نعيش فى المجتمع الدولى بهذه الثقة وحدها ٠٠

فكيف اذن نسمح لجماعة مغرضة تبحث عن مكاسبها الخاصة وأرباحها الشخصية أن تحطم هذه الثقة أو تهزها أو تمس الثابت من رواسيها والوطيد من أسسها والمتين من حبالها انها مصر التى يطعنون وليست ذممهم الخربة وحدها وهذا عمل اجرامى لا يماثله اجرام ٠٠ فاللص الذى يسرق بيتا يقع شره على أصحاب البيت وحدهم وهم أفراد الخسارة فى شأنهم ميسورة التعويض ٠

أما الذى يشوه وجه مصر فهو يعدو على شعب بأكمله وخسائر الشعوب لا سبيل الى تعويضها الا بالسنوات الطوال المليئة بالمرارة والآلام والمعاناة فلا يسألنى اذن سائل من أقصد فكل من يسأل يعرف من أقصد أنه كل من أولته مصر أمانة فخانها وكل من أطلق الشعارات الجوفاء ليحمى بها مكاسب له مادية كانت هذه المكاسب أو غير مادية وكل مسئول صرح تصريحا غير مسئول وكل من تطالبه المصلحة العامة باصدار قرار ونكص عن اصداره أو تلكأ فيه وكل مسئول اتهمته صحيفة بتهمة ولم يكذب التهمة أو يقدم استقالته ٠

وكل من لا يبذل فى سبيل مصر جهده كله ٠

وكل من يشعر انه أصغر من المنصب الذى يتولاه ويصر على البقاء فيه ٠

وكل من قدم مصلحته الخاصة أو مصالح الأقربين اليه على المصلحة العـــامة ٠

وكل من رأى نقصا ولم يصلحه ولم يدع الى اصلاحه فان كان هو المسئول عن النقص فالمصيبة أفدح والكارثة أشد ٠

وكل من لا يرعى الله فى حق الوطن من المسئولين كان أو كان مثلنا من الشعب والله هو المطلع على الأفئدة ٠

ولن يفلت ظالم من جزاء ٠٠ الحق دائما فوق الجميع ٠٠ ولا اله الا الله الحكم العدل ٠٠ اليه نلجأ واليه ننيب ٠

الأهرام ١٠ أكتوبر ١٩٨٨ م

الكلمة محكمة التاريخ ..

ليست الكلمة لهوا نلهو بها ، ولا هي مجرد ألفاظ تتوالى فيتسلى بها أقوام ساعات ، ثم ينقضي أثرها ويبيد فيما يبيد من وقت ..

ان الكلمة هي المعجزة الوحيدة التي اختارها رب السموات والأرض لتكون معجزة البقاء والخلود . ختم بها رسالاته الى الناس . وبالحق أنزلها وبالحق نزلت على خاتم الأنبياء وامامهم والمبعوث رحمة للعالمين للناس كافة في كل بقاع الأرض .

وبهذه الكلمة كان الاسلام .. وبهذه الكلمة اعترفنا نحن المسلمين بالديانات الأخرى وصدقنا ان ابراهيم ألقى في النار فكانت عليه بردا وسلاما وان موسى شق البحر بعصاه وان عيسى أحيا الميت بأذن الله .

ولولا أن هذه الأنباء جاءت في القرآن الكريم بالكلمة المنزلة ما صدقنا من خبرها شيئا .. فكل هذه المعجزات بصرية لا يصدقها الا من يراها .. وليس من شأنها أن تحدث آثارها الا فيمن شهدوها . أما القرآن فمشهود في كل زمان . أوحى الله به لنبيه صلى الله عليه وسلم منذ ألف وأربعمائة عام فظل باقيا كما هو بحروفه حتى اليوم . وسيظل خالدا حتى يرث الله الأرض ومن عليها ..

وبالكلمة علم الله الانسان ما لم يعلم .. وبالكلمة امتاز الانسان على سائر المخلوقات .. والكلمة بقاء وخلود وثبات يقول شوقي ..

حسن في أوانه كل شيء   وجمال القريض بعد أوانه

وحين أراد أن يلقي رثاءه في أمين الرافعي لم يجد من يلقى له قصيدته فنشرها في « الأهرام » بعد أن زاد عليها بيتين يقول فيهما :

ان يفت فيك منبر الأمس شعري   ان لي المنبر الذي لن يزولا
جل عن منشد سوى الدهر يلقيه   على الغابرين جيلا فجيلا

والغابرون الباقون أو الماضون وهي من كلمات الأضداد حسب شرح العالم الجليل د. أحمد محمد الحوفي ..

ويقول المتنبى عن نفسه وعن شعره :

وتركك فى مسامعها طنينا كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر

وصدق جدسه فها نحن أولاء نستشهد بشعره بعد مرور ألف عام وتزيد على زمانه .. لعلك سائلى فيم هذا الحديث عن الكلمة وانى مسارع اليك ..

نستشهد بشعره بعد مرور ألف عام وتزيد على زمانه .. لعلك سائلى فيم هذا الحديث عن الكلمة وانى مسارع اليك ..

لا يحسبن أحد أن كلمات الكتاب تذهب عبثا فيكتبها كتابها لعبا بالكلمات ويقرأها القارىء لهوا بالحديث وقطعا للوقت .

ولا يحسبن أحد أن القارىء حين يطوى الجريدة فهو يطوى معها ما قرأ .. هيهات لقد نفذت الكلمات الى صميم وجدانه وقبل منها ما قبل ورفض منها ما أبى ولكنها تركت فى البعيد البعيد من نفسه أثرها ..

فالكاتب نبض لهذا القارىء ان رضى القارىء بما قال .. وهو موضع مناقشته ومحاسبته ان قال ما يرفض ..

والكاتب لا يكون كاتبا الا اذا كان له قارىء .. فان سار فى طريق وحده وسار قرآؤه فى طريق آخر سقطت عنه صفة الكاتب .

فكلمة كاتب تحمل فى حروفها وفى مبناها وفى معناها أن له قراءه الذين يعتبرونه كلمتهم المعلنة المشهرة وضميرهم ورأيهم سكتوا هم فقال عنهم كاتبهم وأبان ما استسر من مشاعرهم وما استخفى من أفكارهم ..

والكلمة أقوى سلاح عرفه التاريخ يخشاها الطغاة أكثر من خشيتهم المدافع والصواريخ .. فالكلمة تدوى فى ضمائر الأحياء وتكون آراءهم وتتخلق منها مشاعرهم وقيمهم .

والكلمة تعلن عن نفسها بشتى وسائل ومختلف سبل .. فهى رمز اذا شاءت وهى صريحة اذا اتيحت لها الصراحة .. وهى معنيان اذا أراد لها كاتبها أن تكون ذات معنيين وهى ذات مائة معنى اذا أراد لها كاتبها أن تكون كذلك .. وهى تقال ويقصد بها غيرها . .وهى تشير ولا توضح وهى تهمس ولا تجهر .. وهى جهيرة شهيرة اذا أرادت ..

وأعود الى بدء .. لا يحسبن أحد من أصحاب المسئولية فى المجالس التشريعية أو فى الهيئة التنفيذية أو فى القطاع العام أو القطاع الخاص أن كلام الكتاب يذهب سدى ..

انه رأى شعب بأكمله ان عجزت المجالس التشريعية عن ابداء الرأى وهى حساب الرأى العام انه عجز جهاز ان يحاسب ..

فصمت لمتهمين اذن عجيبة من العجائب .. انهم يظنون ان المقالة التى تهاجمهم انما هى بعض حبر ألقى على بعض ورق ثم ألقى به الى الهمل وكأنه ما كان .. هيهات ..

لو كان الأمر كذلك ما خشى الطغـاة هذا الحبر وذلك الورق .. والوزير المحصن اليوم بكرسيه وبأدائه الخدمات لأعضاء المجالس التشريعية سينكشف عنه حصنه فى غد فكرسى الوزارة عادل لا يعرف الوفاء لمن لا يفى بعهد الله فيه .. وحين ينكشف عن الوزير حصن الكرسى سينفض عنه أولئك الذين يؤدى لهم الخدمات اليوم .. وتبقى الكلمات .. فان كانت حقائق فهو بين اثنتين أما محاكمة قضاء .. أو محاكمة تاريخ .. فان الكلمة هى محكمة التاريخ .. وحكم التاريخ يبقى ولا يزول ..

فليتق الله كل مسئول فى أى ناحية من نواحى حياتنا المصرية .. وليكن له فى رئيس الدولة محمد حسنى مبارك مثلا وقدوة .. فالله يعلم.. ونحن نعلم انه لا يميل مع هوى وانه يعف عند مغنم .. وليس له مأرب الا وجه الله والحق ..

فما لأقوام يميلون عن نهجه ويعوجون عن طريقه ..

اذا لم يخشوا حكم التاريخ فليخشوا الله فى عليين يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا سلطان الا من أتى الله بقلب سليم .

الأهرام ١٧ أكتوبر سنة ١٩٨٨ م

الشفاعة يا رسول الله

فى ذكرى مولدك الشريف نتجه الى رحابك المكرم أن تكون شفيعا لدى مصر عند سدرة المنتهى لدى رب العرش الأعظم تباركت أسماؤه .

فان مصر يارسول الله تعانى أكثر ما تعانى من أقوام ادعوا أنهم يسيرون على نهجك ويتبعون خطاك . وقد حسبوا — خطلا منهم وبهتانا وجهلا — ان التظاهر بملابس مثل ملبسك . واطلاق اللحية انها هى الطريق . وما دروا أن طريقك الشرف والأمانة والرسالة التى حملتها وأبلغتها بالحق .

وما دروا من هذه الرسالة شيئا .

فها هم اولاء يا رسول الله يثيرون الفتنة ويدعون الناس الى الضلال وقد تعلمنا من الكتاب الأشرف انه الفتنة أشد من القتل . وان القتل أبشع ما يرتكبه آدمى من آثام فسبحانه وتعالى يقول « انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا » فكيف بهؤلاء الذين يدعون الناس الى الفتنة والفتنة مقتلة جماعية .

جهلوا يا رسول الله ان هذه الفتنة اذا ظهرت بوادرها فسيكون الداعون اليها هم حطبها الأول وستكون رؤوسهم أول رؤوس يطاح بها .

وقد ظاهرهم وانتهز من جهلهم فرصة قوم هانت عليهم أوطانهم ورخصت فى ضمائرهم أرواح المصريين . فهم يشجعون على الفتنة ويدعون اليها فى وقاحة تجردت من الانسانية وفى سذاجة برئت من العقل .

وكلهم .. كلهم يا رسول الله يريد أن يتخذ الفتنة وسيلة يركبونها ليصلوا الى الحكم الدنيوى . فان جاز هذا من قوم لا يعرفون الله ولا يسيرون على سنتك يا رسول الله . فكيف له أن يساغ من قوم أطلقوا لحاهم وادعوا انهم على نهجك يسيرون وبسبيلك يهتدون . علم الله ما ساروا الا على نهج أعوج ولا اهتدوا الا الى الضلال .

فانك — صلى الله عليك وسلم — نبى الله الذى قال له فى كتابه العزيز « وانك لعلى خلق عظيم » ثم قال للناس عنك « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » التوبة .

فما لهؤلاء يستغلون العنت منا شر ما يكون الاستغلال ومالهم يستغلون الأزمة ليمزقوا شملنا ويحطموا جمعنا ويدمروا وحدتنا ويثيروا فينا الفتنة تطيح بنا وبحريتنا وبآمالنا وبأمننا وأماننا .

أهؤلاء يسيرون على نهجك وأنت الذى وصفك رب العرش من فوق سماوات سبع انك بالمؤمنين رءوف رحيم .

وأين الرأفة فى قوم يقتلون ويعتدون على الأرواح بغير محاكمة وفى غير تعقل .

وأين الرحمة فى قوم يحضون قومهم على الأثارة والشغب وقتل الهدوء والعبث بمقدرات الوطن وأرواح بنيه .

أهذه سبيلك يا رسول الله تنزهت عن العنف وبرئت من غير الحق الخالص المخلص الخاشع لرب العرش العظيم .

انك سيد البشر ومثلهم الأعلى ورايتهم وشفيعهم والشهيد على كل العالمين يوم يكون الحساب .

يقول سبحانه فى الكتاب الكريم على لسانك يا رسول الله « هل كنت الا بشرا رسولا » فما لهؤلاء يريدون أن يكونوا شياطين ويطمعون أن يفرضوا أنفسهم علينا بالسلاح أو بالفتنة .. شاه ما يصنعون ويقول سبحانه « وما على الرسول الا البلاغ » فان كنت أنت وأنت المختار للرسالة وأنت سيد البشر فرض الله عليك البلاغ وما فرض عليك محاسبة الناس. فما لهؤلاء يريدون أن يكونوا بلاغا وحسابا ومحاكمة وتنفيذا وفتنة . خسئوا أن يكون هؤلاء أو من تبعهم بسوء سائرين على نهجك أو مهتدين بهديك . فانك الأسوة الحسنة . وانك الرسول الكريم . وأنتم من قال عنك الله فى كتابه الأكرم « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

شفاعتك يا رسول الله عند ذى العرش العظيم ان يبطل كيد هؤلاء الأفاقين وينقذ مصر كنانته من مكرهم ساء مكرهم .. شفاعتك يارسول الله .

أنا ونجيب محفوظ

كان من المفروض أن أكتب كلمة أهنىء فيها العالم العربى بفوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل . ولكننى رددت نفسى فى عنف واكتفيت

بالأحاديث التى تطلبها الصحف ووسائل الاعلام الأخرى جميعا منى علما منها بصلتى بنجيب محفوظ هذه الصلة التى جعلتنى أرد نفسى عن كتابة مقال خاص بجائزة نجيب .

فأنا لم أتعود أن أكتب عن نفسى وأنا أحس اننى اذا كتبت عن نجيب محفوظ فكأننى أكتب عن نفسى وقد ثبت لى اننى محق فى شعورى هذا بالتليفونات التى لم تنقطع فى بيتى تهنئنى بفوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل التى جاءت الى نجيب متأخرة عشرين عاما والتى أعلنت ان الأدب العربى أدب عالمى وان رغمت أنوف .

وان كان لابد لى أن أقول شيئا لم يقله أحد فهو انه لو كانت هناك جائزة أعظم من جائزة نوبل تعطى على الخلق الأسمى لكان نجيب أولى الناس بها عظمة فى تواضع كبرياء بلا كبر عطاء بلا من بعدا عن الصغائر . شرفا عند الوعد ووفاء عند الصداقة واخلاصا فى العمل .

صاحبته خمسة وأربعين عاما هو منى بموقع الأخ والأستاذ وأنا منه بمكان الأخ والتلميذ ويشهد الله ما شهدت منه الا كل ما يشرف الانسانية ويرفع رأسها ويعلى من قدرها .

أطال الله عمره رائدا ورمزا للخلق الأسمى وللأدب العالمى ؟

الأهرام ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٨٨ م :

حديث ثروت أباظة : نجيب عالم بفن الحياة

قبل أيام من اعلان فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل العالمية فى الأدب ·· كان الأستاذ ثروت أباظة قد أدلى بحديث لصفحة الأدب أكد فيه أن عميد كتاب الرواية ومثلها الأعلى لم تنقطع صلته بالحياة لحظة وكان تعبيره اعادة خلق للواقع بأسلوبه الفنى الفريد الذى يتفوق على كثير من أساليب كتاب الرواية العالمية ·

وقد انتهى الأديب ثروت أباظة من كتابة روايته الجديدة التى سوف تنشر فى الأهرام على حلقات قبل طبعها فى كتاب ، وقد اختار لها عنوانا موحيا معبرا عن مضمونها : « خشوع » يقول فى بداية الحديث :

لقد اقتبست هذه الرواية الجديدة من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستوحيت توجيهه النبوى فى معالجة المواقف والمشكلات التى تواجه الانسان المعاصر ·

قلت لأديبنا الكبير : ان هذه الرواية سبقتها روايتا : « طارق من السماء » و « الغفران » فهل يعنى ذلك اتجاها الى الروحانية فى أدب ثروت أباظة ؟ قال : أنا غير ملزم بأى نظرية أدبية ·· اننى أكتب فى الأدب لا فى الاقتصاد ·· وللنقاد أن يفسروا ما يبدع الأديب ·

سألت : هل انتهت الرواية الرومانسية الطويلة فى هذا الزمان كشكل أدبى ·

قال : بالطبع لم تمت الرواية الرومانسية ·· ولكن هناك تيارات جديدة ظهرت بعضها أثبت وجوده وبعضها لم يثبت ·· فمثلا الواقعية الجديدة بقيت فى حين لم تستطع السريالية أن تثبت ··

الأستاذ ثروت أباظة : كيف يرى الأدب النسائى المعاصر ؟ يقول : هناك أديبات مجيدات ننتظر منهن الكثير ، بغض النظر عن كونهن نساء · ولكننى أعيب على بعضهن الاكتفاء بكتابة التجربة الشخصية الوحيدة التى لا ترتفع الى مستوى الرواية ، مثلما فعلت « كوليت خورى » فى « الليلة الواحدة » ·

ان كاتب الرواية يجب أن يكون عالما بفن الرواية ، وباللغة ، وعارفا بكل جوانب الحياة ٠٠ فالروائي ميزته العلم الكامل بالحياة في مجملها مثلما نجد عند تولستوى وبلزاك وفيكتور هوجو ٠٠ الخ في الآداب الغربية ومثلما نجد في أديبنا العربي نجيب محفوظ الذى لم تنقطع صلته بالحياة لحظة ٠٠ وكذلك الحكيم ود٠ محمد حسين هيكل ٠

٥ نوفمبر سنة ١٩٨٨ م

ثروت أباظة و .. الغفران

منذ خطواته الأولى فى درب الأدب أطل علينا الكاتب الكبير ثروت أباظة أديبا من أصحاب الأساليب المميزة أدبا فكرا وابداعا ، وكان أسلوبه دوما يتسم بالجزالة الراقية المعصومة من التقعر والحوشية والاغراب مجدولة هذه الجزالة بالعذوبة والتعامل مع اللغة جماليا وفقا لخصوصيته ما يسوقه مقالا أدبيا أو ابداعا فنيا ، وسر هذا التوافق عنده بين سمو العبارة وبساطتها يكمن فى كونه بجانب ثقافته العصرية قد استوعب تراثه جيدا .. ونحن نجد هذا التراث مستلهما عنده فى الكثير من أعماله الابداعية رواية وقصة قصيرة ، وروايته الأخيرة « الغفران » التى صدرت مؤخرا عن دار مكتبة مصر اجتهدت من خلال الرؤية الفنية فى استلهام قصة سيدنا يوسف من القرآن الكريم ، وهو لم يتناول القصة كواقعة تراثية أبرزها القرآن الكريم وفقا لما يتوخاه من دلالة ، فقد عمد كاتبنا الى استيعاب الدلالة الباطنة ليشكل منها فى « الغفران » عملا ابداعيا يحتوى الواقع الانسانى المعاصر والنفوس بمختلف نوازعها .. فاذا كان قد حافظ على الخطوط الرئيسية من حيث رموزها وشخوصها فقد عرف كيف يشكل من ذلك حياة نراها ناطقة . حولنا بصدق الرؤية وحداثة الايحاء .

مجلة أكتوبر ٦ نوفمبر سنة ١٩٨٨ م

انفاق ولا عائد

وانه لمن أعجب العجب أن يشكو الناس وتشكو الدولة من مشكلة الدروس الخصوصية وهم فى نفس الوقت يصرون على بقاء التعليم مجانيا للجميع . قادرين وغير قادرين أغنياء ومرهقين .

هل أصبح المنطق غريبا فى مصر كل هذه الغربة ؟

مادمت قد كدست التلاميذ في الفصول فهيهات لهم أن يحصلوا من التعليم العام شيئا ، فلا نجاح لهم الا بالدرس الخاص .. والدرس الخاص لا يطيق نفقاته الا الأغنياء غنى فاحشـا . فينجح القـادرون كل القدرة ويرسب من قدر عليهم رزقهم من قليلى الدخل ، الذين لا يملكون الا مرتبات الحكومة والقطاع العام وهم الكثرة الكاثرة .

ومع ذلك تصر الدولة على أن التعليم مجانى .. أمجانى هذا أم أنه يرغم الأباء على انفاق مبالغ طائلة لا قبل لهم بها !

أرى القـادرين اليوم يبدأون الدروس الخصـوصية لأبنـائهم فى الثانوية العامة قبل البدء فى الدراسة وفى جميع المواد بلا استثناء حتى فى مادة التاريخ التى لا تكلف الطالب الا أن يقرأ الكتاب المقرر فينجح . ولكن الآباء خائفون وهم قادرون . فليكن انفاقهم ضخما ، اذن قد يصل فى العام الى عشرة آلاف جنيه أو يزيد .

أما الطلبة من غير القادرين فلا يجرؤ واحد منهم أن يطلب من أبيه أو القائمين بأمره مليما واحدا للدروس الخصوصية . اتكافؤ فرص هذا أو مجانية تلك .. أم هى شعارات جوفاء لا تدل الا على العبث والصياح الفارغ والاعتداء على عقولنا ومنطقنا ؟

ونظرة أخرى الى المدارس الحرة كم تبلغ المصاريف فيها ؟ أليست آلافا مؤلفة .. اتكافؤ فرص هذا أو مجانية تلك ؟

حين نسمع أرقام المدارس الخاصة تنتفض منا القلوب فى وجيب خائف مذعور .. ما هذا ..وكيف توجد هذه المبالغ كلها فى مصر واذا كانت هذه مصاريف التلميذ في المدرسة فقط فكم يكلف أهله فى الطعام والشراب والملبس والعلاج .

واذا انتقلنا الى الجامعة ووجدنا الساحات الضخمة تهيأ خصيصا لسيارات الطلبة الفارهة المتوحشة وأقل سيارة الآن ثمنها يبلغ ثلاثين ألف جنيه للسيارة المتواضعة وانك واجد ثمة السيارات ذات المائة ألف جنيه والمائتي ألف وما هو أكثر من ذلك مما لا يطيق القلم أن يخطه • ومع هذا يتلقى صاحب السيارة دروسه فى الجامعة مجانا بصفة رسمية • أما فى الحقيقة فان وراءه جيشا من الأساتذة يتقاضون الآلاف المؤلفة لاعطائه الدروس الخصوصية • وتلك جديدة علينا لم نكن نسمع بها •

فاننا حين كنا طلبة بالجامعة ويستعصى علينا فهم جانب من المقرر نذهب الى الأستاذ الجليل فى حجرته فان رأى ان الاجابة لا تحتاج الى شرح طويل شرح • أما أن رأى أن الأمر يحتاج الى تفصيل فانه يطلب الينا ان نقصد اليه فى مكتبه الخاص أو فى منزله ويشرح لنا ما غمض فى تفصيل واقبال وسعادة ويقدم الينا تحية المضيف للضيف ونتصرف ولا نجرؤ حتى ان نقدم له هدية رمزية والا كان عقابنا فادحا •

وأنا اليوم لا ألوم الأساتذة فالحيـاة أصبحت ثقيلة وسـعار المال سيطر على الحياة سيطرة تامة وأصبحت الرحمة كلمة بلا مدلول •

وفى غمار الدروس الخصوصية من أسـاتذة الجامعة سـمعنا كلاما يندى له الجبين ولكننا نكرم أساتذة الجامعة أن نصدقه •

الا أن يد الأستاذ مادامت قد امتدت الى الطالب أو الى أبى الطالب فلا مندوحة اذن من أن تخرج الاشاعات فاغرة الأفواه دنسة الملامح بشعة كل البشاعة مهينة كل المهانة فأستاذ الجامعة رمز للخلق الأرفع وللشرف والنبـالة •

وحين تخرج الشائعات عنه نشـعر جميعا اننا نصيب كرامة مصر جميعا ونشعر وكأن المصيبة تلفنا جميعا •

والعالم الآن أصبح وحدة واحدة ومصر تعتمد اليوم اعتمادا ضخما على القروض فكيف نسـتطيع أن نقترض من دولة ، التعليـم فيها ليس مجانيا ونصيح نحن ان التعليم عندنا مجانى •

والحقيقة ان هذا الشعار ليس صحيحا الا فى انه يكلف الدولة ملايين الملايين من الجنيهات تذهب هباء منثورا •

فهى تنفق ولا تعلم وتبذل ولا ينال الطلبة من بذلها شيئا لأنهم مضطرون اضطرارا الى الدروس الخصوصية ، وفى هذا المضمار يصبح انفاق الدولة انفاقا بلا عائد الا صيحة فى الهواء أجدا وانما ترهق الدولة

رهقا . شديدا وتصيب الدولة فى أموال ضخام هى فى أشد الحاجة اليهـا .

ان مثلنا ومثل الدول التى تقرضنا كمثل شخص يركب سيارة ثمنها مليون جنيه ويقف بسيارته الفارهة الى جانب شخص يركب دراجة بخارية ويقول له :

ـ أليس معك جنيه سلف .

ان جاز هذا الموقف العجيب بين الأفراد .

أتراه يجوز بين الدول ؟

ترى هل جاء الوقت ان تزيل مصر شعارات لها كانت مرفوعة فى عصور الغوغائية والدجل - لتعيش فى عصرها اليوم عصر الجد والحرية والشرف والصدق .

الأهرام ٧ نوفمبر سنة ١٩٨٨ م

ثروت أباظة : رئيس اتحاد كتاب مصر

مبارك شمل الأدب بالرعاية ولم يقصف قلما
ولم يمنع كلمـة
الحياة الأدبية عرفت لقب الروائى
بظهور نجيب محفوظ

وألقى الكاتب ثروت أباظة رئيس اتحـاد كتاب مصر كلمـة فى الاحتفال قال فيها :

فخامة الرئيس ·· أستاذى نجيب محفوظ : سيداتى سادتى :

الصدق شرف · ومن الشرف أن أتقدم اليك يا فخامة الرئيس باسم اتحاد كتاب مصر بالشكر والاجلال لحضورك هذا الحفل ·· وان الاتحاد لا يستغرب هذا منك فانك ـ شهد الله ـ قد شملت الأدب بالرعاية الجديرة برئيس مثلك يعرف ما للأدب من مكانة فى حياة العالمين · فانك لم تقصف قلما ·· ولا منعت كلمة أن تقال ·· نزيهة كانت هذه الكلمة أو مائلة عن الحـق · شريفة كانت أم كانت مغرضة تاركا فى سـعة أفق وذكاء لماح للقارىء الحكم فى شأن الكاتب له ان كان صادقا أو عليه ان لم يكن ··

وما أعظم شوقى الخالد حين قال :

ابتغوا ناصية الشمس مكانـا	وخـذوا القمـة علمـا وبيانا
واطلبـوا بالعبقريـات المـدى	ليس كل الخيل يشهدن الرهانا
ابعثوهـا سابقـات نجبـا	تمـلأ المضمار ـ معنى وعيانـا
وثبـوا للعـز من صهوتهـا	وخـذوا المجـد عنانا فعنـانا
لا تثيبوهـا على ماقلـدت	من أيـاد حسـدا أو شنئانـا

وهكذا ترى يـا فخامة الرئيس أن عظمة الكلمة فى خلودهـا وفى بقائها معبرة من قريب فى كل زمان ·

على هذا النسق من الخلود كتب نجيب محفوظ رواياته وعلى هذا السمت من البقاء استوى نجيب محفوظ فى دنيا الرواية العالمية ·

فقد ولدت الرواية لقيطة فى الأدب العربى وكان اسمها « زينب » خشى مؤلفها دكتور محمد حسين هيكل أن يضع اسمه عليها فتوهن من المكان المرموق الذى يعد نفسه له واحدا من عظماء الكتاب فى عصره ودهقانا من دهاقين السياسة ٠

وكانت الرواية تلقى فى القاهرة على الربابة ٠ وتوقع هيكل أن يصفه أعداؤه السياسيون بأنه قصاص ربابة ٠ ثم شاء الله أن يكتب الرواية عمالقة الجيل ٠٠ فكان من الطبيعى أن ينقذ هيكل مولودته زينب وينسبها فى طبعتها الثانية الى أبيها دكتور محمد حسين هيكل ويتصحح النسب وتلمع الرواية شمسا جديدا فى سماء الأدب العربى الا أن كل الذين كانوا يكتبون الرواية يتناولونها فيما يكتبون ولم تكن كتاباتهم مقصورة على الرواية ٠

حتى ظهر نجيب محفوظ والجيل الذى يقف منه الزعيم وحينئذ أصبح هناك فى الحياة الأدبية لقب جديد هو لقب الروائى ولم يكن معروفا قبل نجيب وجيله ٠ وأصبحت الرواية التى كانت مصدر خوف لكاتبها لونا من أعظم ألوان الأدب العربى ٠٠ تسلمها نجيب محفوظ أفكارا لم يكتمل بناؤها ٠٠ وانما هى أساس يترجح بين الحكاية الخاصة والرواية الشفيفة البناء ويترنح بين التجربة الذاتية والقصص التى تجرى فى طريق الحياة اليومية ٠

ويكتب نجيب محفوظ القاهرة الجديدة ٠٠ وخان الخليلى ٠٠ فاذا الرواية تشمخ الى مدارج الرواية العالمية فى قفزة واحدة ٠ ويعمل نجيب بعد ذلك فى أدب وصبر وعبقرية باذخة فيرسم مجتمعه كله جاعلا ميدان رواياته القاهرة والأحياء العريقة منها ناظرا الى الأحياء الأخرى كعناصر للبناء الروائى عنده ٠ وتستوى الرواية المصرية على أرفع الأسس العالمية ٠

فخامة الرئيس :

ان نجيب محفوظ مازال يعطى وهيهات لعشرات الكتب أن تتبع أعماله وانما حاولت يا صاحب الفخامة أن أشير اليها اشارات هى ومضات من نور يملأ الدنيا كلها ٠٠ وانى يا صاحب الفخامة من كتاب الرواية وأشهد الله.والحق اننى أكتبها على شمس نجيب محفوظ وتحت خيمته الرحبة الفضفاضة ٠

ولقد رأيت منه شواهق فى الخلق الأسمى يندر أن تتكرر فى الحياة٠٠ ولو اننى اندفعت فرويت لما توقفت ٠٠ فنوبل التى تكرم الأدب العربى

فى شخص نجيب تكرم أيضا دون أن ندرى مثلا أرفع من مثل الأخلاق والنبل والترفع والتواضع والكبرياء • بغير تكبر والعفة فى غير تصنع والسموق فى غير امتنان •

ويكفيه فخرا انه فى تواضعه يبدو كمدين مع انه دائما دائن •• ولعله مما يجل ذكره ان نجيب محفوظ لم يكن فى يوم من الأيام مقترضا قط لا من بنك ولا من شخص •• وما أكثر ما كان بالنسبة لى دائنا •• ولكنه كان دائما يبدو كأنك تعطيه الذى أنت سائله •• وان كنت يا فخامة الرئيس قد سـددت له دينى المالى وأشهدكم على ذلك فان دينه الأدبى سيبقى خالدا فى عنقى وعنق أدبى •

: ١٩٨٨/١١/٧

انها سمعة شعب

أعجيبة هذه الحياة ترغمك على ما لا تحب وتجد نفسك فيها مضطرا أن تفعل أشياء لم تكن تتصور أنك ستفعلها فى يوم من الأيام ٠

وأنا فى هذه الأيام متعرض لهذه النقمة مضطر أن أفعل ما لم أكن أتصور أننى سأفعله فى يوم من الأيام ٠

فأنا أكتب فى الصحف منذ عام ١٩٤٣ وكانت سنى فى ذلك العام ستة عشر عاما ٠

وقد أخذت نفسى منذ أول مقالة ظهرت لى ألا أكتب فى موضوع واحد أكثر من مرة واحدة ٠ وهاأنذا اليوم أتبين عقم هذه السياسة منى وعدم جدواها ٠ وأجد نفسى وأنا أتجاوز الستين من عمرى مضطرا فى الحاح ان أكتب فى الموضوع الواحد عشرات المرات ٠ والعجيب اننى وأنا أكتب فى الأهـرام أعظم جريدة فى العـالم العربى لا أجـد السميع الا من القراء أما المسئولون فانهم بشجاعة منقطعة النظير ينقلبون الى قراء ٠ يهنئوننى على مقالاتى ويبدون اعجابهم بما أكتب ثم لايستجيبون له ٠ فقد صحت منهم المسامع أما القلوب فعليها أقفالها ٠

والأمر جد خطير ليس لهـوا هو ولا هو ألفاظا تتطاير فى الهواء ٠ انما هو مستقبل دولة ٠ واقتصاد أمة ٠ وسمعة شعب ٠

التهم تملأ صفحات الجرائد عن أشـــخاص بذواتهم وتتزايد هذه التهم اليوم مع النكبة النكباء التى بلينا بها والمسماة شركات الاستثمار التى لم تستثمر الا النهب والسرقة والضمير الغائب ٠

يتصايح الناس أين كانت الحـــكومة يـوم بدأت هذه الشركات عملياتها التى بدأت مشبوهة وانتهت موصومة ٠ والحكومة التى تحكم اليوم مسئولة عن كل الحكومات التى سبقتها ٠ فالمسئولية فى السلطة التنفيذية لاتنقطع بل هى متواصلة ٠ وعلى الحكومة الماثلة فى الحـــكم ان تتحمل أخطاء الحكومات السابقة بالاصلاح ٠ أو بالاعتذار ٠ والاعتذار من الحكومة الحالية عن الحكومات السابقة يبث الثقـة فى نفوس الشعب بل وفى نفوس جميع الدول التى تتعامل مع مصر ٠ فالاعتراف بالخطأ أول الطريق الى الصواب ٠

وأنا أعتقد أن الجهات الرسمية فى الدولة أخطأت خطأ فادحا يوم سمحت لهذه الشركات أن تبدأ عملها وأن هذه الجهات قد أسهمت اسهاما ضخما فى اندفاع المودعين الى هذه الشركات التى كانت بدايتها واضحة الضلال والاحتيال بذلك الفرق الشاسع بين سعر الفائدة الذى عرضوه وبين سعر الفائدة المقرر فى البنوك جميعها وليس يجدى هنا اختيار أسماء أخرى للفائدة تتخفى وراءها فما هذه الأسماء الا استكمال للتحايل واتمام لشكل النصب الذى قامت عليه هذه الشركات وحين يصيح اليوم أصحاب الأموال أننا ما أودعنا أموالنا بهذه الشركات الا عندما رأينا الحكومة تسمح لها بأن تمارس عملها وصمت الحكومة عن جريمة معلنة موافقة من الحكومة واسقاط لصفة التجريم عن العمل الذى يمارسه الآخرون ، خاصة وهم يمارسونه فى علانية وفى غير سر ولا اخفاء ٠

ولكن هذا القول لا يعفى المودعين أيضا من الخطأ الفادح الذى وقعوا فيه تحت تأثير الجشع والرغبة فى الحصول على أكبر ربح دون رؤية من تفكير أو أناة فى التدبير ٠ فالذى لاشك فيه انهم مقامرون والمقامر متعرض للخسارة أكثر من تعرضه للربح أما اذا كانت الغفلة هى التى تحكم أعمالهم فان القانون لايحمى المغفل ٠

ولكننى أعود فأقول انه اذا كان القانون لايحمى المغفل فان على الحكومة ان تحميه كما ان على السلطة التنفيذية ان تمنع النصاب أن يمارس نصبه ٠ ولكن حكومتنا لم تحم المغفلين ولا هى حاربت اللصوص النصابين ٠

وعودا على بدء أجد جرائد المعارضة تخرج على الناس قائلة أن كثيرا من الوزراء السابقين وأصحاب المناصب المرموقة قد ساهموا فى انعاش هذه الشركات بايداعات وهمية حينا وغير وهمية حينا آخر مما جعل الأفراد العاديين من الشعب يتسابقون الى ايداع أموالهم ٠٠ مغلبين الجشع على العقل وحب الكسب السريع على التفكير السليم ٠ وما لهم لايفعلون وهم يرون المسئولين معهم فى نفس الحظيرة ٠٠ ان وجود هؤلاء المسئولين جعل أفراد الشعب المتعجلين للكسب لا يسألون ذوى الخبرة الاقتصادية ولا يستشيرون من يعرفون من أصحاب الرأى السليم بل اندفعوا يودعون متجاهلين أو راغبين أن يتجاهلوا أنهم يقامرون ٠

وأنا لم أقرأ ورقة مما وقع عليه هؤلاء المودعون ولكن الذين قرأوها يقولون أنه لايقبل التوقيع عليها الا جاهل عريق فى الجهل أو مغفل عميق الغفلة ٠

ومرة أخرى عودا على بدء ٠ الجرائد تتهم المسئولين السابقين ولا نجد منهم دفاعا ولا ردا وكان الكلام لايعنيهم فى شىء والحكومة صامتة

عنهم لاتسألهم وانما هى فى معزل عن كل ما يقال ٠

ويعلم الله أن هذا الصمت من المتهمين كارثة ٠ وهذا النكوص من الحكومة عن المحاسبة كارثة أكبر ٠

انها لو ساءلتهم لأصبحوا بين واحدة من اثنتين لا ثالثة لهما ، اما انهم أبرياء فصفحتهم اذن ناصعة ويدهم اذن شريفة وسمعتهم اذن كريمة نقية واما أنهم مدانون فعليهم اذن أن يدفعوا دينهم للمجتمع عقوبات مالية أو بدنية فالعدالة تحاسب أصحاب المناصب محاسبتها لغيرهم بلا تفرقة أما المجتمع فحسابه لصاحب المنصب أشد لأنه الى جانب جريمة السرقة التى يرتكبها يرتكب جريمة أخرى أبشع وأحقر وهى خيانة الأمانة فان الشعب حين يوليه منصبا يحمله معه أمانة ان خانها أصبح باحتقار المجتمع جديرا وبغضب الناس عليه موسوما ٠

وبعد ٠٠ فعودا على بدء ثالثة ٠ كم كتبت أن الحكومة لاتعنى بما يكتبه الكتاب وكم قلت انها بذلك تزعزع الثقة فى اقتصاد مصر بهذا الصمت منها وذلك الانصراف عن صياح أصحاب الأقلام ٠ واقتصاد مصر يقوم على الثقة وحدها وويل لاقتصاد مصر كل الويل يوم تهتز هذه الثقة أو مالت منها الدعائم التى بذل الرئيس حسنى مبارك كل جهده ان يقيم أسسها ويشيد قوامها ويثبت أركانها بخلق صادق منه وكلمة شريفة ووعد منجز وبعد كل البعد الا عن النزاهة والأمانة ونبالة القصد ونقاء التصرف ٠

الأهرام ١٤ نوفمبر ١٩٨٨ م

نسمة أمل ..

لابأس على شباب اليوم .. ولاخوف عليهم . فانى مبشرهم ان كل جيـل سبقهم الى الشباب كانت له مشاكله ومعاناته . وكل جيـل كان يظن ان مايعانيه من مشاكل لم يتعرض له جيل سبق ولن يتعرض له جيل يلحق .

وللانسان عامة قدرة عجيبة ان يضخم مشاكله فقد خلق الانسـان هلوعا اذا مسه الشر . يخف الى الجزع قبل ان يشرع فى العلاج . هكذا وصفه خالقه فى سورة المعارج !! ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا !!

والمشاكل أمام شباب اليوم تبدو له ضخاما كالجبال متراكبـة كالأمواج . فهم حين يتخرجون فى الجامعة تبدأ رحلات العذاب . تواجههم. يريدون الوظيفة والزواج والشـقة وكل مطلب من هذه المطالب يؤرق لياليهم وينغص عليهم أيامهم ويجعلها أياما سوداء .

وانى اطمئن هؤلاء الشبيبة ان جيلنا هو أيضا كانت له مشاكله وكانت فى أنظارهم أيام شبابهم لاتقل خطورة ولا قتامة عن خطورة مشاكل اليوم وقتامتها .

وكانت أصعب هذه المشاكل فى الأجيال السابقة الحصول على وظيفة فقد كانت الحكومة منـذ ثلاثينيات هـذا القرن تكاد تكون متوقفـة عن التعيينات الا فى النادر القليل . وكانت الشركات تكتفى بمـا لديهـا ولا تستطيع ان تتسع للمتخرجين الجدد . فكانت أزمة الوظيفة على مدى عشرين عاما تكاد تكون خانقة مع ان المتخرجين فى هذه السنوات كانوا قلة قليلة بالنسبة للخريجين اليوم وكان المرتب فى الوظيفة الحكوميـة هزيلا ولكنه كان على هزاله يستطيع أن يواجه ضرورات الحياة .

ولم تكن هناك فروق شاسعة فى المرتبات مثل التى نراها اليوم بين الذين يعينون فى القطاع الخاص والآخرين الذين يعينون فى القطاع العام أو الحكومة وهذه المقارنة عند شباب الحكومة والقطـاع العام تزيـدهم مـرارة .

ولكن هناك فارقا كبيرا ضخما بين المجتمع الذى واجهه شباب الجامعة فى أيامنا وبين مجتمع اليوم .

فالمجتمع فى أيام شبابنا كان يرفض رفضا باتا حازما ان يعمل خريج الجامعة سائقا فى منزل أو على سيارة أجرة أو سيارة نقل .

والمجتمع اليوم يرحب بهذا النوع من الشباب ويوفيه حقه من الاكبار والاجلال ولم يكن المجتمع فى أيامنا يسيغ لخريج الجامعة ان يعمل نادلا فى فندق أو فى بيت .

والمجتمع اليوم يرى فى خريجى الجامعة الذين يقومون بهذه الأعمال رجالا صدقت منهم العزيمة ونفضوا عن أنفسهم أوهام الماضى .

والدليل على ذلك هذا الاقبال الهائل على كليات الفندقة . ويكاد يكون جميع العاملين فى الفنادق من خريجى الجامعة .

هذا التغير الخطير فى فكر المجتمع أتاح لشباب اليوم مالم يكن متاحا لشباب الأمس .

وهذا التغير نفسه جعل الأسر تقبل ان تعطى بناتها لهؤلاء الشباب غير ناظرة الى مهر مرتفع أو شقة فاخرة .

وتغير آخر خطير طرا على المجتمع فقد أصبح عمل المرأة أمرا لا مناقشة فيه وخاصة المرأة التى لم تنجب أو تلك التى بلغ أبناؤها سن المدرسة وأصبحت فى نهارها غير مشغولة .

ولم يكن الأمـــر كذلك فى الثلاثينيـــات ولا الأربعينيات ولا فى الخمسينيات الى منتصفها تقريبا .

وأخرى كان الشباب منذ قبل ثورة ١٩ الى عام ٥٤ التى خرج فيها الانجليز من مصر . صاحب قضية موحدة تجمع شمله وتلم شتاته . فقد كان جلاء الأجنبى عن مصر قضية عامة لايختلف فيهـــا شخص مصرى عن آخر ولاحزب مصرى عن آخر . ولذلك أصبح من الطبيعى ان نرى ان أحزاب ما قبل عام ٥٤ أصبحت غير ذات موضوع . ولو كانت الحيـــاة الديموقراطية هى المسيطرة حين خـرج الانجليز من مصر لكان ينبغى على الأحزاب ان تجتمع كل حزب على حدة أو فى شكل مؤتمر لتعيد صياغتها وتنظر فى برامج جديدة لايكون الأساس الأول فيها خروج الاحتلال الأجنبى من مصر .

ولكن الحكم فى عام ٥٤ وكان حكما شموليا ديكتاتوريا خالصا كان كذلك قبل ٥٤ وظل كذلك بعدها حتى حكم أنور السادات وبدأت فى مصر حياة أخرى غير تلك التى كنا نحياها .

وأخرى قد يظن البعض ان سخط الناس اليوم على الحكومة بسبب الغلاء المستعر وقصور المرتبات فى الحكومة والقطاع العام عن مواجهة هذا الغلاء أمر جديد على مصر •

لا وربك • فان الحكومات جميعا قبل الثورة وبعدها كانت تحظى بالنقد الشديد وكان الشعب يتطلع دائما الى التغيير •

وقد كان حزب الوفد حزبا محظوظا لأن الملك كان غبيا فقد كان يصر دائما ان يقيل حزب الوفد من الحكم ولايترك له الفرصة ان يكمل مدته الدستورية وكان لهذه الاقالة فعل السحر فى شأن الوفد •

فقد كانت تجعل الناس ينقلبون من كارهين له أشد الكراهية ضائقين بحكمه كل الضيق الى مؤيدين له أشد التأييد مجندين له كل التجنيد •

وكان يدخل الانتخابات محوطا بهذا التعاطف فيحصل على أغلبيات كبيرة • وما ان يحكم ويبدأ فى ممارسة استثناءاته ومحسوبياته حتى يحيط به البغض والكراهية • ويقيله الملك فيسترد بالاقالة ما خسره بفساد الحكم •

وكانت الحكومات الأخرى هى أيضا لاتنال التأييد فى الحكم مطلقا • فمادامت تحكم فالنقد ينهال عليها من كل سبيل • من صاحب مصلحة لم تتحقق أو من مخطىء ناله العقاب • وهؤلاء كثرة •

واننى أشهد ان أى حكومة لم تكن تحظى بالتأييد الشعبى مادامت فى كرسى الوزارة •

ولست أدرى هل تنفرد مصر بهذه الخاصية أم ان دولا أخرى كثيرة تشبهها فى ذلك ولكن المؤكد ان الشعب المصرى يتوق دائما الى التغيير ولايطيق ان يظل محكوما من حكومة واحدة سنوات عديدة •

أتراه هكذا لأنه شعب ملول بطبعه أم لأنه شعب متفائل ينتظر الخير من الغيب ولا ينتظره من واقعه أم لأنه شعب كسول يحب دائما ان يقوم عنه غيره بما ينبغى ان يقوم به هو من أعمال •

أم ترى الأمر كذلك لأن الشعب المصرى يتمتع بكل هذه الصفات •

علم هذا عند علام النفوس وبارئها هو الذى سواها وهو سبحانه بشأنها أدرى • ؟

الأهرام ٢١ نوفمبر ١٩٨٨ م

مجلس الشورى والأصابع

قرأت مقالا لأستاذ بكلية الزراعة عن مجلس الشورى منشورا بالعدد الصادر يوم ١١/٢٩ بجريدة الأخبار ٠

وقد حزنت كل الحزن ٠ ولم يكن حزنى على مجلس الشورى ٠٠ فأنا لم أعرف مجلسا أصبح له بين الناس من التوقير والاجلال والاكبار ما لمجلس الشورى ٠

وما هذا عليه بغريب فهو مجلس يضم القمة العليا من أعلام مصر فى كل ميدان من ميادين الحياة فى مصر ٠

والمجلس يشـارك حاليـا فى التشريع فى جميع القوانين المكملة للدستور ٠ ثم هو يشارك فى القرارات بالبحوث الرائعة التى يرفعها لرئيس الجمهورية ويرسل بها الى مجلس الوزراء والوزراء ٠

وقيمة المجلس فى الحياة النيابيـة تركت مرحلة النقـاش وليس يعنيه رأى يساق بصورة عشوائية وبألفاظ نابية ان أصابت فانها تصيب قائلها قبل أن تصيب جلال المجلس ورفعة شأنه ٠

والمجلس على وعد قريب التحقيق من السيد رئيس الجمهورية ان تحال اليه مشروعات القوانين مع احالتها الى مجلس الشعب ٠ ورئيس جمهوريتنا الحالى لم يعد فى حياته وعدا الا أنجزه ٠

فما حزنى اذن على مجلس الشـــورى وانما حزنى ان يكتب أستاذ جامعى فى الزراعة فى شأن هو أبعد ما يكون عنه فى علمه وتخصصه والذى أتصوره فى أستاذ الجامعة أنا ما دمنا نحترم تخصصه فعليه حتما أن يحترم تخصص الآخرين ٠

فأين هو من الآراء الفقهية والتشريعية والدستورية والقانونية التى تفضل نظام المجلسين على نظام المجلس الواحد ٠ ولو كان هذا الأستاذ على أقل وعى بالفكر القانونى لأدرك أن نظام المجلس الواحد كان وبالا وكارثة على الفقه والقضاء المصريين وحسبه أن يعرف ـ ان كان يجهل ـ

ان فى مصر اليوم سبعة عشر ألف قانون لا يستطيع أن يحيط بها محام أو قاض وهيهات هيهات وألف هيهات أن يحيط بها المتقاضون أنفسهم ٠

ولو ان هذه القوانين مرت على مجلس له ما لمجلس الشورى من فكر رزين وعلم مكين ورأى رصين لأصبح الحال غير الحال ٠

وكيف لأستاذ جامعى يعمل فى الزراعة أن يدخل نفسه هذا المدخل الوعر الذى لا يسلكه الا رجال القانون وفقهاؤه والمشرعون فيه ٠٠ أم حسب إن القانون ليس علما وانما مجرد ألفاظ يرصها فى فوضى تدعو الى الأسف والى الضحك والى السخرية ٠

وكم يحزننى أن يجلب أستاذ فى الجامعة السخرية على نفسه ٠٠

وبعد فان كانت هناك أصابع زائدة فهى الأصـــابع التى تنضم على الأقلام لتكتب فيما لا تعلم ولتصدر رأيها فيما هى جاهلة به كل الجهل ٠٠ وان كان لابد لأصابع أن تقطع فتلك الأصابع التى لا تجلب على صاحبها الا السخرية والعجب البعيد كل البعد عن الاحترام ٠

الأخبار ١٩٨٨/١٢/٤ م

حصانة لا حماية ؟

الحصانة البرلمانية أصبحت اليوم ستارا لبعض أعضـــاء المجالس التشريعية يجعلها تخرج خروجـــا كاملا عما شرعت له • ولما كنت قد تخرجت فى كلية الحقوق منذ قرابة أربعين عاما لم أمارس فيها المحاماة الا ثمانى سنوات فقد رأيت ان الأهدى بى والأصوب ان أعــود الى رأى أساتذة القانون الدستورى لاتخذ من رأيهم مشكاة بهـــا استضىء وعلى نورها أســـير •

وقبل ان نتوجه الى أساتذة القانون الدستورى أولى بنا ان نرى النص الدستورى نفسه ماذا يقول :

تنص المادة ٩٩ من الدستور •

« لا يجوز فى غير حالة التلبس بالجريمة اتخاذ آية اجراءات جنائية ضد عضو مجلس الشعب الا باذن سابق من المجلس •• » •

وتسرى هذه المادة بحكم الدستور على أعضاء مجلس الشورى •

بنا الآن الى أساتذة القانون الدســـتورى نسألهم الرأى فى هذه المادة : يقول الدكتور السيد صبرى الذى درست القانون الدستورى على يديه : « ان المقصود من الحصانة البرلمانية هو أخذ موافقة المجلس على اتخاذ الاجراءات القانونية ضد أعضائه قبل الشروع فيها • وليس المقصود منها حماية الأعضاء من نتائج الجرائم التى يرتكبونها • ويقول الدكتور : انه ما دام العضو متهما فى جريمـــة فانه لايجوز للمجلس ان يمتنع عن رفع الحصانة البرلمانية عنه ليأخذ العدل مجراه » •

ويرى الدكتور السيد ان اللجنة التى يحال اليها طلب رفع الحصانة تقوم بالتثبت من ان الغرض من الطلب المذكور جدى لاكيدى فهى لاتفحص الموضوع الا من الناحية السياسية فقط •

ويقول الدكتور محسن خليل : « ان الحصانة لاتمنع العقاب على الجريمة ولا تعتبر الفعل مباحا » •

ويقول الدكتوران العظيمان وحيد رأفت ووايت ابراهيم ما معناه :

ان الحصانة البرلمانية لا تعفى من المسئولية الجنائية ولا من العقاب بل فقط تحتم استئذان المجلس الذى يتبعه العضو · وهو ضمانة قوية حتى لاتستعمل الحكومة صفتها التنفيذية وسيلة للتهديد أو النكاية أو التشنيع بخصومها فى البرلمان · أو يحاول الأفراد الاساءة الى سمعة الأعضاء لخلافات شخصية أو لأحقاد نتجت عن مواقف برلمانية أو انتخابية ·

ويقول العالمان الكبيران ما معناه :

ان مهمة اللجنة التى تنظر فى طلب رفع الحصانة سياسية لا قضائية فهى لاتجرى تحقيقا قضائيا ولا قانونيا للتثبت من توافر أركان الجريمة بل تقتصر مهمتها على التأكد من ان طلب رفع الحصانة ليس كيديا وانما هو نزيه وجدى ·

تلك هى آراء الفقه فى الحصانة ولكنى أرى عجبا حين يعرض على أحد المجلسين طلب لرفع الحصانة عن عضو من أعضائه ·

أرى الأعضاء يحاولون ان يقيموا من أنفسهم درجة قضاء خاصة بالأعضاء وهذا أمر لايليق بممثلى · الشعب المسئولين عن كرامته فليس أعضاء مجلس الشعب أو الشورى طبقة خاصة من الشعب لتنشأ لهم درجة تقاض خاصة بهم ·

بل انه ليس فى العالم أجمعه طبقة لها نوع خاص من التقاضى الا أيام الاحتلال البريطانى أيام كان المتمتعون بالحماية البريطانية يحاكمون أمام محاكم خاصة ·

وربما كان هناك فى ظلام الزمن محاكم خاصة بأصحاب الألقاب فى فرنسا ولو أننى أشك فى ذلك شكا كبيرا ·

ومن المؤكد الذى لاشبهة فيه ان أعضاء مجلسى الشعب والشورى لايتمتعون بالحماية البريطانية ومن المؤكد أيضا الذى لاشبهة فيه ان الحماية قد رفعت عن مصر وان الانجليز بكل ظلمهم وسوءاتهم قد جلوا عن بلادنا الى الأبد ·

فكيف تسول للأعضاء نفوسهم ان يجعلوا من ذواتهم شخوصا مصونة لاتمس كما كان الدستور يقول عن ملك مصر ·

وقد كانت هذه المقولة منصوصا عليها لأن المفروض ان الملك يملك ولا يحكم ومادام لايحكم فلا مسئولية عليه ومادام بلا مسئولية فلا مساءلة له انما تتجه المساءلة من الشعب والبرلمان والصحافة الى رئيس الوزراء الذى يفترض فيه أنه مسئول حتى عن تصرفات الملك ذاته ·

وعلى كل حـــال هذا زمن انقضى بخيره وبشره وأصبح لايجوز لانسان فى أرض مصر ان يتمتع بميزة قضائية لا يتمتع بها من انســان على أرض مصر ٠

والذى كنا نشهده فى البرلمانات قبل الثورة فى مناقشـــة رفـع الحصانة كان يدل على فهم صحيح لأركان الحصانة ٠ فقد كان رفع الحصانة لايستغرق نظره من المجلس أكثر من دقائق معدودات ٠

أما ما كان يحدث أيام الحكم العسكرى فى وزارة الوفد من اعتقال لأعضاء البرلمان وللزعماء السياسيين فقد كان أمرا استثنائيا لايقاس عليه ولا يتوسع فيه فقد بلغ الأمر بمرارة هذه الفترة ان المرحوم على باشـــا ماهر دخل متخفيا قاعة مجلس النواب ليحتمى بحرم البرلمان من الاعتقال الذى كانت تبيته له الحكومة فلم تأبه الحكومة بحرم البرلمان وتم اعتقال حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا تحت قبة البرلمان ٠

ولكن هذا زمان قد مضى بقضه وقضيضه ولقد نعـلم ان الوفديين سيقولون ان الحكم فى هذه الفترة كان تحت سيطرة الانجليز وكانوا فى حرب ضارية ولو لم تنفذ لهم الحكومة المصرية أوامرهم لأمست العواقب وخيمة لا يعرف مداها غير الله سبحانه ٠

وبعد أفيريد أعضاء البرلمان اليوم ان يتخذوا من هذه الحصـــانة وسيلة تتيح لهم ماليس متاحا للشعب وتجيز لهم هتك القوانين وتمزيقها ٠٠ هيهات فما لهذا وجدت الديمقراطية بل ان الاســـلام الذى سبق الديموقراطية يساوى بين الناس جميعا كأسنان المشط ولا يصلح المشط ان علا فيه سن عن سن فانه حينئذ يمسى أداة تجريح لا أداة تجميـــل ويصبح سلاحا لا سلاما ٠

ان٠ النواب فى مجلسى الشعب والشورى هم صورة الشعب ومجلاه أمام العالم وعلى أكتافهم يقع عبء الثقة والاحترام أمام العـــالم أجمع فليحملوا عبئهم ويتقوا ربهم فى أنفسهم ووطنهم الذى كرمهم بما وهب لهم من ثقة عليهم ان يردوها اليه كاملة غير منقوصة ولينســـوا ذواتهم ومنافعهم الشخصية اذا خطوا الى قاعتى المجلســين وليصبحوا لا شىء الا صوت مصر وضمير شعب وسلام على المخلصين المؤمنين ٠

الأهرام ديسمبر سنة ١٩٨٨ م

مقـــــالات

١٩٨٩

رحمـاك يا رب العـالمين

الذى لا شك فيه ان الشعب المصرى شعب يحب الغناء بصورة يندر أن نجدها فى الشعوب الأخرى • وقد كنت فى لندن فى هذا العام وكنت أتتبع البرامج التليفزيونية فى كثير من أوقات الليل والنهار وقد وجدت أن البرامج الغنائية بها تكاد تختفى تماما فى حين أن تليفزيون مصر فى ليال كثيرة من الأسبوع يعتمد على الغناء وحده • وكثيرا ما لجأنا ـ نحن الروائيين ـ الى الأدوار الغنائية لتحديد الحقبة الزمنية التى تجرى احداث رواياتنا فى أثنائها •

ولم يخل زمن فى مصر من مغنين كبار حتى أشرق محمد عبد الوهاب وأم كلثوم فى سماء مصر فأصبح كلاهما علامة زمنية وفنية فى تاريخ مصر •

وبالأمس القريب طلبنى الأستاذ محمد عبد الوهـاب فى التليفون وهو فى حالة عجيبة من الغضب والحزن والأسف والألم اختلطت هـذه المشاعر جميعها فى صوته الوضاح المبين وقال : « تصور ان يظهر بالأسواق شريط غنائى كلماته تقول •• » •

وقال الكلمات ـ وصوته يقطر أسى ـ والكلمات غير قابلة أن يخطها قلمى فلو أردته أن يفعل لأبى على واستعصى فما لمثل هذا حملته يدى وما خلق الورق لتكتب عليه هذه الألفاظ ••

وان كانت الأغنية التى بلغت هذا المدى من السفول والانحطاط واحدة فالذى لا شك فيه ان هناك أغانى كثيرة لا تقل عنها سفولا وانحطاطا وان لم تبلغ الكلمات فيها من الوقاحة ما بلغته الكلمات التى أثارت ثائرة عميد الموسيقى العربية فى عصرنا •

والذى يحزننى ان هذه الأغانى انتشرت انتشار النار الحارقة فى المواد القابلة للاشتعال •

وأصبح غناء الأطفال والشباب والغوغاء وسـائقى السيارات ذات المذياع كله من هذا النوع الساقط •• الحقير وبعد ان كنا نسمع الشباب والأطفال يغنون نبويات شوقى بصوت أم كلثوم • « وقصـائد شوقى

والأخطل الصغير بصوت عبد الوهاب وبعد أن كان الصف الثانى للعملاقين مثل فريد الأطرش وعبد الحليم حافظ ومن يليهم فى المكانة يحرص كل الحرص على اختيار الكلمة الشريفة واللفظ النقى والحرف المشرف أصبحنا نسمع الغثاء ولا أقول الغناء ومن العجب المحزن المرير أن الشعب يردد ما يرمووننا به ٠

اننى أعتقد أن هؤلاء المغنين يسبون الشعب المصرى بل الشعب العربى كله بما يقدمون له من كلمات حقيرة تنشدها أصوات نكيرة وترددها أذواق فقيرة ٠

اننا نشهد عصر تدمير الذوق الفنى فى الشعب العربى ٠

واننى لأعلم أن هناك رقابة على هذه الأغانى ٠ أتراها ما زالت تحيا أم طواها الموت فيما يطوى وان كانت على قيد حياة فأين هى ٠ وان كانت بمثل هذا الهذر تسمح ٠ فماذا تمنع اذن ٠ وان لم تمنع الاعتداء على حياء الشعب المصرى وذوقه وتراثه الفنى فماذا بقى لها أن تصنع وما معنى وجودها ؟

من حق شباب آخرين من المغنين أن نستثنيهم من هذا الوباء مثل : محمد ثروت وعلى الحجار وايمان البحر درويش وقليل من الآمال الأخرى الذين يتبناهم جيل الملحنين الكبار وعلى رأسهم محمد عبد الوهاب ٠ ولكن هذه الأصوات الشريفة يوشك صداها أن يضيع فى زحمة الضوضاء الكثيبة التى يتبناها الشريط المسجل الذى يحطم الأمل بما يصنعه من تخريب للفن والأخلاق وشرف الكلمة وسمو الأداء ٠

كيف استطاع المال الدنس أن يسوغ لهؤلاء السفاحين هذا القتل الجماعى لوجه مصر الفنى وهو جزء من تراث البشرية جمعاء ٠

ان هذا الانحطاط الذى أصاب الأغنية هو نفسه الذى أصاب الفيلم المصرى ويزيد عليه الصورة الكئيبة يصورون بها حياتنا التى أصبحت فى أفلامهم لا شىء الا الأخربة وسفلة الناس واللصوص والقتلة والمرتشين وتجار المخدرات ومن يتعاطونها ٠

أقسم ــ غير حانث ــ اننى أشعر بالخوف كلما بدأت فى مشاهدة فيلم جديد من الأفلام المصرية أن يصيبنى بالكآبة والحزن أو اذا تواضع فى الاساءة أصابنى بالقرف والعزوف عن الحياة ٠

هل خبا الاشراق من وجه مصر وأصبحت كل سماته غضون الأخربة والبيوت المهدمة والأخلاق المنهارة والطلبة يعتدون على المدرسة · والشباب يجهزون على شرف الشريفات وعلى الكرامة والاباء والنبالة ·

هل اختفى من وجه مصر الجبين المشرق والأمل والضمير الحى وتقوى الله ·

هل أصبحنا لا شىء الا خرابا وحياء ساقطا ويدا قاتلة وضميرا قتيلا وكآبة وحزنا فى الأفلام ، وألفاظا وقحة ولحنا ضوضائيا فى الأغانى ·

لك الله يا مصر الاشراق والأمل ويا زعيمة الشرق فى الأدب والفن والعلوم ·

ولك الله أيتها الأجيال المتلاحقة من عهد محمد على حتى اليوم فقد بنيتم وخرب الأبناء · وأعليتم منائركم فى السماء ليطفىء أبناؤكم النور ويهدموا المنارات ·

ولكن لا · فما أحسب الله الا ماكرا بكم « وهو خير الماكرين » ، وهو سبحانه وتعالى الذى جعل مصر كنانته فى أرضه وأنه محطم ما تأتمرون به على أذواقنا وتاريخنا وذوقنا وحياتنا وشرفنا ·

انها فترة ستقتل نفسها بيديهـا · وبقولنا ــ نحن المصريين ــ : الله أكبر ولا اله الا الله عزت آلاؤه وتقدست أسماؤه ·

الأهرام ٢/١/١٩٨٩ م

الجانب الآخر وحديث الذكريات

شيء ممتع بدون شك ان تجلس وتستمع الى خلاصة خبرة وتجارب انسان ما من خلال حديثه عن ذكريات طفولته وشبابه ورجولته • فما بالك اذن اذا كان هذا الانسان رجلا ذا مكانة وحيثية وحياته حافلة ومليئة بالأحداث واسمه يدوى فى الأوساط الأدبية • قطعا الحديث ستكون له متعة مضاعفة ، وأكيد ستكون رؤيته للحياة من زاوية مختلفة تماما عن أى انسان آخر •• سيراها من خلال عين الأديب عين الفنان ، العين التى تضفى على كثير من الأمور رؤية خاصة مميزة •

مع الأديب ثروت أباظة كان لنا هذا اللقـــاء مع ذكريات طفولته واحداث شبابه •

ثروت أباظة كان الابن البكر على ٣ أبناء ، جاء بعد ٣ سنوات من عدم الانجاب • عاش طفولة هانئة سعيدة فى ظل والد عظيم من عظماء عصره ، لم تشغله السياسة ولا الوزارة ولا مجلس النواب عن أن يرعى أبناءه أحسن رعاية وتقديم كل ما تهفوه اليه نفوسهم •

وأم رحيمة شفوق حنون تعطى كل ما تعطيه الأمهات وأكثر من حنان وحب • وتمتع ثروت أباظة بالحب أكثر قليلا من أخوته وكانت له بعض الدلالة على أمه بالذات وليس أباه فوالده كان يعامل أبنـــاءه جميعـــا بالمساواة • وكان أخوته يعرفون انه أثير عند أمه بحكم الأولوية •• فهو لا يستطيع أن يشكو طفولته اذن •

الوالد ابراهيم الدسوقى أباظة باشا ، حصل على ليسانس الحقوق عام ١٩١٢ م وهو من رواد ثورة ١٩١٩ وكان أول موظف استقال فى تلك السنة فلقد كان زعيم ثورة الموظفين وكانوا يجتمعون فى بيته •

ليس يعنى ... !

انتهزت فرصة نشر روايتى « خشوع » بالأهرام ، لأمنح نفسى أجازة من كتابة المقال الأسبوعى الذى تعودت ان أنشره فى يوم الاثنين من كل اسـبوع .

وحسبت أن عشرة أسابيع كفيلة أن تمدنى بموضوعات كثيرة اعود بها الى القراء مجددا نفسى وكاتبا فى أمور لم يسبق لى الكتابة عنها .

ومرت الأسابيع العشرة وجرى بها من الأحداث ما جرى . وكتب الكتاب والصحفيون عن كل حدث فى حينه مما يجعله فى غنى عنى وعن أى اضافة جديدة منى . واهتم الناس بعض الاهتمام بكل حدث وقع يوما أو يومين ثم انصرفوا الى خاصة حياتهم فكل منهم له من مشاكله الخاصة ما يقصيه عن المشاكل العامة .

ومشاكلهم الخاصة على حالها كما تركتها يوم منحت نفسى هذه الأجـازة .

فمشكلة التعليم والدروس الخصوصية مازالت تطحن حياة الأسرات ومازالوا لا يعرفون كيف يواجهونها . والدخل قليل والمدرسون يغالون فى أسعار دروسهم ما طابت لهم المغالاة . وان اسرات هذا شأنها هيهات لها أن تعنى بالأحداث العامة التى تجرى فى بلادهم .

ومشكلة ضريبة التركات التى ثار حولها الجدل أشد ما يثور الجدل مازالت جاثمة على الصدور تفرض على الوارثين رهقا أى رهق وتدفع بهم الى متاهات من ردهات مصلحة الضرائب ذاهلين حيارى بين حزنهم على من فقدوا من عزيز مورث وبين عنت رعبهم مما ستطالعهم به الأيام من ضريبة لا تبقى لهم مما ورثوه الا ما يتبقى من مائدة اللئام الجوعى .

وكان الأمر قد استقر على الغاء ضريبة التركات ولكنها مازالت سارية وكان الأمر يترجح بين الابقاء والالغاء فى شأن وسم الأيلولة ومازال الأمر مترجحا فى شأنه مع أن الابقاء عليه سيحطم الآمال التى تعلقت بالغاء ضريبة التركات .

وما زالت الدخول للموظفين فى الحكومة والقطاع العام عاجزة عن مواجهة متطلبات الحياة ولولا ستر الله الذى لا يعلم سره الا هو سبحانه وتعالى لما عرف هؤلاء الموظفون كيف يعيشون حياتهم وكيف يحصلون على المأكل والملبس وأجر الاضاءة .

لا والله ما يهمهم من الأحداث العامة شىء وهم فى كل يوم يواجهون أحداثا خاصة تنوء بحملها الجبال العوالى الراسيات .

وفى غضون هذه الأسابيع العشرة اسمع أن فلانا من الناس أقام فرحا لابنه أو ابنته لا أدرى ولا أريد أن أدرى وكتب رقاع الدعوة على صحائف من خالص الفضة .

وسألنا ما الخبر فقيل لنا ان هذا الرجل أقام مدرسة ومسجدا ومنشآت كثيرة وقال من يريد ان يدافع عنه انه لا يحبس ماله على نفسه ترى ألم يشعر هذا الداعى ببعض خجل أو بعض حياء ــ مهما يكن كريما مغداقا ــ أن يكون اخوته فى الوطن على حالهم هذا من الضيق والعوز ويوزع رقاع دعوته على صحائف من فضة فى جرأة لم يقدم عليها اغنى الأغنياء فى الحاضر او فى الزمن الماضى .

يا رعاك الله اتراك تقدر كم كانت تستطيع هذه الرقاع الرقيعة ان تصنع فى وطن يعيش على القروض والمنح ؟

أفكرت أن تنشىء مكتبة عامة أفكرت أن تقدم هذا المال لمستشفى يعالج الفقراء بالمجان ؟؟ وان كنت قد أقمت واحدة فما البأس عليك أن تقيم أخرى وأخرى مادام الله سبحانه وتعالى قد وسع عليك ووهب لك من المال ما لا تعرف اين تنفقه ؟

تألم الناس وهم يقرأون هذا الخبر عنك وانى لأعجب أيفرحك أن تصيب الناس بالألم فى يوم فرحك وأنت فى حاجة الى دعائهم أن يبارك الله الزواج الذى عقدت ؟

تحدث الناس فى هذا الحديث ثم عادوا والمرارة عصير نفوسهم الى خاصة شأنهم .

الناس يحاولون أن يتلهوا بالحياة العامة عن حياتهم الخاصة ولكنهم ــ علم الله ــ فى شغل عن السياسة بما فرضته عليهم الحياة من عنت قد يعنيهم ما يشيعه الارهابيون وتجار الدين الجاهلون به من ذعر فى النفوس وتحطيم للأمن وتهــديد للطمأنينة . ويحمدون للدولة أنها تقف لهؤلاء السفاحين بكل مرض .

وقد يعنيهم أن تنجح الدولة فى ضبط كميات هائلة من المخدرات فتحمى بذلك شباب مصر من الهلاك ·

ولكن الذى يعنى بهذا أو بذاك عناية خاصة أولئك الذين يطل عليهم خطر الارهابيين أو وباء المخدر من قريب ·

ولكن غيرهم ممن انقذهم الله من هذه المهاوى مشغولون بحياتهم اليوميـة ·

ها قد عدت والمعاناة بين الناس كما تركتها · وانى واثق أن الحكومة وحدها لن تستطيع أن تواجه هذه المعاناة الا بكثير من الحزم والحسم · وبعون القادرين من أهل مصر لها على تخطى هذه الصعاب ·

وابحث عن هذا الحزم أو ذلك الحسم فيستبهم على الطريق وتطبق أمام ناظرى من الظـلام طبقات بعضـها فوق بعض فاذا أخرجت يدى لا أكاد أراها ·

أين القرارات التى تيسر الاستثمار · اين القانون الذى يبيح للأخوة العرب حرية السكنى فى القاهرة · وكيف يقيمون المشاريع واقامتهم فى مصر بهدوء · ومن عجب أن أسمع قائلا يقول نحن لا نبيع مصر خاب فأل هذا القائل وشاه قوله · أكانت مصر لفافة يحتملها من يقيم بها ويرحل عنها · لا سبيل للحكومة الا الحزم ولابد للشعب أن يعنيها ما أستطاع الى ذلك من سبيل أما أن نرى الأثرياء يطبعون رقاع الدعوة على صحائف الفضة فذلك معناه ان الأغنياء فى مصر يعيشون فى وطن آخر ولا يرعون حق الله فى أوطانهم ·

الأهرام ١٢ مارس سنة ١٩٨٩ م

الضعف الشرائى

مساكين أولئك الذين لا يؤمنون باله لهم · لقد اقفلوا بعقولهم الصدئة منافذ الرحمة أن تدرك أرواحهم وقلوبهم · ومن لنا غيره يشملنا بعنايته ويرزقنا وهو لنا الغفران عند الزلل · والشفاء عند المرض · والرحمة عند الشدة واللطف عند الواقعة ·

ولكم تلهى الملحدون وحاولوا أن يصطنعوا الشهرة بالعدوان على الرحاب الأقدس فاذا هم يشعلون الحريق فى خاصة دنياهم واذا الحياة تستحيل جحيما حواليهم قبل أن يستقبلهم الجحيم الأكبر ·

عبث أبو نواس فيمن عبث حتى اذا علت به السن نظر الى ماضيه وراءه ما صنع واستهول ما قال فصرخ طالبا الغفران ويقول لرب العزة ·

ان كان لا يرجوك الا محسن　　فبمن يلوذ ويستجير المذنب

لقد ادرك أخيرا أنه لا رحمة الا هو جل شأنه وتقدست أسماؤه · ولا ملجأ الا ساحته ولا أمل الا عنده ·· ويصيح :

كن مع الله ·· يكن لك　　واتق الله لعلك
لا تكن الا معدا　　للمنايا فكأنك
ان لله لسهما　　واقعا دونك أو بك

وكم عبث أمثال أبى نواس وكم لهوا ·· ثم أفاق منهم من أفاق وأصر منهم من أصر ·· وعند الله الحساب يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ··

وأنظر الى مصر ·· ان حالها اليوم معجزة كبرى من معجزات السماء · الأسعار فى غلاء مستمر ·· والحياة ضيق ·· والمال قليل فان جاء فما أهون الأمور التى نستطيع ان نواجهها به ·· فليس للجنيه المصرى الذى نتعامل به أى قوة شرائية حتى كلمة « قوة » أصبحت أبعد ما تكون عن الجنيه المسكين وأصبح الأجدر بنا أن نقول الضعف الشرائى أو الهزال الشرائى ·

وأذكر أياما للجنيه كان يشرق فيها من جيب صاحبه فيفعل بالسوق الأفاعيل ويسطع فى دنيا المال قوة شرائية شامخة تزلزل التجار زلزالا واليوم أصبحوا ينظرون اليه باحتقار شديد • ويأخذونه أخذا هينا بلا حفاوة ولا اهتمـــام •

عزيز ذل جنيهنا المصرى وكريم هان •• وغنى أصابه الفقر والعوز وسوء الحال • ولكن القوة الالهية الجبارة الرحيمة تشرق فى حياتنا فاذا نحن نعيش ونأكل ونشرب ونعالج المريض منا ونسعف المحتاج ونخف الى المكرمات كل هذا بجنيهنا الهزيل الذى تحيط به من الله آيات اللطف ومن يلطف بالعباد ان لم يكن هو الرءوف الرحيم صاحب النفوس وخالقها وملهمها فجورها وتقواها •

ونرى الفجور فى بعض المحافل وعند بعض الناس يتمثل فى أسعار البيوت وأثمان السيارات والملابس والحلى والدعوات والأفراح والأتراح ونرى التقوى فى غنى يبذل من حر ماله لوطنه ، لا ، ما نضب الخير فى بلدى وما جف ماء المعروف عند كل الأثرياء بل منهم من لايزال يعرف للوطن حقه ولأهل وطنه ذمتهم فى عنقه •

مازالت مصر تحيا •• وان ارتفعت الأسعار وان قلت الموارد وان جف ماء الحياة وأصبح نهرها بخيل النبع واهن التيار •• نعم وأن •• بما ايمان لنا يرحمنا الله •• وبما قولنا : « لا اله الا الله محمد رسول الله » تدركنا من السماء المرحمة ويحيط بنا اللطف • وبما تسبيحنا قياما وقعودا وعلى جنوبنا مازلنا نعيش وسنظل نعيش دون ان تهون منا النفوس ودون أن تطحن الأزمات ارادتنا التى هى بعون من الله صلبة المكسر عزيزة المعـــدن •

ولقد نسمع أن عالما من علماء الاقتصاد جاء يوما الى مصر واطلع على حالتها الاقتصادية وقال : انه طبقا لما أرى كان من الحتم أن تكون مصر فى مجاعة منذ سنوات • وان كل ما تعلمته من الاقتصاد وما أعلمه لغيرى يقف عاجزا أمام حالتكم هذه •• كيف تعيشون ووضعكم الاقتصادى هو هذا الذى تطالعنى به الأوراق وانصرف العالم عن مصر فى ذهول ••

فان علم الاقتصاد لا يعرف المعجزات ولا يتصورها ولا يدخلها فى حساباته حين يحسب ·· انما مجاله الأرقام وليس مجاله معجزات السماء ولا ستر المولى سبحانه وتعالى ·

ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم · الى أى مدى سيظل سبحانه يرعانا بسابغ أنعمه وكريم معجزاته ·· والله سبحانه وتعالى جعل الملك يقول لمريم « وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا » فحتى الوالدة النفساء أراد الله لها أن تعمل وتهز النخلة لتساقط عليها رطبا جنيا وما كان أهون عليه سبحانه وتعالى أن يسقط عليها الرطب الجنى دون أن تهز جذع النخلة ··

وأرى رئيس الجمهورية وحده هو الذى يهز جذع النخلة بينما أرى البعض من الوزراء يخافون أن يقربوا النخلة أو يهزوا منها شيئا حتى يبقى الحال على ما هو عليه ويبقوا هم فى الوزارة واذا لم تهز النخلة فلن يتساقط الرطب ·· ولا يرضى الله بهذا ولا المؤمنون ·

الأهرام ١٩٨٩/٣/٢٥ م

عملت بدار الهلال لمدة نصف ساعة فقط

ولم يكتب مؤرخ عن ثورة ١٩١٩ الا وذكره فهو له مواقف ضد الانجليز وحقق ضدهم (مع انهم كانوا تحت الحماية) وكانت تحقيقاته من أهم المستندات التى استند اليها محمد محمود باشا فى مفاوضاته فى انجلترا ـ أتم التحقيق ثم استقال ـ ثم دخل مجلس النواب من أول انشائه سنة ١٩٢٣ وظل فيه حتى انفضت الحياة النيابية فى مصر . وكان وزيرا لعدة مرات .. مرة وزيرا للشئون الاجتماعية فى سنة ١٩٤٣ واستمر فيها حوالى ٧ شهور ، ثم وزيرا للمواصلات والأوقاف والخارجية لمدة ٥ سنوات متتالية ، وخمس سنوات متتالية فى العهد الماضى شيء لم يكن يحدث ، يعنى يمكن القول انه هو الوزير الوحيد الذى استمر خمس سنوات فى وزارات مختلفة .

يقول ثروت أباظة لى اخوة الحمد لله ناجحون .. أخ ناجح جدا رئيس مجلس ادارة الشركة المصرية للأقطان بالاسكندرية بدرجة نائب وزير وحاصل على الدكتوراه وهو الدكتور محمد شامل أباظة ، وعلى فكرة أنا أسمى محمد ثروت أباظة فقد كان والدى حريصا على أن يسمى بأسماء النبى عليه الصلاة والسلام . وبينى وبين أخى كل مشاعر الاخوة من حب ورعاية وحدب وأعتبره كابنى ويعتبرنى كوالده رغم ان فارق السن بيننا ثلاث سنوات فقط . وهو الأخ الوحيد لى .

ولى أختان احداهما متزوجة لحسن أباظة ابن عمنا . وهى حبيبة وقريبة الى جدا ، والأخرى زوجة أحمد عبد العزيز اسماعيل الطبيب المشهور . لكن الأخيرة فارق السن بينى وبينها تسع سنوات فكنت أنا الذى توليت تربيتها وتعتبرنى بمثابة الوالد أكثر من الأخ . وهما متعلمتان تعليما مدرسيا لكن لم تدخلا الجامعة طبعا فلم يكن دخول الجامعة بهذا اليسر المتحقق الآن ، كما أن والدى لم يكن يتصور ان بناته ممكن أن يدخلن الجامعة .

● أسأله : هل كان والدك تقليديا ؟

ـ تقليدى ومتفتح فى آن واحد ، فهو متفتح الى أبعد حد لأنه كان يحب الشعر والرواية وكانت ثقافته فرنسية عربية ، كما اننى على سبيل

المثال عندما كنت فى سنة أولى ابتدائى وكان ذلك فى سنة ١٩٣٢ أو ١٩٣٣ م وكان عندى ٥ سنين طلبت منه كمنجة كى أعزف عليها فى المدرسة ٠ الكمنجة فى ذلك الحين كانت بـ ٥ جنيهات وناهيك بخمسة جنيه وقتها وهى تساوى الآن ٥٠٠٠ جنيه ٠٠ أحضرها لى ، وكان حريصا على أن يغذى ملكاتى كلها ويتكشفها الى ان استقرت على الأدب ٠ لكنه فيما يتصل بالبنات كان تقليديا قليلا ٠

● يعنى لو أختك طلبت نفس الطلب هل كان سيرفض ؟

ـ اطلاقا فهو كان يريد أن يعلمهما بيانو فى المدرسة وفى البيت ، وقد أدخلهما مدارس لكنه لم يتصور ان يدعهما تختلطان فى الجامعة بالأولاد ٠

رحلة قراءة سهلة ٠٠

وأنا صغير فى سن الخامسة أو السادسة تقريبا كنت أتمنى أن أكون عسكرى مرور فلقد كانت هذه الوظيفة عجبانى قوى ، والحمد لله اننى لم أكن كذلك لأننى لا أستطيع أن أقف ١٠ دقائق على بعضها لأن عندى أقدام مسطحة لا تسمح لى بالوقوف ٠ وكان أبى يعرف عنى حبى لهذه المهنة فاشترى لى لعبة فيها عسكرى مرور ببطارية وكنت سعيدا بها جدا ٠

لكن علاقتى بالقراءة بدأت فى سن الثامنة ، وكان كامل الكيلانى صديقا خاصا لوالدى وكان بدأ يخرج مكتبته للأطفال ، فكان يهدى كتبه لأبى وقرأتها كلها ونشأت عليها ، وانتقلت من كتب الكيلانى الى الأدب الكبير فلم أشعر بأى اجهاد يعنى انتقلت من الكيلانى الى الحكيم والعقاد والمازنى وهيكل وطه حسين كأنى بدأت رحلة عادية ليس بها أى اجهاد أو انتقال ٠ فكنت أدخل الى حجرتى وأجلس على الأرض ـ كان لى فى البيت دائما حجرة خاصة ان لم تكن حجرتين يعنى عندما انتقلنا من شارع الملك الناصر أمام مستشفى الملك كان لى حجرة خاصة وعندما انتقلنا الى العباسية كان لى حجرة مكتب تحت ونوم فوق ، يعنى عشت حياة ولله الحمد مرفهة ـ كنت لا أخرج من الحجرة الا بعد أن أنتهى من القراءة ، كان عندى نهم فظيع واستمر معى لدرجة اننى فى الابتدائية وأنا أنتظر النتيجة قرأت مجنون ليلى ثلاث عشرة مرة متعاقبة أقفلها وأفتحها أقفلها وأفتحها ٠٠ وهكذا ٠

كما شغفت بالشعر ولذلك تجديننى أستشهد كثيرا بالشعر فى مقالاتى الأدبية لأنى أحفظ كثيرا ٠٠ أحفظ تقريبا معظم شوقى وعزيز أباظة وكثيرا جدا من المتنبى والرومى والبحترى ٠ كنت متعلقا بالشعر

جدا وعلى تعلقى به لم أكتبه لأننى من كثرة اعجابى وحبى له جعلنى هذا أخاف منه لأننى اذا لم أكتب مثل الذى أقرأه فلا يجوز لى أن أكتب على الاطلاق ‥ الشعر طبعا ٠

وعندنا فى البيت كان التشـــجيع مستمرا على القراءة وكان أبى يشجعنى ، وأبى بالمناسبة هو الذى أقام لسانى العربى فأنا أكاد لا ألحن سواء وأنا أرتجل أو وأنا أكتب لأن والدى كان يجعلنى أقرأ له كثيرا وكنت أحرص على أن أكون سليم اللغة ‥ اذن التشجيع استمر مع شىء من الحذر والخوف من أن تتعدى القراءة وقت المذاكرة ‥ وأذكر حكاية لوالدتى تعـد من العلامات المهمة فى حياتى ‥ دخلت على مرة وأنا فى الابتدائية وكنت أقرأ فى رواية غير مقررة على فى المدرسة فصرخت فى وجهى وغضبت خـوفا من رسـوبى ، فانتابنى الغضب وقلت لها والله العظيم انتحر وكنا فى الدور الثانى ، فذهبت بكل هدوء واطمئنان وثقة وفتحت الشباك وقالت اتفضل انتحر ويستطرد مبتسما ولا أظن اننى انتحرت ، لكننى تعلمت من هذه الحادثة شيئين : الأول تعلمت أن موت الانسان خير من فشله عند الأم حتى ولو لم تكن متعلمة فأمى كانت تقرأ وتكتب فقط لكنها كانت تقدر ان موتى خير من حياتى وأنا فاشل ٠

الشىء الثانى اننى تعلمت ألا أقول شيئا وأنا أعرف اننى لن أستطيع أن أفعله ٠

محامى مع وقف التنفيذ

أنا بدأت أكتب من سن الثانيـة عشرة وبدأت فى مجلة الثقافـة لأحمد بك أمين وبدأت بمقالات وكان النشر بها فى ذلك الوقت شرفا كبيرا ٠ ثم كتبت فى الرسالة ثم فى جميع الجرائد والمجلات وكان لى عمود ثابت فى جريدة المصرى الاسبوعى ، وبمرور الوقت أصبحت كاتبا معروفا فى الأوساط الأدبية ٠

وعندما جاءت الثورة كنت معدا نفسى أن أكون محاميا وسياسيا وان أترصد خطى أبى ، كنت أريد أن أدخل مجلس النواب وان أتعلق بالحياة السياسية ٠ لكن طبعا عندما جاءت الثورة لم تصبح هناك حياة سياسية ولم تصبح هناك أيضا حياة قضائية لأن الاشتباكات المالية لا تحدث فى ظل الثورة لأن الثورة هى التى تتولى كل الأمور المالية ٠

س : متى تعرفت بالسيدة حرمكم ؟

ج : الواقع اننى أعرفها منذ الصغر لكننى عندما كبرت بدأت أتعرف على شخصيتها وعلى أخلاقها فأحببتها حبا عن بصيرة واختيار ٠ والحمد لله ربنا وفقنى فى زواجى كل التوفيق ولا يوجد أحد فى بيتى أسعد منى ٠

وهى متعلمة تعليما غير جامعى وصـــلت تقريبا لرابعة أو خامسة ثانوى ، وتقرأ انتاجى وتبدى رأيها فيه ولكن بعد أن ينشر لأن المقالات أكتبها وأرسلها مباشرة ، أما القصص فتنشر مسلسلة فليس من المعقول أن كل جزء أكتبه اسمعه لها ، لكن عندما تنتهى الرواية تقرأها وتعطينى رأيها فيها • وهى ليست موظفة انما ربة منزل ، لكنها شاعرة ولها كتاب عن والدها ، ولها كتاب أيضـــا عنى لكنها لا تريد نشره لأنه دخل فى خصائص بيتنا زيادة عن اللزوم ، فأرادث نشره من غير اسم أى دون أن تقول للمؤلفة فلانة وذلك طبعا لن يعطى الكتاب أهمية لأنه ان لم يكن الكتاب معروفا عنه انه للمؤلفة فلانة أو المؤلف فلان فقد أهميته •

أنجبنا اثنين ولد وبنت ، البنت ليسانس آدأب قسم فرنســاوى وتعمل فى الاذاعة الآن وليس لديها أولاد • وأمينة غاوية أدب وحساسة جدا له وعملت فى الصحافة لفترة ثم عملت فى الاذاعة • وقد تركت لها حرية أن تعمل ما تريده فأنا بعد الشهادة لا يوجد لى عندهم أى شىء • فأنا مثل والدى فى هذه النقطة يأخذوا شهادتهم ثم هم أحرار • وابنى دسوقى على اسم والدى • وهو ليسانس حقوق وقاضى فى محكمة الجيزة ، وبينه وبين أمينة ثلاث سنوات •

وطريقة تعاملى مع أولادى مختلفة عن الطريقة التى كان يعاملنا بها والدى لأن الاختلاف هنا اختلاف جيل ، فمثلا والدى عندما كان يدخل على كان لازم أقف ، لم أكن أقبل يده لأنه كان يمنعنا من ذلك لكن كان لازم أقف وهو بيتكلم •• الآن أولادى يقولون لى رأيهم بصراحة وأحيانا تكون صراحة عبيطة شوية ، وأذكر دخلت مرة على دسوقى وهو صغير كان عنده ٥ أو ٦ سنين فوجدته نائما على الكنبة فقلت له مش تقف عندما ترانى فقال لى أقف ليه ؟! قلت له مش تحترم والدك ، فقال لى هو الاحترام بالوقوف !؟ الاحترام من الداخل •

أيضا أنا لم أقل له أن يصلى وهذا من الأشياء الغريبة جدا ، فقد كان والدى عندما يصلى يغلق الباب على نفســه بالمفتــاح ولا يحب أن يراه أحد •• وفى مرة سألت على دسوقى ابنى فقالوا لى قافل على نفسه بالمفتاح فقلت أيه الحكاية ؟ فاذا به يصلى بعد ان أغلق على نفسه بالمفتاح كما كان يفعل جده دون أن يراه ولا أن يراه جده انما انتقلت اليه بالوراثة •

وأعتقد اننى ديمقراطى مع أولادى فلم أكن أفرض عليهم شيئا ولم أتدخل فى حياتهم الا بالارشاد • فمثلا ابنتى تحب الرسم جدا وترسم جيدا وكانت تريد أن تلتحق بكلية الفنون ، فقلت لها الرسم تستطيعين أن تدرسيه فى أى وقت ، لكن أنت لا تحبين الاستذكار كثيرا وبما أن تعليمك كله فرنساوى فانك عندما تدخلين آداب فرنساوى ستكونى شاطرة

في الكلية أكثر من زميلاتك فخذى الليسانس ثم ادخلى أى كلية تعجبك من الكليات الفنية • وفعلا سمعت كلامى ونجحت وتخرجت وهى تفكر فى هذه الأيام ان تدرس رسم فى قسم الدراسات الحرة فى الفنون الجميلة •

أيضا ابنى يحب القراءة جدا والأدب وخصوصا الفلسفة وكان يفكر فى دخول الآداب قسم الفلسفة وقال لى عن رغبته هذه فقلت له تعال نقابل عمك نجيب محفوظ ونستشيره لأنه آداب فلسفة فاذا وافق فأدخل• ونجيب صداقة ٤٥ سنة الآن فنحن نعرف بعض من قبل أن أنجب أولادى ، وكنا نجلس مع بعض عصر كل يوم ، فقلت لدسوقى تعال واجلس معنا واسأله وجاء فعلا وقال له والله أنا عايز أدخل كلية الآداب قسم فلسفة فقال له نجيب محفـــوظ كويس •• قوى •• بس هنـــاك شرط واحد هو انك تطـــلع الأول ، فقـــال له لماذا !؟ فرد عليه وقال : ما هو يا اما تطلع الأول يا اما تشتغل فى جمعية تعاونية لأن الفلسفة تستمر فى دراستها حتى تصل لمنصب أستاذ فى الجامعة لأن الفلسفة خارج الجامعة لا قيمة لها ماذا ستفعل بها !؟ لا شيء •

فالحجة كانت مقنعة وقال دسوقى انه لا يضمن أن يكون الأول ، فدخل كلية الحقوق وكان خايف من انهـا صعبة فقلت له هى صـعبة لأن الطلبة الذين يدخلونها لا يدخلونها عن رغبة لكن أنت مجموعك يدخلك أى كلية أنت تريدها ، وأنت متقدم عن زملائك الذين دخلوا ب ٦٠ و ٦٥٪ فأنت ستكون فى وســـطهم مميزا بالمجموع • والحمد لله مرت الأربـع سنوات وتخرج بجيد وعين فى النيابة •

وابنى الآن عنده بنت هى حياتى كلهـا اسمها ياسمين ، عندهـا سنة و ٥ شهور ولا يوجد شيء فى الدنيا يسعدنى قدر انى أجلس معها وألاعبها •

تعاسة غير مرئية ••

● هل حققت كل ما كنت تتمناه أم هناك بداخلك أمنيـات أخرى تود أن تتحقق ؟

ـ الأمنيات تتجدد مع الحياة وكل سن له أمنياته الخاصة به • والآن ربما تنقصنى الناحية المالية لأننى من الناحية المادية غير موفور ومطالبى كثيرة لكننى مستور ولله الحمد انما هل كان يعقل أن يكون لدى وفرة من المال أيضا وربنا أتاح لى أولاد والحمد لله ناجحين • وأنا أؤمن بأن كل شيء له الناقص والزائد فربنا أعطانى ما أعطى الناس جميعا من ساعات رضا وسعادة وهناء وساعات سخط وضيق وألم ، ولا يوجد انسان فى سعادة كاملة ولا انسان فى تعاسة كاملة وربنا سبحانه وتعالى قسم

الحظوظ بعدالة غير معقولة ، ولا تنظرى الى خارج الانسان وتقولى هـذا هو أسعد انسـان لأنك لا تعرفين ماذا فيـه وربمـا يكون فى نفسـه حزينا ومكتئبا ٠

عموما أنا أمنياتى الآن مقصورة على أولادى فقط لكن أنا شخصيا لا أرجو من الله شيئا الا أن أظل لآخر حياتى مستطيعا أن أمسك القلم وأكتب ٠

● كيف تقضى يومك ؟

ـ بعد العمل أذهب للبيت أتغذى وأنام ثم أسـتيقظ أتفرج على التليفزيون شوية ، واذا كان يوجد لدى ما أقرأه أقرأ ، وأكتب عادة بعد القيلولة الساعة ٦ أو ٧ عندما توجد رواية ، أما المقالات فأنا أكتبها فى الصباح اما في مجلس الشوري أو فى مكتبى فى الأهرام ، الا اذا جاءتنى فكرة ما بالليل وأنا فى البيت فأكتبها فورا ٠

● والرياضة ؟

ـ لا أمارسها اطلاقا الا بالمشاهدة فقط أما أيام زمان فلقد كنت ألعب كرة فقط ٠

● والمطربين ؟

ـ أم كلثوم وعبد الوهاب على قمة المطربين طبعا وما زالا موجودين وأصواتهم موجودة ، بعد ذلك فأنا لست بسميع قوى لكن محمد ثروت وعلى الحجار وايمان البحر درويش كلهم سواسية لكن محمد ثروت أقربهم الى نفسى لأنه حبيبى وصديقى وعمرو دياب مش بطال والله أما المطربات فأنغام وسوزان عطيه لا بأس بهما ٠

● وما هو الكتاب الذى أعجبك وأثر فيك جدا ؟

ـ القرآن معجزة الهية لا يمكن أن يقترب من ساحتها ولو على بعد مائة ألف مليون كيلو أبدا أدب ، لا أتكلم عن القرآن كأحكام فهذه مسألة لا تحتاج لكلام طبعا ٠ لكن أسلوب القرآن ولغته شيء لم يحدث ، وأنا كرجل محترف أدب قرأت القرآن ما يقرب من مائة مرة وفي كل مرة أقرأه كأنني لم أقرأه من قبل ٠

● ما هى النصيحة التى توجهها لشباب اليوم ؟

ـ نصيحة أعتقد انهم لن يســتطيعوا تنفيذها فأنا لا أريد لهم أن يدخلوا أى كلية بسبب المجموع ، أريدهم ان يدخلوا الكلية التى يحبونها كى يستطيعوا بعد ذلك أن يستمروا ويتفوقوا ، فأتمنى أن يراعوا ذلك وهم يذاكرون فى الثانوية العامة ٠

● ما هى خلاصة تجربتك فى الحياة ؟

ـ « السنون تمر سريعة والأيام تمر بطيئة » بمعنى اننا نشعر ان الأيام بطيئة متمهلة فى سيرها ولا نشعر بالسنين ٠ فأنا مثلا فوجئت بنفسى وأنا فى الستين من عمرى كيف ؟ لا أعرف ! يعنى مرت بسرعة جدا أكثر مما تصورت ، بينما أنا شعورى بالزمن عبيط جدا فأنا لا أستطيع أن أمشى فى غير ساعة وفى مكتب ما يقرب من ٣ ، ٤ ساعات وأتأكد من الزمن باستمرار يعنى أشعر باليوم دقيقة بدقيقة ولكن الشـــعور بالسنوات سريع ٠

● والحكمة التى تؤمن بها ؟

ـ « لن ترضى الناس جميعا ، لكنك تستطيع أن ترضى الله وترضى نفسك » فاذا أرضيت الله ونفسك أديت واجبك ٠ فليس هناك رأى فى العالم لا يرضى قوما ويسخط أخرين ، وكل من حاول ارضاء الجميع سقط فى شبكة النفاق وأسقط الناس جميعا عليه لأنه منــافق ، فخير وسيلة أن يرضى الله ويرضى نفسه ٠ ما يرى أنه حق يقوله ويتوكل على الله ٠ هذه هى حكمتى وأحمد الله عليها لأننى لم ألم نفسى على كلمة كتبتها ولم أكتب حرفا أنا غير مقتنع به ٠

● هل أنت راض عن نفسك ؟

ـ لا ولا أدرى لماذا ؟ ولو رضيت عن نفسى يخيل الى اننى أتوقف ٠

● هل هــذا يعنى ان كل محاولاتك للكتــابة ما هى الا محاولة للوصول الى الرضاء عن النفس ؟

ـ لا طبعا وهل الكاتب يكتب لارضاء نفسه ، انه يكتب لأنه مرغم على الكتابة ٠ انه يجد فى نفسه شيئا لابد أن يقوله ، أنا عندما لا أجد فى نفسى شيئا لا أكتب ، أنا لى الآن ٢٠ رواية وما يقرب من ٤٠ كتابا ولم يبق الآن ما يرغمنى على الكتابة ، أنا ان لم تأتنى الفكرة وأرى انها

جديرة بان تكتب واقلبها ذات اليمين وذات اليسار وذات الطول وذات العرض واطمئن تماما انها تصلح لا أضع القلم على الورق ٠

● اذن ماذا تقصد بالرضاء عن النفس ؟

ـ هذا موضوع آخر فانا لو قلت لنفسى اننى بلغت ما يكفى من الثقة يزول الشعور بالرهبة عندما أمسك بالقلم وأضعه على الورقة ، واذا زال هذا الشعور زال الكاتب تماما ٠

بلادى ١٩٨٩/٣/٢٥ م

شعارات جوفاء ..

هل آن للشعارات التى قامت على فراغ أن ترحل عن سماء مصر . ان مصر اليوم قد عادت سيدة على كل مكان من أراضيها المقدسة . فهى - بحمد الله اليوم - فى أقوى حالاتها وقد استردت بفضل حرب السادات وسلامه وبفضل ايمان مبارك الثابت بالحق والعدالة كل ما فقدته فى حرب ٦٧ الشائهة .

فهل آن لها أن تسترد الثقة بالنفس وقد استردت الأرض . ومن أجلى معالم الثقة بالنفس الا ترتفع فى اجواء البلاد شعارات جوفاء تؤدى الى الخراب فى حقيقتها وان كان ظاهرها الرحمة .

وأعظم ما تصنعه هذه الشعارات ان تخادع الناس - بعض الناس - عن الحقيقة . وان تستر فى غباء ما وراءها من سوء المصير .

هذه الشعارات كانت صاحبة الفضل الأول ان يكون الانتاج فى مصر على هذا القدر من الهوان فحين ترتفع ساعات العمل فى الدولة الواثقة بنفسها الى عشر ساعات وأكثر تتضاءل فى مصر . لتصبح سبعا وعشرين دقيقة .. وعلم الله أن مصر تحتاج الى عشرات الساعات من العمل لتعوض ما انفقته فى حروبها المشروعة وغير المشروعة التى لم يزج بها فيها الا الشعارات الملتاثة الحمقاء والرغبة الرعناء فى الزعامة الفردية وأموالها وما كان بها من ذهب اطاحت به كلمة أنا تحيط بها الشعارات المجنونة واللافتات الرعناء .

هل نطلب كثيرا اذا سالنا كل عامل فى مصر سواء كان موقعه على مكتب أو كان على آلة أن يؤدى واجبه ويرضى ربه وضميره ووطنه .

هل نطلب كثيرا ان طالبنا بانصاف الجاد من الهازل والنشيط من الخامل فلا يتساويان فى الحقوق مادامت المساواة قد اختلت بينهما فى الواجبات .

هل آن للعاملين أن يذكروا حق الله ويضربوا صفحا عن كل قانون يهب لهم حقا ولا يرتب عليهم واجبا . فانهم مصر التى تطالبهم بذلك ومصر أمهم وأبوهم فان لم يرعوا حق الأمومة والأبوة فمصر ولدهم وبناتهم فليرعوا

حق البنوة عليهم اذا غلظت أكبادهم أن يرعوا حقوق والديهم أو فليرعوا حق أنفسهم على أنفسهم فمصر هى أنفسهم • ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم وما بعد حياتهم •

وبالشعار الأجوف نادينا بمجانية التعليم واسقطنا القادرين من تقديرنا حين صاح الصائحون بهذا الشعار وكانت النتيجة أننا أصبحنا بلا تعليم ولا مجانية فى وقت معا •

وأين التعليم فى طلبة يتكدسون فى الفصول يضن عليهم المدرس بان يعلمهم جماعات ليتصيدهم بعد ذلك فرادى فى الدروس الخصوصية وأين العدل فى هذا الشعار اذا كان القادرون يعلمون أبناءهم فى المراحل الابتدائية والاعدادية والثانوية فى المدارس الخاصة ويقدمون عن طواعية واختيار الآلاف المؤلفة لهذه المدارس حتى اذا وصل أبناؤهم الى الجامعة أصبح تعليمهم مجانيا بفضل الشـــعار الكاذب المخاتل المحتال بمجانية التعليم •

واين العدل فى فتى يقصد الى الجامعة وهو يقود سيارة بعشرات الألوف تصل فى بعض الأحيان الى مائة ألف وأكثر وينزل متبخترا فى قماش حلته المستورد الذى اشتراه بمئات الجنيهات وبذل فى تفصيله مئات أخرى وان شاء التخفف فقميص وبنطلون بمئات أخرى من الجنيهات ويدخل مختالا على اخوانه من الذين لا يكادون يجدون قوت يومهم الا الجهد الشديد ويجلس بينهم ويتلقى التعليم مجانا من عرق آبائهم أو أمهاتهم أو من عرق الآباء والأمهات المعوزين جميعا •

فمال الدولة هو عمل العاملين بها وليس للدولة مورد الا جهد شعبها فبأى حق لهم يستحل الأثرياء من آباء الطلبة أن ينتهبوا دماء الموظفين الذين لا يملكون الا مرتباتهم وويل كل الويل لموظف لا يملك الا مرتبه مهما يكن هذا المرتب ومهما تكن المرتبة التى يشغلها الموظف •

كره الله هذا والمؤمنون •

ولكن شعار مجانية التعليم هناك بالمرصاد • وفى بعض الأغنياء جشع يسمح لهم ان يعلموا أبناءهم مجانا فى الجامعة متعامين عما يغتالونه من جهد الفقراء من أموال الدولة •

وشعار ضريبة التركات التى لا تريد ان تتركنا مكتفية ان تغير اسمها الى رسم أيلولة وكلاهما غير شرعى وغير مقبول وانى مبشر وزير المالية ان رسم الايلولة هذا الذى يحاول ان يجمله ويزينه لا يصلح معه تجميل ولا زينة بل انه ـ بالقطع واليقين ـ جاعل الناس يهربون بأموالهم منه ٠ فبشرى لوزير المالية فانه لن يجد عند صاحب مال انتقل الى رحمة الله مليما يفرض عليه ايلولة بل هو قبل ان يموت قد حجب ماله عن بنوك الدولة ووزعها بين ورثته ما حلا له التوزيع ٠

ولن يصادف رسم الايلولة هذا الهزيل الا من هو أشد هزالا منه نصف بيت يتوارى ولا يصلح معه توزيع أو بضعة أفدنة تزيد الورثة فقرا على فقرهم فيا شـــعار التركات والايلولة أغرب عن حياتنا وابتعد فقد استبدلت الذى هو ادنى بالذى هو خير وابعدت الأموال ان تستقر هادئة هانئة فى بنوك الدولة ورددت الملايين لتحصل على الملاليم ٠٠ فكم أنت مرذول أيها الشعار ٠

وحسبنا الله فيك وفى الشعارات الأخرى انه نعم الوكيل ٠

الأهرام ١٩٨٩/٣/٢٧ م :

تســـابيح

أكتب هذه المقالة وأنا أعد نفسي لزيارة البيت الحرام ومثوى رسولنا عليه أفضل الصلاة والسلام . وهذه الزيارة بدعوة كريمة من الأمير تركى ابن عبد العزيز وهو ـ أعزه الله ـ يكرر هذه الدعوة لى ويرعانى فى الأراضى المقدسة أعظم رعاية وأكرمها .

الدعوة الى البلاد المقدسة دعوة اتلقاها دائما بكل ترحيب فليس احب الى من أن أقف فى رحاب البيت وان أمثل أمام النبى عليه الصــلاة والســلام .

عند البيت أشعر بجلال العالمين جميعا حاضرا أمام عينى ويتولانى خشوع نورانى فاذا الدنيا جميعا لا تساوى عندى قلامة ظفر . أنسى آلامى وضيقى واختلاف الرأى والتوجس من المستقبل والحسرة على الماضى .. وأصبح مولودا جديدا تتمثل آماله كلها فى ان يسبح فى نور الاله الأعظم ولا أذكر الا جلال الله وعزته الغفور الرحيم ذا العزة المتعال وأصيح مع الشاعر :

ياكبير الذنب عفو الله من ذنبــك أكــبر

وينتفض عن قلبى كل ما كان يشغله أو يشقيه فاذا أنا هباءة هائمة فى ملكوت السماوات العلى أرشف الضياء صافى الورد ، طهور المنبع ، كريم المسرى ، سنى المنطلق .

وانثنى الى الدنيا وقد خلقت خلقا آخر . وما العجب وهو الذى يحيى بعد الموت وهو من قبل واهب الحياة وخالق الروح التى لا يعرف سرها الا هو جل علاه .

وعند النبى تتولانى رعشة الحب الاسنى فالقلب وجيب والعين دموع هنا نزل الوحى على أكرم الأنبياء .. وهنا كانت ختام رسالات السماء .. صلى الله عليك وسلم تسليما .. يا من اختاره الله سبحانه وتعالى ، ليحمل معجـزته الخالدة على الزمان .. فمـا بعجيب أن تكون على خلق عظيم وما بعجيب أن يكون عزيزا عليه ما عنت المسلمون وما بعجيب أن تكون حريصا على المؤمنين رؤوفا بهم رحيما .

كم بذلت يا صلى الله عليك وسلم من جهد لتنشر الرسالة وكم لاقيت من جهد ومن صلف وما أردت ملكا ولا جاها ، فقد عرضوا عليك الجاه والملك فقلت قولك الخالد على العصور لو وضعتم الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته أو أهلك دونه وما الى مال نظرت فلو ان الجبل صار لك ذهبا ما نظرت اليه ٠٠ وكم سعيت ودميت قدماك ـ فدى لقدميك أرواحنا ـ وما كان فى ركابك سيارة أو طائرة وانما هى بغلتك الغراء أو ناقتك وكم أوذيت من الكفرة المجرمين وتقبلت ٠ لا تريد الا وجه الله ، ونشرت رسالته وبعزم منك وبتأييد من رب العزة المكين وبنصرة المؤمنين الأوائل الاعلام تنطلق « لا اله الا الله محمد رسول الله » الى العالمين تمـلأ الخافقين وتضىء وجه الحياة وتصبح للبشرية ملجأ وملاذا ونور هداية وطريق حرية ودرب فلاح ومحجة اصلاح ورفعة وشموخا ٠

ولا أنساك يا صلى الله عليك وسلم وقد وقف ببابك رجل أراد أن يعلن اسلامه على يديك فتتملكه الهيبة من نورك وتحتجزه الرهبة من جلالك فاذا انت تقول كلمتك الخالدة التى تدوى فى أرجاء التاريخ تزلزل كل مختال فخور :

ـ ادخل فما أنا الا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكه : « أنك لعلى خلق عظيم » أأنت جميعك بالرسالة التى حملت وبالأمانة التى تنشر بها رسالتك ٠٠ وبصبرك وبحربك وبسـلامك ٠٠ انت يا من جعلك الله شهيدا على جميع الشهود من أصحاب الرسالات ٠٠ أنت لست الا ابن امرأة كانت تأكل القديد بوركت يا رسول الله وبوركت هذه المرأة التى كانت تأكل القديد بمكة ٠

أنا فى طريقى اذن الى مكة والى المدينة بهذه الدعوة الكريمة التى وجهها الى الأمير النبيل وانى واثق اننى سأجد الشعب السعودى العظيم سعيدا بهذا اللقاء الحبيب الحار الذى استقبلت به مصر خادم الحرمين الملك فهد ٠٠٠ وانى أريد أن أهمس فى اذن جلالته ان مصر اليوم حرة وان الناس حين خرجوا الى لقائك لم يحشدهم لذلك حاشد ٠٠ فالناس اليوم فى بلادنا لا يخرجون الا للقاء من يحبونه أعظم الحب لا تحثهم على ذلك سلطة ولا يجمع جمعهم موظف أو هيئة أو حزب انما خرجوا لتحيتك فى شخصك وفى الرياح الطيبة تحملها من البيت العتيق والعبق الكريم فى ردائك من النبى الأعظم ٠

اننا فى مصر نحبك وقد شعرنا ان زيارتك لنا تحمل فى طواياها مشارق آمال ٠ من أهمها أن تعود مصر الى مكانها الخليق بها فى المنظمات العربية وقد لمست جلالتك هذا المعنى بنقدك أن يكون الرأى اجماعا فى

الجامعة العربية . وقد كان هذا منك ذكاء متوقدا ، فقد أدركت أن الرأى حين يكون اجماعا يصبح نوعا من الديكتاتورية البغيضة . فبهذا الرأى الاجتماعى يستطيع فرد واحد ان يصادر رأى الجميع . وهل بعد هذا ديكتاتورية .

ان الشعب المصرى يحبك لما يسمعه عنك من خلق رفيع ولما يقرؤه عن أعمالك الباهرة في بلادك حتى لأصبحت تسامى أعظم البلاد تقدما فى طرقها وبيوتها ومظهرها الحضارى . ولما لقبت به نفسك من « خادم الحرمين الشريفين » وأعظم به خادما وأكرم بهما من مخدومين .

وأنا لم يكن لى شرف الجلوس مع الملك وان كنت صافحته فى بعض مناسبات وقد كرمني وهو يصافحنى بتحية كريمة لا أنساها له ولكننى أعرف الأمير تركى بن عبد العزيز شقيقه معرفة وطيدة وأشهد اننى أجد فيه رجلا يندر وجوده فى الرجال تواضعا ، وكرم خلق ، وصفاء سريرة ، واشراق نفس ، هذا الى علم وافر عظيم بالقضايا العالمية عامة والقضايا الاسلامية والعربية خاصة . فهو قارىء من الطبقة الأولى وله قدرة فريدة على استيعاب ما يقرأ متفهما ما وراء الأحداث فى ذكاء حاد وبصر نافذ جديد ، عظيم اللماحية كل ذلك فى هدوء وبساطة جديرين بمن كان فى مكانته .

الأهرام ١٣ ابريل سنة ١٩٨٩ م

لك الله يا مصر ..

لك الله يا مصر ورعاك وحفظك .. تكاثرت حولك السهام تصوب اليك من الخارج ومن الداخل فى وقت معا .. وتتناوشك مشاعر الغضب عليك أحيانا أو عوامل الحقد فى أحيان أخرى ثم لا يرحمك من تجرى مياهك فى دمائه وهواؤك فى صدره .

يطلع عليك من الغرب عفريت يدعى أننا نصنع الأسلحة الكيماوية . وهى أسـلحة لا يستعملها احد مهما يكن مجرما ولكنهم لا يجـدون ما يهاجموننا به الا هذه القالة الساذجة الرخيصة وعلم الله انهم بهذه التهمة انما يخفون أسبابا سياسية أخرى فهم يريدون صلتنا بهم أن تكون صلة التابع بالمتبوع لا الند بالند متوهمين أننا لا ندرك كل الادراك انهم اذا كانوا يقدمون لنا المنح والقروض فما ذاك الا لصوالحهم الوطنية فى منطقة نحن فيها الدولة الكبرى . ولا بأس عليهم ولا حرج علينا ان تكون المعاملة بيننا تبادل مصالح لدولنا .. أما أن يتصوروا أن نكون تابعين فهيهات وكبرت كلمة تخرج من أفواههم . فاذا بينا راحوا يلقون هذه الحجارة الرعناء الخرقاء التى لا يصدقها أحد . ووالله ما اهتزت لك شعرة من تهمتهم ..

ولقد تصدى للتهمة رئيس الجمهورية محمد حسنى مبارك بما يحيط به من ثقة وطيدة فى صدقه يعرفها عنه العالم أجمع وقمع الفتنة فى مهدها وجعل حديثهم هراء هذا الحديث الذى يذكرنا بالبيت القديم . هذا كلام له خبىء معناه ليست لنا عقول .

ويطلع علينا من بعض صحفهم حديث آخر يتناقله المغرضون فى مصر بصحفهم أن أموال المنح والقروض لا تنفق جميعها فى المصالح العامة وانما تختانها وتستولى على نسبة كبيرة منها أيد ليست أمينة .

وانتظر أن أجد تكذيبا لهذا التصريح الخطير ولكن لا تكذيب وكأن التهمة ما وجهت . والوزراء المسئولون كل لهم شأن يغنيه تاركين تهمة على هذه الدرجة من الخطورة تجتاح سمعتنا .

وان ما يترتب على هذا التصريح أمور على درجة بشعة من آثار ان لم تفعل الا أن تفزع الآمن من نفوس الدول التى تتعامل معنا لكان هذا حسبها وفوق الحسب ٠

اذا لم يكذب الوزراء مثل هذه الأقاويل فماذا يكذبون ٠٠ بل أى شىء يصنعونه أهم من أن يجعلوا سمعة مصر المالية نقية نقاء البللور شفيفة متألقة كأحجار الماس ٠

لك الله يا مصر ورعاك وحفظك ٠٠

أم ينتظرون أن يكذب رئيس الدولة ـ مع كل الشواغل التى تحيط به ـ كل كلمة تقولها صحف الغرب عن مصر فهم اذن فى لهو يلعبون ٠٠ ان رئيس الدولة بما يعرفه العالم عن شخصيته العظيمة لا يعنيه مطلقا أن يتخلف وزير عن استقباله ويشغل نفسه بأى شىء يكون فيه مصلحة مهما تكن ضئيلة لمصر ٠٠ علم الله ليس يعنى رئيس جمهوريتنا بالمظاهر والمظاهرات وعلم الله أنها لا تحرك منه ساكنا وعلم الله أنه يهتم كل الاهتمام بأقل نفع يعود على مصر والمصريين ٠ فمتى متى ـ بحق الله ـ يعرف عنه الوزراء هذا ٠ وقد ظلوا فى مناصبهم سنوات عرفوا فيها خلق الرئيس وترفعه عن صغائر الأمور واهتمامه بكل ما يعود على مصر بالخير والوفر والرفاهية ٠

لك الله يا مصر ورعاك وحفظك ٠٠

أما كان بحسبك أن تواجهى المتالبين عليك من خارجك بل فرض عليك أيضا أن تشقى ببعض العاملين بالفنون بين ربوعك ٠

وأشهد ـ فيما أشهد ـ أفلاما للسينما تقدم أسوأ ما فى مصر من أماكن وقبور واطلال وحفائر ولا يقف بهم الأمر عند هذا ٠٠ بل أرى منذ أيام فيلمـا يرمى كل شىء فى مصر بالقذارة ٠٠ فالبنوك المصرية حافلة بالقذارة فى أرضها ومبانيها وبسوء المعاملة من العاملين للعملاء وعلم الله أن ما قاله الفيلم كذب واختلاق ٠

أيحتمل الحال فى مصر أن نختلق المساوىء اذا لم توجد ٠٠ أمصريون هؤلاء ؟! أقسم غير حانث لو أن أعداء مصر كتبوا عن مصر بكل الحقد الذى يحملون ما تجرأوا أن يختلقوا هذه الأكاذيب عن مصر ٠٠ ولا يكتفى المؤلف والفنانون الذين شاركوا فى هذا الفيلم بهذا بل انهم يزيدون كاذبين أن الكراسى فى الفنادق الكبرى عندنا تمزق الملابس لما بها من مسامير وأدق حـــادة ٠٠

أين هذا ؟

كذبوا والله وافتروا ٠

بل ان الفنادق الكبرى عندنا تنافس أعظم فنادق العالم فى أناقة الأثاث والنظافة وحسن المعاملة ٠٠

وأريد أن أسأل أمثال هؤلاء المتهجمين على مصر من داخلها أما اختلجت فى نفوسكم نامة أو خلجة من حب مصر ٠٠ وهل تدركون ماذا انتم صانعون بوطنكم عند من يرغب فى زيارتها سائحا أو مستثمرا ٠٠ وهل قدرتم وأنتم تختلقون هذه العيوب الخرقاء الحمقاء التى لا تمثل الحقيقة فى شىء ٠٠ أى سلاح فتاك تغوسونه فى صدر الاقتصاد المصرى بمثل هذا الهذر الذى ألقاه ممثلكم فى الفيلم ببساطة كانما يذكر حقائق لا تقبل المجادلة ٠٠

وان عجبت فأعجب معى من شخص يلقى على أمة ٠٠ وهى أمة السخرية والهجوم وكأنه لا يصنع جرما يتصاغر معه كل جرم ٠

عشت يا مصر ٠٠ وستعيشين خفاقة الاعلام وأن رغمت من الخارج انوف ٠٠ وأن ضمرت فيك من الداخل عقول ٠٠ فان الله جل علاه هو راعيك فى علياء سمائه ٠٠ وحسبك الله راعيا وكفيلا ٠٠

الأهرام ابريل سنة ١٩٨٩ م

صائد الاعجاب

تعرض لنا الحياة نماذج من البشر تستحق التفكير والتأمل . وتستحق أيضا الضحك وان كانت هى جادة . والسخرية وان كانت هى عابسة مكشرة .

بين هذه النماذج ذلك الكيان البشرى المعجب بنفسه غاية الاعجاب حتى إنه اذا تكلم خيل اليه انه يلقى الدر الثمين والماس الذى لا مثيل له الا عنــده .

هذا الكيان البشرى يقضى حياته باحثا عمن يعجب به . ويعرض نفسه فى صلافة وخسة . ولا تعجب اذا اجتمع الوصفان فما الصلافة والتكبر الا خســة ..

فالخسة شعور بالهوان . وما الصلافة والتكبر الا عن شعور بالهوان فهو يحاول ان يستمر فى الخيلاء الكاذبة والتكبر المقيت ولو لم يشعر انسان ما انه وضيع لما حاول ان يتكبر ولو لم يكن فى داخله يشعر انه هزيل لما فكر ان يتكبر .

وأمثال هؤلاء يحبون الظهور حبهم للحياة وقد كان التليفزيون نعمة على البشر الا عليهم .

فقد أظهر خلقهم بصورة واضحة لا تقبل الشك .

رأيت منهم قوما ذوى مناصب رفيعة بلغوها بالهوان أمام أصحاب السلطان وبالتصاغر وبالتظاهر جميعا . ولكن المناصب الكبرى لم تزدهم الا صغارا وظنوا انهم يستطيعون ان يكونوا فى حجم المنصب اذا هم قفزوا الصفوف ليتصدروا الصور . رأيت منهم من يسارع الى احتلال المكان الأقرب للتليفزيون ــ ولو لم يكن المكان الذى خصص له ــ ليراه الناس واقسم قد رأيت منهم وهو من أصحاب المناصب الكبرى من يشب على أطراف أصابعه ليظهر وجهه فى التليفزيون .

وعرفت منهم من يعلم ان هناك دعوة فيها كبار القوم فاذا هو يجن جنونه أن لم يدع اليها . وشهدت منهم من يكلم صاحب الدعوة يتوسل اليه أن يكون بين المدعوين وبين الخجل والاحراج يضطر صاحب الدعوة

ان يدعو صاحب الصفاقة والحياء الغائب ورأيته يفرح بعد ذلك انه دعى غير شاعر بماء الوجه الذى اراقه لكى يدعى ٠

وأذكر بيت المتنبى الباذخ :

وتكبر فى عين الصـــغير صغارها

وتصــــغر فى عين الكبير الكبائر

وأحسب ـ وما أنا مبالغ فى حسبانى ـ ان آفة الرجال عندنا تكمن فى هذا البيت الفرد للمتنبى فكثير من أصحاب الحل والربط يشغلون أنفسهم بالأصاغر من الأمور وينصرفون عن الكبريات ٠

وعذرهم فى ذلك واضح ولكنه غير مقبول ، فهم حين ينشغلون بتوافه الأمور لا خوف عليهم من الزلل ٠ فاذا زلوا فليس هناك خطر من زللهم أما كبريات المشاكل فانهم اذا تصدوا لها بغير شجاعة واثقة ومراعاة للصالح العام وحده دون نظر الى هتاف بالتأييد من هنا أو صراخ بالمعارضة من هناك كانت النتيجة وبيلة الشر واغلقت الطرق أمام من يحاول ان يصلح ما افســــدوه ٠

ولماذا يعرضون أنفسهم اذن للعظائم فليبقوا قابعين فى الظل هناك يكتفون بنقل موظف وترقية آخر ثم يتقافزون أمام مصـــور التليفزيون ليوهموا أنفسهم ظانين انهم يوهمون الناس أيضا انهم على قدر كبير من الأهمية وانهم من صورة السلطان فى الصدارة ٠

وهم يجهلون ان الناس تسخر منهم غاية السخرية وتضحك من شأنهم ضحكات الاحتقار والهوان مدركين انهم هازلون فى أنفسهم هزلاء عند الناس ورحم الله الشاعر ٠

ومهما تكن عند امرىء من خليقة

وان خالها تخفى على الناس تعلم فما بال هؤلاء وهم لا يخفون خليقتهم بل يشهرونها فى صغار وتفكير هزيل وهوان على النفس وماداموا قد هانوا على أنفسهم فهم على الناس أشد هوانا ورحم الله المتنبى مرة أخرى حين قال :

من يهن يسهل الهوان عليه

ما لجرح بميت ايـــلام

وهؤلاء أموات فى كرامتهم وفى حقيقة أمرهم وان بدوا احياء غاية الحياة بالصورة والتفاخر وبتصعير خدودهم وباختيالهم وبتفاخرهم وبما يشبون على أطراف أصابعهم ليظهروا أمام الناس فى التليفزيون واحياء

بما يأكلون ويشربون وبما يلبون من دعوات لا تنقطع واحياء بنفاقهم وتملقهم لمن بيده مصائرهم واحياء أيضا بتقبل النفاق والملق ممن يملكون هم مصائرهم • واحياء بما تسكبه عليهم الدولة لا يفكرون لمحظة ان كانوا يستحقونه أو لا • احياء بالذهاب الى الدواوين والعودة منها وبوقوف الناس لهم كلما خطروا ذاهبين أو عائدين •

ولكنني أقسم لهم انهم بكل هذا ليسوا من الحياة فى شىء انما الحياة الحقة لهؤلاء ان يعملوا العمل الحاسم الصالح بعد أن يتعمقوه ويحيطوا بدقائقه كل الاحاطة ثم يتخذوا فيه القرار الحاسم الشامل بجرأة صاحب الحق غير مرتعدين ولا خائفين ولا هالعين •

الحياة ان يدركوا أن كل وظيفة مادامت بدأت فلابد أن تنتهى ولا يبقى الا وجه الله ولو كانت وظيفة بقيت لصاحبها ما جلس هو على الكرسى الذى يجلس اليه •

الحياة ان يدركوا قدرهم الحق بلا تزيد فيتكبروا وبلا نقصان فيهونوا •

الحياة كل الحياة ان يرعى الانسان ربه ووطنه ولا يسعى الا لارضاء الله جل وعلا والوطن هو صاحب الحق الأول علينا بعد حق الله ومن يرعى حق الله يرعى حق الوطن •

الحياة ان يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله ويتوكلوا عليه ويعملوا حتى وان لم يظهروا على شاشة التليفزيون لحظة وتنقضى والوطن خـــلود •

الأهرام ١٩٨٩/٥/٨ م

رمضان والتليفزيون

انتهى رمضان وانتهى المهرجان الذى يقيمه له التليفزيون فى كل عام • وما كان فى حسبانى ان اكتب فى هذا الموضـوع أبدا • ولكننى احسست ظلما فادحا من التعليقات التى أثيرت حول الأعمال التليفزيونية وكتابها وممثليها ومخرجيها جميعا •

وسأحاول ما وسعنى الجهد أن أعرض رأيى لامتحيفا فيه ولا مجاملا وأحسب أن سنى وما عرفه عنى القراء وما تعودت ان أواجه به القارىء من صراحة يجعلنى على قدر من النزاهة عند الناس •

فاذا قلت رأيا اعجبهم فهذا هو رأيى وان قلت رأيا لا يتفق ـ وهو أهم ـ فهذا هو رأيى أيضا • ولو اتفق الناس على أمر لما كان العالم على ما نراه اليوم من صراع وحروب ومقتلة وثورات •

ولن يستطيع كاتب أن يرضى الناس أجمعين فان الله خلق النـاس بآراء شتى وأفكار متصارعة وعقول متفاوتة ولو شاء سبحانه لجعل الناس امة واحدة ورأيا واحدا •

كان لابد لى ان اتقدم بين يديك بهذه المقدمة حتى أفسح لرأيى مكانا الى نفسك فان رضيت عنه فحمدا لله ولك وأن لم ترض فما على المجتهد من سبيل •

أبدأ بألف ليلة وليلة لشيخ شعراء الجيل وعميدهم طاهر أبو فاشا ولا أعتقد أن أى مديح يوفيه حقه •

وأنا أكتب هذا الكلام قبل أن يفجعنى القدر بأن الله اختاره الى جواره فاختار رجلا عرفته منذ ما يزيد على خمسين عاما ، عرفته وأنا طفل صغير وهو شاعر كبير يلقى شعره على أبى فيعجب به غاية الاعجاب ، وظل علامة على جيله سامقه وهو الآن يخلى مكانا عزيزا على الشعر العربى كله وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يلهمنا الصبر على ما أصابنا فيه •

●●●

فوازير رمضان أراها أنا خفيفة الظل فى مقدمتها متعة وفى ازجال عبد السلام أمين قدرة خارقة أن يقول كل ما يريد فى تعبير جديد شريف

اللفظ أنيقـــة دون أن يلجـأ الى الألفـــاظ المقيتة ومع حرص على الوزن لا يستغرب منه ٠

والكلمة عماد العمل الغنـــائى والاستعراضى وعجيب ان يكتب من يكتب عن ملابس الممثلين ولا يكتب عن الكلمة التى لولاها ما كان العمل كـــله ٠

فأنا أهنىء اذن الأستاذ عبد السلام أمين على شاعريته ومقدرته ٠ أما بطلا الفوازير فكلاهما يدعو الى الاعجاب الفائق مع انهما كلاهما فى بداية الطريق ٠ فشيرين تتمتع بجمال فائق يزيده تفوقا عدم شعورها به فتصرفاتها بعيدة كل البعد عن الشعور بما وهبه الله لها من جمال شامخ وأداؤها لا خروج فيه ولا تزيد وصوتها سائغ فى الأذن ٠

أما مدحت صالح فاننى اعجبت به غاية الاعجاب وأول شىء فاجأنى منه هو قوة الحضور والقبول عندى وعند الناس فوجهه حبيب الى النفس تتلقى ما يقول وما يفعل فى رضاء وحب ٠ يحس الكبار نحوه كأنه أحد أبنائهم ويحس الشباب انه أخ لهم حتى ليهيأ لكل منهم كأنه هو الذى يقوم بهذا الاستعراض خفيف الظل الذى يؤديه ٠ وصوت مدحت صالح من الأصوات التى تقبلها الأذن فى اقبال ومتعة وانى أهنئه على نجاحه الكبير فى الفوازير وأهمس فى أذنه انك تغنى وتمثل فحذار ان تفتعل ضجة حول نفسك لا تكون قائمة على أساس من الحقيقة ٠ وأترك الناس يمدحك بعضهم ويهاجمك بعض منهم آخر فانت كاسب على الحالين ٠ واتقن انت فنك ولا تتعجل الاعجاب ولا تعمل السوط على ظهور الأيام لتجعلها تقدم اليك الشهرة قبل أوانها ٠ وتوكل — من قبل ومن بعد — على الله واجعله وجهتك يهيىء لك من أمرك رشدا ٠

وينبغى ان اشيد بالجهد الفنى العظيم الذى بذله الأستاذ الفنان القدير فهمى عبد الحميد فاليه يرجع الفضل فى العمل جميعا ٠

●●●

« ليالى الحلمية » الحقيقة ان النص رائع وتسلسل الأحداث فيها يدل على تمكن المؤلف وقدرته الفائقة على التحكم فى موضوعه ٠

ولا أحب هنا أن أتناول المسلسل من الناحية التاريخية ٠ فالتاريخ عند الكاتب الفنان مسمار يعلق عليه الكاتب آراءه فهو ليس مؤرخا انما للتاريخ مؤرخوه ٠ أما الكاتب الفنان فيرى التاريخ من وجهة نظره هو فانا أهنىء الأستاذ اسامة أنور عكاشة على مسلسله ليالى الحلمية كما أهنىء المخرج اسماعيل عبد الحافظ تهنئة خاصة ، فعلى طول الحلقات

لم أشعر بلحظة ملل واحدة ولم أشعر بجملة حوار أطالت الموقف حين ينبغي له الا يطول وتلك منه حساسية فائقة تدل على مقدرته العظيمة وشعوره المرهف بنبض الجماهير ٠

أما الممثلون في المسلسل فقد تفوقوا جميعا على أنفسهم وكانوا قمة في الأداء الفني وفي الاحساس بالحوار الذي كتبه لهم المؤلف القدير ٠

●●●

الاسلام حضارة الأستاذ محمود شعبان اعتبره أنا شيخ كتاب الاذاعة والتليفزيون وان العمل الذي قدمه في هذا العام يعتبر قمة أدبية وفنية في وقت معا ٠

وقد استطاع في قدرة بالغة ان يبث تعاليم الاســـلام داخل العمل الدرامي في مهارة بالغة لا تستغرب عليه ٠

وأشهد أن مخرج الحلقات كان موفقا في تقديم النص وفي التحكم في المشــــاهد بغير اطالة تدعو الى الملل وما هذا بالأمر اليسير في عمل تليفزيوني جاد كل الجدية وحواره الرائع مكتوب باللغة العربية وقد كان الممثلون جميعا سواء منهم القدامى العتاه أو البراعم الجديدة من الشباب على أرفع مستوى في التمثيل والأداء ٠

طارق حبيب ٠ وقد تعمدت أن أذكر اســـمه لأنه هو كل شيء في الحلقات التي يقدمها والتي تجمع بين المتعة الخفيفة والمعلومات القيمة التي يحب كل مشاهد أن يعرفها ٠ واني أقدم له أصدق التهنئة على توفيقه الذي يصاحبه في كل برنامج قدمه الى الشاشة الصغيرة ٠

اني أرجو الله أن يديم عليه نعمة التوفيق التي وهبها له انه سبحانه قريب مجيب ٠

الأهرام ١٥/٥/١٩٨٩ م :

آن الأوان لعودة اتحاد الأدباء العرب لمصر

« العالم العربى لم يغب عن مصر وهى لم لم تغب عنه » كانت هذه هى الكلمات التى أعلنها الرئيس محمد حسنى مبارك أمام ملوك ورؤساء الدول العربية ، وقال أنه اذا كان الشعب العربى فى مصر قد عبر عن سعادته الكبرى بتوحيد الصفوف ولم الشمل ، فان الشعوب العربية بقياداتها ومفكريها قد عبرت بكل الوضوح والصدق بان تكون مصر بين شقيقاتها تؤدى دورها فى هذا التحول التاريخى الى مرحلة ايجابية فى بناء الكيان العربى الموحد .

مع رئيس اتحاد الكتاب الأديب الكبير ثروت أباظة ، كان هذا الحديث حول دور الأب فى بناء الكيان العربى الموحد .. قال :

لم يرتبط الادب العربى المصرى وغير المصرى فى انتشاره فى العالم العربى بوجود التوافق السياسى وعدم وجوده فالسياسة تجرى فى نهر يختلف كل الاختلاف عن نهر الأدب ، وقد ظلت الدول العربية تقرأ لمصر وظلت مصر تقرأ للدول العربية طوال سنوات الجفوة التى وقفت بين الدول العربية .

- وماذا عن عودة اتحاد أدباء العرب الى مصر ؟

عن مؤتمر الأدباء العرب فى ذاته فان الحرج الذى كان يقف دون انعقاده قد زال الآن ، واتصور ان يعود الى الوجود بشكل رسمى ، وان كان قد ظل موجودا بصورة غير رسمية طوال السنوات الماضية .

- ومكان انعقاد مؤتمر الأدباء العرب ؟

هذا أمر تتفق عليه الدول العربية ، ومكان وجوده فى مصر يتساوى تماما مع مكان وجوده فى أى دولة عربية .

- قبل فوز الأديب الكبير نجيب محفوظ بجائزة نوبل كان الحديث عن العالمية ، وكنت تؤكد على أن يصبح أدبنا عربيا أولا ؟

اتصور اننا اذا خلعنا القبعة عن الأدب المعاصر . فانه يستطيع ان يقف شامخا الآن . ويكون ذلك بكتابة الروايات والقصص العربية لقراء

عرب ، وقد ثبت ان قراء الغرب يحبون أن يقرأوا الأدب فى وطنه الخالص ، ولا يحبون الذى يقلد أدبهم ، فلا أحد يترك الأصل ليطلع على التقليد • عندهم أدبهم فلا حاجة عندهم لأدب يقلدهم •

وقبل نوبل كانوا يقرأون أدبنا فى باب « علم الأجناس » الى ان أعلنت نوبل ان أدبنا عالمى وعرفوا حقيقته •

ـ الكتاب العربى مازال توزيعه قليلا ، كيف يمكن تيسير تداوله فى العالم العربى ؟

ربما أجابك بعضهم بأن عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة فى العالم العربى قليلون ونحن لا نحاسب من لا يعرفون القراءة والكتابة ولكن للأسف الشديد أن عدد الكتب الموزعة فى العالم العربى أقل بكثير مما ينبغى ان تكون عليه حتى لو نسبنا العدد الى من يعرفون القراءة •

ـ ما هو دور الأدب العربى فى توثيق صلات الدول العربية بعضها البعض ؟

ـ ان الدول العربية لم تشعر شعوبها بما فرض عليها من خلافات مع بعضها البعض انما ظلت الشعوب دائما تشعر بالاخوة فى الوطن والله •

والأدب العربى مرآة لكل وطن عربى والدليل على ذلك اننا نحن أدباء مصر لم تنقطع عنا الدعوات الى البلاد العربية طوال السنوات الماضية دونالنظر الى العلاقات السياسية المتأزمة فى بعض الأحيان والجرائد العربية تطلق على كثير من كتاب مصر الكاتب العربى فلان •• فهم يعتبروننا كتابهم بقدر ما نحن كتاب مصر ولهذا لا اعتقد ان عودة الدول العربية الى مصر ستزيد هذه العلائق توثقا فقد ظلت طوال عمرها وعلى مدى الأيام غاية فى التوثق بحيث لا تحتاج الى مزيد انما الذى نتوقعه ان تسهم العلاقات الأدبية فيما بعد الاجتماع العربى بالصفة الرسمية بقدر ما كانت متسمة بالصفة الشعبية •

هل يمكن ان تنشىء الجامعة العربية جائزة للأدب على الصـــعيد العربى ؟

أنا لا أظن ان الجائزة ذات أثر فى الخلق الأدبى فما من كاتب يكتب كتابا لينال به جائزة ، انما هو يكتب استجابة لضميره أولا ، ثم يقدم كتابه لقرائه • والجوائز الموجودة الآن فى العالم العربى اعتقد انها كافية ولسنا فى حاجة الى جوائز جديدة فلتنصرف الجامعة العربية •

الأهرام ١٨ مايو ١٩٧٦ م

ولكن الناس ضمائر ٠٠ !

ليس بين الناس من لا يعرف واجبه ولكن هناك من يقصر فى أداء هذا الواجب ٠

ليس هناك عامل لا يعرف كيف يتعامل مع الالة التى يقف عليها انما هو على دراية كاملة بأسرارها وكيف يجعلها تعطيه أعظم ناتج ، وهو يدرى أيضا حقوقه كاملة ويعرف واجباته ٠ ولكنه يحاول ما وسعه الجهد أن ينال حقوقه كاملة دون أن يؤدى واجبه بنفس الكمال ٠ هو يعرف أجازاته وكيف يحصل عليها مثلما يعرف أوقات العمل التى يجب أن يعطيها لمصنعه ٠

ولكن بين العمال من يقوم بواجبه وهناك بعض منهم آخر ينكص عن هذا الواجب ويظن ان المهارة الحقيقية هى فى الحصول على أكبر قدر من الأجازات ٠

وليس بين العمال من لا يعرف أن الأزمة التى تمر بها مصر لا خروج منها الا بالانتاج وهراء ما يقال عن النوعية والتبصير ومناشدة العمال ان يؤدوا واجبهم فهم أدرى بهذا الواجب ٠ من كل الذين يحاولون ان يبصروهم به أو يناشدوهم ان يؤدوا واجبهم ان لم يستيقظ ضمير الكسول منهم « فلا حياة لمن تنادى » ٠

وعلى المجدين المخلصين من العمال ــ وهم كثرة ــ ان يحتملوا الظلم الواقع عليهم حين يرون أجورهم ومكافآتهم وحوافزهم تتساوى مع العامل الكسول بلا امتياز لهم يستحقونه وتحجبه عنهم الادارة الجائرة أو القانون الظـــالم ٠

وهكذا الأمر مع الفلاح ٠ فانه ادرى الناس بأسرار أرضه ووسائل استنباتها وهو يعلم حين يقصر انه قصر ٠٠ ولا تجدى معه الكلمات المعسولة التى يسوقها له التليفزيون ٠ انما قد يجدى معه ان يشعر انه نال الثمن العادل لمحصوله ٠ والفلاح ــ شأن الأغلبية الكاثرة ــ ينظر الى مصلحته الشخصية ومصلحة أسرته ودعوة الدولة له أن يزرع القطن مثلا لن تجدى ان لم تشفع الدولة هذه الدعوة بثمن عادل للقطن ٠

والفــلاح يعرف كل المعرفة بكم يباع القطن المصرى فى الخارج ولا تستطيع أجهزة الاعلام فى العالم أجمع أن تخفى عنه حقيقة تهمه ٠

ان الفلاح هو أكثر الناس دراية بكل ما يتصل به والذى يحاول ان يصوره فى صورة الساذج الذى يســتطيع ان يخدعه من يدعى الذكاء والقدرة على اللف بالحديث والدوران به ٠ الذى يتوهم هذا عن الفلاح المصرى أعظم الناس سذاجة وأكثرهم جهلا بحقيقة الفلاح ٠

قد يبدو غير معنى بالسياسة العامة أو قد يبدو غير مهتم بشئون الثقافة ولكنه على علم وافر لا يطاوله فيه أحد بمصالحه الخاصة ٠

وقد يستطيع نصاب ان يحصل من متقف على ما يشاء من مال ولكنى اتحدى هذا النصاب نفسه لو حاول ان يحصل من فلاح على مليم واحد هو لا يريد ان يعطيه له ٠

لقد تحصن الفلاح المصرى بذكائه وحده ضد كل القوى التى مرت بتاريخه الطويل من عهد ما قبل التاريخ الى اليوم مرورا بكل الطغاة الذين حكموا مصر من فراعنة الى انكشارية الى اتراك ٠٠٠ الى غيرهم ٠

على الدولة أن تدرك هذا فى معاملتها للفلاح أو لا سبيل لها اليه ٠

وليس فى مصر موظف لا يعرف الواجب عليه والحقوق التى يتمتع بها ٠ وليس فى مصر موظف لا يعرف المال الحلال الطيب والمال الحرام المقدم اليه ٠ انه يعرف الرشوة كل المعرفة مهما تحاول هذه الرشوة ان تختفى فى شكل هدية بريئة المظهر حقيرة المخبر ٠

وليس فى مصر موظف لا يعرف عقوبة الرشوة وما قد يتعرض له هو وأولاده وبيئته من خراب شامل اذا قبلها ٠

ولكن المرتشى يظن ــ وهنا يخطىء ــ ان الذكاء الذى وهبه الله له لم يهبه لأى انسان آخر ٠ وانه قادر بذكائه هذا على أن يسرق ما تشاء ويتقاضى من الرشى ما حلا له دون ان يكشفه أحد ٠

ومن باب هذا الظن يسقط المرتشون واللصوص من موظفى الدولة ويصبح أمرهم شهيرا جهيرا ٠ ويصم المجتمع أبناءهم بوصمة هم منها أبرياء ٠ ويصيحون مع الشاعر :

هذا جنــاه أبى على   وما جنيت على أحــد

وليس فى مصر وزير لا يعرف ما ينبغى ان يتخذه من قرارات ٠ ولكن بعضا منهم يخشى المعارضة أو يخشى الرأى الآخر من غير المعارضين

ويبحث هذا البعض عن الوسائل التى تتيح له ان يؤجل القرار ما استطاع ان يؤجله ·

وقد يكون القرار غير قابل للتأجيل · ولكن نرى هذا البعض من الوزراء ينظرون الى مصالحهم الخاصة أكثر من نظرهم الى المصلحة العامة ·

وينسى هذا البعض – أو يريد ان ينسى – انه عضو فى السلطة التنفيذية وان واجب هذه السلطة ان تنفذ لا ان تؤجل وان تواجه لا ان تسوف وان تتحرى المصلحة العامة للدولة لا المصلحة الخاصة لوزير من الوزراء ·

وليس فى الدولة عضو فى الهيئة التشريعية بمجلسيها : الشـــعب والشورى ، لا يعرف واجبات العضو وحقوقه ·

وليس منهم من لا يدرك ان الحصانة التى يتمتع بها انما هى حصانة سياسية حتى لا يعتدى أحد عليه مهما يكن شأنه من أجل آرائه التى يبديها فى ساحة مجلس الشعب أو مجلس الشورى · من أجل هذا خلقت الحصانة البرلمانية ولم تكن فى يوم من الأيام وسيلة لحماية عضو المجالس التشريعية فى صلاته الخاصة بقومه وأقاربه ومعارفه وأبناء وطنه ·

وليس منهم من لا يعرف ان التحلق بالوزراء أثناء الجلسات للطلبات الخاصة به أو بأبناء دائرته أمر لا يتفق وكرامة المجلس التشريعى الذى ينتسب اليه ·

وليس منهم من لا يعرف ان حقه فى محاسبة الوزراء انما شرع له مراعاة للمصلحة العامة لا للمصلحة الشخصية ·

كل انسان فى العالم – لا فى مصر وحدها – يعرف حقوقه كاملة ويعرف واجباته دون حاجة الى توعية أو ارشاد ·

ولكن الناس ضمائر ولكل ضمير نصيبه من الوجود والغياب وبين هذا الغياب وذلك الوجود يؤدى الناس أعمالهم ولله المثل الأعلى ومنه الهـــدى ·

الأهرام ١٩٨٩/٥/٢٢ م

كتاب آيات سماوية

أهدانى الشـــيخ الدكتور شمس الدين الفاسى كتابه الأخير آيات قرآنية وهو كتاب يضع فى عنوانه انه كتبه فى الرد على كتاب سلمان رشدى وأنا أعرف الدكتور شمس الدين الفاسى منذ ١٩٥٤ وكنت حين ذاك مدير تحرير مجلة عربية تصدر فى مصر اسمها « صرخة العرب » وكان رئيس التحرير الذى اختارنى للعمل معه صديق العمر الشاعر الكاتب القصاص الانسان اسماعيل الحبروك وكان الدكتور شمس الدين الفاسى المدير الادارى للمجلة فكان العمل معه متعة حقا فهو جم الأدب رقيق الاحساس لين الجانب موفور الحياء وقامت بيننا صلة صداقة منذ ذلك الحين ٠

وكتابه الأخير هذا غيرة حقة على الدين وغضبة لوجه الله والاسلام ونبيه والمؤمنين ٠

والحقيقة اننى أكره الكتابة عن ذلك السلمان رشدى مرتئيا أننا حين نكتب عنه ننيله أهمية لا يستحقها ونقيم له ضجيجا سعى اليه بكتاب السوء الذى نشره ٠

ولكن الدكتور شمس الدين الفاسى معذور فهو يقيم أغلب وقته فى لندن ويرى عن كثب ما يثيره ذلك الفتى الزنديق السافل من دعاية حول نفســـه ٠

وهكذا أبت نفس الدكتور شمس المسلمة أن تسكت عن هذا الفاسق اللعين فكان هذا الكتاب ٠

ويقع الكتاب فى ثمانية عشر فصلا بما فى ذلك المقدمة وهو يتقدم فيها الى رحاب النبى عليه أزكى الصلاة والسلام ويستأذنه فى كتابة هذا الكتاب ويقول :

« فقد وصفك الله تبارك وتعالى بأنك سراج منير » ٠

« يا أيها النبى أنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » ٠

ووصفك تبارك وتعالى بأنك نور فى كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. فقال وقوله الحق « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » .

وقد رأيت ان انقل هذه السطور لأبين أن الدكتور شمس كان على تمام الوعى أن الدين الاسلامى ورسول الله الخاتم صلى الله عليه وسلم أقوى من أى هجوم وانه انما يكتب احتسابا لوجه الله ونفورا من أن يسكت عن الحق وإباء أن يرى مجرما أفاقا يتهجم على الدين والنبى صلى الله عليه وسلم والصحابة ولا يلزمه الحجة وهى لازمة أو يرد عدوانه الى نحره شاء عدوانه وهان نحره .

ويتكلم الدكتور شمس بعد ذلك عن تاريخ ذلك الزنديق ويبين لنا أنه زنديق بالوراثة وانه نشأ مع الكفر والالحاد وكراهية الاسلام فى بيت واحـــد .

وقد أعجبت بالتحليل فى هذا الفصل غاية الاعجاب لأن الدكتـور شمس استطاع أن يضع يده فيه على دخيلة نفس المجرم ونشأته التى مهدت له أن يكون ذلك الزنديق حين علت به السن :

وفى الفصل الثالث يتكلم الدكتور شمس عما دعا الزنديق أن ينسب روايته الى الشيطان وقال انه يعنى بهذه التسمية قصة الغرانيق المدسوسة على النبى صلى الله عليه وسلم وقد أفرد لها الدكتور شمس فصـــلا بأكمله فندها فيه وأوضـــح مدى الكفر والزندقة فى هذه الأحدوثة الـــكاذبة .

ويتكلم الدكتور شمس فى الفصل الرابع عن الافتراء على عصمة النبى عليه الصلاة والسلام ويبين فى الفصل الخامس أكاذيب الزنديق عن الصحابة عليهم رضوان الله ويتكلم فى الفصل الســـادس عن استهزاء الزنديق بأمهات المؤمنين ويفند أقواله فى ذكاء وبراعة .

وفى الفصل السابع يكتب تحت عنوان « أوروبا تعلن عن عداوتها للاسلام » ويقول فيه : ان رواية الزنديق كانت بمنزلة الغطاء الذى كشف عن عداوة أوروبا للاسلام حتى درجة الغليان .

ويتكلم فى الفصل الثامن عن أعداء الكتب الســـماوية : التوراة والقرآن والانجيل ذاكرا الآية الشريفة :

« آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون . كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . لا نفرق بين أحد من رسله » .

وفى الفصل التاسع يذكر الدكتور الفاسى ما قام به فى مواجهة الفتنة

متحريا ألا يروى الا الوقائع وحـدها فى تواضع جم وفى التزام كامل بالصدق وحده ٠

ويتكلم فى الفصل العاشر عن قصة الغرانيق وزندقة رشدى ويفندها بالحجج والأسانيد القاطعة ٠٠

وفى الفصل الحادى عشر يتكلم عن حرب الكلمة ضد الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف بدأت منذ بداية الرسالة ولكن الله سبحانه حفظ نبيه وأعلاه فوق كل هجوم ونصر جنده وايده بروح من عنده ٠

ويتناول فى الفصل الثانى عشر موضوعا بعنوان « شتائم الرسول لا تقبل التوبة » ثم يتحدث فى الفصل الثالث عشر عن واجبنا المقدس ٠

وفى الفصل الرابع عشر يتكلم عن القرآن الكريم وذم الزنادقة له وخذلانهم بقول الله عز وجل « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ٠ وقد فعل سبحانه وتعالى وبقى القرآن الكريم عاليا خالدا على مر الزمان ٠

ويكتب فصله الخامس عشر بعنوان « هذا هو نبى الاسلام » وفصله السادس عشر عن النبى « اسخى الناس وابداهم يدا » ويكتب الفصل السابع عشر عن الرسـول فى بيته ويختم الكتاب بفصـل عنوانه « كلمة حق » ٠

وانى أهنىء الدكتور شمس الدين الفاسى على جهده العظيم هذا وأشـكر له صنيعه كمسـلم يغار على دينه ويرد عنه كيد الكائدين وفقه الله ٠

الأهرام ٢٩ مايو سنة ١٩٨٩ م :

النــور والاجـلال

من أطهر بقعة في العالم عائد أنا من الحرم المكي هناك حيث الجلال والعظمة منه والخشوع والتبتل والتصاغر منا نحن العباد ٠

هناك حيث يدرك الانسان ـ كل انسان ـ أنه بغير الله ضائع كذرة من الغبار تتناوحها الأهواء مهما تكن هذه الأهواء هينة الشأن ضئيلة العصف هناك حيث يدرك المتكبر الذى يزين له كبره أنه لا مثيل له فى الأقدمين أو القادمين ٠ والذى تجمل له وضاعته الا يتواضع بعض الشيء فيحقق قول الشاعر عنه أنه يتواضع كبرا ان يقال به كبر ٠

هناك يدرك أنه لا شيء الا كتلة آدمية هزيلة كانت أو كانت من الضخامة بمكان تتساوى مع كل الطائفين من الساعين والركع السجود ٠ لا كبر هناك ولا تكبر الا لله الواحد القهار الرحيم المتعال المتجبر الغفار هناك يتكسر كبر الانسان ويتحطم وهناك فى نفس المكان يرتفع الانسان ويصبح روحا شفيفة بلورية الأديم نورانية الاشعاع ٠

هناك لا يصبح الانسان ذلك الانسان الذى نألفه فى مختلف بقاع الأرض ٠ لا سعار هناك ولا تكالب على المال ولا تهافت على السلطان ٠

٠٠٠ لا سلطان هناك ولا مال ولا سعار وانما نظرة التضرع والاستغفار من المخلوق الى الخالق ٠ وتعلق باستار بيت الله وتزاحم على التقرب من هذه الأستار لعلها أن تحمل دعواتهم الى رب العرش العظيم ٠ هناك الطواف والسعى عمل وجهد ليعلن الله الى عبيده أنهم ان كانوا يسعون الى الدنيا بالجهد الجهيد والعمل الشديد فمن حق الآخرة عليهم أن يطوفوا حول الحرم ويسعوا مثلما سعت هاجر لتجد الماء لوليدها ٠

ان الله لا يحب أن ينال الانسان خيرا فى الدنيا أو الآخرة الا بالسعى ٠ وقد خص الآخرة سبحانه بقوله فى كثير من آياته أن على من يريد الآخرة من عباده أن يسعى لها سعيها وهو مؤمن ٠

قد ترك الله لك الدنيا تتوجه بالسعى فيها بما شئت الا أن تطغى أو تتجبر أو تصعر خدك للناس فانه لا يحب كل مختال فخور الا أن تخون

الأمانة أو تأتى ما حرم الله سبحانه من الذنوب ما هان منها وما كبر فيها وانت فى الدنيا عليك أن تعمل حتى تعيش فيها ويكون لك مكان فى زحامهـــا ٠

واذا كان الانسان يعمل للدنيا وهى دنيا فكيف يجوز له الا يعمل للعليا وهى العليا ٠

انما الطواف والسعى رموز لما يجب أن يبذله الانسان من جهد ليصل الى رضـــاء ربه فانه سبحانه وتعالى لا يحب القـــاعدين عن الرزق أو العبـــادة ٠

وشتان بين الهدفين ٠ تجهد فى الدنيا وتشقى لتعيش حياة هى زائلة طالت أم قصرت وتعمل للآخرة وتصطبر على صلاتك وتنصب فى الرغب الى الله بالدعاء لتنال رضا الخالق العزيز المقتدر وتكون لك جنات الفردوس نزلا ٠

هناك الطواف الجسدى والسعى بالجسم ليصبح الجسد روحا ترتفع خلجاته الى السماوات السبع متشوقة الى النور الالهى الأعظم فاذا الجسم فناء بها واذا الجسد هباء واذا الانسان روح ولا جسد واذا هو نفس متعلقة بكل النبالة والشرف والاشراق النفسى يراها رأى عين ويحس بها تسرى فى جسمه وكأنها حلت فى العروق بدلا من الدماء ٠

هناك يتزاحم الناس ولكنك فى ذاتك ملكوت مستقل لا تحس الزحام ولا تضيق به ولا تأبه وكأنك أمام الأستار وحدك ولكنك لست وحيدا ٠٠٠ وحدك أنت ولكنك تحس روح الله حولك فى أمن من الدنيا جميعا ٠ وفى نجاء من كل شرورها التى يحيطك بها الانسان مطمئن أنت هناك فى حصن من الانسان الشره الحقود المتجبر الخؤون غليظ الكبد عنيف الخصومة أنت هناك غالب لهؤلاء جميعا وكيف لا وأنت فى حصن الاله وحسبك الله كفيلا ومجيرا ٠

وانثنى من الحرم المكى وكاننى انسان غير الانسان الذى جاء الى الحرم المقدس ٠

ووقفت عند النبى صلى الله عليه وسلم أمام الانسان فى قمة جلال الانسان وعظمته وشموخه ٠ حامل الرسالة ومبلغها ٠ المبشر والنذير أول من تلقى آيات القرآن الكريم الذى قال عنه الله « وبالحق انزلناه وبالحق نزل » شهد له الله سبحانه أنه أبلغ الرسالة بالحق الذى نزلت به وانه على خلق عظيم وانه الشفيع للعباد جميعا يوم القيامة ٠ والشهيد على جميع الشهود ٠

أى خفق هذا وأى وجيب ذاك الذى يجيش بقلبى وأى دموع صماء صامتة تتقاطر فى نفسى حبا وفناء فى ذات الرسول صلى الله عليه وسـلم ٠

هنا الانسان الذى واجه ما واجه من الأقارب قبل أن يلاقى مالاقى من الاباعد والغرباء ٠

وظـلم ذوى القربى أشـد مرارة
على النفس من وقع الحسـام المهنـد

ولكنها الرسالة ولابد له أن يبلغها ويبلغها وتملأ الخافقين وينتشر المسلمون فى كل بقاع الأرض بما جاهد صاحب هذا المقام الأسنى وبجانبه وزيره واخو كفاحه وحامل العبء من بعده أبو بكر الصديق ٠

وبجانبه ظاهرة العدل الكونية وفاتح البلاد براية « الله أكبر » عمر بن الخطاب ٠ أن واحدا من هؤلاء يعدل الدنيا ما مضى فيها وما حضر وما هو فى مطوى الأيام غيب ٠

أنا فى حضرة ثلاثتهم اجلال كلى وأكبار ووجيب قلب وينبوع دموع وحسبى هذا سعادة لا تطاولها سعادة وهناء لا يقاربه هناء ٠

نفضت لك نفسى بعد عودتى من عمرتى أحاول أن انقل اليك خطرة من سعادتى أو قبسا من النور الذى عشت فيه أياما تساوى العمر كله ٠

الأهرام مايو سنة ١٩٨٩ :

لله العزة جميعا

صنف من النـاس ليس جديدا على الحيـاة بل هو قديم .. قدم الحياة .. ذلك النوع الذى يصـاب ـ والعيـاذ بالله ـ بداء الكبر أو التكبر ..

ولا أدرى كيف يكون انسانا ويتكبر . وهو يعلم ان الانسان مخلوق مسكين تقتله نسمة هواء وينحنى اذا اختلت حلقة من حلقات سلسلته الفقرية . ويرعبه وسـواس لا وجود له ، وتمرضه خاطرة من خوف . ويزلزله أهون الأمور وأقلها شأنا عجيب أن يكون على هذا القدر من الهزال ويتكبر أو يمس نفسه لافح من التعاظم .

ان تكبر لغنى ناله فما لغنى بقاء وما غناه اذا ذكر الغنى الحميد الذى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ..

وان تكبر لأصل كريم فأى فضل له فى أصل كريم .

وان تكبر لمنصب فمتى بقى صاحب منصب فى منصبه .

والحقيقة أن الذى أرسلنى أكتب هذا الحديث اليك هم المتكبرون لمناصبهم أراهم وزراء أو أقل من الوزراء وأرى فى ملامح وجوههم صلف الكبر والعزة الكاذبة التى يتسم بها الحقراء ويحاولون ان يخفوها بالتجهم والتكبر وكأنهم سيخرقون الأرض أو سيبلغون الجبال طولا .

صغارهم داخل نفوسهم ويريدون أن يمثلوا دور الكبار فيصبحوا مثل القراقوز الثقيل لا شرفا أبقى ولا كرامة حفظ بريق ماء وجهه لينال ضحكة مغتصبة .

وان كان القراقوز يسعى ببيع كرامته لينال قوته فهؤلاء المتكبرون شر منه لأنهم زاحموا القراقوز ولم يصيبوا بما فعلوا الا احتقار الناس وكراهيتهم ومقتهم وثقل ظلهم عند المجتمع .

ترى هل قرأ هؤلاء القرآن فان لم .. فلا شك انهم سمعوه وسمعوا قوله تعالى عز وجل فى سورة الحج ..

« يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون

الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » ٠

ترى هل قدر المتكبرون مقدار ضآلة الانســان الواضحة فى هذه الآية ٠ ان الله سبحانه حين يقول ضعف الطالب والمطلوب يقرن الانسان هنا بما سلبه الذباب منه ولك أن تقدر مقدار تفاهة ما يسلبه الذباب من الانسان ٠٠

ففيم الكبر اذن ٠٠

لا أراك الله متكبرا يتحدث ٠٠ أعوذ بالله العلى الكبير ٠ له الكبرياء وحده والعزة والملكوت ٠٠

يتكلم المتكبر من بين ضروسه أو من أنفه ويحسب كل كلمة يقولها تنزيلا من التنزيل أو وحيا من السماء ٠٠ أو هو يحسب أن ما يقوله لم يأت به الأوائل ولن يأتى به فى الآخرين انسان أو ملاك ٠٠

ولا أراك الله ذلك المتكبر وهو أمام رئيس له أو واحد ممن يملكون من شأنه شأنا ٠

فالذلة والهوان والنفاق الرخيص الحقير والانحناء فى القامة وفى الحديث معــا ٠ والمديح الرخيص لمحدثه وتنظر فى وجه الرئيس الذى يسمع ويرى فترى ملامح الاشمئزاز والاحتقار للمتكبر الذليل ٠ المتعجرف الحقير ٠

والمتكبر يحس هو انه أمام أولئك الذين بيدهم مصيره ولكن من أين له عزة النفس أو الشعور بالكرامة لينهج نهجا يرضى العزة أو يتفق مع الكرامة ٠

والمتكبر مغرور ٠ وخيط رفيع بين الغرور والثقة بالنفس فالذى يثق بنفسه لا يتكبر ولا يهين كرامته ٠
والمغرور يتكبر ويهين كرامته وكرامة الآخرين فى وقت معا ٠

والمتكبر لا كبرياء له لأنه يصطنع العزة وهى ليست فيه اما صاحب الكبرياء فلا يضع نفسه فى مكان لا كرامة فيه ثم هو قريب من الناس لا يعاملهم فى كبر وانما فى تواضع شديد لأنه واثق من مكانته عندهم ٠ وتواضعه هذا يكون مع جميع من يعاملهم ٠ فالتواضع حب للناس واحترام لهم وتقدير لانسانيتهم ٠ وكل انسان فى العالم يستحق الاحترام ما دام شريفا مهما يكن عمله ومهما تكن الصنعة التى يقوم بها فى الحياة ٠

والذى يحترم نفســه ينبغى له أن يحترم جميــع النــاس الشرفاء بلا تفرقة ولا تمييز فهم أخوته فى الانسانية ٠

أما هؤلاء المتكبرون فليغضوا من أبصارهم ، وليخفضوا رؤوسهم . ولتخشع قلوبهم وليخفضوا أجنحتهم ، فانى ملق اليهم آيات من القرآن الكريم لو فهموها لأقلعوا عن التكبر الى الأبد ..

يقول سبحانه فى سورة الطور الآية ٣٤ وما بعدها ..

« أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون . أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون .. أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين . أم لهم البنات ولكم البنون . أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون . أم عندهم الغيب فهم يكتبون » .

صدق الله العظيم

أيستطيع انسان بعد أن يقرأ هذا أو يسمعه أن يتكبر .

ولكن نعم . فان قلوب المتكبرين عليها أقفالها فهم لا يتدبرون القرآن ولا يدركون حقيقة الانسان ولا يعرفون معنى الكرامة فهم فى لهوهم يلعبون وهم فى كبرهم يعمهون . وسبحان القاهر فوق عبادة الكبير المتعال . له وحده الكبرياء جميعا ولعزته سجودنا وركوعنا وحسبنا هو أنه نعم الوكيل .

الأهرام ١٥ يونية سنة ١٩٨٩ م

ويل للكبار من الصغار

ولك أن تقرأ الصغار بفتح الصادر فتكون مصدرا ولك أن تقرأها بالكسر فتصبح جمعا والى المعنيين كليهما قصدت فقد امتحن الله الناس بأشخاص صغار احتلوا كراسى كبيرة .. وتلك كبيرة لا يكشفها الا كاشف الضر سبحانه فان الصغير اذا احتل كرسيا كبيرا أصبح كارثة على نفسه وعلى الكرسى وعلى من ألقى بهم القدر الى العمل معه . فالصغير يعلم انه صغير ولهذا يهوله منظر الكرسى الكبير ويروعه ويهز كيانه ويؤز وقاره ، ويستخف عقله ، ويزلزل ثباته ويجعله امام نفسه وامام الناس أضحوكة أتعس بها من أضحوكة .

ضائع هو ملتاث تتضارب بين يديه القرارات وتضطرب الأمور ويغشى بصيرته ما يغشيها فلا يعرف أقدار الناس ويصبح العاملون معه بلا أقدار ولا منازل ينزلهم فيها انما أقربهم اليه أكثرهم نفاقا وأقلهم شأنا ، وأهونهم مكانة وأذلهم قيمة ، وأهزلهم كرامة ، وأحقرهم شخصية ، وأندرهم عملا ، وأبخسهم عزة .

ويصبح الصغير فى فوضى من أمره فيتكبر حين ينبغى له أن يتواضع ، ويعنف حين يجمل به أن يلين ، ويصرخ حين يخلق به ان يهمس ، ويعاقب حين يجب أن يكافىء ويجيز ويكرم .

وحين نقارنه بالأسوياء من أصحاب المناصب يصدق عليه قوله تعالى فى سورة النحل الآية ٧٦ :

« وضرب الله مثلا رجلين احدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم » .

والصغير حريص على منصبة أشد الحرص لأنه يعلم انه حين يتخلى كرسيه عنه يعود الى صغاره مجردا من ستار المنصب عاريا مما كان فيه من عظمة الوظيفة التى ألقى اليها فى غفلة من غفلات الزمان .

وفى حرصه هذا الشديد تغوص نفسه فى الخوف ويصبح ويمسى

مرتعش الفؤاد ممزق الخاطر مضطرب العقل يحاول قدر جهده أن يبدو شجاعا وهو بلا شجاعة جريئا وهو من الجرأة بريء كل البراءة !

ولا يجد الهزيل وقاية له من حاله هذه المثيرة للاشفاق والأسف الا أن يتكبر ما وســعه التكبر والله يقول عز وجـل « فلبئس مثوى المتكبرين » ·

وفى كل مكان للعمل كبار بأشخاصهم معتزون بايمانهم بالله يؤدون واجبهم كما تمليه عليهم ضمائرهم متوكلين على الحى القيوم الذى لا يضيع عنده أجر من أحسن عملا ··

والصغير يعرف هؤلاء ولكنه بدلا من أن يكرمهم ويعلى مكانهم ويقربهم اليه يزجرهم لأنهم يشعرونه بهوانه فهم أعزة وهو ذليل بخوفه ورعبه وقشعريرته · وهـم أقوياء بالله وبالحق وهو ضعيف بجهله واضطرابه ولوثته ·

ويصبح مكان العمل مضطربا لا يدرى العاملون به أيؤدون واجبهم فيصيبهم رئيسهم الأخرق بالعقـاب أم يجعلون عملهم هو نفاق الرئيس وليذهب العمل الى الجحيم ؟ !!! ·

وكل رئيس عمل نبراس لمن يعملون معه وقدوة ومثل وويل لعمل يكون الرئيس فيه مرتعش الأوصال. صغير النفس هينا على نفسه ومن يهن على نفسه يصبح أكثر هوانا على الناس ·

وأهم جانب فى رئاسة العمل سلامة الشخصية للرئيس · ويوم تتضارب قرارات الرئيس وتصبح بلا قاعدة واحدة ولا مبدأ ثابت واضح المعالم بين السمات يصبح العمل فوضى ضاربة · فاذا كان هذا العمل متصلا بالجماهير عانى الناس منه أعظم المعاناة ·

واليك فانظر الى المؤسسات جميعها تجد الصالح فيها هو الذى صلح فيها الرئيس · وتجد المنهار منها هو الذى يكون الرئيس فيها منهارا هين القدر اينما يتجه لا يأت بخير ·

وتطالعك الصحف فى الصباح وفى المســاء وفى كل وقت بأنباء مؤسسات خربت فى القطاع العام والخاص على السواء ولا تحتاج الى كثير بحث عن السبب فانك تجد مع الخبر ان سبب الخراب الأول هو القائمون على أمور هذه المؤسسات ·

وما تسمعه من همس الناس ومن أقوالهم أشد مرارة على النفس مما تنشره الصحف · فالصـحف فى أغلب الأمر لا تنشر الشائعـات ولا الأقاويل انما هى تنشر ما ارتقى الى مرتبة الخبر ·

أما الهمسات والشائعات والأقاويل فمكانها ألسنة الناس وأسماعهم وقد يكون فيها كثير من المبالغة وانما هى فى مجموعها تدل على قدر من الحقيقة لا ينبغى أن نستهين به ·

وجماع هذه الأقاويل ترمى كثيرا من القائمين على الأمور بأقوال يندى لها الجبين ·

ولكننى أحب أن أحاول العدالة ما وسعنى الجهد وما أمكننى الله عز وجل ··

ان الرئيس فى كل مكان من عمل يعاقب ويكافىء ·· ولا أحد يرضى بالعقاب ·· وكل انسان ينزل به العقاب يرى نفسه مظلوما · وما بغريب أن يحاول هؤلاء أن يثيروا حول رؤسائهم ما يجعل الرئيس من هؤلاء شأنها عند الناس ساقطا فى نظر المجتمع · ولذلك فاننى أستمع الى الأقاويل الهامسة والشائعات الدائرة بكثير من الحذر وكلما كثرت الأقاويل وجب أن يكون الحذر أشد ·

وانما قصدت بحديثى اليك به من صدق عليه اليقين لا الهمس ·· والواقع لا الشائعة ·· وما هؤلاء بالقلة وانما هم ـ وللأسف الشديد ـ هم كثرة لا نستطيع أن نتجاهلها ولا أن نتعامى عن أثرهم العميق فيما تواجه من أزمات ولله الأمر من قبل ومن بعد ··

الأهرام ٢٤ يونية سنة ١٩٨٩ م

خواطر عن الشعر والنفاق

وقف الشعراء بباب الأمير وكل منهم يعتقد أن قصيدته خير قصيدة تنشد فى ساحة الأمير • وانه سينال بها من المال ما لا يدور بخيال بشر •

واذن الأمير للشعراء وراح كل منهم يلقى قصيدته فى انشاد ضخم فخم • حتى جاء دور أحدهم وراح يلقى شعره • وبلغ منه بيتا يزلزل السماوات والأرض والجبال والمخلوقات • أنشد بيته وهو يظن انه جاء بما لم يأت به الأوائل ولا الآواخر وان الأمير سيقوم من مجلسه ويحتضنه ويسكب عليه المال والجوهر ويجعله شاعره الأول • ولكن ويل له ان ما حدث كان عكس ما توقعه جميعا وما أعد نفسه له • كان البيت يقول للأمير •

أنت الذى تنزل الأيام منزلهـــــا   وتنقل الدهـر من حال إلى حـال

أنشـــد الشاعر بيته الكافر فاذ جميع الجالسين يهبون وقوفا من مجالسهم • والأمير أيضا ولكنه يقف فى غضبة شديدة ويصيح بجلاده •

ـ خذوا هذا الشاعر الكافر واخرجوا لسانه من قفاه •

وهكذا أعدم الشاعر حتف نفاقه وحتف رعب الأمير من إله الكون العزيز القاهر فوق عباده •

والشاعر له عذره فقد نسى الله ولم يفكر الا فى مدح الأمير والجائزة التى سينالها لقاء مديحه له • والأمير معذور فقد خشى أن يقول الناس انه سمح لأحد أن يرفع مرتبته الى مرتبة الألوهية ولم يعاقب الكافر على قوله ••

وهكذا كان الحال أيام كان الشـعراء لا يحصلون على قوت يومهم الا بمديح الأمراء والمبالغة فى هذا المديح ما وسعهم البيان وما استجابت له المعانى والكلمات •

ولم يكن للشعراء رأى فى هذه الأيام مع أنهم كانوا هم أعظم مجالات الاعلام وكانت السنة الناس تدور بشعرهم فيذيع فما كانت هناك مطبعة ولا صحف ولا اذاعة ولا تليفزيون •

وكان الأمراء يغدقون على الشعراء ويستجلبونهم الى أعتابهم ليكونوا هم صحفهم واذاعتهم وتلفزتهم . ولم يكن للشاعر خيار . فهو اما أن يمدح أو يصمت واذا أصيب شاعر بالضمير اليقظ فمصيره الزجر والأبعاد ولعل قصة أبى العلاء الشهيرة خير شاهد على ذلك قيل أن أحد الأمراء استقدم أبا العلاء ليكون ضمن حاشيته . وقبل أبو العلاء وذهب الى ديوان الأمير . فى جلسة ضمت الشعراء ووجوه البلاد وأقطابها أحب الأمير أن يظهر علمه بالشعر فراح يذم شعر المتنبى ويهون من شأنه والجميع يوافقونه على ما يقول فما كانوا يملكون الا الموافقة . الا أبا العلاء الذى لم يستطع ضميره أن يموت . فما كان من قبل من جلساء الأمراء وما يدرى كيف يسكت عن الرأى الحق فاذا هو يقول للأمير غير مكتف بابداء الرأى بل غامزا الأمير أيضا :

ـ والله يا مولاى لو لم يكن للمتنبى الا قصيدته التى يقول فى مطلعها :

لك يا منازل فى القلوب منازل أقفرت أنت وهن منك أواهل

لكفاه فخرا

فاذا الأمير يثور بابى العلاء ويقول لحراسة :

ـ اخرجوا هذا الأعمى من مجلسى ولا أراه بعد اليوم .

ويخرج أبو العلاء بأيدى الحراس الفراسة العنيفة وينظر الأمير الى جلسائه ويقول لهم : ـ أفهمتهم ما قصد اليه هذا الشاعر اللعين :

ويرتج على القوم ويكمل الأمير حديثه .

ـ انه يشير الى البيت الذى جاء فى هذه القصيدة والذى يقول فيه المتنبى بيته الوقح :

واذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل

وكان الشعراء يحبون أن يكونوا أصحاب الحظوة عند الأمراء ويغضبهم أن يروا الأمير يقدم شاعرا آخر أو يرضى عن شعره .

ترى المتنبى غاضبا ان قرب سيف الدولة اليه شاعرا آخر ، ويذم الشاعر الآخر المتنبى فيصغى له الأمير ويقول المتنبى قصيدته الخالدة .

ان كان سركمو ما قال حاسدنا فما لجرح اذا أرضاكمو ألم

ويقول :

أعيذهـــا نظرات منـــك صـــادقة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وينقضي هذا العهد ويصبح الشاعر صادقا مع نفسه فاذا نافق اليوم شاعر فهو ينافق مختارا لا مرغما ·

وحسبنا ان نذكر بيت شوقي في قصيدته الرائعة الخالدة :

ســـنون تمـر ودهــر يعيـــد لعمــرك ما في الليـــالى جـــديد

التى يقول فى آخرها :

وانى نـــواسى هـــذا الزمـــان فمـن للزمـــان اذن بالرشـــيد

ونراه يهاجم المعتمد البريطاني وبريطانيا تحتل مصر · فيذكر الأمير حسين كامل بنصف بيت ما حق يقول فيه :

شهد الحسين عليـه لعن أصـــوله وتصـــدر الأعمى بهـــا تطفيـلا

ويغمز السلطان فؤاد حين منع استقبال أم المحسنين بقوله :

برىء الرفــق من الســيف الذى منـــع الأم ملاقـــاة البنـــين

لا ترومى غـير شـــعرى موكبـــا ان شـــعرى درجـات الخالدين

كل حمـد لم أصـــغه زائـــل خالد الحمـد بمـــا صـغت رهين

رحم الله شوقي لقد كان والله كذلك :

الأهرام ٢٦ يونية سنة ١٩٨٩ م

الانتخاب أمانة الوطن

أخى المصرى أنت قادم بعد أيام على انتخـاب من يمثلك فى مجلس الشورى. واحسب انك لست فى حاجة الى من يقدم بين يديك أهمية هذا المجلس، فقد شاهدت وقرأت وسمعت المناقشات فيه وعلمت علم يقين الى أى مستوى رفيع يعلو فيه النقاش .

وأنا عضو بهذا المجلس منذ انشائه وشرفت بوكالته فى السنوات الثلاث الماضـية وأخشى أن أكيل له المديح الذى يستحقه فأصبح مادحا لنفسى وقبيح بالانسان أن يمدح نفسه عند الناس . واننى فى غنى عن المديح أصف به مجلس الشورى فقد توليت أنت عنى هذا العبء وسمعت منك رأيك كلما لقيتك أو قرأت لكتابك الشرفاء الذين يمثلونك أصدق تمثيل ويعرفون خوافى مشاعرك وخبىء رأيك ..

أنت اليوم تنتخب لهذا المجلس انتخابا فرديا مبـاشرا فمن ترانا نختار ليمثلنا فى مجلس العمالقة هذا .

اذا كنا سننتخب قريبا لنا لمجرد انه قريب أو صديقا لنا لمجرد انه صديق فما هذا بانتخاب فالانتخاب اختيار واصطفاء وانتقاء . وانت ــ ان فعلت ــ فما انتخبت ولا اخترت ولا اصطفيت اما ان كان صـديقك أو قريبك كفء المسئولية التى سيحملهـا وأهلا للرأى يبديه الى المصلحة العامة لا المصلحة الشخصية فقد وفقت فيمن انتخبت .

والانتخاب أمانة الوطن فى عنقك وهيهات ان تسلم لك نفسك ويهدأ ضميرك اذا اختننت هذه الأمانة .

واذا كنت ستنتخب ممثلك ليكون وسيلتك لقضـــاء حوائجك فى الحكومة وليدخل ابنك الى المدرسة وليرفع عنك المخالفات الزراعية وغير ذلك من خاصة شأنك .. فما انتخبت .

فأنت فى انتخابك انما تمثل أمة بأكملها ووطنا بأسره ولا تمثل أسرتك الصغيرة ولا نفسك . والوطن جميعه ينظر اليك فيمن تختار وأنت فى انتخابك حر . والحر هو الذى يعمل حريته للمصلحة العامة وليس لمصلحته الشخصية أو لمصلحة أسرته الصغيرة .

واذا كنت تتحلق فى المساء حول التليفزيون وتدخن المعسل ووجدت المرشح يقصد اليـك فى حلقتك هذه ويجتذب معك من أنفاس الجوزة فأنت أدرى الناس بباعثه الى هذا القدوم · ويا طالما سمعتك تقول فى دهشة لماذا يظن المرشحون اننا لا نفهم · ونحن نجلس طوال عمرنا هذه الجلسة فما له لم يقصد اليها الا ايام الانتخابات · فأنت أدرى الناس انه يحاول أن يمكر بك ولا يدرى أنك أنت الذى تماكره وتعلم دواخله والخبىء المستتر من أفكاره · وتعلم انه يحاول أن يظهر التواضع والبساطة · ولا يدرى انك تقول فى نفسك أين كان هذا التواضع وهذه البساطة قبل أيام الانتخاب ونحن أبناء اقليم واحد ؟ !!

وأنت بذكائك الفطرى تدرك ان الذى يتظاهر بالتواضع هو أقرب الناس الى التكبر حين ينال ما يريد ويصل الى ما يشتهى من صوتك ·

اذا انتخبت هذا العضو أهدرت حق الوطن فى عنقك وكان اختيارك وبالا على وطنك وعلى حقوقك الدستورية فى وقت معا ·

ومن بين المرشحين قوم باعوا دينهم بدنياهم وتظاهروا انهم هم حماة العرين وسدنته وحراس القرآن الكريم وحماة الذكر الحكيم · وأنت أدرى الناس ان هؤلاء يتاجرون بالدين · وشر المسلمين وغير المسلمين من تاجر بدينه من أجل منفعة دنيوية أو سلطان على الناس فى معاشهم وحياتهم وأنت تقرأ القرآن الكريم وتسمع آياته خمس مرات فى اليوم على الأقل · وتعلم كل العـلم أن الله سبحانه قال « انا نحن نزلنـا الذكر وانا له لحافظون » أفهؤلاء أشد قوة من رافع السـماء وخالق الأرض والجبـال والانسان والحيوان · أى شيطان جعلهم يتخيلون أنهم هم المسئولون عن المحافظة على القرآن الكريم · اللهم اننا نعرف اسم هذا الشيطان ومصدره ومستقره ومبتداه ومنتهاه ·

أفلم أقل لك أنهم باعوا دينهم بدنياهم ؟!

يقول الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم « لست عليهم بمسيطر » ويقول له فى آيات كثيرة فى القرآن الكريم ما معناه انما عليك البلاغ وعلى الله الحساب · فمن نصب هؤلاء مدعين وقضاة ومنفذين وحكاما فى وقت معا · وتلك منزلة لم تكن للأنبياء وهم الأنبياء · والله يقول لنبيه فى سورة الأنعام « وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل » ·

الى هؤلاء قولوا رأيكم وتمسكوا بدينكم فانه لا حياة لنا ان لم نتمسك بديننا الذى أنزله الله سبحانه وتعالى بالحق على نبيه صلى الله عليه وسلم ·

وليس ديننا هذا الذى يدعو اليه هؤلاء الارهابيون ولن يكون والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز القدير ·

ومن بين المرشحين من تقدم لينال بوجوده فى مجلس الشورى وجاهة بين الناس وهو فى نفس الوقت أبعد الناس عن رأى يسوقه أو علم ينتفع به الوطن · وأنت أعرف الناس بهؤلاء ـ بعد الله ـ فاذا انتخبت منهم من يمثلك فما انتخبت ولا أديت الأمانة ·

وبين المرشحين من يرشح نفسه لمكسب يناله أو غنم يهتبله بكرسيه فى المجلس العتيد هؤلاء النفعيون أنت أدرى الناس بهم وبمقاصـــدهم فالانسان لا يستطيع أن يخفى حقيقته وتاريخ الانسان حلقة متصلة · ومن تعود أن يمد يدا غير أمينة تمسى نفسه هينة عليه · ومن يهن مرة يسهل عليه الهوان الى أن يلاقي ربه · واياك أن ترجو لمثل هذا صلاحا أو تأمل عنده خيرا انما الشرف غريزة والخيانة طبيعة · ومن عرف الخيانة فى لحظة من لحظات عمره فهيهات هيها تأن يعرف الشرف فى يوم من الأيام ·

وبعد فهذه أمثلة أسوقها اليك ليست جامعة ولا هى مانعة وانما أضربها لك لتقيس عليها وأنت تختار ممثليك في مجلس من أعظم المجالس التي عرفتها مصر فى تاريخها الطويل ·

والاختيار أمانة يضعها الوطن فى عنقك فكن عند ثقة الوطن فيك · وفقك الله وهداك الى قصد السبيل انه سميع مجيب ·

يونية سنة ١٩٨٩ م

ديـوان الجـارم

لو لم يكن الجارم أصـــغر سنا من الثلاثة العظام الذين اقترنت أسماؤهم بجيل الازدهـار الأدبى فى مصر لذكر الناس شوقى وحافظ ومطران والجارم فى اطار واحد · فالجارم أحد العمالقة العظام فى تاريخ الشعر العربى تقرأ شعره فتقرأ النغم المسترسل الجميل والجرس الفخم المتالق واللفظ المختار المستقر فى موضعه وكأن العرب ما قالوه الا ليكون فى هذا المكان وانه من أعجب العجب أن يظهر ديوان الجارم منذ شهور ولا يتكلم عنه أحد وكأنه ما ظهر · أم ترى لم يصبح أي لون من ألوان الجهالة مستغربا في زمن التردي الأدبى الذى نعيش فيه ·

ظهر الديوان فى جزءين يضمهما مجلد واحد ويطيب لى ان أذكر تاريخ حياة الشاعر الكبير فى سطور كما جاءت فى صدر المجلد ·

ولد الشاعر بمدينة رشيد عام ١٨٨٢ ونال دراسته الأولية وحفظ القرآن ببلدته ثم انتقل الى الأزهر لينهل من علومه العـديدة على أيدى أساتذة أجلاء مثل الشيخ محمد عبده والشيخ عبد العزيز جاويش ثم التحق بدار العلوم حتى تخرج فيها وكان ترتيبه الأول على أقرانه فأوفد فى بعثة الى انجلترا عام ١٩٠٨ ومكث بها أربع سنوات ثم عاد الى الوطن عام ١٩١٢ حيث عمل مفتشا للغة العربية بوزارة المعارف ثم كبيرا لمفتشى اللغة العربية وعضوا بمجمع اللغة العربية منذ انشائه ثم عميدا لدار العلوم حتى سن الستين عام ١٩٤٢ وتوفى فى ٨ فبراير ١٩٤٩ وهكذا تجد من هذا العرض الموجز لحياة الشاعر الكبير انه جمع بين الأدب العربى من أصوله الباذخة وبين الأدب الانجليزى ولهذا لم يكن غريبا ان نجده فى القمة حين كتب رواياته التاريخية وحين تنـــاول بالتاريخ حيـاة بعض الشعراء ·

أما الشعر الذى جمعه هذا المجلد الجديد فهو شعر يقف مع أرفع قصائد العربية كافة ·

ويطيب لى ان أبدأ مقتبساتى من شعره بقصيدة من أشهر القصائد

العربية فى عصرنا وهى قصيدة بغداد التى ألقاها هناك فاذا العراق كلها ترددها فى اليوم التالى . أقرأ معى :

بغـــداد يا بلد الرشـــيد ... ومنـــــارة المجـــد التليـــد
ويا بســـمة لمـــا تـــزل ... زهــــراء فى ثغــر الخلـــود
يا موطـــن الحــب المقيـــم ... ومضـرب المثـــل الشـــرود
يا ســـطر مجـــد للعـــرو ... بـة خــط فى لــوح الخلــود
ياراية الاسلام والاسلام خفاق البنود ... يا مغـــرب الأمـــل القـــديم
ومشـــرق الأمـــل الجـــديد ... يا بنت دجـلة قـــد ظمئـــت
لرشـــف مبســـمك البـــرود ... يا زهـــرة الصـــحراء ، ردى
بهجـــة الدنيـــا وزيـــدى ... يا بســـمة لمـــا تـــزل
يا جنـــة الأحـــلام طـــال ... يا بهـــرة المـــلك الفســـيح
وصـــخرة المـــلك الوطيـــد ... بغـــداد يا دار النهـــى
والفـــن يا بيت القصـــيد ... نبـــت القريـــض على ضـــفا
فـــك بـــين أفنـــان الـــورود

وبعد فلو أطلقت لنفسى العنـــان لأوردت القصـــيدة كلهـــا فهى ــ لا شك ــ من عيون الشعر العربى . وليس بغريب عليها ما سمعناه من اعجاب العراق بها وترديده . ومن الشعر الذى أحفظه له قصيدته فى تكريم أمير الشعراء أحمد شوقى حين توافد أدباء الأقطار العربية لتكريمه وتنصيبه أميرا للشعر والشعراء .

يقول الجارم :

وقفـــت تجـــدد آثارهـــا ... وتنشـــر للعـــرب أشعارهـــا
وتبعث حســـان من رمســـه ... وتحيى عـــكاظ وســـمارها
بشـــعر لـــه نبـــرات تهـــز ... نيـــاط القلـــوب وأوتارهـــا
أطاعت قوافيه بعـــد الشـــماس ... جـــرىء القريحـــة جبـــارها
ونظـــم له نفحـــات الريـــاض ... اذا نقـــط الطـــل أزهارهـــا
فمـــن حكمـــة علمتهـــا الســـنون ... حـــوار النفوس وأسرارهـــا

لهــا صــفحة الكون منشــورة يترجــم بالشــعر أسطارهــا
وتشبيب لاه لعـوب الشـباب ينــاجى السـماء وأقمــارها
تــراه وظــل الصــبا وارف جمــوح العريــكة موارهـــا
يغنى كمــا صــدحت أيــكه وقــد نبــه الصــبح أطيــارها
ويبـكى فيبـكى رسـوم الديار حنانــا عليــه وآثارهـــا
وينسب حتى يلـين الهـوى وتقضى الصــبابة أوطارهـــا
وتنسى الكواعـب أى الحجـــاب وتبـــكى العجائــز أعمارهـــا

الى أن يقــول :

ويرســم أندلســا باليــراع فتلمس كفــك أســوارها
وان وصف الحرب خلت الحراب تســد من الأرض أقطارهـــا
فتمسك جنبـك ذعـرا تخــاف قنــاهــا وترهب بتارهـــا

رحم الله المادح والممدوح • فانك لا شك قد هزك هذا الشعر هزا كريما فانه لا يقوله الا شاعر محلق قادر ثرى النفس جياش العاطفة قادر على الكلمة يمسك بها حيثما تكون ويجريها فى نمير شعره فاذا هى جدول رقراق وبحر عظيم العطاء ونهر يجرى فى تاريخ الشعر العربى جمالا حيث يجرى وروحا وريحانا وزهرا وورودا •

وأسأل أين النقاد ليقدموا التحية لهذا الديوان فاذا هم فى شغل لاهون يشاهدون فيلما أو يبحثون عن جلسة فى التليفزيون أو حديث فى الاذاعة لا يكلفهم رهقا ولا يرغمهم على قراءة ديوان من أعظم دواوين الشعر العربى وأجد نفسى جالسا فى مقعد الناقد ولست به ولكن ما أحب الى نفسى أن أردد هذا الشعر وأرويه فاوقظ له من النقاد نائما أو أنبه له من أساتذة الشعر فى الجامعات غافلا • وحسبى الله ونعم الوكيل من قبل ومن بعد •

الأهرام يونية سنة ١٩٨٩ م

و ٠٠ رأى آخر

جاءنى هذا الخطاب من الأستاذ مهدى بندق وقد رأيت أن أنشره لان هذا حقه ولمكانة الكاتب ٠

« أخى الأستاذ ثروت ٠٠ السلام عليكم ورحمة الله وبعد طالعتك ـ كعادتك ـ سمحا كريما فى ردك على خطاب الأستاذ مصطفى الشكعة بصفحتك بالأهرام ٨٩/٢/١٧ والمنشــور تحت عنــوان « خطابان » ٠٠ بيد أن السماحة والكرم لا تغنيان عن الحقيقة التى يطلبها القارىء ويسعى جاهدا وراءها الكاتب ، ولان الموضوع الذى دار حوله الرأى والرأى الآخر جد خطير اذ هو ضوء يلقى على علاقة الأديب بالسلطة ؛ فلقد كان ضروريا أن أكتب اليك « والى القارىء الذكى » قائلا : بل لقد كنت على صواب فيما ذهبت اليه من ايراد حادثة المعــــرى مع الشريفين الرضى والمرتضى باعتبار مغزاها الأخلاقى والسياسى لا بقصد تحقيقها تاريخيا كمـا ظن الأستاذ الدكتور فبادر من ثم الى تصويب « الهنات » وما أدراك ما هى ٠٠ أخبار الشعراء الخالية ! ولكن من سيكون مرجعنا الأصدق حين نؤرخ ٠٠ ابن خلدون أم ابن الأثير ، المسعودى أم ابن العماد الحلى ، ياقوت الحموى أم القفطى والذهبى ، فون كريمر ومرجليوت أم نيكلسون أم سلمون ؟! وهم جميعا يضطربون فيما بينهم أشد ما يكون الاضطراب حين يقصون عن الشعراء أصحاب الفكر بالذات ، فما بالك سيدى حين يأتى دور التعليق والتحليل والتأويل ؟!

أولا يكفى أن قصــة قدوم أو استقدام ، أبى العــلاء لمجلس الرضى مازالت محل خلاف بين مؤرخى الأدب حتى اليوم ٠٠ وها هو ذا الأستاذ المحقق محمد فهمى عبد اللطيف يرويها بأسلوب (فى مقاله بمجلة الهلال عدد أغسطس ٨٢) ويرويها بغيرة المحقق المفكر سمير الصارم (فى كتابه «أبو العلاء المعرى » طبعة دمشق دار كرم) ومن قبلهما برأى ثالث العميد الدكتور طه حسين فى تجديد ذكرى أبى العلاء (طبعة دار المعارف) ؟! وكيف السبيل الى التثبت من حقيقة الواقعة (أقول حقيقتها وأركز على الكلمة) الا باللجوء الى أدوات الأديب الأصيل وأهمها وسيلة الاستبصار

Insigdt كما يقول أصحاب منهج الجشتالت الألمان ، وهى الادراك المباغت لما ينطوى عليه الموقف من دلالة ، وقد سبقهم الى تعريفها أبو الهلال العسكرى فى كتابه « الفروق اللغوية » حين عرفها بما يعنى انها « ما يتضح به الأمر للمتأمل كأنه يبصره » !

ويقيني انك — أيها الأستاذ ثروت — قد استبصرت بما علمته جملة عن أبى العلاء منذ شبابك ، ان الرجل ما كان له أن يقصد مجالس الطالبيين الا مضطرا أو مدعوا ، فلقد كان أزهد الناس طلبا للمناصب وللخلع السنية وفوق هذا فلقد كان معارضا صريحا لفكر الشيعة ونظرية الامامة وتنظيمات الباطنية ، حتى انه تصدى لهذا الكهنوت الذى تسلل الى الفاطمية من المسيحية الكاثوليكية فى « رسالة الغفران » وراح يعده مروقا عن الاسلام القائم على العقل ، فكيف لرجل تجاوز فى ايمانه بالعقل موقف المعتزلة أنفسهم أن يقبل مختارا على أصحاب دعوة دوجمائية معادية للاجتهاد ، دعوة تحصر العلم وطلبه فى طبقة أو فئة محدودة من الأئمة والدعاة وأهل الصفوة ؟! هو الذى قال فى اللزوميات :

يرتجى الناس أن يقوم امام	ناطق فى الكتيبة الخرساء
كذب الظن لا امام سوى العقل	مشيرا فى صبحه والمساء

فالأصح اذن ان المعرى استقدم الى مجلس الشريفين لغرض فى نفس يعقوب سرعان ما انكشف مع أولى خطوات أبى العلاء داخل المجلس اذ صاح به واحد من الطالبيين : من هذا الكلب ؟ وعلى الفور ردها الشاعر قائلا : « الكلب من لا يعرف للكلب سبعين أسما » موقف مشحون ملغوم لا ينتظر الا من يفجره ، فكان الشريف المرتضى هذا المفجر حين راح يسب المتنبى شاعر أبى العلاء المفضل ، فكان ما كان من الماح بنقص الشريف الرضى وعاهته العرج ، وكان ما كان من ضرب وطرد أبى العلاء على هذا النحو الذى رأيناه • وكان ما كان ••• من بعد — أن غرض أبو الحسن على النحو بعاهة أبى العلاء حين قال عنه « ليص عد الاصطبل » وهى فى لغة سمعها أبو العلاء انصرف مغضبا ولم يعد الى أبى الحسن أبدا » الى هذا أهل الشام تعنى الأعمى ، وفى هذا يقول ياقوت الحموى فى معجمه « فلما الحد كان شعور الأديب بكرامته وعزة نفسه مما يتنافى مع الظن بأنه هو الذى كان يقصد مجالس أصحاب السطوة والنفوذ مختارا ساعيا وطالبا للرضا والقبول كما أراد لنا الدكتور أن نفهم •

قضايا فكرية وسياسية وأدبية على أقصى درجة من الخطورة ، اختصرها قلمك المبدع فى عجالة تشى وتنم عن هذا المغزى الأخلاقى العظيم والذى اردت تكريسه بمقالك الأول ، الا وهو تأكيد كبرياء الكاتب المفكر

في مواجهة عنفوان المنصب وصلف بعض أصحاب السلطة ، فأصبت بما نوهت وذكرت انما أنت مذكر .

وأما عن « الهنات » فلو شئنا أن نصحح بعضها للأستاذ الدكتور لقلنا له ان أبا العلاء ذكر العدد « سبعين » - يقينا - وليس « ثمانين » كما قلت أنت ، ومرجعنا في ذلك كتاب السيوطي « التبري من معرة المعري » وهذا أعظم دليل على قصور وسيلة النقل ، فالناقلون كثير وهم رواة من البشر جائز جدا أن يخطئوا ، لذا لزم التنويه والتأكيد على انك - أيها الأستاذ ثروت - قد أصبت في حين أخطأ الدكتور . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مهدي بندق

وبعد فهذا هو رأي الأستاذ مهدي واني أقدمه ولا أعلق عليه فان أكن أنا موضوع المناقشة الا انني لا أستطيع أن أدعي ما ليس لي بحق فأقتعد كرسي الاستاذ الذي يقتعده الدكتور الشكعة أو كرسي الدارس المتعمق الذي يقتعده الأستاذ مهدي بندق .

وقصارى الرأي عندي انني ان كنت أصبت فبها والحمد لله وان أكن أخطأت فقد اعتذرت مرة من قبل وأكرر اعتذاري اليوم والحمد لله أيضا أولا وأخيرا انني أملك الجرأة على الاعتذار .

أما انني اعتمدت على الذاكرة فأمر لا شك فيه. فهل أسعفتني الذاكرة أم لم تسعفني . هذا أمر أترك للأساتذة الدارسين أن يناقشوه واقف أنا بمعزل على الحياد .

والله وحده ولي التوفيق

الأهرام ٣ يوليو سنة ١٩٨٩ م

أساور من حديد وصفيح

كم أشفق على أصحاب الرئاسة فى شتى مواقعهم ٠٠٠ وأكثر اشفاقى على هؤلاء الذين يحرصـــون على أن يقوموا بكل صـــغيرة وكبيرة فى مؤسساتهم ٠٠٠ ان هؤلاء يقضـون على أنفسهم بالفشـل الكامل الذى لا يدانيه فشل ٠

فأحسن الرؤساء هو الذى يختار لكل قسم فى مؤسسته رئيسا يثق فيه ويجعله ـ فى نفس الوقت ـ تحت عينيه يحاسبه ان أخطأ ويكافئه ان أصاب فان كان الخطأ جسيما نحاه وأتى بغيره ٠

أما رئيس العمل الذى يدعى انه يبت فى كل صغيرة وكبيرة فهو أجهل الناس بأصول الادارة ٠ ونتيجة جهله هذا انه سيقع فى أخطاء جسيمة حين يوقع ويعطل العمل تماما اذا لم يوقع ٠

وأغلب هؤلاء يفضلون عدم التوقيع وتكون النتيجة تكدس القرارات واذا كان العمل متصلا بالجمهور ضاع الجمهور وتبددت مصالحه ٠

وأعرف مسئولين يتولون مناصب كبرى هوايتهم جمع الرئاسات والاختصاصات فى يدهم ليتحكموا فى أقدار الناس وليعلوا فى الأرض متكبرين متغطرسين عتاة جزاؤهم كره من الناس شديد واحتقار وتجاهل لهم ٠

ولكنهم على موقفهم يصرون ويحسبون انهم آلهة فى الأرض خاب ما يحسبون ٠

ومن المؤسسات من ترى فيها جماعات تتحلق حول الرئيس كأنهم سوار من حديد ويكونون من أنفسهم جماعة ذات طقوس ماسونية لا تسمح للهواء الحر بأن يصل الى رئيسهم فى العمل انما يتنفس أنفاسهم وينطق ألفاظهم ويطيع آراءهم لأنه لا يعرف رأيا غير رأيهم ولا يسمع صوتا الا صوتهم ٠ فان سمعوا رئيس العمل يمدح موظفا ليس من جماعتهم فالويل والثبور لهذا الموظف يختلقون عليه الأكاذيب وينبشون قبور أهله بل وأصـــدقائه وينبثون فى الأرض منتشرين يبحثون عن أخطائه فاذا لم يجدوها اختلقوها فانهم يهلعون ان ينفذ واحد من ســـوارهم الحديدى

الصدىء الى أذن رئيسهم أو الى قلبه أو الى اهتمامه وهم يفزعون أن يتنفس هواء نقيا ليس من أنفاسهم فالسلطة هى معبودهم والتحكم فى أقدار الناس هو شغلهم الشاغل وهو وجودهم وكيانهم وحياتهم ٠

وهم حريصون كل الحرص على الا يصدر رئيسهم قرارا بترقية أو غير ترقية الا ان يكون هذا القر ر قرارهم ٠ فانهم يريدون لكل من يعمل فى المصلحة ـ التى رماها القدر فى أيديهم ـ الا يكون له ولاء الا لهم ٠ يسبح بحمدهم وحمدهم وحدهم ويشيد بفضلهم فلا فضل الا فضلهم وسبحان الله الملك الحق وعلا عما يدعون علوا كبيرا ٠

هؤلاء القوم يجهلون أنهم يجمعون على أنفسهم البغض والكراهية والمقت الشديد من كل الذين يعملون معهم لأن النتيجة الطبيعية لهذا الذى يرتكبون ان يكون السبق لأكثر العاملين نفاقا وليس لأكثرهم انتاجا ويتقدم الجهول الذليل ويتأخر الشريف الأمين ويضيع الحق ويفشو الباطل وينتصر الظلم ويتأخر العدل خجلان أسفا ٠

واذا كان هذا السوار يتحلق حول رئيس العمل من كبار الموظفين فانه يتلوه ـ دائما وبطبيعة الحال ـ سوار آخر من الصفيح يتمثل فى السكرتارية واللائذين بالسكرتارية ومن السعاة والمتصلين بالسعاة وان كان السوار الحديدى يبحث عن السلطة وحدها فان سوار الصفيح يبحث عن السلطة والمال الحرام فى وقت معا ٠

وقد شهدت مصر أمثلة كثيرة لهذه الأساور وكانت وبالا مقيتا وكانت شرا مستطيرا ٠

ولهذا الأساور أمثلة أكثر فى أيامنا هذه فى شتى المؤسسات قطاعا عاما كانت أو كانت قطاعا خاصا ٠

ولست أنسى ـ وأنا فى غمار هذا الحديث ـ مدى الظلم البين الذى شهده أستاذنا نجيب محفوظ فى عهد أحد وزراء الأوقاف حيث كان يعمل أستاذنا نجيب وكيف حرمته هذه الأساور من درجة يستحقها وظلت محجوبة عنه حتى نالها بحكم من مجلس الدولة بعد عشر سنوات من تاريخ أحقيته ٠

وانما ذكرت مثلا واحدا لأنه وقع على صديق لى يعرفه الناس أجمعون ولو شئت ان أذكر الأسماء التى وقع عليها هذا الظلم ما اتسعت جريدة الأهرام لها ولو جئنا للجريدة بعشرة أمثالها مددا ٠

وقد أقيل الوزير ونسيه الناس وجاء بعده وزراء كثيرون وخرجوا من الوزارة ٠

فليت هذه الأساور تذكر ان أى وظيفة الى زوال ولا يبقى الا وجه الله سبحانه وتعالى ويبقى ذكر الناس لصاحب الوظيفة وحكمهم عليه ٠

فليت هذه الأساور تعمل ليوم تزول فيه عنهم السلطة ولا يبقى منها الا ما قدمت أيديهم فى الأيام الخالية ٠

وليت هذه الأساور تذكر يوما لا ينفع فيه سلطان ولا مال ولا بنون الا من آتى الله بقلب سليم ٠

نحمد الله جل وعلا أن رئيسنا المبارك حسنى مبارك أبعد ما يكون انسانا عن تكوين جماعات حوله وأساور ٠ فكل صاحب رأى يجد منه ـ أبقاه الله ـ أذنا صاغية وقلبا لا يعنيه الا مصلحة الوطن والخير العام ٠٠٠ وفق الله خطاه وهدى الى السؤدد يمناه انه سبحانه قريب مجيب ٠٠٠

الأهرام ٣ يولية سنة ١٩٨٩ م :

خطابان

جاءنى هذا الخطاب الكريم من الأستاذ الدكتور مصطفى الشكعة وانى أنشره بجملته ٠٠

أخى الأستاذ ثروت ٠٠ حفظه الله ٠

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠٠ وبعد :

فاننى أتابع بمودة وحب ما ينطلق به قلمكم البليغ على صفحتكم بجريدة الأهرام مثلما يتابعكم غيرى من صفوة المثقفين وجمهرة القراء ومن هنا كان حرصى على التعليق على ما جاء بمقالكم يوم الاثنين ٢٦ من يونيو تحت عنوان « خواطر عن الشعر والنفاق » فى حادثتين أو خبرين ٠

الأولى : القول بأن « أحد الأمراء استقدم أبا العلاء المعرى ليكون ضمن حاشيته » الى آخر الحادثة أو الخبر والصواب فى هذا الشأن ان أحدا ـ أميرا أو غير أمير ـ لم يستقدم أبا العلاء لمثل ذلك الغرض ، وانما المعروف ان أبا العلاء كان قد ارتحل فى شبابه الى بغداد لطلب العلم والأدب ، وكانت بغداد حينذاك مدينة النور بلغة عصرنا ، وكانت أشهر ندوة علمية فيها آنذاك هى ندوة الشريف المرتضى ، وكان أمرا طبيعيا ان يتوجه اليها أبو العلاء فقد كان الشريف المرتضى هو نقيب الطالبيين وعالم بغداد وأديبها وكان يبدأ مجلسه بشرح آية من القرآن الكريم ثم شرح حديث نبوى شريف ٠ ثم يبحث فى الأدب من شعر ونثر ، وقد جمعت هذه الدروس جميعا فى كتاب نفيس من جزءين تحت عنوان « أمالى الشريف المرتضى » لا أشك فى انه على رفوف مكتبتك ٠٠ كان الشريف المرتضى هو الذى قصد اليه أبو العلاء وله قصة طريفة وهو يدخل المجلس اذ انه وهو يتخطى الصفوف اصطدم بأحد الجالسين والذى يبدو انه كان ضيق الصدر ، فشتم أبا العلاء قائلا : من هذا الكلب ؟ فقال له أبو العلاء : الكلب هو الذى لا يعرف للكلب ثمانين اسما ـ وفى رواية خمسين ـ ثم أخذ أبو العلاء مجلسه فى المنتدى وجاءت سيرة المتنبى فى حديث الشريف المرتضى بسوء وكان المرتضى يكره المتنبى كراهية غيره له ممن لم يفرقوا بين عبقرية المتنبى كشاعر وبين شخصيته كانسان ، وكان أبو العلاء مفتونا بالمتنبى حسبما هو معروف حتى انه شرح ديوان المتنبى فيما بعد وأطلق

عليه « معجز أحمد » أى أحمد بن الحسين وهو الاسم الحقيقى للمتنبى ، ثم كانت بقية الحادثة كما وردت فى مقالكم · بقى ان ننبه الى أن غضب الشريف من القصيدة لأن بها البيت الذى يقول :

واذا أتتـــك مذمتـــى مـــن ناقص   فهـــى الشـــــهادة لى بأنى كامل

ان الشريف المرتضى كان أعرج ، والأعرج من حيث المفهوم اللغوى يلقب بالناقص ومجمل الخبر ان الحادثة لم تكن بين أمير وأبى العـلاء وانما كانت بين الشريف المرتضى وأبى العلاء والخبر مشهور عند المهتمين بأبى العلاء والمتنبى على حد سواء وان غضب الشريف سببه أن كان ناقصا أى أعرج ومن ثم فقد كان أبو العلاء يعرض بالشريف ·

وأما الحادثة الثانية فتحتاج بدورها الى تصويب بسيط فقد جاء بنفس المقال ان المتنبى غضب من أن سيف الدولة قرب اليـه شـاعرا آخر ·· الى آخر الخبر ، والصواب ان سيف الدولة لم يكن قرب شاعرا آخر وانما كان المتنبى ينشد قصيدته المشهورة ـ ولعلها الأخيرة فى حضرة سيف الدولة ـ التى مطلعها ـ ·

وأحر قلبـــــاه ممن قلبـــه شبم   ومن بجسمى وحـالى عنـده سقم

وفيها غلا المتنبى فى مدح نفسه والفخر بشعره غلوا شديدا ووجه ، اهانات واضحة للأمير سيف الدولة مما لا يليق ان توجه الى مثله ، فغضب الحاضرون ووجهوا الى المتنبى الفاظا غليظة وفى مقدمتهم الحسين بن خالوية الذى اتبع شتائمه بضرب المتنبى بمفتاح كان فى يده وتبع ذلك ان قذفه سيف الدولة بمحبرة كانت أمامه ، ومثل ذلك لا يحدث من ابن خالوية أو من الأمير نفسه الا اذا كان الشاعر قد تجاوز المعقول وخرج على المألوف والذى يقرأ القصيدة يدرك ذلك جيدا ، فما كان من المتنبى الذى جرح حقيقة لا مجازا الا ارتجل هذا البيت البليغ ··

ان كان سركم ما قال حاسـدنا   فمـا لجـرح اذا أرضـاكم ألم

والحاسد هنا لم يكن شاعرا آخر قربه سيف الدولة ، وانما كان العالم اللغوى النحوى الشهير الحسين بن خالوية أستاذ كل من سيف الدولة والأمير أبى فراس ·

وبعد فاننى على ثقة من أنكم فى زحمة افتتاح مجلس الشـورى وضرورة كتابة المقال اعتمدتم على الذاكرة التى تسعف أحيانا ولا تلبى أحيانا أخرى ، ولم تكن ملبية هذه المرة ·

الأخ العزيز الأستاذ ثروت ··

ان مودتى لك وحرصى على أن تظل صـفحتك بعيدة عن الهنـات

دفعانى الى أن أكتب اليك هذه السطور ، والمرء يسر حين يكتب لأحبابه ، والمحبة تسبق التصويب ، وتقبل مودتى وتقديرى ..

المخلص

مصطفى الشكعة

وبعد فهذا هو خطاب الدكتور الشكعة وانى أشكر له التصحيح وأصدقه القول .. اننى أعتمد فى الخطابات الأدبية التى أوردها بمقالى على الذاكرة وهى كما تقول تسعف أحيانا ولا تسعف أحيانا أخرى ، وانما اعتمادى فيما أروى على الغفران من الذى يعرف دقائق ما أروى ثم على التصحيح من الأساتذة العظام أمثالك ممن تتيسر لهم المراجع حين لا تتيسر لى ، فقد قرأت هذا الكلام وأنا بعد فى مطالع الشباب وبقى منه فى الذاكرة المجمل وتسربت التفاصيل فى مسارب الأيام وأنا حين أكتب هذا الكلام تعليقا على كتابك الكريم لا أعتبره يرد عنى الخطأ فقد أخطأت لا شك فى ذلك . والفضل لك كل الفضل حين ترد القصة الى أصلها التاريخى المحكم .

ولست أملك ازاء كتابك الا الشكر والاعتذار .

وانتهز الفرصة وأنشر خطابا آخر وصل من الأستاذ محمود محمد مهران المحامى .

أستاذى المحترم ثروت أباظة .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته .

أكتب اليكم من أسيوط وهى فى جوف الصعيد ولذلك أكون سعيدا ولو وصلت اليكم رسالتى هذه حيث ان وصول مثلها بعد كثرة ترنحها فى عربات البريد بالسكة الحديد يعد أمرا جديرا بالاشادة به ، فان وصلت اليكم فذلك خير كثير لى وان لم تصل فحسبى اننى سعيد الى خير لم أناله وكما قال الشاعر :

على المرء أن يسعى الى الخير جهده وليس عليه أن تتم المطالب

أستاذى قرأت حديثكم فى الأهرام عن الشاعر على الجارم رحمه الله تعالى فوددت أن أخاطبكم بما يلى :

أولا : ذكرتم ان الجارم رحمه الله قد مات فى ٨ فبراير ١٩٤٩ ولكننى قرأت ان وفاته كانت عام ١٩٤٨ وهو يشهد حفل رثاء ويستمع لقصيدة من قصائده يلقيها ابن له فى رثاء سياسى مصرى ، فكم أكون سعيدا لو تفضلتم بتبيان هذا الأمر ومن هو ذلك السياسى المصرى المرثى .

ثانيا : ذكرتم أبياتا من قصيدة له عن أمير الشعراء شوقى حيث قال :

ويرســم أندلســا باليراع   نتلمس كفــك أســوارها

وبعده ورد بيتان آخران وفى الحقيقة فاننا يجب الا نغفل شاعرا قديما مجيدا كان أسبق من الجارم الى مثل هذا الوصف وهو البحترى حيث قال فى وصف ايوان كسرى :

فــاذا ما رأيت صــورة انطاكيــة   ارتعــت بـين روم وفــرس
والمنــايا مواثــل وانو شــروان   يزجى الصــفوف تحت الدرفس
تشــهد العـين انهم جـد أحيـاء   لهـم بينهم اشــارة خــرس
يغتــلى فيهــم ارتيــابى حتى   تتقراهــم يــداى بلمــس

وقبل انهاء رسالتى فان للجارم أبيــاتا يتحدث فيهــا عن العروبة ويخص فيها سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بأبيات رائعات وددت أن أذكركم بها ، فيقول مخاطبا سنا الشرق :

وشاهدت وسـط الجحفلين محمدا   وبين هدى الايمان والشرك مصرع
ان صــال فالدنيــا مجر رماحه   وان قال فالأيام عــين ومسـمع
ألم تره فى بردة الليــل ساجدا   ومنــه دروع الروم حيرى تفزع
سنا الشرق أشرق وأبعث النور ساطعا   يشق دياجير الظــلام ويصــدع

وأخيرا تقبل وافر تحياتى والى رسالة أخرى ان شاء الله المرسل محمود محمد مهران المحامى ٠

أما سؤالك عن المناسبة التى توفى فيهــا الشاعر الكبير الأستاذ الجارم فأنا فى الحقيقة لا أذكرها أما تاريخ وفاته فهو مكتوب فى الديوان الذى تحدثت عنه وقد تم طبع الديوان باشراف أبنائه وهم أساتذة لهم كل توقير واحترام منهم د٠ أحمد الجارم ٠ ومنهم الشاعر الرقيق بدر الدين الجارم ٠

أما الأبيات التى تفضلت فذكرت الشبه بينها وبين أبيات الجارم فهذا أمر ليس جديدا على الشعر العربى ٠ وأذكر أن أحد كبار النقاد قال عن الشعر ان الصياغة فيه هى الأساس وان المعانى لقى فى الطريق ٠ فلا بأس على الجارم فى التشابه ٠

وأشكر لك اهتمامك ولك خالص تحيتى ٠

الأهرام ١٧ يولية سنة ١٩٨٩ م

الثغر الباسم

لاترى حقيقة الناس الا حين يلتئم منهم شمل ويجتمع لهم جمع ..
وقد جئت الى الاسكندرية أحمل على أكتافى كل ما تعانيه مصر من ازمات وكل ما تنشره الجرائد من مرارة . وحسبت اننى سأجد الثغر فى الاسكندرية مكشرا عن أنيابه مما تطالعه به الصحف من جهامة . أو أرى فى وجهه قترة الحزن وتقطيب مهموم وكيف لا أنتظر ذلك والصحف لا عمل لها الا مطالعة الناس بكل ما هو باك يئوس بلا أمل . ولا بارقة من اشراق .

البطالة وويل لمصر من البطالة . لا تخلو صحيفة من الحديث عنها . وأعتقد ان البطالة مصدرها الحقيقى رفض خريجى الجامعة أن يعملوا فى الأعمال اليدوية التى تنقصنا فيها الأيدى العاملة وهكذا أصبحنا بين الشعوب عجبا .

بطالة فى ناحية ونقص فى الأيدى العاملة من ناحية أخرى وهو أمر ما رأيناه ولا سمعنا به فى أى بلد من البلدان وهذا فى تصورى ـ تخلف فى التفكير وتمسك بتقاليد عفى عليها الزمان وأصبحت لا تصلح لأيامنا هذه بأية حال من الأحوال .

ومع ذلك يصر خريج جامعة على أن يجلس الى مكتب بمرتب شهرى حقير ويرفض أن يعمل فى عمل يدوى بدخل يومى كبير !

وتصيح الصحف أدركوا الشباب من البطالة .

ونرى فى الصحف أزمة السكن ومع نفس الخبر وفى نفس الصحيفة الاقبال الحاشد على الزواج حين سرت بين الناس شائعة كاذبة مؤداها أن مواثيق الزواج توقفت عن التداول !

وأزمة نقود ونرى معها السيارات الفارهة تزحم الشوارع ونسمع عن أثمان الشقق فى العمارات الفاخرة فنسمع عجبا وجنونا وهوسا ماله من مثيل يقول بعضهم ربع مليون ويقول بعض آخر بل نصف مليون وبصوت هامس كفحيح ثعبان ضخم بل مليون ..

ويل للناس من الناس .. كيف يقبل انسان على نفسه أن يعيش فى بيت ثمنه يتراوح بين ربع مليون ومليون ولا يفكر فى اخوان له فى الوطن يكادون لا يملكون قوت يومهم ؟ ..

ولا تكتفى الصحف بهذا بل هناك أنباء هذا الوبال الجديد الزاحف على مصر بمخدرات يشمها من يشم أو يبتلعها من يبتلع أو يدخنها من يدخن ..

وهيهات أن أستقصى كل ما نصبح عليه من أنباء بل ان بعض الصحف والاذاعات لم تكتف بهذا البلاء بل هى تخوفنا من بلاء آخر قادم فى طوايا الزمن من بحر سيأكل الدلتا جميعا بعد ما لا أعرف من السنين وكأنما حللنا مشاكلنا الحالية وأصبح واجبا علينا أن نبحث مشاكلنا التى ستأتى بعد السنوات الطوال .

كل هذا يتحمله قارىء الصحف والى جانبه أيضا مصائب الأفراد من اغتصاب الى قتل الى سرقة الى حوادث من كل ذى عجل أو ذات جناح !

ويل للانسان من الانسان ...

ليس عجيبا اذن أن أتوقع وأنا فى طريقى الى الاسكندرية أن أجد العبوس والأسى والحزن على شواطئها فالجموع هناك تجسم الحقيقة .. وفى الحشد الحاشد ترى ما لا تراه عند الشخص المنفرد .

سبحانك جل جلالك يامالك الناس وملاذهم ومرفا الأمن والطمأنينة فى حياتهم ..

الناس هنا سعداء يطفح البشر على وجوههم كأنهم يعيشون فى وطن غير الوطن الذى تصدر فيه هذه الجرائد والتى تذاع فيه هذه الأنباء .

هم فى البحر يسبحون ويقفزون وهم يتضاحكون فى سعادة هادرة داخل نفوس لا دخل فيها ولا تكلف ولا اصطناع . وفيم يتكلفون ولمن ولكن هو الله سبحانه فى قدرته المعجزة أرسل الطمأنينة الى قلوبهم فهم يعلمون ان فى السماء رزقهم وما يوعدون .. وان ما قدره الله كائن وعليه فليتوكل المؤمنون .

انهم جميعا مؤمنون حتى من يخطىء منهم أو يرتكب معصية هو فى داخل نفسه ذو ايمان عميق وما الخطأ منه الا ضعف انسان هو بعده عائد الى الله تائب منيب .

وان لم يكن مؤمنا عميق الايمان فكيف يستطيع أن يضحك ويسبح ويقفز فى البحر مرحا وهذه الأنباء القائمة تحيط به من كل جانب ..

بهذا الايمان عاشت مصر على مدى القرون ··

بهذا الايمان واجهنا الاحتلال من عهود الفراعنة حتى اذن له الله أن يمحى ·· والعجيب المذهل ان روايات التليفزيون تزيد الأمر بؤسا وقتامة وكيف بك وأنت ترى مسلسلا الأخ فيه يأكل أخاه ويحتال عليه وينزل به من الشرور ما لا تدعو اليه حاجة ·· فالشرير غنى والمظلوم فقير ولا يكتفى المؤلف العبقرى بشرير واحد بل يصنع شريرا آخر يعتبر مثالا غاية فى الحقارة غير المبررة · وتستمر الحلقات وتنتهى فاذا بالشر ينتصر انتصارا باهرا واذا بالمظلوم يأكل حريق دبره له الشر أيضا !!

ومع ذلك فالجموع الزاخرة فى الاسكندرية سعيدة بلا عون الا عون الله فاذا تلمست من التليفزيون سلوى وجدته يزيد الهم هموما والحزن أحزانا ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز ذى القوة المتين ··

الأهرام ٢٤ يوليو ١٩٨٩ م

وا أزهراه

وقعت امرأة من اشياع المعتصم فى يد أعدائه فراحوا يعذبونها عذابا نكرا ولم تجد المرأة ما تفعله الا أن تصيح بأعلى صوت لها « وامعتصماه » وسخر منها زعيم معذبيها قائلا :

ـــ سيأتى اليك على الخيل البلق · (والأبلق من الخيل ما فيه سواد وبياض) ·

وسمع المعتصم هذا الحوار وأقسم ليردن كيد عدوه الى نحره وأعد جيشا من الخيل البلق وأرسله الى المرأة وأنقذها من يد أعدائه ومعذبيها ·

وأصبحت الحكاية أمثولة يضربها من يكتبها اذا أراد أن يطلب الغوث والانقـاذ ·

فدعونا اليوم نحن المسلمين نصيح بأعلى صوت لنا « وا أزهراه » أين أزهرنا وما له يضرب دون صياحنا استارا تبعد به عنا ·· اننا نريده لينقذنا من جهلاء الدين الذين يفتون فيه بلا علم ولا تعمق أولئك الذين حسبوا الاســلام لحية وجلبابـا ونعـالا · وهم بما يفعلون يظنون انهم يحافظون على ديننا وهم أبعد ما يكونون عنه · تعاظم الاسلام أن يكون لحية وجلبابا ونعالا ·

الاسلام هو حياتنا الأولى والثانية هو عصامنا وايماننا أحب الينـا

وتنعقد الندوات ونرى فيها مشايخ أجلاء ليس من بينهم من يمثل الأزهر لتكون الكلمة منه صادرة عن أعظم جامعة اسلامية فى العالم وعن أقدم جامعة عرفها التاريخ ·

جدير بنا أن نقدم التحية الى مفتى الديار المصرية والى وزير الأوقاف فكلاهما يبذل فى هذه الندوات الجهد الجهيد ولست أدرى ولا يدرى أحد لماذا لا يشارك الأزهر بصفة رسمية فى هذه الندوات بأن يرسل واحدا من شيوخه ممثلا رسميا له ·

وا أزهراه هناك من تجرأ وادعى ان المخدرات ليس على متعاطيها حرج وأن الاسلام لم يمنعها · وربما يكون الأزهر قد أصدر بيانا متخافت الصوت

خفيض النغمة · لماذا لا يشارك الأزهر فى كل ندوة عن المخدرات ليكون رأيه مرجعا حاسما ·

وكنت قد ناديت من سنوات أن يكون حفظ القرآن الكريم شرطا لمن ينتسبون الى الكليات الدينية · ولقينى شيخ الأزهر فى ذلك الحين د· بيصار ووعدنى أن الذى أطالبه به سيكون ساريا فى مدى عامين ومر قرابة عشرة أعوام وما أحسب أن ما ناديت به تم ·

وأذكر ان المرحوم الشيخ الجليل أحمد الباقورى ناقشنى فى هذا وكان من بين ما قال ان الصحابة لم يكونوا جميعا يحفظون القرآن الكريم فقلت له أنا أطالب بحفظ القرآن الكريم لأن الدارسين للدين اليوم ليسوا صحابة · كفى الصحابة علما نور النبى الذى كانوا حوله · أما الدارسون اليوم فليس لهم عاصم الا القرآن الكريم وقلت له أيضا ان المشايخ لم يكونوا يلحنون فى اللغة العربية وكثير من خريجى الأزهر اليوم لا يستقيم لسانهم العربى وما ذلك الا لأنهم لم يحفظوا القرآن الكريم ·

واننى حين أنادى بحفظ القرآن الكريم لا أطالب بذلك محافظة على القرآن الكريم فالذى أنزل القرآن وعد بحفظه وانفذ وعده فعلا · وأصبح القرآن الكريم بأمر الاله الأعظم خالدا على الزمان ولا يحتاج الى من يحفظه ليخلد وانما ندعو أن يحفظ رجال الدين القرآن الكريم ليستقيم لهم هم دينهم ولسانهم · وليستطيعوا أن يكونوا أهلا للفتوى فى الدين واللغة جميعا ·

ولست فى حاجة الى أن أبين مقدار ضخامة الوشائج التى تربط بين القرآن الكريم وبين لغته ·

يقول سبحانه وتعالى « ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه · بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين » ·

وا أزهراه من اللغة العربية ان لم تكن أنت تأتى الى الخطابات من بعض المتخرجين فى الكليات التى تدرس اللغة العربية يفشوا فيها للأسف الشديد أخطاء نحوية بل واملائية أحيانا فواضيعتاه للغة القرآن الكريم اذا لم يحافظ عليها أزهرنا والمصابيح المهداة من أشياخه ·

لماذا يعتزل الأزهر الشريف دنيانا وماله لا يشارك مشاركة رسمية فى الأزمات التى نتعرض لها ·

وا أزهراه ·· أما كان جديرا بك أن تتصدى لما يحدث فى لبنان · الا من بيان والمسلمون هنــاك يقتل بعضهم بعضا · ان أزهرنا الشريف

صاحب قيمة عليا فى جميع البلاد التى يسجد فيها مسلمون لذى العرش سبحانه وتقدست آلاؤه ٠

وا أزهراه ٠٠ أما كان يخلق بك أن تتصدى لما يجرى فى أفغانستان وهى حرب المؤمنين المسلمين ضد الطغاة الغاشمين الذين يدعون انهم يدينون بدين الشيوعية ٠

الأهرام ٧ أغسطس ١٩٨٩ م

وميض

فى ضباب الأزمات ووسط ضجيج الأزمات فى لبنان وأفغانستان يندلع الى سماء الأمل اشعاعات من نور ترد عنا اليأس وتهب لنفوسنا وميضا من الهناء والسعادة ٠

فقد كان للعرب دائما السبق فى مجالات العلم ، وكانت أسماء العلماء العرب علما شامخا يحدو سماوات العلم والثقافة والكرم والعطاء فى شتى عصور ومختلف مجالات ولعل أشهر الأسماء التى لا يزال العالم كله يسير مقتفيا ما تركوه من أثار ٠ ابن خلدون وابن سينا وغيرهم كثير ممن لا تسعف بأسمائهم الذاكرة وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن تعود الأسماء العربية تتردد على ألسنة الانسانية وكانت بادرة خير حصول أديبنا الفذ وأستاذنا الكبير نجيب محفوظ على جائزة نوبل فى الآداب ليعلن الى الدنيا فى جميع أنحائها ان العالم يتابع دائما العصير النقى الكريم لعقول مثقفينا ويدرس ما تنتجه العقول العربية ومهما يطل الاهمال من العالم للرفيع الصريح من انتاجنا فلابد أن يأتى الوقت الذى لا يستطيع فيه أن ينكر فضل ريادتنا وعمق فكرنا وشمول دراساتنا ٠

وما هى الا شهور قليلة حتى تخرج علينا وكالات الأنباء العالمية تعلن انتخاب العالم المصرى الكبير الأستاذ الدكتور ممدوح جبر نقيب الأطباء رئيسا للاتحاد العالمى لجمعيات أطباء الأطفال فى العالم وهو يعد بحق أكبر منصب علمى عالمى فى مجال طب الأطفال وما جاء هذا الانتخاب الا اعترافا بدور الدكتور ممدوح جبر الرائد وخطواته المتميزة فى هذا المجال وكان وبحق هذا الانتخاب فوز لمصر والدول العربية جميعا وتقديرا للرسالة السامية التى يحمل العرب لواءها المتميز ٠

ولا ننسى ونحن فى مجال الطب أن نذكر الجراح المصرى العالمى الدكتور مجدى يعقوب الذى أصبح فى غنى عن أى تعريف بما صنعته أنامله — بفضل من الله تعالى — وبما منح من الأمل لقلوب شاء قدرها أن تتوانى فى طريق الحياة والدكتور ذهنى فراج جراح القلب المشهور وابن البلد المصرى الذى لم تجرؤ برودة انجلترا أن تمس دفء لقائه بمرضاه العرب أو تنال من رحابة صدره وسعة قلبه وهو أمر ذاع فسمعناه ونرجو

الله ألا نجربه عن تجربة شـخصية الا أن يكون لقـاء معجب بمعجب به لا مريض بطبيب ٠

وأن يذيع أمر هؤلاء بين الناس أمر هو فى ذاته اشراقة عربية ترغم لمكافحـة السرطان وجاء هذا الاختيـــار باجماع العلمـــاء ورجال الطب

ثم جاء أخيرا نصر جديد للعرب فى لندن فى نهاية الشهر الماضى حين أختير سمو الأمير تركى بن عبد العزيز رئيسا فخريا للاتحاد العالمى لمكافحـة السرطـان وبماء هذا الاختيـار باجماع العلمـاء ورجـال الطب والشخصيات الانسانية العامة الذين شاركوا فى الندوة العلمية فى لندن من بين عدد كبير من المرشحين لهذا المنصب ولعلها المرة الأولى فى عمر هذا الاتحاد العالمى الذى أنشىء عام ١٩٣٣ أن يقع الاختيار على شخصية من غير الأطباء ٠

وقد صادف هذا الاختيار أهله بحق فالذين يعرفون الأمير تركى ، يعرفون عنه الشهامة والخلق واهتمامه الكبير بالخير ورعايته الشـاملة للمؤسسـات العلمية والطبية والانسانية ان اهتمام الأمير تركى بدعـم المؤسسـات الطبيـة بمختلف فروعهـا يعكس اهتماما واضحا منه بضرورة العرب حتى لقـد أصبحت « المؤسسة العالمية لمساعدة الطـلاب العرب «

وقد جاء اهتمامه هذا استكمالا لخطوات كبيرة واثقة فى دعم الطلاب العرب حتى لقد أصبحت « المؤسسة العالمية لمســاعدة الطلاب العرب » صرحا شامخا يذكر دائما مقرونا باسم الأمير تركى الذى أعطاها من ماله وجهده الكثير وقد شهد لها الأعداء قبل الأصدقاء وأصبح لسمعتها الدولية ثقة دفعت الجامعـات الكبرى فى العديد من الدول على رأسها الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا الى تخصيص عدد من المقاعد العلوية للطلبة الذين ترعاهم المؤسسة ٠٠٠

ان اختيار الأمير تركى فى هذا المنصب الرفيع تقدير تعتز به العروبة التى ثبت دائما انها رائدة متميزة فذة مهما تتباعد أضواؤها حينـا من الدهر عن سماوات العلم والثقافة والمجتمع الانسانى ٠

محاولة هذه منى أن تشرق نفوس من العرب عاشت وتعيش أزمات طاحنة خبا فيها البريق وأعجزها اليأس ولولا ايمان لها بالله قوى لايتزعزع لانهار الصلب من عمادها وتحطم الشامخ من عمودها وزلزل الثابت من يقينها ولكن الله اللطيف بعباده لا يزال يمدهم بلطف منه كريم لا ينقطع برطب الهجير من الحيـــاة ويدفىء الزمهرير من البرودة ٠ فما من كارثة والا معها لطفها سبحانه هو القاهر فوق عباده وهو نفسه تقدست آلاؤه الذى كتب الرحمة على نفسه وهو القريب أقرب من حبل الوريد يجيب

دعوة المضطر والعانى بوسائل لا تكون الا من عنده وبيده هى الرحمة وهى الصبر وهى الاشراق جل علاه ٠٠

يكثر الحديث عن الكاتب والتزامه واعجب فليس هناك كاتب يستحق هـذا اللقب الا أن يكون ملتزما ٠ فالكاتب يمثل القيم العليا فى المجتمع ويدعو اليها ويحث عليها وأخلاق الأجيال تتكون من المعانى الرفيعة التى تدعو اليها كتابات الكتاب ٠٠

والمعانى السامية تأخذ سمتها الأسنى مما يكتبه الكتاب ٠٠

فالأعمال القصصية والروائية والمسرحية تتسلل الى خفايا النفس وخبىء الحنايا من المشاعر البشرية لتثبت هناك معانى الشرف والنزاهة والكبرياء ومجابهة الظلم ومواجهة الطغيان والعفو عند التمكن والوقوف مع الضعفاء والمطحونين ونجدة الصديق عند العسرة ٠٠

الأهرام ١٤ أغسطس ١٩٨٩ م ٠

بين الالتزام والالزام ...

كل هذه المعانى وغيرها هى مضمار الأعمال الأدبية والفنية وهكذا يكون الكاتب ملتزما وهذا الالتزام لا يفارق الأديب وهو نابع من دخيلة نفسه .. وما رأينا كاتبا يدعو الى الانحلال أو الجبن أو الخيانة أو السرقة أو الضعة أو السفول واستحق أن ينال لقب كاتب . وهو لقب لا يمنحه حاكم أو ملك أو سلطان انما تمنحه للكاتب الجماهير التى تقرأ له فهى وحدها التى تجعل منه كاتبا أو لا تجعله . وهذه الجماهير لا تصلح عندها وساطة ولا ينفع لديها رجاء فأما ان تجعل الكاتب كاتبا من تلقاء نفسها ومن لقائها المباشر به أو لا تجعله .

ليس فى العالم قوة الا مشيئة الله جل علاه تستطيع أن تفرض كاتبا على جمهور .. وليس فى العالم قوة الا مشيئة الله جل علاه تستطيع أن تمنع كاتبا أن ينال مكانته عند الجماهير .. وليس يجدى فى هذا مديح كل السلاطين فى العالم .. ولا تجدى أيضا أوسمة الدنيا كلها وألقابها .. انما الكاتب بقرائه .. فاذا استطاع عهد من عهود الطغيان أن يفرض كاتبا بأن يأمر بنشر ما يكتب فى جريدة ما أو فى جرائد عدة . فلا بأس سينشر ما شاء ويكتب ما حلا فى جريدة أو ألف اذا شاء ولكن حين يأتى دور القارىء فهو واحد من اثنين أما قارىء يسخر مما يكتبه الكاتب ، أو قارىء يمتنع عن القراءة وهكذا يدرك الحاكم الطاغية انه عاجز وان الله وحده هو مقلب النفوس وهو الذى يهب لها الحب أو الكره ويهيىء لها الاقبال أو النفور .

وهكذا نجد أنفسنا ما دمنا تكلمنا عن الحاكم والكاتب نميل الى الالتزام وننأى به كل منأى عن الالتزام .

الالتزام ينبع من نفس الكاتب ومن صادق حسه بغير أن يفرضه عليه أحد أما الالزام فهو ما تسير عليه دول البغى والبطش من العدوان والدكتاتورية وهى دول فشلت أن تصل بالزامها للكاتب الى ما تريد ..

ان الكاتب لا يزدهر ولا يشرق ولا يصل الى قمته ان لم يصدر فيما يكتب عن نفسه هو .. وقد يضطر كاتب أن يخضع لسلطان غشوم ولكن

القلم ينفر منه ويصبح ما يكتبه بعيدا عن نفوس الناس ٠٠ وللناس ذكاء خالق يهتك ما وراء الاستار ويكشف الخفى من الأسرار ٠٠ سيعلم الناس من القراء أن كاتبهم أرغم على ما يكتب فيصبح ما كتبه غثاء أحوى غير ذى أثر عليهم ولا قيمة ٠

والناس تغفر للكاتب ما أرغمه عليه الحاكم الطاغية فهم يعرفون قسوة الطواغيت وبلاءهم وبلواهم ٠٠ حتى اذا ارتفع القهر عن الكاتب عرف القراء أنه عاد الى نفسه وعادت نفسه اليه وأقبلوا عليه كما تعودوا أن يقبلوا على كتابته حين كانت متحررة من القهر والالزام ٠ فالالزام كارثة تشل الصلة بين الكاتب والقارىء وتحطمها وتمزقها تمزيقا ٠ وعلى مدى السنين والأيام ما اصطرع حاكم وكاتب الا كان النصر للكاتب حتى وان قتل الطاغية الكاتب ٠٠ فانه حين يفعل يجعل من الكاتب شهيدا ويصير اسمه شهيرا جهيرا فى أرجاء المعمورة جميعا ٠

ولقد شهدنا دولا عذبت كتابا وعلماء ٠٠ وأطالت عذابهم وأفحشت فيه ولكن النصر كان أخيرا للكتاب والعلماء ٠ ومهما يمدح المؤرخون الطغاة فانهم حين يصلون الى قهر الطاغية للكلمة الحرة يضطرون الى توجيه اللوم للطاغية وتفنيد عدوانه تفنيدا شديدا ٠

كنت أقرأ كتابا لأحد الكتاب الفرنسيين عن نابليون ٠٠ وكان الكاتب معجبا غاية الاعجاب بنابليون حتى انه وهو الكاتب المعاصر الذى لم ير نابليون قط كان يتكلم عنه بضمير الجمع المتكلم فيقول ذهبنا وكتبنا وحاربنا وهكذا اعتبر نفسه جزءا لا يتجزأ من الامبراطور ٠٠

وحين بلغ الى الحرية فى عهد نابليون اضطر أن يقول ما معناه الواقع أن الحرية فى عهد الامبراطور كانت قتيلا فقد كان يمنع الكتاب أن يكتبوا رأيهم حتى لقد بلغ عدد الصحفيين الذين سجنوا فى عهده أربعة وعشرين كاتبا ٠٠ طبعا الكاتب الفرنسى لم يكن يعلم ما سيجرى بعد ذلك فى عهود طغيان أخرى والا لاعتبر هذا العدد الذى يراه ضخما ضئيلا غاية الضآلة اذا ما قارناه بأعداد المعتقلين والمعتدى على أعراضهم وحياتهم وهم فى سجون المعتقلات ٠

لا علينا ٠٠

انما الكاتب له أيضا وسائله ٠٠ فاذا منعه الطاغية أن يقول كلمة الحق صريحة واضحة مباشرة وجد وسيلته فى الرمز والاشارة وفى الكلمة التى تحمل المعانى الخفية ليدركها القارىء ٠٠ فالقارىء أذكى الناس حين يقرأ لكاتبه ٠٠ وكثيرا ما أدرك القارىء ما غاب عن بعض نقاد ومتخصصين ٠

فالكلمة الحرة تستطيع دائما أن تتنفس وأن تنطلق وقد يكون انطلاقها فى صاروخ الرمز أقوى ألف مرة من مركب المباشرة والوضوح ٠

استدراك

فاتنى أن أذكر من بين الأطباء العرب العالميين الذين ذكرتهم فى الأسبوع الماضى اسم الدكتور العربى العالمى أحمد عكاشة ٠ ٠مع أنه يمثل مصر فى المؤتمرات العلمية التى تجتمع للطب النفسى والأعصاب فى العالم أجمع وهو الآن رئيس الجمعية المصرية للطب النفسى والأعصاب ومرشح لرئاسة الجمعية العالمية لأطباء النفس والأعصاب ٠٠ رافعا بذلك اسم العرب ومصر ليصبح فى تخصصه علماخفاقا عربيا مصريا سماؤه العالم كله ٠٠ نرجو أن نهنئه قريباً بانتخابه للجمعية العالمية التى تشير بوادرها انها ستختاره رئيسا لها ان شاء الله ٠

الأهرام ٢١ أغسطس ١٩٨٩ م

سمعة أمراء الكويت يفوح

منها دائما أريج عبق العدالة والحرية

فى اطار ترحيب كل الأوساط المصرية بزيارة أمير الكويت سمو الشيخ جابر الأحمد لمصر ·· قال الأستاذ ثروت أباظة وكيل مجلس الشورى ورئيس اتحاد الكتاب بمصر : الحقيقة ان زيارة أمير الكويت لمصر هى زيارة أخ لأخوته وشقيق لاشقائه ونحن حين نقول ذلك عن زيارة سمو أمير الكويت للقاهرة فهى حقيقة لأن مصر بالنسبة للكويت تعتبر نفسها أرضا واحدة ومشاعر واحدة ولا يتصور القراء كم كان أسفنا حين نسمع عن أحداث تقع فى الكويت وكأنها تقع فى مصر نفسها وهذا شعور لا يكون الا بين أخوة ·· وليست أخوة حكم فقط ولكن أخوة فى الشعب ·· مشاعر الشعب المصرى تحمل للشعب الكويت وأمرائه أعظم التقدير وأعظم الاخلاص وخاصة ان سمعة أمراء الكويت عندنا يفوح منها عبق جديد دائما فى العدالة وحب الحرية والديمقراطية وهذا أمر يجعلنا نشعر أن أخواننا الكويتيين يعيشون فى بحبوحة من الحرية وكل نظام لا تكون فيه حرية الواقع أنه يكون وبالا على الشعب والحرية التى يعيش فيها وينعم بها اخواننا فى الكويت تدعونا الى الاكبار والاجلال لكل الحكام الذين يتولون مسئولية العمل فى الكويت وعلى رأسهم أمير البلاد ·

وأنا أتصور ان أمير الكويت فى لقائه مع الرئيس محمد حسنى مبارك سيناقش العديد من القضايا بحكم موقعيهما فى بلديهما العربيين فالعرب لن يكونوا القوة الثالثة فى العالم الا بالتآخى والتكاتف والتوافق والتواصل بين بعضهم البعض ·

وأرى ان من أهم القضايا التى يجب ان تطرح على بساط البحث بين سمو الأمير والرئيس مبارك القضايا الاقتصادية للوطن العربى ·· قضية لبنان ·· وقضية أفغانستان ·· وقضية ايران ·· فالقضايا ضخمة وكبيرة وثقتى كبيرة فى أن خبرة أمير البلاد أمير الكويت وخبرة الرئيس واسعة على طريق الحل لكل القضايا المطروحة على مائدة البحث والمناقشة ·

وحول العلاقات الثقافية بين دولة الكويت وجمهورية مصر العربية تحدث ثروت أباظة رئيس اتحاد كتاب مصر فقال : سأعطيكم مثلا : حين

ذهبت الى الكويت عام ١٩٧٣ لأول مرة عقدت ندوات فى جميع مكتبات الكويت ودهشت اننى لم أدخل مكتبة الا ووجدت فيها كتبى جميعا كاملة حتى ما كان منها قد ظهر قبل زيارتى بشهر أو شهرين وجدتها فى مكتبات الكويت والمكتبات العامة وهذا أمر يدل على مدى التلاحم الثقافى والفكرى بين مصر والكويت .. كما أننى لم أدهش لأننى وجدتهـم فى الكويت يعتبرون أدبهم أدبنا وأدبنا فى مصر أدبهم وهم دائما يعلقون على ما نكتب ويكون مثار جدل بين المثقفين هناك .. وهكذا الأمر أيضا بالنسبة لنا .

وهناك بالطبع العديد من القضايا الثقافية التى يجب ان تناقش على هامش زيارة سمو أمير الكويت للقاهرة ومنها تبادل الكتب والمكتبات وليت الكويت تعاوننا فى ترجمة الأدب العربى الى اللغات الحية حينئذ يكون التعاون الثقافى بيننا مثمرا ومؤديا الى نتائج عظيمة جدا لشعبينا وللأمة العربية كلها . وليت الكويت ومصر تقيمان دارا خاصة لترجمـة الأدب العربى وخصوصا الروايات والمسرحيات والقصص وقد استثنيت ترجمة الشعر .. لأن الشعر عندما يترجم يفقد مذاقه وجان بول سارتر له كلمة عظيمة عن الشعر يقول فيها الشاعر يخدم اللفظ والكاتب يستخدم اللفظ فاللفظ سيبهت اذا ترجم الشعر من العربية الى غيرها ، لكن البحوث والقصة القصيرة الروايات والمسرحيات اذا ترجمت الى الأدب الغربى تبقى معانيها وفحواها كما هى .

واننى بصفتى رئيس اتحـاد الكتـاب فى مصر أرحب كل الترحيب بالأخ القادم الى بيته الأكبر وأنا أثق ان مشـاعرهم تتعاطف مع مشـاعر الشعب المصرى كما تتعاطف مشاعر الشعب المصرى مع مشاعر الشعب الكويتى .

جريدة السياسة ٢٨ أغسطس ١٩٨٩ م

الأزهر عند الأقباط

أقدم بين يدى القراء هذا الخطـــاب الذى وصلنى من الأستاذ حليم فريد تادرس ٠

استجابة لطلبك الغوث والانقاذ بعنوان « وا أزهراه» ـ أهرام ٨/٧ ـ وسؤالك : أين أزهرنا ؟ وهو أزهرنا أيضا نحن المسيحيين أقباط مصر وليس أزهر المسلمين فحسب لأنه أولا مجمع لحماية الدين الاســلامى الذى كفل لنا نحن المسيحيين حرية العقيدة والاعتقاد وهما أسمى ما يملك الانسان ، ووضع قوله تعالى « لا اكراه فى الدين » عنوانا لمعاملاته مع غير المسلمين ولأن من فوق منبره ـ ثانيا ـ خطب أقباط مصر سنة ١٩١٩ ضد الاستعمار الانجليزى وهو ثالثا ـ الذى خضع له الحكام والأمراء وتزعم الحركات السياسية الكبرى وكان حربا على الظلم والطغيان وعوانا على الحكام الظالمين « حتى ٢٣ يوليو !! » وهو رابعا ـ الذى حفظ ما بقى من التراث العلمى والعربى وقاوم عوامل الانحلال والضعف والعجمة خلال العهد العثمانى ، وهو خامسا ـ ومن قبل ومن بعد ـ جامعة كبرى للتربية والتعليم الدينيين ، أقول استجابة لطلبك الغوث والانقاذ ولأن الأزهر هو أزهر جميع المصريين ٠

أشاركك استغاثتك وأعتذر عن الانقاذ طالما بقى « قانون تطوير الأزهر » الصادر سنة ١٩٦١ وهو القانون الذى بمقتضاه تحول الأزهر الجامع والجامعة الاسلامية الكبرى الى جامعة مدنية شائهــة وممسوخة يدرس فيها الطب والصيدلة والهندسة والمحاسبة والزراعة والترجمــة الفورية حتى كلية الدراسات الاسلامية غيروا اسمها قبل سنوات قليلة الى كلية الدراسات الانسانية مع أن الدراسات الاسلامية أشمل وأعم من الدراسات الانسانية ، وكلية دار العلوم وطوروها الى كلية مدنية يلحقون بها حملة الثانوية العامة من الحاصلين على أدنى مجموع درجات ليتخرجوا فيها معاول هدم للغة القرآن الكريم ، وبمقتضاه أيضا الغيت « جماعة كبار العلماء » التى قامت منذ سنة ١٩١١ لتتفرغ لدراسة أمهات الكتب فى العلوم القديمة وتكليف كل عالم من أعضائها بتدريس العلم المتمكن منه بالطريقة الأزهرية فى التدريس ولكى تكتمل الحلقــة الجهنمية أدخلوا

شيوخ الأزهر فى دائرة الكادر المدنى ليكون من بينهم « المدير العام » و « وكيل الوزارة » و « نائب رئيس مجلس الوزراء » وفى مستهل العام الحالى دعانا الجهاز المركزى للتنظيم والادارة بالقاهرة الى دورة تدريبية للترقية الى درجة « مدير عام » وفوجئت فى هذه الدورة بوجود شيوخ أجلاء من علماء الأزهر رشحتهم وزارة الأوقاف والأزهر لحضور هذه الدورة دارسين مع المرشحين لها من مختلف الوزارات والمؤسسات فلا عجب ان تخلى شيوخ الأزهر وعلماؤه عن لقب « الشيخ » وأثروا عليه الألقاب العلمية والدرجات المالية من قبيل دكتور ومدير عام ووكيل وزارة ورحم الله أستاذنا الشيخ الجليل محمد عبد الله دراز الذى كان يحاضرنا — ندبا من الأزهر — فى « تاريخ الأديان » فى قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة فؤاد « القاهرة حاليا » فى أواخر الأربعينات ومستهل الخمسينات ، وكان يحمل درجة دكتوراه الدولة من جامعة باريس بمرتبة الشرف الأولى ، وكان يغضب أشد الغضب حين نستخدم فى مخاطبته لقب « دكتور » وكان غلاف مؤلفه المرجعى « الدين : بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان » يشير الى أن مؤلفه « عضو جماعة كبار العلماء » فحسب ، وقل مثل ذلك فى أستاذنا حجة الفلسفة الاسلامية الشيخ مصطفى عبد الرازق وأحمد أمين وأمين الخولى وأبو زهرة وغيرهم والواحد منهم بألف مما يعدون وقارن ذلك بحمى الألقاب والدرجات المالية التى أصابت شيوخ أزهرنا العتيد بعد « تأميمه » سنة ١٩٦١ وكله على طريقة « العالم العلامة والجهبذ الفهامة » أو « الشيخ الفقيه والعالم النبيه مفتى الأنام الوالى الولى » الى آخر ما نقرأه تحت أسماء المؤلفين فى عصور الضعف والتدهور والانحطاط لكن فى أسلوب عصرى مطور فكان لقب « دكتور » سابقا على الاسم وكانت الدرجة المالية مدير عام أو وكيل وزارة لاحقة عليه . وبعد ذلك لاتسأل : لماذا انصرف الأزهر عن ساحته وخرج من جلده ولماذا أصابه العقم فلم يقدم أمثال رفاعة الطهطاوى وجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وطه حسين وأحمد أمين وأمين الخولى وعلى عبد الواحد وافى وعبد الحليم محمود وغيرهم مئات ، علامات مضيئة على طريق الثقافة الاسلامية ولاتسأل لماذا لم يتصد الأزهر — كما تصدى من قبل — للحكام الذين طوروا انسان مصر الى غراب حزين تمطر السماء من فوقه سلاحف وجرذانا رغم انهم رفعوا شعار « ارفع رأسك يا أخى فقد مضى عهد الاستعباد » ولا تسأل لماذا أصبح مدرس اللغة العربية فى المدرسة أفنديا لايميز بين الصفة والحال ، و « ان » و « ان » ويهرب من تدريس التربية الدينية بعد ان ارتدى ملابس « الجينز » ورحم الله أساتذتنا من شيوخ الأزهر الأجلاء الذين جلسنا اليهم فى الفصول الدراسية فى منتصف الأربعينات وعلى يديهم تذوقنا اللغة العربية نحوا وصرفا وأدبا وبلاغة ولايزال جيلى يذكر منهم الشيخ الصوالحى بعمامته وجبته وقفطانه وعلمه

الموسوعى وأحمد عبد اللطيف بدر الذى يحمل فى دماغه « لسان العرب » و « القاموس المحيط » ومحمد محمود خليل الشاعر المجيد ولاتسال لماذا هبت على شعبنا الطيب الوديع رياح التطرف الدينى ولا تسأل لماذا ادمن كثرة من نشء هذه الأمة بنين وبنات الهيروين شما أو حقنا ولاتسأل لماذا مصر لم تعد مصر ولم يعد المصريون هم المصريين وكان مصر ـ كما قال شيخنا توفيق الحكيم فى لحظة يأس وغضب مقدس ـ قد أصبحت بطنا كبيرا أو جيبا مع ان عين ابن أدم وبطنه لايملأهما الا التراب وغدا أو بعد غد . وكما قال بحق الرئيس حسنى مبارك فى أول خطاب له أثر تولى الأمانة : الكفن بغير جيوب .

لقد ارتفعت من قبل مأثر الحملة الفرنسية على مصر وما صاحبها من تحولات بعض الأصوات بالشكوى مما آل اليه أمر الأزهر آنذاك وعلى الخصوص أصوات الشيوخ الأجلاء حسن العطار ومصطفى العروسى ورفاعة الطهطاوى وجمال الدين الأفغانى ، ولو كان هؤلاء قد عايشوا محنة تحويل الأزهر بقانون الى جامعة مدنية وتخلى شيوخه عن لقب الشيخ لكانوا قد أشعلوها نارا ولو كان هؤلاء قد عاصروا الغاء « جماعة كبار العلماء » لكانوا قد استشهدوا فى سبيل الدفاع عنها .

والى أن يعود الأزهر ذلك الحاضر الغائب الى ساحته مسجدا جامعا ، وجامعة اسلامية كبرى ، حارسا لدعوة الاسلام حاميا لفضائله ومعرفا بها دارئا الشبهات عنه مقربا من مذاهبه مصححا عقائد أفراده والشعوب بصدده ، مبصرا ولاة الأمور وغيرهم بأحكامه وموجها أنظارهم الى التزام حدوده مفتيا فى مسائل العقيدة وما الى ذلك مما أصبح بالنسبة للأزهر المطور فى خبر كان ، والى أن يتبوأ الأزهر مكانه البارز الذى كان له فى الزعامة الفكرية والقومية ويعود مشاركا فى قيادة الحياة السياسية والاجتماعية فى مصر والعالم الاسلامى ، والى أن يعود شيوخه وطلابه على ما كانوا عليه تأميمه من اخلاص للعلم فى ذاته وطلب المعرفة للمعرفة والتضحية بكل شىء فى سبيل الدرس والبحث وشرف العلم والأعراض عن مغريات الدنيا من ألقاب ومناصب ودرجات مالية الى أن يتحقق للأزهر مجده القديم وليس ذلك بمستحيل ، أرجو ألا تمل من دعوتك الى الانقاذ .

أثرت أن أنشر هذا الخطاب من بين سيل الخطابات الذى جاء الى رقد أختلف مع الأستاذ حليم فى بعض تفصيلات ، ولكننى ولا شك معجب بخطابه هذا كل الاعجاب وكم يسعدنى أن أنشره معبرا عن رأى اخواننا

الأقباط الذين يعتبرون الأزهر حاملا لرسالة قومية تعين العرب أجمعين في مشارق الأرض ومغاربها واني أرجو أن يجد الأزهر في هذا المقــال مايستنهض عزيمته فيعود الى الحياة العامة التي يفتقده فيهــا العــرب فلا يجــدون .

ولله الأمر من قبل ومن بعد .

الأهرام ٢٨ أغسطس ١٩٨٩ م

نعم ٠٠٠ وا ٠٠ أزهراه

الأزهـــر الحاضر والمستقبل

نعم ٠٠ وا ٠٠ أزهراه ٠٠ فان فى جنابه الأمان والسكينـــة لمصر وللمجتمعات الاسلامية من حولها ٠٠ بل وللعالم أجمـع ، وان فى رأيه الأمين المخلص سبيل الرشاد ٠٠

لقـد نادى الأستاذ ثروت أباظة فى مقـالة بصحيفة الأهـرام يوم ١٩٨٩/٨/٧ ٠٠ وا ٠٠ أزهراه ٠٠ ونحن نقول : لبيك ٠٠ فان الأزهر لم يتغير ، ولايزال على العهد به علميا لمصر ، حافظا لتراث الاســـلام ٠ وفيا للأمانة التى حملها ــ منذ كان ــ قادرا على أدائهـــا ، بفضل وعون من الله ، سبحانه ، باذلا من أجل دينه وأمته غاية الجهد ٠

لقد جاءت كلمات الأستاذ ثروت أباظة فى مقاله ، نداء وربما عتابا للأزهر الذين يرحب بندائه وعتابه المخلص ، فهو صديق قريب ٠٠ يكتب عن ايمان وغيره على الأزهر ٠

وكنت قد عزمت أن أتحدث الى الأستاذ ثروت فى لقـــاء خاص به أفضى اليه بما يطمئنه ٠ وبما يدفع التساؤلات التى عرضها المقال ، فانى لا أستحسن أن تكون أمور الأزهر وسياسته ــ بصفة عامة ــ مكشـوفة مطروحة للمناقشة على صفحات الصحف يتلقفها من يحسن قراءتها ومن يزور عنها لذات نفسه ، ويحرف الكلم عن مواضعه ٠ لكننى ألغيت فيما بعد قوما استغلوا المقال وجعلوه ســـبيل للمز الأزهـــر ٠ والعيب له ٠ والتنقص منه ٠

والذين يلمزون الأزهر قوم يظلمون أنفسهم ، ويظلمون دينهـــم ووطنهم فالأزهر ــ فى سمو مكانته ــ يخطو بثبات ووقـــار ، فى الألف الثانية من عمره المديد المفيد يشيع الأمن والأمان فى نفوس هذا الشعب الذى هو منه وله ، ويمتد نفعه ونفحاته الى شعوب الاسلام كافة وللعالم جميعـــا ٠

وانما يعرف الفضل من الناس ذووه ، فها هو الأزهر الشريف فى ماضيه التليد وحاضره المجيد ينهض بأعباء كبيرة جدا ، تتسع دوائرها

ومجالاتها ، ولاتقتصر على مجرد عمل تعليمى ، أو توجيه ارشادى ، أو رأى فى الدين ـ وهذا فى ذاته عبء ضخم يحمله الازهر ويؤدى حقه بعون الله ·· ولله ··

ان من مسئولية الأزهر وعمله حفظ الكيان المعنوى · لهذا الوطن ولأمة المسلمين ، وبث الطمأنينة فى هذا الكيان ، ليبقى عامرا بالايمان نابضا بالحياة قويا أمام الأحداث والمحن التى تتربص به · ويربط الأزهر بين مصر والعالم الاسلامى ويجعلها مطمح أنظار المسلمين ومهوى قلوبهم وآمالهم من كل مكان · يؤدى كل هذا وغيره دون من أو تفاخر ، يؤديه فى وقار يليق بمكانته ، يقول ما يفعل ، وهو دائب على العمل لله ، عاكف عليه ·

وان من نعمة الله على هذه الدولة أن حباها الأزهر وباركها به وبارك لها فيه ·· فأصبح رمزا لها وجزءا عزيزا من كيانها ·

ولقد تغيب هذه الحقائق أو بعضها عن بعض الصادقين المخلصين من أبناء هذا الوطن ، فيسارعون باللوم كلما ساورهم القلق ، أو أخذتهم الغيرة على الأزهر ، ويتوجهون اليه بالعتاب ـ الهين تارة ، والعنيف أحيانا أخرى ـ لظواهر رأوها أو أقوال سمعوها أو قرأوها وهى فى الواقع حديث افك يحب بعض الناس ن يشيع عن الأزهر لغرض أو مرض ·

ونحن نشكر لأولئك الصادقين حسن نواياهم وسلامة مقاصدهم ونأسف لموقف هؤلاء الذين يفصحون بأفكهم عن دخائل نفوسهم · وليس بين الأزهر وأصدقائه ـ مثل الأستاذ ثروت ـ أستار نبعد بها عنهم فالنفوس حفية بهم · والتواصل قائم باذن الله ··

أما الشباب ممن وصفهم المقال « بأنهم حسبوا الإسلام لحية وجلبابا » والذين اشتدوا بالرأى فى الدين ، وخاصموا جمهور أمتهم على غير بينة ، فان الأزهر يعالج أمر هؤلاء بجهود علماء الدعوة وعلماء المعاهد الأزهرية المنبثين فى ريف مصر وحواضرها ، بل فى كفورها وعزبها ، وبواديها وان كان لايلاحقهم التليفزيون أو الصحافة ، لانهم يؤدون العمل حسبة لله ، وفى الله ، لا للاعلام والاعلان ، يتحدثون لكل بيئة بما يناسبها وأعتقد أن هذا يرضى الأستاذ ثروت وأمثاله من الغيورين على حماية الاسلام وأمن هذا الوطن ·

وينبغى الا ننسى أن الأزهر للجميع : للمخطىء والمصيب ، وسيظل الأزهر ـ ان شاء الله وبعونه ـ على نهجه هذا يقيل العثرة ، ويرشد الضال ، ويعين على الخير ويهدى اليه ·

هؤلاء الأبناء لايستطيع الأزهر ان يخاصمهم مهما اشتدوا فى النفرة والبعد عن جادة الطريق · ولا أن يتخلى عنهم أو يبرأ منهم ، فان مخاصمتهم تقطع الأمل فى أن يسمعوا النصح ، أو يعملوا به ، أو يعودوا الى الحق والرشاد الذى نرجوه لنا ولهم ·

بهذا المنهج وبالصبر والمصابرة والمثابرة بعث الأزهر علماءه الى المساجد والمصانع والجامعات ، والمدارس في المدن والقرى ، بعث اليها كبار الدعاةوقادة الوعظ ، وعلماء المعاهد يختلطون بهم ، ويجلسون اليهم ، فى شتى مجتمعاتهم ويجرى بينهم الحوار حرا طليقا ، يرشدونهم الى الحق فيما يثار من قضايا ، وهكذا يجرى الحديث على تواصل لاقناع الشباب ، واقناع أهليهم بوجه الحق ·· وصحيح الرأى فى الدين ، دون تشهير بهم بين المواطنين ·

هذا خط ارتاه الأزهر أجدى وأنفع فى علاج هذه المسائل حيث شاع أن هؤلاء الشباب لا يحضرون الندوات ، التى تعقد وتحشد لها وسائل الاعلام المتنوعة ويديرون ظهورهم للعلماء اشارة الى كراهية الحضـــور والاستماع اليهم ، لأنهم يرون أن فى هذا اثارة لهم ولغيرهم ، وليس هذا غضا من قيمة هذه الندوات فى توعية الشباب بوجه عام لا سيما أولئك الذين لم يتورطوا فيما نسب الى بعض الفئات من الغلو فى الدين ومحاولة فرض آرائهم بالقوة والعنف ·

ومن ثم فالأزهر مع الأستاذ ثروت أباظة فى تقديم التحية والتقدير لصاحبى الفضيلة مفتى الجمهورية ووزير الأوقاف على ما يبذلون من جهد فى هذه الندوات ··

لكنه ينبغي أن يلاحظ أن وجوه العمل فى هذا المجال كثيرة ، وانها لاتنحصر فى أسلوب واحد · وقد اختار الأزهر لنفسه مهام أخرى هى أصعب المهام فى هذا المجال ، تحمل الأزهر وحده عبئها ، وهو يرى انها هى السبيل الأساسى لعلاج هذه المشكلة ·· « ولكل وجهة هو موليهـــا فاستبقوا الخيرات » ··

ان المهمة التى اختارها الأزهر لمواجهة هذا الموقف وأمثـــاله تعنى بأمرين :

الأمر الأول : حماية المفاهيم الاسلامية — بصفة عامة — ان يتسرب اليها هذا الخلل أو التشدد ، وحماية الأجهزة الحيوية بهذا البـــلد أن تضطرب مفاهيمها أو يهتز كيانها المعنوى ·

الأمر الثانى : محاولة اللقاء بهذا الشباب المتشدد والقرب منه ، واجراء الحوار معه اجراءمباشرا دون اثارة أو تشهير أو مصادرة ، وانما بالايضاح والاقناع ·

وفي سبيل تنفيذ هذه المهمة في شقها الأول يعنى الأزهـــر عناية خاصة بجهاز العلماء والدعاة الذين يبعثهم للقيام بمهمة التوجيه المعنوى لرجال الجيش والشرطة بالذات ، والشعب بوجه عام ٠

ثم يقف بالمرصاد لكل فكر يتهدد استقرار هذا الوطن فى معنوياته وعقائده ، وما يطمئن اليه من أحكام الشرع الحنيف ، فيما يحرر أو يصدر من كتب ونشرات ٠

وقد حشد الأزهـــر لهذه المهمة مجموعة واعيـــة من الباحثين والفاحصين ، تفودهم ادارة متخصصة ، ويشرف عليهم عالم على درجـة كبيرة من المسئولية والخبرة ، فلا يأذن لفكر دخيـــل أو رأى متشـــدد أو عدو مهاجم ، أو ذى هوى مفسد ، ان ينفذ الى ضمير الأمة ، أو يحرف عقائدها ، أو يوقد الفتنة بين طوائفها لتتفجر من داخلها ٠

ويعلم الله والمنصفون من أولى البصر ـ ان مايدفع الأزهر خطره من هذا النـــوع عن الوطن ، كم رهيب من المحـــررات والكتب والنشرات : رهيب فى مقداره : رهيب فى مكره وخبثه : رهيب فيما يبثه من أفكار ٠ رهيب فيما يتذرع به من حجج ، رهيب فى خطره ٠ يدفع ذلك بالكلمة الهادفة والعمل الصادق المخلص ويقف الأزهر مدافعا ، محتسبا ، فيواجه الحجة بحجة أقوى منها ، ويدفع البرهان ببرهان يدمغه فاذا هو زاهق ٠ ويرد هذه التيارات خاسئة خاسرة ، حتى سلمت ساحة مصر بوجه خاص وشعوب الاسلام بوجه عام مما أصاب غيرها من دوار ، اختلت به موازين الفكر ، فلم تعد تميز الخبيث من الطيب ٠

وأما الجانب الثانى من المهمة التى اختارها الأزهر لنفسه فى معالجة مشكلة الشباب المتشدد ـ فهو القرب من الشباب والصبر عليه ، والحوار معه مباشرة ، واللقاء به فى مدارسه ومصانعه ، ومساجده ، بـــل وفى قراه ، وبين عشيرته وفى المؤسسات الاجتماعية والسجون ودور الاصلاح وغـــيرها ٠

وقد أعد الأزهر لهذه الغاية دراسات كاملة فيما يتحدث عنه هذا الشباب من مسائل ، وعهد بهذه الدراسات الى علماء مشهود لهم بالكفاءة ممن تجلهم مجتمعاتهم وتوقرهم ، وتحترمهم ليواجهوا بها حجة الشباب ويناقشوه على ضوئها ٠

وهذا فى رأى الأزهر أجدى الوسائل فى معالجة فكر هذا الشباب وتصرفاتهم وهو ناجع بعون الله ـ فى الطب لهذه المشكلة مع الأيام ٠ ولاسيما اذا اتخذ هذا منهجا مدرسيا فى مراحل التعليم المتنوعة ٠

على انه ينبغى الا ننسى ان العلماء الأفاضل الذين يحاضرون فى الندوات التى تحدث المقال عنها هم من الأزهر : أصلا ، وانتماء ، وحضورهم

فيها حضور للأزهر ، وبهذه الصفة وحدها يتلقى الناس منهم التوجيه والارشاد الدينى ..

وانه لا افتراق بين المؤسسات الاسلامية فى مصر ــ بقصد أو بغير قصد ــ فى حقل الدعوة وطرائقها وان افتقدت التنسيق بينها « وأهملت » مؤسسات مؤثرة فى حقل الدعوة وواقعها ، ولكل ان يختار السبيل الذى يناسبه من سبل العمل لخير الوطن وخدمة الدين وان كان الأولى التنسيق والتكامل بين كافة المؤسسات ..

بقى لنا ان نتناول نقطة بارزة فى مقال الأستاذ ثروت أباظة وهى مقولة ان خريجى الأزهر لايحفظون القرآن الكريم ، ولا يحسنون الحديث باللغة العربية وهو تعميم فيه الكثير من التهويم ، وهذه المسألة يعرفها الخبراء والعلماء وذوو البصر بمجريات الأحداث ونتائجها وأثرها فى المجتمع .

وانه لا مراء فى أن دوافع الكتابة فى هذه المسألة بهذا المقال انما هى تعبير عن غيرة على الأزهر ، ورغبة فى أزجاء الخير له . لكن قوما يتخذون من هذه المسألة شعارا وسيفا يشهرونه على الأزهر كل يوم ويجعلونها سبيلا للتعريض به ، والنيل منه ، والكيد له .

انهم يتذرعون بهذه المسألة مثلما تذرع قوم من قبل للانتقاض على الامام على رضى الله عنه بمقولة : « لا حكم الا لله ياعلى » : شعار : يستتر به من يريد الطعن على الأزهر .

ان حقيقة هذه المسألة انه حدث بعد الحرب العالمية الثانية بهذا الوطن كما حدث بغيره حركة اجتماعية واضحة من حيث التحول الى الصناعة ، وتغير أنماط الكسب والعمل والسلوك ، واستهداف الوظائف .. مما أدى الى انصراف المحفظين عن مهنة تحفيظ القرآن الكريم ، وانصراف الآباء عن الحاق أبنائهم بالكتاتيب بالريف أو الحضر لحفظ القرآن الكريم .. وكان صدور القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بتعديل قانون الأزهر ، وصاحب هذا توسع من الأزهر فى انشاء المعاهد الأزهرية ــ الأمر الذى أدى الى قبول دفعات من ضعاف حاملى الاعدادية العامة ، بل ومن راسبيها للالتحاق بالمعاهد الثانوية ، ومن حملة الثانوية العامة الذين لم يقبلوا بالجامعات الأخرى ، للالتحاق بجامعة الأزهر مما كانت حصيلته بعض هذا النتاج الذى يلمز به الأزهر ويغمز . ولم يكن فى مكنة أحد ممن حملوا أمانة الأزهر بعدئذ ان يحذف هذه الدفعات ويلقى بها بكاملها فى الشارع بحجة انهم لايصلحون للدراسة الأزهرية . ولم يكن هذا ممكنا من الناحية العملية ، ولقد سهر الأزهر لعلاج آثار هذا الخطأ وتفادى ان يقع فيه مرة أخرى ، فقرر اغلاق الباب فلا يسمح لحاملى الاعدادية

العامة أو الثانوية العامة ، وما فى حكمهما بالالتحاق بالدراسة بالأزهر بكافة المراحل . هذا : بالرغم من المعارضة الشديدة لهذا القرار .

كما قرر حفظ القرآن الكريم بكامله بالمرحلة الابتدائية ، ثم يراجع الطلاب حفظ القرآن الكريم بالمراحل التالية من التعليم الأزهرى .

ورفع الأزهر مكافآت المحفظين الى مثل مرتب حاملى الشهادات الجامعية وجعل حفظ القرآن الكريم شرطا أساسيا لكل ترقية بين وظائف المعاهد الأزهرية والوعظ . كما جعله شرطا للابتعاث الى الخارج ، ورصد جوائز حسنة للفائزين فى مسابقات حفظ القرآن الكريم فى دورات شتوية ، وصيفية ، وعقد دورات تدريبية للمدرسات فى تجويد تلاوة القرآن الكريم بمعاهد الفتيات . وعزز نظام الاشراف والتوجيه للمدرسين ، وحفزهم للاجادة بحوافز سخية ، وأجرى بينهم مسابقات دراسية .

واتخذ الأزهر اجراءات تنظيمية واصلاحية بالغة العمق : من أبرزها تعديل خطط الدراسة بالمعاهد ، وتعديل المناهج ، وتغيير الكتب الدراسية ، وغير هذا كثير مما لايتسع المقام لبسطه .

والاصلاح التعليمى انما يجرى على أساس من الدراسة المتأنية ، ولاينفذ الا متدرجا وفى حذر ومع مراعاة الظروف الاجتماعية للطلاب ، وللعاملين بالحقل التعليمى ، فلا يتصور ان يؤخذ التعليم بالاصلاح فجأة ، وان تأتى النتائج فورا .

هذه اشارات محدودة لجانب واحد من جوانب الاصلاح والخدمة للأزهر جرى تطبيقها الآن واقعا عمليا ، ولكن أكثر الناس لايعلمون .

اما أن الأزهر لايتصدى لما يجرى فى لبنان . وما يجرى فى أفغانستان فهذه قضايا دولية ، تمسك بزمامها قوى عظمى ، تتحكم فى مصير العالم ، وتتنازع مناطق النفوذ فيه ، وتوجه حركات الشعوب ، فهل يكون للأزهر فى هذا المضمار مجال .. ؟؟

ومع هذا وللحقيقة فان الأزهر لم يتخل عن أداء واجبه تجاه لبنان وتجاه أفغانستان ، وهو حاضر بأرضهما ومع شعوبهما فى أحلك الظروف ، لم يقطع صلته بهما فى يوم من الأيام .

الأهرام ٤ سبتمبر ١٩٨٩ م

للأميــة أن تستشرى ..

ماذا نحن قائلون للأجيال القادمة اذا عيرتنا ان نسبة الأمية زادت فى عهد مجانية التعليم • وهل سترضى هذه الأجيال حين تطالعها الحقيقة المريرة ان خريجى الجامعة تزايدوا الى درجة أنهم لا يجدون عملا يعملونه وانه وفى نفس الوقت تزايدت نسبة الأمية الماحقة فى الشعب المصرى •

واعجب ما شاء لك العجب حين تجد بعض المتشدقين ذوى الألسنة المعوجة والأنوف المرتفعة على فراغ يقارنون بيننا وبين انجلترا مثلا فى احترام القوانين وتطبيقها وكيف أنهم هناك يطبقون القانون بفطرة مواتية وبوازع من دخيلة نفوسهم بينما نحن هنا نتحايل لنصل الى الوسيلة التى تعفينا من تطبيق القوانين •

والمقارنة غير واردة فقد احتفلوا فى انجلترا بوفاة آخر أمى عندهم منذ مايزيد عن عشر سنوات ومعنى ذلك ان الشعب عندهم على قدر من الوعى لايجوز معه ان تقارنه بشعب لديه من الأمية الماحقة ما عندنا •

واعجب ما شاء لك العجب ان المتمتعين بالأمية ليسوا مقصــورين على من فاتهم سن التعليم • وانما تشهدهم فى الأجيال الجديدة التى ولدت فى عصر مجانية التعليم المجيدة • ذات اللافتة العريضة والطنين المرتفع عالى الضجيج •

شاهدت برامج فى التليفزيون ظهـــر فيها فتيــان وفتيــات بين الثانية عشرة والعشرين من عمرهم أعلنوا علينا انهم أميون واميات وان آباءهم آثروا أن يجعلوا منهم ومنهن موارد رزق بدلا من أن يدخـــلوهم المدارس ويجعلوهم يتلقون من التعليم ما يرد عنهم غائلة الجهل الطامس المشـــين •

واعجب ما شاء لك العجب أن تتعالى شكوانا من التجـار الجشعين يغرزون مخالبهم فى ظهور أفراد الشعب ويبيعون لهم البضائع وقد رفعوا أثمانها أضعافا مضاعفة • والشعب يئن بالصوت الاعجمى الجاهل لأنه شعب به من الأميين مايندى له جبين الحضارة والانسانية • ولا يستطيع الشعب ان يرد غائلة التجار أو غيرهم ومن أين وبه هذه الكمية الهائلة من الأميين •

واعجب ما شاء لك العجب من الحملات المكثفة ضد مرض البلهارسيا تلك الحملات التى تكلف الدولة ما تكلفها من مال وجهد • ولو لم يكن بين الشعب هؤلاء الأميون ما احتاج أحد أن يبصرهم بمخاطر البلهارسيا وادران الترعة وآثار هذا المرض الذى يدل أول ما يدل على الجهل والأمية • فالأمية نكوص عن البشرية وتقهقر عن الانسانية وبعد عن كرامة الآدمى •

ان أول كلمة نزلت على النبى عليه أزكى الصلاة والسلام « اقرأ » ثم أكمل الآية « اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم » •

فالقراءة هى أكرم ماشرف الله به الانسان وحذار ان يعلوف بذهن أحد مقولة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان أميا •• لقد أراد الله له الأمية لتتم المعجزة ولينزل القرآن •• على المثل الأعلى الذى لايقرأ ولا يكتب •• ثم هو نبى فى غير حاجة الى علم بشر لان العلم ينزل على فؤاده من فوق سبع سماوات علما لايعلمه الله الا لمن اصطفاه ليكون رسوله الى البشرية كافة •

فأين هذا الانسان الفرد الذى لم تعرف له البشرية مثيلا والذى هو بحق وبصدق سيد البشر أجمعين أين هذه السماء من قوم ينزلون الى الترعة لتصيبهم البلهارسيا •

ان الآباء الذين حرموا أبناءهم التعليم حجبوا عنهم نور الانسانية وشرف البشرية وكرامة الآدمية •

واعجب ما شاء لك العجب أن تقوم الحملات المكثفة من أجل تحديد النسل •• ولو انك اطلعت على الاحصاء الخاص بعدد أبناء المثقفين وعدد الجهلاء لتبينت على الفور ان المشكلة مشكلة ثقافة •• فالمثقفون لاينجبون الا عددا قليلا من الأبناء بينما الأميون والجهلاء يطلقون المدى لذريتهم فتكون الكارثة •

والثقافة أقصى ما يصل اليه الانسان فكل مثقف متعلم وليس كل متعلم مثقفا •

فكيف اذن بالأمى الذى لم يتعلم •• ان هؤلاء هم اللب والأساس والسبب المباشر فى مشكلة كثرة العيال ونذكر بيت الشاعر القديم :

بغاث الطير أكثرها فراخا
وأم الصقر مقلاة نزور

واعجب ما شاء لك العجب من هذه الحملات الواسعة التى لا تنتهى عن الجفاف عند الأطفال وكيف ينبغى لأمه ان تسعفه بالمحلول ولو لم تكن

الأمهات جاهلات لبحثن هن عن الدواء ولما احتاجت الدولة ان تلح عليهن هذا الالحاح ..

والأمومة غريزة والأم التى تسىء الى ابنها لاتفعل ذلك الا عن جهل وأمية أو عن خطأ غير مقصود .. والخطأ بطبيعته عند الأمهات قليل الا أن يكن جاهلات فحينئذ يصبح الخطأ هو الأصل والصواب هو الاستثناء . فلو كانت الامهات على شىء من العلم ما احتاجت الدولة ان تاحف عليها وتلح ان تستعمل المحلول المضاد للجفاف .

وهل هناك أعز علينا من أبنائنا ؟ لقد جعل الله حبنـا لهم غريزة مركبة فينا نحبهم كما تنبض قلوبنا وكما تسرى الدماء فى أوعيتها من جسومنا ولا نتصور ان يلح علينا أحد ان ننقذ أبناءنا من مرض الا أن نكون جهلاء لاندرى كيف نواجه ما يحيق بأبنائنا من أذى لاقدر الله .

ولا تعجب فما دمنا نصيح ان التعليم مجانى الى الأبد وان التعليم حق للجميع ولا مساس ومادمنا نصيح ليل نهار الماء والهواء التى تبرأ منها صاحبها وأشهد الله على ذلك لا تعجب فما دمنا نصيح فلتزدد الأميـــة ما طاب لها ان تزيد ولتستشر ماحلا لها ان تستشرى .

ولا حول ولا قوة الا بالله ..

الأهرام ١١ سبتمبر ١٩٨٩ م

أقسم بالقلم لا بالسيف

جاءني خطاب من الأستاذ مجدى عواجة من العياط · وأنى أشكره أعمق الشكر على ما صدر به خطابه من ثناء ثم انطلق الى موضوع الخطاب الذى يحاول فيه الأستاذ مجدى أن يجد الوسائل لمحو الأمية وقد جعلنى هذا أفكر هل من وظيفة الكاتب أن يبحث عن الحل للمشكلة التى يثيرها·

الاجابة فى ـ الوهلة الأولى ـ تقتضينا أن نقول نعم ، ولكنك بعد ريث من التفكير تجد أن هذا مستحيل استحالة مطلقة فان محاولة الكاتب ايجاد حل لكل مشكلة يعرض لها بكتاباته تعنى منطقا ان الكاتب ملم بكل المشـاكل فى المجتمع وبأصـول هذه المشـاكل وبالآراء التى كتبت عنها وما تراه كل دولة من دول العالم وكل عالم مختص فى العالم أجمع وذلك هو المستحيل بعينه ·

أما أن يورد الكاتب الحل عفو الخاطر دون دراسة كاملة مستوعبة شـاملة فان هذا يجعل منه كاتبـا تافها يهرف ما لا يعلم ويشقشق بما لا يفهم ·

وواضح أن للأستاذ مجدى عباس دراسات فى مشكلة الأمية ولكن ان نشرت له رأيه أصبح لزاما على أن أنشر آراء جميع المهتمين بهذه الكارثة المهينة التى تدمر سمعة مصر وكرامتها · انما ينبغى أن يشارك الأستاذ مجدى برأيه فى دراسة شاملة تقوم بها وزارة الثقافة ووزارة التربية والهيئة العامة للشباب وينبغى أن تختار هذه الجهات العلماء من مصر ومن خـارج مصر وتأخذ الأمـر بالجدية الخليقة به ، هذا ما أستطيع أن أقوله ·· أما أن أدلى برأيى أنا فى الطريقة المثلى لمحو الأمية فهو أمر أنا غير مهيأ له بحكم ثقافتى ·

وكذلك أمرى اذا أنا كتبت عن مشكلة اقتصادية فانما قصارى الأمر منى أن أضع المشـكلة تحت نظر المسئولين ولكن هيهات أن أقول فى الاقتصاد رأيا على الرغـم من اننى درسته أربع سنوات كاملة فى كلية الحقوق ولكن الأمر ليس بهذه البساطة · ان الاقتصاد هو حياة الدول ولا يجوز لغير المتعمقين فيه أن يدلوا برأى ·

وقد رأينا الجهل الاقتصادى حين حكم كيف هوى باقتصاد مصر الى الحضيض ففى تلك الأيام ـ لا أرجعها الله ـ كان خطيبهم وخطبهم يقول لقد قرأت كتابين فى الاقتصاد فوجدته كلاما فارغا · وكان يقول أنا لا شأن لى بالنظريات الاقتصادية · أنا أعمل وعلى رجال الاقتصاد أن يضعوا النظرية لما أعمله ·

كلام ما سمعنا مثيلا له فى الجرأة على قيمة العلم ، وانصاف الجهلاء هم أعظم الناس هجوما على العلماء · لأن نصف الجاهل يخيل اليه دائما انه عالم بكل شىء · أما الجاهل فيعرف أنه جاهل ولا يعدو بجهله على العلماء وهناك مثل انجليزى أحبه يقول : « لست صغيرا لدرجة اننى أعرف كل شىء » وأنصاف الجهلاء ـ فى الغالب الأعم ـ صغار لدرجة انهم يعرفون كل شىء ـ فى ظنهم المريض طبعا ·

والكتاب ليسوا أنصاف جهلاء ولن يكونوا وانما هم علماء فى الأدب متفهمون للحياة فى ألوانها الشتى الأخرى وهذا التفهم يسمح لهم بأن يقدموا المشكلة وما يحيط بها اذا كانت مشكلة لا تتصل بدراستهم ثم هم يتركون المشكلة بعد ذلك لعلمائها والمسئولين عنها ·

واعتقادى أن مشكلة محو الأمية ينبغى أن تهتم بها ـ أولا وقبل أى جهة أخرى الهيئات ـ الشبابية التى أراها ـ للأسف الشديد ـ تعنى بأقدام الشباب ولا تهتم برؤوسه وتلك عجيبة من عجائب القدر ·

كم صرخنا أن يضعوا مكتبات فى النوادى الرياضية الريفية وغير الريفية ولكن لا حياة لمن تنادى ·

وهنا يثب الى ذهنى ذلك السؤال الذى سأله لى صديق أثير :

وماذا بعد أن تكتبوا كل هذا الذى تكتبون ما الفائدة ؟

واذا فكرنا هذا التفكير لطوينا أشرعتنا وتركنا أقلامنا تجف وقد جفاها أصحابها وراحوا يبحثون عن عمل آخر غير فن القول وقد نخسر نحن الكتاب · بل ان مرارة الكلمة الحبيسة قد تقتلنا قتلا فالذى تعود أن يقول لايستطيع أن يسكت ·

ينطبق هذا على جميع الناس فكيف بالكتاب وكل عملهم فى الحياة أن يقولوا ·· وأذكر قصة طريفة عن صديق لوالدى كان لا يكف عن نقد الناس ومواجهتهم بعيوبهم · ومرض هذا الصديق يوما وذهب أبى ليعوده فقال له :

ـــ ما رأيك يا حاج أن تنذر نذرا لوجه الله ·

ـــ ماذا أنذر ٠

ـــ اذا شفاك الله أتعاهد الله ألا تواجه الناس بعيوبهم ولا تسىء اليهم فى مواجهتهم وكان الصديق المريض مستلقيا على السرير حين قال له أبى هذا الحديث ٠ فاذا بالمريض يجلس فى فراش مرضه ويقول فى استنكار :

ـــ تعنى ألا أقول للمسىء أسأت ٠

ـــ هذا ما أعنيه ٠

فاذا بالمريض يصرخ ٠

ـــ لا يمكن ٠٠ الموت أحسن ٠

وعاد الى نومته يستقبل الموت فى ترحاب وسعادة ٠

فاذا كان هذا حال من تعودوا أن يقولوا ٠٠ فكيف اذن يكون حال من خلقهم الله لكى يقولوا ولا عمل لهم الا أن يكتبوا ٠

انما الكاتب وظيفته أن يكتب فقط وعلى المسئولين التنفيذيين من أهل السلطة أن يقلبوا الرأى فيما كتب الكاتب ٠ لهم أن يأخذوا به ولهم أن يميلوا عنه ولكن واجبهم أن يجيبوا الكاتب عما قدم من مشكلة ولماذا أخذوا برأيه اذا هم أخذوا ولماذا مالوا عنه اذا هم مالوا :

فاذا لم يفعلوا وهم غالبا لا يفعلون فعلى الكاتب أن يظل ممسكا بقلمه فبالقلم أقسم الله من فوق سبع سماوات ولم يقسم سبحانه وتعالى بالسيف وبالخنجر ٠ لأن القلم أعظم شأنا من أى سلاح فى العالم ٠ والكاتب فى منصبه يختاره الله بما أنعم على الكاتب من موهبة ٠

فالأرض تستطيع أن تختار أمراءها ووزراءها ٠ أما الكاتب فلا يختاره الا الله سبحانه وتعالى فى سمائه جل علاه الحى القيوم لنوره عنت الوجوه وخشعت الأبصار ٠

الأهرام ١٩٨٩/٩/٢٥ م .

الكتاب وضمير المجتمع

أمسكت حفيدتى ياسمين ابنة السنتين من عمرها بكوب كبير من زجاج وكوب آخر صغير وراحت تغترف الهواء من الكوب الصغير وتملأ به الكوب الكبير وظللت أتأملها وهى جادة كل الجد فيما تقوم به من عمل وقد كسا الاهتمام وجهها كأنها تقوم بعمل جليل ٠

وبهرتنى اللعبة التى تقوم بها ياسمين لقد وجدت فيها درجة من عدم المعقولية تقرب بها الى واقع الحياة التى نحياها فى عالم الكتابة والسياسة فنحن الكتاب نفنى حياتنا فى القراءة ومتابعة الحياة ثم نبذل حياة لنا أخرى يمدنا بها الله القدير فى سبيل أن نقدم ما نكتب الى المسئولين ولكن كتابتنا لا سميع لها ولا مجيب كأننا نحن الكتاب نملأ الفراغ فى الكوب الكبير بما نحمله اليه من الكوب الصغير ٠ وكله فراغ فى فراغ ٠

ولكنه فرغ يكلفنا أعمارنا وجهدنا وصحتنا ٠ وقد كتب الله علينا الا نستطيع القيام بعمل آخر ٠

ولكن اذا كنا فى الكتابة السياسية وكتابة المقالات نلقح الفراغ بالفراغ عند المسئولين فان عزاءنا اننا عند الناس موضع تقدير واجلال٠ ولم لا والكلمة التى نطلقها ليست عندهم فراغا وانما هى نبض قلوبهم وكلمتهم التى يريدون أن يقولوها ولا يجدون السبيل أو الأداة فاذا الكاتب سبيلهم وأداتهم ٠

وحسبنا نحن الكتاب أن نكون عند قرائنا كذلك وليس يعنينا من بعد اذا اعتبر المسئولون كلامنا فارغا أو اعتبروه شيئا جديرا بكل اهتمام ورعاية ٠

اننا نحن الكتاب سنظل نكتب وسنظل مصرين على أن نقول كلمة الحق التى نعيش لها وبها فان عملنا فى الحياة أن نكتب رضى عما نكتب أقوام أو لم يرضوا ٠٠

انما نرضى نحن الله وأنفسنا وانها لجليلة عند ربك أن ترضى نفسك ٠ فالنفس الشريفة لا ترضى الا بالجهد الجهيد والصدق القاسي

العنيف • سنظل نكتب مهما يكن الثمن الفادح الذى نبذله من حياتنا ومن أعصابنا ومن أنفسنا • وعند الله حسابنا وهو سبحانه لا يخزى القوم المؤمنين •

وهناك جزاء لنا نحمده حين نفكر فى أنفسنا ككتاب أعمال فنية من رواية وقصة قصيرة ومسرح وشعر اننا فى هذه المجالات نتوجه بأعمالنا الى الناس كافة وقد نرضى بعض ناس ونسخط آخرين ولكن لا شك أن الأخلاق العامة للبشرية تأثرت تأثرا كبيرا بالأعمال الفنية لأصحاب الأقلام •

ترى ذلك أوضح ما يكون فى الشعر والشعراء وانى ذاكر لك بضعة أبيات تريك أو على الأقل تذكرك بالأثر الهائل فى حياة العرب لهذا الشعر أقرأ مثلا :

ويجهد للمعروف فى طلب العلا لتحمده يوما عند ليلى شمائله

وأقرأ معى هذه الأبيات وكان يتمثل بها عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم طابوا وطاب من أولاد ماولدوا
محسدون على ما كان من نعم لا زايل الله عنهم ماله حسدوا

ألا تجد فى هذين البيتين كل قيم العرب أذاعها البيتان مؤثرين فيها متأثرين بها فى وقت معا •

واقرأ معى :

مصابيح فى الهيجا مكاشف للدجى بنى لهم آباؤهم وبنى الجد
وتعذلنى أفناء سعد عليهمو وما قلت الا بالذى علمت سعد

خلق عربى أصيل واذاعة للفضل وانتقاص من الظلم وهجوم على الباطل فى صياغة عربية فذة ترينا كيف كان الشعر العربى مؤثرا فى حياة الجماعة ومتأثرا بها فى وقت معا •

واقرأ معى :

وان الذى بينى وبين بنى أبى وبين بنى عمى لمختلف جدا
اذا أكلوا لحمى وفرت لحومهم وان طلبوا هدمى بنيت لهم مجدا
يعيرنى بالدين قومى وانما ديونى فى أشياء تكسبهم حمدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهمو فليس كبير القوم من يحمل الحقدا

وبعد فقد رويت لك كل هذا الذى رويت من الذاكرة ولو اننى عمدت الى الكتب لما اتسع لأمثلتى عشرات المقالات بل مئاتها ٠

والشعر أوضح الآداب تأثيرا وأثرا فى المجتمع أما الرواية والقصة القصيرة والمسرحية فهى تتسلل الى النفوس فى دروب خفية وتصنع المثل العليا والخلق الأسنى دون أن يكون لها صراحة الشعر وضجيجه ٠ فالشعر خطيب والقصـــة والرواية والمسرح متحدثون اليك يلقون الكلام كأنهم لا يعنون من ورائه شيئا غير التسلية بينما هم فى الحقيقة أصحاب أهداف ورسالات تصل الى العميق من نفوسهم المتلقين وتصنع دون أن يخسوا أخلاقهم ومثلهم الرفيعة ٠ وترسم لهم طريق حياتهم الانسانية جميعا ٠

وبعد فان كان الكتاب فى بعض الأحيان يكتبون فلا يجدون سميعا من مسئول ويحسب المســـئولون أقوالهم مثل كوب حفيدتى فراغا يملأ فراغـا ٠

فان الكتاب أنفسهم مع ذلك هم الذين يشـــكلون ضمير المجتمع ويرسمون طريقه ويرفعون الى الســـماء معالم الشرف والفضيلة والنبل وحسبهم هذا مكانا عند الله وعند عباده أجمعين ٠

الأهرام ٢٠ أكتوبر ١٩٨٩ م

بين القديم والحديث

سبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا الله . كلما أنعم الانسان النظر فى تاريخ الاسلام يجد عجبا . فترتيب الخلفاء الراشدين معجزة فى ذاته . ان يأتى أبو بكر ثم عمر آية من السماء ليصبح الاسلام على ما هو عليه اليوم من انتشار وقوة ومنعة .

ففى السقيفة رفع أبو بكر يد عمر ويد أبى عبيدة وناشد المجتمعين ان يختاروا واحدا من الاثنين وكلاهما من أقرب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويقول عمر فيما بعد ما معناه ما تولانى رعب فى حياتى أشد من رعبى فى ذلك اليوم وأنا أنظر الى نفسى رئيسا على قوم فيهم أبو بكر . وهكذا لم يكن عجيبا أن يصيح عمر يومذاك ببيعة أبى بكر ويتبعه أبو عبيدة ويبايع الحاضرون جميعا أبا بكر رضى الله عنه وتتم البيعة بعد ذلك .

وبعد فمن كان يتصور حين يتألب الخوارج على الحكم الاسـلامى رافضين أن يدفعوا الزكاة .. من كان يتصور أن يجرى هذا الحوار بين عمر المعروف بصلابته فى دينه وشدته وبين أبى بكر المعروف بطيبته ولين قلبه وميله للمهادنة يقول عمر ما معناه .

ـ أتحارب قوما يقولون لا اله الا الله ؟!

فيقول أبو بكر ما معناه .

ـ أحاربهم حتى يقولوها بحقها والله لو منعونى عقالا كانوا يقدمونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاربتهم عليه أو أقتل دونه .

كيف أصبح عمر فى لحظة بهذه الملاينة وكيف أصبح أبو بكر فى نفس اللحظة بهذه الشدة الا أن تكون معجزة سماوية كبرى ليصبح ديننا الأسنى الى ما صار اليه .

وينتصر المسلمون فى حرب الخوارج ويواجه أبو بكر أول تحـد للاسلام بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى ، بقلب من حديد وعزيمة لا تعرف الوهن وينتصر بأمر الله ويواجه التحدى الآخر الذى يشنه أدعياء النبوة بنفس الحسم وينتصر باذن الله .

ويوطد أبو بكر الرجل اللين العريكة الشفيف النفس الأواه الحليم القريب الدمعة أركان الاسلام بعزيمة لا تعرف الوهن ولا تمسها المهادنة ٠

ثم يأتى عمر ويفتح بالجيوش الاسلامية مشارق الأرض ومغاربها ويعزل « خالد بن الوليد » ويعرف العالم ان المسلمين هم الذين ينتصرون لا خالد ٠ ويقوم عمر بانشاء الدولة الاسلامية فى الداخل أيضا ويضع القواعد والقوانين لعماله فى أنحاء العالم الاسلامى المترامى الأطراف ٠

فأصبح للدولة ميزانية مستقلة لأول مرة فى عهده أما الآداب التى أخذ بها عماله فانى مقدم لك مثلا وسأكتفى به لأن الأمثلة كثيرة لا تسعها رواية أو قص ٠

هذا مثل قرأته فى كتاب العلامة الجليل أحمد التاجى سيرة عمر ابن الخطاب الخليفة الراشد ٠ يروى فيه ما يلى :

« سمع عمر ان سعد بن أبى وقاص فاتح العراق ، سكن فى قصر الامارة بالكوفة ، وجعل له بابا يحجبه عن المسلمين ٠

فنادى عمر محمد بن مسلمة الأنصارى وقال له :

انطلق الى سعد بالكوفة فاذا بلغتها فامض الى سوقها ، واشتر بدرهم حطبا ، وأحرق به باب القصر الذى يسكنه سعد ثم أعرف خبره وعد الينا سريعا ٠

وذهب ابن مسلمة وأحرق الباب وسعد فى دار الامارة فسأل سعد : من وضع هذا ؟

قالوا : محمد بن مسلمة ، وهو فى خارج الدار ٠

فأرسل اليه سعد ليدخل اليه فأبى ٠ فقام سعد اليه حتى أتاه عند الباب ، وطلب منه الدخول فرفض وسلمه كتاب عمر ٠ وقرأه سعد :

« بلغنى انك بنيت قصرا اتخذته حصنا ، وسميته قصر سعد ٠

وجعلت بينك وبين الناس بابا وحجابا ٠

فهذا ليس بقصرك ، ولكنه قصر الخبال ٠٠ (أى الجنون) ٠٠

فلا تجعل لقصرك بابا يمنع لناس من دخوله ، وتنفيهم به عن حقوقهم حتى يستطيعوا ان يوافوا مجلسك اذا جلست ٠

فأخذ سعد ينفى عن نفسه ما نسب اليه ، ويستشهد بمن حوله من الناس فشهدوا له ٠

ورجع ابن مسلمة يقص على عمر ما رأى وما سمع ٠

وبرأ سعدا من اتهام أهل الكوفة له ٠

فاذا كان عمر يفعل هذا بسعد بن أبى وقاص وهو من هو تاريخه مثل أعلى للمسلمين فكيف هو فاعل بعماله الآخرين ٠ وقصص عمر فى هذا المضار شهيرة جهيرة ٠

وانى أقدم هذا المثل الى أصحاب الوظائف الكبرى عندنا من طالبى الفخامة فى المكاتب والعظمة والجاه والوجاهة فى السيارة ٠

وما كان عمر ليفعل هذا بعماله الا ليكونوا مكان ثقة عند الناس أجمعين وقد استطاع أن ينتزع لهم هذه الثقة وأصبح عمر مثلا رفيعا لم يعرف التاريخ له مثلا فى تاريخ العالم أجمع ٠

ولقد حلت الديمقراطية مكان عمر بن الخطاب ولكنها عجزت أن تكون عدل عمر بن الخطاب ٠

فالديمقراطية تلقى المسئولية على ضمير كل مسئول ولا تستطيع الديمقراطية أن تلاحق المسئولين فردا فردا ٠

وقد كان المسئولون جديرين ان يجعلوا من رئيسنا محمد حسنى مبارك مثلا لهم فى نظافة اليد وفى الجهد الجهيد الذى يقوم به وفى طهر المقصد وشرف الوجهه ونبالة الهدف والسعى لها بكل صدق وأمانة ٠

ولكنهم للأسف الشديد أو كثير منهم على الأقل لا يروم ولا يريد الا ان يبقى فى مكانه وليكن بعد ذلك ما يكون ٠

وحين يصبح المسئول لا هدف له الا البقاء فى كرسيه يضطرب أمره وتصبح قراراته مذعورة مضطربة به متوجسة ليس فيها حسم الدارس ولا جرأة صاحب الحق ٠ ولا حول ولا قوة الا بالله من قبل ومن بعد ٠

الأهرام ١٣/١١/١٩٨٩ م

زلزال فى كلمتين

الحكايات الشعبية قصص قصيرة تروى للموعظة أو للمفاكهة وهى متناثرة فى الكتب لا يجمعها جامع وانى أعجب أن المهتمين بالتراث الشعبى عندنا لم يلتفتوا الى هذه الحكايات ولم يولوها أية عناية ٠

هناك حكاية سمعتها أعجبت فيها بقوة السبك وعظمة الاقناع ولو أن الجانب القصصى فيها ساذج بعض الشىء وهذا أمر طبيعى فكتاب هذه الحكايات ليسوا قصاصين ولا روائيين بالمعنى المفهوم ٠

لا أدرى ما الذى أورد هذه الحكاية الى ذهنى ولا أدرى ما الذى جعلها تلح على الحاحا شديدا أو أرويها لك ولا أدرى ان كنت سترضى عنها أم لا ٠٠ ولكن ما البأس فى أن أرويها على كل حال والحكم فى آخر الأمر لك أن ترضى فتحتسبها لى من حسناتى أو لا ترضى فتحتسبها على وأمرى الى الله الحكم العدل سبحانه وتعالى وتقدست آلاؤه ٠ قيل فيما قيل ان الملك قال للوزير ــ ولا أعرف أى ملك ولا أى وزير ولا أحسب الراوى نفسه كان يعلم ــ قال الملك للوزير :

ــ أرأيت هذا الخاتم الجميل الذى أهداه الى تاجر الجواهر ٠

وقال الوزير وهو يمسك بالخاتم :

ــ لله دره يا مولاى انه خاتم فريد فى نوعه ٠

قال الملك :

ــ أريد أن تأخذه معك وتعيده الى فى مدى أسبوع منذ اليوم وقد كتبت عليه كلمتين لا تزيدان يقرأهما الحزين فيفرح ويقرأهما الفرحان فيحزن ٠

فقال الوزير فى دهشة :

ــ ومن أين آتى بهاتين الكلمتين يا مولاى ؟

ويقول الملك في اصرار :

ـ هذا شأنك وأنا ـ بعد ـ لم أكمل كلامي

وقال الوزير في دهشة ·

ـ وهل ما زال للكلام بقية ؟

وقال الملك :

ـ طبعا اذا لم تأت بهاتين الكلمتين ·

مكتوبتين على الختام أقتلك ·

وطار لب الوزير وارتعدت منه الفرائص وقال وهو يرتعش ·

ـ تقتلني يا مولاي ؟

ـ أقتلك أيها الوزير ·

وقال الوزير وهو في رعدته لا يزال :

ـ وهل كنت اخترتني للوزارة لأني أديب ·

أحسن الكلام ؟

ـ وفي اصرار الطغاة قال الملك :

ـ ما دمت وزيرا فلابد أن تحسن الكلام ·

قال الوزير :

ـ أنت تعلم يا مولاي انني أحسن الكلام في شئون الحكم والسياسة وقد ظللت أعمل معك السنوات الطوال ·

وقال الملك :

ـ اذن فقد جاء الوقت لتتركني ويجيء غيرك الى الوزارة ·

وقال الوزير :

ـ هكذا بلا سبب ·

قال الملك :

ـ ربما كان السبب طول عهدك بالوزارة :

قال الوزير فى محاولة يائسة للنجاة :

ـ اذن أترك الوزارة حيا • ليس من الحتم أن أتركها ميتا •

قال الملك ساخرا :

ـ انك بعد ان بقيت هذه المدة كلها فى الوزارة ستجد حياتك لا معنى لها من غير الوزارة وستجد أن الموت أرحم لك من حياة بلا وزارة •

قال الوزير فى محاولة يائسة أن يميل بالملك عما أمر به •

ـ يا مولاى أترك لى حياتى وأترك لك وزارتك فليس هناك من داع أن أموت وأترك ابنتى الشابة يتيمة وزوجتى بلا عائل •

ـ أأجعلك تترك الوزارة بلا سبب حتى يقول الناس أن الملك يعين الوزير بلا سبب ويخرجه من الوزارة بلا سبب •

وقال الوزير :

ـ أليس هذا خيرا من قولهم ان الملك يقتل وزراءه بلا سبب •

ـ بل السبب موجود •

ـ أين هو •

ـ لقد عجزت أن تكتب كلمتين على خاتم •

ـ وهل صناعة الوزير كتابة الكلمات على الخواتم •

ـ الوزير عندى يجب أن يكون عالما بكل شىء •

ـ هل أنت مصر يا مولاى •

ـ بلا جدال • كلام الملوك لا يرد •

ـ أمرك •

وخرج الوزير يدور على الأدباء وأصحاب المواهب الأدبية فى كل مكان فاذا الجميع عاجز وكتم الوزير مصيبته عن أهل بيته زوجته وابنته حتى لا يثير فيهما الفزع والرعب واثقا انهما لا تستطيعان له عونا •

وقبل أن ينتهى الاسبوع بليلة واحدة جلس الوزير الى ابنته وزوجته وقال لهما :

ـ لابد ان أودعكما الوداع الأخير ·

وروى لهما مصيبته فاذا بابنته تقول له هون عليك يا أبى هات الخاتم وانفردت الفتاة بالخاتم ليلتها وفى الصباح قالت الفتاة لأبيها :

ـ هاك الخاتم لقد كتب الله لك النجاة ·

وذهب الوزير الى الملك وقدم اليه الخاتم فاذا الفرحة تشرق على وجه الملك ويستخفه المرح ويضحك ملء شدقيه ثم ما يلبث أن يقطب حزينا ويملكه الفزع والرعب حتى كأن به زلزالا وظل يتقلب بين فرحة وحزن فقد فعلت الكلمتان فعلهما · وقال الملك للوزير ·

ـ هذا خاتم يجب أن يلبس مثله كل ذى سلطة أو جاه ·· ويجب أن يلبس مثله كل حزين يتملكه الغم وتحيط به دواعى اليأس ·

ونجا الوزير ولبس الملك الخاتم بكلمتيه · وأصبح منذ ذلك اليوم ملكا عادلا لا يصنع الصنيع الا بعد تدبر وتفكير ·

كانت الكلمتان ·

كل يزول ·

الأهرام ١٩٨٩/١١/٢٣ م ·

النبى والشـــعر

حين فتح الله مكة للمسلمين حدث ذلك الحوار الرحيم الرائع بين الرسول عليه الصلاة والسلام وبين أهلها ·

ـ ما تظنون انى فاعل بكم ؟

ـ اخ كريم وابن اخ كريم

ـ اذهبوا فانتم الطلقاء

ولم يستثن النبى صلى الله عليه وسلم من عفوه الا اثنين هما عقبة بن أبى معيط والنضر ابن الحارث بن كلدة وكانا من أشد الناس عداوة للرسول عليه الصلاة والسلام وللرسالة ·

فأما عقبة فقد أتى الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فى الحجر فوضع ثوبه فى عنقه وخنقه به خنقا شديدا فأقبل عليه أبو بكر رضى الله عنه وارضاه وقال جملته الشهيرة اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله ·

وأما النضر فكان اذا تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش القرآن قال : « ان ما يأتيكم به محمد أساطير الأولين » ويقول فيحدثهم بأخبار ملوك الفرس وغيرهم وكأن القرآن الكريم لم يأت بجـديد وانما أساطير يعرف هو مثلها وهكذا امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل هذين فقط ·

وحين قتل عقبة بن ابى معيط قالت اخته فى رثائه شعرا من أروع الشعر العربى أذكره لك ـ وأذكر لك موقف النبى الكريم العظيم من هذا الشـــعر ·

قالت أخت عقبة واسمها « قتيلة » مع ضم القاف وفتح التاء :

ياراكبـــــا ان الاثيــــل مظنـــــة
من صـــبح خامســــة وانت مـــوفق

بـــلغ به ميتا فــــان تحيـــة
ما ان تزال بهـــا الركائب تخفـــق

منى اليـك وعبرة مسفوحة
جادت بوادرها واخرى تخنق

هل يسمعن النضر ان ناديته
ان كان يسمع هالك أو ينطق

ظلت سيوف ابيه تنوشه
لله ارحام هناك تشقق

صبرا يقاد الى المنية متعبا
رسف المقيد وهو عان موثق

أمحمد ولانت نسل نجيبة
في قولها والفحل فحل معرق

ما كان ضرك لو مننت وربما
من الفتى وهو المغيظ المحنق

لو كنت قابل فدية فلتاتين
باعز ما يغلو لديك وينفق

فالنضر أقرب من اخذت بزلة
وأحقهم ان كان عتق يعتق

ولا أعرف فيما قرأت ان شعرا مثل هذا قيل سابقا لهذا الشعر أو لاحقا به يماثله فما سمعنا أو قرأنا شعرا يمدح القتيل والقاتل ويرثي الميت ويشيد في نفس الوقت بمن اقتص به ٠

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع هذا الشعر ما معناه لو كنت سمعت هذا الشعر قبل قتله لعفوت عنه ٠

فما أعظم هذا الذي يقوله النبي عليه الصلاة والسلام وما أعظم رحمة الله ٠ فما كان النبي صلوات الله عليه وسلامه يقول هذا القول ان لم يكن واثقا ان الله من فوق السموات السبع يبارك ما يقول ٠

وهذا دليل ان كان الأمر يحتاج الى دليل على سعة العفو عند النبي عليه الصلاة والسلام رسول من يبدأ كتابه ببسم الله الرحمن الرحيم ٠

وهل هناك ابشع من الجريمة التي ارتكبها هذا المجرم الآخر الذي اقتص منه النبي عليه الصلاة والسلام وهو يشوه القرآن الكريم ويغض من شانه ويكذبه ويحارب الدعوة ٠ وهي بعد وليد لم تثبت في الأذهان والقلوب ولم تتمكن من الأنفس والمشاعر ويثير حولها الريب والظنون ٠

ولكن نبي الاسلام يقول وهو الذى لا ينطق عن الهوى ٠ انه لو كان سمع شعر « قتيلة » اخت القتيل قبل ان ينفذ حكمه ما انفذه ٠

لقد قدر النبى الكريم عفة الأخت واعتبر ان مدحها له وهو من قتل أخاها أدبا لا يتفق مع الطبيعة البشرية وانما يتفوق عليها ٠ ورأى فى شعرها مغالبة للنفس ومجاهدة للغضب فهى تحاســن النبى وتمتدحه وتترضاه وهو هو من قتل أخاها وهذا يدل على أنها تدرك مدى فداحة الجريمة التى تردى فيها أخوها فكان هذا العتاب الرقيق لرسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

ما الذى حدث فى الحياة اليوم مالنا نرى الانسان قد ابتعد ابتعادا قصيا عن هذا الخلق الكريم وما له قد أخذه الزهد وأصبح يتوهم انه قادر ان يخرق الأرض وان يبلغ الجبال طولا ٠

كل تافه صغير حصل على بعض مال امتلأ زهوا ونسى ربه وهو الذى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدره تقديرا ٠ وبدلا من أن يشكر الله على سابغ نعمته يعلو ويستكبر ويوغل فى المنكرات ايغالا ٠

وقد يقول قائل من نصبك علينا واعظا وأقول والخشوع يملأ قلبى ورأسى على أرض الله ضارع مكبر للاله الأعظم أريد أن أشكر الله على نعمته ولا أجد لى وسيلة وأريد ان اسبح بنعمته فانا أتلمس بابا الى القارىء حتى لا يقف من شكرى ذاهلا أو عاجبا ناسيا ان حمد الله وشكره هو الأصل وحبس الشكر وكتمانه هو الأمر الذى يدعو الى العجب والدهشة ٠

فاللهم حمدا لك فى البلاء والنعمى وفى اللطف عند وقوع القضاء حمدا لا ينتهى يا رب العالمين يا من نعمتك نعم متكاثرة ويا من بفيض رحمتك تتجدد فى نفوسنا الآمال ٠ وبها وحدها نعيش وبها نلقى وجهك يوم يكون الحســـاب ٠

لك الحمد بما قضيت به ولك الحمد وانت تشفع القضاء باللطف ولك الحمد وانت تزيل عنا البلاء ولك الحمد فى البدء والنهاية وفى الدنيا والعليا حمدا بقدر كل شهيق وزفير وحمدا بعد الشهيق والزفير ونحن فيما قدرت لنا فى الحياة الآخرة حمدا لا ينتهى يارب العالمين ٠

الأهرام ١٩٨٩/١٢/١٨ م

لافتات على فراغ ٠٠ !

عجيب أمر بعض الناس انهم يخلقون لأنفسهم الهة يعبدونها من دون الله وكأنهم قوم بلا دين ٠

وقد خلق أصحاب اللافتات المرفوعة على فراغ الهة من هذه اللافتات واستظلوا بها وكان من الطبيعى ان تحرقهم الشمس وتكوى اقفاءهم ولكنهم يظنون لغيبة الرشد عن عقولهم انهم من لافتاتهم فى ظل وريف وقصر منيف وجنات وعيون ٠

من هذه اللافتات « القطاع العام » يصيحون حوله بالتقديس والتكبير والتعظيم ٠ لا الغاء للقطاع العام سبحان الله العظيم ٠ وهل طالب أحد بالغائه ؟! وهل يمكن ان يلغى القطاع العام ؟! وكيف ٠ وهل هناك دولة فى العالم مهما يكن ايغالها فى الرأسمالية بلا قطاع عام ٠ وكيف يلغى وأين يذهب اذا هو الغى كيف نجعل الشركات الكبرى مثل شركات النسيج قطاعا خاصا ٠ ومن هذا الذى سيشتريها الا أن تكون شركة استثمار كبرى وهيئات ، وكيف نلغى مصنع الحديد والصلب أو شركة الألمونيوم ٠ أو غير هذا من الشركات التى فى هذا الحجم الضخم ؟

لا أحد يتصور الغاء القطاع العام ٠ انما لابد ان يتطور ولابد أن تتحول المحلات الوسيطة الى قطاع خاص وقد ضرب الرئيس حسنى مبارك المثل من الشركات التى تبيع الطعمية وقال انها لا يجوز أن تنتسب الى القطاع العام ليسمح لى فخامة الرئيس ان أذهب الى البعد من ذلك ٠ فالشركات التى تقوم بعملية البيع عامة لا يجوز أن تظل فى أيدى القطاع العام ٠ فمثل هذه المحلات أو أغلبها على الأقل لا يأتى بخير على الدولة ومعاملة موظفيها للجمهور معاملة السادة للعبيد لأن الحافز الشخصى غير قائم ولا يهم الموظف أن يكسب المتجر أو لا يكسب وهذا أمر شهدناه ثم ان هذه المتاجر لا تمثل صناعة كبرى تخسر الدولة اذا هى خرجت من يدها ٠ بل أغلب هذه المتاجر عبء ضخم على الدولة لانعدام الدافع الشخصى فى ادارتها ومثل هذه المتاجر لا يتبع الدولة الا فى البلاد الشيوعية التى تتحرر اليوم من النظام الشيوعى وتتجه الى الحرية فى المال والنفس جميعا ٠

ومن عجب ان تتحرر الدول الشيوعية من ربقة هذه القيود ونظل نحن أسرى هذه الكبول والاصفاد ٠

انه لا أمل للاقتصاد المصرى ان ينتعش الا اذا واجهنا اللافتات المرفوعة على فراغ والتى تثقل كاهل الدولة اثقالا وتكتم أنفاس الاقتصاد المصرى حتى لا يستطيع ان يتنفس ٠

واللافتة الأخرى هى لافتة « التعليم المجانى » ولا مساس وسبحان الله العظيم ، ويجادلون قائلين كيف للفقير ان يتعلم اذا نحن الغينا مجانية التعليم ؟ ولم يدع أحد الى الغاء المجانية وانما نادينا ان تكون لغير القادر وليس للقادر ٠

والا فكيف يسوغ فى الأذهان ان نرى التلميذ فى المدارس الخاصة فى مرحلة الحضانة والتعليم الابتدائى والتعليم الاعدادى والتعليم الثانوى يدفع مبالغ يشيب من هولها الولدان حتى اذا بلغ الجامعة قمة التعليم يصبح تعليمه مجانيا ٠

وكيف يسوغ فى الأذهان ان نرى السيارات الفارهة الفخمة تحمل التلميذ الى حرم الجامعة حتى اذا دخل الى المدرج أو المعمل فى الكلية التى ينتسب اليها انقلب بفعل السحر الى طالب فقير يستحق ان ينال تعليمه بالمجـــان ٠

أى عقل يرضى بهذا ؟

أى منطق ؟

أى عـــدل ؟

أتكون الدولة مرهقة هذا الارهاق الاقتصادى ويتعلم أصحاب الثراء تعليما مجانيا ويكلف الدولة التى تنوء بأحمالها آلاف الجنيهات للطالب ٠

أليس من المنطق الطبيعى للأمور ان يدفع القادرون مصاريف تعليمهم ويتركوا المجانية لغير القادرين ؟

وأمر آخر أن مجانية التعليم حق رتبته الدولة على نفسها وليس هناك حق لا يقابله واجب فكيف يعقل أحد أن يسقط الطالب ولا يؤدى واجبه نحو نفسه ووطنه ويظل متمتعا فى نفس الوقت بمجانية التعليم ٠

أليس من الطبيعى ان تحرم الدولة الطالب الذى لا يذاكر من مجانية التعليم ام يلعب هو ويلهو والدولة تدفع مصاريف تعليمه وياليتها تدفع هذه المصاريف من حر مالها ٠ وانما هى فروض ذات فوائد وحشيه فاحشة اتستدين الدولة ليتعلم الأثرياء والفاشلون واللاهون عن أبسط واجباتهم ؟

وانني اتساءل فى أى دولة رأسمالية فاحشة الثراء نجد هذا النظام .. ان وجد فلابد ان الدولة التى تصطنع هذا النظام دولة غاية فى الثراء وليست دولة مدينة بديون بالغة الضخامة ·

ومن اللافتات المرفوعة على فراغ أيضا لافتة الدعم · ذلك النظام الذى جعل الناس يقدمون العيش طعام الآدمى الى البهائم لرخص العيش وغلاء العلف ·

ان المستفيدين من نظام الدعم ليسوا هم الفقراء وحدهم ومن ضاق بهم الوسع وانما يستفيد به أيضا الأثرياء وتلك عجيبة أخرى من العجائب الكبرى ·

ان الدعم هو من مال الشعب وليس مالا ملقى فى الطريق لا صاحب له · تتحمله الدولة وتكون النتيجة ان ينتفع به أكبر انتفاع الأثرياء من أصحاب المزارع التى يربون فيها العجول وغيرها من الماشية ·

ترى هل فرضت الحكومة الدعم على نفسها ليستفيد به الأثرياء ؟

الأهرام ١٩٨٩/١٢/٢٥ م :

مقـــــالات

١٩٩٠

تصحيح لابد منه

اعتمدت في المقال المنشور في ١٢/١٨ من العام الماضي على كتاب الأغاني الذي ذكر واقعة مقتل عقبة بن معيط والنضر بن الحارث بن كلدة وقصيدة أخت النضر في رثاء أخيها ومدح النبي صلى الله عليه وسلم في وقت معا ٠

ويبدو أن كتاب الأغاني ، الا ان شئت الحق « تجريد الأغاني » تحقيق أستاذنا عميد الأدب العربي د٠ طه حسين وابراهيم الأبياري ، لا يصلح مرجعا دينيا فقد جاءتني خطابات كثيرة تصحح الواقعة وهم يعتمدون على كتب دينية أعظم تثبتا من كتاب الأغاني الذي يعتبر مرجعا أدبيا ولا يعتد به كمرجع تاريخي لأحداث الشريعة الاسلامية ٠

واني انشر واحدا من هذه الخطابات يغني عنها جميعا لعلي بهذا اعتذر عن اعتمادي على مرجع أدبي في واقعة دينية وليغفر لنا الله خطايانا أنه سبحانه العفو الغفور ٠

أما انني ذكرت اسم عقبة بدلا من النضر فهذا الخطأ عن سهو مني في النقل وكنت خليقا أن أصححه وأنا أقرأ الأبيات وفيها اسم النضر ولكن قاتل الله السهو فقد أوقعني في هذا الخطأ وحسبت أن الجمهور سيدرك أنه ما أوقعني فيه الا السهو ٠

أديبنا الكبير ثروت أباظة ، لا شك أنك كاتب مرموق ، من أعلام أدبائنا لا في مصر فحسب ولكن في كل أرجاء الوطن العربي ومن ثم فالقراء يأخذون عنك ٠٠ وهم واثقون من صحة ما تكتب ٠٠

بيد أن الكمال لله وحده ٠٠ ولكل عالم هفوة ٠٠ لذا ، فقد وجدت بعض الأخطاء التاريخية في مقالتكم « النبي والشعر » في أهرام ١٩٨٩/١٢/١٨ فبادرت بالكتابة اليكم مصححا تلك الأخطاء وهي مرفقة : الأخطاء والتصحيح ٠٠ وهي مرسلة اليكم رجاء نشرها في نفس المكان الذي وقعت فيه الأخطاء ٠٠ وذلك ليتم للقراء معرفة الخطأ والصواب ٠٠ وهذا في رأيي يرفع من قدرك لدى القراء لسببين اثنين : الأول : شجاعتكم

اذ بادرت بنشر التصويب ، لأخطاء وقعت منك ، وأنت من أنت كاتبا ومفـــكرا ؟!!

الثاني : عدم مكابرتك واذعانك للحق ولو كان عليك لا لك !!
أستاذنا الكبير ثروت أباظة ، دفعني للكتابة اليك كوني واحدا ممن شرفوا بكتابة السيرة النبوية ، وبأسلوبين اثنين : شعرا ونثرا ، وهذا أمر لم يسبق اليه كما قالوا ذلك في مجمع البحوث الاسلامية ، طبع الجزء الأول في المجلس الأعلى للشئون الاسلامية عام ١٩٨٠ وتم طبع الأجزاء كلها هذا العام في دار التراث وهو في مجلدين اثنين ·· بأذن الله سوف أهديك نسخة من هذا العمل الذى يعتبر لونا جديدا في تأليف الكتب ··

أكرر الرجاء بنشر هذا التصويب ذلك لأنني أعتبر نفسي مسئولا عن السيرة النبوية لكوني أحد كتابها ··

في أهرام ١٨/١٢/١٩٨٩ كتبتم تحت عنوان « النبي والشعر » ما يلي :

حين فتح الله مكة للمسلمين حدث ذلك الحوار الرحيم بين الرسول عليه الصلاة والسلام وبين أهلها ··

ـ ما تظنون أني فاعل بكم ؟

ـ أخ كريم وابن أخ كريم ··

ـ اذهبوا فانتم الطلقاء ··

ولم يستثن النبى صلى الله عليه وسلم من عفوه الا اثنين هما : عقبة بن أبي معيط ، والنضر بن الحارث بن كلدة ، وكانا من أشد الناس عداوة للرسول عليه الصلاة والسلام وللرسالة ·

فأما عقبة ، فقد أتى الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلي في الحجر ، فوضع ثوبه في عنقه ، وخنقه خنقا شديدا ، فاقبل أبو بكر رضى الله عنه وأرضاه وقال جملته الشهيرة :

اتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ــ تقصد هذا كان قبل الهجرة النبوية من مكة الى المدينة ··

وأما النضر فكان اذا تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش القرآن قال : « ان ما يأتيكم به محمد أساطير الأولين» ، ويقوم فيحدثهم بأخبار ملوك الفرس وغيرهم وكان القرآن الكريم لم يأت بجديد ، وانما أساطير يعرف هو مثلها ، وهكذا أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل هذين فقط ·

وحين قتل عقبة بن أبى معيط قالت اخته في رثائه شعرا من أروع الشعر العربى ثم ذكرت القصيدة المكونة من عشرة أبيات أولها :

يا راكبـــا أن الأثيـــل مظنـــة
من صـــبح خامســـة وانت مـــوفق

وأخرها :

فالنضر أقـــرب من أخـــذت بزلـــة
وأحقهـــم أن كـــان عتق يعتـــق

وبعد التأكد من صحة ما قرأت لاحظت أخطاء ثلاثة :

الأول : الذين أهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دماءهم يوم فتح مكة كانوا سبعة وليسوا اثنين ، وليس من بينهم عقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث ٠

الثاني : ان عقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث قتلا صبرا فى أعقاب غزوة بدر الكبرى ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهما ، وقد كانا بين الأسرى ـ أسرى بدر ـ بعد أن تم التصر لرسول الله عليه الصلاة والسلام والمسلمين فى غزوة بدر الكبرى ، عادوا بالغنائم ، وقد سبق الأسرى مقيدين يعلوهم الذل والصغار بين أولئك الأسرى عقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث وقد نزلوا الى جنب الطريق ليستريحوا من عناء السفر وهنالك قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الفيء بين أصحابه وفى نفس المكان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا أن يضرب عنق النضر بن الحارث بحد السيف ٠

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى النضر بن الحارث وهو أسير فقال النضر للذى بجانبه : محمد والله قاتلى ، فانه نظر الى بعينين فيهما الموت ، فقال له : والله ما هذا الا رعب منك ٠٠

وارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ثم نزلوا فى موضع آخر ، وفيه أمر بضرب عنق عقبة ابن أبى معيط ، أمر عاصم بن ثابت فضرب عنقه ٠٠ وحينما قدم ليضرب عنقه قال : فمن للصـــبية يامحمد ؟! قال : النار ٠٠

الثالث : انك قلت : وحين قتل عقبة بن أبى معيط ، قالت أخته فى رثائه شعرا من أروع الشعر العربى ٠٠ وهى ليست أخت عقبة ٠٠

والصحيح انها أخت النضر بن الحارث وآخر بيت فى القصيدة يؤكد ذلك اذ يقول البيت الأخير :

فالنضر أقرب من أخـــذت بزلـــة
وأحقهـــــم ان كـــان عنق يعتــــق

محمد عايش عبيد رئيس نادى الأدب
بالعريش ـ شمال سيناء »

الأهرام ١/١/١٩٩٠ م :

الكاتب والبصيرة

جاء لزيارتي الأستاذ على ابراهيم وكيل النيابة وهو منى بمكان الابن وجرى الحديث أمامه عما يجرى الآن فى الدول الشيوعية فاذا بالأستاذ على ابراهيم ينبهنى اننى كتبت مقالا عن كتاب فرنسى فى ٨ مارس سنة ١٩٧٧ فعجبت لذلك فأنا لا أذكر عن هذا المقال شيئا ٠

وانفض المجلس ولكن الأستاذ على ابراهيم طالعنى فى اليوم التالى بأحد الكتب التى تجمع بعض مقالات لى وقدم لى هذه المقالة التى لا أتردد فى نشرها مرة أخرى لأثبت ان الكتاب بما وهب الله لهم من شفافية قادرون على توقع الأحداث قبل حدوثها ٠ ولا أقصد بذلك نفسى — لاقدر الله — وانما أقصد الكاتب الذى كتبت عنه هذا المقال منذ ثلاثة عشر عاما ٠

وهاك المقال الذى نشر بالأهرام فى ٨ مارس ١٩٧٧ ٠

« السقوط النهائى »

أعطانى الأستاذ الكبير حسين أبو الفتح مجلة المستقبل اللبنانية ولفت نظرى فيها مقال جدير بأن أقدمه اليك ٠ فالأستاذ حسين أبو الفتح صحفى متعمق وكان نقيبا للصحفيين ويستطيع بخبرته أن يضع يده المدربة الواعية على المواضيع الهامة ٠ يلخص المقال كتابا جديدا صدر عن دار « الحريات عام ٢٠٠٠ » الفرنسية التى يشرف عليها الكاتب الفرنسى جان فرانسوا رفيل وعنوان الكتاب « السقوط النهائى » للكاتب « ايمانويل تود » والسقوط النهائى الذى يعنيه المؤلف الشاب هو سقوط النظام القائم حاليا فى الاتحاد السوفيتى ويشرح الكاتب نظريته قائلا ٠٠ هناك رأيان غريبان فى الاتحاد السوفيتى رأى أهل اليمين الذين يتعاملون معه وكأنه حقيقة ثابتة لا تقبل التغيير ٠

ورأى الشيوعيين الأوربيين الذين يرون فى موسكو نهاية المطاف والحلم الأزلى للنظام الشيوعى الذى أرسى قواعده كارل ماركس ويرى المؤلف أن الرأيين خاطئان لأن المجتمع السوفيتى يعانى من أزمات قد تنفجر بعد خمس أو عشر أو عشرين سنة ٠

ويرى الكاتب ان هذه الأزمات تتمثل فى جمود الوضع الاقتصادى والتمايز القومى داخل الاتحاد السوفيتى وتصاعد حالات المعارضة والمظاهرات وحوادث العنف ·

ويمضى المؤلف الشاب فى تفصيل كل سبب من هذه الأسباب ثم يتكلم الكاتب بعد ذلك عن الارهاب ويقول انه لم ينفرد به العصر الستالينى بل أنه مازال يسيطر على روسيا حتى اليوم فالحكام فى خوف دائم من الانتقاد ولذلك فهم يستعينون دائما بالشرطة ، الأمر الذى يدل على وجود تناقضات طبقية واجتماعية لم تحل بعد،على عكس ما تدعيه خطب المسئولين الرسميين ويستشهد الكاتب بنظريات ومؤلفات كتاب يساريين ويمينيين حول حتمية تفكك دولة الديكتاتورية البروليتارية وتحولها الحتمى الى دولة بوليسية فيختار من فلاسفة اليسار « هيشيل باكونين » الذى توقع هذا التحول وجادل فيه ماركس ثم « روزا لوكسمبورج » التى حذرت من هذا الخطر فى رسائل لها شهيرة الى لينين ومن فلاسفة اليمين يستشهد بالمفكر الانجليزى « هيلربيلوك » و « ماكس ويبر » و « ج · ك جالبريت » ·

ويقول المؤلف ان خروشوف حاول تحرير النظام من عدم المساواة الناشئة عن الميزات التى يحظى بها أعضاء الحزب ولكن مرحلة خرشوف كانت قصيرة والسبب ان المستفيدين من هذه الفوارق أحسوا بالخطر من جراء السياسة الخروشوفية التى ستقضى على ما يتمتعون به من ميزات ·

ويمضى الكاتب قائلا ان تفكك الامبراطورية السوفيتية أمر محتم خلال السنوات العشرين المقبلة والأسباب هى الجمود الاقتصادى حيث لم يصل العامل السوفيتى بعد ستين سنة من الثورة الى نفس مستوى زميله العامل فى ايطاليا أو أسبانيا أو حتى المكسيك فبرغم أن الدولة تخصص سنويا ٢٥٪ من الدخل القومى لاستثمارات جديدة ، فان العائدات تقتصر فقط على زيادة فى عدد الآليات وليس فى كمية الانتاج ثم البيروقراطية التى لا توزع الآليات حيث يجب أن توزع بل هى تحاول المتاجرة بها ثم مركزية التخطيط التى ثبت فشلها فى بلد شاسع المساحة كالاتحاد السوفيتى الذى بلغ مساحته ٢٣ مليون كيلو متر مربع ·

أما العامل الأهم فى فشل الانتاج فهو الحالة السلبية للعمال الذين لا يجدون أى تحسن ملموس فى مستوى معيشتهم منذ ثلاثين سنة بل يلاحظون ان معظم جهودهم تذهب للصناعات الحربية ولرفع سمعة الاتحاد السوفيتى عالميا ·

الى هنا ينتهى ما أردت أن أقدمه اليك من هذا المقال عن هذا الكتاب أما أنا فلا تعليق عندى ··· لا ··· لا تعليق ···

ومرة أخرى لا تعليق ···

الأهرام ١٩٩٠/١/٨ م :

قصتان فى قصة الجراء ٠٠ ؟

الجراء جمع جرو والجرو صغير كل شيء ولكنه غلب على أبناء الكلب والجراء فى الكلاب تتعلق بذويها تعلق الخائف من المجهـول والحرص على الحياة مقدرة ان ذلك الكلب أباها وتلك الكلبة أمها تستطيعان أن يحمياها مما لا تعرف· وفى الجراء غباء فهى ترى أباها مزجورا مدحورا تنهال عليه الحجارة ويزجره الناس ويرغمونه على الابتعاد عنهم ولكن الجراء لا تقدر ما يلاقيه أبوها من هوان · فهى تظل متشبثة به متصورة انه الأسد الهصور الذى يستطيع أن يرد عنها عادية الزمان والطبيعة عجيبة فى تكوينها فكما تشاهد هذه الجراء فى الكلاب تشهد أمثالها فيمن نطلق عليهم آدميين · وان كانت صلة الدم تجمع بين الجرو والكلب والكلب وأبيه فان صلة عجيبة طالعتنى فى كتاب أقرأه تجمع بين بعض الناس وبين انسان ما ولقد ذكرتنى هذه الصلة العجيبة بأسرة كلاب فى قرية قريبة من قريتنا غزالة بالشرقية فان بها كلبا كان يعيش عيشة مرفهة فى بيت عمدة وهذا العمدة كان قاطع طريق كون ثروة ثم حلا له أن يكون ذا سلطان فترك قطع الطريق غير الشرعى ورشح نفسه عمدة فأصبح قاطع طريق شرعيا يفرض الأتاوات على أهل البلد جميعا يعززه سلطانه وتحميه سمعته القديمة ترتعد لها الفرائص من الرعايا فيقدمون الاتاوات عن يد وهم صاغرون ·

وكان فى بيت العمدة كلب وكان هذا الكلب مدللا حسن المأكل مخيف المظهر جشع المطالب · تزوج كلبة من القرية وأنجبا معا عدة جراء وظلت الجراء متعلقة بأبيهـا وأمهـا فى طفولتها وما فى ذلك عجب وليس فيه ما يدهش · ولو ان الأمـر اقتصر عند ذلك ما خـرجت سيرة هذه الأسرة الكلبية من قريتها لتبلغ قريتنا وتتناقل القرى الأخرى أمرها فى دهشـة وعجب ·

فطبيعة الجراء انها اذا شبت عن الطفولة وأصبحت كلابا صغيرة راح كل منها يبحث عن مراحه الخاص ومأكله وملعبه ، الا أسرة هذا الكلب ، فقد استطابت العيش فى بيت العمدة وألهمها ذكاؤها انها ان تركت هذا البيت فانها لن تجد ما تنعم به من عيش خفيض وطعام وفير وملاذ لين · ومرة أخرى لا عجب فى هذا! فقد يكون حرصها على المطعم وخفض العيش سببـا انه تبـقى بجانب أبيها وأمها · ولو ان الأمر اقتصر عند ذلك لما بلغ

قريتنا ولا تناقلته القرى الأخرى • ولكن ما حدث بعد ذلك هو ما جعـل أسرة الكلاب هذه أحدوثة المنطقة جميعها وهو ما جعلنى أنقلها اليكم لقد مات العمدة وتولى العمودية رجل آخر من أعيان القرية وأصبح الكلب المدلل كلبا أجرب يتلمس رزقه مما تلقى البيوت على أكوام السباخ وفى الأزقة وفى زرائب المواشى ، ولكن الناس كانوا يردونه عن هذا الرزق ذاكرين ما كانوا يلاقونه من خسف على يد صاحبه السـابق • انما الغريب حقا الذى دعانى أن أقص عليك هذا النبأ ان الجراء التى كانت تلازمه جراء ثم كلاب صغيرة فى بيت العمدة السابق كبرت وأصبحت كلابا كبيرا وأصبح من الميسور لها أن تتوه وسط كلاب القرية فلا يزجرها زاجر ولا يردها كاره لأبيها ولكنها مع ذلك أصرت أن تظل ملاحقة لأبيها فى دورانه على أكوام القمامة ، وأخلاف البهائم • مسكينة هذه الجراء • لقد أصبح الرزق فى عقولها القاصرة مرتبطا بأبيها حتى وهو فى هذه الحال الضنك التى صار اليهـا •

وحين يتناقل أهل قريتنا هذه العجيبة يمصمص الرجال الحـكماء شفاههم قائلين ان الكلاب ترعى صلة الدم وأصرة الرحم • ولست أدرى - فما سألت - ماذا ترى يقول علماء الحيوان والأجناس عن هذه الظاهرة •

الا أن العجب عندى زاد أضعاف أضعافه ، وأنا أقرأ فى هذه الأيام فى كتاب عن المماليك فقد نبتت من ثنايا الكتاب قصة قريبة من قصة الكلب والجراء فى بعضها وتفوقها غرابة فى بعض منها آخر • فان تكن وشيجة الدم وأصرة القربى عذرا عن الكلب وأبنائه فأى أصرة أو وشيجة تفسر ما قرأته فى هذا الكتاب الذى يروى عن مملوك طغى وبغى وعدا على الناس كل عدوان • وكان له تابع يجمع عنه المال معملا السوط فى جمعه • وكان هذا التابع يشترى للمملوك عبيدا يخدمونه وكان يغرر هؤلاء العبيد بالمال حينا ويرعبهم بالسوط حينا آخر • وأصبح للمملوك وللتابع عبيد كثيرون يدينون بولائهم لصاحب السوط وكيس النقود وان كانوا معزولين عن المملوك نفسه فقد كان المعاون هو الصلة بين الأوامر منه والتنفيذ منهم •

ويقول الكتاب ان المملوك مات وان التابـع انزوى فى بيته خاسئا مغلوبا على أمره وان المملوك الجديد أصدر أمره فحرر كل العبيد الذين استذلهم التابع النخاس بسوطه وماله •

وساح العبيد السابقون أحرارا فى معاشهم ومنهم من أصاب مالا ومنهم من أصاب مكانة ، ومنهم من افتتح مقهى ومنهم من تاجر فى غلال • وحاول كثير منهم أن ينسى تلك الأيـام التى كان فيها عبدا مهينا يساق بالسوط ويستذل بكيس النقود •

ولكن الكتاب يقول فى اندهاش مذهول ، ان بعض العبيد مع انهم أصابوا الغنى وبعضا منهم آخر أصابوا المكانة وبعضا ثالثا منهم أصاب الأمرين معا ما يزالون بالنخاس صاحب السوط والكيس مع ان السوط زال عن يده والكيس الذى عنده ينفق منه على نفسه وعياله ولا ينفق منه على أحد ممن كانوا أتباعه ويصرون على أن يظلوا أتباعه • ويعجب الكتاب الذى أقرأه أتكون العبودية عند بعض الناس غريزة فمالهم لا يعبدون الله الذى فى عبادته سيادة للانسان وشرف ويستذلون رقابهم فيعبدون من كان بالأمس يمزق جسـومهم وكرامتهم وانسانيتهم بالسـياط ويجعلهم يبصبصون وراءه بذيولهم اذا أبدى لهم الدينار •

أتكون عبودية الفرد نوعا من الأمراض عند الأذلاء الذين هانوا على أنفسهم فهانوا على الناس •

والكتاب قديم فهو بطبيعة الحال لا يستطيع أن يتقصى هذه الظاهرة حولنا فى كثير من الأحيان فالنفس البشرية لا تتغير وما كان يحدث فى عصر المماليك لابد يحدث فى مصر اليوم • أم ترى أكون أنا [illegible] المبحث ويكون الأطباء قد أوسعوه تنقيبا وتعميقا وأنا [illegible] ؟! ربما كان الأمر كذلك • وربما كان هذا هو السبب فى مشاركتى الدهشة المذهولة التى تلبست صاحب الكتاب الذى يروى هذه الواقعة •

وأعود الى نفسى قليلا وأذكر أثرا من الآثار العربية الخالدة أردده كثيرا وكأن قائله كان يستشرف من وراء السنين هذا الذى وقع فى عصر المملوك والذى قد يكون واقعا فى اليوم فى مصر [illegible] يقول الأثـر :

« الذليل بغير قيد مقيد كالكلب اذا لم يسند بحث عن سيد » •

أو ليس من التوفيق أن يجمع لك هذا الأثر القصتين اللتين رويتهما عليك فكأنما صاحبه قاله لأختم به هاتين القصتين فان لم ترض عن تسميتهما قصتين فليكن الأمر حديثا أسوقه اليك لا أكثر ولا أقل •

كبرت كلمة تخرج من أفواههم

عرفنا الحكم العاتي الظالم الذى يمنع الكلمة أن تقال والرأى ان يعلن وكانت أياما اعتدى فيها الحاكم على أعراض الرجال وحياتهم . وعلى قيمة الانسان وعزته وعلى شرف الانسانية وكرامتها .

ليست غريبة علينا هذه الأنواع من الحكم فقد رأيناها رأى العين وشاهدناها وهى تمارس على كرامات الناس وأجسادهم . وعلى طمأنينة الشعب وسلامته .

لقد كان الانسان فى مصر يعيش مرتعدا فى داخله حتى لقد روى بعض المفكرين من الشجعان انه كان اذا فكر فى حال مصر تلفت حواليه حذرا خشية ان يكون أحد قد اطلع على دخيلة نفسه وهمس خواطره فى داخل رأسه .

ليست غريبة عنا هذه الأنواع من الحكم التى قام العالم اليوم يرفضها فى اوقات عنيفة وصاحت أوروبا الشيوعية تطالب بالحرية وبتغلبها على الحكام الظالمين وقهرتهم . ودفعت بعض الشعوب الثمن فادحا مثل رومانيا التى مات فيها سبعون ألفا وجرح فيها ما يقرب من ثلاثمائة الف كما قيل كل هؤلاء قدموا دماءهم فداء للحرية والحرية وحدها .

وانى لأعجب اليوم إذ أرى بعض المعارضة تعقد المقارنة بيننا وبين شاوشيسكو فى كبرت كلمة تخرج من أفواههم فلو كان الأمر كذلك أو شبيها بذلك ما تجرأوا أن يقولوا هذا .

بل هم يعلمون أن مصر اليوم تعيش حرية لم تعرفها فى أى تاريخ لها . فان قلما واحدا لم يقصف وفما واحدا لم يكمم والآراء تقال ضد الحكومة بكل صراحة ووضوح بل كثيرا ما تتجنى هذه الآراء وتظلم فلا يردها أحد ولا يمنعها حاكم أن تقول .

فكيف يسوغ فى الأذهان أن تعقد المقارنة بيننا وبين شاوشيسكو . ألا يتقون الله ؟ ألا يخشون فتنة اذا اشتعلت سيكونون هم أول حطب فيها فى مقدمة الحريق .

هل نحن شاوشيسكو بكل ما نعزاه عنه من ظلم وجبروت وطغيان ؟

هل نحن شاوشيسكو بكل النهب والسلب والسرقة التى مارسها هو وزوجته وأقرباؤه ·

هل نحن ساوشيسكو بكل التفرد بالأمر وحده دون أن يكون لغيره فى الحكم رأى أو كلمة تقال ·

هل نحن شاوشيسكو والجرائد لاعمل لها الا التسبيح بحمـــده الرجال واذلال الانسان فى الانسان ·

ألم يمر بنا هذا جميعه ونعرفه ونعرف منه كم يمض النفس قهر وبالانتخابات التى كان ينال فيها الأصوات بالاجماع ·

أنحن اليوم كذلك ؟

كبرت كلمة تخرج من أفواههم ·

هاهو ذا رئيسنا ناصع الصفحة شريف اليد لم تقترب من ساحته مظنة ولاتحدث أحد من أشرس أعدائه عن ذمته الا بالاعلاء والتقدير والاجلال والاعجاب وهو فى السياسة الخارجية علم باذخ ينال من العالم أجمع كل توقير واحترام وتبجيل · وهو فى السياسة الداخلية يواجه أخطاء العصر المظلم تراكمت جميعها فى عهده ويقوم بالأحمال راضيا بقـدره مستعينا بكل رأى مستأنسا بكل فكر يتمنى ان يصل الى الطريق الأقوم · وتعوقه أفكار مازالت تسيطر على بعض الناس متخلفة من عهد الجبروت والطغيان ويأبى الرجل أن يقول هذا بل يحمل قدره على كتفيه ويمضى فى طريقه مرفوع الرأس عزيزا شامخا مفسحا المجال لكل الآراء ان تقول ولكل الأقلام أن تكتب ·

أمثل هذا الرجل فى نزاهته وسماحته واجتهاده الدائب من أجل مصر فى خارج مصر وداخلها يقال عنه ما تقوله المعارضة ·

كبرت كلمة تخرج من أفواههم ·

فى عصور الطغيان تنقطع الصلة بين الانسان ووطنه ويعيش مرتعدا مذعورا لايأمن يومه أو ليله فهو نهب للتهديد فى كل لحظة من لحظات حياته يتلفت حوله يحسب كل صيحة عليه من الرعب ·

ليس يطمئن الانسان فى عهد الطغيان انه لايقول شيئا ولايتدخل فى السياسة فهو لا يدرى من أين ستأتيه المصيبة القاصمة ويومئذ لا عاصم من هول الطغيان ·

والكتاب الذى يكتبون اليوم ما يكتبون معارضين مبالغين فى المعارضة

مغالين فيها لايردهم أحد الا ان يقول الشعب المؤمن الذى يعرف الزيف ويرفضه والذى يدرك الحق ويكبره « قتل الانسان ما أكفره » •

القلم شرف • والقلم أمانة • والهجوم اليـــوم على الحاكم والحكم ليس شجاعة ولاعنترية فيه مادام اليوم الحاكم والحكم لايمنع كلمة أن تقال ولا يعاقب صاحب رأى على رأيه والدار سلام والحياة أمن والقلوب اطمئنان والانسان فى أمان والحمد لله من قبل ومن بعد •

فأى شجاعة أن يتهجم الكتــاب بالأباطيـــــل وان يثيروا النفوس منتهزين فرصة الغلاء الذى نواجهه والله يعلم وهم يعلمون ان هذا الغلاء الذى نرزح تحت سطوته قطعة متخلفة من عهد الظلام والطغيان • كبرت كلمة تخرج من أفواههم • انهم يعلمون أن الشعب لن يلتفت الى مايكتبون الا بكل احتقار واستهانة • ويعلمون ان الحق غالب وان ســـعيهم فى الاثارة مصيره الفشل باذن الله جل علاه !

الأهرام ٢٩ يناير ١٩٩٠ م

الشورى ٠٠ والديمقراطية

كان أحد العلماء مشغولا بغسيل ثوبه واعتصار الماء منه حين مر به أحد المتشككين وقال له : ـ هل هناك مانع من وجود اله آخر مع الله ؟٠٠ فأجابه العالم وهو يعتصر ثوبه وفى بساطة وهدوء : ـ لا مانع ولكن لاشك انك تعنى وجود الهين لايختلفان فى شئون العالمين !!

ـ بالطبع لايمكن ان يختلفا ٠٠

وقال الشيخ فى نفس البساطة : ـ فمادامًا لن يختلفـا فما فائدة الاله الثانى ؟؟

فما لبث ان زال عن المتشكك شكه وقال : ـ صدقت لا اله الا الله ٠٠

أعجبت بهذا الحوار حين قرأته فان ايمان العالم ايمان ثابت هادىء لم يجزع للسؤال الجرىء ولا غضب وانما أدلى برأيه فى هدوء وهو رأى قاطع لايقبل المناقضة ٠٠ ذلك ان الوحدانية لاتصلح الا لله سبحانه وتعالى فهو يعلم الظاهر والباطن ويعلم السر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ثم هو سبحانه ترك لعباده حرية الاختيار وهو لن يعذبهم ليعرف منهم معلومات ، تخفى عنه فما يخفى عنه شىء وهو سـبحانه لن يعذبهم بمظنة ، بل هو اليقين تشهد عليهم به جلودهم وجوارحهم والشهادة هنا ليست اعلاما للمولى جل وعلا وانما الشهادة لتسكت صـاحب الخطيئة فلا يناقش ٠ والله سبحانه وتعالى قوى بذاته فهو لن يحتاج الى جنــد وعتاد ليؤمن وجوده فى الحكم كما يفعل الحاكم الفــرد فى الحيــاة والله سبحانه وتعالى فوق الجميع لايخشى أحدا وهو غنى عن العالمين ، أما الحاكم الفرد فجبان رعديد وكلما ازداد جبنه وهلعه ازداد جبروته وفجوره فهو لا يخاف على كرسيه فقط وانما يخاف على حياته والحيوان أشرس ما يكون حين يخاف على حياته ٠ والانسان فى خوفه على حياته أشد شراسة من الحيوان فهو حينئذ لايعرف حدا لجبروته ينتهى عنده ٠

ولم يحكم حاكم فرد الا وظلم وكان ظلمه فادحا ذلك ان حكم الفرد من خصائص الله وحده جل وعلا ٠ حتى سيدنا النبى محمد عليه الصلاة والسلام أوصاه الله بالشورى فى آيتين ، حين يقول سبحانه « وشاورهم

فى الأمر » وحين يقول « وأمرهم شورى بينهم » ٠٠ وقد أراد الله سبحانه وتعالى ان تحل الشورى هذا مكان الالهـام فالنوافذ بينـه وبين النبى صلى الله عليه وسلم مفتوحة يأتى اليه منها القرآن الكريم فلا عجب اذن ان يوحى الله الى النبى عليه الصلاة والسلام بالحكم الفصل ولكنه سبحانه وتعالى اختار الشورى بدلا من الوحى ينزل من السماء حتى يتعلم الحكام بعد النبى صلى الله عليه وسلم ان خير حكم بعد حكم الله هو حكم الشورى ٠٠ والشورى فى عهد النبى عليه الصلاة والسلام هى مجلس الشعب عندنا ومجلس الشورى وهى الديموقراطية فى العالم أجمع ٠

هذه الديموقراطية التى ثارت اليها الدول التى كانت شـيوعية وبذلت الأرواح لتصل اليها متحدية جبروت الحكم الفرد بكل ما يحمل من سلاح وعتاد وجيوش وظلم وبعد عن الضمير وجمود فى المشاعر ٠ مدركة ان الحاكم الفرد وقد أصبح مهددا فى حكمه أصبح مهددا فى حياته ومادام قد هدد فى حياته فلا يقف أمامه ضمير فهو فى الأصل بلا ضمير ولا يمسك زمامه عطف أو اشفاق ٠ فهو فى الأصل بلا عاطفة ولا شفقة ٠

وأرى المعارضة تعقد مقارنة بين حكم الفـرد وبين الحكم فى مصر وتلك والله عجيبة من العجائب فلو كان الحكم عندنا حكم فرد لما تجرأ واحد من المعارضة أن يكتب كلمة مما يكتب ٠ بل لو كان الحكم كذلك عندنا لما وجدت المعارضة أصلا ٠ ولأختفت كلمة الحق فكيف بهم وهم يتجاوزون الحق فى كثير من الأحيان ولا يصادر رأيهم سلطان ولا يعصف برأيهم عاصف أو يقصف أقلامهم قاصف ٠

وأغلب هؤلاء المعارضين عاشـوا حكم الفرد وعرفوا كيف كانت السلطة تعد عليهم أنفاسهم وتضع أعناقهم فى خوانق لاتبارحها مصرة ان تشد فى أى لحظة فاذا هم عدم من العدم ٠ وأغلب هؤلاء المعارضين عرفوا كيف كان حكم الفرد يعتدى على أعراض الرجال والنساء على السواء وكيف تحطم الانسان فى داخل الانسان ٠ وانى الجأ اليهم اليوم ان يقولوا كلمة حق ولو على سبيل الخطأ والاستثناء أهم اليوم يحكمون حكم الفرد ؟ ٠٠ فكيف يتاح لهم ان يصدروا هذه الصحف التى يصدرون وكيف يتاح لهم ان يهاجموا السلطان بما يهاجمون وهل عرفوا فى حياتهـم حكم فرد يسمح بما يتمتعون هم به اليوم من حرية فى القول والفعل ؟ ٠٠ أيريدون اذن فوضى فيسمح لمدبرى الجرائم ان يتمادوا فى أعمالهم العدوانية وان يجعلوا مصر تحكم بالحديد والنار من الجماعات الارهابيـة التى ترفع المصاحف على سيوف القتل والفتك والعدوان ٠٠ أتلك هى الحرية التى ينشدون ٠٠ أم ذلك هو الحكم الذى يبغون ؟؟

أم تراهم يريدون تجار المخدرات ان يعبثوا فى الأرض فسـادا

فيحطموا الأجيال ليثروا هم ويدمروا الاقتصاد المصرى ليزدهر اقتصادهم الشخصى ·· أى حرية تريد المعارضة ·· وأى حكم ينشدون الا أن تكون شقشقة فارغة يهرفون بها ولايدركون عواقبها ·· وسبحان الله العظيم فى قوم لايرعون لبلادهم حرمة ولا لوطنهم كرامة ··

الأهرام ١٢ فبراير ١٩٩٠ م

المفسدون في الأرض

قال عليه الصلاة والسلام « حفت الجنة بالمكاره » والكلمة عظيمة ورائعة فالطريق الى الجنة لا يكون الا بمنع النفس عن شهواتها والوقوف بجانب الشرف فى كل ما يصنع الانسان ويأتى فى هذه الحياة الدنيا ٠

الطريق الى الجنة ان تمتنع عن النواهى من الرغبات المحرمة الى شرب الخمر الى القتل الى سرقة مال الغير الى النصب الى التدليس والى هذه المحرمات التى نهت عنها الأديان جميعا ٠ فالنفس مولعة بالمحرمات ٠ والنفس بعيدة الرغبات لا يقف بها الجشع عند حد تنتهى اليه وان لم يردعها وازع من ضمير فلابد أن يردعها وازع من سلطان مؤيد بنصوص القوانين ٠

ولا شك أن الفساد قد استشرى فى دواوين الحكومة فى مصر وفى القطاع العام وتلك ظاهرة مخيفة ٠ وأولئك المفسدون الفاسدون لا يجدى معهم نصح أو تبصرة ٠ وانها لعجيبة ان يكون الرأس عندنا الذى يتمثل فى رئيس الجمهورية صالحا طاهرا بريئا من أى فساد بعيدا كل البعد عن أى مظنة ومع ذلك يستشرى الفساد فى قاعات الدولة ودواوينها وقطاعها العام ٠

لقد أصبحت الرشوة شبه قاعدة وأصبح كثير من الموظفين لا ينظر الا الى مصلحته الشخصية مهما تتعارض هذه المصلحة الخاصة من المصلحة العامة وهكذا غاب الضمير وتفشت السرقات وكثرت الأقاويل وسرى الهمس حتى أصبح علنا ٠٠ ولكن ليس معنى هذا ان نأخذ البرىء بما اقترفه المذنب وان نلقى على الأطهار الأبرار ٠ ذنوب الأشرار الفجار ٠ لابد أن يعالج الأمر بحكمة بالغة ولكن لابد أن يعالج ولا يترك لهم الحبل على الغارب بلا رقيب ولا حسيب ولا قضاء ولا عقاب ٠ فترك مفسد واحد تشجيع لعشرات المفسدين والتراخى فى الضرب على يد اللص يجعل أيدى كثيرة تلص أموال الدولة وتنتهبها فى غير شفقة ولا رحمة ٠

وكلما علا منصب اللص وجب الاسراع فى عقابه لأن رئيس العمل نبراس لموظفيه وهو امام لهم ان مال مالوا وان استقام استقاموا فمالى أرى الوزراء يتباطأون فى انزال العقاب باللصوص والنهابين فى الوزارات والشركات العامة ٠

لقد نعلم ان اثبات الرشوة صعب غاية الصعوبة وان الوزير قد يدرى أن فلانا من موظفيه يتقاضى الرشوة ولكنه لا يستطيع ان يتخذ ضده اجراء قانونيا . فى هذه الحالة يستطيع الوزير فى بساطة أن ينحى هذا الموظف عن المكان الذى يمكنه من تناول الرشوة ، وليست الرشوة هى المفسدة الوحيدة بين الموظفين بل ان المفاسد واسعة الرقعة هيهات ان يدركها عدد أو يلحق بها حصر .

ولكن أسوأ هذه المفاسد أن يسكت رئيس عن مرؤوس بمقولة من الرحمة أو الشفقة فليس أرحم من الرحمن الرحيم واسع العفو ولكنه سبحانه جلا علاه ينزل بالمفسدين العذاب الأعظم ولا يستوى فى ساحته الصالح والطالح ولا المحسن والمسىء .

والرئيس الذى يسكت على سرقة يرتكبها مرؤوس له ، شريك لهذا المرؤوس وان لم ينله من المال المسروق جانب بل ان جرمه أعظم من جرم السارق لأنه بسكوته عنه يشجع كل من يعفون عن السرقة خوف العقاب ان يسرقوا ، بل قد يشجع أصحاب الضمائر أن ينيموا ضمائرهم ويغافلوها ليسرقوا هم أيضا فما دام لا أعقاب فاللصوصية مباحة اذن للجميع لا فرق هناك بين ضمير حاضر وضمير غائب .

وان أعجب ما أعجب له ان أرى فى الصحف المعارضة التهم تكال لموظفين بذواتهم ثم لا أرى من الحكومة تعقيبا . وعدم التعقيب تأييد لهذه التهم وسكوت المسئولين عما يوجه الى الموظفين الذين يعملون معهم يجعل الناس تعتقد عن يقين ان هذه التهم صحيحة ويجعل الخائف يتشجع أن يسرق ان كان خائفا .

ربما كان كثير من هذه التهم باطلا لا أساس له من الصحة . ولكنه ما دام قد نشر فقد أصبح واجبا حتميا على الوزير المسئول أو الرئيس المسئول ان يكذبه ان كان كاذبا أو يتخذ فيه قرارا ان كان صادقا .

على الوزراء أن يقدروا أهمية الكلمة المكتوبة فان لها دويا صارخا لا ينتهى مداه فاذا لم يقدر الوزراء قيمة الكلمة سقطت مكانتهم عند الشعب .

والصلة بين الحاكم والمحكوم ثقة قبل أن تكون دستورا أو قانونا . فاذا فقد الحاكم ثقة المحكومين به أصبح بقاؤه فى الحكم مستحيلا .. والثقة أمر خطير لا يتكون فى النفس الا بعد تجارب طويلة مريرة فالانسان يكسب الثقة بعد ممارسات شتى وقد يفقدها فى كلمة واحدة أو تصرف صغير لا يوليه هو اهتماما .

فالوزراء الذين لا يهتمون بالكلمات المنشورة يعرضـــون الثقة بهم للضياع وان ضاعت الثقة فهيهات لها ان تعود .

وكنا قد تعودنا أن يكون في مكتب كل وزير موظف ـ وما أكثر الموظفين في مكتب الوزير ـ مختص بشئون الصحافة يطلع الوزير على كل ما ينشر متصلا بالوزارة فى الصحف .. ترى هل يوجد مثل هذا الموظف ، وان وجد فهل يقوم بعمله !! وان كان فما للوزراء لا يهتمون بما ينشر عن وزاراتهم فى حين أراهم مشغولين بما لا يجوز أن يشغل الوزير من افتتاح المحلات التجارية والظهور فى التليفزيون فى اجتماعات لا قيمة لها وأولى بهم ثم أولى ان يقرأوا ما يكتب عن وزارتهم والموظفين الذين يعملون معهم ويناقشوا الصحف فيما تقول حتى لا يفقدوا ثقة لا يستطيعون العمل اذا فقدوها .. وعلى الله قصد السبيل .

الأهرام ٢٦ فبراير ١٩٩٠ م

دواوين ثلاثة

وما ضرنا أن ننسى السياسة مرة ونتكلم فى الأدب والشعر فنرطب سعير الحياة ونندى سعارها ·

هذه دواوين ثلاثة ظهرت للشاعر الكبير الأستاذ ابراهيم عيسى وقد خرجت الدواوين الى الحياة منذ أكثر من شهرين وانتظرت أن أقرأ ترحيبا بها أو اشارة اليها أو نقدا لها ولكن هيهات وأين لها ذلك وصاحبها شاعر فقط ليس منضما الى فئة بذاتها ولا هو ذو لون سياسى كل حياته شعر وفن ومن كان كذلك فان نقاد اللون الواحد لن يتناولوا فنه أو يذكروه وحسبه الله ونعم الوكيل ·

يمتاز الشعر ابراهيم عيسى انه شعر عمودى أصيل ولعل هذا من ضمن الأسباب التى وقفت بشعراء التفعيلة السائبة ان يهللو له ويصفقوا ذلك التصفيق الشديد الذى تعودوا ان يستقبلوا به كل أوراق تصدر لهم من المطبعة أو من غير المطبعة ·

ولكن الشاعر الأصيل لا يبحث عن الضجة وانما يبحث عن الفن الرفيع تعلقت روحه به · وتآلف مع النغمة الكريمة والوزن والقافية دون رجعية أو جمود بل فى حداثة فنية عذبة الايقـاع رفيعة البناء قادرة معطاءة ·

الدواوين الثلاثة هى بغير ترتيب معين لأنها ظهرت دفعة واحدة هى « كلنا عشاق » وحبيبى عنيد ــ وشراع فى بحر الهوى · وانى عارض لك بعضا منها حتى تستمتع كما استمتعت وتصفو نفسك كما صفت نفسى ونحمد الله ان بربوع مصر شاعرا ساميا سمو ابراهيم عيسى رفيعا رفعته ·

فى الصفحات الأولى من ديوانه كلنا عشاق قصيدة جميلة بعنوان الرجل المجنون تروى فيها فتاة لأمها كيف يغازلها محب وتصد عنه ويقدم الشاعر حديث الفتاة ومشاعرها فى قدرة فائقة ولولا طول القصيدة لقدمتها اليك جميعا ·

اقرأ معى من قصيدته كيف يبكى الحجر ٠

منى الأمس هـذا لقـائى الأخـير — وهـذا أوان أفـول القمـر
بعينيـك كنت تركت زمـانى — فهـاتى زمـانى وهـاتى العمر
فى الليـل والشجور والذكريات — ولى منـك جفـاف النهـر
زرعت خطى الشمس فى كل ليـل — فكنت سـحاب الدجى المنهمـر

الا تسمع معى النغمة الملتاعة كيف صارت موسيقى عذبة الايقاع جميلة الرنين ٠

وفى نفس الديوان نجد موشحا أندلسيا فى غاية الجمال من أبياته يقول :

وارتوت من خمرة الوجد الكؤوس — وبثغرينـا اسـتبدت نغمـا
يا زمان الحب فى وادى الشموس — ما لأشـواقى تبـكى ندمـا
آهة الناس توارت فى الضـلوع — فـرأت لمـا سرت بين الخفـايا
رقصـة النار وتسبيح الدمـوع — وحنينا يشـتكى حمـق الشظايا
فمضت تسـأل أطـلال الربـوغ — فشـدا صـمت تغنيه العشـايا
قال للحب جحيـم فى النفـوس — كلمـا غنى لظـاه ابتسـما
يا زمان الحب فى وادى الشموس — ما لأشـواقى تبـكى ندمـا

واكتفى بهذه الأبيات من ديوان كلنا عشاق حذرا ان يغرينى شعره فلا أجد مكانا للديوانين الآخرين ٠

ولنتصفح معا ديوانه « حبيبى عنيد » واعجبنى فيه بيتان يقدم بهما الديوان يقول :

قصـيدى اليـك جنـاح يرف — ويحمل نحـو سـمائك بعضى
وشـعرى حـروف ولكننـى — تركت عليهـا عيـونى ونبضى

ولنقرأ معا بعض أبيات من قصيدته الرائعة ذكريات صغيرة :

وما زلت أذكر حـين التقينـا — صـغيرين فى شاطىء الجـدول
ومالت علينـا ظـلال الغصـون — كـأنى بنيت بهـا منـزلى
ونرسـل للسـماء سيقاننـا — كطفلين فى مـرح سـلسل
تداعب أمواجـه العـابثات — ونضـحك حبـا ولـم نحفل

الى آخر القصيدة التى وجدت الألفاظ أبياتهـا تنقل اليـك الحالة الشـعورية للحبيبين فتعيش معهما تلك الفرحة اللاهية الخضراء المنداة بمياه الجدول وننتقل الى الديوان الثالث « شراع فى بحر الهوى » فاختار لك منها قصيدة الشاعر وهى قصيدة تحمل وجد الشعراء فى كل زمان ومكان يقول فيها :

تشـتت بـين المنى والألـم ففجـر قيثـاره بالنغـم
طـوى عمـره قلقـا كالحيـاة يغـرد بالنـور بـين الظلـم
بنى عشبـه فى حنـايا الخلـود وخـف يغنـى على كـل فـنـم
ويخلـق بالوهـم آمالـه ويبنى صـروح المنى بالحلـم
فيحسـبه وهو بين السـفوح تخطى السـحاب وخـلى القمم
وعـذبه بأحاسـيسه زمـان يعربد فـوق القيـم
فبث أسـاه الى كـونه فلم يحن فى الكون غـير القـلم

وبعد فما أحاول فى هذه العجالة ان أعرض الدواوين الثلاثة جميعا وانما أحاول فقط أن أقدم الى القراء فنا رفيعا رويت بعضا منه قليلا لأمتع القراء بما تمتعت به أنا ٠٠ فهنيئا لشاعرنا الكبير ما حباه الله من موهبة باذخة داعيا له الله جل علاه أن يوفر له التوفيق والنجاح مع قوافيه وأوزانه ٠

الأهرام مارس سنة ١٩٩٠ م ٠

أحذية الكرة والثقافة

لا شك ان اعادة مكتبة الاسكندرية الى اشعاعها عمل عظيم ولا يجوز لنا أن نذكر هذا العمل الخالد دون أن نشكر الدول التى شاركت بأموالها فى انبثاق هذا الاشعاع الرائع الى العالم ··· وينبغى لنا أن نشكر الأمير تركى بن عبد العزيز الذى تبرع وحده بثلاثة ملايين من الجنيهات أتصور انها تستحق أوفر الشكر وأعمقه فهذا رجل وحده تبرع من مال فردى لا من مال دولة والواقع انك اذا تابعت هذا الرجل وجدته يستبق الخيرات فى كرم مغدق ووجدته يحب مصر كل الحب عن عاطفة شريفة وعن عقلية واعية مدركة · وانك اذا جلست اليه وجدته واسع الاطلاع على علم شامل بالقضايا العالمية عامة والقضايا العربية خاصة ·

وان مساهمته فى اقامة مكتبة الاسكندرية حلقة من سلسلة مشرفة تشرق بالكرم والخير وصدق المتجه وسماحة النفس ·· فهو يشفع رأيه بماله فى اغداق ورجولة وكرم باذخ ·

أما مكتبة الاسكندرية فنعم ولكن ماذا بعد · ان السيدة الفاضلة حرم رئيس الجمهورية تشجع اقامة المكتبات للأطفال ما وسعها الجهد وهو جهد مشكور تحمد عليه كل الحمد ·

ولكن ·· ما شأن المكتبات فى القرى والمحافظات ·· انى لا أرى بها أى اهتمام فمكتبات قصور الثقافة فى الأقاليم مكتبات قاصرة لا تكاد تصلح للراغبين فى الثقافة أو تمدهم ببعض ما يحتاجون من كتب ومراجع ··

ولا أنسى خطابا جاءنى من أحد الشباب يقول لى فيه انه لم يقرأ فى حياته الا نصف كتاب لأنه يعيش فى الصعيد ولا يجد حوله أو قريبا منه مكتبة يسعى اليها ليستعير كتابا وهو غير ذى مال حتى يشترى كتابا · ولا شك ان حال الذى أرسل لى هذا الخطاب هو حال أغلب الشباب فى المحافظات والقرى ·· وأوقات الفراغ عند هؤلاء الشباب متراخية متطاولة ولا يجدون الا اللعب واللهو ليقضوا فيه فراغهم ·

والثقافة كتاب وبغير كتاب لا ثقافة فليس يغنى عن الكتاب اذاعة مرئية كانت هذه الاذاعة أو مسموعة ·

وأشهد ان الدولة اهتمت بالرياضة فى القرى اهتماما بالغا ولست أدرى أى شيطان جاهل أوحى الى القائمين بشأن الشـباب ان الاهتمـام بالشباب يكون بالاقدام وليس بالرؤوس ٠

فاذا حلا لنا ان نهتم بالرياضة فما لنا لا نقرن الاهتمام بالثقافة مع الرياضة ٠٠ ان القرى بها نواد رياضية فى أبنية مقامة لها يمارسون من خلالهـا كل اللعب فما ضر ان تكون هناك مكتبة فى كل ناد من نوادى القرى ٠

وما ضر ان تقام فى هذه النوادى الرياضية ندوات ثقافية تحت رعاية القائمين على شئون الشباب ٠

أذكر اننى فى كثير من الأحيان كنت أفاجأ فى الخمسينيات بمجلة الاذاعة تنشر ان لى تمثيلية ستقدم فى نفس الاسبوع ولم أكن كتبتها ويتصادف أن أكون بقريتى « غزالة » فى ذلك الحين وقد كانت التمثيليات التى أقدمها عربية ولابد من وجود مراجعى تحت يدى لأكتب التمثيلية ومراجعى فى القاهرة ٠ ولم تكن الحيرة تطول بى فسرعان ما كنت أقصد الى المكتبة العامة بالزقازيق فكنت أجد بها ما أريد وأكثر ٠ وكانت المكتبة مقصد الشرقية جميعها ولم يكن بالقرى نواد رياضية ومع ذلك لم ننقطع فى طفولتنا عن لعب الكرة والألوان الأخرى من الألعاب وبطبيعة الحال لم نكن ننتعل أحذية خاصة بالكرة توزع على اللاعبين ومع ذلك كانوا يلعبون ٠

ولم تكن الكتب مرتفعة الثمن ومع ذلك كانت المكتبة فى الزقازيق مقصد الشباب وغير الشباب للاستعارة منها ٠٠ وأنا أزعم ان ثمن أحذية الكرة فى هذه النوادى جدير بأن يقيم مكتبة فى كل ناد ٠

وليس من الضرورى أن ينتعل اللاعبون أحذية خاصة للكرة ولكن من المحتم ان يثقف هؤلاء الشباب أنفسهم ٠

وفى الخمسينيات كان عدد الشباب الذى يتعلم فى المدارس قليلا وقد تضاعف عدده اليوم بشكل مذهل ٠٠ ألا يستحق هؤلاء الشباب ــ وهم اليوم كثرة كاثرة ــ ان تكون لهم مكتبات فى القرى كما أصبح لهم نواد للعب الكرة ٠

أنا لا أعترض على اهتمام أولى الشأن بالرياضة للشباب ولكننى أبكى دما لانعدام اهتمامهم برؤوس الشباب وثقافتهم ٠

ان التعليم غير الثقافة ٠ فكثير أولئك الذين يعرفون القراءة والكتابة ولكن ما أندر المثقفين بين هؤلاء ٠

لو انك تعمل فى جريدة واطلعت على الخطابات التى ترد الينا من المتعلمين لتولاك الحزن الطاغى لما صار اليه حال المتعلمين عندنا ٠

وقد انتقل المال اليوم الى يد فئة لا تقدر الثقافة ولا تعنى بها فى شىء وجل همها ينحصر فى سيارة فارهة أو تليفزيون على أحدث طراز وقد تجد فى البيت الواحد عدة أجهزة تليفزيونية ولا تجد فيه كتابا واحدا وينشأ الأطفال فى فراغ كامل أمانيهم ثراء مادى يؤدى الى اللهو هذا اذا لم يتجهوا الى المخدرات كمظهر من مظاهر الثراء ٠

وان كان هذا حال القادرين فان حال غير القادرين أعظم بلاء وشر سبيلا ٠

بل اننى أزعم ان زيادة النسل مرجعها الحقيقى هو انعدام الثقافة

ان الثقافة هى أملنا ولا أمل لنا غيرها ٠

اللهم هل بلغت اللهم فاشهد ٠٠

الأهرام ٢ ابريل سنة ١٩٩٠ م :

ليس من جنائها ..

حين قامت ثورة يوليو قالت فى بيانها الذى أعلنت به الثورة انها جاءت لتحمى الدستور ولتثبت دعائم الديمقراطية وما هو الا حين قريب من الزمن حتى ألغت الدستور كله فهدمت بذلك الديمقراطية جميعا فكان بين الناس عجبا أن يكون الطبيب الذى جاء ليعالج الدستور مما ألم به من جراح هو نفسه قاتل الدستور والمجهز عليه وهو هو من يقضى عليه ولا يبقى منه باقية .

فانقلبت أفراحنا نحن الشباب الذى كان متحمسا للثورة مواكبا لها ، وكنا حين جاءت الثورة جيلا لم يكد يفرغ من الدراسة ، وحين أقبلنا على الحياة طالعتنا الثورة فاستقبلها جيلنا بالبهجة واستبشرنا بحياة تموج بالحرية والديمقراطية والكرامة ، فكان الغاء الدستور صدمة عنيفة لنا ، ورجفت قلوبنا رعبا وتوقعنا حكما دكتاتوريا طاحنا وصح ما توقعناه .

فما لبث الحكم الشمولى أن فرض سيطرته على البلاد وأنشب فيها أظافر من حديد تحميها قوة باطشة باغية .

وكان لابد للحكم الشمولى أن يبرر وجوده ويرضى الشعب ويوهمه بانتصارات لاوجود لها .

وصاح بنا الحكم الشمولى نحن الشعب أن لك أن تعلم أولادك بالمجان ولك أن توظف الحكومة جميع الخريجين من الجامعة ولكن ليس لك أن تتكلم فى سياسة بلدك أو تشارك فيها . ومع الأيام لاكسبنا التعليم ولا التوظيف ولا الحرية .

ومنذ ذلك اليوم أصبح الشعب يرمى أحماله كلها على الحكومة تدبر له حياته جميعا وأصبح الكلام فى السياسة همسا متخافتا لا يكاد يبين . فاذا أصر البعض على المشاركة السياسية فليس له الا أن يشارك بالهتاف العريض حين تأمر الحكومة بهذا الهتاف والحكومة وحدها هى التى تحدد هذا الهتاف ونوعه تأييدا ان أرادت التأييد أو عداء اذا أرادت العداء .

وراحت مصر تعادى الدول حتى كادت فى فترة من الفترات أن تكون فى خلاف مع معظم دول الأرض كبيرها وصغيرها ..

وراحت الأموال تنفق فى بذخ طاغ لاقامة امبراطورية فردية للحاكم الذى لم يكتف بحكم مصر وحدها فقد وجدها أصغر من أن تحقق له أحلامه وآماله .

فكانت المؤامرات تصـــدر الى الدول العربية وكانت حرب اليمن والمعاونة فى حروب أفريقيا وغيرها وغيرها .

واقترن هذا الخراب بحربنا الأســاسية من أجل القضية العربية فكانت حرب ٥٦ ثم ٦٧ ، وخسرنا الأموال مخضبة بدماء شهدائنا الأبرار وبدماء كرامة مصر وعزتها وتاريخها ..

وكانت الوحدة المصرية السورية التى خسرنا فيها أموالنا كما خسرنا سوريا نفسها . وأذكر اننى كنت عضوا فى وفد مصرى من الأدباء والفنانين الى سوريا أيام الوحدة وقبيل الانفصال وكان الوفد يضم ما يقرب من ثلاثين عضوا بين كتاب ونجوم سينما وفنانين تشكيليين .

ولمسنا بأنفسنا كره الشعب السورى للحـــكم المصرى ونحن نمر بالشـــارع السورى فمثلا أراد الكاتب الكبير محمود البدرى ان يشترى راديو ترانزستور ، ولم يكن الحصول عليه يسيرا فى مصر اذ ذاك فراح يمر بالمحلات وكنت فى رفقته .. ووجد الأستاذ محمود الراديو الذى يرضيه وهم بشرائه وطلب من البائع ان يعطيه البطاريات التى يعمل بها الراديو ولكنه فوجىء بالبائع يقول :

ـ ليس عندى بطاريات لهذا الراديو .

فقال الأستاذ محمود :

ـ فكيف أشتريه اذن ؟

فقال البائع .

ـ قبل الوحدة كان عندنا بطاريات ..

وخجلنا وانصرفنا مسرعين ومندهشين أيضا ..

ولكن دهشتنا ما لبثت ان زالت من قريب فقد التقى بالوفد أحد الضباط الذين يمثلون مصر فى سوريا وكان صديقا لواحد من وفدنا فاذا به يدعو الوفد الى عشاء .

وذهبنا الى العشاء فاذا بالطعام يكفى أضعاف عـــدد الوفد ، واذا

بزجاجات الويسكي تفتح بغير حساب لشاربيه ، وعلمنا ان كل هذا كان من المال العام · فزالت دهشتنا من عدم رضا الشارع السوري عن الحكم الذي أرسلنا به اليهم ، بعد ان كان متحمسا للوحدة تحمسا لا مثيل له ·

وحين تولى الزعيم الخالد أنور السادات الحكم انشغل بالحرب وانتصرنا ولكننا أيضا أنفقنا الأموال ·

واجتمع كل هذا الخراب المالي في عهد رئيسنا العظيم الحالي محمد حسني مبارك وواجه دولة هي في الحقيقة أنقاض · فأما أن يعيد البناء أو تصبح الدولة الى الفناء التام الكامل ·

وحمل الرجل قدره ومسئوليته وهو يقول مع الشاعر : ·

لم أكن من جناتها ـ علم الله ـ واني بحرها اليوم صال

وتكلمت التليفونات وانتظمت المصارف الصحية وأضاءت الكهرباء وتحسنت المواصلات وظهر جهد واضح في مشكلة السكن ولكن الشعب وهو يرى هذا التقدم جميعا يغضب اذا طلب اليه أن يشارك بشيء من الجهد وله بعض العذر فقد أعلنه الحكم الشمولي ان لا شأن له بوطنه وله بعض العذر أيضا فالغلاء أصبح ضاريا مسعورا حتى لا يصلح أي مرتب أن يواجه الحياة ، لا أستثني من ذلك مرتب الوزير ··

ولكنني ـ وأنا دائما أحب أن أتفاءل ـ وأثق ان الله سبحانه سيتداركنا بفضل منه ورحمة وفي ظل رحمته التي كتبها على نفسه أملنا سبحانه جل علاه ·

الأهرام ٢ مايو سنة ١٩٩٠ م

الوظيفة للجميع

ذلك الشعار الذى رفعه الحكم الدكتاتورى ليحاول به ان يعمى الشعب عن حقوقه فى حياة تليق بالانسان وكرامته وحريته ٠

لقد طغى فاعتدى على الناس من الرجال والنساء واعتدى على الحياة أقدس ما وهبه الله للبشر واعتدى على الكرامات والأموال ٠ وجعل الابن عينا على أبيه وأمه وذويه وأقام حفلة تكريم لأخت أبلغت عن أخيها انه يقول فى بيته آراء ضد الحكم فدمر صلات الرحم الذى اشتق الله سبحانه وتعالى اسمه من أحب أسمائه اليه الرحمن جل وعلا ٠٠

مما أعتقد معه أن المغالاة التى يتسم بها بعض شباب المسلمين اليوم انما هى رد فعل عنيف لسنوات الالحاد التى أشاعها الشيوعيون فى أيام الحكم الشمولى ٠٠ وأحكام المحاكم التى تواترت بعد الحكم الشمولى أثبتت هذه الأحداث جميعها مما جعلها غير قابلة للنقاش أو التشكيك ٠

وحتى يلهى الحكم الشمولى الشعب أعلن ان الحكومة ستعين جميع الذين يتخرجون فى الجامعة ٠٠ فكيف كان مصير هذا التعهد ٠ والى أين ساق الدولة والخريجين والعمل فى الحكومة والقطاع العام ؟!

أصبح الأمر فوضى لا مثيل لها تكدس الموظفون فى الحجرات بغير عمل يعملون الا أن يشربوا القهوة والشاى والمرطبات ويقرأوا الصحف ثم يتحايل كل منهم ليخرج من مكان العمل ويجلس الى مقهى أو يمشى فى الطرق العامة ويعود قبل موعد ، الخروج بدقائق ليوقع للانصراف وكأنه لم ينصرف قبل ذلك بساعات ٠٠ واختلط الحابل بالنابل وأصبحت لا تدرى من يعمل ومن لا يعمل فى الحكومة والقطاع العام ٠٠

واضطربت مصالح الناس ٠٠ فأصبح الشعب لا يجد من يؤدى عمله ولا يعرف من صاحب الحق فى تيسير الاجراءات الحكومية المتصلة بصوالح الشعب ٠٠

وأصبحت الوزارات والمصالح الحكومية والقطاع العام ينوء بموظفيه وتفاقمت خسائر القطاع العام الذى ينتهب العاملون به كل أرباح يمكن أن يحققها وأصبحت مرتبات الحكومة كارثة اقتصادية لا مثيل لها فى

العالم ·· فالعمل الذى ينبغى أن يؤديه موظف واحد مرصود له عشرة أو عشرين موظفا · ضاعت بينهم الواجبات واغتصبت فيما بينهم الحقوق، وامتلأت حجرات الحكومة والقطاع العام بالموظفات وانك لترى التمثيليات والمسارح والأفلام تظهر المرأة العاملة تقوم بشئون منزلها فى مقار العمل وليس ببعيد أن نرى تلك التمثيليات والمسارح والأفلام تظهر العاملات يرضعن أطفالهن بمبانى العمل أو يغسلن ملابس أزواجهن وأبنائهن على مكاتبهن بالحكومة والقطاع العام ·

وكانت النتيجة الطبيعية لذلك ان عجزت الحكومة عن توظيف جميع الخريجين وأصبح الشباب ينتظر خطاب القوى العاملة سنوات طوالا يقضيها ـ للأسف ـ متسكعا بلا عمل يقوم به · وأصبح مرتب الحكومة الذى ينتظره الشباب لا يساوى شيئا ·· ومع ذلك نجد الشاب من الخريجين يلهث خلفه لهاثا لاهبا ··

وليس هناك مفسدة للشباب شرا من الفراغ وخاصة اذا كان هؤلاء الشباب بلا هواية يستعينون بها على الفراغ كالأدب أو الموسيقى أو الرسم ·· فهم من وقتهم ومن داخلهم فى خواء مطلق ··

وهكذا نجد ان التزام الحكومة بتوظيف الخريجين كان وبالا كل الوبال على الخريجين وعلى الحكومة والقطاع العام جميعا ··

والله سبحانه وتعالى يبشر عباده بأن مع العسر يسرا ويكررها سبحانه تأكيدا لمن ضاقت عليهم حلقات العسر ··

وها نحن أولاء نرى الشباب نزل الى ميدان العمل اليدوى فمنهم من يعمل فى البناء أو فى اصلاح العطب فى السيارات أو الكهرباء أو السباكة أو سائقين وكثير منهم يعمل فى ميدان الفندقة ·· وتراهم فى كل موطن من مواطن أعمالهم يحافظون على كرامتهم معتزين ان يعملوا مرفوعة هاماتهم وضاحا جبينهم يشرفهم انهم ينالون مالا مقابل عمل وانهم ليسوا عالة على ذويهم أو مجتمعهم ·

الا اننى أرى أن هؤلاء العاملين قلة قليلة اذا نحن قارنا بينهم وبين العاطلين من الشباب فيا ليت الشباب المتعطل ينسى الشهادة التى حصل عليها وينزل الى ميدان العمل اليدوى · وليت كل العاملين فى الأعمال اليدوية يصبحون من ذوى الأعمال اليدوية يصبحون من ذوى الشهادات العالية فان هذا يشرف مصر والمصريين جميعا ·

أما المرأة فان لها ان تعمل بل يجب عليها ان تعمل لتعين زوجها وأهلها على الحياة ما دامت لم تنجب أطفالا فاذا أنجبت وجب عليها وجوبا

أن تمتنع عن العمل لترعى طفلها حتى يذهب الى المدرسة ولتأخذ أجازة بلا مرتب فى هذه الفترة فان أى مرتب ستتقاضـــاه وطفلها محتاج الى رعايتها لا يساوى ما يخسره الطفل من حنانها وحدبها واهتمامها ٠٠

أما اذا استأجرت له مربية فان أى مرتب ستحصل عليه فسيكون أقل من أجر المربية ٠٠ وهيهات وألف هيهات أن تعوض المربية الطفل عن حنان أمه وبرها به وحدبها عليه ٠٠ والله ولى التوفيق ٠

الأهرام يونيو سنة ١٩٩٠ م

أوهــــام

لابد للحكم الشمولى أن يخادع الناس عن حريتهم ويدخل فى وهمهم ان العسف الذى يحكمهم به انما هى من أجل صالح المجموع حتى يظنوا أن ما يفقدونه من حـرية وكرامة فى مقـابل فوائد تعود عليهم • ولكى يحسبوا ان القهر المفروض عليهم انما هو من أجل أن يوفر لهم الحاكم معيشتهم ووسائل حياتهم • وكان من بين هذه المخادعات مجانية التعليم العالى • أما التعليم الابتدائى والثانوى فقد كان مجانيا منذ رفع عميد الأدب العربى د• طه حسين شعار التعليم كالماء والهواء حين كان وزيرا للمعارف •

وبهذه المناسبة لى حديث قصير مع د• طه حسين أرى من واجبى أن أذكره هنا وليس لى عليه شاهد الا الله سبحانه وتعالى وحسبى الله شهيدا ود• طه حسين بين يدى الله الآن وليس من الخلق أن أفترى عليه ما لم يقل وانى سأقدم الحديث بين يديك :

كنت أجلس الى د• طه حسين فى بيته ولم يكن معنا ثالث الا الله سبحانه وتعالى وقلت له :

ـ هل قرأت معاليك مجلة كذا ؟

قال : ـ لا ••• ماذا بها ؟

قلت : ـ بها مقال عن معاليك •

قال : ـ ماذا يقول المقال ؟

قلت : ـ يمتدح معاليك •

قال : ـ وماذا يمتدح فى ؟

قلت : ـ يمتدح الشعار الذى رفعته ان التعليم كالماء والهواء •

قال : ـ هيه •

ثم صمت قليلا وعاد يقول :

ـ والله لا أدرى ان كنت أخطأت أم أصبت بهذا الشعار •

ولم أعلق وانتهى الحديث فى هذا الشأن •

كانت مساوىء الأخذ بهذا الشعار دون الاعداد له اعدادا مناسبا قد وضحت • فكثر التلاميذ فى المدارس بلا أماكن معدة لهم وبلا مدرسين يواجهون هذا الزحف الهائل •

على أية حال الأمر يمكن قبوله فى التعليم الابتـدائى والثانوى • ولو ان تكافؤ الفرص أصبح معدوما وأصبح النجاح من نصيب القادرين الذين يطيقون ان يلجأوا الى الدروس الخصوصية التى أصبحت تكلف أولياء أمور التلاميذ مبالغ طائلة هيهات هيهات ان يستطيع غير القادرين الاقتراب منها •

ولكن الكارثة الحقيقية فى الجامعة ، فان ميزانية التعليم فى مصر ثلاثة مليارات ونصف مليار يستغرق التعليم الجامعى وحده منها ثمانمائة مليون جنيه فأى دولة يمكن أن تواجه هذه المبالغ التى تثير الذعر والهلع فى النفوس • ومن عجب أن ترى بين طلبـة الجامعة ممن نال شهادة الثانوية العامة فى مدارس خاصة كانت مصاريفه فيها آلافا مؤلفة كان يدفعها راضيا وفوقها المبالغ الاستثنائية من أجل أتوبيس ومعونات وغير ذلك • حتى اذا بلغ الجامعة أصبح تعليمه مجانيـا بينما يكلف طالب الجامعة الدولة ألفا وأربعمائة وخمسة وتسعين جنيها فى العام • وهذا المبلغ لا شك انه يثقل الدولة أثقالا ضخما • ولا يكاد يثقل الطالب الذى كان يتعلم بالمدارس الثانوية الخاصة • فقد كان يدفع أضعاف أضعافه •

فأى بأس ان يعاون القادرون غير القادرين فى التعليم الجامعى ؟

لتكن المجانية للمتفوقين وغير القادرين ويدفع القادرون مصاريف تعين الدولة على حملها هذا الثقيل •

فان النفس تجزع ان ترى السيارات الفاخرة للطلبة تسد منافذ الجامعة حتى أصبح لها مواقف خاصة لا تكفى على سعتها العدد الهائل من السيارات التى يملكها الطلبة : ومع ذلك يتعلم هؤلاء الطلبة مجانا على حساب الدولة •

وكما غاب تكافؤ الفرص عن المدارس الابتدائية والثانوية غاب أيضا غيابا تاما عن ساحة الجامعة • فقد انتشرت الدروس الخصوصية بين أساتذة الجامعة وأجورهم يشيب لها الولدان ولا يقترب منهم الا من كان على ثراء فاحش خيالى • هذا الطالب يدفع الآلاف للدروس الخصوصية ويضن على بلده ان يدفع له مصاريف تعينها على تعليم غير القادرين من أبناء وطنه •

لا تستطيع دولة ما ان تستمر على هذا التناقض فى الأوضاع •

وان كان الحكم الدكتاتورى قد أعلن التعليم المجانى ليثبت أركانه فى نفوس الشعب فنحن اليوم نعيش عهدا حرا ينبغى ان تكون القرارات فيه لصالح الشعب وليس لصالح الفئة الحاكمة ٠ فالقرارات التى تتغيا مصلحة فئة حاكمة قرارات باطلة من أساسها ٠ والله يهدى الى الصراط المستقيم ٠

الأهرام يونيو سنة ١٩٩٠ م :

... وهزم الأحزاب وحده

يستطيع الشيوعيون المصريون أن يؤمنوا بالله أو يلحدوا فهذا شأنهم وحدهم مع الخلاق العظيم وهو سبحانه يعرف النفوس وهو جل شأنه لهم الهوى بفائض القيمة والمادية التاريخية والدولية الأولى والثانية والثالثة .

ويستطيع الشيوعيون المصريون ان يؤلهوا ماركس فهو ربهم الأعلى ويستنبئوا لينين فهو رسولهم الذى لا ينطق عن الهوى فكلامه وحده هو الحق الذى لا حق غيره ولا هدى الا هداه ولا صراط مستقيما الا طريقه ..

ويستطيع الشيوعيون المصريون ان يضربوا صفحا عن البروسترويكا التى صرخت فى روسيا ودوى صراخها فى جميع دول أوروبا الشرقية فاذا النظرية الشيوعية فى عاصمتها الكبرى تعلن فشلها اعلانا صريحا ناصعا لا شك فيه ولا مراء .. فقد ثاروا هناك على الاقتصاد المملوك للدولة ورفضوه رفضا كاملا واعتبروه كارثة عظمى على الدول التى تسير على نهجه والتى تتخذه نظامها المالى . وثاروا على الحريات المكبوتة والكلمة المكتومة والانسانية المحطمة المهشمة واعلنوا ان الانسان هو حريته وان الله كرمه فكل من يهينه بعد ذلك فهو طاغية ظالم باغ ما ينبغى له ان يكون من الحاكمين .

وتداعت الشيوعية فى جميع حصــونها وتقوضت أركانها واندك بنيانها وانهار أساسها وصاحت الشعوب التى كانت الشيوعية جاثمة على صدورها : تحيا الحرية ، وانتهت الشيوعية الى غير رجعة وتوحدت ألمانيا فى ظل الديمقراطية والحرية وقضت الشعوب على طغاتها بالقتل أو بالسجن أو بالطرد .

الا الشيوعيين فى مصر فهم وحدهم الذين يلعبون خارج الملعب ويصطرخون لينين وما هو بمصرخهم ولا بمجيب هتافهم فقد انقشعت ظلاله عن عالمه وأصبح هو ومبادئه فى خبر كان ..

مازال الشيوعيون المصريون مصممين على شيوعيتهم . ومالهم

لا يفعلون وقد عادت عليهم الشيوعية بالحياة المرفهة والنعيم المدلل وبالأموال الفـــارهة ·

وهذا أيضا يستطيعونه ··

يستطيعون ان يثروا ما شاء لهم الثراء بمذهبهم الذى يدعو الى الفقر ولا غرو فهم قد رأوا أساطين الشيوعية فى البلاد التى كانت تدين بمذهبهم يعيشون عيشة القياصرة بينما الشعوب مطحونة لا تكاد تجد قوت يومها ·

فقد وعدوهم برغيف العيش مقابل الحرية ثم اغتصبوا منهم رغيف العيش والحرية جميعا ··

ومازالت هناك دولة اسمها البانيا يحكمها الفكر الشــيوعى وكأنما بقيت لتكون ذكرى لمن لم يقتنع بعد بهول الشيوعية والكارثة التى تحققها على شعوبها ·

انظر الى البانيا اليوم ·· فقر مروع مخيف ·· وقتل لجميع الحريات وخراب ما بعده خراب ·· وها هم أولاء أبناؤها يلجأون الى سفارات الدول الأخرى لاجئين من هول ما يصيبهم · وقد لجأ بعضهم الى سفارة مصر ··

ولكن الشيوعيين المصريين لا يزالون يدعون الى مذهبهم بصوت جهير مرتفع فى التليفزيون والصحف ·· وهذا أيضا يستطيعونه · لهم ان يقولوا ما يشاءون ويطالبوا بالحرية فى مصر وهى قتيل فى كل البلاد التى كانت تتمذهب بمذهبهم وترفع اعلامهم يستطيعون هذا أيضا · ولكنهم باليقين لا يستطيعون ان يقطعوا صلات الرحم فى مصر بين الأبناء والآباء · فالأبناء هنا يحبون آباءهم ويتفانون فى سبيل مرضاتهم · وان كانت الشيوعية التى قضى عليها بالموت الى الأبد تمزق صلات الرحم هذه وتجعل الأبناء حاقدين على آبائهم وتقيم منهم جواسيس على ذويهم أجمعين من آباء الى أخوة الى أقرباء ··

ولكن هذا لن يكون فى مصر مهما تحاول التمثيليات الشيوعية ان تصنع · فصلات الرحم مقدسة فى الأديان جميعا وعليك ان ترى قرب كلمة الرحم من الرحمن أحب أسماء الله اليه سبحانه وتعالى ··

لا ·· لن تستطيع اقلام الشيوعيين وتمثيلياتهم ان تمس صلات الرحم مهما يجيشوا الأقلام والأعمال التليفزيونية ·

ولن يستطيع الشيوعيون مهما يكتبوا ان يقلبوا التاريخ ويجعلوا الهزيمة نصرا والنصر هزيمة ·

وانهم لا يثيرون الا سخرية المصريين وهزءهم حين يصورونهم وقد

فرحوا بالهزيمة الماحقة الشـــنعاء وحزنوا للنصر الرائع العمـــلاق الذى لم يتحقق منذ أيام صلاح الدين الى يومنا هذا ..

النصر نصر والهزيمة هزيمة ..

وقد أدى النصر الى السلام ومع الأيام أصبح العرب كلهم معنا ..

وقد كنا فى أيام الهزائم نهاجمهم فى أشخاصهم وفى دولهم بالدعاية الخرقاء الرعناء وبالمؤامرات بل بلغ الفجور بسياسة هذه الأيام السوداء انها كانت تدبر لقتل بعضهم وبلغ التدبير غايته ..

ليكتب الشيوعيون ما حلا لهم ان يكتبوا مستخفين بعقولنا مزورين لمشاعرنا فانهم لن يبلغوا من حقيقة مشاعرنا الا السخرية والرفض وقولنا دائما والى ان نلقى الله لا اله الا الله جل وعلا نصر عبده وهزم الأحزاب وحـــده .

الأهرام ٣ يوليو سنة ١٩٩٠ م :

ارجعو الى الحق

ربنا سبحانك وتعاليت تهدى من تشاء وتضل من تشاء وانت على كل شيء قدير وما تهدى سبحانك الا من اختار الهدى ولا تضل الا من اختار الضلالة فانك جل علاك قد عرضت الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ٠

فما لأقوام يبغون فى الأرض ويصدرون أحكامهم علينا نحن المسلمين ويثيرون الفتن حتى بلغ الظلم باثنين منهما ان قتلا أباهما لأنه يحاول أن يمنعهما من الذهاب الى اجتماعات الارهابيين ممن يدعون انهم يحافظون على ديننا والله سبحانه وتعالى يقول فى سورة لقمان (الآية ١٤ ، ١٥) « ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين ان أشكر لى ولوالديك الى المصير ٠ وان جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الى ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون » ٠

أفشكر الوالدين ومصاحبتهما بالمعروف تعنى ان يقتل الابن أباه فاذا كان الله يأمر عبـاده أن يصحبوا آباءهم بمعروف حتى ولو كانوا مشركين أيسوغ فى الأذهان ان يقتل الابن أباه لمجرد انه ينهاه عن مصاحبة الارهابيين ثم يظنان انهما بذلك ينصران الله والاسلام الا خاب ما يفتريان ٠

من أين لهؤلاء الارهـابيين ان يعرفوا الحلال والحرام والله تعالى يقول فى سورة النحل (فى الآيتين ١١٦ و ١١٧) « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ٠ متاع قليل ولهم عذاب أليم » ٠

فكيف تحلون لأنفسكم قتل الناس وايذاءهم واثارة الفتنة بينهم الا أن يكون فى ذلك متاع دنيوى لكم ٠٠ والله سبحانه يقول فى نفس السورة (الآية ١٢٥) « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ٠ وهو أعلم بالمهتدين » ٠

وهو جل علاه يقول ذلك لرسوله صلى الله عليه وسلم حامل رسالته

والأمين عليها والذى أبلغها بالحق الى العباد أجمعين • فمن نصبكم أنتم دار افتاء وقضاة يحكمون دون ان يسمعوا حجة الذين يتهمونهم ثم منفذين للأحكام بلا تعزير أو استئناف أو روية فى الأمر •

لا سبيل أمامنا نحن المسلمين الا أن نرى فيكم قوما يسعون الى الحياة الدنيا وزخرفها ضاربين صفحا عن دينكم وآخرتكم ووعد الله ووعيده تقدست أسماؤه •

هل دين الاسلام يقبل منكم العنف والفتنة وقتل الناس بلا محاكمة وتنصيب أنفسكم مشرعين وقضاة ومنزلين لعقوبة لم تحاكموا أهلها •

علم الله أن ديننا براء منكم •

هل قرأتم القرآن ؟ اللهم لا والا لكنتم قرأتم قوله تعالى (فى الآية ١٠٨ من سورة الأنعام) « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون » •

فاذا كان الله ينهانا ان نسب الذين يدعون من دونه فمن أذن لكم أنتم ان تعتدوا على من آمنوا بالله واليوم الآخر ومن سمح لكم ان تجعلوا من أنفسكم أربابا والله يقول ان مرجع الناس جميعا اليه سبحانه جل شأنه فينبئهم بما كانوا يعملون ان الدين لله وهو وحده سبحانه الذى يحاسب عليه وكم من آية فى القرآن الكريم تقول للنبى صلى الله عليه وسلم حامل الرسالة وسيد البشر أجمعين لست عليهم بمسيطر وان عليه البلاغ والحساب لله وحده وانه صلى الله عليه وسلم ليس وكيلا عن الناس وليس مسئولا عما يفعلون • أمكانكم من الله أقرب من مكان النبى عليه الصلاة والسلام كره الله هذا والمؤمنون •

وأين أنتم من قول الله تعالى (فى الآية ٩٩ من سورة يونس) « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » • فما لكم أنتم تكرهون الناس ان يسيروا على رأيكم وأنتم لا تعلمون ان كان ما تدعون اليه هو الدين القيم أم هو الضلالة والبعد عن الهدى •

سذاجة ان تفرحوا قليلا بأن تقيموا من أنفسكم هداة ومرشدين الى الدين الحق افتئاتا على الدين والحق وما أنتم من المرشدين أو الهداة فى شىء ثم الى الله مرجعكم فتعلم كل نفس ما قدمت وويل يومئذ للظالمين •

هل الحكمة والموعظة الحسنة هى هذه الأسلحة الفتاكة التى تحملون والتى تثيرون بها الفتنة فى الوطن الآمن وفى الايقاع بين المسلمين وغير

المسلمين علم الله انكم لتفعلون أمرا منكرا لا يرضى الله عنه ولا نبيه ولا المؤمنون ٠٠ هذه آيات من القرآن الكريم ولو كنتم قرأتم هذه الآيات لما رضيتم عن هذا الجرم الفادح الذى ترتكبون ٠ وان لم تكونوا على بينة منها فكيف تسمحون لأنفسكم ان تدعوا الى هدى الاسلام وأنتم لم تدرسوا قرآنه ولا أنتم بذاكرى آياته العلوية ٠

أن الذين يدعون الى قواعد الدين هم أولئك الذين توفروا على مدارسة الدين والقرآن وتفاسيره المختلفة أما ان يدعى الهدى من لا يعرف من الدين الا قشوره فأمره يأباه المسلمون ويرفضه الاسلام وان جزاءه عند الله شديد ٠

اتقوا الله فى دينكم ووطنكم وارجعوا الى الحق فان الحق قديم والرجوع الى الحق خير من التمادى فى الباطل ٠ هدى الله ضلالتكم وأعادكم الى الصراط المستقيم ٠ انه قريب سميع الدعاء ٠

الأهرام ٩ يوليو سنة ١٩٩٠ م :

انها محنة أخلاق

ومحنة الأخلاق أعظم عند الله وعند النـاس من أى محنة فالطاغية العراقى يضرب مثلا فادح السوء فى انعدام الخلق ٠

ألم يكن قبل طغواه وغزوة اختطافه للكويت يحتضن أميرها وممثليه ويظهر الود ويخفى البغضاء متخلقا بالنفاق فى أبشع صوره وفى أحقر معانيه ؟ ألم يقطع على نفسه عهد للرئيس حسنى مبارك انه لن يقرب الكويت بأى عدوان مسلح ؟

أكان وهو يصنع هذا جميعه لا يعرف ان الكويت جزء من العراق فى الأزمان الماضية ٠ هل اكتشف هذه الحقيقة بغتة فى لحظة واحدة أم كانت هذه الحقيقة من قبل نسيا منسيا ثم ومضت فى ذهنه على غرة منه ؟ ٠٠ ويخطب فى الناس معلنا انه لا يجوز لدولة عربية أن تتدخل فى شئون دولة عربية أخرى ٠٠

ولا يجوز لأى دولة أن تعتدى على دولة أخرى وأن هذا العدوان اجرام كبير ٠٠ أو لم يوقع معـاهدة مع خادم الحرمين الملك فهد بهذه المعـانى وكان يريد أن يوقع مثلهـا مع أمير الكويت ولكن الرجل أبى متصورا انه لا داعى الى هذه المعاهدة واثقا ان صدام لن يقدم على أى عمل يوجب توقيع هذه المعـاهدة ٠ ولو كان الأمير الكويتى وقع هذه المعاهدة ما احترمها صدام ولمزقها اربا اربا وقام بغزوه الأحمق الذى لا شك انه كان يعد له منذ أزمان بعيدة وصدق الله العظيم حين يقول فى كتابه العزيز فى سورة الصف الآيتان ٢ ، ٣ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ٠ كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون » ٠٠

وأين هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع « ان دماءكم وأموالكم حرام بينكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شـهركم هذا » ٠ أى دين ذلك الذى يدعى صدام انه يدافع عنه ٠ علم الله ان الدين الاسلامى وجميع الأديان لا ترى فى صنعه الا جرائم من أبشع الجرائم التى ارتكبها بشر ٠

ويل للاسلام من مدعى الاسـلام • من مخبر العالم أجمع من غير المسلمين ان هذا الذى يصنعه صدام ليس من الاسلام فى شىء • فالأسلام تعاطف ومحبة ومودة وحب ولو اننا استقصينا الآيات والأحاديث عن تراحم الاسلام وحبه للسلام لكتبنا مئات الصفحات ولكننى أذكر آية من أعظم ما جاء فى القرآن وهى قوله سبحانه فى سورة مريم الآية ٩٦ « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » •• فاذا كان الود هو الجزاء الأوفى الذى يقدمه سبحانه الى الذين آمنوا عملوا الصالحات ،فأين هذا الود فيما يصنعه صدام حسين بالمسلمين فى كل مكان ؟ وأين هذا الود من اعتداء جنوده على الأعراض والأموال والأنفس فى الكويت •

أين الاسلام مما يصنعه صدام بالرهائن الذين شاء سوء حظهم وخده ان يكونوا بالكويت والعراق حين قام هو بالتهام الكويت فى يوم قاتم الشمس مظلم الجنبات ؟ •• ماذا نحن قائلون للعالم المتحضر أو غير المتحضر عن هذا التصرف الأحمق الشائن الذى يقوم به صدام مع الرهائن ؟ •• أتراه يقول انه يحمى نفسه ؟ •• هيهات فما يعقل أحد أن أمريكا والدول الغربية لتضيع صوالح شعوبها جميعا من أجل الرهائن •• صحيح ان النفس البشرية لها مكانتها الرفيعة عند الدول المتحضرة ولكن المؤكد أن الدول ما كانت لتقبل أن يفرض فرد واحد وصايته على حياتها من أجل انه يحتفظ لديه برهائن يحاول أن يجعل منها درعا بشرية •

ان مصالح الأمم هى صاحبة المرتبة العليا فكيف يتصور صدام أو غيره ان هذه الدول تتنازل عن حياتها من أجل حياة أفراد قل عددهم أو كثر ؟

ان لكل حرب ضحاياها ولا شك ان أمريكا والدول الأوروبية المساندة لها ستعتبر هؤلاء الرهائن ضمن التضحية الحربية التى يفرضها كل نزاع مسلح وتكمل عملها الذى تجمعت من أجله • أم يتصور صدام أن تمر الشهور والقوات الأمريكية ومعها القوات الأخرى باقية فى المنطقة دون أن تصنع شيئا حتى اذا أصاب الدول الملل أمرت القوات ان تعود الى قواعدها دون أن تقوم بالمهمة التى احتشدت لها ؟

هيهات •• ان هذه الأموال وجهد هذه القوات من شعوب تحاسب الرؤساء على ما يقومون به من أعمال • وهذه الشعوب لا تسمح لحكامها ان ينفقوا أموال الشعب وجهده فيما لا طائل وراءه • ووجود هذه القوات

يكلف الدول أموالا طائلة وعنتا شديدا ولابد أن يكون لتحركها معنى ٠ ولابد أن تعيد الكويت الى الكويت وان تعيد حكامها الشرعيين الى أماكنهم ٠ والا كان حساب الشعوب لرؤسائهم حسـابا عسيرا ٠ بل ان التاريخ والانسانية لن يغفرا لهؤلاء الرؤساء انهم لم يقوموا بواجبهـم أمام طاغية جبار فرض نفسه على الزمن ولم يجد من يرد عاديته ويكسر شوكته ٠

جريدة الأهرام ١٠ سبتمبر سنة ١٩٩٠ م :

انهـا كارثة عالمية

ان هذا الذى حدث فى الكويت ليس مشكلة عربية وانما هو كارثة حضارية عالمية لا يتصور أحد أن تحدث فى أيامنا هذه ٠

كيف يمكن أن يدور بذهن البشر ان أخا يهاجم أخاه ويستولى على كل ما فى بيته من آدميين وأموال لمجرد أن الأخ المعتدى أقوى من أخيه المعتدى عليه وأشد بأسا ٠

وكيف يمكن أن يدور بذهن بشر أن يتم هذا العدوان الدولى الغادر ثم يسكت العالم عنه وكان شيئا لم يحدث ان الأمر ليس مجرد دولة قوية اغتالت دولة لا جيش لها ولكنه مستقبل عالم بأسره ٠ واذا سكت العالم فويل له من المعتدى ٠ فالذى يعتدى مرة سيعتدى ألف مرة ٠ وما دام اســتطاع أن يخرج من المعركة سليما معافى فهو بلا شك مستمر فى العدوان ومستيسره ٠ وهو بلا شــك سيواصــل عدوانه على كل الدول الأخرى التى لا جيوش بها ٠

ان الأمر الذى لا شك فيه ان النظام الفردى يحمل عوامل هدمه فى داخله والذى يدمر نفسه بنفسه بتصرفاته الرعناء الحمقاء فان نفسه تصور له انه اله منفرد لا يدانيه أحد فى جبروته ٠

ولننظر الى التاريخ منذ يوليوس قيصر الذى لم يحتمله صــديقه الأقرب بروتس واذا عبرنا الأجيال الى العصور الحديثة لوجدنا هتلر الذى أراد أن يغزو العالم وانتهى نهاية مفجعة بعد ان دمر بلاده تدميرا كاملا ووجدنا أيضا حليفه موسيلينى الذى انتهى معلقا بيد الشعب ٠

المؤكد ان الحاكم الذى يقضى على نفسه بما يتوهمه فى نفسه من عظمة هى فى حقيقتها كاذبة ومن جبروت هو فى أساسه خداع ومخادعة للنفس ٠

والآن وأنا أكتب هذا الحديث لست أدرى بماذا يأتى غد أو بعد غد فالأحداث متلاحقة وكلها ذات آثار غاية فى العنف ٠

وانه لعجيب ان يطالب العرب بالحرية وبجلاء اسرائيل ثم يقدم حاكم عربى على ابتلاع دولة عربية أخرى : بأى حجة نخاطب اسرائيــل

اليوم ؟! وهم أعداء الاسلام منذ ظهوره • وليس غريبا ان يظلم العدو وان يعتدى وان يفجر فى تصرفاته • ولكن الغريب أن يظلم الأخ أخاه ويلتهم آدميته وماله وأرضه •

وظلم ذوى القربى أشد مرارة على النفس من وقع الحسام المهند

ويقول الشاعر عزيز أباظة :

وكيف نصول بأعدائنا اذا الأخ صال على أخوته

كيف يقبل بعض العرب هذا الذى يحدث فى الكويت • ان الذى يقبل من العرب ما يقع فى الكويت عليه ان يتوقع ان يكون هو الضحية التالية • ويومئذ سيصرخ طالبا المدد وسيكون جواب صراخه حاضرا من قريب لقد أعنت على أخيك فلا تعجب الا يعينك أخوك •

وماذا نحن قائلون اليوم للغرب وللعالم وهو يجمع اليوم أمره ضد العراق وينزل به العقوبات الاقتصادية تمهيدا للعقوبات العسكرية •

كيف نجرؤ ان نرفض تصرفه ما دام العرب لم يستطيعوا ان يوقفوا عدوان بعضهم على بعض واغتيال بعضهم بعضا • والسياسة فى العالم أجمع وعلى مدى التاريخ مصالح فكيف نتصور ان يسكت العالم وصوالحه أصبحت جميعها فى يد فرد واحد يريد أن يتحكم فى أمره ويملى عليهم ارادته •

والغرب يعلم كما يعلم أى انسان فى العالم ان الكويت لن تكون نهاية المطاف العسكرية العراقى • وها هى ذى أمريكا تحذر من غزو السعودية ولكن هل يجدى التحذير والى أى مصير مدلهم سيلقى أمر أمريكا وأوروبا اذا اتجهت جيوش العراق الى دول الخليج الأخرى وابتلعوها لقمة سائغة اذا ساغت لهم لقمة الكويت واستطاعوا ابتلاعها •

ان المستقبل مخوف مظلم داكن اذا استطاعت العراق ان تخرج منتصرة من هذه الحرب •

وان العرب اليوم يواجهون موقفا غاية فى الجهامة ، فهم حيارى ذاهلون لا يدرون ماذا هم صانعون فالرافض منهم لا يدرى الى أى مدى يذهب فى رفضه والقلة المؤيدة لا تدرى أيضا الى أى مدى تذهب فى تأييدها • والرافضون والمؤيدون جميعهم فى حزن عميم مقيم •

ولسان حالهم جميعا يصيح :

وا ضيعة الاسلام ان لم تقهروا أهواءكم وا ضيعة الاسلام •

هل يمكن ان يقبل العالم ان يصبح قانون الغاب هو قانون العصر ؟!

فما قيمة هذا التقدم البشرى على مدى السنوات والقرون ·

ما الأديان اذن وما التحضر وما قيمة الصلات الانسانية الرفيعة بين البشر بعضهم وبعض ؟ ·

ها هوذا العـــالم يقول كلمته مجتمعة فى مجلس الأمن ويفرض عقوبات اقتصادية وعسكرية · وها هوذا القرار يصدر فى شبه اجماع من دول العالم ·

ونفاجأ بدولة لم نعرف انها شاركت المجتمع الدولى فى مواقفـه السياسية على مدى السنوات بل هى ليست عضوا فى هيئة الأمم · نفاجأ بسويسرا تجمد الأرصدة الكويتية والعراقية متضامنة مع دول أوروبا · ولا شك انها رأت ان هذا الذى يحدث فى الكويت أمر لا يختلف فيه الرأى وانه حتم على العالم أجمع ان يقف منه موقفا موحدا لا حياء فيه · وهكذا تخلت سويسرا عن حيادها التاريخى واتخذت موقفها ·

وبعد فانه من حق كل مصرى ان يرفع رأسه الى السماء بهذا الموقف التاريخى الذى اتخذته مصر برئاسة زعيمها العظيم محمد حسنى مبارك أعزه الله فقد وقفنا موقفا ايجابيا متحضرا · وكان أبناء مصر عند مكانتهم الرفيعة التى تعودوا ان يقفوا عندها فى كل الشدائد وحسبك ما سمعنا من ان بعض المصريين تركوا مفاتيح بيوتهم فى السفارة الكويتية لتستضيف اخوانهم الكويتيين الذين تصـــادف وجودهم فى مصر عند وقوع الغزو البربرى الغاشم وهكذا دائما أبناء مصر الكرام الشرفاء ·

جريدة الأهرام ١٢ أكتوبر سنة ١٩٩٠ م

صدام هو المعتدى

ليس غريبا على اسرائيل ما قامت به من عدوان آثم على المسجد الأقصى فالعدوان فيهم قديم • وهو فى التاريخ أبشع من جريمتهم فى الاستيلاء على الأرض العربية وادعائها لهم •

ولو كان العالم منعهم يومئذ لما تمكنوا مما تمكنوا منه •• ولكن مباركة العالم لما صنعوه جعلتهم يزدادون طغيانا •

وان هذا الذى صنعوه بالمسجد الأقصى لمحاولة محمومة رعناء لاثارة العرب كل العرب من مسلمين ومسيحيين عليهم وهم بفعلتهم الشنعاء هذه ما كسبوا شيئا وانما خسروا خسرانا مبينا •

واذا كان الذين قاموا بهذه العملية جماعة منهم ضالة مضللة فقد كان أحرى بحكومتهم ان تقف من هذه الجماعة موقفا حاسما حازما يثبت انها على شىء من الحضارة •

ولكن الحكومة الاسرائيلية كشفت عن غباء شديد وهى تتخذ ما اتخذته من تصرفات محاولة الدفاع عمن أساءوا اليها أكثر مما أساءوا الى الاسلام •

واليهود حكومة وشعبا لن يستطيعوا أن ينالوا من الاسلام منالا وكل الذى يصنعون لينالوا منه انما يرتد الى نحورهم • وينال من قيمتهم ومن وجودهم المغتصب فى فلسطين المحتلة •

ولكنهم انتهزوا الفرصة ـ كما يصنعون دائما ـ وهم يجدون الفلسطينيين يؤيدون الاغتصاب الذى أجرمه صدام حسين على الكويت وترتفع عقائرهم اشادة بالجريمة العراقية على العرب فقامت هذه الفئة الملعونة بما قامت به من حرم المسجد الأقصى وأيدتها الحكومة الاسرائيلية بغباء شديد • وكأنها تقول للفلسطينيين الذين يؤيدون ما فعله صدام أليس الاغتصاب هو مثلكم الأعلى فذوقوا مما تؤيدون •

واذا كنتم أحللتم ان يعتدى العربى المسلم على العرب المسلمين فما لكم لا تحلون ان يعتدى غير العربى وغير المسلم عليكم •

ترى هل رأى صدام ما فعله بالقضية العربية الفلسطينية · هذا بعض من كل ·

انه أعطى الفرصة للمجرمين ان يوغلوا فى اجرامهم واتخذوه مثلا أعلى لهم واقترفوا ما اقترفوا من عمل اجرامى حقير بشع ·

بل ان صداما أصاب بما اغتصب ودمر العراق أول ما أصـــاب وما أشبه العراق اليوم بالقرية التى ضرب بها الله سبحانه وتعالى مثلا فى الآية ١١٢ من سورة النحل حيث يقول جل وعلا « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » صدق الله العظيم ·

ولو اننى أحسب ان شعب العراق مظلوم مع قائده · عقائده ومن حوله ــ اذا كان حوله أحد ذو قيمة ــ هم الذين كفروا بأنعم الله وأصابوا بكفرهم شعبهم المظلوم ·

ولو اننى لا أستطيع أن أقول هذا واطلقه حـكما عاما على جميـع العراقيين فان بينهم من يستحق النقمة التى أنزلها بهم رئيسهم والتى سيصلون وبالها ساطعا مبيدا فان أولئك الذين كانوا يصفدون عليهم من أنفسهم من يذيقهم مر العذاب ·

فليروا اليوم عاقبة ظلمهم وما ربك بظلام للعبيد ·· ان الذى لا شك فيه ان صداما لن يرجع عن غيه فهو فى صلفه ماض الى غايته وهو بغبائه سائر الى حتفه وحتف شعبه معه ·

واذا كان يظن ان تطاول الأيام يكسبه حقا مغتصبا فهو واهم غارق فى الوهم ·

ان للدول الكبرى شعوبا تحاكم الرؤساء فيها وتحاسبهم وما يستطيع هؤلاء الرؤساء ان يسـارعوا الى أعمال حربية متعجلة رعناء كهذه التى سارع اليها صدام ·

لابد أن يستنفد هؤلاء الرؤساء كل الوسائل حتى وان كانوا واثقين بأنه لا جدوى من الانتظار ·

ولكن هناك دائما غير المنظور الذى لا يعلمه الا الله ولابد لرؤساء الدول الديمقراطية ان تعطى هذا الأمر غير المنظور حقه من الروية والتريث·

وهم يحسبون بدقة كل خطوة يخطونها ويحددون بمنتهى الذكاء الوقت المناسب لكل عمل يقومون به ·

فليس الأمر فوضى وليست حياة شعوبهم ألعوبة يتسلون بها ، وليست أموال الدولة مباحة لأهوائهم كما هو الأمر عند صدام حسين •

حتى اذا حان الحين وتأكدوا الا سبيل لهم الا الحرب خاضوها مقدرين كل أخطارها وخسائرها الانسانية والمالية فى وقت معا •

ولكن كل خطر وخسائر تهون أمام مصالح الدولة العليا وليس الأمر عند أمريكا والدول الكبرى الأخرى التى تقف معها أمر عراق وكويت انما هو مصالح هذه الدول ومستقبلها ومستقبل شعوبها وأمام هذا كل صعب يهون •

●●●

الأهرام ١٥/١٠/١٩٩٠ م

أمـــال

لم تستطع أحداث الخليج الكبرى ولا محاولة الارهاب الغادر الحقير ان تلهينا عن حياتنا الديمقراطية والسير قدما فى الطريق الذى اخترناه من الحرية والشورى وها نحن أولا ندخل انتخابات جديدة لمجلس الشعب وكم أرجو أن يحقق مجلس الشعب الجديد الآمال الكبرى ٠

فليس يكفى أن يكون فى مصر مجالس نيابية انما يتحتم علينا ان يكون أعضاء هذه المجالس عارفين بواجباتهم قوامين على شئون مصر ٠

وأشهد أن مجلس الشورى يقوم بما يتاح له من مكنات خير قيام ٠ وكم أرجو أن يتمكن فى الدورة القادمة من الاضطلاع بساحة أكبر من الشئون التشريعية فان العقول العالمة الواعية التى يتمتع بها مجلس الشورى من حقها أن تقول رأيها فى التشريعات التى تسن لمصر ولا شك أن الانتفاع بهذه العقول سيعود بالنفع العام على البلاد وعلى القوانين التى تشرع لها فتخرج هذه القوانين مضيئة مشرقة مكتملة ٠

ان مجلس الشعب اذا عرض القوانين على مجلس الشورى لأصاب من هذا فائدة كبرى تعود على البلاد كافة بالخير العميم ٠

واليوم ينبغى لنا أن ننظر الى المجلس الجديد وهو بسبيله الى التكوين والمرشحون ـ كما تعودت مصر ـ كثيرون ٠٠ افترى هؤلاء المرشحون يريدون أن ينالوا لقب عضو مجلس الشعب وينتقلوا بالوجاهة والحصانة التى يوفرها المجلس لأعضائه أم هم يدركون الأعباء الثقال التى ينبغى أن الأعباء لوجه الله والوطن ٠

ان عضو مجلس الشعب نائب عن الوطن جميعه وليس عن الدائرة التى يمثلها فى المجلس فقط ٠ وهذه قاعدة دستورية معروفة تعرفها دول العالم الديمقراطى جميعا ٠

فليس عمل النائب أن يخدم الأفراد من ناخبيه فيعين ابن هذا ويدخل ابن ذاك الى المدرسة أو المستشفى ٠

ينبغى على النائب أن يعرف أن وظيفة الناخب تنتهى عند صندوق الانتخاب واذا عرف النائب ذلك تحرر من محاولة ارضاء الناخب على حساب الوطن ٠

وقاعدة ان النائب في البرلمان ممثل للدولة كلها تحتم عليه ان ينظر الى النفع العام لا مصلحة دائرته وحدها ، وقد يقول قائل أليست الدائرة جزءا من الوطن ؟ ·· وهذا حق ·· ولكن بعض النواب ـ ولا أمانع حين أقول ان كثيرا من النواب ـ ينظر الى دائرته وكأنها منطقة منسلخة عن الوطن أجمع فهو يطالب لها بما لا تطيق ميزانية الدولة ان تنهض به ولا يعنى فى قليل أو كثير بحق الدولة وانما يصر على المطالبة ولا يكتفى بهذا بل يذهب الى بعيد فيروح يقدم الاستجوابات والأسئلة الى الوزير الذى لم يجبه الى طلبه ويناصبه العداء مستخدما ضده كل الوسائل التى تضعها النيابة فى يديه ·

وياليت الأمر يقتصر على مطالبة النائب بمصالح دائرته بل انه يمتد الى مصالحه الشخصية التى تعود عليه وحده بالنفع والفائدة واننا نذكر ذلك والكلمات تقطر حسرة وألما فما كانت النيابة فى يوم ما الا مصلحة الوطن أجمع وويل للوطن كل الويل اذا اتخذ منها النائب نفعا شخصيا ·

وأخرى ·· هناك نواب يتخذون من الحصانة البرلمانية موئلا يسيئون به الى أعدائهم وتلك كارثة كبرى · فالحصانة شرعت حتى لا يضار النائب نتيجة لآراء أطلقها فى المجلس النيابى فهى حصن له ممن يحاول أن يحجر على رأيه ·

أما اذا أصبحت حصنا له يحتمى به ليسىء الى الآخرين ومجنا حاميا لذاته ليعتدى على حقوق المواطنين فانها تصبح وبالا مستطيرا ·

ولا يجوز لأعضاء المجالس النيابية أن يتمتعوا بدرجة رابعة من القضاء غير متاحة لأفراد الشعب أجمع ولذلك فينبغى على المجلس حين ينظر فى الوطن أجمع وويل للوطن كل الويل اذا اتخذ منها النائب نفعا شخصيا · أمر رفع الحصانة البرلمانية عن أحد أعضائه ان ينظر فى خصوصية واحدة هى : هل طلب رفع الحصانة جاء ليرد النائب عن ممارسة واجباته النيابية أم هو مقدم للمجلس نتيجة تصرفات تمت بعيدا عن المجلس ؟ فان كانت الأخيرة وجب رفع الحصانة دون تحقيق من أعضاء المجلس ·· من حق المجلس فقط ان يتأكد ان رفع الحصانة جاد وليس كيديا ثم يرفع الحصانة فورا ·

كم من آمال نعلقها على المجلس الجديد فهل تراه يستطيع أن يحقق لنا بعضها ؟ ··

الأهرام ٢٩/١٠/١٩٩٠ م :

حق وواجب

الادلاء بالصوت الانتخابى حق وواجب فى وقت معا • هو حق اتاحة الدستور للمواطن ان يختار ممثله وهو واجب ينبغى أن يؤديه المواطن لوطنه •

وكل حق يلازمه واجب ، ومعروف ان الحق والواجب كوجهى العملة لا ينفصل أحدهما عن الآخر •

والدستور أعطى هذا الحق للمواطن فلابد للمواطن كواجب عليه ان يختار ممثله فيحسن الاختيار •

ويجب الا يتأثر حسن الاختيار بالقرابة أو الصداقة أو العلاقات الشخصية ، ولذلك نحزن كل الحزن ان نجد المرشح يقصد الى الناخبين ويحاول ان يصطنع لهم ما قد يكون بعيدا عن خلقه كل البعد تقربا منهم ومحاولة منه ان يجتذب أصواتهم حتى ولو كان اجتذاب هذه الأصوات بطرق غير كريمة •

وأعف عن ذكر التفاصيل ويأبى حبى لوطنى ان أشرح ما أجملت فان التفاصيل والشرح قد يؤديان بى الى ما لا يجمل بى ان أذكره عن بعض المرشحين فهو يعيب الوطن كله وليس هؤلاء المرشحين وحدهم •

وليس جديدا أيضا أن استعمال المال فى الانتخابات لم يعد يجدى ان لم يرصد هذا المال لنفع عام والناخبون يدرون ان المال الذى يقدم للنفع العام هو محاولة اجتذاب لأصواتهم ولكن الرشـــاوى التى تقدم للناخبين يدا بيد لا جدوى منها •

فالناخب الذى يقبل مالا من مرشح يقبله من كل المرشحين ، وهذا الناخب المرتشى لص يبيع قيادته من أجل المال •• وكم من مرشحين أنفقوا فى هذا السبيل أموالا طائلة وكان مصيرهم السقوط الذريع •

ان الناخب عليه أن يختار أصلح المرشحين ليكون ممثلا له فى البرلمان وليكون ممثلا للأمة كلها •

وتلك أمانة ومن يخن الأمانة يبوء بخزى من الله ومن الناس ويبوء بخزى من نفسه اذا خلا الى نفسه •

قد تضطر الحياة الناخب ان يصادق من لا يحترمه •• وعند الانتخاب ينبغى عليه أن ينسى هذه الصداقة ويطرحها وراء ظهره ولا يختار الا الذى

يحترمه والذى يعلم حق العلم انه سيقوم بواجبه خير قيام نائبا عن الدائرة وعن الوطن جميعه ·

ان الناخب اذا كانت له قضية قيمتها بضعة جنيهات يختار لها أحسن المحامين ·· فكيف اذا اختار نائبا فى مجلس نيابى ؟ الا يجب عليه وجوبا ان يختار أحسن من يعرف بهذه المهمة العظيمة التى لا ينبغى ان يقوم بها الأمناء الشرفاء الحريصون على مصلحة الوطن ؟ ·

ان النائب فى البرلمان صورة لمصر جميعها وأمين على مصالح الوطن كله والوطن هو أنت وهو ابنك وهو أخوك وهو أبوك ·· وصورة النائب هى صورة لك وصورة لهؤلاء جميعا واذا انتخبت نائبا ذا صورة شائهة فكأنك قدمت صورتك وصورة ذويك شائهة لتعلنها على الناس أجمعين ·

ان النائب هو أنت فى المجالس النيابية فقد بدأت فكرة الحياة النيابية من عهد الرومان وكان الشعب يجتمع كله فى الساحات ليستمع الى الخطباء ثم يدلى الناس برأيهم مجتمعين ومع الأيام أدرك الشعب أن الأمر بهذا الوضع لا يمكن أن يستقيم فرأوا ان يمثلهم بضعة أفراد يختارونهم وبدأت فكرة النيابة ·

فالنائب هو أنت أيها الناخب وشر النفوس نفس تخون ذاتها فأنت اذا انتخبت غير الصالح خنت نفسك قبل ان تخون وطنك وهل وطنك ·· الا أنت وأهلك وذووك ·

وفى انتخاب من الانتخابات رشح أحدهم نفسه وكان متهما فى قضايا مالية تتصل بالذمة وسمعنا انه فى زياراته لاحدى القرى فى دائرته هتف بعض الناخبين « حرامى حرامى ولكننا نحبه » فكانت كارثة تسامع بها الناس أجمعون وملأهم الأسى والأسف والألم والمرارة ·

فليس المهم ان تحبه أو لا تحبه انما المهم ان يحبه الوطن وان تحبه الأمة الناصعة النقية وان تحبه الأخلاق الكريمة الفاضلة فهو ممثل شعب بأسره ·· واذا لم يكن الخلق هو السيد فى الشعب فسلام على العالمين ·

لقد عادت الانتخابات الفردية وأصبح الناخب اليوم ينتخب الشخص لا الحزب فالخطأ اليوم يقع على الناخب فى الاختيار أما فى الانتخابات بالقائمة فقد كان الخطأ يقع على الحزب الذى اختار مرشحيه ·

أمانة والله يأمرك ان ترعى الأمانة اذا استأمنك عليها فرد من أفراد الناس فكيف بك والذى يضع هذه الأمانة فى عنقك هو وطنك جميعا ؟ ·

سدد الله خطاك ووفقك ان تقوم بأمانتك قياما يرضى عنه الله والوطن ·

الأهرام ١٩٩٠/١١/١٢ م

اليـــوم وشيك

ما أشبه صدام حسين بفتى أغر أحمق يمشى طريقه الى الهلاك المبيد ويحاول أهلوه وعشيرته أن يبصروه بعاقبة جنونه ويزيلوا عمى البصيرة الذى يغشى عينيه ولكنه مصر على غيه يأبى أن يهتدى الى السبيل الأقوم ويرفض أن يميل عن طريق الدمار الذى يسير فيه غير ملتفت الى الهاوية السحيقة التى يسير اليها حثيثا ٠

أما تراه يدمر كل محاولة يقوم بها ملوك العرب وحكامهم ليتفادوا الحرب الوشيكة التى يحيط به سرادقها ٠

أما تراه يخرج كل يوم على العالم بمبادرة تافهة شأن أشد الأغبياء غباء حين يظنون ان العالم كله لا يفهم وهم وحدهم الذين يفهمون والذين يستطيعون ان يسخروا من عقول الآخرين ٠

وانك تعرف الغبى العميق الغباء حين تراه لا يقدر ذكاء الآخرين وتعرف أعمى البصيرة حين تراه لا يقدر النتيجة الحتمية لأعماله الخرقاء ٠

وما الذى تبصره من فساد الشباب من قتلة ولصـــوص ومدمنى مخدرات الا نتيجة حتمية لعدم تبصرهم ورفضهم لكل نصيحة مخلصـة يقدمها لهم أهلوهم وفصيلتهم التى تأويهم ممن يرجون لهم الخير ويخشون عليهم الهلاك والدمار والانهيار ٠

وها هم حكام العرب ــ الا قليلا منهم ذوى أغراض خاصة ــ يحاولون ما وسعهم الجهد ان يفسحوا الطريق لصدام ليرجع عن غيه ويثوب الى بعض الرشد منه ولكنه يجمح عنهم ويأبى ويستكبر ويخرج عليهم بما يسميه مبادرات تراها فترى الهزل ٠

والشعب يساق الى حتفه مغلول الأيدى مكمم الأفواه لأن كل فرد فيه يعلم انه لو صدرت منه بادرة تعنى انه معارض لصدام فالويل الأخذ والعذاب الوبيل الذى يهون معه الموت والفناء ولذلك فانى أرفض ان ألوم شعب العراق فهو مسوق الى الدمار كالشاة تساق الى القتل بيد جبار ذى بطش ٠

واني لمعجب كل الاعجاب بالرئيس مبارك الذى يحاول ما وسعه الجهد ان يجنب المنطقة حربا ضارية لا تبقي ولا تذر ولست أدرى الأمل الذى يبنى عليه الرئيس مبارك محاولته لتجنب هذه الحرب فهو يرى اصرار صدام العجيب على ان يحتفظ بالكويت فلا يتركها ·· ربما كان الرئيس ينتظر ان يحدث شيء غير منظور يجعل صداما يميل الى الحق ويعود الى العقل ·

فالذى نراه من صدام حتى اليوم لا ينبىء مطلقا انه قد يرجع الى بعض العقل ·

ولكن الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز « وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ·

ولكن هل تستطيع جيوش الدول ـ وفى مقدمتهـا جيش أمريكا الضخم ـ ان تنتظر وهل تحتمل الدول أن يطول الأمد بقواتهم يصلون حياة الصحراء والعيش فى مهامه الجبال والى متى · وماذا يرون فى الأفق حتى يصبح انتظارهم مقبولا أمام شعوبهم ·

ان الحكام فى هذه الدول مسئولون أمام الشعوب يؤاخذونهم على كل بادرة منهم ·

فماذا يقول بوش للشعب الأمريكى وقد ألقى منهم ما يقرب من أربعمائة ألف جندى فى الصحراء دون أن يصنعوا شيئا ·

وماذا يقول هو ورؤساء الدول الأخرون عن هذه الأموال الباهظة التى ينفقونها يوميا فى انتظار سلام لا تبدو منه أية ملامح ·

لكل صبر نهاية والدول التى تشترك قواتها فى هذا الاعداد الحربى لا تلعب ولا تلهو · وليس فى مقدور أى دولة منها ان تنهى الموقف بأن تعيد قواتها الى بلادها الا اذا تحقق ما تجيشت له وما ذهبت الى الصحراء والمحيطات لانجازه ·

ومهما يبلغ غباء صدام فما أحسب انه يظن أن يصبح عليه صباح يجد فيه الأوامر قد صدرت من أمريكا وحلفائها ان تعود الجيوش التى أرسلوها الى بلادهم دون ان ينسحب من الكويت ويعود الحكم الشرعى اليها ·

فالأمر ليس لهوا ولعبا وما صنعه هو مع ايران من تنازل عن كل ما حصل عليه بدماء شعبه وأمواله لا يستطيع رئيس من هؤلاء الرؤساء أن يصنعه فلكل من هؤلاء الرؤساء شعب يحاسب وبرلمان يسائل وتاريخ

يسجل ولا يرحم حين يسجل .

ليخش صدام يوما وشيكا ما أظنه ببعيد يضطر فيه أن يخشع راكعا على قدميه ترهقه ذلة يصدق عليه قول الله جل وعلا : « ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون » ..

وصدق الله العظيم

الأهرام ٢٦/١١/١٩٩٠ م

ويل لصدام من الغد

لست أدرى كيف يفكر صدام حسين هل يتصور أن تأتى أمريكا بجيوشها وطائراتها وبوارجها حاملة الطائرات وسفنها الحربية وتنشر هذا جميعه فى الخليج وفى السعودية وفى أبى ظبى ومعها جيوش الدول التى شاركت ثم ينصرفون جميعا الى بلادهم دون أن يحققوا ما جاءوا من أجله الذى حدده رئيس جمهورية أمريكا فى أربعة أسس واضحة لا غموض فيها ولا شك وأولها انسحاب القوات العراقية من الكويت وثانيها عودة الحكومة الشرعية الكويتية الى حكم الكويت وثالثها تأمين السعودية ورابعها عودة الرهائن الأمريكيين والأوروبيين الى بلادهم ٠

هل يعقل أن يصبح صباح أو يمسى مساء فاذا هذه القوات العالمية قد عادت الى بلادها دون أن تحقق هذه الأهداف ؟! ٠

أيتصور صـــدام حسين هذه الدول ورؤساءها والسياسيين فيها والعسكريين يلعبون ويلهون ويتسلون بأن يجيشـــوا الجيوش وينشروا قواتهم ويستدعوا الاحتياطيين عندهم لمجرد اضاعة الوقت ورفع الملل عن نفوســـهم ٠

هل يتصور أن هذه الرهائن التى يحتجزها عنده فى عملية تنافى جميع الشرائع الانسانية والدولية ما نعته وأنها تحميه من أن تحقق هذه الجيوش الأغراض التى خرجت من أجلها ٠

اذا كان هذا معقولا فى ذهنه فما الذى يمنعه ان يهاجم دول الخليج جميعا مادام مطمئنا أن أمريكا والدول الأوروبية التى تعاونها لن تهاجمه مادام يحتفظ بالرهائن عنده ٠

فليهاجم اذن السعودية ودول البترول الأخرى ويعربد ما شاء له أن يعربد فى المنطقة مادام قد وضع الرهائن فى أماكن تعرضهم للقتل عند أول هجوم عليه ومادام واثقا انه يستحيل على أمريكا والدول الأوروبية أن تجرؤ على مهاجمته والرهائن تقف من دونه حصنا لا يمس ودرعا يرد عنه كل عادية ٠

هل يتصور أنه بهذه الرهائن التى اغتال أمنها وكلهم برىء لا شأن له بهذه الحرب يستطيع أن يحكم العالم ؟

هل يدخل فى ذهنه أن صوالح هذه الدول الكبرى كلها تترك يديه يتصرف فيها كيف يشاء لمجرد انه يحتفظ برهائن أبرياء من رجال مدنيين ونساء وأطفال أمنوا المنطقة وقدموا اليها مختارين أغلبهم يقدم لها خبرته وعلمه وتجاربه فاذا جزاؤهم هذا الذى يصنعه بهم الحاكم الطاغية المتجبر ؟

هل يصدق نفسه انه يستطيع أن يهزم أمريكا بكل التقدم العلمى الذى بلغته ويهزم معها الدول الأوروبية الكبرى التى تقف معها ؟

ان كان يصدق نفسه فما له لا ينظر الى ماضيه القريب وهو مشتبك فى حرب شعواء مدمرة مع ايران لمدة ثمانى سنوات كاملة لم يحقق فيها انتصارا ظاهرا والقليل الذى غنمه تنازل عنه كاملا فى ذلة حقيرة وفى هوان مخجل وكأنه يحكم شعبا لا رأى له ولا كلمة ٠

ماذا هو قائل لأهل القتلى الذين لقوا حتفهم فى ايران ؟

أى كارثة أوقع فيها صدام نفسه ؟!

كان أولى به ثم أولى أن ينتهز من نداء الحكمة الذى وجهه اليه حسنى مبارك فرصة ويرجع الى العقل وينقذ نفسه ووطنه والعالم العربى أجمع من ذلك الهول الذى ينتظره ٠

ان هذا الهول واقع لا محالة ٠

وهيأت لصدام أن يعود الى بعض العقل منه فالقاعدة التى حكمت التاريخ حتم لها أن تنطبق عليه وكل ديكتاتور يحمل عوامل هدمه فى داخله ٠ وكما يصنع طغيانه يصنع نهايته ٠

بأى ضمير أو أى عقل يعيش صدام اليوم ٠ ان الرؤساء لا يعيشون بهتافات مذعورة من شعوبهم لا تعنى شيئا الا أن الشعب يخاف حاكمه ولكل خوف نهاية ، كما أن لكل حاكم نهاية ٠

والحكام سير وتاريخ فماذا يحسب صدام أن التاريخ قائل عنه ٠

كيف يعيش صدام اليوم يومه أتراه قد اطمأن الى الانذارات التى يوجهها الى أمريكا والى قواعد الصواريخ التى نشرها فى الكويت وهدأ بالا وقر به القرار ٠

أينام صدام ليله ؟ واذا لم يكن فكيف يستطيع التفكير وهو لا يملك النـــوم ؟

ان مصائر دول بأكملها معلقة اليوم بعقل رجل واحد اثبتت الأحداث أنه عقل بعيد كل البعد عن السلامة فويل للغد من صدام وويل لصدام من الغـــد !

فهـــــرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٧٥٤ / ١٩٩٦

ISBN — 977 — 01 — 4662 — 5

٢٤٠٠ قرشـــا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

مؤلفات
ثروت أباظة

١١



المقالات

الهيئة المصرية
العامة للكتاب

المقـــالات

مؤلفات .. ثروت اباظة ١١

المقالات

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٨

آدم الجديد

الفصل الأول

كان حيدر أبو عبيد تواقا أن يهب له الله غلاما من زوجته زنوبة الملواني التي تزوج بها منذ ثلاث سنوات .

وما كان زواجه عن حب وانما بعد تفكير وتدبر وبالحاح على أبيه فقد كان يرجو أباه أن يخطب له ولم يكن حيدر رهيف الفؤاد ولا كان تعلق بفتاة بعينها . ولا كان يعنيه أن تكون زوجة ذات جمال أو شيء من مال ولا أن تكون ذات رشاقة أو تكون هيفاء القوام .

كل ما كان يريده أن يتزوج وحين فاتح أباه عبيد الكيالي في هذا الأمر فوجيء بأبيه يقول له بعد صمت قصير :

– انتظر حتى يختار ربنا الى جواره أحد فتيان القرية .

وتولى الذهول حيدر :

– ما صلة زواجي يا آبا بموت واحد من فتيان القرية .

– يكون مهرها نصف الفتاة البكر .

– واذا لم يمت أحد من فتيان القرية .

– لابد أن يموت .

– متى ؟

– حين يريد الرحمن الرحيم .

– قد تمر سنوات .

– ونحن ماذا وراءنا ؟

وأطرق حيدر لحظات ثم قال :

– وماذا نفعل اذا كانت زوجة الذي يموت عندها عيال وتضطر أو أضطر أنا أن أنفق عليهم من دم قلبي .

– قد تكون بلا عيال .

– اذن فقد تكون عقيما .

– أو يكون الزوج هو العقيم .

ـ اذن يا آبا أنت تريد أن تنتظـر حتى يموت فتى من فتيـان شقلبان • وأن يكون هذا الفتى عقيما !

ـ لا يكثر على الله يا بنى •

ـ كثر خيرك يا آبا •

وانصرف حيدر عن أبيه وراح يفكر وحده فى هذا البخل الشديد الذى خلقه الله مع هذا الأب •

فهو شحيح بالسليقة حتى ليفكر اذا شرب كم يكلفه كوب الماء وهل يحتاج اليه كاملا أم يكتفى بنصفه •

ولم يستطع رغم هذا التقتير والشح على نفسه وعلى بنيه أن يجمع شيئا من المال يساوى العيشة الضنك التى يعيشها هو وابنه وابنتاه •

ذهب حيدر فى ذلك اليـوم الى صديقه بيومى رمضان وروى له الحوار الذى دار بينه وبين أبيه وعجب أن بيومى لم يدهش بل قال :

ـ ان فعل أبوك غير هذا فلا يكون عم عبيد الذى نعرفه •

ـ لك حق ولكن كيف استطاع أن يصل الى هذا التفكير ؟ المهم ما الحل ؟

ـ لا حل الا أن تعتمد على نفسك •

ـ كيف ؟

ـ اسرح معى •

ـ ماذا أفعل ؟

ـ ما أفعله •

ـ يا أخى أنت تشترى أردبين ذرة أو قمح أو شعير قبل موعد الحصاد بثمن بخس ممن ضاقت بهم الحياة واضطروا الى مال قبل الحصاد وتبيع ما تشترى بعد الحصاد وتكسب شيئا هائلا ولا يكاد ما تكسبه يكفيك ومع ذلك تريدنى أن أسرح معك •

ـ جرب حظك •

ـ ومن أين لى برأس المال •

ـ أى مبلغ •

ـ أنت تعرف البير وغطاه •

ـ أسلفك فى العملية الأولى ٠

ـ على بركة الله ٠

وحدث فعلا ما توقعه بيومى وبدأ حيدر يكسب صبابات من المال استطاع فى نهاية العام أن يكتنز منها عشرين جنيها ٠ وخيل إليه أنه أصبح من الأثرياء فعشرون جنيها كانت تعنى شيئا ذا شأن وخاصة لابن عبيد الكيالى ٠

قال بيومى :

ـ ما رأيك ؟

ـ الحمـــد لله ٠

ـ ليس هذا ما أسألك فيه ٠

ـ اذن ماذا تريد ؟

ـ ألا تكفى هذه الجنيهات لتجعلنى أتزوج ٠

ـ ولم لا ، على أن تختار فتاة فقيرة يريد أهلها أن يزوجوها لأى أحد مهما يكن فقيرا وأبوه عم عبيد الكيالى ٠

ـ وأنا لا يهمنى من تكون ٠٠٠ وهل تتصور أن أكون ابن عمك عبيد الذى لا يجهل أحد بخله وأضع شروطا للزوجة التى تقبلنى ٠

ـ توكل على الله ٠

ـ أتعرف واحدة ؟

ـ أعرف ٠

ـ انطـق ٠

ـ زنوبة ٠

ـ بنت حميدة بائعة الفجل ٠

ـ ما عيبها ؟

ـ والله نعم الاختيار ٠ ثم ان البنت أيضا ليست قبيحة قبحا يدعو الى النفور ٠

ـ على العكس ٠٠ بيضاء وقوامها حلو ٠

ـ على بركة الله ٠

ـ هيا نذهب الى أبيك ليخطبها لك ٠

ـ وأبى ما شأنه بهذا ٠

ـ انه أبوك مهما كان شحيحا جلدة ٠

ـ لو طلبت منه ذلك سيرفض طبعا ٠

ـ قل له انك ستدفع المهر من جيبك ٠

ـ ولو ، أليست ستعيش معنا فى البيت وستكلفه المأكل والمشرب لقد زوج خيرية وروحية قبل أن يبلغا السادسة عشر ليتخلص من طعامهما وشربهما ٠

ـ اسمع ٠

ـ ماذا ؟

ـ هيا بنا الى خالتك حميدة مباشرة وما فيه الخير يقدمه ربنا ٠

وفعلا قدم الله سبحانه الخير لحيدر وقبلت حميدة زواجه من زنوبة ولكنها توسلت اليه :

ـ اسمع يا حيدر أنا وزنوبة ليس لنا رجل وأنا والحمد لله أكسب طعامى ولا أطمع فيك ولكنى أرجوك أن تعيش معنا فى البيت حتى لا أصبح وحدى اذا أخذت أنت بنتى الوحيدة ٠

وفكر حيدر قليلا ، ولم لا اننى بهذا سأكون قد أرضيت أبى كل الارضاء وأنا الآن عرفت طريقى بتسويق بضعة الأجولة من الحبوب وأستطيع أن أنفق على نفسى وعلى زوجتى وأمها أيضا اذا اقتضى الأمر وحينئذ لن يجد أبى سببا فى منعى من الزواج ٠

ـ والله القول قولك يا أمه حميدة ٠

وذهب الى أبيه وقبل أن يكمل حديثه قال أبوه :

ـ ألم تجد الا بنت حميدة ٠

وأكمل حيدر متغاضيا عن اعتراض أبيه :

ـ ومعى مهرها وسنعيش فى بيت أمها ٠

ولم يمهله أبوه بل سارع :

ـ والله ونعم الاختيار خذوهم فقراء يغنكم الله ٠

ـ أطال الله عمرك ٠

ـ والفرح من سيدفع تكاليفه ٠

ـ ولا فرح ولا يحزنون ٠ ثلاث زجاجات شربات وكم نفر من الأعيان ودمتم ٠ وأنا الذى سأشترى الشربات وتم الزواج ٠

★★★

ومرت عليه ثلاث سنوات دون أن تنجب زنوبة له طفلا وكان هو قد مرن على العمل فى سوق الغـــلال ولكن فى كميات غاية في الهوان والضآلة ٠ ولهذا لم يكن عجيبا أن يعيش حياة فيها كثير من الاقتصاد اذا أشفقنا أن نقول فيها كثير من الضيق ٠

ومع ذلك كان يتوق الى طفل ٠

وشاء الخلاق العظيم أن يحقق له أمنيته وحملت زنوبة ٠ وربما كان مما يستحق الذكر أنها ولدت ولدها يوم مات جده عبيد وربما فى نفس اللحظة وصدق بيت شوقى العظيم الذى استوحاه من القرآن الكريم :

فقلت أحكامك حرنا لها   يا مخرج الحى من الميت

وفرح حيدر كل الفرح بالولد الذى رزق به ولعله فى خبيئة نفسه فرح أيضـــا بموت أبيه ولكنه اضطر تحسبا للنـــاس وتقدهم أن يلجم الفرحتين ٠ وأقام لأبيه شبه مأتم ولم تجرؤ واحدة من النسوان اللواتى حضرن ولادة ابنه أن تزغرد أو أن تبدى أى فرح بمجىء الغلام ٠

وهكذا قدم ابن حيدر البكر فى مأتم جده قدوما صامتا لا يجاوب فيه بكاء المولود زغاريد ذويه وصديقات أمه ٠

★★★

لم يجد حيدر اسما خيرا من عبد الشكور ليسمى به ابنه وكيف لا يشكر الله وقد ورث خمسمائة جنيه عن أبيه ورزق بابنه البكر فى يوم واحد ٠

الفصـــل الثـــانى

أوشك الجيش الألمانى أن يدخل مصر حين وصل العلمين . وراحت الجيوش الانجليزية تجمع أوراقها .

وفجأة انقلبت المعارك انقلابا تاما لصالح الجيش البريطانى وتشتت الجيش الألمانى بددا فى الصحراء وأصبح هم الجنود الألمان الباقين على وجه الحياة من الجيش الألمانى أن يهربوا من الأسر الانجليزى .

وانتشر من الجنود الألمان فى قرى الدلتا وكان من نصيب شنقلبان جنديان من الألمان هما مارك وهوفمان وكان مارك يجيد الانجليزية ولم يكن فى شنقلبان أحد يستطيع أن يكمل جملة انجليزية الا عبد الشكور الذى كان قد وصل الى السنة الثانية من التجارة المتوسطة التى دخلها بعد جهد جهيد مع والده حيدر الذى كان يصر أن يخرجه من المدارس بعد الابتدائية ورفض كل الرفض أن ينتسب الى الدراسة الثانوية .

ـ والله لا يمكن .

ـ يا آبا أنا لا آمل لى فى الحياة الا أن أحصل على شهادة جامعية .

ـ كنت ابن من أنت حتى تنال شهادة جامعية .

ـ أقل منى حصلوا عليها .

ـ آباؤهم كانوا يطيقون .

ـ ادفع لى المصاريف وأنا سأعمل وأعيش .

ـ هذا كلام حتى اذا دخلت الفاس فى الراس أصبحت مضطرا أن أتكفل أنا بكل شىء . وكان بيومى رمضان حاضرا فاذا هو يصيح فجأة :

ـ تاهت ووجدناها .

ونظر حيدر اليه فى لهفة وأكمل بيومى :

ـ تدخل التجارة المتوسطة .

قال حيدر :

ـ ولو انها ستكلفنى انما لا بأس وأمرى الى الله .

وقال عبد الشكور :

ـ أمرى أنا الى الله ٠

وهكذا لم تجد القرية الا عبد الشكور ليرطن مع الأجنبيين اللذين قدما اليها وهما فى ملابس رثة وذقنين متطاولين واستطاع عبد الشكور أن يفهم عن مارك الذى يتقن الانجليزية كل الاتقان انهما هاربان من موقعة العلمين وانهما سارا على ساحل البحر مستعينين بالزاد الذى صحباه من جيشهما وحين بلغا الاسكندرية حرصا أن يختبئا فى النهار ويسيرا فى الليل حتى وصلا الى الطريق المؤدى الى مديرية البحيرة فراحا يتنقلان بين القرى موغلين فى الدلتا واتفقا على أن يبتعدا عن الاسكندرية ما أطاقا البعد حتى لا تعثر عليهما القوات الانجليزية وفهم عبد الشكور عنهما أن القرى جميعها كانت ترحب بهما حين يعلم أهلوها أنهما من جيش هتلر الذى كان يمثل عند الغالبية العظمى من المصريين الخلاص من الاحتلال البريطانى البغيض ٠

وطلب أعيان شقلبان الى عبد الشكور أن يلح عليهما أن يقيما عندهم عندما علموا أن مارك نجار وأن هوفمان ميكانيكى كهربائى وقد تداول الأعيان فيما بينهم وانتهى رأيهم الى هذا الطلب ، الذين أرادوا من عبد الشكور أن يبلغه للهاربين وقد ارتأى هؤلاء الأعيان انهم أولا سيكرمون جنديين من جنود هتلر وثانيا سينتفعون بخبيرين فى النجارة واصلاح ماكينات الرى والدراس ورحب الجنديان بهذا العرض ٠

ولم يتصور أحد من القرية المدى البعيد الذى سيؤثر به بقاء هذين اللاجئين فى حياة عبد الشكور جميعها ٠

★★★

كان عبد الشكور رغم تلقيه الدراسة بمدرسة التجارة المتوسطة يقيم فى البلدة فقد رأى أبوه أن هذا وان يكن مجهدا لولده الا أنه أكثر وفرا من أن يستأجر له حجرة فى المدينة ٠ وهكذا كان عبد الشكور يصحو قبل الفجر ليكون بالمدرسة فى موعده ٠

وهكذا أيضا كان فقر أبيه المدقع سببا فيما صار اليه أمره بعد ذلك ٠

وفى لحظة من اللحظات التى تصيب الانسان من أحلام اليقظة حلم عبد الشكور أن يعقد صداقة بينه وبين مارك ويتعلم منه الانجليزية

والألمانية . ولماذا لا ؟ انه يعلم أنه حتى بعد انتهائه من دراسته لن يجد الوظيفـــة فى انتظـاره وقد كان يرى حملة الشهادات حيارى ضائعين بشهاداتهم لا يجدون وظيفة فقد كانت أزمة الوظائف فى تلك السنين طاحنة شأنها دائما فكيف به وهو لا يحمل الا مؤهلا متوسطا .

أصبح عبد الشكور موقنا كل اليقين ألا أمل له فى الحياة الا أن يتقن لغة ويزداد الأمل ان أصبحت اللغة لغتين .

أنا لا أملك مالا ولابد أن مارك سيحتاج الى مال ... أبى بالكاد وبتجارته المتهافتة يقيم أود بيتنا على الرغم من أنه لا ولد له غيرى . وأنا لا أحصل على حلة الا بطلوع الروح..ولكن انتظر يا ولد يا عبد الشكور مارك لن يحتاج الى مال فقط وأغلب الأمر أن القرية بما تحتاجه من الأعمال فيها ستمكن الهاربين من الحياة انما مارك يحتاج الى من يكلمه فلا شك أنه وصديقه قد استنفدا بينهما كل حديث .

لأعقد بينى وبينه صداقة وطيدة وأتفق معه أن أعلمه اللغة العربية ويعلمنى هو الانجليزية التى يتقنها ولا أدرى لماذا مع أن الألمانية هى لغته الأصلية .

★★★

فى خبث لا نظير له أراده له الخلاق الفعال بدأ عبد الشكور يرمى شباكه على مارك ولا يحرم منها هوفمان . وما لبث أن عرف أن مارك من أم انجليزية وفهم سر اتقانه الانجليزية .

وبدأت خطة عبد الشكور تأخذ طريقها الى الوجود .

وليس أثمن من سمير أو أنيس مجرد أنيس فى وحشة الغربة بين قوم لا يفهمون عنك ولا تفهم عنهم . وقد رحب الغريبان كل الترحيب باقبال عبد الشكور عليهما .

وبدأ يعلمهما العربية وراح مارك يعلمه الانجليزية وراح هوفمان يعلمه الألمانية وهكذا لم يضطر أن ينتظر حتى يتقن الانجليزية ليبدأ بعدها فى الألمانية . بل درسهما فى وقت معا .

وقد وجد فيما يدرس جميعه أمله الأكبر فى الحياة وبجهد المستميت راح يذاكر .

ولكن لابد له من كتب فى اللغتين ولم يجرؤ أن يفكر فى أن يطلب الى أبيه ثمنها وهو اليوم قد أتم دراسته ومكث بالقرية ينتظر فرج الله

وراح أبوه يتوسل الى كل ذى أكرومه أن يجد لابنه وظيفة ولكن هيهات · وعبد الشكور يريد ثمن الكتب ·

ـ آبـا ·

ـ مالك ؟

ـ ماذا عليك اذا جعلتنى أساعدك فى البيع والشراء ؟

ـ وهل ترى العمل متسعا حتى أحتاج الى من يساعدنى ؟!

ـ اذا عملت معك اتسع العمل ·

ـ وماذا تريد منى ؟

ـ ثمن الصفقة الأولى ·

ـ أأدفع لك لتزاحمنى فى رزقى ·

ـ وأين سأذهب بالمال انى سأدفع لك نصف ما أكسب ·

ـ وتنافسنى فى السوق ·

ـ ما رأيك أن تستمر أنت فى تجارة الحبوب وأتخصص أنا فى تجارة القطن ·

ـ ومن أين لك بثمنه ؟

ـ أنا لا أريد منك الا عربون العملية الأولى وفى السمسرة متسع للجميـــع ·

ـ لا بأس على أن أشاركك فى المكسب ·

ـ طبعـــا ·

وكان عبد الشكور أذكى من أبيه فكان يشترى القطن من المعوزين بثمن بخس ولا ينتظر حتى موعد المحصول وانما يبيع ما اشترى بأسرع ما يمكن الى أثرياء القـرية الذين كان يطمعهم فى رخص الثمن بزيادة الكمية التى سيبيعونها فى الموسم مدركين أنه كلما كبرت الكمية ارتفع السعر الذى سيعرض عليهم ·

ولم يكن عبد الشكور أمينا فى محاسبة أبيه فاستطاع أن يشترى الكتب التى يحتاجها بجهد جهيد ولكن الخطة نجحت على كل حال على الأقل بالنسبة لعبد الشكور · فهو لم يكن يطمح الى الغنى لا قدر الله فى هذه المرحلة من حياته وانما كان أمله كله أن يتقن اللغتين حديثا وكتابة ·

وتم له ما أراد فى سنوات لم يكن فيها يضيع لحظة متاحة أو غير متاحة لدراسة اللغتين وأتقن أيضا معهما تجارة القطن والسمسرة فيه ·

بل تعلم شيئا لم يخطر له ببال فقد علمه الألمانيان المتحضران آداب المائدة وكيف يستعمل أدواتها بمهارة لا تتأتى الا لمن كان فى بيتهم مائدة وخدم أيضا .

وحين أحس أنه قادر أن يواجه الحياة وفى لسانه ويده هاتان اللغتان مع خبرة التجارة قال لأبيه :

ـ أنا يا آبا سأسافر الى مصر .

ـ ماذا تعمل بها .

ـ أبحث عن وظيفة .

ـ ومن أين لك وأنا لم أترك ثقب ابرة الا حاولت فيه أن أجد لك عملا ولكن الطرق جميعها سدت أمامى وأمامك .

ـ أنا أعرف طريقى .

ـ وطبعا تريد منى مالا .

ـ معى .

ـ من أين ؟

ـ مما كسبته فى هذه السنوات .

ـ اذن لن تكلفنى شيئا .

ـ على الاطلاق .

ـ مع السلامة .

ـ سلمك الله .

ـ ولكن اسمع .

ـ أمــرك .

ـ حين تستقر ارسل الى بعنوانك حتى أعرف طريقك فانا ليس لى غيرك ويعلم الله يا بنى أنى ما بخلت عليك ولكن العين بصيرة واليد قصـيرة .

ـ أعلم يا أبى ولولا أنك ساعدتنى ما استطعت أن أجمع القرشين اللذين سأذهب بهما الى مصر .

ـ كان أبى بخيلا ولكنى لم أكن معك بخيلا وانما كنت عاجزا .

ـ يا آبا أنا أعرف ذلك .

ـ أنا لا أريد منك شيئا حتى يفتحها الله عليك كل ما أريد منك ألا تحمل معك فى سفرك وغربتك غضبا على فالله وحده يعلم كم أحبك • فأنت كل أملى فى الحياة ولا أعيش الا لك •

ـ يا آبا أنت لا تحتاج الى هذا الحديث وسترى حين يكرمنى الله كيف سأرد لك المعروف •

ـ أنا لم أمنعك من الدراسة الجامعية بخلا وانما عجزا •

ـ أعلم يا أبى وأنت لا تحتاج الى هذا الكلام •

★★★

وحين أخبر عبد الشكور مارك وهوفمان بانتوائه السفر قال مارك :

ـ متى ؟

ـ فى أقرب وقت •

والتفت مارك الى هوفمان وقال له :

ـ هوفمان اننا الآن معنا ثمن تذاكر الطائرة ..

ـ نعــــم •

ـ فما بقاؤنا ؟

ـ وماذا تريد أن تفعل ؟

ـ نسافر مع عبد الشكور •

ـ وماذا نفعل ؟

ـ نذهب الى السفارة الألمانية وهى كفيلة بأن تعيدنا الى ألمانيا •

ـ أى ألمانيا الشرقية أم الغربية ؟

ـ الغربية •

ـ ألا تخشى أن يقبض علينا الانجليز ؟

ـ وماذا يصنعون بنا الحرب انتهت وتم تقسيم ألمانيا واستقرت الأمــــور •

ـ فان جرت الأمور بما لا نريد •

ـ اذا كنا وجدنا رزقنــا فى شقلبان فمن المؤكد اننا لن يصعب علينا أن نجد رزقنا فى محلات النجارة والميكانيكا والكهرباء فى القاهرة •

وقال هوفمان لعبد الشكور :

ـ ما رأيك ؟

ـ الفكرة جيدة ٠

ـ أترى ذلك ؟

وقال عبد الشكور :

ـ نستأجر ثلاثتنا حجرة فى القاهرة ونعيش معا حتى تجدا وسيلة للسفر أو تجدا عملا ٠

ـ وأنت ماذا ستفعل ؟

ـ لا تخافا على أنا أعرف طريقى كل المعرفة ٠

ـ متى نسافر ؟

ـ أليست النقود جاهزة ٠

ـ طبعـــا ٠

ـ نسافر غدا فى الفجر ٠

ـ وهو كذلك ٠

ـ وهو كذلك ٠

الفصــل الثــالث

كان وجود أماكن للسكنى فى القاهرة أيسر شىء جهدا ٠

فما أسرع ما استأجروا شقة ذات غرفتين وحمام ومطبخ بجنيهين فى الشهر ٠ وفى اليــوم التالى نزل ثلاثتهم الأجنبيان الى السفارة أما عبد الشكور فقد كان يعرف وجهته كل المعرفة ٠

★★★

ذهب الى بنك الاقتصاد والتوفير وسأل أول ساع واجهه :

ـ أريد أن ألقى المدير ٠

نظر الساعى بازدراء الى ملابسه وهيئته ولم يملك الا أن يقول له .

ـ المديرة مرة واحدة ٠

ـ ان كان على مرتين لا مانع ٠

وضحك الساعى معجبا بسرعة بديهته :

ـ فيــــم تريده ؟

ـ لو كنت طلبت مقابلتك لكان من الطبيعى أن تسألنى ٠

ـ واضح انك فصيح ٠

ـ وهل يمنع هذا من مقابلة المدير ؟

وأشار الساعى :

ـ آخر باب على اليمين تجد السكرتير وأنت وحظك ٠

قال له السكرتير :

ـ وفيــــم تريده ؟

ـ انه مدير بنك ومفروض أنه يقابل أى طالب للمقابلة ٠

ـ واضح من مظهرك أنك لست صاحب حساب أو صلة بالبنوك ٠

ـ وهل يمنع هذا أن تعود مقابلتى للمدير بنفع على البنك ؟

ـ لا فائدة من مناظرتك ٠ ما اسمك ؟

ـ عبد الشكور حيدر ٠

ـ وعبد الشكور أيضا ٠

ـ اسم فيه الشكر مقدما قبل أن يقدم سامعه ما يحتاج الشكر ٠

ـ حسنا ٠٠ حسنا ٠٠ انتظر ٠

ودخل السكرتير الى المدير :

ـ شخص غريب يريد مقابلتك ٠

ـ وما الغرابة فيه ؟

ـ ملبس متهالك وذكاء واضح ٠

ـ ما اسمه ؟

ـ عبد الشكور ٠

ـ فقط ؟

ـ حيدر ٠

ـ لحسن حظى أننى ليس عندى ما يشغلنى الآن ٠٠ هاته نتسلى عليه ٠

ودخل عبد الشكور ليلقى صبحى حسان بك مدير البنك ٠

ـ أهلا يا بنى ٠

ـ أهلا بسعادتك ٠

ـ أقعـــد ٠

ـ شكرا أطال الله عمرك ٠

ـ ماذا أستطيع أن أقدم لك ؟

وفى سرعة حاسمة أجاب عبد الشكور .

ـ وظيفـــة ٠

ـ بحالها ٠

ـ بأى حال لها ٠

ـ ولماذا أوظفك ؟

ـ أؤكد لسعادتك انك ستوظفنى ٠

ـ واضح أنك تعرف ما تريده تماما ٠

ـ وأعرف أيضا أننى جدير بأن أحققه ٠

ـ عجيبـــة ٠

ـ وأين العجب ؟

ـ أنا لا أعرفك وهيئتك لا تشجع على التفاؤل وأنا لا أعرف مؤهلاتك التى يبدو عليك انك مطمئن اليها كل الاطمئنان ومع كل هذا الغرور منك أشعر بميل نحوك ٠

ـ هذا أول الطريق الى آمالى ٠

ـ بعض الناس ينعم الله عليهم بملكة الحضور ٠

ـ قرأت يا سعادة البك انهم أجروا احصاء واسعا فى أمريكا ثبت منه أن الناس جميعا متساوون فى السعادة والشقاء وأن كل انسان ينال قسطا من السعادة قدر ما ينال الآخر ومن الشقاء مثل ما يصاب به الآخر وأسباب الشقاء عندى واضحة فليس غريبا أن أملك قدرها من وسائل النعمة ٠٠

ـ اشرح أكثر ٠

ـ اذا نال انسان السعادة الوافرة فى جانب واجهه القدر نفسه من الشقاء فى جانب آخر من حياته بحيث تكون النتيجة النهائية أن يصبح الجميع متساوين فيما يحصلون عليه من الهناء والشقاء ٠٠

ـ فهمت ما تعنى ٠٠٠ هل تؤمن بالله ؟

ـ الموقف الذى أنا فيه الآن يحتم على أن أقول كل الايمان ٠٠

ـ لماذا ؟

ـ لأننى أسعى جاهدا أن أبلغ رضاءك على ٠٠

ـ وكيف عرفت أننى أرضى بايمانك ؟

ـ منصبك وما أنت فيه من أبهة ٠٠

ـ واذا كان يرضينى أن أعرف حقيقة ايمانك ٠٠

ـ لا أملك أمامك الا أن أقول نعم انى مؤمن ٠٠

ـ أتقول الحق ؟

ـ أقول ما يرضيك ٠٠

ـ لا فائدة أن أصل معك الى حقيقة ايمانك ٠

ـ ولماذا لا تكتفى سعادتك مؤقتا بظاهر الأمر منى ٠٠

ـ ماذا رماك على ؟

ـ ما يذكره الناس والصحف عنك ٠٠

ـ مثل ماذا ؟

ـ مثل أنك تسلمت هذا البنك وهو في طريقه الى الانهيار الكامل فجعلت منه مؤسسة من أكبر المؤسسات الاقتصادية في الشرق أجمع ٠٠

ـ أهذا المديح من باب المحاولة المستميتة التي تبذلها لارضائي ٠٠

ـ ربما كان هذا ولكنني في الوقت نفسه أردد ما سمعت ٠٠

ـ أتتصور انني بهذا الحوار سأعينك ؟

ـ لا بأس أن أحاول ٠٠

ـ أنت تعرف لا شك أن باب التوظيف مقفل تماما ٠٠

ـ ومع هذا قصدت اليك ٠٠

ـ هل كل ما في جعبتك هذا الحديث الواضح الاصرار ٠

ـ لو كان هذا كل ما أملك ما تركت قريتي وقصدت اليك دون كل الأشخاص الآخرين ذوي النفوذ ٠٠

ـ هل تملك شيئا في قريتك هذه ٠٠ ؟

ـ كنت فيها أحصل على لقمتي دون ملبس ٠٠

ـ فأنت اذن ٠٠٠٠٠

ـ أفقر من الفقر ٠٠

ـ واضـــح ٠٠

ـ ان ما أقوله لسعادتك غير خاف عليك بحكم مظهري حتى اذا استطعت أن أتغلب على هذا المظهر فلن أذكر هذا الانسان حتى آخر يوم في حياتي ٠٠

ـ ماذا كنت تعمل في القرية ؟

ـ سمسار قطن ٠٠

ـ وأبوك هل هو على قيد الحياة ؟

ـ سمسار حبوب يحصل لي ولأمي ولنفسه على ما يسد الرمق بجهد جهيـــد ٠٠

ـ أهذه مؤهلاتك ٠٠ ؟

ـ سعادتك حتى الآن لم تسألني عن مؤهلاتي ٠٠

ـ وهأنذا أسأل ٠٠

ـ تجارة متوسطة ٠٠

ـ التجارة العليا لا يحصل صاحبها على وظيفة عندنا أو عند غيرنا الا بواسطة لا تقاوم فما بالك بالمتوسطة ..

ـ لو كانت هذه الشهادة هي كل مؤهلاتي ما تجرأت أن أخطو عتبة هذا البنك ..

ـ ماذا عندك ..

ـ اجادة تامة للغة الانجليزية لا يصل اليها خريج جامعة فى قسم اللغة الانجليزية بكلية الآداب ..

ـ فقط ..

ـ ونفس الاجادة للغـــة الألمانية مع خبرة ستلمسها اذا عينتنى بشئون القطن وبالسوق عامة ..

ـ خبرة السوق وفهمناها ولكن من أين لك باللغتين .. ؟

ـ هذه من بين المقومات التى تكون حظى من السعادة ..

ـ ألغزت فأفصح ..

ـ مصادر تعلمى لا أظنها تهم سعادتك وانما الذى أعتقد أنه يعنيك هو النتيجة ..

ـ والمصدر أيضا ..

ـ مصيرى أن أرويه لسعادتك فى يوم من الأيام ..

ـ ومن أين علمت أننى سأراك بعد اليوم .. ؟

ـ طول حوارك معى على هوان مظهرى الى جانب شيء آخر أخاف أن أذكره ..

ـ بل أذكره ..

ـ ثقتى بنفسى ..

ـ أهو نوع من الغرور مرة ثانية ..

ـ بل هو اطمئنان أن بنكا كالذى تديره يحتاج الى مؤهلاتى وخاصة اذا أضفنا الى ذلك ما عرف عنك من حرص على نجاح المؤسســة التى تعمل بها ..

وفجأة قلب صبحى بك حسان النقاش من اللغة العربية الى اللغة الانجليزية التى يتقنها وأجرى لعبد الشكور امتحانا عسيرا فى اجادة اللغة الانجليزية انتهى منه بأن قال له بالعربية :

ـ ان كنت تجيد الألمانية اجادتك للانجليزية فانك عملة نادرة ..

ـ أستطيع مؤقتا أن أقول لسيادتك أنني تعلمتها عن ألمان أما كيف كان ذلك فأرجو أن تتركه سعادتك للأيام ..

ـ أظن أن من حقك الآن أن تتكلم عن الأيام الآتية ..

ـ اذن ..

ـ لقد عينتك وسأعرف خبرتك في القطن من الممارسة ..

ـ أتسمح لى بشيء على شرط ألا تتمنع ..

ـ ماذا تريد أن تقول .. ؟

ـ انه ليس قولا بل انه عمل ..

وقفز عبد الشكور فجأة من كرسيه واختطف يد صبحي وقبلها الأمر الذى تم فى لحظات وامضة لم تعط أى فرصة لصبحى أن يتأبى أو يمنع موظفه الجديد عما صنعه ..

الفصـــل الـــرابع

تمكن الهاربان الألمانيان من الحصول على أوراق تسمح لهما بالعودة الى ألمانيا وطلب اليهما عبد الشـــكور أن يكتبا له عن عنوانيهما بمجرد وصولهما اليها ٠

ولم يكن أحد منهما يعرف أين سيستقر به المقام كما كانا يجهلان ما بقى من أسرتيهما على قيد الحياة فقال مارك لعبد الشكور :

ـ سأكتب اليك بمجرد وصولى الى الأرض الألمانية ٠

ثم التفت الى هوفمان قائلا :

ـ وأنت يا هوفمان ألا تنوى أن تفعل ذلك ٠

ـ بالطبع ولكن هل تنوى يا عبد الشكور البقاء فى هذا البيت بعد أن أصبحت صاحب وظيفة ٠

ـ المؤكد أننى سأنتظر أخباركما هنا حتى أعرف العناوين التى أراسلكما عليها ٠

وقال هوفمان :

ـ اننا سنطلعك الآن على سرنا الذى أخفيناه عليك طوال هـــذه الســـنوات ٠

ـ ألكما سر ؟

ـ كلانا مهندس متخرج فى أعظم كلية فى ألمانيا كلها فلا تعجب اذا جاءك منا أخبار تفيد أننا نعمل فى وظائف غاية فى الأهمية ٠

وأكمل مارك :

ـ بالطبع ألمانيا اليوم تحتاج أكثر ما تحتاج الى المهندسين بعد أن سحقت الحرب مدنها ٠

ـ هل تعلمان ان كانت أسرتيكما فى ألمانيا الشرقية أم الغربية ؟

وقال مارك :

ـ الأمر الذى لا شك فيه أن أسرتينا فى ألمانيا الغربية وسنزداد وثوقا من هذا حين نصل الى هناك ٠

– هل أنتما متزوجان ؟

– كان لكل منا فتاة لا شك أنها تزوجت الآن ٠

وأكمل مارك :

– أنت تعلم طبعا أن أخبار أهلنا فى ألمانيا الآن خافية عنا تماما وسنكتب لك بالتفصيل عند عودتنا ٠

– لم يخبرنى أحدكما عمن ترك من أقارب هناك ٠

قال هوفمان :

– أنا ومارك كلانا تركنا أبوينا وأمينا على قيد الحياة وأنا تركت مع أبوى أختين تصغرانى ومارك ترك أختا تصغره وأخا طفلا ٠

وقال مارك :

– انتظر أخبارنا كلها فى أول خطاب نكتبه اليك ٠

– انى منتظر ٠

وما هى الا أيام قلائل حتى تمكن مارك وهوفمان من مغادرة مصر ٠

★★★

كان عبد الشكور يعرف تماما ما هو صانعه بالبنك ٠

لقد حرص أول ما حرص على أن يوثق صلته بصبحى حتى يجعله يحس أنه لا يستطيع أن يستغنى عنه ٠

وكانت أولى خطواته فى هذا السبيل أن يجعل من نفسه شبه خادم لسكرتيره نبيل معوض ٠

وقد كان شابا فى ريق العمر حاصلا على ليسانس الحقوق وكان من قرية صبحى بك نفسها بل أن أباه كان يعمل ناظر زراعة لمائة الفدان التى يملكها صبحى عن أبيه وقد امتنعت مساحة الأرض على قانون الاصلاح الزراعى فلم تنتزع الحكومة شيئا من أرضه مما جعل الثورة لا تعتبره من أعدائها وقد أتاح له ذلك أن يرقى فى البنك الى منصبه هذا الذى يشغله وخاصة أنه لم يكن من عائلة ذات مكانة ولا خطر مما يسر له أن ينضم الى منظمات الثورة ويظهر غلواء فى تأييدها والهتاف لقائدها الأول ثم لقائدها الثانى مما جعله من أهل الولاء والكفاءة فى وقت معا ، الأمر الذى لم يتيسر الا لقلة نادرة فى هذه الأيام ٠ أما نبيل فلم يكن أبوه يملك الا خمسة أفدنة استطاع بها وبعون من صبحى وأبيه أن يكمل تعليم نبيل

فى كلية الحقوق عاجزا بضآلتها فى الوقت نفسه أن يعلم ابنيه الآخرين مرسى وعيسى اللذين لم يكن أمامهما الا أن يعملا فلاحين فى أرض صبحى بك وقد تمكن كلاهما من أن يحصل على خمسة الأفدنة مما وزعتها الثورة من الأرض التى استولت عليها وقد نالا ما نالا من أرض الغنى الكبير فى قريتهم متــولى باشــا خطاب الذى نال الباشاوية حين تبرع للمشاريع الخيرية بخمسة آلاف جنيه فى عهد الباشاوات ٠

عرف عبد الشكور كل شيء عن نبيل معوض من ساعى مكتب المدير حسنين عبد المولى ٠

وقد عرف منه أيضا فى دعوة الغداء التى دعاه اليها من أول مرتب يحصل عليه من البنك أن صبحى بك متزوج من ابنة عمه صافيناز هانم عبد الموجود ذات الأم التركية التى لا يعرف حسنين اسمها الذى لم يسع الى معرفته فالأم قد تركت الحياة قبل أن يتزوج صبحى ابن الفلاحين من ابنتهـــا ٠

وانتظر عبد الشكور أن يصل الى الخوافى من أخبار صبحى حين يوثق صلته بنبيل الأمر الذى أعد له كل الاعداد وخاصة حين أبلغه حسنين أن نبيل يحب الفتيات الجميلات أو غير الجميلات ان لم يتيسر له غيرهن ٠

وقد وجد عبد الشكور منفذه الى نبيل وترك للأيام أن تلج به الى هذا المنفذ ٠

★★★

كانت وظيفة عبد الشكور فى قسم الأقطان وقد أراد صبحى أن يرى مقدار كفاءته ٠

وانقضت بضعة أسابيع وبدأ موسم شراء الأقطان وتحرى عبد الشكور أن يبتعد فى مشتريات البنك عن شقلبان حتى لا يرى سبيلا الى أبيه بل تحرى أن يبتعد عن المركز جميعا الذى يعرف أغلب أهله ويعرفونه ٠ فقد كان حريصا أن يقطع ما بينه وبين هذه الأيام بكل ما وسعه من جهد ٠

بدأ عبد الشكور جهاده الوظيفى فى الصعيد وكان هذا أمرا طبيعيا فقد كان موسم القطن يبدأ فى الصعيد قبل الوجه البحرى بفترة طويلة وقد استطاع بسابق خبرته فى الصفقات ضئيلة الشأن أن يكون ماهرا غاية المهارة فى عقد الصفقات الكبيرة واضعا فى الحسبان أن أكبر مالك لا تزيد أرضه عن مائتى فدان بعد تطبيق قانون الاصلاح الزراعى ٠

وقد استطاع عبد الشكور أن يثبت لصبحى نجاحه الفائق فى عقد الصفقات فكان أكثر زملائه نشاطا ٠

وكان يراعى فى أول الأمر أن يكون صادقا مع البنك متلمسا سرقة المشترى فى السمسرة التى حرص ألا يعلم عنها البنك شيئا حتى اذا انتهى من الصعيد انتقل الى الدلتا فى نشاط منقطع النظير مما عاد على البنك بمكاسب لم يحققها البنك فى هذا المضمار من قبل ، الأمر الذى وفر لعبد الشكور قدرا من المال اعتبره هو فى البداية جديرا بكل احترام واجلال ٠ فان كمية النقود التى أتيحت له لم يسبق له أن رآها بله أن يملكها ٠

كانت أنباء صديقيه قد وصلت اليه وأصبح قادرا أن يستأجر شقة صغيرة كل الصغر فى حى الزمالك بايجار لو سمع به أبوه لأصابته سكتة قلبية ٠ فقد كان يدفع عشرة جنيهات ايجارا للشقة التى كانت تتكون من غرفة نوم واحدة وغرفة للطعام وصالة صغيرة وحمام لولا صاحب البيت ما عرف عبد الشكور كيف يتعامل معه ٠

وكانت الشقة خالية فنقل اليها سريره المتهالك وكرسيين أثارا مع السرير سخرية البواب فى العمارة الجديدة ٠

كان لابد أن يؤثث الشقة الجديدة بما يليق بأناقتها وفخامة العمارة التى تحتويها ٠ وفى هذا التأثيث عرف طريقه الى نبيل ٠

ـ أجرت شقة بالزمالك ٠

ـ الزمالك مرة واحدة ٠

ـ ان لم يكن السكن جميلا فما قيمة حياة الانسان ٠

ـ كم ايجارها ؟

ـ ولا يهمك ٠ المهم أريد أن أؤثثها وليس لى الا أنت لتشترى لها أثاثا يبدو لائقا بالحى ويكون فى الوقت نفسه ملائما لعبد الشكور ٠

ـ أى عبد الشكور تقصد الذى رأيته قبل أن يعين أم الذى أجر شقة فى الزمالك

ـ كل ما أرجوه منك أن تنسى عبد الشكور الذى كنت من القلة النادرة الذين رأوه بمصر قبل التعيين ٠

ـ طبعا أنت تقصد بمصر القاهرة ٠

ـ الذين عرفوني من بلدتنا وما حول بلدتنا لن يروني أبدا على كل حال .

ـ وأبـوك وأمـك .

ـ يكفيهما أنني وفرت عليهما اللقمة التي كنت أقتطعها من قوتهما .

ـ كنت أظن نفسي عاقا لأنني لا أزور أهلي وأكتفي برؤية أبي حين يأتي لمحاسبة صبحي بك .

ـ كن وفيا لنفسك أولا أما الآخرون فعليهم أن يدبروا أمر أنفسهم.

ـ ألم يعرف أبوك أنك عينت وأنك استأجرت شقة في الزمالك .

ـ ولماذا يعرف ؟

ـ ألم يعرف على الأقل ان كنت على قيد الحياة أم لحقت بالرفيق الأعـلى .

ـ المؤكد أنه يعلم أنني لم أمت والا حملت اليه ليتولى دفني .

ـ واضح أنك أرحت نفسك تماما .

ـ لا . اطمئن . المهم قل لي ماذا ستفعل معي في مسألة الأثاث .

ـ الأثاث أمره هين .

ـ كيـف ؟

ـ عندنا في البنك قسـم خاص بشراء احتياجات البنك في هذا المضمار ورئيس هذا القسم حمدي خميس وهو الذي يشتري ما يحتاجه صبحي من أثاث .

ـ يا نهار أسود ... ومالي أنا لصبحي بك وما يشتريه من أثاث . لو اشترى حمدي مثلما يشتري لصبحي بك لما أكمل ما معي ثمن كرسي واحد للشقة .

ـ على مهلك .... على مهلك ... ان كل العـاملين في البنك يلجأون اليه وخبرته بالأثاث الرخيص أعظم من خبرته في الأثاث الغالي .

ـ وصبحي بك .

ـ انه يشتري له ما يحتـاجه المطبخ والخدم أما أثاث صبحي بك فتشتريه صافيناز هانم التي تختار دائما أغلى الأثاث مما لا نعرفه ولا نعرف أسماء الماركات التي ينتسب اليها .

ـ هل صافيناز هانم مسرفة ؟

– مصيرك ترى حساب صبحى بك بالبنك لتعلم أن دخله لا يكفى طلبات زوجته وحدها ٠

– والأولاد ٠

– المهم عند صافيناز هانم نفسها أولا ولبسها وأثاث بينها والولائم التى تقيمها ٠

– والأولاد ٠

– كلاهما أيضا مسرف وانما فى حدود مطاقة بالنسبة لأبيهما ٠

– عرفت أن عنده ولدا وبنتا ٠

– الولد فى السادسة عشر والبنت فى الرابعة عشر ٠

– اسم الولد رأفت أظن ٠

– على اسم خال صافيناز هانم التركى ٠

– الاسم مشترك لا تعرف ان كان اسم أنثى أو اسم رجل ٠

– لا يهم المهم انه اسم تركى ٠

– اسم البنت سمعته ولكنى لم أستطع أن أحفظه ٠

– هان زاده على اسم ستها من أمها طبعا ٠

سرح عبد الشكور لحظات ٠ واضح أن صافيناز هانم هى العنصر الأساسى فى بيت صبحى بك وواضح أيضا أنها خارية بيت زوجها ٠ وهذه ماذا أصنع لها ٠ لابد أننى واجد لها سكة وحين أجدها تكون أهم طريق لصبحى ٠ ولو أننى من الآن أكاد أكون قد عرفت أحسن وسيلة لصبحى وصافيناز معا ٠ لأطويه وأطويها تحت جناحى ما على الا أن ٠٠٠٠ وارتاع من صمته وسرحته المليئين بالضجيج على صوت نبيل يصيح به :

– هيه ٠٠ أين ذهبت ؟

– معـــك ٠

– بجسمك ٠

– وبعقلى ٠ هل سترسلنى الى حمدى خميس ؟

– بل يأتى هو اليك ٠ انك فى مكتب المدير وأنا أريد أن تكون شقتك عظيمة فأنا أعتبرها كشقتى تماما ٠

وفهم عبد الشكور الاشارة وفرح بها كل الفرح وأكمل نبيل :

– فرق بين أن تذهب الى حمدى كأى موظف فى البنك وبين أن يأتى هو اليك ويتسلمك من مكتب المدير العام ٠

ورفع نبيل سماعة التليفون وأدار رقمين وقال ·

ـ حمـــدى تعـــال ·

ولما أقفل التليفون · قال عبد الشكور :

ـ ألا تقول صباح الخير ·

ـ مكتب المدير لا يقول صباح الخير ·

ـ ألم يقل هو لك صباح الخير ·

ـ طبعا قالها بكل حماس ·

ـ لم تردها عليه ·

ـ مكتب المدير لا يرد التحية ·

ـ لا تؤاخذنى على جهلى ·

ـ ما زال أمامك الطريق طويلا ·

ـ واضـــح ·

★★★

اشتر الأثاث بمعونة حمدى الذى وفر علينا مبلغا ضخما من المال · استطاع عبد الشكور أن يكسب احترام البواب الذى كان قبل مجىء الأثاث الجديد يحتقره احتقارا لا خفاء فيه ·

الفصـل الخـامس

قال عبد الشكور لصبحى بك :

ـ أرجو أن تكون راضيا عنى ٠

ـ واضح انك خبير بسوق القطن خبرة عظيمة ٠

ـ ولكن الموسم انتهى هل سأظل بلا عمل حتى الموسم القادم ٠

ـ وماذا تريد أن تعمل ؟

ـ هناك قسم فى البنك درسته فى المدرسة ولا أعلم عنه أى خبرة عملية ٠

ـ أى قسـم ؟

ـ الأسهـم والسنـدات ٠

ـ والله فكرة لا بأس بها ولغاتك تؤهلك للعمل فى هذا القسم على أن تعود الى القطن فى موسمه ٠

ـ طبعـا ٠

وأعطى صبحى بك أوامره أن يلتحق عبد الشكور بقسـم الأسهم والسندات فى البنك ٠

وفى اليـوم التـالى تسـلم عمله ٠

★★★

استقبله فتحى السبكى رئيس القسم بترحاب حذر آما الترحاب فبناء على أوامر صبحى بك وأما الحذر فلن يلبث عبد الشكور أن يتبين ما يتخفى وراءه ٠

عرف عبد الشكور اول ما عرف عن فتحى السبكى انه متصـل بدهاقين التنظيم السياسى الأوحد وهكذا انفتح أمامه باب جديد للنفاق ـ

وثق صلته بفتحى السبكى حتى انه منذ أول يوم حرص أن يرافقه فى الطريق الى بيته ليتعرف على مكان البيت وليؤنس فتحى السبكى فى مشواره .

كان فتحى السبكى يملك سيارة لا هى بالسيارة الفارهة ولا هى بالقميئة وحين وصلا الى عمارة السبكى قال لعبد الشكور :

ـ تفضل نتغدى سوا .

ـ عزومة مراكبية طبعا .

ـ كانت كذلك فعلا ولكن ما دمت قلت ما قلت فاقسم بالله لن تتغدى الا معى اليوم .

ـ أصبح أمرا ..

ـ اعتبره كذلك .

وانتهز عبد الشكور الفرصـــة ليوثق صلته بفتحى ويتعرف على أسرته . ولم يفته للوهلة الأولى أن العمارة فى جاردن سيتى وانها فخمة واضحة المهابة .

وصعد مع فتحى الى بيته .. واضح انه كريم فدعوته هذه لا تأتى من بخيل . وواضح أيضا أنه يريد أن يبهرنى بمسكنه ومآكله .

كانت زوجة فتحى السبكى سيدة فى أواسط العمر بشوشا لم تفزع من الضيف المفاجىء واثقة أن الطعام الذى لديها لا يخشى هابطا على بيتها دون انتظار .

الشقة فاخرة والأثاث واضح الأناقة .

قال فتحى لزوجته وفية سعيد :

ـ الأستاذ عبد الشكور حيدر زميلى الجديد فى القسم .

وسارع عبد الشكور صائحا :

ـ العفو .. بل مرؤوسه الصغير جدا .

وأحس فتحى بالزهو أمـــام زوجتـــه وما لبث أن أسفر عما وراء اصراره أن يتغدى عبد الشكور معه حين قال لوفية.مقدما مزيدا من التعريف بالضيف :

ـ انه مقرب جدا من البيه المدير ويعتبره من أحسن موظفى البنك رغم انه لم يعين الا منذ أشهر قلائل .

وانتهز عبد الشكور فرصة لا يمكن أن يفلتها لينافق رئيسه المباشر الذى يرجو منه الخير الكثير :

ـ المهم رضاء سعادتك ·

وقال فتحى فجأة :

ـ هل جاء الأولاد ؟

وقالت وفيه :

ـ ليس بعد ·

ودار الحديث بين عبد الشكور وفتحى وعرف منه أن لديه ابنين وابنة · وان الابنة أكبرهم واسمها ناهد وهى فى الثانوية العامة فى هذا العام أما الولدان فكلاهما فى أواخر الدراسة الاعدادية يسبق أحدهما واسمه باسم أخاه الأصغر بعامين هما فارق السن بينهما ولم تفت الفرصة عبد الشكور :

ـ واضح أن ثلاثتهم مجتهد فى دراسته ·

ـ كيف عرفت ؟

ـ فارق الدراسة بين ثلاثتهم متفق تماما مع فوارق السن ·

ـ اسم الله عليك لا تفوتك الفائتة · فعلا ثلاثتهم مجتهد وان كان ثلاثتهم لا يقبلون أن يلبسوا الا أفخر ملبس وناهد تصر على أن أشترى لها سيارة اذا نجحت فى عامها هذا وذهبت الى الجامعة ·

ـ من حقها ولماذا لا تأتى لها بسيارة ·

ـ ربنا يقدرنا ·

ـ والى أى كلية تريد أن تنتسب ·

ـ يا سيدى مصممة على الطب والحقيقة أن تفوقها فى دراستها السابقة سيمكنها أن تحقق أملها ان شاء الله ·

ـ ستدخل الطب وبكره نشوف ·

ـ قل ان شاء الله ·

ـ ستدخل الطب · أنا مكشوف عنى الحجاب ·

ـ سترى ·

ـ سترى ·

وقدمت وفية هانم في ترحاب تدعوهما الى الغداء .. وكانت المائدة عامرة وأدرك عبد الشكور طبعـا أن الذى أمامه من الطعـام هو لا شك نصيب الأبناء الذين لم يأتوا بعد الى البيت وأدرك أيضا السعة التى يحيا فيها رئيسه المباشر .. ولم تفته الخادمة التى تلبس ملبسا محترما وتقوم بشأن ثلاثتهم على المائدة .

قال عبد الشكور وهم يتناولون قهوة ما بعد الغداء :

ـ أشرب القهوة وأتركك لتستريح فترة القيلولة .

ـ أنت شرفت .

ـ بل أنا الذى تشرفت فعلا لا مجاملة . هل ستخرج بعد الظهيرة .

ـ طبعا أنا كل يوم أذهب الى مقر التنظيم .

ـ صحيح .

ـ طبعـا ..

ـ هل عندك مانع أن أصحبك الى المقر وأتعرف على الأقيال الذين نعرفهم .

ـ بالعكس فقد كنت سأعرض عليك أن تأتى معى .

ـ متى تذهب ؟

ـ فى الساعة السادسة أكون هناك .

ـ أنا سأعود اليك هنا فى الخامسة والنصف وأذهب معك .

ـ وهو كذلك .

★★★

وهكذا قدر لعبد الشكور أن يضع أقدامه على سلم توقع هو أن يصل به الى السماء السابعة .

★★★

ذهب عبد الشـــكور الى المقر والتقى هناك بسـكرتارية الكبـار ومساعديهم . واختار فى اليوم الأول أن يتعرف الى ما يرضى كلا منهم . واستطاع فيما تلا ذلك من أيام أن يكون لصيقا للغالبية العظمى منهم واذا استعصى عليه أحدهم رفض أن يركن الى اليأس فى شأنه بل راح يلوب حوله ليعرف الباب الذي يدخل منه اليه ويطرقه فان لم يجد الطرق

مجديا احتال على فتح الباب بأى وسيلة أخرى ولو أدى الأمر الى اصطناع مفتاح مزور .

لقد استقر فى أعماق عبد الشكور استقرارا وطيدا أنه يملك ما لا يملكه أحد ، فهو بلا أصل ولا كرامة ولا مثل ولا تعنيه مشاعر السماء نحوه وهو أملس ليس لديه أى شيء يخشى عليه وهو يعلم أنه ثعلبى الخبث وأنه ابن سوق وأنه صاحب مقدرة على التصرف والحديث بما يجعل سامعه فى حالة من السعادة والهناء والرضى عن نفسه لا تتهيأ له مع أى انسان آخر غير عبد الشكور ، وهكذا لم يكن عجبا أن يطمئن غاية الاطمئنان الى انه يحوز فى يده كل مفاتيح الغنى وذلك مؤقتا عن طريق البنك أما مسالك الجاه فهو يرنو اليها عن طريق معارفه الجدد فى مقر التنظيم منتويا أن يقفز على رؤوسهم الى الصدور والقادة من رؤسائهم الذين يملكون فى يدهم مقادير الناس جميعا . وكلمة جميعا هذه تنصرف الى المقادير والى الناس فى وقت معا فقد كان على بينة وثيقة أن حكام ذلك العهد على رأسهم الحاكم الفرد الذى لم يكن الآخرون بالنسبة اليه الا دمى يحركها كما شاءت أهواؤه . كان على بينة انهم يملكون من الناس مقاديرهم ليس فى وظائفهم أو أعمالهم العامة وحدها بل كانت أيدى الحاكم والدمى تمتد الى خاصة حياتهم والمستسر الخافى من شئونهم وشئون ذويهم .

وكان واثقا أيضا أن طاغية العهد لا شأن له مطلقا بالايمان بالله ولا بأحكامه ولا بآخرته .

كان عبد الشكور على بينة من هذا جميعه فأدرك أن المستقبل لن يفتح له ذراعيه على مصراعيهما وان لم يجد الى بلاط الفئة الحاكمة منفذا واسع الأرجاء . وكانت ثقته بمقدار سفالته ونفاقه تملأ نفسه يقينا انه بالغ من مطامعه ما يشتهى ويريد . حتى ليكاد أن يتحدى الأيام انه لا شك الى نجاح وفلاح .

الفصـــل الســادس

بدأ عبد الشكور يتعرف على طبيعة العمل فى قسم الأسهم والسندات وما لبث أن فرض نفســه على فتحى السبكى حتى أصبح أقرب المقربين اليه ٠

وبهذه الصلة الوثيقة تبين له ما أذهله ٠

لقد كان فتحى يتصرف فى أسهم الناس وفى سنداتهم كأنها ملك شخصى ينال منها على غير علم من أصحابها مكاسب فادحة ٠

وتظاهر عبد الشكور أنه لا يفهم ما يصنعه فتحى وصرف جهـده أول ما صرف الى التعرف على أصحاب هذه الأسهم فالغالبية العظمى منهم هم أصحاب الأموال الجسام الذين لم يكن العهد الحاكم قد مسهم بعد ٠

وعن هذا الطريق تعرف على أصحاب الثراء العريض والأصل الرفيع حتى اذا وثق صلته بهم عاد الى فتحى الذى كان قد أمن له كل الأمان وجعله يتعرف على خوافى الأمور وسراديبها ٠

وكان فتحى على قدر واسع من الذكاء مما جعله يتيح لعبد الشكور أن يقوم ببعض العمليات التى تعود عليه بالربح الوفير ٠ وان لم يكن الى وفرة عمليات فتحى طبعا ٠

فى يوم من الأيام بينما هو فى مكتبه طلبه نبيل فى التليفون :

ـ ماذا تعمل ؟

ـ مهما يكن ما أعمله أنا تحت أمرك ٠

ـ تعـــال ٠

وحين جلس عبد الشكور أمام نبيل قال نبيل :

ـ أتذهب الى السينما ؟

ـ فيما ندر ٠

ـ لمـــاذا ؟

ـ يا نبيل يا حبيبى ان العمل الذى لا أكسب منه لا يلزمنى ٠

ـ ربما تكسب تسلية ويقولون أن بعض الأفلام المأخوذة عن أعمال كبار الكتاب قد تكسب ثقافة .

ـ هل هذه الثقافة تنفعنى فى البنك ؟

ـ المؤكد أنها تنفعك فى الحياة .

ـ كيـف ؟

ـ فى معاملة الناس ومحادثة أهل الحل والربط .

ـ والله لك حق فأنا لا أعرف أعظم من صبحي بك ومن يدرى لعل الأيام ترمى بى فى طريق بعض العظماء .

ـ هذا أمر وارد لا شك .

ـ بدأت أتعرف بأصحاب الأسـهم والسـندات من الأثرياء الكبار والباشـاوات والبكوات السابقين وأقول لك الحق ما زلت أتهيب أمرهم وكأنهم ما زالوا باشاوات وبكوات .

ـ العظمـــة عند أغلب هؤلاء ليست فى الرتبـة وانما فى الطبع والتصرف والخلق والثقافة ومعاملة الناس والحياة .

ـ لك حق ما زال لهم جلالهم وهيبتهم وكأن الثورة لم تقم .

ـ وطبعا أبوك لم يكن يعرف واحدا منهم .

ـ وما الداعى لهذه الملحوظة .

ـ أقصد أن ثقافتك قاصرة فى هذا الشأن .

ـ مؤكد .

ـ فلابد أن تثقف نفسك حتى تعرف كيف تحادثهم .

ـ بالسـينما ؟

ـ بالسـينما وبالكتب وبالروايات الكبرى لعظمـاء الكتـاب ... والا ماذا ستفعل اذا حـدثك واحد من هؤلاء فى الحياة العامة ووجـدك لا تعرف أسماء الكتاب المصريين والعالميين .

ـ يا نهار أسود تكون مصيبة .

ـ ابدأ بالسينما .

ـ أبدأ بالسينما .

ـ أنا عازمك اليوم فى حفلة الساعة السادسة .

ـ أذهب معك .

ـ بل تذهب وحدك ٠

ـ لماذا ؟

ـ ما سمعت ٠

ـ أمـــرك ٠

ـ وهو كذلك ٠ أظنك فى هذه الفترة لن تكون محتاجا لشقتك ٠

ـ يا نبيل يا حبيبى لم تكن محتاجا لكل هذا لتستعمل الشقة ٠

ـ أنا أعلم ذلك ولكن الحديث جر بعضه وعليك أن تعلم أنه بصرف النظر عن مسألة الشقة فان كل ما قتله لك صحيح وعليك أن تهيىء نفسك لمعرفة هؤلاء الأجاويد ٠

ـ والله أنا وزنت ما تقوله ووجدته معقولا ٠

ـ ألم أقل لك ٠

ـ فعلا لك حق ٠٠ خذ المفتاح ٠

ـ شـــكرا ٠

ـ أنا لا مانع عندى أن أزيد نفسى ثقافة وأذهب الى حفلة الساعة التاسعة أيضا على حسابى الخاص ٠

ـ يا نهارك أسود أتريد أن تطردنى زوجتى من البيت ٠

ـ لـــماذا ؟

ـ انت انهبلت أدخل عليها الساعة الثانية عشرة ولا تطردنى ٠

ـ واذا طردتك ، تنفذ الطرد ٠

ـ سأكون بين اثنتين لا ثالث لهما اما أن أخرج وأتصرف فى المبيت بأحد الفنادق واما أن تأخذ هى العيـال وتذهب الى بيت أبيها وتصبح فضيحة بجلاجل ٠

ـ وما الداعى يكفيك حفلة الساعة السادسة ٠

ـ وأين أترك لك المفتاح ؟

ـ اننى منذ عرفتك وأنا معد نفسى لهذا الطلب الذى أعتقد أنه تأخر كثيرا ٠

ـ ماذا تعنى ؟

ـ معى مفتاح آخر وغدا آخذ منك المفتاح الذى أعطيته لك الآن ٠

ـ ولماذا لا تبقيه معى ؟

ـ لا ٠٠٠٠ لا يمكن ٠٠٠٠٠ لابد أن تطلبه منى كلما احتجت اليه ولا فوجئت بى على رأسك فى الشقة وربما فى السرير أيضا ٠

ـ فعلا ٠٠٠٠٠ فعلا لك حق ٠٠٠٠٠ غدا أعطيك مفتاحك ٠

ـ سأكون عندك بكرة قبل أن تشرب قهوتك ٠

ـ وهو كذلك ٠

الفصــل الســابع

طبعا لم يكتف عبد الشكور بالعمليات الصغيرة التى يتركها له فتحى ولم يكن منذ أول لحظة منتويا أن يكتفى بها ولكنه كان يدبر للأمر منذ الوهلة الأولى ورأى أن خير وسيلة أن يجعل فتحى يثق فيه ثقة عميقة ٠

وفى عماية هذه الثقة راح عبد الشكور يجمع من الأوراق والأسانيد ما لا يقبل المناقشة أو التفنيد ٠

وحين ارتأى أن بيده ما يكفى ويزيد دخل الى صبحى حسان ٠

★★★

قال صبحى لفتحى بعد أن استقدمه :

ـ ألق نظرة على هذه الأوراق يا فتحى ٠

ـ أمرك يا أفندم ٠

وما هى الا لحظات حتى أدرك فتحى الكارثة الكبرى التى حلت به ٠ ولم يكن محتاجا أن يقرأ كل الأوراق وانما اكتفى بنظرة سريعــة عابرة كانت كفيلة لأن يرى مصيره الأسود أمام عينيه وحين أرجع الأوراق الى صبحى الذى جمعها فى عناية بالغة وسواها وأعادها الى الدوسيه الذى كان يحتويها ، فعل كل هذا فى بطء شديد حتى اذا أودع المستندات فى الدرج الذى أخرجها منه وأقفله بالمفتاح التفت الى فتحى :

ـ ما رأيك ؟

ـ الذى تأمر به سعادتك ٠

ـ انك موظف قديم بالبنك ومعرفتى بك منذ سنوات طوال ولهذا ومن أجل ناهد وباسم وخالد والست وفية سأكتفى بأن أطلب منك الاستقالة لتنال المكافأة التى تستحقها والتى تستطيع أن تعيش بها حتى تجد وظيفة فى بنك آخر ٠

ـ ومن سيقبلنى بعد هذه المصيبة ٠

ـ طول عهدك بى يجعلك تثق فى وعودى ٠

ـ هذا لا شك فيه ٠

ـ لن يعرف أحد فى العالم ما تم الآن بيننا ٠

ـ والذى أتى لك بهذه المستندات ٠

ـ أنا أضمن أنه لن ينطق بشيء ٠

ـ أتضمن هذا المخلوق ؟

ـ أتعـــرفه ؟

ـ ليس هناك الا واحد فقط يستطيع أن يصل الى هذه الأوراق ٠

ـ أنا أضمنه مهما كان رأيك فيه ٠

ـ أمرك ٠

ـ اذن ٠

ـ أعطنى سعادتك ورقة ٠

ـ تفضـــل ٠

وكتب فتحى الاستقالة وقبل أن يصل الى نهايتها سأل صبحى :

ـ هل أختلق لها سببا ؟

ـ اكتف بالقول بأنك لم تعد تستطيع الاستمرار بالعمل والبنك ٠

ـ وأطلب المكافأة ؟

ـ أطلب تسوية حالتك كما يقولون فى الحكومة ٠

وأعطى فتحى الاستقالة الى صبحى بك وفى تحامل مرير على رجلين لا تكادان تسعفانه قام عن كرسيه ومشى خطوات وقبل أن يضع يده على أكرة الباب قال وظهره لصبحى :

ـ شكرا يا سعادة البك ٠

ـ العفو مع السلامة ٠

★★★

استدعى صبحى عبد الشكور وأخبره بما حدث لفتحى ولم يدهش عبد الشكور حين قال له صبحى :

ـ تحل محله ٠

ـ أخشى أن يغضب هذا الزملاء الذين سبقونى فى العمل بالقسم ٠

ـ نحن فى بنك ومن حقى وحـدى اختيار الأصلح دون نظـر الى الأقدميـــة ٠

ـ اذن أمرك ٠
ـ ولى عندك رجاء ٠
ـ بل أمر ٠
ـ لا يعرف أحد ما كان من أمر فتحى ٠
ـ اذا سمعت أن أحدا عرف أكون أنا وحدى المسئول امامك ٠
ـ وهو كذلك ٠

★★★

ليس بعجيب على عبد الشكور ما فعله فى اليوم نفسه ٠

لقد ذهب فى وقت الغداء الى بيت فتحى ٠ ولم يفاجأ بفتحي وهو يفتح الباب حتى اذا وقعت عيناه على عبد الشكور ارتسمت الدهشة الآخذة الذاهلة على كل سمات وجهه :

ـ أنت ٠٠ أهذا معقول ٠٠٠ لقد توقعت أى انسان الا أنت ٠
ـ ولهذا جئت ٠
ـ فعلا منك أنت لا شيء يستغرب ٠
ـ اسمح لى أشرح أولا ٠
ـ اشرح ٠
ـ هنا ٠
ـ نعم هنا فبيتى حرام عليك منذ اليوم ٠
ـ ليكن ما تريد مؤقتا ٠
ـ تكلم ٠
ـ من الذى يخلفك فى رئاسة القسم ٠
ـ المفروض اسماعيل وجدى ٠
ـ فمن له مصلحة فى الوشاية بك غيره ٠
ـ أنت ٠
ـ لماذا ؟
ـ أنت مقرب من رئيس البنك وربما يعينك فى مكانى ٠
ـ وأجعل نفسى فى الواجهة وأحرم نفسى مما كنت تتركنى أقوم به من أعمال تعود بالربح الوفير ٠

ـ ربما تريد الربح كله ٠

ـ ألا تعرف مقدار ذكائى ٠

ـ أعرف مقدار خبثك ٠

ـ ليكن ٠٠٠ كيف سيتاح لى أن أقوم بهذه الأعمال بعد أن انكشف أمرها ٠٠ أليست مصلحتى أن أتخذ منك ستارا واقيا وأكتفى أنا بالعمليات التى كنت تتركها لى ٠

فكر فتحى فيما سمع وأطال التفكير ثم قال لعبد الشكور :

ـ تعال ٠٠٠٠ أدخل ٠

وصاح عبد الشكور :

ـ هكذا يجب أن تكون الأمور ٠٠٠ كان من الأول يا أخى ٠

خالت عليه الحيلة وصدقنى ٠٠ أنا أحتاجه فى التنظيم السياسى ولا أريد أن يسىء الى عندهم أما الوسائل التى كان يحصل بها على الأرباح فى البنك فقد تبين لى بالخبرة أنها وسائل بدائية عاجزة ٠

ان الطريقة التى توصلت لها أنا هيهات لألف شخص مثل فتحى أن يفكر فيها ٠ أما صبحى فأمره ميسور فرجت يا عبد الشكور من أوسع الأبواب ٠

الفصــل الثــامن

مرت أيام قلائل على مباشرة عبد الشكور لعمله الجديد حين فتح الساعي الباب وقال :

ـ سعادة أبو العلا بك عفيفي ٠

وفتح الساعي الباب للقادم دون أن ينتظر أمر عبد الشكور ٠

وبهت عبد الشــكور كما بهت البك القــــادم ٠ وفي لعثمة قال عبد الشكور :

ـ أهـــلا مرحبـــا ٠

لم يكن قد أعد نفسه لهذا الموقف مطلقا ولهذا لم يكن عجيبا أن تركبه الحــيرة ولم يمهله القــادم ، بل قال وهو يجلس دون دعوة من عبد الشكور :

ـ أين فتحي بك ؟

ـ ترك العمل في البنك ٠

ـ لمــاذا ؟

ـ وجد مرتبا أحسن في بنك آخر ٠

ـ اذن أحب أن أتشرف بسعادتك فسيكون بيننا عمل كثير ٠

الحمد لله لم يعرف شكلي وبعد هدأة قال :

ـ عبد الشكور ٠

ـ عبد الشكور ماذا ؟

آه يكاد المحظور أن يقع ولكنه لم يستطع أن يفر منه واضطر أن يجمع حروف الكلمة في صعوبة بالغة وهو على يقين أنه اذا أخفى اسمه الكامل فسوف يعرفه أبو العلا من غيره ٠٠ لم يجد بدا من أن يقوله وليكن بعد ذلك ما يكون ٠

ـ عبد الشكور حيدر ٠

وارتسمت معالم التعرف على ملامح (أبو العلا) ٠

ـ الآن عرفتك وأنا منـذ اللحظة الأولى أقول لنفسى الوجه ليس غريبا على ٠

ـ طالما زرت سعادتك فى العزبة ٠

ـ مع أبيك التاجر حيدر أبو عبيد الكيالى ٠

وجد عبد الشكور فى كلمة التاجر ما طمأنه بعض الاطمئنان فقد كان يستطيع أن يذكر الحقيقـة ويقول السمسار ولا يكون بعيـدا عن الحقيقة المؤكدة أما ان يقول التاجر فلا شك أنه يريد أن يجاملنى وأكمل أبو العـــلا :

ـ وكنت أنت تعمل فى القطن ٠

وهذه مجاملة أخرى ٠٠ انه لم يقل تسمسر وسارع قائلا :

ـ ذاكرة سعادتك عظيمة ٠

ـ وكيف حال أبيك ؟

ـ الحمد لله ٠

ـ لى زمان لم أره ٠

ـ انه لا يستغنى عن سعادتك أبدا ٠

ـ لى هنا أسهم ٠

ـ أعرف يا سعادة البك ٠

وبدأ أبو العـلا يلقى على عبد الشكور التصرفات التى يريد أن يجريها فى أسهمه وأنهى عمله وقام وهو يقول :

ـ أنا أعتبرك هنا كابنى فأبوك حيدر من أحب الى ؟

ـ أطال الله عمرك يا سعادة البك وستجدنى دائما تحت أمرك ٠

ـ كثر خيرك ٠٠ السلام عليكم ٠

وخرج ٠ ولم يتنفس عبد الشكور الصعداء فقد توقع شرا هو فى غنى عنه كل الغنى ٠

★★★

يومان مرا وفتح الساعى الباب ولم ينطق وملأ فتحة الباب أبوه واقفا أمامه ورأى عبد الشكور فيه الحدث الآخذ ٠ طبعا قال للساعى انه أبى والا لما فتح الباب وانكتم لا ينطق ٠

بالغريزة قفز عن كرسيه ٠

ـ أهلا أبى يا مرحبا ٠

وانحنى على يده يقبلها ولكن أباه اختطفها منه :

ـ الآن عرفت سبب مقاطعتك لى أنا وأمك ٠

ـ العفو يا آبا ٠٠ كنت مشغولا فقط ٠

ـ النقاش لا يفيد ولا الأعذار ٠

ـ يا آبا وهل لى فى الدنيا الا أنت وأمى ٠

ـ لن تستطيع خداعى ٠ وانما جئت من البلد فقط لألقى عليك نظرة وأفهمك أننى عرفت مكانك ومكانتك فى البنك أيضا ثم السلام عليكم ورحمة الله ٠ لن ترانى بعدها ولن ترى أمك ٠ واستدار حيدر وأخذ طريقه الى خارج البنك ٠

وأحس عبد الشكور كأن حملا ثقيلا قد انزاح عن كاهله ٠ لم يعد فى حاجة أن يحذر أباه من المجىء ، مرة أخرى الى البنك كما انه ليس فى حاجة أن يخرج مع أبيه الى الباب الخارجى ويعرف موظفو البنك جميعا مقدار أبيه الواضح فى ملابسه ٠ ليس فى حاجة الى أى شىء من جميعه ٠٠ ووجد نفسه ينحط على كرسيه وهو يجتذب نفسا عميقا من أسفل مكان فى رئتيه ٠ ودق الجرس وأمر بسيونى الساعى أن يحضر له فنجان قهوة سكر زيادة ٠

الفصـل التاسـع

تحسبا منه انه ربما يحتاج الى صديقيه الألمانيين حرص عبد الشكور أن يوثق صلته بمارك وهوفمان اللذين داوما على مكاتبته منذ وصولهما الى ألمانيا وعرف منهما أن كليهما يقيم فى برلين الغربية فكان هذا أقوى سبب أن يجيب رسائلهما وقد عرف عنهما أنهما يعملان كلاهما فى عملين مرموقين مما يفتح المستقبل أمامهما كما أنهى اليهما هو ما بلغه فى البنك من قفزات ٠

★★★

وكان عبد الشكور أحرص ما يكون أن يمر فى كل يوم بصبحى خيسيان ويلقى عليه تحية الصباح وكثيرا ما كان يستدعيه صبحى لينادمه فقد أنس اليه ووجد فى حديثه متعة لا يجدها مع غيره ٠

وكان عبد الشكور حريصا فى زياراته الصباحية على أن يمازح نبيل ويعرض خدماته فاذا كان لدى صبحى ما يشغله جلس اليه نبيل ، وفى واحدة من هذه الجلسات قال نبيل :

ـ الليلة ستذهب الى السينما ٠
ـ هاك المفتاح انما قل لى ٠
ـ أقول لك ٠
ـ أهى واحدة ٠
ـ يا نهارك أسود كيف تتصور هذا ؟
ـ اذن فهن كثيرات ٠
ـ بطبيعة الحال ٠
ـ وما الخطر فى أن تكون واحدة ٠
ـ وهل مثلى يستطيع أن يتحمل تكاليف الصديقة الواحدة ٠
ـ أتكلفك أكثر من الفتيات العديدات ؟

ـ لكل واحدة من الكثيرات أجرها المعلوم لا تتعداه أما الواحدة فانها تفرض نفسها عليك وتصبح فى الانفاق عليها ألعن من الزوجة ومصاريف العيال • هى مرة أو اثنتين ثم أبحث عن غيرها •

ـ ودائما تجد غيرها •

ـ أكثر من الهم على القلب •

ـ فلماذا يا أخى لا تكرمنى معك ببعض الهم ؟

ـ ماذا تقصد ؟

ـ أنت من الساعة التاسعة الى الثانية عشرة لابد أن تذهب الى البيت • فما ضر لو ذهبت أنا الآخر الى بيتى ووجدت فيه ••

ولم يكمل عبد الشكور بل قاطعه نبيل :

ـ فهمت •• لا تكمل •

ـ يا أخى هل كان لابد لى أن أعرض أنا •

ـ والله غاب عن ذهنى •• أنا آسف •

ـ لا •• العفـــو •

ـ الليلة ستجد ما تريد •

ـ حفظت •• شـــكرا •

ـ لا شكر على واجب •

ـ الآن أدخل الى صبحى بك •

★★★

منذ ذلك اليوم تعرف عبد الشكور على الكثيرات من الفتيات وحرص أن يسجل أرقام التليفونات لكل منهن •

★★★

طرق عبد الشكور باب صبحى بك ولم ينتظر الاذن بالدخول فقد كان يعلم أنه وحده :

ـ صباح الخير •

ـ وهو كذلك •

ـ اجابة لم أسمعها قبل ذلك فى حياتى كلها •

ـ انها التى عندى ٠

ـ ولماذا لا يكون عندك صباح الخير ٠

ـ لأنه ليس خيرا ٠

ـ لمـــاذا ؟

ـ والسلام يا عبد الشكور خل الطابق مستورا ٠

ـ ولماذا يكون مستورا ٠ وان أردت أن نستره على الجميع فلماذا تســـتره على وأنا أحس أنك أصـــبحت تأنس الى وتطلعنى على دخائلك لا تستثنى من ذلك الأسرار المنزلية ٠

ـ هذا صحيح ٠

ـ فما الجديد ؟

ـ يا ســيدى جماعة من الذين كانوا على ثراء فاحش قبل الثورة يريدون أن يبيعوا بعض الأثاث فى بيوتهم ليستعينوا بثمنه على الحياة ٠

ـ عظيـــم ٠

ـ وما شأننا نحن ٠

ـ صافيناز عرفت الخبر ٠

ـ هنا المصيبة ٠

ـ ستجن وتجننى ان لم تشتر طاقم الاستقبال واحدى السجاجيد ٠

ـ فعلا لك حق ليس صباح الخير ٠٠ هل الثمن كبير ٠

ـ طاقم الاستقبال من الأبيسون الحرير ٠

ـ ماذا ؟ ماذا قلت ؟

ـ لك حق الأبيسون قماش فرنسى لم يعد أحد يصنعه الآن وهو من خيوط الحرير وان كانت بعضهن تصنعه من الصوف والفرق شاسع فى الثمن بين النوعين ٠٠

ـ فهمت ٠

ـ فكل أبيسون حرير الآن ثمنه خيالى لأنه تاريخى ٠

ـ بمعنى ٠

ـ بمعنى أن الطاقم الذى تريد صافيناز شراءه ثمنه ثمانية آلاف جنيـــه ٠

واتنتر عبد الشكور من كرسيه صائحا :

ــ بــكم ؟

ــ بما سمعته ٠٠ اقعد ٠

ــ ومتى أقف اذن ٠٠ ان مبلغا كهذا لابد أن يسمعه مثلى واقفا ان كان قاعدا وقاعدا ان كان واقفا ٠

وضحك صبحى وقال :

ــ احتـــراما ٠

ــ احتراما وتوقيرا ودهشة وذهولا وكل ما يرد على ذهنك من هذه المعانى وأمثالها والقريبة منها ٠

ــ لك حق ٠٠ والسجادة ألف وخمسمائة جنيه ٠

ــ وهذا أيضا يستحق الوقوف ٠

ــ أرأيت انه ليس صباح خير ٠

ــ فعلا سعادتك محق ٠٠ انما قل لى سعادتك هل هناك مهلة لهذه الصفقة ٠

ــ أســـبوع ٠

ــ صــباح الخـــير ٠

ــ هل جد جديد ؟

ــ قل صباح الخير وأمل فى تلميذك خيرا ٠

ــ هل عندك وسيلة ؟

ــ أمهلنى ثلاثة أيام ٠

ــ أهذا معقول ؟!

ــ الفأر أنقذ الأسد ٠

ــ على كل حال ليس لى أمل الا فى الفأر ٠

ــ قل صباح الخير ٠

ــ ليكن صباح الخير ٠

ــ ســلام عليكم ٠

ــ وعليكم السلام ٠

وخـــرج عبد الشكور من الغرفة وأغلق الباب واثقــا أنه أمسك بصبحى من حيث يريد أن يمسك به ٠

★★★

ذهب عبد الشكور الى التنظيم فيما بعد الظهيرة ووجد من تعود أن يجدهم دائما . وكان قد وطد علاقته بموسى أشرف أعظم الأتباع شأنا وألصقهم بأحد الأقيال الضخام الشأن والجاه .. اقترب منه وراح يجاريه فى الحديث وموسى يحرص على أن يضع فى كل بضعة جمل واحدة أو اثنتين عن الشخصية ذات الشأن الخطير التى يعمل فى خدمتها .. وفي مهارة ودربة يظهر عبد الشكور الدهشة أو الرهبة أو الاكبار أو الاجلال حريصا على أن يضفي على محدثه موسى كل ما يصبو اليه من عظمة ومن أشكال الجبروت والمكانة والجاه العريض .

وفاجأ عبد الشكور موسى وكانا يجلسان بمنجى عن أسماع الآخرين :

- لماذا يا موسى بك لا تشرفنى فى البيت ؟

- لا مانع طبعا .

- أتحب أن نتغدى معا أو نتعشى ؟

- الغداء لا يمكن . لأننى أكون دائما بالقرب منه وربما أرادنى .

- وفى المساء ؟

- فى المساء له هو سرحاته الخاصة .

- وأنت أليس لك سرحات ؟

- والله ان تيسرت يكون خيرا وبركة .

- ماذا تعنى بتيسرت ؟

- ألم تفهم ؟

- فهمت ولكنى أريد أن أتأكد .

- هو ما فهمت .

- هل تتناول معى العشاء غدا .

- ومن المدعوون .

- أنت وشخص واحد .

- من هو .

- ستعرفه حين تراه .

- لا أحب المفاجآت .

- لا تخف هذه مفاجأة ستحبها .

- أنا لا أذهب الى أى دعوة اذا لم أكن على علم أكيد بالمدعوين .

- اترك هذه الخصلة غدا ولن تندم .

ـ اسمع اذا انبسطت ستكون واحدا من المهمين فى مصر كلها واذا ..

ـ وقاطعه عبد الشكور قائلا :

ـ لا تكمل أعرف ماذا سيحل بى اذا حدث العكس .

★★★

ـ صباح الخير يا نبيل .

ـ عسى الله أن تكون مبسوطا .

ـ نهارك فل .

ـ علم .

ـ البك وحده .

ـ وما هذه الحقيبة فى يدك ليست العادة .

ـ قلت أوقع منه بعض أوراق على الماشى .

ـ أدخل .

ـ أراك وأنا خارج .

ـ أنا قاعد وأين يمكن أن أذهب .

دخل عبد الشكور الى مكتب صبحى ولم يجلس وانما وقف الى جانب المكتب وفتح الحقيبة وهو يقول :

ـ صباح الخير مبروك على صافيناز هانم الطاقم والسجادة يا سعادة البك .

وقفز صبحى واقفا

ـ يا نهارك أبيض من آين جئت بكل هذا المبلغ ؟

وفى برود وثقة قال عبد الشكور :

ـ اهدأ واطمئن واقعد واسترح .

ـ قعدت .

وراح عبد الشكور يشرح العمليات المالية التى يقوم بها فى الأسهم والسندات ووضح لصبحي أن البنك أو أصحاب الأسهم لا يخسرون مليما

واحدا . كما طمأنه انه ليس بين أوراق البنك ورقة واحدة لها شأن بهذه العمليـــات .

وأحب صبحي أن يقتنع ووضع المبلغ في حقيبته الخاصة .

★★★

حين ذهب موسى أشرف الى بيت عبد الشكور استقبله في ترحاب أقرب الى الذلة منه الى الاكرام . وحين دخل موسى الى البهو طالعته فتاة واضحة الجمال والجاذبية وقال عبد الشكور :

ـ كريمة ، الضيف الوحيد الى دعوته .

ـ ونعم الضيف .

ـ عندي الشراب والدخان أيهما أحب اليك .

ـ كله عظيم .

ـ ليلتنا بيضاء .

ـ ان شاء الله .

ولم ينس عبد الشكور أن يترك بيته في الموعـد الذى رآه مناسبا تمـــاما .

★★★

وفي اليوم التالي قال موسى لعبد الشكور :

ـ شقتك جميلة ولكن صغيرة .

ـ أعرف ذلك ولكن ماذا أصنع ؟

ـ تذهب غدا الى عبد السميع حسني سيسلمك شقة من شقق العمارات المصادرة .

ـ غـــدا .

ـ غدا طبعا .. أتحب أن تذهب الليلة .

ـ غـــدا عظيـــم .

الفصل العاشر

كان عبد الشكور قد وثق صلته بثمانية نفر من أصحاب الأسهم وكانت الأسهم التى يملكها كل منهم تدل على الثراء العريق وكان أهم هؤلاء رستم نامق الرجل التركى الأصل الذى يزهى دائما بأن جده الأكبر كان صدراً أعظم فى عهد السلطان عبد الحميد بتركيا وكان يروى لعبد الشكور انه حين حدثت ثورة الجيش على السلطان تمكن جده من تهريب ثروته جميعها الى مصر ولم يكن له الا ولد واحد الذى لم ينجب هو الآخر الا ابنا واحدا وهكذا وصلت الثروة كاملة الى رستم نامق متمثلة فى أبعديات زراعية وأموال سائلة وجواهر نادرة المثيل لا يحصيها عد ، ورستم مثل أبيه وأجداده لم ينجب الا بنتا واحدة هى فوزية •

وطبعا عبد الشكور كان يعلم آن الأبعديات قد انكمشت الى مائتى فدان • ولكنه لم يعلم علم اليقين مقدار المال السائل أو الجواهر ولكن كمية الأسهم التى باسم رستم كانت شاهدا قويا على ضخامة ما يملكه رستم •

وقد استطاع رستم أن يتخفى عن عيون الحكم المغتصب فلم يكن ذا شأن فى الحياة وانما كانت حياته مقصورة على الافطار فى جروبى فى الصباح ثم يلزم بيته حريصا أن يراقب مذاكرة ابنته وكان لا يستقبل الا ندرة قليلة من الناس بعضهم أتراك وبعضهم من المثقفين الذين يريدون أن ينتفعوا بالكتب النادرة التى تكتنزها مكتبته العامرة بالمخطوطات النادرة •

★★★

مبلغ واحد آخر حصل عليه صبحى من عبد الشكور ثم أممت الثورة الأسهم جميعا بحيث لا يملك أى فرد من الأسهم أكثر مما قيمته عشرة آلاف جنيه •

وتفتق ذهن عبد الشكور عن فكرة عادت عليه بملايين الجنيهات فقد اتفق مع الثمانية اللصيقين به من ملاك الأسهم ألا يبلغ المصادرة

الا بما قيمته عشرة آلاف جنيه من أسهمهم ويجعل الأسهم الأخرى ملكا لأسماء وهمية واتفق معهم أن يكون اقرارهم بالصورة التى سيعدها لهم حتى اذا راجعت الدولة قيمة أسهمهم فى البنك لدى عبد الشكور وجدتها مطابقة لما جاء فى الاقرار ·

أما الأسماء الوهمية التى كتب لها الأسهم فقد تفتق ذهنه أن يعد منهم توكيلات مزورة له وأعد أيضا كيف ستزور هذه التوكيلات ·

★★★

بعد ليلة من ليالى شقته الجديدة كان المدعوان فيها موسى وسيدة وما يلزم لهما ، قال عبد الشكور لموسى :

ــ أى أمين للشهر العقارى من محاسيبك ·

ــ فاضل الملوانى ·

ــ مره أن يفعل لى ما أطلبه ·

وتم لعبد الشكور ما أراد من توكيلات ·

وتمت العملية كلها ولم يسمع بها أحد من داخل البنك أو خارجه ·

واشترط أن ينال هو نصف ما سيهربه من أسهمهم وقبل جميعهم العملية وشرطها ·

وأطلع عبد الشكور رئيسه صبحى بك واعدا اياه بمبلغ لا بأس به فقد كتم عنه طبعا النسبة التى سينالها من المساهمين والذى يقبل المال الحرام مرة من الطبيعى أن يقبله دائما ·

ورحب صبحى بالعملية ·

وخاصة أن ما كان يعطيه له عبد الشكور من عمليات الأسهم سينقطع كما سينقطع عنه ما كان يصيبه من سمسرة القطن من يد عبد الشكور ·

فقد أممت الدولة تجارة القطن أيضـا ، وعلق صبحى على تأميم التجارة فى القطن قائلا لعبد الشكور :

ــ انها قد فرضت على الفدان ضريبة أكثر من خمسمائة جنيه للفدان الواحد يدفعها الفلاح الذى تقول الحكومة أنها جاءت لتنقذه من الاقطاع · هل كان يجرؤ أى اقطاعى أن يشترى قطن الفلاح الا برضى الفلاح نفسه ·

وقال عبد الشكور :

ـ فرق السعر الذى تشترى به الدولة من الفلاح والسعر الذى تبيع به يزيد عن الخمسمائة جنيه .

ـ فعــلا .

ـ على كل حال أنا وأنت الوحيدان اللذان كسبا من تأميم الأسهم .

ـ البركة فيك فكرتك عظيمة .

ـ لولاك ما استطعت أن أنفذها .

ـ المبلغ الذى حصلت عليه يجعلنى أفكر فى ترك السلك .

لم يتظاهر عبد الشكور بالدهشة وأدرك صبحى ما يجول بنفس صاحبه فاذا هو يقول فجأة :

ـ نعم لماذا لا ؟

ـ ما هــو ؟

ـ لماذا لا تصبح أنت مكانى ؟

ـ هل يمكن ذلك ؟

ـ البركة فى موسى أشرف .

ـ وفيــك أيضــا .

ـ توكل على الله .

الفصل الحادى عشر

شقة فاخرة ومدير بنك ومال وافر وجاه عريض. متى ينفذ تخطيطه للزواج ان لم يكن اليوم وأين سيجد رستم نامق لابنته فوزية زوجا أحسن من عبد الشكور حيدر ٠

قال لرستم :

ـ أنقذت لك ثروة ٠

ـ لا أستطيع الانكار ولو أنك أيضا حصلت على مبلغ عظيم ٠

ـ فما رأيك فى هدية أخرى أقدمها اليك ٠

ـ أى هدية ؟

ـ أنــا ٠

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أتزوج فوزية هانم ٠

وأصاب رستم الذهول وصمت وأكمل عبد الشكور :

ـ أنا مدير بنك أنت تعرف مكانته بدليل انك تضع فيه أسهمك وأنا أملك الآن ثروة لا بأس بها فأنا لا أطمع فى ثروتك ٠

ـ أنت تطمع فى الزواج من أسرة عريقة ٠

ـ وهل فى هذا بأس ٠

ـ لا بأس على شرط أن تكون كفئا لها ٠

ـ ما الكفاءة ان لم تكن منصبا ومالا ٠

ـ أن تكون من أسرة فى نفس العراقة ٠

ـ هل تعرف أصلى ؟

ـ لو كان لك أصل لكنت عرفته ٠

ـ اننى من أسرة ريفية وأبى من أعيان البلدة وأنا أشترك فى هذا مع الأغلبية الساحقة من أصحاب المناصب فى أيامنا هذه ٠

ـ أيامنا هذه قلبت الهرم من أساسه ٠

ـ لا تملك أن تقاوم التيار ٠

ـ انها ابنتي ٠

ـ ان لم تشترط الا الحصول على ابن أسرة فتأكد انه في الغالب الراجح سيكون طامعا في مالك ٠

وصمت رستم قليلا ٠

ـ ولكن أصوله ستجعله عفيفا ٠

ـ وشحاذا أو قريبا من شحاذ ٠

وصمت قليلا :

ـ لا تستطيع أن تنكر أن هناك أصحاب مناصب وثراء من أسر عريقة ٠

ـ نادرون ٠

ـ ولماذا لا تتزوج فوزية واحدا من هؤلاء النادرين ؟

ـ لأن أحدا منهم لا يعرفها ولا تعرفه وأغلب الأمر أن يتزوج أبناء هؤلاء من قريباتهم ومن العائلات التي تصادقهم ويعرفون كل شيء عنها ٠

ـ ربما رشحت له فوزية من زميلة لها أو من احدى الأسرات التي تتصل بها ٠

ـ انك لا تكاد تتصل بأحد فالفرصة أمام فوزية في الزواج تكاد تكون معدومة ، ومن تلك التي سترشحها من زميلاتها ؟ أولى بها أن ترشح نفسها ٠

ـ فوزية أكملت دراستها في الأدب وتجيد الفرنسية والعربية ٠

ـ وأنا أجيد الانجليزية والألمانية وأنت تعرف ٠

ـ على فكرة ما شهادتك ؟ ٠

ـ مـــدير بنـــك ٠

وصمت رستم طويلا ٠٠ لقد كبرت البنت ولم يتقدم أحد لخطبتها ولم تستطع أن تكون أصدقاء أو صديقات في الكلية فقد كانت تربيتها المتزمتة حائلا بينها وبين الانسجام مع زملائها وزميلاتها واذا لم أقبل هذا النصاب اللص المزور فالله يعلم ماذا يمكن أن يحدث ٠

ولم يتركه عبد الشكور لصمته بل قال في حسم :

ـ أنا أعرف عنك أسرارا ليس من مصلحتك أن تذاع ٠

وفزع رستم وهو يقول ذاهلا :

ـ وتهديد أيضا ٠

ـ بل تذكير ٠

ـ تقصيـــد ٠٠٠

ـ أنت تعرف صلاتى أستطيع أن أضعك أنت وفوزية تحت الحراسة بتليفون من بيتك هذا ٠

وأطرق رستم فى رعب ماذا يبقى له ٠٠ انه بلا صديق ولا معين الا ماله ٠ وهذا الآدمى المحسوب خطأ على الانسانية يستطيع أن يدمر حياتى وحياة فوزية فى لحظة ويصبح علينا الصباح أو يمسى علينا المساء فاذا نحن متسـولون تستجدى البقـــاء على الحياة من أيد لا نعرفهـا ولا تعرفنا ٠٠ لم يترك لى خيارا ٠٠

نظر طويلا الى عبد الشكور وجمع على لسانه فى جهد شديد حروف كلمة واحدة ٠

ـ أسـألها ٠

وأدرك عبد الشكور أنه بلغ مراده فقال فى توقح :

ـ هذا شأنك على شرط ٠

ـ وشرط أيضا ٠

ـ أن تذكر لها ما كنت تفكر فيه الآن ٠

ـ أتعرفه ؟

ـ بالتفصيل ٠

ـ فلنسألها رأيها ٠

ـ ليس لديها خيار ٠

وأطرق رستم ثانية وهو يقول فى أسى وانكسار :

ـ أعلـم ذلـك ٠

الفصل الثانى عشر

اشتد المرض بحيدر وضاقت به وسائل الرزق وأغلقت السبل أمام زوجته زنوبة ولم تجد شيئا تقوله لزوجها الا :

ـ ألا نخبر عبد الشكور ؟

ـ اياك أن تذكرى اسمه ٠

ـ اننا فى حالة ضنك والغرباء يشفقون علينا أليس ابننا أولى بنا ٠

ـ انه ليس ابننا ٠

ـ على كل حال أن نمد يدنا له خير من أن نقبل صدقة الغرباء ٠

ـ بل الصدقة من الغرباء أفضل ٠

ـ لا حول ولا قوة الا بالله ٠

وصمتت زنوبة وهى تضمر فى نفسها أمرا ٠

حين نام حيدر فى القيلولة ذهبت زنوبة الى بيومى اقرب صديق لعبد الشكور قبل أن يهاجر من القرية ورحب بيومى بها فاذا هى تجبهه ٠

ـ أيرضيك ما نحن فيه يا بيومى ؟

ـ البلدة كلها تتكلم ٠

ـ وأنت ٠ ألا تفعل شيئا ؟

ـ أنا تحت أمرك ٠

ـ نحن نعلم أنك لا تملك أكثر مما تعطيه لنا من حين لآخر ٠

ـ كريم ستار ٠

ـ ولكنك تملك ما تفعله ٠

ـ والله فكرت فيه ٠

ـ وماذا منعك عنه ؟

ـ ما عرفته من مقابلته لأبيه ٠

ـ ربما كان فى ذلك اليوم معذورا ٠

ـ هذا كلام من تحكم على ابنها بقلبها لا بعقلها ٠

ـ ربمـــا ٠

ـ واذا سلمنا معك انه كان معذورا يـوم لقـائه بأبيه فهل ظل معذورا بعد ذلك حتى الآن ٠

ـ حجته معـــه ٠

ـ ماذا يمكن أن تكون حجة ابن يقاطع آباه وأمه ويصبح شهيرا لا يمر يوم لا تذكر فيه الجرائد اسمه ويصبح المال عنده بالكيل ولا يذكر أباه وأمه ببعض هذا المال أو على الأقل بالسؤال عنهما ٠

ـ هل يمنعك هذا أن تفعل ما أرجوه منك ؟

ـأنا أعرف ما تريدين دون أن تقوليه بل وأعرف من زمن طويل أنك تتوقعين منى أن أفعله دون أن تطلبيه منى ٠

ـ وماذا يمنعك أن تفعله ٠

ـ اليأس وشىء آخر ٠

ـ أى شىء آخر ٠

ـ الذى يهون عليه أمه وأبوه وهما أصل وجوده لا يمكن أن يرعى صداقة أو ودا لأى انسان ٠

ـ انك كنت كأخيه ٠

ـ بل أكثر ولكن أتظنين أنه لو كان له أخ كان سيفعل معه أحسن مما يفعله معك ومع أبيه ٠

ـ هل هذا ما يسيئك ٠

ـ نعم ٠ اننى لا أحب أن أراه يتنكر لى أو يتعالى على أو يتجاهلنى والذى أراه من جحوده معكما يجعلنى أتوقع منه أسوأ التوقعات ٠

ـ وهل يمنعك هذا أن تحاول من أجل عمك حيدر ٠

ـ صعب ٠

ـ الرجل يموت ولا نملك ثمن الدواء بل لا أخجل أن أقول لك اننا كثيرا ما لا نجد ثمن الطعام لولا كرم الناس الطيبين ٠٠ انك أنت نفسك لا تنسانا وتجود علينا بما تستطيع ٠

ـ جهد الفقير ٠

ـ فاذا كنت أنت وأنت محدود الدخل تمد لنا يدك بالعون أليس ابننا أولى بنا ٠

ـ ابنك يعمل فى بنك أيجهل أن صناعة أبيه فى السمسرة لم يصبح لها وجود ان كان عنده أى نية للمعاونة فما الذى يؤخره ٠

ـ ربما ظن أن أباه وفر من أيام عمله بعض المال يستعين به الآن ٠

ـ ألا يعرف أن أباه كان يحصل على قوت يومه بطلوع الروح ٠ وأنه لم يستطع أن يجعله يكمل تعليمه فى الجامعة رغم علمه بحب أبيه له حبا فائقا ٠

ـ وهل عندنا غيره انه هو الذى يمثل لنا الحياة كلها ٠

ـ طبيعى ابن وحيد ٠ جاء بعد تشوق وانتظار ٠

ـ أتصدق بالله ٠

ـ لا اله الا الله ٠

ـ اننى وحيدر لا نصلى صلاة الا وندعو له فيها بالتوفيق والسداد٠ ولا نرجو الله أن يجعله بارا بنا فكلانا فقد الأمل فى هذا تماما ٠

ـ ليس فيما أسمعه غرابة ٠

ـ والله ما دفعنى للمجىء اليك الا مرض الرجل وآلامه ٠٠ أراه يتمزق أمامى ولا أجد ثمن الدواء ٠

ـ لا حول ولا قوة الا بالله ٠

ـ انه لا ينسى فى كل صلاة بعد أن يدعو لعبد الشكور أن يطلب من الله أن يرفعه اليه ٠

ـ اسمعى يا أمه زنوبة اننى سأذهب الى عبد الشكور ٠

ـ انه يا بنى لا يعلم أن أباه مريض مرضا شديدا فربما لو عرف يرق قلبه ٠

ـ اننى ذاهب وليكن ما يكون ٠

سألته نعيمة سكرتيرة عبد الشكور ٠

ـ نقول له مين ؟

ـ قولى له بيومى ٠

ـ بيومى من ؟

ـ قولى له بيومى صديق الطفولة ٠

ـ فقط ٠

ـ هذا يكفى ٠

ـ أمـرك ٠

وقال لها عبد الشكور :

ـ قولى له فى لجنة ٠٠ مشغول ٠٠ لا يقابل أحدا ٠

وسمع بيومى الاجابة فاقتحم غرفة عبد الشكور دون أن ينتظر اذنا وصاح به :

ـ لقد كنت أتوقع انك ستمتنع عن لقائى ٠

ونظر عبد الشكور الى نعيمة وأومأ لها أن تخرج ولم يتح له بيومى أن يتكلم ٠

ـ ان من يفعل الذى تفعله بأبيك وأمك لا يمكن أن يحن لأيام الصبا ولا لأقرب صديق منه لما يزيد عن عشرين سنة من حياته ٠

ـ لا تطل ٠٠ أنا أريد أن أنسى هذه الأيام وأريد أن أنسى بلدتكم وكل ما فيها ومن فيها ٠٠ أنا أقنع نفسى أننى ولدت هنا فى هذا البنك وحياتى هنا وليس لى قبلها حياة ٠

ـ لست سيدنا آدم ، ان لك أبا وأما ٠

ـ بل اننى أنا آدم الجديد ٠

ـ حتى اذا علمت أن أباك مريض مرضا شديدا ٠

ـ هل لآدم أب ٠

ـ انه يكاد يموت ٠

ـ كلنا سنموت ٠

ـ لا سلام عليك ٠

ـ ولا سلام عليك ٠

وخرج بيومى غاضبا يبحث عن أقرب طريق للهواء النقي ٠

★★★

لم تمض أسابيع حتى مات حيدر وتولى بيومى بما جمعه من كرام القرية نشر نعى حيدر بالأهرام بادئا الخبر بقوله شيعت أمس جنازة فلان والد فلان قاصدا أن يعرف الناس أن لعبد الشكور أبا وأنه ليس بآدم ولا حتى آدمى ٠

وغضب عبد الشكور من نشر الخبر فبادر يعلن أنه سيستقبل العزاء فى جامع عمر مكرم دون مأتم ووقف عبد الشكور فى الموعد الذى حدده يتلقى العزاء على باب المسجد فيسلم المعزون عليه وينصرفون ٠

وأقام أهل القرية مأتما لحيدر لم يحضره عبد الشكور طبعا ولو كان فكر أن يحضره لافترش الحصير على الأرض مع المعزين فما كان أحد ليفكر أن يستأجر الكراسى ليستقبلَ عليها العزاء فى رجل ابنه يملك أن يقيم له عشرين مأتما دون أن يمس هذا غناه الفاحش أى مساس ٠

ولم يعبأ عبد الشكور أن الأعيان الكبار من القرى المجاورة سيذهبون الى المأتم الذى حدد نعى الأهرام مكانه ٠ فقد كان هؤلاء الأعيان يدركون ما بلغه عبد الشكور من سلطان وكانوا حريصين أن يتقربوا اليه ان لم يكن رجاء المنفعة فدفعا لمكروه من جانبه فقد كانوا على تمام الدراية أنه يملك أن يفيد وأن يضر وأنه كان دائما لحب الضرر أقرب ٠ وكان الضرر الذى يوقعه قاتلا ولما كانوا حريصين على الحياة فقد ذهبوا الى المأتم متوقعين أن يجدوا عبد الشكور هناك ليأخذ العزاء فى أبيه فان لم يأخذ الابن الوحيد العزاء فى أبيه ٠ فمن ٠

لم يجدوه ووجدوا بعض أهل القرية يتقبلون العزاء ووجدوا المعزين يفترشون الحصير على الأرض حتى لم يجدوا كرسيا يجلس عليه قارىء القرآن الذى تبرع باحياء المأتم بلا أجر ٠

والعجيب أن أحدا من هؤلاء الأعيان لم يجرؤ أن يخبر عبد الشكور أنه ذهب الى المأتم مخافة أن يغضبه وان كان عرف كل ما جرى من أبو العلا عفيفى ولم يهزه الذى سمعه شعرة منه ٠

★★★

وبعد انتهاء المأتم لم تجد زنوبة وسيلة لتواصل بها الحياة المفروضة عليها الا بأن تعمل خادمة فى منزل عمدة القرية الذى اعتبر استخدامه لها صدقة مستورة وقالت له زوجته :

ـ ان ابنها يستطيع أن يشترى البلدة كلها ٠

ـ وهذا أدعى الى الصدقة فهى لم تفقد زوجها وحده وانما فقدت من قبله بر ابنها الوحيد فكأنه مات وهو على قيد الحياة بل ربما كان موته خيرا لها من حياته لأنها ـ على الأقل ـ سترث نصيبها من ثروته ٠

ـ صدقت ان مصيبتها فى حياة ابنها أعظم من مصيبتها فى موت زوجهـــا ٠

★★★

الفصل الثالث عشر

جلس رستم مهزوما ضائعا فى غرفه المعيشة وطلب من الخادم أن يستدعى له فوزيه · وجاءت ونظر اليها أبوها نظرة حانية آسفة حزينة طويلة وظهرت الدهشـــة على وجه الفتـــاة البارعة الجمال صاغها الخالق البارىء المصور فأدقها أجلها · وجه ملائكى السمات وعينان خضراوان صافيتا الخضرة كأن الرموش عليهـــا أحراس مقوسة الى أعلى فى عزة وكبرياء وكأن الحاجبين أبوان يحنوان على ابنتيهما وهذا الابهار جميعــه مشفوع بجلال ربانى وثقة متواضعة · يحيط بوجهها شعر عربيد تولت هى استئناسه وتهذيب عربدنه كل هذا الاعجاز الالهى يعلو قواما أهيف ممشوقا من صنعة الله أين منها رفائيل ومنقاشه وسحر بنائه ·

عاد رستم الى نفسه حسيرا أسيفا كسيفا وكأنه يرى جمال ابنته للمرة الأولى فهو لم يحاول قبل اليوم أن يتبين معالم جمالها وانما كان يرى فيها ابنته الوحيدة وأمله فى الدنيا والمبرر لحياته . ويدرى أنها جميلة فى غير حيثيات ولا تفاصيل ·

وقطعت عليه فوزية صمته المبيد الذى جعل أباها فى عينيها فى حال لم تره عليها حياتها كلها ·

— خير يا بابا ·

— بل شر يا بنتى ·

— مـــاذا ؟

وقص عليهـــا أبوها المصيبة التى تحيط بحياتهما ثم ختم حديثه قائلا :

— كل ما كنت آمله من الحياة أن أتركك بين يدى زوج أطمئن الى شرفه ورجولته وحفظه للأمانة وهذا الكارثة الذى يفرض نفسه علينـــا بلا شرف ولا رجولة ولا أمانة مستعد أن يلقى بك أول ورقة على مائدة القمار أن كنت الورقة التى ســتعود عليــه بأى كسب مهما كان حقيرا تافهـــا ·

واسودت الدنيا فى ناظرى فوزية وغابت نظراتها حتى لقد تلاشى أبوها فى عينيها وجمعت على شفتيها الباذختى الجمال كلمات غمغمتها ·

ـ المصيبة أعظم مما تظن يا أبى ·

ـ هل يمكن ذلك ؟

ـ اذا عرفت أننى أحب حبا عميقا معيدا بالجامعة يبادلنى مشاعرى ربما بصورة أقوى وأعنف ·

وكأن محيطا هائلا من الآلام غمر بأمواج كالجبال رستم المسكين :

ـ ولماذا لم يتقدم اليك ؟

ـ انه عائد بعد سنة واحدة من لندن حيث يدرس ليحصل على الدكتوراه ·

ـ ولماذا لم تقولى لى لقد كنت أظن أنك تركت الجامعة دون أن يكون لك صلة بأى طالب فيها أو أستاذ ·

ـ ولماذا أقول لك وأنا واثقة أنك كنت ستقبله فهو فتى يعتبر من أمثلة الرجولة الكاملة ومن أسرة عريقة ليست وافرة الغنى وان كان لديها ما يستطيع أن يحفظ عليها كرامتها فى عزة واباء ····· أنا كنت واثقة أنك ستوافق لأنك لن تجد فيه الا ما يرضيك ·

ـ والآن ماذا نحن فاعلان ؟

ـ واضح أن زواجى فى كفة وفرض الحراسة علينا فى الكفة الأخرى ·

ـ أنا لا أريد مالى لنفسى وانما أحفظه لك درعا من حياة ليس لك فيها الا هذا المال ··· ما مصيرك بدون هذا المال ·

ـ أتوظف ·

ـ هيهات أنه يملك أن يفرض عليك الحراسة يملك أن يمنع عنك أى وظيفة ·

ـ ليس من الضرورى أن أتوظف فى الحكومة أو القطاع العام ·

ـ وهل هناك قطاع خاص أو انسان يستطيع أن يقاوم هذا السرطان ·

ـ الا من سبيل ؟

ـ واضح أننا اذا رفضناه سيجعل الانتقام منا شغله الشاغل ومن المؤكد أن الوسائل كلها بيديه ٠

ـ نسافر ٠٠٠٠ نترك مصر ٠

ـ لك الله يا بنتى الحبيبة ٠٠٠٠ أتظنين أننى لم أفكر فى هـذا ولكن كيف ؟ ان مصر اليوم مغلقة على من فيها لا تفلت من جدرانها نملة الا باذن من السلطان والسلطان فى يد هذا السرطان ٠

واطرقت طويلا وقالت وكأنها شخص مذهوب العقل :

ـ انك تحتفظ بمالك فى المنزل وبالمجـــوهرات آلا تستطيع أن تستأمن عليها أحداً من أصدقائك وترفض الزواج حتى اذا استطاع أن يفرض عليك الحراسة لم يجد عندك ما يصادره ٠

ـ لم يغب عنى هذا انه قادر اذا لم تجد الحراسة عندى المال الذى يعرفه على الأقل فانه سيستطيع أن يســعى بى الى من يعتقلنى وليس يعنينى أن أعتقل ولكن ما مصيرك أنت اذا أنا اعتقلت ٠

ـ الى هذا الحد ٠

ـ لست أخترع مصائب ٠ انما أروى لك ما رأيناه وقع فعــــلا للآخرين ٠

واطرقت فوزية وفرت من عينيها دمعتان حاولت بجهدها كله منعهما أن تسيلا فغلبتاها على أمرها قالت :

ـ اننى أعلم أنك لو اعتقلت أستطيع أن أواجهه ولكن فكرة أن تعتقل وأنت فى سنك هذه ، مجرد الفكرة مهما تكن غير مؤكدة أردها عنك لا بالزواج من هذا الشيطان فقط ولكنى أقدم حياتى وأنا سعيدة لأرد عنك هذا الاعتقال ٠

ـ والله يا بنتى الذى لا اله الا هو لو وثقت أن اعتقالى سيرد عنك هذا البلاء لرحبت به ٠

ـ لتكن مشيئة الله نافذة ٠

ـ ان الله أرحم بعباده من أن يقبل هذا الذى يحيط الناس من قهر وعذاب وتنكيل ٠

والعجيب أن فوزية قالت :

ـ انه سبحانه يقول « ولنبلونكم » ويقول : « وبشر الصابرين » دعنا يا أبى نشترى الآخرة بالدنيا والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ٠

ـ اذن ؟

ـ من أجل سلامتك وحدها أتزوجه ٠

ـ كان الله فى عوننا يا بنتى فاننى أيضا من أجل سلامتك وحدها سأقبل زواجك به ولعنة الله على الظالمين ٠

الفصل الرابع عشر

وتم الزواج فى حفل قصد عبد الشكور أن يكون غاية فى الفخامة والأبهة ليعلن بمن حضره الأقيال وأصحاب السلطان مدى ما يتمتع به من صلات وقوة وعنفوان وهو أمر لم يكن محتاجا الى تأكيده فهو معروف للقاصي والدانى ولكن عبد الشكور يتمتع بأن يؤكد هذا كلما أتيحت له فرصــــة ٠

وأين يجد فرصة خيرا من زواجه ليستمرىء هذا الشعور ٠

ولم يكن يعنيه فى قليل أو كثير ما يقترن بسيرة قوته ومنعته ونفوذه ما يعرفه الناس عن الوسائل التى سعى بها الى هذه المكانة ٠

فالناس أغلب الناس اذا واجهوه أظهروا التبجيل والاكبار والاجلال وان كانوا لا يضمرون له فى دخائل أنفسهم الا الاحتقار والاشمئزاز والهوان ٠

ومهما كان الفرح باذخ الفخامة فانه لم يستطع أن يرسم ظل ابتسامة على وجه العروس أو علامة مهما تكن واهنة من حبور على وجه أبيها ٠

ويستطيع عبد الشكور أن يهدد ويتزوج بمن اختارها بكل وسائل الغدر والختل والجبروت ولكنه لا يستطيع كما لا يستطيع انسان أن يأمر ابتسامة أن تعلو شفتين ولا علامة من حبور على ملامح انسان ٠

★★★

فى ليلة الزفاف كانت فوزية واثقة أنها أتعس انسانة على ظهر الأرض ٠ وكانت كلما لامسها عبد الشكور أحست التقرف والتقزز ٠

وكان عبد الشكور واثقا أن زوجته لا تحبه وان كان يجهل انها كانت مرتبطة بعلاقة حب عنيف مع أمجد الزعفراني المعيد بالكلية التى تخرجت فيها ٠

كان يجهل هـــذه العــلاقة ولم يكن محتاجا لمعرفتها ليدرك مدى الكراهية التى تحسها فوزية نحوه ولكن متى حفل عبد الشكور بمشاعر

الانسان حتى وان كان هذا الانسان زوجته التى أمست منذ الليلة نصفه الآخر المفروض فيها أن تكون سكنا له ومودة ورحمة وأنيسا لخيانة وتوأما لروحه .

ولكن متى كنت فى حاجة الى من يحبنى يكفينى حبى لنفسى كل ما أريد من هذه الفتاة أن تصبح زوجتى وقد أصبحت ولتذهب مشاعرها الى أى جحيم تريد .

لم يمنع التقزز من فوزية وجمود الحس من عبد الشكور أن ينال الزوج حقه الشرعى . منحته له فوزية وكأنها مقدمة على الانتحار .

كانت الحياة بين الزوجين بعد ذلك نسخة مكررة مما كانت فى الليلة الأولى . احتقارا وامتهانا وتباعدا من الزوجة وعدم مبالاة وصلابة أحاسيس وتجاهل كراهية من عبد الشكور .

فهو لم يعرف الحب فى حياته كلها وهو لا يريد أن يعرفه . ولا يعنيه أن تحبه زوجته بل لا يعنيه أن تكرهه فكما كان لا يعبأ بالحب من أى انسان مهما يكن قربه منه كان لا يحفل بالكراهية مهما تكن مؤصدة اليه من زوجته الف حياته وأم ولده .

نعم لقد حملت فوزية منذ الشهر الأول من الزوج ووضعت لزوجها طفلهما بعد عشرة أشهر من زواجهما .

وتدخل الجد فى اختيار اسم الوليد فكان راشد اسم واحد من أجداده العظام ولم يمانع عبد الشكور فكل الذى كان يطمع اليه أن يكون له ابن يحمل اسمه .

أما فوزية فانها منذ سكتت عنها آلام الوضع أزمعت أمرين لم تتوان فى تنفيذ أولهما .

ففى اليوم الأول لاستطاعتها الخروج من البيت قصدت الى الدكتورة مفيدة عبد الغنى التى كانت مشرفة على الولادة وكانت زميلتها فى المرحلة الثانوية ثم اختارت كليـــة الطب وتخرجت فيها متخصصة فى أمراض النســاء وقد أصرت فوزية ألا يشرف عليهـــا فى فترة الحمل والولادة الا زميلتها القديمة ولم يجد عبد الشكور بدا من الاستجابة لرغبتها .

رحبت مفيدة بزميلتها وصديقتها وسألتها فى دهشة :

ـ لماذا خرجت من البيت قبل الموعد الذى حددته لك ٠

ـ أريد منك أمرا هاما ٠

ـ ولماذا لم تستدعينى ؟

ـ كان لابد أن آتى اليك ٠

ـ عجيبـــة ٠

ـ لا أريد أطفالا بعد راشد ٠

ـ ليس لديك ما يمنع الحمل مرة أخرى وثالثة وعشرة ٠

ـ لو كان لدى ما يمنع ما جئت اليك ٠

ـ أكاد أفهم ولكننى لا أتصور ٠

ـ بل هو ما فهمت ٠

ـ أتريدين أن أجعلك عقيما ؟

ـ هو ذاك ٠

ـ ولكن ٠٠٠٠٠

وقاطعتها فوزية :

ـ لا تنطقى حرفا قبل أن أقص عليك كيف تزوجت ٠

وكانت قصـــة كافية لأن تجرى مفيدة لفوزية عملية التعقيم وقد أقدمت على اجراء العملية بضمير هادىء مستريح مطمئن أنها تقوم بعمل انسانى تثاب عليه ٠

★★★

أما الأمر الثانى الذى أزمعته فوزية فقد كان المستحيل أن تبدأ به من فورها بل كان لابد لها أن تنتظر بعض الوقت ٠

لقد كانت مصممة أن يكون ابنها أى شىء الا أن يكون شبيها لأبيه فى الهوة السحيقة من الأخلاق التى يتمتع بها هذا الشيطان الذى سماه أبوه عبد الشكور ٠

★★★

الفصل الخامس عشر

مرت السنوات حافلة بالأحداث الجسام ·

واستطاعت فوزية أن تباعد بين ابنها وبين أبيه باذلة فى سبيل ذلك كل جهد لا تدخر وسعا لجعل الطفل يتعلق بها وينفر فى الوقت ذاته من أبيه ·

ولم يترك عبد الشكور وسيلة تجعله يتقرب من ولده الا سلكها دون أن يجدى سعيه الملح أن يجعل راشد يميل اليه ·

ومع مرور الأيام بدأت مشاعر راشد تتحول شيئا فشيئا من تباعد عن والده الى نوع من الكراهية ·

وان كان هـذا لم يمنع عبد الشكور أن يدخل ابنه الى المدرسـة الألمانية ليجيد اللغة التى يجيدها مع لغات أخرى ·

ولم تجد فوزية فى اختيـار هذه المدرسـة ما يحول بينها وبين ما تريده لإبنها من مستقبل باهر تصاحبه كراهيته لأبيه ·

ولم يبلغ راشد سن الوعى الا وقد زال عهد أبيه الزاهر وأصبح بلا حول ولا قوة فقد تغير الحكم فى مصر وكان رفت عبد الشكور من رئاسة البنك من أوائل ما قام به العهد الجديد ·

ويشـاء العزيز الحكيم أن يظل رستم على قيد الحياة حين عادت الطمأنينة على الأنفس والأموال والحريات الى خلق الله فى مصر ·

وحينئذ أودع رستم كل أمواله مطمئنا فى أحد البنوك باسم ابنته فوزية لتدر عليها دخلا يجعلها فى غنى كل الغنى عن زوجها كمـا أودع مجوهراتها الشامخة القيمة نفس البنك فى خزانة باسم فوزية ·

وقد صحبته فوزية الى البنك على غير علم من زوجها ولم يكن رستم فى حاجة أن يطلب الى فوزية أن تكتم عن زوجها اسم البنك ·

وكأنما كان رستم يضع موعد موته فى حوزته فما أن اطمأن على مستقبل ابنته حتى وافته المنية بعـد أشـهر قلائل من تأمين مستقبل ابنتـه ·

وفى يوم المأتم استقبل عبد الشكور العزاء فى موت حميه الذى لم يسع فيه ليه الا قلة نادرة تصدقوا بعزائهم فى غير همة ولا حماس ٠

فى ليلة المأتم وقبل أن يطلع الصباح سأل عبد الشكور زوجته :

ـ ما أنباء الميراث ؟

ـ ليس هناك ميراث ٠

ـ كيـف ؟

ـ هـكذا ٠

ـ ينبغى أن تخبرينى فانك وحيدة أبيك وقد يشاركك الميراث أى صاحب حق فيه ٠

ـ لن يجدوا باسم أبى مليما واحدا الا أثاث الشقة والمكتبة ٠

ـ اذن ٠

ـ اذن لو فاتحتنى فى هذا الموضوع مرة أخرى فلن أبقى فى البيت لحظة واحدة لا أنا ولا راشد ٠

ـ ولكنى زوجك ٠

ـ عندك ما يكفيك والله جعل ذمة المرأة مستقلة ٠

ـ الله ٠

ـ أنت طبعا لا تعرفه فلم أسمعك تذكره مطلقا ٠

ـ أستطيع أن أعاملك بالمثل ٠

ـ أرجو أن تفعل ٠

ـ سترين ٠

ـ سأكون سعيدة حين أرى ٠

بعد أيام حول عبد الشكور ثروته الباذخة جميعها باسم ابنه حتى ينتقم من زوجته فلا ترث منه مليما واحدا ٠

ولما كان هو الولى الطبيعى لراشد فقد كان يدرك أنه يستطيع أن يتصرف فى هذا المال ما شاء له التصرف ٠

★★★

قبع عبد الشكور فى بيته بلا عمل فلم يجد شيئا يفعله الا أن يسعى الى هؤلاء الذين زال عنهم من المجد والجبروت كما زال عنه يجتمعون فى بيوت بعضهم البعض لا حديث لهم الا المديح فيما مضى والقدح فيما هم فيه من هوان شأن وانعدام قيمة ٠

وفى يوم نبتت فى ذهن عبد الشكور فكرة سارع الى تنفيذها ٠

ولماذا لا ؟ ألم نصبح فى عصر الانفتاح فلماذا لا أصيب منه من المال ما أطيق أن أصيب وليست قوة المال بأقل شأنا من سطوة النفوذ ٠

الفصل السادس عشر

سافر عبد الشكور الى ألمانيا · فان صلته بمارك وهوفمان ظلت ممتدة وكان يعلم تمام العلم أين سيجد كلا منهما ·

ولم يخب مسعاه فسرعان ما التقى بمارك ووجده فى أحسن حال فى عائلته وماله معا ·

تزوج مارك وأصبح لديه ولدان قريبـــان من عمر راشـــد وهما أندرسن وستيفان وفى نفس الوقت أنشـــأ مارك مصنعا ضخما لصنع الأثاث الخشبى عاد عليه بالغنى الوفير ·

أما هوفمان فقد تزوج هو أيضا وأنجب ابنا قارب سن الشباب وابنة تصغره بعامين · والولد اسمه رالف والبنت كريستين وقد حقق هوفمان نجاحا باهرا وأنشأ بيتا تجاريا عملاقا للأدوات الكهربية مثـــل التليفزيون والثلاجة والغسالة وسائر الأدوات المنزلية الكهربية وكلهـــا تحمل ماركة هوفمان وقد صارت ماركة شهيرة فى ألمانيا جميعها ·

وأدرك عبد الشكور فى دربة الخبير أن عمله سيكون مع هوفمان ولكنه مع ذلك دعا كلا من مارك وهوفمان الى غذاء يرد به على دعوتيهما له حين وصل ألمانيا ·

وعرف الصديقان كل أنباء صديقهما المصرى منذ تركهما حتى مقدم راشد ثم ما كان بعد ذلك من اقصائه عن البنك ·

وفى اليوم التالى ذهب الى هوفمان فى مكتبه وساله :

ـ من المؤكد أنه ليس لك وكيل فى مصر ·

ـ فعلا ليس لى وكيل فى مصر ·

ـ فما رأيك أن أكون أنا وكيلك ؟

ـ لا بأس وان كنت قد فهمت أنك لست مقربا للسلطة في مصر ·

ـ الأمر اليوم مختلف تماما فى مصر · وما دمت لا أعمل بالسياسة فهم لا شأن لهم بى على الاطلاق ·

– ليست السياسة بعيدة عن الاقتصاد .

– انهم يريدون أن يقلبوا النظام الاقتصادى فى مصر الى نظام حر ولولا وثوقى من أننى سأنجح بهذا التوكيل الذى سأحصل عليه منك ما غامرت .

– من ناحيتى لا أرى بأسا .

– فلتجهز العقود .

– ليكن توكيلك أول الأمر مقصورا على عنصر واحد من عناصر الأجهـــزة .

– وأنا أيضا أفكر فى ذلك وليكن التوكيل فى بيع التليفزيونات .

– لا بأس .

– لا تنس أن اسم هوفمان ليس معروفا فى مصر وسوف أنفق أموالا طائلة لأروج للاسم .

– أقدر ذلك .

– أرجو أن يمتد تقديرك الى النسبة التى سأحصل عليها .

– عبد الشكور أنا فى غير حاجة الى السوق المصرى فما أبيعه الآن فى ألمانيا وأوروبا يكفينى وزيادة بل اننى سأضطر الى توسعة فى مصانعى لأواجه المطلوب من منتجاتى .

– لماذا تقول هذا ؟

– أنت تفهم تماما لماذا أقوله .

– ان الفائدة التى تعود على من التوكيل أكثر بكثير من الفائدة التى تعود عليك .

– أرى أنك سريع الفهم كعادتك دائما .

– وكيف تريدنى أن أشكرك .

– انها ليست معرفة يوم انها السنوات الطوال .

– وهذا ما أطمعنى فيك .

ورفع هوفمان سماعة التليفون واستدعى موظفا عنده فحين جـــاء قال له :

– اكتب معه عقد توكيل بالشروط التى يريدها .

وقال عبد الشكور :

ـ هذا ما أنتظره منك .

ـ أعلم أن هذا ما تنتظره منى .

ـ هل أجعل التوكيل فى مصر وحدها أم فى البلاد العربية كلها .
ونظر اليه هوفمان نظرة طويلة وصاح :

ـ انك لم تتغير .

ـ كيـف ؟

ـ تريد أن تحصل على كل شىء دفعة واحدة .

ـ ما دام ذلك ممكنا .

ـ اجعل العقد فى مصر مبدئيـا وأعدك ألا أعطى توكيلا لبلد عربى قبل أن أعرضه عليك .

ـ هذا يكفى .

وصمت قليلا ثم قال :

ـ مؤقتا .

وقال هوفمان مبتسما :

ـ لم أسارع بالرد على قولك منتظرا بقية الجملة .

ـ أنت فى غاية الذكاء .

ـ ليس هذا من ذكاء وانما عن معرفة بك .

ـ وشىء آخر .

ـ أريد العقد باسم ابنى راشد عبد الشكور .

ـ أنت تقول انه صغير .

ـ ولكنه سيكبر وأريد أن أغرسه بين رجال الأعمال منذ بداية حيـاته .

ـ ومن سيكون المسئول .

ـ أتتصور أن يكون شخصا آخر غيرى .

ـ المفروض ألا أقبل هذا الطلب ولكن لأنه منك أنت ولأننى لا أريد أن أرفض لك أى مطلب مهما يكن شاقا فانى أقبل .

ونظر الى الموظف الذى جلس معهما ينتظر ما ينتهيان اليه وقال له :

ـ اكتب العقد بالاسم الذى يريده وبالنسبة التى يقدرها وبطريقة الدفع التى يقررها ...... اعتبر أنه مكانى تماما ونفذ له كل ما يريد .

★★★

وتم عقد التوكيل كما شاء عبد الشكور تماما .

أما مارك فلم يجد عنده ما يستطيع أن يستورده الى مصر وقال مارك :

ـ انكم فى مصر تجيدون صناعة الأثاث .

ـ هــذا صحيح .

ـ والأثرياء يحبون الأثاث الفرنسى القديم وان دفعوا فيه أسعارا خيالية .

ـ وهذا أيضا صحيح .

ـ ولكنى أنوى صناعة أدوات منزلية .

ـ كهربيــــة .

ـ أتتصور أن أنافس هوفمان .

ـ اذن .

ـ أدوات منزلية غير كهربية وحين أصنعها سأطلبك لتأتى .

ـ أنا تحت أمرك .

ـ وتأكد أنك ستكسب منها مثلما تكسب من تليفزيونات هوفمان .

ـ أنا واثق .

★★★

وعاد عبد الشكور الى مصر ظافرا منتصرا وازداد استغناء عن حب زوجته وان كان الأمل ظل يداعبه فى استمالة راشد اليه .

ربما حين يكبر ويرى ما أعددته له من مال ومشروعات تجارية يتعلق بى تعلقه بأمه أو أى تعلق والسلام ربما من يدرى .

الفصل السابع عشر

ما أسرع ما تمر الأيام ..

نجح عبـــد الشكور فى توكيله وأصبح اسـم التليفزيون هوفمان شهيرا فى مصر مما جعله بعد بضعة سنوات يجدد التوكيل مع هوفمان على أن يشمل البلاد العربية الى جانب مصر .

أما راشد فقد راحت الأيام تمر به وراح يزداد تعلقا بأمه وبعدا عن أبيه رغم أنه علم أن التوكيلات التى حصـل عليهـا أبوه كانت جميعها باســـمه .

وحصل راشد على الثانوية العامة واختار له أبوه بترحاب من أمه أن ينتسب الى الجامعة الأمريكية ورغبته أمه فى هذا قائلة له :

ـ انك تجيد الألمانية والفرنسية من المدرسة .

ـ الحقيقة أن تفوقى فى الفرنسية يرجع الفضل فيه اليك . أنا لا أنسى كيف جعلتنى أحب الأدب الفرنسى ولا أنسى الليالى الطوال التى كنت أقضيها معك فى قراءة الأدب الفرنسى .

ـ فاذا دخلت الجامعة الأمريكية فانك ستجيد الانجليزية أيضـا وهى لغة العصر .

ـ انك لا تحتاجين معى الى اقناع يكفى أن أتلمس رغبتك من بعيد حتى أنفذها بكل حماس وبلا مناقشة أو تفكير منى .

ـ يا حبيبى اذن على بركة الله .

ـ سبحانه وتعالى ..... على بركة الله .

وفجأة وجدت فوزية نفسها تقول لابنها :

ـ راشـــد .

ـ أفنـــدم .

ـ جاء الوقت لأقول لك شيئا .

ـ هل هناك شيء لم تقوليه لى حتى الآن ٠

ـ كنت أنتظر اليوم الذى أراك فيه على ما أنت عليه اليوم لأقوله ٠

ـ وعلى أى شيء أنا اليوم ٠

ـ على درجة كاملة من الوعى لتستوعب تماما ما أريد أن أحدثك فيه ٠

ـ الحمد لله ٠

ـ ربما رأيت منى تباعدا عن أبيك ٠

ـ بل نفورا ٠

ـ سمه ما شئت ٠ طبعا لا تدرك السبب ٠

ـ أتصوره وان كنت غير واثق منه ٠

ـ ماذا تتصور ؟

ـ أبى بطبيعته له طابع خاص به ٠

ـ ما هـــو ٠

ـ لا يعرف كيف يعطى وانما يعرف تماما كيف يأخذ ٠

ـ بمعنى ٠

ـ بمعنى أنه لم يقدم لى فى حياته هدية الا انتظر أن أقدم له فى مقابلها شيئا ٠

ـ ثم ماذا ؟

ـ لا أستطيع أن أحدد وانما كنت أحس دائما أنه يريدنى أن أدفع له ثمن الهدية ٠

ـ قبـلة مثـــلا ٠

ـ انه لا يهتم بهذه المشاعر مطلقا ٠

ـ اذن فاسمع ما لم أقله لك عن أبيك ٠

وراحت فوزية تقص على ابنها تاريخ أبيه كله لم تغفل منه شيئا ٠٠٠ روت له كيف وصل الى مكانه فى البنك وقد عرفته مما رواه لها عبد الشكور محاولا أن يريها كم هو ماهر حاد الذكاء دون أن يعنيه فى شيء أن فوزية تقدر المعانى السامية من الشرف أو الوفاء للأصدقاء أو الكبرياء عن الدنس وامتهان الذات وكل هذه المعانى التى ضرب بها عبد الشكور عرض الأفق

فى معاملته لفتحى او فى تقربه من صبحى أو فى امتهــان كرامته غاية الامتهان فيما بذله لموسى أشرف أو فى الغائه لضميره فى كل الصفقات التى كان يعقدها فى البنك ٠

وروت فوزية لراشد كيف تزوج بها بل انها لم تكتم عنه ما كان بينها وبين أمجد الزعفرانى الذى أصبح دكتورا وأستاذا من حب عفيف نقى طاهر ومن تواعدهما على الزواج ٠٠٠ روت لابنها كل شىء لم تخف من حياة أبيه وحياتها خافية حتى صلته بأمه وبأبيه روتها له كاملة منذ ترك القرية حتى مات أبوه وقد كانت قصته هذه يتناقلها الجميع ولكنها بطبيعتها تحاذر أن تصــل الى مسامع الابن ولهذا لم يكن غريبا الا يعرفها راشد الا من أمه وهكذا لم تحجب فوزية عن ابنها شيئا من تاريخ أبيه العملى أو الأسرى بل والبنوى أيضا واستمع راشد صامت الفم مزلزل النفس زلزالا عاصفا لكل حرف تساقط فى حزن وألم وأسى من فم أمه فى ظاهر أمره ومن بعيد أعماقها فى حقيقته ٠

وحين سكتت فوزية ساد الصمت حينا طويلا وقال راشد لاهثا :

ـ انك فى محافظتك على شرفك الذى هو شرف أبى بعد كل الذى سمعت تعتبرين أعظم امرأة فى الوجود ٠

ـ ان شرفى عندى أغلى من أى شىء حتى ولو كان هذا الشىء هو الانتقام من أبيك ٠ انه كرامتى الشخصية وما كنت لأسمح لأبيك مهما فعل أن يجعلنى أتنازل عن كرامتى ٠

ـ وبحفاظك أنقذتنى أن أكون ابن أم ٠٠٠٠٠٠ ابن أم ٠٠٠٠٠٠ لا أريد أن أقول الكلمة ٠

ـ الحمد لله ٠٠٠٠٠٠ نعم تستطيع أن ترفع رأسك دائما اذا واجهت العالم بأمك ٠

ـ ولكن لابد لى أن أنكسها اذا واجهت هذا العالم بأبى ٠٠٠٠ الآن عرفت لماذا يتصور دائما أن حبه لا يتمثل الا فى المال ٠

ـ هذا منتهى علمه بالحياة جميعها ٠

ـ ولهذا جعل توكيلاته باسمى ٠

ـ لا ليس لهذا وحده ٠

ـ اذن فلماذا ؟

ـ انه حريص ألا أرث منه مليما واحدا اذا مات قبلى ٠

ـ هذا أقرب لخلقه ٠

ـ لا تعذب نفسك فان الانسان لا يستطيع أن يختار أباه ٠

ـ ولا أمه ٠

ـ يحسبك أن تكون راضيا عن أمك ٠٠٠٠٠ انك لا تملك أن تصنع شيئا ٠

ـ فعلا أنا لا أملك أن أصنع شيئا الآن ٠

ـ ولا في المستقبل ٠

ـ المستقبل لا يفعله الا الله ٠

ـ صدقت ٠

الفصل الثامن عشر

تخرج راشد فى الجامعة الأمريكية حاصلا على شهادة فى الاقتصاد. وفى اليوم التالى لتخرجه اصطحبه أبوه الى مقر شركاته وأدخله الى غرفة فاخرة الأثاث ·

ـ حجرتك ·

وفى انبهار بفخامة الأثاث قال راشد :

ـ توقعت هذا ·

ـ ألا تشكرنى ·

ـ كشأنك دائما يا أبى ·

ـ وما هو شأنى ·

ـ تنتظر مقابلا لكل عمل تقوم به ·

ـ أليس هذا أمرا طبيعيا ·

ـ عندك أنت نعم ·

ـ وعند غيرى ·

ـ هناك أشياء يصنعها الانسان ولا ينتظر عنها مقابلا فوريا أو يحتسبها عند الله ·

ـ ان لم تأخذ لأى جهد تبذله مقابلا فلن تستطيع مواجهة الحياة ·

ـ ألا أستطيع أن أقدم خيرا لمجرد الصداقة أو الود أو الصلات الانسانية مثل الأبوة والبنوة ·

ـ هذه لغة أمك ·

ـ أحسب أنها لغة الحياة الانسانية ·

ـ اذا أردت أن تواجه الحياة فاياك ·· اياك أن تتكلم هذه اللغة الانسانية التى تذكرها ·

ـ أشكرك يا أبى على المكتب وسترى أننى جدير به وسأرد فضلك اليك أضعافا مضاعفة من الأموال ·

ـ شكرك الحقيقى يكون بتذكرك لهذا الذى أقول ٠

ـ أبى ان هذه هى شريعتك فى الحياة وهى ليست شريعة الانسانية كلهـــا ٠

ـ وماذا يضيرك أن تكون لى شريعتى الخاصة وتكون شريعتك أنت أيضا ٠٠ ألست ابنى ؟

ـ اننا نعيش مع الناس ٠

ـ سترى لك الأيام أننى على حق ٠

ـ وربما وجدت أنت أن الناس على حق ٠

ـ بعد سنى هذه ٠

ـ ليس للحقيقة موعد معين تظهر فيه للانسان ٠

ـ المهم أن تكون فى شركاتى هذه متبعا لشريعتى ٠

وضحك راشد ضحكة هينة وقال لأبيه :

ـ أظنها شركاتى أنا ٠

ـ نسيت ٠٠٠٠٠٠ نعم نسيت ٠

وضحك ملء فمه وقال :

ـ متى تبدأ العمل ؟

ـ الآن اذا أردت ٠

ـ أحب هذا الحماس ٠

ـ أعرف هذا ٠

وقال عبد الشكور :

ـ وهو كذلك ٠

وقال راشد :

ـ على بركة الله ٠

ما هى الا فترة وجيزة حتى كان راشد قد استوعب الشركة كلها وكان هو الذى يقوم بالاتصالات التليفونية أو غيرها من فاكس أو تلكس أو برقيات مع هوفمان ٠

وحين مات هوفمان بدأ راشد يوثق صلاته اللاسلكية مع ابنه رالف الذى تولى الشركات من بعده ٠

واستطاع راشـد بنشـاطه وذكائه أن يقضى أباه تمـاما حتى لم يعـد ابوه يجـد شيئا يعمله فعاد الى رفاق سلطانه يجتر واياهم ايام سطوتهم وجبروتهم . وان كان يجـد فى نفسـه بعض الألم ان اصبح بلا عمل .

وماذا يضيرنى من هذا أليست هذه آمالى كلها تتحقق وأصبح راشد واحدا من أهم رجال الأعمال . وماذا على أن أستريح . طعم الراحة مر فى فمى .... لا بأس لقد عملت حياتك كلها منذ أنت طفل صغير حتى بلغت هذه السن . وحياتك ممتدة فى ابنك . أى أب يكون عنده ابن كراشد ولا يكون سعيدا هانئا . عجيب سعادتى ليست خالصة وهنائى يشوبه شيء لا أدرى كيف أصفه وان كنت أحس به .

لقد عشت عمرى أصنع أيامى فلا بأس على اليوم أن أترك ولدى يصنعها لى . فهو مهما يكن الأمر ابنى وابنى الوحيد الذى لا ملجأ لى فى الحياة الا هو ، جاءنى من أم كرهتنى منذ خطبتها وبدلا من أن تهون العشرة من كراهيتها زادتها عنفا ونفورا وعمقا ...

ليكن ابنى محبا لأمه أكثر من حبه لى . الا أنه أولا وأخيرا ابن دمى فمهما تكن كراهية أمه لى الا انها لم تخنى يوما . وحين كنت فى موقف أستطيع مراقبتها منه بثثت حولها العيـون فما رأيت منها الا الوفاء والاخلاص والشرف . فهو ابنى لا شك فى ذلك .

لأتركه يصنع لى أيامى المقبلة فأنا الذى صنعت له أيامه الماضية والحاضرة التى يحياها الآن .

الفصل التاسع عشر

قالت له فوزية فى جلسة هادئة :

ــ ألم يأت الوقت ؟

وفى سرعة خاطر قال :

ــ قد أتى ٠

ــ فماذا تنتظر ؟

ــ أن تفاتحينى ٠

ــ لماذا لم تفاتحنى أنت ؟

ــ أردت أن أكون منفذا لأوامرك ٠

ــ حتى فى زواجك ٠

ــ وخاصة فى زواجى ٠

ــ أفى ذهنك عروس ؟

ــ هى التى فى ذهنك ٠

وأشرق وجه فوزية وأمحت عنه تجاعيد السنين ٠

ــ هل كنت تعرف ؟

ــ ألا تعرفين أننى كنت أعرف ؟

ــ كنت أرجو ٠

ــ ومتى نكصت عن رجاء نفسك ٠

ــ الحق أنت دائما تحقق أملى فيك ٠

ــ لقد صنعتنى بعد الله على عينيك ٠

ــ ونعم ما صنع الله وهيأنى لأصنعه ٠

ــ أنا تحت أمرك تستطيعين أن تخطبى دعاء حين تشائين ٠

وتهلل وجه فوزية مرة أخرى وأرادت أن تمتع من اللحظة كل ما فيها من سعادة وترتشف عصيرها جميعه حتى لا تبقى منه شيئا ٠

ـ كيف عرفت ؟

ـ حرصك أن أصحبك الى تنت عايدة كلما زرتها واصرارك على دعوتها هي ودعاء كلما عرفت أنني لن أخرج من البيت ٠

ـ ودعاء هل تعلم ؟

ـ لقد كنت أنت وأمها تحرصان على أن تتركانا منفردين بأعذار واهية ٠

ـ وفيم كنتما تتحدثان ؟

ـ في محاولتكما التقريب بيننا ٠٠٠٠ واتفقنا ان نتغافل أنا وهي ولا نشعركما أننا لا نحتاج الى هذا الجهد منكما ٠

ـ فأنتما متحابان ٠

ـ اذا شئت أن تقولي هذا ٠

ـ كما أنتما خبيثان ٠

ـ بل قولي كم أنتما طيبتان أنت وأمها ٠

ـ اذن ٠

ـ افعلي ما شئت بالطريقة التي تعجبك وفي الوقت الذي تحددينه ٠

ووضح على وجه فوزية ان فكرة وثبت الى ذهنها ٠

ـ في أي يوم نحن من الأيام ٠

ـ الخميس ٠

ـ ولماذا لم تذهب الى الشركة ٠

ـ أردت أن أقعد معك اليوم ٠

ـ أكنت تنوي أن تفاتحني في هذا الموضوع ٠

ـ بل كنت أنتظر أن تفاتحيني ٠

ـ قم فالبس ملابسك ٠

ـ ماذا أتريدين أن تصحبيني معك في الخطبة ٠

ـ لا انما أريدك في شيء آخر تماما ٠٠٠٠٠ قم فالبس ملابسك ٠

★★★

صحبت فوزية رستم نامق ، راشد الى البنك الذي فيه أموالها ومجوهراتها ٠ وحولت المال وصندوق المجوهرات جميعها باسم راشد ٠

وحين فتحت صندوق المجوهرات انتقت منه عقدا نادر الوجود فى العالم أجمع وقالت لراشد :

ـ بهذا العقد شبك أبى أمى وبهذا العقد سيشبك راشد دعاء .

وفى انبهار راشد بروعة العقد لم يستطع أن ينطق حرفا ولم يتردد أن يقبل أمه فى وجهها ويديها على مشهد من موظف البنك الموكل بتنفيذ أوامر السيدة الفاحشة الثراء فوزية رستم نامق .

★★★

تم الزواج فى حفل خيالى العظمة وخلا العريس بعروسه .

ـ وأخـــيرا

وضحكت دعاء .

ـ آن لأمك وأمى أن تستريحا .

ـ وآن لنا أيضا .

وفى الصباح قال راشد لدعاء .

ـ ما رأيك أنا عندى عمل فى ألمانيا ليس عاجلا وانما قصدت أن أؤجله الى ما بعد الزواج حتى يكون شهر عسل لنا فى ألمانيا وفى أوربا كلهـــا .

وفرحت دعاء غاية الفرح .

ـ أتسألنى رأيى ؟

ـ كنت أستطيع أن أكذب عليك وأقول انه شهر عسل فقط ولكننى منذ تفاهمنا أخذت على نفسى عهدا أن تكون نفسى كتابا مفتوحا أمامك لا يخفى منه عنك ما فيه .

وقبلته وهى تقول :

ـ ولك منى أن أكون كذلك معك .

★★★

سافر العروســان وبدأ راشــد يذهب الى رالف وتعارفا مواجهة واستطاع راشد أن يحصل من رالف على توكيل عـــام لجميـــع منتجات هوفمان بلا استثناء فأصبح له حق استيراد الثلاجات والغسالات وكل الأدوات الكهربية الأخرى .

وأقام رالف وليمة للعروسين ودعا اليها صديق العمر لأبيه مارك وابنه ستيفان وابنته كريستين .

وقال مارك لراشد :

ـ عندى لك هدية زواج .

ـ يكفى أن أراك فقد عرفت من أبى كيف علمته الانجليزية والألمانية .

ـ شاركنى هوفمان فى تعليمه الألمانية .

ـ أعرف هذا .

ـ لم تسألنى عن الهدية ؟

ـ أنا متأكد أنها هدية عظيمة من رجل عظيم .

ـ اليك هى .

وقدم اليه عقدا من صورتين يفيد توكيله فى استيراد جميع الأدوات المنزلية التى كان وعد أباه أن يوكله فيها حين بدأ انتاجها وشكر راشد الرجل العجوز وصافحه ورفع صورة العقد بين تصفيق الحاضرين .

★★★

وحين عاد راشد ودعاء الى مصر بعد رحلة ممتعة فى أوروبا جميعها لم يكن راشد وحده الذى يحمل التوكيلات التى حصل عليها . بل ان دعاء كانت تحمل ما هو أهم من ذلك بكثير ..

.. كانت تحمل طفلهما الأول .

★★★

وضعت دعاء ولدا ولم يتردد راشد أن يسمى الطفل رستم تقربا لأمه . وحين أنجبا أخته بعد ثلاث سنوات أسمى ابنته فوزية .

وكان الجدان والجدتان جميعا أعظم ما يكونون احتفاء بالحفيدين لا يستثنى من ذلك عبد الشكور .

ومرت السنوات . وكبر الطفلان ودخلا المدرسة .

★★★

وفي يوم بينما كان راشد في مكتبه دق جرس التليفون الداخلي وجاء صوت أبيه ٠

ـ ماذا تصنع ؟

ـ لا شيء ٠

ـ تعال اقعد معي ٠

وحين ذهب قال راشد لأبيه :

ـ أصبحت لا تزور المكتب الا فيما ندر ٠

ـ ماذا أعمل فيه أنت مشغول واتسعت أعمالك حتى أصبحت أنا غريبا عنها والبركة فيك ٠

ـ تتسلى ٠

ـ أنا هنا لا أتســـلى الا اذا كنت أنت غير مشغول وهـذا قليلا ما يحــدث ٠

وبينما الحديث يجرى بين الوالد وابنه صاح عبد الشكور صيحة ألم عنيفة وأصبح يغتصب أنفاسه من الهواء في جهد بالغ ٠

وسرعان ما جاء الطبيب ونقلت سيارة الاسعاف عبد الشكور الى المستشفى وأجريت الفحوص الدقيقة وفي مواجهة الأب ووجود الابن قال كبير الأطباء :

ـ حالة قلبية حادة ٠

وقال عبد الشكور :

ـ ألها عـــلاج ؟

ـ في أمريكا وانما لا أخفي عنكم الأمل ضعيف ٠

★★★

قال الأب لابنه بعد أن انتقل الى منزله بأيام ٠

ـ هل جهزت للسفر ؟

ـ الى أين ؟

ـ الى أمريكا ٠

ـ لمـــاذا ؟

ووقعت الكلمة على الأب كأنها خنجر سفاك قاتل ٠

ـ ألا تدرى لماذا ؟

ـ لا .... لا أدرى ٠

ـ لاجراء عملية ٠

ـ أى عملية ؟

ـ التى قال عنها الأطباء ٠

ـ انهم قالوا أن الأمل ضعيف ٠

ـ ليكن واحدا فى المليون ٠

ـ أتنفق عشرات الألوف من أجل أمل واحد فى المليون ٠

ـ انها أموالى ٠

ـ انها ليست أموالك ولا أموالى انها أموال رستم وفوزية وأنا أمين عليها أيرضيك أن أخون الأمانة ٠

ـ اذن أموت ٠

ـ كلنا سنموت ٠

كلنا سنموت ... كلنا سنموت ... كلنا سنموت .... طنت الكلمة فى رأسه وفى كيانه ... كلنا سنموت ... لقد سمعتها قبل اليوم ... لا ... بل قلتها ... قلتها ... نعم قلتها ... وأذكر اللحظة والوقت والمناسبة .... كلنا سنموت ٠

★★★

ترك راشد والده وعاد الى بيته ٠

ومرت الأيام ولكن عبد الشكور منذ سمع كلمة ابنه دخل الى غرفته لا يريد أن يرى أحداً أو أن يراه أحد ٠ يدخل اليه الطعام فى موعده ويتلهى بالراديو حينا أو التليفزيون وقليلا ما يتلهى ثم يأمر فتغلق النوافذ ان كان فى نهار أو يطفىء المصابيح ان كان فى ليل ويخترق بعينيه الظلام فلا يرى الا رسما واحدا يلح عليه الحاحا لا يغلبه ويغمغم :

نعم انها حياتى حياتى أنا دائرة حيثما بدأت من نقطة منها فمن الحتم المؤكد أن تعود الى نفس النقطة التى بدأت منها ٠

فمتى .. متى تطمس الأيام هذه الدائرة ..... كلمة لم أقولها في حياتي .... لا مهرب لي من أن أقولها اليوم ولا أقول غيرها الله يعلم ... الله وحده يعلم ... أعرفت الله اليوم ... ليس أمامي الا أن أعرفه ... لم يبق في حياتي ... الا آخرتي فان لم أعرف الله اليوم فماذا يبقى لي والعجيب العجيب انه في عزلته هذه كان يحافظ على مواقيت الصلاة ولأول مرة في حياته يحس مع الألم العاصف والأسى المبيد في جوانحه انه بالصلاة مطمئن النفس فهو بذكر الله في سكينة وأمان لم يذق نعيمهما في كل ما تركه وراءه من أيام ومن أسرة ومن ثروة .

انتهت بحمد الله

فندق برزدنت . جنيف

الساعة ١٢٫٣٠ ظهرا يوم الاثنين ٢٥ سبتمبر عام ١٩٩٥ .

سنة ١٩٨٥

عــلى قلــوب أقفالها

لم أكن أتوقع أن اتلقى هذه الكمية من الخطابات والمكالمات على مقالى الذى نشر بعنوان « حيرة » بتاريخ ٧ من أبريل فقد اتضح لى أننى لست وحدى الحائر انما الحائرون مثلى كثيرون يخطئهم العدد · وقد هالهم ان صوت الشيوعيين جهير ذائع مرتفع مزعج بينما هم قلة ضئيلة هزيلة لم تستطع أن تجعل واحدا فردا يمثلها فى مجلس الشعب أو مجلس الشورى ·

وهم مع فشلهم هذا لاحياء لهم · ولا يخجلون ويملأون الدنيا صياحا حتى يصبح الاعــلام المصرى مذعورا من صراخهم يخيل اليــه أن وراء ضجيجهم العدد الضخم والحشد الحاشد والجمع الغفير والنفر العديد · ولو أن الاعــلام المصرى أنعم النظر وأمعن التفكير لعرف الحقيقة · ان لهؤلاء الشيوعيين نفيرا يصيح بهم من كهنوت الشيوعية العالمية ويأمرهم فاذا صــوتهم واحد وكلامهم كلمة وصراخهم جميع لا شــتى حتى يخيل لسامعهم أنهم أقوياء وهم أضعف خلق الله انسانا · انهم أفواه قليلة العدد ولكنها تتكلم جميعا بكلام موضوع لهم لا يتغير من فرد الى فرد واكليشهات ثابتة لا تختلف من شيوعى الى شيوعى · وكلهم ·· كلهم ·· ينطقون دفعة واحدة من مكبر صوت واحد · فاذا سامعهم يحسب أنهم جمع وهم أفراد قلة لا قيمة لعددهم ولا وزن ·

ولكن هذا التجمع أعطاهم الفرصة أن يزيفوا حقيقة الشعب المصرى أجمع فاذا الاعلام المصرى والفن المصرى أيضــا يصطبغ بلونهم الأحمر البغيض وهم بهذا يزلزلون أركان الديموقراطية عدوهم الأصيل التى يتظاهرون بحبها والهيام بها ماداموا بعيدين عن مقــاعد الحــكم والتى يقتلونها ويسفكون دماءها ودماء الشعب الذى يحكمون اذا هم تولوا مناصب الحكم فى بلد من البلدان ·

وقد استطاعوا بأصواتهم التى مرنوا على أن يجعلوها عالية نكيرة ان يهاجموا الانفتاح لأن الانفتاح ملازم للديمقراطية ·

ولما كانوا لا يجرؤون أن يهاجموا الديمقراطية علانية وصراحة فقد هاجموا الانفتاح · وحجتهم أن فى عهد الانفتاح ظهرت سرقات ضخمة روع لها الشعب المصرى ·

ولكن هم يعلمون علم اليقين أن الشعب المصرى فوجىء بهذه السرقات لأنه لم يكن يسمع عنها فى عهد الانغلاق الذى هو عهد الطغيان والشعب لم يسمع بالسرقات لسبب واحد ليس هناك غيره أن السرقات لم يكن أمرها يذاع على الناس وليس لأن السرقات لم تكن موجودة ·

ان السرقات فى عهد الانغلاق الذى هو عهد الطغيان كانت أبشع ألف مرة من سرقات الانفتاح · فقد كان اللصوص هم الحكام · ولهذا تسامع الناس ، ويتحدثون الآن عن السرقات التى وقعت على مجوهرات الأسرة المالكة · وتسمع الناس ويتحدثون الآن عن الحقيبة المليئة بالكتل الذهبية · وتسامع الناس ويتحدثون الآن عن الفرو والسجاجيد التى كانت تســـتجلب من الخارج فى طائرات خاصة وتنقلها القوافل من سيارات النقل · وتسامع الناس ويتحدثون الآن عن القصور التى بنيت من أموال الشعب والقصور التى صودرت واستولى عليها حكام الانغلاق · وتسامع الناس ويتحدثون الآن عن الأموال التى انسكبت سيولا على بنوك سويسرا وقيل انها لمواجهة الثورة المضادة ولم تقم الثورة المضادة ولكن الأموال مازالت باقية هناك بأسماء أصحابها ·

وكل هذا وقع ولكن أحدا من هؤلاء لم يحاكم ولم يقدم الى أى جهة قضائية · لأن الحكام حين أمموا الشركات والمصانع أمموا أيضا السرقات من الحكومة فلا يجرؤ انسان آخر أن يسرق الا اذا كان واحدا من هؤلاء الحـــكام ·

وهذا هو أحد الفروق بين الانفتاح والانغلاق والعجيب العجيب أن المنتجين السينمائيين الجهلاء استجابوا للهجوم على الانفتاح وانشأوا الأفلام فى محاربة فكرة الانفتاح بروايات تشوه وجه مصر وتخيف المال الحر من المصريين فى الخارج أو من المستثمرين الأجانب · بل وتخيف الدول التى تريد أن تقرض مصر وتســاهم فى مســاندتها على مواجهة أزماتهـــا ·

والشيوعيون يستخدمون الاعلام المصرى فى الهجوم على الطبقة التى استفادت من الانفتاح · مع أن الغالبية فى هذه الطبقة من الكادحين الذين يدعى الشيوعيون أنهم يدافعون عنهم · ولكن الحقيقة أنهم يريدون لهذه

الطبقة أن تظل فقيرة حتى يظلوا هم يدافعون عنها فاذا أصاب هذه الطبقة الثراء هاجموها ومزقوها كل ممزق · وتابعهم الجهلاء فى الهجوم والتمزيق · ولم يرحموا ولم يذكروا أن هذه الطبقة كانت محرومة من المال فلا بأس عليهم وقد جرى المال بين أيديهم أن ينفقوا أموالهم انفاقا جاهلا فهم يظنون أن الكرامة سيارة فخمة ومأكل فاخر حتى وان لم يلتذوا طعمه وملابس مرتفعة الثمن حتى وان كانت خالية من الذوق · ومع الأيام وبعد أن يزهدوا فى هذا جميعه سيعرفون كيف تنفق الأموال فى مصارفها الكريمة لتكون انتاجا لا استهلاكا ولتكون مصانع أو حقولا أو تجارة تعود عليهم وعلى دولتهم بالربح والكرامة ·

والشيوعيون يصرخون أنهم حماة القطاع العام فى حملتهم المسعورة على الانفتاح وهم يعلمون أن القطاع العام مقدس فى الاقتصاد المصرى وأن كل الاقتصاديين الأحرار يرون أن القطاع العام هو الركيزة الأولى فى الاقتصاد المصرى · ولكنهم ينبهون الى أن القوانين التى تحكم القطاع العام خطيرة كل الخطورة على القطاع العام · فلا أحد يسىء الى القطاع العام الا القطاع العام نفسه · وليس فى مصر من لا يعلم أنه اذا لم توجد القوانين التى تعاقب المخطىء والقوانين التى تكافىء المحسن فلن ينجح القطاع العام · فانها كارثة كبرى أن يتساوى الكسول بالنشيط والمهمل بالمتقن والمتهرب من العمل بالمواظب · ان القوانين التى تحكم القطاع العام فى مصر لا يماثلها قوانين فى العالم · فالدول الشيوعية تفصل وتسجن وتنفى وتقتل العمال الذين يتهاونون فى أداء واجبهم · والدول الرأسمالية تفصل العامل المسىء ·

الا مصر ·· فالقانون عندنا فريد فى نوعه ·

نحن الدولة الوحيدة فى العالم التى لا تعرف النظرية الاقتصادية التى يسير عليها اقتصادها · وزمن صنع النظريات الجديدة مضى منذ أجيال · والدول اليوم تطبق نظريات واضحة المعالم · حتى الدول التى تمزج بين الاشتراكية والحرية الاقتصادية لها نظرياتها الواضحة المعالم · تسير عليها انجلترا والسويد وفرنسا والنمسا ودول كثيرة أخرى ·

ولكننا دولة فريدة فى نظامها وأخشى ما أخشاه أن يكون الشيوعيون قد تمكنوا من اخافتنا ، ومنعتنا أصواتهم التى يطلقونها بأمر من الشيوعية العالمية أن نختار نظرية اقتصادية ذات قواعد ثابتة متينة وتسير عليها ·

وانني لأعجب كيف يخاف الاقتصاديون عندنا ورئيس جمهوريتنا أعلن عشرات المرات أن مصر لن تتراجع عن الديمقراطية وأن مصر لن تتراجع عن الانفتاح • ولا عن الاشتراكية • وهذا رئيس جربناه • لم يعد وعدا ويخلفه ولم يقل كلمة ويرجع عنها فهو يعرف كرامة الكلمة اذا قالها رئيس جمهورية مصر • وما ينبغي لهذه الكلمة من قيمة واحترام وتبجيل •

واجتماع الحرية الاقتصادية والاشتراكية ليس بدعة بين الأمم وانما لا تكون الاشتراكية الا في ظل الديمقراطية •

والفارق بعيد بين الاشتراكية والشيوعية • ولهذا فالشيوعيون يكرهون الاشتراكية أكثر من كراهيتهم للديمقراطية فهي تحطم نظريتهم وتجعلها واضحة البطلان متهرئة لا معنى لها •

ويح للشيوعيين • أنهم اليوم يحاولون أن يحطموا الديمقراطية والاشتراكية وهم الذين نالوا من الطغيان الخسف والهوان • لقد اعتدى الطغيان على أعراضهم وربطهم كالبهائم في سلاسل من حديد وراح يطيح بهم الى السجون أو يقذف بهم الى صحراوات مصر وجردائها • ولكنهم مع ذلك جميعا يتمدحون بأيام الطغيان ويحنون اليها ويتحالفون مع البقية الباقية من ذيولها •

أيكون هؤلاء الشيوعيون مغرمين بألوان التعذيب التي مارسها عليهم الطغيان • من يدرى لعلهم مرضى بمرض تعذيب النفس • أم تراهم فقدوا الشعور والعقول في حماة بغضهم لمجد الوطن ورفعة شأنه وانتعاش اقتصاده •

نحن في زمان أصبح فيه كل شيء جائزا •• حتى هذا •• فانه اذا وضعت على قلوب اقفالها استحال عليك أن تسمع الصم النداء أو تهدى العمى الى الطريق • ولله وحده الأمر من قبل ومن بعد •

الأهرام ١٩٨٥/٤/٢١

خطــاب ٠٠ وجــواب

جاءني هذا الخطاب وقد رأيت أنه يجدر بى أن انشره وأعقب عليه :

الأستاذ / ثروت أباظة

تحيــة طيبــة وبعــد

فقد كنت أظن لوقت غريب أنه لا يوجد شــخص آخر على وجــه المعمورة مصرى أكثر مما أنا مصرى ، حتى طالعت مقالك الرائع بجريدة الأهرام الصادرة يوم ١٩٨٥/٣/٣١ فعلمت أن هناك من ينافسنى فى عشق محبوبتى الغالية مصر ٠ ومع تقديرى واعتزازى لمصريتك الا اننى أقرر - كما سبق وقررت أنت - اننى مصرى أكثر منك - ولسبب بسيط هو أننى - والحمد لله - لم أشعر قط وطوال سنوات عمرى بأننى غريب عن مصر ٠

لم أشعر أننى غريب عن مصر حتى وأنا اتلقى - فى مقتبل شبابى - أعنف وأقسى صدمة فى حياتى بل وحياة كل المصريين ابان هزيمة سنة ٦٧ ٠ فقد كنت واثقا أننى وزملائى الضباط والجنود بل وكل المصريين على موعد قريب مع العبور العظيم ٠ لم أشعر بأنى غريب عن مصر ٠

أستاذى الكاتب الكبير : اتفق معكم تماما أن هناك ضعفا عاما فى اللغة العربية - ستلاحظ من خطابى هذا أننى أعانيه شخصيا - بل وهناك انحدار فى مستوى الخريجين ومستوى التعليم بصفة عامة ٠ واتفق معكم أن هناك أفلاما للجنس والمخدرات والراقصات ٠ واتفق معكم تماما على أن هناك فئة انعدمت فيها المروءة والشهامة ، واتفق معكم أن هناك فئة تسرق وتنهب وتتاجر فى قوت الشعب ٠ واتفق معكم كذلك فى أن مسلسلات التليفزيون لا تعبر عن الواقع ٠ كما اتفق معكم على أن هناك عزوفا عن المسرح ٠٠

ولكن ألا تتفق معى - أستاذى الفاضــــل - أنه قد مر على مصر الشامخة ما هو أقسى وأصعب وأعنف من هذه الظواهر والعوارض ٠٠

ألم يأت على مصر الاسلامية وقت كانت فيه الدعارة مهنة تمارس تحت ظل القانون ٠٠ ألم يأت وقت على مصر سيطر فيه الشيوعيون على

مقاليد الحكم فى البلاد وليس على الاعلام فحسب ·· ألم تأت فترة على مصر عانى فيها الشعب الكبت والقهر ·· ألم يأت وقت على مصر كان على أرضها الطاهرة سبعة عشر ألف خبير شيوعى ··

وألا تتفق معى أيضا ـ أستاذى الفاضل ـ على أن مصر بعراقتها وحضارتها وأصالة شعبها استطاعت أن تتخطى تلك الصعاب والنكبات · أيصعب عليها اذن أن تتغلب على مثل هذه العوارض · ثم تلك المؤشرات الطيبة والمطمئنة التى نلمسها جميعا على أرض الوطن ألا نطمئن القلب والفؤاد على المستقبل ·· أن المحاكمات التى تمت فى السنوات الأخيرة لفئة كانت تتخيل أنها فوق القانون تعد مؤشرا طيبا ومطمئنا فى نفس الوقت · ثم قبول استقالة أحد الوزراء فى أعقاب الحكم فى قضية مشهورة، واتجاه بناتنا وهن فى عمر الورود للتحجب · وسريان الاتجاه الدينى المعتدل بين غالبية شبابنا · والاقبال الهائل على معرض الكتاب وشراء الكتب رغم ارتفاع الأسعار وتضحية شاب لانقاذ قرية من حريق بسبب اشتعال سيارة محملة بالغاز ، ووجود الأحزاب والمعارضة · ووضع حجر الأساس لأوبرا مصر · ومترو الأنفاق · والقرارات الأخيرة بترشيد الانفتاح · وعودة الصناعة المصرية الى الأسواق ، والمشروعات الانتاجية الجديدة الصناعية منها والزراعية · وكتابات ومقالات نقاد وأدباء وكتاب مصر الشرفاء ، ثم تنافسى أنا وأنت وملايين المصريين فى حب مصر وأخيرا نقاء وطهارة وصدق واخلاص قاوئد المسيرة ··

أستاذى الكاتب الكبير : اطمئن فانت لست بغريب عن مصر · ورغم اعتزازى وتقديرى لمصريتك الا أننى مصرى أكثر منك ولسبب بسيط هو أننى لم أشعر قط ــ والحمد لله ــ طوال سنوات عمرى بأننى غريب عن مصر ·

محمد فريد أحمد

أخصائى اجتماعى بدولة قطر

أخى العزيز :

كم اسعدنى خطابك · حتى لقد أحسست فيه عبق الأخوة يجمعنا فى أكرم رابطة · وأشرف عرق · وأنبل وشيجة : مصر · وأنت ياصاحبى حين ذكرت ما مر بمصر من أهوال تمثلت عندك فى الدعارة المباحة · وسيطرة الشيوعيين على الحكم فى البلاد وليس على الاعلام فحسب · ورزوح مصر تحت حكم الكبت والقهر ·· وانشغال أرضها الطاهرة بسبعة عشر ألف خبير شيوعى ·· وأنت حين ذكرت هذا جميعا · لم تذكر ناسيا · فهى فترة ــ لا أعادها الله ــ تعتبر أبشع عهد شهدته مصر ·

وقد صرخنا فى هذه الفترة بملء أصواتنا ورفضت مصر الطغيان والرعب المسلط عليها ٠

وما حزننا اليوم ـ يا أخى فى الله وفى مصر ـ الا خشية وفزعا أن يطل الأمس على اليوم ، وأن يروع الماضى الحاضر ، وأن يرتفع فى سماوات مصر الحرة اليوم نعيق الغربان التى كانت تهتف للشيوعيين بالأمس ٠ وأصوات البوم التى كانت تشيد بحياة السفاكين السفاحين ٠

كنا فى عهد الطغاة جميعا مقصيين عن مصر٠غرباء عنها لأن الطغيان لا يشاركه فى الحكم الا عبيده وزبانيته ٠ والراكعون عند أعتابه ٠ والساجدون فى معبده غير المقدس ٠ والشاربون من الدماء التى اعتصرها من الشعب ٠ فهم بحمده وحده يسبحون ٠ وهم هم بالله كافرون وهم هم بحكم الشعب أشد كفرا ، بل أنهم يحكمون بما يقذفون فى نفوس هذا الشعب من رعب وذعر ورهبوت وما يسلطونه على أبدانه وأعراضه من عدوان وقهر وغضب وجبروت ولولا هذا الذى شهدناه يا أخى فى هذه الفترة ما عنيت أى عناية بهذه الأصوات التى أصبحت تبدو جهيرة مرتفعة تبشر بالكفر بعد الايمان وبالانغلاق بعد الانفتاح وبالدكتاتورية بعد الديمقراطية ٠

وأنى يا أخى سعيد غاية السعادة بأن مصر اليوم تحاكم من ظنوا أنفسهم فوق القانون ٠ وسعيد أن مصر تبعد عن جهازها التنفيذى من تحوم حوله شبهة ٠ وسعيد أن تتجه بناتنا الى الايمان وكم أكون أكثر سعادة لو أن ايمانهن كان راسخا فى قلوبهن دون كثير اهتمام بخمار يسدلنه أو يرفعنه ٠

وسعيد باتجاه الشباب الى الدين الحق لأن هؤلاء لا يركبون الدين وسيلة الى نفع دنيوى أو كسب مادى ٠ وسعيد أن الكتب تشترى وأن الشباب فيه من يضحى بنفسه لينقذ قرينه ٠ فليس هناك دليل على الانتماء أعظم من هذا المثال ٠ وسعيد بوجود الأحزاب المعارضة ٠ ففيها الديمقراطية ٠ وكم أرجو أن يبدأ حزب الأغلبية فى التفكير الجاد لانشاء فكر سياسى واقتصادى واضح يلتف حوله فاننى يا أخى أرى أعضاء حزب الأغلبية تحسبهم جميعا وهم شتى ٠ كل منهم يفكر فى خاصة مصلحته وخالص منفعته فان توسع كثيرا فهو يفكر فى خاصة مصلحته وخالص منفعته فان توسع كثيرا فهو يفكر فى قريته أو فيما يحسبه دائرته الانتخابية ناسيا أن نظام الانتخاب بالقائمة انما اختارته مصر حتى ينحرر العضو من عبوديته للدائرة وحتى تتحقق القاعدة القانونية : أن وظيفة الناخب تنتهى عند صندوق الانتخاب ٠ فاذا سعى اليوم عضو

مجلس الشعب لابن من أبناء الدائرة أو لبلدة من بلدانها فانما ينبغى أن يكون هذا أمرا جانبيا هامشيا ولا ينبغى بحال من الأحوال أن يعتبر العضو هذا السعى هو عمله الأساسى · كم أتمنى يا أخى أن يذكر عضو حزب الأغلبية أنه ينوب عن مصر كلها من أسوانها حتى ثغرها ·

وأنا سعيد يا أخى بالمشروعات الانتاجية الجديدة ولكننى أخشى أن يضيق عليها الخناق بما ينادى به الشيوعيون أعداء مصر والناصريون فلا تؤدى هذه المشروعات رسالتها عن الانتاج ·

ان غربتى يا أخى التى انفجرت بها خشية أن تكون مصر قد نسيت لطول ما لاقت من طغيان سماحتها وتراحمها وتواد أهلها ·

أخشى أن تكون قد نسيت الابتسامة من طول ما واجهتها الجهامة ·· أخشى أن يقضى الشيوعيون ومواقع الاعلام التى استولوا عليها استيلاء يوشك أن يكون كاملا على منافذ الأمل التى تراوحنا منها أنسام الحرية ·

أخشى يابن مصر أن يعدو الشيوعيون بأقلامهم فى الجرائد وأصواتهم فى الاذاعة وصورهم فى التليفزيون على أقلام مصر الحرة المسلمة المؤمنة ، وعلى وجوه مصر الوضيئة الطيبة لا يشوب صفاءها حتى لا يشوه أسماءها كراهية وبغض وحسد أركان الشيوعية وأسسها · وأخشى أن يضيع صوت الآذان يحمل الله أكبر الى كل ربوع مصر ·

لهذا يابن مصر شعرت بالغربة · وأحمدك وأحمد الله اليك أنك ما شعرت بها · وربما خطرت من قلبك الى قلبى نسمات طمأنينة أنا بها ضنين وعليها حريص · وكم أرجو أن يستقر بها مقام فى نفسى ويهدأ منها العاصف وتطمئن لأعاصير الاغتراب ورياح الخشية ·

وعلى أية حال يابن مصر وابن مآذنها فانى أبث الى نفسك من السكينة ما بثثت الى نفسى من التفاؤل وأذكرك بقوله تعالى فى سورة البقرة « فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ولن تزال مصر وأبناؤها من هؤلاء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فهى بحمد الله دائما من هؤلاء الذين اتبعوا هدى الله وأحسنوا اتباعه جل شأنه وتقادست أسماؤه ·

الأهرام ١٩٨٥/٤/٢٨

أفصحو أو فاصمتوا !

كان حظا مقدورا أن أجلس أمام التليفزيون ويطالعنى من شاشته شاعران لهما فى قلبى كل حب وكل تقدير ومعهما سيدة فاضلة مهذبة قديرة فى عملها كمقدمة برامج ومعهم فتاة فى بواكير العمر ٠

أما الشـــاعران فهما الأســتاذان محمد برهام شـيخ شـعراء الاسكندرية وابراهيم صبرى منشىء نادى القصيد ورئيسه وأما مقدمة البرنامج فهى السيدة الفاضلة عائشة البحراوى وأما الفتاة فما وعيت اسمها ولا شاهدتها من قبل ٠

ودار الحديث عن الشعر ، وسمعت من برهام شعرا وسمعت من صبرى شعرا وجاء دور الفتاة وقبل ان تقول ما تســميه شعرا قالت كـــلاما ٠

أرجو الله ألا تكون هذه الفتاة نموذجا لجيلها كله ، وألح فى الدعاء أن تكون هذه الفتاة حالة خاصة واستثناء لا يقاس عليه ولا يتوســع فيـــه ٠

ما هذا الكبر الذى طالعت به الناس يا بنتى لو ان المتنبى الشهير بالتفاخر والتعاظم جلس مجلســك هذا لتملكه بعض الحياء أن يواجــه الناس بكل هذا الكبر الذى واجهتهم به ٠ ولا دخل فى حسبانه أنه أمام شاعرين يكبرانه فى السن بما يجعلهما فى مكان الوالد على الأقل ٠

ولو أنها قالت كلاما ذا قوام أو منطق لما غفرنا لهذا هذا الكبر أيضا فكيف بها وهى تهرب بحديث أقل ما ينبىء عنه التفاهة والجهل كل الجهل بما ينبغى أن يكون عليه الشعر أو أى فن من فنون الكلام ٠ .

تقول الفتاة ان الأجيال التى تكبرها لا تســتطيع أن تفهم اللى جواها ، لأن اللى جواها مشكلة جيلها هى ؟؟ !

ماهذا الحديث يا فتاة ؟ وما هذا الخرف ؟!

لقد حدثنا عنترة بن شداد من وراء خمسة عشر قرنا وفهمنا اللى جواه .. وحدثنا شعراء الجاهلية قبله وفهمنا أيضا . وحدثنا بعده آلاف الشعراء حتى العصر الحديث وفهمنا اللى جواهم فما لنا اذن نعجز عن فهم اللى جواك وأنت تعيشين معنا فى نفس الجيل ، أنا أخبرك لماذا نعجز عن فهمك لأن الشعراء الذين قرأنا لهم من الجاهلية حتى اليوم قالوا فأفصحوا ، وكان كلامهم مبينا جميلا حلوا فهمناه وحفظناه وأنشدناه وأصبح اللى جواهم عناوين ضخمة مضيئة فى تاريخ البشرية .

أما أنت يا فتاة ومن يقول مثل شعرك فانكم لا تفصحون ولا يبين فى كلامكم معنى مكتمل أو نغمة تصل الى القلب ، فاللى جواكم سيظل جواكم ولن يخرج الى أحد ولا حتى الى جيلكم ، بل هو مبهم غامض على اخوتك أولاد أمك وأبيك مهما تقاربت بينكم السن .

قد يكون شعركم نعيق غراب أو ثغاء ماشية أو مأمأة خراف ولكنه لن يكون شعرا أبدا ولن نفهم اللى جواكم لأنكم أنتم عجزتم أن تفصحوا عن هذا الذى جواكم .

فهمنا عن المتنبى وعرفنا الذى جواه حين قال :

أصبحت أروح مثر خازنا ويدا أنا الغنى وأموالى المواعيد

لأنه قال فأفصح وأبان وأطرب وبلغ مكامن الاعجاب فى نفوسنا . أما أنتم فلم تقولوا شيئا حتى نفهمه .

وفهمنا عن البحترى حين قال

شواجر أرماح تقطع دونها
شواجر أرحام ملوم قطوعها
اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها
تذكرت القربى ففاضت دموعها

وفهمنا قبلهما عن امرىء القيس منذ ما يزيد على ألف وخمسمائة عام قوله :

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة
كفانى - ولم أطلب - قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل
وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

وفهمنا بعده بما يقرب من ألف وخمسمائة عام من أمير الشعراء شوقي قوله :

ومن صاحب الدهر صحبي له
شكا في الثلاثين شكوى لبيد

ظمئت ومثلي برى أحق
كأني حسين ودهري يزيد

واني نواسي هذا الزمان
فمن للزمان بأذن الرشيد

وفهمنا عن عزيز أباظة مأساته التي كتبها في ديوان كامل هو أنات حائرة وبكينا معه وهو يقول مستئذنا شهداء الاسلام في البقيع أن يعود الى بنيه :

وداعا فقد أن يوم الرحيل
الى افرخ قد براها الكمد

أصابهمو الدهر في كهفهم
وما وهب الدهر الا استرد

لئن عدت لم يعدموا آسيا
وحسبهم الله ان لم أعد

ونفهم اليوم عن مئات الشعراء المجيدين من شيوخ مثل طاهر أبو فاشا وعبد العليم عيسى ومحمد برهام وجيلهم ومن كهول مثل مصطفى عبد الرحمن وابراهيم عيسى وعبد المنعم الأنصاري ومن شباب مثل عبد الحميد محمود وسامح درويش وأحمد غراب ٠

وقد اخترت ثلاثة من كل جيل اختيارا عفويا دون تفكر أو تدبر فلو شئت أن أذكر الشعراء القوالين جميعهم لجاوزت بهم المائتين ولم أبلغ ٠

فبربك خبريني يا بنية أي عجيبة في جوالك أو في داخلك لن يفهمها عنك أحد الست يا بنتاه بشرا من البشر أم أنتم جنس آخر ما عهده الناس ولا عرفوه ٠

ان الذى بداخلك ليس مقصورا عليك وعلى جيلك . وليس صحيحا أن أحدا لا يستطيع أن يفهمه الا أتراب عمرك . فاننى أقسم غير حانث أنهم أيضا لن يفهموا عنك بهذا الذى تقولين شيئا وليس هذا لأن الذى بداخلك تجربة جديدة لم تعرفها البشرية وانما لأنك عجماء لا تستطيعين أن تستعملى الكلمة لتشرحى بها ما يدور بنفسك . والكلمة من شأنها اذا قيلت أن يفهمها جيلك والأجيال التى قبلك والأجيال التى بعدك أيضا ولهذا اختارها الله من فوق سبع سماوات لتكون معجزته الخالدة على الأرض ، وعلى أركان كلمة الله يقوم ديننا كله يا بنية . فالكلمة افصاح والكلمة بيان والكلمة وضوح والكلمة بلاغ وبلوغ . والكلمة هى الوشيجة التى تربط الناس كل الناس بالناس كل الناس .

ولكنك أنت يابنتى وجيلك لم تقوليهـا وما قالهـا جيلك فانى أسمع لكم الكثير وأقسم برب العزة انى لا أفهم عنكم شيئا الا النادر . وهذا النادر تقولونه جميعا كما لو كانت أفواهكم ركبت على مصدر صوتى واحد ولا أقول مصدر عقلى أو عاطفى .

ليست المشكلة التى أتناولها اليوم الشعر الحديث والشعر الأصيل ولكن المشكلة أننى لست أفهم ما يقوله أصحاب الشعر الحديث فقد أصابهم ذلك البرص الذى أصيبت به الرواية والمسرحية والقصة فى الستينيات من العبث أو غير المعقول وعفا الله عن الرواية والمسرحية والقصة وكتب لها الشفاء على أيدى الجماهير المستقبلة التى رفضت الفكرة جميعا .

ولكن المرض أصاب الشعر الحديث وجمهوره لن يشفيه لأن جمهوره هم القائلون فيه والسائرون فى طريقه الدامس الظلام .

وكل منهم يتظاهر بفهم الآخر ليتظاهر الآخر بفهمه ويطمئنوا أنهم قالوا لجيلهم وفهم عنهم جيلهم وعلم الله ما قالوا وما فهم عنهم جيلهم شيئا وما فهم عنهم أحد قط .

وبعد فانى عاتب على الصديقين الكريمين الشاعرين المجيدين محمد برهام وابراهيم صبرى أنهما أبديا رضاءهما عن هذا الذى ألقته الفتاة بين أيديهما وأنا أعرف ما هما عليه من شاعرية ورقة حس . وانى واثق أنهما أرادا أن يجاملا الفتاة ولكنها مجاملة خطيرة النتائج فقد يحسب الأبرياء ممن لم يرتكبوا هذا الشعر بعد أن هذا هو الشعر والشاعران يعلمان أن الذى سمعاه لا هو بشعر ولا هو بنثر ولا هو بكلام ولا هو ينتسب الى أى لغة من لغات أبناء آدم وانما حسبنا الله ونعم الوكيل .

الأهرام ١٩٨٥/٥/٥

أنا هنــا .. حب

كانت دعوة من المملكة السعودية لنشـــهد توزيع جوائز الدولة التقديرية لثلاثة من كبار شعراء المملكة هم الأمير عبد الله الفيصل والشاعر أحمد عبد الغفور العطار والشاعر طاهر والزمخشرى . وقد شهد جلالة الملك فهد حفل تقديم الجوائز وكان الحفل جليلا مهيبا يشعر معه كل مشتغل بالأدب ان المملكة السعودية تقدر الفكر وتعلى من شأنه وتحله مكان الصدارة فى حياتها العامة .

وانتهزت الفرصة المتاحة لأعتمر وأزور أحب مكان الى قلبى وأحب انسان الى البشرية .

ونزلت المدينة المنورة . أى شعور نورانى يضىء جوانحى كلها وأنا على التراب الذى شرف بخطوات سيد البشر استاف الهواء الذى يملؤه عبق أنفاســه الطاهرة وأريج أردانه الزكية وعطر حديثه الســـماوى الشريف :

أنا فى المدينة أحس أننى فى لقاء مع كل من أهفو الى لقائهم أحس يد أبى تربت كتفى ، وأحس حنان أمى يدفء حوالى . بل أحس فى أنحاء المدينة مودة الزوجة ورحمتها وزينة الحياة الدنيا فى ابنتى وابنى أحس هؤلاء جميعا من أختارهم الله اليه ومن أرجو الله أن يمد حياتهم الى ما بعد حياتى يحيطون كلهم بى ، أنعم فى دفء هنىء رخى رضى من مشاعرهم .

أحس أننى هناك فى أكرم مكان من وطنى مصر فما فكرت يوما وأنا فى رحاب الرسول أننى أحمل جواز سفر وانما هناك أحمل بطاقة المواطن لا المغترب المقيم لا المرتحل .

أحس هناك أننى فى مرفأ أمين من عناء الحياة كلها فاذا هى كلها لا تساوى عندى لفتة عين .

حتى اذا خطوت الى الرحاب أحسست أن قدمى أصبحتا جناحين وأن جسمى أصبح روحا بللورية وأن الانسان منى أصبح فكرة سامية

أسمى ما تكون الفكرة هى الشوق الى القابل والحنين ألى الماضى وتجرى الدموع سيلا من عينى ومن فؤادى ومن كل جارحة فى جوانحى ولكنها دموع لا تجرى الا فى البقعة الطهر · كل قطرة منها لمحة من نور وقبس من ضياء وومضة من ايمان ·

انا هنا حب · أنا هنا روح مجنحة تحوم حول قمة البشرية التى تصل ذروتها الى سدرة المنتهى والتى تصل بين كرسى العرش تطوف حواليه الملائكة مسبحين وبين جنبات الأرض التى ترزح فيها وعلى أكتافنا أوزارنا لا نطيق حملها الا بما نفحه لنا أعظم الأنبياء وخاتمهم من روح الله من وسيع الرحمة الرؤوف بعباده الشـــفوق عليهم الملك القدوس الســـلام ·

أنا أمام الرسول بلا أحمال ، أنا روح مهمومة فى تاريخه الذى كان به العلم الفرد فى دنيا البشر · انسانا اختاره خالق الأكوان ليحمل رسالته · وألقى عليه القول ثقيلا ترزح به الجبال الشم الرواسى ·

وحمل هو الرسالة · رسولا بشرا · لا يتخلى عن بشريته ولا عن تطامنه وحياته يقف القـادم اليه مبهورا متخشعا يخشى أن يهم اليـه بالسلام · ويرى الرسول البشر أثار الروع فى عينى الرجل فيبتسم اليه ويدعوه « ادخل فما أنا الا ابن أمرأة كانت تأكل القديد بمكة » يا من صلى الله عليك وسلم · النبى المختار سيد البشر أجمعين الذى استلم عرش مالك الأكوان والذى أسرى به ربه من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى والذى أرسله الحق سبحانه الى الناس كافة والذى ختم به رب السماوات والأرض رسالات السماء الى الأرض · هذا جميعه فى رأى نفسه ليس الا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة ·· يا من صلى الله عليك وسلم ·

وانخلعت من رحاب الرسول كما تنخلع الشجرة من مغرسها ·

وذهبت اعتمر عند بيت الله الحرام ·· الرهبة والخشوع والرجاء والأمل والتوبة والايمان هناك عند أول بيت رفع للناس · ورحت أطوف وأطوف وكنت أتحرى أن أطوف حول أستار الكعبة دون أن أدور حول حجر اسماعيل فما لبث أن نبت لى فى طوافى حارس من حراس الكعبة وسادن من سدنتها وسألنى السادن :

ـ ماذا تفعل ؟

قلت :

ـ أطوف كمـا ترى •

قــال :

ـ كم مرة طفت ؟

قلت :

ـ ست مرات

قــال :

ـ لابد أن تعيدها وكأنك ما طفت

قلت :

ـ لماذا ؟

قــال :

ـ ان حجر اسماعيل مكمل للكعبة المشرفة ولابد أن تطوف حوله وأنا فى العبادات لا أناقش • وبدأت أطوف مرة أخرى حريصا على أن ألف حول حجر اسماعيل وفى الطواف الخامس رأيت السادن الذى صحح طوافى فخطر لى أن أسأله :

ـ قل لى يا أخى بربك

ـ نعـــم

ـ هل كان حجر اسماعيل بهيئته هذه موجـودا عند أول طواف للنبى صلى الله عليه وسلم حول الكعبة بالمسلمين •

وصمت السادن حينا ثم قال :

ـ والله لا أدرى •• لابد أن أسأل الفقهاء •

وهأنذا أسأل عنه الفقهاء • وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يكتب لى عنده طوافى بالكعبة ثلاث عشرة مرة وهو سـبحانه يدرى ولا يدرى غيره ماذا يصنع بى المشى حافيا من اجهاد •• وهو أيضا يدرى ولا يدرى غيره الى أى مدى كان جهدى حبيبا الى نفسى •

وبعد فاننى أعتقد أن لا ينبغى لى أن ألقى القلم قبل أن أحيى الأمير فيصل بن فهد • لا لدعوته لى فقد شكرته على ذلك وانما من حقه علينا

نحن الكتاب ونحن الذين كثيرا ما أخذنا على أثرياء السعودية المآخذ أن نشيد بهذا الشاب الذى رفض ان يكون فتى لاهيا يأخذ الحياة من طريق المتعة واللهو · وانما جعل متعته العمل الجاد الدؤوب وهو ابن الملك · وهو شـــاب جميل الطلعـــة فى مقتبل العمر وزهـــوة الفتـــوة وعنفوان الشـــــباب ·

ولكنك ترى فيه الرجل العظيم المهيب فى حياء الكرام وتواضعهم يصرف همه كله لمجد المملكة ولمجد العروبة والمثل العليا ·

فهو المشرف على الرياضة فى المملكة وهو المشرف على لجان جوائز الدولة التقديرية اشراف ادارة تاركا التقدير الأدبى للمختصين · وهو الذى أنشأ فى المملكة لأول مرة فى تاريخها النوادى الأدبية يجتمع فيها الشباب حول العلماء والأدباء والشعراء ·

ان الأرض العربية التى شرفها الله ببيته وبأن تكون مثوى نبيه الأمجد لا يمكن أن تجدب من الرجال بل انها ما زالت الأرض الطيبة المعطاء التى تنبت أمثال الأمير فيصل بن فهد والأمير حمود بن عبد العزيز الذى يعنى بالأدب والكتاب كل العناية ويقرأ لهم فى امعان وتعمق والأمير سلمان الرجل القوال الفعال · واذا كان هؤلاء هم الذين لقيتهم فى بضعة أيام فلابد أن هناك ممن لم يكن لى حظ لقائهم كثيرين ممن يستطيعون أن يبعثوا الى نفوس المسلمين بالطمأنينة والأمن أن القائمين على مشاعرهم وسدنة الحرمين أئمة هداة ·· مثل رفيعة فى الجدية والخلق الأسنى والأدب الجم وان قال قائل فماذا ترى فى غير هؤلاء ممن يجلبون ما يجلبون من اساءة الى أنفسهم وبلادهم ذكرت البيت الذى قاله الشاعر توفيق عوضى أباظة ·

حتى قريش لهـــا أنف وأذنـــاب

فى كل طائفة فى الناس أوشـــاب

وأمثال هؤلاء الأمراء العظام خير اعتذار عن المسيئين · فان هؤلاء المصلحين هم الحســـنات يذهبن السيئات والحمد لله من قبل ومن بعـــد ؟

الأهرام ١٩٨٥/٥/١٢

الله خير الماكرين

توالت الخطابات الى تبـــارك ما كتبته عن الشيوعية والشيوعيين تحمد لى ما أذعته عن استيلائهم على وجه الاعلام المصرى • وانه لشعور طيب أن يشعر الكاتب أن ما يكتبه انما هو تعبير عن مشاعر قومه • وان كتابة خطابه تدل فى ذاتها على التحمس والاصرار أن يبلغ القــارىء رأيه الى كاتبه •

ولكن أهم ما جاء فى هذه الخطابات التى نشرت منهــا خطابا واحدا أن مصر أطلقت بما كتبت آهة كانت مكبوتة فى جنبات شعبها • فقد رأوا سنوات الستينيات تعود بوجهها الكئيب البشــع الملىء بالبثور وبالرعب وبالجبروت وبالطغيان واستعباد الانســـان وتحطيم كل المعانى الرفيعــة فى الحياة •

وأنا حين أكتب ما أكتب لا أرهب الشيوعيين ولا أحفل بهم ولا يعنينى أمرهم أقل عناية وانما كل خشيتى أن يصبح وجه مصر أمام الداخل رعبا وينصب على الشعب الذى عانى ما عانى من ألوان الخسف رهب أن يعود الخسف اليه ويصبح الانسان المصرى مرة أخرى يتلفت حواليه قبل أن يلتقط شهيقا أو يخرج زفيرا •

وأخشى وتلك خشية وقعت وأصبحت حقيقة أن يمتنع أبناء مصر الذين كانوا قد أمنوا لبلادهم واطمانوا الى مصائر أموالهم فيها عن ارسال أموالهم الى مصارف مصر كما كانوا يرسلون • وكيف يأمنون أن يرسلوا هذه الأموال مع الاضطراب الاقتصادى الذى وقع بمصر والذى باركه الشيوعيون وأحاطوه بألوان التهليل التى يجيدونها كل الاجادة • حتى اذا انحسر الاضطراب اليوم وبدأ الاقتصـــاد المصرى يعود الى شىء من الطمأنينة ظلت أبواق الشيوعيين التى تملأ الصحف القومية والتى تسد أقطار التليفزيون وميكروفونات الاذاعة تثير الذعــر والخوف فى نفوس المصريين فى الخارج وتزجرهم أن يرسلوا أموالهــم • فهــم فى بعدهم لن يعرفوا أن هذه الأصوات ما هى الا عويل الشيوعيين وصراخهم متجمعا فيبدو كأنه صادر عن الكثرة وهو فى الحقيقة يمثل هذا الحزب الذى

تقدم الى الانتخابات فلم ينل مقعدا وحدا فى مجلس شعب أو مجلس شورى • والذين يعيشون خارج مصر • يقرأون الصحف وبعضهم يسمع الاذاعة وبعض منهم يشاهد التليفزيون • وهم يعرفون أحوال بلادهم من هذه الوسائل • فهم حين يقرأون الصحف فيجدون الصوت الشيوعى هو أعلاها نغمة ويجدون الشيوعيين يطلون عليهم بوحشية من كل الصحف • وحين يسمعون الاذاعة فيجدون التمثيليات كثيرا ما تنبعث عن الفكر الشيوعى المادى الديكتاتورى واذا رأوا التليفزيون وشاهدوا التمثيليات التى أصبحت ولا عمل لها الا مهاجمة الحرية الاقتصادية والدعوة الصريحة حينا والمتنكرة أحيانا الى عهد الانغلاق والكبت والحبس والستار الحديدى • وهم حين يشاهدون تمثيلية تمجد باقتصاد مصر • ولن يكون ذلك والشيوعيون هم أئمة الاعلام المصرى فان هؤلاء لا أمل لهم الا خراب مصر ساء ما يأملون • وكره الله ما يبيتون وانه سبحانه لماكر بهم فمحبط ما عليه يتآمرون والله خير الماكرين •

هزيمة ٥٦ التى نال بها اليهود شرم الشيخ ولا تذكر شيئا عن نصر ٧٣ الذى رد الى العرب كل العرب كرامتهم والتى قدم فيها الجيش المصرى بعون من الله القدير المتعال معجزة بعد ان انتهت عصور المعجزات والتى دبر لها وقدر وأمر بها الزعيم الخالد على مدى الزمان أنور السادات حين يشاهدون هذا يحبسون أموالهم عن ان تشارك فى الاقتصاد المصرى • بعد ان كانوا سعداء غاية السعادة ان أموالهم أصبحت من العمد الأساسية فى خير مصر وفى سعيها أن تزيح ما تركه عهد القحط والخراب والمخابرات والاعتداء على الأموال العامة والخاصة وعلى الأعراض العامة والخاصة أيضا •

فالذى يصنعه الشيوعيون فى الاعلام المصرى ليس مجرد أصوات • انما هو وجه مصر يخشاه من بداخلها ويتصرف من بخارجها على أساسه •

فليس الأمر مجرد مقالة أو تمثيلية ، فلو كان هذا كل ما ينتج عن صراخهم لهان الأمر ولما استحق منا أى تعليق •

فمصر لن تكون شيوعية أبدا • مصر ذات الآلاف من السنوات هى مهد الايمان • عرفت التوحيد أول من عرف وكل معابد الفراعنة صروح لايمان مصر بالسماء وكل كنائس مصر صروح لايمان الأقباط بالله والمسيح • وعشرات الألوف من المآذن فى أرجاء مصر من أقصاها الى أقصاها حصون شامخة شماء تدمر الشيوعية وتمزق أعلامها وتمحق أفكارها وتقضى على تدبيرها الخبيث •

فما أنا بخائف من هؤلاء المهازيل على مستقبل مصر فى عقيدتها ودينها وديموقراطيتها وانما أنا أخشى أن تكون أصواتهم هذه تخريبا لاقتصاد مصر فى وقت لا تحتمل فيه مصر أى مساس باقتصادها .

أخشى ان يداخل المشروعات التى أصبحت أساسا فى الاقتصاد المصرى نوع من القلق فتقبض يدها وتكف عن التوسع والسعى الى التقدم الفنى والعلمى . ولا أمل لاقتصاد مصر الا فى التقدم العلمى والأخذ بآخر ما وصلت اليه المباحث الجديدة المتطورة فى جميع فروع الحياة .

أخشى أن تهرب أموال تفكر فى الدخول. وأخشى أن يشيع عن مصر انها عادت دارا لا يأمن فيها المال ولا يطمئن فى ربوعها المستثمرون .

وليعلم الجميع أن المستثمر اذا لم يربح فهو لن يقدم ماله فقد يتبرع شخص بملايين الجنيهات . ولكن الشخص نفسه لا يضع مائة جنيه فى مشروع صناعى أو تجارى لا يدر عليه ربحا .

ولست أدرى لماذا تعمل كل التمثيليات فى التليفزيون على ذم الربح وكأنه جريمة قتل . والمسلمون منهم وغير المسلمين يعلمون أن الربح فى التجارة عمل مشروع تباركه جميع الأديان بلا استثناء .

من حق التمثيليات بل من واجبها أن تهاجم الجشع .. أن ترفض الغش .. أن تمحق التحايل .. أن تشجب النصب .

ولكن من واجبها أيضا أن تبارك الرزق الحلال . من واجب الاعلام بل واجبه الأول وقبل أى شىء آخر أن يبث فى نفوس العالم وفى نفوس المصريين الثقة بمصر .

الأهرام ١٩٨٥/٥/١٩

القــــــارعة

فى شارع من أكبر شوارع الزمالك رجـل فى الحلقة الخامسة من عمره يقف فى جدية واضحة يشير للسيارات لتسير أو يشير لها أن تقف وعلى مبعدة خطوات منه يقف شرطى المرور ولكنه لا يحفل به ولا يكترث به وكأنه غير موجود ٠

والرجل مقتنع كل الاقتنــاع أنه لولاه لتوقفت حـركة المرور فى الشارع وهو واثق أنها اذا توقفت فى الشارع توقفت فى القاهرة كلها وأحسب أنه على يقين أن هذه الحركة اذا توقفت توقف العالم عن الدوران وكفت الحياة عن الحياة ٠

وتنظر اليه فتدرك أنه مقتنع غاية الاقتناع أنه لولا يده التى يشير بها للسيارات أن تسير ما سارت وأن هذه السيارات بسيرها تسير الأيام جميعـا ٠

واحســــده ٠٠

فقد اطمأن الى أهمية وظيفته فى الحياة وارتاح الى طمأنينته غـير حافل شأن الناس جميعا اقتنعوا بالحقيقة الثابتة فى يقينه أم لم يقتنعوا ٠

وما قيمة رأى الناس ما دام هو واثقا من حقيقة العمل الخطير الذى يقوم به ، وأحسب أنه لو كان على المامه بالشعر العربى لوضع لافتة فوق رأسه تحمل بيت المتنبى الخالد يرد بها على نظرات السخرية والاستخفاف التى تطالعه من عيون المارة الراجلين والراكبين على السواء ، ويتحدى بها علامات الاستغراب التى ترتسم على وجوه البشرية فى الشارع الذى يحرك منه الكون جميعا ٠

وهكذا كنت فى أهلى وفى وطنى
ان النفيس غريب حيثما كانا

أما هذا الرجل فواضح المعالم والحقيقة من أمره لا شك فيها ولا اختلاف حولها لأنه يعرض امر نفسه على الناس أجمعين ، وكلهم واثق من حقيقته ، وبعضهم يشفق عليه وتأخذه به تلك اللمسة السماوية التى أودع الله منها قبسا فى ضمائر بعض الناس . فاذا قدر لك ان تقف بعض الحين تراقبه لرأيت ثم يدا تمتد اليه من حين الى آخر تمنحه همسة من رحمة متمثلة فى مبلغ من المال الله وحده يعلم مقداره .

ويأخذ هو ما تمنحه له السماء فى كبرياء صاحب الحق يتسلم حقه ويرفع يده بتحية فيها اباء ويستأنف عمله من أدارة حركة الكون .

هذا رجل ـ فيما أقدر ـ مرت به ألوان من تقلبات الحياة وخاض غمرات الأمواج حتى وجد شاطئه فى مكانه هذا والتمس عنده مأمنه من الحياة فأمن واستقر ، والتقط اللاهث من أنفاسه المفزعة ، وتصالح مع الحياة ووثق أنها تصالحت معه ، فهو لا يسىء الى أحد ، ولا يعبأ بمن يحاول ان يسىء اليه وانما ينصرف عنه انصراف الكبار عن لهو الصغار .

ترى كم فى حياة الناس من أمثال هذا الرجل ولا يعرف الناس عنهم شيئا تسترهم الحجرات ويتخفون وراء غلالات رقيقة من علم ساذج استطاعوا بها أن يستخفوا عقول الكبار ويجعلوهم يتوهمون أنهم أصحاب ثقافة أو أصحاب علم أو أصحاب دراية وهم من هذا جميعا أبرياء ، وحين يتزاوج الغرور من الضائعين بالجهل ممن يملكون تقسيم الوظائف يثب الى الكراسى أمثال هذا الرجل الواقف فى شارع من شوارع القاهرة .

أما هو فمجرد من السلطان مقصى عن اصدار الأوامر . وأما هم فبيدهم أدوات يملكون بها أن يصدروا الأوامر أو يصدروا الأحكام فى شئون الحياة .

وفى الميدان الذى أعمل فيه أرى رأى العين من يحسب نفسه أديبا لم تجد بمثله الأزمان فى قديمها وحديثها ، وأراه رأى العين شأنه شأن المسكين الذى يظن أنه يدبر الكون من شارع فى القاهرة يظن أنه لولاه ما وجد الأدب العربى كله .

والأدب ميدان قاس عنيف لا يقبل الهزل ولا يعترف بالتجل ولابد للأديب من انتاج ، ولابد ان يكون هذا الانتاج متفردا حتى يبدأ الأدب فى تقويم هذا الأديب والقاء النظر اليه والحكم عليه ان كان يستحق أن يكون أديبا أو لا يستحق .

أما هؤلاء الذين اطمأنوا الى مكانتهم الأدبية فأنا أعرف بينهم من ليس له انتاج على الاطلاق وأعرف منهم من له قصة قصيرة أو بعض أقاصيص لاتزيد على أربع أو خمس ·

ولكن لهؤلاء أصدقاء يملكون أن يرموا بهم الى كراسى مناصب فاذا هم فى وقاحة أو ان شئت الكلمة الدقيقة نقل فى نجور يطلقون أحكامهم الجامعة المانعة على الجبال الرواسى والقمم الشامخات ولا يحاول واحد منهم أن يسأل نفسه ماذا قدمت أنا حتى أحكم على الآخرين ، ولكن النفس مولعة بخداع نفسها ، وهذا سؤال لايرد على تفكيره ·· وهل هو صاحب تفكير حتى يرد عليه سؤال ·

لقد حكم وحكمه نهائى بلا حيثيات وبلا معارضة ولا استئناف لأنه مثل الرجل الذى يحرك الكون لا يحفل بشأن الناس وليس يعنيه أن يقولوا عنه فاجر يدعى لنفسه ما ليس له ، ويضع ذاته فى المكان الوحيد الذى ينبغى له أن يختفى منه ·

أما الرجل الذى يحرك المرور والكون فقد استمد وظيفته من طغيان الأيام عليه ومن قسوة الزمان على مجـــرى حيـــاته ومن عنف المقادير بانسانيته ·

أما هؤلاء الآخرون فقد خادعوا أنفسهم ووجدوا من المهازيل من يقبل أن يكون مخدوعا فتصدوا للحكم على الناس ووجدوا كلامهم يجمع ويطبع وينشر على الناس ·

أى زمان قدر الرحمن أن نعيش فيه حتى نرى ما نراه ، فنشهد الخطيب الأخرس والعالم الجاهل والأديب بلا أدب له والشاعر ولم يقل شعرا والناقد دون قراءة ما ينقده واذا تركنا الأدب وألقينا نظرة الى شتى مناحى الحياة وجدنا كثيرا من مناطق النفوذ يسودها الظلام القاتم حين كان ينبغى لها ان تكون حافلة بالنور ، واذا أنت حملت مصباحا وألقيت النظر على شاغليها لوجدتهم جميعا من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم فى مناصب قد تصلح لأى انسان الا لهم والجريمة ليست جريمتهم وحدهم وانما هى جريمة فيها شركاء محدودون · والشريك فى القانون يعاقب بعقوبة الفاعل الأصلى أما الشريك فى هذه الجرائم فهو فى الحقيقة هو الفاعل الأصلى

والعقاب وأقع عليه أولا ثم هو وأقع على من ولاهم ما لايستحقون من رأى الناس ثم هو واقع عليهم وعلى غيرهم من الاضطراب والمهازل والفوضى التى تسود مواقعهم وتسخر منهم كل سخرية وتحقر شأنهم كل احتقار ٠ ويومئذ تكون القارعة وما أدراك ما القارعة ٠٠ ان أمه لا شك يومئذ هاوية وما أدراك ما هى ؟! ٠٠

اللهم ياذا الرحمة والعدل ويا مالك الميزان حين ينعدم الميزان اليك وحدك نضرع وبك وحدك نستجير ٠٠ سبحانك ٠

الأهرام ١٩٨٥/٥/٢٦

السمعة الجديدة

أما هو فأستاذ في علمه له في مصر شهرة واسعة وله في المجامع العلمية العالمية اسم لامع معروف تخرج على يديه أساتذة معروفون في علمهم اكتسبوا الشهرة والاسم النقي في ميدانهم • أحيل الى المعاش منذ سنوات ثلاث فأبى أن يكتفي بممارسة عمله وأحب أن يفيد بلاده بخبرته ويستفيد من توظيف ماله في وقت معا •

والرجل شديد الايمان • شديد الحرص على أداء شعائر دينه بكل اخلاص حتى انه يغالي بعض الشيء ولا يرضى أن يفعل شيئا مهما يكن هينا • فيه ميل أي ميل عن أمر الله أو سنة نبيه عليه الصلاة والسلام • فاذا لعب أصدقاؤه النرد أو الورق شاركهم فاذا أحبوا ان يكون اللعب بملاليم على سبيل الدعابة واضفاء الحماسة على تنافسهم أبى في صلابة لا تعرف المهادنة ويقولون له انها ملاليم • فيرفض فالدين لم يحدد مبلغا أدنى للقمار •

هكذا هو في كل صغيرة أو كبيرة من حياته • وهو يقدم الزكاة في كل عام مضاعفة أضعافا • وهو يكرم المحتاج في سعادة منه ان أتاح له الله ان يكرم محتاجا • ومادام كذلك هو مع سائر الناس • فهو مع أبنائه وأهل بيته من أكرم الناس يدا • وهو ذو دار لا تتوقف عن استقبال الضيوف زرافات ووحدانا • ولكن الخمر لم تدخل بيته قط حتى ولو كان المدعوون من الأجانب الذين لا يعرفون كيف يكون المطعم اذا لم يرافقه من الخمر مشرب ، هكذا هو •

وهو في الشئون الهندسية على علم موفور • فحين أقام المصنع أقامه على آخر ما وصل اليه العلم الحديث من اتقان ولم يدخر وسعا ولا جهدا ولا مالا ليكون مصنعه لائقا بالاتسم الكبير الذى يحمله •

وجاء المختص من الحكومة ليرخص للمصنع بالعمل فاذا به يرفض مرتئيا أن المصنع تنقصه الشروط الواجبة • وفهم الأستاذ صاحب المصنع مماحكة المندوب • ولكنه ادعى الغفلة ونفذ له ما يريد على الرغم من معرفته

أن الشروط لا تحتم وجود هذه الطلبات • وتكرر قدوم المندوب وتكرر الرفض • وأخيرا طلب المندوب الرشوة صريحة من مساعدي الأستاذ فقال الأستاذ :

لو كنت أنوى أن أقدم رشوة لقدمتها من أول يوم • ولكن هيهات •

ويقول المساعدون :

الدنيا كلها على هذه الحال •

ويقول الأستاذ :

فهى دنيا كافرة

ويقولون :

ولكن تكاليف المصنع قاربت المليونين من الجنيهات •

ويقول :

ولكن المليونين من الجنيهات وملايين العالم أجمع لا تساوى قوله تعالى « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » صدق الله العظيم (البقرة ١٨٨) ويبلغ المساعدون قرار الأستاذ الى المرتشى فيصيح :

اذا هو لم يدفع ما أطلبه فان سمعتى ستسوء فى المصانع الأخرى جميعها • كل المصانع تدفع لى عند الانشاء المبلغ الذى أطلبه • وكل المصانع تدفع لى مبلغا شهريا فاذا أنا استثنيت مصنع الأستاذ ساءت سمعتى بين كل المصانع التى أتعامل معها •

ويصر الأستاذ على موقفه ويصر المرتشى • والوزير المسئول رجل شريف وهو صديق للأستاذ ولكنه يقف من الموظف المرتشى مكتوف اليدين مكبل الارادة لا يستطيع حتى ان ينقله من وظيفته فهو يعلم أنه اذا فعل ، فسيرده القانون الى وظيفته • وأعجب كيف يستطيع الوزراء ان يعملوا وهذه القوانين تقف لهم بالمرصاد وكيف تستطيع السلطة التشريعية أن تسائلهم • ان المساءلة لا تكون الا عند المسئولية فأين المسئولية عند الوزير اذا كان عاجزا عن أن ينظم وزارته التنظيم الذى يراه كفيلا بتوفير الشرف والنزاهة فى ربوع هذه الوزارة •

لا ٠٠ لاتقل أن المرتشى ينال جزاءه ٠ فقضـــايا الرشوة التى يتم ضبطها لا تبلغ فى نسبتها واحدا الى ألف من عمليات الرشوة التى تتم ٠

والشرف سمعة ٠ والموظف الشريف معروف والمرتشى مشهور ولكنه فى أمان تام مادام يتقاضى رشوته سرا ٠٠ وما أعلم بعد أن الرشوة يمكن أن تكون علنية جهيرة ٠

ويستخرج الاستاذ صاحب المصنع عينه من نتاج مصنعه ونتـاج مصنعه داخل فى صميم اختصاصه الذى ظل يعلمة للاجيال عشرات من السنين ٠ ويكلم المسئول عن اعطاء الرأى فى العينة انه مرسلها اليه فاذا هو أيضا من المرتشين وهل أدل على قبوله للرشوة من رده على الأستاذ :

أظن أنها ستكون مخالفة للمواصفات ٠٠ وأظن أنه خير لك أن تصرف النظر عن الموضوع كله ولكن على كل حال لا بأس أرسل العينة ٠

انه قاض حكم فى القضية قبل أن تعرض عليه ٠ ان عمله مثل عمل القاضى ولكنه لم يخجل أن يصدر الحكم فى مواجهة صاحب الشأن دون أن تكون العينة فى يده على الأقل حتى يستر لصـــوصيته ولكن لماذا يسترها ٠ ومن أى جهة يمكن أن يخاف مادام على ثقة أن الوزير وهو الوزير لا يستطيع أن يسائله أو ينقله أو يتخذ أى اجراء يرد به أظافره القاتلة عن مصالح الناس ٠

واقرأ ما كتبه منذ أسابيع أخونا الأستاذ موسى صبرى عن حـــالة مشابهة وتقطع النفس حسرات ٠ كيف يمكن أن نفكر فى أى تقدم وأمثال هؤلاء هم الحكام الحقيقيون ٠ فالوزراء يعملون بمساعدين ٠ ومهما يكن الوزير شريفا فان وزارته لن ينالها نصيب من هذا الشرف مادامت الرشوة قد أصبحت عملا مشروعا لا يستطيع الوزير أن يحاسب عليه ٠

الأهرام ١٩٨٥/٦/٢

حيرة ٠٠٠ ؟!

الى الرحاب القدسى من ساحة الرحمن يتوجه المكروب والملهوف وذو الحاجة فيجد نفسه المظلمة الخراب قد أشرقت بالنور الالهى ٠٠ وأينع نبتها واخضل زرعها وأطل الندى جديبها واستقبل الحيـاة بعد ادبار وتسمت الأمل بعد اليأس ٠

فيالهؤلاء المساكين الذين لا اله لهم ٠ الى من يتوجهـون والى أى مشرق أمل ينظرون ٠

ويل لهم لقد اختاروا لأنفسهم اليأس الذى لا أمل له والكرب الذى لا فرجة فيه والسواد الذى لا يستطيع شعاع أن يكشفه ٠

فلا عجب ان كانت نفوسهم كلها حقدا خالصا ولا غرو ان كانت قلوبهم كلها كراهية داكنة معتمة ٠

هم لا يسـتطيعون أن يقدموا حبـا لأنهم لا يعرفون فى قلوبهم الا البغضاء والتحاقد والسخيمة والدمار ٠

وهم لايريدون فى الحياة سلاما لأن نفوسـهم مـوات ودماء وقهر وطغيـان ٠

وكيف لهم ان يعرفوا غير هذا وهم لا يؤمنون بالله السلام الرحمن الرحيم الغفور ٠

الذين لايعرفون الله يريدونها حـربا بين أبنـاء الوطن الواحد وحربا بين أبناء الجنس البشرى أجمع فمع الحروب يسود الخراب وفى الأرض الخراب تنبت أزهارهم ويخضل نبتهم وعلى الخـراب يقيمون عروشهم أركانها قهر الانسان وقتل الايمان وكراهية الحب ونزع الأمان واشاعة البهتان وافشاء الذعر ونشر الفوضى ومحاربة القانون ومنع الخير ومباركة العدوان ٠

فلم يكن عجبا أذن ان يتحد الناصريون والشيوعيون وان كان كثير من الناس قد عجبوا وأنا منهم فى الوهلة الأولى التى شهدنا فيها تحالفهم ٠

كان عجبنا أننا شهدنا الشيوعيين يلقون ألوانا من العذاب وصنوفا من تدمير عناصر الرجولة والانسانية فيهم على يد العهد الناصرى ٠

وكنا نحسب أن التنافر بينهم سيظل الى أبد الأبدين ولكننا فجأة وجدناهم هم السادة الحكام يتسنمون مناصب الصحافة والاعلام والفنون ويملأونها من أشياعهم ومناصريهم ويملأونها أيضا ممن لا يؤمن بمذهبهم ولكنه يريد أن ينشر ان كان كاتبا ويريد أن يمثل أو يخرج ان كان ناشئا ويريد أن يعيش ان لم يكن لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ٠

ومازالت آثار أغراسهم باقية حتى اليوم فى شتى الأنحاء تحارب غير الشيوعى أو غير الناصرى وتبارك كل ما هو كفر والحاد وتمجيد للطغيان وتعظيم للظلم والقهر والعدوان ٠

وهكذا لا نسمع شيئا عن حرب رمضان الا أن يكون هجوما ورفضا مما اضطر رئيس تحرير الأهرام أن يصيح بهم فى مقاله الأخير أفيقوا وأعدلوا فان الأمر ليس لهوا ولا هو لعبا ٠

وأنا أكتب هذا الكلام اليوم بعد أن فكرت حتى ضاقت بى مسالك التفكير ٠

أما الشيوعية فنظرية واضحة المعالم معروفة الأسس طبقت فى بلاد كثيرة لا لأن لها كيانا يستطيع من يريد التعرف عليها أن يجده ٠

وصحيح أنها فشلت عند كل تطبيق الا أن هذا لا يمنع أنها نظرية لها معالمها المميزة ٠

وصحيح أن أى دولة لا يمكن أن تطبقها الا اذا ألغت تماما فكرة الأديان الا أنها تظل مع ذلك فكرة ذات سمات ظاهرة وصحيح أن الصين أضخم دولة فى التاريخ وجدت فى تطبيقها الخراب والدمار مع أن الصين كان يمكن أن تقول حسب الفرد منا رغيف العيش وليذهب كل ما عداه الى الجحيم وليس توفير ألف مليون رغيف ثلاث مرات أو مرتين فى اليوم بالشىء اليسير ولكن الصين وجدت ان النظرية ألغت الانسانية فى الشعب الصينى ولم تستطع مع ذلك ان توفر رغيف العيش ذلك لأن الصين تعتمد

على مواردها وحدها وليست مثل الاتحاد السوفيتى الذى يعتمد على موارد كل الدول التى أرغمها أن تكون تابعة له ·

صحيح هذا ولكن تظل النظرية الشيوعية مع ذلك نظرية يستطيع من يدرسها أن يجد لها مقدمات ونتائج ومعالم وملامح ·

ولكن الذى أريد أن أعرفه والذى استغلق على ما هى النظرية الناصرية ؟

ما هى المبادىء التى يمكن أن يقوم عليها الحزب الناصرى ؟

المبادىء التى يمكن أن أتصور أن تقال غير قابلة للاعلان والا فتصور معى ما طاف بخاطرى ·

المبدأ الأول : قتل حرية الانسان المصرى فى العمل أو القول أو التفكير بحيث يتم اعتقال كل من يظن العاملون فى المخابرات من رجال ونساء انه أتى شيئا من هذه الممنوعات بأى صورة من الصور والعقوبة تكون الاعتداء على المال أو العرض أو الأرواح أو كل هذه العقوبات ·

المبدأ الثانى : أموال الدولة كلها ينبغى أن تكون فى خدمة الحزب يتصرف فيها كيف يشاء وينفقها الحزب فى الأغراض التى يرى الحزب أنها تحقق الشهرة والهتاف للحزب ولما كان الحزب هو مصر جميعا فكل انجاز يحققه الحزب لنفسه انما يحققه لمصر جميعا ·

ولو مضيت فى هذا السبيل ماتوقف القلم قبل أن يكتب كتبا كاملة لا عدد لها ·

واذا كان الحزب الناصرى سيتبنى النظرية الشيوعية فما الحاجة اليه مادام منضما بكل أعضائه الى الشيوعية وأحزابها الظاهرة والخفية ·

واذا كان سيتبنى المبادىء التى نادت بها الثورة فى يولية عام ٥٢ أفلا يعتقد أن هذه المبادىء قد طبقت فعلا بكل أمانة فى غير العهد

الناصرى وعلى كل حال فما دامت طبقت والدستور يضمن الحفاظ عليها ففيم اذن يقوم حزب ليضع مبادىء موضـوعة فعلا ويضمن بقاءها دستور وحزب وحكومة ومجلسان تشريعيان ؟

حيرة ·· ولكن الله سبحانه الذى يهدى السبيل وينير الظلام ويزيل الحجب قادر أن يزيلها وانه على كل شىء قدير ·

الاهرام ١٩٨٥/٦/٩

الكاتب ضمير لا صدى

الكاتب قطرة من دماء المجتمع ينبض بنبض القلب من هذا المجتمع ، وهو يسير فى هذه الدماء عيونا لا تنام ، وخواطر لا تهدأ ، وتفكيرا لا يتوقف .

وفجأة . وعلى غير توقع منه يتور بنفسه ما يريد أن يقوله لمجتمعه .

وحين يقول فهو صوت ضميره وليس صدى لمن يكتب لهم .

هو الكلمة الحق . وليس ترديدا ولا رجعا لكلمة الآخرين . فهو يكتب رأيه هو بوحى من خالص ضميره . لا ينظر فيما يكتب الى غير الله الرحمن القهار . الرءوف الجبار . الصادق الماكر . الواهب المانع .

الكاتب ضمير والضمير صيحة نفس . والكاتب حامل القلم وبهذا القلم يفجر خطرات ضميره لتصبح صيحات صارخة تهز المجتمع هزا ليفيق الى الحق ان كان الحق غائبا . ويرتد الى الصواب ان كان على الصواب أستار وحجب .

والكاتب يجمع بين ضلوعه الماضى جميعا يتمثله فلابد أن يكون على وعى كامل بتاريخ وطنه وتاريخ البشرية . وينبغى أيضا أن يتعمق حاضره فيصل الى أبعد أغواره . من الماضى والحاضر يلقى نظرة الى المستقبل ويتنبأ بالقادم من الحوادث ويحذر بوحى شفيف من قلبه فالكاتب الذى يقيم صلته بالله يكشف الله غطاءه فبصره اذن حديد . يخترق آتى الأيام وقابل الغيب . لا بادعاء النبوة وانما بصفاء الروح وقياس المستقبل بالماضى ودراسة المقدمات التى أدت بالأمس الى نتائج بذاتها وتوقع منه اذا وضحت له هذه المقدمات أن تؤدى الى النتائج نفسها فى المستقبل كما أدت الى مثيلاتها فى الماضى .

وهكذا لا يمكن للكاتب الحق أن يكون تابعا يراد له ويساق سوق الأنعام ويستجيب لهتاف هو يعلم انه أجوف أو لدعاية هو يدرى أنها مغرضة مفتونة فارغة وليس لأحد مهما يكن شأنه ولا لجماعة مهما يكن

حجمها أن تسأل كاتبا لماذا يكتب كذا ولا يكتب فى كتب لأنه لا يستنبع فيما يكتب الا ضميره ولا يهتدى فى رأيه الا بهدى الله ٠

لا سيد للكاتب الا الله ٠ وان تسيد على الكاتب شخص أو جماعة أو غرض شخصى ضل طريقه ٠ ونميع حديثه ٠ واتسم أسلوبه بالبهتان والمخادعة والختل ٠ والقارىء يستطيع فى لحظة وامضة أن يكشف أمره ويتبين مينه ويتعرف على المداجاة فيما يقول ٠

وللكاتب وحده حق اختيار الوسيلة التى يقدم بها حديثه الى قارئه فقد يختار الرواية أو القصة أو المسرحية أو المقالة أو القصيدة ان كان شــــاعرا ٠

وليس للقارىء حق عليه الا أن كاتبه صادق مع نفسه لايدفعه الى كتابة ما يكتب الا الصالح العام ٠ فان مال عن الصالح العام الى الصالح الخاص فمن حق القارىء أن يرفضه ٠ وان أحس أنه يعبر فيما يقول عن رأى غيره ٠ رأيه له فللقارىء ان ينصرف عنه ٠

وللقارىء دائما وفى كل الأوقات أن يناقش الكاتب الرأى وله دائما وفى كل الأوقات أن يكون دقيقا كل الدقة فى هذا النقاش ٠ أما السباب والتوقح والغمز واللمز والتنابز بالألقاب فذلك شأن الأطفال الجهلة الذين أخطأهم العلم وتخلف عنهم الخلق ونكصوا عن التحضر ٠

ولقد أعلم ان قوما يقولون لماذا يكتب الأدباء فى السياسة فأعجب غاية العجب ٠ فالسياسة – فيما أعلم – شأن الناس جميعا فى كل مكان من الأرض ٠ يمارسها الأحياء كما يمارســون الحيــاة ٠ فاذا لم يناقش السياسة صاحب القلم فمن ؟

وانى أسأل هؤلاء الســائلين ٠ هل الأدب موســيقى ٠ فالموسيقى أيضا تحدثت فى السياسة ٠ أم الأدب ألفاظ وترنيمات وتهويمات ففى أى شأن تستخدم هذه الألفاظ وتلك الترنيمات وهاته التهويمات ان لم يكن فى شئون المجتمع والأمة وآماله ٠

اننا اذا كتبنا فى أى شأن من شئون الحياة فنا كان هذا الشــأن أم تاريخا أم علما فان السياسة تحتوى كل ما نكتب ٠ لأن الفن انما خلق لامتاع الناس ٠ والتــاريخ هو من صــــنع الناس يرويه الماضى للحاضر

لينتفع به الناس فى مستقبلهم • والعلم لايكون علمـا اذا لم ينتفع به النـاس •

ان الحياة كلها تعمل من أجل الحياة • وحياة الناس لا تسير بغير السياسة • ففيم اذن يكتب الكاتب اذا هو لم يكتب فى السياسة •

وانى لأسأل ثانية هل علم هؤلاء السائلون قوما بذاتهم لهم وحدهم أن يتحدثوا فى السياسة بحيث يقتصر الحديث فيها عليهم وحدهم • فمن هؤلاء ؟ أيكونون الوزراء ؟

انهم لا يستطيعون أن يتقدموا خطوة واحدة اذا هم لم يعرفوا نبض الناس ومشاعرهم • والكاتب هو لسان هذا النبض وتلك المشاعر •

أيكونون أعضـاء مجلسى الشعب والشورى فى مصر • والمجالس التشريعية بمختلف صورها فى الدول الديموقراطية الأخرى •

اذن فمن هؤلاء الأعضاء ؟ أليسوا ممثلى الشعب الناظرين فى شئونه فمن ينقل اليهم رأى الناس قاطبة اذا لم يكن الكاتب من هؤلاء الذين من حقهم وحـدهم أن يتكلموا فى السـياسـة • وليس لغيرهم أن يتكلم معهم فيها •

ان الذين يثيرون هذه الأحاديث يتركون صـلب الأمور وأسسهـا ليتكلموا فى هزيل من الشئون لايفيد ولايغنى •

أنا أنتظر نقاشا فيما أقدمه من آراء ثم يمضى يوم أو بعض اليـوم وأعرف الصدى • أما الأغلبية الكاثرة فراضية والحمد لله سـبحانه وتعالى • وأما الأقلية فتسب وتلعن وتصطنع من الألفاظ أحقرها فازداد أنا رضى وحمدا لله فقد أصبت المغرضين المنتفعين حيث أردت أن أصيب • ولكنى كنت أتمنى أن يشفعوا السب بالنقاش والشتيمة بالجدل فحين لايتحقق لى ما أتمنى تملأنى الثقة أنهم لايجدون لحجتى ردا ولا يطيقون لمنطقى دفعا فينشال منهم من ينشال وينهبد منهم من ينهبد ولا يزيدون عن السباب البذاء والعويل والبكاء وهذا ميدان يتقنه الأطفال ويعف عنه

الكبار • وما داموا قد ارتضوه لأنفسهم فهم أدرى بمكانتهم وهم بأقدارهم أعلــم •

وأما الذين دفعونى الى كتابة هذا المقال فهم أولئك السذج أو الخبثاء الذين يثيرون ذلك الســؤال المضحك الأرعن والأحمق ما شــأن الأديب بالسياسة •

والى هؤلاء أسوق مقالى وأرجو أن أكون قد أجبت ولكنى مع ذلك لا أتوقع أن أجدهم قد اقتنعوا جميعا فالأمر لم يكن محتاجا منى لهذا الجهد لو أنهم كانوا فى سؤالهم صادقين مع أنفسهم أما ان كان نفر منهم قليل يسأل أو يتساءل عن براءة وحسن طوية ونقاء ضمير فانى واثق أنهم الآن قد تبينوا الأمر وهم وحدهم يستحقون ما قدمت لهم من حديث والله وحده هو ولى التوفيق •

الأهرام ١٩٨٥/٦/١٦

ولا حتى جاهليـة !

كانت الجاهلية ضربا موبقا من الحيـاة . كانت مجتمع الانسـان المنسحق حتى هو بضاعة تباع وتشترى . ثم هو بعد أن يصبح عبدا يصير شيئا لصاحبه أن يصنع به ما يشاء بما فى ذلك القتل . وكانت الجاهلية مجتمع الانحلال الخلقى حتى سادة العرب يتاجرون فى الأعراض تحت الرايات الحمر تخفق بانهيار الشرف وضياع الحياء وغيبة النخوة وسقوط الكرامة .

وكانت الجاهلية مجتمع الرجل فله أن يتزوج ما شاء من النسـاء بغير حدود الى جانب الجوارى يتسراهن . فاذا كنت سمعت عن امرأة ذات قيمة فى الجاهلية فقد استمدت قيمتها من شخصيتها هى لا من حقوقها الاجتماعية . وحين جاء زواج الأربعة كان تحديدا لا اباحة فقد كان العدد مطلقا بلا حدود .

وكانت الجاهلية مجتمع السيف والقتل وقوة الحيوان . فلا يعيش فى أنحائها الا صاحب القوة والسلطان المستمد من السلاح فردا كان هذا القوى أم قبيلة أم جماعة من القبائل .

وجاء الاسلام فاندكت هذه الأركان جميعا .

فلا عبيد ولا سـادة . « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » صدق الله العظيم سورة الحجرات الآية ١٣ وهذه الآية وحدها من شأنها أن تكون بركانا يقضى قضاء ماحقا على مجتمع السادة والعبيد . أيكون أكرمهم أتقاهم . ولا أغناهم ولا أقواهم ولا أكثرهم جاها وعـددا وجبروتا وطغيانا فتلك اذن هى الطامة الكبرى وتلك هى نهاية زمان وبداية زمان . فلا عجب اذن أن يفعل طغـاة العرب ما فعلوا وجاء الاسـلام « ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وسـاء سبيلا » صـدق الله العظيم الاسراء الآية ٣٢ .

اذن فقد ضاع أيضا ذلك المصدر الضخم من مصادر المال ونكست الرايات الحمر وأصبحت هباءة عدما تحرم باعة الأعراض والشرف من

تجارتهم الدنسة وتنضب ينابيع المال التى كانت تنسكب عليهم من هاته الخيام المنكرة الذميمة .

وجاء الاسلام فاذا هو يرفع نور السلام على العالمين « لهم دار السلام» النساء ــ ٩٤ ، ويقول تعالى فى سورة يونس « دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام » . ويقول في سورة الحجر « ادخلوها بسلام أمنين » ويقول في سورة طه « والسلام على من اتبع الهدى » ويقول في سورة ق « ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود » ويقول فى سورة الحشر « هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام » ويقول فى الفرقان « ويلقون فيها تحية وسلاما » وفى سورة الواقعة « الا قيلا سلاما سلاما » فهو دين السلام اذن فلا عدوان ولا اعتزاز بالسيف على غير حق ولا اغارة عن الآمنين .

وحين رفع الاسلام السيف رفعة من أجل السلام واستتب به السلام فلم يفتح دولة الا ما كان يتوقع منها أن تهدد الآمنين من شعوبه ولم يرغم فردا على الاسلام وانما هو سلام سلام ومن يرغب فى اعتناقه عن اقتناع واقبال فأهلا ومن يبتغى البقاء على دينه فأمن هو مطمئن وسلام عليه سلام .

واندثرت الجاهلية وزالت معالمها ولم يبق من أثارها الا ما يرضاه الاسلام . وعلى المدى التاريخى لم يكن هناك عهد كله شرور فلا بد أن تكون هناك اشعاعات من نور فى دامس الظلام . فما بعجيب أن يبقى من الجاهلية النجدة والشجاعة واغاثة الملهوف واعانة المحتاج ورعاية الجار واكرام من علت بهم السن .

ومرت الأجيال فأين نحن اليوم من الاسلام ومما بقى من أخلاق فيها سجاحة وان كانت الى الجاهلية تنتسب .

الظلام يلف العالم الاسلامى أجمع فلا ضياء من الاسلام ينير سماءه ولا بصيص من شرف يومض بين جنبـاته . القتـــل والدمار والسرقة والانتهاب والبغى والعدوان . والهول المبيد . والفرقة والتنابذ والشقاق والتناحر والمســـلم يقتل مســـلما . والجميع يقتلون الحق والاشراق والسلام والايمان .

الدول تتخذ من الدول عبيدا . وبعــد أن كانت العبــودية لأفراد أصبحت العبودية لجماعات بأسرها ولأوطان بأكملها . وانظر الى أفغانستان

والى دول المسلمين صامتة راضية وانظر الى سوريا وما تصنعه بلبنان والى لبنان وما تصنعه جماعات منها مسلمة بجماعات منها مسلمة . وانظر الى تلك الداهية الدهياء فى العراق وايران . وهذا النكبة النكباء المسماة القذافى .

أين هذا من الاسلام ؟ بل وأين هذا من الجاهلية ؟ ويل للعالم . أهو يتقدم أم يرجع القهقرى الى أحط عهود الانسانية وأشدها وبالا وأتعسها حالا ؟

أيثب الانسان الى القمر بعلمه وينحدر الى القرود بخلقه ؟

كيف يتحطم لمنطق ويتهشم بهذه الصورة البشعة ؟

ما كان أغنانا عن القمر اذا كنا لا نستطيع أن نحافظ على الأرض .

واذا نظرنا الى مجتمعنا هذا المصرى الذى نعيش فيه طالعتنا الدواهى الآخذات .

لقد تحطم فى مصر الكثير الكثير مما كانت تعتز به مصر . المسلم ينسى اسلامه ويسرق ويرتشى ويثير الفتنة ولا يرعى الله ويعبد المال وكأنه سيصحبه معه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ، أو المسلم يغالى فى دينه ويبالغ مبالغة مفتعلة مصطنعة ناسيا قوله تعالى « لاتغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق » النساء ١٧١ وقوله مرة أخرى فى الآية ٧٧ من سورة المائدة « قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق » يريدون ان يتخذوا الدين وسيلة الى سلطان الدنيا . بئس ما يبيتون . والله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وهو سبحانه يدرى أن بعضهم بل بعض زعمائهم منغمسون فى الغى الى الأذقان لا يتورعون عن الموبقات ما ثقل منها وما هو أقرب ما يكون الى الكفر . يتظاهرون بالورع وهم فيما يظنونه خفاء يرتكبون الكبائر لا يعفون عن أغلظها شأنا وأحطها قدرا .

وأين الجاهلية بما أجاز الاسلام من بعض أخلاقها ؟ أين النجدة والشجاعة واغاثة الملهوف واعانة المحتاج ورعاية الجار واكرام الكبار ؟

وأين لغة القرآن ؟ وأين لغة العرب ؟

أما النجدة فأغلب الظن أن كثيرا من القراء لن يعرف معناها وهو يقرأها الآن ·

وأين الشجاعة وقد أصبح النفاق هو سمة العصر فلا تسمع كلمة حق الا من النادرين القلة الذين لا يزالون يعتبرون أن الكلمة عرض وشرف ·

وأين اغاثة الملهوف وأنت تجد الموظف يأبى أن يؤدى وظيفته الطبيعية الا اذا أصاب ما لا يجوز له من مال ويسميه اكرامية وهو عند الحق رشوة · وهل لمرتش أن يغيث ملهوفا · كيف ؟ شرف وخسة لا يجتمعان ، كما لا تجتمع الأمانة مع السرقة أبدا ·

وأصبحت رعاية الجار عدوانا على أمن بيته بالأصوات الصارخة من أدوات الاعلام أو من أبواق السيارات هذا اذا لم يتمثل العدوان فى تشابك بالأيدى أو الألسنة ·

وما دمنا لا نرعى شأن الجار اللصيق فما بعجيب أن نسكت عما يحدث لأخواننا فى الاسلام فى بلغاريا والاسلام قربى ونسب · فما بالنا لم نر دولة من دول الاسلام حركت ساكنا لنصرة أخوتها فى الاسلام ولو بقطع العلاقات مع بلغاريا ·

لقد كان العرب سباقين الى قطع العلاقات مع زعيمتهم مصر لأنها استردت أرضها ولأنها وقعت معاهدة كامب ديفيد التى يلهثون اليوم جميعا الى معاهدة قريبة منها فتنقطع أنفاسهم وتنغلق دونهم الطرائق وتسد أمامهم المسالك ·

وحين يقعد بهم العجز لا يجدون متنفسا لغيظهم الا سب مصر وكامب ديفيد فعل الثعلب الذى لم يصل الى العنب فراح يصب على العناقيد جام غضبه ·

أيقطعون العلاقات مع مصر لأنها انتصرت لهم ورفعت ذكرهم فى العالمين وأسعار بترولهم فى دنيا المال وجعلت أنوار الاسلام تتلألأ فى أنحاء العالم أجمع ، ويبقون على صلاتهم وعلائقهم مع روسيا وهى تدك المسلمين فى أفغانستان ، ومع بلغاريا وهى تنكل بالمسلمين المسالمين فى ربوعها ·

أمثل هؤلاء ننشد عندهم رعاية الجار • أليست مصر جارا لهم ، وأما لثقافاتهم ومصدرا لعلمهم وفنهم ومجدهم فى أنحاء العالم المتمدين كله • مصر الأزهر ، مصر المآذن يقطع المسلمون علاقتهم بها ويبقون على علاقاتهم مع الذين يبيدون المسلمين فى أفغانستان وينكلون بالمسلمين فى بلغاريا •

لا ورب الكعبة •• لا والحرمين •• لا اسلام فى هذا ولا حتى جاهلية الأخاء والنجدة •

واليوم نحن فى أعقاب عيد اسلامى نصطنع الفرحة على وجوهنا • ونتبادل المعايدة أمما وأفرادا وأصيح مع المتنبى :

عيد بأية حال عدت ياعيد
بما مضى أم لأمر فيك تجديد

فان تكن عدت بقدميك فلا فرحة لنا فيك وان كنت عدت لأمر فيك تجديد فلنقل البيت القديم :

منى ان تكن حقا تكن أعذب المنى
والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

الأهرام ٢٣/٤/١٩٨٥

أدب مشـــاهد ..

مشـــاهد .. لا ناقد !

الآن وقد هدأ الصخب وانفض المولد نستطيع أن نلقى نظرة متأنية على برامج رمضان .

ويقتضينا الحق أن نقدم الشكر للسيدة الفاضلة سامية صادق على الجهد العظيم الذى بذلته والذى كان من نتيجته تقديم كل هذه البرامج الحاشدة الممتازة فى شهر رمضان المبارك . وانى واثق أن الله سيجزيها خير الجزاء لقاء ما أمتعت الناس فى هذا الشهر الكريم حتى لقد جعلت كل يوم من أيامهم أمام التليفزيون عيدا وبهجة ومتعة شريفة سامية .

ولنبدأ بالفوازير .. يظن كثير من السطحيين ان الفن الرفيع لابد أن يكون مكشرا عن أنيابه غاضبا مقطبا ، وينسون ان الفن امتاع كريم يتسلل الى نفس المتلقى عن طريق مزدهر الجانبين فواح العبير ويرسى فى حناياه ــ دون أن يشعر ــ المعانى الرفيعة فى الحياة ولذلك يرفض الفن الخطب الرنانة والموعظة المباشرة والنصيحة المجردة .

وهكذا يمكن أن نقول ان الفوازير قد حققت هذا الامتـاع الفنى والجمالى معا . وانى أهنىء مخرجها أولا فهو يتمتع بموهبة فريدة تستطيع أن تجمع كل هذه المجالات التى شاهدناها فى باقة واحدة متناسقة طيبة الأريج وضاءة الألوان . ولا شك أن المخرج كان موفقا غاية التوفيق أن قدم لفوازيره بكلمات شيخ شعرائنا المعاصرين طاهر أبو فاشا وبصوت عملاقة الفن الاذاعى والتمثيلى زوزو نبيل أطال الله حياتها وعملاق فن الالقاء عبد الرحيم الزرقانى رحمه الله وأكرم مثواه .

وانى لا أستطيع أن أفصل ولكننى لابد أن أهنىء الموهبة الجديدة شريهان وأدعو الله إن يكرمها ويثبت أقدامها على الطريق القويم .

ثم انتقل الى ذلك المخرج العظيم يحيى العلمى وأقدم له أصـــدق التهنئـة على توفيقه فى تقديم أعمـال الكاتبة العظيمة صاحبة الأسلوب

الرفيع سناء البيسى . ثم أقف لاهنىء ذلك العملاق الشرقاوى الذى صعد الى سماء النجوم بقدرة فنيه معجزة أحمد زكى ما هذا يابن ديارنا . كيف استطعت أن تسيطر على فنك بهذه القوة وبعظمة الفن وحده اننى كشرقاوى مثلك أتيح لنفسى أن أفخر بك . بل اننى كمصرى بل كعربى اعتز بك .

أما سعاد حسنى فقد كانت فى قمتها وما هذا عليها بغريب . فان الفنان أو الفنانة لاتصل الى القمة على هواء وقد بلغت سعاد حسنى قمتها على الشاشة الكبيرة فما بعجيب أن تظل على القمة فى الشاشة الصغيرة أيضا .

ثم انتقل الى هذا العمل الفنى الباذخ الذى قدمه الكاتب الكبير سعد وهبه والذى أسماه بذكاء « تحقيق صحفى » فكان تحقيقا صحفيا فى غاية الصدق والجمال الفنى فى حوار أخاذ رفيع . ولم ينس الكاتب المسرحى غريزته المسرحية فسلك التحقيق بقصة بوليسية جمعت نثاره ولملمت شمله .

ثم أنا أهنىء كل الممثلين فى هذا المسلسل الذين استطاعوا أن يصمدوا بين جبلين سامقين من الفن هما سميحة أيوب ومحمود مرسى . فقد استطاع الممثلون الآخرون أن يصمدوا لأعاصير الفن الرفيع التى احاطت بهما من القمتين الشاهقتين . أما محمد فاضل فقد تفوق على نفسه وأشهد أنه قدم فى هذا المسلسل فنا رفيعا هو الذى نتوقعه منه بما له من موهبة سامقة وخبرة عريضة .

وحين نذكر الشهد والدموع لابد لى ان أشكر الأستاذ الدكتور عبد القادر القط الذى كتب عنها فى الأهرام منذ قرابة أسبوعين مقالا فى غاية الروعة أغنانى عما كنت أريد قوله للمؤلف أو عن كثير منه على الأقل . ان المؤلف الأستاذ أسامة أنور عكاشة صاحب موهبة لاشك فيها وقد استطاع بهذه الموهبة ان يكتب عملا جذابا . ولكن لماذا يا أخى جنحت الى هذه المبالغة العنيفة التى ترفضها الحياة بل ويوشك الخيال ان يرفضها أيضا . أعلمت فى حياتك أحدا يحوى كل هذا الشر وكل هذا الحقد وكل هذه الدناءة . وهناك شخصية حيرتنى بصورة مذهلة . تلك الشخصية التى قدمتها فى صديق يوسف شعبان . أنا ما عرفت فى حياتى ولاعرف الانسان أحد يصنع الشر لوجه الشر دون غاية أو مطمع الا عمل الشر .

وقل لى بربك لماذا قدمت لنا خالد زكي ذلك الوجه الحبيب الى الناس القريب الى قلوبهم فى هذه الصور المقيتة الكريهة · لقد كانت نفوس الناس تمتلىء بالكآبة كلما لاح لهم وجهه على الشاشة ·

وبعد فالذى لا شك فيه أن اقبال الناس على هذا المسلسل قيمة فى ذاته ونجاح · والمؤلف لا شـك يملك الأداة فمن حقنا عليه أن نطالبه بما لا نطالب به غيره ممن يستحق التعليق أو التنويه ·

وما وجهته للمؤلف أوجهه للمخرج اسماعيل عبد الحافظ فالعمل مسئوليته أولا وأخيرا ومن حقه علينا أن نهنئه بكل ماعدا ذلك من مناظر ونقلات واتقان فى التمثيل من جميع المشتركين معه فى المسلسل لا أستثنى منهم أحـدا ·

أما مسلسل لا اله الا الله فهو عمل رائع ولا عجب فالمؤلفة من أرسخ الناس قدما فى الأعمال الدرامية ونستطيع أن نقول فى ثقة ان أمينة الصاوى هى التى أدخلت فن المسرحة الى الدراما المصرية منذ الخمسينيات وقد أدخلتها بمقدرة فائقة وبقلم متمكن واثق ·

المادة التاريخية والمادة الدينية أشرف عليهما المتخصصون وليس من حق أحد أن يناقشهما الا أن يكون متخصصا وعلى نفس المستوى الرفيع الذى تحقق فى المراجعين ·

أما نحن فمن حقنا وربما كان من واجبنا أن نناقش العمل الفنى الدرامى وقد كانت أمينة الصاوى غاية فى البراعة واستطاعت أن تجعل من المادة التاريخية عملا جذابا تتشابك فيه الصراعات ويتصادم فيه الحرص على الدنيا والحرص على الآخرة كما استطاعت أن تقدم الحب والكراهية والمؤامرات والصداقات والخيانة والوفاء كل هذا فى لغة عربية جزلة سهلة رفيعة ·

أما الممثلون فكثير منهم من القمم الرفيعة فى حياتنا الفنية وقد كانوا جميعا غاية فى التوفيق ولكننى أعجبت بأحمـد ماهر وأعتقد أنه بـدأ صعوده الى القمة ·

وأعتقد أن السيدة العظيمة كريمة مختار فى غنى عن أى اشادة فهى شخصية أراد الله سبحانه أن يحالفها التوفيق فى كل أعمالها الفنية

أما المفاجأة التي طالعتني من هذا المسلسل فهى صفاء أبو السعود فقد عهدناها تقوم بالأدوار الخفيفة الظل كدور الفتاة الرعناء أو الضاحكة فاذا بها تتكشف فى هذا المسلسل عن ممثلة من الطبقة الرفيعة قادرة معبرة تعطى كل كلمة حقها من الحركة والاشارة والايماءة فى شموخ ملكة وفى صفاء الزوجة المحبة وفى نقاء الأم ذات الامارة وفى ذكاء السياسية البارعة. ثم هى تنطق اللغة العربية فى سلامة مذهلة وكأنها لا تتكلم الا العربية فى مألوف حياتهـــا .

والمسلسل الدينى الآخر للكاتب الكبير العظيم الأستاذ محمود شعبان كان جديرا أن يعرض فى وقت غير الذى كان يذاع فيه فهو من الأعمال الرائعة التى يحق للتليفزيون العربى أن يفخر بها وكم أرجو أن يعاد عرضه فى موعد يتـــاح فيه للجماهير أن تشـــاهده وتعجب به كما شـــاهدناه وأعجبنا به .

وبعد فأنا أكتب هذا الحديث ومازالت حلقات برديس تعرض والذى شاهدته من حلقاتها يستحق أن أهنىء عليه أخى الكاتب الكبير ابراهيم الوردانى وصديقى مصطفى محرم كاتب السيناريو وصديقى المخرج الممتاز فايز حجاب . وليس بغريب ان تكون قصـــــة الوردانى جذابة قوية ولا بغريب أن يحسن فايز حجاب اخراجها . ولا بعجيب أيضا أن يوفق الكبار نيللى وأحمد مظهر العظيم والذى بلغ السماء فى مسلسل الا اله الا الله وحسن يوسف والموفقة الدائمة التوفيق كريمة مختار . ومصطفى فهمى وعايدة عبد العزيز القديرة الثابتة الأقدام دائما .

وبعد فما أنا بناقد فنى وانما أنا مشاهد قدر لى ان أقبع طوال شهر رمضان منذ الظهيرة فى بيتى واستطاع التليفزيون أن يجذبنى اليه طوال الشهر . وأعتقد اننى أكون جاحدا منكرا للجميل اذا لم أقل لكل هؤلاء الذين عشت معهم شهرا ســـعيدا ممتعا شكرا : وهم بهذا الشـــكر جديرون .

الأهرام ١٩٨٥/٦/٣٠

معذرة .. شكسبير

فالأمر الذى لا شك فيه انك علمت ما صنعناه بك فانت الآن روح بلا جسد وأغلب الأمر أن روحك تتابع مسرحياتك حينما تمثل هذه المسرحيات يعينك على ذلك أنك تخلصت من قواعد الجسوم وابتعدت عن دنيا الناس .

وأنت رأيت ما صنعه بك التليفزيون المصرى منذ بضعة أيام . ولكن دعنى أروى للناس ما صنعه عباقرة المسرح بنا نحن المشاهدين العزل الذين لا نملك لسيطرتهم التليفزيونية دفعا أو دفاعا . وانما ينفردون بنا ويصبون علينا جام عبقريتهم فى ظلم لا يعرف الرحمة وفى قسوة لا هوادة فيها ولا شفقة .

أعلنوا يا شكسبير أنهم سيمثلون رواية من خوالدك فى التليفزيون فانتعشت بنا الآمال وأعددنا أنفسنا لمشاهدة شكسبير .

وجاء الموعد وبدأ عرض المسرحية . ويل للخالدين . ما هذا الذى يصنعونه بشكسبير . ولأى فئة من الناس يقدمون أعماله ومن هؤلاء الذين سيشاهدون شكسبير باللغة العامية ويحمدون ما يشاهدون .

أى استخفاف هذا الذى يأخذون به الأعمال الجادة الرفيعة . اذا كنا لا نريد أن نحترم شكسبير أفلا نحترم لغتنا العربية على الأقل . ولكن لا . ما الى اهانة شكسبير قصدوا . وانما المقصود بالاهانة هى اللغة العربية ذاتها . فهكذا استقر بهم الرأى . ان التقدمية والحضارة والسمو ومواكبة الزمن لا تكون الا بتحطيم اللغة العربية . واصطناع العامية وقد استطاعوا بصوتهم الجهير النكير أن يجذبوا الى ميدانهم العامى كاتبا أكن له كل احترام وتقدير وهو الدكتور سمير سرحان الذى اختار العامية ليترجم بها شكسبير وهو شكسبير . والدكتور سمير سرحان من القلة النادرين الذين يعرفون قدر شكسبير كل المعرفة والذين يجيدون لغتهم العربية كل الاجادة ولست أدرى ما الذى حدا به أن يختار العامية ليترجم بها شكسبير . ولست أدرى أيضا لماذا قبل التليفزيون اذاعتها . أغلب

الظن أن الدكتور سمير أراد أن يجدد شكسبير وأن التليفزيون المصرى اراد أن يكرم العامية ويبالغ فى تكريمها لأنه يرى العربية غير جديرة بالتكريم لأنها أصبحت شيئا قديما باليا لا يصلح لغة للحديث .

وربما خشى التليفزيون المصرى أن يرميه الجمهور بالثقافة فينصرف عنه ويبتعد عن مشاهدته كأن التليفزيون قد أصبح فجأة شركة انتاج سينمائية تخشى ألا يشترى المشاهدون التذاكر وتصبح الخسارة خسارة مادية وكأنى بالتليفزيون قد ضحى بالمكسب الثقافى ليضمن الربح المالى . وتلك اذن عجيبة . فالذى أعرفه أن هذه المسرحيات تباع الى الدول الغربية والذى لا شك فيه ان اللغة العربية أيسر عن هذه الدول من اللغة المحلية المصرى . والذى لا شك فيه أيضا أن الشعب المصرى يفهم العربية ويقرأ بها صحفه ويسمع بها نشرات أخباره فى التليفزيون والاذاعة على السواء .

ولكن اللغة العربية مع ذلك أصبحت غريبة فى مصر منذ هجر الأزهر الشريف بناء الأزهر الشريف ومنذ أصبحت دار العلوم وقد انهار الأساس الأعظم الذى كانت تقوم عليه من شرط حفظ القرآن الكريم للانتساب اليها .

منذ هذا اليوم الأغبر الكئيب فى حياة مصر أصبحت اللغة العربية بلا دار تحتمى بها وبغير موئل تأوى اليه وجاء التليفزيون بمذيعاته اللكناوات فازدادت اللغة العربية تشردا ثم أمعن التليفزيون فعرض الروايات المترجمة من اللغات الأجنبية باللغة العامية ثم ازداد اليوم امعانا فعرض شكسبير وهو شكسبير باللغة العامية .

أنعجب بعد ذلك أن نجد شبابا لا يقوم لسانه ولا يعرف لغته . ولغته هذه هى قوام دينه وأساس ايمانه وعلى صرحها الشامخ وفى قمته يقف القرآن الكريم محفوظا مقدسا بأمر من العلى القدير . مجهول الأصول تختلط معانيه وأوامره ونواهيه عند الشباب . ويريد الشباب أن يكون مؤمنا ولكنه يجهل الطريق الى الايمان لأن صلته باللغة التى يفهم بها قرآنه مقطعة الأسباب ، ممزقة الروابط ، منفصلة الأوشاج . وتبلى مصر بالطامعين فى الدنيا البائعين لآخرتهم بثمن بخس من رغبة فى سلطان فيحرفون كلام الله عن مواضعه ويتخذون منه وسيلة الى عقول الشباب البرىء الساذج ويشعلون الحريق ويؤججون النار ويعينهم جهل الشباب بلغتهم وقرآنهم ودينهم فاذا مصر المسلمة المؤمنة حصن الأزهر وسماء الآلاف من المآذن تصطلى من اجتماع الأغراض الدنيوية الرخيصة بجهل الشباب الفـادح .

واذا كنا نبكي دما لتفشي الأمية في مصر ٠ فاننا نبكي دما وروحا وقلبا لتفشي الأمية الدينية عند الشباب ٠ وتفشي الضمير الميت وبيع الآخرة بالدنيا عن المغرضين من مثيري الفتن ومشعلي الحرائق ٠

والايمان أعز ما يملك الانسان في حياته ٠ على شـاطئ منه كريم يرسو المضطرب من حياتنا ٠ وعند مرفأ منه مضيء يشرف ما اعتراه اليأس من آمالنا ٠ وعند حصن منه منيع تلوذ نفوسنا من نزغات الشيطان ٠ ومن اغراءات الحياة ٠ ومن اللذة الهدامة ٠ ومن المال الحرام ٠ ومن الكذب والنفاق والسحت والرشوة وبيع الضمير ٠

ولكن المغرضين ممن يدعون بالدين علمـا وما هم بذلك جعلوا من دينهم ساحة يصحبون فيها الشيطان ويقبلون فيها على اغراءات الحياة من لذة ومن كذب ومن نفاق ومن سحت ومن رشى ومن ضمير مباع ٠

ولكن الله أكبر ٠ والعزة له وحده ولا غالب الا هو سبحانه ٠

ان في مصر مشايخ أجلاء قادرون دائما أن يجعلوا الصحيح صحيحا وأن ينفخوا في الباطل فاذا هو زبد جفاء ٠ ويظل الباطل كما كان وكما سيبقى زهوقا هشيما محطما ٠

وقد قال المصابيح الهواة كلمتهم وهم العلماء الأئمـة ارتضيناهم للفتيا في شئون ديننا وأخذنا عنهم علمنا بكريم كتابنا وبالصحيح الثابت من سنة رسولنا ٠

وما دعا كتابنا يوما الى الفتنة بل جعلها أشد من القتل وعلى هدى هذه السنن سار سيد البشرية وخاتم الأنبياء ٠

أم جعل المغرضون من أنفسهم أنبياء جددا ٠٠ اذن فقد باءوا بسخط من الله وبغضب من رسوله وممن اتبعه باحسان الى يوم الدين ٠

ان الأمر جد لا هزل فيه ٠ فمالي اذن أرى وفي التليفزيون أيضـا شيخا يختلق قوانين ما أنزل الله بها من سلطان ويجعل من اللمم كفرا ٠٠ أي ردة ٠٠٠ أي أنه يريد أن يقيم المرتد على مخطئ أو مخطئة في رأيه دون أن يثبت خطأها في عرف جمهور الفقهاء ولا كبار أئمتهم ٠

ان انشاء الجريمة لا يكون الا بنص صريح من القرآن ذاته ٠

ولا يجوز فيها قياس ولا استصحاب ولا استحسان ولا اجتهاد فانه لا جريمة ولا عقوبة الا بنص .

اذن فهم لم يكتفوا أن يجعلوا من أنفسهم أنبياء جددا ويريدون أن يصبحوا آلهة أيضا . أم نراهم لم يقرأوا ما جاء في معنى الحديث النبوى الشريف : « من حلل حراما أو حرم حلالا فليتبوأ مكانه في النار » أو كما قال : فان لم يكونوا قرأوه أو عرفوه فقيم تصديهم للفتيا وقيم جرأتهم على حدود الله وكيف تبلغ بهم القحة أن ينشئوا جرائم تترتب عليها حدود منها اعدام النفس التي حرم الله ايذاءها الا بالحق .

اللهم ياذا الجلال . نشهد أنه لا اله الا أنت ونشهد أنك قلت تعاليت وتعالى قولك : « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشونى . اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » من الآية ٣ سورة المائدة .

اللهم ياذا العزة أنت وحدك القهار فوق عبادك وأنت القادر على الفاسقين من عبادك وأنت وحدك تعلم ما لا نعلم ومالا أحد يعلم سبحانك انك أنت العزيز القدير . بشيرا ونذيرا ومبلغا وليس ليكون فتنة بين الناس وهولا أخذا . ألم يقل الله لنبيه .. عليك البلاغ وعلينا الحساب . أو لم يقل في قرآنه على لسان نبيه هل كنت الا بشرا رسولا . أو لم تتواتر الآيات بهذا المعنى عشرات وعشرات .

فما لهؤلاء يريدون أن يصبحوا زعماء سياسيين شعارهم السلاح وليس الرأى . والعدوان وليس الكلمة . ألم يكن الله بقادر على أن يفنى الظالمين أجمعين . ويقمعهم أن يعذبوا المؤمنين ما عذبوهم ويعتدوا على سيد البشر عدوانهم الهمجى الحقير فلم اختار الله الكلمة لخطاب هؤلاء ولم أمر نبيه أن يبلغ ويكتفى بالبلاغ .

لأن الدين عقيدة والعقيدة صلة انسان بربه . وهى صلة حرة من كل قهر ، نزيهة عن كل ارغام يمد الانسان أسبابه الى ربه بشهادة لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وبالصلاة فروضا موقوتة وبالصيام اذا انتفت رخص الافطار وبالزكاة كما شرعها العزيز الحكيم وبالحج لمن استطاع اليه سبيلا ثم يتقرب الانسان الى سماوات ربه الرحمن الرحيم

بهمسة الدعاء وبعبرة الايمان وبرعشة الخشوع وبنور الطمأنينة وبالخوف من عذاب السعير وبالطمع فى عز الجنة ٠

هكذا هو الاسلام صـــلة فرد واحد تزدهر وتنمو وتتمكن وتثبت وتطمئن وتنغرس فى داخل النفس لا يعلمها الا الواحد الأحد الذى يعرف خائنة الأعين وما تخفى الصدور ٠

أين أنتم أيها المتطرفون من هذه النفس ومن تسبيحها ودعائها ومن الخيوط الحريرية المتينة متانة الايمان وقوته تربط بين عبد وربه لا يراها الا بارىء النفوس وقيومها سبحانه وتعالى عما تصفون ٠

أين أنتم مما بين مسلم واسلامه ، وبين عابد ومعبوده ، وبين مخلوق وخالقه ، وبين من فرض الفرائض وبين من أداها ، اذا أخلف واحدة منها فحسابه هناك عند صاحب الأمر على الكرام الكاتبين فلا حسنة ولا سيئة الا هم محصوها والحكم بعد ذلك للواحد القهار هو أحكم الحاكمين الغفور ذو الرحمة المتين ٠

أتريدون أنتم فى بشريتكم الهزيلة هذه أن تتهموا وتقيموا الادعاء وتنزلوا العقاب على من لاتعرفون أي حبال صلبة متينة تربطه برب العرش أين أنتم من ذاك ٠ ومن ارتضاكم لتكونوا حـكاما وكيف ســـولت لكم أنفسكم أن تقتعدوا منازل الأنبياء أو حتى الصديقين ٠ بل اننى أراكم تريدون من أنفسكم آلهــة ٠ شـــاه ما تظنون وما تبيتون أن يكن المال المنسكب عليكم يزين لكم السوء الذى تفعلون فاعلموا ان كنتم لا تعلمون أن هذا المال من بشر ٠ والبشر لا يستقر على حال ٠ فكم من أصحاب أنهار وعيون وجنات كانوا فيها فاكهين أبدلهم ربك قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ٠

هو سبحانه على سادتكم قادر ٠٠ وهل قادر الا هو ٠٠ يمحقهم قبل أن تكمل عين طرفتها ٠ فما أنتم منه الا هباء وما شأنكم عنـــده أو عند المؤمنين الا بوارا ولا يبقى من آثاركم الا عبرة الأولين للآخرين وسبحان رب العزة عما تصفون ٠

١٩٨٥/٧/٧ الأهرام

الحلف الخائن

كم من عجائب نقرأها في هذه الأيام العجيبة حتى لقد أصبحت على يقين أن أيامنا هذه غريبة على الازمان . التوى فيها كل طريق وتكاثرت فيه الثنايا حتى لقد أصبح الطريق القويم شريدا لا يجد له بيننا وطنا أو مستقرا .

قرأت فيما قرأت كاتبا مسئولا عن الجريدة التى يعمل بها يعلن فى وضوح باسم حزبه أن حزبه يعاون الأحزاب الشيوعية السرية ومع أن الدهشة أصبحت بعيدة عن نفسى كل البعد فى زماننا هذا زمن العجائب الا أننى مع ذلك دهشت أن يعلن رئيس تحرير أنه يرتكب جريمة يعاقب عليها القانون . ولذلك فاننى أعاهدكم أننى لن أدهش اذا قرأت لهذا الكاتب أو لغيره من تجمعه أنه يتاجر فى المخدرات أو يوزع حبوب المغيبات .

وفى الجملة التالية لاعلانه عن ارتكابه لهذه الجريمة يقول الكاتب أنه وحزبه يعاونون الجماعات الدينية المتطرفة . وهكذا استطاع بجملته هذه أن يمحو الدهشة التى انتابتنى فى جملته الأولى لأواجه الذهول من اعلانه فى جملته الثانية .

كيف يجتمع طريقان كل منهما يتجه الاتجاه المضاد للآخر . كيف يلتقى المغالى فى دينه المتطرف فى عقيدة الايمان ، مع الملحد الرافض لفكرة الايمان جميعا يدعى أنها ساذجة سطحية نعتقد عن جهل بالغيبيات التى لم يثبتها العلم .

ان النظرية الشيوعية لايمكن أن يقوم لها أساس الا اذا هدمت فكرة الدين جميعا أيا كان هذا الدين .

والمتطرف الدينى يرى بنظرة متطرفة رعناء أن كل قانون غير قائم على الشريعة الاسلامية كفر والحاد . حتى ولو كان قانون أرشميدس أو قانون العرض والطلب .

فكيف يتحالف النقيضان ويتوحد الطرفان المتباعدان المتباغضان .

كيف يؤيد الشيوعي الملحد هذا المؤمن الذى يغالى فى ايمانه ويبالغ فيه ويبالغ حتى يخرج به عن الايمان السوى المطمئن الشريف الى الفتنة والتخريب والدمار .

وكيف يقبل ذلك المؤمن المغالى ان يحالف ملحدا رافضا لفكرة الله فى جملتها وتفصيلها . أيرفضون أن يروا خلق الله فى ملابس عصرهم ويقبلون الملحدين وهم المرتدون الذين لو طبقوا عليهم الحد الاسلامى الذى يبغون تطبيقه لأوقعوا بهم الجزاء الذى ينهى حياة الانسان جميعا أى حلف ذاك ؟

ما هدفه ؟

على أى أساس يقوم ؟

أما أنه حلف قائم وموجود فهذا ما لا شك . وبعد اعمال النظر وامعان الفكر وتدبر الخوالى نجده حلفا طبيعيا لاداعى معه الى الذهول الذى تولانا .

انه حلف الشيطان مع الكفار . وحلف الدمار مع الخراب . وحلف البوار مع الفساد . وحلف المفتون مع المفتون . ومشعل الفتنة مع الذى يتعهدها ويزيد حريقها لهيبا ونارها وقودا .

هدف الحلف خراب مصر جميعا . وهذا اجراء لابد عندهم أن يتم بادىء ذى بدء وحين ينتهى ــ ساء مايدبرون ــ ينتهى الحلف بين النقيضين لنبدأ الحروب على الأرض اليباب وفى الديار المنسحقة ويحكم يومذاك ــ لا كان يومذاك ــ أكثرهم شرا وأقواهم مددا وأشدهم ضراوة . والفريقان على أية حال يعتمدان على دول أخرى تغدق عليهم المال والسلام اغداقا والغلبة بعد الخراب والدمار ستكون لأقوى الدول الداعمة شوكة وأعزرها سلاحا .

وهكذا يصبح الأمر الذى ينتج من حلفهم أن كلا منهما يعين الآخر ليدمر كل منهما الآخر بعد ذلك بعد أن تكون الجماعتان كلتاهما قد خربا مصر ودمراها . لا أنجح الله لهم سعيا ولا فكرا .

وقد ذكر الشيطان لربه آن سيقعد لعباده طريقهم المستقيم وها هو ذا الشيطان ينقذ وعده ويتلبس في جسوم الشيوعيين وحزبهم وها هم أولئك يقعدون للمؤمنين طريقهم المستقيم ليجعلوهم ينحرفون عنه شر منحرف وليجرفوهم من الاسلام السلام النور والهداية والرحمة والحب الى التطرف الأحمر المخضب بالدماء المتشح بالفتنة الهادف الى التخريب المعتمد على القتل غيلة وبغير الحق · أقدموا عليه فى مقتل الشيخ الدهبى وفى مقتل الزعيم الخالد أنور السادات وهم يقدمون عليه اليوم ليقتلوا مصر جميعها ويوقدوا بين أبنائها فتنة لا يهدأ لها أوار ·

فالشيوعيون اذن يقومون بدورهم المرسوم لهم ولا يخافتون بل يعالنون ولا يتسترون بل يكتبون وينشرون · ولا شك أن الكاتب يوم كتب ما كتب كان يأمل أن تتخذ منه السلطات موقفا فتصادر الجريدة أو تقدمها الى العدالة ولكن السلطات أدركت في ذكاء الضجة التي يريدون أن يثيروها · كما أدركت أنهم يريدون أن يتباكوا على الديموقراطية أنها مست مهما يكن مذهبهم يهدف الى قتل الديموقراطية قتلا لا تقوم من بعده · أليسوا هم من قال كتابهم نأخذ حريتك ونعطيك رغيف العيش · وأخذوا الحرية من شعوبهم قسرا وحرموهم أيضا رغيف العيش والحياة جميعا ·

هم اذن يطبقون نظريتهم وهم اذن قد لبسوا ملابس الشيطان وقعدوا للمؤمنين طريقهم المستقيم · ونالوا بذلك البركة من الحادهم والمال من الدول التى تعينهم وقروا عينا ·· ولكن الى حين فوالله ليرون من الله العذاب المستطير ولينزلن بهم من الأهوال ما أنزله على قوم لوط ونوح والصابئين منذ بداية الزمان ·

وانظر الى شأن المؤمنين · أتراهم يدعون الاسلام وهم لم يقرأوا القرآن · أم تراهم قرأوه فما فهموه أم تراهم ادعوا الايمان وأرادوا أن يجعلوا منه مركبا يصل بهم الى سلطان الدنيا غير ناظرين الى نعيم العليا وجنات هنالك أعدت للمتقين · الذين يهدون قومهم ولا يضلون والذين يخاطبون الناس حسنى أيريدون أن يكونوا من الهداة وهم يعلمون أن القرآن نزل على محمد ليكون ·

الأهرام ١٩٨٥/٧/١٤

نظـرة فى القوميـة

الدعوة الى القومية التى يدعو اليها أخونا الكاتب الكبير عبد الرحمن الشرقاوى ليست جديدة عليه وهو مؤمن بها كل الايمان . وهى فكرة فى جوهرها لها وجاهتها ولكننى احتاج فى أمرها الى كثير من التأمل .

فأنا أخشى أن تكون فكرة مثالية نظرية وليست عملية . وحتى تأتى بالثمار المرجوة منها لابد أن تتوافر فى القوى المتضافرة التى تكون الواجهة القومية عناصر مثالية . أو أصبحت مثالية فى زماننـــا هذا . لأن هذه العناصر كان ينبغى أن تكون أصلا والخروج عليه استثناء كريه .

فالأصل أن تخلص المعارضة رأيها للحكومة سواء كانت فى جبهة معها أو كانت فى صفوف المعارضة . والأصل أن تكون المصلحة العامة هى الغاية العليا التى تنشدها الحكومة والمعارضة معا . والأصل أيضا ان تأخذ الحكومة برأى المعارضة اذا اطمأنت الى سلامته ورأت فيه الصالح العام البرىء عن الغرض والبعيد عن الهوى .

هذا هو الأصل . ولكن هذا لايحدث الا فى الأحلام . ومن هنا كان التفكير فى التكتل القومى جديرا بالتأمل .

المعارضة الآن تستغل الشعارات . وتتزايد لتكسب الرأى العــام وتضحى فى سبيل هذه المزايدة بالرأى القويم الذى تعـرفه كل المعرفة والذى لا يمكن أن يختلف فى شأنه اثنان على مستوى طبيعى من ســلامة التفكير والثقافة الاقتصادية والسياسية .

فهل ترى تنوى المعارضة اذا هى اشتركت فى جبهة أن تتخلى عن المزايدة وتخلص وجهها لنفع الوطن ومصلحته العليا .

لكم نرجو هذا .

ولكن حتى يكون هذا ممكنا • أو قابلا للامكان فلابد بادئ ذى بدء أن تكون الجبهة القومية من الأحزاب الممثلة فى البرلمان • فالأحزاب غير الممثلة فى البرلمان رفضها الشعب أصـــلا • فهـو اذن قد رفض فكرها ولم يرض به رأيا يمثله •

فاذا تمت هذه الفكرة القومية من أحزاب البرلمان فهل لنا أن نرجو ان تصدر الآراء من ممثلى الأحزاب ناظرة الى خير الوطن حتى وان أغضبت الجهلاء ومثيرى الشغب ورافعى اللافتات •

هل لنا أن نأمل أن تكون هذه الجبهة بعيدة عن جعل متاعب الشعب ومعاناته تجارة تكسب هى منها هتافات ويخسر بهـــا الوطن مستقبله الاقتصادى • الذى هو مستقبل الشعب •

هل لنا أن نأمل الا تفكر هذه الجبهة فى الوســـائل التى ترضى الجماهير ارضاء أشبه ما يكون بملاعب الأطفال وهدهدتهم بعيدا كل البعد عن المصالح الحقيقية لهذه الجماهير نفسها •

فالجماهير ترفض الدواء المر • والشــفاء لايـكون الا بالدواء • وتصبح الجماهير واعية بمصلحتها الحقيقية اذا هى وجدت قادة الرأى فيها مجمعين على دواء مهما يكن مرا • ومن هنا تصبح الفكرة القومية جديرة بالتنفيذ •

ولكن كيف نضمن هذا الاخلاص وهذا الصدق ضمانا يجعلنا نقبل على هذه الاجراءات ولابد من هذا الضمان لأن عواقب التجربة اذا فشلت وخيمة تزيد الأمور سوءا ووبالا ، وربما جعلتنا نواجه طريقا مقفلا بدلا من الانفراج والسير فى الطريق الأقوم •

وقد تفضـــل رئيس حزب الوفد فعلق على هذه الفكرة فى جريدة الحزب بما يشبه الموافقة وهذا فى ذاته شئ طيب ولكن رأى حزب الوفد وحده لايكفى • فهو حزب فيه من الكفاءات ما تحتاج مصر الى الرأى منهم والمشورة • ولكن خشيتنا من أحزاب أخرى تحاول أن تقيم لنفسها كيانا جماهيريا وفى سبيل هذه المحاولة تضحى بمصلحة الوطن وهو الوطن •

الا يكون من الأجدى فى هذه الفترة التى نواجهها أن تتهيأ الأحزاب جميعا لهذه الفكرة القومية بأن تخلص الرأى وتقدم آراء بناءة ليس فيها تهريج ولا مزايدة منذ اليوم • أم ترانا نطلب المستحيل • ربما •

اذن مالنا لانعرض لرأى آخر • ما البأس أن تتكون جبهة قومية خارج الوزارة من الشخصيات المرموقة فى الأحزاب ويكون الرأى الذى تجتمع عليه الجبهة ملزما للحكومة بعد أن يعرض على البرلمان • وقد يقال وما الجديد فى هذا ورأى البرلمان ملزم للحكومة بنص الدستور ؟! الجديد أن الرأى حين يتقدم للبرلمان من الجبهة سينظره الأعضاء دون تفكير حزبى ودون تكتلات •

وفى عام ١٩٣٦ تكونت الجبهة المصرية للمفاوضات مع المحتل • واستطاعت أن تصل الى رأى سواء رضى عنه الجانب الأكبر من البرلمان والغالبية العظمى من الشعب •

ونحن اليوم ـ الحمد لله ـ لانواجه محتلا • ولكن علينا أن نواجه أنفسنا وربما كانت مواجهة النفس أصعب مراسا من مواجهة المحتل •

فأنت فى مفاوضة المحتل تعرف أنه عدوك • ولكنك فى مواجهة نفسك وشعبك ستتعرض لمخادعة النفس للنفس وتتعرض للرأى الذى قد يبدو براقا لأن فيه استجلابا لهتاف فاذا أمعنت فيه الفكر وجدته كارثة مظلمة المصير • وأنت أيضا تتعرض للمزايدين المتاجرين بالدين حينا وبالشعارات حينا آخر •

وأنت قد تتعرض أيضا للعملاء الذين يتنكرون فى ثياب الوطنيين حتى اذا كشفت عنهم تنكرهم وجدت نكرا ورشاوى وأموالا أجنبية حقيرة من بلاد يحكمها مخابيل ، أو من أخرى يحكمها طواغيت ، أو أخرى يحكمها أصحاب المذاهب الملحدة الكافرة بالله والوطن جميعا •

هذه الجبهة ستواجه هذا جميعا فان لم تكن صلبة راسية الأصول قادرة على مواجهة شراسة المال الحرام وعنف الخيانة ومراوغة المخادعين الذين يرمون وطنهم على منضدة البيع أول ما يرمون • أصبحت عبثا بلا طائل •

فالجبهة التى تجمع أصحاب الرأى لمواجهة الأزمات التى نتعرض لها لابد أن تكون أكثر صلابة من جبهة ٣٦ • ففى جبهة ٣٦ كان الشعب واثقا أنه لن يكون فيها الا من ينظر الى مصلحة الوطن • أما الجبهة التى ستواجه أزمات مصر فكم نخشى أن يستهوى بريق الرأى الساذج الذى يرضى الغوغاء بعض الأعضاء وحينئذ تتشتت الجهود وتذهب بددا •

وهكذا نجد أن التفكير فى التكتل الحزبى فى شكل جبهة أمرا ليس يسيرا والطريق ليس مفروشا كله بالورود والرياحين ·

أما الاشتراك فى وزارة قومية فأمر أكثر صعوبة وأشد خطـرا · فنحن اذا اطمأن روعنا الى الكبار أصحاب الماضى الشريف والرأى الرفيع والعلم الوافر الغزير · لانأمن أصحاب الهوى ومتعجلى الشهرة والناظرين الى البطولات الزائفة ·

ونذكر البيت العربى القديم :

بغاث الطير أكثرها فراخـــا

وأم الصـــقر مقـــلات تـــزور

ان الأمر جدير بالتفكير · والتفكير الكثير يحتاج الى تقليب الرأى على كل وجه له فانه اذا نجح فذو خير وفير اما اذا فشل فالشر مستطير · وقى الله بلادنا كل سوء وهيأ لها النجاح أينما تتجه انه قريب مجيب ·

الأهرام ١٩٨٥/٧/٢٨

لمحة عن ابن الرومى

كتب العرب فى جميع أغراض الشعر ·· وكان شعر الهجاء من أهم الأغراض التى نظم فيها الشعراء المتقدمون · وهذا أمر طبيعى لا غرابة فيه فما داموا قد كتبوا فى المديح وبالغوا فما بعجيب أن يكتبوا فى الهجاء ويبالغوا أيضا ·

وقد كان العرب يخشون الهجاء حرصهم على المديح · وبين الهجاء والمديح كان الشعراء يجدون قوتهم أو يجدون ثرائهم فى بعض الأحيان ·

وقد جرى علماء التربية أن يهاجموا شعر الهجاء ويبغضوه للناشئة أرى أن علماء التربية فى هذا مخطئون · فبقدر ما يمجد المديح الكرم والخلق الرفيع ·· يبغض الهجاء الخلق الدنى ويجعل منه متجها مقبتا وشينا لا يجوز للشريف أن ينحو اليه ·

وكما يمثل الوصف والغزل فنا رفيعا يمثل الهجاء أيضا فنا رفيعا تجد الصور فيه تدعو الى الابهار والاعجاب ·

واعتقد أن تمجيد الفضل لابد أن يسير معه فى الطريق نفسه مهاجمة الشر والنيل منه · وكما يبلور المديح الشيم الرفيعة ويعلى من شأنها يقدم الهجاء صورا فنية رائعة للخلق الذميم والتصرف المقبوح ·

والانسان لا يستطيع أن يحترم الفضل الا اذا احتقر الخلق الزرى والفعل الذميم ·

والقرآن الكريم فتح للناس أبواب الأمل فى الجنة اذا هم اتقوا وآمنوا وعملوا عملا صالحا · وهدد بالويلات وبالنار تكوى الجنوب والجباه فهم فيها لا أحياء ولا أموات اذا كانوا من المفسدين الضالين الآثمين المعتدين ·

وكما حبب القرآن الكريم الينا الخير وخص عليه بغض الينا العصيان والفسوق والنكول عن الطريق الأقوم وهددنا بالعذاب الذى لم يعرف

البشر له مثيلا اذا نحن أطعنا أهواءنا ونكصنا عن الهدى والتوب والانابة .

ولو شئت أن آتى بأمثلة من القرآن لأوشكت أن أذكر القرآن كله . لا تكاد تجد سورة واحدة تخلو من آيات كريمة عديدة تهاجم الكفار والمعتدين والظالمين فهم قوم بور . وهم مسرفون . وهم قوم عمى عن الحق . وهم لا يفقهون . وهم لا يذكرون وهم صم عن النصح بكم لا ينطقون بما يعلمون انه الحق . وهم غير ذلك .. وغير ذلك كثير .

فالله سبحانه من فوق سبع سماوات لعن المائلين عن الجادة السافلين عملا . الضالين صراطا . فمن حق الشعراء بل من واجبهم أن يرسموا للناس الجمال والقبح والخير والشر ، والكرم والبخل ، والجليل والذميم ، الحسن والمرذول . ومن حقنا نحن البشر أن نعجب بشعر الهجاء اعجابنا بأى لون آخر من ألوان الشعر .

وربما كان ابن الرومى أروع من قال شعرا في الهجاء في العربية وقد أبدع فيه ابداعا لا أحسب أن أحدا ضارعه فيه .

أذكر قوله :

وجهك يا عمرو فيه طول ... وفى وجوه الكلاب طول

والكلب واف وفيك غدر ... ففيك عن قدره سفول

وقد يحامى عن المواشى ... وما تحامى ولا تصول

وأنت من أهل بيت سوء ... قصتهم قصة تطول

وجوههم للورى عظات ... لكن أقفاءهم طبول

مستفعلن فاعلن فعولن مستفعلن فاعلن فعول

بيت كمعناك ليس فيه ... معنى سوى انه فضول

وأذكر بيته الرائع ولا أذكر معه بقية أبيات القصيدة . فهذا البيت فى نظرى كفء لديوان بأكمله يقول :

الاكريم جزاه الله صالحه ... يهجوه عنى فبى عن عرضه كسل

وأذكر تلك الصورة السينمائية العجيبة التى يقول فيها :

رأيت الفضل مبتهجا ... يناغى العيش والسمكا
فاسنبل عينه لما ... رآنى قادما وبكى
فلما أن حلفت له ... بأنى صائم ضحكا

كم يخسر الشعر العربى اذا نفينا عنه الهجاء • ان هذا النفى يحرمنا من لمحات فنية لو ترجمت الى الغرب لسارت كل مسار اسمع ابن الرومى أيضا يقول :

يقتر عيسى على نفسه ... وليس بباق ولا خالد
فلو يستطيع لتقتيره ... تنفس من منخر واحد

كيف استطاعت هذه الخاطرة ان تشب الى ذهن ذلك الشاعر العملاق الا أن تكون العبقرية المتفردة •

ثم أسمع معى ما يقول لبانى الدرج :

ياباني الدرج الذى ... أولى به هدم الدرج
بئس البناء هى فى ... المنازل والديار فلا تلج
لاسيما لابى البنات ... الناظرات من الفرج
وكذاك انتم معشر ... فى عود منبتكم عوج
فلو أن قمل رؤوسكم ... ذات القرون اذا درج
شاء العروج الى السماء ... على قرونكمو عرج

هذا الاكتمال الرائع فى الصورة لا يتأتى الا لابن الرومى • كيف استطاع أأن يصف أسرة بانى الدرج بالقذارة وبأنهم أصحاب قرون ثم يجمع بين الصفتين فى حركة درامية واحدة •• عجيبة •

ولم يكن عجيبا أن يموت ابن الرومى حتف هجائه • فقد هجا أحدهم وربما يكون واحدا من هؤلاء الذين ذكرت شعره فيهم • وأرسل المهجو اليه يسترضيه ويدعوه الى وليمة • وفى سذاجة الشعراء وجهلهم بالحياة يذهب ابن الرومى الى الوليمة ويأكل وبعد أن يأكل يحس السم يسرى فى جسمه ويدرك أن الداعى دس له السم فى فطيرة دسمة •

ويقوم ابن الرومى يبغى الانصراف دون أن يقول شيئا ولكن القدر يأبى له الا أن يجعله هاجيا حيا وميتا • فيسأله صاحب الدار :

ـ الى أين ؟

ويجيب ابن الرومى فى استسلام :

ـ الى حيث أرسلتنى ٠

ويقول الداعى فى شماته :

ـ سلم لى على أبى ٠

ويقول ابن رومى آخر جملة عرفت عنه فى حياته :

ـ آسف ٠ ليس طريقى الى جهنم ٠

وبعد فانى أهدى هذه المقالة الى الأدباء ليستمتعوا بما فيها من فن ابن الرومى ٠ وأهديها أيضا الى من يلزم من غير الأدباء ؟

الأهرام ١٩٨٥/٨/٤

الطـريق واضـح

أمر هذه الأيام بشعور عميق يملؤنى ثقة بالقائمين على الأمر فى الدولة • فأنا أرى أن الوزارة تواجه مسئوليتها فى يقين وفى ثبات ناظرة الى الصـــالح العام للشعب المصرى لا تخشى الا الله والضمير. والحق وما تعلم أنه العدل • وعلاج مشكلاتنا أمر غاية فى الصعوبة وأمر غاية فى اليسر فى وقت معا هو غاية فى الصـــعوبة اذا اتجهت الأنظـــار من المسئولين الى اللافتات والهتافات والغوغائية والاعتماد على أن تمر الأمور دون ضجيج فيسلم يوم الى يوم ويسلم شهر الى شهر •

وهو غاية فى اليسر اذا الوزارة طبقت ما أجمع عليه الاقتصاديون فى مصر وفى العالم فقد أصبح علاج الشئون الاقتصادية أمرا متفقا عليه فى العالم أجمع خاصة اذا كانت الأزمة من الأزمات التى مرت بالدول جميعا • والدول فى العالم تواجه أزماتها برأى كبار الاقتصاديين فيها وهى فى ذلك حاسمة قاطعة لا تقبل ميلا عن الطريق مهما يكن الميل هينا ضئيلا • وكل القوانين الاقتصادية من شأنها أن تنزل بعض الأضرار ببعض الأفراد وليست هناك دولة جادة تفكر لحظة أن تضـع فى الميزان مستقبلها ومصير شعبها من أجل حفنة من الأفراد •

وهؤلاء الأفراد لهم صوت مرتفع يستمدون ارتفاعه من جشعهم ومن حرصهم على خاصة أموالهم حتى ولو أدى هذا الى تخريب اقتصاد بأكمله لدولة وشعبها ومستقبلها وحاضرها •

وهناك أفراد آخرون يرفعون أصواتهم حبا فى التخريب ذاته لأن مذهبهم لا ينتعش الا فى ظل التخريب فاذا هم رأوا أن الأمور فى الدولة تأخذ طريقها الى الاستقرار والسلامة والحزم والثبات جن منهم الجنون وثارت فى نفوسهم نيران الهوس • لأن استقرار الحـكم تدمير لحزبهم ولما يريدون لأنفسهم من استيلاء على المقادير فى البلاد • وكيف يمكنهم أن يقفزوا على حكم قوى ثابت ركين يقوم على الرأى السـديد والعمل الرشــــيد •

انهم يكتبون فيما يكتبون أن الغد لهم ويهددون أعداءهم بأن الغد لناظره قريب فهم اذن يتوقعون من كل غد أن تقوم فيه العاصفة فتبعد الحكام الشرعيين عن مقاعدهم وتأتى بهم هم الى مقاعد الحكم والسلطان ٠ يؤيدهم مال غير مقطوع وصراخ غير ممنوع وتهليل وتهريج ومتاجرة بآمال الشعب وبآلامه ٠

وهم من أجل ذلك رافضون لكل استقرار مؤيدون لكل اضطراب حتى ولو كان ناشئا عن قوم يدينون بالله الواحد القهار فى حين يدينون هم بماركس ولينين وبتحطيم الانسان وتدمير الحياة ٠

ويلهم ان هذا الاضطراب الذى شهدنا منه جانبا فى سنوات ماضية والذى يحاول أن يطل برأســــه فى هذه الأيام ما هو الا نتيجة حتمية لما صنعوه وهم بمصر فى ستينيات هذا القرن ٠ ولقد أرى بعضا منهم يكتب آراء يحاول بها أن يفصل الفعل عن رد الفعل ، والمسبب عن السبب ، والمقدمات عن النتائج ٠ وكم هم واهمون هؤلاء الكتاب وكم يبعدون عن الحصافة والرأى الرشيد بعدهم عن الفهم والذكاء جميعا ٠

فان أول درجات الذكاء أن تقدر ذكاء الآخرين ٠ والكاتب الذى لا يدرك أن القارىء هو أذكى الناس واهم لأن القارىء ليس فردا وانما هو شعب بأكمله يتداول الرأى ويعلق عليه ويتعمق أصوله ويصعد الى أعلى فروعه حتى يصل من الحديث الملقى اليه الى الحق الذى لا يشوبه ضباب أو سحاب أو غبار ٠ وانما هو الجلى الواضح المضىء البين ٠

والكاتب لابد أن يكون على المام بالتاريخ ٠ وأن نظرة الى التاريخ الذى مضى تفتح مغاليق الحاضر ومصاريع المستقبل ٠

ويقول التاريخ أن فرنسا بعد ثورتها حكمها فرد وحين زال حكمها أفراد ٠٠ حكمها نابليون وكان طاغية ٠ ثم تداول حكمها أفراد ارتسموا فى شكل ملوك ٠ وثارت فرنسا وأطاحت بحكم الملوك ووضعت دستورها بعيدا كل البعد عن الفردية ٠ جعلت حكومتها جمهورية برلمانية ٠ الشعب فى برلمانه هو الذى يعين رئيس الوزراء وهو الذى يعزله ورئيس الجمهورية لا عمل له مطلقا ٠ وبالغت فرنسا فى هذا لدرجة أن رئيس الوزراء الجديد كان لا يعين الا اذا وقع على مرسوم تعيينه رئيس الوزراء المستقيل حتى لقد تساءل علماء القانون الدستورى تساؤلا نظريا ٠٠ وماذا لو رفض المستقيل التوقيع للمعين ٠ وكان الجواب عليهم أن استقالته فى ذاتها تعنى قبوله

التوقيع على المرسوم الجديد لتعيين خليفته • وكل تطرف يؤدى الى اضطراب • وقد أدى هذا التطرف الى أن الوزارات فى فرنسا لم تكن تستمر فى الحكم الا أوقاتا ضئيلة جدا لا تتمكن معها من القيام بأى عمل ذى شأن • وراح الشعب يسخر مما صنع هو بيديه وتردد فى الشعب الفرنسى أن فرنسا لم يصبح فيها فرد واحد لم يتول الوزارة مرة واحدة على الأقل •

وظل الأمر كذلك حتى حكم ديجول وأعاد الأمر الى الطريق السوى واستقر الحكم فى فرنسا • فكرة الشعب الفرنسى للفرد التطرف الى أقصى حد لأنه قاسى الدواهى السود من حكم الفرد •

والتطرف الدينى هنا هو رد فعل كان لابد منه للتطرف الالحادى الذى شهدته مصر من الشيوعيين الطغاه فى الستينيات •

ومن منا ينسى يوم فجروا وكشفوا عن وجوههم كل أستار الحياء فأقاموا الموالد لسيدهم لينين وسيدهم ماركس وأبوا على المسلمين أن يقيموا المولد النبوى لسيد البشر أجمعين •

كان طبيعيا أن تثور نفوس المسلمين • وكان طبيعيا أيضا أن تثور نفوس المسيحيين فالمؤمنون وحدة ضد الالحاد • ومن يقول الله يرفض الالحاد • والدين حرية والدين محبة والالحاد قهر والالحاد كراهية •

وان ما نشهده اليوم رد فعل لعواصف الالحاد التى اجتاحت ستينيات هذا القرن • ولو فكر هؤلاء المتطرفون الدينيون لأدركوا أنهم بهذا الذى يصنعون يدمرون أنفسهم ووطنهم قبل أن يدمروا الشيوعيين• والدليل على ذلك أن الجماعة الوحيدة التى تؤيدهم هى الجماعة الشيوعية التى يثورون هم على الحادها •

وهذا الوطن لا يقوم الا على السلام والتآلف بين عناصره المؤمنة بالله • وأى شقاق بينها دمار • والأقباط شركاء فى الحكم شركاء فى الحرب شركاء فى المصير • منهم أعضاء فى الوزارة ومنهم أعضاء فى المجالس النيابية وعلى ساحة الحرب اختلطت دماؤهم بدماء المسلمين وصعدوا جميعا الى بارىء النفوس العدل المطلق الملك القيوم يوفى كل ذى حق حقه سبحانه وتعالى عما يشركون •

وهؤلاء المتطرفون يعلمون كل العلم أن الاسلام فوق كل نقاش وأعلى من أى جدل • ولكن ألم ينظروا فى العصور الماضية ماذا فعل أبو جعفر المنصور السفاح بالناس من تقتيل وتعذيب وتنكيل وهو يدعى أنه عن دين الله يدافع • تعالى الدين أن يرضى بهذا وكره الله ما فعل والمؤمنـــون •

وأمثـــال الســـفاح فى الخفـــاء كثيرون لا يحصيهم العدد ويخطئهم الحصر •

حتى اذا وصلنا الى العصر الحديث فها نحن أولاء نرى الخومينى وما يصنعه تحت ستار الاسلام وتحت اللواء الخادع الذى يرفعه باسم الدين • وتعالى الدين أن يرضى بهذا وكره الله ما يصنع الخومينى وكره المؤمنون •

ليس الأمر شعارات ترفع ولن يكون الأمر كذلك • ان الدين أسمى وأعظم جلالا من أن يكون تجارة فى سوق الدنيا • وطريقا الى بهرج الحياة ومتاعهـــا •

وبعد فان الدين ديننا جميعا ونحن نموت فى سبيله فرحين سعداء أن نفدى نوره الأعلى وسنته الشريفة • ولكننا نحن المسلمين نرفض أن يرفع رايتنـــا قوم لم يعرفوا للدين حقـــه كل حقـــه • انما الدين هو نبض القلوب هنا وهو قوام حياتنا فى الدنيا وهو أملنا فى العليا عند رفيع الدرجات ذى العرش • فأستحلفكم بالله العلى القدير ألا تجعلوا منه وسيلة لكم • فما انتم الا بشر من البشر ولن تمكثوا فوق ظهرها الا ريثما يأتيكم أمر الله • وعندئذ فمصيركم الى عالم الغيب والشهادة ينبئكم بما كنتم تصنعون أما الدين فهو الخلود باق على الزمان والى ما بعد الزمان •

ولا اله الا الله وحده اليوم وغدا والى ما بعد الحياة وحتى لا نهاية والله هو وحده الأكبر وهو على دينه وقرآنه خير الحافظين سبحانه وتعالى جل جلاله الملك القدوس السلام •

الأهرام ١٩٨٥/٨/١١

هـذا الصوت نعرفه

تصبح الشهرة عند بعض الناس نشيدة حياة وأملا يتخطفهم الموت في سبيلها ويبذلون من أجل رنينها كل ما يشرف الانسان أن يتخلى به حتى اذا أعيتهم الوسائل ووقفت دون مقاصدهم العراقيل بذلوا دينهم وايمانهم وأعلنوا الحادهم مجاهرين به غير مخافتين • صارخين به غير هامسين يحدوهم الأمل الحقير أن يعود عليهم الكفر بما لم يدركوه في ستار الايمان •

ولقد نعرف بعض هؤلاء اليوم ولقد عرفنا أشباها لهم من قبل • منهم من عاصرناه ومنهم من أكرمنا الله بعدم رؤيته أو العيش معه في زمن واحد •

وربما لا يكون هؤلاء الملحدون شيوعيين • فالقاعدة المنطقية تقول ان كل شيوعي ملحد وليس كل ملحد شيوعيا • فقد يكون الملحد اذن غير شيوعي بل قد يكون رأسماليا متطرفا • ولكنه يظل مع ذلك ملحدا كافرا زنديقا •

وقد يصيب الملحد بالحاده نصيبا من الشهرة ولكنه ينسى أن الشهرة ليست في ذاتها نوعا من الشرف • بل قد تكون لونا من حقارة الشأن وتفاهة الفكر وهوان الشأن • ان نوع الشهرة هو الذي يدعو الجمهور الى احترام الشهير وليست الشهرة في ذاتها •• فالناس لا تحترم القاتل الشهير ولا اللص الحقير مهما يكن بعيد الصيت •• ولا المرتشي الوضيع مهما يكن ذا منصب خطير • ونصيب الملحد ذي الشهرة أن يدوسه الناس بالأقدام ويرجموه بالحجارة •

وقد رأينا قوما ممن تكالبوا على الشهرة الأدبية أو العلمية وحاولوا أن يفتحوا طريق الشهرة بالهجوم على عمالقة الأدب أو العلم ومنهم من قال عن عظماء الأدباء أنهم جهلاء وأنهم يسرقون أدبهم من الآخرين وأنهم لا يعرفون لغتهم وأنهم يتعرضون لما لا يحسنون وأنهم يكتبون غير ما يبطنون •• وكان شوقي الأمير هدفا وكان حافظ هدفا وكان طه حسين

عميد الأدب العربى هدفا وكان العقاد الشامخ هدفا وكان توفيق الحكيم هدفا أطال الله عمره ومتعه بالصحة والعافية وكان نجيب محفوظ هدفا وفى غير الأدب كان الأفغانى هدفا وكان محمد عبده هدفا ·

وأصاب المهاجمون الشهرة حين هاجموا ثم تحطمت أقلامهم وتحشرجت أصواتهم وأصابتهم غرغرة الموت ·· ثم ماتوا ··

وبقى شوقى وحافظ وطه حسين والعقاد والحكيم ومحفوظ والأفغانى ومحمد عبده ولم يبق من مهاجميهم شىء الا قرف الناس من ذكرهم اذا ذكروا وما هم بمذكورين ·

ومن هؤلاء من أدرك أن الهجوم على العباد مهما يكونوا أعلاما خفاقة فلن يصل بهم الى الشهرة التى بها يحلمون وبمجدهم يهيمون فقالوا ومالنا لا نهاجم الدين نفسه ونعلن عدم ايماننا بكلام الله وهو الله · فمادامت مهاجمة الكتاب لم تأت لنا الا بالشهرة المؤقتة فلابد أن مهاجمة كلام الله ستأتى لنا بالشهرة الثابتة ·

وظهرت كتب ملحدة صريحة فى الحادها وثار بها الناس وأصاب أصحابها الشهرة ولكنها كانت شهرة نجسة بخيسة مرغب أسماءهم فى الدنس أياما ثم زالت عنهم الشهرة وبقى لهم الدنس ·

وتعلم الملحدون الا يعلنوا الحادهم واستفادوا من الدرس الذى رأوه رأى العين فيمن سبقهم · ولهذا تجد الشيوعيين وهم ملحدون بطبيعة مذهبهم وبنص دستورهم ينكرون أنهم ملحدون ويبالغون هم فى اخفاء الحادهم حتى لنرى بعضهم يحج الى بيت الله الحرام ويحمل اللقب الاسلامى مع الفكر الالحادى على قلب واحد ·· ويتبجح علينا قائلا انه لا يعلم السرائر الا الله ونقول له ولكنك يا تابع ماركس ويارفيق لينين تعلن أنك شيوعى فالأمر فى شأنك ليس سريرة من السرائر وانما هو اعلان من العلن وجهير بما تجهر به أنت من اعتناقك للمذهب الشيوعى الذى لا يقوم ولا يستقيم الا بانكار وجود الله والدين والقرآن والشريعة ، فأنت أمام واحدة من اثنتين ، اما أن تعلن كفرك بالله أو تعلن رفضك للمذهب الشيوعى ولكن للشيوعيين لجاجة لا تتأتى لغيرهم · ولهم — والعياذ بالله — وقاحة لا يتمتع بها الا هم ·

وهكذا نجد أنهم لا يعلنون الحادهم وان أعلنوا شيوعيتهم ومهما يكن فى هذا من تناقض وتنافر مع المنطق الا أنه — على كل حال — واقع ··

ولكن رأينا فى الزمن الأخير بعض من لا نذكره ومن يعف القلم عن أن يخط حروف اسمه يعلن الحاده فى وقاحة نعرفها لسابقيه فى الالحاد • ولقد نعرف بعضا ممن ينتمى اليهم بأرومة أو أخوة ·· ولقد ندرى عنهم الخير • ولقد نعجب كيف يجتمع فى بوتقة العرق الواحد الشرف مع العفن والايمان مع الفسوق والطهر مع العهر •

ولكننا نذكر التاريخ فيتضح لنا ما عجبنا له فكم أنبتت الأرض الطيبة الخبث ·· وكم ولد العظماء الأسافل ·· وكم جاء عالم فى الدنيا بفاسد ·· والنار مهما تكن مضيئة فهى فى أغلب الأمر تخلف رمادا ويقول الشاعر القديم :

فان يك بحر الحنظليين واحدا فما تستوى حيتانه والضفادع

والقضية التى ساقها هذا الملحد ليعلن بها عن الحاده قضية متهاوية لا تحتمل أى نقاش • فالأمر فيها واضح غاية الوضوح وقد شرحها الله تعالى بمحكم آياته ·· ولكنه الملحد الجاهل يهاجم النص القرآنى فى جهالة وعناء وسذاجة ينفر منها الأطفال • ولو أننا قبلنا أن نناقش القضية لعقدنا مقارنة لا تنعقد بين كلام الله وهو الله وبين رأى فطير حقير لا يجوز له أن يذكر أو يناقش •

وقد نسى هذا الجاهل فى حمأة جنونه بالشهرة أن هذا القرآن مر بألف وأربعمائة عام وتزيد وحفظه مئات الملايين وناقشه الأئمة الهداة ·· وناقشه أيضا الملحدون الباحثون عن الشهرة وتهجموا على قدسيته فاذا بالقرآن الكريم يقف شامخا سامقا ميسورا على الهداة متأبيا اباء الجبال الشم على الملحدين الزنادقة لم يستطيعوا أن يهزوا حرفا من حروفه بتشكيك أو يهزوا كلمة من محكم كلامه بأى أثر من حيرة •

ومن هؤلاء الذين قرأوا القرآن علماء فى شتى ألوان العلوم منهم علماء من اللغة ومنهم علماء فى الفقه ·· ومنهم علماء فى المنطق ومنهم علماء فى علم الكلام ومنهم من ولى القضاء ومنهم رجال الشرع ·· وهيهات أن يحيط بالباحثين فى كتاب الله تحديد ·· انه معروض على الأزمان وعلماء هذه الأزمان على مدى ألف وأربعمائة عام •

أو لم يقدر هذا الملحد الجديد أن الذى عرض له تعرض لملايين البحوث ولم يقل واحد منهم بما قال لهوان ما قال وضآلته أن يثبت لتفكير على قدر ضئيل من الاستقامة •

ومهما يكن مقدار جهلك فأنت تعلم هذا علم يقين ·· ومهما يكن مقدار جهلك فأنت تعلم مقدار سخافة الراى الذى سقته ·· وأنت لا شك تقدر مدى الغضب الذى أثرته في نفوس المسلمين كافة بما تقول ·· وأنت أيضا لا شك أردت أن تثير هذا الغضب بأمل منك سقيم أن تنال به ما تهفو اليه نفسك المريضة الساقطة من شهرة ·· وقسما لن أنيلك ما تصبو اليه من الشهرة المريضة وأنا أكتب هذا الحديث متوجها الى علمائنا الأفاضل ألا يحاول أحد منهم أن يجعل منك صاحب رأى فيناقشه فما تبقى أنت الا أن يناقشك كرام الفقهاء وينزلوا بك سخطهم لتنال به شهرتك ·

وقد تفضل عالم جليل وتنازل وتناول رأيك بالتفنيد دون أن يذكر اسمك أو اسم مجلتك الحمراء الرعناء · وانى أرى أنك أهون من هذا الذى فعل الشيخ الجليل · وعلى كل حال فحسبك هذا النقاش بل هو فوق الحسب ·· وانى أكاد أثق أن الفقهاء لن يذكروك بعد ذلك أبدا فانهم لا شك ـ أدركوا مقصدك وأنهم من الذكاء واللماحية بحيث يجعلونك تعود من جولتك الملحدة بالخيبة وسوء المآب ·

ولا شك أنك تعلم أن مثلك لا غفران له عند الله فقد اشركت وما لمشرك غفران · ولو لم تنل الا بعدك عن رحمة لكان هذا فى ذاته أو شى عقاب لو كنت تملك من العقل صبابة ·· ولكن من أين لك بها ؟! وهل لمن يقدم على ما أقدمت عليه أى نصيب من عقل أو احساس أو منطق أو فكر أو خلق ؟

لقد صدمت الشعور العام لكل المسلمين ولو أنك فعلت هذا وقلت شيئا يستحق النقاش لقلنا ملحد ولكنه يحاول أن يفكر · أما أن تصنع هذا من أجل الشهرة وحدها بعد أن أخطأتها فى كل ميدان سعيت اليها فيه فتلك أذن كبرى الكبائر ·· وليكونن عقابك فى الدنيا خزيا وفى الآخرة نارا لا تموت فيها ولا تحيا ·

ربنا سبحانك وتعاليت وتقدست أسماؤك ·· وما هم الا عبادك وأنت وحدك تعلم الكافر منهم وتعلم من اهتدى ·· وأنت العدل المطلق القاهر على العباد الواحد القيوم الحق ·· سبحانك لا تحاسبنا بما أتى السفهاء منا فانهم يا الله لا يعلمون ·· وأنت وحدك سبحانك من يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور تعاليت ··

الأهرام ١٩٨٥/٨/١٨

قصة لم أصنعها

التقى به في عرض البحر الأبيض المتوسط مرات قليلة كل عام، فمواعيد نزوله الى البحر لا تتفق مع مواعيدى الا فى أيام قلائل · ونتجاذب أطراف الحديث ونحن طافيان على سطح الماء بحركة هينة من الذراعين والساقين ونترك لأمواج البحـــر أن توجه مكاننا حينما يطيب لها أن تتجـــه ·

ويجرى الحديث بيننا هادئا لينا هنيا كأمواج بحيرة أو كأمواج الخليج الهادىء الذى نلتقى فيه · لا نقاش بيننا وانما قصص صنعتها بنا الحياة على مدار العام أو صنعناها نحن في الحياة والعام أيام طوال ولقاؤنا ساعات قصار تتزاحم الأنباء فيه بغير تحاشد ولا مواثبة وانما القصة تفضى الى القصة والنبأ يسلم الى النبأ وقد نفتتح الحديث بكلمة قرأناها لصحفى فى الصباح · أو لكاتب نشرها منذ قريب وقد تذكرنا الكلمة بقصة حدثت فى نهر العام ونرويها · ومنذ أيام قلائل طلعت علينا صحيفة بكلمة لصحفى دأب على أن يدافع عن فترة بعينها وعن أسرة بذاتها والتزم بهذا الدفاع يسارع اليه سواء دعا الى ذلك داع أو لم يدع وانما هى مهمة وضعها هو على كتفيـــه · ولا أظن أنه اختار هــذه المهمة طواعية واختيارا فقد ارتبط اسمه هو وما نال من وظائف فى دنيا الصحافة المصرية وغير المصرية بتلك الفتــــرة وبناســــها · وبمن ينتسب اليها · فالدفاع دفاع عن نفسه وعن المديح الذى كان يكيله بغير حســاب لهذا الزمن ولأعــلامه وأقزامه على الســواء · وأخــونا الصحفى يحسب انه بما يدافع اليوم انما يدفع عن نفسه تهمة النفاق · ويعلم الله أنه أوقع نفسه فى منطقة من الرمال المتحركة الخائنة التى تبتلع الانسان كلما حاول أن يتخلص منها ويزداد الابتلاع كلما ازدادت محاولة التخلص عنفا واصرارا ·

وقال صديق البحر وهو يربت الأمواج بيديه :

هل قرأت ؟

قلت :

ــ نعم قرأت

قــال :

ــ اذن أستطيع أن أروى لك ما حدث لى فى هذا المضمار

قلت :

ــ وهل لنا عمل الا الرواية منك والاستماع منى أو الرواية منى والاستماع منك ؟

قــال :

ــ هذا طبيعى فأسرتك كلها عملها البناء أبا عن جد

قــال :

ــ وهكذا أصبحت مهندسا • وأنا مساهم فى شركة مقاولات

قلت :

ــ وهذا أيضا طبيعى

قــال :

ــ عرفنـــا فى الشركة التى أســاهم فيهــا أن هنــاك عملية انشائية طرحتها شركة أمريكية تكلفتها تتراوح بين أربعة ملايين وخمسة ملايين من الجنيهات وتقدمنا لنقوم بالعملية وتقدمت معنا شركات أخرى منها شركات أفراد ومنها شركات من جملة أفراد • وبعد الفحص جاءت شركتى الأولى بين الشركات الأخرى • ولكننى لم أسارع بقبول العملية • فقد كان من بين الشروط واحد يقضى بان أقدم للشركة خطاب ضمان بعشرة فى المائة من قيمة العملية • وخطابا آخر بخمسة فى المائة من قيمة العملية أيضا • ورأيت أن هذا سيكلفنا مبلغا ضخما من المال لا أحتمله • فذهبت الى الشركة الأمريكية ورجوتها أن تعفينا من بعض هذه المبالغ الضخمة ولكن الشركة رفضت قائلة أن هذا من قانون الشركة ولا يمكن أن يغيروا قانون الشركة •

وبناء عليه رفضوا العطاء الذى تقدمت به وقبلوا العطاء التالى :
أتعرف من صاحب العطاء التالى ؟

قلت :

ــ ومن أين لى أن أعرف وأنا لم أعرف كلمة المقاولة الا مما درسته بكلية الحقوق •

قال :

وذكر اسما • لا أستطيع أن أذكره فالحديث بيننا فى البحر ولا دليل معه يقدمه لى ولا دليل عندى أقدمه للقارىء • وهذا كلام اذا لم نشفع فيه الأسماء بالمستندات نكن ظالمين لأنفسنا ولذلك اخترك كلمة « قصة » عنوانا لهذا الكلام لأن القصة قد تصدق وقد تكون تأليفا وخيالا •

مع أننى واثق كل الثقة من محدثى الذى أعرفه منذ قرابة عشر سنوات لم أجرب عليه الا الصدق والأمانة والشرف • ثم انا رجل خالطت الحياة وعركتنى وعرفت من أخلاق الناس ما ينبغى أن يعرف من عاش حياتى • ومن صناعته فى الحياة كتابة الرواية والمقالات والقصص وهذه صناعة ان لم تكن فيها واسع الخبرة بالناس وبالحياة فلا أمل لك على الاطلاق ان تقدم الى الناس شيئا يستحق الذكر • فالكاتب يقدم الناس الى الناس واذا هم أحسوا أنك لا تعرفهم حق المعرفة انصرفوا عنك كل منصرف •

فصاحبى صادق لا شك فى صدقه • ولكن الذى أخشاه ألا تصدقه أنت • فمن الخير له الا أذكر اسمه ومن الخير لى الا أذكر أنا الاسم الذى ذكره • فهو اسم لا يجهله أحد فى العالم لا فى مصر وحدها بما ينتسب اليهم من أقوام وبما ذاع عنهم من أحاديث ملأت الدنيا جميعا فى يوم من الأيام •

أن الاسم الذى ذكره اسم فتى صغير ليس من المفروض ان يكون على أى قدر من الثراء • فطبيعة ما سمعناه عنه تقتضى أن يكون مستورا لا مليونيرا ولو سألناه أو سألنا المدافعين عنه من أين لانهالوا علينا بالأجوبة ولكن المؤكد الذى لا شك فيه أن أحدا لن يصدق حرفا من أجوبتهم •

واذا شاء محقق صحفى أن يتصل بى ويسألنى عن صاحب الرواية التى سمعتها فى مياه البحر وعن صاحب الاسم الذى ذكره فانا على استعداد أن أذكره بشرط واحد • ان يتعهد المحقق الصحفى بتحرى النبأ وتتبعه وليس فى الأمر سر يخفى ولا سرقة فتستتر انما هو عطاء شريف فى عملية مقاولة تقدم من فتى فى أول حياته العملية ففاز بها وكل الذى نبحث عنه هو « من أين » فلا داعى هناك للاخفاء أو التستر • سيجد المحقق الصحفى الطريق أمامه مفتوحا على مصاريعه ميسورا

لسالكيه مرحبا بمن يسير فيه . وأكمل محدثى فى الماء الحديث فقال :

ـ تقدم هذا الشخص الأسطورة الى الشركة وقال لها اذا كان الأول لم يستطع أن يقدم خطابات ضمان بخمس عشرة فى المائة من قيمة المقاولة فهانذا أقدم اليكم خطابات ضمان بثلاثين فى المائة من العملية . ورسا العطاء عليه بطبيعة الحال .

وللقصة بقية لا تخلو من طرافة فقد جمعت مناسبة من مناسبات الأفراح بين أخت محدثى ووالدة الشاب الأسطورة فاذا الأم تقول للأخت ـ فلان بك (محدثى) يدخل فى عطاء مع ابنى فلان (الأسطورة) وعلى ابنى قده . ان ابنى عصفورة صغيرة لا تحتمل ثروة فلان بك (محدثى) .

وتنتهى القصة وأتساءل . اذا كان وهو عصفورة قدم ثلاثين فى المائة فى حين أن المطلوب خمس عشرة فماذا هو صانع حين يصبح نسرا .

قصة أقدمها اليك تقرؤها فى هذا الحر اللافح وهذا اليقظ الشديد وكل رجائى ألا تزيد وطأة الحر عليك . وألا تجعل القيظ غيظا . وقانا الله من الحر والغيظ جميعا أنه سميع مجيب .

الأهرام ١٩٨٥/٨/٢٥

بين القراءة والمشاهدة والاستماع

جاءنى فى البريد هذا الخطاب وقد وجدت فيه فرصة طيبة لأتحدث عن المصير الذى تتعرض له الأعمال الروائية التى تظهر فى كتب ٠ والكاتب كما سيتضح لك أديب ذواقة من الطبقة الأولى مما زاد حماستى أن أبادله الرأى حول موضوع يكثر فيه الحديث ٠ يقول الخطاب المرسل من د٠ أحمد ممدوح عباس مدير المركز الطبى بمنشأة ناصر ما يلى :

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزى أستاذنا الجليل والأديب المبدع ثروت أباظة

تحية طيبة مباركة وبعد :

تلك رسالة أقرب ما تكون الى استغاثة ، حافزى الى كتابتها هى صلتك الحميمة بمن أطلب له الغوث ، انه أديبنا الفذ نجيب محفوظ وروايته الخالدة « ملحمة الحرافيش » ٠

وقد كنت فى حل من الكتابة اليك لولا أنى أتابع اهتمامك بأعمال أستاذنا نجيب محفوظ على صفحات الجرائد مما جعلنى أستشعر تلك الصلة الوطيدة والنادرة التى تربطك به ٠

ولقد سبق لى أن تشرفت بالكتابة اليه وكنت وقتها فى بلد أفريقى بعيد جداً منذ أكثر من ست سنين ، وقد بسطت اليه انطباعى عن « الملحمة » وايحاءاتها والمغزى الكامن فى طيات حكاياتها ، ولدهشتى البالغة أنه تكرم بالرد على بأسرع مما كنت أحلم ،ووافقنى على ما توصلت اليه من فهم لبعض حكاياتها العشر ٠

وقد انتابنى شعور من الاشفاق والألم وأنا أتابع ضياع الاثارة وهم ينبشون أحشاء الملحمة ليخرجوا بها فى أعمال سينمائية فظة وساقطة ، مع أن الملحمة عمل متكامل لو قيض له أحد مخرجينا الملتزمين مثل

صلاح أبو سيف ، لخرج الينا بعمل لا يقل عما نراه من أعمال الأجانب مثل سبارتاكوس والوصايا العشر والرداء وغيرها ٠

ولست أدعى مهنة النقد الأدبى لأنى لا أملك أدواته وكل ما فى الأمر أنى قارىء قد لا يكون من هذا الطراز الذى يقرأ ليتسلى أو ليقتل الوقت، بل ليغوص فى عقل الكاتب وقلبه ليوفيه حقه فى الجهد الذى تكبده لكى ترى أعماله النور وتستقر بين يدى قارئها ٠

فاذا أذنت لى أن أعـرض عليك انطبـاعاتى عن حكايات الملحمة ، فسأحاول أن أوجز بقدر طاقتى حتى لا يضيق صدرك أو يتسلل الملل اليك من أسـلوب شـخص مثلى لم يكن الأدب حرفته وان كان أعـز هواياته ٠

فالملحمة هى سرد لتاريخ حارتنا فى مصر منذ باعث نهضتها محمد على باشا وحتى مقيل عثرتها وكبوتها وماسح عارها محمد أنور السادات ٠

والى هنا ينتهى ما اجتزأته من الخطـاب لأن الجزء التالى يكشف رموزا كثيرة من رواية الحرافيش الخالدة ٠ وانى أوافق الدكتور على تفسـيراته جميعا وأحبذها الا أننى أفضل ألا أنقل هذه التفسـيرات الى القراء حتى تظل الرواية حرة توحى ما تشاء أن توحيه الى كل قارىء على حدة ٠ وحتى يظل كل قارىء أيضا حرا أن يستشف من الرواية المعنى الذى يتفق مع تفكيره هو ومشاعره هو ٠ وهكذا سأنتقل قفزا الى نهاية الخطاب لأتيح لنفسى بعد ذلك أن أعلق على المشـــكلة الأساسية التى أثارها الدكتور فى رسالته حول عبث السينما بالعمل الروائى لكبار الروائيين ٠٠ يختم الدكتور رسالته بقوله :

وعلى كل حال فليس أمامى شىء أختم به خطابى الا أن أرفع يدى بالرجاء الى الله سبحانه وتعالى أن أكون قد أصبت فأظفر بحسنتين ، أو أخطأت فأظفر بحسنة وتصويب ، وفى أى الحالتين ، فان وزنك فى ميدان الأدب كفيل بأن يؤهلك للغوث ، لتنقذ بغيرتك على الأدب هذا العمل الرائع من براثين محترفى سير الساقطات ٠

والله من وراء القصد

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠

القاهرة فى ١٩٨٥/٧/٧ ٠

وهذا الذى أثار الدكتور وجعله يجزع على عمل أدبى ضخم يحترمه الدكتور وهو جدير فعلا بكل اجلال واحترام يشكل سؤالا يواجهنا نحن كتاب الرواية فى كثير من الأحاديث · وأغلب الأمر يأخذ السؤال سمت الاتهام أننا نترك أعمالنا نهبا للتمزيق والتشويه وهى تتحول الى أفلام سينمائية أو تليفزيونية أو اذاعية ·

والحقيقة أن اتهام الكتاب جائر كل الجور يحملهم من المسئولية ما هم منه براء ·

ولنضرب مثلا لذلك · نفرض أن أستاذنا نجيب تنازل عن رواية لتصبح مسلسلا فى تليفزيون الأردن أو قطر · هل من المفروض أن يسافر وراء روايته ليرى ماذا صنع بها كاتب السـيناريو والمنتج والمخرج والممثـلون ·

واخترت مكان تنفيذ الرواية فى غير مصر على سبيل المثال فلنفترض الآن انها مصر · هل يعقل أحد أن يجلس نجيب محفوظ أو أى كاتب آخر بجانب أعماله وهى تتحول الى سينما أو تليفزيون أو مسرح أو اذاعة · اذن فهـو سيتفرغ تفرغا تاما ولن يسـتطيع مع ذلك أن يلاحق هذه الأعمـال ·

فاذا نحن تركنا الاستمالة المادية جانبا · واذا نحن أرغمنا الكاتب أن يتفرغ هذا التفرغ فهو اذن محكوم عليه ضمنا الا يكتب شيئا جديدا · ومحكوم عليه حكما لا جدال فيه ألا يقرأ شيئا مطلقا وكاتب لا يقرأ كاتب قضى عليه بالافلاس الذهنى والنفسى فى وقت معا ·

هذه واحـدة

وأخـرى

الرواية فى أغلب أمرها تتكون من محاور عديدة ولـكل محـور شخوصه وأسسه وأن كانت كل هذه المحاور جميعا تتوجه الى الفكرة الأساسية التى حملت الروائى على كتابة عمله الأدبى ·

ولكن القاعدة فى العمل الدرامى أن يدور حول محور واحد ·

اختيار هذا المحور من حق كاتب السيناريو أو اذا شئت الحق هو من اختيار المنتج الذى اشترى الرواية · فهو اذن يشتريها لمحور بذاته يرى أنه عائد عليه بالربح الأوفر ·

وهكذا ينقلب الفن الى تجارة صريحة واذا لم يقبل الكاتب هذا فقد حكم على كتبه الا تظهر فى أى مجال من مجالات الأعمال الدرامية ٠

والأعمال الدرامية هامة للكاتب لأنها تخاطب الجمهور غير القارىء وهو الأغلبية الكاثرة من الشعب العربى ٠ وهذا الجمهور غير القارىء يطمح الكاتب أن يجعل من بعضه قارئا فاذا انعدمت الوسيلة فان الكاتب يحاول على الأقل أن يصــل شىء من فكره الى هذه الكتلة الضخمة من غير القارئين حتى لا تظل كتلة صماء ترفض أن تكتسب فكرا فاذا هى على مجتمعها عبء يضر ولا يفيد ٠

وأخــــرى

الكاتب وحده هو المســئول عن كتابه لا يشــاركه فى مســئوليته انسان فى العالم أجمع ٠ ومن هذه المسئولية عليه أن يتحمل كل نقد يوجه الى ما كتب كما له أن يتقبل فى اطمئنان كل مديح يتجه الى هذا الكتــــاب ٠

أما الأعمال الدرامية فيشترك فيها أولا المنتج باصراره أن يربح ولهذا لا عجب أن يختار من الروايات الفكرية المعارك الدموية والمواقف المثيرة لكل المشاعر رخيصة كانت هذه المشاعر أو كريمة ٠ ثم يشترك معه كاتب السيناريو الذى يكتب وعينه على المنتج والمخرج معــا فهما يستطيعان بكلمة أن يرفضا ما يكتب ثم يشترك المخرج الذى يعتبر رئيسا فنيا على العمل وهو غالبا أيضا لا ينسى ما ينبغى أن يحققه من كسب للمنتج ٠ ثم يشترك الممثلون كل ممثل بقدر ما يحققه اسمه من بيع فى الشباك وكل ممثل يحب أن يظل شاخصا الى الجمهور وأن يظل الجمهور شاخصا اليه طوال عرض الفيلم ٠

أين يذهب الكاتب بين هؤلاء جميعــــا ؟ ان الأمر فى الأفلام وفى التليفزيون يصبح غابة تتناولها الرياح من كل جانب ٠٠ رياح يجتذبها الربح وأخرى تجتذبها الرغبات الشخصية ٠ وكثيرا ما يكون مصـــدر الرياح جميعا الجهل ومداعبة أحط الغرائز وأبعدها عن كرامة الانسان وقداسة الفكر ٠

وهكذا لا يجوز أن يتعرف أحد على أدب الكتاب الروائيين من أعمالهم السينمائية والتليفزيونية والمسرحية والاذاعية ٠ والذين يعدون يصرون على ذلك بعيدون كل البعد عن معنى الأدب ٠

ولكن هل يجوز أن يعلن الكتاب رفضهم أن تقدم أعمالهم فى المجالات الدرامية · اذا قسوت وقلت بهذا الرأى وضربت عرض الأفق بالربح المادى الضئيل اذا قورن بأجر الممثل او المخرج أو بكسب المنتج · فهل ترى أن يترك الروائيون أصحاب الفكر الرفيع الميدان خلوا من أعمال فنية سامقة مثل الحرافيش التى اختارها الدكتور موضوعا لرسالته ·· ما أظن أن أحدا يقبل هذا ·

ولا يسعنا الا أن نردد الأثر المشهور مالا يدرك كله لا يترك كله · وحسبنا الله ونعم الوكيل ·

الأهرام ١٩٨٥/٩/١

سياحة من ؟

أكتب هذا من لنـدن قدمت اليها منذ أيام قلائل · مليئة لنـدن باخواننا العرب من كل قطر شقيق أو غير شقيق ·· لا أدرى لماذا أو ربما كنت أدرى كلما سمعت شقيق فى مكان وصفا للعرب يثب الى ذهنى الشقاق لا الأخوة اللصيقة التى اصطنعت لها كلمة شقيق والتى كانت تعنى فى معناها الأصيل الأخ من ادب والأم جميعا لا الأخ من الأب فقط أو الأم وحدها ·

اخواننا العرب على كل حال يملأون لندن فأنت فيها تسمع لغتك أكثر مما تسمع لغتها · وقد استطاعت لندن ان تجعلهم يسيرون على نهجها هى · فاذا صدر من أحدهم فعل لا يرتضيه الخلق الأمثل اتجهت عيون شعب بأكمله اليه فما يلبث أن يعرف الجادة ويعود الى الطريق ·

وأنا هنا فى خارج مصر أحس أننى نزلت عن المسرح لأصبح من المشاهدين لبلدنا الحبيب · فانا فى مصر أقف على خشـبة المسرح ولا أستطيع أن أحسن مشاهدة العرض فانا واحد من العاملين فيه ينصرف همى الى الدور الذى ينبغى أن أقوم به وتصبح ملاحظتى للعرض مشوبة بانشغالى بدورى أنا · أما هنا وأنا هنا بلا دور فعيناى وقلبى ومشاعرى كلها الى مصر تقارن فتصرعنى المقارنة وتوشك ان تقتلنى حتى ليعلم الله وحده كم أبذل من الجهد لأضم أصابعى على هذا القلم لاستأنف دورى على مسرح مصر ·

لماذا يتكلم كل انسان فى مصر عن الشعب المصرى وكأنه غير · وكأنه وحدة منفصلة عنه كل الانفصال · كل انسان فى مصر يظن انه فى واد والشعب فى واد · فمتاعب الشعب ليست متاعبه وأفراح الشعب ليست أفراحه · اننى أحس الانجليزية هنا اذا قال الشعب فانما يعنى نفسه · هنا فى أقدم دولة عرفت الديمقراطية وطبقتها · فأنت تجد الشعب هنا هو الذى أراد حكم الشعب للشعب لمصلحة الشعب · وهو يعتبر الحاكمين جزءا منه هو الذى اختارهم وهو الذى أعطاهم سلطتهم وهو الذى يعينهم على ممارسة هذه السلطات فاذا حاولت جماعة ان تقتطع سلطة من هذه السلطات أو تخرج عليها وقف الشعب جميعه فى

مواجهة هذه الجماعة يحاربها بكل ما أوتى من قوة . وما أعظم قوة الشعب اذا عرف الشعب واجباته قبل أن يعرف حقوقه . ولهذا حين حاول العمال فى نقاباتهم أن يعتدوا على سلطة الشعب صاحت تاتشر بشعب انجلترا.. ادركوا انجلترا ان النقابات تريد ان تستولى عليها فانتخبت تاتشر وأعيد انتخابهـا .

فما لنا فى مصر نخاف اللافتات والشـعارات ولا نراعى العلاج ولا نلتزم الحزم . ومالنا تلتفت آذاننـا الى أصـوات الأقلية الغوغائية ولا نلتفت الى أصوات ضمائرنا والقوانين التى وضعت لحمايتنا من كل العـاديات .

أرى الانهيار التام فى الموظفين المصريين ولا أسمع عزيف العقاب ينزل ضاريا عادلا على المقصرين منهم .

بما عوقب أولئك الذين لوثوا ماء النيل وجعلوا مشربه أمراضـا . أصاب بنزلة معوية وأسأل الطبيب العالمى الأستاذ الدكتور عبد العزيز الشريف فيقول انه من ماء النيل الذى تشربه فأنا من الذين يشربون ماء النيل الذى كنت أحسب أنه قراح وأنا لا أعقمه ولا أشترى ماء الشرب من مخازن الأدوية وكنت أحسب أن هذا هو الطبيعى وغير هذا تزيد لا داعى له ومبالغة فى الوقاية لا معنى لها .

ماذا صنعنا بهؤلاء الذين لوثوا ماء النيل الذى سارت الركبان بذكره وبالجملة الخالدة التى ماتت اليوم « من شرب من ماء النيل فلابد ان يعود اليه » وكيف يعود وهو يحتاج الى طبيب يعوده هو ليشفيه مما أصابه من ماء النيل .

وأقول للمسئولين ونحن نضعها فى دائرة الاهتمام من هذا الذى يسبح وماء نيلنا العظيم ملوث بالجراثيم .

قبل أن ندعو الناس لزيارتنا لابد أن نهيىء البيت فاذا كان بيتك يشيع المرض فى أصحابه فهو على غير أصحابه أقسى وأشد هولا .

ويزداد الانهيار ويمعن الموظفون فى غيهم فيلوثون البحر ولا يكفيهم ان يلوثوا النهر . ويقول قائلهم ان تيارات مائية أتت بالقـذر الى الشاطىء .. ماذا ؟ تيارات ماذا ؟ أى خرف هذا الذى يقال لنا ؟! وهل التيارات المائية أمر شاذ فى البحار .. هل هى عارض يأتى فجأة على

غير توقع ولا انتظار ؟! ٠٠ هل هى وباء لا يعتقد أحد أنه سيجىء فاذا هو حال كالقضاء ينزل لا يعرف انسان موقته ولا يدرك انسان موعده ٠

أليست التيارات البحرية علما له علماؤه درسوه فأتقنوا دراسته ثم درسوه لتلاميذهم ٠

ان هذا الذى حدث فى مياه البحر جريمة ارتكبت عن عمد وليست خطأ وان حاول مرتكبوها أن يقولوا انها خطأ وليست عمدا فلا فارق هناك فالقانون يساوى تماما بين الخطأ الجسيم والجريمة التى ارتكبها صاحبها عن عمد ٠ ولئن تكون عمدا خير لصاحبها على الأقل حتى ينفى عن نفسه الجهل الفادح والغفلة ٠

ان حياة انسان فى الدولة المتحضرة أمر جليل تهتز له أركان الدولة جميعا فكيف نسكت على اناس يتلاعبون بحياة أمة بأسرها حين لوثوا ماء الشرب فى النيل ٠

وحياة مدينة بأكملها حين لوثوا ماء البحر فى الاسكندرية ٠

لماذا لم نسمع ان أحدا من هؤلاء رفت وتقدم الى النيابة العامة ولا أقول النيابة الادارية انهم يحاولون ان يقتلوا مصر كلها قتلا وحشيا ويقضوا على سمعتها ويقطعوا عنها السياحة ويشوهوا وجهنا الحضارى الذى صنعته آلاف السنين ٠

ان هيرودوت حين جاء الى مصر قال عنها وهو مندهش « ومن عجب » ان أفراد الشعب المصرى يختلفون عن العيون اذا أرادوا أن يقضوا الحاجة ٠

فهيرودوت المؤرخ لم ير هذا الشىء لا فى وطنه ولا فى أى وطن مر به وهو مؤرخ عصره ٠

هكذا كنا انقياء وهكذا كان حياؤنا قبل أن يعرف العالم النقاء أو الحياء ٠

ماذا يصنع هؤلاء الموظفون بنقائنا وحياتنا وتاريخنا وأجسادنا وكرامتنا ٠

ان دولة لا تعاقب ، دولة لا تستطيع ان تعيش وقد خرجنا من حكم الطغيان الى حكم الشعب والشعب أقوى فى الحق ان كان الطغيان أقوى فى الباطل ٠

فبالحق ينبغى للشعب أن يعاقب المجرمين فيه ومرة أخرى تجمع القوانين على أنه لا فارق هنـاك فى العقـوبة بين الفعل العمد والخطأ الجسيم ٠٠ أدركوا مصر فانها مصر ٠٠ كنانة الله فى أرضه ٠٠ وهى حياتنا لا حياة لنا بغيرها وهى مثوى آبائنا وأجدادنا ومثوانا من بعد فاجعلوا التراب الذى سنصعد فيه الى السماء طاهرا كما كان دائما أو كما ينبغى أن يظل ٠٠ وفقكم الله ٠

الأهرام ١٩٨٥/٩/٨

لأنهم مصريون

فى يوم ٣٠ اغسطس كتب الأخ الصديق الأستاذ أحمد بهاء الدين مقاله اليومى فى الأهرام قائلا : ألم يستوقف نظر العقيد القذافى أن مئات من حملة شتى الجنسيات العربية مستعدون لبذل أى شيء فى سبيل الحصول على جنسية أى دولة بترولية فى العالم العربى ؟ أغناهم وأثقفهم وأفقرهم على السواء ولكنه لا ينالها منهم الا من يعدون على الأصابع . ألم يستوقف نظر الرئيس القذافى أن عربا آخرين متعلمين ومتخصصين يسعون سعيا مريرا لينالوا جنسيات أخرى من بلاد من نوع آخر أمريكا وكندا واستراليا .

وبعد ذلك يتحدث الأستاذ أحمد بهاء الدين عن الأهداف التى تستحث الانسان الى الهجرة كما ألم الأستاذ بهاء الملمة سريعة مبتسرة عن فرص النجاح أمام المهاجرين ثم يقول الأستاذ بهاء .

(ألم يسأل نفسه على ضوء الحقائق لماذا لا يجد تونسيا معدما فقيرا أو مصريا فلاحا بسيطا يقبل التجنس بالجنسية الليبية وهى بلاد بترول ومساحات شاسعة وسكان قليلون وامكانات هائلة وشاطىء طويل جميل معتدل على البحر الأبيض) ثم يقول :

(... وان الداخل الى الجنسية المعروضة عليه ليس كالطائر المهاجر الى أرض ميعاد ولكن كالداخل فى قفص يتحكم فيه مزاج رجل واحد متقلب المزاج ثم يقول فى آخر المقال (ان تاريخ العالم كله تاريخ هجرات وقتا من الصحراء الى الوديان الى البترول ووقتا من الجليد الى المناطق الدافئة ولكن هذا لم يحدث أبدا بالكرباج) .

والى هنا ينتهى ما أردت التعليق عليه من مقال الأخ الأستاذ أحمد بهاء الدين . وأبدأ باللغة فأسأله أين وجد كلمة أثقف ليستعملها أفعل تفضيل للمثقف فيما أحسب أما أنا فلا أعرفها ولكننى لا أستطيع أن أقطع بأنها خاطئة فقد يكون الأستاذ قد قرأها أو بحث عنها .

وأقف مرة أخرى عند كلمة أرض ميعاد فهو تعبير لم أسمعه من قبل قط • أيكون مقصد الأستاذ أرض المعاد ربما ومرة أخرى ربما كنت أنا المخطىء • ولنترك هذا ولننتقل الى المقال •

وأبدأ فأشكر للأستاذ بهاء الدين اعترافه بأن الكرباج الذى يعنى القهر وأن حكم الرجل الواحد أمران ترفضهما كرامة الانسان وكنت أرجو أن يقف عند كلمة رجل واحد دون أن يشفعها بصفة المنقاب أذن لكان أدنى الى الصواب وأقرب الى الحق • فحكم الرجل الواحد مرفوض على أى لون له والله سبحانه وتعالى يقول « أنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان » وليست الأمانة الا الاختيار فكيف يسوغ فى الأذهان أن يقبل الانسان الظالم لنفسه فى مقابل حرية الاختيار فكيف ثم ينزع عنى هذه الحرية فرد واحد يختار هو له فان أبى كان السـوط والتشريد والتعذيب والقتل والاعتداء على كل مقدسات الانسان هو الجزاء •

هذه واحـدة •

وأخرى ؟ لماذا يا أخى بهاء تظلم نفسك والشعب الذى ننتمى اليه هذا الظلم البين •

ولماذا قطعت أن المصريين رفضوا الجنسية الليبية لسبب واحد هو ظلم الحاكم الليبى • ومن قال ان المصريين يسعون الى الحصول على جنسيات أخرى عربية كانت تلك الجنسيات أم كانت أمريكية أو أوربية • حنانيك يا أخى حنانيك •

ليست هجرة المصريين الى الخارج تعنى بأى حـال من الأحـوال محاولتهم الحصول على جنسية البلد الذى يهاجرون اليه • فما أحسب العالم عرف أو رأى التاريخ انسانا حريصا على الانتماء الى بلده حرص المصرى على مصريته •• يهاجر المصرى ولكنه يظل مصريا بكل قطرة دم فى عروقه • وما أندر ما سمعنا عن مصرى حاول الحصول على جنسيات أخرى • انما هى حالات فردية لا تقيم قاعدة بقدر ما هى الاستثناء الذى لا يقاس عليه ولا يتوسع فيه • وهى أيضا الاستثناء الذى يؤكد القاعدة فكلما قل الاستثناء كانت القاعدة أثبت وأرسخ •

وقد رأى المصرى فى وطنه أهوالا شدادا وسنوات عجافا وقهرا وجبروتا ولكنه قط ما ترك مصريته •

رأى الهكسوس ورأى الأتراك واصطلى بحكمهم الغليظ • وعمت بلادنا المجاعات حتى لقد أكل الناس بعضهم البعض • ولكن المصريين ظلوا مصريين • وشهدنا حكم الفرنسيس وظلمهم وقاسينا احتلال الانجليز وغطرستهم وغباءهم • وظل المصريون مصريين •

وحين قست مصر على بنيها فى الزمن الأخير • وحين اعتدى الحكام على الأعراض والأنفس والأموال والثمرات • هاجر المصريون ولكن ظلت عيونهم على مصر • وظلت قلوبهم مغروسة أشجارا لفاء سامقة فى أرض النيل • واكتسبوا المال واشتروا به الأراضى فى مصر وابتنوا لأنفسهم بيوتا فى مصر ولو ساومهم من هاجروا اليهم على مصريتهم لتركوا لهم ما كسبوه بكدهم وكدحهم من مال ومالوا الى مصر المرفأ والمنتج والأمل الأخير • فهى هى عندهم أرضى المعاد الذى اليه العودة ومن ترابه يكون صعودهم الى السماء •

لقد قرأت لا شك يا أخى بهاء ان الوفا مؤلفة من جنسيات أخرى قبلت التجنيس بالجنسية الليبية • ولكن مائة ألف مصرى أبوا جميعا أن ينزلوا عن مصريتهم • وان حرمهم القـذافى مالهم الذى بذلـوا فيه دماءهم •• نعم وان •• وان طردهم •• نعم وان •• وان هددهم بما يعرفون من قسوة الحاكم الغاشم الظالم الطاغية •• نعم وان •• لان مصريتهم أعز عليهم من عروض الدنيا جميعا ولأن نفوسهم المصرية أقوى يشربون ويسقون أهلهم وذويهم •

مرحبا بالعائدين من ليبيا •• مصريين ذهبوا ومصريين يعودون •• كانوا فى حضن مصر وهم فى ليبيا وهم فى أحضانها وفى حبات العيون وملء القلوب وهم على نيلهم يمرحون وفى وديانه ينتشرون ومن معينه يشربون ويسقون أهلهم وذويهم •

ان كانوا للمال قد خرجوا فهم بما لديهم من سواعد وخبرة واجدون المال بين أهلهم وذويهم •• مباركون هم فى حلهم وترحالهم • مصريون هم أقاموا أم هاجروا • فمصر تعلم أن المهاجرين عنها كل المهاجرين انما هم مصريون بجذورهم ، مصريون ، بدمائهم ، مصريون ، بفروعهم وهل

أدل على ذلك من أنهم يجتمعون هنا فى كل عام يبحثون شئونهم مع أهل مصر لأنهم مصريون ويدبرون أمورهم مع ولاة الأمور فى مصر · لأنهم مصريون ·

لهذا يا أخى بهاء أبى المصريون أن يتركوا مصريتهم · هكذا صنعوا فى ليبيا وهكذا يصنعون فى كل البلاد العربية وهكذا يصنعون أيضا فى الأمريكتين وفى أوربا وفى كندا وفى استراليا وفيما شئت من بلاد العالم أجمع · وهكذا سيظلون الى الأبد الأبيد ·

الأهرام ١٩٨٥/٩/١٥

الغوث يا رحيم السماوات ٠٠٠

هذا الغلام المفتون المقيم فى ليبيا كارثة تضاف الى كوارث العرب الكبرى ٠ وكم من الكوارث تحيط بالعرب ٠

يحيط بهم الشقاق والخلاف والاصرار على الخلاف فى جنون أرعن مأفون ٠ ومنهم من يصر على الخلاف رغبة فى الزعامة ٠ وتلك فى ذاتها عجيبة فقد عرفنا الزعامة اجماعا أو اتفاق أغلبية على اختيار شخص للقيادة فهل ترى نجد جديد جعل الزعامة اليوم ايقاع الخلاف بين المزعومين بعضهم وبعض ٠

ومن كوارث العرب تلك الحرب الطحون الدائرة فى لبنان أنها كما قال شوقى الخالد قطة تأكل بنيها فى ضراوة قاسية اليمة ولكن يبدو أن حميا الحرب أشد ضراوة من وحشية الجنون ٠ ألا يدرى أولئك المتقاتلون فى لبنان أنهم ما يقتلون الا أنفسهم وما رأينا من قبل قاتلا بغير دافع الى القتل الا الموت فى سبيل الموت المأفون من أجل الفناء ٠ عرب يقتلون عربا واخوة يقتلون اخوة وسوريا تخفى خزيها فى الجولان باشعال نيران القتل والدمار فى لبنان والأحمق المأفون فى ليبيا لا يكتفى بهذا الدمار بل يزيد لنا لهيبا بتصرفاته التى تزيدنا حسرة على العرب وحزنا على حالنا وتزيد الخروق اتساعا وتقطيع أواصر وتمزيق وشائج ٠ ويجد من مصر من يتيح له أن يخطب فينا ونقرأ ما ينقلون عنه فنجد المصريين ـ وما أحسبهم كذلك ـ يتعاطفون معه ويتناغمون مع ألحانه المجنونة الحمقاء ويطعنون مصرية المصريين وقومية العرب فى وقت معا ومرة أخرى نذكر قول شوقى :

خطبت فكنت خطبا لا خطيبا أضيف الى مصائبنا العظام

فاذا تركنا لبنان وما أكثر ما نحزن من أجل لبنان ولفتنا رؤوسنا الى العراق وايران وجدنا هذه الحرب الضروس تسفك دماء المسلمين وهم فى ايران يشعلونها باسم الاسلام ٠ براء ديننا مما يفترون بل وبراء كل الأديان مما يسفكون من دماء ٠

واذا نسينا الدماء ـ وما أدرى كيف لنا أن ننسى الدماء ـ وجدنا أموال العرب ترمى فى أنهار الدم ـ ويجتمع على هذا المال جنوب الحرب فى العراق وايران وجهل المخـــابيل ممن يريدون أن يحققوا ذواتهم بالسيارات المجنونة الأثمان أو بالطيارات أو بالقصور التى تثير القرف لا الاعجاب أو الملابس التى ما كانت لتصنع لو لم تكن المصانع تعلم أن هناك مهازيل فارغين سيشترونها لجعلوا منها لجسومهم الجوفاء زينة ، وعلم الله ما هى زينة وانما هى قبح واستهتار وجمود مشـــاعر وعدم احساس بمآسى الانسانية حولهم • ولو أن الدول لم تصب بحرق العراق التى أحرقت فيها حتى اليوم آلاف المليارات من الأموال ولو أن الأفراد الأثرياء كانوا على شىء من الانســـانية والرحمة لتغيير وجه العالم أجمـــع •

وكم تسيل الدموع وهى ترى المال حين جاء الى العرب أصبح حربا ودمارا للعرب أنفسهم وللمسلمين أو أصبح مظهرا تافها حقيرا يثير من النفوس المرارة والأسى والحزن •

وأرقب هذا جميعه وأنا استشفى هنا فى لوزان أحاول أن استجمع فى أسابيع ما شتته العام منى عنتا وعملا ورهقا • فتطلع على جريدة مصرية بحديث عن ناقد مصرى تصـــدر التلفزيون المصرى وراح يوجه أسهمه المسمومة التى تعود أن يرمى بها مصريتنا وعروبتنا ولغتنا ومن نجلهم من أشخاص وما نقدسه من أدب عربى رفيع •

وأقرأ أن الناقد قال أنه يخشى أن يعود المسرح الشعرى الى شوقى وعزيز أباظة •

رحماك يابن مصر • وهل ظهر مثل شوقى وعزيز أباظة ؟

رحماك يابن مصر فهل سمعت عمرك أن انسانا يخشى أن يصبح شعره العربى قمة مرة أخرى • أما نحن المصريين الذين لا لغة لهم الا العربية فنتمنى هذا الذى تخشاه • من أعماق نفوسنا نرجوه ويرجوه معنا كل من يحب لغته وأدبه وقومه ومقدساته • ان المسرح الشعرى الحديث الذى مثله الشرقاوى بقوة وعظمة وشموخ والذى تبعه فيه صلاح عبد الصبور بروايات قليلة والذى لم نر منه بعد ذلك الا بدايات تنبىء فى غير وضوح وتبشر فى غير يقين • هذا المسرح الشعرى يقوم على شعر التفعيلة واننا نرحب بهذا الشعر كل الترحيب فى المسرح ولكننا نظل نتمنى أن يعود الشعر الأصيل الى المسرح • والا فهل يحزن الانجليز ان عاد شكسبير أو يحزن الفرنسيون ان عاد لهم راسين •

ولكن لا ملامة على النـــاقد ولا تثريب عليه • وأى معنى عربى لم يحاول أن يمزقه وأى انسان شريف من عظمائنا لم يحاول أن يحطمه أنها سهام يعدها لكل ما هو عربى فى حياتنا ولهذا تعودت هذه السهام أن ترتد اليه لأن لغتنا العربية مصونة بكتاب الله الخالد • وبلسان العرب أجمعين • فان عرتهم اليوم لكنة وأصابتهم عجمة فما هى الا تعبير عن تمزقهم فى داخلهم وحربهم لأنفسهم وقتلهم لبعضهم البعض • ولكنها الغمرات ثم تنجلى والله سبحانه أرحم بعباده أن يتركهم هكذا فى غيهم يعمهون •

وما بقى لنا الا أن نترقب الغوث من رفيع السماوات سبحانه وأنه لمدركنا برحمته التى وسعت كل شىء تقدست أسماؤه •

الأهرام ١٩٨٥/٩/٢٢

العـــود أحمـــد

أنا أعيد نفسي للعودة من بلاد الانسان فيها هو أعلى قيمة في الوجود ٠ وأنا أكتب هذا وأنا في سويسرا بلاد الجبال والبحيرات ٠ كيف استطاعوا ان يخضعوا الجبال وهي الشاهقة البالغة أعنة السماء للانسان فهي متعته وهي رياضته ونزهته ٠ والبحيرة يركبها ذلولا تشرق للانسان بأجمل ما فيها من وجوه ٠ أنت عليها بظل كثيف أصبحت الجبال الصخرية الصلبة أرضا خصيبة معطاء ٠ وكيف غدا الصحراء الصلب الشديد بيوتا هي زينة ومتعة في عين الرائين ٠ وهناء ورغدا لعيش الساكنين ٠

وتمشي في الطرقات فتجد المصاعد الكهربية توفر عليك عناء الصعود أو الهبوط وترى الطريق أمامك يضحك لك يستقبلك ٠ امش باذن الله سليما معافى فلا خوف عليك من عثرة ولا ضير على قدميك من مفاجأة أنت آمن في خطاك ٠ هادئ سربك في جنبات المسالك ٠

وكنت قد انتويت ان أعود الى مصر في آخر هذا الشهر ٠ ولكن فجأة عافت نفسي الحياة في أكناف لوزان الفيحاء وفي اشراقة الدنيا بها ملت نفسي السعادة في صباح ومساء ٠ الصباح اشراق لاتلقى فيه الا الوجوه الوضيئة بالأمن الراضية عن العيش ٠ والمساء هدوء وسلام ٠

وتاقت نفسي الى مصر ٠ بكل ما فيهـــا من وعثاء الطريق وغابات الأشجان ومتاعب الناس ٠ ونواقص الخدمات ٠

سئمت البلاد التي تعتبر الانسان أغلى عناصر الوجود وسيد هذه الحياة ٠ والح بي الشوق الى مصر بكل مصر ٠ بطرقاتها المخلعة الأرصفة المحفورة المســار ٠ بمائها وما فيه مما ندريه ولا يدريه الا عالم الغيب والشهادة ٠ بشكاوى الناس من قلة الايواء وصعوبة النقلة ووعورة اليوم ، وانكماش الغد وضآلة الرزق ، وغلاء المطالب ٠

وجدت الحنين الى مصر هذه يقتلعني اقتــلاعا من مقامي بسويسرا ويدفعني دفعات جائحة الى بلادي فالهناء في سويسرا ليس هنائي والديار

ليست دياري ، والربوع ليست ربوعي • والنسمة تهفو الى من غزالة بلدتي بجوار الزفازيق أحب الى من كل الجمال في سويسرا ومن كل الهناء في أنحائها ومن كل الطمأنينة في جنباتها فكل هذا مبذول لأصحابه وليس لي وان شملني منه نصيب وأنا بينهم فكما يشمل المضيف ضيفه ببعض الرعاية • والضيف مهما ينل من العناية يظل ضيفا • وشعور الانسـان بأنه ليس في بيته يجعله دائما حذرا يترقب يوم عودته الى كسرة بيته وان كان عشا بلا فخامة ، أو كان سقيفة بلا جدران •

وجئت وحمدت العودة وأحسست وأنا هنـا أنني في مكاني الذي خلقني الله له وخلقه لي هنا استاف عبير آبائي وأجدادي من تراب مصر وأشم أجمل هواء عرفته في حياتي • هواء مصر • فان حبنا هنا وما مضى من أيامي هنـــا وما هو في مطوي الغيب قابل هنـا مثوى الذين مضوا من أعز الناس علينا ومستقبل نفوسنا ومن هم أغلى من نفوسنا من أبنائنا •

نحن هنا غرس في أرضه ونبات في مكانه • أصل نحن هنا وفروع • وماض نحن هنا وحاضر ومستقبل • نحن هنا نحب هنا بقلوبنا ومشاعرنا ونبضات عروقنا وليس مع هؤلاء منطق الا الحب •

ودخلت الى مكتبي في الأهرام • أعز مكان على نفسي بعد قريتي وبيتي وقرأت بريدي • ورحت أقلب الصحف التي لم تكن تصـل الى غربتي • ووجدت مجلة الأهالي في أسبوعها الماضي •

كلما قرأتها تملكني الحيرة

ماذا يقول هؤلاء الناس ؟ وما لهم ينصبون هكذا بعدوانهم الوقح على الحقيقة يريدون ان يدمغوها بالبهتان وما لهم يعترضون الطريق القويم بأسلحة الزور والكذب والتمويه •

في صراعهم مع عبد الرحمن الشرقاوي وليس الشرقاوي بحاجة الى أحد ان يقف الى جانبه فهو وحده قادر وأكثر من قادر ان يمحق حجتهم بقلمه الشامخ الجرىء •

والحق في جانبه واضح • وهو ابن مصر لم يتلكأ على أبواب المخابيل من حكام ليبيا ولم يصانع أثرياء البترول بقلمه أو كلمة •

ولم يقل عن أحد انه نبى جاء فى غير موعده لأنه مسلم ويعلم علم يقين أن محمدا عليه صلاة الله وسلامه هو خاتم الأنبياء · وهو قد قرأ تاريخ الأنبياء وعلم أنهم قمم الانسانية وأى قمة أعلى من اختيار رب الناس ملك الناس اله الناس لحمل الرسالة · وهو يعلم كما يعلم كل مؤمن انه لم يحدث ان ظهر نبى مجنون يخرب الأرض حواليه ويحرق الدنيا جميعا فى جنون الزعامة وبمال الشعب الذى فرض عليه حاكما ·

ولكن الأهالى تقول انه نبى جاء فى غير موعده · أهم مؤمنون بالأنبياء الذين جاءوا فى موعدهم حتى يؤمنوا بالنبى الذى جاء فى غير موعده وجعل معجزته محاولته السافلة الحقيرة ان يغير فى القرآن الكريم ·

ولم يقل الشرقاوى ان القذافى آخـــر الصقور · ولست أدرى من هؤلاء الصقور السابقون حتى أدرى آخر الصقور الا ان يكونوا يقصدون بقولهم هذا انه آخر الطواغيت الذين يختطفون ما ليس لهم بحق والذين ينهشون لحوم الموتى والذين يأكلون الجيف ان كان هؤلاء هم الصقور الذين يقصدون فاللهم نعم انه صقر · واللهم يا ذا المن سبحانك اجعله آخر الصقور فما أبغض الناس شيئا قدر بغضهم للطواغيت العتاة الظالمين السافكين دم شعوبهم وأهليهم ·

أنا اذن لن أقف فى جانب الشرقاوى فهو ليس فى حاجة الى أحد أن يقف الى جانبه بل ربما عارضته أيضا فيما أطلقه من اسم اليسار الوطنى على جماعة بعينها فأنا لا أعرف فى مصر عددا من الناس يمكن ان يكون جماعة اسمها اليسار الوطنى وانما هم أفراد قله مثل الشرقاوى ومحمود توفيق وفتحى غانم وربما تكون هناك بعض أسماء أخرى لا تسعفنى بهـا الذاكرة ولكنهم على آية حال لايكونون جماعة يمكن ان تحمل اسما ·

وانما أنا أريد أن أسأل الأهالى وأصحابها ما هجومهم هذا اللئيم الجائع على أنور السادات عملاق الحرب وعملاق السلام · أليس هو من انشأ حزبهم وانشأ مجلتهم واختار من بينهم اثنين جعل منهما وزيرين عاملين · أهذا ذنبه عندهم أم هذا جزاؤه · أم على قلوب أقفالها ؟!

وما قولهم ان الأهرام جريدة حـــكومية · ألا يعرفون أن الأهرام مؤسسة لها من المال ما يستطيع ان يخرج عشر جرائد فى حجم الأهرام بما كسبته من ثقة عند الناس فى مشارق الأرض ومغاربها · فالحكومة اذن لا تدعم الأهرام ولكن فليقولوا لى هم ـ ما داموا ينكرون أنهم يتقاضون

الأموال من الدول الشيوعية ودول اليمين ودول البترول ـ كيف تصدرون أنتم ومن أى الموارد تنفقون على مجلاتكم ان اشتراكات أعضائكم كلها فى عام بأكمله اذا كانوا يسددونها لاتكفى لاصدار عدد واحد من مجلة واحدة من مجلاتكم ٠

اذن فأنتم تصدرون بدعم من الحكومة ٠٠ منه الدعم الظاهر الذى قرره لكم السادات ومنه الدعم الباطن المتمثل فى اعلانات الوزارات والقطاع العام ٠ فان القطاع الخاص لا يمكن أن يعلن عندكم ٠ وكيف يعلن ويقدم مالا لاعلان فى جريدة لا يقرأها الا المئات مشتتين فى أنحاء مصر ٠

أنتم اذن الجريدة الحكومية أما الأهرام فانه الأهرام وأنتم تعرفون وان رغمت أنوفكم ما معنى كلمة جريدة الأهرام فى الآذان وفى النفوس وفى أنحاء العالم أجمع ٠

قرأت الأهالى عند عودتى لمصر وحزنت ان بين ربوع مصر أمثـــال هؤلاء ولكن مالى لا أقول مع المتنبى ٠

فان يكن الفعل الذى ساء واحدا
فافعالك اللائى سررن ألوف

الأهرام ١٩٨٥/٩/٢٩

اليوم عيد العرب

مثل هذا اليوم منذ اثنى عشر عاما قاد الجيش المصرى باسم العروبة بطل فرد فى تاريخ العالم العربى الحديث هو أنور الســادات · وحطم بما فعل وبما فعل جيشه كل الأساطير من حقائق وأباطيل · وكان الطنين يملأ أرجاء الدنيا ان الحرب مع اسرائيل حرب مع الأقدار محتومة الهزيمة· وكان الكهنوت الأعظم لهزيمة سبعة وستين يملأ الدنيا بمقالاته التى يدعى أنه يعتمد فيها على العلم بالحقائق ما ظهر منهــا وما خفى وما لا يعلمه الا الله والنادرون المختارون من عباده وقد وكان يعتبر نفسه دائما على رأس هؤلاء النادرين المختارين بما عرفه من رؤساء وملوك وقادة وغطارفة أموال وأرباب سياسة وآلهة حروب ·

وكان بكل هذا يقول ان الماء والنــار والجبــال والصواريخ التى لم تشهدها البشرية والطائرات التى لا تعرفها سماوات الشرق الأوسط والدبابات التى لم يعهد لها أحد مثيلا والمشاعل التى تحرق الماء والسيول التى تجرف الجبال كل هذا فى انتظار الجيش المصرى اذا هو فكر فى الحرب ·

ونحن المصريين ظللنا السنوات الطوال نترقب مصائرنا ونتحسس ما يبيته لنا حكم الفرد من قرارات وأحكام وقوانين مما يكتبه الكاهن الأعظم فلم يكن عجيبا أن يرى الكتاب وأنا منهم أن الوعد بالحرب وعد مخلوف وكلمة للتسكين لا للتنفيذ · وقدمنا نحن الكتاب بيانا نقول فيه ما معناه أما الحرب فلا سبيل اليها · فاعطونا حريتنا عسى أن تحل الكلمة الحرة محل القنبلة التى لانتوقع لها أن تنطلق ·

وغضب الســادات يومذاك ــ رحمه الله فى الصديقين والشهداء ــ ولو علم أننا حين كتبنا ما كتبنا كنا فى حال من اليأس شديد ومتى يمكن ان يكون اليأس قاطعا اذا لم يتملك نفوسنا ونحن نقرأ ما نقرأ · ولو علم السادات أن الدافع الأول الذى حملنا على كتابة ماكتبنا هو ذلك اليأس القاطع ما غضب ·

رحم الله أنور السادات في الخالدين ٠ لم يحبس الذين غضب عليهم لم يأمر بهم ليقتلوا وانما كل ما فعله أن شطب أسماءنا من الاتحاد الاشتراكى وأنا لم أكن في حياتي عضوا فى الاتحاد الاشتراكى فالعقوبة بالنسبة لى كانت مستحيلة التنفيذ شأنها شأن الجريمة المستحيلة التى نتكلم عنها القوانين الجنائية ٠ ولكن هذا الشطب كان الأثر الحقيقى له أن منعت أسماؤنا توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وأنا من النشر بالجرائد أو الذكر في الاذاعة أو التليفزيون ٠ عقوبة بالنسبة لأمثالنا هينة الأثر ضئيلة الشأن وأنا اليوم التمس له فيها العذر فقد كان الرجل يعد لحرب فعلا فماله ألا يمنع أسماءنا والمقصود من أسمائنا منعنا من الكتابة حتى لا نصب بأسنا فى قلوب قرائنا من القوات المسلحة الذين هم أمله فى الغد الذي يعد له٠وأنا اليوم التمس له العذر كل العذر فيما فعل٠كما أعرف اننا كنا على حق فيما كتبنا من بيان ٠ كنا جميعا على حق ٠ نحن كتبنا البيان حين طالعنا اليأس من الكاهن الأعظم لكتـــاب الدولة ٠ وغضب السادات لأنه كان يعد للحرب فعلا وفى خفاء وتستر عظيم حتى ان الكاهن الأعظم نفسه فوجىء بالحرب كما فوجىء بسائر البشر ٠

وقبل الحرب بأيام أعلن السادات في التليفزيون انه يرفع العزل عن جميع الكتاب ٠ وكان هذا الاعلان حريا ان يفهمه العدو لو كان على هذا القدر من الذكاء الذى يتغنى به المتحمسون له ٠ ما كان أجدرهم ان يعرفوا ان رفع العزل هذا كان اشارة من السادات العبقرى انه تخطى مرحلة القول واصبح فى مرحلة التنفيذ ٠ وما هى الا أيام قلائل حتى وقعت الواقعـة وحلت باسرائيل الكارثة التى لم تشهد لها مثيلا فى كل سنوات اغتصابها للأرض العربية ٠

ولم يكتف السادات بذلك بل انه شق التاريخ وأمواج الصخب الهازلة وميدان الأقوال الضخمة بلا عمل والهتافات الصارخة بلا فعل والبطولات العنترية بلا سيف من عنتر أو حصانه ٠ وذهب الى القدس وفتح الباب للعرب أجمعين ان يفاوضوا كما فاوض ويستردوا حقوقهم كما استرد ولكنهم بدلا من هذا ثاروا عليه ورموه بالخيانة ولعمر أبيهم كيف يخون من يضع رأسه على كفه ويقول لا اله الا الله ، وكيف يخون ويفقد أخاه ٠ وكيف يخون وينتصر ٠ وكيف يخون ويسـترد لوطنـه الجزء الضـــائع من وطنه ٠ وكيف يخون من يعمل فى رائعة النهار لا متخفيا ولا متسترا بليل ولا قائلا فى المساء غير ما يفعله فى الصباح ٠

اللهم سبحانك ها هم أولئك يحاولون أن يخونوا كما خان ويفاوضوا كما فاوض وينالوا بعضا مما ناله فتلتوى بهـم الطرق وتتقطع دونهـم

المسالك . ولكن الهتافات والصراخ والعنتريات الكاذبة والبطولات اللفظية كل هذا على حاله لم يتغير .

وبيننا وفى ربوع مصر التى اسـتعادت كرامتها التى ديست فى ٦٧ بحرب ٧٣ فى ربوعنا نحن من يجعل مدح السادات جريمة لا تغتفر وإثما لا يمحى . وعلى رأس هؤلاء الشيوعيون الذى انشأ السادات حزبهم وجريدتهم . وكم أتمنى ان يقولوا ولو لمرة واحدة كلمة حق فيذكروا لنا الى أى حال كانت ستصبح مصر لولا السادات الخالد .

فكروا قليلا ثم أجيبوا . اما كان من الطبيعى أن تهاجمنـا اسرائيل بعد حرب ٧٣ لتنال ثأرها . وكيف يسوغ فى الأذهان ان اسرائيل كانت ستسكت بعد حرب هى منهزمة فيها وهى لا تعيش فى المنطقة الا بقوة السلاح . وأقرب دليل على سلامة هذا التوقع أنها تحارب الآن فى تونس ولبنان فهى تريد بكل الوسائل ان تجعل العـرب يعرفون ان الهزيمة لم تردعها . ولولا السلام الذى فرضه عليهم السادات لكانت الحرب مع مصر وفى شوارع القاهرة . ولكنها اليوم عاجزة يتخطفها الغيظ فهو سلام ضمنته ووقعت عليه أكبر دولة فى العالم أو فى التاريخ اذا شئت . وهذه الدولة هى فى نفس الوقت مصدر رزق اسرائيل وملاذها وملجؤها .

فليقل لنا الشيوعيون ماذا كانوا يريدون من السادات . وماذا كان يمكن ان يقدم لمصر أكثر مما قدم . رحمه الله فى الخالدين .

ومجلاتهم هذه أليست لفئة من السادات وعلم الله أنهم فيها لا يقولون الا الكذب والبهتان . وعلم الله أنهم فيها يتاجرون بالألفاظ ولا يلتزمون بما يقولون وأقرب دليل على ذلك أن المحررين عندهم جميعا وبغير استثناء محررون فى جرائد قومية يقبضون حتى اليـوم مرتباتهـم وعلاواتهـم وحوافزهم من الجرائد القومية دون ان يقدموا لها أى عمل .. الا يدركون انهم بذلك يأكلون من عرق الكادحين العاملين فى هذه الصحف القومية ولا يقدمون أى مقابل فى نظير المرتبات التى يقبضونها كل الشهر . أهذه هى النظرية الماركسية كسب بلا عمل وقبض بلا جهد . ألا يدركون أنهم بذلك يقدمون صورة لأسوأ صور الرأسمالية . ولكن لتذهب كل النظريات الى الجحيم ماداموا هم يقبضون .

وليهاجموا السادات ماداموا هم يقبضون .

وليهادنوا أعداء مصر والمتحرشين بها ماداموا هم يقبضون ٠

وليتمدحوا ويتغنوا بالقذافى الذى طرد عمال مصر الكادحين والذى استلب ما جمعوه من كدحهم وكدهم وليجعلوا منه النبى الضائع فى الزمن والصقر الأخير ماداموا هم يقبضون ٠

واذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون ٠ انا لله وانا اليه راجعون ٠

الأهرام ١٩٨٥/١٠/٦

يفتقد البدر

اننا فى هذه الأيام نحتفل بذكرى الشاعر الاول فى الأدب العربى أحمد شوقى · وقد لقى شوقى من الهجوم فى حياته وبعد وفاته ما يضيق به أولو الصبر والأناة · وكان ـ رحمه الله فيما سمعت ـ يضيق بالنقد ولكن شيئا لم يستطع ان يرده عن الابداع الشعرى الذى جلس به متفردا على امارة الشعر فى عصره وفيما سبقه من عصور وأحسب انه سيظل متسنما هذه القمة الى أجيال كثيرة قادمة · ولا شك أنه سيتعرض فى قابل الأيام لما تعرض له فى ماضيها من تطاول ·

ولعل أصدق دليل على توقعى ماحدث فى التليفزيون المصرى منذ قريب حين تصدر التليفزيون المصرى ناقد مصرى الجنسية والمولد ولا أقول الاسم ، أجنبى الثقافة والانتماء ولا أقول الهوى ، وحذر أن نعود الى عصر شوقى وعزيز أباظة فى المسرحية الشعرية · وكأنى به وجد من يستطيع البلوغ الى هذه القمة ولم يبق الا ان يحذره من بلوغها ·

ولكن ما شأن الأجانب الغربيين بالشعر العربى · ان هذا الناقد يحرص على هدم الأدب العربى الخالص منذ هو فى أول حياته يتسلق ما يجد ليبلغ الشهرة ولكنه أخطأ السلم فتسلق سلما انجليزيا تارة وفرنسيا تارة وشيوعيا دائما فلا هو أصبح أديبا عربيا فى المكانة الجديرة بنسبه ولا أصبح أديبا فرنسيا ولا هو أصبح أديبا انجليزيا وان ظل على الدوام شيوعيا وحربا على اللغة العربية وهو بحربه لها يحارب معنى أكبر أكبر ان أصرح به مادام هو مصرا ان يتكتمه تكتما فاشلا فما من أحد يعرفه أو يقرأ له الا وهو يعرف ما يضمر وما يحاول ان يستره · والله من فوق عباده غالب على أمره ·

وقالوا عن شوقى شاعر الأمير وقال هو عن نفسه :

شاعر الأمير وما بالقليل ذا اللقب

ولكن شاعر الأمير هذا لم يسكت يوما على باطل ولا بارك يوما رأيا لا يدين به بل هو يصرخ فى قصيدته الرائعة « الهلال » :

سنون تمر ودهر يعيد — لعمرك ما فى الليالى جديد
أضاء لآدم هذا الهلال — فكيف تقول الهلال الوليد
على صفحتيه حديث القرى — وأيام عاد ودنيا ثمود
وطيبة حافلة بالملوك — وطيبة مقفرة بالصعيد
نعد عليه الزمان القريب — ويحصى عليه الزمان البعيد
يقولون يا عام قد عدت لى — فيا ليت شعرى بماذا تعود
لقد كنت لى أمس ما لم أرد — فهل أنت لى اليوم ما لا أريد
ظمئت ومثلى بنزى أحق — كأنى حسين ودهرى يزيد
ومن صاحب الدهر صحبى له — شكا فى الثلاثين شكوى لبيد
وانى نواسى هذا الزمان — فمن للزمان يأذن الرشيد

فهو اذن يهاجم الأمير ويرميه بأنه لا يقدر شاعره حق قدره ، وهذا الشاعر الذى اطلقوا عليه شاعر الأمير ثم نصبه شعراء العروبة جميعا أمير الشعراء نال هذين اللقبين تمجيداً وفخرا • وكلا اللقبين كان يتمنى شعراء جيله ان يفوزوا بواحد منهما ولكن سعيهم أكدى وصدق عليهم قول شوقى :

قسما لو قدروا ما احتشموا — لا يعف الناس الا عاجزين

ذكرت شوقى اليوم واسرائيل تعربد فى العالم العربى كعاهرة ساقطة النقاب معدومة الحياء • وذكرت شوقى وأنا أرى أمريكا أكبر دولة فى العالم تبارك فجور اسرائيل وتحطيمها لكل سلام مرتقب مع العرب • وتولت القلب حسرة لاعجة بل حسرات اسرائيل تهزأ بكل الأعراف الدولية والخلقية وتصنع ما لا تصنعه دولة بل ومالايجوز أن تصنعه الجماعات الفلسطينية • ولكن اذا غفرنا للمظلوم المشرد أن يضرب ضربات رعناء غير واعية فكيف نسيغ ان تصنع دولة لها وزارة وكنيست ورأى عام أن تفعل فعل الجماعات التى شردتها هى •

ونرى أمريكا التى ينبغى ان تكون فى مكان الدولة الكبرى التى تردع مخلوقتها اسرائيل اذا هى سكرت وتخدرت وعربدت تبارك ذلك الهوس الدموى الآثم المجرم الذى تقوم به اسرائيل وأرى هذا وأنظر الى العرب • فأرى سوريا تصنع فى شقيقتها لبنان ما تصنعه اسرائيل فى أعدائها من الفدائيين وأرى سوريا أيضا تنقض انقضاض الوحوش

المسعورة على الفدائيين أيضا وكأنهم ما كفاهم ان استلبت منهم اسرائيل أرضهم وأمنهم ومأواهم • وكأنهم ما كفاهم تلك الأعمال الاجراميه التى تصبها عليهم اسرائيل فى غير حجل أو نفكير فى الرأى العام العالمى • كأن سوريا ما كفاها هذا جميعا فهى تطحن الفدائيين طحنا أخرق مأفونا حتى لا يسعنا الا ان نقطع بانها على اتفاق تام مع اسرائيل وما لنا ان نظن هذا والعالم كله يتكلم عن بيع سوريا أرضها فى الجولان لدوله اسرائيل التى ضمتها الى أقاليمها •

علاقتها بمصر وكأن مصر هى التى تعربد فى تونس ولبنان ولا تقطع الدول صاحبة الثراء والقدرة المالية الباذخة صامتة ساكنـة مكتفية أنها قطعت علاقتها بمصر وكأن مصر هى التى تعربد فى تونس ولبنان ولا نقطع الدول العربية علاقاتها بسوريا التى حاربت الفدائيين بأشد مما تحاربهم اسرائيل ولكنها دول تخشى التخريب السورى وتعلم أن مصر محكومة اليوم حكما ديمقراطيا وانها سلام حيث حلت • أمن حيث ذهبت وأنها من قبل ومن بعد تنظر الى كل الدول العربية الأخرى نظرتها الى الأخوة الصغار وشأن الكبير أن يعفو ويتسامح ويعف ويتعالى فى كبرياء ويصدق علينـــا قول الشاعر العربى القديم :

وان الذى بينى وبين بنى أبى	وبـين بنى عمى لمختلف جـــدا
اذا أكلوا لحمى وفرت لحومهم	وان طلبوا هدمى بنيت لهم مجدا
يعيرنى بالدين قومى وانمـــا	ديونى فى أشياء تكسبهم حمدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم	فليس كبير القوم من يحمل الحقد

أذكر هذا جميعه فى ذكرى مولد شوقى وفى ذكرى وفاته فاليومان متوافقان • وأتساءل هل كان شعر شوقى يستطيع اليوم أن يوقظ فى العرب عروبتهم ويردهم الى ضـــمائرهم ويعيدهم الى الطريق • فيقول لهم ما قاله فى رثاء الخلافة • لأحسب انه كان سيسمى القصيدة فى رثاء العروبة • فهى اليوم هى القتيل :

عادت أغانى العرس رجع نـواح	ونعيت بـين معـالم الأفراح
كفنت فى ليـل الزفاف بثوبه	ودفنت عنـد تبلـج الأصباح
شيعت من هلع بعبرة ضاحك	فى كل ناحية وسكرة صـاح
ضـجت عليك مآذن ومنابـر	وبكـت عليك ممالك ونـواح
الهنـد والهـة ومصر حزينـــة	تبكى عليك بمدمع ســحاح

والشام تسأل والعراق وفارس   أمحا من أرض العروبة مـــاح ؟

وطبعا أبدلت كلمة الخلافة بكلمة العــروبة وأمضى فى قصـيدة شــــوقى :

يـا للرجـال لحـــرة موءودة   قتلت بغير جريرة وجنـــــاح
هتكوا بأيديهم ملاءة فخـــرهم   موشــــــية بمواهب الفتــاح
نزعوا عن الأعنـــاق خير قلادة   ونضوا عن الأعطاف خير وشاح
وعلاقة فصمت عـرى أسبابها   كانت أبــر علائــق الأرواح

كان شوقى خليقا أن يقول مثل هذا وأكثر حين يرى حال العرب اليوم ولكن ٠٠ كم تخادع نفســـها النفس ٠ أو مثـل هؤلاء الباحثين عن متعتهم كانوا سيلبون دعوة شوقى هيهات ٠ انه كانوا قد عزفوا عن دعوة الله لهم بالوحدة أيلبون دعوة انسان مهما يكن أمير الشعراء ٠

اللهم انك قد فرضت علينا الحج ليكون للمسلمين وحـدة ورباطا واجتماعا فاللهم فشأنك اليوم مع عبادك الذين صاروا فرقا وشيعا وأحزابا وليس لهم من دينك عاصم ولا من نفوسهم عصـــام وحسبنا أنت فأنت وحدك نعم الوكيل ٠

الأهرام ١٩٨٥/١٠/١٣

ماذا فعلتم بأبيكم ؟

أشاهد فى هذه الأيام رواية زينب التى ألفها فى أوائل هذا القرن أبو الرواية المصرية الدكتور محمد حسين هيكل باشا • وهكذا تعتبر هذه الرواية تراثا أدبيا بدأت به الرواية المصرية مسيرتها حتى بلغت اليوم ما بلغته •

وقد قدمت هذه الرواية فى السينما المصرية وهى صامتة ثم قدمت فى أول الخمسينيات ناطقة • ولا أعرف شخصا ذا اهتمام بالأدب عامة وبالقصة خاصة لم يقرأ هذه الرواية ويستمتع بها •

وحين ألف الدكتور هيكل باشا هذه الرواية كان المذهب السائد فى الأدب الغربى هو المذهب الرومانسى • فالرواية رومانسية ناعمة تصور الريف المصرى الطيب وترسم الحب الصادق الذى يصطدم مع الظروف والتقاليد الريفية التى لم تكن حتى ذلك الحين تعترف بالحب •

وجمال هذه الرواية ان تبقى كما هى تمثل بداية الرواية المصرية وتمثل الريف المصرى الناعم الهنىء السلس المجرى الصافى النمير الطيب القلب ، وقد كان من المستحيل فى تلك الأيام ان يحاول أى فرد أو أى حب مصارعة التقاليد الريفية أو الوقوف فى تيارها الذى ينزل فى نفوس الفلاحين منزلة العقيدة أو قريبا من منزلها قربا يجعلها تختلط بالايمان وبالدين •

فرواية زينب اذن لم تكن صراعا طبقيا • ولا كانت هناك طبقات فى ذلك الحين بل كان الجميع فى بوتقة واحدة يأخذ القوى منهم بيد الضعيف والصحيح منهم بيد المريض • وكانت أجواء القرية كلها حبا خالصا وأخوة وتكافلا ولم يكن قد ظهر فى أفقها من يثير قوما على قوم ولا طبقة على طبقة مازال الريف حتى يومنا هذا وبعد كل المحاولات العنيفة التى بذلت للتفرقة بين أبنائه مازال حتى اليوم لا يعرف الطبقات ولا يطيق الشيوعية ولا يقبل الكراهية وحياة له أو ديدنا أو شعورا •

وربما عرف الصعيد الثار وهذا جانب بعيد كل البعد عن سائر ما يعرفه الريف من أخوة وصداقة وحب فالمكان يجمعهم وما يصيب الفرد منهم يصيب الجميع •

في هذه الأجواء الصافية الشفيفة كتب هيكل باشا زينب . فبالله عليكم يا من كتبتم زينب الجديدة ماذا فعلتم بأبيكم ؟

ما هذا الحقد وتلك الكراهية وذلك السواد القاتم وهذه السخيمة المقيتة التي طمستم بها معالم الرواية ومن أين أتيتم بهذه الشخصيات الحقيرة النفس الوضيعة الأهداف الرخيصة التصرف ؟

هل تتصورون انكم مادمتم قد أنعمتم برتبة الباشوية على شخصية روائية لابد أن تنعموا عليها مع الرتبة بالسفالة والانحطاط والجشع والتآمر والسعار وجمود الحس وانعدام المشاعر هيهات .. قد جهلتم وانى سأذكر هنا أسماء باشاوات وأرجو أن أعرف رأيكم فيهم ما رأيكم في أحمد عرابي باشا وشريف باشا ومحمود باشا سليمان الذى رفض الملك قبل تولية السلطان حسين والذى جمع الأحزاب في داره وأزال ما بينهم من خلافات ود . محمد حسين هيكل باشا ود . مشرفة باشا ود . شوشة باشا وعشماوى باشا . ود . على ابراهيم باشا عميد الجراحة ود . المنياوى باشا الجراح . ود . ابراهيم شوقى باشا عميد طب الأطفال ود . عبد الوهاب مورو باشا الجراح الشهير . ولطفى السيد باشا ود . عبد الحميد بدوى باشا رئيس محكمة العدل الدولية وعبد الرازق السنهورى باشا وعبد الخالق حسونة باشا أمين عام الجامعة العربية وسابا حبشى باشا ، وأحمد مصطفى باشا المستشار ومحمد صفوت باشا المستشار . هذه الأسماء أوردتها من الذاكرة وقصدت ان أتجنب ذكر جميع الباشاوات الذين لم يكن لهم شهرة الا في العمل السياسي ففي ميدان السياسة يختلف الرأى حول رجالاتها وأنا انما أريد أن أقدم أسماء لم يختلف حولها رأيان ولو أنك أمعنت النظر في شأن هؤلاء الباشوات لتبينت حقيقة يريد المؤلفون ان يخفوها عن عمد مزيف مزور سيىء القصد فهم حين يكتبون عن الباشوات لابد أن يجعلوهم جميعا أثرياء ثراء فاحشا ويستخدمون ثرائهم في غرض واحد هو الاساءة الى خلق الله لوجه الشيطان وحده ما أجهلكم بعظمائكم .

أكان عرابي ثريا أم مصطفى كامل أم هيكل أم طه حسين أم منصور فهمى أم مشرفة أم كل هؤلاء ؟ هذا اذا كان الثراء جريمة وانما لا غفران له هذا هذر قابلناه في فترة سوداء من تاريخ أدبنا ولكن أعتقد ان هذه النغمة أصبحت نكراء كاذبة تشوه وجه مصر وعظماءها بغير كسب أدبى أو وطنى أو سياسى .

وبعد فماذا صنعتم بأبيكم ومن اذن لكم أن تشوهوا الرواية الأم فى الأدب العربى هذا التشويه المريع ؟ لقد مزقتم رواية زينب شر تمزيق ولقد ضحكنا منكم ضحكات مريرة وأنتم تدخلون شخصية لطفى السيد فى الرواية والمؤلف برىء من ذلك كل البراءة فلطفى السيد باشا كان بمثابة خاله وأستاذه وما يتصور الدكتور هيكل باشا ان يجعل منه شخصية روائية ولقد ضحكنا ضحكنا على شر البلية وأنتم تحاولون ان تجعلوا من ابن الباشا شخصية موازية للدكتور هيكل من قال لكم أن هيكل باشا كان شيوعيا مثل هذا الفتى الذى وسمتموه والذى مثله بكل أسف ممثل أحبه وأعجب به وأشعر انه قادر على تقريب الناس اليه ومن هذه الفتاة فى الخمار الأسود الحزينة المكشرة عن أنيابها المتحفزة كنمرة شرسة كذئبة أهذه زينب شخصية هيكل باشا أم هى زينب بتروفيسكى أم ساشا المصرية ومن هؤلاء الشخوص جميعا من هذا الفتى الحاقد الملىء بالشر أهذا ابراهيم الذى رسمه هيكل نسمة من هوى وخلجة من فؤاد محب وأنشودة من الصفاء ومن الصفاء ومن هؤلاء ومن هؤلاء ومن أولئك الأمهات ومن هذا العمدة وما هذا الهواء ؟

فى هذه الرواية التى تدعون انها زينب كل الشخصيات المفتعلة متهرئة منهارة غير متكاملة ٠

ولكم كتبت أن كاتب السيناريو له رؤيته الخاصة ٠ وكم غير كتاب سيناريو من روايات لى فما غضبت لأنهم أبقوا الفكر الأساسى الذى كتبت له الرواية ٠

أما هذا الذى صنعتم بزينب فعجيبة من عجائب الدهر ٠ هو تمزيق استحياء وهو اعتداء لا تطور وقتل لا احياء ٠ ولكن زينب هيكل ستخلد الى الأبد لأنها فى كتاب ٠

واننى أحذر المشاهدين أن يظنوا ان هذا الذى شاهدوه له صلة بزينب هيكل أول رواية فى تاريخ الأدب العربى واذا كانوا يريدون ان يعرفوا زينب فليقرءوها فى كتاب أو يشاهدوا أحد الفيلمين السينمائيين اللذين ظهرا عنها ٠

أما هذا الذى يصنعه التيلفزيون فليس زينب من قريب أو من بعيد ٠

ياكاتب السيناريو ان كنت أنت الكاتب الذى أعرفه فقد أذهلتنى فأنا أعرفك كاتبا قديرا وأعرفك أيضا مخرجـــا مجيدا · فما هذا الذى تصـــــنع ؟

ياسيدى الأستاذ رواية زينب ظهرت فى مصر ولم تظهر فى الاتحاد السوفيتى ورواية زينب رومانسية وليست بأى حال من الأحوال ولن تكون رواية شيوعية كما صنعتها والعجيب أننى أعرف عنك أنك أبعد ما تكون عن الشيوعية والمخرج زميل العمر الذى أخرج المسلسل أبعد ما يكون عن الشيوعية فما هذا الذى تصنعان ؟

أحسب أنكما معذوران لقد تمكن الشيوعيون ان يجعلوا كاتبا حرا ومخرجا عميق الديمقراطية يقلبان زينب التى ألفها الدكتور محمد حسين هيكل باشا رواية شيوعية والأمر من قبل ومن بعد للواحد القهار ·

٢٠/١٠/١٩٨٥ م الأهرام

خطـاب وتعليـق

جاءنى هذا الخطاب من الأستاذ أحمد محمد حسين هيكل المحامى ونجل أستاذنا المغفور له الدكتور هيكل باشا وانى أنشر الخطاب وأعلق عليـــه :

أخي ثروت لعلك بمقالك اليوم عن زينب المزعومة عبرت عما كان يجيش بصدرى وصدر كل الذين شاهدوا هذا التزييف الذى تعرضت له أو لقصة فى الأدب المصرى الحديث · وأقول التزييف لأنه ما من شخصية من شخصياتها تمت بصلة حقيقية لأصلها فى الرواية الأم كما سميتها ، وما من معنى من المعانى التى عبرت عنها تلك الشخصيات المزيفة تمت الى المعانى التى عبرت عنها شخصيات الرواية الحقيقية بصلة أو سبب واذا كان مثل ذلك يحدث فى شأن زينب وهى القصة التى قرأها الملايين فى أصلها المكتوب وشاهدتها ملايين أخرى على شـــاشة السينما ، واحتلت مما كتب النقاد والدارسون آلاف الصفحات ، فما بالك بما يمكن أن يحدث لروايات لم تتح لها مثل هذه المكانة !! يا حسرة على ما يصنعه التليفزيون بأدبنـــا كله ·

وما أظن صاحب زينب الحقيقية ليرضى عن هذا الذى يفعله التليفزيون بالأعمال الأدبية ، وما أظن أننا ـ وقد تحملنا أمانة حفظ تراثه وسنحمل هذه الأمانة الى النهاية ـ لنقبل ان نبقى مكتوفى الأيدى تجاه هذا العبث · ولو أن التليفزيون يريد ـ كدأبه ـ ارضاء ميول جمهور المشاهدين فلعله خانه التوفيق هذه المرة كما خانه من قبل فى أعمال أخرى رغم النقد الكثير الذى وجه اليه حينئذ · وما اخراج التليفزيون لحياة العقاد ببعيد · ولكن أحدا لايتعلم الدرس ولايعيه · على ان الذى لايمكن القبول به تحت أى ظرف من الظروف هو ان يتم ذلك على حســـاب خير ما فى فكرنا وأدبنا الحديث من أعمال كبرى نعتز بها و يفخر بها الوطن ·

ومسئوليتنا الأدبية والوطنية تقتضينا أن نحول دون أن يشـــوه العابثون تراثنا · ومن هنا فانى أناشدك عرض الأمر بصـــفة عاجلة على مجلس ادارة اتحاد الكتاب ليرى فى الأمر رأيه وليصل من ذلك الى ما يكفل

حماية أعمالنا الأدبية الرفيعة من عبث العابثين · هذا هو الجانب العام في الموضوع · أما عن مسئوليتي الخاصة فأود أن أبلغك أن هذا الذي حدث لم نأذن به ولأجرى اتفاق بشأنه مع التليفزيون وسيكون له حديث آخر بيننا وبينه بالطريق الذي رسمه القانون ودمت لأخيك ·

أنا أعرف يا أخي أحمد مقدار الألم الذي تعرضت له وأنت تشاهد رواية أبيك الخالدة تتحول الى رواية أخرى لا صلة لها بها · وأعرف أيضا الأسى الذي تعرض له أخوتك وأخوتي وهم يشاهدون رائعة أبيهم يمثل بها بدلا من ان تمثل ونحمد الله أنه أكرم المؤلف العظيم ولم يشهده · ولكن قد يهون الأمر عليك وعلى أخوتك اذا قدر لك ان تشاهد سائر البرامج في التليفزيون فسترى يا أخي المد الشيوعي وقد طغى طغيانا مريعا على هذه البرامج · وسترى أنك رددت بجهد الشيوعيين الى تليفزيون الستينات ·

وأنت تعلم يا أخي كما أعلم أنا أن هؤلاء الشيوعيين مهما يفعلوا فلن يصلوا الى قلوب الشعب أو مشاعره فانهم سيجدون دون سمومهم لا اله الا الله محمد رسول الله تردهم فاشلين خائبين وسيجدون الايمان بالله عند اخواننا المسيحيين يقصف أقلامهم ويحطم الحادهم مدحورا مهانا ·

ولكن الخطر مع ذلك داهم وبيل فها أنت ذا ترى الموجة قد جرفت الرقباء وجعلتهم ــ وهم معذورون ــ لايسمحون الا بالروايات التي تهاجم كل ذي لقب أو ذي مكانة أو ذي كرامة · وماذا بيدهم أن يفعلوا وهم يرون الشيوعيين يملئون الدنيا بصراخهم : أن الشرف لا يجتمع مع الكرامة وأن الخلق لايكون لمن يحترم نفسه ·

وماذا بيدهم أن يفعلوا وهم يرون الشيوعيين يرفضون أن يكون الانسان انسانا الا اذا كان معدما أما العاملون الكادحون على مكاتبهم أو بفكرهم أو بجهدهم أو باشرافهم فسحقا لهم وبعدا ·

فالطبيب والمهندس والمحامي والمحاسب والكاتب والمعلم كل هؤلاء طبقة برجوازية ذات تطلعات ·

والرقباء ليسوا شيوعيين ولكنهم يرون وجه الأعلام قد استولى عليه الشيوعيون فهم يصرخون في جميع الصحف وهم يطلون عليك في أغلب البرامج ·

والأمر يا أخي أحمد ليس مجرد أعلام أو مقالات أو برامج انما الأمر أخطر من ذلك وأجل شأنا ٠

ان الحرية الاقتصادية تتعرف وجه الدولة من أعلامها فاذا طغى هذا اللون الأحمر على صوت الدولة فهيهات هيهات أن يطمئن أصحاب رءوس الأموال المصريون ان يدخلوا بأموالهم الى ميدان التصنيع ٠ واذا كان المصريون يخافون فالخوف أعمق وأشد في نفوس رءوس الأموال الأجنبية سواء كانت لدول أم لأفراد ٠

ونحن ــ كما تعلم ــ يا أخي دولة أملهـــا الوحيد في الازدهـــار الاقتصادي ، والازدهار الاقتصادي يعتمد على الاستقرار وحرية رأس المال واطمئنانه والشيوعيون ــ كما تعلم ــ أملهم في الوصـــول الى الحكم معتمدين على تخريب الاقتصاد المصري وزلزلة الثقة فيه عند العالم أجمع دولا وأفرادا ٠

وهكذا ترى يا أخي أحمد أن زينب جرى عليها ما يجرى لكل الأعمال الفنية الرفيعة في فترتنا هذه ٠

ولكن هون عليك يا أخي فوالدنا الدكتور هيكل خالد مهما تعبث بروايته موجات عارضة لابد لها أن تزول فمحمد حسين هيكل هرم ضخم هيهـــات أن يؤثـر فيه شيء وقد انتهت كارثة هذه الرواية التليفزيونية وما خلفت في نفوس عارفي أبيك الا بعض الحسرة ما تلبث أن تزول ٠ والكتاب من بعد ومن قبل هو الخالد ٠ أما هذا الزبد فانت تعلم انه جفاء زائل لا قيمة له ٠ ودائما دائما يا أخي أحمد لن يصح الا الصحيح ٠

الأهرام ٢٧/١٠/١٩٨٥ م

سنة ١٩٨٦

٠٠ وبالحق نزل

قرأت فيما قرأت منذ قريب كلاما حاولت ان أجمع شـــتاته أو ألم شعثه فتأبى على ونفر أن يلتئم ، ورفض أن ينســجم بعضــه مع بعضــه ٠ فقد قال القائل ان الشـــيوعية لا تتعارض مع الاســلام وتلك عجيبة من العجائب وقد حاول الكاتب ان يسوق الأدلة ويدعم رأيه بالبراهين فاذا بالأدلة تنهار جميعا واذا دعائمه تتساقط مع براهينه لتصبح أنقاضا من هذاء وحطاماً من لغو الكلام ٠

فالشيوعية لاتجتمع مع الاسلام فى وعاء واحد أبدا ٠ ولايستطيع أن يكون انسان ما شيوعيا ومسلما فى وقت معا مطلقا ٠

فالاسلام يقوم على خمس أهمها شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ٠

وهاتان الشهادتان ليستا مجرد كلام يقال وانما هما كلام وعمل ، وقول وفعل ونطق وايمان ٠

لابد أن نؤمن أن الله واحد أحد وأنه سبحانه أرسل رسوله محمدا عليه الصلاة والسلام ٠ وجعل معجزته هى المعجزة الوحيدة الخالدة فى تاريخ جميع الرسل والأنبياء ٠ فكل معجزات الأنبياء كانت بصرية شهدها قوم النبى الذين أرسل اليهم والذين عاصروه ٠ بل والذين تصـــادف وجودهم وقت وقوع المعجزة ٠

أما الاسلام فمعجزته القرآن ٠ كتاب لا يأتى عليه الزمان ويأتى هو على الزمان ٠ باقيا خالدا دائما تتلقاه الأجيال كما أنزل لايختلف فى حرف من حروفه عن يوم أوحى به الى خاتم الأنبياء الى يوم أن تقوم الساعة ٠

ويقول سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز « **وبالحق أنزلناه وبالحق نزل** » سورة الاسراء ــ ١٠٥ تعاليت يا سبحانك ٠ هذه الدقة فى التعبير لم تعرفها اللغة فى كل ما كان من كلام قبل الكتاب ٠ وفى كل ما تبعه من الوان القول ٠

وهذه التفرقة الدقيقة فى آيته الكريمة لم تعرفها اللغة الا فى القرآن الكريم · فالله سبحانه وتعالى يعلن البشرية أنه أنزل كلامه بالحق ولا يكتفى بهذا بل يعلنهم جل وعلا أنه بالحق نزل ·

فهو حق فى بداية رحلته وهو حق حين انتهت رحلته ليصبح بلاغا الى العالمين · فيا أيها الناس اعلموا منذ نزل القرآن الى ان يرث الله الأرض وما عليها أن هذا القرآن صدر عن الحق وأصبح بلاغا لكم بالحق لا يستطيع باطل أن يتغشى حرفا منه بظل مهما يكن هينا ·

وهو سبحانه يضمن للعالمين انه هو المسئول عن ذكـــره · فيقول سبحانه « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » صـــدق الله العظيم ســورة الحجر آية ٩ وقد فعل سبحانه وبقى الكتاب وهو باق الى الأبد الأبيـــد ·

فالذى يقول : (لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) يشهد بهاتين الشهادتين أن الله أرسل سيدنا محمدا بكتابه العزيز وأن الكتاب أنزله الله بالحق وأنه بالحق نزل ·

وليس فى الأمر اجتهاد اذن · ومادمت شهدت الشهادتين فأنت اذن تشهد أن القرآن من عند الله ·

وأنت ملزم أن تؤمن بكل ما جاء فى هذا الكتاب · ومادام كتاب الله فانت لا تستطيع أن تقبل منه ما تقبل وترفض منه ما ترفض فهو ليس كلام بشر مثلك · وانما هو كلام الله الذى هو الله فاذا كان الأمر كذلك وانه لكذلك · فكيف يستقيم فى الأذهان ان يكون هناك شيوعى مسلم ·

ولست أريد أن أدخل فى جدل عريض حول أصل النظرية الشيوعية من ماركس الى من تبعه بالحاد الى آخر شيوعى وانما أريد أن أناقش مالاشــك فيه ·

فالنظرية الشيوعية ترفض الملكية التى تعود بمال على صاحبها ·

وترفض النظرية الشيوعية فكرة الميراث جملة وتفصيلا ·

واسأل هؤلاء الشيوعيين كيف يستقيم هذا مع ما جـــاء فى القرآن فهل تراهم يجيبون ·

لن يجدى هنا قول القائل منهم أنه مسلم وأنه يقيم الصـــلاة فى مواقيتها وانه حج بيت الله الحرام فكل هذا لن يغنيه عن الاجابة شيئا ٠

فهو مادام مسلما فلابد أنه يعرف أن هناك ســورة اسمها ســورة النساء ومادام يعرفها فلاشك انه يعرف تفاصيل المواريث التى أوردها الله سبحانه فى هذه السورة ٠ وفى تفاصيل لم يذكرها سبحانه وتعالى عن الصلاة وهى الصلاة ٠ فالقرآن لم يذكر عدد الركعات فى كل صـــلاة ولم يذكر سبحانه كيفية الصلاة من ركوع وسجود ولست أريد بذلك ان أقول ان المواريث أهم ـ أعوذ بالله سبحانه ان أقصد الى شيء من هذا ـ وانما أردت فقط ان أشير الى مقدار الأهمية التى شـــمل الله بها فكرة الميراث فى قرآنه الكريم ٠

فكيف يريد الشيوعيون أن يحرموا الميراث والملكية ويظلوا بعد ذلك مسلمين ٠٠ هيهات ٠

لقـد كان ماركس أكثر صراحة ، أم الأجـدر بى أن أقول ـ انه كان أكثر وقاحة منهم ٠ فقد علم يوم انشأ نظريته انها ستتعارض مع جميع الأديان فالغى الأديان جميعا واستراح وأتعب البشر من بعده ٠

فاذا نظرنا الى تطبيق النظرية فى البلاد الشيوعية وجدنا الكنائس أصبحت متاحف ٠ ووجدنا الدول الشيوعية تمنع غير الملحدين ان يدخلوا الحزب الشيوعى ٠ وويل وأى ويل لانسان فى البلاد الشيوعية لا يكون عضوا فى الحزب الشيوعى ٠

ان الشيوعيـــة حرب على الأديان جميعا بنص النظـــرية واذا كان المشرعون للنظرية الشيوعية فى موسكو يجيزون لأتباعهم أن يدعوا التدين ليجتذبوا الناس الى نظريتهم فان الاسلام وجميع الأديان لاتتيح لاتباعها أن يختـــاروا من الدين ما يحـــلو لهم فيعتنقوه وينصرفوا عما لا يروق لهم وينبذوه ٠

ان الدين كل متكامل لا يجوز لأحد من البشر أن يختار منه ويرفض ٠

واذا كان الأوامر قد صدرت للشيوعيين فى الدول الاسلامية أن يدعو الاســلام كفترة يسمونها مرحلية ٠ فان الاســلام والمسلمين يعلمون المؤمنين والكافرين ويستطيعون فى يسر وفى منطق لا يقبل الجدل أن

يعرفوا المسلمين اسلاما يسبترون به الحادهم والمؤمنين الذين يعرفون ماذا يعنى قولهم : « لا اله الا الله محمد رسول الله » .

ومن عجب قولهم فى ميدان الالحاد ان أصـــل العـــالم مادة ثم هم يفصلون نظـريتهم فى الخلق تفصـيلا جريئا لا متيـل لجرأته . وهم بهذه النظرية يريدون أن يقولوا انهم يرفضـون فكرة الايمان بالغيب وانهم لايؤمنون بغير العلم .

فاذا هم ــ ودون أن يشعروا ــ يقيمون نظرية تقوم كلها على الغيب لا يؤيدها أى دليل علمى أو روحى . فالأمر الذى لا شك فيه أن ماركس لم يكن شـاهدا على بدء الخليقة كمـا لم يكن انجلز أو لينين حاضرين . فكيف اذن استقامت النظرية بين أيديهم ويطلقون عليها اسـم النظرية المادية ويطمئنون الى ذلك ويستريحون .

بينما نصـدق نحن المؤمنين ما جاء فى القرآن عن بدء الخليقة فى منطق منسجم مع طبيعة ايماننا كل الانسجام . فالذى عرف سر الروح فى الانسان أرسل الينا كتابا هو معجزة الدهور وفى هذا الكتاب ذكر كيف نشأ الخلق . ومادمنا لم نعرف سر أرواحنا فحتم علينا أن نصدق كل ما يقول .

ويصـبح القرآن الـكريم فى خلـق الله أجمعين « **وفى أنفسـكم أفلا تبصرون** » سبحانك ما أعظمك ولكن الملحدين لا يبصرون ولا يريدون أن يبصروا . فعلى القلوب أقفالها وهم يستمدون الحادهم من جيوبهم ومن أربابهم ثم هم يزدادون جرأة على الحق ويدعون انهم مؤمنون .

ومادامو قد فقدوا الايمان بربهم فلا عجب ان يفقدوا الايمان بوطنهم وهاهم أولاء يشعلون الفتن فى كل يوم ويلقحونها بالسخيمة والأحقـاد والضغائن ويستجيب لهم فتية أبرياء لايدرون أنهم جعلوا منهم الوقود ليحرقوا به أمن الوطن .

وليس لكافر ميثاق ولا عهد . وهؤلاء الشيوعيون يعلمون أن نباتهم لاينمو الا فى الأرض المحترقة وفى أنقاض الأوطان وهاهم أولاء يحاولون ان يحرقوا بلادنا ويهدموا أركانها .

ولكن هيهات أن الشعب لهم بالمرصاد ومن فوقه العزيز ذو القوة المتين • وما خاب من كان الله ظله وعونه وملاذه وملجأه •

ويصل الى خطاب من الصعيد يسألنى لماذا أكتب عن الشيوعيين وهو لا يعرف عنهم شيئا • هنيئا لك أنك تجهل أمرهم فقد أكرمك الله بهذا الجهل كل الاكرام • ولكننى يا أخى لا أعرف ماهو الموضوع الذى تعرفه أنت حتى أكتب فيه أنا • ومادام الأمر كذلك فاقرأ أنت عما لاتعرفه فان هذا هو خير لك ولى من أن أكتب أنا عما أجهله أنا وتعرفه أنت ألا ترى ذلك ؟ •

١٩٨٦/١/١٥ م الأهرام

حين تتحطم الحقيقة

كانت دعوة جمعت الكثيرين من أصحاب الرأى وبدأنا نتجمع وكان من أوائل الذين جاءوا صديق صاحب نظرة وعمق وما هى الا أن اجتمع بعض المدعوين حتى بدأ الحديث · وراح الصديق صاحب النظرة العميقة يقول وقال كثيرا ·

الشـيوعيون يسيطرون على وجه الاعـلام المصرى وليس الأمر مجرد ظهورهم بعنف واصرار وليس هو مجرد الحاح شيوعى على شعب يكره الشيوعيين وانما الأمر أخطر من ذلك وأجل شأنا · ان الاعلام هو واجهة مصر كلها · وواجهة مصر هو اقتصادها · ويحدثنا العاملون فى السفارات الأجنبية أنهم يتابعون كل ما يقوله الاعلام المصرى فى شتى المناحى · وهم لا يكتفون بالأخبار ولذلك فهم يدهشون لماذا يتجه الاعـلام هذا الاتجاه الشيوعى · الأدب الآن شيوعى ومسيطر والفن شـيوعى ومسيطر وهذه أشياء لها دلالات خطيرة وخاصة على الاقتصاد وعلى الشباب الذى لم يختر بعد طريقه وهذا الشباب يريد أن ينشر وسيضطر أن يتلون بالشيوعية ليجد أمامه المجال مفتوحا للنشر ·

ولم نجد بدا أن نوافق القائل فى كل ما قال · فجميع الحاضرين كانوا يشعرون بأن الذى يقوله هو الحقيقة الكاملة ·

ويعود الى الحديث :

وهكذا حين اطمأن الشيوعيون الى مكانتهم فى الاعلام المصرى تفشوا فى الجامعات تفشيا لم يتمتعوا به فى حياتهم كلها ولا أظنهم يتمتعون به فى أى دولة من دول العالم · وها هم أولاء يتاجـرون بمصر ويستغلون الأحداث الفردية التى لاتحمل أى مدلول ليقيموا الأبطال من غير الأبطال ليجعلوا أنصارهم يحركون الاضطرابات كل يوم ويذيع زملاؤهم من العملاء فى المحطات الأجنبية الأكاذيب ويهولون من شـأن التحركات الطلابيـة ويجعلون منها ثورات شعبية · وهـذه التصرفات كلها متصلة الحلقـات فيؤيدهم فيها أعداء الحكم والطامعون فيه والحاصلون على الأموال من الدول

التى تكن لمصر الديمقراطية كل عداء تلك الدول التى تنفق فى سبيل اثارة القلاقل فى مصر الأموال المجنونة فى انهمار لا ينقطع سيله ويحاول هواة البطولات الزائفه أن يركبوا الموجه ويبلغوا من هواياتهم البطولية ما يتيحه لهم المتطرفون من الملحدين وغير الملحدين . وليس يعنيهم أن الناس منهم يسخرون وهم يجعلون أنفسهم أشبه بالقراقورات ويبتعدون بتصرفاتهم الرعناء السخيفة عن ساحة الساسة المحترفين وهكذا ترون أن كل هذه الأمور لم تأت عفوا وانما هى مؤامرات حبكت عقدتها بأيد متمرسة على حبك المؤامرات . وهل هناك أكثر تمرسا من المتطرفين ملحدين وغير ملحدين فى حبك المؤامرات . ولا يستطيع أحد منا أن يناقش ما يقول صديقنا فجميعنا يرى أن ما يقول صدق لا شك فيه وحق لا يحتمل النقاش . ويعود الى القول ويزداد الأمر سوءا حين نجد من يتمدح بأيام الطغيان والاعتداء على الأعراض والأنفس والأموال بل ان بعضهم يهدد من يحاول أن ينتقص من عظمة هذه الأيام وجلالها ويقول فى وقاحة لم نر لها مثيلا فى العالم .. كان الاعتداء على الأعراض وعلى الأنفس وعلى الأموال قد وقع على كل فرد فى مصر . وهو يعلم انه مادام قد وقع على فرد واحد فكأنما وقع على مصر جميعها .. وأذكر أننى قرأت كتابا لكاتب فرنسى يقدس نابليون بونابرت ويعجب به فى كل ما صنعه ولكنه حين يصل الى الحرية يقول ان بونابرت كان طاغية الى درجة أن عدد الصحفيين الذين اعتقلوا فى عهده كان أربعين صحفيا . وأذكر أن الكاهن الأكبر لعهد الطغيان فى مصر دافع عن عهده فى جريدة الأهالى قائلا ما معناه .. ما هذه الضجة الكبرى التى يضجونها عن المعتقلين ان كل الذين كانوا فى السجون عند وفاة الرئيس الأسبق لم يتجاوزوا الأربعة عشر ألف سجين . ويأتى الكاتب الآخر المدافع عن أيام الطغيان فيرى أنه مادام الاعتداء على الأعراض والأنفس والأموال لم يقع على كل فرد فى مصر فهو مقبول مباح لاعيب فيه ولا ضرر منه وهو بعد ذلك يهدد وماله لايفصل وهو ربيب عهد القهر والتهديد .

ويصمت الجميع ولايجدون شيئا يجيبون به الا الأسى والحزن ويعود الصديق الى الكلام ويزيد الأمر سوءا أن الأحكام حين تصدر لا تنفذ من فورها فيحسب المجرمون أنهم يستطيعون أن يتمادوا فى غيهم ويمرحوا ما شاء لهم اجرامهم . ونسمع عن لصوص سرقوا المال العام وتتطاول السنوات قبل أن نسمع خبرا عن مواجهتهم ثم نجدهم يتحصنون بشتى حيل ومختلف حصون حتى يؤجلوا مواجهة القضاء . والقضاء نفسه بطىء ولعله الجهة الوحيدة المعذورة فى هذا البطء فالعاملون فى السلطة القضائية عددهم أقل بكثير مما يعرض عليهم ولكن هذا البطء يجعل الشعب

يتململ ولا يستطيع أحد ان يلومه اذا ظن آن العقاب لا يقع على من يستحق في الموعد المعقول ، والأدهى من ذلك، أن هذا التراخي في مواجهة اللصوص يشجع الآخرين على قبول الرشوة حتى أصبح الأمر ظاهرة عامة الاستثناء فيها يدعو الى الاجلال والاكبار وغاية الاحترام • وقد كان ينبغي أن يكون الأمر عكس ذلك فتكون الأمانة هي الأصل والرشوة هي الاستثناء • وأنتم تعرفون كم يؤثر هـذا على سمعة مصر عنـد المستثمرين كما تعرفون أن الاستثمار يعتبر هو العماد الأول في آمالنا الاقتصادية اليوم • ونوافق ويستطرد الصديق فاذا نظرنا الى الصحف المعارضة نجدها تذكر وقائع بذاتها الاجابة عليها اذا لم تكن حقيقية غاية في البساطة واليسر • ولكن لا نقرأ تكذيبا فاذا نشر يستخفى في خجل وكأنه هو الأكذوبة • ترى ألم يصبح شرف الذمة أمرا ذا أهمية وأصبح الحفاظ على نقاء السمعة أمرا لايستحق أى عناء ؟ فان لم يكن الأمر كذلك ـ وكم أرجو ألا يكون ـ فمالنا لا نقرأ الا تكذيبات نادرة وتظل اتهامات فادحة تصيب كرامة كبار الموظفين في مقتل دون أى تكذيب •

وقبل أن يتم الصـديق حديثه فقد كان يبدو أنه يحمل في جعبته أكثر كثيرا مما أفضى به • أقبل أحد الوزراء كان مدعوا الى مكاننا هذا وجاء متأخرا كعادة الوزراء • كان الله في عونهم فهم يشهدون من المناسـبات ما تنوء به العصبة ذات العدد •

ولم يكمل الصديق الحديث بطبيعة الحـال وانتقـل الكلام الى موضوعات أخرى ووجدت الصديق يقول حديثـا غير الذى كان يقول • ولم أعجب فمن الطبيعي في دعوة اجتماعية وليست سياسية الا نحاول أن نسىء الى أحد من المدعوين • فهم انما جاءوا جميعهم لينسـوا أعمالهم ويروحوا عن أنفسهم فليس عجيبا أن يحاول الجالسون جميعا أن يختاروا من الأحاديث ما لا يثير جدلا • وتفرق الحديث بددا وأخذ كل منا بطرف وبعد أن كنا جميعا أذنا واحـدة نسمع ما يقول الصـديق أصبحنا آذانا وألسنة وتناسينا مآسينا العامة والخاصة وسمرنا وانصرف كل منا الى شـأنه •

صديقنا هذا ليس كاتبا وليس صحفيا ولكنه يكتب في الصحف من حين الى آخر مقالات يشارك بها في الرأى العام • قرأت مقالا نشره بعد اجتماعنا هذا •

ما أعجب ما قرأت له ؟!!

انه يقول فى مقاله أشياء تتناقض كل المناقضة مع كل الذى قاله لنا فى أمسيتنا تلك • أنه يخاف الشيوعيين والمتطرفين وينافقهم وبالقطع هو لا يخاف الحكومة فالحكومة اليوم أصبحت لا تخيف أحدا • ويل لنا من أنفسنا اذن •

اذا كان الفلاسفة قالوا الحقيقة لابد أن تكون واحدة واذا كانت الحقيقة اليوم قد أصابتها قنبلة النفاق فأصبحت جذاذات وقطعا صغيرة متناثرة على شتى أفواه وفى كل جهات العالم • واذا كانت الحقيقة اليوم عاجزة ان تكون واحدة فى مفهومها العام •

فلابد •• لابد •• لابد أن تظل الحقيقة واحدة وبالنسبة للشخص الواحد كيف تكون الحقيقة شتى حقائق بالنسبة للشخص الواحد وكيف يستطيع شخص واحد ان يعد حقيقة لحديث الأصدقاء وحقيقة أخرى لحديث المسئولين وحقيقة ثالثة للنشر فى الصحف وعلى الناس •

أين الحقيقة يا أخى فيما تقول جميعا •

واذا كان أصحاب الرأى لا يحافظون على الحقيقة الواحدة فمن يحافظ •

تولانى حزن شديد وأنا أقرأ مقال الصديق فأنا لا أتصور أن شخصا له علمه يصنع بنفسه هذا الذى صنعه •

ماذا هو قائل اذا التقى بى أو بأحد الذين شهدوه وهو يقول آراءه الصريحة الصادقة فى ليلتنا تلك •

أغلب الأمر أن أمثال هؤلاء يعتمدون على حياء الآخرين فأنا لا أستطيع أن أقول له مواجهة أيها الصديق أنت منافق • ولكننى لا شك أستطيع أن أنقل أمره الى الناس جميعا وأحتفظ باسمه لا أذيعه فى هذه المرة ولكننى أشفع الحديث بتهديد لا تأمن أيها المنافق أن أذيع اسمك اذا تكرر منك ما رأيت • فان أصحاب الأقلام مسئولون ان يقدموا الحقيقة كل الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة الى قرائهم والى التاريخ فى وقت معا •

١٢/١/١٩٩٨٦م الأهرام

سيدة اللغات

أى حرب طاحنة تلقاها اللغة العربية من الشيوعيين الملحدين والمغرضين الكافرين وليست اللغة العربية هدفا فى ذاتها وانما يتقصدونها بسهامهم لأنها لغة القرآن الكريم ·

والحرب ليست بنت اليوم ·· ولكنها قديمة قدم الكفر والأغراض الخبيثة الخبيثة وقد خيل اليهم أن نجحوا يوم ألغوا جامعة الأزهر القديمة · ولم يصبح حفظ القرآن شرطا للانتساب الى ساحة الأزهر الشريف ولا الى حصن دار العلوم العتيد الشامخ ·

وتحطمت اللغة على شفاه الأساتذة وانسحقت على شفاه التلاميذ وشب جيل لا يعرف اللغة العربية · وزاط الأعداء وتهللوا وحسبوا أنهم نالوا ما كانوا اليه يطمحون ·

وما هى الا دورة زمن وما أسرع ما يستدير الزمن ــ حتى تبينوا أن اللغة على ألسنة الشباب تهشمت ولكن الدين الاسلامى يزداد فى نفوس الشباب رسوخا وثبوتا وتأصيلا ·

وتطيش منهم السهام ويتولاهم الهوس يتخبطون فى حربهم كمن يتخبط من به من الشيطان مس ·

ويعود الأزهر الى الأزهر · وتملأ ربوع مصر المعاهد الدينية تكاد تغطى قراها جميعا · وتعود اللغة العربية الى الشفاه وما هى الا دورة زمن أخرى نرى ملامحها منذ اليوم حتى يستقيم اللسان العربى كما كان مستقيما ·

ويرى الشيوعيون الملحدون والمغرضون مراض القلوب مطالع الصباح فيهيج هائجهم ويقول قائلهم ان اللغة العربية ما هى الا صدى وتمر أيام ولا نقرأ تعليقا على ما قال الرجل المهلوس ·

وأعجب ويتملكني الأسى والحزن والأسف · أهانت لغتنا على أصحابها كل هذا الهوان · أن الأمم العريقة كلها تعتز بلغتها اعتزازها بشرفها · فكيف اذا كانت لغتنا هي لسان كتابنا الخالد · الكتاب السماوي الوحيد الذي بقي بلغته منذ نزل حتى اليوم وحتى يرث الله الأرض وما عليها ويقول سبحانه في الآية ١٠٣ من سورة النحل ·

« ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين » ·

ويقول جل شأنه في الآيات ١٩٢ و ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٥ من سورة الشعراء **« وانه لتنزيل رب العالمين » · نزل به الروح الأمين · على قلبك لتكون من المنذرين · بلسان عربي مبين » ·**

ويقول تقدست كلماته في الآية ٩٧ من سورة مريم ·

« فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا » ·

ويقول تباركت آياته في الآية ٥٨ من سورة الدخان ·

« فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون » ·

فاذا كان اللسان العربي صدى · فما الصوت · وان كان ظلا فما الأصل · ولماذا يحاول هؤلاء المغرضون في حمق واصرار أن يكونوا قوما لدا يصبون على الدين كراهيتهم سما ناقعا ·

أيحسبون اننا يخفى علينا ما يسعون اليه من محاولة تحطيم اللغة العربية · وهل يتصورون انهم سيبلغون الأمل الذي يصوره لهم جهلهم من تحطيم الدين في نفوسنا اذا حطموا لغة هذا الدين وصوته الأصيل وصوت الآباء والأجداد على مدى آلاف السنين ·

لقد حاولوا أن يهاجموا علماء الدين والمصابيح الهداة من شيوخ العقيدة فانهالت عليهم الأقلام فعاجوا طريقهم الى محاولة تحطيم اللغة العربية قائلين انها صدى · وعجزوا أن يقولوا لأي صوت كانت لغتنا العربية هي الصدى ·

أيريدون أن يقولوا انها صدى التراث الذي يسمونه رجعية وسلفية وتحجرا ·

أو ليس لكل أمة تراثها فى لغتها • أو ليس للفرنسيين وللانجليز والألمان والايطاليين واليونانيين تراث لغوى •

أهذه اللغات جميعها أصل • ولغتنا نحن التى هى لغة كتابنا هى الصدى بئس ما يدعون •

لماذا نكرمهم ويستخفون أمرنا • ولماذا نقدس حريتهم ولا يقدسون عقيدتنا • وهم الملحدون ونحن المؤمنون • ونحن الأصـل وهم الاستثناء ونحن الأكثرية الكاثرة وهم الأفراد القلة • اما يستحون ؟ •

وكيف لهم ان يستحوا وهم الكافرون عقيدة وخلقا وقولا وقلما •

ويتصدرون وسائل اعلامنا الرسمية ويتبجحون بهذا الكفر وهذا التجديف ولا يجدون من يردهم واننا نربأ بأنفسنا ان نقول : من يمنعهم • فالحرية هى أساس ديننا فديننا الواثق من عظمة تعاليمه يرفض فى كبرياء أن يرغم أحـدا على الايمـان به هكذا نزل بالحق وهكذا دعـا اليه نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهكذا سيظل الى قيام الساعة •

فالحرية فى ديننا أصل • ولهذا نحترم حريتكم ولكن عليكم أنتم أيضا أن تحترموا حريتنا • وعليكم لو كنتم على شىء ضئيل من الحياء ان تراعوا مقدساتنا ولا تمسوا عقيدتنا بسمكم الناقع •

اللغة العربية هى لغة القرآن : كتاب المسلمين فى مشـارق الأرض ومغاربها • وهى اللغة الوحيدة بين لغات العالم اليوم التى بقى كتابهـا بلسانها لم يتغير منه شىء أليس من الطبيعى أن تكـون هذه اللغة هى أعظم اللغات قاطبة • فأى لغة فى العالم الذى يعيش اليوم يقرأ بها كتاب الهى الا لغتنا نحن •

أهذه اللغة صدى فما الصوت اذن ؟!

وبعد فماذا نحن صانعون بتراثنا جميعا ؟ من قبل الاسـلام حتى اليوم • وهل تراث الأدب العربى جميعا الا اللغة العربية ، ترى أيريدنا الملحدون أن نلقى بهذا التراث فى البحر ونتلقى عنهم لغتنا وأدبنا • لغة جديدة وأدبا مستحدثا •

ويل لهم بماذا يهرفون •

ان لم يكن للأمة تراث فليس لها حاضر · ولا ينبت جديد من معدوم · ولكل فرع أصول · فاذا قطعت الأصول قطعت الفروع جميعا ·

ان التاريخ العربى مرتبط بالتراث الأدبى كل الارتباط · وقد كان الشعر العربى هو المؤرخ لكل أحداث العرب · ومن هذا الشعر العربى ومن النثر العربى نكون تراثنا جميعا · فهل يكون هذا التراث جميعا صدى ·

· اننا اليوم ننزل بالبلاد العربية فاذا تحدثوا أمامنا بلغتهم الدارجة أصبح الكلام بالنسبة الينا غريبا لا نكاد نفهم منه حرفا حتى اذا نطقوا باللسان العربى استقام حديثهم وفهمنا ما يريدون ·

ربما كانت لغتنا الدارجة مفهومة فى البلاد العربية بفضل الفنون المختلفة التى تصدر من مصر الى العالم العربى · ولكن اللغة تفاهم بين طرفين · فان يفهم الطرف الآخر عنا فلابد لنا نحن أيضا أن نفهم عنه · فاذا لم يكن التفاهم بيننا باللغة العربية التى يقول عنها الكافرون صدى فبأى لغة يكون ·

يا أيها الذى قال هذا · لقد عدوت فى قولك على لغة القرآن وعدوت فى قولك على لغة التراث · وعدوت فى قولك على لغة الأدب العربى الحديث فلمن يكون الأدب أدبا أو يكتب باللسان العربى وعدوت فى قولك على لغة التفاهم بين العرب أجمعين ·

وبعد مرة أخرى فأى لغة تختارها ليكتب بها الأديب العربى أو الشاعر العربى · اذا كتب المصرى لغته الدارجة فان أحدا لن يستطيع ان يفهم ما يكتب حتى أبناء مصر · لأنهم تعلموا القراءة بالعربية الأصيلة وليس باللغة الدارجة واذا كان المصرى لن يفهم فما ظنك بأبناء العربية من الدول الأخرى ·

والى أين ينتهى بنا الأمر اذا كتب كل عربى بلغته الدارجة ·· انهم حينئذ سيصبحون كالطيور العجماء تقول ولا يفهم أحد عنها شيئا بل سيكون شرا مصيرا وأسوأ حالا ؛ لأن الطيور تفهم عن بعضها البعض أما الانسان العربى فلن يفهم أحد عنه شيئا حتى أبناء وطنه · لأنهم جميعا تعلموا القراءة والكتابة باللغة العربية لا بالدارجة · وبهذه اللغة تكتب صحفهم وبها تقرأ نشرات أخبارهم فى الاذاعة والتليفزيون ·

ما أحسب أيها الكافرون الا أنكم تهرفون بما لا تفهمون وكبر مقتا أن تقولوا ما لا تفهمون . فاحذروا أنفسكم فهى حين تجهل يبدأ جهلها عليكم وتصبح لكم شر عدو .

أما نحن المؤمنين فديننا يزداد مع الأيام قوة ومنعة وانتشارا ولغتنا ستظل الى ما بعد الزمان سيدة اللغات وان رغمت منكم كل الأنوف .

الأهرام ١٩/١/١٩٨٦ م

وجهان لعملة واحدة

كنت أحسب أن الكتابة فى موضوع ينبغى الا تزيد عن مرة واحدة أو مرتين على أكثر تقدير • وكنت أحسب أن المهتمين بالحياة العامة يتابعون عن كثب ما يكتبه الكتاب • ولكن يبدو أننى كنت ساذجا فى حسابى هذا غاية السذاجة والدليل على ذلك اننى كتبت مرة عن الصلة بالأدب والسياسة • فلم تكف ووجدت من يجادلنى فى هذا الشأن فكتبت ثانية • فلم ينته الجدل • فكتبت ثالثة واعتقدت اننى وفيت الموضوع حقه فى جميع أبعاده وأننى لن أجد من يناقش هذا الأمر مرة أخرى معى على الأقل •

ولكن خذلتنى الحقيقة وتبينت أننى كنت فيما أظنه واهما • فقد فاجأنى أستاذ فاضل من أكثر الناس صلة بالحياة العامة بل هو من العاملين فى غمارها بل لا عمل له الا هذه الحياة العامة فهو كاتب متمكن وصحفى ذو مكانة • وأنا من المعجبين بما يكتب ومن المعجبين به صديقا وانسانا وصحفيا •

فاجأنى الصديق برأى له عن الصفحة التى أشرف بالقيام بأمرها فى الأهرام • فهو يقول انك تكتب فى هذه الصفحة السياسة • بينما القراء ينتظرون أن يقرءوا فيها أدبا • ومساحة السياسة فى الأهرام ضخمة بينما الأدب ليس له الا نصيب قليل وصفحتك تمثل جانبا ضخما من هذا النصيب •• فاذا كتبت مقالاتك فى السياسة أسهمت فى اضعاف هذا النصيب •

وناقشت الصديق ثم رأيت أن حجتى ينبغى لها أن تكون للناس كافة وليس للصديق وحده •

وبادىء ذى بدء أنا لست أستاذا جامعيا أكتب فى الأدب الخالص فان أحدا لا ينتظر منى ان أكتب فصلا فى خصائص الشعر الجاهلى أو أكتب مقارنة بين الأدب فى العصر العباسى الأول وبين الأدب فى العصر الحديث•

كما أن أحدا لا ينتظر منى — وأنا الروائى والقصاص — ان أكتب فصلا فى نقد رواية أو مجموعة قصصية وحين أفعل ذلك أدخل فى ميدان

ليس لى لأن النقد حين أكتبه أفعل ذلك عن تذوق شخصى وليس على المبادىء الأكاديمية • فأنا نفسى كاتب رواية وقصة ومن الطبيعى أن أكون من بين المتعرضين لنقد النقاد وليس من المفروض أن أكون أنا نفسى ناقدا •

والواقع ان المقالات النقدية القليلة التى أكتبها هى على سبيل التنويه وليست على سبيل النقد المنهجى المتخصص • فلهذا النوع من النقاد أساتذته المهيئون له بثقافتهم ودراستهم وطريقهم الذى اختاروه فى الحياة •

واذا كان بعضهم يميل مع الهوى ومع الصداقات ومع المذاهب الأيديولوجية التى يعتنقها فهذا لا ينفى أن للنقد أهله • واذا كان أغلبهم لا يقوم بواجبه من متابعة الأعمال الأدبية التى تظهر فى حياتنا فهذا أيضا لا ينفى أن للنقد كتابه •

ومن المؤكد الذى لا شك فيه أننى لست من بينهم •

والآن أعود الى صديقى الذى دهمنى برأيه • أى نوع من الأدب الخالص تريدنى أن أكتبه ؟

أنا أعرف ••

الذى ينبغى لى فى ميدان الأدب الخالص ولا ينبغى لى غيره أن أكتب رواية •

وأحسب يا صديقى أننى لا أتكاسل عن هذا ما أسعفتنى الفكرة فالرواية ليست بحثا وانما هى فكرة تطرق ذهن الكاتب ويظل بها وتظل حتى يرى أنها تصلح ان تكون رواية فيكتبها •

والذى ينبغى لى فى ميدان الأدب الخالص ان أكتبه قصة قصيرة أو صورة قلمية •

وأحسب ياصديقى اننى أفعل ذلك ما وافتنى فكرة القصة أو الصورة القلمية • ولكن الأمر ليس يسيرا • وأنا فى هذا الشأن لست مطلق الارادة • انما أنا أتلقى الفكرة وحيا ، فان لم تأت فهيهات لى ان أكتب افتعالا أو تعسفا •

ولكن الأمر ياصديقى أخطر من هذا وأجل شأنا كيف استطعت وأنت تعمل فى الصحافة وفى الأدب أن تضع هذه التفرقة بين الأدب والسياسة ؟

ان الأدب اذا انفصل عن السياسة أصبح أدبا ميتا غير جدير بالوجود بله بالبقاء ٠

الأديب شاهد على عصره ٠ والأديب أديب بأسلوبه فى كل موضوع يتناوله ٠

والأديب حين يكتب الرواية سياسى ٠ وهو سياسى حين يكتب القصة ٠ بل ان الأديب الناقد سياسى أيضا لأنه حين ينقد الرواية ينقدها فى ظل الحياة الاجتماعية التى تصورها ٠ والحياة الاجتماعية سياسة ٠

السياسة هى كل الحياة التى نعيشها ٠ والأديب فى كل باب من أبواب الأدب يكتب هذه الحياة ويترجمها الى الناس الى الذين يعايشونه والى الأجيال القادمة جميعا ٠

وعميد الأدب العربى كتب مقالات سياسية صريحة ثم هو سياسى حين كتب أحلام شهرزاد والمعذبون فى الأرض وشجرة البؤس والأيام ودعاء الكروان وأوديب ٠

وهيكل باشا من الزعماء السياسيين وصل الى الزعامة السياسية بأدبه وحده وهو أديب سياسى حين كتب كتبه الاسلامية وأديب سياسى حين كتب روايته ٠ ان رسم المجتمع سياسة ٠ وآمال الأديب فى الحياة سياسة ٠

والعقاد ما رأيك فى أدبه السياسى ألا يكفيك اسم العقاد مثالا رائعا على اندماج الأدب بالسياسة ٠ فعبقرياته أدب سياسى ومقالاته الصريحة فى السياسة أدب سياسى وكتبه فى البحث أدب سياسى ٠ ولا يستطيع الأدب ٠ الا أن يكون سياسة أو هو غير كائن ٠

وتوفيق الحكيم أديب سياسى منذ كتب أهل الكهف حتى يومنا هذا ٠ وقد كانت له فى أخبار اليوم مقالات سياسية أسبوعية ٠ ورواياته كلها سياسة منها الصريح الذى لا شك فيه مثل شجرة الحكم والسلطان الحائر وايزيس ومنها ما تتوارى فيه السياسة خلف الرمز مثل بنك القلق والورطة والصفقة وكل رواياته لا استثنى عنها شيئا فمسرح المجتمع كله سياسة لأن السياسة هى المجتمع والمسرح المنوع كله سياسة لأن السياسة هى المجتمع ٠

واذا تركنا هذا الجيل الى الجيل التالى له ·

أليست روايات نجيب محفوظ كلها سياسة · فماذا تكون اذن · ان منها الصريح مثل ميرامار والثرثرة والحب فوق الهضبة وأمام العرش ومنها غير الصريح وكلها تتناول المجتمع الذى هو السياسة ·

ان مجال السياسة هو المجتمع ومجال الأدب هو المجتمع فلا يمكن أن يكون بينهما انفصال بأى حال من الأحوال ·

ان ما يكتبه عبد الرحمن الشرقاوى فى الأدب التاريخى سياسة وكل مسرحياته سياسة فليس عجيبا أن يكون مقاله الاسبوعى فى الأهرام سياسة أدبيـــة ·

هو سياسة أدبية وأدب سياسى فى وقت معا · ان الأسلوب الذى يكتب به الأدباء فى السياسة لا يتأتى الا لأدباء · وهذا هو الأدب السياسى ·

وأرجع معك الى شوقى أليست رواياته سياسية · وعزيز أباظة أليست رواياته سياسية ·

واستعرض معى بعض ديوان شوقى انه تاريخ مصر فى عهده قدمه الى الأجيال شـــعرا ·

اقرأ معى لشوقى :

ألم المالكين بنــى أمـــون	ليهنك أنهــم نزعــوا أمونـــا
ولـدت لـه المـأمين الدواهى	ولم تلدى له قط الأمينـــا
فكانوا الشهب حين الأرض ليل	وحين الناس جد مضللينـــا
مشت بمنارهم فى الأرض روما	ومن أنوارهم قبست أثينـــا

واقرأ معى لشوقى فى وداع كرومر :

أيامكم أم عهــد اســماعيلا	أم أنت فرعون يسوس النيلا

أم حاكم فى أرض مصر بأمره   لا سائلا أبدا ولا مسئولا
يا مالكا رق الرقاب ببأسه   هلا اتخذت الى القلوب سبيلا
لما رحلت عن البلاد تشهدت   فكأنك الداء العياء رحيلا

وبعد فماذا أنت قائل ؟ هذه المقالة التى قرأتها الآن أليست أدبا ؟! انها أدب ولكنها أيضا سياسة · أنهما وجهان لعملة واحدة لا ينفصلان ·

الأهرام ٢٦/١/١٩٨٦ م

كتـــاب الســـادات

انتهيت وشيكا من قراءة كتـــاب الســـادات الأسطورة للأستاذ موسى صبرى ولا شك ان تأخرت فى الانتهاء من قراءة الكتاب وقد كان ذلك لأنى أقرؤه فى امعـــان شـــديد وهو فى نفس الوقت كتـــاب ضخم تستغرق قراءته الكثير من الوقت ولكن المتعة التى تصاحب القارىء فى رحلته الطويلة تجعله يستعذب جهد القراءة ·

فالسادات علامة من أهم علامات جيلنا · وأثره ليس مقصورا على مصر وحدها وإنما هو اتسع فشمل العالم أجمع ·

فان هذا الأســـطورة المسماة أنور السادات استطاعت أن تبهر العـــالم أجمع · حتى لأذكر اننى كنت فى باريس وركبت مع زوجتى سـيارة أجرة وكان ذلك عقب ان عبر الســـادات التاريخ الى القدس · وسمعنى سائق السيارة أكلم زوجتى بلغة لم يفهمها فقال ·

ـ من أى البـــلاد ؟

قلـــت :

ـ من مصر

قـــال :

ـ ان لكم زعيما عظيما أتحبونه فى مصر أم لا ؟

قلـــت :

ـ بل نحبه كل الحب !

قــال :

ــ اننا لم نحب زعيما من خـــارج بلادنا مثل حبنـــا لديجول كما أحببنا أنور السادات ٠

وكم فرحت بما قاله السائق وقارنت بـين هذا الذى يقوله وبين ماكنا نسمعه قبل ذلك حين كنا نلم بباريس وخرجت من المقارنة بشعور طاغ من الاعتزاز برئيسنا أكرم الله مثواه ٠

ان انسانا لم يستطع أن يشـغل من صـفحات التـاريخ الحديث ما شغله السادات بعناوين المجد والسموق ٠ فالعالم لم يسمع عن دولة تنهزم هزيمة لم يشهد التاريخ لها مثيلا ثم تستطيع فى مدى سنوات ست ان تقلب هذه الهزيمة الى نصر لم يشهد التاريخ له مثيلا أيضا ٠

والعالم لم يشهد انسانا يواجهه وينفذ ما يعتقد أنه الصواب على رغم كل التحديات الا أنور السادات ٠ والعالم لم يشهد زعيما يضحى بنفسه لينقذ وطنه ضاربا عرض الأفق بالدعايات والشعارات الجوفاء الفارغة الا أنور السادات ٠

وتمر السنوات ٠ ويتبارى الذين وجهوا اليه سـهامهم المسنونة لينالوا بعض مانال فيخذلهم الطريق ٠ وهم فى غيهم بدلا من ان يعترفوا بالخطأ الذى وقعوا فيه يزدادون عداء للرجل حتى وهو فى مثواه الأخير ٠

ولست أدرى أى مصير كان ينتظرنا اذا نحن لم نستظل بالســلام وكيف يتصور انسان أن عدونا كان سيسكت على الهزيمة لتكون نهاية علاقته بمصر وهى الدولة الوحيدة التى تستطيع أن تحاربه ٠ والعدو يعيش فى المنطقة تحت شعار القوة وحدها ٠ والقوة مازالت كما كانت فى العصر الحجرى هى الحقيقة التى تحكم علاقات الدول بعضها ببعض ٠

ولو لم تكن اسرائيل مذعورة من أمريكا الطرف الثالث من معاهدة السلام لما خنعت ولافتعلت ألف سبب لتدخـــل فى حـرب مع مصر ٠ رحم الله السادات فى عليين ٠ أدرك ــ رحمة الله ــ هذا جميعه وأصر ان تكون أمريكا شريكا ثالثا فى المعاهدة وبهذا الاصرار اكتسبت المعاهدة قوتها وجبروتها استطعنا أن نعيش السلام الذى نعيشه اليوم ٠ والحرية التى نحياها الآن ٠ واستطعنا ان نفرغ لأزمات جرها علينا حكم الطغيان لمدة تقرب من عشرين عاما ٠ وفرضتها علينا سنوات الحرب التى تواصلت منذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٧٣ ٠

ومع أن هذه الحقيقة ساطعة لا شك فيها نجد المغرضين والأفاكين والجبناء والنهازين لايتركون فرصـــة الا اهتبلوها لينالوا من الزعيم الأســطورة ٠

ويظهر كتاب موسى صبرى وكأنه لم يظهر ويستطيع الشيوعيون والناصريون بما لهم من أصـوات صارخة وعلى رغم قلتهم الضئيلة أن يفرضوا الصمت أو شبه الصمت على الكتاب ولو ظهر لطفل منهم صفحة من كتاب لملئوا الدنيا ضجيجا وعجيجا فهو هو الكاتب الأوحد ٠ وهو هو العبقرية والخلود ٠ وهو هو المجد التليد ٠ والفن الأصيل ٠ والرفعـة التي لا تدانيها رفعـة ٠ والسموق الذى يعلو اليه سـموق وسبحان الله العظيم من قبل ومن بعد ٠

وأجد في كتاب السادات الأسطورة شيئا ربما حلا لى ان أعلق عليه فقد أعاد الى شخصيا ذكريات لا تنمحى من ذهنى فقد جاء فى الصفحة ١٨٠ من الكتاب هذه الواقعة أرويها كما جاءت ٠ وهذه الواقعة حدثت في معتقل الزيتون حيث كان المؤلف معتقلا وحيث التقى لأول مرة بالزعيم السـادات ٠

وذات صباح طلبنى جلال الدين الحمامصى للتحدث معه فى غرفته ثم أغلق الباب بالمفتـاح ٠

وقال : سأفضى اليك بسر سياسى خطير ٠ وحذار من البـوح به لأى انســان ٠

قلت : خيرا

قال : هل لفت نظرك شيء فى أخبار الصحف ٠

قلـت : لا

قال : هناك خبر هام ٠٠ ان النائب ابراهيم دسوقى اباظة (باشا) عضو الأحرار الدستوريين قدم استجوابا للحكومة عن ســوء معاملة المعتقلين السياسيين ٠

قلت : وما اهمية ذلك ٠

قال : لقد فكرنا هنا بأن من واجبنا الوطنى أن ندعم هذا الاستجواب
قلت : وكيف ؟

قال : هذا هو السر · لقد قررنا أن يهرب عدد من المعتقلين هنـا ووقع الاختيار عليك من ضمن من تقرر هربهم ·

وشرح لى جلال الحمامصى التخطيط الكامل للهرب وباب الحجرة مقفل بالمفتـــاح » ·

ويمضى المؤلف بعد ذلك شارحا قصة الهرب من المعتقل ذلك الهرب الذى دبره الزعيم السادات والذى نجح ·

وانما أروى هـذه الواقعـة لأذكر ما لم يذكـره المؤلف عن ذلك الاستجواب الذى قدمه أبى · والواقع ان المؤلف لم يكن محتاجا فى واقعة الاستجواب الا الى هذا الجزء الذى أورده فلا لوم عليه ولا تثريب انه لم يمض فى الواقعة الى نهايتها ·

فالذى حدث أن حكومة الوفد اختارت اليوم الذى ستناقش فيه الاستجواب المقدم من أبى لتعتقل فى ذات اليـــوم المرحـوم مكرم عبيد باشا · وهكذا وقف أبى على المنبر وبدلا من أن يناقش الاستجواب قال اننـا متضامنون مع مكرم باشا فى كل ما فعله ولتفعل بنا القوة الغاشمة ماتشـــاء ·

وجن جنون الحكومة الوفدية وفوجئنا فى بيتنا بعد منتصف الليل بقوات ضخمة من الشرطة تحاصر البيت ثم تقتحمه وتعلن أبى أنهـــا ستفتش البيت وعرفنا أنها كانت تبحث عن الكتاب الأسود الذى أصدره مكرم عبيد باشا فى ذلك الحين بمعاونة من الأستاذ جلال الحمامصى وقد كنا فعلا نوزع هذا الكتاب من بيتنا ولكن أبى بعد أن ألقى كلمته فى مجلس النواب توقع ان يدهموا البيت ليبحثوا عن الكتاب أو المنشورات الأخرى التى كانت توزع فى هذه الأيـــام فى ظـل الحكم العسكرى والصحافة المكممة فهربنا كل ما كان لدينا من نســـخ وجرى التفتيش وحسبنا نحن أهل البيت ان هذا الذى يحدث شىء بربرى بعيد كل البعد من أى معنى كريم ·

واليوم حان لى أن أشهد أن التفتيش الذى تم كان تفتيشا هينا لينا شريفا اذا نحن قارناه بما كان يحدث بعد ذلك فى سنوات الطغيان الغاشمة . وأين بضع شرطة يمــرون بالغـرف أو يفتحون الدواليب والأدراج المغلقة من تلك العواصف التى كانت فى عصر الطغيان تدمر البيوت تدميرا حتى اذا انحسرت لم تترك الا ترابا مهيلا وفناء ماحقا .

ذكريات ومالنا لا نذكرها أليست الذكرى تنفع المؤمنين .

الأهرام ١٩٨٦/٢/٩ م

عالى الصوت لم يزل

رأيته شابا يافعا فى أروقة حزب الأحرار الدستوريين • لم تكن سنه قد بلغت العشرين بعد وكان متحمسا للحزب حماسا جنونيا مندفعا حتى لقد كان رجالات الحزب لا عمل لهم معه الا كبح جماحه • والحد من اندفاعه • وكان فى الاجتماعات هو دائما البادىء بالهتافات وكان يظل يهتف حتى يضطر الخطيب الى آن يرجوه أن يعطيه فرصة ليكمل خطابه •

حتى اذا انتهى الخطباء تجده وقد بح صوته حتى لا تستطيع أن تسمع منه كلمة الا اذا ملت بأذنك حتى تلتصق بفمه •

وفى هذا السيل الجارف من التحمس المندفع المتدفق عرفنا أنه يذهب الى الهيئة السعدية وأنه يبدى من الحماس لمبادئها نفس ما يبديه لمبادىء حزب الأحرار الدستوريين وأنه يهتف لزعماء الهيئة السعدية كما يهتف لزعماء حزب الأحرار الدستوريين •

وكان الحزبان مؤتلفين فى الوزارة وأغلب الأمر بل من المؤكد أن أعضاء الهيئة السعدية عرفوا أمر اتصاله بحزب الأحرار الدستوريين كما عرف حزب الأحرار أمر اتصاله بالهيئة السعدية •

ومن المؤكد أيضا أن رجالات الهيئة كانوا يكفكفون من غلوائه ويعقلون المندفع من تهوره •

وظل هذا حاله حتى سقطت الوزارة المؤتلفة وتالفت الوزارة الوفدية وكان الفتى قد أصبح فى الجامعة فاذا هو فى سهولة ويسر يهجر حزب الأحرار الدستوريين والهيئة السعدية جميعا وينقل تحمسه الى الحزب الوفدى فهو عضو فى لجان شبابه وهو هو المتزعم للهتاف حتى يبح صوته وهو هو المتصدر فى احتفالات الحزب ــ وما أكثرها ــ يوزع الأدوار على الهاتفين ويؤلف كلمات الهتاف ويخص كل وزير من الوزراء بفيض من الثناء • ويغمر كلا منهم بموفور من المديح •

والفتى مرن على الهتاف مرانا قل أن يجيده أحد فى مثـل سنه وتلك ميزة ليست قليلة الشأن فى مكان توجد به تجمعات أو اجتماعات أو خطباء ٠

وكان الفتى يستفيد من هتافاته هذه فوائد ليست بالهينة الشأن ولا الضئيلة العائد فهو قد حصل على مدى سنوات هتافه على كل الاعانات التى تقدمها الوزارات لمن ضاق عليهم الرزق ٠

نال من وزارة الأوقاف ومن وزارة الشئون الاجتماعية وعمل فى كل صحف هذا الزمان لا كمحرر فلا شأن له هو بالتحرير وانما عمل كمورد للاعلانات من الحكومة وناهيك باعلانات الحـكومة مـن مـورد لا ينقطع سيله ، ولا ينضب غمره ، ولا يغيض ماؤه ٠

وقد كانت أغلب الصحف والمجلات تكاد تعيش على هذه الاعلانات وهكذا استطاع الفتى أن يصلح شأن نفسه ، أما شأن ذويه فهو غير مسئول عنهم فقد كان أبوه موظفا ضئيل الدخل هزيل المرتب وكان له أخـوة ثلاثة فلم يفكر يوما أن يعين أهل بيته بما يجعل الحياة معقولة أو ممكنة بل انه يرغم أباه على أن يشترى له الملبس أيضا ٠ أما أنه يطعم بالبيت فهذا أمر يراه طبيعيا فما دام أبوه قد أتى به الى الحياة فهو مسئول أن يطعمه حتى يتخرج ٠ وهو لا يرى أن هذه القاعدة يمكن أن يرد عليهـا استثناء مهما يكن هو موفور الدخل ، ومهما يكن أبوه مجهدا قليل المال كثير النفقة ٠

ومع المران والأيام صار يسافر الى بلدته يبحث عن طلاب الحاجات ويتشفع لهم وينال من جدواهم ما يعتبرونه رشوة وما يعتبره هو حقا له لا شك فيه ولا مناقشة ٠

وما هى الا زيارة أو اثنتان الى البلدة حتى أصبح الفتى مقصـد قريته والقرى المجاورة جميعا ٠ وأصبح أمره مشهورا وأصبحت أسعاره معلومة لا يجهلها أحد ٠ وما لقصاده لا يكثرون وكل من يقصده بمعضلة يحلها له فشفاعته عند ذوى الشأن مقبولة وهو دائما عنـدهم موضـع ترحيب ٠

وأركان الصفقة معروفة واضحة المعالم ٠ يستجيب الوزير للشفاعة من الفتى ويهتف الفتى باسم الوزير فى حفلات الحزب ٠ ومن الناحية

العكسية لا يستجيب الوزير لشفاعة الفتى فلا يهتف الفتى باســـم الوزير ·

وحتى أكون صادقا مع نفسي ومعك لم يكن كل الوزراء فى العهد الوفدى أو غيره من العهود يهتمون فى كثير أو قليـــل بهتافات الفتى أو صراخه فاذا استجابوا لشفاعة منه فهى استجابة حزبى كبير لشاب من شباب الحزب والفتى لا يهمه الباعث عند الوزير وانما كل ما يهمه أن يحقق ما كلفه به دافعو الرشاوى وليكن الباعث بعد ذلك ما يكون فهو لا شأن له به ·

واحترقت القاهرة ·

وراحت الوزارة تتنقل تائهـــة من عهـد الى عهـد فما استقرت على رئيس ولا تريثت عند وزير · وزاغت أعين الفتى فأصبح لا يدرى باسم من يهتف · ولا بمن يصل أوشاجه ولا الى أى كرسى يمد حباله ·

وجاءت الثورة واتضحت المعالم ووضحت له الأمور وضوحا تاما ·

كان صوته بالمران والممارسة أعلى الأصـــوات فى الهتافات وتنقل الهتاف من رئيس الى رئيس فى مثل السهولة واليسر التى كان يتنقل به من حزب الى حزب فيما قبل الثورة ·

وحين استقر الحكم كان الفتى الذى أصبح شابا ذا خبرة واسعة بمعرفة الطريق الذى يختار أعظم الهاتفين شأنا وأعلاهم صوتا ·

انضم الشاب الى هيئة التحرير وما هى الا لفتة زمن حتى أصبح من أعظم أعضائه نشاطا · فكان طبيعيا أن يرشح نفسه لمجلس الأمة وكان غريبا أن ينتخبه الذين قضى مصالحهم فهم ينتخبونه على الرغم من أنهم هم أنفسهم كانوا يقدمون له الرشاوى فى جميع العهود ·

وحين أصبح فى هذا المكان المرموق رفع أســـعاره فى القيـــام بالشفاعات · ثم ضاعفها عدة أضعاف وقال ــ ووجد من يصدقه ــ انه لا يأخذ لنفسه وانما هو يشرك معه الكثيرين الذين يعاونونه فى قضـــاء الحاجات ·

وبصورة تلقائية انتقل الشاب من هيئة التحـــرير الى الاتحـــاد القومى • ورفع أسعاره مرة أخرى •

ثم أصبح في مقدمة العاملين في الاتحاد الاشتراكى • وكان من المعقول جدا أن يصبح عضوا فى التنظيم الطليعى •

وكان عضـــوا فى المجلس الذى رقص للهزيمـــة • وكان تصفيقه يومذاك واضح المعالم بين السمات •

وذهب عهد بأكمله وجاء عهد آخر • تسلل اليه فى أناة وخبرة فاذا هو عضو فى منبر مصر ثم هو عضو فى حزب مصر ثم هو عضو فى الحزب الوطنى • وهو دائما عضو بمجلس الشعب • وهو دائما يحصل على أعظم الأصوات من الناخبين •

وما دام قد صفق للهزيمة فقد أصبح من الطبيعى بل من الحتمى أن يصفق تصفيقا مضاعفا عشرات المرات للنصر الرائع الذى لم يشـــهد العرب له مثيلا فى العصر الحديث وصفق فى حماس لا مثيل له لما أعقب النصر من خطوات السلام الخالدة •

ولكن العجيـــب فى أمـــره أنه اذا جلس فى جمـــاعة يهاجمون كامب دافيد وافق المهاجمين فى رأيهم •

فاذا انتقل الى جماعة يؤيدون كامب دافيد كان أشـــد منهم حماسا فى تأييدها •

ظاهرة عجيبة هذا الفتى •

أم ترى لم يصبح ظاهرة ولا عجيبة • لست أدرى ؟!

وتسألنى أو لا شك أن ستسألنى من هو ؟

أهو هذا الرجل أم هو ذاك وكيف لى أن أعلم ربما كان هذا وذاك جميعا فقد تشابه الخلق علينا •

ومن أين لى أن أدلك عليه وأنا أروى لك قصة تمتد جذورها نيفا وأربعين عاما • وأما أحسب أننى مقصر فالملامح المحددة قد انماعت فى عينى

ولم يبق أمامى منهـا الا الخطوط العريضة أقدمها اليك وأنا واثق أنك أنت • أنت أيهـا القارىء ستعرف الملامح بكل وضوح وستتبينها بكل دقة • فان ذاكرتك أنت دائما أكثر نشاطا وأعظـم تركيزا • فما على بأس أن أترك لك أنت أن ترى من ألمحت اليه وأن تتعرف أنت على اسمه وسماته • بل اننى واثق أنك ستصل من الأمر الى أبعد من ذلك ، فانك قادر لا شك أن تذكر لى اسم أمه وأبيه ، واسم زوجه وبنيه ساروا فيه جميعا من دروب وما ارتادوا من طريق فأنت دائما أيها القارىء أعظم الناس علما بمن حولك وما حولك • فشأنك وهـذا الفتى الذى أصبح شابا ثم صار كهلا يأخذ طريقه الى الشيخوخة ولكن بخطوات نشطة وصوت عال مرتفع الضجيج لم تنل السن منه وما أوهنته السنون •

الأهرام ١٩٨٦/٢/١٦ م

حتى أبطال أفغانستان

ليس شيء بغريب على الشيوعيين · وقد تعودنا أن يطلعوا على الناس في كل يوم بلون جديد من الجرأة على الحق · والاساءة الى مشاعر الناس قاطبة · والتهجم على العدل الواضح الذى لا يختلف حوله اثنان ما دام ليس بينهما من هو صاحب غرض ، أو مائل مع الهوى ، أو حائد عن الطريق القويم الذى لاشك فيه ·

ليس شيء على الملحد بغريب · وما من شيء منه يدعو الى الدهشة وأى تصرف يمكن أن يثير العجب من قوم باعوا دينهم بالمال ، وتخلوا عن أوطانهم ورضوا أن يكون وطنهم بلادا أخرى · وانسلخوا عن جماعتهم ليخلصوا ولاءهم لجماعة أبعد ماتكون عن مقدسات جماعتهم ومثلها وقيمها وأخلاقها ·

ليس شيء بغريب من قوم هذا دأبهم · ولكننى مع ذلك فجعت دهشة وعجبا وأنا أتابع الحملة الجديدة التى يشنها الشيوعيون على أبطال أفغانستان · وزادت فجيعتى وهم يطلقون على الشعب الأفغانى الذى يقاوم الاستعمار متمردين أيكون المدافع عن حقه متمردا ؟! ماذا يقول هؤلاء الملاحدة ؟! ·

انهم لايشنون حملتهم على الجيوش الغازية المعتدية · ولا على الحكم العميل السفاح · لا ·· ليست على هؤلاء حملتهم ·

وانما حملتهم على المجاهدين الأبطال الذين يقفون بأيد عزلاء أمام الوحوش الضارية التى تغزو وطنهم ·

ترى أتولاك العجب أيها القارىء ؟ ·

أعرفت فى حياتك وقاحة مثل هذه الوقاحة · وما أضعف الكلمة فى وصف هؤلاء المصريين ــ أو الذين يقولون أنهم مصريون ــ وهم يؤيدون الاحتلال والغزو والجبروت وسفك الدماء والاعتداء على أمن الدول وسلامتها بلا وازع من ضمير أو حياء ·

لايشك أحد ان الأوامر قد صدرت لهم من حزبهم بشن هذه الحملة الرعناء الظالمة الهوجاء على قوم يقولون لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا رسول الله لم يرمون بأنفسهم الى أتون الهول الذى فتحه عليهم الغزاة ·

ولايشك أحد أن هذه الأوامر كانت مشفوعة بالمغريات وبالتهديدات فى وقت معا ·

ولكن ألم يبق للشيوعيين فى مصر بقية مهما تكن هينة من خجل ؟!

أو ظل مهما يكن واهنا من حياء ؟! أو اثارة مهما تكن واهية من الحفاظ على مشاعر المسلمين الذين يعيشون بينهم · بل لا يبالون بمشاعر المؤمنين جميعا · لكم قرأنا كتابات فى أزمان مختلفات وفى عصور عديدة · فما وجدنا كاتبا واحدا يدافع عن الاحتلال والقهر وعزو الدول المطمئنة الوادعة · فأى كتاب هؤلاء الذين طلع علينا بهم الزمن الأخير · وفى أى مداد يغمسون أقلامهم الا ان تكون الدماء هى مدادهم والمال المنهوب والرشوة باعثهم المنهمرة والذى تتكسر أمامه كل مشاعر الانسانية التى أودعها الله فى نفوس البشر ·

يشهد غزو أفغانستان اليوم العام السابع له · بعد أن بدأت روسيا هذا الغزو بجيش قوامه ثمانية آلاف وخمسمائة جندى وثمانمائة دبابة وثلاثمائة طائرة ·

وما أضخم هذه الأعداد فى مواجهة شعب أعزل ليس بيده الا بنادق عتيقة الصنع · ولأن روسيا لاتعرف معنى الايمان فقد حسبت ان الغزو لن يستغرق أكثر من بضع ساعات من نهار أو ليل ·

ولكن روسيا تجهل ان هؤلاء الضعاف أجساما هم العمالقة نفوسا وان هذه الأجساد الهزيلة الضئيلة تملك قوة أعظم من أسلحة العالم أجمع ·

ان قوتهم هى ايمانهم · انها (لا اله الا الله) التى تخفق بها قلوبهم · وان محمدا رسول الله التى تجرى بها دماؤهم فى العروق وبهذا الايمان صد هؤلاء العزل الزحوف الغازية · وبهت الذى كفر واذا الغزاة الجبابرة يطلبون المدد ويتوالى المدد ارسالا فاذا جنود الغزو ترتفع أعدادها

ارتفـــاعا مذهـــلا • فالآلاف الثمانيـــة لاتصـــبح عشرة أو عشرين أو خمسين أو مئة •

بل تصبح مائتين وثلاثين ألف جندى • واذا الدبابات التى تحارب اليوم فى أفغانســـتان تصبح ثلاثة آلاف دبابة واذا الطائرات تصبح سبعمائة طائرة ••

كل هذه الجيوش تحارب الحق والحق وحده •

ومع كل هذه الجحافل الضخمة لايستطيع الغزاة أن يستولوا على أكثر من عشر مساحة أفغانستان • ويظل المجاهدون المؤمنــون محتفظين بتسعة أعشار أرضهم •

وترغم الحكومة العميلة الجيوش الأفغانية النظامية أن يحاربوا آباءهم وأخوتهم وأبناءهم • ويحاول بعض منهم أن يرفض هذا القتــال المفروض عليهم مع ذوى قرباهم وأصحاب الأرض والحق •• فاذا بالحكومة العميلة ترغمهم ارغاما ساحقا ان يستمروا فى حرب أنفسهم وتطلع علينا وكالات الأنباء بخبر عنوانه اعدام عشرين جنديا أفغانيا رفضوا القتال ضـــد الثـــوار •

وتستمر الحرب سبع سنوات والجيوش الزاحفة بكل جبروتهـــا محاصرة بالايمان حولها وتصبح كمن مشى الى رمال متحـــركة تبتلع كل قادم اليها ولاتتركه حتى يموت خنقا فيها •

ويزداد السعار وتتحول الجيوش السفاكة المغلوبة المدحـــورة مـــن حرب الرجال الى محاربة الأطفال فاذا هم يعذبون الأطفال ويقتلونهم أمام أنظـــار آبائهم وأمهاتهم • ويذكر الأفغـــانيون ما شهده أتباع الرسول من كفار ذلك الزمان الجاهلى ويزدادون اصرارا على التمســـك بايمانهـــم وبأرضـــــهم •

وقد يقول قائلهم ولكن عتاة مكة والمجرمين من أهل الكفر لم يعذبوا الأطفال أمام والديهم • ثم ما يلبثون أن يرتدوا الى ايمانهم • اذن فبشرانا فبقدر الهول الذى نشهده يكون اكرامنا عند العدل المطلق عالم الغيب والشهادة •

هذه الوحشية التى لم يشهد أى تاريخ لها مثيلا يباركها الشيوعيون فى مصر بايعاز من شياطينهم وتتوالى مقالاتهم فى أكثر من مجلة تؤيد الغزو وتتمدح به وتذكر أفضاله وأثاره العظيمة على البلاد . وهم فى حمأة اندفاعهم فى المديح لاينسون ان يقولوا : ان الغزو يعمل على نشر التعليم جميعه والتعليم الدينى خاصة ولايذكرون ان الهاربين من جنات الاحتلال بلغوا فى باكستان وحدها ثلاثة ملايين نفس . ولايهمهم ما تتناقله وكالات الأنباء عن السرقات والرشى والاعتداء على الحرمات التى تمارسها القوات الغازية على أفغانستان جميعا حكومة وشعبا .

مالهم هم وهذا ؟ ان الأوامر قد صدرت لهم أن يمدحوا . وأن يقولوا ان الغزو حمل معه الى أفغانستان الحياة السعيدة الهانئة وانه طبق قوانين الاصلاح الزراعى . ومبادىء ماركس الخالدة . ووهب الشعب المكاسب الاشتراكية . وتتزايد جرأتهم على الحق فيصبون سخيمتهم على السادات الزعيم الخالد انه سلم أسلحة روسية للمجاهدين ويرون ان هذا الذى صنعه السادات عمل من أعماله الجديرة باللوم فهم اليوم يرون أن كل ما صنعه السادات سيىء . حتى مساعدة أصحاب الأرض ان يستردوا أرضهم .

ويقول قائلهم ان الروس اكتشفوا البترول والغاز وفتحوا لهم العيادات الطبية وجهزوها . وأنشئوا مصانع للسيارات بل انشئوا مصانع ونشرت الجيوش المعتدية المحبة والسلام فى ربوع البلاد الى غير هذا من المآثر والأفضال التى تعود الاحتلال ان يدعى انه يفعلها فى الأراضى المحتلة . وكلها أكاذيب لا ظل لها من الحقيقة وما يقولها قائل الا نال ثمن قولها .

أحسب أن الغيظ قد تملكك مما تقرأ . ولكن ما يهم المهم أن يمتدحوا بالغزو والاحتلال والقضاء على الدين والايمان وحق الانسان الطبيعى أن يعيش آمنا فى وطنه مطمئنا .

وقد أسمع من يقول : وأى عجيبة فيما يصنعون ؟ أنسيت أنهم أيدوا احتلال اسرائيل لفلسطين هاتفين بحياة روسيا التى كانت الدولة الثانية فى العالم فى الاعتراف بالدولة الاسرائيلية لم تسبقها فى ذلك الا أمريكا التى مازالت الوطن الأم لاسرائيل حتى اليوم .

وهم هم أنفسهم اليوم الذين يلصقون بالسادات العظيم كل ما فى قاموسهم من سفالات لأنه وقع السلام مع اسرائيل .

وهم هم أنفسهم أعلى الناس صوتا فى الدفاع عن فلسطين وعن القضية ٠

متى كان لهم رأى يقفون الى جانبه ٠ أو مبدأ يثبتون عليه الا الالحاد بالله ورفض الانتماء الى الوطن ٠

ولايكتفون بالقول بل هم يشفعونه بالعمـــل ويؤلبون العمال فى المحلة وفى شركة أسكو ٠ بعد أن خاب سعيهم فى تجمعات الطلبة ٠ يريدون لمصر أن يتحطم فيها الانتاج وأن يعمها الخراب لأن تربتهم هم هى الأرض الخراب ٠

ولولا أن رئيس مصر مسلم قوى الايمان ، مصرى عميق المصرية لطالبوه أن يستدعى الجيوش الغازية فى أفغانستان لتنشر فى مصر الخير والبركات والســعادة والهناء التى لايخجلون أن يقولوا ان الجيوش الغازية قد نشرتها فى أفغانستان ٠

ليقل الشيوعيون ما يشاءون ٠ ولكن أحسب أنه ينبغى أن يقف بهم الأمر عند الكلام ٠ فاذا تعداه الى العمل والى التسلل فى الجماعات من عمال الى غير عمال فاننا لهم بالمرصاد ٠ فان الأمر جد لايصلح معه الهزل ٠ واذا كانوا يركبون الحرية ليقتلوا بها الحرية فليكن هذا فى الكلام فقط وهم فى هذا الميدان يمرحون ما شاء لهم المرح حتى لقد طغا صوتهم فى أجهزة الاعلام على كل صوت ٠ وهم يقولون فى مجلاتهم وفى الصحف القومية ماشاءوا أن يقولوا ٠ ولكن الفرق بعيد بين صيحاتهم هذه وبين أن تصبح هذه الصيحات عملا وفتنة تأليب المخابيل البلهاء على الديمقراطية والحرية التى تنعم مصر بها اليوم ٠

واذا كانت الحكومة قد وسعت لهم مجـــالات الاعلام جميعها من صحف الى مجلات الى اذاعة الى تليفزيون فان على هذه الحكومة نفسها أن تمنعهم ان يثيروا الفتنة ويشعلوا الثورات ٠

واذا كان وجودهم الواضح بالاعلام يهدد الاقتصاد المصرى تهديدا عنيفا تدريه الحكومة كل الدراية ٠ فان الفتنة التى يريدون اشعالها هى القضاء الكامل على هذا الاقتصاد الذى لا يحتمل اليوم أقل هزة فحسبه ما يعانى وحسبنا نحن المؤمنين الله فانه نعم الوكيل ٠

من طوايا الحياة ..

ماذا أصاب قومى فى مصر ؟ أين الأيام الخضر ؟ وأين عصير الحياة العذب وأين ذلك الاشراق المضيء . وأين انطلاق الحديث ينتقل مرحا من قلب الى قلب ومن صديق الى صديق . ومن ابن أبيه . ومن أب الى ابنه . ومن أخ الى أخيه . بل أين المودة بين الزوج والزوجة وأين بينهما الذكريات والأمال . حتى الحب الجديد أصبح لا يولد حرا .كما كان حرا ولا هو اليوم يعرف ذلك الاندفاع المتدفق لا يعوق دفاعه عائق ولا يجرؤ مانع أن يمسك عنانه . أين هو : هادرا صاخبا . وأين هو جدول من غير سلس المجرى لؤلؤى المياه . يجرى فى ضفتيه لأنه حب وكفى .

يا لشقاء الحب فى وطنى اليوم . الضفتان اليوم مال جامد حقير مسعور . وبحث عن مسكن بعد أن نضبت المساكن فى بلدى . لا هدير للحب اليوم بل هو معتقل فى حبال شديدة الأسر من التفكير المذعور من هول الغد . الفتى يبحث عن فتاة تكون ذات مال . أو ذات عمل . ولم يعد الغنى يبحث عن هواه وحبه فى شريكة الحياة التى يريد الله أن تكون له فى غده سكينة لا مسكنا ومودة لا منفعة .

أصبح يريدها الفتى ذات شقة لا ذات عاطفة وذات مال لا ذات رقة .

ماذا صنعت بك الأيام يا بلدى .

أين أنسام النيل وكانت رخاء وسماحة . أين انطلاق الريف وكان هناءة وجمالا . ما للريف اليوم قد كشر عن أنيساب المال . وزمجر عن صوت العصر العنيف الصارم .

كان الريف يماشى الأيام صفاء ونعومة . فاصبح يقضم الأيام قضم الوحوش ويكسرها ويحطمها . فلا الناى يعزف فى ريفنا ولا الآذان تصغى الى شدو الكروان والبلبل والعصفور ولا النديم فى ريفنا يعرف ندماء

ولا حلقات السمر فى أمسيات الحقول تتحلق تضيئها ألسنة اللهب من نار كنار ابراهيم فهى برد ودفء وهى سلام لا يحرق وانما يشيع فى نفوس البشرية حوله طمأنينة وهناء قدسية الاطناب الأمن وسادها وحب الله والناس وجميع المخلوقات عمادها وأركانها ·

ماذا صنع بك الحقد يا ريفنا · أين أريحك المعطار · وأين أديمك المسامح · وأين أجواؤك التي ما عرفت الا الحب والنقاء والسعادة والصفاء ·

ماذا صنع الأمس باليوم · وكيف استطاع الحقد الآخذ الوبيل أن يعصف بجمالك هذا كله يا مصر ·

ماذا صنع الأمس باليوم ؟ وكيف استطاعت السخائم السود الفاتمة أن تسحب الغيوم والسحائب الكشرة وتثبتها على أقطار بلدى وفى أنحاء سمائها التى كانت صافية مؤرجة بالعطر النقى والهواء الشريف ·

ماذا صنع الأمس باليوم ؟ كيف استطاعت الكراهية والبغضاء الحقود أن تبدد أنوال الحب فى نفوس المصريين وقد كانت من قبل تنسج الهوى والتعاطف والرضا · والكبرياء فى غير صلف · والعزة فى غير تعجرف والأمانة فى غير افتعال · والترفع عن الدنايا · والبعد عن الصغار · والعزوف عن الآثام · فى طبيعة مواتية وفى سجية نقية بيضاء ·

أين أيام كان الابن يذوب طربا اذا سمع صوت أبيه وتسجج نفسه اذا سمع دعاء أمه ·

أين أيام كان الأخ للأخ عونا، والأخت لأخيها ابتسامة هوى موصول لا تشوبه على الأيام شائبة ·

هل استطاعت سنوات الحقد العجفاء القاتمة السوداء أن تشق الابن عن أبيه وتنأى بالفتى عن دعاء أمه وتجهل الأخ للأخ عدوا لدودا والأخت لأخيها ناهبة للميراث الذى كان اليه سيؤول ·

أضعيف هو الحب ؟! ·

أم قوى هو الحقد ؟!

أم أن الأمر أدهى من ذلك وأمر .

أترى الخير والستر قد انسحبا من طوايا الحياة ومن وشائج القربى وهى ثنيات الصداقة فانكشف الوادى الأخضر الفسيح بالرضا عن غابة حمقاء مسعورة رعاياها ذئاب بشرية يأكل بعضها لحوم بعض فى غير رحمة ولا شفقة . ومن أين وطيوف الانسانية قد رحلت هى أيضا مع سماحة الخير ومع كرامات الستر الحبيبة .

لقد دخل الخوف بلدى فى السنين العجاف . والخوف سريع مجتاح حين يدخل بلدا . ثم هو عند الارتحال متلكىء وبطىء ثقيل الخطى .

والأمر بعد ذلك ليس ميسورا فهو كلما هم بالخروج من بلدى اجتاحها عاصف يعيد الخوف الى الفرائص والذعر الى النفوس . وهكذا استقر الخوف فى السنوات الأخيرة يطفىء شموع الأمن ويحطم أركان السكينة .

تمثل يوما فى قرارات اقتصادية خرقاء دمرت الاقتصاد بعد أن كان يوشك أن يستقر . وكان علاج هذه القرارات بطيئا فازداد الأمر سوءا . وما زال الخوف يظل اقتصادنا حتى اليوم . المال المصرى يخشى الخروج الى النشاط ، والمال الأجنبى يخشى الدخول الى مصر . والمصريون فى الخارج حبسوا أموالهم فى البلاد التى يعملون بها بعد أن كانت تنثال فى رضا وطمأنينة الى المصارف المصرية .

وتمثل الذعر فى الأصوات الناعقة من الشيوعيين نشروها فى كل مكان من أركان الاعلام فهم فى الصحف القومية لهم صفحات ومقالات وصولات وجولات . هم فى التليفزيون يوشكون أن يستولوا على الأركان الأدبية فيه لم تفلت منهم الا الأحاديث الدينية وهم فى الاذاعة يمرحون ويسرحون ، لهم برامج ثابتة ولهم فى كل حين حديث أو لقاء . والأجهزة جميعها حريصة على أن تسترضيهم حتى لأعلم أن بعض الأحاديث التى تناقش نظريتهم منعتها الاذاعة أن تخرج على الهواء . وليس انتشار الشيوعيين بالأمر الهين . فالأضرار الناتجة عنه أخطر مما يتصور المسئولون فانهم بصيحاتهم هذه لا يخيفون المؤمنين . فنحن واثقون من أن الشعب المصرى لن يلتفت اليهم ولن يأبه بهم . ولكن الخوف كل الخوف

أن تخيف أصواتهم رءوس الأموال فى خارج مصر سواء كانت مصرية أو أجنبية فليس فى العالم شىء أكثر جبنا وحذرا من المال · وهيهات لمال يأتى الى دولة يعلو فيها صوت الشيوعيين ·

وهكذا يزداد الخوف تمكنا فى ربوع مصر ويأبى أن ينقشع ويتحدث الناس بصوت جهورى مرتفع فالنــاس فى بلادى لم تعد تهمس وليس خوفهم اليوم من الحاكم فرئيسنا اليوم أعظم الرؤساء سماحة وبعدا عن العنف والجبروت وانما الناس تخاف من الأيام ومما يأتى به الغد ·

ويزداد الخوف رسوخا فى نفوس الناس ·

ثم هو يقوى ويشتد فيما نراه أخيرا من ظهور وجوه كانت اختفت يوم اختفى عنا عهد الطغيان والاعتداء على الاعراض والحريات والأنفس والأموال فقد علت بآخرة ، أصوات الفئة الباغية وعاد الى النعيق على نخل بلدى غربان الخراب والهزيمة الماحقة فى كل الحروب تضيف على القمة الخائبة منها ٦٧ علامة لا يمحوهــا الزمن لعواقب الفســاد والسرقــات والاعتداء على انسانية الانسان وتحطيم الحرمات التى أمر الله أن يراعيها الحاكم فى الرعية· عاد عواء الذئاب فاهاج جميع مكامن الخوف فى نفوس المصريين· ويقول كاهنهم الاكبر للناس انه بغيره لن يكون قرار ما حكيما· وكأنه ما كفاه ما شارك فيه من قرارات كانت كلها خرابا ما زالت مصر تعانى منه حتى يومنا هذا وستظل تعانى منه لسنوات أخرى قادمة الله وحده يعلم عددها · هذه الجوقة التى تمثل السرقات بادئة من مجوهرات أسرة محمد على الى آخر من صودرت أمواله أو وضع تحت الحراسة والتى تمثل الهزائم المتوالية بدءا من ٥٦ مرورا بحرب اليمن الى انفصال سوريا الى ٦٧· عادت الى الظهور مع عازفها الأول ولا يجد الناس مفزعا الا القرآن الكريم أمنهم عند الكريهه ومفازتهم عند الذعر وجنتهم عند الملمات ·

ويذكرون أن هذا العهد جميعه لم يكن يؤمن بالله ولا باليوم الآخر وانه ليس ممن قال عنهم الله سبحانه وتعالى **وبالآخرة هم يؤمنون** ·

وهم واثقون من كفر العهد ورجاله ليس مما فعــل العهد ورجاله بالبشر فحسب وانما بنص ما جاء صراحة فى كتب كاتب العهد وكاهنه الأكبر ·

ويستجيب القرآن الكريم لفزع الناس وكيف لا يستجيب لهم الله وهو قريب يجيب دعوة الداعى اذا دعاه · وتاتى الآية ١١٨ من سورة

آل عمران **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون** • صدق الله العظيم والناس تعلم أن القائمين على الأمر اليوم من هؤلاء الذين يعقلون وان رئيسنا من هؤلاء الذين يسمعون القول فيتبعون احسنه •

وتتجمع هذه المشاعر جميعا وتصخب فى نفوس الشعب • ثم تنفجر فئة باغية جاهلة حمقاء تحرق أمن مصر وأمالها فى جنون أرعن مأفون وتبحث مصر عن السبب أو الدافع فاذا هى تجده فى جيوب الخونة المخابيل متمثلا فى مبالغ متشابهة ذات أرقام متتالية تصيح بأعلى صوت لها أن أعداء مصر فى الخارج قد أعطوا أوامرهم لأعداء مصر فى الداخل وشفعوا الأوامر بالأموال واستغل هؤلاء وهؤلاء حراس أمننا والأمناء على الطمأنينة فى بلادنا واستغلوا جهلهم ولا أقول فقرهم وغباءهم ولا أقول ضيقهم وصنعوا منهم قذائف حرقت أول ما حرقت أمن مصر والثقة التى تمكنت أن تشيعها فى نفوس العالم حولها •

وترفض مصر أن تصدق ما رفعوه من سبب لعدوانهم فلو كان ما أعلنوه ذا صلة بأى نوع من الصدق لكان من الطبيعى أن تكون وسيلتهم وهم رجال الأمن المجندون متمثلة فى شكوى يقدمونها أو تظلم يحمله عنهم قوادهم أو أى سبيل آخر يتفق مع الخلق •

ولكنهم لم يفعلوا ذلك وانما أذهلتهم الأموال التى تسربت اليهم فى خفية عن مصر وأصبحوا قنابل تحرق مصر • مصرهم التى رضعوا لبانها وتفيئوا ظلها • والتى لا ملجأ لهم الا حقولها ومغانيها ولا مشرب لهم الا نيلها •

ان تكن سنة قد زيدت على تجنيدهم وهم بها ضائقون فالى أين يريدون أن يتجهوا اذا لم تزد ان لم يتجهوا الى مصر التى يحرقون •

لا ليست زيادة سنة صحيحا كان أمرها أو كان أشاعة ـ بالسبب الذى تقبله مصر • انما هو الخيانة والرشوة ومصر تتساءل اليوم ان كان الذين قبلوا الرشوة جهلاء حمقى فأين كان رءساؤهم • وهو سؤال ضخم وكل اجابة عليه محزنة تمزق النفس حسرة وألما وذهولا فاجعا مدمرا •

والعجيب العجيب وفى نفس الوقت العظيم أن شعب مصر الذى يتحمل ما يتحمل من عناء هو الذى يقمع الخونة ويصدهم ويرفض فى اجماع منقطع النظير اجرامهم •

ان هذا الشعب هو النبت الصالح الذى يخرج من الأرض الطيبة ٠

وان أرض مصر العريقة عراقة الزمن لا يمكن أن تنبت الا هذا الشعب النبيل وصدق الشاعر :

وهل ينبت الخطى الا وشيجة   وتزرع الا فى منابتها النخل

١٩٨٦/٣/٢ الأهرام

هل هم منتهون ؟

للقلم وجمة · وبعد الحادثات يسود صمت فيه الم وفيه تفكير وفيه عجب وفيه ذهول ويصيب القلم في ايدينا وجوم · فهو ذو نبض وذو حياة ومن كان ذا نبض وذا حياة يصيبه الوجوم كما يصيبنا ·

وماذا أنت قائل لقومك اليوم · أما الأحداث فقد تناولتها الأقلام جميعا ولم يعد في جنباتها مجال للقول الا أن يكون القول وجوما وهموما وحزنـا ·

ومن الوجوم يثور التفكير ويعتلي ، وتنظر في الجرائد القومية التي صدرت بعد الحوادث فتجدها على حالها · وكأنها لم تشهد الايدى الخائنة تحرك النفوس الجاهلة وتكاد تشعل الفتنة في أرجاء مصر جميعا ·

أعداء مصر الملحدون · المنتمون لغير ترابها · الداعـون لغير حبها تتصدر صورهم وأحاديثهم بعض الجرائد القومية ·

وكان لم يكن بالأمس القريب حريق هـم مشـعلوه بأحـاديثهم وكتاباتهم قبل أن ينشب · وهم الذين أشعلوه بخيانتهم وبمؤامراتهم فى الليل ، وسيلتهم اليه الرشوة الحقيرة ينهالون بها على نفوس مأفونة لا علم لها يقف بها عن الشر · ولا خلق لها يردها عن التمرد ولا كرامة لها تمنعها عن الرشوة ، ولا وطنية لها تزعها عن اشعال الحريق فى وطنها ولا عقل يذودها أن تحرق نفسها فى عمل انتحارى جماعى ·

فما أحرق هؤلاء الغوغائيون الا أنفسهم وهل مصر الا هم لو كانوا يعقلون ·

وتطالعنى صفحات الشيوعيين فى الجرائد القومية يحللون ويتحللون ويفلسفون وينماعون وينافقون فى غير خجـل ويكذبون فى غير حيـاء ويقولون غير ما يعتقدون فى تبجح لا يتأتى الا لقوم باعوا ايمانهم بالالحاد· وباعوا أوطانهم بالخيانة ·

ولا ألوم الجريدة التى تسمح لهم بهذا ، فالصحف اليوم فى عصر الحرية هى المسئولة وحدها لا تقف على كتفيها سلطة ولا تتحلل أصابعها رقابة من خارجها • وانما ضمير الجريدة وحده هو الفيصل والحس والسياسى هو صاحب القرار •

فليقل الشيوعيون ما شاءوا أن يقولوا فى صحفهم وما هى بالقليلة العدد أما أن يفرضوا علينا فى جرائد تنتمى بجميعها الى مصر فتلك كبيرة لا تغتفر •

وهم يعلمون ان هذا الذى يفعلون أثار نفوس الناس فى مصر جميعها وأثار مخاوف المهتمين بشئون مصر فى خارجها سواء كانوا من أبناء مصر أو كانوا من الذين يفكرون فى القدوم اليها ليستثمروا أو ليجعلوا من ربوع مصر وآثارها مكانا لسياحتهم الآمنة أو لسياحتهم التى تريد أن ترى آثار مصر التى يعتبرها العلماء متحف العالم أجمع •

هم يعلمون ذلك وكان من الطبيعى أن يعودوا الى العقل منهم والرشاد بعد هذه الفئة الباغية التى شهدتها مصر • ولكن لا عقل لهم ولا رشاد ولا تزال صفحاتهم كما كانت قبل الفتنة بل هى أشد سوءا وأكثر سوادا أو احمرارا ولك أن تختار أى اللونين شئت •

كان عليهم أن يعلموا أن مصر ترفض هذه الفئة • وتحاربها • لأن مصر وقفت بجانب جيشها الشرعى ولم تقف بجانب المعتدين المجرمين الآثمين كما يتمنى الملحدون المنتمون لغير مصر •

ولو لم يكن الشعب المصرى يؤيد رئيسه ويتمسك به لكانت الفرصة أمامه مواتية أعظم ما تكون المواتاة • ولاهتاجوا مع المهتاجين ولا حرقوا مع المحرقين ولا أتلفوا مع المتلفين ولا دمروا مع المدمرين •

ولكن الشعب المصرى لم يحرق ولا هو أتلف ولا دمر والشعب المصرى أيضا لم يتخذ موقفا سلبيا ولم يبتعد عن الأحداث فى غير مبالاة • انما وقف المصرى عونا على المفتونين وعلى المحرقين وعلى المتلفين المدمرين •

الشعب المصرى اليوم يحس أن مصر بلاده وما كان ليشعر بذلك لو كان رئيسه جبارا طاغية منفردا وحده بالسلطان مبعدا الشعب عن أى رأى فى مصير البلاد •

وأشهد يا رئيس الجمهورية ويشهد الشعب معى انك لم تكن فى يوم طاغوتا ولا منفردا برأى ولا متباعدا عن الشعب ولا متكبرا عليه ٠

وأشهد يا رئيس الجمهورية ويشهد الشعب معى أنك لم تمسك على شعبك سلاحا ولا كنت عليه سوط عذاب ولا حاولت أن تخرق الأرض أو أن تبلغ الجبال طولا ٠

وأشهد يا رئيس الجمهورية انك لم تصعر خدك للناس ولا ملت عنهم تهاونا بهم أو كبرا عليهم بل أنت منذ عرفناك ذو تواضع فى غير ضعف ٠ وذو كبرياء فى غير تكبر ٠ وذو حديث سلس المجرى قريب المأخذ لا تقف فى مجراه صخور من الافتعال أو التصنع أو التخلق بغير خلاقك بل أنت دائما على سجيتك المصرية الأصيلة ٠ ان ثرت فلمصر وليس على مصر ، وان غضبت فلشعب مصر ولم تكن غضبتك يوما على شعب مصر ٠

لم نعرف فى عهدك ان مصريا زج به الزبانية العتاة الى معتقل ٠ وما سمعنا يوما أن شخصا قتل خفية عن الناس فى أطواء المعتقل حتى اذا سأل عنه ذووه قيل لهم هرب فهو مجهول المصير ٠ ولم تستول حكومتك على أموال الناس ولم تتعرض سلطة فى عهدك لأحد تستلب كرامته فالعرض فى عهدك مصون ٠ ولم نسمع ولم يسمع أحد أن كلابا أو أدميين اعتدوا على أعراض نساء أو رجال باسم الدولة فى عهدك المبارك ٠

وأشهد يا رئيس الجمهورية انك أعطيت المعارضة الطريق المفتوح على مصراعيه وان كثيرا منهم خفروا هذا الطريق بالأكاذيب والأثارة وبعضهم دمره بالافتراء والتآمر والخيانة ٠ فلم تغلق يوما جريدة معارضة ولا أنت حتى منعت جريدة قومية أن تقول كل ما يعن لكتابها أن يقولوا ٠ بعد أن كانت الأصوات كلها تصدر عن بوق واحد ٠

ولقد حذرت ولم تهدد وبصرت ولم تصادر : وكنت صادقا فى تحذيرك وتبصيرك ٠ ولكن هل وعى الأخرون الدرس وهل ارعوى غاويهم أو رشد سادرهم ٠٠ لا أظن !

أحسب يا رئيس الجمهورية إنك كنت ترى المستقبل يوم قلت مرات أخشوا العواقب واحرصوا على ألا تشعلوا فتنة لن تصيب الذين ظلموا وحدهم ٠

وهاج هائج المعارضة ، ووجه بعضهم حديثه اليك فى محاولات صبيانية للبطولة الزائفة وبدلا من أن يختاروا الصدق طريقا للرأى ،

والامانة وسيلة للمعارضة راحوا يفسرون حديثك انه تهديد بزوال الديمقراطية والحرية ٠

واأسفى لهم فهم لا يعقلون ٠

واشهد يا رئيس الجمهورية انك لم ترم مصير مصر الى شرك الحروب وأهوالها ومصائبها بغير داع لها الا الأمل فى زعامة عالمية أو رغبة فى مجد شخصى مزيف ٠ فأموال مصر فى عهدك أمنة فى مستقرها وان عدا عليها لص أو منحرف كنت له بالمرصاد لم تحم يوما قريبا وان كان أخا ، ولا تسترت على معتد وان كان منك فى أقرب مكان ٠ ولو ان الشعب قارن بين كل ما سرقه السارقون وما انتهبه المجرمون فى عهد الحرية وبين نفقات يوم واحد فى أى حرب من الحروب لكانت المقارنة وكأنها بين ابرة وصاروخ أو بين نقطة ماء ومحيط ٠ هذا ان لم نذكر الدماء التى نزفت والتى هى أغلى ما عرفته البشرية ٠

وأشهد يا رئيس الجمهورية انك لم تكذب على الشعب فى يوم من الأيام ولم تخدعه ولم تعد وعدا أنت تعرف أنك لم تنفذه ولم تعير الشعب المصرى انه كان بلا كرامة ولم تحاول يوما أن تهون من عظمة شعب مصر ولم تستخفه أو تستهن به ٠

وأشهد يا رئيس الجمهورية انك منذ توليت وأنت تعرف انك واحد منا يسعدك ما يسعدنا ويضنيك ما يضنينا ٠ تحيا حياتك فى غير سرف ولا مظاهر ،فى كرامة تليق بانسان ٠ تمشى على الأرض هونا فلا مختال أنت ولا أنت فخور ولا متأله أنت ، ولا أنت ذو شره ٠

لهذا يا رئيس الجمهورية كان الشعب معك لا عليك لانه يعرف عن يقين انك معه لا عليه ٠ ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفض من حولك ولما وقف حولك وحول وطنه يذود عن حياضه ويدافع عن آماله ويرد الخونة المعتدين فى اصرار وثبات وشجاعة وصمود ٠

ونحن يا رئيس الجمهورية اليوم ننتظر نتائج التحقيقات وليس لنا أن نقول ما لا نعلم ولكن من حقنا أن نفكر ، وأن نستنتج وأن نرى المقدمات لعلها تصل بنا الى الحقائق ٠

ان المتمردين مجرمون لا شك فى اجرامهم ٠ ولكن المجرم الأكبر مازال خافيا عن العيون وان كانت بعض ملامح منه بدأت تطل علينا ٠

من بين هذه الملامح تلك الجنيهات فى جيوب الفقراء الثائرين • من أين جاءوا بها !؟ وكيف توالت أرقامها تضيع أنها من مصدر واحد • ما المصدر ؟ •• هذه واحدة من الملامح •

وبعض الملامح التى تدل على المجرم الأكبر جاءت فى واقعة عظيمة الدلالة • هذه السيدة المصرية العظيمة التى لم تقفل شباكها ولم تهرب الى العميق العميق من سراديب بيتها وانما وقفت فى النافذة تصور الأحداث وهى تعلم تمام العلم أن هؤلاء المجانين لو رأوها أو راها واحد منهم لكان القتل هو أهون مصير لها هذا اذا لم يصحبه حرق لعمارتها كلها ولاهلها وذويها وجيرانها جميعا •

صورة من حب المصريين لمصر ، تحمل صورة للخوانة الذين لا نريد أن نصرح بما نستنتجه فى شأنهم وان كان أمرهم معروفا للجميع • ولكن الأمر فى يد العدالة فمن حقها علينا أن ننتظر كلمتها فى ثقة كاملة بأمانتها وذكائها فى وقت معا وبعد فمن حقنا اليوم أن نقول مع شوقى :

أرى مصر يلهو بحد السلاح ويلعب بالنار ولدانها
وراح بغير مجال العقول يجيل السياسة غلمانها
وما القتل تحيا عليه البلاد ولا همه القول عمرانها
فأين النبوغ وأين العلوم وأين الفنون واتقانها
وأين من الربح قسط الرجال اذا كان فى الخلق خسرانها
لقد عبثت بالنياق الحداة ونام على الأبل رعيانها

الأهرام ١٩٨٦/٣/٩ م

لا نخاف الا الله !

توالت الأنباء من داخل المؤسسات الحكومية عن اللصوص والمرتشين • لم تجامل هذه الأنباء أحدا فهى حينا تتناول وزيرا ثم هى ما تلبث ما تتفاقم وتصبح أحكاما نهائية على أربعة من كبار موظفى الدولة ولا تمثل هذه الأحكام الا جزاء يسيرا من قضايا مازال الجانب الأكبر منها متداولا فى أيدى القضاة ثم تهب ريح من وزارة الصناعة تتهم جماعة كبيرة العدد بالرشوة •

وكل هذه الأنباء تعيد الى المواطن المصرى ثقته بحكومته أن الجميع عندها سواء • وانها لا تتستر على أحد مهما يكن ذا سطوة أو ذا قرابة • وان القضاء فى مكانه الأسنى لا يعنيه الا الحق والحق وحده معصوب العينين عن قيمة المتهم ومكانته متفتح البصيرة فى نظره الى العدالة المطلقة وما يؤيدها من أدلة وشواهد وشهود •

وليس شىء يدعو الى الثقة فى دولة ما مثل القضاء الشريف ، وكاذب كل من يدعى أن مثل هذه القضايا تهز الثقة فى الاقتصاد المصرى • فان هذه القضايا تؤكد الثقة فى الاقتصاد المصرى • وان كانت الثقة فى الاقتصاد المصرى لا تتأتى الا بالتغاضى عن المرتشين والتستر على اللصوص والسكوت على المجرمين فليذهب هذا النوع من الثقة الى أى جحيم يشاء • ولتظل مصر على ما تنتهجه من ردع المجرمين وتقديمهم الى المحاكمة وليأخذ العدل مجراه وليكن بعد ذلك من أمر الاقتصاد ما يكون فالقاعدة الثابتة ان الاقتصاد والصلات المالية ان لم تتسم بالشرف فهى الى انهيار لا شك فيه •

ولكن العجيب المؤسف أن هذه القضايا جعلت الموظفين الشرفاء فى حالة تجمد كامل عن اصدار القرار • أضع على رأس هؤلاء الوزراء أنفسهم، فقد أصبح الوزراء — وهم يعلمون انهم شرفاء — يخافون من اصدار القرار • فالقرار الذى يستغرق اصداره يوما أو بعض يوم لا يصدره الوزير الا بعد عدة شهور • واذا كان الوزير خائفا فوكيل الوزارة هالع واذا خاف الوزير وهلع الوكيل فالسكرتير العام مذعور ومن يليه من

المسئولين فى فرق مبين لا يملكون معه أن يضموا أصابعهم على قلم ليتحملوا به مسئولية رأى .

ما هذا الذى يحدث .. أمعقول هذا . ألا تواتى الجرأة الا اللصوص. ويتجمد الشرفاء فى سجون الخوف والهلع المذعور والفرق المرتعش الآليم ؟

بمثل هذا يتجمد الاقتصاد . ومن مثل هذا يفر من التعامل مع الحكومة كل الشرفاء مصريين كانوا أو كانوا أجانب . أفراد كانوا أو دولا . هل يعقل أن يصبح تخريب اللصوص عندنا واسع السطوة الى هذا الحد حتى انهم استطاعوا أن يمدوا أثرهم الخطير الى الوزراء وهم وزراء ؟

أخشى ما أخشاه الا يكون الوزراء واثقين من شرعية وجودهم على كراسى الوزارة . فان هذا الشعور مدمر فتاك . يفتك بمصالح الدولة ويدمر الوزير نفسه .

أحسب أن الوزير فى كل قرار يعرض عليه يظل يسوف التوقيع بانقاذ القرار موجها نظره الى أعلى حينا يستمد الشجاعة حتى اذا افتقدها وفقدها راح يقلب عينيه ذات اليمين واليسار يحاول أن يتلمس التأييد من معاونيه ومساعديه ومستشاريه . وأحسب أن الوزير بهذا يمد جميع هؤلاء بشحنة من الرعب لا يملكون معها أن يقطعوا برأى ومن أين لهم الرأى وقد أكلهم الذعر أكلا وانتهبهم رعب الوزير انتهابا ؟

اننا اليوم أحوج ما نكون الى وزراء واثقين كل الثقة بشرعية وجودهم على كراسيهم . يؤدون ما يرون أنه الحق ويتوكلون على الله العلى القدير .

لا يخشون فيما يفعلون الا الله وحده المطلع على الضمائر لا يخفى عليه من شىء فى الأرض أو فى السماء .

إن المعارضة ستعارض . ولكن ما الباس . ان المعارضة هى روح الديمقراطية وأساسها الأول . وفى رفضها يستنير الناس ويعرفون تماما ما فى القرارات من محاسن وعيوب . ولن يجمع الناس على شىء أبدا فما أجمعوا على شىء من قبل . وانما الأغلبية هى صاحبة القرار وحسب من يصدر القرار أن تؤيده الأغلبية .

ولست فى حاجة الى القول أن صاحب القرار لابد أن يبذل أقصى جهده للوصول الى القرار الأمثل فعليه أن يبحث ويدرس ويستشير حتى اذا اطمأن الى القرار أصدره ٠

فان القرار الصادر فى عجلة وبغير دراسة وبال مستطير ٠

وفى نفس الوقت القرار الذى ينبغى أن يصدر ولا يصـدر وبال مستطير ٠

وانه لمن المحزن أن تكون الديمقراطية مدعاة للخوف والهلع وهى النظام الذى يقوم على رأى الأغلبية وفى ظله يكون الخطأ نادرا لا يقـع الا فى أضيق الحدود ٠

فى حين تتسم الديكتاتورية بالقرارات الرعناء التى لا يسبقها تدبر أو تفكير أو دراسة ٠٠

والديمقراطية تحتمى من الخطأ بحـق الجميع فى المناقشـة بينما لا حماية للديكتاتورية الا الارهاب فليس فى الديكتاتورية دراسة تسبق القرار ولا فى الديكتاتورية مناقشة للقرار اذا صدر وقديما قال الشاعر :

تلوا باطلا وجلوا صارما وقالوا صدقنا فقلنا نعم

وانه لكارثة كبرى أن يخاف الوزير وهو فى حماية من المناقشة الحرة وتداول الرأى ٠

ولا يخاف الوزير فى ظل الطغيان وهو بلا رأى ولا فكر فهو فى هذا النظام البغيض لا شىء الا لسان ينطق عن الديكتاتورية حتى ولو كان ينطق بغير ما هو مقتنع به ٠

ولا يجوز للوزير فى ظل الديمقراطية أن يخشى الكتاب الذين دافعوا عن الديكتاتورية وارتبطت مصالحهم الخاصة بسيفها الظالم السفاك لأن هؤلاء أصحاب هوى ولا أمانة لهم ٠ وهم لن يؤيدوا الديمقراطية بقلوب خالصـة أبدا ٠

وقد يقول هؤلاء ان السرقات قد كثرت وان هذا دليل على الفساد وهم يعلمون ــ ولكنهم لا يقولون ــ انه فى ظل الديكتاتورية قام الحكام بتأميم السرقات فلا يسرق الا أصحاب السلطان وحدهم والدليل حاضر

من قريب فحسبك أن تذكر جواهر أسرة محمد علي والقصور المسلوبة والأموال التي صودرت لحساب الدولة فانتهبها حكام ذلك الزمان .

هذه واحدة وأخرى أنه لم تكن هناك حياة تجارية في ظل الطغيان فالأموال كلها كانت خبيئة مستورة تتخفى وراء الجدران وتتباعد عن الظنون وتنأى عن الحدس والتخمين . فما كان أحد ليفكر أن يستثمر ماله خشية أن تنقض عليه الحراسة فتستولي على أمواله جميعا هذا اذا لم تضم اليهم حريته وكرامته وعرضه أيضا .

فممن يسرق السارق ؟ وماذا يسرق ؟ وهل كان هناك مال حتى يسرقه سارق ؟

ولا يجوز للوزير أو أي مسئول في ظل الديمقراطية أن يخشى من قضايا اللصوص المقدمين الى المحاكم فليس هناك دولة ليس فيها مرتشون أو لصوص بمناصبهم .

ولكن الأغلبية دائما من الشرفاء .

كل ما في الأمر أن هذه القضايا جديدة علينا بعد فترة طويلة لم تكن لمصر فيها حياة اقتصادية على الاطلاق . وهذه القضايا تشكل موجة ولكنها لاشك ستنحسر . فلا ينبغي بأي حال من الأحوال أن تمسك هذه الموجة العارضة بأيدي الوزراء وأصحاب القرار أن يصدروا القرارات التي يتعين عليهم أن يصدروها فان خوفهم هذا قد أصاب الأسواق المصرية كلها بالرعب والتجمد . وكم يحزنني أن أرى العاملين في حياتنا الاقتصادية يصيبهم الظلم الفادح نتيجة الخوف من اصدار القرار العادل .

وكم يصيبني الأسى لمصر وأنا أسمع من التجار أن الكثيرين من زملائهم يفكرون في انهاء أعمالهم التجارية .

وانك لن تسأل أحدا ممن يعملون في الحياة الاقتصادية الا قال لك ان حركة السوق متوقفة تماما . وركود السوق خراب فما الخطب اذا توقف ؟!

ان الأدواء الاقتصادية التى تعانيها مصر معروفة حتى لغير أساتذة الاقتصاد • والدواء الوحيد لمواجهتها هو الشجاعة فى اتخاذ القرار •

فان احاط بنا الخوف فى القرارات الفرعية فويل لاقتصادنا كل الويل حين يتحتم علينا أن نواجه القرارات الكبرى التى سترغمنا الأيام على اتخاذها شئنا أم أبينا •

فيا مصرنا الخالدة ناشدى المسئولين فيك أن يلوذوا بالجرأة فى الحق لا يخشون الا الله وحده •

فهو وحده سبحانه القاهر فوق عباده • وهو أيضا الرحمن الرحيم الغفور • جلت آلاؤه •

الأهرام ١٩٨٦/٣/١٦ م

بين النظرية والتطبيق

فى أهرام الجمعة ٧ مارس مقال للأستاذ السيد يسين رئيس مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام · والمقال يحمل على رأسه اسم المركز وهذا يوحى بشكل لا يقبل الجدل أن الأستاذ السيد يسين انما يتحدث باسم مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية · وأعتقد أن فى هذا افتئاتا على المركز · فان للأستاذ سيد يسين ـ اذا شاء ـ أن يكتب معلنا رأيه هو أما أن يكتب تحت راية المركز الذى يمثل الأهرام جميعه فأنا أرى أن هذا يؤدى الى نوع من الخلط بين رأى فردى ورأى جهة بأكملها فأنا أشرف بالاشراف على القسم الأدبى فى جريدة الأهرام ولكننى حين أكتب أنا أعبر عن رأيى وحدى ولا يجوز لى أن أطبع شعار القسم الأدبى على مقالتى كما لا يجوز لى أن أضع شعار اتحاد الكتاب الذى أشرف برئاسته ·

وبعد فهذا أمر يتصل بالشكل كان من الحتم أن أعرض له أما المقالة نفسها فتحمل عنوان « الديمقراطية والعنف والسياسة الاجتماعية » والمقالة تحمل سمات المعارضة العنيفة ولا بأس على الأستاذ سيد أن يعارض ما طابت له المعارضة فنحن جميعا نعارض حينا ونؤيد حينا نتغيا المصلحة العامة ما وسعنا الجهد وما اسعفتنا الحجة ·

وقد قدم الأستاذ السيد يسين آراءه فى اصلاح أحوال مصر من وجهة نظره وأنا لم أمسك القلم اليوم لأناقش هذه الآراء ·

وانما ثارت نفسى وفزعت الى قلمى والى كتابة هذا الذى تقرأه الآن حين انتهى بى المطاف الى العنوان الفرعى فى آخر المقال ، وانى ناقل اليك ما قال بادىء ذى بدء ·

يقول الأستاذ السيد يسين تحت عنوان فرعى « اعادة صياغة السياسة الاجتماعية » ما يلى ·· السياسة الاجتماعية فى بلد ما تترجم بشكل محسوس التوجيهات الأيديولوجية الأساسية للنظام السياسى ومن هنا تختلف السياسة الاجتماعية اختلافات جذرية فى النظم

الاشتراكية والرأسمالية • فى النظام الاشتراكى يعلو الصالح العام على حساب الصالح الخاص • وتتوجه السياسات الاجتماعية الى جماهير الشعب جميعا لكى تنهض بها من الناحية الثقافية والاقتصادية والسياسية ويظهر ذلك فى صورة برامج التعليم المجانية التى تسمح لأفقر العناصر الاجتماعية أن تبرز مواهبها وأن تكشف عن ابداعاتها ، وكذلك فى سياسات الدخول والأجور والتى لا تسمح للقلة أن تثرى — استغلالا — على حساب الأغلبية وهى التى تفتح آفاق الثقافة بلا حدود أمام كافة جماهير الشعب وتصل الى القرى والنجوع وهى أخيرا تدعم من ايجابيات الشخصية الانسانية وتكافح سلبياتها من خلال القدوة والتربية والتعليم والردع والاصلاح العقابى وعلى العكس تماما فى النظام الرأسمالى حيث يعلو صوت الصالح الخاص على حساب الصالح العام وتصاغ السياسات الاجتماعية أساسا لخدمة الأقلية والصفوة المختارة • وهى حين تتجه الى الجماهير العريضة فهى تتجه بقدر وبطريقة محسوبة ، والغرض الأساسى هو اشباع بعض الحاجات الأساسية لها تلافيا لعوامل السخط الاجتماعى وتفاديا لاحتمالات الصراع الطبقى •

وأكتفى بهذا القدر الذى يعلم الله كم قاسيت من جهد لأنقله وأنا أسأل الأستاذ السيد يسين هل ما زالت الشيوعية نظرية لفظية أم انها تجاوزت هذا الى التطبيق الطويل الذى يقارب اليوم نصف قرن من الزمان •

وما دام الأمر كذلك ألا يرى أن الأمانة العلمية تقتضى مناقشة التطبيق • واذا كنا لا نناقش التطبيق بعد خمسين عاما من أعمال النظرية فمتى اذن ؟!

ومادام قد اختار أن يضع على رأس مقاله مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ألم يكن واجبا حتميا عليه أن يذكر الرأى والرأى الآخر وبعد فلننتقل الآن الى ما قاله :

أيعرف الأستاذ حكومة فى العالم الحر جميعه تعمل لغير الصالح العام • أين تقع هذه الحكومة وفى أى دولة رأسمالية على وجه الأرض •

وكيف يصبح فى العقول أن حكومة ما تعمل لصالح أفراد ولا تعطى الشعب الا الفتات •

وهل ما يناله العامل فى امريكا يقارن بما يناله العامل فى روسيا ٠

وهل فكر الاستاذ السيد يسين فيما يتمتع به الانسان فى ظل الحكومة الديمقراطية من حرية وديمقراطية وانطلاق وهل يستطيع مقارنته بما يشقى به الانسان فى ظل الحكومات الشيوعية ٠

هل الثقافة متاحة فى الدول الشيوعية وغير متاحة فى الدول الديمقراطية ٠ أيصدق هو هذا القول ٠ فأين اذن أدباء الاتحاد السوفيتى ومبدعوه ٠٠ أين ورثة تولستوى وديستوفسكى وتشيكوف وجوجول ٠ ألم يقتل النظام الشيوعى كل عبقرية حاولت التحرر من الخوف سواء كان ذلك فى ميدان الفن الأدبى أو كان فى ميدان العلوم والأمثلة حاضرة من قريب وهو يعرفها كل المعرفة ٠ أليس النظام الديمقراطى يقوم فى جوهره على أساس الحافز الشخصى !!

أو ليس هذا الحافز الشخصى هو الهاوية التى تردى فى فقدانها النظام الشيوعى حتى لقد اضطر لينين روسيا نفسه أن يسمح بالملكية الزراعية فيما يعرف بسياسة النيب (السياسة الاقتصادية الجديدة) عام ١٩٢١ م ليحقق حافزا شخصيا للزارع بعد أن أصبحت روسيا التى كانت مخزن القمح فى العالم تستجدى القمح من الدولة الرأسمالية الكبرى أمريكا ٠

ألم تستبدل النظرية الشيوعية الحافز الشخصى الذى يتمشى مع الطبيعة الانسانية بنظام « الردع والاصلاح العقابى » وهل يعنى هذا التعبير شيئا الا القهر والنفى والقتل والمعتقلات ٠

أولا لايعنى هذا أن النظام الشيوعى يقول للانسان علانية وفى غير خفاء سأقتلك وأهين انسانيتك وأدمر كل ما هو شريف فى حياتك لأجعلك سعيدا رغم أنفك فاذا لم تسعد فلك الويل ولك النفى الى صحراوات الجليد ولك الاعتقال فى السجون ٠ واذا لم تسعد بعد هذا جميعا فلك القتل ٠ أليس هذا هو تطبيق النظرية يا أستاذ سيد أم شيئا آخر ٠

أو ليس هذا التطبيق هو الذى جعل كل الدول التى فرضت عليها الشيوعية تهرب منها وعلى رأس هذه الدول جميعا أضخم دولة فى التاريخ ألا وهى الصين ٠ وهى دولة عدد سكانها ألف مليون نسمة ٠ وقد كان ينبغى أن ينجح فيها النظام الشيوعى ٠ فان ينال الفرد فى هذا الزحام

البشرى المروع لقمة عيشه أمر يدعو وحده الى التمسك بالنظرية ولكن النظرية فشلت فى أن تهب للانسان فى الصين حتى لقمة العيش ونجحت فى القهر وقتل انسانية الانسان فتركت الصين النظرية كلها واتجهت الى حرية الحياة ولاشك أن الدولة بحثت عن النظام الامثل لمواجهة متطلبات ألف مليون نسمة بعد أن خذلتها النظرية الشيوعية خذلانا مبينا ·

ولعل انتخابات فرنسا الأخيرة تعطيك مثلا آخر عن فشل النظرية حتى لم تتحملها فرنسا الا فترة انتخاب واحدة ·

أو ليست روسيا تعيش بامتصاص دول الستار الحديدى كلها · وكل هذه الدول تحاول أن تتخلص من جنة الشيوعية فتجد أمامها الوحش السفاح يسوى جثث الأطفال والشيوخ والعجائز بالارض فلا تملك الا الخنوع فى ألم قاتل · ولتتذكر ان كنت لا تذكر ما حدث فى المجر وتشيكوسلوفاكيا ولا يزال يحدث فى بولندا · ناهيك بالغزو الأخير لأفغانستان محاولة ضمها الى جنتها ·

أترى يا أستاذ سيد أن كل الدول الديمقراطية التى تعيش فى حرية لا تعمل حكوماتها للصالح العام ·

أم ترى كل دول الستار الحديدى لا تعمل حكوماتها للصالح العام حين تحاول التخلص من عبودية الجنة السوفيتية ·

وبعد أيها الصديق هل ترى أن التعليم المجانى فى مصر خرج مثقفين ؟

أترك هذا لضميرك · بل وأتنازل عن أمالى قليلا وأسألك هل خرج التعليم المجانى فى مصر متعلمين · أم أن الأمر لم يزد عن لافتة على فراغ بعد أن أصبحت المدارس المصرية تعلم الجهل فتحسن تعليمه ·

هل أفلح الاصلاح الزراعى فى مصر فى الارتقاء بالزراعة يا أستاذ سيد · اذن فاجعل مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية يجيب على السؤال بالأرقام لا برأيك أنت ·

هل ترى أن نظرية الخمسين فى المائة من الفلاحين والعمال نظرية مقبولة عندك وهل لها مثيل فى العالم · اجعل مركزك يجب ولا تجب أنت ·

هل القطاع العام بصورته الراهنة فى مصر خراب لمصر أم ازدهار لاقتصادها • اجعل المركز يجب ولا تجب أنت •

وبعد يا أستاذ فلو مضيت فيما أخذت فيه لما توقف القلم ولولا اننى أرده عن المضى فى طريقه لما انتهى به الحديث الى مئات الصفحات •

وحسبنا الله ونعم الوكيل •

١٩٨٦/٣/٢٣ م الأهرام

أعجب واعجب معى !

أعجب غاية العجب حين أمر بحرم الجامعة فأشهد صفوفا لا تنتهى من السيارات من بينها سيارات فارهة يتناقل الناس فداحة أثمانها وتصل هذه الأثمان الى عشرات الألوف · وأرى للشباب من تلاميذ الجامعة يتقاطرون الواحد تلو الآخر ومن بينهم من هو فخور بسيارته ذات الثمانين ألفا أو التسعين ·

أهؤلاء يتلقون تعليمهم بالمجان ؟!

أهؤلاء يحتاجون من الدولة الى دعم ليتعلموا به ؟!

كره الله هذا والمؤمنون ·

وعند بدء العام الدراسى أجد آلاف البيوت تسعى لادخال الأطفال البادئين الى المدارس الخاصة ، ويتخرج هؤلاء الآلاف فى المدارس الخاصة وقد حملوا فى أيديهم شهادة الثانوية العامة بذل آباؤهم وذووهم آلاف الجنيهات ليتيحوا لهؤلاء الأبناء أن يحصلوا على هذه الشهادة ويحصلوا معها على لغة أجنبية تكون لهم سندا فى الحياة ·· أعظم به من سند ·

ويخطو هؤلاء الى الجامعة المصرية فاذا التعليم فيها بالمجانية الكاملة ؟!

فهل هذا معقول ؟!

ينفق الطالب عشرة آلاف جنيه أو اثنى عشر ألف جنيه أو أكثر ليحصل على شهادة الثانوية العامة التى تؤهله للدراسة فى الجامعة حتى اذا أدرج اسمه فى كشوف طلبة الجامعة وأصبح يتلقى تعليمه من أساتذة أغلبهم حاصل على الدكتوراه اذا كانت الكليات نظرية أو هو يكلف الدولة التى تئن وتتألم من قلة الموارد مبالغ طائلة ليتعلم فى الكليات العملية.

مثل الطب والهندسة دون أن ينفق مليما واحدا · كيف يسوغ هذا ، كيف يدفع هؤلاء الطلاب آلاف الجنيهات للمدارس الخاصة ويتعلمون تعليمهم العالى بالمجان ·

ولماذا تهون الأموال وتقدم فى سماحة ويسر الى أصحاب المدارس الخاصة والأجنبية · حتى اذا بلغت هذه الأموال أبواب الجامعة المصرية التى تقوم الدولة بأعبائها جميعا أحجمت الأموال عن حرم الجامعة وتسربت الى سيارات مجرمة وقحة لا حياء فيها ولا خجل ·

احرام على بلابله الدوح حلال للطير من كل جنس

كل دار أحق بالأهل الا فى خبيث من المذاهب رجس

ان الجامعة أولى بهذه الأموال والدولة أكثر حاجة اليها من المدارس الخاصة ومن السيارات التى لا تتقى الله فى فجور أثمانها ·

ليكن التعليم فى الجامعة بالمجان · ولكن ليكن هذا مقصورا على غير القادرين فقط أما هؤلاء الذين يحصلون على شهادة الثانوية العامة من المدارس الخاصة ويبذلون الآلاف المؤلفة وأولئك الذين يشترون السيارات ويقفون بها على أبواب الجامعة فليكن تعليمهم بالمصروفات الكاملة · بل ينبغى أن تكون المصروفات منهم كافية لتقوم بشأن غير القادرين من الطلاب فما قيمة المال اذا لم يكن عونا لزميل محتاج أو لأخ ضئيل المصادر ·

وليس يصلح حجة أن الدستور ينص على مجانية التعليم ففى ظل هذا الدستور نفسه نشأت المدارس الخاصة · وفى هذا الدستور نفسه تتقاضى الجامعة الأمريكية المبالغ الفادحة نظير المصروفات ·

ولم يحدث فى تاريخ العالم أن أجتمع فى بلد واحد نوعان من القوانين يعارض كل منهما الآخر ·

ومصر الآن تمر بظروف استثنائية واذا لم نواجه مناحى الانفاق بالحزم وبالصدق وبغير محاولات رخيصة للتشدق بالألفاظ فان مصيرنا الى بوار لا يعلم الا الله مداه ·

وأخرى ·

فى أى بلد من بلاد العالم تلتزم الدولة بتعيين جميع الخريجين ، يعلم الله ان هذا القانون صـــدر حين صـدر لرشوة الخريجين وتسميم الآبار أمام كل من يريد اصلاحا فى هذه الدولة ٠

ويعلم الله ويعلم الناس ان هذا القانون لم تبذل فيه أى دراسة ولم يحظ بأى تعمق ولم ينل أى نظر رشيد أو غير رشيد الى المستقبل ٠

وهل أدل على ذلك من ان الخريج الآن يظل قابعا فى بيته السنوات الطوال فى انتظار خطاب القوى العاملة حتى اذا جاءه هذا الخطاب تـم تعيينه بأربعين جنيها أصبحت لا تستطيع أن تواجه مطالب فرد وحيد فما ظنك بأسرة كاملة قد يكون الخريج مسئولا عنها ٠

وهل هناك دليل على صدق ما أقول من هذا البيان الذى صدر منذ قريب عن الحكومة انها ستسمح للموظفين بالقيام بأعمال أخرى فى غير أوقات العمل الرسمية ٠

ما هى هذه الأعمال ؟

اذا لم نكن نعرفها فنحن نتعامى عن الحقيقة ونشيح عنها فى اصرار على التجاهل ولا أقول الجهل ٠

ألا يعمل هؤلاء الخريجون كسائقين للسيارات الأجرة أو هم يعملون فى الفنادق أو فى المقاهى أو عمالا فى المحلات العامة ٠

أكنا نعلمهم فى الجامعة لينتهى بهم المطـاف سائقين للسـيارات أو عمالا فى المحال العامة ٠

وأى الطريقين كان أجدى عليهم أن يتعلموا فى الجامعة لمجرد الزهو والتفاخر أم أن يتعلموا هذه الأعمال التى انتهى اليها مصيرهم ٠

اما كان الأولى بهم أن يتعلموا الميكانيـكا أو يتعلموا فى المعـــاهد الفندقية بدلا من اضاعة سنوات حياتهم للحصول على شهادات لا يعملون بها ٠

وأخرى ٠

ما قصة الخمسين فى المائة من العمال والفلاحين · وما الاصرار عليها · ان كان ذلك للمحافظة على حقوق الفلاحين والعمال فالله يعلم ومصر جميعها تعلم انه ليس بين ربوعها من لا يتصل نسبه بالفلاحين أو العمال ·

ان جميع أبناء مصر بلا استثناء أبناء فلاحين أو عمال ·

ليس فى مصر طبقة تنتسب الى غير الفلاحين أو العمال · حتى طبقة التجار أباؤها فى أغلب الأمر من الفلاحين والندرة منهم من العمال ·

فما هذا التقسيم العجيب الذى لا يعرف بلد فى العالم له مثيلا ·

لا مثيل له فى دولة شيوعية ولا فى دولة اشتراكية ولا فى دولة ديموقراطيــة ·

هو فى مصر وفى مصر وحدها دون سائر الأمم ·· وكيف يصح فى الأذهان أن يختار الشعب أعضاء مجالسه التشريعية والمحلية من العمال والفلاحين الذين لم ينالوا الا أقل قدر من التعليم ·

ان الفلاح أو العامل اذا كانت له قضية هينة الشأن فى محكمة قصد الى محام وأغدق عليه الأتعاب لأنه هو المختص فى الشئون القانونية ·

والفلاح أو العامل ان شعر بألم فى ضرس له قصد الى الطبيب ودفع ما يطلبه منه هذا الطبيب ليريحه من ألم ضرسه · فكيف يجوز أن تختار الدولة نصف المشرعين فيها من غير المختصين لمجرد انهم فلاحون أو عمال·

ما بعجيب اذن أن تصدر القوانين دون دراسة مستوفاة فقد قام بدراستها نصف الذين كانوا يجب أن يقوموا بهذه الدراسة ·

ألا يدرك الفلاحون والعمال ان ضرر هذه القوانين الهزيلة يعود عليهم هــم أولا وأخيرا ، فما مصر كلها الا عمال وفلاحون أو أبناء عمال وفلاحين · لا أستثنى فى مصر أحدا ·

كيف نقبل أن يتولى المختصون أعمالنا الخاصة الضئيلة الشأن اذا قيست بأمور الدولة · حتى اذا احتاجت الدولة جميعا والشعب كله الى تشريع أحلناه الى غير مختص ·

ان قانون العمال والفلاحين الذى يحتم انتخاب خمسين فى المائة منهم يثير من الأحقاد بين أبناء الطبقة الواحدة ما لا يستطيع اى قانون فى العالم أن يثيره • فالفلاح أو العامل لا يرى أى غضاضة أن يمثله فى المجلس التشريعى أى فتى من أبناء قريته أو من أبناء زملائه العمال فى المصنع •• ولكنه لا شك يشعر بالغضاضة كل الغضاضة ان يذهب فلاح مثله أو عامل مثله الى المجلس التشريعى •وحين يقول لنفسه أو للناس فيم يزيد عنى ابن فلان هذا حتى يصبح عضوا بالمجلس التشريعى • ولا يجد جوابا تثور فى نفسه نيران الحقد • ولا لوم عليه •

ومن ناحية أخرى ما مصير العامل والفلاح الذى ينتخب فى المجلس التشريعى لمدة دورة ولا يصادفه النجاح فى الدورة التالية • انه يلاقى الهول الآخذ المبيد• فلا هو ظل فلاحا ولا ظل عاملا ولا ظل عضوا بالمجلس التشريعى• ولا هو يستطيع أن يعود الى حقله فلاحا ولا الى مصنعه عاملا•• وكيف له أن يعود وقد ظل سنوات وهو مشرع بين المشرعين لبس الحلة وركب السيارة التى يسر له المجلس الحصول عليها وأصبح فى دنيا أخرى ليس للفأس أو للنول مكان فيها •

● ليس فى مصر من لا يعلم ان هذا القانون انما كان تسميما للآبار لجميع الحكومات التى تتولى الأمر بعد يوم صدوره :

وليس شيء يصنعه بشر مقدسا • انه لا تقديس الا لكلمات الله وحدها ولشريعته • أما كل ما يصنعه الانسان فهو قابل للتفكير وللتدبر وللتغيير • ومن المؤكد الذى لاشك فيه ان هذه القوانين البشرية جميعا ليست مصنوعة فى السماء ومن المؤكد أيضا انها ليست مقدسة وانما ينبغى علينا وجوبا أن نقلب فيها النظر ونمعن الفكر • فان تكن مصر قد هزلت فى فترة طويلة من حياتها فقد حان اليوم لها أن تعدل عن الهزل الى الجد • ومن التهريج الى الصدق والتبصر •

ان شعبا انتصر على المستحيل فى حرب ٧٣ ليس كثيرا عليه أن ينتصر على الخرافات فى بيته •

وما دمنا قادرين على أن ننتصر على الأعداء فلابد لنا الآن أن ننتصر على أنفسنا ونكف عن الهراء ليكون الجد وحده هو طريقنا • فانه لا سبيل لنا أن نخرج من أزمتنا الا بمواجهة ما شاع فى حياتنا من هزل وترهات والله من فوقنا هو ولى التوفيق •

لا يخلف الله وعده

أنا من المقتنعين كل الاقتناع ان رئيس التحرير هو وحده المسئول عن السياسة العامة للجريدة · وطبيعى أن رئيس التحرير يعنيه غاية العناية أن تحقق الجريدة التى يرأس تحريرها النجاح الأدبى والمادى معا · ولذلك فهو بطبيعة الهدف الذى يتغياه يبعد نفسه كل البعد عن اساءة استعمال الحق المخول له بالقانون وبالأعراف الصحفية ·

وأشهد أن ابراهيم نافع رئيس تحرير الأهرام من هؤلاء الذين لا يسيئون استعمال حقوق رئيس التحرير · ولعل القراء لا يحتاجون فى هذا الى دليل فنحن نكتب ما نشـــاء فى حرية تامة · ولكن يحدث ـ ونادرا ما يحدث ـ ان يتصل رئيس التحرير بواحد منا يطلب اليه فى أدب جم أن يخفف من حدة مقالة أو عبارة · أو قد يحدث مرة كل عام أو عامين أو أكثر أن يطلب رئيس تحرير الأهرام ان يكتب أحد كتاب الأهرام مقالا آخر غير الذى كتبه · وطبيعى أن يغضب الكاتب ولكن هذا الأمر حين يحدث انما يتصل بالسياسة العامة للجريدة التى يقع على رئيس التحرير وحده واجب توجيهها وأنا أدرى بما أعرفه من خلق ابراهيم نافع أى حرج يشعر به وهو يطلب الى الكاتب هذا المطلب العسير ·

ولعلك سائل نفسك فيم هذا الحديث اليوم ؟ الواقع ان مقالة الأستاذ سيد يسين التى نشرت فى صفحة الأدب فى الأسبوع الماضى وصلتنى متأخرة فبادرت بطلب جمعها وعزمت فى نفسى أن أرد على ما جاء فيها اليوم ، وكان طبيعيا ان أخبر الأستاذ ابراهيم نافع بما تتجه اليه نيتى · فكلانا كاتب فى الأهرام ومن الطبيعى أن يكون رئيس التحرير على دراية بما يكتبه كل منا ردا على الآخر أو تعليقا عليه · وهكذا رأيت ـ ولأول مرة ـ أن أنبىء الأستاذ ابراهيم نافع بما أنتويه من اننى أجلت ردى على الأستاذ سيد يسين الى الأسبوع التالى فاذا هو فى أدب جم يرجو أن نوقف النقاش عند هذا الحد ·

وقد كان الأستاذ ابراهيم من الرقة والعذوبة بحيث لم أستطع مناقشته · وصبرت نفسى وقرأت المقال فاذا الأستاذ سيد يعفينى من

الرد تماما فهو لم يزد فى مقاله عن أنه صنفنى وصنف نفسه بالصورة التى يطيب له أن يطالع بها نفسه ولو كان الأستاذ سيد يسين قد تفضل فناقشنى ما جاء فى مقالتى لكنت عاودت الكرة ورجوت رئيس التحرير أن يسمح لى بالمناقشة ٠

ولكن الأستاذ سيد لم يناقشنى وانما صنفنى فيا استاذ ابراهيم نافع أنا أذن استجيب لطلبك وأكف قلمى عن الرد ولن أراجعك لا ولن أناقشك فأنت وحدك المسئول عن مقدار الحجم الذى ينبغى للنقاش بين كتاب جريدتنا الكبرى ٠

فلنضرب صفحا عن هذا ودعونا نلقى نظرة على أمنا التى تتجاذبها صراعات من الشـــعارات البعيدة عن الجدية فى وقت لا حياة لنا فيه الا بالجدية ٠ والويل لنا أقصى الويل اذا ظللنا نمضغ الألفاظ الجوفاء التى ألقت بهزلها وهزالها على كبريات المرافق فى حياتنا فاذا نحن نصير الى هذا الذى صرنا اليه ٠

ما بال أقوام يثور ثائرهم وتحمر معاطسهم وتبرق أقلامهم بالترهات اذا ذكر كاتب أو نائب فى مجلس الشعب أو الشـــورى كلمة القطاع العـــام ٠

أى عفريت كافر خبيث ألقى فى روعهم أن مصر تستطيع أن تستغنى عن القطاع العام ـ كل القطاع ـ هيهات ٠ قسما ما ارتعدت مفاصلهم ولا وجلت قلوبهم الا بما يعلمون كل العلم ما جره القطاع العام بصورته الحالية من خراب ودمار على اقتصاد مصر ٠ وأخلاق أبنائها الذين عملوا فيه فظنوا أنه مرتع للسرقة والاتلاف وللرشوة والاختلاس ٠

أما القطاع العـــام كفكرة فلا يمكن أن يلغى ففى الغائه انهيـــار لاقتصادنا لا شك فيه ٠ ولكن ألا ينبغى علينا وجوبا أن نجعل منه مصدر كسب لا خسارة ومورد دخل لا مصرف انفاق ٠

واذا نحن لم نفعل فما مصيرنا ٠٠ وما مصير علاقاتنا بالدول التى تقدم الينا الأموال معونات أو قروضا ٠

أما القطـــاع العـــام فى ذاته فهو مبدأ معمول به فى كل الدول الديمقراطية وما من دولة فى العالم تخلو من القطاع العام ٠ وقد درسنا فى كلية الحقوق نظام الريجى الذى كان معمولا به فى فرنسا وقد كانت

الدولة فى ظل هذا النظام تحتكر صناعة الكبريت • وفى ثلث القرن الأخير اتسع حجم القطاع العام فى فرنسا اتساعا كبيرا وشمل الكثير بل والكثير جدا من الصناعات الكبرى •

وكذلك الأمر فى انجلترا وكذلك هو فى جميع البلاد التى تعمل فى نظام الحكم الحر أو الديمقراطى ولا أعرف دولة على وجه الأرض تستغنى عن القطاع العام أو ترفضه • ولو أننا استقصينا بالأحصاء لتأكد هذا الذى أذهب اليه •

وانما ندعو فى مصر الى أمر آخر بعيد كل البعد عن الغاء القطاع العام جميعه ان كل ما نرجوه أن يبحث أئمة الاقتصاد وأساتذته فيما يجدر بالدولة ان تجعل منه قطاعا عاما وما يجمل بهـــا ان تتركه للقطـــاع الخـــاص •

وأعتقد أن أحدا لا يستطيع أن يناقش أن الصناعات الكبرى لابد ان تكون من القطاع العام • مثال ذلك الحديد والصلب والغزل والنسيج وكل ما ترى الدولة بالنظرة الاقتصادية الواعية ، انه يحقق للدولة الفائدة الكبرى • وليس من الحتم ان تتمثل الفائدة فى الناحية المالية فقط • بل قد يكون بقاء هذه المؤسسات فى اطار ملكية الدولة أمرا يتصل بما هو أهم من المـــال • مثـــال ذلك الاذاعة والتليفزيون والتليفونات والسكك الحديدية •

ومن المؤسسات الهامة فى مصر على سبيل المثال لا الحصر شركات الأقطان التى فرضت بها الدولة ضريبة خفية تصل الى قرابة خمسمائة جنيه على الفدان الواحد • وبطبيعة الحال أصبحت هذه المؤسسات ترد على الدولة مبالغ خيالية لا نستطيع بأى حال من الأحوال ان ننتقصها من ميزانيتها والا أنهار الاقتصاد المصرى كله •

وهكذا ترى أننا لا نفكر مطلقا أن تنظر الدولة المصرية الى الدول الأخرى فيما تبقيه فى قطاعها العام وما تعفيه منه • فليس فى العالم الحر ــ فيما أعتقــد ــ دولة تستولى على محاصيل الأرض بالثمن الذى تفرضه الا فى مصر •

ولكن لا بأس فقد أصبح هذا ضرورة لا غنى عنها •

فولولة المنتفعين وأصحاب اللافتات وأبناء الشـــعارات كلما ذكر القطـــاع العام نوع من التهريج مرنوا عليه وأصبح ذلك دأبهم ، مرضـــا أصيبوا به وليس لهم منه شفاء •

أذن فلنتجه بالحديث الى الجانب الآخر من القطاع العام ٠

هل حققت الفنادق ما كان يجب أن تحققه من أرباح ومن طيب سمعة ومن اجتذاب سائحين ٠ علم الله أن أميرا عربيا ينزل الآن بأحد الفنادق ويصرخ من سوء الخدمات فى الفندق صراخا يكاد يصل الى بلاده ٠ يطلب الطلب وتمر الساعات وينساه قبل أن يستجيب له المسئول ٠ وترسل اليه الرسائل فتظل فى حيازة من تسلمها من موظفي الفندق يوما ويومين قبل أن تصل ليد الأمير أو مرافقيه ٠ والطعام فى الفندق لا يسيغه أحد الى غير هذا مما نعلم جميعا ٠

ولكن أبناء الشعارات يصرخون ، حذار أن يقترب أحد من القطاع العام أو يمس ذكره بكلمة ٠ يناقشون الايمان وهو الايمان ويرفضون ان يمس أحد قدسية القطاع العام ٠

هل قدر الله لك أن تدخل محلا تجاريا من محلات القطاع العام ٠ لا شك أنك فعلت ٠ وانى أســألك بربك رجلا كنت أو كان القارىء سيدة ٠ هل شعرت ان مكانا ما من مناحى الحياة جميعا يمتهن انسانيتك كما يمتهن انسانيتك محل تجارى من محال القطاع العام ٠ ولم لا والبائع لا رقيب عليه من ضمير وهو سينال مرتبه سواء اشتريت أو لم تشتر ٠ وليس من أحد فى المحل جميعا يهمه أن يزداد البيع ٠ فالمحل يفقد الحافز الشخصى فقدانا تاما ٠

وأذكر هذه المتاجر حين كانت بيد أصحابها وأذكر «صيدناوى باشا» صاحب محلات صيدناوى واقفا على باب المتجر الخارجى وتمر به امرأة خارجة من المتجر وهى فى الملاءة الملفوفة وفى يدها طفلها ويقترب منها صيدناوى بمنتهى الأدب :

ــ لماذا لم تشترى شيئا يا سيدتى ؟

وتقول الســيدة :

ــ لم أجد ما أريد ٠

ــ وما الذى تريدينه ؟

تقول له : لقد كانت تريد مترا من قماش معين رخيص الثمن فاذا الباشا يقول لها فى أدب :

ـ موجود عندنا • تفضلى معى •

ـ ويذهب الى القسم الخاص ببيع هذا القماش ويجد لها ما تريد وينزل عقابه على العامل الذى استهان بالسيدة وبمطلبها •

اذهب أنت اليوم الى متجر من متاجر القطاع العام وأطلب شراء أغلى ما عندهم من أى بضاعة وستكون سعيد الحظ ان وجدت انسانا يكلمك كانســـان •

اننى أتصور أن تكون الدولة منتجة للصناعات الكبرى ولكن لماذا تكون الدولة وسيطا بين المصانع والمستوردين والجمهور فى نظام يدعى الحرية الاقتصادية •

لقد شهدنا الدولة المصرية تبيع سندويتشات الفول والطعمية وهكذا لم يكن عجيبا ان تبيع أيضا الكباب والفراخ المشوية •

أيهما اجدى على الدولة أن تكون التجارة حرة وتفرض ضرائبها التصاعدية على التجار ويدخل الربح المؤكد الى خزائن الدولة أم أن تنزل الدولة منافسا للتجار وتخسر الخسائر الفادحة التى أصبحت حديث الناس فى العالم أجمع •

ويتباكى المتباكون على العاملين فى القطاع العام • لكم الويل يوم يحشر المنافقون الى جهنم وبئس المصير • هل وجد هؤلاء العمال مكانا فى القطاع الخاص وتركوه الى القطاع العام ان العمال جميعا يعلمون ان دخلهم فى القطاع الخاص سيكون أضعاف ما يتقاضونه من القطاع العام • واذا كانت الدولة فى القطاع العام تعين أصحاب الشفاعات فان القطاع الخاص يجعل العامل يشعر بأهميته لأنه محتاج اليه فعلا بغير وساطة أو شفاعة •

وبعد فما هذا الا مثل أضربه ، له مئات الاشباه والأمثال وأساتذة الاقتصاد وجهابذته أقدر منى على دراسة القطاعات الخاسرة جميعا وهم أيضا قادرون ـ بعون الله ـ على جعل مصارف الخسارة موارد كسب للدولة

لو أننا رددنا عنهم الرعب الذى يثيره أصحاب الحناجر الكاذبة والشعارات الملفقة والذين لا عمل لهم الا تخريب الاقتصاد المصرى ليزرعوا أشجارهم التى لا تنمو الا فى الأرض الخراب ٠

فليعمل الاقتصاديون بحرية العلماء وشجاعة الوطنيين وليكونوا على ثقة ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ٠ بهذا وعد عباده ولا يخلف سبحانه وعدا ٠ ٠

الأهرام ٦/٤/١٩٨٦ م

الحرية مسئولية الفرد

ان أعباء الحرية على الفرد لا مثيل لها فى الديكتاتورية · ففي ظل الديكتاتورية يقول الديكتاتور للشعب بالعمل لا بالاعلان ، لا شأن لك أيها الشعب بدولتك · اعتبر نفسك مفضولا عنى كل الانفصال · أنت أيها الشعب بدولتك · اعتبر نفسك مفصولا عنى كل الانفصال · أنت لا غنى لك عنها حتى تبقى حيا على ظهر الأرض ، أما الدولة فلا شأن لك بها مطلقا ·

أنا الديكتاتور المسئول وحدي عن الدولة وعن أموالها أنفقها بالصورة التي تطيب لى وأنا وحدى الذى أحدد صلات الدولة بالدول الأخرى فأنا لى أن أسب الدولة ورئيسها وأنا لى أن امتدح دولة أخرى ورئيسها · ولى أن أسالم ولى وحدى أن أحارب · وأنا وحدى الذى أعلن هذه الحروب وأنا وحدى الذى يعرف مدي فائدتها أو أضرارها · وأنا أعلم أنك أيها الشعب ستقدم لى أبناءك لأقتلهم فى ساحة القتال ولكن ما العجب في ذلك أن الموت هو النهاية الطبيعية لكل المخلوقات فأى بأس أن أحدد أنا الموعد الذى يموت فيه من أشاء من أبناء شعبى · وأعلم أن الحرب ستكلف الدولة أموالا لا طاقة لها بها ولكن أنا المسئول عن أموال هذه الدولة جميعا فقد أبيع أرصدة الذهب بها وقد استدين لأحارب · وقد أقبل السلاح المتخلف بأثمان السلاح المتطور ··· كل هذا شأنى أنا وحدى وليس شأنك ·

ومادمت قد سألتك في استفتاء وقبلت أن أكون رئيسك فحتم عليك أن تترك لى وحدى حق التصرف في حياتك ومماتك ، ومادام الموت والحياة أصبحا من حقى · فان حرية الأفراد — من باب أولى — من خالص حقى أحبس من أشاء وأعتقل من أشاء وأثبت حكمى بكل الوسائل التى أراها صالحة لذلك وان أدى ذلك الى أن يعتدى أعوانى على الأعراض · ومادمت قبلت أن يعتدى أعوانى على الأعراض فمن الطبيعى — من باب أولى — أن أصادر أموال من أشاء وأمنع من أشاء عن العمل · ومن حقي — لا شك — أن أمنع أي انسان في الدولة أن يفكر مادمت أنا أفكر · وما حاجتك أيها الشعب الى التفكير مادمت أنا أفكر لك · وأنا أفكر لك بموجب

الاستفتاء الذى خولتنى به هذا الحق • ولست أقبل منك أن تدعى أن هذا الاستفتاء قد تم بالقهر والقوة والجبروت • وأن أدعى أحد من الشعب ذلك فان حقى أنا الشعب • فأنا ـ كما تعلم ـ أنا الشعب أن أنزل به ما أشاء من عقاب •

وهكذا يصبح الفرد في ظل الديكتاتورية متخففا من كل الأعباء • وهو لا يستطيع ان يقول رأيا حتى ولو حاول ذلك • ولهذا لم يكن عجبا أن يلجأ الكتاب وهم صوت الانسان ورواد الحرية فى كل العصور الى كتابة ما يريدون قوله بالرمز فى أى شكل يستجيب لهم وكم من مقالة كانت رمزا وكم من رواية وكم من قصة • أما الشعب فقد كانت لغته مختلفة عن لغة الكتاب • كانوا يطلقون النكتة ليعبروا بهـــا عن رأيهم فيما يقاسونه من أهوال •

وكان الاعلام في الدولة يصدر عن لسان واحد لا تختلف فى ذلك جريدة عن جريدة كما لا تختلف الصحافة عن الاذاعة المرئية أو الاذاعة المرئية عن الاذاعة المسموعة • كانت كلمة واحدة لكل يوم واينما قلبت وجهك لن ترى الا هذه الكلمة واينما حولت أذنك لن تسمع الا هذه الكلمة وكل كلمة يقولها الديكتاتور هى الشعار وهى الحكمة وهى الرأى وهى الأولى والآخرة وهى كتاب التفرد بالحكم ودستوره وآياته •

تلك هى الديكتاتورية • وكل ديكتاتورية الى زوال ، لأن الديكتاتور مهما يكن عاتيا طاغوتا جبارا لا يزيد عن انسان يقع عليه ما يقع على الانسان فهو ليس الأحد ولا هو بالصمد وهو يلد وهو يولد اذن فهو يموت وتجرى عليه نواميس الحياة كما يجريها ملك الناس اله الناس القاهر فوق عباده •

وحينئذ تعود الحياة الى الحرية وهى فى عودتها ذات صخب وضجيج وذات أصوات مرتفعة تكاد تحسب أنها لن تهدأ أبد الدهر •

ومع الصخب والضجيج تنماع الحدود • ويصبح الانسان الذى عاش فترة من عمره مقصيا عن شئون الدولة مطالبا أن يتدخل فى كل شيء سـواء عنده أن يكون عالما بما يتكلم فيه أو غير عالم • المهم أن يتكلم •

وهنا تتضح الحقيقة الكبرى • فاذا كانت المسـئولية فى ظل الديكتاتورية على الديكتاتور وحده • فانها فى ظل الحرية والديمقراطية مسئولية كل فرد من الشعب •

والمسئولية ذات أصول • لأن للحرية أصولا • والحرية بلا أصول فوضى عارمة تؤدى بمصالح الدولة الى الخراب •

وأول هذه الأصول أن يكون كل فرد ملتزما بالقانون • والقانون حق وواجب • فاذا حاول الفرد فى ظل الحرية أن ينال حقه ولا يؤدى واجبه مالت الموازين فى الدولة جميعا •

ومن أصول الديموقراطية أن يحاسب الانسان نفسه على كلمة يقولها أو يكتبها • لأنه بكلمته التى أصبحت حرة يخاطب الشعب كله بل وشعوب العالم أجمع • فالدولة اليوم لا تعيش وحدها وانما الذى يجرى بها يؤثر فى مجريات الأمور فى شتى أنحاء العالم • وتوجه هذا الحديث الى بعض من الذين يحاضرون الناس ويعلنون أنهم يعبرون عن رأيهم هم • ولا بأس بهم فى ذلك ولكن لابد أن يكونوا على دراية وافية بما يعلنون والا رفضت الحرية ما يقولون والحرية هنا هى الشعب •

أننا نحن كتاب أحرار من كل القيود الخارجية ونحن فى نفس الوقت مقيدون بقيود نفرضها على أنفسنا هى فى ذاتها أعظم ثقلا من قيود العالم أجمع • أننا مقيدون بثقة الناس فى أشخاصنا وفيما نكتب • ونحن نعلم كل العلم أننا اذا كتبنا حرفا عن غير اقتناع شريف به عفيف فان الناس ستفقد ثقتها فى كل ما نكتبه •

ونحن نعلم أن الثقة فى الكاتب لا تتكون الا فى عشرات السنين وأن هذه الثقة نفسها قد يفقدها الكاتب فى لفظة واحدة يشعر القراء أنها صادرة عن غير اقتناع نقى من نفوسنا •

فاذا قدر لكاتب منا أن يتولى منصبا فعلى الكاتب حتما أن يكون رأيه مرتبطا بهذا المنصب• فاذا أراد أن يسترد حريته عليه أن يستقيل• فلا يقبل مثلا من مدير مكتب وزير الاقتصاد أن يحاضر فى ندوة عامة أو يكتب مقالا فى جريدة يختلف فيه مع الوزير • مدعيا أنه يعبر عن رأيه الخاص • فان أحدا لن يصدق أن ما يقوله انما هو رأيه الخاص • لقد فقد الحق أن يكون صاحب رأى خاص معلن يوم قبل وظيفته فى مكتب وزير الاقتصاد • فاذا أراد أن يقول رأيه الخاص فعليه أن يستقيل أولا • لأن رأيه هذا قد يقلب موازين الاقتصاد فى الدولة كلها •

ان الحرية المتاحة فى أمريكا واسعة فضفاضة ولكننا لم نسمع أن موظفا عاما قال رأيا وادعى أنه رأيه الخاص وليس رأى المنصب الذى

يمثله • وان قال فان أحدا لن يصدقه وعلى كل فان هذا لم يحدث قط ولن يحدث أبدا •

فليس الأمر مجرد رأى يقال انما هو سياســـات دولة يقوم عليها اقتصادها ومستقبلها ومستقبل صلاتها مع دول العالم أجمع • ومستقبل صلات الشركات العالمية بهذه الدولة وصلات الأفراد بها أيضا •

ان للحرية حدودا اذا اختلطت أصبحت فوضى • وان الحرية تعطى الشعور بالانسانية لأفراد الشعب وتمنحه عظمة الاحساس بالانتماء للدولة التى يعيش تحت سمائها وهى فى نفس الوقت تفرض عليه واجبات •

ولكل وظيفة حقوقها وواجباتها • فالذى نقبله من الموظف العادى لا نقبله من القاضى مثلا • لا يستطيع القاضى أو أعضاء النيابة أن يظهروا فى المحلات العامة بمظهر غير لائق ولا يجوز لهم ما يجوز لغيرهم من لهو ومتع • ان المجتمع الذى وهب لهم الاحترام فرض عليهم الوقار واحترام الـذات •

والطبيب الذى يدخل بيوت الناس اذا عرف عنه أنه صاحب نساء مثلا سقط قدره •

وما يفعله كل انسان ممارسا لحريته لا يستطيع الانسان الذى أصاب بعض الشهرة أن يفعله •

لكل وظيفة فى الحياة واجباتها وآدابها • ولكل وظيفة حدودها التى يتحتم على شاغلها أن يقف عندها • ويظل دائما حرا كل الحرية • اذا وجد أن القيود التى تفرضها عليه وظيفته أكثر مما يطيق فان له بتوقيع واحد منه أن يترك هذه الوظيفة إلى غيرها يستطيع أن يتحمل واجباتها وقيودها • وكل ميسر لما خلق له •

الأهرام ١٩٨٦/٤/١٣ م

تعليــــق

لا أتصور أن يمر هذا الأسبوع دون أن أقدم أصدق التحية للدكتور يوسف أدريس على مقاله الرائع فى يوم الاثنين الماضى بجريدة الأهرام حين ناشد أسرتى الرئيسين السابقين أن يتنازلا عن الأراضى الشاسعة التى ينتفعان بها دون ملكية بالمعمورة · والتى لا تستفيدان من وجودها فى حوزتيهما أى فائدة · فلا هى متاحة للشعب أن يبنى فيها ولا هى تمثل للأسرتين الكريمتين شيئا ذا قيمة · وانى أنضم الى الدكتور يوسف أدريس فى مناشدته وأدعو الكتاب جميعا أن يشاركوه فى هذه المناشدة · فانه لشىء عظيم أن يحس الشعب أن الأسرتين الكريمتين منه يحسان بآلامه ويشاركانه فى أزماته · فهل من سميع ·

لا اقتصاد بغير ثقـة

ان رئيس جمهورية مصر العربية رجل نادر المثيل فى طهارة اليد وشرف الذمة والبعد كل البعد عن مواطن الشبهات ٠

أذكر أننى كنت يوما فى مكتب أحـد الوزراء بالمملكة العربية السعودية فاذا أحد الجالسين يوجه الى الحديث ٠

ـ أسمعت ما فعله رئيسكم منذ قريب ٠

قلت :

ـ لا أعرف ما تقصده ٠

قـال :

ـ لقد شاعت هنا قصة نتناقلها جميعا وكلنا اعجاب برئيسكم ٠ فقد قيل أن ابنه سافر الى فرنسا فى رحلة دراسية فاذا أبوه يشترى له تذكرة سـفر سياحية فى الدرجة الثانية بعد أن أجرت عليهـا الشركة التخفيض الذى تمنحه للطلبة جميعا وسافر ابن رئيس الجمهورية دون أن يحيط به أى مظهر من المظاهر التى تلحق بأبناء الرؤساء ٠

قلت :

ـ أنا لم أسمع بهذه القصة ولكنها ليست عجيبة على رئيسـنا فهكذا هو ٠

وحين عدت الى القـاهرة تأكدت من صـدق ما رواه لى المواطن السعودى ٠ وللناس همس مسموم ٠ ولهم بينهم حديث يستعذبون فيه الخوض فى أقدار الناس وأمانتهم ٠

ومثلى يكاد يسمع كل ما يدور به همس وأغلب ان لم يكن جميع ما يتناقله الناس فى تنادمهم ٠

وأقسم — وما أنا بحاجة الى قسم — أن أحدا لم يذكر الرئيس محمد حسنى مبارك الا وتحدث عن طهارة يده وبعده كل البعد عن أى مظنة لشائبة ولقد قلت اننى لست بحاجة الى قسم لأن هذا الذى أقوله سيؤيدنى فيه كل قارىء سواء كان مؤيدا للرئيس مبارك أو معارضا له ٠

كان من الطبيعى أذن أن تصبح الطهارة هى سمة العهد جميعه ٠ وأن تكون هى الصفة التى يتحلى بها كل من يجلس على مقعد ذى سلطان وادارة ٠

ولكن — واأسفاه — الهمس يدور فى كل مكان بكبائر التهم والناس تلوك كثيرا من الأسماء بشتى سرقات واحتيالات واستغلال للنفوذ وإهتبال للفرص واستيلاء على ما ليس لهم بحق وتستر على لصوص وحماية لمن يستحلون أموال الدولة ٠

والهمس يدور أن كثيرا من الاتهامات حولت الى المدعى الاشتراكى ٠ وقد أكرمنا الله فى منصب المدعى الاشتراكى بقاض من أمجد القضاة ، وأشرفهم قصدا وغاية وتصرفا ، الى جانب علم وافر وقدرة فائقة على مواجهة قضاياه ، فالذى لا شك فيه أذن مع ما يعرفه الجميع عن هذا القاضى أن جهازه ليس فيه العدد الكافى للاضطلاع بذلك الكم الوفير الذى يتدفق على محكمته ٠

وليس الأمر يسيرا فان وظيفة المدعى الاشتراكى تعتبر من أخطر الوظائف ان لم تكن أخطرها فى هذه السنوات التى نجتازها ٠ ومصر فى أشد الحاجة الى هذه المحكمة لتواجه الفساد الذى يحيق بأجهزتها والذى حاق بها فى خروج مصر من الاقتصاد المغلق الى الاقتصاد الحر ، ومن عصر الحكم المفرد الى عصر الديموقراطية والحرية ٠

وان التقرير الذى طلع علينا به مكتب المدعى الاشتراكى يظهر بجلاء حاجة مصر الماسة الى هذه المحكمة ٠ ولكن لابد أن يتهيأ للمدعى الاشتراكى كل ما يتطلبه عمله الخطير من معاونين يستطيع بهم أن يواجه هذه الموجة الطاغية من الفساد والرشوة والسرقة واستغلال النفوذ ٠

ولا مجال للقول هنا ان وظيفة المدعى الاشتراكى وظيفة استثنائية فى السلطة القضائية ٠ فان الحالة الاستثنائية لابد أن تواجهها الدولة بقضاء استثنائى ٠ والقائمون بالأمر فى مكتب المدعى الاشتراكى قضاة

جميعهم من السلطة القضائية وعلى رأسهم قاض من أعظم قضاة مصر فمن الطبيعى اذن أن يكون عددهم كافيا لما استشرى فى مصر من فساد ، فانه لولا المدعى الاشتراكى لهربت من مصر أموال تزيد عن الأموال التى هربت أضعافا مضاعفة • ولولاه لأفلت من العقاب مجرمون ارتكبوا أبشع الجرائم معتدين على الأمنين من بنى مصر • وشر عدوان لهم على اقتصاد مصر نفسها •

ان مصر اليوم تعانى أعظم ما تعانى من شاغلى مناصب كبرى ثارت حولهم وحول أقاربهم الأقربين تهم دامغة •

وتعانى مصر اليوم من قيادات تنحرف باتجاهها الى أسوأ ما واجهته مصر من أهوال سياسية واقتصادية وخلقية واجتماعية •

وقد عاشت مصر فترة طويلة من الزمن فى ظل حكم حطم القيم الأخلاقية والانسانية شر تحطيم • وترى الكثيرين ممن عملوا فى ظل هذا الحكم يتولون أخطر المناصب وأكثرها حساسية وفعالية •

وللسياسة والحكم رجال أولا وقبل كل شىء • فاذا فقد الشعب ثقته فيمن يتولون المناصب الخطيرة فى دولته فكيف يمكن أن يثق باقتصاد دولته وكيف يجوز لنا أن نطالبه أن يقدم أمواله فى المشاريع الاستثمارية • وكيف نريد ممن يملك العملة الصعبة أن يساهم بها فى اقتصاد مصر • وكيف نريد ممن يملك العملة الصعبة أن يساهم بها فى اقتصاد مصر ؟! ويرسلوا أموالهم الى مصر وديعة • والوديعة لابد أن تكون وادعة أمينة فمن أين يأتى الأمن الى نفوس المصريين فى الخارج وهم يرون المصريين فى الداخل يخافون على أموالهم من هول الاشاعات التى تحيط بهم مع الهواء الذى يتنفسون ومع الماء الذى يشربون وأين الأمان فى بلد تتعالى فيه صيحات أقوام يشرفون على قطاعات هامة فى حياتنا نسمع فى رنين صيحاتهم القضاء على الحرية الاقتصادية أو الحرية السياسية •

أن أنصار الطغيان ودعاة الشيوعية أصبح لهم اليوم فى مصر صوت مرتفع عالى الطبقات تؤيد كوارثهم بعض مناصب غاية فى الأهمية وعلى درجة عالية من الحساسية •

والصوت المرتفع يستطيع أن يبتلع فى طياته الحقائق المؤكدة • والذى لا شك فيه أن شعب مصر يكره الطغيان كما يكره كل شعب فى أن يحكمه طاغية •

ولكن الأصوات المرتفعة التى هيــأ لها الاعلام المصرى أن تكون صيحات بعيدة المدى استطاعت أن تبتلع المبادىء الحقيقية التى يعتنقها الشعب المصرى والتى يحافظ عليها حفاظه على الحياة وهى الحياة وهو يؤكد ذلك بالأدلة الدامغة أقربها الانتخابات التى لم يستطع الشيوعيون فيها أن يفوزوا بمقعد واحد ٠

ولم يكن عجبا أن يكون هذا دأب الشيوعيين فى كل مكان فى العالم ولعل آخر ما بدأ من كراهية الناس لهم انتخابات السودان وقد كان صوتهم فى السودان مرتفعا عاليا ذا هزيم كهزيم الرعد حتى لقد ظننا أنهم سيفوزون بالأغلبية فى انتخابات المجلس النيابى وتتم الانتخابات وتظهر النتائج فاذا هى حتى هذه اللحظة التى أكتب فيها مقالى تسفر عن نتائج تؤكد أن الشعوب لا تطيق الشيوعية ولا تتصور ان تحكم بها ٠ فحين يفوز حزب الأمة السودانى بثمانية وثمانين مقعدا ويفوز حزب الاتحـاد بستين مقعدا ويفوز المستقلون بخمسة مقاعد لا ينال الشيوعيون الا مقعدين ربما نجحا برغم أنهما شيوعيان لا لأنهما شيوعيان ٠

هكذا الشعوب فى جميع أنحاء العالم من غربه الى شرقه لا يختلف فى ذلك شعب عن شعب ولا أصحاب دين عن أصحاب دين آخر ٠

وهكذا كان حتما علينا أن ننظر فى أمر هؤلاء الذين يتولون مناصبنا ولابد أن يكون اختيارنا لهم مبعثا للفوز بثقة الشعب فيهم ٠ فانه لا أمل لنا أن ينتعش اقتصادنا الا اذا استقرت الثقة كل الثقة بمن يتولون عظائم أمورنا ٠

٢٠/٤/١٩٨٦ م الأهرام

حريق وكــوب ماء !

أحسب ، أو أنا أخشى أن تكون الحكومة وقد أصدرت البيانات الطوال بضرورة الانتاج وحتميته قد اطمأنت أن الناس سيسارعون الى الانتاج وأن كل شيء سيسير في نهجه الأمثل ٠

هيهــــات ؟

أنا لم أجد في حياتي شيئا سوى الجهد المبذول فيه لا يأتي بثماره قدر هذا الذى يسمونه بالتوعية ٠

كم من أموال انفقت فى سبيل التوعية بعواقب زيادة النســـل والانفجاز السكانى وما يصاحبه من أهوال فى الغد ومن ضيق فى العيش ومن تقتير فى الرزق ٠ وكم قالوا انظر حولك وانظر أمامك وانظر خلفك ٠ فكانت النتيجة مزيدا من الانفجار السكانى ٠ ولعل التوعية صنعت عكس ما أريد منها فذكرت منصرفا عن زيادة النسل فجعلته يزيده حين كان لا ينوى أن يزيده ٠

والنــــاس لا تحب النصيحة ٠ والذى يستنصحك انما يريد أن تؤيده فيما استقر عليه هواه فان كانت نصيحتك تؤدى الى غير ما يميل اليه ، بحث عن ناصح آخر يؤيد رأيه الذى اتخذه ٠ وأذكر محاضرة للشاعر عزيز أباظة قال فيها ان النصائح هى أثقل الطيبات على النفوس وهو محق ٠

ولن تجد عاملا يستغل ما أتاحته له قوانين العمال من اجازات ومن تهرب ومن قعود على العمل يترك هذا جميعه ويسارع الى ما تفرضه عليه الأمانة وشرف المعاملة ويقبل على العمل الاقبال المفروض فيه ٠

استجابة الى النداء الصادر من الحكومة أو من غيرها ٠

لا شيء يرد السادر المنصرف عن الجدية فى الحياة الى الطريق القويم الا القانون ٠ أما التى يسمونها بالتوعية فلا خير فيها مطلقا ٠

ان العامل حين يتهرب من العمل ويدعي المرض ويستنفد أجازاته جميعا يعلم كل العلم أن الذى يصنعه لا يتفق مع الأمانة ولكنه يصنعه مع ذلك . وهو مستعد أن يبذل نصحه لجميع الآخرين أن يقوموا بواجبهم خير قيام ولكنه يستثنى نفسه فالانسان يعتقد أنه دائما استثناء من القاعدة العامة . وان ما ينبغى للآخرين لا يسرى عليه . وما يجب أن يصنعه الآخرون انما هو واجب عليهم لأنهم آخرون أما هو فاستثناء من القاعدة . انه هو .. وهل فى العالم أجمع مثله هو .. هو فلتة الطبيعة . وهو الاستثناء الـوارد على مخـلوقات الله . وهو يحق له مالا يحق للآخـــرين .

فأى توعية توجه الى هذه الأنانية يعتقد هو أنها أصلا تقال للآخرين ولا تقال له هو . لأنه هو يعرف كل شىء ولا يحيط انسان بما يعلمه هـــو .

ولما كان الله هو الذى برأ النفوس وخلقها فانه يعرف مخلوقاته بكل ما يتذبذب في جوانحهم من هواجس وهكذا أرسل سبحانه كتابه يحمل الى العباد الوعد والوعيد والإنذار والأمل .

لأنه يدرى أن الانسان لا يسير على الهدى الا خوفا وطمعا .

والآيات التى تعد الانسان بالفوز وبالجنة وبالنعيم كثيرة . والأخرى تتوعد الانسان بالنار والعذاب كثيرة .

ولكنى اختار من بينها قوله تعالى فى سورة الأعراف الآيات ١٦٥ وما بعدها « **فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون . فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين . واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يســومهم ســوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم . وقطعناها فى الأرض أمما منهم الصـــالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون** » صدق الله العظيم .

والله سبحانه وتعالى كان يستطيع أن يضع مخلوقاته جميعا على الجادة ويلزمهم الطريق القويم ولكنه جلت مشيئته أراد أن يحمل الانسان الأمانة ويختار وأرسل الى الناس رسله يبشرون بكل ما فى الجنة من هناء لم تره وما سمعت بمثله اذن من قبل وينذرهم بالسعير والغسلين والزقوم لمن لم يخش الوعيد .

فالبيانات اذن التى تدعو الى زيادة الانتاج ثرثرة فارغة لن يستجيب لها أحد • فكل الذين يعطون الانتاج يدركون جريمتهم التى يرتكبون • وهم فى غير حاجة الى هذه الدعوة الى زيادة الانتاج ليزيدوه • ومالهم لا يستلبون من الدولة ما أباحه القانون من أجازات تزيد على مائة وعشرين يوما فى العام • وأغلبهم يعتقد أن ما يسرق من الحكومة والقطاع العام حلال مباح فمال الحكومة عندهم سائبة لا صاحب له •

ان القوانين التى تحكم العمال عندنا لا مثيل لها فى العالم •

وانى لأعجب كيف نريد أن تنهض الصناعة عندنا فى ظل هذه القوانين • وأقرأ ما يكتبه المتخصصون من أن عمال العالم أجمع يعملون ثمانى ساعات فى اليوم ومنهم من تصل ساعات عمله الى عشر ساعات بينما لا يكمل العامل عندنا الساعة ونصف الساعة فى اليوم •

وكيف نريده أن يعمل وهو يعلم أنه لا رئيس له •

فى أى دولة فى العالم يفصل رئيس مجلس الادارة فى توقيع قلم ولا يفصل العامل المسيء الكسول غير المنتج بل ان الوزير وهو الوزير يبعد عن الوزارة فى غمضة عين بينما لا يستطيع الوزير أن يفصل أى عامل فى وزارته أو فى المصانع التابعة لوزارته •

الوزير تحاسبه المجالس النيابية والعامل لا حسيب عليه ولا رقيب •

وأذكر قصة رواها لى مدير عام لمصلحة السكك الحديدية استقال منذ بضع سنوات وكان معروضا عليه العمل في شركة أجنبية بمرتب يفوق مرتبه عدة أضعاف • واستدعاه رئيس الوزراء ورجاه أن يبقى فقال المدير السابق •

– اننى من أجل مصر مستعد أن أترك المرتب الضخم المعروض على فى العمل خارج الحكومة وأبقى ولكن بشرط واحد •

وقال رئيس الوزراء :

– ما هو •

قـــال :

ـ حين عينت مهندسا بالدرجة السادسة بمصلحة السكك الحديدية تسلمت دفتر جزاءات • فاذا وجدت أى تقصير أثناء تفقدى للآلات والعربات وقعت الجزاء الفورى على العامل المقصر واليوم وأنا فى أكبر منصب فى المصلحة لا أطلب شيئا الا أن يكون عندى دفتر مثل الذى تسلمته وأنا موظف أبدأ حياتى فى هذه المصلحة نفسها •

وقال رئيس الوزراء :

ـ هذا غير ممكن

واضطر المدير أن يقول :

ـ وأنا آسف لا أستطيع البقاء فى منصب لا مسئولية لى فيه الا أن أتمتع باللقب دون أى فعالية •

واستقال المدير العام • وأعتقد أن كل الذين جاءوا بعده يريدون أن يقولوا نفس الذى قاله هو ولكنهم يعلمون أنه مستحيل التنفيذ •

ان عهد الطغيان قدم الرشـــاوى من دماء مصر الى التجمعـــات الكبرى •

واليوم تغلق دوننا المسالك •

فاذا قلنا ادركوا المجالس التشريعية فى مصر وحافظوا على كرامة مصر ، بالغاء نسبة الخمسين فى المائة فى مجلسى الشعب والشورى وجدنا من يقول هذا مخالف للدستور •

واذا قلنا أن الاقتصاد المصرى قد دمر تدميرا تاما بالقطاع العام على صورته الراهنة والقوانين التى تحكم العمال وجدنا من يقول هذا مخالف للدستور •

واذا قلنا ان مصر قد تدهور التعليم فيها حتى أصبح جهلا وحتى صارت الشهادة العالية فيها لا تعنى أن صاحبها نال ما ينبغى من التعليم

واذا قلنا أدركوا التعليم بالمال من القادرين .. من القادرين وحدهم وجدنا من يقول هذا مخالف للدستور .

ووسائل تغيير الدستور واردة فى الدستور نفسه فاذا لم يتغير الدستور لانقاذ مصر فلأى شىء يتغير الدستور .

الأمر الذى لا شك فيه أن هذا الدستور قد وضع من أجل المصلحة العليا لمصر . فاذا لم يتغير من أجل المصلحة العليا لمصر فمتى يتغير .

ان الدستور قد وضع من أجل مصر . ولا يعقل أن نضحى بمصلحة مصر من أجل الدستور . اذا كان ما نطالب به عدلا فالعدل أحق بأن يتبع فى الدستور أولا .

فالدستور هو أبو القوانين فاذا تحققت فيه العدالة فهيهات لها أن تتحقق فى أى ناحية من نواحى الحياة .

وان هذه الموضوعات التى نثيرها أساسيات فى حياتنا ونحن ندرك الآن الأزمة الطاحنة التى نواجهها فاذا لم نأخذ طريقنا فى شجاعة وفى اصرار الى الأساسيات فكل الذى يصدر من قرارات ومن قوانين لن يفيد الا كما يفيد كوب ماء تلقيه على حريق يلتهم بلدا بأكمله . ويأبى الله هذا والمؤمنون .

الأهرام ١٩٨٦/٤/٢٧ م

غربة الزمان والمكان !

ما هكذا كنا ولا هكذا كان الزمان ولا كانت مصر . ماذا دهانا وماذا ألم بالزمان والمكان جميعا ؟ . . .

لقد عايشنا هذا الزمن . واختلط تراب مصر بكل ذرة من كياننا البشرى فاختلط بالقلب منا وبالمشاعر وبكل شهيق لنا أو زفير .

لا .. ما هكذا كنا :

لم يخل زمن من الأزمان من شرار الناس وخيارهم . وقد بدأت الجريمة من عهد قابيل وهابيل . ولكن بدأت معها التوبة أيضا . وعرفت الجريمة منذ ذلك الحين الأسف والندم . يقول سبحانه وتعالى فى سورة المائدة فى الآيتين ٣٠ و ٣١ « **فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ـ فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه قال يا ويلتى اعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فاوارى سوءة أخى فأصبح من النادمين** » .

ولكن الجريمة اليوم أصبحت تتبجح فى غير خزى فلاهى تعرف التوبة ولا الخجل ولا الندم .

كانت الجريمة تتوارى فى أستار الخفاء فاذا هى اليوم تسفر عن وجهها فى ضياء العلن وفى وقاحة الاستهتار .

وكان المجرم ان ارتكب عملا ينافى ما استقر المجتمع على احترامه يخفى فعلته ويواريها كما وارى قابيل سوءة أخيه فاذا هو اليوم يفضح ما استتر ويكشف ما استتر ولا يبالى أن يعرف الناس عنه ما ارتكب .

وتشهد مصر صحفا تقـــدم للقراء فى كل يوم ولفترة استطالت أســابيع متصــلة أحاديث واعترافات عن سفاح قاتل وكيف كان يقتل ضحاياه وكيف كان يعذبهم . فلا المجرم السفاح يخجل ولا الصحف تعود الى الرشد منها .

وتشـــهد مصر اللصوص ينتهبون الأموال العامة انتهابا ضاريا لا يستحون فهم يصرخون فى الناس معلنين أنهم لصـــوص وانهم خانوا الآمانة التى استأمنتهم عليها دولتهم والتى سلمها الشعب اليها · وانهم ليس يعنيهم أن يعرف الناس جميعا ما اختانوا وما استلبوا ·

وان صراخهم ليتمثل فى السرايات ذات القلاع يسكنونها وأبناء الشعب لا يجدون حجرة يظلهم سقفها · وفى السيارات ذات الفجور يركبونها ويغدون بها ويروحون فى رائعة النهار وفى مفضوح المجاهرة وأبناء الشعب لا يجدون موضعا لقدم فى وسائل المواصلات العامة · وهم يصرخون بأنهم بالملابس الفاخرة يرتدونها وبما يشـــترون من أدوات التسلية ذات الأسعار التى أصابها السعار ·

لقد انقلب هؤلاء الأدميون الى ذئاب ضارية تنهش فى غير رحمة وتسرق فى غير مبالاة وتقتلع جذور الانسانية فى وحشية لا تجرؤ عليها الوحوشى وهى الوحوش · وقد تتوارى الوحوش وهى تأكل الفريسة فى حين يعلنون هم جرمهم بكل وسائل الاعلان ·

واذا الزمان غير الزمان · واذا المكان غير المكان ·

لقد كانت الأزمان تجعل المجتمع يرفض هؤلاء القتلة ويحقرهم ويرفض أن يوسع لهم مكانا أى مكان فى القمة منه أو فى القاع ·

كان الناس يرفضون أن يعرفوهم أو أن تقوم بينهم وبين هؤلاء أى صـــلة ·

أما اليوم فهم القمة وهم الصـــدارة وهم بأموالهم المنتهبة ذؤابة المجتمع وسادته لا يرفضهم أحد بما عربدوا وبما قتلوا من ضمير وما اجتثوا من أشجار الكرامة والخلق الرفيع ·

وكان المكان فى مصر يضيق بهم فتزحف أموالهم التى سرقوها الى رقابهم يختنقون بها وتصبح عليهم وبالا ونقمة غابت عنها نعمة الثراء · وما المال بغير مجتمع يوقر صاحبه ويجعل من مكانته شيئا مذكورا ·

أما اليوم فالمكان موسع لهم غاية السعة ، وهم فى كل محفل لهم من المكان موضع الصدارة والناس تتصايح بأفضالهم وتتغنى بأمجادهم

وتسكب عليهم سيول المديح والاجلال والأكبار والمفاخر • التهليل لهم – لا عليهم – يحيط بهم ويسبقهم في كل مكان •

ويل للزمان من الزمان وويل للمكان من المكان •

أصبح الشرف غريبا في مصر طريق الأنبياء ومنارة الأديان ومصباح الهدي وملهمة الوحي على مدى الأزمان وفي كل مكان •

كان الكتاب في مصر ثروتها وغناءها وانشودتها وكلمتها • وكان الكتاب مثلا يقدرون حق الأمانة التي يحملونها وكان الكاتب اذا نافق أو اعوج سيره أو مال به الطريق ينصرف عنه الناس غاضبين غضبا قد لا يبدونه لغيره • فقد خذلهم وحطم الثقة التي شرفوه بها •

وانظر اليوم فأرى كثيرا من الكتاب يقولون مالا يفعلون • ويبشرون بالطهارة وهم غارقون في العفن • ويدعون الى الأمانة وهم يخونون اقلامهم • ويتصايحون بحب مصر وهم يطعنونها بأسلحة شرسة فتاكة في صحف لا تصدر فيها • مستغلين النفوس الحاقدة على مصر مادين أيديهم لأعداء لا عمل لهم الا عداوة مصر يتربصون بها الدوائر ويحلمون بأوهام المخابيل أنهم بما يفعلون سيتمكنون من حكم مصر التي هي مصر • وما بالهم لا يحلمون مادام بعض الكتاب يباركون أحلامهم ويصورونها لهم على أنها افكار معقولة مؤكدة التحقيق •

ونسمع ان فئات من المصريين يعقدون اتفاقات مع بعض المتهوسين من الحكام أنهم سيمهدون لهم الطريق الى زعامة مصر ليصبحوا بعد ذلك زعماء العالم العربي أجمع • ويقدم هؤلاء الخونة المصريون معسول الكلام ويقدم أولئك الحكام أموال شعوبهم التي فرضوا أنفسهم أوصياء عليها بقوة السلاح وبغير شرعية حق •

واذا الزمان غير الزمان واذا المكان غير المكان •

ويرى الشباب هذا الهول ولا يجد المثل الأعلى الذي سمع عنه بل يرى اللص يحيط به التمجيد والاجلال والخائن تصفق له الأيدي •

وتنقلب أمام الشباب أمل الغد موازين الأمور •

والوقت عصيب والمال يسيطر على حياة الناس بشراسة لم يعرفها التاريخ فحين يبارك المجتمع السرقة والخيانة وانعدام الشرف تصبح

الصورة أمام الشباب مطموسة المعالم مشنوهة السمات فالشرف الذى عرفه من الكتب يراه مشوها فى الحياة وقد حلت مكانه كل نقيصه كان المجتمع فيما مضى يزدريها ويرفضها فكيف نريد لهذا الشبـــباب أن يكون عماد المستقبل ودعامة الآتى من حياة مصر .

لكل زمن مضى مفاخره ونقائصه . ولكن النقائص كانت تنزوى خجلا وتتباعد عن النهار وتتخفى فى اطواء الظلام . وكانت المفاخر شهيرة جهيرة واضـحة المعالم بينة المعارف يمتدحها المجتمع ويتغنى بها الشـــعراء والكتاب .

ولكن زماننا هذا انقلبت فيه المعايير . أصبح الذى يرتكب المعاصى يهتف بها ويصنعها وهو جهير الصوت فخورا سعيدا متفرحا .

وأصبح الشريف يتوارى خجلا .. انه يأبى أن يسرق . ويعف عن المال الحرام . ويمتع نفسه أن تقبل ما ليس لها .

نحن فى زمان يشربون فيه الخمر علنا ويقيمون فيه الصلاة سرا . نحن فى مكان يسرقون فيه وتهتف لهم المظاهرات والمظاهر . ويعفون فيه فى الخفاء وحتى لا يرميهم المجتمع انهم أغبياء سذج جهلوا الدنيا وضلوا طريقها الذى يؤدى بهم الى الثراء والعظمة والسعادة والهناء .

ان الدين الحنيف يأمر بالصلاة لأنها تنهى عن الفحشـــاء والمنكر والبغى . فلا وربك لا يرضينى التهوس الدينى والارهاب باسم الاسلام الحنيف وانما يرضى المجتمع حين يرى المعاصى تخجل والشرف يعلو وليس يرضى المجتمع حين يرى من يدعون الحفاظ على الاسلام يشهرون السلاح ويريدون أن يركبوا الدين مطية الى عرض الدنيا .

فلئن تعف نفس واحدة وتسمو عن المخازى أكرم الف مرة من أن تتكون جماعات تريد أن تحكمنا فى دنيانا باسم ديننا الذى نفديه بالأرواح وهم أبعد ما يكونون عن الدين . وزمانهم أيضـــا . الدين الاسلامى صلة مباشرة بلا وساطة بين المسلم وربه . حتى ليقول سبحانه لنبيه ﷺ **لست عليهم بمســيطر** فاذا كان النبى ﷺ وهو النبى ليس بمسيطر فبأى حق يريد هؤلاء أن يسيطروا علينا وعلى مقادير أمورنا . ويل للزمان من الزمان . حتى الدين وهو الدين لم تتركه النفوس الجشعة وتريد أن تتخذ منه وهو الرحمة المطلقة سلاحا للعدوان والقهر والاذلال .

غرباء نحن فى هذا الزمان • وغرباء نحن فى هذا المكان ولكننــــا سنصمد • وستنجلى الغمة • وعما قريب ستعتدل الموازين ويعود الشرف الى قمته ويذهب الزبد جفاء ..

فان ربك لايخلف وعده وهو غالب على أمره وهو ناصر دينه وما غرسه هذا الدين من سموق وعظمة وكبرياء ؟

الأهرام م ١٩٨٦/٦/١٥

أطفـــــال

لك الله وحده يا مصر يا أم الأمجاد ويا واهبة الحضارة للتاريخ ويا مشرق العلوم والفنون والآداب ·· أهذا الذى يحيط بك اليوم حتى بعد أن زالت وانكشفت عن سمائك سحب القهر والدمار ·

ان أبناءك حتى اليوم لا يزالون يعيشون فى هذه الأيام المريرة من حياتك تسيطر عليهم بالسلب حينا وبالايجاب حينا آخر ·

والا فما هذا الذى تصنعه بعض صحف وما هذا الذى به يعبثون · أتراهم قد جهلوا أن هذا الهذر الذى يهذرون لا يصيب الا مستقبل مصر وحريتها وغدها وآمالها وآلامها ·

هل هانت مصر عليهم فجعلوا منها لعبة لأقلامهم ··

لك الله وحده يا مصر ··

لقد غابت الحرية عن حياتنا فترة سوداء حالكة السواد · ثم عادت · وكنا نحسب أنها حين تعود سنكون أهلا لها وكفئا لأعبائها · رجالا فى حريتنا شدادا فى الحق مترفعين عن الصغار متأبين عن الهوى ، متعففين عن السقوط ·

فاذا ببعض ممن أتاحت لهم الحرية صدور الصحف يذكروننا بالطفل الأهبل نال بعد طول الحرمان لعبة جديدة فلا يزال بها يستخدمها فى غير ما أهلت له ويجربها فى غير طريقها ويقذف بها ذات اليمين وذات اليسار حتى تتحطم · وينسى الطفل فى سذاجته وجهله أنه هو ·· هو نفسه سيكون أول الباكين عليها · ويذهل عن نفسه ذهولا أرعن مأفونا ناسيا أن هذه التى حسبها لعبة قد تنفجر عن قنبلة تصيبه هو أول ما تصيب ثم تصيب معه أهله وبيته أجمعين ·

ما لهؤلاء الكتاب يلعبون ويلهون ويعبثون والوقت جد كل الجد والأمر خطير غاية الخطورة ·· والشدة التى تمر بها مصر تحتاج الى العزم

كل العزم · والحزم كل الحزم · وهى فى غناء كل الغنـــاء عن ثرثرة المخابيل وهراء المهازيل ·

انهم يريدون ـ وبكل الجهـــد يريدون ـ أن يزحزحوا مصـــر عن حريتها · ويريدون ـ وبكل الجهد يريدون ـ أن تستعمل السلطة اجراء استثنائيا ويسعون أشد السعى أن يصدر أمر بمصادرة أو آخر باعتقال ·· وهيهات ·· خاب سعيهم فهو الى بوار · لن يكون هذا ·

أنهم اليوم أصحاب أصوات عالية وسيوف يحسبون أنها باترة ··

وأناشدهم الله والحق والوطنية · أين كانوا أيام المعتقلات تفغر أفواهها تلتهم أبناء مصر فى غير مرحمة ولا مساءلة ولا حتى تفكير ·

وانهم اليوم يهددون بالويل والثبور وعظائم الأمور · ويحسبون أنهم بهذا الذى يهرفون يهزون أعمدة الديموقراطية التى لا تزال مصر تهفو الى تثبيتها وتعميق أسسها · ولو ان رئيس الجمهورية شخص آخر لما جرأوا أن يقولوا ما يقولون ولا فكروا أن يكتبوا ما يكتبون · ولكنهم يعلمون أن حسنى مبارك ثابت كالجبل الأشم · يكبر عن الصغار · ويعلو عن الوهاد · واذا مر كريما ، وان خاطبه الجاهلون قال سلاما ·

يطالبون فيما يطالبون أن يترك رئيس الجمهورية رئاسة الحزب ولعمري أى ديموقراطية تلك التى لا ينتسب فيها رئيس الجمهورية الى حزب · فلينظروا الى ديمقراطيات العالم الرئاسية أجمع · أليس كل رئيس دولة فيها ينتمى الى حزب من أحزابها · فأى غجيبة أن يكون رئيس جمهورية مصر رئيسا لحزب مصرى ·

ويقولون ـ ولا أدرى أيصدقون ما يقولون أم هو اللغو ـ أن الحزب الديمقراطى لا يمثل الشعب ـ فكيف السبيل الى معرفة رأى الشعب أن لم يكن بالانتخاب وان الانتخاب بالقائمة بالذات هو أصدق معيار على رأى الشـــعب فى الحزب نفســه · فى حين نجد أن الانتخاب الفردى يختار الشخص لشخصه فى أغلب الأمر دون النظر الى حزبه · والاختيار فى هذا النوع من الانتخابات يتم للصلات الشخصية والمنافع الفردية وأقرب مثال على ذلك يوم اتهم أحد أعضاء المجالس النيابية بالاختلاس وأدانته المحكمة الابتدائية وتقدم الى الانتخابات فكان الناخبون يهتفون « حرامى حرامى لكن بنحبه » الله الله ·· أهذه هى الديمقراطية التى يريدون ·

وان قالوا أن الحزب الديمقراطى ليس له تاريخ أو جذور فأبسط ما يقال لهم وكيف تريدون له جـــذورا أو تاريخـا بعـــد أن انعدمت الديموقراطية وقتلت الأحزاب فى مصر لمدة ربع قرن • وكيف كان يمكن للديموقراطية أن تعود الا بأحزاب جديدة •

وربما وافقتهم أن الحزب الجديد ينبغى أن تكون له مبادىء واضحة المعالم محددة السمات جلية الملامح • ولكننا مازلنا فى خطواتنا الأولى من الديمقراطية ولابد ــ مع الأيام ــ ان يصبح للحزب الوطنى مبادؤه ومعالمه وسماته •

ونسألهم أين أنتم من المبادىء وكيف تطبقونها وأنتم الحزب الذى نشأت دعائمه منذ أكثر من ستين عاما ؟

طلبت الحكومة رأيكم فى الدعم وكيف يصل الى مستحقيه فنكصتم عن ابداء الرأى ولذتم بترهات وحجج منهارة دون أن تفكروا فى مصلحة مصر ولا فى موقفها الاقتصادى وأصررتم أن تدخروا رأيكم وتحتفظوا به حتى تعارضوا أى قرار قد تتخذه الحكومة فى هذا الشأن • وكان الأحرى بكم أن تؤيدوا الحكومة كل التأييد فيما تفكر فيه لأن هذا المذهب الذى تذهب اليه الحكومة يتفق كل الاتفاق مع مذاهبكم وآرائكم التى تدعون أنكم تعتنقونها •

وحين تكلم أقوام عن مجانية التعليم فى المدارس والجامعات كان رأيكم غمغمة مبهمة وكلاما معجما يســـوده الحرص على المعارضة لمجرد المعارضة وليس المعارضة من أجل مصر •

وبدلا من أن تحاربوا الاصرار على بقاء الخمسين فى المائة من العمال والفلاحين فى المجالس التشريعية ومجالس الادارات رحتم توجهون أسهمكم الى الأشخاص وليس الى الأفكار • وتحتسبون أنفسكم أبطالا دون بطولة فى الهجوم على رئيس الجمهورية وأنتم تعلمون كل العلم أنه لن يصادر لكم جريدة ، ولن يحبس قلما ، ولن يعتقل أحدا • فهكذا هو وهكذا تعرفونه وعلى الرغم من وثوقكم بهذا • أو لأنكم واثقون من هذا ــ رحتم تهاجمون بسيوف ورقية ــ وجعلتم من أنفسكم أضحوكة بين الناس •

ثم أنتم ــ ويا للعجب ــ تطالبون أنه بالغاء حزب الأغلبية•أليس لكم وازع من عقل أو منطق • كيف تظنون أنه يمكن أن يصدر أمر بالغاء حزب الأغلبية والابقاء فى الوقت نفسه على أحزاب الأقلية •

ألا تدركون أنكم بهذا الذى تطالبون تفتحون بابا واسعا لالغاء الديمقراطية جميعها ٠٠ أتراكم الى هذا تسعون ؟

احـذروا أنفسكم واذكروا مصر ٠٠ فانكم بما تصنعون تعملون جاهدين أن تدمروا الديمقراطية تدميرا كاملا ٠ ولو لم يكن رئيس الجمهورية كالجبال الرواسى لكان جوابه عليكم غير هذا الذى تشـهدون ٠

بعض هذا الذى تصنعون بمصر فانكم ألستم منطقيين مع أنفسكم ولا مع مبادئكم ، بينما أرى الشيوعيين والناصريين منطقين مع أنفسهم ومع مبادئهم ٠

فهاتان الفئتان اذن تسيران فى الطريق الطبيعى للمبادىء التى تدينان بها ٠ فالشيوعيون يعلمون ان لا حياة لهم مع الديمقراطية وان نادوا بها فما ينادون بها الا ليقتلوها ويجهزوا عليها ٠

والناصريون يريدون أن يعود الطغيان والجبروت والحكم العاتى ذو الظلام الدامس والارهاق والعنت ليعودوا هم الى السلطان وامتصاص دم الشعب وأكله حيا أو ميتا ٠

الفئتان فى طريقهما الذى اختارتاه ٠

أما أنتم فتسيرون فى عماية من طريقكم وعلى مبادىء غير التى تدينون بها وترفعون شعارات غير الشعارات ألتى ينبغى أن ترفعوها ٠

وقد عرفتم الظلم وذقتم علقمه وطحنكم الطغيان فيما طحن فافيئوا الى الرشد منكم وكونوا من الذين اتقوا والذين قال عنهم الله « **ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون** » (الأعراف ـ ٢٠١) ٠

ولا تنسو قوله سبحانه فى سورة الانفال ٢٥ « **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب** » ٠

صدق الله العظيم ٠

الأهرام ٢٢/٦/١٩٨٦م

العمل الجيد منارة

كان شهر رمضان حافلا بالأعمال الدرامية · وقد كان العمل العظيم الرائع ـ الذى قدمته الكاتبة الاسلامية والدرامية القديرة أمينة الصاوى ـ جديرا بكل اجلال واكبار فقد استطاعت فى مهارة فائقة أن تمزج بين تاريخ التوحيد والتاريخ السياسى لمصر · كما استطاعت فى فنية باذخة أن تجعلنا نتتبع عملها فى تشوق ولهفة · وقد رأينا فى هذا العمل الفنى العظيم الموحدين المؤمنين متفرجين سعداء لا ترين عليهم فترة الحزن ولا كآبة النفس ·

فقد جرى العرف فى الأعمال الدينية السابقة أن يظهر المؤمنين وقد لبسوا قناعا شمعيا من الغضب لا تختلج وجوههم بنأمة فرح · بينما الايمان هو السعادة المطلقة وكلما كان ايمان الانسان عميقا كان تفرحه وهناؤه غامرا · وأنا ـ فيما أكتبه الآن ـ أقدم اعجابى الشديد بما كتبته الكاتبة العظيمة أمينة الصاوى ولا أقيم العمل من الناحية التاريخية فليس هذا شأنى بل اننى أرى أن للكاتب الدرامى أن يمزج من أحداث التاريخ ما يشاء ليقدم عمله الفنى ، على أن العمل مع ذلك عرض على المتمكنين فى التاريخ وأجازوه ·

ومما زاد اعجابى بهذا العمل الفنى العظيم أن الفرصة فيه كانت سانحة غاية السنوح للخطب المنبرية والوعظ المباشر ولكن أمينة الصاوى استطاعت أن تجعل الأحداث هى التى تقول ما تريد المؤلفة أن تقوله دون اثقال على المشاهد أو عنف به ·

وينبغى لى وجوبا أن أهنىء المخرج أحمد طنطاوى على براعته الفائقة التى قدمت العمل فى أحسن صورة يمكن أن يظهر بها فقد كان موفقا كل التوفيق فى كل لحظة من لحظات العمل التى قاربت الثلاثين ساعة ·

كما أهنىء الممثلين جميعا لا استثنى منهم جميعا أحدا · فهم فى تناغم سيمفونى سامق استطاعوا أن يكونوا داخل أدوارهم دون أن يفرضوا على أدوارهم عنتا أو رهقا ·

ثم أنا من بعد ابتعد تماما عن المسلسلين الآخرين اللذين قدما فى القناتين الأولى والثانية فنحن فى أيام أعياد ولا أريد أن أسىء الى أحد • وانما لابد لى أن أهنىء الممثل العملاق صلاح قابيل الذى أدى دور الترزى فى قدرة فنية شاهقة تصل به الى قمة يندر أن يصل اليها ممثل عالمى كما أهنىء الأستاذ كرم مطاوع ذلك الفنان الرفيع المشاعر المتمكن على دوره فى المسلسل الآخر فقد استطاع أن يقدم الشخصية المعقدة غاية التعقيد والتى تتصرف تصرفات حمقاء رعناء دون أى باعث انسانى أو درامى فى موهبة لا تتأتى الا للقلة النادرين •

ولا يفوتنى ان أهنىء القمة صلاح ذو الفقار على دوره أيضا ـ فقد اداه بالروعة التى لا ننتظر منه أقل منها •

ولا أستطيع أن أغفل المسلسل الدينى « نور الاسلام » للكاتب الفذ المتمكن الأستاذ محمود شعبان فقد كان الكاتب رائعا كعهدنا به دائما فى كل ما قدم من أعمال سواء للاذاعة أو التليفزيون •

أما مسلسل « الأفيال » للكاتب الكبير فتحى غانم فيمثل نموذجا فنيا شاهقا للأعمال التليفزيونية وكيف تستطيع أن تصعد الى قمة الفكر والفن جميعا ولكن من أين للتليفزيون بكاتب فى حجم فتحى غانم الذى أبى أن يترك روايته تمزق بين أيدى الآخرين وكتب هو لها السيناريو والحوار •

ولو أن الذين يكتبون تفاهاتهم للتليفزيون درسوا مسلسل الأفيال وكيف يستطيع الكاتب الكبير أن يكون كبيرا فى كل انتقالة لمشهد وفى كل حرف من حوار لعادت عليهم دراستهم هذه بالخير العظيم • ولكن هيهات فكل كاتب منهم يعتقد أن الله خلقه وحده وترك الآخرين • وكل صغير منهم يعتقد ان الكبار أصبحوا كبارا بالصدفة العمياء وليس بالموهبة الرفيعة وبالدراسة الشاقة العنيفة •

اننى أهيب بالأساتذة فى المعاهد أن يدرسوا مسلسل الأفيال لتلاميذهم ليعرف التلاميذ ماذا يستطيع القمم أن يقدموا •

واذا تركت الأعمال الدرامية وانتقلت الى البرامج الأخرى فانى أختار برنامج المربية الفاضلة السيدة نوال الدجوى فقد كان برنامجا خليقا بأستاذة فاضلة وانى أنتهز الفرصة لأتفق معها فى رأيها عن عمل المرأة فقد جرى البعض أن يجعلوا منه قضية قاطعة لا مناقشة فيها فرأى البعض

أن المرأة لا يجوز أن تعمل ورأى آخرون أن المرأة لابد أن تعمل والأمر أيسر من ذلك ٠ فالاسلام لا يمنع المرأة أن تعمل ٠ ولكن على المرأة نفسها أن تقدر ان كان عملها خيرا لها أم بقاؤها فى البيت هو الأولى بها ٠ فان كانت بلا أطفال فما الذى يمنعها من العمل ٠ وان كان أطفالها يذهبون الى المدرسة فما بقاؤها فى البيت ؟ ولكن لابد أن تعلم أن تركهـا لأطفالهـا جريمة لا تغتفر ٠ فليس فى العالم انسان يعوض الطفل عن حنان أمه ٠ وعليها أن تقدر أيضا اذا كان عملها أكثر مجلبة لخير بيتها أم لا ٠ فان أجر الخادمة اليوم أصـــبح يتساوى مع مرتب وكيل الوزارة فهل اذا عملت المرأة ستستطيع أن تدر على البيت دخلا يقارب ما تنفقه فى أجر الخادمة ٠

هذه كلها أمور لكل سيدة فى البيت أن تقدرها وان تقرر على هدى تقديرها ان كانت تبقى فى البيت أم تتركه الى العمل خارج منزلها وأذكر ان مائتين وخمسين ألف سيدة فى أمريكا أضربن عن العمل والحجة الوحيدة التى سقنها ان العمل أفقدهن أنوثتهن ٠ على المرأة المصرية أن تدخل هذا أيضا فى حسبانها وهى تقارن بين البقاء فى البيت والعمل خارجه ٠

ولكننى مع السيدة نوال الدجوى ان هذا الأمر لا يكون بحكم قاطع شامل ينطبق على الجميع ٠

ومن البرامج التى استمتعت بها طول شهر رمضان البرنامج الذى قدمه التليفزيونى القدير طارق حبيب ٠ فقد كان عملا ممتازا يمزج بين التسلية والعلم والفن فى باقة طريفة حبيبة قريبة الى نفس المشاهد ٠ وأشهد أن بعض الأسئلة التى كان يقدمها كانت غاية فى الصـــعوبة لا يستطيع معرفة أجوبتها الا متخصص فى مادتها ٠ ولكن ما الباس فهو يريد أن يصل بهذه الاجابات الى المستمع عبر برنامجه ولا يهم من بعد أن كان المتسابقون يعرفون الاجابة أم لا يعرفونها ٠

كان التليفزيون مزدحما بالأعمال طوال شهر رمضان حتى أن بعض الأعمال كانت تتوارى فى الزحام ٠ ولهذا أرجو من السيدة الفاضلة رئيسة التليفزيون أن تعمل على اعادة تقديم مسلسل (نور الاسلام) الذى كان يذاع فى موعد أغلب المشاهدين كانوا منصرفين أثناءه الى القناة الأولى ، ولذلك فقليل أولئك الذين شاهدوه وهو جدير بأن يشهده الجميع ٠

وبعد فليس هناك عمل فنى يجمع على الاعجاب به كل المشاهدين ٠ وان كنت فى هذه العجالة قد أبديت اعجابى بأعمال معينة وحجبت رأيى عن أعمال أخرى فلا شك أن هناك غيرى من يختلف معى فى الرأى ٠

وانى أهيب بالسيدة الأستاذة سامية صادق أن تحاول المحافظة على هذا المستوى الجيد الذى حققه التليفزيون فى شهر رمضـــان المبارك فمادمنا نعرف الطريق فالطبيعى أن نسير فيه ولا نحيد عنه مهمـا تكن الأسباب فلا شيء فى العالم يساوى ان يتقن الانسان عمله ما دام يعرف كيف يتقنه · ولنضرب صفحا عن كل رجاء أو شفاعة · فان الرجاء والشفاعة فى العالم الفنى يكونان فى غرفة مغلقة والنتيجة السيئة منشـورة على الدنيا جميعا ·

وينبغى ألا يخاف التليفزيون قطاع الطرق فى الصفحات الفنية وغير الفنية بالصحافة فان مكر هؤلاء الى بوار ومهانة · ويبقى العمل الرفيع منارة على طول الزمان · والجمهور يعرف الطيب من الخبيث · ويعرف النقد المغرض حين يراه · ويعرف الكلمة الصادقة حين يقرؤها · والله من قبل ومن بعد يجزى العاملين المحسنين خير الجزاء ·

الأهرام ١٩٨٦/٦/٢٩ م

أعزك الله يا عزة !

جاء فى الأخبار تحت عنوان طفلة تنقذ ثلاثين مواطنا من الموت ٠٠ الخبر التالى أسوقه كما ورد « كتب ـ محمد رجب ـ أنقذت طفلة فى الثامنة من عمرها ثلاثين مواطنا ومواطنة من الموت ٠٠ دخلت الطفلة عزة محفوظ مكتب العقيد أمين بهجت مأمور قسم الجيزة وأبلغته بأن المنزل المجاور لمنزلها خلف مبنى القسم على وشك الانهيار ٠٠ وانها سمعت والدها ووالدتها يتحدثان عن سماع أصوات غريبة تنبعث من جدرانه التى تهتز وقالت ان والديها قررا عدم ابلاغ الشرطة خوفا من سكان المنزل ٠٠ انتقل المأمور والضابط للمكان ٠٠ وحينما تأكدا من صدق الطفلة ٠٠ قررا اخلاء المنزل فورا من سكانه ٠٠ وبعد دقائق من الاخلاء انهار المنزل وبدأ التحقيق ٠

كانت الطفلة ترتجف وهى تدخل من باب القسم ٠٠ لاحظ المأمور أن نظراتها يملؤها الفزع ٠٠ اتجه اليها ٠٠ سألها عما تبحث ٠٠ قالت له ان صديقتها الطفلة تسكن بهذا المنزل الذى سمعت من والدتها أنه سينهار بين لحظة وأخرى وانها تخشى على صديقتها من الموت ٠٠ وتخشى أن يعلم والداها بحضورها للقسم ٠٠ تردد المأمور فى تصديق الطفلة وأمام الحاحها وبكائها المستمر اصطحبها ومعه المقدمان ماجد الباز وعمر الفرماوى رئيس المباحث ٠٠ وتبين أن المنزل متصدع الجدران ومائل قليلا فقرروا اخلاءه فورا ٠٠ وبعد دقائق انهار المنزل ٠٠ وتبين من المعاينة المبدئية ان أسقف المنزل من خشب النخيل ٠٠

والى هنا ينتهى الخبر تقريبا ٠

وانت يا عزة لا تدرين أية سعادة غامرة أدخلتها الى قلوبنا ٠ فقد رأيت فيك أملا من بعد يأس قاتم خيم على حياتنا ٠

فأنت يا بنية استطعت بعملك الذى صنعته عن فطرة أن تصبحى ابتسامة مشرقة على شفاه قوم طال بها الزمن وهى تحس المرارة والأسى ٠

ان عزة لم تلتق بالشرطة من قبل • وواضح من الخبر انها كانت خائفة هالعة مرتعشة من الاقدام على هذه المخاطرة التى لا تدرى الى أى مصير تقودها •

زادها خوفا وهلعا ذلك الحديث البعيد كل البعد عن الانتماء الانسانى والذى بلغ مسامعها من أمها وأبيها •

وان كان الخبر لم يأت من الحديث الا بعجالة سريعة الا أنه من المؤكد ان الحديث كان مستفيضا متطاولا • وماله لا يكون •• زوجان فى بيتهما والأحداث التى يمكن أن تكون مادة تسلية قليلة نادرة وها هى ذى فرصة متاحة للحديث الوافر • تكلما عن الناس الذين يقطنون بالمنزل والشروخ التى داهمت المنزل • ومتى داهمته وكيف سكتوا عنها • والولدان يرفضان ان يبلغا عن المنزل المتهالك ويطمئنا ضميرهما انهما انما يصنعان ذلك حتى لا يغضبا سكان المنزل من أصدقائهما •• اذن فالأبوان الكريمان يخافان أن يغضبا قوما ولا يخافان أن يقتلاهم أجمعين • ولا شك أن الأبوين فى حديثهما تخوفا أن يذهبا الى القسم حتى لا يشغلا وقتهما ويضيعا يوما بأكمله فى الابلاغ ومصاحبة الشرطة الى المنزل •

ان الأبوين من ذلك الجيل الذى نشأ فى الأيام الداكنة من تاريخ مصر والتى جعلت الناس يشعرون أن مصر غريبة عن المصريين وهم عنها غرباء يوم قال الحاكم ان الوطن شأنى أنا وشأنكم أن تقبلوا رشوتى بالخبز الرخيص والتعليم المجانى فى جميع مراحله وان تهملوا فى مصانعكم ووظائفكم ما طاب لكم الأهمال ولن يمسكم أحد بسوء • بل ولكم أيضا أن تكون نسبة الجهلاء من فلاحين وعمال خمسين فى المائة ويشتركوا فى التشريع للبلاد وحكم الناس وقد كان التشريع يصدر من الحاكم المنفرد ويمر بالمجلس النيابى لاقراره وليس لمناقشته •

جيل ساومه الحاكم واشترى منه حقوق المواطن الانسان ، ودفع له الثمن تخريبا للوطن وتدميرا لكرامة مصر واقتصادها •

انه جيل تعود ألا يكون صاحب رأى فى أى شىء يخرج عن نوع طعامه فى بيته وفى بيته فقط •

جيل بعيد كل البعد عن الحياة العامة وما يضطرب فيها وما يمس شئون الناس من ناسهم الذين يحيون من ماء نيلهم ويأكلون من أرض مصرهم •• شاه زمنا •

والقاطنون فى البيت ماذا نحن قائلون لهم أنلومهم انهم لم يبلغوا عن الحال الذى صار اليه بيتهم ، من السهل أن نلوم ولكن أترانا كنا نصنع غير ما صنعوا • أسرات بأكملها يضمها بيت متهالك ان تركوه فهم نهب للتشريد والضياع فى تيه العالم أجمع •

ان سكان هذه البيوت جميعا أحياء وأمواتا ضحايا القانون الذى أصدره الطاغية فى الستينيات لتخريب العلاقة بين ملاك البيوت وسكانها وجعل الملاك يتوقفون منذ صدوره عن البناء توقفا تاما وها هى ذى النتيجة اليوم •• مقاتل جماعية لسكان البيوت المتهالكة أو تشريد لمن تركوا المنازل المتصدعة وضياع كامل للشباب الذى يريد أن يبدأ حياته ويكون أسرة •• هذا الضياع الذى أدى الى وحشية بعض الأبناء لتخلص لهم بيوت والديهم •

أما عزة ابنة الأمل ونبت الأرض الحرة والهواء النقى فقد غالبت كل هذا وذهبت وحدها الى القسم ترتجف ولكنها تغلبت على خوفها لتنقذ صديقتها فى البيت المجاور فأنقذت معها سكان البيت أجمعين •

أنت يا عزة تشعرين أن الصداقة تستحق ما تعرضت له من خوف وحرج وأنت يا عزة تشعرين أنك تنتمين الى الناس حولك الذين هم وطنك•

وأنت يا عزة ضربت المثل الرفيع لكل المصريين • فلو ان الوزراء اتخذوا قراراتهم بنفس الجرأة التى اتخذت بها قرارك لصلح حال الاقتصاد المصرى • واستقام المعوج من الأمر • فنحن الدولة الوحيدة فى العالم التى تعرف أمراضها وتعرف دواءها ولكنها لا نحاول أن نستخدم الدواء لتقضى على المرض • مازلنا نصر على مجانية التعليم الوهمية ونحن نعرف الخراب المحيق بمصر وبالتعليم من هذا الداء ومازلنا نصر أن تكون نسبة العمال والفلاحين خمسين فى المائة ونحن نعلم اننا بهذا نخرب التشريع المصرى والكرامة المصرية بقانون لا مثيل له فى العالم أجمع • ونحن نصر أن ينال الدعم الأغنياء مهما يتفاقم حجم غناهم • ونحن مصرون ألا يعمل العامل ثم يظل فى عمله •

ولو أن أعضاء مجلس الشعب يا عزة أدركوا أنهم مسئولون عن مصر جميعها وليس عن ناخبيهم وأقاربهم فقط ولو أنهم فعلوا مثلك فقدموا الصالح العام على الصالح الخاص لكان حال مصر غير هذا الحال •

ولو أن الموظفين أدركوا أنهم ينبغى أن يتقنوا عملهم مهما يكن أجرهم ضئيلا لأن القيام بالواجب فى ذاته قيمة عليا أدركتها أنت يا عزة لأصبح وجه مصر جديرا بتاريخها العريض •

ولو أن كل فرد فى مصر يا عزة أحس انه مسئول عن أخيه كما أحسست أنت أنك مسئولة عن صديقتك لاستطعنا يا عزة أن نعلو فوق المحن ونسمو فوق الأزمات ولغير الله ما بنا لأننا غيرنا ما بأنفسنا ٠

وبعد يا عزة ربما كنت فيما أقول حالما فى وادى الآمال ٠ لكنك انت يا بنيتى قد فتحت لى الباب الى هذا الوادى ٠ ومادامت مصر قد أنبتتك فمالى لا أرجو أن يكون جيلك كله مثلك ٠ فان صح هذا الرجاء فان لنا نحن المتفائلين أن نتوقع لجيلك هذا أن تكون أيامه كلها اشراقا ٠ ومالى يا بنيتى ألا أرجو فان لكل ليل صباحا وقد كنت أنت تباشير هذا الصباح ٠

الأهرام ١٩٨٦/٧/٦ م

المبادىء .. والتطبيق

أصاب الوفد الدستور والديمقراطية بأمراض وهزال وكان هذا فى الفترة السابقة على قيام الثورة وكان من أهم العوامل التى عجلت بقيامها . فقد تصرف الوفد بغباء منقطع النظير فى فترة حكمه الأخيرة . وكانت فلسفته ان يكون رئيسه وأعضاؤه عبيدا ساجدين فى ساحة الملك العربيد حتى يظلوا فى الحكم أطول فترة ممكنة . ورأينا رفعة رئيس الوفد يقبل يد الملك المدنسة بكل ما هو وضيع ومنحط من مخاصرة للنساء الى لعب ميسر . ورأينا رفعة رئيس الوزراء مصطفى النحاس باشا يؤم حزبه فى صلاة مؤلمة قبلتها الملك فاروق فى مصيفه بكابرى . ورأينا القاهرة تحترق فى عهدهم . ورأينا مذبحة الشيوخ فى زمانهم وبهذه المذبحة دمروا الدستور وكرامة مصر جميعا .

ومن عجب أن بعضهم يدافع عن هذه المذبحة الدستورية بأن تعيين هؤلاء الشيوخ لم يكن بادىء ذى بدء بالطريق الدستورى والسؤال البسيط الذى يستطيع أن يوجهه لهم أى انسان عاقل فلماذا لم تعيدوا تعيين الأشخاص أنفسهم بالطريق الدستورى لتبقوا على الدستور قيمته وعلى مصر كرامتها .

وقد ورث حزب الوفد الجديد نفس الغباء بل أشد منه هوانا ولعلك لو قرأت المقالة الأخيرة التى هاجمتنى بها مجلة الوفد تدرك ــ ان لم تكن قد أدركت بعد الى أى حضيض من الغباء يتردى حزب الوفد الجديد .

فى عنوان المقالة جعلوا اسمى زروت بدلا من ثروت وأصروا على هذا الابدال للاسم فى المقالة كلها . أليس هذا غباء . أليس من الطبيعى أن أقلب اسم رئيسهم كما فعلوا باسمى فأسميه ظلام الطين مثلا أو غير ذلك وغيره كثير فاذا سألونى ما ذنب الرئيس أجبتهم ان المقالة بغير توقيع فالحزب اذن مسئول عنها جميعا وعلى رأسه زعيمه فالخطاب اذن لابد أن يتوجه اليه من باب الأدب ووضع الأمور فى نصابها . ثم ان مجلة الوفد صدرت فى يوم قريب بمقال فى صدرها بعنوان العين بالعين والرأس بالرأس فأنا لم أستحدث جديدا بل هم الذين أحدثوا وفى هذا المقام وقبل أن أتركه الى غيره أجد المقالة تسبنى لضخامة جسمى وأتساءل أليس

هذا غباء منقطع النظير أم ترى كاتب المقالة أراد أن يسب رئيس حزب الوفد عن طريقي والا فكيف يهاجم حزب رئيسه حضرة صاحب المعالى فؤاد سراج الدين باشا شخصا آخر لضخامة جسمه الا اذا كان يريد مهاجمة الطول فقط لا الضخامة كلها • وبعد أليس هذا أسلوب النساء اللواتى يفرشن الملآت على قوارع الطريق ويعيرن الأخريات بالنحافة حينا أو بالضخامة حينا آخر • فى أى عرف سياسى رأى أولئك النسوة حوارا عقليا يتجه الى معالم الجسوم وليس الى معالم العقول ومعالم الضمائر ومعالم الوطنية •

وبنفس الغباء يقول الوفديون اننى كاتب دساس أدس بينهم وبين رئيس الجمهورية • يا لهم من حقراء العقول • هل سمع أحد فى العالم ان دساسا يدس عند أى شخص ضد آخرين ويعلن دسه فى صحيفة الأهرام كبرى جرائد المشرقين جميعا • وما حاجتى للدس وهم القائلون فى مقالهم الرئيسى العين بالعين والرأس بالرأس •

بهذا الغباء نفسه أصاب الوفديون الحيـــاة الديمقراطية فى مصر بالمرض العضال ثم جاءت الثورة وشملت الفرحة مصر جميعا من أقصاها الى أقصاها وقد كنت فى ذلك الحين شابا صغيرا فى الخامسة والعشرين من عمرى ولكن ملازمتى لأبى جعلتنى ألازم فى هذه الفترة شلة من زعماء مصر من غير الوفديين وقد كانوا جميعا سعداء بما تم ، فهم الذين أبدوا سخطهم على تصرفات الملك بعريضة الثلاثين الشهيرة •

وجاءت الثورة ورأينا أهدافها •

وانى اليوم أكتب ما أكتب لنرى معا ماذا حققت الثورة من أهدافها وكيف حققتها كان الهدف الأول « القضاء على الاستعمار وأعوانه » •

أما الاستعمار فطبيعى أن يكون المبدأ الأول لأى حكم هو القضاء عليه ولكن الاستعمار كان يلم أذياله من العالم أجمع حتى لقد ترك الهند التى كانوا يسمونها درة التاج البريطانى •

وكانت مصر قد وصلت مع بريطانيا الى معاهدة صدقى ـ بيفن التى تجمع الآراء السياسية انها كانت خيرا من المعاهدة التى خرج بها الانجليز من مصر •

أما أعوان الاستعمار الذين ورد ذكرهم فى المبادىء فقد ثبت من المحاكمات الثورية المتعاقبة ان ارض مصر الطاهرة لم يكن فيها خائن لبلاده

مطلقا • ولولا الحادث المؤسف الذى وقع فى ٤ فبراير وقبول النحاس باشا الحكم على أسنة الحراب الانجليزية ولولا انحطاط شباب الوفد فى ذلك الحين الذين حملوا السفير البريطانى على أكتفاهم لظلت صفحة الوطنيين المصريين ناصعة البياض • ولظل الشرف الذى كان هالات نور حول الرءوس من أبطال ثورة ١٩ مضيئا متوهجا لا يغض شىء من توهجه •

أما المبدأ الثانى فقد كان القضاء على الاقطاع •

وقد نفذت الثورة هذا المبدأ فعلا وقضت على اقطاع الأرض واقطاع العمارات • ولكن الثورة لم تستطع أن تمس الصلات الحميمة بين الناس بعضهم وبعض وظل المحترمون محافظين على احترامهم بين الشعب ولهذا عادت اليهم الثورة فى عام ٦٦ لتنكل بهم أشد التنكيل بدعوى أنهم استعادوا أموالهم • وصاح بهم الشيخ الجليل خالد محمد خالد لقد كونوا ثرواتهم فى ظل قوانين ثورتكم ولكن هيهات • اعتدوا يومذاك على أعراض الرجال وعلى حياء النساء وفرقوا كل معنى من معانى الانسانية •

وبعد فهل قضت الثورة على الاقطاع أم قضت فقط على الاقطاعيين الذين كانوا يعيشون عند قيام الثورة • ان نظرة عابرة لا تحتاج الى امعان تظهرنا على الحقيقة القائلة وهى ان رجال الثورة واللائذين بهم والمنافقين لهم أصبحوا شرا من كل الاقطاعيين الذين قضت الثورة على اقطاعهم •

لقد استولى رجال الثورة على القصور والأموال واجتمع فى أيديهم كل السلطان الغاشم الذى لا يعرف القانون ولا الانسانية • وأذلوا مصر كلها شر اذلال فصاروا أشد وبالا على المصريين من الاحتلال والاقطاع جميعا • وان ما أصدرته المحاكم فى عهد الحرية الأخير من أحكام لخير دليل على بشاعة ما شهدته مصر على يد الذين يدعون أنهم خلصوها من الاحتلال والاقطاع •

وجريمة أخرى لا تقل بشاعة ارتكبت فى ذلك الحين فانهم فى حماة حقدهم على كل مالك تدخلوا بين مالك المسكن والمستأجر فتوقف البناء تماما فى مصر وكانت النتيجة هذه الأزمة الطاحنة التى نشقى بها اليوم والتى يعانيها أشد المعاناة شباب مصر حتى لنرى الوحشية تتملك من قلوب بعضهم — وان كانوا نادرين — فيحاولون التخلص من آبائهم لتخلص اليهم مساكنهم • وهذا الشباب هو الذى تدعى الثورة أنها علمته مجانا ولولاها ما تعلم ونسيت الثورة ان الكثيرين من قوادها كانوا فقراء بل كان بعضهم معدما ومع ذلك تعلم ولم تكن المصاريف المدرسية حائلا

ولا عائقا يردهم عن التعليم . لقد أعطت الثورة الفتات للشباب متمثلا فى التعليم المجانى الذى أصبح اليوم وهما كاذبا واستلبت حقه فى الحياة وفى أن يكون صاحب بيت أو صاحب رأى أو صاحب حرية . ويا ليت ما ناله الشباب من التعليم كان تعليما حقـــا . علم الله ما هو الا ورقة تمثل شهادة ما تلبث عند الاختبار وملاقاة الحياة والعلم الحقيقى ان تصبح هباءة لا تساوى قلامة ظفر .

أما المبدأ الثالث فهو القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال .

وقد حققوا هذا المبدأ بالاستيلاء على مصانع مصر كلها وأقاموا القطاع العام . والنتيجة واضحة للعيان ولا تزال الدولة منذ عهد السادات حتى اليوم تحاول أن تصلح المنهار من القطاع العام فتتقطع منها الأنفاس ويتسع الفتق على الراتق وما أهون كلمة الفتق فى هذا المقـــام ولعل الكلمة المناســبة لم تعرفها اللغــة بعــد .. ربما كانت الاهتراء أو التمزق أو الاختراق ..

أما المبدأ الرابع فهو اقامة عدالة اجتماعية .

وهذه طبعا كان لا يمكن أن تتحقق . وكيف لها أن تتحقق وقد أزالوا طبقة وكونوا هم من أنفسهم طبقة أخرى أشد منها سعارا وأبعد منهــا سلطانا وأقسى منها قلوبا وأعتى منها ضراوة وهى من قبل ومن بعد أقصى ما تكون نأيا عن الانسانية .

ولقد أقاموا بدلا من العدالة الاجتماعية ارهابا شاملا واغتالوا كل معنى للعدالة : اجتماعية كانت أو غير اجتماعية .

أما المبدأ الخامس فقد كان اقامة جيش وطنى قوى وان الذى حدث فى عام ٦٧ يغنينا تماما عن أى حديث فى هذا المضمار وان كان ينبغى ألا ننسى أن الجيش الذى كان قائما كان يستخدمه الطاغية لاستجلاب الأمجاد الشخصية لنفسه هو ولم يبال بشأن القتلى على جبال اليمن والكنغو وغيرهما . ومادمنــا نتكلم عن الأرواح فما يجوز لنا أن نذكر الأموال الضخام التى ألقيت فى ميدان هذه الحروب والتى أسهم القاؤها فى الخراب الذى نعانيه اليوم .

أما المبدأ السادس فهو اقامة حياة ديمقراطية سليمة . وواقع الأمر أن الديمقراطية كانت تحتضر على يد الوفد قبل الثورة ولكنهــا كانت موجودة وكان الناس يعيشون فى ظلال منها لا شك فيها . وكان المنتظر

ان تقدم الثورة الدواء للديمقراطية فتصبح من بعد مرض وتزدهر من بعد ذبول • ولكن الثورة رأت أن أيسر شيء أن تقتل الديمقراطية قتلا تاما فلم يكن لها وجود مطلقا ولم تعد الى الحياة الا على يد الزعيم الخالد أنور السادات • ثم هى اليوم تشهد أزهى عصورها فى عهد الزعيم العظيم حسنى مبارك •

كم من مبادىء لها عند نطقها وقع فى النفس رائع وجليل ولكنها عند التطبيق تصبح ازهاقا لكل معنى كريم عرفته الحياة ؟ •

١٩٨٦/٧/١٣ م الأهرام

الى الدكتور النمر ...

أهنئك يا فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر على جائزة الدولة التقديرية واعتذر اليك عن هذا الذى قرأته فى بعض الصحف لقوم تعودوا أن يصوتوا ولا يقولوا شيئا . ولا بأس عليك يا مولانا فانهم حشرات تخرج من جحورها اذا سمعت صفير الأم صادرا من هناك من تلك البلدة التى يحكمها مجنون فهى حكومة بلا عقل ، أو من هنا لك من تلك البلاد التى يحكمها ملاحدة فهى دولة بلا دين .

وأعتذر اليك مرة أخرى عن ذلك المأفون الذى اتخذ الحديث عنك طريقا للنيل منى وقد دأب على ذلك وهو يستثيرنى اليه بشتى طرق ووسائل على أمل أن أرد عليه يوما فأجعل منه شيئا مذكورا وما هو بشىء حتى يكون مذكورا .

وانى يا سيدى الدكتور أنصحك ـ ان كان لمثلى ان ينصح مثلك ـ الا تفكر فى الرد على ما كتب فأنا قد أخذت على نفسى الا أرد وليس موقفى هذا لأنى أذكر بيت المتنبى الخالد :

واذا أتتك مذمتى من ناقص   فهى الشهادة لى بأنى كامل

اضرب عن هؤلاء جميعا صفحا واطو صفحتهم وهى مطوية بطبيعتها وهيا الآن الى كتابك الجليل الذى أصدرته منذ قريب والذى اعتقد أن العالم الاسلامى أحوج ما يكون اليه اليوم .

ان كتابك « الاجتهاد » الذى أقرأه الآن من أعظم الكتب التى ظهرت فى هذه الفترة الأخيرة وكم كنت موفقا حين كتبت تحت عنوان « الاجتهاد » ضرورة من ضرورات الدين والحياة . كيف كان ! وكيف صار ! وواجبنا الآن .. » .

واسمح لى يا مولاى أن أشد على يدك فى قوة لشجاعتك النادرة أن أصدرت هذا الكتاب تواجه به فئات كثيرة لا ندرى أيها أكثر ضلالا من الأخرى . فهناك الجامدون المتحجرون الذين يأبون أن يكون ديننا الحنيف

صالحا لكل زمان ومكان · وهناك المتكسبون بالدين ولا يريدون أن يتطور التشريع عند الشرح ومواجهة الجديد فى حياتنا والذين يأبون أن يقرءوا التاريخ ويروا الشافعى وهو الشافعى يغير الكثير مما أثبته عندما جاء الى مصر · فاذا كان هذا الامام الجليل يغير أراءه حين استبدل مكانا بمكان فكيف كان صانعا لو استبدل زمانا بزمان ·

لأحسب يا سيدى الدكتور ان الأئمة جميعا لو أنهم عاشوا زماننا هذا لغيروا الكثير من أرائهم وتفسيراتهم واجتهاداتهم ·

وأنت يا دكتور تواجه بشجاعة جماعات تريد أن تجعل الدين طوع أمرها وتجعل منه سلاحا فتاكا تشهره على حياتنا وأمننا وكرامتنا والمستقر الثابت من معيشتنا · يخيل اليهم فى خبال وجنون أنهم بما يمزقون من جنبات الحياة سيصلون الى الحكم ويصلوننا نيرانهم البعيدة كل البعد عن الدين القيم ·

واجهت هؤلاء جميعا بكتابك هذا الجليل وانه ليطيب لى أن أنقل هذه الفقرة الهامة التى جاءت فى كتابك تحت عنوان « هل أحاديث الرسول كلها وحى » وفيما تقول « يعنى : هل كل ما نطق به الرسول أو فعله أو أقره انما كان بناء عن وحى ، أو حراسة وحى ، بحيث لو كان غير سليم أو صحيح ينزل الوحى عليه ليصححه كما حصل فى بعض الأمور · بعض العلماء قال بهذا مستظلين أو مستدلين بقوله تعالى مدافعا عن رسوله « **والنجم اذا هوى · ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى · ان هو الا وحى يوحى · علمه شديد القوى** » ·· الآيات واعتبروا النطق عاما فهو لا ينطق ولا يقول الا عن وحى يوحى اليه ·· ومثله الفعل ·· ومع ان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد برأه الله من الميل الى الهوى والغرض الشخصى فى كلامه وفعله اجماعا الا أنهم فى تفسيرهم انه لا ينطق الا عن وحى فى أى موضوع يتكلم فيه · ولو فى شأن من شئون الحياة العادية ، ولو كان فى الزراعة ، أو الطب ، أو الحكم فى أمر من الأمور ·· كل كلامه الذى ينطق به عن وحى أو الهام من الله ·· هكذا تصوروا استنادا لهذه الآية · وهو استناد خاطىء ·غفلوا فيه عن سياق الآية وسبب نزولها فالآيات مسوقة للرد على المشركين ، الذين ادعوا أن محمدا يكذب أو يفترى ويقول قولا يدعى انه من عند الله · وانه القرآن · وهم فى هــذا الادعاء يتجنون ويتجاوزون ما عرفوه عنــه طول حياته · من أنه لا يكذب · وانه الصادق الأمين ، وذلك حين أراد الله نفى اتهامهم له بالافتراء فى القرآن أومأ الى هذه التجربة فى حيــاته وقال : « **ما ضل صاحبكم وما غوى** » فهو صاحبكم ومغاشركم منذ الصبا والشــباب ولم تجربوا عليه كذبا قط فكيف تتهمونه بالكذب الآن بعد كل هذا النضج » ·

وتقول يا دكتور فى موقع آخر ٠٠ ونتيجة هذا كله أن الرسـول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يجتهد أحيانا ويقول باجتهاده ٠ وكان اجتهاده قائما على القواعد العامة من القرآن » ٠

وهكذا استطعت يا فضيلة الدكتور ان تقدم أعظم دليل على ضرورة الاجتهاد وعدم الوقوف بالآراء الشرعية عند آراء مضى عليها أكثر من ألف عام ٠ فاذا كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو الموصول الأسباب بذات الله العلية يجتهد أفلا يجتهد علماء الشريعة والفقه الاسلامى ونحن نبدأ القرن الخامس عشر من ظهور الاسلام ٠

والذى لاشك فيه أن الله ـ سبحانه ـ فى علياء سمائه قد أراد لنبيه أن يجتهد وأن يناقشه أصحابه الرأى ولو لم تكن هذه مشيئته لأوحى لنبيه بالرأى قبل أن يقول وبالعمل قبل أن يعمله فمن غيره ـ سبحانه ـ يعلم السر وأخفى ٠ ولكنه يريد الرأى أن يكون شورى ويريد لنبيه أن يشـاور أصحابه فى الأمر ٠ بل ويريد لنبيه أن يكون انسانا من الناس يعتب عليه كما تفضل سبحانه وتعالى وكما ذكرت أنت فى عتابه للرسول فى أسرى بدر بقوله جل شأنه فى الآية ١٧ من سورة « الأنفال » ٠٠ « **ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم** » ٠

وكما عتب عليه سبحانه وتعالى فى أذنه السريع لبعض المسلمين المنافقين بالتخلف عن الخروج معه للجهاد وذلك بقوله جل شأنه فى الآية **٢٣ من سورة « التوبة » « عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين** » ٠

وكما عتب أيضا فى اعراض النبى عن ابن أم مكتوم بقوله تعالى :
« **عبس وتـولى ان جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكـرى** » ٠

فالنبى اذن انسان يجتهد ويستشير ويشار عليه الا حين يتنزل عليه الوحى من السماء٠هنا تعنو لوجوه وتنحنى للحى القيوم ولا رأى هناك ولا مشورة وانما نسمع ونطيع ونخشع وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله ٠

والنبى صلوات الله عليه وسلامه أدرى الناس بهذا بل هو فى خلقه الرفيع يتواضع حتى لنراه حين يقبل اليه رجل يريد أن يسلم ويقف

ببابه وقد أخذه الرهب وتمتلكه هيبة الرسول يقول له في ايناس كريم وفي عظمة لا تكون الا : لنبي ادخل فما أنا الا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة . يا صلى الله عليه وسلم أهو هكذا فقط أليس هو نبي الله المختار وحامل الرسالة وخاتم النبيين وسيد البشر أجمعين .

ومن أعظم الوقائع التي رويتها يا دكتور تلك التي حدثت من بريرة التي أعتقها أهلها وكانت زوجة لمغيث العبد فحين ملكت أمر نفسها بالعتق طلقت نفسها . وكان مغيث شديد الحب لها وكانت شديدة الكراهية له فكلم مغيث رسول الله في ذلك فكلمها في أن تراجعه وتظل زوجة له فقالت « أتأمرني يا رسول الله » .. قال « بل أنا شافع » فأبت بريرة أن تراجع زوجها وردت شفاعة رسول الله . أي دين سامق شامخ سماوي رفيع ديننا هذا . نبيٌ اختاره الله ليتلقى كلامه من السماء يشفع لدى امرأة كانت في أمسها القريب جارية تباع وتشترى .. يشفع ولا يأمر صلى الله عليه وسلم . وهي ترد الشفاعة . ثم هي لا تجد بعد ذلك من الصحابة أي أعراض أو غضب عليها اذ ردت شفاعة رسـول الله وسيد البشر أجمعين .

..

فماذا ترى يا سيدي الدكتور اليوم من بعض أناس قد ورمت أنوفهم ومسهم الكبر بزيفه يخيل اليهم انهم سيخرقون الأرض أو يبلغون الجبال طولا فاذا بلوتهم وجدت انتفاخ أوداجهم هواء ووجدت رءوسهم فراغا .

أهنئك يا سيدي الدكتور بكتابك هذا القيم وأرجو الله سبحانه أن يستجيب العلماء في مشارق الأراضي الاسـلامية ومغاربها لدعوتك ويقيموا مؤتمرا يتناولون فيه كل مسائل الفقه الخلافية حتى يقطعوا الطريق على الجهلاء والمدعين والمتاجرين بالدين القيم .

وفقك الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

الأهرام ١٩٨٦/٧/٢٠ م

من فيض الكريم

اقرأ هذه الأيام كتابا من أعظم ما كتب كاتبنا الكبير الأستاذ يحيى حقى • الكتاب بعنوان « من فيض الكريم » • وهو فعلا من فيض الله سبحانه وتعالى على الكاتب •

والكاتب الكبير يحيى من هؤلاء الذين حين تستمع اليهم تحس بشعور عميق أن الكاتب كثير التفكير يعمل عقله فى كل ظاهرة من ظواهر الكون وهو لا يكاد يفلت خلجة من خلجات الحياة دون أن يوسعها تفكيرا وتقليبا لكل وجه من وجوهها • وهو فى هذا الكتاب مؤمن مستقر الايمان مطمئن كل الاطمئنان انه لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله • ويطالعك هذا الايمان المستقر المطمئن منذ العنوان الأول فى كتابه « لماذا أنا سعيد لأنى ولدت مسلما » •

وتطالعك هذه المقالة بأعظم أنواع الايمان • ذلك الايمان الذى يمتزج فيه العقل بالروح والفكر بالشعور ، يقول فى مطلعه •• « اننا فى الأغلب الأعم نرث ديننا • نشب على عقيدة أبائنا • فلو كنت مسيحيا مثلا ثم أسلمت بعد بحث ومقارنة واختيار لحق لى ان أكتب هذا المقال تحت عنوان « لماذا أنا مسلم » فمن أجل الصدق وحده أجعل عنوانه « لماذا أنا سعيد لأنى ولدت مسلما » ولا أكتبه الا فى نطاق مبدأ عام : ان الأديان كلها طرق متباينة متفرقة ولكنها تؤدى جميعها الى ساحة واحدة • ومع ذلك فأنا سعيد لأنى ولدت مسلما لأن الاسلام جاء للانسان بنظام يجد فيه فكره سموه لا انحطاطه ، راحته لا عناءه » •

ثم يمضى الكاتب الكبير فى مقالته التى أسمح لنفسى ان الخص ما حوته فهو يرى أن هذا النظام الذى أتى به الدين الأعظم يستند الى وحدانية الله سبحانه وكل تفكير لابد أن يؤدى الى وحدة الكون فى عقل الانسان • وازاء الكون الواحد لابد من اله واحد • هو خالق هذا الكون الواحد • وبما أنه خالق الكون كله فهو رب البشر جميعا لا يختص به شعب الرسول دون بقية الشعوب • ويقول الأستاذ يحيى حقى فى نقلة أخرى انه ليس فى كتاب غير القرآن مثل هذا الالحاح المفصل على الانسان

ليعمل عقله ويتدبر الكون ويفهم أسراره حتى لقد ارتفع طلب العلم الى مقام الفرائض · ثم يقول الكاتب الكبير ان العقيدة علاقة حميمة بين الخالق والمخلوق لا تحتاج لوسيط ·

ويمضى الأستاذ يحيى فى مقاله على هذا النسق الرفيع من المنطق الذى يجعل الايمان أمرا يحتمه العقل ، واذا سرنا عمقا مع مقالة الأستاذ يحيى هذه لوجدنا أن الانسان الطبيعى غير ذى العوج فى المنطق أو الفهم · وغير ذى الهوى لابد أن يؤمن بوحدانية الله وبعظمة الدين الاسـلامى وسموقه وتمكنه · وان دعوة الكتاب المنزل للتفكير هى وحدها أعظم دليل على قوة الدين ومتانته · وانك لتذكر آية واحدة من القرآن فلا تملك ألا أن تخر ساجدا للواحد الديان « **وفى انفسكم افلا تبصرون** » سبحانك جل جلالك ·

وتذكر هذه الصلة المباشرة بين الانسان وبين ربه فترسخ فى نفسك عظمة الخالق ·

فالخالق وحده هو الذى يجعل نفسه موئلا لكل الناس وليس لفئة دون فئة ولا حتى لأتباع دين دون دين آخر ·

وقد يطيب لى أن نتعمق معا ذلك العنوان الذى اختاره الأستاذ يحيى « لماذا أنا سعيد لأنى ولدت مسلما » فقد يدخل فى روع البعض أن معنى ميلادى مسلما اننى لم يكن لى اختيار فى عقيدتى وانما هى فرضت على بحكم المولد · وهذا معنى مرفوض جملة وتفصيلا · فاننا نولد مسلمين ونظل مسلمين بحكم المولد حتى نصل الى مرحلة التأمل والفكر وحينئذ نتعمق ديننا وتلبث عليه مختارين بالحرية الكاملة وبالفكر البعيد عن كل مؤثر خارجى وان فعلنا غير ذلك تكن منافقين مخادعين لأنفسنا وللناس جميعا ·

ويكون اسلامنا غير مقبول عند الله لأنه سبحانه فى علياء سماواته رضى لنا الاسلام دينا على أن ندخله مختارين لا مرغمين · أحرارا لا تابعين ·

والآيات كثيرة كقوله سبحانه لنبيه « **لست عليهم بمسيطر** » الغاشية آية ٢١ · وكقوله سبحانه « **فانما عليك البلاغ وعلينـا الحساب** » الرعد آية ٤٠ ، والآيات فى هذه المعنى متواترة ·

فاذا عجبت فاعجب معى لقوم يريدون أن يجعلوا من أنفسهم أنبياء ومسـيطرين فى وقت معـا ويريدون أن يكونوا مبلغين وما هم بمبلغين ومحاسبين وما هم بالهة ·

فان لم يكن هذا هو المروق والفوضى فماذا يكون ٠

وانتقل فى ربوع الكتاب القيم « **من فيض الكريم** » للأستاذ يحيى حقى فأقف عند مقالة له بعنوان « لبيك اللهم » يقول فى مطلعها « نويت أن أصلى » نويت أن أصوم نويت أن أحج ، يتطلب الاسلام ممن يؤدى فرائضه ان يكون أول شىء يفعله هو أن يحزم أمره ٠ ويعقد نيته على أداء الفريضة ولو سرا بينه وبين نفسه والجهر بها أفضل ينطق اللسان وتسمع الأذنان ويستقر فى الوجدان ويتجسم المعنى فى كلمات واضحة لها رنينها ومذاقها وأريجها فى عقد النية واعلانها توفيرا لكل الضمانات على صدقها وقضاء على نوازع التشكك والتردد ٠ وهذا هو التوقيع على صك التعهد والاحساس بالالتزام واعلانه وقبول تحمل مسئوليته ، فهو يتطلب منه أن يتيقظ كل التيقظ لما هو قادم عليه من قبل أن يقدم عليه فلا يؤديه أداء آليا ، وذهنه سارح أو غافل أو مشغول بأفكار ومطامع » ٠

الى أن يقول الأستاذ يحيى : « لا عجب أن بدأ البخارى بحديث شريف كأنه لحن افتتاحية ليسيمفونية عظيمة ٠ لا حد لاعجابى به ، وحبى له ولا ينقطع لسانى عن ترديده كأن كلماته فصوص من الماس » ٠٠ الى أن يذكر الحديث الشريف وهو قوله عليه الصلاة والسلام ٠٠ « انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى » ٠

وقد أعجبت بهذه المقالة فى الكتاب كل الاعجاب ورحت أفكر وما لبث أن ومض فى ذهنى خاطر مضىء كأنه نور مشع ٠ انما الاسلام كله مسئولية ونية المسئولية هى ظاهر الأعمال والنية هى الباعث الخفى ٠ ونحن أمام البشر أجمعين ليس لهم منا وليس علينا لهم الا الأعمال أما خافية نفوسنا فهم لا يريدون منها شيئا وان حسبوا انهم يعلمون ٠ أما نحن أمام الخالق فمحاسبون على العمل وعلى النية جميعا ٠

وقد نخطىء فى عملنا مع البشر فيحاسبنا البشر حسابا عسيرا لأنهم لا يعرفون ما تنطوى عليه ضمائرنا ٠ اما ان أخطأنا عن غير قصد فى مسئوليتنا الدينية أمام الله سبحانه الذى يعلم السر وأخفى والمطلع على طوايا النفس وأحنائها فانه يمحو عنا خطأنا وكأننا ما أخطأنا ٠ ولذلك فاننى أدهش حين أسمع قائلا يقول لآدمى « يا أخى اغفر خطأ فلان فان الله يغفر » وهذا منطق مقلوب ان الله يغفر لأنه الله ٠ ولأنه الرحمن ولأنه الرحيم ولأنه الغفور ولأنه المطلع على خفايا الضمائر وأعماقها ٠ أما البشرى

فما هو برحمن ولا هو برحيم ولا بغفور ولا هو بمطلع على الضمائر وان ادعى ذلك . ومن أجل هذا فانه لا يغفر الا القـــوم الأقربون الى الله جل علاه .

ومن هنا أعجب معى مرة ثانية وثالثة وألفا من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قواما على ديننا . أين هم من ذلك . وهموا وضلوا وضللوا . وخاب سعيهم . وفشل رجاؤهم من أى تشريع أعطوه لأنفسهم هذا الحق . وما هو لهم حق .

أيحسبون أنفسهم آلهة . . أين هم من ضمائرنا ومن ايماننا الذى لا يدريه الا الله وحده . والذى اختص نفسه سبحانه بالاطلاع عليه . أم يريدون أن يجعلوا الناس أمامهم يقومون بمظاهر الدين وما يبدو منه . أفهذا هو الدين عندهم . ساء ما يحكمون . ان الدين لله وحده . وهو وحده سبحانه موئلنا وملاذنا اليه صلاتنا وصيامنا وزكاتنا وحجنا . وان لم نؤد هذه الفروض بالنية الخالصة لذاته ـ جلت ذاته ـ فهو وحده القادر على أن يردها علينا غير مقبولة . فما هو بحاجة الى توحيدنا ولا الى صلاتنا ولا صيامنا ولا زكاتنا ولا حجنا . فانه سبحانه هو الغنى عن العالمين . فكيف لهؤلاء المتطرفين أن يعرفوا عن أى مصدر فى نفوسنا نقوم بطقوسنا الدينية .

انهم يريدون أن يركبوا الدين وسيلة الى التحكم فينا . وويل لنا كل الويل اذا تمكن منا هؤلاء . وأى فئة أكثر ضلالة من فئة تستغل دين الله وهو دين الله ليصلوا به الى مطامع دنيوية فانية . واذا كانوا لا يعرفون أن كل سلطان الى زوال الا سلطان الله . فما شأنهم بالدين اذن .

واذا كانوا لا يعلمون أن الدين انما هو احتقار للدنيا وسعى الى العليا . وعزوف عن الفانية نظرا الى الباقية . واذا كانوا لا يعلمون أن الانسان كادح الى ربه كدحا فملاقيه . فهم اذن أبعد ما يكونون عن جوهر الدين ولبابه .

فليتخذوا لأنفسهم ملعبا يلهون فيه وبه وليتركوا الدين لعلمائه وفقهائه وليتركوا الناس ليعبدوا ربهم الذى خلقهم والذى يعلم ما ظهر منهم وما بطن وهم له عابدون . حبا وأملا ورغبا ورهبا . وان الناس فى غناء كل الغناء عن قوم يريدون أن يفرضوا أنفسهم عليهم طواغيت وجبارين . والله سبحانه وتعالى جل أن يكون الجهلاء دعاة لدينه الأقوم ولكتابه الكريم . .

الأهرام ١٩٨٦/٧/٢٧ م

انهــــا مصر

كنت أشاهد فى التليفزيون فيلما أجنبيا تدور أحداثه فى الحرب العالمية الثانية . وبطل الفيلم يقوم بدور جندى من الجنود البواسل فقد الثقة فى الهدف الذى تحارب من أجله انجلترا وطنه .

واذا ببطلة الفيلم تطالعه بالنقد الشديد لتصرفه وفى منولوج رائع تذكره بأن الهدف هو انجلترا ذاتها . وفجأة وجدت نفسى أصحو الى حقيقة مصرية دامية . ان أغلب الشعب المصرى جنود هاربون من الميدان فى وقت مصر فيه تواجه حربا سفاكة ضارية .

ان مصر تحارب أخطاء أربعين عاما أورثتها الفقر والانهيار فى كل مرافقها والنقص فى ضرورات حياتها . ولكن أدهى ما تواجهه مصر فى هذه الحرب هو هرب أبنائها من الميدان . فقد أصبح أغلب أبنائها يفكرون فى الشئون التى تدور فى حجرات بيوتهم ولا يفكرون فى شأن مصر على أنهــــا الوطن الأكبر الذى لولاه ما وجدت هذه الحجرات التى يدورون باهتمامهم فى داخلها وينصرفون كل منصرف عما يحدث فى خارجها من معاناة شعب هو شعبهم وأمه هى أمتهم . انها مصر .

مصر هى تلك الصلة الحميمة بين الأم وابنها . لا ليست صــلة فرد لأمه . وانما تلك العلاقة الالهية الرقيقة الجبارة التى تصل الأم بابنها : وهذه الصلة الشامخة الخفية . الصارخة الهامسة . التى تصل بين قلب الأب وكل نبضة حياة من نبضات الابن .

هذه العلاقة وتلك الصلة فى معناها المجرد والأسمى وليس فى مفهومها المحدد الضيق الذى تضعه الأسماء فى اطار له طول وعرض . انما أريد المعنى المطلق للأمومة والأبوة . هذا المعنى الذى لا ينتهى الى نهاية ولا تشمله معالم بينة الحدود . انها علاقة الأم بوليدها وعلاقة الأب بابنه طليقة لا تقيدها أسماء أو أشخاص أو اطارات بذواتها .

مصر هى صلة الانسان بكل شجرة نشأ فى ظلها وغرست جذورها فى صميم مشاعره وفى الأعماق البعيدة من كيانه . كل شجرة وجدها

أمام بيته أو على ضفاف الجدول الذى يجرى فى حقله أو فى طريقه وهو طفل الى المدرسة أو تلك الشجرة التى سمع مع حفيف أوراقها همسة حب أو كلمة حنان . أو تلك التى رأى تحت أغصانها نظرة وفاء . أو تلك التى أحس وهو مستند الى جذعها ناظرا الى الماء الرقراق يجرى تحتها لحظة رضا عن الدنيا واقبال على الحياة .

انها مصر بكل ذرة أنبتت مطعمه . أو سار عليها فشعر بالحنان يتصاعد الى قلبه دفئا فى الشتاء ونفحة هواء رطيب فى حر الصيف . بكل ذرة استنشقها فشم فيها حضن الأم الرءوم .

انها مصر بكل نسمة عبير استافها شهيقا وأعادها الى وطنه زفيرا يشارك الوطن نضح عرق يروى الحياة فاذا الجاف من الزرع يضحى أخضر خضلا يهب للحياة دماءها ومعناها .

انها مصر بكل صلاة فرض من فروض الله . وبكل آذان يتعالى فى أنحائها وبكل تسبيحة حب وشكران للخالق الوهاب . الرحمة المطلقة والغفران العريض يلف التقى فى سيبه والمعاصى .

انها هى بكل كلمة صدق خطها قلم كاتب وكان مداده دماء القلب . وكان هدفه الأعلى خير مصر . انها هى بكل نغمة جميلة رددتها شوارع مصر وحواريها وأزقتها وحقولها وشواطئها . مصر بكل لمسة ريشة لفنان رسم بها خلجة من خلجاتها ووجها من وجوهها ولوحة من جناتها وشاطئا من بحارها وغديرا من خلجانها .

مصر بكل ضربة فأس أنبتت الحياة وشقت ظلام الفقر عن نور الوفرة . مصر بكل لحظة جهد مقدسة يبذلها عامل فى مصنع . بكل خطوة مشاها شرطى فى سبيل أمنها .

مصر بكل قطرة دم جاد بها محارب فى سبيلها . وبكل ما ضحى به الأبناء تركهم آباؤهم ليستشهدوا من أجلها . وبكل ما ضحى به الأمهات والآباء وهم يرون أبناءهم الذين هم أعز عليهم من أنفسهم يصعدون الى السماء فى عليين ويتركونهم صرعى ، حيارى ، الموت عندهم أجمل من الحياة ، يتخبطهم الحزن ويأكلهم الأسى ثم لا يجدون الصبر الا احتسابا من أجل مصر .

مصر بكل بيت شعر قاله شوقى أمير شعراء العربية منذ عرف الناس الشعر العربى حتى اليوم ٠ وبكل بيت قاله شاعر مصرى سبقه أو شاعر مصرى لحق به ٠

مصر بكل نبضة حب طهور بين فتى وفتاة وبكل خلجة تعاطف ورحمة بين زوجين ٠ وبكل ايثار يبذله أخ لأخيه أو صديق لصديقه ٠

بكل سماحة علوية يعفو بها أخ أكبر عن أخ أصغر ٠ وبكل خطرة مودة يسعى بها أخ أصغر الى أخيه ٠ بكل وشيجة وفاء بين أبناء الانسانية ٠ بكل كلمة سلام فى ثورة غضب ٠ بكل تحية معطرة كريمة يحطم بها عدو سياج عداوة ليقيم مكانه بناء مودة وحب ٠

مصر بكل قمة مجد تسنمتها منذ مشرق التاريخ وقبل التاريخ ٠ بكل منارة علم قامت باسمها فى أنحاء الدنيا العريضة ٠ وبكل أهزوجة فن طارت من أهرامها الى أنحاء العالم ٠

مصر بكل لحظة هناء فى حياة مصرى أو مصرية ٠ بكل فرج من بعد ضيق ٠ وبكل يسر من بعد عسر ٠ بكل برهة عناء كشفه الرحمن عنها بكل هنيهة شقاء رادفتها سعادة ٠ وبكل خلجة قلق واكبتها مشاعر أمن وسكينة واطمئنان ٠

مصر هذه تحتاج اليك لتكون جنديا فى الساحة ٠ سلاحك من حب وركابك من عزم ٠ والعاقبة فى حربنا هذه مؤكدة لا شك فيها ٠ فليس غير النصر فى انتظارنا ٠ فان الله ينصر من ينصره ٠ وان مصر التى تعودت دائما أن تعطى لا يضيع عندها أجر الصادقين المحسنين العاملين ٠

الأهرام ١٩٨٦/٨/٣ م

الـكاتب حـق

قد يحسب بعض الشـباب من الكتاب ان الكاتب ثورة دائمة · ورفض مطلق ، وتلك نظرة سطحية فجة · ان الكاتب أولا وأخيرا كلمة حق · انه صدق مع نفسه ليكون عند الناس صدقا · وان لم يكن الكاتب عند الناس ثقة وحقا فهو لا شيء وليس يجدى أن يكون له مصفقون وهتافون ودعاة بين الصحفيين · فكل هؤلاء لا يستطيعون أن يجعلوا القراء يحترمون الكاتب فى دخيلة أنفسهم ·

ليس الكاتب مجرد ضجة فى الحياة · وليس هو طلقات مدافع فى الهواء · فذلك شأن أصحاب السرك والبهلوانات وليس شأن الكاتب · ان الكاتب لا عمل له فى الحياة الا أن يكون موصول الوشائج بالجماهير · يخاطب عقولهم · ويهز عواطفهم · ويصـــل الى الخوافى البعيـدة عن نفوسهم · ولن يستطيع كاتب أن يبلغ من هذا شيئا اذا لم يصل الى مكانة شريفة عند القارىء · فان القارىء لن يفتح عقله وقلبه وعواطفه الا لمن يثق به ويقدر مكانته · قد يختلف معه فى الرأى ولكنه يحترمه ·

ومادام يحترمه فانه سيناقش رأيه ويواجه كل حجة بحجة · وكل رأى برأى فاما أن يقتنع بما يقول الكاتب أو يرفضه ولكنه على الحالين يوقر الكاتب وينزله من نفسه منزلة التقدير والاكبار والاجلال ·

والقارىء الذى يستحق لقب قارىء لا يأبه بحفلات الزفاف التى تقام لأى كاتب وليس يعنى بالمواكب التى يصطنعها أصـدقاء كاتب ما لأعماله ولا يأبه القارىء الجدير بهذا اللقب بطلقات النـار التى يطلقها الصغار فى زفة الصحافة مصوبة الى الهواء · انما القارىء يعنى فقط بما أنتجه الكاتب من عمل · مقالة كان هذا العمل أو رواية أو قصة أو كتابا أو كان العمل قصيدة أو ديوانا ·

قد تصلح هذه المواكب أن تجعل الكاتب شهيرا · ولكن ان كانت الشهرة وحدها هى ما يسعى اليها الكاتب فهذا أتفه من أن يكون كاتبا وأحقر من أن يحمل قلما · انما الشهرة التى يصيبها الكاتب أثر جانبى يتم له دون أن يسعى اليه · فليس الكاتب مهرجا يوزع اعلانات الحفلات ولا هو طبالا يضرب طبوله ليعلو منها الصوت ثم لا تقول شيئا ·

انما الكاتب رأى · والرأى منطق · والمنطق ثقافة · والثقافة جهد وبحث وعناء · وان حاول الكاتب أن يستغنى عن هذا جميعا بادعاء الثورة على مجتمعه · أو بالتظاهر برفض كل ما هو مستقر من قيم جماعته وأمته · فانه قد يشتهر أمره بين الناس حينا ثم ما يلبث أن يخبو منه الضوء فما هى الا عشية وضحاها حتى يصبح بين الناس أضحوكة · أو يصبح على الأقل نسيا منسيا · وان دام حوله التهليل وان علت باسمه الطنطنة فانه سيظل عند الناس غير ذى مكانة ولا احترام ولا توقير ·

وقد تسألنى ما حديثك هذا عن القارىء الجدير بهذا اللقب ·· ومن حقك أن تسأل · فقد يظن بعض الناس أن كل من يقرأ قارىء وتلك أغلوطة ما أبعدها عن الصواب ·

ان القارىء هو الذى يقرأ للكاتب وليس القارىء من يكتفى بأن يقرأ عن الكاتب · وانه كثيرا ما تكتب الصحف أخبار الكتاب · وأنباء ما يشهدون من ندوات أو ما يذيعون من مقابلات بالاذاعة والتليفزيون · وكثيرا ما تتناول الصحف والمجلات أنباء طريفة عن بعض الكتاب قد تكون مسلاة للقراء · أو قد تروى الصحف والمجلات أخبارا عما يعد للكاتب من روايات فى السينما أو الاذاعة أو التليفزيون أو المسرح · ولكن الكاتب ليس هذه الأخبار · وانما الكاتب هو ما يكتب وما يقول لا ما يكتب عنه من أخبار وما يقال عن أعماله من أنباء ·

ولا بأس بالقارىء أن يطالع هذه الأنباء ولكنه ان لم يقرأ ما كتبه الكاتب من انتاج أدبى فهو ليس قارئا وانما هو واحد من الناس الذين يريدون أن يتسلوا بالحديث عن أنباء الكتاب ·

القارىء الجدير بلقبه هو هذا الذى يتابع الكاتب فيما يكتب وليس فيما يحيا من حياته الخاصة · وهؤلاء القراء نادرون ·

أذكر اننى كتبت بجريدة الأخبار مقالة نقدية عن عمل لأستاذنا نجيب محفوظ وفى يوم ظهور المقالة وكان ذلك منذ عشرين عاما ونيف ـ ظهر بالصفحة الأخيرة من الأهرام خبر عنى أننى دعوت ممثلة كانت مرشحة لدور فى فيلم عن احدى رواياتى الى بلدتى بالشرقية وأننى قدمت لها الفطير المشلتت · وأذكر فى ذلك اننى لم ألق أحدا من الناس الا حدثنى عن خبر دعوتى للممثلة الى بلدتى غزالة · ولم ألق أحدا حدثنى عن المقالة التى نشرتها بصحيفة الأخبار · كل هؤلاء الذين لقيتهم فى هذا اليوم لا أعتبرهم قراء · انما هم مطالعون يبحثون عن الأنباء المسلية ليملأوا فراغ يومهم فهم يتسلون بنا ولا يقرءوننا ·

وأذكر اننى دعيت الى ندوة عن رواية لى بقصر الثقافة بالاسكندرية بمناقشة رواية لى كانت قد عرضت بالتليفزيون • ولكن الندوة كانت لمناقشة الكتاب طبعا لا العرض التليفزيونى • فأنا مسئول عن كتابى الذى أوقع عليه ولست مسئولا عن أى عمل ينتج عن رواية لى سواء كان ذلك فى السينما أو التليفزيون أو المسرح أو الاذاعة •

وقبل الندوة جلست بحجرة رئيس قصر الثقافة ليقدم لى فنجان قهوة • وبينما أنا فى هذه الحجرة قدم الى أستاذ ذو وقار ووجاهة وقدم نفسه لى فاذا هو أستاذ أدب عربى باحدى الجامعات فرحبت به واستقبلته بما يخلق بأستاذ جامعى • وجلس الدكتور الى جانبى وراح يمتدح روايتى موضوع الندوة ويبدى اعجابه الشديد بها وفى سؤال عابر لم أكن أشك فى اجابته بل ربما دعانى الى طرحه ذلك الارتباك الذى أشعر به دائما اذا طالعنى المديح مواجهة • فأنا حينئذ لا أجد شيئا أقوله الا غمغمة ليس لها معنى وهمهمة لا تكاد تبين • وجمعت كلمات سؤالى بصعوبة بالغة وقلت للدكتور •

ـ طبعا حضرتك تتحدث عن الكتاب •

وصعقت وأنا أسمعه يقول فى بساطة بلهاء •

ـ لا والله فأنا لم أقرأ الكتاب وانما شاهدته بالتليفزيون • وطبعا لم أكمل الحديث معه والتفت الى الآخرين الجالسين معنا ورحت أتحدث اليهم وكأن الدكتور غير موجود • انه ليس بقارىء فكيف يكون أستاذا •

والكاتب لا يعنى بهؤلاء الذين يقرءون عنه وانما يهتم اهتماما بالغا بمن يقرءون له •

والكاتب أيضا ليس يعنى بمن يسبه لمجرد السباب أو يمتدحه لمجرد المديح • وانما يعنى كل العناية بمن يعارضه رأيا برأى وحجة بحجة • ويعنى كل العناية ويحمد غاية الحمد أولئك الذين يمتدحونه عن بينة ووعى مقدرين فنية العرض عنده وعمق المعانى التى يعبر عنها والأبعاد التى تنبعث من أعماله •

ولا يستطيع كاتب أن يرضى الناس جميعا • وأذكر فى عام ١٩٥٨ م أن ناقدا تناول عمـــلا لى بنقد قاس عنيف فى احدى المجـلات العربية • ووجدت نفسى وأنا أقرأ المقال أثور ثورة عارمة وأعد نفسى للرد عليه •

وفي غضبتي طلبت أستاذنا نجيب محفوظ لأشهده على هذا النقد الجائر الذي كتبه ذلك الناقد فاذا نجيب يشعر بالثورة التي تعتمل بنفسي ويقول في هدوء رزين ٠

ــ الله ٠٠ ماذا جرى يا فلان ٠ وهل تنتظر أن يرضى عنك كل الناس ٠ اننا اذا أرضينا نصف قرائنا نكون قد حققنا نجاحا ساحقا ٠

ونزلت كلماته على ثورتي ماء قراحا ووجدت نفسي سـعيدا بعد غضب هادئا بعد فورة ٠ اذا كان نجيب محفوظ يقول هذا فانه يصبح حتما على من الحتم الا أغضب لنقد أبدا ٠ ومنذ ذلك الحين لم أرد على ناقد لعمل لي قط وما أحسب أنني سأرد على ناقد لي أبدا ٠ وفلسفت هذا الموقف لنفسي بأنني اذا كنت اليوم حيا وأستطيع أن أناقش ناقدا فماذا أنا صانع في غد حين أكون بجوار رب كريم وينقد ناقد كتابا لي ٠ واقتنعت أيضا أنه ما دام الناقد قد كون رأيه عن كتابي على النحو الذي نشر به نقده فذلك شأنه ٠ فانه اذا كان صادقا مع نفسه فهو يعبر عن موقع عملي في نفسه تعبيرا أمينا ٠ أما اذا لم يكن صادقا مع نفسه فما حاجتي اليه وما حيلتي فيه ٠

أما الذي يسبني دون نقد فانني أجد نفسي كانسان مسوقا الى الرد عليه لأبين له على الأقل أن السباب أيسر الأمور وأنه اذا كان يبيح هذا لنفسه فعليه أن يتحمل ما أبيحه أنا أيضا لنفسي ٠

أما اذا كان السباب من نكرات يحاولون به أن يتواثبوا على أكتافي فانني أحرمهم من تحقيق أملهم ولا أذكرهم وكأنهم ما قالوا وماكانوا ٠

والكاتب صاحب رأي ولكل صاحب رأي معارض ٠ وكم اختلفت مع أبي الروحي وزعيم كتاب العرب توفيق الحكيم وكم احتدم بيننا النقاش ولكن هذا الخلاف لم يستطع يوما أن يمس شعوري نحوه بالبنوة وشعوره نحوي بالأبوة وهي بنوة وأبوة لا تقف عند المشاعر بل وتعدوها الى أنه يعتبرني المسئول الأول عن كل ما يمكن أن يطلبه أب من ابنه في مألوف حياة الأبناء والآباء ٠

وكم اختلفت مع أخي الأعز الكاتب الكبير عبد الرحمن الشرقاوي ٠ وقد كتب كل منا رأيه المعارض للآخر فما ندت مني كلمة تمس احترامي له واكباري وما خط قلمه في معارضتي الا كل حب وعفة ٠

واذكر اننى عارضت رأيا له فى مجلس الشورى معارضة عنيفة ثم خرجنا معا من الجلسة بعد انتهائها وجلسنا فى استراحة الأعضاء نتبادل الحديث ونرتشف القهوة . ويمر بنا اخواننا الكرام أعضاء المجلس فيصيبهم الدهشة والعجب . كيف عارض كل منا الآخر داخل الجلسة ثم خرجنا وكأن كلا منا يؤيد الآخر . ولم يدهش الأعضاء بعد ذلك حين رأوه ورأونى يؤيد كل منا الآخر داخل الجلسة فى كثير من الآراء . فان المعارضة بيننا هى فى ذاتها عارضة وليست أصيلة . وهى أيضا لا تجرؤ أن تمس تلك الصلة الحميمة الحبيبة العميقة التى تربط الصديقين الأخوين منه ومنى .

الوحيد الذى لم أختلف معه قط هو أستاذنا نجيب محفوظ على طول سنوات الصداقة الحميمة بيننا وهى صداقة تزيد عن صلات كثير من الأخوة وقد زادت ــ أدامها الله ــ عن أربعين عاما . والعجيب أن توافقنا فى أعمال أدبية كثيرة صدرت له ولى فى أوقات متزامنة .

وبعد فأنا لا أعرف أننى ــ والحمد لله ــ لا أحمل عداوة لأحد من الكتاب ومهما تختلف بنا الآراء فاننى أكن له الاحترام مادام كاتبا حقا وليس مزيفا وأعتقد أو ربما يحلو لى أن أعتقد انه هو الآخر يحتفظ لى بنفس هذه المشاعر .

الأهرام ١٩٨٦/٨/١٠ م

الفضل لا يضيع !

قرأت منذ قرابة اسبوعين فى عمود فكرة للصحفى الكبير الأستاذ مصطفى أمين مقالا هز مشاعرى وجعل الأفكار تنثال الى ذهنى فى ترسل بعضها يمض النفس وبعضها يمدها بالاشراق والسكينة ٠

قال الأستاذ الكبير فى فكرته ، كانت هوايته أن يخدم الناس ، كل الناس ٠ السجين يفك أسرة والمظلوم والمقهور يفك ضيقه ٠ الباكى يجفف دمعه ٠ الجريح يضمد جراحه ٠ الواقع على الأرض يأخذ بيده ٠ وشاء قدره أن يكون بقرب أحد الحكام وتصور الناس ان بريق السلطة سوف يغيره وان هيلمان النفوذ والسلطان سوف يبدله ٠ واذا به يزداد قربا من الناس وتفانيا فى خدمتهم واصرارا على رفع الظـــلم عنهـم ٠ وكثيرا ما ضاق به الحاكم ٠ كل يوم يراه يجده يحمل على رأســـه المظالم والشكاوى والالتماسات » ٠

ويروى الأستاذ مصطفى أمين بعد ذلك أن الحاكم ضاق بما يحمله اليه من مظالم وماس وحاول أن يتنيه عن هذه الخصلة التى من شأنها ان تجعل صدر الحاكم غاضبا حرجا فلما أبى ان ينثنى ومضى فى طريقه يرفض ان يرى ظلما ويسكت عنه أو قهرا ولا يحاول ان يرفعه أو مقتا يحيق بانسان ولا يسعى أن يكشفه ٠ فلم يجد الحاكم بدا من ابعاده عنه ٠

ولم يعد يقابله كل يوم فى الصباح والمســـاء كما كان يفعل فى أول عهده ٠ وأصبح يراه مرة كل أسبوع ما لبثت أن أصبحت مرة كل شهر ثم مرة كل عام والرجل مع ذلك لا يكف عما دأب عليه فان لم تسعفه مقابلة الحاكم لجأ الى الخطابات يرسلها اليه ٠

وينتهى الأستاذ مصطفى أمين بكلمة حزينـــة دامعة ليس الحزن فيها أو الدمع من أجل الرجل وانما من أجل الوفاء والانسانية جميعا ٠ يقول الأستاذ مصطفى أمين ٠

« ثم مات الرجـــل وفوجئت ان أحـــدا لم يشترك فى جنـــازته أو يحضر مأتمه أو يعزى أسرته » ٠

أنا لا أعرف هذا الرجل الذى روى عنه الأستاذ الكبير وأنا أيضا بطبيعة الحال لا أعرف الحاكم الذى يشير اليه الكاتب • ولكننى أعرف اننى لم أشعر بعجب من نكوص الانسان عن أداء واجب العزاء فى رجل قضى حياته فى خدمة الانسان وأقصى عن الصدارة من المقاعد التى تحف بالسلطان من أجل الانسان •

وتذكرت أبيات شوقى للأميرة أم المحسنين التي تبرعت بمجوهراتها لانشاء جامعـــة القاهرة وقد وقعت بينها وبين الملك فؤاد جفـوة فمنع استقبالها وهى عائدة من الحج فقال شوقى :

برىء الرفق من السيف الذى منـــع الأم ملاقـــاة البنين
حجب النعمـــة حتى وجدت بينها سـدا وبين الشاكرين
رب يوم عدت فيـــه من منى ومن الخيف ومـــن دار الأمين
من دنـا من ركبك العـالى به آب فى القرية معدوم القرين
نســيت روعتـــه فـــى بلد كل شىء فيه ينسى بعد حين

فاذا كان هذا يحدث للأميرة وهى أميرة والناس تعلم ان الشقاق بينها وبين الملك ما يلبث ان يزول فالملوك دائما كالبحر القلب لا يدوم لهم رضا ولا يمكثون على غضب • وانهم فى أغلب أحوالهم يحبون بلا مبرر ويكرهون بلا سبب وينطبق عليهم البيتان القديمان •

لا تمدحن ابن عمار اذا نديت كفاه يوما ولا تذممه ان حرما
فانهـــا خطرات من وساوسه يعطى ويمنع لا بخـــلا ولا كرما

اذا كان الناس يعلمون ذلك ومع هذا يمسكهـــم الرعب ان يهنئوا الأميرة على عودتها وهى على قيد الحياة • فهم اذن أكثر منطقا مع أنفسهم ان يردهم الحذر من السلطان ان يشيعوا من بذل حياته من أجلهم الى مقره الأخـير مخافة أن يسمع السلطان بسعيهم هذا الى التوديع فيقبض عنهم رضاءه ان كان راضيا أو ينزل بهم سوط عذابه ان لم يكن عنهم راضيا •

وذكرنى مقال الأستاذ مصطفى أمين بقوم دأبوا الا ان ينتقموا من أولئك الذين أغدقوا عليهم الخيرات اغداقا • فأنا أعرف بعض الناس كان

لهم أصدقاء قريبون من بيوت الحكام • فكانوا يلجأون اليهم ليستطيعوا ان يعيشوا وكان أصدقاؤهم يلبون رغباتهم وكانوا بهذه التلبية يمكنونهم من العيش • ثم انقلبوا عليهم أعداء ذوى شراسة وحقد وكراهية لا تتأتى لاعدى الأعداء •

أعرف واحدا كان يتعلم على نفقة قريب له وأصبح هذا الفقير ذا سطوة وبطش وسلطان فاذا هو يتقصد قصدا ان يهين قريبه هذا ويحاول ان يذل أبناءه بكل وسائل الاذلال ولولا ان صاحب الفضل كان أرفع من الهوان ولولا ان أبناءه كانوا ذوى كرامة وشموخ لتمكن منهم قريبهم هذا الذى لم ينل شهادته الا بفضل بيتهم •

ولا أنسى حوارا بين الكاتبين الكبيرين يوسف السباعي ـ رحمه الله ـ وعبد الرحمن الشرقاوى ـ أطال الله عمره ووهب له الصحة والعافية ـ منذ أكثر من عشرين عاما • يقول يوسف : ـ يا أخى هذا الفتى يشتمنى ويسبنى فى كل يوم بالجرائد مع اننى قدمت له خدمات لا أول لها ولا آخر وبعضها كان له أثر ضخم فى حياته •

فاذا الشرقاوى فى ذكاء وظرف ومعرفة بنفوس الناس يقول :

ـ طيب انت يشتمك لأنك صاحب أفضال عليه فلماذا يشتمنى أنا وأنا لست صاحب فضل عليه •

وهذان المثالان أقدمهما الى الناس والى الكاتب الكبير نموذجين عابرين فى حياتى أسعفتنى بهما الذاكرة ولو اننى تقصيت أمثالهما لما نضب القلم ولملأت مئات الصفحات •

ان الكراهية التى رأيتها من المفضولين على المتفضلين كراهية تتقاصر دونها كراهية أشد الأعداء لددا وأعمقهم خصومة وأبعدهم حقدا •

كأنما يحاول هؤلاء الجاحدون ان ينتقموا من الزمن فى أشخاص المحسنين اليهم وكأنى بهم يريدون أن يقتلوهم ويفنوهم حتى لا يبقى على ظهر الدنيا من يعرف انهم كانوا يوما فى شدة وانهم مدوا أيديهم واحتاجوا فى فترة من فترات حياتهم •

ولا أستطيع أن أنسى ذلك الشاب الفقير الذى سعى الى موظف بوزارة الأوقاف لتقرر له الوزارة راتبا شهريا من الخيرات • واستطاع الموظف

أن يحصل للطالب على هذه الاعانة . ويتخرج الفتى محاميا . ويذهب اليه صديقه بأوراق قضية خطيرة فى حياته ويقبل المحامى أوراق صديقه فى ترحاب وفى تظاهر بالفرح أنه سيتمكن أخيرا من رد بعض أفضال صديقه .

لا لم يطلب منه أتعابا ويا ليته فعل . وانما باع أوراق القضية للخصوم وخسر صاحب الفضل دعواه وكانت حصيلة الدعوى آلافا من الجنيهات وكانت الأموال تخصه وتخص اخوته معه . وحتى لا أبث الحزن فى نفس القارىء أبادر فاذكر أن الخصوم كانوا أشرف من المحامى الخائن وتصالحوا فى الدعوى صلحا عادلا .

ولا تعجب اذا قلت لك ان صاحب الفضل أبى الا أن يظل صاحب فضل ورفض أن يتقدم بشكوى الى نقابة المحامين فى تقية منه لله أن يضيع مستقبل المحامى ضياعا كاملا .

ولا تعجب أيضا ان قلت لك أن هذا المحامى لم تمر عليه الا فترة قصيرة فى المحاماة ثم رفع اسمه من الجدول دون أى تدخل من صديقه الذى آثر أن يظل كريما الى النهاية .

وبعد فهل يصنع الانسان ذو النفس الكريمة المعروف وينتظر الجزاء . عند من يمد لهم العون .

أنا واثق ان الأمر ليس كذلك . ان الذى يقدم الخير للناس ينال أحسن الجزاء وأفضله وهو يقدم هذا الخير . لا شىء فى الدنيا يساوى ما يشعر به الانسان حين يحس أنه رفع ظلما عن مظلوم . أو أنه أتاح من الحياة فرحا لقوم سدت دونهم منافذ الحياة . أو استجاب لأمل علقه به ضعيف لا حول له ولا طول .

ان لحظة السعادة التى يحسها صاحب الفضل وهو يقدم فضله لا يعادلها شىء فى العالم أجمع . وهو لا يفكر ولا يدور بخلده أن ينتظر ممن قدم له الفضل عرفانا بالجميل أو ردا للفضل . أو شكرا على ما قدم . ان سعادته هى أكبر من كل عرفان انه يشعر فى دخيلة نفسه أنه أرضى نفسه قبل أن يرضى الآخرين . وان فرحه بأنه استطاع ان يقدم فضلا

لأى انسان لا تعادله فرحة فى العالم· بل وأحسب انه حين يقدم الفضل لعدو له تصبح سعادته مضاعفة اضعافا ·

وأعتقـــد ان من حقى الآن ان أقول للصحفى الكبير مصطفى أمين لا تحزن على صديقك الذى مات بغير وداع فقد نال من الخير الذى قدمه أنواعا من السعادة لا يستطيع كل من وقف الى جانبهم أن يقدموها اليه ·

وناهيك بما هو ملاقيه عند رب السماوات والأرض الذى يمحق الربا ويربى الصدقات · سبحانه ·

الأهرام ١٧/٧/١٩٨٦م

المتاجرة بالعدم !

يبدو ان الحالة التى تمر بها مصر ليست واضحة المعالم فى أذهان البعض • ولا أستطيع ان أقول ان مصر هانت على كتابها • ولكن الذى أشاهده يجعل الانسان المصرى فى محنة مروعة لما تقاسيه مصر من تصور الأمر هزلا لا جد فيه • فهم ينتهزون الفرصة ليمارسوا بأقلامهم مهنة الخطابة الجوفاء ووضع اللافتات على الفراغ واللهو بحاضر مصر والتسلية بالألفاظ ضاربين عرض الأفق بالمصلحة الكبرى لمصر وأبناء مصر •

قرأت فى الأسبوع الماضى مقالتين لكاتبين يهاجمان فى ضراوة أولئك الذين يدعون الى الغاء مجانية التعليم فى الجامعة •

والكاتبان يعلمان حق العلم ان أحدا لم يدع الى الغاء مجانية التعليم فى الجامعة أو فى غير الجامعة •

والكاتبان ينشدان نشيدا واحدا عن الطبقات الفقيرة وكيف ان الأثرياء يريدون ان يستلبوها الحقوق المقدسة التى حصلت عليها •

وتلك مضحكة أخرى تدعو الى البكاء على حال القلم عندنا وما أصبح يستخدم فيه •

ان الذين كتبوا ضد مجانية التعليم فى الجامعة لم يطالبوا بالغائها بالنسبة لغير القادرين وكل ما قالوه أن يدفع القادرون المصاريف ويعفى غير القادرين •

وأعيد الجملة مرة أخرى •• ان يدفع القادرون •• وثالثة أقول القادرون المصاريف ويعفى غير القادرين •• يعنى الطبقة الفقيرة • يعنى الطبقة الكادحة لا تدفع • ويدفع الأثرياء •• الأغنياء •

فهل هذا استلاب من الفقراء • وهل قال أصحاب هذا الرأى انهم سيأخذون هذه الأموال ويضعونها فى جيوبهم أم قالوا ان القادرين يجب ...

ان يدفعوا للدولة ماداموا قادرين حتى تستطيع الدولة ان تعلم غير القادرين فما هذا اللهو الذى يلهو به بعض الكتاب . ان الأمر خطير . وأكبر ملايين المرات من التناحر بالشعارات والتنابذ بالأحزاب والترامى بالفقر والثراء . انها مصر كلها وما هى فيه من أزمة اقتصادية طاحنة . ان الوقت متسع بعد ذلك أمام أصحاب الشعارات ان يرفعوا عقائرهم بما يحلو لهم . ولكن اليوم دعونا نبحث عن المصلحة العامة لمصر وننسى الخلافات الحزبيـــة والعقائدية وننسى — ولو الى حين — الأوامر القـادمة من الخارج والمغلفة بما لا يعلمه الا الله .

كيف يسوغ فى الأذهان ان يستطيع أب ادخال أبنائه فى المدارس الأجنبية ويدفع لأبنائه مصاريف تبلغ آلاف الجنيهات فى العـام مضافا اليها ما ينفقه هذا الأب القادر على الدروس الخصوصية حتى اذا حصل أبناؤه على الثانوية العامة حملت الدولة وحدها عبء تعليم أولاده دون أى عون منه . وتقول الاحصاءات ان التعليم فى الكليات النظرية يكلف الدولة مبلغا ضخما لكل طالب ولكن هذه المبالغ تتضاعف ثلاثة أضعاف أو أربعة اذا كان الطالب يدرس فى كليات عملية مثل الطب أو الهندسة .

أليس من الطبيعى ان يساهم الأب القادر فى عبء التعليم الجامعى مادام قد أغدق أمواله فى التعليم الابتدائى والاعدادى والثانوى .

وكيف يسوغ فى الأذهان ان يأتى الطالب الى الكلية بسيارة يتراوح ثمنها بين عشرة آلاف جنيه وخمسين ألف جنيه ويدخل مزهوا فخورا مدلا على زملائه ثم يقبل هو ويقبل أهله أن يجلس الى الأستاذ يتلقى تعليمه دون ان يدفع مليما للدولة التى تقدم له هذا العلم .

أن هؤلاء القادرين يدخلون فى متافسة غير شريفة مع زملائهم من الفقراء ، لأن الأثرياء يستطيعون أن يدفعوا أجور الدروس الخصوصية البالغة الارتفاع فى حين لا يستطيع الفقراء . ولكن النبوغ على كل حال لا يعرف الفقر ولا الغنى ولا يعرف الشعارات الجوفاء ولا يعرف اللافتات المقامة على الخواء . وانما يعرف أن يكون الطالب جادا يؤدى واجبه باخلاص واتقان . وان نظرة منك واحدة على المتفوقين تقنعك أن النبوغ يكون حيث يكون الاخلاص والاتقان فأنا لم أقرأ أن متفوقا كان يستعين بدرس خاص . جميعهم يعتمد على نفسه ويؤدى واجبه فيتفوق .

وهكذا يصبح كلام المدافعين عن الفقراء استغلالا لغير موجود ومتاجرة بعدم . فالذين يدعون الى دفع المصاريف فى الجامعة انما يدعون الى ذلك بالنسبة للأثرياء لا للفقراء .

وأخري • هل حسب هؤلاء أن الدولة حين تدعم أيا كان موضع دعمها انما تقدم أموالا من جيوب الوزراء أو من حسابات الأثرياء •

ان هذه الأموال التى تستهلكها الدولة انما تأخذها من أموال الشعب من كدح الكادحين ومن عرق العارقين • ليس هذا المال سائبة ولا هو قادما من السماء • فالخطب المستفيضة للابقاء على الدعم انما تدمر على غير وعى الأموال التى تملكها الدولة والقطاع العام • فالدولة تدعم الشعب من أموال الشعب ولا مجال هنا للمزايدة والمتاجرة •

وثالثة الأسافى • أيرى هؤلاء المدافعون عن مجانية التعليم أن يظل التعليم الجامعى مجانيا مهما يسقط الطالب • أليس من الطبيعى ان يحرم الطالب الفاشل الذى سقط تلك المنحة التى تهبها له الحكومة ليعطى فرصة لطالب آخر فالح أن يأخذ مكانه • أم ان الدولة ينبغى أن تنفق على الناجحين والساقطين والفالحين والفاشلين والجادين والهازلين •

أفيقوا الى ما تكابده مصر فليس الأمر هينا ولا يسير ، انه تراكمات عشرات السنين تحملها أكتاف مصر فى هذه الفترة من حياتها ويتحتم علينا نحن المصريين أن نقف صفا واحدا متراصا فالمصير مصيرنا جميعا واذا نحن لم نتكاتف فستبرغمنا الحياة ارغاما على مالا نحب ولا نرضى • فعالم المال عالم بغيض صلب المشاعر ، جامد الحس ، وليس يعنيه الى أى مصير يلقى ضحاياه •

وهو عالم لايعرف الخطب الرنانة ولا الكلام المتثائب ولا يعرف نفاق الجماهير على حساب الجماهير • ولا يعرف التظاهر بغير الحق ولا التشدق بغير علم •

ومصر اليوم تعتمد على ثقة الدول • والثقة لاتأتى عفوا وانما لابد ان يراها العالم تسير فى الطريق الأقوم والاقتصاد الأمثل • وهيهات أن تقوم ثقة من فراغ أو من خطابة لا تعنى شيئا أو الفاظ لا تتسم بالمنطق أو العقل أو الفهم الصحيح •

ومصر هى الدولة الوحيدة فى العالم التى تقدم التعليم المجانى فى الجامعة لا يماثلها فى ذلك دولة شيوعية أو اشتراكية أو راسمالية • ونحن مع ذلك لا ندعو الى الغاء هذه المجانية إنما ندعو أن تحجبها الدولة عن القادرين الأثرياء حتى تطيق أن تتيحها لمن لا يتمتعون بالسعة والغنى -

ومصر هي الدولة الوحيـدة التي تتحمل تعيين جميع الخريجين في وظائف أصبح الخريجون يزدرونها حتى لقد رأيت بعيني خريجين تخرجوا في الجامعة يعملون خدما في المنازل ٠ لا في الفنادق ٠ ومع ذلك لا تزال الدولة مصر أن تعين جميع الخريجين وقد نتج عن هذا بطالة في داخل الوظيفة وتحميل لميزانية الشعب بما لا يطيق ولا يعني هذا الا ضـمور الأموال التي ينبغي أن تنفق في مواضعها الصحيحة وانهيارا في المرافق العامة وذلك الانهيار على ما فيه من ارهاق للمواطن المصري يحمل في طواياه تدمير ثقة القادمين الينا بأموالهم مصريين كانوا أو أجانب وفي طواياه أيضا ما فيه من آثار محطمة لصلاتنا الاقتصادية بالدول التي يهمنا كل الأهمية ان تتوثق صلاتنا الاقتصادية بها ٠

ومصر هي الدولة الوحيدة في العالم شرقه وغربه وشماله وجنوبه التي تجعل نصف المشرعين فيها من العمال والفلاحين ٠ وهو أمر لا تأخذ به روسيا دولة البروليتاريا ولا أي دولة أخرى في شعارها وطبعا لا تأخذ به دولة حرة في العالم ٠ وفي ظل هذا النظام هيهات لنا أن نتمكن أن نصل بمصر الى ما يجدر بمصر حتى تواجه أزمتها الاقتصادية ٠ والذي لا شك فيه انه لا أمل لنا أن نصل الى الطريق الأقوم الا بالمواجهة دون زيغ أو خوف أو تهريج أو هتاف حناجر ٠٠

وان الله سبحانه الذي يمحق النفاق لايبارك الا الصادقين مع ربهم ومع أوطانهم ومع أنفسهم ٠

الأهرام ٢٤/٨/١٩٨٦م

الشريف الغريب !

نشأنا فى جيل كان شأنه عجبا . كان يقول ان الانسان لابد ان يكون شريفا حتى لا يحتقره الناس . وان الانسان ينبغى أن يحافظ على كرامته وان يكون صادقا مع نفسه ومع الآخرين حتى يقبله المجتمع النأى ، وكان يقول ان الانسان ان خادع الآخرين فترة ما فما أسرع ما يكتشف الناس أمره ويصبح بينهم مهينا محاطا بكل ألوان الاحتقار والازدراء وينصرفون عنه .

وكان فى جيلنا الكاتب يكتب ويترك للناس ان تحكم على ما يكتب فى غير تمويه ولا دعاية كاذبة جوفاء ودون انه يصرف همه الى الانحناء هنا وهناك على مكاتب الصحفيين لينشروا عنه كاذب الأنباء ومختلق الأقاويل . ونشأنا نرى أنه ليس هناك شرف يعدل شرف الكاتب . وكان الكاتب يعرف قيمة الأمانة التى يحملها بقلمه . وهكذا كان الناس يحلون الكاتب أرفع مكان من قلوبهم ومن ضمائرهم ومن مجتمعهم .

كان جيلا عجبا ، الشرف فيه هو الأصل . والخيانة استثناء . والأمانة مفروضة فيمن يتولون الوظائف العامة . وخيانتها نادرة . فما أن تقع حتى يرتفع لوقوعها ضجيج ضخم . والذين أشيع عنهم أنهم قبلوا الرشوة كانوا قلة يعرفهم المجتمع ويتجنبهم الناس فلا يدعون أحدا منهم الى بيوتهم ولا يوسعون لهم فى مجالسهم .

تقدمت سيدة أشيع عنها مالا يرضاه الخلق الرفيع الى محمد باشا محمود وذكرت اسمها له ومدت اليه يدها ليصافحها فاذا به وهو الرجل الذى تلقى علومه فى لندن التى تقدس التقاليد وتحترم السيدات غاية الاحترام .

اذا بهذا الرجل يضع يمينه خلف ظهره ويأبى أن يصافح السيدة وهى من أعرق عائلات مصر . ثم يستدير لها ويتركها ذاهلة .

وجاءت سيدة كانت حريصة ان تذكر المجلات أخبارها فى صفحات المجتمع الراقى الى وزير جليل وكان صديقا لأبيها وقصدت الى الوزير

على أمل أن يجيب رجاءها الذى تحمله اليه بما كان من صـــداقته لأبيها فاذا بالوزير يطالعها بصراحة لم تسمع مثيلا لها فى حياتها :

ـ هل أنت سعيدة أن تنشر الصحف عنك فى كل يوم خبرا وأنك دعوت فلانا وفلانا ودعاك فلان من الناس وفلان . لقـــد كان أبوك رجلا عظيما وأنا واثق انه لو كان حيا ما سمح لك أن تصنعى هذا الذى تصنعينه الآن من اساءة لنفسك ومن امتهان لذكرى أبيك . عودى الى بيتك يا ابنتى وكونى فى المكان الطاهر الذى تركك أبوك فيه .

ولم يستجب لرجائها ولم تستجب هى أيضا لنصيحته فكان جزاؤها أن جفاها المجتمع وحطمها وماتت بعد ذلك بعد أن سحقتها الحياة . فقد كانت الحياة تسحق أولئك الذين يحاولون أن يستهينوا بمقدسات المجتمع وقيمـه .

كان جيلا عجيبا . ثقافته كتاب ، وحديثه حول كتاب ، ومنتداه أدب رفيع وشعر سامق حلو الرنين عذب اللفظ كريم العطاء .

اذا أراد أن يسمع فأم كلثوم وعبد الوهاب فى القمة ومعهما أسماء لامعة متألقة تشق أصواتها ظلام الحياة بالنور والأمل والسعادة والهناء .

يختارون شعر أغنياتهم من أعظم شعراء العربية ان أرادوا شعرا ومن أعظم كتاب الكلمة المصرية ان مالوا الى الأغنية المصرية .

وبأصوات هؤلاء أصبحت اللغة المصرية عالمية بين الناطقين بالعربية جميعا تؤازرها المسرحية المصرية والفيلم المصرى . فان أراد العرب ثقافة فكتاب مصر وشعراؤها . وان أرادوا طربا وغناء فعلى القمة دائما أم كلثوم وعبد الوهاب وكل من نشأ فى ظلالهما . ومن أراد أن يشتهر أمره من المغنين العرب فمصر مسرح شهرته ومصدر اذاعته يعلمون جميعا أن الصوت الذى لا يسبقه (هنا القاهرة) لا يسمعه أحد .

وغنى الشعب أشعار شوقي وحافظ وعزيز أباظة وابراهيم ناجي وعلي محمود طه وأحمد فتحي وأحمد رامي وأبي فراس الحمداني وعبد الفتاح مصطفى وصالح جودت ومصطفى عبد الرحمن ٠

وغنى لامام الزجل المصرى بيرم التونسي وكتب شوقي الكلمة العامية وغناها له الشعب وكتب رامي وجودت الأغنية التي تسمو كلماتها الى أرفع ألوان الشعر وجاء من بعدهم الجيل المتألق من الذين رحلوا عنا منذ قريب ومن الذين مازالوا معنا أطال الله حياتهم حسين السيد ومرسى جميل عزيز وعبد الوهاب محمد وأحمد عبد المجيد وأحمد شفيق كامل وأخوانهم ٠

كان جيلا عجبا ٠ بدا فيه رعيل العمالقة ألوانا من الأدب لم يسبقهم فيه سابق ٠ جيل طه حسين وهيكل والعقاد والمازني والزيات وأحمد أمين وتوفيق الحكيم وتيمور ويحيى حقي ٠ كان جيلا كتب المقالة والقصة والرواية والمسرحية والتاريخ والنقد ٠ فلم يكن عجبا من بعد أن يأتي جيل التخصص نجيب محفوظ ومحمد عبد الحليم عبد الله ويوسف السباعي وعبد الحميد جودة السحار وعبد الرحمن الشرقاوي واحسان عبد القدوس وأمين يوسف ويوسف جوهر وباكثير ومحمود البدوى ٠ ولم يكن عجبا أن يلحق بجيلهم الجيل الثاني ٠

كان جيلا عجبا ٠ اذا أراد ان يضحك شاهد الريحاني وان تواضع فالكسار ٠ وجاء جيل المهندس ومدبولي وعبد المنعم ابراهيم وزملائهم وظلوا يقدمون على المسرح الفن الرفيع بلا اسفاف ولا استخفاف بعقلية الجمهور ولا بكرامته ٠

ما الذى حدث ؟!؟ وما هذا الذى فشا في اعراق الحياة وفي أنحائها ٠

ما الذى حدث ؟ ٠

كيف صارت السرقة والرشوة في الأصل ٠ وكيف أصبح المجتمع يقبل المجرمين ويضعهم في الصدارة من أبهائه ٠ كل من سرق أموال مصر أصبح عظيما وكل من مص دماء الشعب أصبح عند الناس علما ٠ أمسى المجتمع لا يعاقب أحدا بل غدا المال وحده هو السيد ٠

لم يصبح الشرف في ذاته قيمة ٠ فاذا لم يصحبه المال فهو عند ناس اليوم خيبة وجهل بالمسالك وغباء للطريق وانحراف عن معرفة الحياة ٠

أصبح خريج السجون خيرا من خريجي الجامعة ٠ وأرى بين الناس من يتباهى بانه منافق وبانه جبان وبانه صانع كل عهد ومسح كل حذاء

وقبل كل يد وجلس على كل مائدة فان لم يجد حولها كرسيا التقم الفتات كما يفعل الكلب الذى لا صاحب له · ذليل قيده من داخله · ضئيل فرض هو صغاره على نفسه ولم يفرضه عليه أحد ·

كنا فى جيل يبدأ الاحترام فيه من احترام الانسان لانسانية نفسه هو ويفرض بهذا احترامه على الآخرين · وأصبحنا اليوم نـــرى السفلة المنافقين يســـدون من الحياة آفاقها · ويصفق لهم المجتمع وتهلل لهم

أصبح الشرف غريبا فى حياتنا يتخفى عن العيون حذر السخرية وخوفا من التندر به · علا صوت اللصوص وطغى سلطانهم حتى أصبح لهم كتاب يمجدونهم ويتغنون بدناءاتهم لا يغنيهم ان يحقرهم النبلاء ·

اذا أراد الناس أدبا فما لا يفهم من الأدب وممن لا ثقافة له · وفيم يجهدون أنفسهم وما هى الا انحناءة هنا ومعها رشـوة ومذلة هناك ومعها دعوة حتى يصبح أمرهم شهيرا جهيرا وان كانت شهرتهم من فراغ واسفاف وغموض وتفكك وانحلال للشكل والمضمون معا ·

واذا اراد الناس أن يسمعوا فتلك الأغانى التى يرفض القلم أن يذكر من كلماتها كلمة ، بلة جملة ·

واذا أراد الناس أن يضحكوا فهذه الروايات التى يؤلفها الممثلون بالتعاون مع الجمهور على خشبة المسرح · وصفعة وركلة وبهلوانية وسخف وهذاء وتنابذ بالشتائم ومباريات فى الانحطاط أيهما أشـــد أفولا وأعظم تدهـــورا ·

غريب هو الشرف فى دنيا الناس اليوم وغريب هو السموق فى عالم الفن اليوم ، ترى ماذا يقول الأمس اذا أطل علينا من غيابات الماضى ·

لأحسب أن سيحمد الله أنه أصـــبح أمســـا وأنه لن يعـــود الى الحياة أبدا ·

الأهرام م ١٩٨٦/٧/٣١

المشتمة

كان لأحد وجهاء الريف محصول من القطن باعه الى أحد التجار ٠ وكان القطن فى تلك الأيام نوعين : أحدهما اسمه زاجورا وهو الأرخص والآخر اسمه سكلاريدس وهو الأغلى ثمنا ٠

باع الوجيه قطنه على أنه سكلاريدس وقبض العربون وحل يوم الاستلام وجاء التاجر وفتح الوجيه مخزنه وطالع القطن التاجر ٠

ـ ما هذا يا سيد بك ؟ ٠

ـ قطن يا حاج مسعود ٠

ـ أعرف أنه قطن يا سيد بك ولكن هذا ليس سكلاريدس ٠

ـ بل هو السكلاريدس بعينه شئت هذا أم أبيت ٠

ـ يا سيد بك هذا موضوع ليس فيه مناقشة ٠ هذا القطن زاجورا ٠

ـ بل هو سكلاريدس ٠

ـ من قال لك هذا ؟

ـ إنا لا أحتاج لأحد أن يقول ٠

ـ كيف ؟

ـ القطن قطنى أنا وأنا وحدى صاحب الحق فى تسمية قطنى ٠

وضحك الواقفون جميعا وصارت هذه الواقعة أمثولة عندنا فى الشرقية يرويها جيل عن جيل ، وكانت الأجيال وهى ترويها تعلم طبعا ان الوجيه صاحب القطن يعرف الحق ولكنه يحيد عنه قاصدا متعمدا ليمزح مع صديقه التاجر ولينتفع أيضا بفارق العربون الذى كان أكبر من عربون الزاجورا وقد تم له ما أراد وسلم قطنه بثمن الزاجورا بعد أن ضحك ملء قلبه من صديقه التاجر ٠

وظلت هذه القصة تثير فى نفسى الضحك كلما خطرت على ذهنى وظللت أرويها على أنها ضحكة من ضحكات الحياة وربما كتبتها فى الأهرام

قبل اليوم • ولكن الذى ذكرنى بها اليوم اننى تأملتها تأملا جديدا على ضوء أو على ظلام ما نشهده فى حياتنا فرأيت فيها عجبا •

تأملتها فى الساحة الأدبية فاذا بى أجد أن كثيرا من النقاد يفعلون فعل الوجيه سيد بك فى حكايته هذه التى مر عليها ما يقرب أو ما يزيد عن ستين عاما •

ان كثيرا من النقاد يرفضون الكتاب دون ان يقرءوه وهناك نقاد كثيرون آخرون جرأة يرفضون الكاتبين دون ان يقرءوا لهم • وتناقشهم فلا حجة لهم الا :

ـ هذا رأيى وأنا حر فيه •

ـ ولكن على أى أساس بنيت هذا الرأى ؟ •

ـ أنت لا تملك أن تسألنى فرأيى لى وحدى وأنا وحدى صاحب الحق فى القبول أو الرفض •

وهذا الحوار طبعا مؤلف فان نقادا على هذه الشاكلة يخطونه كل من يحاول أن يناقشهم •

أذكر أن أحد هؤلاء النقاد وهو أستاذ جامعى ومتخرج فى أعظم الجامعات قال لى يوما :

ـ أتدرى لماذا لا نكتب عنك •

والنون هنا ليست للتعظيم وان كان هو صاحب غرور منقطع النظير • انما النون تعنى القوم الناقدين الذين يدينون بعقيدته ويلتفون حول مذهبه • والحقيقة أننى كنت أدرى كل الدراية لماذا لا يكتبون عنى • بل أن كتابتهم عنى بغير المهاجمة أمر لم أتوقعه فى حياتى وأحسبه أنه يعلم أننى أدرى ولكنه أراد أن يضيف الى الأسباب التى تردهم عن الكتابة عنى سببا لا أدريه • قلت :

ـ ربما كنت أدرى ولكننى أحب ان أسمع منك •

فاذا هو يقول :

ـ اننا نرفض الكتابة عنك لأن طه حسين كتب عن أول رواية لك •• ماذا هل ولدت عملاقا كالتليفزيون •

وأذكر انني ضحكت فرحا أن كتابة العميد أحد الأسباب التى تحجب عنى كتاباتهم · وأنا باليقين اعتبر ان حرفا واحدا مما كتبه عنى العميد يعدل بل ويفوق كل ما كان يمكن ان يكتبوه عنى وان كالوا لى المديح ألوانا وأشكالا على الصورة التى تعودوا ان يكتبوا بها عن الذين ينتمون الى دينهم ومذهبهم ·

وأذكر قصة أخرى لا أستطيع أن أنساها · وقع خلاف بين أحد الرائيين وبين أحد النقاد واحتدم الخلاف وتطاير منه الشرر · وتصادف ان كنت جالسا مع الناقد فاذا هو يقول فى غيظ شديد ·

ـ والله ليرين كيف يكون عقابى عندما تصدر له رواية جديدة · ماذا يظن أليس روائيا ولابد أن يكتب رواية جديدة ·

ولم أعلق ولم يعلق أحد من الجالسين معنا وبماذا يمكن أن نعلق انه يرفض رواية لم يكتبها الكاتب بعد ويتوعدها بالويل والثبور وبعظائم الأمور وحتى لا نعدو الحق لابد أن نذكر ان الناقد قال ما قال فى فورة غيظ وغضب والمرء لا يحاسب على قول قاله فى فورة غيظ · ولكن الذى دهشت له ومازلت أدهش الفكرة التى راودت الناقد · وكيف أنه يتصور إنه يستطيع أن يرفع ويخفض دون موضوعية ودون تعمق للعمل ·

وثالثة كنت أشترك أحيانا فى الاذاعة فى ندوة لمناقشة كتاب أو رواية · وكم من مرة شهدت نقادا يشتركون معنا فى الندوة دون أن يقرءوا العمل موضوع المناقشة ·

كان هؤلاء يذكروننى بصاحب القطن الزاجورا الذى يرى من حقه أن يجعله سكلاريدس · فهم يدمغون الحق بالباطل فى جرأة منقطعة النظير وان كان صاحب القطن يمزح بما صنع فهم ـ للأسف ـ يظنون أنهم جادون ·

وظللت أحسب ان هذا الصنف من الناس موجود فى ساحة الأدب وحدها حتى أذن الله للحرية أن تعود الى مصر وظهرت الجرائد المعارضة ·· ياسبحان الله ·· ما هذا الذى يطالعوننا به ؟ اذا كان الأدب فنا والناس فيه تعتمد على ذوقها فان السياسة شأن آخر ·· انها شأن دولة ·

لقد بدءوا معارضتهم بالشتيمة وكان لها حين بدأت وقع فى نفوس المصريين ، فقد ظلوا قرابة عشرين عاما لايقرءون فى صحفهم الا تمجيد

الحكام ورفعهم الى سماوات الآلهة . وظلوا قرابة عشرين عاما يهمسون بالنكتة وان قرءوا في صحفهم نقدا فمغلف بالرمز متنكرا بالفن القصصي أو الروائي .

فالشتيمة في أول أمرها كانت نغمة جديدة على مسامع القراء . ولكن كل جديد من شأنه أن يصـــبح قديما . وان رحب الناس فترة بالجديد فانهم بطبيعة النفس البشرية سرعان ما يملون . ثم سرعان ما يزهدون . ثم ينصرفون والذى لاشك فيه ان الشتامين المعارضين يدركون ذلك كل الادراك ولكن يبدو أنها البضاعة الوحيدة التي يملكون .

ولكن المعارضة أسمى من ذلك وأرفع . وبغير معارضة لا ديمقراطية ولكنني أحسب أن الديمقراطية تستطيع أن تقوم بغير الشتائم .

فالشتائم أيسر شيء كتابة . وهى لا تليق بأصحاب الرأى . فكيف اذا صارت هي عمادهم الوحيد .

وقد يكون الشتم مظهرا للجرأة والشجاعة اذا كان رئيس الجمهورية سفاكا ظالما يعتقل معارضيه ويحطم أقلام الكتاب الذين لا يؤيدونه ويغلق الجرائد التي تهاجمه ويشرد الجماعات التي تـرى غير رأيه وتسـير في غير نهجه .

وكم يمض النفس ويملؤها حسرة أن الرئيس لو كان كذلك لأصبح الشتامون مداحين والمهاجمون مصفقين والمعارضون مؤيدين يرقصون على طبول الحكام ويهتفون بأبواقهم .

ولكن رئيس الجمهورية لا يصنع هذا الصنيع وما هو بجبـــار في الأرض ولا بالظالم العتى ولا هو من المنتقمين . فأى بطولة يجدونهـــا فيما يكتبون ؟

وان لهم من الكتاب العلماء أسوة . وهم أيضا معارضـون ولكنهـم شرفاء لا يتاجرون بأقدار مصر ولا يحاولون ان يعتدوا على الحق بالسباب ولا يفكرون ان يقيموا من أنفسهم أبطالا مزيفين بائعين في ســبيل ذلك مستقبل مصر وبلا ثمن . ومن أمثال هؤلاء الشرفاء وعلى رأسهم أستاذنا العلامة الجليل د. وحيد رأفت مالهم لايتخذون منه مثلا أعلى ولست أقصد بذلك الوفديين وحدهم وانما أوجه حديثي الى المعارضين جميعا بدلا من هذه المشتمة التي يبذلون أقصى الجهد ان يرسموا بها من أنفسهم زعماء

وقواد سياسة أو قواد حروب · ان كثيرا مما أقرأ لكتاب المعارضة كلمة واحدة لا تتغير فى عدد عن عدد آخر · أتراهم لا يحسون مقدار الملل الذى يستقبله به قراؤهم ؟

يا أبناء مصر · أذكروا مصر · ان المعارضة هى أهم ملامح المعارضة وبغيرها لا ديمقراطية · وما أوسع المجال لرأى المعارضة على ان يكون رأيا لا شتما · وحجة لا سبابا · ومناقشة لا همجية ·

انها مصر وهى تواجه فترة من أشد أوقاتها عسرا أحوج ماتكون الى الرأى · الا تدركون هو عصب هذا الزمن الذى نمر به ، اننا نعانى الأزمة العالمية ومعها تراكمات ثلاثين عاما من التجهيد والعنت والحروب والمؤامرات الخارجية التى كانت مصر تصدرها الى العالم فى الستينات وأصبحت اليوم مسرحا لها من أعدائها ·

أتحتمل مصر هذا جميعا مضافا اليه الشتائم والسباب والهجوم بدون مناقشة والاعتداء بغير حجة ·

علم الله ان مصر لا تحتمل اليوم الفتنة التى تثيرون · والفتنة — كما لابد أنكم تعلمون — لا تصيب الذين يشعلونها وحدهم بل هى تحرق ولا تفكر ، وتندلع ولا ترعوى ، وتفشو ولا تتريث ·

اتقوا الله ، واذكروا مصر ···

الصفح أجمل

حاولت بكل الجهد ان أصرف نفسي عن هذا الموضـــوع فتحت على الحاحا أعرفه منها اذا انشبت فكرة أظافرها فيها فهى لا تنثنى ولا ترعوى ولا يردها عما تريد كتابته شيء ٠

الكاتب الذى أريد أن أناقشــه من أحب الكتاب الى نفسى ومن أحب الى القراء ونحن أبناء جيل واحد واتصلت أســبابى به منذ ما يزيد عن ثلاثين عاما كلها ود وحب واخاء ٠ لم نختلف الا فى مقالين كتبناهما قبل أن نتعارف فكانا سبب صداقتنا بعــد ذلك ٠ ولذلك فأنا أرغم القلم ارغاما الا يذكر اسمه ولا أكاد أسيطر عليه ٠

وحتى هذه اللحظة يبدو أننى سأتمكن من الجام القلم عن ذكر الاسم، وأرجو الله أن أظل قادرا عليه حتى أنتهى من كتابة هذه المقالة بسلام ٠

فأنا لا أشك فى ان الكاتب الكبير حين كتب ما كتب كان واقعا تحت تأثير لحظة من لحظات الضيق الشديد التى تحيط بنا نحن الكتاب ولا نجد لنا عونا بعد الله اقلامنا نفزع اليها لعلها تفرج عنا بعض كربنا أو لعلنا نبثها ما يعتلج فى حنايا نفوسنا من شدة وسخط ٠

وأنا لا أشك ان شخصا ما كان السبب فيما ألم بكاتبنا من كروب ووقفت بينه وبين هذا الشخص سدود تذوده عن أن يذكر اسمه صراحة فأنزل سخطه على الناس أجمعين لا يستثنى أحدا ٠ حتى نفسه ما استثناها ولا هو أعفاها وكأنما يعاقبها لأنها غضبت ولأنها ترده عن انزال غضبه بمن يستحقه ٠

بدأ كاتبنا مقاله بمثل شعبى يقول « ان كان لك عند الكلب حاجة قل له ياسيدى) وهو مثل يرفضه كل انسان شريف وما جرى على ألسنة

الناس الا على سبيل النكتة والفكاهة والممازحة . وكل من يقول للكلب ياسيدى يصبح أقل من الكلب شأنا . ولكن كاتبنا الكبير لا يكتفى بهذا بل هو يصر على صدق المثل ويبادر قائلا وهو مبدأ صــحيح فى العلاقات السياسية والتجارية بين الدول والأفراد وهو يرى أن المعدة لا دين لها ويقول « نحن كلاب أسياد كلاب » والحقيقة أننى رفضت أن أجد الأهرام يشتمنى على الصبح ويشتم معى الانسانية جميعا دون ذنب جنيته أو جناه أحد من بنى الانسان . بل اننى غضبت لصديقى الكاتب نفسه وأبيت له ان يشتم نفسه ثم يستبيح ان يشتم الناس أجمعين مادام قد مهد بشتيمة نفسه . وليست العلاقات السياسية علاقة كلاب بعضها ببعض ولا علاقات الأفراد علاقة كلاب بعضهم ببعض .

وليست العلاقات التجارية علاقة كلاب . فالتجارة مهنة من أشرف المهن فى التاريخ والعلاقات بين التاجــر والناس علاقة منفعة متبادلة . ولولا هذه المنفعة المتبادلة بين الناس لأصبحوا ــ فعلا ــ كلابا يتخطفون مطالبهم بلا شرف ولا عقل ولا منطق ولا خلق . فالكلاب وكل الحيوانات لا تتبادل المنافع بينها ولكنها تأخذ ما تريد غصبا وبغير حق الا حق القوة والمزاحمة ، ولهذا فهى حيوانات ولهذا لم يكرمها الله وكرم الانســان ولم يجعل من الناس كلابا ويقول سبحانه وتعالى فى سورة الاسراء « **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » الاسراء آية ــ ٧٠ . فالانسان لن يكون كلبا الا اذا اختار لنفسه هذا وكم طلب ناس من صديقى الكاتب أنواعا من المعروف وكم أجاب وما كان الناس حين طلبوا كلابا وما كان صديقى . وانما كان حين يستجيب لرجاء انســانا فى أرفع درجات الانســانية . وما الانسانية ان لم تكن تواصلا ، ورحمة ، وحبا بين الناس ، واجراء للخير فى القنوات ، واشاعة للمعروف ، واستجابة لنداء مظلوم ، أو ذى حاجة ، وتفريجا لكربه ، وتخفيفا لأعباء الحياة .

وصديقى الكاتب من هؤلاء الذين لا يخيب عندهم رجاء وقد جربته فى كثير من الأمر فكان عندما أعلمه عنه .

أخى الكاتب الكبير لقد ضقت بواحد من الناس ذرعا ولم تدر كيف تقول عنه انه كلب فشتمت نفسك لأنك لم تعـرف كيف تشتمه وحده ثم أفرغت غضبك على الناس أجمعين ٠

ولكننا نحبك ويحبك القراء الذين شتمتهم ٠ فما ذنبهم عندك ٠

الله ان أظل قادرا عليه حتى أنتهى من لحظات الضيق الشديد التى تحيط لما بعض كربنا أو لعلنا نبثها مايعتلج فى وانما كان حين يستجيب لرجاء انسانا فى أرفع درجات الانسانيـة ٠ وما الانسانيـة ان لم تكن تواصلا ، ورحمة ، وحبا بين الناس ، واجراء للخير فى القنوات ، واشاعة للمعروف ، واستجابة لنداء مظلوم ، أو ذى حاجـة ، وتفريجـا لكربه ، وتخفيفا لأعباء الحيـاة ٠

والناس يا أخى حين تتواصل انما يجرون على سـنة الحياة التى أرادها لهم الله فى علياء سمائه وهو جل علاه يقول فى سورة الحجرات ٠٠ **« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شـعوبا وقبـائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير »** سورة الحجرات آية ١٣ ٠٠ هكذا أراد لنا العليم الخبير ٠ واذا كان قد جعلنا شعوبا وقبائل لنتعارف فمن الطبيعى ان نتراحم وان نتواصل واذا كانت هذه حكمة الله بين الشعوب فلا عجب ان تكون المودة هى أساس الصلات بين الأفراد فى هذه الشعوب ٠

والشاعر القديم يقول :

الناس للنـاس من بـدو وحاضرة
بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

وهم حين يفعلون انما يمارسون معنى من أكرم معانى الانسانيـة وأشرفها وأرفعها مكانا وأعلاها مرتبة ٠

والحطيئة يقول :

من يصـنع الخـير لم يعـدم جوازيه
لا يذهب العـرف بين الله والناس

وانت ياصديقى من هؤلاء الذين يصنعون الخير ٠ وانت ياصـــديقى لم تعدم جوازى هذا الخير ٠ وانت ياسيدى كريم حين صنعت الخير وكريم حين استقبلت جوازيه مشكورا حين صنعت ، مباركا حين استقبلت ٠

وأنت يا أخى الكاتب تكتب للنـــاس فليس يقـرؤك الكلاب ٠ وقد أكرمتهم حين اجتهدت جهدك وبذلت بذلك فى تثقيف نفسك ٠ وما كنت لتفعل لو لم تكن تحمل كل الاجلال والاحترام لقارئيك ٠ وقد جازوك عن هذا حبا واقبالا واعجابا ٠

أخى الكاتب الكبير ٠ لاشك أن بين الناس كلابا ولكن الناس تحتقرهم حين تعرف كلبيتهم وتسقطهم من قوائم الآدميين وتنزلهم منزلة أحقر من منازل الكلاب الذين خلقهم الله كلابا ٠

فحين يدلل الرحماء الكلاب ويهيئون لهـم المطعـم والمشرب تراهم يحتقرون كلاب الناس ويقبضون عنهم صداقتهم وودهم ٠

فكلاب الناس كانوا بشرا واختاروا لأنفسهم أن يكونوا كلابا حين لا يملك الكلب أن يجعل من نفسه بشرا ولو ملك ما نكص ولما استأخر ولبادر وسارع ٠

وهناك أيضا نوع آخر من الكلاب ذكره ابن الرومى فى بيتين شهيرين له أظنك تعرفهما وربما كانا من محفوظاتك وهى وفيرة ٠

يقول ابن الرومى :

ان للحظ كيميـــــــاء اذا مــا
مس كلبـــا احـــاله انسـيـــانا

يفعـــــل الله ما يشـــاء متى شـاء
كمـــا شـــاء كائنـــا ما كانـا

ولاشك ان الحظ مشغول بكيميائه فى أيامنا هذه مشغلة عظيمة فهو دائم الدوران بين أسافل الكلاب يحيلهم اناسا ولكنهم مهما يتكاثروا يظلوا فى الناس قلة قليلة ويظل الانسان هو الأصل وهو الأغلبية الساحقة ٠

أخى الكاتب الكبير أرجم من أهاجك ما طاب لك الرجم ولكن اياك أن تقسو على نفسك هذه القسوة التى أنزلتها بها ٠

أو الصفح وأنت به أولى ٠ وكم نسيت وكم نسينا وكم صفحت وكم صفحنا ٠ وما هى الا لمحة من زمن ثم نجد أن الصفح كان أحلى فى نفوسنا من النقمة ٠ وأن النسيان من أعظم منن الخالق على الانسان ٠

١٩٨٦/٩/١٤ م الأهرام

حرية خصمي حريتي

طالما ضقنا ذرعا بأولئك الذين يأبون علينا أن نتكلم في السياسة نحن الأدباء • وكم عجبنا أن تكون السياسة متاحة للجميع لايردهم أحد عن الحديث فهي موضوع من لا موضوع له وهي النقل بين المتنادمين وهي الشراب بين المتسامرين ، حل ماح للجميع أن يقول فيها ما يشاء وان خلا قوله من منطق وان جهل التاريخ القريب والبعيد • ومع ذلك نجــد من يرسل لنا الخطابات مالكم أنتم الأدباء وما للسياسة وعجبنا • أنكون لسان المجتمع ونبضه ومشاعره وأمله وغضبه ورضاه بعيدين عن الســياسة في حين يسومها كل جاهل بها •

احــرام عــلى بلابــله الدوح
حــلال للطــير مــن كل جنس

كــل دار أحــق بالأهــل الا
في خبيث مــن المذاهــب رجس

وبعد فقد كنا من قولهم هذا نعجب ، وكنا نقدم عجبنا بين أيديهم حتى فوجئت في الأسابيع الماضية بخطابين من شيخين ، أما أحدهما فيناقش الدكتور عبد المنعم النمر فيما رآه من وجوب الاجتهاد ولا بأس على الشيخ ان يناقش الموضوع بما يراه من حجج اما الخطاب الآخر فان الشيخ يرفض مني أن أتدخل في شئون الدين • ولو كانت هذه هي المرة الأولى التي أسمع فيها هذا الرأي لصرفت عنها القلم ولم أشغل نفسي ولاشغلت القراء بها •

وأنا لا أدري ماذا يريد الناس من الأدباء اذا كانوا لا يرضــون لهم الكلام في السياسة ولا الدين !؟ أنا أفهم ان نمتنع عن الافتاء في المسائل الدينية الشرعية التي استأثر بالعلم فيها المشايخ الاعلام والتي اختلفوا حولها اختلافا بعيدا حتى اننا نجد للمسألة الواحـدة ما يزيد عن خمسين رأيا • ولكن ألا يحق لنا أن نناقش مشايخنا في أمور ديننا ونعمل المنطق فيما يصدرونه لنا من فتاوى في الأمور الخلافيــة من ديننــا القيم الذي أرسل به سيد البشر وخاتم الأنبياء للناس كافة •

ألا يسمح لنا المشايخ أن نكون ناسا من هؤلاء الناس مادمنا نقف خاشعين مخبتين عند الفرائض التى لايجادل فيها الا ملحد أو زنديق . والتى لا مجال فيها لأعمال رأى أو لاجتهاد .

أما الموضوعات التى اختلف حولها الأئمة الكبار وعلى رأسهم الأربعة الاعلام ، ألا يجوز لنا أن نسأل فى شأنها وقد احتدم فيها الرأى بين مئات العلماء ثم صدر فرمان باقفال باب الاجتهاد لا نعلم من هذا الذى أصدره ولا نعلم من الذى جعله مقدسا لاتجوز مناقشته . ثم ها هو ذا شيخ من أعلام مشايخ المسلمين يزيل عن هذا الفرمان قداسته ويطرح الموضوع كله للمناقشة . فاذا أيدناه وجدنا من يقول لنا ما شأنكم أنتم بالدين فتزداد الأمور استبهاما علينا . أيريد بعضهم من الكتاب أن ينفى عنهم وطنيتهم ويريد البعض الآخر أن ينفى عنهم عقيدتهم . فماذا يبقى للكتاب بعد ذلك اذا حرم عليهم الكلام فى السياسة وهى عماد وطنهم وفى الدين وهو عصام عقيدتهم .

وكان مما أدهشنى أيضا هذا الأسبوع خطاب من سوهاج من فتى لن أذيع اسمه حتى لا أجعله بين ذويه أمثولة وانى أضع صورة الكتاب بين يديك . فاذا كان الفتى لايعرف كيف يكتب مادة قرأت فكيف يريد لنفسه ان يكون كاتبا والفتى يتهمنى اننى لم أقرأ أعمال الماستر ومع ذلك أرفضها . الحق يابنى أننى قرأت بعض ما وصل الى يدى من أعمال الماستر ولن أناقش هنا قيمته فأنا لم أرفضه . وانما أكبرت اتحاد الكتـــاب أن يكون بين أعضائه أولئك الذين لم ينشروا شيئا ورفضت اعتبـــار طريقة الماستر وسيلة من وسائل النشر فمنذ ظهرت المطبعة كف الناس أن يعتبروا هذه الطريقة وسيلة من وسائل النشر . وقانون اتحاد الكتاب ينص على ألا يقبل بين أعضائه الا من كان له عمل أدبى ملحوظ . وانى اسأل أصحاب الماستر هل أصبح أى عمل لهم أدبيا ملحوظا . واذا كان هذا الذى أرسل لى خطابه نموذجا لكتابهم أيرضون لاتحاد الكتاب أن يضم بين أعضائه من يخطىء أخطاء املائية بالغة السذاجة الى هذا الحد حتى ليكتب قرأت بهذه الصورة المضحكة التى تدل على أنه لم يقرأ فى حياته شيئا فاذا كان لم ينته بعد من مادة قرأ يقرأ قارىء فكيف يريد أن ينتقل الى مادة كتب يكتب فهو كاتب وعضو أيضا فى اتحاد الكتاب .

ومن الظلم القديم الذى تعرضت له حكاية مضى على وقوعها أكثر من عام ولم أشأ أن أرد عليها فى حينها لما توسمت فيها من هوان الشـــأن وكم كنت بعيدا عن معرفة قومى يومذاك .

.. نشرت احدى الصحف العربية خبراً مؤداه أن ثروت أباظة طالب بصفته رئيسا لاتحاد الكتاب ان تمنع مصر دخـول الشـاعر نزار قباني الى الأراضي المصرية ·

وتولاني العجب فالخبر مختلق جملة وتفصيلا · فأنا ــ أولا ــ لست بوابا على مداخل مصر وليس لي الحق أن أطالب بخروج أحد أو بدخوله ·

وأنا في هذه المرة التي زعموا فيها أنني تقدمت بهذا الطلب لقيت الشاعر الكبير نزار قباني في جريدة الأهرام ورحبت به كل الترحيب ودعوته أن يتناول العشاء في منزلي على عادتي كلما لقيته في القاهرة · وطلب الى يومئذ أن أنظره حتى يستقر به المقام وكان هو قد دعاني الى بيته في بيروت حين كانت بيروت لا تزال على قيد الحياة · وان صلتي بالشاعر الكبير كلها حب متبادل واعجاب متبادل · وأنا في دخيلة نفسي لا أحاسب الشعراء على آرائهم السياسية وأمتثل لقوله تعالى عنهم « **ألم تر انهم في كل واد يهيمون · وانهم يقولون مالا يفعلون** » الشعراء الآيات ٢٢٥ ، ٢٢٦ · وأتمثل في شأن الشاعر نزار بقول المتنبي :

فان يك الفعل الذى ســاء واحدا فأفعـاله اللائي سررن الوف

ولا بأس عليه أن يغضب فيقول فهو ما يلبث أن يعود فيرضى ويقول أيضا · هذا هو موقفي من الشاعر نزار قباني الذى أعتبره علامة من العلامات الكبرى للشعراء · في العصر الحديث والذى أكبر موهبته الفذة واستعذب شعره الأصيل وأستمتع به ·

لهذا جميعا كففت نفسي أن أكذب هذا الخبر السخيف الذى نشر عني وتوقعت أن يكذبه نزار القباني نفسه ولكنه لم يفعل والتمست له العذر وقلت ربما لم يعلم به · ولكنني فوجئت بالجرائد والمجلات العربية كلها وليس لها حديث الا هذا الخبر · وكيف يمنع ثروت أباظة الشاعر القباني أن يدخل البلاد المصرية · وأقرأ وأزداد دهشة وعجبا ·

وكتب صديقي رجاء النقاش مقالا يسيل رقة ويقطر سما في مجلة « التوحة » يعيذني أن أفعل هذا الذى يظن أنني فعلته ويذكرني بأنني ابن دسوقي أباظة الذى لقب بأبي الشعراء فكان ملاذهم وموئلهم وراعيهم·

وازداد عجبي فرجاء يعرفني ويعرف انني أبعد ما أكون عن مثل هذا الصنيع • ولكنه لم يكتف بهذا بل زاد أنني أطلب مصـادرة الكتابات الشيوعية فكانت هذه بداية حملة أخرى شنها الشيوعيون كيف يجوز لرئيس اتحاد الكتاب أن يطالب بمنع الكتاب من قول رأيهم • وقد تمكنوا من اختـلاق الأكذوبة ومهاجمة الشخص الذى ألصقوها به ووجـدوا من يصـدقهم • ورئيس تحرير مجلتهم رآني أدافع عنهم فى المجلس الأعلى للصـحافة لأن الأمر المطروح كان يتعلق بالحرية وبالعـدالة ومع ذلك استباحوا لأنفسهم أن يرمونى بهذه التهمة حين طالبت أن تكون لكل صحيفة فى مصر سمات واضحة ولا تكون الجرائد متميعة الرأى مختلطة المفاهيم • وهم قد رأونى فى اجتماع هام خطير طالب بعض الحاضرين فيه باغلاق جريدتهم أعارض هذه المطالبة في حسم قاطـع وأرفضه كل الرفض • وأنا لم أصطنع موقفي هذا من مكانى فى اتحاد الكتاب وانما الحرية هي عقيدتى التى أدين بها بعد الاسلام • وهل الإسلام إلا الحرية • واذا خنت حرية خصمى خنت حريتي وخنت نفسى وأنا والحمد لله أعتقد انني ما خنت نفسى قط • ولا دعاء لى الا أن ألقى الله قبـل أن ترغمنى الحياة أن أصنع ما لا أرضى لنفسى من صنيع • وانه سبحانه قادر أن يبلغنى هذه النشيدة • فانه هو القريب وهو هو تقدست أسماؤه يجيب دعاء المخلصين من عباده جل علاه •

الأهرام ٢١/٩/١٩٨٦ م

هـــم والآخـــرون

من عجب أن الانسان يأبى أن يستفيد من تجارب الآخرين • ولو أن كل جيل انتفع بتجارب الجيل الذى سبقه لأصبحت الانسانية فى مستوى غاية فى الرفعة ولأصبحت الحياة نعيما لا مثيل له •

وهذا الرفض لتجارب الآخرين قديم قدم البشرية فان يكن آدم قد أخطأ فأكل من الشجرة المحرمة • وان يكن قابيل ارتكب الخطيئة الأولى فى حياة البشر فان أبناء آدم أصبحوا جميعهم خطائين وان تفاوتت بينهم درجات الخطيئة •

ثم تعاقبت الأجيال وكل انسان يعتقد أن ما حدث لغيره لا يمكن أن يحدث له • وأصبح كل مجتمع يظن أن ما حاق بالمجتمع السابق لا يمكن أن يحيق به • ولو أن الأجيال المتعاقبة أخذت العبرة من التاريخ ما تعاقب الأنبياء • ولما أرسل الله سبحانه وتعالى الى الأرض الا نبيا واحدا • ولكن كيف وكل أمة فى التاريخ تجاهلت ما وقع للأمة السابقة ويقول سبحانه وتعالى فى سورة الأنعام « **وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم • ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهـــارون وكذلك نجزى المحســـنين • وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين • واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضـــلنا على العالمين • ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم** » الأنعام الآيات من ٨٣ ـ ٨٧ صدق الله العظيـــم •

فهو سبحانه أرسل كل هؤلاء الذين جاء ذكرهم بالآيات الكريمات لأن أقوام هؤلاء الرسل جميعا لم يعتبروا بما وقع للقوم الذين سبقوهم الى الحياة والى الموت أيضا • ولم يتدبروا العظة فى اهلاك الله للقوم الكافرين على مدى السنوات الطوال التى أرســل فيها هؤلاء الرسل • وقد كان العقاب من الضخامة والهول بحيث أن بعضا منه كان كافيا أن يردع الأمم التى بعده ، ولكن هيهات فما قمعهم الأهــلاك بالرياح ولا بالعواصف ولا بالحواصب • لا شىء أجدى معهم • حتى شاء سبحانه أن يختم رسالاته

الى الأرض فأرسل سيد الأنبياء وخاتمهم بالكتاب الكريم المعجزة الخالدة الباقية حتى اليوم لأن كل المعجزات البصرية لم تكن ذات جدوى مع الأمم التى خلت • فما نفع معهم سفينة نوح ولا نار ابراهيم ولا عصا موسى ولا احياء الموتى من الانسان والطير • فجاء القرآن • فهل من مدكر • هيهات • قليلا ما يذكرون •

ان القرآن الكريم هو الرسول الخالد على الأرض • ولكن الناس أبعد ما يكونون عن روحه السامية الرفيعة • فهم لا يأخذون من تجارب الأمم قبلهم ما ينفعهم فى حاضر أيامهم وقابلها •

والعجيب الأعجب أن الدولة وهى الدولة لا تنظر الى تجارب الآخرين ولا تفيد منها وتحل بها الأزمة الاقتصادية الطاحنة فتغض النظر عن الأدواء السفاكة التى تنشب أظافرها فى كيانها وتروح تبحث عن الدواء فى شتى مظان ومختلف سبل وتأبى كل الاباء أن تعمل الدواء الوحيد الذى ينقذها والذى تعلمه غاية العلم ومع ذلك تتجاهله •

فى أى دولة من دول العالم صدر قانون يجعل الفلاحين والعمال يمثلون على غير أساس من علم أو ثقافة أو حتى دراية الخمسين فى المائة من المشرعين فى الدولة والخمسين فى المائة من مجالس ادارات الشركات فتكون النتائج فادحة الخسران بالغة التدهور • وهل سمع أحد فى العالم أن دولة ما بها أربعة عشر ألف قانون سارية المفعول فى وقت واحد • صدر أغلبها بغير بحث ولا استقصاء ولا دراية ولا خبرة •

وتكون النتيجة أيضا قطاعا عاما يمتص فى شراهة سرطانية أكثر من مليار جنيه سنويا ونجد محلات بيع مملوكة للقطاع العام ، الأمر الذى لا نشهد له مثيلا فى أى دولة حرة • ولا فى أى دولة اشتراكية • ذلك ان المحلات فى الدول الاشتراكية جميعها مملوكة للدولة فهى كلها قطاع عام فليس لها منافس من القطاع الخاص مثلما الأمر عندنا والنتيجة الطبيعية انهيار هذه المحلات ويدفعها الى الهوة عمال بها لهم وجوه ذات جهامة وكشرة ، وكبود ذات غلظة وقسوة ، غير منتمين هم الى مصادر رزقهم وما بعجيب منهم الا أن ينتموا لوطنهم ولا يشفقوا على مواطنيهم فى الخطاب على الأقل وفى اللسان الرطب • وما لهم لا يغلظون وهم يعلمون أنهم بالغون مرتبهم أول الشهر فقابضوه حتى وان قبضوا أرواح الزبائن وما لهم لا يعنفون بالمشترين وهم يعلمون لا عقاب هناك بل ولا حساب ولا مساءلة • هكذا قانونهم وهكذا قوانين جميع العاملين فى القطاع العام •

وأعجب معى للدولة تستطيع أن تخرج الوزير فيها والمدير فى غمضة عين ثم تقف عاجزة أمام كل العاملين فيها .

لا عبرة عند الدولة فلا هى تنظر الى يمين من دول ولا الى اليسار . فالدول ذات اليمين تفصل عمالها . والدول ذات الشمال تنزل بعمالها المهملين ألوانا من العقوبات لا حدود لها ويكفيك أن تعلم أن القتل من بينها بما يقف فى حظيرته من نفى وسجن وما يلى ذلك من عقوبات .

ويتوقف الانتاج فى القطاع العام أو يكاد ولا تنظر الدولة الى ديننا السماوى القيم الذى يعد المحسنين بالجنة وأنهار من عسل ولبن لم يتسنه وحلوا أساور من ذهب ويتوعد المخطئين بالنار وشجرة الزقوم وماء من حميم لا يموتون فيها ولا يحيون . ولا تنظر الى القول المأثور أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

والدولة تأبى أن تستفيد بتجارب دول العالم من يمين ويسار فى التعليم فتسمح للطالب القادر الفاره الغنى أن يستلب من أموال الدولة آلاف الجنيهات يتعلم بها دون أن يبذل للدولة بعض حقها عليه وليس يخجل أن يقصد الى معاهد الدراسة بالسيارات الفاخرة اشتراها له ذووه بالأثمان التى لا يطيقها الا أولو الثروة الخالبة الباذخة .

يسرقون على أنفسهم اسرافا لا خجل فيه ولا قصد وينتهبون الدولة بغير حياء ولا خلق . وما لهم لا يفعلون والدولة تفسح لهم من الطرق أوسعها ليسوموا أموالها الخسف والانتهاب .

والمعارضة لا تتخذ من الماضى القريب عبر فتعتبر ، فاذا هى اثارة للفتن وتهجم على كل ذى كرامة . وتنابز بالألقاب وتدمير للمعانى الشريفة . لا عمل لهم الا السخرية دون النقد والهدم بغير بناء والاساءة خلت من العقل ، والتمزيق الفاحش لكل انســـان ، لا يراعون الله ولا يفكرون فيما قد تجره عليهم الفتنة من وبال وجحيم .

واذا كان هذا شأن الدولة والمعارضة فما بعجيب أن يكون هذا شأن الأفراد من وزراء ورعية .

فأما الوزراء فكثير منهم يفكر فى قول الحكيم : (لو دامت لغيرك ما آلت اليك) ، فهم يعضون على كراسيهم بالنواجذ وهم فى عضهم هذا

يخشون أن يوقعوا قرارا أو يصدروا أمرا محيرين هم عيونهم تدور فى رءوسهم خوفا على كراسيهم وذعرا من المعارضة ومن غير المعارضة ٠

ولو أن كل وزير منهم استلهم ضميره ونظر الى ربه والى صوالح وطنه وأصدر ما يرى أنه الحق من القرارات لما كان هذا حالنا ٠ فما لهم يخشون الناس ولا يخشون الله ، والله والوطن أحق بالخشية ٠

واذا كان هذا شـــأن بعض الوزراء فما بعجيب أن نرى الافراد لا يعتبرون بما وقع على أمثالهم عبر الحياة معتقدين أن ما حدث للغير لايمكن أن يحدث لهم ، فكل مجرم منهم يحسب أنه أوتي من الذكاء والفطنة ما لم يتأت لأحد قبله ٠ وان كان المجرمون من قبله قد حل بهم العقاب فلأنهم لم يكونوا فى مثل ذكائهم وفطنتهم ولباقتهم وعلمهم بأبواب السرقة والنهب والفجور ٠

ان جميع المجرمين والمنحرفين تزخم نفوسهم بالغرور ويظنون أنهم يستطيعون أن يماكروا الله والقانون والمجتمع ٠ ويرفضون أن يصدقوا أنهم بشر من البشر وأن العقـــاب الذى حل على من قبلهم واقع عليهم لا محالة ٠ وأن الله سبحانه وتعالى هو خير الماكرين ٠

خطاب كريم

جاءنى هذا الخطاب الكريم من الأستاذ العالم عدنان أسعد ٠

كاتبنا الكبير الأستاذ ثروت أباظة ــ دام تحية وبعد :

فى مقالكم بالأهرام تحت عنوان (الصـلح أجمل) ٠٠ ذكرتم بيتا لشاعر قديم هو :

الناس للناس من بدو وحاضرة ٠ بعض لبعض وان لم يشـــعروا (خدموا) بقولـــكم (خدموا) فى آخر البيت على أنه فعل ماض ٠٠ والصـــواب هو (خدم) على صـورة جمع التكسير ، جمع لخادم ٠ والذاكرة قد تخون أحيانا فى المحفوظ صوصا اذا صح الوزن وصح المعنى ٠

وقلتم كذلك (أخى الكاتب الكبير أرجم من (أهاجك ما طاب لك الرجم) ، والمعروف لغة أن الفعل (هاج) ثلاثى متعد بنفسه فيقال (هاجه) ولا يقال (أهاجه) .

هذا ولولا أستاذية الكاتب الكبير ومكانته بين محبيه من القراء ، لما ذكرت هذه الهنات الهينات ، فللأستاذية مسئولية القيـــادة . ولكم تقديرى والسلام .

تعليق : أشكر لك كريم تصحيحك وكريم رأيك واستاذنك اننى وجدت أهاج بالقاموس فيقول أهاجت أهاجة الريح النبت : ايبسته فأرجو أن أكون مصيبا وأكرر شكرى .

الأهرام ١٩٨٦/٩/٢٨ م

خـــواطر ونقـــد

كم من خاطرة راودتني في هذا الأسبوع وكم أردت أن أصيح بأقوام أن اسكتوا عن باطلكم حتى يتاح لنا ان نسكت عن حقنا • فويل لزمان يعلو فيه صراخ الباطل ويتخافت فيه صوت الحق ، وويل لزمان يجعل المشرق مغربا والمغرب مشرقا • ويجعل الهوان مجدا والمجد هوانا ويل لزمان يتواثب فيه الزبد على أكتاف الجوهر • والخبث على أعمدة السموق وكم قاسيت من نفسي وكم قسوت عليها أن تكف عن المضى في هذا السبيل الذى أصبحت أضيق بالكتابة فيه زهدا واجلالا للقراء أن أجعلهم يقرءون عن أمر هم به محيطون • وبعضهم اصطلى أواره وبعضهم به من أثاره جروح دامية لم تزل وما أحسب ان دماءها ستنضب • وكم كففت نفسى حتى لا أقول ما يعرفه جميع بنى آدم ان كرامة الانسان وعرضه هما أثمن ما فى الانسان ، وان الانســان هو سيد المخلوقات • ولا شىء فى العالم يعوض الانسان عن سحق الآدمية فيه • ولا شىء فى العالم يعوض الشعب عن اذلال وطنه فى ساحات الشرف وامتهان عقيدته وهى طريقه الى السماء •

أيها القلم فلتكف فورا عن الاسترسال فانى أعلم اننى اذا لم أقمعك بعزم ستمضى لا تقف •

هل بنا الى ديوان شعر جديد ظهر لصديق قريب الى نفسى قرابة أخ وحى ديوانه معى فان هذا لا شك أحب اليك من حديث تمقته وأين حلاوة الشعر من مرارة الأسى •

أما الديوان فهو « **لا تسالينى** » وأما الشـــاعر فهو العالم الأديب **الأستاذ الدكتور عبد العزيز شرف** • وما عبد العزيز بغريب عن قراء العربية عامة ولا عن قراء هذه الصفحة خاصة فهو من عمدها •

هذا الديوان فيض شعور فهو أشبه ما يكون بلحن جميل متناغم المقاطع عذب اذا قرأته انتشيت واذا أعدت قراءته أعجبت ، اقرأ معى :

كنت ألقـــاها صـــباحا فتلاقينـــى العشـــية
ثم تأســو لى جروحـــى بالأغـــانى العبقريـــة

آه من لفظ حبيبي في أغانيها الشجيه
آه من جرح قديم قد تولت هي ريه
وتناءت ذات يوم مثل أعراض التحيه

كم هو جميل قوله مثل أعراض التحية · ولا أحسب أن الدكتور عبد العزيز قد ذكر الأبيات الجميلة عن التحية حين ألهمته شاعريته هذا التعبير الشعرى المشرق أما أنا فتذكرت تلك الأبيات القديمة ·

بيضاء باكرها فصاغها بلباقة فادقها فأجلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبي . ما كان أكثرها لنا وأقلها
فدنا وقال لعلها معذورة · من بعض رقبتها فقلت لعلها

وما أجمل الشعر الذى يذكرك بالشعر الجميل وهكذا استطاع عبد العزيز أن يجعل هذه الأبيات الرائعة تثب الى خاطرى · ونعود الى الديوان ونمضى بين بساتينه الفواحة العبير · ونقف عند نفثه :

ضاقت بى الدنيا كأنى خصمها يا قلب واللقيا طوتها الأنجم
صحبى وحبى والكرامة كلها مما أعاهد بالوفاء واكرم
ان الوفاء سجية لك هل ترى تدع السجية للشكاة وتحجم
وأنا الذى قد عافها ، ومقاله ما زال ينضح بالسلام ويبسم
آثرت بالحب الذين وددتهم ما بالهم ظلموا ولم أك أظلم

وأن أجمل ما فى هذه الأبيات أنها تجمع بين البساطة الحديثة وبين الأصالة العربية العربية · وأعجب معى لأقوام يقيمون موازين للجمال من صنعهم ما أنزل الله بها من سلطان · ان الشعر الجميل جميل فى كل عصر · وان أثره هو أثره منذ الجاهلية الأولى وحتى اليوم وانه ليتسرب الى النفس فيشيع فيها اسمى معانى الانسانية وأشرفها حتى كان الانسان يدف بجناحين ملكا فى السماء بعيدا عن الأرضية وكل ما فى البشر من شرور ·

وقد أحسن الدكتور شرف صنعا بذلك الفصل الذى أضافه الى الكتاب بعنوان « **مع النصوص الشعرية** » بقلم الدكتور كمال اسماعيل والفصل من أعمق البحوث التى قرأتها عن الشعر · وحين يتكلم الدكتور كمال عن عبد العزيز شرف يقول فى أول حديثه : زعم أحد المثقفين ان الدكتور عبد العزيز شرف رومانسى وتساءل هل نحن بحاجة الى مزيد من

الرومانسيين • وأترك الدكتور كمال اســـماعيل يجيب اجـابة مفصحة وأتناول هذه القضية التى يثيرها بعض النقاد حين يصنفون الشعراء والكتاب عامة الى رومانسيين ورمزيين وواقعيين فتلك من المضحكات المبكيات فالشاعر أو الكاتب لا يعير هذه التصنيفات أى التفات • وانما هو يلتقى مع نفسه ويكتب فنه وليس يعنيه فى قليل أو كثير هذا التصنيف بل اننى أحسب انه لا يعنى أحدا •

واسمحوا لى الآن أن أقدم رواية قرأتها فما دمت قد أمسكت قلم الناقد وطفت به فى بحور الشعر فمن حق الرواية على أن أتناول ربوعها بالحديث وأنا منها وهى منى على وشيجة من القربى وعلى آصرة من الحب لا تجيزان لى أن أنساها اذا أنا ولجت من باب الناقدين •

الرواية من أعظم ما قرأت فى السنوات الأخيرة وكاتبها الناقد العالم المتمكن العميق الدكتور نبيل راغب • وليس نبيل غريبا على الرواية فقد مارسها سنوات ناقدا وأستاذا ودارسا ثم كتب بعد ذلك عدة روايات فاستطاع أن يفلت من أسوار النظريات الى ساحات الفن المترامية الأطراف •

وروايته هذه التى قرأتها أخيرا هى « **درب الشوك** » وقد استطاع نبيل فيها أن يمزج فى براعة فائقة بين التاريخ القريب وبين الابداع الفنى حتى لقد ظن كثيرون ممن قرءوها أنها وقعت وانه انما يروى وقائع ولا يبدع فنا • ويوشك كثير من القراء أن يردوا كل اسم من أسماء الرواية الى اسم انسان عرفه الشعب المصرى وذاع أمره فيه •

وأشهد اننى لم أقرأ عملا مشابها لرواية الدكتور نبيل راغب قبل هذا وأشهد أنه وفق غاية التوفيق فى هذا المزج الرائع بين التاريخ القريب وبين الفن الروائى •

وأما الرواية من الناحية الفنية فهى شـــائقة السرد • ولا يزال التشويق من أهم مقومات الرواية وان رغمت أنوف •

واننى أهنىء الأســتاذ الدكتور نبيل بروايته هــذه وأهنئه بلغته العربية الجميلة المتدفقة فى طبيعة وفى غير قسر ولا اصطناع وأرجو أن يضيف الى مكتبة الرواية كثيرا من هذه الأعمال الرائعة •

الأهرام ٥/١٠/١٩٨٦ م

الحيـاء قـوام الحيـاة

ما أكثر الأقلام التى حاولت أن تزيف التاريخ فاذا التاريخ يدفع زيفها ويكشفها ولا يبقى على صفحاته الا الحق أبلج ناصعا نقيا . وما أكثر هؤلاء الذين كتبوا التاريخ من أغوار مصالحهم الشخصية ، ومن ثنايا عواطفهم ، ومن أعطاف منافعهم ومن كشوف حساباتهم فى البنوك . والتاريخ من هؤلاء جميعا بمرقب عتيد .. فهو بعين نافذة ، وبصيرة تخترق الحجب يصل الى البعيد القصى من أغوار الحقيقة فلا يصـــح عنده الا الصحيح ويذهب الزبد جفاء تذروه الرياح وكأنه ما وجد .

وكم من أقوام حاولوا أن يمسكوا الدفوف فى زمن المنافقين وكم تباروا أن يرفعوا أصواتهم لتلتهم أصوات الحق فبحت منهم الأصوات وسجل الحق صوته على صفحات التاريخ وذهبت دفوفهم ومزاميرهم أدراج الرياح كأنها ما كانت .

ولقد نشـــهد اليوم أقواما منهم يكتبون عن أكتوبر ولا يذكرون السادات العظيم ، وهم فى عماية منهم وحمق يحسبون أنهم يستطيعون بذلك أن يقصوا السادات عن التاريخ .. وهيهات .. فان أعمال السادات الخالدة قد حفرها الزمن فى سجل التاريخ وما قدره الله كان ولا راد لمشيئة الحق سبحانه تعالت أسماؤه وتقدست .

ان السادات هو صاحب قرار أكتوبر ، وهو الذى صنعه ، وهو الذى اختار قواد جيشه عن علم منه واخلاص ، كل الاخلاص لمصر دون نظر الى هوى ودون ميل عن القصد . ثم هو ــ وقد وثق بوطنيتهم وعظمتهم ــ أطلق أيديهم ليجهزوا جيوشهم ليوم اللقاء . فكان نصر أكتوبر الذى يبقى على الزمان حتى يرث الله الأرض وما عليها .

ولقد يسقط الحياء عن وجوه بعض الكتاب فيقولون انه لولا اندحار يونية الذى لم يعرف العالم له مثيلا فى الذل ولا شبيها فى الهوان ولولا ما تلاه من هزائم منكرة تزيد البلاء فداحة والجروح عمقا والخيبة مرارة والفشل احباطا .. ولولا ما كان من حرب الاستنزاف التى بكى لها المصريون

بالنكته الحزينة الملتاعة والتى سخر منها العالم والتى مع ذلك زادت قتلانا عددا وجراحنا ألما ومصيبتنا سوادا ونفوسنا أسى وحزنا وفجيعتنا ثقــلا ٠

لولا حرب يونية الماحقة لكرامتنا ولولا ألعاب الاستنزاف وأكاذيبه وأضاحيكه التى كان ثمنها أرواحا هى أرواح أبناء وآباء وأخوة استهان بها الحكام من أجل تمثيلية حقيرة أكثر ضآلة وهوانا من أن نقول عنها انها هازلة ٠

لولا هزيمة يونية وما تلاها من صمود واستنزاف خائبين لما كان لنصر أكتوبر معنى ولا قيمة ٠

أيستطيع الحياء أن يغيب عن الوجود الى هذا الحد ٠ ان الحياء هو قوام الحياة ٠ وبلا حياء لا حياة ٠ وما الانسانية كلها الا الحياء والا صار البشر شأنهم شأن الحيوانات التى لا عقل لها والتى تصنع كل صنيع فى علن فهى حين يتخفى البشر حين يأتون ما يخدش حياء الآخرين ٠

واذا كان الحياء هو قوام الحياة لسـائر الناس فهو عند الكاتب حياته كلها وقيمته وبغير حياء الكاتب تسقط حياته جميعا لأن الكاتب يعلن الناس بوقاحته على الحق ٠

وحين يفعل يكون واحدا من اثنين لا أدرى ولا يدرى أحد أيهما شر من صاحبه ٠ فهو اما أن يصارح الناس بأنه خلع أثواب الحياء وليس يعفيه أن يمشى بينهم بغيرها أو هو يجابه الناس أجمعين والتاريخ أيضا بأنهم أغبياء وأنهم لا يفهمون وأنه يستطيع أن يخادعهم ولا يكشفوا خداعه ويماكرهم ويقصروا عن الوصول الى حقيقة أمره ٠

وكلا الأمرين أكثر فجورا من صاحبه ٠

اذا قلنا انه لولا هزيمة يونية لما كان نصر أكتوبر ٠ لجاز لنا اذا أصاب شخص آخر فى مقتل وجاء طبيب فانقذ المصاب المشفى على الموت أن نصفق للقاتل لا للطبيب البارع ٠ فانه لولا أن القاتل رمى المصاب فى مقتل لما استطاع الطبيب أن يحقق المعجزة التى حققها ٠

بهذا المنطق الأخرق المأفون يتحدث عبيد الطغيان عن أكتوبر والأدهى من ذلك والأمر انهم يريدوننا ان نلغى عقولنا وعقيدتنا ومشاعرنا ونؤمن بهذا السخف الذى يحاولون أن يفشوه بين الناس ٠

ولكننا نذكر قول الله تعالى « **أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء أنا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا** » سورة الكهف آية ١٠٢ وصدق الله العظيم ٠

لقد كان السادات رجل التاريخ وان رغمت من الأنوف أنوف ٠ ولقد خط اسمه على مشارق الأرض ومغاربها ٠ وحقق النصر الذى أعاد الكرامة لمصر وللعرب أجمعين ٠ وجعل الأعزة حماة مصر يشعرون أن مصر مصرهم لا مصر فئـــة ولا جماعة ٠ وانها هى الأم والنشيدة ٠ وانهـــا أمسهم ويومهم وغدهم وغد أبنائهم وأحفادهم حتى تقوم الساعة ٠

وبايمان عميق بالله العلى القدير القـــاهر فـوق عبـاده وبحب صادق مبارك من السماء لمصر ٠ انتصر العمالقة الاعلام من بعد هزيمة كانوا فى مواجهتها محجوبين عن أبواب السماء ٠ وكانوا حين وقعت بهم أبعد ما يكونون عن مصر لا يشعرون أنهم يملكون من أحضانها أنملا ولا من احنائها ضلعا ولا من أنحائها ركنا ٠ فكانت الهزيمة ٠ فاذا قالوا الله أكبر أظلهم الله برعايته واذا قالوا مصر لنا انقدحت شرارة حبها فى كيانهم ٠ وكان النصر ٠

وأتبع السادات نصر الحرب بنصر سياسى لم يشهد التاريخ له مثيلا فكان أن شق صخور اللهو والشعارات الفارغة والصراخ الأجوف والهزل المائع واتخذ سبيله أمما الى بيت المقدس ووقع الصلح الذى تتقطع الأنفاس اليوم من الذين عارضوه ليصلوا الى قصاصة منه فتنغلق دونهم المسالك وتقفل الأبواب ويحيط بهم الفشل والاحباط ٠

لقد أنقذ السلام أرض مصر من الضياع ٠ وأوقف تدفق الدماء التى سالت من أبناء مصر على مدى ثلاثين عاما ٠ وحول مجرى المال الذى كانت تبتلعه صحراوات الحروب المتتابعة الى مرافق مصر المتهرئة المنهارة ٠

وانى لأسأل ولن أجد من يجيب ٠ الى أى مصير كانت ستلقى مصر لو أنها ظلت الى اليوم فى حروب لا تنتهى ٠

واذا كنا فى ظل السلام نعانى هذه الأزمة الطاحنة التى نشـــقى بها فماذا كنا صانعين اذا كنا لا نزال فى حالة حرب تنتهب فى وحشية ضارية كل أموال مصر مخضبة بدماء الأعزة الأبرار من الشهداء ٠

ويل لهؤلاء الذين يحاولون أن يغضوا من شأن السادات العظيم ٠ وويل لكتاب أسقطوا الحياء عن وجوههم وأقلامهم ٠

فان قلم الكاتب قبســـة من نور الســـماء ونفحه من روح الأنبياء فليكرموا ما حباهم به الله • أو هم أكثر ضلالا من ابليس وأعظم مقتا عند الله والناس من الجن والشياطين •

ان فى أعطافهم وعلى لهواتهم وفيما تخط أقلامهم شرور كل وسواس خناس يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس •

وبعد فلقد نرى بعض الناس يطلبون الينا أن نكتب أدبا •• وانى اليوم أستحلفهم بكل مقدس عندهم • ان لم يكن هذا الذى نكتب أدبا فما هو الأدب وحسبنا الله ونعم الوكيل •

الأهرام ١٢/١٠/١٩٨٦ م

المسرح والسـلطان

شـعاع الأمل حين يشق سحابات اليأس يكون فى النفس فرحـة لا مثيل لها واشراقا ضاحيا · وقد شاء لى المولى الرفيق بعباده أن أقصد الى المسرح القومى يوم الاثنين الماضى لأشهد مسرحية « لعبة السلطان » ، وكنت شهدت من قبلها رواية « ايزيس » · وما دمت اليوم سأتحدث اليك عن الرواية الجديدة فالعدل يقتضى أن أقدم أعظم اعجابى للفنـان العظيم كرم مطاوع · فقد استطاع فى رواية ايزيس أن يقدم عملا رائعا فى اخراج مبهر ذكى دون أن يعدو بالاخراج على النص · وقد كان أيضا ممثلا عظيما شأنه دائما وكانت سهير المرشدى فى القمة وكذلك كان كل من شارك فى تقديم هذا العمل الرائع ·

لم أكتب عن ايزيس يومذاك خشية أن تكون هى الأولى والأخيرة فى هذا الانتاج الرائع المشرف · وقلت فى نفسى فلتكن فرصتى حبيسة حتى يصبح الأمل حقيقة ·

وظهرت بعد ذلك رواية مجنون ليلى لشاعر العربية الأول أحمد شوقى وأبت ظروف الحياة أن تتيح لى رؤيتها ·

ثم جاءت لعبة السلطان ورأيتها ·

مؤلف الرواية كاتب من أعظم الكتاب الذين يكتبون للمسرح اليوم فهو يتمتع برصيد ضخم هائل من الثقافة العامة والثقافة المسرحية على السواء ·

وهو يملك حسا فنيا مرهفا · وحبيب الى نفس مثلى ان يشهد عملا لكاتب له ما **للدكتور فوزى فهمى أحمد** من أصالة وثقافة وفن ·

وصدقنى شعورى ورأيت لعبة السلطان فاستطاعت كل جملة حوار فيها أن تمدنا بسعادة ومتعة غامرين ·

والحوار فى الرواية حوار شعرى قريب كل القرب من النفس لا تجد فيه كلمة واحدة تستعصى عن الفهم ·

وقد استطاع المؤلف أن يجمع في الرواية بين الأصالة والمعاصرة ·

فالرواية تبدأ في القاهرة في عصر المماليك أو ما يشبهه وينتهز المؤلف هذه الفرصة فيطرح قضايا مصر المعاصرة في فكاهة حبيبة تجعل مرارة المشكلة مكسوة بالضحكة المنطلقة من أعماق الصدور ·

ثم هو في مهارة فائقة ألقى بزمن الرواية الى عصر الرشيد وطرح مشكلة الحكم في هذا العهد المزدهر المليء بالأحداث والأمجاد والمظالم في وقت معا · وفي ثقافة ثرية عميقة بعيدة الغور ناقش آراء المعتزلة · والأفكار الشرعية في عدالة الحكم · ومدى حرية الحاكم · والى أين ينبغي أن تنتهي حريته واقرأ معي هذا الحوار :

الأشرس : الله لا يرضى بظلم ·

الرشيد : أنا لم أظلمك ·

الأشرس : اذا وقع ظلم منك على الرعايا أو من عمالك فتلك مسئولية اختيارك ·

وأقف هنا قليلا فالقضية التي تثيرها هذه الجملة غاية في الخطورة والأهمية معا · فالحاكم وصاحب المسئولية في أي مكان ليس مسئولا عن عمله وحده ولكنه مسئول عن كل شخص اختاره ليقوم بعمل · فاذا ظلمني عامل في مكتب رئيس فليس الظلم واقعا منه وانما واقع من الرئيس · واذا ظلم وزير فالظلم وقع من الذي اختاره للوزارة · وعلى هذا المنطق الطبيعي الذي لا يقبل رأيا آخر يجري القياس في كل أعمال أعضاء السلطة التنفيذية وبهذا المنطق الذي لا يقبل رأيا آخر ينتفي أن يدافع بعض المغرضين عن أخطاء الطغاة بأنهم لا يعلمون بالطغيان الذي يحيط بالناس من عمالهم · فانهم هم الذين اختاروا عمالهم وهم الذين فرضوهم على الناس فرضا لا مشورة فيه · وهم في اختيارهم لهم لابد قد تحروا أن يكونوا مثلهم طغاة ان كان الرؤساء طغاة ·· لصوصا ان كان الرؤساء لصوصا ، عادلون ان كان الرئيس عادلا ، شرفاء ان كان الرئيس شريفا ، فالذي أصدر الأمر بالتعيين يحمل مسئولية الأعمال التي يقوم بها كل من عينهم · وأذكر البيت الشهير :

ان كنت لا تدري فتلك مصيبة ·· أو كنت تدري فالمصيبة أعظم

وأعود الى حوار المسرحية ·· ونختار موضعا آخر من الحوار لعله سابق بعض الشيء عن هذه الجمل التي اخترتها ·

الأشرس : مولاى ألست الأمام ·

الرشيد : أوتشك ؟

الأشرس : بل أجزم غير أن العصمة لا تثبت عليك ·

الرشيد : أنا امام بالبيعة ·· أنا للمسلمين حجة ·

الأشرس : وأيضا عليك تجوز الشبهة ·

الرشيد : افصح ·

الأشرس : ألست تفعل تخطط وتقدر · ألست حرا فى اختيـــار ما تنفذ · لك اذن مشيئة وارادة ولك استطاعة وقدرة ·

الرشيد : لك الله ·· اكمل ·

الأشرس : ويبغى مولاى الرشيد من الامامة أن يعود الصلاح على الكافة أم أن تلك منك للبشر افاضة ·

الرشيد : كلا ·· كى اربح عند الله الثواب ·

الأشرس : فالوعد والوعيد لكل منا يا مولاى ، على كل حر أفعاله والجزاء وفاقا لما قدمه البشر المكلف ، فى كفره وايمانه ، وفى المعصية والطاعة ·· ذاك عدل الله وأنا من دعاته ·

الرشيد : اذن فأنا حر يا ابن الأشرس فى أفعالى ·

الأشرس : انت يا مولاى حر · وبالعقل حصنت فكلفت ·

فاذا كنت معصوما فأنت لأفعالك لا تملك اختيارا · وعندئذ يسقط التكليف عنك حيث لا ثواب على لا شىء ·

الرشيد : لا عصمة اذن فى أفعالى ·

الأشرس : الله وحده المعصوم وأنت بشر لا تفعل أفعاله سبحانه ·

الرشيد : اذن فأفعالى يا ابن الأشرس حكمها مرجأ لله وحده يوم القيامة ·

الأشرس : الأرجاء يا مولاى فلسفة الملوك والحكام كى يبقى حال المظلوم فلا يغضب ، يقبل دون تذمر حكما الهيا لا ينقض · ويحلم بالعدل يوم البعث والبلسم هى الجنة ·

واكتفى بهذا القدر من الحوار · فأنت لا شك ــ قد استطعت أن تلمس هذه الأعماق البعيدة التى يســـتمد الكاتب المسرحى العظيم فنه منهـــا ·

ولا أستطيع الا أن أحمد الله الذى من لمينا بالديمقراطية التى قضينا بها على فكرة الحاكم المعصوم وأصبح لا يوجد الا الحاكم الطاغية ولا يكون طاغية الا حين يلغى الديمقراطية وينفرد بالحكم · وهكذا أصبحت فلسفة الأرجاء لا معنى لها فالشعب ان سكت عن طاغية فهو انما يسكت مقهورا لا مختارا وهو فى سكوته مجبر لا اختيار له وهو بالقطع واليقين لا يفكر بفلسفة الأرجاء التى روجها الحكام الذين ادعوا العصمة ·

وبهذه الفلسفة العميقة يضع **فوزى فهمى** مشكلة زواج العباسة من جعفر البرمكى على المسرح ويجعل منها بؤرة الأحداث ويناقشها من جوانبها الشرعية والعنصرية والانسانية جميعا ·

وبعد فأنا أهنىء الكاتب العظيم وأودع بين يديه أملا كبيرا فى مسرح رفيع يطلع به هو وأبناء جيله الذين أناروا لنا شعاعا رائعا فى ظلمة سواء يئس أو شك ان يكون خانقا ·

ولابد لى أن أهنىء المخرج العملاق **نبيل الألفى** الذى أصبح اليوم هو ورعيله روادا للمسرح الحديث وأساتذته وأعلامه ·

وقد استطاع أن يقدم النص فى اتقان رفيع دون افتعال وتكلف واستطاع أيضا أن يقدم لنا مسرحا متطورا عظيما فى غير جلبة ولا صراخ · وما هذا جميعه بغريب على من كان فى قدرة **نبيل الألفى** وفنيته وثقافته ·

أما عن التمثيل فحدث عنه ولا حرج فقد شهدنا سيمفونية من الفن الرفيع المايسترو فيها هو الألفى والعازفون جميعا قمم وأعلام شاهقة · مرحبا بالنجم العظيم **نور الشريف** فى بيته من المسرح وما أعظم **عبد الرحمن أبو زهرة** وما أرفع موهبته ضاحكا وباكيـــا وما أروعه وهو يقوم بدور المهرج وما أعظمه وهو يقوم بدور الواعظ وعلى نفس القمة تقف **عايدة عبد العزيز ومحمد وفيق وأشرف عبد الغفور** حتى لقد خرجنا من المسرح عاجزين تماما أن تفضل واحدا منهم على الآخر فقد كانوا جميعا على أعلى مستوى من الفن لا أقول المسرحى المصرى أو العربى وانما أقول وأنا فخور بهم على المستوى العالمى ·

وبعد فقد شهدت المسرحية كما قدمت فى يوم الاثنين وقصدت أن أذكر اليوم · فيوم الاثنين من الأيام التى تخلو فيها المسارح عادة ولكن المسرح كان موشكا على الاكتمال ·

إذن فالجمهور يحب الفن الرفيع ويقدره ٠

اذن فلماذا لا نعود بمسرحنا الى شموخه القديم ويعرض مع الروايات الرفيعة الجديدة مثل لعبة السلطان روايات العمالقة الاعلام « **شــــوقى وعزيز أباظة وتوفيق الحكيم وباكثير** ومالنا لا نعيد الى المسرح الأعمال العالمية الكبرى التى كانت وجها مشرقا عظيما فى تاريخ المسرح العربى ٠

وما أعظم أن يكون المسرح القومى هو ميدان الأعمال السامقة التى تبقى على مصر ريادتها الفنية الباذخة ٠

وبعد فاننى أهنىء السيدة الفنانة العملاقة **سميحة أيوب** مديرة المسرح القومى بهذا الجهد الرفيع الذى يتفق وتاريخها الفنى العريض ٠

١٩/١٠/١٩٨٦٨ م الأهرام

السيف والذهب

صورة قلمية

قد يطيب للحياة بين الحين والآخر أن تؤلف قصة فنية تلتزم فيها بجمع قواعد القصة التى وضعها النقاد . وهذه القصص الفنية نادرة فى مجموعات الحياة القصصية . فأغلب قصصها بعيدة عن المعقولية التي يلتزم بها القصاصون فهى لا يعنيها في شيء اقناع المطلع على ما تكتب ولا يعنيها أيضا رضاؤه أو عدم رضائه . ولعل شوقى هو أعظم من وصف قصص الحياة الضارية في قصيدته الخالدة مصاير الأيام . وان الحياة حين تؤلف قصصها تبدو لبنى الأرض كأنها ظالمة لأن الانسان لا يعرف الا عدالة ضيقة الحدود ضئيلة المعالم . أما عدالة السماء فتشمل الكون كله وهو سبحانه وحده يعلم وليس غيره يعلم ما هو خير لعباده فهو يطبق عدالته تقدست اسماؤه بالصورة التى تمكن العدالة أن تتاح لجميع عباده وهو حين يطبقها يشفعها بكرمه ولطفه ورحمته التى كتبها على نفسه .

فشوقى حين كتب أبياته هذه الخالدة التى سارويها لك سجل ما تجرى عليه الحياة فى ظاهر أمرها ، لأن الله وحده هو الذى يملك ما وراء أحداث الأرض من عدالة تشمل الجميع . وقد أعجبت باحصاء قامت به سيدة أمريكية أثبتت به أن الناس جميعا يتمتعون بأنصبة متساوية من السعادة تقابلها أنصبة متساوية من الشقاء فكل انسان حظى بقدر من السعادة يعدل ما أصاب الآخرين وناله قدر من الشقاء نال مثيله الأخرون ، والله وحده يعلم مداخل السعادة والشقاء فى نفوس أبناء البشرية . فقد يقع الحدث الهين ولكن الشقاء به فى نفس من وقع عليه يكون فادحا . وقد ينال انسان ما خيرا ضئيل الشأن ولكن سعادته به تفوق كل سعادات الدنيا .

يقول شوقى :

قطيــع يزجيــه راع من الدهــر ليــس بلــين ولا صــلب
أهــابت هراوتــه بالرفــاق ونــادت على الجيــد الهــرب
وصــرف قطعانــه فاســتبد ولــم يخش شــيئا ولم يرهب

أراد لمن شـــــاء رعى الجـديب وأنزل من شـــــاء بالمخصـــب
وروى على ريهــــا الناهـــلات ورد الظمـــــاء فـلم تشـــرب
وألقى رءوســـا الى الضـــاربين وضـــن بأخرى فـلم تضـــرب
وليس يبـــالى رضـــا المستريح ولا ضـــجر النـــاقم المتعب
وليس بمبـق على الحاضـــرين وليس ببـــاك عـلى الغيـب
فيا ويحهم هل أحســـوا الحيـــاة لقـــد لعبـــوا وهى لم تلعـب

هكذا الحياة اذن حين تؤلف · ولكن القصة التى سأرويها لك اليوم كاملة الخطوط لن ترى فيها عوجا ولا أمتا وان كنت سترى فيها أموال مصر كيف امتهنت · وأقدار الناس كيف ضاعت · وسترى فيها الرعب وكيف فشا فى حياتنا فى عهد الطغيان الأسود والجبروت العاتى ·

كان أستاذا فى الجامعة وقع عليه الاختيار ليكون وزيرا فكان · وكان قد استطاع على مدى أيام حياته أن يبنى لنفسه ولبنيه عمارة يسكن بها هو وأولاده ولم يترك بالعمارة شقة خالية لابنه حين يتزوج مطمئنا الى القانون الذى كان ساريا فى ذلك الحين ان من حق صاحب العمارة أن يخلى شقة فى ملكه أو أكثر اذا كان الاخلاء من أجل أبنائه أو بناته عند الزواج ·

ولكن هذا القانون ألغى فجأة ودون مناقشـــة وبأمر قاطع باتر لا مراجعة فيه ولا تدبر ·

وبلغ ابنه سن الزواج · ووجـد العروس ولم يبق الا ان يجـد العروسان سقفا يضمهما ·

ووقع الوزير فى حيرة · ووجد بين سكان عمارته شخصـــا فردا يستأجر شقة ولكنه لا يقيم بها وانما له غيرها فظن فى سذاجة أنه يستطيع أن يفاوض صاحب هذه الشقة أن يتركها لابنه · ولكن كيف ؟ ومتى كانت الانسانية عاملا ذا قيمة فى دنيا الجشع ·

رفض الرجل وراح يرسل البرقيات الى كل ذى سلطان · أن الوزير يريد أن يخرجه من مسكنه وانه يستغل منصبه ·

وملأ الرعب قلب الوزير المسكين ، وانطوى قطا هالعا·· وذهب الى صاحب الشقة يعلنه أنه تنازع عن رجائه وانه لا يريد الشقة وأنه ليس

من الضروري أن يتزوج ابنه على الاطلاق . فلا بأس أن يظل الابن بلا زواج اذا كان في زواجه سجن الأب وسحقه . فقد كان الوزراء من أساتذة الجامعة أكثر الناس قربا الى الهوان والتدمير اذا ما غضب عليهم السلطان أو أحد الأمراء المقربين للذات العلية .

ولكن هل سلم الوزير .. هيهات . كان كلما لقى وزيرا من أمراء الزمان طالعه في جهامة ؟

ـ ما حكاية الشقة !!

ويقول الوزير المغلوب على أمره .

ـ لا .. شيء .. لقد صرفت النظر عنها .

كان الوزير أستاذ الجامعة السابق يدري كل الدراية أن العلم الذي يحمله يجعله عرضة للتمزيق والتحقير . ففي عصر الجهلاء يصبح العلم تهمة وتصبح الثقافة جريمة لا تغتفر . فأبشع أنواع الجهل العلم الناقص ورحم الله شوقي أيضا حين قال :

كل تعليم تـــراه ناقصـــا سلم رث اذا استعمل خانا

وفي يوم اجتمع مجلس الوزراء برئاسة القطب الأعظم وجرى الحديث من فرد واحد يلقي الأوامر لتصبح نفاذا !!

ولاحظ الدكتور والوزير أن الذات العلية مشيحة عنه فأوجس كل شرور الدنيا وانتهى الاجتماع ونظر السلطان الى الوزير المذعور .

ـ لا تنصرف قبل أن أراك .

ـ أمرك .

ـ ستعرف متى ألقاك حين أرسل اليك .

ـ أمرك .

ودلفت الذات العلية الى حجرتها الخاصة .

وظل الوزير مرتجفا في انتظار طال ثم جاء له السادن حامل الأختام وقال له :

ـ ما هذا يا دكتور الذي صنعته .

ـ ابني ـ لعنة الله عليه ـ أراد أن يتزوج .. وهل تأتي المصائب الا من الأبناء هل كان لابد له أن يتزوج . وهل ستخرب الدنيا اذا لم يتزوج ، سخف وحماقة أنصبت على دماغي . وعلى كل حال انا اعتذرت

لصاحب الشقة وسحبت رجائى الذى توجهت به اليه ولا داعى أبدا أن يتزوج ابنى ٠

ـ اسمع انت ستدخل الآن الى السلطان قبل أن تدخل حجرته ستجد كوب ماء وأقراص فليوم للتهدئة خذ قرصا ٠٠ أو لعل من الأحسن أن تأخذ قرصين وادخل ولا تناقش واسمع فقط ٠

ـ أمرك ٠

وتوجه الوزير مرتعش الأطراف وفتح بابا فوجد الأقراص والماء فتناول ثلاثة أقراص ٠ وانتظر لحظات يقرأ الآيات القرآنية لعلها تثبت بعض قلبه الذى أصبح وكأنه بين مخالب طائر يهوى فى السماء صعدا ٠٠ ثم قرأ الفاتحة ويسمل وبيد توشك على الشلل فتح الباب وطالعه الهول الآخذ والرعب المبين ٠

ـ ما هذا يا دكتور ٠

وصمت الدكتور وقد أصبح فقدان الوزارة أملا له فى تلك اللحظة ٠ فهو انما كان يخشى ما يلى هذا الفقدان من سجن وعذاب وتمزيق أعراض وأجساد أو كان يخشى التشريد فى أقطار مصر بلا مأوى ولا ملجأ ولا أمان ٠

صمت وظل البركان ثائرا حتى اذا استوقفت الثورة وبلغت قمتها قال السلطان :

ـ مر على السادن حامل الأختام قبل أن تغادر الى بيتك ٠

واستطاع الوزير أن يستجمع لسانه ليقول :

وخرج وذهب الى السادن حامل الأختام منتظرا أن يصدر اليه الأمر بأن يلزم البيت ويترك الوزارة ولكن أمرا عجيبا حدث قال السادن حامل الأختام :

ـ مثل هذه الأمور لا تكون هكذا ٠٠ كان عليك أن تخبرنا ونحن نتصرف ٠

ـ لم أكن أعرف ٠

ـ على كل حال خذ هذان : مفتاحان لشقتين مفتوحتين على بعضهما البعض من شقق الحراسات فى أفخم عمارة فى القاهرة وأخذ الوزير المفتاحين وهو لا يصدق نفسه ٠

ولم يجرؤ الوزير وهو يركب سيارة الوزارة فى طريقه الى البيت أن يفكر ولو لحظة واحدة ٠٠ أكانت الحراسات قد وضعت على الناس

لتصبح أموالهم ملكا خاصا للذات العلية والأمراء والسدنة وحملة الأختام والقماقم ٠

لقد كان التفكير جناية عقوبتها فى تلك الأيام لها من الشراسة والفجور ما يجعل الاعدام معها رحمة وشفقة ولطفا ٠

ومع ذلك مازالت هناك السنة تلهج بمديح تلك السنين السفاكة التى أنقذنا منها الله بواسع فضله وغامر نعمته جل جلاله وسبحانه وتعالى عما يشرك به الطغاة المشركون ٠٠ له الحمد وله الشـــكر فانه لا موئل للانسان الا كريم وجه !

الأهرام ١٩٨٦/١٠/٢٦ م ٠

الـــكاتب وابليس

أقرأ فى كتاب الأجوبة المسكتة وقد وجدت فيه حوارا أعجبت به غاية الاعجاب . فقد كان الحجاج يستعمل كاتبا له اسمه أبو العلاء يزيد ابن أبى مسلم . وكان من شأن الكاتب أن يكون موضع سر الأمير الذى يعمل له وكان من الطبيعى أن يكون مقربا اليه أثيرا يعرف خاصة شأنه ، وكان من الطبيعى أيضا أن يكون الكاتب ذا شفاعة مقبولة .

والحجـاج بن يوسف الثقفى من أكبر عتاة التاريخ ومن أعظمهم ارتكابا للمظالم ولعل تاريخ العرب لم يعرف فى عصوره الأولى ــ وليس فى العصر الحـديث ــ طاغية فى مثـــل طغواه . وله الجبروت والفجور احداث واحداث حسبك أن تعلم منها انه وهو المسلم هاجم الكعبة واستباح حرمتها ليحارب عبد الله بن الزبير وابن أسماء ذات النطاقين وكانت عـلى قيد الحياة حين اقتحم الحجاج الكعبة وأسر عبد الله بن الزبير وقتله وعلقه مقتولا امعانا منه فى التمثيل به .

ولو مضينا فى الرواية عن جبروت الحجاج ما وقف بنا القلم . فلنتركه جانبا فان أمره شائع ذائع لا يحتاج الى مزيد من تفصيل .

ومات الحجاج لأنه انسان مهما يبلغ به البغى أقصاه فهو يموت وهو لا يستطيع أن يخرق الأرض أو يبلغ الجبال طـولا وزعموا أنه قال وهو يموت : « اللهم اغفر فقد زعموا انك لا تغفر » وهكذا أقر بكفره وهو يموت أيضا فمهما يكن فجوره فهو يعلم أن الله يغفر الذنوب جميعا الا أن يشرك به .

ولا تقتصر أنواع الشرك على القول وحده بل ان ألوانا من الشرك أبشع وأفدح . فحين يشارك انسان الله فى ملكه فيقتل فى غير ذنب . ويعذب دون سؤال ، ويندفع فى الحياة اعصارا من الهول الوبيل ، يصبح مشركا بالقول والفعل جميعا . لمثل هؤلاء تفتح جهنم أبوابها . ومهما يحاول الحجاج أن يوقع بين الله وعباده فان الله مبطل مكره . فهـو من يعرف خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

مات الحجاج اذن وجرى عليه ما يجرى على كل بنى آدم ٠

وتولى بعد فترة سليمان بن عبد الملك الخلافة وكانت قد أصبحت أشبه بالملك منها بالخلافة ٠ وأراد سليمان بن عبد الملك أن يتخذ كاتب الحجاج أبا العلاء كاتبا له وأراد أن يحتضنه ويقربه اليه ويصبح كاتم سره وأمين عرشه ٠ والكاتب حين ينال هذه المكانة يصبح ذا شفاعة عند الملك مقبولة ، وذا رجاء مجاب ، ومن كان هذا أمره استطاع أن يكون عاصفة ضارية فى شتى مجالات الحياة ٠

ولعل هذا الحوار الذى أنقله اليك يعيننى على تفصيل ما أجملت ٠

حين أراد عبد الملك أن يختار ذلك الكاتب ويحتضنه ، عارضه فى الأمر خامس الخلفاء والمثل الأعلى فى العدالة عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ ولم يكن قد ولى الخلافة بعد بطبيعة الحال وقد نصحه بالعدول عن أبى العلاء ذاك وقال له :

ـ أناشدك الله يا أمير المؤمنين الا تعيد ذكرى الحجاج بن يوسف وتحيى سيرته باستكتابك كاتبه وجعله أمين سرك ٠

فقال له أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك :

ـ يا أبا حفص انى كشفت عنه فلم أقف له على خيانة فهو لم يسرق فى أيام الحجاج دينارا ولا درهما ٠

فقال أبو حفص عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه :

ـ أنا أدلك يا أمير المؤمنين على من هو أعف عن الدرهم والدينار من كاتب الحجاج ٠

فقال أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك ٠٠

ـ من هو يا أبا حفص ؟ ٠

فقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه :

ـ هو ابليس لقد أهلك الحرث والنسل وأشاع الضلال والفساد فى الأرض ولم يلمس درهما ولا دينارا ٠

فقال سليمان بن عبد الملك :

ـ لقد تركناه بعد أن لزمتنا الحجة ٠

والى هنا ينتهى الحوار الذى نقلته نقلا يكاد يكون حرفيا عن كتاب الأجوبة المسكتة ورحت أفكر فى الأمر ٠

اذن فالكاتب الفاسد الضمير بجانب العاتية معدوم الضمير أشد هولا على الناس من ابليس وهو ابليس ٠

فابليس واضح المعالم جلي السمات قال سبحانه وتعالى في سورة « الحجر » « **فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين • قال يا ابليس ما لك ألا تكون مع الساجدين • قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون • قال فاخرج منها فانك رجيم • وان عليك اللعنة الى يوم الدين • قال رب فانظرني الى يوم يبعثون • قال فانك من المنظرين • الى يوم الوقت المعلوم • قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين • الا عبادك منهم المخلصين** » الحجر الآيات من ٣٠ : ٤٠ صدق الله العظيم •

فابليس اذن واضح مع نفسه أخذ على نفسه العهد أن يغوى الناس ويحيد بهم عن الصراط المستقيم وهو في حضرة رب العرش وقد أنظره سبحانه وتعالى وأمهله الى يوم البعث بمشيئة الهية فما من شيء في الكون يحدث الا بمشيئته سبحانه فابليس اذن يقوم بالعمل الذى رصد نفسه له منذ أبى ان يسجد لآدم مع الساجدين •

أما الكاتب المخادع فهو شر من ابليس ، وأشد وبالا لأنه حين أصبح كاتبا انما أصبح كذلك بثقة أولاها اياه القراء وبهذه الثقة أفسحت له الصحف صدورها ، وبهذه الثقة قد يختاره السلطان ليكون كاتبا وكاتم سره ونجيه • وهو — لا شك — سيسأله المشورة فان لم يكن بعيدا عن الهوى • يخلص السلطان الرأى ويقدم له النصح بعيدا عن الرأى بريئا من النفع الشخصي نقيا من الغرض فهو اذن كارثة لا مثيل لها ومصيبة لا دفع لأهوالها •

وحين يقترب الكاتب من السلطان ويصبح قربه منه شهيرا بين الناس معروفا ، يصبح لكتاباته وقع آخر غير الواقع الذى يثيره الكتاب الآخرون عند عامة الناس من القراء بل وعند الخاصة أيضا •

وحين يشتهر قرب الكاتب الذى خلا من الحياء والذى تجرد من الضمير يصبح موئل نفاق عند الناس • وتصبح كل مطالبه مجابة بل هى قد تصبح أوامر لا تقبل المراجعة • فالحاكم الطاغية يصبح كل من حوله طغاة • والكاتب فيهم هو أوسعهم طغيانا وأبعدهم فجورا لأن صلته بصاحب السلطان معلقة بكل وسائل الاعلان • وهو أيضا يعمل بكل جهده على اذاعتها حتى لا يصبح أحد في العالم جاهلا بها •

وهذه الصلة في عصرنا الحديث جسور ممتدة الى جميع أنحاء العالم • فوسائل الاعلام في كل مكان يهمها أن تنشر كل ما يتاح لها عن رؤساء الدول • فاذا وقعت على كاتب محترف كان لصيقا لكل ملتصق برئيس دولة فهذا الكاتب طلبتهم وبغيتهم ونشيدتهم وهدفهم يوسعون له مجالات

النشر ويغدقون عليه الأموال اغداقا لا يمكن أن يتاح لهذا الكاتب لولا هذه الصلة الحميمة من رئيس دولة ٠

ولما كانت الطيور على أشكالها دائما تقع ٠ فاننا نجد الطغاة يختارون أصفياءهم وكتابهم وذوى الرأى عندهم وأصحاب المشورة من المنافقين حتى لا يعارضوا ، ومن السـفلة حتى يحمدوا الظلم ، ويمجدوا الأخطاء ، ويحمد الجرائم ، ويباركوا ألوان الخسف والجبروت التى ينزلها الطاغية على عباد الله ٠ ومن الحتم أن تكون هذه البطانة من الذين لا يؤمنون بالله ولا بالآخرة ، لأن المؤمن بالله يخاف عقابه ٠ والمؤمن بالآخرة يخشى نيرانها وجهنمها وبئس المصير ٠

وهكذا ترى أن الكاتب المعدوم الضمير شر من ابليس ٠ لأن ابليس أعلن أنه سيغوى الناس ، بينما الكاتب المنافق يعلن للناس انه سيرشدهم الى الحق ثم يروغ به الى الباطل ٠ ويقول لهم فى العلن انه سيقدم اليهم الهداية ثم ينحرف بقرائه الى الغواية ٠

فما كان أعظم عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه حين نصح سليمان ابن عبد الملك ألا يتخذ كاتب الحجاج كاتبا له ، لأن هذا الكاتب الذى استخلصه الحجاج لنفسه طالما مدح الطغيان وهون الجبروت وجعل من فجور الحجاج فخرا ومن ظلمه عدلا ومن قبحه جمالا ومن كفره ايمانا ٠

ومثل هذا الكاتب اذا كان سليمان بن عبد الملك اختاره وختم له بالوظيفة لأمسى وبالا عليه ولجعل الناس يتوقعون من سليمان بن عبد الملك حجاجا آخر مسلطا على أقدارهم وأرزاقهم وكراماتهم وحريتهم وحياتهم ٠

ما أعظم عمر بن عبد العزيز خامسا للخلفاء الراشدين وما أعظمه وهو بعد لم يصبح أميرا للمؤمنين ٠

١٢/١١/١٩٨٦ م الأهرام

« البحـر لا يحترق » ٠٠
والجيل الذى يحترق

مازال الواقع المتغير أبدا يفرض ظله الثقيل على الكاتب فلا يجد بدا من التوقف عنده والاغراق فيه ٠

غير أن الواقع يتخذ فى كل جيل شـكلا جديدا ، فاذا اتخذ عند طه حسين فى « **شجرة البؤس** » الشكل الحضارى ، حيث كانت تواجه مصر فى نهاية القرن الماضى وبداية هذا القرن مجموعة من المتغيرات التى تنعكس فى الدين والعادات والتقاليد ، فان هذا الواقع يتخذ عند ثروت أباظة فى أحدث رواياته « **البحر لا يحترق** » مجموعة من المتغيرات التى تنعكس فى شكل الحياة وطبيعة تصاريفها ٠

فاذا كان الحاج طه حسين حضاريا اجتماعيا كان الحاج ثروت أباظة اجتماعيا فى المقام الأول واذا كنا مضطرين الى مقارنة « **شجرة البؤس** » و « البحر لا يحترق » ، فلان العنصر الدال منها يتحدد عند تطور الأجيال ، فضلا عن تشابه الأحداث الا قليلا ٠

اننا فى « **البحر لا يحترق** » أمام التاجر لمبرو وزوجته التى تساعده فى احدى القرى المصرية ، حتى اذا ما رحلت يسعى لمبرو اليونانى الى سويلم ليساعده عوضا عنها ، ويسعى سويلم بدوره ــ وهو لم يجاوز العشرين ــ الى العمل مع لمبرو ويتزوج ويلعب طيلة النص دورا محوريا ، فهو يسعى بمعسول كلامه الى الحاج محمدين تاجر الحمزاوى فيوثق علاقته به ، وهو يسعى ليزوج ابن الحاج فؤاد بابنة عمدة الفؤادية ــ وهيبة ــ وهو يجنى صنيع عمله ، وأمانته من الخواجة الذى يترك له كل أمواله قبل وفاته ٠٠٠ فاذا بسويلم ، وقد أصبح تاجرا مرموقا ، يجىء الى القاهرة ويقيم مع الحاج وابنه لتتكون الأسرتان (أسرة سويلم وأسرة فؤاد) فيشتريان العقارات وينجبان الأولاد (سويلم / مجدى ، فؤاد / فكرى ، والهام) ، وحين تهيأ أسرة فؤاد لتزويج ابنتها من ابن سويلم يرفض أبناء الجيل الجديد مثل هذا الاقتران الموعز به فى وقت يمضى الزمن فيه بمجدى فيستقيم فى دراسته وعمله ويتزوج من أخرى أحبها ،

أما فكرى ، فانه يلحق ببعض رفاق السوء ويؤثر طريق المخدرات والرقيق الأبيض ويقترن من غانية ، ويستيقظ مجدى فى أحد الأيام على رجاء زميل له بالعمل لينقذ ابنه من هذه العصبة التى تضم فكرى ، فيقنع الزميل ابنه ليستنقذه بارغامه على السـفر ··· ويذهب مجدى الى أسرة فؤاد بالفعل ··· وحين يخلص فؤاد الأب وزوجته النصح للأمين هو لا يلتفت اليهما ، ويكون على الأب أن يضع أمواله كلها ـ كما فعل لمبرو مع سويلم ـ فى أيدى مجدى الأمين ليعيدها الى الأب فى حالة واحدة بعد رحيله أم عودته للرشد ، ففى كل جيل دائما « الشرفاء وغير الشرفاء » ·

على هذا ، فان العنصر الدال فى الرواية يظلل تطور الأجيال بحيث يحدد فيه الأجيال الفعل ، ففى حين يمضى جيل الى الأمام فان ثمة جيلا آخر يمضى الى الخلف ، فالجيل الأول يمضى كالبحر « لا يحترق » والجيل الآخر يقضى بأن يحترق حين يحكم عليه بالبتر ، وهو المصير الذى اختارته أم فكرى لابنها العاق « ان العضو الفاسد اذا لم يبتر يقتل » ·

وفى هذه الحالة الأخيرة ، فان المقابل ، لتطور الأجيال ، فى جانب منه ، يكون ، الفعل الردىء ، وهو قرين الشر الذى يوجد دائما فى كل جيل ، ويوجد دائما معه سلاح الحسم القادر على البتر من أجل القصاص والاصلاح والتغيير ·

الرواية على ما تحمله من رؤية اجتماعية ، فان التطور الداخلى فيها يفوق التطور الخارجى ويطغى عليه ! ، فالرمز يتطور فى أحشاء الحدث بطيئا لا يعلو الى طفرة التحول الكبير المباشر ، والرؤية الاجتماعية تتحدد حول ردود فعل أفراد فى المجتمع دون أن تضع هذا الفعل فى موضـع التساؤل والدهشة ، فكان التغيير هنا يظل أسيرا للداخل (الانسان) وليس للخارج (وتطور المجتمع وتداعيه ·· لفعل الفرد وليس لفعل هذا الواقع الكابوس ·

وهو مأخذ لا تفلت منه أغلب الأعمال الابداعية الآن ··· فالحاضر يرصد جيدا دون سبر أغوار وتكشف بواعث التغيير فيه مما يحول بيننا وبين التنبؤ بالمستقبل أو الهجس به ·

وثمة أمر آخر لا يمكن اغفاله ، فان الرؤية التى تستمد خيوطها من الحاضر لا تلتزم بضمير الحكى الروائى الذى التزم به صاحبه دائما ، وانما شهدنا خروجا غير مبرر ، كأن يعلو صوت سويلم فى اللوحة الثانية بضمير المتكلم ، أو أن يعلو صوت الهام فى اللوحة السادسة عشرة ، دون

أن يبرز أيضا خروج الضمائر وتباينها ... وعدم ذوبانها فى النسيج العـام .

غير أن هذا كله لا يجب أن ينسينا الاشادة باللغة الجزلة والأسلوب الطبيعى الذى يميز نسيج الحكى الروائى ، وهو ما يمكن أن يلحظ أكثر فى الحوار الذى لم يغادر العربية الفصحى بأية حال ..

مما يكن ، فان رواية « **البحر لا يحترق** » حرصت على أن تؤكد أن الجيل هو البطل ، كما جعلت من عقد السبعينيات وامتداده محورا أساسيا من محاور العمل فى حدود الحاضر دون وضع هذا الحاضر موضع تساؤل أو تفسير كبير .

الأهرام ١٩٨٦/١١/٦ م

تعقيب على المسئولية

قدر لى أن أشهد بالتليفزيون فيلما عن حياة ايزنهاور • والفيلم يبدأ بايزنهاور حين تولى قيادة جيوش الحلفاء تمهيدا للهجوم الشامل على أوروبا • ذلك الهجوم الذى بدأ من الشاطىء الفرنسى وأدى الى نهاية الحرب بهزيمة جيوش المحور •

والفيلم من الناحية الفنية غاية فى الروعة • وانك لواجد فى أغلب مشاهده مواقف انسانية تهز المشاعر فى قدرة حوارية فائقة •

وقد استثارنى الى الكتابة عن هذا الفيلم فقرتان من الحوار رأيت أنهما يمثلان معنى الديمقراطية فى أعظم صورها • بل هما يمثلان فلسفة الحكم فى كل أشكاله ونظمه •

ففى أحد مشاهد الفيلم يحدث لقاء فيه كثير من العنف بين منتجمرى وايزنهاور • بعد هزيمة ساحقة للقوات الأمريكية فى أفريقيا •

ويقول ايزنهاور :

ـ لقد نحيت القائد الذى كان مشرفا على العمليات الحربية وعينت آخر بدلا منه •

ويقول منتجمرى :

ـ فاذا كان شيئا مثل الذى نحيته ماذا أنت صانع ؟

ـ أنحيه وآتى بغيره •

ويقول منتجمرى فى لهجة ساخرة قاسية •

ـ انى لأعجب أيها الجنرال من سينحيك أنت اذا أخطأت •

ويبتلع ايزنهاور الاهانة على مضض ويصمت •

وفى حوار آخر نشاهد ايزنهاور يتفقد ميدان القتال ويحس بالألم المروع من رؤية الشباب القتيل •

ويقول لرفيقه فى المسير •

ـ أتمنى ألا ينظر هؤلاء القتلى الى هذه النظرة المتهمة النافذة ••

ويقول رفيقه ٠

ـ ان قوادك لم يحسنوا معاونتك ٠

ويقول ايزنهاور فى شجاعة منقطعة النظير ٠

ـ أنا الذى اخترت هؤلاء وأنا وحدى الذى أحمل المسئولية ٠

وسواء كان هذا الحوار منقولا عن ايزنهاور وهو الذى قال هذه الجملة أم أن كاتب الحوار ألفها فهى تمثل قاعدة أساسية فى الحياة السياسية ٠

فالشخص الذى يختار يحمل مسئولية من وقع عليه اختياره ٠ وخاصة اذا كان الاختيار ليس نتيجة انتخاب من عدة أشخاص ٠

ففى النظام الديمقراطى حين يتقدم حزب باسماء الأعضاء الذين يمثلونه فى الوزارة يصبح الحزب مسئولا عن كل وزير مسئولية تضامنية ٠ فاذا أخطأ الوزير أصبح الحزب كله متهما ولابد أن يتخذ الحزب اجراء حاسما وقد يستقيل كل وزرائه من الوزارة اذا كانت التهمة فادحة الأثر ٠

وفى نظام انتخابات القائمة يكون الحزب مسئولا عن كل عضو رشحه الحزب فى قائمته ٠ بل هو يحمل نفس المسئولية فى الانتخاب الفردى لأنه حين يرشح شخصا ما لعضوية المجلس النيابى فهو انما يعلن بذلك ثقته فى هذا الشخص ٠

فاذا خذله النائب واتضح أنه لم يكن جديرا بهذه الثقة يقع فى ضمير الحزب جميعه أن يتخذ اجراء ضد هذا النائب الذى خان الأمانة ولم يرع ما علقه به حزبه من ثقة حين رشحه ولا ما أولته اياه دائرته من تأييد حين انتخبته ٠

وفى النظام الرئاسى يعين رئيس الدولة الوزراء جميعا بمعاونة رئيس الوزراء ولا شك أن الرئيس حين يصدر المرسوم بالتعيين يكون قد جمع فى يديه المعلومات الوثيقة التى تؤكد له أن هذا الاختيار الذى يقدم عليه اختيار موفق ٠ وأن الوزير الذى يختاره جدير بأن يحمل الأمانة الملقاه على عاتقه ٠ فاذا فشل الوزير فى القيام بالعبء ٠ واذا لحقت بتصرفاته أو ضار الشك التى ترقى الى اليقين ٠ واذا أصاب صوالح الدولة بالضربات القاتلة يكون الرئيس الذى عينه هو المسئول أمام الشعب عن هذا الاختيار ، لأن هذا الوزير لم يتقدم فى قائمة حزب ولم يختره للكرسى

أعضاء جماعة بذاتها ٠ وانما اختاره الرئيس ٠ فالاختيار أولا وأخيرا بيد رئيس الجمهورية الرئاسية ٠ وطبيعي أن يقيل الرئيس ذلك الوزير وطبيعي أيضا اذا فشا في الوزراء الضعف والتردد والعجز عن مواجهة المسئولية التي أقسموا اليمين أن يحملوها أن تستقيل الوزارة أو تقال وليس هناك في الحكم الرئاسي فارق بين الاقالة والاستقالة ٠

الا أن الرئيس وزيره الأول يعلن غضبه عليه ، وحين يأمر رئيس الوزارة في خفاء عن الناس أن يستقيل يكون حينذاك راغبا أن يجعل غضبه على وزيره الأول طي الكتمان غير معلن اعلانا رسميا ٠ ولكن الغضب واقع في الحالين فليس من المعقول أن يكون رئيس الدولة راضيا عن رئيس وزرائه وفي نفس الوقت يطلب منه أن يستقيل ٠

والرئيس في الدولة الرئاسية في مواجهة غير ذات قناع مع الشعب٠ فهو وحده يحمل مسئولية كل تقصير يقع فيه أي وزير من الوزراء ٠ لأنه هو الذي اختار هؤلاء الوزراء ٠ وهو وحده الذي وضعهم على كراسي الحكم وأسلمهم أزمة التحكم في أقدار الشعب ٠ وأصبح يقع في ضمائرهم أيضا سمعة الدولة التي يمثلون فيها السلطة التنفيذية وهم المسئولون أن يرفعوا دولتهم الى قمة الثقة بها عند الدول الأخرى ٠ فليس في العالم دولة تستطيع أن تحيا الا اذا ظفرت بثقة المجتمع الدولي ٠ وهم أيضا المسئولون اذا تردوا بدولتهم الى حضيض الاحتقار في نظر الأمم الأخرى حكومات وشعوبا في وقت معا ٠ والرئيس حين عينهم يعلم علم يقين أن بيدهم أن يبثوا في نفوس الدول والشعوب الثقة بدولتهم وبيدهم أيضا أن يحطموا كل ثقة بها ٠

والرئيس حين يختار يعتمد على ما يتقدم اليه من بيانات فاذا اتضح له أن الوزير الذي اختاره لم يكن جديرا بهذا الاختيار أصبح من الحتم أن يعيد رئيس الدولة النظر في هؤلاء الذين قدموا له المعلومات التي اعتمد عليها في هذا التعيين ٠ فانه يستحيل على رئيس الدولة ان يعرف كل الجديرين بتولي الوزارة وهذه الاستحالة واقعة بصورة مضاعفة آلاف المرات عند اختيار المرشحين للمجالس التشريعية ٠ فالاختيار اذن يتم بناء على معلومات من جهات ومن أشخاص ٠ وهؤلاء يمثلون أخطر أجهزة الدولة فانه بناء على ما يقدمون من حقائق يختار الرئيس معاونيه من الوزراء ٠ والوجوه الصالحة لتمثيل حزبه في المجالس النيابية ٠

فاذا كان هذا الجهاز وهو يضم ـ لا شك ـ مؤسسات وأفرادا في وقت معا ، غير صالح ٠ واذا كانت المؤسسات فيه لا تحسن تقصي الأنباء

عن المرشحين ومعرفة أخلاقهم وتاريخهم فى داخل الدولة وخارجها ، اذا كانوا قد عملوا خارج الدولة . واذا كانت هذه المؤسسات يديرها أشخاص يميل بهم الهوى الى الظلم . ويهوى بهم الغرض الى قلب الحقائق أو اختلاق المحاسن أو المثالب بغير حق . أصبح من الحتم ازالة المؤسسة جميعا وانشاء أخرى لا تتحرى الا الأمانة والصدق والعدالة . أفرادها كلهم لا هوى لهم الا دولتهم ولا عرض لهم الا الصالح العام .

واذا كان بين المستشارين الذين يأنس الرئيس الى رأيهم ، من يقدم رأيه بناء على صداقات فى الماضى وطيدة ، أو آمال عريضة غير مشروعة فى المستقبل . فالمستشار هنا غير جدير بأن يكون صاحب مشورة ، لأن الرأى فى أمور الدولة اذا قام على غير العدل والعدل وحده فهو كارثة الكوارث .

فاذا تبين للرئيس ــ وما أيسر ان يكشف هذا ــ أن الذى يستشيره صاحب هوى أو باحث عن منافع ذاتية أصبح من الحتم ان يستبعده عن المكان الذى يتيح له أن يقدم رأيا أو أن يكون من أهل المشورة .

ان أى رئيس انسان . والانسان لا يستطيع الا بغيره فى خاصة شأنه وفى مألوف حياته . فكيف بهذا الانسان وهو يحمل على كتفيه أقدار الملايين من عباد الله فى حاضرهم ومستقبلهم ومستقبل أولادهم . فاذا لم يتهيأ لرئيس الدولة أصحاب مشورة يصدقونه عند الرأى ويخلصونه عند المشورة . فويل كل الويل . للشعب ولمصائره جميعا .

هذا الحديث لا يصلح الا للدول التى تتخذ الديمقراطية واجهة للحكم فيها فانه لولا الديمقراطية ما علا صوت من رأى ولا كتبت وجهة نظر . وما الديمقراطية ان لم تكن قولا شريفا وقلما حرا لا قيود على سنه ، ورأيا متخففا من كبول الديمقراطية بريئا من قيود الطغيان .

فبحق هذه الديمقراطية يكون هناك الرأى وتلتمس المشورة ويسعى رؤساء الدول الى من يتوسمون فيهم الصدق والأخلاق ليعرفوا منهم الحق والباطل والعدل والظلم .

أما الديكتاتور فلا رأى هناك الا ما يرى . ولا قول عند اعتابه الا النفاق وزور القول وما يطيب لغبائه أن يسمعه وما يحلو لوحشيته أن يصغى له .

فالديكتاتور خلية سرطانية من البشر وحسبك نظرة الى بهلوان ليبيا أو فرعون سوريا وما أسرع ما تعود اليك نظرتك بالاشفاق على الشعوب التى يحكمها الفرد والآسى على البشرية التى يمثلها أولئك الطغاة الذين لم يفلت أحد فيهم من الخبال والتخبط تخبط من به من الشيطان مس ان هؤلاء الذين يحكمون بالقهر والعذاب يتعرضون لحلقة شيطانية تصيبهم بالجنون المسعور . فهم يرتكبون الآثام والمخازى . وهم يدمرون البشرية ويحطمون كل نبالة فى الحياة ويمزقون كرامات البشر .

وبدلا من أن يسمعوا كلمة حق تردهم أو تحاول أن تردهم الى بعض صواب ينسكب عليهم المديح والتمجيد ارسالا ، وكيف لا والناس تعلم ان الذى يصمت عن تأليه ذواتهم الشيطانية مصيره أن يمزق عرضه ويشتت أهله ويصبح الموت بالنسبة اليه أملا يحلم به ولولا خوفه أن يذهب الى الآخرة كافرا لسعى اليه جاهدا سعيدا ..

فالطغاة اذن استثناء من القاعدة البشرية العامة انما هم خلايا سرطانية تفنى الخلايا التى حولها ولكنها أيضا — ودون أن تشعر — تفنى نفسها وتكسب لذكراها على التاريخ الاحتقار والكراهية والمقت الشديد حتى يرث الله الأرض ومن عليها وما أعظم شوقى حين قال :

وعنـد الـذى قهـر القيصرين مصـير الأمـور وأحيانهـا
ويختـلف الدهـر حتى يبين رعـاة العهـود وخوانهـا

الأهرام ١٩٨٦/١١/٩م

فما معك أحد

كان أحد الأمراء يلعب مع صديق له النرد حين قدم الى مجلسيهما رجل ذو هيبة فى منظره ، فهو طويل القامة عريض المنكبين أنيق الملبس · ورحب الأمير بزائره وتعرف على اسمه وأذن له بالجلوس وأخرج من جيبه منديلا وألقاه على النرد والتفت الى الضيف يحييه ثم سأله :

ـ هل الشيخ من العلماء ؟

قـال :

ـ لا ·

ـ فالشيخ اذن محدث ·

قـال :

ـ لا ·

قال الأمير ·

ـ فالشيخ اذن شاعر ·

قـال :

ـ لا ·

قال الأمير ·

قـال :

ـ اذن فالشيخ راوية

قـال :

ـ لا ·

قال الأمير ·

ـ فالشيخ أديب ·

قـال :

ـ لا ٠

قال الأمير ٠

ـ فالشيخ اذن من أهل التجارة ٠

قال الشيخ ٠

ـ لا ٠

فالتفت الأمير الى صديقه الذى كان يلعب النرد معه وقال له بعد أن رفع المنديل عن النرد ـ العب فما معك أحد ٠

واستأنفا اللعب ٠

ترى لو أن هذا الأمير عاش فى زماننا هذا ماذا تراه كان يفعل اذا وجه أسئلته تلك الى كثير ممن يتولون أعلى المناصب فى مختلف مناحى الحياة ٠

علم الله ان الأمير لو فعل لظل يلعب النرد طوال يومه وأمسه ولما وضع منديله على النرد أبدا ٠

فكم نرى المناصب مشغولة وكأنها شاغرة من فرط الفراغ الذى يتسم به شاغلوها ٠ وهم من فراغهم هذا فى ذعر هالع تدور رءوسهم حواليهم يحسبون كل صرخة عليهم ٠ حتى لقد سمعت أن أحد أفراد الشعب من أصحاب الحقوق ذهب الى وكيل وزارة وعرض عليه ظلامته فاذا بالوكيل يقول :

ـ انك صاحب حق لا شك فيه ٠

فقال صاحب الحق ٠

ـ فاكتب هذا على الورق المعروض عليك ٠

ـ لا يمكن ٠

ـ كيف ؟

ـ اذا أنا وافقت قالوا عنى اننى وافقت لأننى أخذت منك رشوة ٠

ويذهل صاحب الحق ٠

ـ مادمت صاحب الحق فلماذا أقدم رشوة ٠

- وهل أنا الذى أقول هذا · انهم هم الذين سيقولون ·

- من هؤلاء ·

- من أدرى ومن لا أدرى · صحف المعارضة وزملائى الذين يطمعون فى الكرسى الذى أجلس عليه والمرءوسون الذين قد أكون قد أوقعت بهم الجزاء لتقصير أو تدليس أو تأخير وآخرون ممن لا أعلمهم والله يعلمهم ·

- اذن يضيع حقى ·

- وأنا أليس من حقى أن أحافظ على نفسى ·

- لا حول ولا قوة الا بالله · اذن فأكتب على الورق انك ترفض ·

- وأيضا لا أستطيع ·

- ماذا ··· حتى هذا لا تستطيعه ؟!

- بالطبع لا أستطيع ·

- لماذا بحق السماء ؟

- لأنك صاحب حق فاذا كتبت على الورق بما يفيد الرفض فسيقولون اننى لم أوافق على مطلبك لأننى طلبت منك رشوة ولم تقبل أن تستجيب لى ·

- واذن ·

- لا اذن ولا يحزنون · ليس أمامى الا طريق واحد هو أن أضع الورق فى درج مكتبى وينتظر حتى يأتى غيرى ويتحمل المسئولية ·

- هل هذا معقول ؟

- وهل ترى شيئا معقولا حولك حتى تلتمس المعقولية عندى ·

أنا لا أعرف صاحب الحوار هذا وانما نقله عنه ناقل فيما يسمر به الناس · وقد ظللت طول ليلى صاحيا مفتح العينين حزينا أو قل مفجوعا · ما مصير بلادنا اذا كانت مقدراتها فى أيدى قوم مثل هذا الموظف ·

والأهم من ذلك هل هذا الموظف محق أم مخطىء · لقد أصبحت الاتهامات تلقى جزافا لا تفرق بين لص وشريف أو بين ظالم وعادل والعجيب أن اللص ذو جرأة على الحق فهو يتصرف والشريف أحيانا يكون ذا رعدة فهو يتوقف عن التصرف ·

ولكن الشريف العادل الذى يمتنع عن اعطاء الحق يصبح لصا وظالما · بل يصبح شرا من اللص والظالم فى وقت معا ·

والشريف العادل الذى يصنع ذاك هو ذلك الرجل الفارغ ذو القامة الفارعة والأكتاف العريضة الذى لا يحوى كيانه شيئا والذى دخل الى الأمير فانصرف عنه .

أصبح هذا الرجل هو السمة الغالبة على أصحاب العقد والحل فى مصر قاطبة . الموظف يرفع الى رئيسه والرئيس يحيل الى رئيسه حتى يصل الورق الى الوزير بغير رأى فيه ولا مشورة . وحينئذ يصبح الورق الذى تقدم الى الوزير هلعا ورعبا وخوفا وتتولاه الحيرة الآخذة وتدور رأسه فى الجهات الأربع أو الجهات الثمانى ان شئت وتدور عيناه فى المحاجر . ولا يجد خروجا من المأزق الا بأن يعيد الورق الى من أصعده اليه ليبدى رأيه لينزله الآخر الى من رفعه اليه ليزيحه الآخر الى من أحاله عليه . وهكذا يصدق على هذا الورق بيت الهجاء القديم .

لعن الله صاعدا وأباه فصاعدا . وبنيه فنازلا واحد بعد واحد .

ويظل الورق اما قعيدا كسيح الحركة فى أحد المكاتب أو متحركا فى تخاذل كمريض أشفى على الموت . ثم يموت وتموت معه حقوق وآمال وتصاب مصر أشد ما تكون الاصابة فى اقتصادها وفى سمعتها فى الخارج وفى الداخل على السواء .

فلو أن كل مسئول كان يتمتع بنصيب مهما يكن ضئيلا من الثقة بالله ومن الثقة بالنفس ومن التوكل – لا التواكل – على الواحد الحق لصدرت القرارات وسارت الأمور فى الطريق الأقوم الذى ينبغى أن تسير فيه .

لا أمل لمصر فى أزمتها الا المواجهة .

مواجهة من السلطة التنفيذية ، قوامها الجرأة فى الحق والحسم كل الحسم فيما يعرفون أنه العدالة ومصلحة مصر ومصلحة مصر .

دون خوف ودون تحسب للغوغائية والهتافات الهوجاء المجنونة الفارغة .

ومواجهة صادقة أمينة من السلطة التشريعية فتصدر عنها القوانين الحازمة الأمينة ، لا يراعون فى ذلك صوت ناخب مغرض وغير باحثين عن نفع شخصى فليس أقتل للرأى الحر من النفع الشخصى .

ان مصر هى البلد الوحيد فى العالم التى تعرف أدواءها وأمراضها كما تعرف دواءها ومصادر شفائها ، وتقف مع ذلك عاجزة عن تناول الدواء والسير فى طريق الشفاء .

وان الداء الأول هو تجنب الحق الى الزيف والميـــل عن الطريق الأقوم حذر أقوال المخربين والهازلين والزاعقين والصـــارخين والفارغين وأولئك الذين يصيبون النفع من الدول والأفراد على السواء ٠

وان الله لن يكون معهـم الا اذا كانوا هم مع الله فانه لا يفلـــح الا الصادقون المؤمنون ٠

مصرى مـؤمن

قال لى صاحبى العالم الطبيب العظيم وهو يحاورنى :

ـ هل كان الخلفاء الراشدون يحتفلون بالمولد النبوى

وادركت لهجة الاستنكار فى سؤاله وقلت :

ـ لا ٠

فقال وكأنما وصل الى مبتغاه :

ـ شكرا هذا كل ما أردت أن أعرفه ٠

ولم تتح لى الفرصة أن أكمل الحوار فقد كنا فى جماعة توشك على الانصراف ولم أستطع أن أقول ما أردت أن أقول ٠ وحمدت الله ٠ فلو أننى كنت أجبت لغنيت بأجابتى الشفوية التى كانت ـ لا شك ـ ذاهبة ادراج الرياح ولما أعددت نفسى لكتابة هذا الحديث اليك واليه والى من يشاء أن يقرأه ٠

لم يكن الخلفاء يقيمون إحتفالا بالمولد النبوى هذا حق ، ولكن الاحتفال بأى ميلاد لم يكن معروفا ـ فيما أحسب ـ فى عهد الخلفاء ٠ أما فى العصر الحديث فأغلب الناس يحتفلون بأعياد ميلادهم ٠ ويسعدون به فأى عجيبة أذن فى حضارتنا الحديثة ان نحتفل بعيد ميلاد سيدنا وسيد البشر أجمعين ، النور الهادى ، حامل رسالة السماء الأخيرة الى الأرض ٠

النبى الأمى الذى اختاره الله فى رفيع سماوته ليبلغ قرآنه المبارك الى دنيا الناس فقدم للبشرية المعجزة الوحيدة من معجزات الأنبياء التى خلدت بأمر الله بها أن تحفظ بسر كلمة (كن) فى آيته الكريمة « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » فاذا الذكر محفوظ بأمره واذا أمره يتم على أعيننا وفى عصرنا والذكر اليوم فى مصاحف مطبوعة بالآلة ولم تكن تلك الآلة معروفة يوم بدأ هبـوط الوحى بادئا بالأمر الالهى المقـدس « **اقرأ باســـم ربك الذى خلق خلق الانســـان علق ٠ اقرأ وربك الأكرم ٠ الذى علم بالقلم ٠ علم الانســـان ما لم يكن** » ســـورة العلق الآيات من ١ : ٥ ٠

وهكذا شاء الله تقدست أسماؤه أن يكون القلم · والعلم أول شيء يذكره لنفسه بعد معجزة الخلق التي أوجد بها الانسان ·

النبي الأمي حمل هذه الرسالة التي هي القرآن ويقول عنه جل علاه سبحانه « **وبالحق أنزلناه وبالحق نزل** » الاسراء آية ١٠٥ · تباركت يارب السماوات انه يبشر عباده ببشريين لا واحدة البشرى الأولى أنه أنزل بالحق ، وهل الحق الا اسم من أسمائه ·

وأخواننا المسيحيون يقيمون أعظم احتفالاتهم الدينية والدنيوية اليكم أيها البشر كما أنزلها الله · وأصبحت هذا القرآن نزل بالحق وأبلغه من نزل عليه وحيه بالحق أيضا ·

أفلا يستحق الأمين الذى حمل الأمانة أثقل ما تكون الأمانة وبالحق أبلغها أصدق ما يكون الحق أن نحتفل بعيد مولده ·

وأخواننا المسيحيون يقيمون أعظم احتفالاتهم الدينية والدنيوية أيضا في مولد المسيح وجعلوا حياتهم وأيامهم مؤرخة بتاريخ مولده · فأى بأس علينا نحن المسلمين أن نذكر الله ونصلي ونسلم على نبينا في عيد مولده ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيقول سبحانه : « **ان الله وملائكته يصلون على النبي يا يها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** » الأحزاب آية ٥٦ ·

وبعد فما أحسن عالمنا الطبيب العظيم حين سأل ما سأل واستنكر ما استنكر ، ألا يريد أن ينتقد فحسب · وان للنقد في أفواه الناس حلاوة لا يجدونها في المديح · فالنقد يظهر المتحدث وكأنه في المكان الأعلى ناظرا الى عباد الله في مضطرب حياتهم نظرة تنصب على الخطأ ولا تريد أن ترى الى الصواب ·

دأب الناس في ذلك كدأب بعض الكتاب المصريين في أيامنا هذه فهم في اعتداء على الحق يمزقون كل شرف ويحطمون كل جميل ويهدمون كل أمل ·

وكان أحرى بهؤلاء الكتاب أن يتغيوا المصلحة لا النشويش ·· وينشدوا النفع للوطن لا الركوب على أزماته وما يعانيه ليظهروا بصورة الأبطال ناسين أنه لا بطولة هناك · فما تنتظرهم السجون وماتهم بهم الأيدى الفراسة الطاحنة من أعداء البشرية الذين مزقوا الأعراض في عهد الطغيان ولا تلتقمهم أفواه الكلاب المسعورة التي شهدها الأبرياء من المعتقلين ·

لا بطولة أذن اليوم فيما يصنعه بعض الكتاب ٠

انما البطولة الحقة أن يذكروا الداء والدواء ٠ فالطبيب الذى يذهب اليه المريض فيخبره أنه مريض بكيت وكيت دون أن يذكر له الدواء يكون وبالا على مريضه لا شفاء له ٠

والمريض اليوم هى مصر أم الجميع لا تفرق هى فى أمومتها وعظمتها بين أحد من أبنائها وآخر ٠

يقول بعض الكتاب فيما يقولون اهدموا القطاع العام ألا يعقلون ٠ ان القطاع العام ركيزة لا يستغنى عنها الاقتصاد المصرى وهيهات أن نستطيع ان نهدمه فى طرفة عين ٠

فأولى بهؤلاء الكتاب ثم أولى بهم أن يقولوا أقيموا المعوج فى القطاع العام ثم على الحكومة من قبل أن تنظر فيما لا يجوز أن يكون قطاعا عاما فتبيعه لينصلح ما فسد منه وما انهار من بنيانه ٠

والأمثلة قريبة ٠ ان كل المحلات التجارية لا يجوز أن تكون قطاعا عاما وليس فى أى دولة مثيل لهذه المحلات ، لأن القطاع العام هنا قليل ولا يملكه قطاع خاص أما الدول الشيوعية فكل المحلات التجارية فيها كانت الى الأسبوع الماضى ملكا للدولة لأن الفرد فيها لا يجوز أن يملك ما يغل ، وقد بدأت الصين تصفى القطاع العام فيها ليعود على الأفراد بالربح ويدفعوا عن أرباحهم الضرائب فيصبح الكسب مؤكدا للدولة لا مشاكلة فيه ولا شك ولا مضاربة ولا مخاطرة وبالأمس القريب تبعتها روسيا ٠

والدولة الديمقراطية لا تتصور أن يكون هناك محل تجارى تابع للدولة فليس من عمل الدولة أن تتأجر على بنيها ٠

فالأجدر بمصر أن تبيع كل المحلات التى تعمل وسيطا فى السوق مثل عمر أفندى وصيدناوى والصالون الأخضر وشيكوريل وكل المحلات المشابهة لها مما نعرفه ومما لا نعرفه من محلات تبيع الفول والطعمية والسمك وغير ذلك مما يجعل الدولة تاجرة من الطبقة العاشرة ومما يحقق لها خسائر فادحة بفضل التهاون الزرى الذى تدار به هذه المحلات

وبفضل المعاملة الظالمة الجائرة التى يعامل بها البائعون فى هذه المحلات عباد الله الذين كتب عليهم أن يدخلوا الى ساحاتهم غير المقدسة ٠

قال لى أحد الاقتصاديين والعهدة عليه ان مصر لو باعت هذه المحلات لاستطاعت أن تسدد ديونها جميعا ٠

ولقد نعلم أن القطاع الخاص لا يمكن أن يشترى هذه بما تحمله ميزانياتها من أعباء فادحة من تزاحم العاملين بها من غير عمل يؤدونه ٠

وبالطبع لا يستطيع انسان فى قلبه ذرة من الرحمة أن يطالب الدولة بابعاد هذه الجموع الحاشدة من الموظفين عن موارد رزقهم ٠

ولكن ماداموا هم لا يقومون بأى عمل فى مواطن عملهم الحالية فأى بأس أن ينقلوا الى مواطن أخرى من القطاع العام ويظلون على حالهم أيضا من البطالة ٠ ان التوقف عن أداء عمل حين يصبح وظيفة معترفا بها لا يضيره فى شىء أن ينتقل الى أى مكان ٠ فانهم يستطيعون أن يمارسوا عدم أداء العمل فى أى مكان وتظل مرتباتهم جارية عليهم كما كانت تجرى وحينئذ تصبح هذه المحلات متخففة من أعبائها وتستطيع أن تحقق ربحا لمن يشتريها ٠ وهو حين يربح ستربح الدولة لأنها ــ باليقين والقطع ــ ستحصل الضرائب عن أرباحه ومثل هذه الدور التجارية الكبرى لاتستطيع أن تتلاعب فى أرباحها أى تلاعب فالرقابة عليها ميســـورة وأصحابها لا يفكرون مطلقا فى تشويه حقائق الأسعار فى البيع أو الشراء ٠

لو أن هؤلاء الكتاب بحثوا هذا الموضوع وقدموا عنه الدراسات الوافية المستفيضة البريئة من الغرض البعيدة عن المهاترة لأدوا الأمانة وأصبحوا أطباء يشخصون الداء ويصفون الدواء ٠

ولو أنهم أرادوا أن يلبسوا ثوب البطولة حقا فمالهم لا يلبسونه فى قضية العلاقة بين المالك والمستأجر فى الأراضى الزراعية على الأقل اذا كانوا لا يســتطيعون أن يتحدثوا عن العلاقة بين المالك والمســـتأجر فى المساكن أيضا ٠

الأمر فى الزراعة واضح لا يحتاج الى مزيد من الحديث وحسبك نظرة الى هؤلاء المساكين الذين حكم عليهم الزمان ان يكونوا ملاكا لخمسة أفدنة أو لعشرة أو حتى لعشرين فدانا ٠ وانظر اليهم فى بؤسهم لا يطيقون أن يواجهوا العيش فى مألوف حياتهم اليومية وأبك معهم حين تلم بهم

كارثة من الكوارث التى كانت فيما مضى أفراحا وسعادة وهناء · أبك معهم اذا جاء لابنتهم خاطب يريد أن يتزوجها · أو شب ابنهم الى طوق الشباب وأراد أن يتزوج من فتاة أحبها أو فتاة اختارها · الأفراح فى بيوتهم حزن وعنت وألم وضيق ·

وويل لهم كل الويل اذا فكروا أن يبيعوا فدانا مما تقول سجلات الشهر العقارى أنهم يملكون · يقف لهم المستأجر الغنى المتكبر لا بيع هناك فان كان من المحتم أن تبيعوا فلى نصف الثمن وقد أفكر فيما هو أكثر من النصف · فكأن هؤلاء الملاك الضعاف من جنس لا ينتمى الى بنى الانسان · أو من وطن عدو ليس هو مصر على أى حال من الأحوال ·

أما فى السكن فلأضرب المثل بنفسى وأحس قلمى يبكى وأنا أقدم ما أعانيه أنا · وأنا لست من نفسى كمستأجر لا كمالك · فقد استأجرت من رجل طيب الخلق عفيف النفس شقة فى الاسكندرية فى عام ٦١ على ما أذكر · وهى على البحر ومكونة من ست حجرات وبها حمامان وكنت أدفع ايجارا حين استأجرتها سبعة عشر جنيها أصبحت أربعة عشر أى أننى أدفع فيها مائة وثمانية وستين جنيها فى العام كله · بينما الكابينة فى المتنزة ارتفع أجرها من مائة وعشرين جنيهـــا فى العـــام الى ألف وثلاثمائة جنيه فى العام · وهى أقل من حجرة وأقل من حمام وأقل من شرفـــة ·

فالحكومة أباحت لنفسها أن ترفع أجور مساكنها الى أكثر من عشرة أضعاف ضعف ما كانت عليه ولولا أننى أستأجر الكابينة أنا وأخوتى أجمعين ما أطقت البقاء فيها · وفى نفس الوقت حرمت الحكومة أن يرفع ملاك المساكن مليما واحدا على قيمة ايجاراتهم ·

ادفع للمسكين صاحب العمارة أجره وقلبى يبكى من أجله ونفسى تتقطع حسرات ·

فليكتبوا فى مثل هذا وليقترحوا له الحلول الاقتصادية وليحاولوا أن يفشوا العدل فى ربوع الوطن بدلا من أن يفشوا أسرارا أمر الله بها أن تستتر ان كانت صحيحة وأمر بقائليها أن يقتلوا ان كانت كاذبة وأغلب الأمر فيها أنها كاذبة ·

أمعارض أنا أم مؤيد ·· لا أدرى ·· ولكننى واثق اننى مصرى وأننى مؤمن ·

الأهرام ١٩٨٦/١١/٢٣ م

المحافظات وفلسفة الاعــلان

خرج علينا العالم الغربى بنظرية أدبية ذات أسماء كثيرة منها العبث ومنها اللامعقول وكلها تؤدى الى معنى واحد هو البعد كل البعد عن المنطق والعقل ٠

وسار فى ركب هذه النظرية كثير من شبابنا ووقع فى أحابيلها جيل كثير بالغ فى الاعجاب بها حتى لقد أنشأ بعضهم مجلة خاصة لهذا العبث لم تستطع أن تقيم فى الحياة أكثر من عددين أو ثلاثة ثم اختفت تماما ٠ وأذكر أننى حاولت أن أفهم شيئا من هذه المجلة فاستعصى على الأمر ٠ ولكننى كنت أشاهد كتاب هذا اللون يقرءون لبعضهم البعض ويتبادلون عدم الفهم مع تبادل الاعجاب ٠

وقد كتب فى هذا الشكل أستاذنا توفيق الحكيم ونجيب محفوظ فجنحا الى طريق آخر فقد استطاعا أن يجعلا المعنى الاجمالى لأعمالهما واضحا وان كانت سطوره غير واضحة ٠ وبهذا وصلا الى المعقول عن طريق اللامعقول ٠ وقد أغرانى هذا الذى صنعاه فكتبت فى هذا الشكل قصتين أو ثلاثا لا أذكر ٠

وطغى هذا الشكل طغيانا كبيرا على المسرح وكثرت الأعمال فى ميدانه وتكاملت له مدرسة ٠

وكان لى فيه رأى : انه يصلح أن يكون موضوعا لعمل أو اثنين أو ثلاثة ولكنه لا يستطيع أن يكون نظرية أدبية ثابتة تستمر على مدى أجيال ٠ وأحسب أن ما توقعته قد حدث فعلا وماتت النظرية وعدل عنها روادها بعد أن اختانت من حياة الشباب فترة غير قصيرة من حياتهم الأدبيـــة ٠

ومجمل النظرية فيما أحسب أن هذه الحياة عبث وأن التعبير عن العبث لا يكون الا بالعبث ٠ وكما ترى تصلح هذه القالة أن تقال وتسمع مرة أو اثنتين أو ثلاثا ٠ ولكنك ان ظللت تقولها فى كل عمل عزف عنك الذوق الأدبى ورفضت نفوس المستقبلين أن تستجيب لك ٠

وهكذا ماتت النظرية حتى لم يعد أحد يسمع عنها شيئا ٠

ماتت النظرية في أدب القصة والرواية والمسرح واتجه روادها الى الأعمال الأدبية المعقولة ٠ بل لقد بالغ بعضهم ورضى أن يكتب الرواية البوليسية وهي أقل الروايات شأنا في ميزان الإدب وأرتاى هذا البعض أن الرواية البوليسية أكثر قيمة بالنسبة اليه وللقارىء جميعا ٠

ماتت النظرية أذن قبل أن تعيش وانصرف عنها كتابها مادام الكتاب توقفوا عن كتابتها فالنتيجة الحتمية أنها أصبحت بلا قراء ٠ فلا يمكن عقلا ان يكون هناك قراء لشيء ليس له كتاب ٠ وربما كان هذا القول يعكس مثالا رائعا لأدب العبث ٠ وقد رأينا في ظل النظرية من يقرأ ورقا أبيض لا كتابة فيه ٠ أو ساعة بلا عقارب أو غير هذا مما لا يسيغه منطق أو عقل ٠

ماتت النظرية في الفن الأدبي ولكنني أراها لا تزال تعيش أقوى ما تكون الحياة في شتى مناحي حياتنا العامة ٠

والا فبربك أذكر لي سببا واحدا يجعلني أرى في تلك الاعلانات التي تنشرها المحافظات أمرا معقولا يسيغه منطق أو يرضى به عقل ٠

ما هذا الذي تصنعه المحافظات ومن أي أموال ينفقون على تلك الاعلانات التي ينشرونها في الصحف اليومية ٠

وقد اسيغ ان تحتفل المحافظات بعيدها القومي في حفل وسمر يعيد الى أبناء المحافظة ذكرى أمجادهم وأمجاد أبناء المحافظة من العظماء ٠

وقد يصلح ان تختلق المحافظة الأسباب للترفيه عن بنيها في وقدة الحياة الثقيلة الخطى الشديدة الوطأة ٠ فالنفوس في أيامنا هذه تحاصرها أنواع من الهموم شتى وتحيط بها ألوان من الأسى لا يقف لها عدد أو تنتهي بها حدود ٠ وحسبك ما نعانيه من ضيق الطريق عند الموارد واتساع الطرق وانفساحها عند المصارف والانفاق ، فلعل حفلا أن ينسى هما وان كان من المؤكد انه لن يزيحه ٠

فلسفة الحفلات اذن قد تجد لها عند العقل مبررا أو هي واجدة باليقين عند النفوس ٠

ولكن ما قصة هذه الاعلانات التي نراها في الجرائد اليومية ٠ الذي أعرفه أن الاعلان يكون في أغلب الأمر صادرا من تاجر يريد أن يبيع بضاعته أو مالك لعقار أو منقول يريد أن يستبدل بالمال السائل قال :

ويكون الاعلان فى حالات قليلة من مشتر يبحث عن شيء لا يجده فى مألوف حياته اليومية ويريد أن يعلن عن حاجته وليشترى هذا الذى يريد شراءه منقولا كان مبتغاه أو كان عقارا ٠

هذا هو ما أتصوره فى الاعلانات ٠ ولكننى ـ كعادتى دائما اتشكك فى كل معلومة أنا غير متخصص فى شأنها ٠ وأنا فى باب الاعلان لا أعرف شيئا على الاطلاق فتلك صناعة أنا بعيد عنها كل البعد ومن أجل هذا لم أطبع لنفسي كتابا على نفقتى الخاصة قط ٠ وما أظن أننى فاعل ذلك أبدا ٠ وقد جعلنى شكى فيما أعلمه عن الاعلان ألجأ الى الأستاذ الأخ الصديق « **أبو السعود ابراهيم** » أمين مكتبة الأهرام استعينه أن يرسل الى تعريفا عن هذه المادة ٠ وانى ناقل اليك ما أرسل ٠

الاعلان وفلسفته : هو عملية اتصال تهدف الى التأثير من بائع الى مشتر حيث يفصح المعلن عن شخصيته ويتم الاتصال من خلال وسائل الاتصال العامة أو هو فن اغراء الأفراد على السلوك بطريقة معينة تؤدى الى اتمام الصفقات المنشور بشأنها الاعلان ٠

هذا ما يعرف به الاعلان اذن ٠ فأنا غير بعيد عن فلسفته ٠ وما أحسب أحدا يبتعد عن هذا المعنى فيما يدريه هو بخبرته عن الاعلان ٠

اذن ما خطب هذه المحافظات المعلنة ٠ وعن أى شيء تعلن ٠ أنه من الطبيعى والمعقول أن تنتهز المحلات التجارية فرصة عيد المحافظة لتعلن عن نفسها وتروج بضائعها ٠ وانما سؤالى ٠ وعجبى عن الاعلان الرئيسى للمحافظة تتصدر به اعلانات التجار جميعا ٠

أليس هذا الاعلان يثبت أن نظرية العبث وغير المعقول مازالت تسيطر على بعض الناس ٠

انه من المؤكد أن المحافظة لا تنوى أن تبيع نفسها لأى مشتر مهما يكن شأنه ٠

وهى باليقين ليست سلعة ٠ بل هى باليقين أيضا لا مالك لها ٠ فهى جزء من دولة ذات دستور وسلطات تنفيذية وتشريعية وقضائية ويسرى عليها ما يسرى على ربوع هذه الدولة فى حدودها الأربعة ٠

فعن أى شىء تعلن المحافظة اذن ؟ .

أتراها تريد أن تعرف الناس بها . فتلك اذن مصيبة لا كاشف لها الا الله القاهر فوق عباده . أم تراها — وأنا لا أدرى — تعلن عن نفسها لتعرف الناس باسم محافظها .

وأن كان الأمر كذلك —وما أحسبه الا ذلك — فأى فائدة تعود على السيد المحافظ أن يقرأ الناس اسمه فى اعلان .

ان الناسى تحب أن تقرأ أسماء الناس حتى المحافظين — حين يقومون بعمل يستحق ان يذكروا من أجله . ولا يحب الناس — وهم محقون — أن يقرءوا أسماء الناس لا لشىء الا لأنهم فى وظيفة معينة .

فاننا اذا ما ذكرنا اسما دون أن نذكر له فعلا معينا نكون بهذا قد كتبنا جملة غير مفيدة نقش فيها المبتدأ دون أن يذكر الخبر . ولا يمكن أن تستقيم جملة بغير مبتدأ وخبر . فأى معنى يمكن أن يصل الى عقولنا « نعمان » مثلا ولم نقل ماذا فعل نعمان هذا لنذكره . وأكتب نعمان ما شاء لك هواك من عدد المرات فانك مهما تكتب تظل غير مفهوم عند من تخاطبهم وكأنك لم تقل شيئا الا أنك زدتنا بنعمان جهالة .

وقد أرى فى هذا الاعلان أن المحافظ يرفع الى السيد الرئيس تهنئاته واجلاله ودعاءه .

وغريب أن يكون المحافظ — وهو بدرجة وزير وقد لقى الرئيس عدة مرات — على غير علم واف بأخلاق رئيس الجمهورية .

أبعد ما يكون حسنى مبارك عن الرغبة فى التأليه . وأكثر الناس عزوفا هو عن تحية تقدم بغير داع أو تهنئة تسعى اليه بلا مناسبة .

متواضع هو كل التواضع . انسان عميق الشعور بالانسانية . أزهد ما يكون فى البريق وفى المظهر . أعرف الناس أن منصبه جهد وعمل ومسئولية ومشقة . وليس منصبه — كما يتخذه آخرون — وسيلة لدعاية أو استجلابا لمديح أو طريقا الى تكبر .

يعرف رئيس الجمهورية الدافع خلف كل هتاف فردى . الباعث الذى يتخفى وراءه أى تبجيل . بل ويعلم أن بعض الناس يطلبون أن يقابلوه لمجرد أن يقولوا فى مجالسهم أنهم قابلوا الرئيس . ويعرف أن هناك أثرياء وذوى ثراء باذخ أصابوا من المال ما شاءوا ولم يبق لهم الا أن

يتخذوا سمت أصحاب النفوذ والكلمة المسموعة فهم يحسون — وهم محقون — أن المال وحده لا يصنع للفارغين قيمة • ويعرف الرئيس أن كثيرا من هؤلاء يحاول أن يلقاه ليقنع نفسه أنه بلغ من الحياة تلك القيمة التى يفتقدها فى ذاته فيفقدها •

ففيم اذن يحاول المحافظ أن يقدم التحية للرئيس • علم الله أن الرئيس يرى أن انتاج وحدة واحدة من سلعة مصرية أحب اليه من ألف تحية لا معنى لها • ولو أن المحافظ أنفق الوقت الذى بذله فى تدبيج التحية والمال الذى أنفقه من الخزانة العامة فيما يعود على اقليمه الذى هو جزء من مصر بشىء من الخير لكان هذا أجدى له وأنفع • ولكان فعله حبيبا الى رئيس الجمهورية فى حين يكره الرئيس أن يتخذ المحافظ من اسمه وسيلة لاعلان عن لا شىء • فان الرئيس حسنى مبارك يعمل نهاره وليله ليحطم اللافتات المرفوعة على الفراغ ليحل مكانها عمل وجهد واتقان وجدية وصدق وشرف والله على ما أقول شهيد •

١٩٨٦/١١/٣٠ م الأهرام

السلطان والبهلوان

هذه قصة طوتها يد النسيان من قصص ألف ليلة وليلة . ربما رواها الرواة ولكنها لم يكن لها حظ الاثبات بين دفتي كتاب . ولست أدرى أسمعتها فأرويها أم شدتها فأحكيها أم تخيلتها كما يتخيل المؤلفون فسنعيت اليك بها .. أقصها عليك فيما تعودت أن أقص عليك .

يحكى أنه فى زمن من الأزمان ولى الحكم سلطان طاغية جبار . لا يطيب له الحكم الا بالحديد النار . يقتل الناس لأهون الأسباب . ويغتصب الأموال فهى له أسلاب . ويستحل كل حرام . ويعامل الناس بالاجرام . نشر جواسيسه فى كل مكان . وبث عيونه بجميع الأركان . والويل والثبور لمن قال « الا اله الا الله » فالموت ينتظر كل أهله وذوى قرباه . أمر السلطان ألا يغادر أحد البلاد ومعه أمواله . فاضطر كل فرد فى الشعب أن يرضى بحاله . واقفل جميعهم فمه . حتى لا يريق الجبار دمه . وصار الناس لا يتكلمون الا همسا . فاذا مررت بالديار فلن تسمع حسا . وامتنع عن الاجتماع فى الأماكن العامة . فقد كانوا يخشون اذا اجتمعوا أن تقع عليهم الطامة . وكان المكان الوحيد الذى يضطرون أن يحتشدوا فيه هو السوق . وهو مكان مرموق . لا يجرؤ فيه أحد أن يتكلم فى غير التجارة . فقد كانوا يعلمون ان الجواسيس قد تكون فى جداره . وأن عيون السلطان تحصى أنفاسهم . تكاد تمسك الكلمة التى تدور فى أذهانهم .

وكان للسلطان وزير على شاكلته . يحبب اليه كل ظلم ويحمل له كل قبيح . فاذا حرم الله فهو يبيح . وأن منع الشرع فهو يتبيح . كان كلبا عقورا . ويظل طول ليله مخمورا . حتى اذا صحا الصباح لا يشعر به الوزير اذا لاح . فهو من خمر الأمس سكران . وان بدا كأنه يقظان . فهو مفتوح الأجفان . ولكن بعقل نعسان . يلوح لمن يراه كأنه يفهم ما يقال بينما هو من السكر فى شر حال .

نزل السلطان والوزير الى السوق متخفيان . يريدان أن يريا الناس رأى عيان . ولم يطل انتظارهما ، فسرعان ما شهدا الناس لا تقول

الا ما يسر الطاغية . وما يجعل نفسه راضية . ولم يحاول واحد منهما أن يشهد الحزن الذى يتحرك فيه الناس . ولا البؤس الذى يسيطر عليهم من شدة اليأس . فعين الطاغية ومعاونيه . لا ترى الا ما يرضيها ويرضيه .

وبينما السلطان والوزير يتخذان من مكانهما ستارا خفيا . رأيا بهلوانا يطوى السوق طيا . ويقف الى جانب حصان هزيل . له صاحب أشد منه هزالا فهو فى وقفته يميل . واقتربت رأس البهلوان من المالك المتهالك . ثم اعتدل الرأسان وقد وضحت أمامهما المسالك . وبدأ البهلوان يصيح . مفتريا صفات البطولة للحصان القبيح . فهو الأسد الواثب . وهو فى الميدان هو الغالب . وتقاطر الناس من كل حدب . وتجمعوا حوله من كل صوب . وراح هو يجعل الحديث فى كذب مفضوح ويسويه . حتى وجد الحصان من يشتريه . وفرح البائع أى فرح . وأعطى البهلوان نصيبا من الثمن فأكرم وسجح .

ثم رأى السلطان البهلوان ينتقل الى حمار شأنه شأن الحصان الواهن الضعيف ويقول عن الحمار فيزيل من هزاله والى قوته يزيد ويضيف . ويباع الحمار ويجنى البهلوان الثمار . ويتكرر فعل البهلوان والسلطان والوزير مندهشان .

قال السلطان لوزيره :

ـ أريد هذا البهلوان .

وقال الوزير :

ـ لك الأمر وعلى الطاعة ولكن هل لى أن أسأل سؤالا حائرا فى نفسى لا يجد اجابة .

وقال السلطان :

ـ القاعدة الأصيلة أنك لا تملك السؤال فهو ليس حقك ولكن وقد قلت ما قلت فانك أثرت فى نفسى حب الاستطلاع .

فأسأل سؤالك على سبيل الاستثناء لا القاعدة . والاستثناء كما تعلم لا يقاس عليه ولا يتوسع فيه .

ـ فيم تريد هذا البهلوان الحقير ؟ وهو انسان لا قيمة له لم نسمع منه الا كذبا . ولم يقل الا الزور والبهتان .

ـ كنت أحسب أنك فهمت ٠

ـ لا وحياتك ما فهمت ٠

ـ لو لم تكن طول ليلك سكران ما فاتك ما قصدت له ولا غبيت ما هدفت اليه ٠

ـ أنا الآن على الأقل لست فى حالة سكر ٠

ـ بل أنت فى حالة خمار دائم من مخلفات السكر ومما تصنعه بك الخمر ٠ فشراب المساء تبدو عليك آثار منه شديدة فى الصباح ٠

ـ لا أستطيع أن أعارضك ٠

ـ ولا يستطيع أحد ٠

ـ ولكننى مازلت لا أدرى فيم تريد البهلوان ؟ ٠

ـ ألم تر كيف هو ماهر فى اتمام الصفقات ٠

ـ ولكنك يا مولاى السلطان لا تعقد صفقات فانك اذا أردت شيئا من ملك غيرك أخذته بالأمر من غير شراء وان أردت أن تبيع فرضت الثمن ونلته ففيم انتفاعك بالبهلوان وانت لا بيع عندك ولا شراء ؟

ـ ومن قال لك أننى أريده لبيع أو شراء ٠

ـ ففيم أذن ؟ ٠

ـ اذا خالط هذا البهلوان الناس ٠ ودخل الى البيوت وراح يمتدح السلطان جعل الناس يصدقون مديحه ولا يكرهون السلطان ولا يبغضونه ٠

ـ ومنذ متى يا مولاى تهتم برضاء الناس أو سخطهم ٠

ـ أليس من الأحكم أن أصنع بهم ما أشاء ومع ذلك أجعلهم يمدحون بدلا من أن يذموا ٠

ـ وهل يجزؤ أحد على ذمك ٠

ـ انهم جميعا يذمون السلطان فى دخيلة نفوسهم ٠

ـ وماذا يهمك من دخيلة النفوس ٠

ـ أن تكن راضية خيرا من أن تكون ساخطة ٠

ـ وهل تظنها سترضى ٠

ـ ربما ٠

ـ أيستطيع هذا البهلوان أن يصل الى خافية الصدور ٠

– يستطيع على الأقل أن يجعلهم يلتمسون العذر لأنفسهم فلا تبدو نفوسهم أمامهم مهينة ويهيئون لأنفسهم أنهم يقبلون حكمي وهم به راضون وأنهم ليسوا جبناء ولا ضعافا مهازيل .

– قلت الصواب يامولاى السلطان .

– فالتمس لى هذا البهلوان .

– سأحضره من فوره . ولكن هل أخبره من يريده .

– بل أكتم حقيقتى عنه .

– فماذا أقـول ؟

– قل تاجر من كبار التجار واسع الثراء موفور المال .

وانصرف الوزير الوسنان من فوره . وما لبث ان عاد بالبهلوان . ووضعه بين يدى السلطان .

– ما أسمك أيها البهلوان .

– عبدك يامولاى .

– أو عرفتنى .

– منذ شرفت السوق يامولاى

– يالك من داهية .

– دهائى كله ملكك .

– اذن فانت تعرف فيم أريدك ؟ .

– اذا لم أكـــن قد عرفت من أول وهـــلة فلســـت جـــديرا باستدعائك لى .

– فهل تستطيع أن تقوم بما انتدبتك له .

– وأكثر .

– قبل أن تذهب الى الأكثر قل لى فيم أردتـــك لأختبر مقـــدار ذكـائك .

– تريدنى أن أجعل الناس يمتدحونك فى دخيلة نفوســـهم كما يطيعونك فى جهير أقوالهم .

– أصبت فهل تستطيع .

– لك أن تجربنى .

– وما الأكثر .

– ان أجعلك أنت دائم السرور موفور الحبور .

ـ بالكذب والتحـايل ·

ـ بل برواية دخائل الناس ومخبوء أسرارهم وكل ظريف طريف من أحوال معيشتهم ·

ـ هل أنت أيضا صاحب حكاية ·

ـ لن أقول لا أو نعم حتى تشهد لى ·

ـ ولكنك لم تقل ما اسمك ·

ـ خادمك الأمين حسونه هنداوى ·

ـ ومتى تبدأ عملك ·

ـ لقد بدأته فعلا يامولاى ·

وضحك السلطان فى سرور واستظراف · واستأذن حسـونه فى الطاف · وما لبث أن بدأ العمل فى غير تأخر ولا مهل · وراح يندس بين الجموع · ويختلق المحامد للسلطان ويذيع · ولم يلحظ الأبله الموهوم · ان الناس تستمع اليه فى وجوم · وأنها تدعو للسلطان فى الظاهر · لأنها لا تملك أن تقول ما يدور بالخاطر · وكما فشا حسونه فى الشعب · أضحك السلطان من القلب وجهل أنه قد يستطيع أن يضحك سلطانا · ولكنه لا يستطيع أن يخدع انسانا ·

ومر الزمان واستدار · وجاء موعد السلطان لملاقاة الجبار القاهر فوق عباده · والذى لا يخرج شئ عن مراده ·

وانقلب الحال الى حال جديد · وانتهى زمن حسونه والوزير غير الرشيد · وذهب الوزير الى كسرة من زاوية النسيان · ولكن حسونة أراد أن يغالب الزمان · فنزل الى النـــاس فى السوق · فاذا هم يضربونه ضربا لم يذقه مخلوق · وهو يجرى أمامهم مذعورا · ويتخاضع لهم مذلولا مدحـــورا ·

وأصبح دأب حسونه منذ ذلك اليوم · أن يظل قابعا فى بيته بعض الوقت ثم يعود الى الناس أملا فى أن يكونوا قد نسوا ما أحاطهم به من وهم · ولكنهم كلما عاد اثخنوه ضربا وشتما وحملوه ما يطيقون ولا يطيق غما وهما · وظل هذه حاله وسنته · حتى توارى فى تربته ·

وهكذا ترى أن دولة الظلم ساعة · ودولة الحق الى قيام الساعة ·

قصة وقعت فى يدى بعد أن أخطأت طريقها الى مؤلفى ألف ليله وليلة · نقلتها اليك راجيا رضاءك أملا أن تقع من نفســك فى خير مـكان ·

الأهرام ١٩٨٦/١٢/٢

ان النفـــاق قـــديم

خرج جماعة من العرب فى زمن الجاهلية يريدون العراق بتجارة لهم . وكان كسرى يحكمها . وحين اقتربوا من العراق قال قائلهم :

انا من مسيرنا هذا لعلى خطر . فلقد قدمنا على ملك جبار . ونحن ندخل بلاده دون اذن منه . وما أحسب أننا نستطيع أن نتجر فى هذه البلاد . والرأى عندى أن يذهب واحد منا بالتجارة . فان قتله الطاغية كسرى فنحن براء من دمه وان غنم فله نصف الربح .

وتقدم شاعر جاهلى اسمه غيلان بن سلمة الثقفى وقال :

ـ أنا لها .

فلما دخل بلاد كسرى وضع كثيرا من الطيب ولبس ثوبين أصفرين . وهذا عجيب فى ذاته فقد كشف علماء الألوان بعد هذا الزمان بأزمان ان اللون الأصفر من أكثر الألوان اجتذابا للأنظار وهكذا تجد أن للمنافقين موهبة خاصـــة يعرفون بها كيف يصلون الى المكامن الخفية من مواطن الارضاء عند الناس .

جلس غيلان بباب كسرى وقد أصبح أمره بين الناس شهيرا . وأخيرا اذن له كسرى .. وخرج اليه الترجمان وقال له :

ـ يقول لك الملك ما أدخلك بلادى بغير اذنى .

فقال :

ـ قل له لست من أهل عداوة لك . ولا أتيتك جاسوسا لضد من اضدادك وانما جئت بتجارة تستمتع بها فان اردتها فهى لك وان لم تردها وأذنت فى بيعها لرعيتك بعتها . وان لم تأذن فى ذلك رددتها .

وبينما هو ماض فى حديثه سمع صوت كسرى فاذا به يهوى ساجدا ويدهش كسرى والترجمان ويسأل الملك .

ـ لم سجدت ؟

فاذا هو يقول فى دربه المنافق الأصيل .

ـ سمعت صوتا عاليا فى القصر · وليس من المعقول أن يعلو فى القصر صوت الا صوت الملك فعلمت أنه بمقربة منى فسجدت اجلالا واعظاما لصوت الملك ·

وطبعا استحسن كسرى ما فعل وأمر له بمخدة توضع تحته فى جلسته فحين أمسك بها غيلان وضعها على رأسه · فضحك الملك وظن بالشاعر الجهل والحمق وقال : عن طريق ترجمانه ·

ـ انما بعثنا بهذه لتجلس عليها ·

فقال غيلان :

ـ أعلم هذا ولكننى رأيت عليها صورة الملك فلم يكن من حق مثلى أن يجلس عليها ولكن كان حقها التعظيم فوضعتها على رأسى لأنه أشرف أعضائى وأكرمها على ·

ما أحسب الا انك عرفت النتيجة المحتمة لهذا النفاق العظيم فان للمنافق الى العتاة مسلكا لا يخيب وطريقا لا يكدى وسبيلا لا يخطىء ·

لقد اشترى كسرى التجارة من غيلان بأضعاف ثمنها وكساه وبعث معه بنائين من الفرس ابتنوا له قصرا بالطائف · فكان أول قصر شيد بالطائف ·

أرأيت · قديم هو النفاق قديم ·· موغل فى الزمن الى الأعماق الغائرة من أوائل التاريخ · وان كان هذا الذى حملته الينا أنباء الرواة قد حدث فى الجاهلية فهناك مما لم يروه الرواة ما يخطئه الحصر وما يعجز عن الالمام به ذكر أو رواية ·

سمعنا أنباء النفاق أحاديث ورأيناه رأى العين · واحتقرناه فلم يعبأ بالاحتقار وسخرنا منه فلم يلق أى عناية بالسخرية ·

وعلى الرغم من أن النفاق قديم الا اننى أعجب من شأنه كل العجب فهو واسع الانتشار حتى يوشك أن يكون هو الأصل · وما لى لا أقول انه أصبح هو الأصل حين انكمش الصدق خزيان خجلا وكأنه هو الخلق الشائن المعيب ·

ولا ننسى واحدا من زعماء المنافقين فى العصر الحديث سأله طاغوته عن أمر يشغله فاستأذنه المنافق أن يتيح له بعض الوقت حتى يعود اليه

بالرأى الاسد الرشيد • ويروى المنافق نفسه فيقول انه راح يدور فى المماشى ويلوب حول نفسه ويروى أنه راح يصعد ويهبط ويتهم وينجد حتى أوحى اليه الشيطان ما أوحى واقتنع هو انه الرأى لا رأى مثله حتى اذا فرغ من الهامه نصب • والى مولاه الطاغية رغب • يقول له فى سعادة غامرة ، وفى هناءة طاغية ، وفى جدل مسرور محبور •

— ما كان لنا ان نقول لك رأيا فأنت وحدك صاحب الرأى • فأنت ملهم يصل اليك الرأى من حيث لا نعلم فكيف لمثلنا من البشر أن يفكر فى امر انت تفكر فيه •

وقد كان المنافق وطاغوته كلاهما لا يؤمنان بالله • فالالهام الذى قصد اليه زعيم المنافقين الهام هابط من مكان آخر غير السماء ، وهو وحده الذى يعرف هذا المكان ولا يعرفه سواه •

ان يحدث هذا كارثة بشرية بالغة الحقارة • فاذا وقع سرا دون أن يعلم به أحد كان فى ذاته عارا أما أن يرويه صاحبه فى كتاب ويفاخر به ويزهى كما يزهى ويفاخر انه وسيده لم يكونا من المؤمنين بالله فذلك هو الفجور أو هو أمر أعظم فداحة من الفجور لم تستطع لغة فى العالم بعد أن تجد له لفظا •• ولكن ربما — ومع انتشار النفاق — تجد له فى الغد القريب وصفا يحيط بمدى سقوطه وهوانه •

والمجتمع لم يوقع على المنافق جزاء • بل هو يكرمه •• وهو أيضا يوسع له فى المكان •

وأرى من بعده أنواعا شتى من المنافقين •• أشاهدهم بعينى يتقافزون فعل القردة • ويسجدون فعل العبيد •• ويجعلون من رءوسهم مواطىء أقدام لينالوا منصبا كبيرا مرموقا أو يهتبلوا مالا •

وأعجب •• انما يطمح الانسان فى المنصب ليكون بين الناس ذا كرامة ووجاهة وجاه • فكيف يمتهن كرامته ويمزقها ويحقر ما أكرمه الله به حين جعله انسانا • وينسلخ عما وهب له المولى من عزة الأحرار من أجل أن يكون بين الناس ذا كرامة •

أيشترى المنصب بالكرامة وهو فى ذاته جانب قليل من معنى الكرامة •

كيف يقبل انسان عاقل رشيد أن يبيع الكل في مقابل الجزء والقليل التافه في مقابل العظيم النبيل . كيف يقبل انسان أن ينحدر الى هاوية الهوان ليكون أمام الناس في قمة العزة .

تناقض لا يسيغه منطق . ولكنني أرى المنافقين في كل مكان .

وما بعجيب أن ينالوا ما يسعون اليه : ففي كل انسان ضعف الى المديح وكم رأينا الصلب العنيد عند الاشادة به وتعظيم شأنه يلين ويسمح ويقدم ما كان يمنع .

وما بعجيب أن ينالوا ما يسعون اليه . فان لهم لجاجة لا تنتهي . فالمنافق بطبيعة تكوينه صفيق الوجه ساقط الحياء . فهو يستطيع أن يلح بصورة لا يستطيعها غيره . فان الحياء وحده هو الذي يرد الانسان عن كثرة الالحاح . فمن ضاع حياؤه وجف ماء وجهه فأي شيء يمكن أن يرده عن المبالغة كل المبالغة في الالحاح .

والنفس ذات ملالة وكثيرا ما يصاب من بيده شغل المناصب بالملل من شدة النفاق ومن كثرة الطلب . والانسان ـ من قبل ومن بعد ـ إنسان ولعله قائل لنفسه فلاضعه في هذا المنصب الذي يكاد يموت شوقا لبلوغه وهو ـ على أية حال ـ ليس شرا من غيره .

وما البأس أن نجربه فاذا لم يرتفع بنفسه الى مستوى المنصب عزلناه وكل ذي منصب لابد يوما أن يعزل .

وينسى الانسان ان في رفع الذليل الى منصب رفيع اهانة للمنصب وحطا له عن كرامته وسفولا به عن مكانته .

ولا عجب أن يكون إنسان من الناس ذليلا ولكن شين أن يشغل المكان الكريم انسان ارتضى أن يمحق كرامته ويمحو حياءه ويريق ماء وجهه حتى يجف .

ان يكن التاريخ قد روى لنا قصة غيلان بن سلمة الثقفي مع الطاغية كسرى فان إلتاريخ نفسه لا يهمه شأن غيلان وما استطاع أن يناله من مال كسرى . لأن مال كسرى كان يمكن أن ينفق في أي مصرف من مصارف البذخ الأرعن المجنون التي يرمي فيها الطغاة بأموال شعوبهم .

ولكن أن يصل انسان بلا كرامة الى منصب له مسئوليته فتلك اذن هي الطامة الكبرى . لأن المنصب ليس جاها فحسب ولا هو وجاهة وكفى .

وانما هو حياة أقوام وصوالحهم . فلن بيد صاحب المنصب مستقبل جماعات وأقوام وأسرات وبيده أيضا حاضرهم وعيشهم وحياتهم .

والدليل في المنصب عنوان كريه لكل من يعرف حقيقته . واذا استطاعت الحقيقة من أمره أن تتخفى عن سائر الناس قبل صعوده على أربع إلى منصبه فان هذا المنصب نفسه سيجعل المخفى من أمره معلنا والمستتر من هوانه شهيرا جهيرا .

وبعد فان النفاق قديم كما قد علمت . وهو يتجدد مع كل يوم من أيام الحياة لا ينتهي أمره ولن ينتهي .

وتسألنى ففيم اذن تكتب ما تكتب مادمت تعلم أن النفاق سيبقى ما بقيت الانسانية .

انما أكتب لانه لابد أن يجد المنافق من يقول له انك منافق . ولابد أن نظل نقول ان النفاق هوان واذلال للبشرية ومحو للكرامة وتمزيق لكل ما هو شريف نبيل في حياتنا .

لعلنا — من يدرى — لعلنا أن نمنع مشروع منافق أن يصبح منافقا كاملا .. فان الطريق الى النفاق — للأسف الشديد — ملىء بالاغراء والطريق الى الشرف — للأسف الشديد أيضا — محشود بالصعاب !

والجنة — كما نعرف جميعا — محفوفة بالمكاره . والقابض على دينه كالقابض على الجمر . كان الله فى عون الشرفاء المؤمنين .!

الأهرام ١٤/١٢/١٩٨٦

الحطيئة في عصرنا

أما الحطيئة فشاعر من أعظم شعراء جيله اذا وضعناه في ميزان الشعر وحده اما اذا انتقلنا به الى ميزان الأخلاق فالأمر مختلف كل الاختلاف · وحتى أغنيك عن التفصيل أروى لك بعضا مما ذكره عنك المؤرخون ·

قيل فيما قيل انه لقى الزبرقان بن بدر وهو رجل من وجوه عصره وسمى بابن بدر لحسنه وجمال وجهه · وقد استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه وأقره أبو بكر فى مكانه لم يغيره وتوفى الزبرقان أيام معاوية ·

لقى الحطيئة وعرض عليه أن يستضيفه فرحب بذلك كل الترحيب ولم يكن الزبرقان متجها الى بيته وانما كان فى بعض شأن له سيبعده عن داره بضعة أيام فكتب خطابا الى أمه وأعطاه للحطيئة وطلب اليها فى الخطاب أن تحسن الى الشاعر وتكرمه وتكثر له من التمر واللبن · وكان الحطيئة دميما لا تحترمه العين فلما رأته أم الزبرقان احتقرته وقصرت فى شأنه ·

واهتبل أعداء الزبرقان من بنى بغيض الفرصة فمازالوا يغرون الحطيئة أن يترك ضيافة ابن بدر الي ضيافتهم حتي استلان لهم وقبل عرضهم وراح يمدحهم ·

ثم راحوا يطلبون اليه أن يذم الزبرقان والحوا عليه حتي قال أبياته الشهيرة ·

لما بدا لى منكم عيب أنفسكم	ولم يكن لجراحى فيكم أسى
أزمعت يأسا مبينا من نوالكم	ولن ترى طاردا للحر كالياس
ما كان ذنب بغيض أن أري رجلا	ذا فاقة حل مستوعر شاسى
جارا لقوم أطالوا هون منزله	وغادروه مقيما بين أرماس
ملوا قراه وهرته كلابهم	وجرحوه بأنياب وأضراس

دع المكارم لا ترحل لبغيتها وأقعد فانك أنت الطاعم الكاسي
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه نرى مرح فقال عمرو بن العاص
لا يذهب العرف بين الله والناس ما أظلت الخضراء ولا أقلت

ولم يجد الزبرقان ماذا يلجأ اليه من هول هذا الهجاء الا عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وقد يعجب قراء هذا الجيل أن يلجأ شخص الى أمير المؤمنين وامام المسلمين وأعظم من أقام فى التاريخ عدلا ليشكو اليه شاعرا نال منه ببضعة أبيات .

وقد يجهل قراء هذا الجيل ان الشعراء فى ذلك الزمان كانوا التليفزيون والاذاعة والصحافة والسينما والمسرح والندوات أيضا . وكان يكفى الحطيئة أن يقول أبياته حتى يتناقلها الرواة فما هى الا أيام قلائل حتى تصبح على كل لسان ناطق بالعربية فى العالم أجمع .

فليس عجيبا أن يفزع الزبرقان الى عمر بن الخطاب وليس عجيبا أن يستنشده عمر الأبيات ويرويها له ويقول عمر :

— ما أسمع هجاء ولكنها معاتبة .

فقال الزباقان : ...

— أو تبلغ مروءتى الا أن آكل وألبس .

فاستقدم سيدنا عمر حسان بن ثابت وسأله :

— أتراه هجاه .

فقال حسان :

— لقد هجاه شر هجاء .

فأمر عمر بالحطيئة فحبس وراح الحطيئة يكتب الشعر لأمير المؤمنين لعله أن يصفح عنه وكتب له فيما كتب هذه الأبيات الشهيرة :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الأمام الذى من بعد صاحبه ألقيت اليك مقاليد النهى البشر
لم يؤثروك بها اذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر

وبكى عمر فان عمر أواه حليم . بكى وهو يسمع « ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ » فقال عمرو بن العاص « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء اعدل من رجل يبكى على تركة الحطيئة » وقال عمر « ما أرانى الا قاطعا لسانه » ثم قال « على بالطنست » ثم قال « على بالسكين » ثم عاد فقال

« لا بل على بالموسى فهو أسرع » فضج الحطيئة وقال انى والله يا أمير المؤمنين قد هجوت أبى وأمى وامرأتى ونفسى وتبسم عمر وقال فماذا قلت قال « قلت لأبى » :

فبئس الشيخ أنت لدى تميم   وبئس الشيخ أنت لدى المعالى

وقلت لأمى :

تنحى واجلسى منى بعيدا   أراح الله منك العالمينا
اغربالا اذا استودعت سرا   وكانونا على المتحدثينا
حياتك ما علمت حياة سوء   وموتك قد يسر العالمينا

وقلت لأمرأتى :

أطوف ما أطوف ثم أوى   الى بيت قعيدته لكاع

وقلت لنفسى :

أبت شفتاى اليوم الا تكلما   بسوء فما أدرى لمن أنا قائله
أرى لى وجها شوه الله خلقه   فقبح من وجه وقبح حامله

فقال الذين مع عمر « أصفح عنه يا أمير المؤمنين ولن يعود الى هذا أبدا » وأشاروا الى الحطيئة أن يقول انه لن يعود فقال « لا أعود يا أمير المؤمنين » فقال عمر « كأنى بك عند فتى من قريش قد بسط لك وسادة وكسر لك أخرى وقال أنشدنا يا حطيئة فرحت تنشده بأعراض الناس ٠

ويكمل رجل اسمه ابن أسلم القصة قائلا « فما انفضت الدنيا حتى رأيت الحطيئة عند عبيد الله بن عمر قد بسط له وسادة وكسر له أخرى وقال أنشدنا يا حطيئة فراح ينشد بأعراض الناس فقلت له « أتذكر قول عمر ؟! » ففزع وقال « يرحم الله ذلك المرء ، أما انه لو كان حيا ما فعلت » ٠

ولعلك اليوم تسألنى فيما رويت لك مارويت ٠ وما تذكرى لشاعر من شعراء صدر الاسلام ٠ وانى لأسمح لنفسى أن أسألك أنت ٠ ألم يذكرك ما رويته عن الحطيئة بماتراه اليوم ، اننى فى زمان الحطيئات فيه ملء الدنيا لو كنت بعيدا عن مجالات الصحافة والمجالس التشريعية فانك لن تعرف ما دفعنى الى رواية ما رويت والى قول ما أقول عن الحطيئات وهو جمع لا أدرى مدى صحته للحطيئة ٠

انى أرى بعينى كثيرا من الذين يكتبون فى الصحافة يهددون كل من بيده مسئولية سواء كان ذا شأن فى التليفزيون أو الاذاعة أو المسرح اذا هو لم يستجب لما يفرضونه عليه من أعمال هزيلة حقيرة تافهة شائنة لهم

أو لأصدقائهم أو لمن يقدم اليهم الرشا فانهم سيشهرون به ويرصدون أعمدتهم الغليظة وأقلامهم الخائنة لحربه. واختلاق السوء عنه اذا لم يجدوا من الحقيقة ما يسعفهم ولقد رأيت رأى العين المسئولين وهم حيارى لا يدرون ماذا يصنعون • اذا هم قبلوا ما يفرضه عليهم هؤلاء السفاحون من حملة أقلام حطيئة الذليلة •

قدموا للناس أعمالا غثة تثير عليهم ثائرة الناس وغضبهم • واذا هم رفضوا خرجت عليهم الأعمدة الثقال تتهمهم بالحق والباطل وتلقى عليهم ظلالا كثيفة من شكوك وتختلق عنهم الأكاذيب وتشوه أمام الناس صورهم بلا حسيب من ضمير أو وازع من شرف •

وقد أرى ما هو أدهى من ذلك وأشد وطأة حين أجد الأسئلة والاستجوابات وطلبات الاحاطة تنهمر على الوزراء من أجل مطالب شخصية •

فأين المفر ؟

وأين لنا بعمر بن الخطاب ؟

بلى لقد أحسب أن عمر وهو عمر اذا عاد لعجز عن مواجهة هذه الأزمة الأخلاقية الطاحنة • ومالى لا أظن هذا الظن وأنا أذكر ما كان من أمر عمر بن عبد العزيز حين سأله أستاذه في خطاب أرسل به اليه •

« ماذا تريد أن تصنع بعدلك الناس هذا الذي تفرضه على الناس » •

فقال يرد على خطابه :

« أريد أن أكون مثل جدى عمر بن الخطاب » •

فكتب اليه أستاذه يقول : « لن تستطيع واذا استطعت تصبح أعظم من عمر بن الخطاب نفسه ؛ لأن الذين حول عمر كانوا يعينونه على هذا العدل ويؤيدونه ويؤازرونه أما أنت فان الذين حولك سيمنعونك ويحاربونك ويقاتلونك وقد يقتلونك » •

وصدق حدس الأستاذ وقتل عمر بن عبد العزيز قبل أن يتم سنتين من حكمه •

ويل لنا اذن من زماننا وقد أصبح حملة الأمانة هم حملة الظلم والابتزاز ••

وأراك تسألنى عن أمل وارى نفسى تبكى وقد تمزقت ليس من أمل الا فى وجـــه الله وان ســألتنى فلماذا أكتب فاننى مجيبك اننى أكتب لاننى لا أملك الا أن أشكو العاتية الى نفسه لا أرجو أن يثوب الى فضل من نبالة وانما أرجو أن يعلم ان أمره ليس على الناس سرا . وما هذا ينافع أيضــا ولا شافــع فان الذى يعتو لا يعنيــه فى شىء أن يظهر أمره للناس . ثم هو يتحصن منى ومن غيرى بأننا لا نملك الدليل . فالتهديد غير مكتوب فى عقد مشهر وانما هو كلمة تقال فى السر فاذا لم تصب من الذى هدده مواطن خوف وفزع نشر المبتز ما عن له من هجوم ضار واعلنه على الناس وصوره لهم على إنه رأى برىء من كل غرض بعيد عن كل غاية .

والنتيجة كما نرى . اعلام هابط . واقتصـــاد متعوز خائف . وعصر مرتعش وأجف . وحسبنا الله وحده فانه نعم الوكيل .

الأهرام ١٩٨٦/١٢/٢١

مصر المنـــارة

الأبناء أجمل ما وهب الله للانسان ، هم حياتنا ··· بل انهم أعز علينا من حياتنا ··· يسعدنا أن نموت من أجلهم · نسـعى فى الحياة سعينا ونشقى ، وتؤودنا الأيام بشتى أنواع العنت ، وتلاقينا بمختلف صنوف الجهد لنوفر لأبنائنا الهناء ونجنبهم كل ما يمس سعادتهم ورغد عيشهم وأمن نفوسهم ·

الابتسامة على وجه أبنائنا أعظم ما ينير لنا الحياة · وجوه كل الأبناء عند أبويهم هى أجمل الوجوه وأنضرها · وهى الخفقة السعيدة من قلوبنا · اذا انتخف بهم طريق ، جزعنا كأننا نواجه عواصف العالم أجمع · واذا استقام سبيلهم فكل ما نلقـاه من أحداث الحياة محتمل · اذا جحدوا التمسنا لهم المعاذير ، وان جنحوا لقسوة اختلقنا لقسوتهم الدوافع أكرم ما تكون الدوافـع ·

نغضى عن خطاياهم حتى كأنها ما كانت ونحتفى بحنانهم بالغا ما بلغ حنانهم من هوان الشـأن ·

نلتمس عندهم نظرة رضا · وقد نكون أعزة على أنفســـنا نشمخ بأنوفنا على القمم والهامات العالية ولكننـا عند أطفالنـا أطفال · نسعد بأوهى ما يعطون ، اذا أعطوا · وماذا يمكنهم أن يعطوا الا كلمة فيهـــا حنان · أو سؤالا عند مرض · أو مشاركة باللفظ عند شدة حاطمة ·

هؤلاء الأبناء · هناؤنا وشقاؤنا · عزنا وحرصنا · أمننا وفزعنا · غاية الغاية لحياتنا · هم نهايتنا وبدايتنا ·

فماذا حدث فى العالم اليوم · ماذا صنع البشر بالبشر · وكيف سمحت الحياة لنفسها أن تخرج علينا صبيحة أحد الأيام تعلن الينا أن أبوين فى لبنان عرضـا أبناءهما للبيـع · ماذا صنعت القوة الغـاشمة بالانسانية هنـاك ·

ان ما فعله الأبوان ليس قسوة منهما على أبنائهما وانما ما فعـلاه أبشـع من انتحار كل من الأبوين · ولكن كليهما كان ممزقـا بين جوع

أبنائه فى ظله وعريهم وهوانهم وذلهم فى حماه · وبين أن يبعدوا عنه كل البعد مكتفيا أن يطمئن انهم على قيد الحياة · مرتئيا أن حياتهم فى رعاية غيره ينالون عنده غذاء مهما يكن قليلا وعناية مهما تكن غير حانية · حنو الأب · خير لهم من حيـاتهم فى بيته جوعى مهزولين يقتـلهم البرد أو يحرقهم الحر وأجسادهم بلا كساء ·

وادرك كل من الابوين أنه لو انتحر فقد دينه وفقد معه مستقبل أولاده وهرب من واجبات الأبوة فاقدم على هذه الخطوة التى ما أحسب الا انها زلزلت كل من قرأ عنها أو سمع بها ·

أى عذاب تعرض له كل من الأبوين حتى انتهى الى هذا القرار · اتراه يوم اتخذه وأعلنه خرج من حيرته الى طمأنينة أم زاد حيرته هلعا وذعرا واشفاقا على بنيـه ·

هل تملك الانسانية أن تلوم الأبوين أم هى تقف واجمة مستخزية حسرى ازاء ما صنعه الأبوان أو ما صنعته بهما الانسانية ·

هل هى الانسانية التى صنعت أم الوحوش الضارية التى صعقت لبنان وفرقتها شيعا وحطمتها جذاذات قاتلة سفاكة ! واأسفا على لبنان بلاد الجبال الشماء تعممها الثلوج كأنها مصابيح الشيوخ الأئمة والجداول الرقراقة صفا نميرها وطاب منها المجرى والمرأى والمشرب · بلاد الأرز الأشم يغطى السهول منها والوديان كأنه أيد مرفوعة بالدعاء والشكر لمن جعل لبنان جنات النعيم وطريق الخلد كما كان يراها خالد الشعر العربى أحمد شوقى ·

الى أى مصير ألقى بها التعصب والغناء والأصدقاء والأعداء· أصبحت جبالها كالمجرمين العتاة الزنادقـة واستثيرت الجداول منها هادرة فهى أنهار صاخبة من الدماء الحمراء القانية · وتهدلت الأيدى المرفوعة من الأرز واسترخت فى استسلام الموتى ويأس المطحونين ·

وما أخال الجبال والجداول وأشجار الأسى الأصـارخة اليوم فى عويل طويل مفجوع من هذين الأبوين أحدهما فى شمال لبنان والآخر فى الجنوب يعلنان الرغبة منهما أن يبيعا كبودهما لمن يشترى ·

اذن فهكذا يصنع التعصب والتطرف بأصحابه · أترانا سنسمع فى قريب عن أباء وأمهات يبيعون أبناءهم فى ايران ·

وهل يمكن أن تنتهى هذه الحرب هنـاك الا بهذا الفتـك بأسمى العلاقات الانسانية وأشرفها معدنا وأنبلها أصرة ٠

أيريد الارهابيون هنا أن تتمزق نحن أيضا كما مزق الارهابيون لبنان وكما يمزقون اليوم ايران !

أيريد المتطرفون فى مصر أن يوقعوا بين الأخوة حتى ينتهى بنـا الأمر الى بيـع أبنائنـا ؟

ألا من مدكر ٠٠٠ ويحهم ألا يعقلون ؟! ويل لهم ألا يبصرون أم على القلوب منهم أقفالها ؟

ان المتطرفين من شتى الأنواع والنحل تعاقدت منهم الأيدى واتحدت الطرق وأصبحوا حربا على كل قيمة يحـاولون أن يحطمـوا مصر أول ما يحطمون ٠

أيريدون أن ينتهى بنا الأمر أن نبيع أبناءنا كما صنعوا فى لبنان ؟

ان الذى يحدث اليوم فى لبنان هو المصير المحتوم لكل بلد يحاول فيه المتطرفون أن يفرضوا أنفسهم على الحكم على أى لون كان تطرفهم هذا وعلى أى عقيدة أو ملة أو مذهب ٠

وتلك الأقلام التى لا تنفث الا سما ولا تكتب الا خزيا ولا تخط الا سفولا ، أما آن لها أن تدرى أن الطريق الذى فيه يسيرون يتجه بوحدة مصر الى تمزيق ؟

لماذا يتاجرون بالأمنا ولا يحاولون أن يخففوا منها ٠ ولماذا يزيدون أوجاعنا أو صابا ولا يحاولون أن يكونوا دواء لداء ٠ وهم يدعون أنهم أبناء مصر ويزيدون انهم هم هم وحدهم الأبناء المخلصون ٠

أما آن لهم أن يرعوا الله فيما يصنعون ؟

كره الله هذا والمؤمنون ٠

انما الله سلام ٠ وأمن وطمأنينة ٠ وهو سبحانه يرى الفتنة أشد وبالا من القتل ٠ فما لكم ترفعون اسم الله وتشيعون الفتنة بين عباده ٠ وما لكم تدعون الوطنيـة وتفشون الفرقة والتنـابذ والأحقاد بين أبنـاء

الوطن . وما لكم ويلكم تجعلون صحفكم سوداء بالسخيمة غبراء بالكراهية قاتمة بالسباب الى اين وماذا تريدون ؟

أتراكم قرأتم من بيع الآباء لبنيهم . أو تراكم فزعتم كما فزعت الانسانية جميعا على شتى ألوانها وصنوفها ومعتقداتها وأديانها . أم انكم أنتم بلا انسانية ولا معتقدات الا الخراب ولا دين الا التمزيق والحرق والتدمير ؟

ستبقى مصر . ولن نبيع أبناءنا ولن نبيع قيمنا ونبالتنا وان تكن منا فئة عاجت اليوم عن الطريق أو حادت عن الشرف فان وجه مصر المشرق بتاريخها الذى كان بكر الحضارات وأولها . وبدينها الذى ظل عماد الحياة فيها وأسسها . وبخلقها الذى ورثته عن أعظم ما فى الحياة من سجايا سيعيد المعوج الى الطريق والحائد الى السبيل وستبقى مصر كما أراد لها الحى القيوم كنانة الله فى أرضه . اختارها سبحانه مسرى أنبيائه وطريقهم واختارها أن تكون مئذنة العالم العربى ينطلق من مناراتها : الله أكبر فيرددها من ورائها كل المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها .
واختارها أن تكون الضياء الغامر للعالم العربى أجمع .

هكذا كانت وهكذا هى وهكذا ستظل وان رغمت من المارقين الأنوف والله سبحانه غالب على أمره .

الأهرام ١٩٨٦/١٢/٢٧

واغــوثاه

لابد للدولة أن تعيش · ومهما تكن الصعاب والعقبات والعراقيل فان الدولة تجتازها وتعبرها الى الحياة ·

فالدولة أصل · ولن يمنع الدولة أن تصل الى الرأى السديد لافتات على فراغ · أو شعارات جوفاء · أو نداءات تصدر عازفة بشقشقة فارغة أو الفاظ غنائية ·

وما أرى الا أن مصر اليوم تؤجل ما ستضطرها الأيام أن تتخذه من قوانين · وعزيز على كل مصرى أن يرى مصر مرغمة ·

ان الرشاوى غير المنطقية التى قدمتها بعض الحكومات الى فئات من هذا الشعب الطيب لابد أن تصدر القوانين بالعدول عنها ·

فالرشوة بعيدة كل البعد عن العدالة · والعدالة فى النهاية هى صاحبة الكلمة العليا · لأن العدالة ليست الحق وحده وانما هى أيضـا تمكين صاحب الحق أن يناله · وكل حق يقابله واجب · فالحق والواجب وجهان لعملة واحدة · ولن يسـتقيم فى العقول أن تكون عملة ما ذات واجهة واحدة ·

وحقوق مصر مهدرة عنـد كثير من الفئات · هذه الفئات لم تؤد واجبها ونالت أكثر من حقها · فالعدالة اذن بينها وبين الدولة غير قائمة بل هى منهارة ·

ان العـالم جميعـه يدهش أن تكون فترة العمل اليوميـة فى مصر سبعا وعشرين دقيقة · وان جامع حروف هذه المقالة سيجدنى كتبت عدد ساعات العمل بدلا من فترة العمل ثم شطبتها وكتبت فترة · لأن الجملة لم تستقم فى ذهنى · ففترة العمل عندنا لا تحسب بالساعات شأنها فى جميع دول العالم وانما تحسب بالدقـائق · التى لم تصل الى الثـلاثين دقيقـة ·

فكيف تستطيع هذه الحقائق اقالة اقتصاد مصر مما يتردى فيه . وما هو موقفنا أمام العالم وهو يسخر من هذه الحقيقة الموجعة الأليمة ومالى لا اقول المضحكة وشر البلاء ما يضحك .

ليس فى العالم أجمع دولة تماثلنا فى هذا . ذلك لأن الجزاء رفع تماما عن العامل .

فحين نجد الدول الشيوعية تعاقب المتكاسلين من العمال لا بالرفت وحده . وانما بالسجن والنفى وما لا يعلمه الا الله من وسائل التعذيب نجد العمال متحصنين فى مصر من أى عقاب مهما يكن هينا . ونحن دولة تتخذ الديمقراطية التى هى حكم الأغلبية عنوانا لحكمنا . بينما ترفع الدول الشيوعية شعار حكم الطبقة العاملة لافتة على نوع الحكم فيها .

فاذا كان حكم الطبقة العاملة يوقع الجزاء أشد ما يكون الجزاء على العامل الذى لا يؤدى واجبه أليس من الأولى أن نعيد نحن النظر فى قوانين العمال عندنا حتى ينال الكسول والمهمل وغير المبالى جزاءهم .

وهل من العدالة فى أى شرع أو منطق أن يتساوى المحسن والمسىء . والجاد والهازل . والخامل والنشيط .

ان قوانين العمل التى نحاذر اليوم أن نأتى بذكرها وكأنها ذات مصونة لا تمس لن تستطيع أن تواجه الأزمة الطاحنة التى تعيشها مصر . ويأتى حين على الدولة تشعر أن الأمر جدا لا يحتمل المراوغة . وحين يأتى هذا الحين تصبح الدولة ولا خيار أمامها . فاما أن توجد أو لا توجد واما أن تعيش أو لا تعيش . والدول دائما تعيش على الرغم من كل اللافتات .

وحينئذ تتخذ سبيلها قصدا الى الصحيح من الأمر . ويقول القائل يومذاك المثل العربى القديم « مرغم أخاك لابطل » . فقبل أن نكون هذا المرغم لابد لنا أن نفىء الى الرشد . وأن نفيق الى الهول الذى يحيط بنا . فعزيز على كل مصرى أن يرى مصر مرغمة .

وقوانين التعليم المجانى ذات اسم عريض على غير المسمى . فانه بفضل اللافتات التى رفعتها والشعارات التى اصطنعتها نجحت كل النجاح ان تجعل الاسم المطلق على هذه القوانين اسما على غير مسمى . وأنشودة بلا صوت . وجعجعة ولا طحن .

لم يعد فى مصر تعليم · والمدارس والكليات فى مصر ليست مجانية ·

وليصرخوا بأعلى صوت لهم · ليس فى مصر اليوم تعليم ·

والانتساب الى دور العلم الموجودة الآن ليس مجانيا ·

أين المجانية مع هذه الأرقام الهائلة التى يدفعها الأباء المطحونون فى الدروس الخصوصية · وأين التعليم فى بلد نرى فيه خريجى الجامعات لا يقيمون جملة صحيحة بلغة بلادهم ·

وكم نادينا أن يدفع القادر أجرا لنعين به غير القادر فى التعليم وهباء راح ندائونا ، وتصايح هواة اللافتات ، اصطرخ أبناء الشعارات ، وتهاتف الجبناء الحريصون على الخراب ·

ان التعليم حق · هل ننادى بأن يدفع القادر الا لكى نؤدى هذا الحق لأصحابه ·

ان التعليم حق · فهل ناله أبناء مصر ؟! علم الله انهم لا ينالونه الا من دروس خاصة يبذلون فيها دماء آبائهم ·

ويعلن بعض رؤساء الجامعات انهم هيأوا مواقف لسيارات الطلبة تتسع لآلاف من هذه السيارت · اشتراها أصحابها بالعشرات الكثيرة من الألوف وأصحابها فى داخل الكليات يعتصرون دماء مصر المأزومة ويزيدون الرهق الذى تعانيه · وبعض هؤلاء الطلبة نال شهادة الثانوية العامة وتلقى تعليمه الاعدادى والابتدائى بل والحضانة بمدارس أجنبية كانت المصروفات فيها آلافا مؤلفة دفعها الآباء عن رضا وطيب خاطر طوال سنوات الدراسة دون أن يقول واحد منهم كلمة معارضة أو احتجاج حتى اذا نال أبناؤهم الشهادة الثانوية استباحوا لأنفسهم أن يتلقى أبناؤهم تعليمهم العالى وهو العالى مجانا على نفقة مصر ·

ويتدهور التعليم فى المدارس والجامعات · والهتاف بمجانية التعليم يعلو ويتفاقم · وهيهات ·

لن يصح الا الصحيح ·

وها نحن أولاء نصيح · ادركوا الأمر وأنتم بعد فى نهاية الطريق من الاختيار قبل أن ينغلق دونكم الاختيار ويقول القائل · مرغم أخاك لا بطل فعزيز على كل مصرى أن يرى مصر مرغمة ·

أنا مؤمن ايمانا وثيقا انه لا سبيل الآن الى الغاء القطاع العام فان في الغائه سحقا للاقتصاد المصري •

ولكن الا من نظرة أمينة اليـه •

ما معنى أن يشغل القطاع العام نفسه بالتجارة في دكاكين انما نعرف أن يكون القطاع العـام في الصناعات الكبرى • وقد يكون من المعقول أن يتصدى للصناعات المتوسطة •

أما أن يكون عمر أفندي وشيكوريل وصيدناوي والصالون الأخضر وأشباه هذه المتاجر قطاعا عاما فتلك عجيبة من عجائب الزمن •

وأسـمع أخيرا ان بعض هذه المحلات العـامة تؤجر الأركان فيها للقطاع الخاص •• ما هذا ؟! •• وأي نوع من الاقتصاد ذاك ! •• أهو عام أم خاص أم هو خليط شائه مضحك لم يعرف العالم له مثيلا ••

ويقولـون أين يذهب عمـاله الذين تكاثروا بصـورة سرطانيـة وأصـبحوا يقبضـون مرتبـات دون أن يقـدموا عملا • ونقول لهم انقلوهم بدرجـة البطالة التي يشـغلونها الى أي مكان وازيحوا أورامهم عن هذه المتاجر التي تستطيع ــ ان هم زحزحوا عنها ــ أن تصبح قطاعا خاصا مربحا لمن يشتريه ومربحا للدولة في وقت معا •

فالخسارة في هذه المتاجر ليست ناتجة عن العمالة الزائدة أضعافا مضعفة فحسب وانما هي باديء ذي بدء من انعدام الحافز الشخصي الذي اعترفت به الدول الشيوعية نفسها •

فلو أن لهذه المتاجر أصحابا لعرفوا كيف يستخلصون منها أحسن ما يمكن أن تعطي • وهم بعد سيدفعون عن أرباحهم ضرائب للدولة خالصة بغير جهد من الدولة ولا نصب •

أما الدكاكين التي تبيع فيها الدولة الفول والطعمية والكباب فتلك في ذاتها مسرحية من المسرح الهزلي العابث وأنا لا أستطيع أن أصدق انها موجودة حتى ولو كانت فعلا موجودة •

واليوم الذي يتحتم فيه على مصر أن تواجه هذه الخسائر أن لا شك آت • ان لم يكن قد أتى فعلا • وستضطر مصر مرغمة أن نقيم القواعد

على الأسس الصحيحة · لأنه ـ ودائما ـ لا يصح الا الصحيح وكم نرجو أن تحزم الدولة أمرها قبل أن يصيح صائح مرغم أخاك لابطل · فعزيز على كل مصرى أن يرى مصر مرغمة ·

وبعد فما أسوق الا أمثلة قليلة من أشباه كثيرة سيأتى اليوم عاجلا لا أجلا نجد أنفسنا فيه مضطرين أن نتخذ القرار الأمثل بغير هتاف ولا لافتات ولا تهريج ولا مغالطة · فقد تصلح هذه الأشياء بعض الحين ولكن ما أقل هذا الحين · ثم سرعان ما ينجلى عن الحق الذى لا حق غيره · وسرعان ما يستبين الصواب ويصح الصحيح · فادركوها ·· فانها اليوم تصيح بكم واغوثاه · ولم يبق أمامكم الا أن تستجيبوا لصراخها فانما تستصرخ بنيها ولا يصرف الأبناء أذانهم عن الأمهات الا ان كانوا صما أو كافرين بحق الأمومة وما نحن بصم وما نحن بحق الأمومة بكافرين ودائما والى الأبد عزيز على كل مصرى أن يرى مصر مرغمة ·

١٩٨٦/١٢/٢٨ الأهرام

سنة ١٩٨٧

جفـــاء •• لا يمــكث

كان قدرى ان أعيش مع الناس منذ البواكير الأولى من حياتى • فقد ولدت وأبى عضو مجلس النواب • وعضو مجلس النواب لابد أن يعرف كل البلاد التى انتخبته فله فى كل بلد أصدقاء منهم التاجر ومنهم الفلاح ومنهم شيخ البلد • وهو باليقين يعرف عمد هذه البـــلاد جميعا وعلى صلة وثيقة بهم وكل عمدة منهم يظن انه الأثير عند النائـــب • وفى هذا الحين من الزمان كان بيت النائب مثابة لأهل دائـــرته جميعا والدوائر المجاورة أيضا • واذا احتاج بعضهم ان يبيت بضع ليـــال فى القاهرة فانه يكرم النائب ويبيت فى بيته فلا يصح ان يكون بيت النائب موجـــودا ويبيت زوار القاهرة من أبناء المنطقة فى فندق أو عند قريب لهم أو نسيب •

وكان أبى أيضا محبا للشعر والشعراء حتى لقبوه بأبى الشعراء • فكان بيتنا منذ وعيت لايخلو من الشعراء •

واتصلت أسبابنا بذوى الحكم والسلطان وهكذا قدر لى ان أعرف جميع فئات المجتمع وأن تقوم بينى وبينهم أواصر ألفة ومودة •

فأنا أرضى من الناس بما لا يرضى به غيرى • أقبل الالحاح فى الطلب وأقبل الازعاج فى غير وقت العمل • واسترضى أولئك الذين يتظاهـــرون بالغضب لأهون الأسباب ولأكثرها تفاهة • وأذكر البيت القديم :

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

مرنت على أن أقبل الناس على ما فيهم من عيوب • وأغضى عن عيوبهم عينا تعرف ما بهم من شوائب • فمن غلبت فضائله على مثالبه قبلته • ومن غلبت مثالبه على فضائله قطعته وكأننى لا أعـــرفه • وأذكر حكمـــة مأثورة مؤداها « نصف الفطنة تغافل » وأعمل بها ما وسعنى الجهد ولكن الجهد قد ينفد • وقد لا تسعفنى سعة الصـــدر • وقد يضيق بى التغافل فأثور ولكن ما أقل ما تدوم ثورتى وما أسرع ما أثوب الى سكينة النفس وهدوء الطبـــع •

ولكن هناك بعض صفات فى الانسان لا أستطيع أن أغتفرها فيما اغتفر من مثالب .

لا أطيق الذى يحسب أن الناس أغبياء وهو وحده الذكى ولا أطيق الكذوب الذى لا تستطيع ان تعرف منه حقا . قد أغضى عن صادق اضطرته الظروف الى الكذب أحيانا ومن فى الناس لا يضطر الى ذلك . وغفر الله لابن الرومى حين قال .

وانــى لــذو حلـف حاضر
اذا ما اضطررت وفى الحال ضيق
وهل من جنــاح على مؤمن
يدافــع باللــه مالا يطيق

اما ان يكون الكذب هو الأصل فى الانسان والصدق صـدفة فتلك خلة لا أستطيع ان أعرف صاحبها ولا أقبل ان يعرفنى .

وأذكر واحدا ممن عملوا مع أبى كان مصـــابا بداء الكذب حتى اذا أراد أن يقول الصدق عصاه لسانه وقال الكذب وكان أبى يقول عنه انه لو عرف ان الصدق سينقذه وان الكذب سيحيطه بالمهالك كذب وفاء منه للكذب وحرصا عليه .

أما أبشع من عرفت من الناس فهو ذلك الذى يتظاهر بما ليس فيه فهو شخص يعلن على الناس انه ليس راضيا عن نفسه كما هى فهو يحاول ان يضفى عليها ما ليس فيها .

وفى هذه الحمـاة من المهـــانة يقع الذين يعشقون المظاهر الكاذبة فتراهم وقد انتفخت أوداجهم وورمت أنوفهم وعلت صـــدورهم . وتراهم يصطنعون دواعى العظمة . فان كانـوا من ذوى سلطـــان استكثروا من الحراس واختاروا من السيارات أكثرها اجتذابا للأنظار .

مساكين هؤلاء انهم لا يهدأون أبدا اذا أرادوا ان يسلموا على صديق رسموا لأنفسهم شكل السلام . وان أرادوا ان يبتسموا فكروا طويلا فى صورة الابتسامة وان أرادوا ان يمشوا شكلوا خطاهم ، وان أرادوا أن يجلسوا تحيروا كيف يجلسون فى عظمة وكيف تحتفل بهم الأنظار وتحيط بهم الأصدقاء وتتخلق حولهم الاهتمامات حتى لا يصبح أحد فى الجالسين ذا شأن الا هم . وقد يكون فى جلستهم من يسمو عنهم منصبا أو سن

يعلو عليهم علما وشهرة ومكانة ولكنهم مساكين يحسب كل صغير منهم انه مركز الكون وانه لولاه ما دارت الأرض ولتوقفت الحياة ·

كم هو هزيل ذلك الأدهى من هؤلاء وكم تضيق به الحياة على سعتها وكم أريد ان أصيح به كن انت ايها الانسان فانك مهما تتخذ من أبهة فارغة ومن مظاهرة كاذبة لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ·

هؤلاء الناس يحسبون ان أى منصب أقل من عبقريتهم الباذخة ومن شخصياتهم العلوية السامقة · يحفرون بأيديهم المهاوى لخطواتهم لأنهم يطمعون ان ينالوا من الحياة أكثر مما تستطيع الحياة ان تعطيهم يتمثلون قول المتنبى :

أريد من زمنى ذا ان يبلغنى
ما ليس يبلغه من نفسه الزمن

ناسين ان المتنبى ــ على عظمته ــ مات حتف غروره وكان موته نهاية طبيعية لسعيه المجنون الى امارة أو بعض امارة ·

وهؤلاء الصغار لا يقف بهم طموح ·· وويل كل الويل اذا ولوا من المناصب كبيرها · فانهم بعد ذلك يلهبون ظهر الزمن لينالوا المنصب الذى يليه · هيهات أن ينتهى جنون العظمة عندهم الى غاية أو يبلغ بهم الى مرفأ · فان ملكوا الأرض طلبوا السماء · يقتلهم صغارهم ·· ترديهم تفاهتهم · تقضى عليهم رغبتهم المشتعلة ان يحيط بهم الاهتمام والتكبير والتعظيم · وانك لترى العاملين معهم يؤلهونهم فى ذلة وهوان فان غفلوا لحظة عن التملق لهم · والتمدح بالائهم ومآثرهم استحثوهم ان يمدحوا وأرغموهم على التغنى بقدراتهم الخارقة · وهؤلاء الصغار الذين يتخذون ملابس الكبار لا يرضون ان يكون نبوغهم فى جانب واحد من الحياة أو فى ناحية واحدة من التفوق فهم يتوهمون انهم علماء وأدباء وساسة وأصحاب وسامة وجمال ورشاقة وانهم على كل شىء قادرون والذين حولهم لا يقف بهم نفاق عند حد وهم ــ والعياذ بالله ــ بلا حياء ومن فقد حياءه زاد نفاقه لأنه بلا كرامة ترده وبلا خلق يردعه · والذى يصدقه أشد منه وقاحة وأكثر منه جهلا··

مصير هؤلاء معروف · فان الحياة ترفض من يريد ان يخلق لهــا ناموسا غير ناموسها أو يحاول أن يضع لدورانها دستورا غير دستورها · وسبحان الذى قال « فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » ·· ومثل هذا النوع من الانسان زبد فهو جفاء وهو لا يمكث ؟

الأهرام ١٩٨٧/٢/٦

نقيـــق

للشيوعيين ـ والعياذ بالله ـ نوع من الخلق ينفردون به عن سائر المخلوقات في العالم ـ وهم ـ فى أنماط أخلاقهم هذه يتشابهون حذوك النعل بالنعل فى كل جماعة لهم لا يختلف رهط منهم عن رهط ولا تجمع لهم عن تجمع ٠

فهم جميعا ينطقون عن لسان واحد والحجة التى تجدها عند أحدهم تجدها عند الآخر وان تباعدت بين الاثنين الأماكن ٠٠ وان شط مستقر أحدهم عن مستقر الآخر ٠ والمراقب لهم يدرك من فوره ان جميعهم أبواق لمصدر اذاعى واحد ٠ وان جميعهم صدى لصوت آمر ينطلق من هناك وينقله حجر منهم فى شكل انسان ٠ أو ان شئت فقل فى وعاء انسان الى حجر آخر يتخذ هو أيضا شكل الانسان ٠

وتصبح أصواتهم جميعا وكأنها نقيق ضفادع يتعالى منها الصياح وتصوت جميعها فى وقت واحد لاتستطيع اذنك ان تميز صوت ضفدعة منها عن أخرى ٠ وانما تنطلق الضفادع جميعا بصيحة واحدة ٠ والعجيب العجيب فى شأن هؤلاء الشيوعيين انهم اذا صمتوا ٠٠ صمتوا جميعا فى لحظة واحدة ويسود سكون ينبيء ان الأصوات الى عودة ٠ وتكون العودة دائما بنفس الضجيج كثيرون هم يتصاخبون وجميعهم يقول مايقوله الآخر ٠

تصاعدت أصوات ضفادعهم فى الفترة الأخيرة موجهة نقيقها الى شخصى ، وغاية ما أسفر عنه صياحهم اننى كنت ضد حرية الرأى فى ساحة فخامة رئيس الجمهورية حين اجتمع بالكتاب وهو يفتتح معرض الكتاب ٠

وان لهم لصفاقة هيهات وألف هيهات ان تتأتى لغيرهم ٠ وقد رمونى بتهمة لم أصنعها والشهود على صدقى وكذبهم أكثر من مائة كاتب كانوا يشهدون اللقاء وقد استمعوا الى كل كلمة قيلت فيه ولو كانوا على ذرة من حياء لخجلوا ان يفتروا فريتهم تلك والشهود جميعا يعرفون كذبهم واختلافهم واعتداءهم على الحق ٠

أما الواقعة كما حدثت فهى أن عالمهم محمود أمين العالم طلب الكلمة من فخامة الرئيس فأعطاه اياها فراح يلقى حديثا طويلا لم يجعل له عنوانا وانما كل كلمة فيه تطالب بأن تطبق مصر النظرية الشيوعية الماركسية ٠

ولم يفجر المتحدث ان روسيا وهى روسيا بدأت باخرة تتخلى عن كل ما كان ينادى به سيادته ويريد تطبيقه ٠

وزاح الرئيس يستمع ويناقش فى هدوء وفى أدب جم نعرفه فيه جميعا واستمر النقاش حتى سأل الرئيس فى هدوء :

ـ يعنى ماذا تريدنا ان نفعل ٠

وقلت أنا فى محـــاولة طبيعية لوضع عنـــوان لحديث الأســتاذ محمود أمين العالم :

ـ انه ياسيادة الرئيس يريد أن يطبق النظرية الشيوعية الماركسية على حكم مصر ٠

وارتج على الأستاذ محمود أمين العالم وكأنما لم يكن يتوقع أن يعلن واحد من الحاضرين عنوان الحديث الطويل الذى ألقاه ولم يجد شيئا يقوله الا جملة متلعثمة مترددة :

ـ لا ٠٠ النظرية الشيوعية ٠٠ لا ٠٠ هذه موعدها بعد عشر سنوات أو عشرين سنة ٠

وانتهى النقاش ٠

وخرج جميع الشيوعيين من جحورهم ٠ ما كان لرئيس اتحاد الكتاب ان يمنع أحدا من ابداء رأيه وثروت أباظة يصـــادر الرأى ٠ والمدافع عن الحرية يتصدى للحرية ٠ وتجاوبت أعمدتهم ومجلاتهم متناوحة تحمـــل نقيقا واحدا الا كاتبا منهم هو الأستاذ عبد الستار الطويلة الذى أكن له احترام الخصم فى الرأى الذى يمنعه كرم نفسه أن يخلط خصومته بدخل أو كذب أو ادعاء باطل ٠

فقد كان شريفا فى حديثه عنى وما أحسب التهمة التى وجهها الى الا سوء تفاهم لا ألومه عليه وأشكره فى ذات الوقت على نبيل رأيه فى ٠

وما هذه هى المرة الأولى التى يختلق فيها الشيوعيون الأكاذيب عني ثم يصدقونها ثم تتوالى مقالاتهم في مهاجمتي من أجل الواقعة التي يعلمون هم علم يقين انهم اختلقوها . ولكن هذا دأبهم فما رأيت فى حياتى أجرأ على الحق منهم . وما العجب ؟ والمذهب بأجمعه يقوم على انكار الحق وهو الحق سبحانه وتعالى عما يشركون .

قال قائلهم ونشر بجريدة عربية تصدر فى دولة غربية: ان ثروت أباظة طالب بمنع دخول الشاعر نزار القبانى الى مصر . فى هذه الزيارة التى أدعوا فيها اننى أريد ان أمنع دخول الشاعر الى مصر التقيت بالشاعر فى « الأهرام » ودعوته ان يشرفنى ببيتى فى غداء أو عشاء فنحن صديقان قديمان ولقد طالما شرفنى ببيتي والتقيت به أكثر من مرة فى بيت عمي عزيز أباظة باشا الذى كان يصر على دعوته كلما جاء الى القاهرة . وقد دعانى نزار الى بيته أكثر من مرة . فكيف تنوطد بيننا هذه العلاقة . وكيف أدعوه الى بيتى وفى نفس اليوم أطالب بأن يمنع من الدخول الى مصر .

هذه واحدة وأخرى . من نصب رئيس اتحاد الكتاب بوابا على مداخل مصر . وبأى صفة يحق لى ان أطالب بادخال أى شخص أو بعدم دخوله .

وكيف يسوغ فى الأذهان ان يطالب رئيس اتحاد الكتاب وهى نقابة حملة القلم باتخاذ اجراء تعسفى ضد واحد من شعراء العصر أو أى حامل للقلم .

كانت الفرية مضحكة واضحة الهزل والضحالة فأوليتها أذنا غير صاغية وأهملت شأنها .

ولكن الكذبة سعت بأصوات الضفادع الى أركان الأرض العربية جميعا وتصايحت أقلام الشيوعيين من كل حدب وصوب ترفض موقفى الذى لم اتخذه ولم أفكر فى اتخاذه ولم أتصور ان من حقى أو من واجبى ان أقفه .

وجاءنى محرر من الجريدة العربية التى نشرت الخبر أول ظهوره فبادرت بتكذيب ما اختلقوه اختلاقا ونشر المحرر الأمير الخبر ووضعته الجريدة مشكورة فى مكان واضح من صفحاتها .

فهل أجدى التكذيب هيهات .. مازال الشيوعيون حتى الأيام الأخيرة الماضية يندون بالموقف الذى لم اتخذه ولم أفكر فى اتخاذه .

ونزار قباني شاعر من أعظم شعراء جيله • ونحن لانحاسب الشعراء على مواقفهم السياسية • ولو فعلنا لتعرض أغلب الشعراء من الجاهلية الى يومنا هذا لرفض شديد • ولكان المتنبى أكبر شعراء العربية بعد شوقى اكثر الشعراء تعرضا للمحاسبة وانما ينبغى ان يكون دأبنا مع الشعراء ما وصفهم به الخلاق العليم فى محكم قرآنه « ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون » • صدق الله العظيم •

ومالنا أن نحاسب نزار على تقلب رأيه بشأن نقده لمصر او مديحه لها وبين كتاب مصر الذين ينتسبون بآبائهم وأمهاتهم وعظام أجدادهم الى مصر من باعوها حين ذهبوا الى الدول العربية بيع السماح أو بيع اللئام وراحوا يكيلون الشتائم لمصر وحكام مصر ويتقاضون أجر أعراضهم ثمنا دنسا حقيرا •

ثم هاهم أولاء اليوم بين ربوع مصر يقولون آراءهم مديحا ونقدا كأنهم ما باعوا مصر بأموال مازالت حتى اليوم تملأ خزائنهم • وغفرت لهم مصر ومن يغفر اذا لم تغفر الأم • وغفرنا نحن أبناء مصر ما أساءوا ومن أولى بالغفران للأخ من أخيه •

وها هو ذا الشاعر الفنان نزار قباني يعود الى مصر منشدا لها نشيد الحبيب العائد الى حبه • وما زالت مصر هي حب العرب أجمعين • يحبونها على أى حال هى عليه • وقد يضيقون بما تعانيه ولكنها عندهم أجمل من أمريكا التى يجدون فيها آخر ما وصل اليه الانسان لتدليل الانسان • ولكنهم لايجدون فيها أو فى غيرها دفء الأخوة العربية ولن يجدوا • ولا يجدون فيها ولن يجدوا مايلتقون به فى مصر من فن يخاطبهم ويخاطبونه ويناجيهم فيفهمون نجواه •

فمرحبا بنزار الشاعر المطبوع الذى أعتبره أنا ويعتبره كل منصف واحدا من علامات جيله فى الشعر العربى • ومرحبا به فى بيتى الكبير مصر • ومرحبا به فى بيتى الصغير الذى طالما زاره والذى اعتقد انه يعتبره واحدا من أقرب البيوت الى نفسه بين البيوت الكثيرة التى ترحب به فى مصر •

الأهرام ١٩٨٧/٣/١

الأيدى الفصيحة

أحسب ان هذه الكلمة ستظهر وقد انتهى كل نبا فى شأن المرشحين الى مستقر ٠

ومع انتهاء الأحزاب من اختيار قوائمهم سنرى وجوها راضية وأخرى عليها من الغضب قترة ٠ ولا علينا من هؤلاء ولا من هؤلاء فكل من تطمح نفسه للترشيح يظن انه مكتسح خصومه وان الناس لا تحب أحدا قدر حبها له ٠ وسبحانه وتعالى هو وحده الذى يعلم القلوب وهواها فى سخطها ورضـــاها ٠

لم يكن الناس على أية حال راضين عن المجلس المنحل ولذلك نرى الشعب جميعه مقتنعا لأول مرة فى تاريخ الاستفتاء بصحة نسبة التسعين فى المائة ٠ فهى نسبة تمثل اتجاه الشعب حقا فى غير افتئات عليه ٠

وكره الناس فى أعضاء المجلس القديم انصرافهم عن مصالح الوطن العليا وسعيهم الحثيث لتحقيق المصالح الخاصـــة ٠ وكره الناس كثرة التصفيق والتهليل ٠ وكره من المعارضة الصوت المرتفع الجهير الذى لا يقول شيئا ٠ وكره منها ادعاء البطولة فيما لا بطولة فيه ٠ وكره الناس تصادم المنصة مع الأعضاء وحجبها للأسئلة والاستجوابات وهى الوسائل الجادة للمعارضة التى يستطيع بها المعارض ان يقدم رأيـــا ذا قيمة وتستطيع الحكومة عن طريقها ان تبين وجهة نظرها ان كانت سليمة أو العدول الى الطريق الأقوم ان لم تكن سائرة فيه ٠ وكره الناس من أعضـــاء المجلس القديم حرصهم على اثبات أسمائهم لينالوا مكافأة الحضور ثم انصرافهم بعد ذلك عن الجلسات ليسعى كل منهم الى شأن يغنيه ٠ وكره الناس خوف الأعضاء من مواجهة كبريات الأمور وأمهات المسائل والخطير الخطير من شئون الدولة ٠ وكره الناس من المجلس جميعه منصـــة وأعضـــاء حرصهم غاية الحرص ان يحجبوا القوانين عن مجلس الشورى وهم يعلمون كل العلم انه يجمع بين جنباته عقولا باذخة تشرف بها مصر بل يشرف بها كل فرع ثقافى بمثلونه فى أنحاء المعمورة ٠

وكره الناس ان تخرج احصائية مخجلة تثبت ان أكثر من مائتي عضو لم يفتحوا فما بكلمة واحدة وتساءل النساس وانى معهم أتساءل ما حرصهم اذن على مقعد في مجلس نيابي وهم بكم الأفواه فصحاء الأيدى • فهم عن الكلام معرضون وهم الى التصفيق يتسابقون • ولقد نعلم — وبئس ما نعلم — ان التصفيق الذى يرتكبونه هو على صغاره وهوانه أشرف ما تصنعه أيدى البعض منهم مهما يكن هذا البعض قليلا • وكره الناس تجمع نواب الشعب والرقباء على السلطة التنفيذية حول الوزراء في مقاعدهم وبايديهم مطالبهم أو مطالب أصدقائهم • وجميعنا يعلم ان كل وزير يخصص لأعضاء مجلسى الشعب والشورى أياما محددة في الاسبوع ليلتقى بهم وينظر في مطالب دوائرهم •

وكره الناس من أعضاء المجلس الماضى ان نواب الشعب رفضوا ان يتحرروا من ربقة الناخبين وقد كانت انتخابات القائمة كفيلة ان تجعلهم نوابا لمصر جميعها وليس للدائرة التى يمثلونها وحدها • وهذا هو الأصل الدستورى الذى تقوم عليه عضوية المجالس التشريعية • كما ان الأصل الدستورى أيضا ان عمل الناخب ينتهى عند صندوق الانتخاب • ولايمنع هذا النائب ان يرفع ظلما عن ابن دائرته اذا وقع عليه ظلم أو ان يرد عنه غائلة الحياة اذا ما غالته الحياة على ان يكون عمله هذا بجانب واجبه الأصلى الذى تفترض الديمقراطية انه انتخب من أجله نظرا في التشريعات ومساءلة للحكومة •

وكره الناس ان تتحدد صلات أعضاء مجلس الشعب بالوزراء على أساس الخدمات الشخصية التى يقدمها الوزراء لممثلى الشعب وذويهم ومن يلوذ بهم ومن يجعل منهم وساطة الى الوزير • فاذا أجابهم الى مطالبهم مهما تكن جائرة صفقوا له وأحبوه وان أبى الا الحق انصرفوا عنه وكرهوه •

واليوم تلك هى القوائم وأولئك هم المرشحون في الدوائر الفردية • وهذه هى الانتخابات قد بدأت فهل يدرى المرشحون ماذا ينتظر الشعب منهم كمرشحين ثم ماذا ينتظر منهم اذا قدر لهم النجاح وأصبحوا ممثلين للأمة •

أحسب انهم يعرفون • ولكن لم أخش ان يضربوا صفحا عما يعلمون •

الوعود البراقة • والكلمات المعسولة • والألفاظ الرنانة والجلسات الهامسة • والعلاقات الدفينة • والايمان الكاذبة • والتلطف الذى لا يخدع

أحـــدا • والعزاء فى كل ميت • والتهنئـــة لكل مناسبة ولغير مناسبة • والسرادقات واللافتات والهنافات والطبول والزمور • كل هذا لن يفيدهم شيئا ، ان من محاسن انتخاب القائمـــة ان الناخب ينبغي له ان ينتخب المبدأ لا الشخص • ويعطى صوته للقائمة التى لا تضم بين أعضائها من يعلمون عنه ما يخدش الشرف أو يجرح الأمانة •

فاذا فاز من فاز أفيدرى ماذا عليه أن يواجه •
كبريات الأمور لا صغائرها •
ومصير أمته ومستقبلها •

لم تعد مصر تستطيع أن تصبر على ما ابتلاها به الزمن من قوانين هازلة ، ومن شعارات كاذبة ، ومن مقولات فارغة • أدت بهـــا الى هذا الانهيار الاقتصادى الذى لابد لنا أن نواجه مواجهة صادقة لا ميوعة فيها ولا مهادنة •

سيواجه المجلس الجديد القوانين الظالمة الغاشمة التى تجعل العامل الكسول الخامل ينال نفس الحقوق والحوافز التى ينـالها العامل المجد الأمين الصادق • هذا الحيف القاتل للانتاج يقع فى غيبة الجزاء والثواب • غيبة لاتعرفها دولة فى العالم من شرقيه الى غربيه •

سيواجه المجلس موقفا حاسما مع العاملين فى القطـــاع العام الذى بلغت جملة أرباحه المتدهورة واحدا فى المائة بنسبة لايعرفها التاريخ • ولم لا والعاملون فيه يشعرون انهم سينالون رواتبهم وعلاواتهم وحوافزهم ومكافأتهم وبدائل طبائع العمل والوقت الاضافى والأجازات المدفوعة الأجر مهما تكن الشركة التى يعملون بها خاسرة خسارة فادحة قاتلة مهينة •
وما لهم الا تنماع نفوسهم وهم يحرقون الآلات بملايين الجنيهات لأنهـــم لم ينالوا حوافز الخسارة التى حققوها والخراب الذى أحلوه بالبلاد •

المجلس القادم سيواجه هذا واما أن يأخذ موقفا حازما واما ان تضطر مصر ان تأخذ هى الموقف • فالدول لاتموت ولكن يموت فيها من لايؤدى واجبه بالصدق الذى ينبغي له وبالأمانة الخليقة بأعضاء مجالسها التشريعيـــة •

المجلس القادم سيواجه وحتم عليـــه ان يواجـه مشاكل التعليم أو ان شئت فقل مشاكل عدم التعليم فى مصر ولا تقل الدستور فالدستور

قانون أم ٠ والأم رحيمة بأبنائها ٠ نعمة هي وليست نقمة، حنان هي وليست تدميرا ٠ في ظل لافتة مجانية التعليم لابد ان يحرم من المجانية كل طالب يرسب في الامتحان في أي سنة من سنوات الدراسة سواء كانت ابتدائية أو اعدادية أو ثانوية أو جامعية ٠ وفي ظل مجانية التعليم وجدت المدارس الخاصة ينفق فيها التلاميذ آلاف الجنيهات حتى اذا أصبحوا تلامذة في الجامعة حجبوا أموالهم وكنزوها واشتروا بها لأبنائهم السيارات الفارهة تتبجح في صفوف أمام الجامعات حتى لقد أعلن أحد رؤساء الجامعات انه أعد لهم الأرض الشاسعة لتكون مرتعا لسياراتهم ٠ أتقف سياراتهم بالخارج ويدخلون هم الى المدرجات والمعامل يتلقون تعليمهم مجانيا بلا مقابل ٠

أى دستور يقر هذا وأي عرف وأي أمانة وأي شرف ٠ سيواجه المجلس القادم أهوال القطاع العام جميعا ٠ سيواجه حالة فريدة في أنحاء المعمورة ٠ دولة في قطاعها العام المحلات التجارية والذى تعرفه الدول ان تكون الصناعة قطاعا عاما وما عرفت الدول ذات الاقتصاد الحر محلات بيع في اطار القطاع العام قط ٠ وان كانت الدول الشيوعية تعرفها فها هي ذي تتخلص منها ٠

سيواجه المجلس الشعبي القادم ان يقول كلمته وان يحسم الرأى في القطاع العام الخاسر الجائر الذى يبتلع أموال الدولة وعليه ان يقر الرأى الاقتصادى الذى لا رأى غيره الا يبقى الا القطاع العام الأكبر الذى لابد للدولة ان تقوم بعبئه وان يصفى القطاع العام الخاسر مع الانسانية كل الانسانية بعمالة فما يقبل مجلس نيابى أن يضيع حق فرد من أفراد الشعب ٠ وانما كما تراعى الدولة الناحية الانسانية في معاملتها لأبنائها لابد من الناحية الأخرى ان يراعى أبناؤها الناحية الانسانية في معاملتهم للدولة ٠ وانما الدولة هي هؤلاء الأفراد كلهم ومعهم أبناؤهم وأزواجهم وآباؤهم وأمهاتهم وكل ذويهم ٠

في أي عرف في العالم تبيع الدولة الدبوس والفول وتبيع الطعمية ٠ أى مهانة للدولة ان تتصدى لمثل هذا ٠ والعجيب المضحك المفجع انها أيضا تخسر حين تبيع الفول والطعمية ٠

ونسمع وويل لنا حين نسمع ان متاجر القطاع العام مثل عمر أفندى والصالون الأخضر وصيدناوى وغيرها وغيرها كثير تؤجر للقطاع الخاص أركانا فيها ليبيع القطاع الخاص منتجاته ٠

ويل لدولة تتحايل على نفسها وويل لقانون يتستر على قانون وويل لنا من أنفسنا اذا نحن لم نواجه الحقيقة المؤكدة من انهيار القطـــاع العام بالحق الذى لا حق غيره · بالقانون نواجه الزيف وبالجرأة نواجه الجبن · وبالصراحة نواجه الاحتيال وبعون الله يكتب النصر للمفلحين الذين على ربهم يتوكلون والذين اذا عـرفوا الحق لزمـوه غير مخادعين ولا محاذرين ولا مجانبين ·

على المجلس القادم ان يواجه هذا ويواجه الكثير من أمثال هذا المين والخداع والغش ويدعو الله من أعمـــاق القلوب ان رب أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ·

وحينئذ سيقول شعب مصر جميعا أمين ·

الأهرام ١٩٨٧/٣/٨

مصريون ••• مصريون

مصريون •• مصريون نحن بكل قطرة من دمائنا •• بكل مسرى من مجرى دمائنا ، مصريون بأعراقنا التى ورثنـــاها عن آبائنا ، ومصريون بأعراقنا التى تختلج بها قلوب أبنائنا • آمالنا كلها تطوف بأرض مصر وسمائها ومسالك الهواء فى أجوائها ومجرى الجداول من نيلها وأمواج البحرين على ضفافها •

وغاياتنا ان يكون الرغد والرخاء والأمن والنماء أحضان مصر وحياتها وترابها ونبتها من الشجرة اللفاء عريقة الجذور الى أعواد الزروع الحديثة الاخضرار •

وفى يوم من الأيام هتف قائل محموم لا يكفى أن نقول مصر حتى تنحنى الرؤوس ويله يوم نادى هذا النداء •• ما أعظم ما تبجح وما أبغض ما فجر به • كان فى ذلك اليوم ذا منصب واتخذ من منصبه جنة يستجن بها ليهاجم مصر وهو مصرى من الفاف حنايا مصر •• جعل منصبه دريئة ودرعا ليطلق صيحته الرعناء الحمقاء التى لا أشك ان مددها كان مالا دنسا تسرب اليه فى ليل من الحاقدين على مصر والشانئين من أقزام الدول • وحسب الأحمق أن صيحته ستبتلعها أفناء مصر ولا تلتفت اليها ويكون هو قد زاد خزائنه مالا وزاد ذمته المالية المتجردة من الأمانة ثراء بالنقود وليس يعنيه من بعد ان تزداد فقرا الى الشرف والكرامة والوطنية والانتماء •

ويحه ماذا قال •• وأى شاية تغيا •• وأى هدف تقصد •• اننا نحن أبناء مصر اذا سمعنا كلمة مصر خشعت منـــا القلوب ووجفت مناحبـــات الأفئدة وخضعت منا الجباة •

فان يكن هناك يسار فليكن يســـارا مصريا أو يمين فليكن يمينـــا مصريا •

وان تزيا اليسار بالاشتراكيـــة أو تسربل اليمين بالتطرف الدينى فلابد للقلوب ان تظل مصرية أصيلة عميقة الايمان بمصريتها •

ليس مصريا يسار يمد يديه خارج مصر ليصيح ان العالم كله وحدة وإن الوطنية شعوبية وان الوفاء للدولة تفريق بين أبناء الانسانية .

فمن أحضان الأم تنبت الانسانية فى العالم ومن عبير تراب الوطن نشعر بالوجود البشرى ومن لم يعرف كيف يحب أمه جهـــل كيف يحب وطنه ومن لم يعرف كيف يحب وطنه جهل كيف يحب الانسان فى كل مكان .

كاذب ذلك الذى يدعو الى خير البشرية قبل ان يدعو الى خير وطنه . وهو يتقاضى من أجل ذلك أموالا هى أحقر ما يصيب انسان من مال على وجه الأرض .

بل ان الذين يدعون الى عالمية الفن يدركون كل الادراك ان عالمية الفن لا تكون ولن تكون الا من محلية هذا الفن ونمائه فى أحضان وطن تغذى من لبانه وشب من بين أحضانه ومضى شأنه الى العالم بجناحين راشهما الوطن الذى ولد فيه ونما وشب .

وما أصبح الكتاب العالميون عالميين الا لأنهم كتبوا عن مواطنهم وكانوا على أوسع علم بخفاياها وبالبعيد البعيد من أسرارها . كان هؤلاء الكتاب بين كل اثنين يتناجيان . وفى كل جماعة تتنادم . وفى كل رهط يسمر .. ومع كل عامل فى دكانه وبيته أو حجرته . وكان يتعرف على الأسرار الخبيئة فى بيته . وكان مع كل فلاح يفلح أرضه . كان الكاتب فاسه ومنجله وكان معه وأبناؤه به يتحلقون أو يتغاضبون .. كان يعـــرف آمال كل فرد فى شعبه كما يعرف آلامهم وكان فرحتهم وحزنهم وابتهاجهم وغضبهم ورضاهم وسخطهم . وبهذا الامعان فى المحلية أصبح تولســـتوى ودستيوفسكى وبسترناك وشكسبير وديكنز وهاردى وهيجو وبلزاك وزولا ودوديه وجيته وهمنجواى وستاينبك ومورافيا وكل من بلغ مكانتهم عالميين .

ان العالمية بنت الوطنية . والمحلية هى الأساس الأول ليجوب اسم الفنان أنحاء المعمورة .

فحين ينادى اليساريون أو غيرهم ممن لف لفهم بالتخلى عن الوطنية انما يفترون فرية عظمى تحضهم عليها الدول الشيوعية التى تريد ان تمتص كل ثروات الدول الأخرى .

وحين ينـــادون بأن الدين هو أفيـون الشعوب .. وانه لا يؤمن الا الرجعيون الجامدون تضحك منهم البشرية ــ وتسخر من جهلهم ..

فان الأديان هى حضارة البشرية وهى الفكر التقدمى الذى جــاء ليهدى الرجعيين السلفيين الذين يتجمدون كالحجارة التى كان آباؤهم يعبدون ولو كان الشيوعيون يقرأون القرآن لقرأوا الآيـات الكثيرة التى تذهب الآيات الكريمة ٠

« أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون ٠ بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة انا على آثارهم مهتدون ٠٠ وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية الا قال مترفوها ! انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون قال أولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون » ٠ صدق الله العظيم ٠

ولعرفوا ان الرجعية هى الالحاد ٠ ولكنهم لا يريدون ان يعرفوا ٠ أو لا يريدون ان يعلنوا انهم عرفوا أو يعلنون هذا فتنقطع عنهم الأموال التى تنهال عليهم من كل حدب وصوب ٠

انما نرفع شعار مصر ليرتد عنا المتطرفون الشيوعيون الملحدون بالله والوطن خاسرين حيثما وجدوا لا قبلة لهم الا الخزى ولا عاقبة لهم فى الدنيا أو الآخرة الا الفشل والبوار ٠

ونرفع شعار مصر لقوم آخــرين يريدون ان يتخذوا الدين مطية ليصلوا بها الى حكمنا فيصبح أمرنا على أيديهم فرطا ٠

فهم قرأوا القرآن ثم أبوا ان يتدبروه ٠ نسوا قوله تعالى « هل كنت الا بشرا رسولا » ونسوا « لست عليهم بمسيطر » ونسوا « فانما عليك البــلاغ وعلينا الحساب » وقوله تعالى « واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين » وقوله تعالى « ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون » ٠

فاذا كان الله جل وعلا رفيع الدرجات ذو العرش لم يقدر لرسوله وهو رسوله وسيد البشر أجمعين وصلة السـماء بالأرض الا ان يكون رسولا فقط ومبلغا فحسب ونفى عنه ان يكون مسيطرا فكيف تريدون أنتم لأنفسكم ان تفرضوا علينا عصـاكم قهرا ، وكبرا وطغيانا تا لله ما تريدونها الا عوجا ٠ وتبغونها نارا تضرمون لهيبها ٠ وما أضرم انسان نارا بالباطل الا أكلته أول مأكول وكان هو أول حريقها وحطبها ٠

اننا نرفع مصر شعارا ٠٠ ينادى منادينا فى كل منتدى مصر ٠٠ وأسألكم يا أبناء مصر الخلص الشرفاء ٠٠ أتعرفون نداء أجمل فى القلوب أو أعذب فى الآذان أو أسعد للنفوس من هذا النداء ٠

اننا نرفعه شعارا لأننا نعرف ان هنـــاك فئات من الناس انتمت مصالحها الى غير صالح مصر ٠٠ ونعرف ان مصالح هذه الفئات أصبحت مرتبطة ارتباطا وثيقا بما يجر على مصر الخراب والهوان ٠ وهيهـــات ألف هيهات لن يصل الخراب الى مصر مهما يجهد بهم السعي وهيهات ألف هيهات فلن يمس الهوان نسمة من أجواء مصر ٠ انها كنانة الله في أرضه ونحن أبناؤها دماؤنا حصنها دون أى عربيد يحاول ان يمس ذرة من ترابها بهوان هذا شعارنا نرفعه ونموت دونه ويرفعه معنا أبناء مصر قاطبة من أقصى بحرها شمالا الى أقصى أسوانها جنوبا ومن حدود صحرائها في المغرب الى حدود صحرائها في المشرق ٠

لن يخدعنا فاجر كافر ملحد ولن يزايد بديننا تاجر بضاعته زيف وحجته مين ووسيلته خداع ٠

والله سبحانه سيفتح بيننا بالحق فانه جل علاه بالحق أنزله وبالحق نزل ونحن نرفض كل من يعاديه كما نرفض من يتخذ منـــه في الدنيا تجارة ومتكئا لغير ما يرضى الله تقدست أسماؤه وعلا وتباركت الاؤه ٠

١٩٨٧/٣/١٥ الأهرام

اتقـوا الله فى الحـــرية

ان الأمر جد لاهزل فيه · واللاى يجرى الآن على الساحة المصرية أمر خطير كل الخطورة وأحسب أن السكوت عليه تآمر صريح على مستقبل مصر ومستقبل الديموقراطية فيها · وانى لأخشى كل الخشية أن يشغل اللاعبون الفعل النار فى مستقبلنا ومستقبل أبنائنـــا الى مدى لايدرك الا الله وحده نهايته وأبعاده وأعماقه جميعا · انها فتنة يمدها بالمال أعداء مصر من الدول العابثة بأقدار بنيها والحريصة كل الحرص على احراق مصر ·

ليس الأمر هتافا وتعصبا أحمق ومتأجرة بالدين وانما هو حريق يشب فيأكل كل ما نما فى بلادنا من حرية وديموقراطيـــة وما ثبت فى أرجائها وعلى طول تاريخها من ألفة دينية ووفاق بين الأديان فى ربوعها ·

ان الذى يجرى الآن تحايل هازل مضحك · فهو مخالفـة صريحة للدستور واذا لم يكن الدستور ذا قيمة فعلى البلاد السلام · ان كل دستور لابد أن يكون مقدسا مادام قائما ، وان لك أن تطلب تغييره ولك أن تختلف معه فى الرأى ولكن ليس لك أن تحطمه بأى حال من الأحوال وعلى أى صورة من الصور وليس لك أيضا أن تتحايل على نصوصه وهذا التحايل يجرى الآن فى علانية صريحة بتعاون حزبين قائمين على أسس قانونية مع جماعات دينية ليس لها أن تكون حزبا وليس لها أن تكون ممثلة فى المجالس التشريعية · ان الذى يحدث ينافى المنطق والدين وقانون الأحزاب فى قيام حزب على أسس دينية ؟!! ألسنا مسلمين نحن ؟! أليس الاسلام عقيدتنا التى نعبد بها الله الأحد فمن أعطاهم الحق أن يكونوا قواما علينا فى صلة مقدسة بين الانسان وربه ؟! ومن نصبهم أوصياء على ديننا ومعتقداتنا ؟! واذا كان الله سبحانه وتعالى قد أراد لنا الخيرة فيما نعبد فما بالهم هم يشهرون علينا أسلحتهم وان تصرفاتنا فى ديننا ودنيانا هى الأمانة التى عرضها سبحانه وتعالى على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملناها نحن الانسان ثم نحن الى ربنا كادحون واليه جل علاه منقلبون فتجزى كل نفس بما قدمت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ولاتظلم فتيلا ·

أيضعون أنفسهم آلهة علينا بالسلاح هيهات · والله الذى لا اله الا هو لن يكون هذا أبدا ·

ان دستورنا كان صريحا جاء فى المادة الخامسة منه :

يقوم النظام السياسى فى جمهورية مصر العربية على أساس تعدد الأحزاب وذلك فى اطار المقومات والمبادىء الأساسية للمجتمع المصرى المنصوص عليها فى الدستور وينظم القانون الأحزاب السياسية ·

وهكذا يصبح القانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٧٧ بنظام الأحزاب السياسية قانونا مكملا للدستور وتصبح مخالفته مخالفة للدستور وفى المادة ٤/٣ :

عدم قيام الحزب فى مبادئه أو برامجه أو فى مباشرة نشاطه أو اختيار قياداته أو أعضائه على أساس يتعارض مع أحكام القانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٧٨ بشأن حماية الجبهة الداخلية والسلام الاجتماعى أو على أساس طبقى أو طائفى أو فئوى أو جغرافى أو على أساس التفرقة بسبب الجنس أو الدين أو العقيدة ·

وقد كان الدستور والقانون جميعا حصيفين غاية الحصافة فى رفض أن تقوم الأحزاب على أساس دينى · وهذا المذهب الدستورى تطبيق لقوله تعالى فى سورة النساء « يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق » ·

ثم لقوله تقدست أسماؤه مرة أخرى فى سورة المائدة « قل يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم غير الحق ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل » ·

سبحانك جل شأنك كانما نزلت هذه الآيات لهؤلاء الذين يحاولون اليوم أن يفرضوا علينا أنفسهم بالطغيان والجبروت وبالجهل فشابين جماعاتهم وانك سبحانك تخاطب أهل الكتاب أفلا يعقلون أم على القلوب منيم أقفالها ·

ألا يدركون أنهم بهذا التعصب يثيرون فتنة طائفية ، الله وحده يعلم عواقبها وآثارها ، وبيننا وفى كل ناحية من حياتنا وفى كل ثانية من مصرنا

اخوان لنا أحباء يدفع الله عنهم ويحميهم ويقول تباركت آلاؤه « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ! ان الله لقوى عزيز .. » .

ثم يذكرهم سبحانه وتعالى مرة أخـــرى فى محـكم قرآنه بقوله « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنـــا آمنـــا فاكتبنا مع الشاهدين » سورة المائدة الآيتان ٨٢ و٨٣ .

ألا يدرك أولئك المتعصبون أى كارثة يعرضون لها البلاد بما يفعلون انهم أصبحوا أحزابا لا شك فى ذلك وأنهم يتقدمون الى الانتخابات بهذه الصفة وليس يجديهم هذا التحايل الذى يصطنعونه من لبس عباءة أحزاب أخرى قامت على أسس قانونية ولكن ليس لها فى الشارع المصرى حليف أو نصـــير .

فهى اذن صفقة تبيع الجماعات المتطرفة تطرفهـــا الدينى الذى تخادع به المسلمين عن حقيقة دينهم فى مقابل أن تنال الأحزاب المتحالفة معها مقعدين للرئيسين فى مجلس الشعب .

فالدين أصبح سلعة والأحزاب المتحالفة أصبحت خدعة والمشاعر الدينية المقدسة أصبحت بفعل المتطرفين ثمنا فى الصفقة الباطلة .

ويكتب بعض كتاب أن هذا قد يؤدى بمصر أن تصبح لبنان أخرى وما هذا بواقع وهيهات له أن يكون .

فما أمست لبنان على حال من الهول الوبيـــل والحريق المتـــأجج والتمزيق المروع الا لأنها كانت بلدا بغير جيش وكان السلاح بها فى يد عصابات ترفع شعارات وتشابكت الأهواء وعميت الأبصـــار وتجمدت الأفئدة فهى أحجار واقتتل الأخوة وصدق فى شأنهم قول البحترى :

شـــواجر أرماح تقطع دونهـــا
شواجر أرحام ملوم قطوعهـــا
اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها
تذكرت القربى ففاضت دموعهـــا

ولكن لبنان أصبحت دماء بلا دموع وسلاحا بلا قلوب ورجالا بلا أوطان ومخلوقات بلا هوية وبشرا بلا انتماء ٠

ولن تكون مصر هكذا ٠

ففى مصر أقوى جيش فى الشرق الأوسط والذى نخشـــاه كل الخشية لها أن تصبح مثل لبنان ٠٠ فمثل لبنان لن نكون أبدا ٠ وانما الذى نخشاه ان يضطر جيشنا ان ينزل الى الساحة ٠

وان حرية الوطن وما بلغناه من الديموقراطية أمانة فى أعناقنا فان ثمن الحرية يدفعه كل فرد من أفراد الشعب وحرية كل فرد فى الوطن تنتهى حيث تبدأ حرية الآخرين ومن يعتدى على حرية الغير حتم عليه أن يتوقع اعتداء الغير على حريته ٠

أيها المتطرفون فيئوا الى رشـــد من دينكم وعودوا الى أحضـــان أوطانكم واتقوا الله فى أبنائكم واخوانكم وذويكم واحـذروا أن تلهبوا ألسنة النار فى حرية رأينا الحياة بغيرها جحيما من الجحيم ووبالا ونكالا وغصصا وهموما ثقالا ٠

والله من فوقنا وفوقكم هو حسبنا وهو العدالة المطلقة اليه عاقبة الأمور وحسبنا جل علاه موئلا ووكيلا ٠

الأهرام ١٩٨٧/٣/٢٢

مصباح فيهديه

جاء في كتاب قصص العرب حكاية رواها فقيه من فقهــاء الشافعية اسمه أبو حامد الأسفرايني وانني سأروى لك القصة فى صياغتى أنا فانما أريد أن أخرج منها بحديث أهفو ان أطرحه عليه يقول فحوى القصــة أنه كان يوما عند فخر الملك وزير بهاء الدولة وابنه سلطان الدولة فدخل عليه الرضى أبو الحسن الشــاعر الذى اشتهر باســـم الشريف الرضى فأعظمه وأكبره ورفع من منزلته · ترك ما كان بيده من القصص والرقاع وأقبل عليه يحادثه الى أن أنصرف ·

ثم دخل بعد ذلك المرتضى أبو القاسم · فلم يعظمه ذلك التعظيم ولا أكرمه ذلك الاكرام ·

وتشاغل عنه برقاع يقرؤها وتوقيعات يوقع بها ، فجلس قليلا ، وسأله أمرا فقضاه ثم انصرف ·

ويقول أبو حامد أنه تقدم الى الوزير وسأله :

ـ أصـــلح الله الوزير · هذا المرتضى هو الفقيه المتكلم صاحب العلم وهو الأمثل الأفضل منهما · وانما أبو الحسن شاعر فقط ·

ـ انتظر حتى يخلو بنا المجلس فأجيبك ·

وخلا المجلس · ومد الوزير يده الى أبى حامد بخطاب كان يحفظه بين أوراقه وقال :

ـ هذا كتــاب الشريف الرضى · اتصل بى أنه قد ولد له ولد فأرسل اليه ألف دينار وقلت هذه للقابلة ـ فقد جرت العادة أن يحمل الأصدقاء الى أخلائهم وذوى مودتهم مثل هذا فى مثل هذه الحال ـ فردها وكتب الى هذا الكتاب فاقرأه ·

ويقول أبو حامد انه قرأ الخطاب فوجده اعتذارا عن الرد وأنه يقول فى جملته « اننا ـ أهل بيت ـ لا يطلع على أحوالنــا قابلة غريبــة وانما عجائزنا يتولين هذا الأمر من نسائنا · ولا تتقاضى عجائز بيتنـــا أجرة ولا يقبلن صلة » ·

ثم يقول أبو حامد أن الوزير قال له بعد أن قرأ الخطاب :

— وأما المرتضى فاننا قد قررنا على الأملاك ما يشبه الضريبة فى مقابل حفر نهير . وكان المبلغ المقرر على المرتضى عشرين درهما وقد كتب الى من أجل الدراهم العشرين هذا الخطاب لأرفعها عنه .

ويقرأ أبو حامد الخطاب فاذا هو أكثر من مائة سطر كلها خضوع وخشوع واستمالة والحاح فى المسألة ليسقط عنه الوزير هذه الدراهم .

حتى اذا تم أبو حامد قراءة الخطاب قال له فخر الملك :

— فايهما ترى أولى بالتعظيم والتبجيل . هذا العالم المتكلم الفقيه الأوحد ونفسه هذه النفس ، أم ذلك الذى لم يشهر الا بالشعر وحده . ونفسه تلك النفس ؟ فقال أبو حامد :

— وفق الله الوزير فمازال موفقا وما وضع الأمر الا موضعه ولا أحله الا فى محله تلك هى القصة رويتهـــا عليك وقد أذكرتنى ببيت المتنبى الخالد .

وتعظم فى عين الصغير صغارها
وتصغر فى عين العظيم العظائم

وعجبت غاية العجب أن يقول أبو حامد هذا الذى لا أعـرف من شأنه شأن أن الشريف الرضى ليس الا الشاعر . وهل أعظم من أن يكون الانسان شاعرا فنانا خلاقا . ان الأديب الخلاق يصدر المرسوم بتعيينه خلاقا من فوق سبع سماوات . وتستطيع السلطات فى الأرض أن تعين من تعين فيما تشاء من وظائف الأرض جميعا . ولكن لا تستطيع قوة فى الأرض أن تصدر مرسوما بتعيين انسان ما كاتبا أو شاعرا .

انها قوة اختص الله بها نفسه سبحانه وتعالى وليست تجوز لغير الذات الالهية جل شأنها وتقدست آلاؤها .

والفنان الحق هو الذى يعرف قدر نفسه وما اختصه به الله من موهبة لم يتحها لأحد غيره . فحين يقول سبحانه عن نفسه « فتبارك الله أحسن الخالقين » لا نتصور نحن عباد الله وجود جمع للخالقين الا هؤلاء الذين وهب الله لهم منحة الخلق الفنى . ولا تجرؤ صفة الخلق أن تنصرف لغير الفن على أى لون له . ويقول سبحانه وهو أصدق القائلين « يا أيها

الناس ضرب مثـــل فاســـتمعوا له ·· ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه · ضعف الطالب والمطلوب » الحج ٧٣ · والحديث كما ترى للناس كافة على كل مذاهبهم · والمقارنة هنا معقودة بين الانسان وبين ما يسلبه الذباب من الانســـان وليس حتى بينه وبين الذبـاب ·· الا ما أهون الانسان · وما أعظم غروره وما أشد ادعاؤه · وهو يدرى كل الدراية أنه حين يمسه الضر ذو دعاء عريض ·

عجبت اذن من أبى حامد هذا واحتقاره لشأن الشعراء ثم مالبثت أن ارتددت عن العجب الى ادراك الحقيقة ، فقد أهان الشعراء أنفسهم · والانسان وحده هو الذى يستطيع أن يجعل من نفسه ذليلا أو ذا كرامة ·

وليس الفقر بمستطيع أن يذل انسانا · وكم من فقراء قبلوا الجدوى وظلوا مرفوعى الرأس موفورى الكرامة · وها قد رأيت المرنضى يذل ويرخص نفسه من أجل عشرين درهما وهو لم يجد غضاضة أن يستجدى بالنفاق والكذب اعفاءه من دريهمات لا قيمة لها ·

وليس بين الناس ممدوح لا يعرف الحق فى المديح الموجه اليه · ولكن بين الناس من يضعف أمام المديح ويخـادع نفسه يوهمها أنه بهذا المديح جدير · حتى اذا خلا بنفسه وخلت به أدرك الحق من صـفاته · وربما خيل اليه أنه ذكى عرف كيف يمكر بالمادح ويجعله يظن به هذه الصفات الكريمة التى أضفاها عليه ·

بينما المادح المنافق يظن بنفسه هو أيضا أنه واسع الحيلة جم الذكاء وأنه لفق المديح عن الممدوح وفاز منه بما قدر لنفســـه من عطـاء أو من مسألة أو من منفعة ·

وكلاهما يعرف الحق عن نفسه وعن الطرف الآخـــر · وكلاهما يخادع نفسه بقدر ما يخادع شريكه فى السذاجة التى يظنانها خبثا وفى الهبل الذى يحسبانه ذكاء ومكرا وسعة حيلة وحسن وسيلة ونحن اليوم فى الموسم · فحذار ·

الناخبون لا تجوز عليهم حيلة ·· وليس يفوتهم من المرشحين نفاق أو افتعال · فقد كنت فى بلدتنا غزالة منذ أيام واجتمعت بأبنائها فاذا هم كعادتهم ساخرون أذكياء يعرفون الحق من الباطل والصدق من الزيف فالجموع لا تخـادع نفسها وليس من اليســير أن يخدعها أحـد أو جماعة

يقول أبناء بلدتي : ان جماعة ممن يدعون الحفاظ على الدين قد زاروهم في مواكب من الأطباء لأن كبيرهم طبيب ويقول أبناء بلدتى انهم طالعوهم بالحق الذى وجم له المنافقون ٠٠ أين كنتم ٠٠ وما مجيئكم اليوم فقط ٠

أمن أجل الانتخابات تمرون بنا لتوهمونا أنكم حريصون على صحتنا وعلى مصالحنا ٠ وأبناء بلدتى مسلمون عميق اسلامهم اذا نودى للصلاة من يوم الخميس لا تجد في شوارع القرية أحدا ٠ وكلهم صائم في رمضان ، وأغلبهم يصوم الاثنين والخميس من كل أسبوع وكل من تجب عليه الزكاة يؤديها ، وكل من استطاع الى الحج سبيلا أدى الفرض بل ان كثيرين من حجاج بلدتنا أرهقوا أنفسهم ارهاقا شديدا ليحجوا الى بيت الله الحرام ٠ وبين بلدتنا من حج منذ قرابة ثلاثين عاما على جمل وليس بالباخرة لأنه لم يكن يملك أجر الباخرة ٠ وهو الحاج حسن أبو عويضة رحمه الله ٠

فحذار أيها المرشحون ٠٠ حذار ٠٠ والتحذير موجه اليكم كلكم على جميع صنوفكم ٠ ان الشعوب في غاية الذكاء ٠٠ فلا تظنوا بأنفسكم ما ليس لكم بحق من المكر والدهاء فما ينطلى مكركم على الناخب ولا يجوز ما تحسبونه دهاء على المجموع ورحم الله عزيز أباظة حين قال :

شعور الشعب ياجعفر ... حق لا هوى فيه
له من وعيه الساذج ... مصباح فيهديه
يميز بوحي فطرته ... عداه من محبيه

الأهرام ٨٧/٣/٢٩

ويل للكبـار من الصـغار

حين يجلس صغير على كرسى كبير يصبح أمره عجبا • تراه زائغ البصر ، ضائع البصيرة ، كثير الحركة ، قليل الفكر ، مخدور العقل ، ضامر العزيمة ، مسلوب الارادة ، لا قرار له فى مكانه ولا قرار له يصدره فيما يعرض عليه من أمور •

وكلما أحس الصغير مقدار صغره وكلما رأى ضخامة الكرسى الذى يقتعده ماعت نفسه وراح ينفخ أوداجه ويوسع من صدره فيزداد دون أن يدرى صغرا ويزداد الكرسى اتساعا ويتضاعف شعوره بالهزال فيصبح فى كرسيه مهزلة • والمهزلة مجلبة للضحك • ومن الضحك ما يكون قهقهة عالية ومنه ما يكون مكتما •

والقهقهة معلنة ويمكن للمضحوك عليه أن يناقشها أما المكتمة فمؤلمة لمن يثيرها موجعة ولا يستطيع أن يناقشها بل هو لا يحاول أن يعلن أنه رآها أو أدركها أو أحسها •

ويزداد الصغير ارتباكا ويحاول أن يوارى اضطرابه بمزيد من الاستئساد المثير لا عمق السخرية ويصير مخلوطا لا يصلح لشىء • والقرارات التى تعرض على الكراسى الواسعة خطيرة ذات تأثير ضخم على الحياة فى الأوطان ، ولكن هيهات لمثل هذا الشمل من الحقارة ، الضائع فى كرسيه ، المثير للسخرية فى أهون التصرفات وأبسطها ان يصدر قرارا •

فالصغير على الكرسى الكبير أشد الناس حرصا على هذا الكرسى فهو يعض عليه بالنواجذ • ويتمسك بوثير وسادته بكل ما يملك وما لا يملك من هوان نفس ، وضآلة شأن ، ويبذل كل مايملك من ماء وجه • وجميع ما وهب الله للانسان من كرامة •

والصغير فى الكرسى الكبير • متكبر بلا كبرياء • ذليل فى ثياب مهرج يمثل دور ذى القدر الرفيع وهو يدرى فى دخيلة نفسه أنه بلا قدر على الاطلاق •

ومادام الصـــغير فى الكرسى الكبير لن يستطيع ان يتخذ قرارا فى جليل الأمور وخطيرها فهو يبحث فى حرص جاهل على توافه الأمور وهينها فيصدر فيها القرارات العاجلة والحاسمة حتى اذا وقعها خادعت نفسه صاحبها وأوهمته انه قام بالأمر العظيم ، وحسم كبريات المشاكل ٠

وتنتظر الأمور الخطيرة من ينظر فيها ٠ ويطول بهـــا الانتظـار ٠ وتتعطل صوالح الناس ويقف دولاب العمل ٠ ويزداد حال البلد وبالا ٠ وتختل الأسس التى كانت متماسكة أهون تماسك ٠ ويدخل الوطن فى فى حلقة شيطانية مفرغة لا ينتهى وبالها ٠ السيئ يتفاقم سوءا والحسن القليل النادر ينحسر وتتصدع الجدران القليلة التى كانت باقيـــة بعد أعصار الطغاة ، وبعد الحروب الطاحنة ، وبعد السرقات الفاحشـــة ٠ ولا يبقى لمصر من ملاذ غير الله وحده وغير رئيس جمهورية يريد كل الخير لبلاده ثم لايجد من يعينه على عظيم نواياه ٠ ومن أين له بالمعين ٠ والصغار ٠ واقرأ الكلمة هذه المرة بفتح الصاد ـ يسيطر على المناصب التى لا يستقيم المعوج من أنحاء مؤسساتها الا بالقرار الحاســـم الجامع المانع ٠ ولكن الصغار ـ واقرأها هذه المرة بكسر الصاد ـ لا يصـــدرون قرارا ذا قيمة ولا يصدرون عن رأى سوى ٠ ولا هم حتى يبحثون عنه فى رؤوس الكبار ٠

فالصغار لا يعترفون بالكبار ـ لأنهم فى هوان شأنهم يحسبون أنهم هم الكبار ماداموا يشغلون من المناصب كبيرها ٠ ومن الكراسى فاخـرها ومن الحجرات فخمها ٠ وحسب مصر الله ونعم الوكيل ٠

ومصر التى مسها شظف العيش ٠ والتى تعانى من فقر المال من أغنى البلاد بالرجال الكبار ٠

فى مصر الأفذاذ العظماء ٠ ولكن هؤلاء أصـــحاب كرامة ٠ يعتزون بما وهب الله لهم من علم ٠ وبمـــا حصلوه من درس ومن خبرة ٠ وهؤلاء ليس يعنيهم فى شيء ان ينالوا منصبا ٠ أو يقتعدوا كرســـيا أو يشغلوا حجرات من حجرات الصغار ـ وفى هذه المرة أقرأها كما تشاء بكسر الصاد أو بفتحهـــا ٠

وهؤلاء الكبار لا يبحثون عن مكان لأسـمائهم فى صفحات الجرائد أو عن ذكر لهم فى الاذاعات أو عن صــــورة تظهر لهـــم على شاشـــات التليفزيون ٠ وهكذا يظل هؤلاء مجهولين تردهم مكانتهم العلمية عن تقديم أنفسهم للناس ٠

ويرتفع بهم كبرياؤهم عن استجداء الشهرة · ويقف بهم احترامهم لذواتهم ان يعرضوا أنفسهم للعمل العام ·

ولكن في مصر جهات كثيرة تعرفهم كل المعرفة · وتدرك قدرهم ونقدر عظمتهم · فما لهذه الجهات تطوى سـجلاتهم ! وتخفى أنباءهم ! وتتستر على ما ينبغى أن يذيع من فضلهم !

ألا تدرى هذه الجهات أنها حين تخفى شأن الكبار تفسح الميدان للصغار ·

فالمناصب لابد أن يشغلها شاغلها · فاذا غاب الشموخ يسود الهوان ·

وعودا الى العنوان ·

ان هذه المناصب التى يشغلها الصغار تسيطر على كثيرين من الكبار · ولهؤلاء أبكى فان الزمان لايفجع انسانا فى عمله بشر من معاملة الصغار · فما الخطب اذا كان الصغير ذا رئاسة مفروضة له فرضا بحكم القرار الذى وضعه على هذا الكرسى وفى هذه الحجرة ·

ويل يومذاك للكبار ·· وأى ويل ·

انهم يقومون بما تفرضه عليهم ضمائرهم · ويؤدون واجبهم أحسن أداء · ولكن الصغار فى صغارهم يحسبون أن رضاءهم عن مرؤوسهم منقصة لا تنبغى لهم · فهم يمثلون دور العظماء · ولما كانوا ليسوا بعظماء · فهم لا يدركون أن من مقومات العظمة أن تعطى لكل ذى حق حقه · وأن تكون مقسطا اذا حكمت لا قاسطا ولا ظلوما ·

وهم لا يدركون أن شكر المحسن على اتقانه واجب محتوم على الرئيس مثله مثل توقيع الجزاء على المقصر سواء بسواء ·

واذا لم ينل المحسن حقه من الشكران كما ينال المسىء حقه من العقاب يختلط الأمر ويصبح فوضى تضرب بأطنابها فى أنحاء العمل جميعه ·

والمحسن انسان يرضى ويسخط اذا أصاب وأتقن ولقى النكران بدلا من المكافأة والجحود بدلا من العدالة أدى عمله فى غير اقبال ومال عن الجهد الى الزهد فى العمل وعدل عن النشاط الى الكسل وعن الهمة والاهتمام الى القعود وعدم المبالاة ·

وفي غد يكون الانتخاب والانتخاب اختيار وأنت في غد تختار من يكون لك في مجلس الشعب ممثلا وأنت حين تكون لك قضية هينة الشأن تروح تسأل كل من تعرف ومن لا تعرف عن أحسن من توكله فيها وأنت في غد تختار وكيلك في قضية الوطن جميعا .

ومن هؤلاء الذين ننتخبهم يتكون وجه الأمة وتستبين ملامحها .

وهؤلاء الذين تنتخبهم في غد هم الذين سيحاسبون الصغار والكبار على السواء في كل وظائف السلطة التنفيذية بدءا من الوزير على قمة الوزارة الى الساعي الذى يقف على أبواب الموظفين . فان الوزير مسئول عن وزارته جميعا بكل من فيها من عاملين وحين تكون الرقابة شريفة صادقة لا تخشى ولا تحابي . يدرك كل موظف في الدولة ان طائلة العقاب له بالمرصاد لأن في الوطن نواب شرفاء .

فاذا اخترت فحاذر أن تختار من رشح نفسه لنفع شخصي أو لينال منصبا وجاها انك أيها الناخب تختار في غد وكيلا عنك وعن الأمة جميعها من أسوانها الى ثغرها طولا وعرضا وان شرفك لفي الميزان .

والوطن يمر بفترة من أحلك فترات تاريخه والكثير الكثير من العاملين فيه صغار تسيطر عليهم الخشية حينا أو السخافة حينا آخر فاذا صلح وجه المجالس التشريعية استطاعت هذه المجالس أن ترغم الخائف الراعد أن يتنحى أو يتصدى وتمكنت أن تجعل السخيف يفيء الى رشده أو يختفي من دنيا الصدارة الى غيابات المجاهيل يجد فيها مرتعا وموئلا وملاذا مع كل الهزلاء الذين يريدون أن يمروا بالحياة وكأنهم ما وجدوا واذا اخترت فاختر رجلا لا يتاجر بالدين على الدنيا ولا يبيع آخرته بيومه ولا يشتريه الحاقدون على مصر من الدول الهزيلة .

ادعوا الله أيها الناخبون أن يهيىء لكم من أمركم رشدا وأن يوفقكم الى التغلب على ما يوسوس به الشيطان الى نفوسكم من الجنة كان هذا الشيطان أم كان من الناس وفقكم الله .

٥/٤/١٩٨٧ الأهرام

مناقشــــــة

أرسل الأستاذ صلاح شادى مقالا الى الأهرام وكنت أنوى أن أنشره وأناقشه لولا أن الصفحة فى الأسابيع الماضية كانت لا تستطيع أن تتسع لمقـالته الطويلة · ولم ألبث أن وجـدت الأستاذ صلاح ينشر مقاله فى جريدة حزبية فأصبح الذى يقع فى ضميرى أن أناقش ما نشره دون حاجة الى نشر مقاله كاملا وأحسب أن القارىء سيدرك مما سأقتبسه من مقاله فحواه جميعا ·

يتساءل الأستاذ صلاح « لماذا ينافى المنطق أن تكون هذه الجماعات الدينية ممثلة فى المجالس باختيار الشعب ؟ » ·

والواقع يا أسـتاذ صـلاح أننى لم أقل أن تمثيلكم فى المجالس التشريعية ينافى المنطق · فمنافاة المنطق أو الاتفاق معه مسألة خلافية تحتمل القبول أو الرفض ·

انما الأمر الذى لا مناقضة فيه ولا شك انها تخالف الدستور وليس فى هذا خـــلاف · وهذا هو الذى ذهبت اليه · وتمثيلكم فى المجالس التشريعية وقيام حزبكم بادىء ذى بدء يقتضى تغيير الدستور وهذا ليس رأيا يحتمل المناقشة وانما هو نص دستورى قانونى لا شك فيه ولا شبهة ولا خلاف ·

واسمح لى والأمر كذلك أن أستشهد بالآية التى سقتها فى هذا السياق وهى قول الله تعالت أسماؤه « ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى » ·

وأحسب أنك لا تخالفنى أن العدل يتم من القاضى اذا طبق القانون الذى يحكم فى ظله · والعدل يتم من الفرد اذا وضع القانون نصب عينيه وهو يدلى برأيه فيما يعرض له من أمور الحياة ·

أما لماذا اعتبره تحايلا على القانون فأمر لا يحتمل أن تستعمل فيه كلمة اعتبار التى اخترتها · هو تحايل على قانون قائم لا شك فى ذلك ولا شبة ·

وتسأل يا سيدى : « فهل ترى أن مجرد النداء بتطبيق الشريعة الاسلامية يقع تحت بند من هذه البنود » تقصد التى وردت فى القانون رقم ٣٣ سنة ١٩٧٨ ٠

وجوابى عليك يا سيدى « اللهم نعم » ٠٠ « اللهم نعم » ٠٠ « اللهم نعم » لا شك فى ذلك ٠

وهو أيضا ينافى قانون الأحزاب فى مادته الرابعة فى فقرتها الثالثة ٠ وهو أيضا ينافى الدستور فى المادة الخامسة منه التى تحيل على القانون سالف الذكر ٠

وانى أسألك يا سيدى فيم تخالف القوانين القائمة الشريعة الاسلامية الا فى العقوبات التى تسميها الشريعة حدودا ٠

وأنا يا سيدى أرى أن الاسلام أعظم وأضخم وأكرم وأرفع وأسمى من أن يكون مجرد عقوبات ٠

وانى أسألك يا سيدى وأرجو أن تجيب بهدوء المؤمنين وبسلامهم وباسلامهم ٠

حين حث القرآن الكريم على الشورى هل جعلها الزامية للحاكم أم هى استطلاع رأى ثم للحاكم بعد ذلك أن يتخذ الرأى الذى يريد ؟ ٠

أو ليس أقرب الى روح الاسلام الرفيعة العالية أن تكون الشورى ملزمة للحاكم ٠ فهل ترى التمسك بحرفية النص أقرب الى روح الله القدس وقرآنه المعجزة أم التوسع فى النص وجعل الشورى عصاما للحاكم ٠

وأخرى حين شرع النبى عليه الصلاة والسلام حد الزنا للمحصن جعله الرجم حتى الموت ٠

كيف كان الوضع الاجتماعى فى ذلك الحين ٠٠ ؟ ان زواج الأربعة فى الاسلام يا سيدى جاء قيدا لا اباحة ٠٠ فقد كان الزواج قبل نزول الآية الشريفة مطلقا بلا أى حدود كان للرجل أن يتزوج من أى عدد من النساء ٠ وجاء الاسلام فسمح بزواج أربع نساء مجتمعات ٠٠ أربع نساء يا سيدى ٠

فهل ترى المجتمع أو طبيعة الحياة التى نحياها تسمح بزواج أكثر من واحدة ٠ ولعلك تعلم أن نسبة المتزوجين من أكثر من واحدة فى مصر جميعا هى نصف فى الألف ٠

وكانت فى أيام الرسول اباحة أخرى أشمل وأوسع .. وهى أن الرجل كان يستطيع أن يشترى من يشاء من النساء بغير حدود ..

فى ظل هذه الاباحات العريضة رأى النبى العظيم أن الذى يزنى بعد كل الاباحات يستحق القتل .

اربع نساء .. وعشرات من ملك اليمين ثم يزنى .. ؟ ان القتل اذن قليل بالنسبة اليه ..

وانى أسوق المثل من حد الزنا فهو مجرد مثل وليس احاطة بكل الحدود .

وروح الاسلام ترفض الرق . وهو أول دين جعل عتق الرقبة تكفيرا من التقصير الدينى أو الدنيوى .

أتراك يا أستاذ صلاح تريد أن تعيد ملك اليمين حين تطبق الشعار الذى ترفعه أنت وصحبك من تطبيق الشريعة الاسلامية ؟ .

أم أنك ستطبق أشياء وتتغاضى عن أشياء ؟

بربك يا سيدى أتريد لأكرم كتاب أنزله الله الأعظم بدينه الأقوم أن يكون وسيلة لأفراد أن يتحكموا فى الرقاب ويعتلوا كراسى الأمراء ؟ .

لقد نزل القرآن منذ ألف وأربعمائة سنة .

وحكم به النبى عليه الصلاة والسلام وهو سيد البشر أجمعين . وهو المعصوم . وهو الملهم . فهو استثناء من كل البشر . يتفرد عنهم بحمل الرسالة . والالهام والعصمة . وبأنه على خلق عظيم .

ثم حكم به أبو بكر الصديق فكان عدلا وحزما وكان مثلا أعلى كريما على الناس والزمان وكيف لا وهو ثانى اثنين اذ هما فى الغار . وهو الصديق .

ثم حكم عمر فكان رمز العدالة على مدى التاريخ . لم يعرف الزمان له مثيلا مضى وما أحسب أنه سيعرف له مثيلا فى آتى الزمان .

ثم حكم عثمان ولا نملك الا أن نقول : انه ذو النورين ثم حكم على فكان عدلا مطلقا .

وانتظر الزمان بعض حين وحكم عمر بن عبد العزيز فكان خامس الخلفاء الذين طبقوا الشريعة الاسلامية فأكرموا تطبيقها ..

دع هؤلاء اذن يا أستاذ صلاح والق نظرة على الملوك ومن أسموا أنفسهم بالخلفاء وأنظر كيف ظلموا وكفروا وتجبروا وعتوا · وادعوا مع كل معاصيهم أنهم طبقوا الشريعة الاسلامية ·

أذكر معاوية وكيف أخذ البيعة ليزيد بحد السيف وكيف قتل عليا والحسن والحسين وكل آل البيت المطهرين ·

وأذكر يزيد العربيد السكير الذى لم يستطع أحد أن يطبق عليه حد السكر مع أنه كان ـ فيما يروى عنه ـ لا يفيق ·

وأذكر المنصور ، وأذكر السفاحين جميعا ، وأذكر من أطلق الحجاج يقتل حفيد الصديق ويقتحم عليه الكعبة ويقتل بغير حساب عباد الله المؤمنين ·· ان كل هؤلاء يا أستاذ صلاح ادعوا أنهم كانوا بالاسلام يحكمون ·

أترضى عنهم · أم أنت واثق أن الزمن سيجود بمثل أبى بكر أو عمر و عثمان أو على · أو خامسهم ابن عبد العزيز ؟

على مدى ألف وأربعمائة عام والملوك والخلفاء يدعون أنهم يحكمون بالاسلام · فاذا هم يجعلون الشريعة وسيلتهم الى كل ما تعرف أنهم صنعوه بعباد الله الأبرياء المسلمين وغير المسلمين ·

وأذكر هارون الرشيد وسرفه · وأذكر المأمون وفقهاء الاسلام وما صنع بهم من أجل قضية كلامية ·

وبعد يا أستاذ صلاح فانظر الى الخمينى الذى قتل من بنى وطنه المسلمين فى سنوات ست اثنين وثلاثين ألفا بأحكام أعدام ، غير مئات الألوف أو الملايين الذين قتلهم فى ساحة الحرب من مسلمى ايران والعراق جميعا · وهو هو الذى يرفع شعار الحكم الاسلامى ·

وفى السودان قطع الطاغية من الأيدى بحكم الاسلام فى بضعة أشهر ما لم تقطعه الشريعة على مدى ألف وأربعمائة عام ·

ألا تخشى أن تضع قرآن الله بين أيدى طغاة يستغلونه أسوأ استغلال ؟ ·

ألا ترى أن دين الله الأقوم ينبغى أن يظل صلة بيننا وبين الله سبحانه وتعالى بغير قسر منكم ولا اجبار ؟ ·

واذا كان الله يقول لنبيه فى آيات شريفة كثيرة عليك البلاغ وعلينا الحساب ·

فمن سمح لك يا سـيدى أن تبلغ وما أنت بمبلغ أو أن تحاسب وما أنت باله ·

ان المتطرفين من المسلمين فى مصر · قتلوا أحمد ماهر والنقراشى والقاضى الخازندار ووضعوا القنابل فى تجمعات الأبرياء تصيب من تصيب فى غير دين وأنت تعرف أن من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكانما قتل الناس جميعا ·

وان كان هذا ماضيا راح واندثر ·

أليسوا هم من قتلوا فى أيامنا هذه الشيخ الذهبى وهو من هو خلقا وعلما ·

ثم قتلوا أعظم زعيم عرفته مصر السـادات · الذى انتصر فكان انتصاره لمصر وللاسلام · والذى أفشى السلام فحقق دعوة الله وهو سبحانه من اختار اسم الاسلام ليكون آخر رسالة له من رفيع سماواته الى عباده فى الأرض ·

وبعد يا سيدى فأراك تقول فى آخر مقالك عنى :

فهل نسى كاتبنا حديثه السابق عن هؤلاء الأطهار فماذا حولهم اليوم الى مردة وشياطين · أهى لعبة الانتخابات أم تراك نسيت » ؟ ·

وهانذا أجيبك اليوم وقد انتهت الانتخابات فلا لعبة هناك ولا هنا وأما أنا فلا وحق الحق ما نسيت ·

انما هم أطهار اذا اعتدى عليهم حاكم فقتل منهم سبعة فى جريمة شروع فى قتل لم تتم ولم تثبت ·

وهم أطهار حين يقبض على خمسة عشر ألفا منهم فى ليلة واحدة كما أعلن هذا طاغية ذلك الزمان · بينهم البرىء وبينهم حسن الطوايا وكلهم أبنـاء أو أباء ويكره الله والحق أن يرمى بهم الى السـجون زمرا بلا محاكمة ·

ولكن الله يكره أشد الكراهية القاتل منهم ويحكم فى محكم آياته أن الذى يقتل فردا بغير حق فكأنما قتل الناس جميعا ·

وقد استعمل كثير منكم القتل وسيلة لتخويف الآخرين واستعمل كثير منكم الارهاب بكل وسائل الارهاب . بل كان لكم في الانتخابات الأخيرة هذه سلاح مشهر وأنياب حداد . واشاعة للذعر بين الناس .

ولا والله لستم اذا فعلتم ذلك بأطهار . وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . وان كلمة الله هي العليا مهما تحاولوا أن تجعلوا منها طريقا الى حكم في الدنيا . وعليك السلام حيث كنت .. بالاسلام ندين وبالسلام تكون بيننا التحية .. والسلام هو الرباط بين قـــوم يؤمنون .

الأهرام ١٩٨٧/٤/١٢

خطـــاب .. واجـــابة

جاءنى هذا الخطاب من الأخ الأستاذ محمد جمال وقد كنا زميلى دراسة فى مدرسة فاروق . وقد أرسل الأستاذ صلاح شادى بطاقة مع الخطاب يقول فيها ما معناه : أن الأستاذ جمال يعبر عما كان يريد هو أن يقوله وانى حين أنشر هذا الخطاب فانما أنشره للاثنين معا كما يجيب خطابى عن رأيهما مجتمعين .

حياك الله .. وبعد .

قرأت لكم بجريدة الأهرام يوم ١٢/٤/١٩٨٧ تحت عنوان (مناقشة) فى ردكم على مقالة الأستاذ صلاح شادى التى لم أجد الفرصة لقراءتها الا أننى اكتفيت بما جاء بمقالكم الذى لخص المقالة والرد عليها .

ونظرا لأهمية الموضوع أرجو أن تعتبرنى طرفا ثالثا يعشق الوحدة وينبذ الفرقة التى مزقت الأمة فهانت هوانا لم يسبق له مثيل .

وقد أعجبنى فى ردك أنك أنصفت الأستاذ صلاح ورفاقه حين قلت : [انما هم أطهار اذا اعتدى عليهم حاكم فقتل منهم سبعة .. الخ وهم أطهار حين يقبض على خمسة عشر ألفا منهم فى ليلة واحدة كما أعلن هذا طاغية ذلك الزمان .. الخ] .

كما أعجبنى احترامك الشديد للحكم الاسلامى فى عهد سادتنا أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز .

كما أعجبنى حرصك الشديد على ألا يحمل هذه الراية المقدسة الا من كان على مستوى حمل هذه الأمانة التى تفوق طاقة معظم البشر فى هذا الزمن .

وحينما انتقدت حكم معاوية ويزيد والمنصور والحجاج وهارون الرشيد والخمينى ونميرى وغيرهم ، فلا أتصور أبدا انه قد غاب عنك ان الاسلام شىء والمسلمين شىء آخر .. واذا تعمقنا فى التاريخ فقد نجد أن

حجم الايجابيات لبعض هؤلاء أكثر من حجم سـلبياتهم كما قد ترون سيادتكم أن ثورة ٢٣ يوليو حجم ايجابياتها أكثر من حجم سلبياتها ٠٠ وقد كان الأستاذ صلاح شادى ضمن من مهدوا لها قبل أن يكون لهـا سلبيات ٠

آخى العزيز : ان شدة حرصك على نقاء الحكم الاسـلامى جعلت البعض يظن أنك تميل الى النظم العلمانية التى تفتقر الى الوجدان الدينى والتشريع السماوى ٠٠ ولا أظن أن تاريخ الحكم العلمانى فى مصر يغريك على أن تقف مدافعا عنه وان تهب له اسمك ومكانتك الأدبية الفكرية فى عصرنا هذا ٠٠ ولست أنت ممن يخفى عليهم أدق التفاصيل ٠٠ خصوصا وأن الصحافة وهى أداة التفاصيل تتمتع اليوم بحرية أكثر مما مضى ٠

ولكن لى بعض الملاحظات الأخرى كالآتى :

قلت للأستاذ صلاح : (من سمح لك يا سيدى بأن تبلغ وما أنت بمتبلغ ، أو تحاسب وما أنت باله ؟) ٠

وأقول اليك برفق : ان الأستاذ ثروت أباظة مكلف أيضا بمقتضى الآيات القرآنية الكريمة أن يحمل الرسالة بالقدوة والموعظة الحسنة فى حدود امكاناته وطاقاته ٠٠ وليس هذا تكليفا مقصورا على رجال الدين الموظفين لذلك ٠

وقلت له : (أتراك يا أستاذ صلاح تريد أن تعيد ملك اليمين ؟ حين تطبق الشعار الذى ترفعه انت وصـحبك من تطبيق الشريعـة الاسلامية ؟) ٠

وأقول : انك تحترم قطعا دستورنا الوضعى الذى جعل الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع ٠٠ ولا أتصور أبدا أنه بمستوى فكرك وفكر الأستاذ صلاح ان يعود (ملك اليمين) بتطبيق الشريعـة الاسلامية التى يحترمها دستور الدولة ٠

وقلت : — [فيم تخالف القوانين القائمة الشريعة الاسلامية الا فى العقوبات التى تسميها الشريعة حدودا ؟] ٠

وأقول : كان ينبغى توجيه هذا السؤال الى اللجان المختصة فى الدولة والتى تعالج جوانب الاختلاف فى القوانين القائمة عما تنادى به الشريعة الاسلامية ٠٠ ولو كان الأمر سهلا وبديهيا لأعلنت هذه اللجان

جهودها على ضمائرنا ·· وانت خير من يعلم ان الشريعة الاسلامية فيها من المتانة والمرونة والكفاءة ما تواجه به الأمر الواقع والعدالة مع التدرج الطبيعي لنمو المجتمع ·· وانني أعتز بشهادة قادة اخواننا الأقباط في هذا الشأن ابان عهد عمرو ابن العاص ·· ذلك هو الكم الاسلامي الذي يقصده الأستاذ صلاح ·

وقلت : [ان المتطرفين من المسلمين في مصر قتلوا بعض الأفراد من المسئولين في الدولة] ·

وأقول : هؤلاء المتطرفون لم يمارسوا الحكم الاســـلامي في مصر يوما واحدا ·· كما ان الأستاذ حسن البنا مؤسس تلك الجماعة أعلن رأيه فيهم قائلا عنهم [انهم ليسوا اخواننا وليسوا مسلمين] ·· وان الاسلام شيء وأخطاء المسلمين شيء آخر ·

وقلت : [ان العدل يتم اذا طبق القانون الذي يحكم في ظله] ·

وأقول : ان العدل شيء وجداني يتصل بالضمير ·· وقد تعلمنا في دراسة القانون ان القاضي العادل يستطيع أن يصدر حكما عادلا بقانون ظالم بين يديه ·· ان سلطان العدل هو الذي ينجح دائما في تغيير القوانين لتحقق عدلا أفضل ·· ان القوانين كلها وما تستند اليه من دساتير فمع احترامنا الشديد لها فكلها متغيرات يسيطر عليها العدل أخيرا وان غلبته أحيانا ··

وقلت : ضاربا المثل بالثورة الخمينية والثورة النميرية ··

وأقول : أرجو الا تسقط من حساباتك الدور الرئيسي الذي تقوم به الدولتان العظميان وهما مختلفتان في كل شيء الا شيئا واحدا وهو هدم حضارتنا وعقائدنا ·· وقد حدث فعلا ··

وقلت : [انهم كان لهم في الانتخابات الأخيرة هذه سلاح مشهر وأنياب حداد واشاعة للذعر بين الناس] ·

وأقول : ويجب عليهم أن يحاسبوا أنفسهم ان كان ذلك صحيحا ولكن أرجو أن تقارن عدالتهم بين طاقتهم الضئيلة وطاقة الدولة بكل امكاناتها في هذا المجال ، ومدى صحة ما قيل في الصحف ·

وقلت : [ان كلمة الله هي العليا مهما حاولوا أن يجعلوا منها طريقا الى حكم الدنيا] .

وأقول : لقد كانت أعظم جملة تختتم بها مقالتك ، وانني على يقين من انك تتفق معي في أن عهود أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر ابن عبد العزيز – التي سجلت اعتزازك بها كل الاعتزاز – كانت كلها أمور دنيا وحكم دنيا ممتزجة بالقرآن الكريم ولن يختلف معك الأستاذ صلاح وصحبه في هذا الشأن .

محمد جمال الدين

واليـــك .....

السلام عليكم ورحمة الله .

وبعد فشكرا لله ما أرضاك من حديثي وما أعجبك منه ولأنتقل الى ما حاولت ان تجعله ملحوظات بعد ذلك . واسمح لى باديء ذي بدء أن أقول ان خطابك وملحوظاتك لا تناقش في شيء ما ذهبت أنا اليه . وانما هي خواطر استدعاها الى ذهنك ثم الى قلمك ما قرأته لى .

وعن هذا سوف أغضي ثم أمضي معك الى آخر الطريق .

كانت عجيبة منك يا أخي أن تظن – وأعيذك من بعض الظن – انه قد غاب عني ان الاسلام شيء والمسلمين شيء آخر . فما كان هذا ليغيب عني أبدا وكيف له ان يغيب بل وكيف لك ان تفكر هنيهة من لحظة انه يمكن ان يغيب عن أي انسان .

الاسلام يا سيدي دين الله .. وليس لنا ازاءه الا أن نؤمن به ونخبت ونخشع .

انه مرقى الانسان من عبودية الأرض الى ملائكية الملكوت الأعلى ، فهو تنزه وسما ان يكون لحية وجلبابا وخفا ووشاحا وهو خير ما عرفته البشرية وكيف له الا يكون وهو هدى الله تعالت أسماؤه للناس وهو ختام آياته التي وعد بها بني آدم حين قال « يابني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » الأعراف .

أما البشر يا سيدى فهم الخطاءون : وهم الذين قال عنهم الله سبحانه وتعالى « انا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولاً » الاحزاب ٠

فالانسان يا سيدى هو ذلك الظلوم الجهول ٠ وكل الذين انتقدتهم بشر من البشر وانسان من الانسان الذى وصفه ربه بأنه ظلوم جهول ٠ ولا عاصم للناس منهم الا الديمقراطية والحرية التى لا يعرفها الطغاة ٠

وكم أخشى يا سيدى ان يتفرد الظلوم الجهول بالحكم مدعيا انه بكتاب الله يحكم فيسرف فى الأرض ويبغى ويعتو ، كما أسرف وبغى وعتا معاوية ويزيد والمنصور والحجاج وكل من تفرد بالحكم فى قديم أو حديث الا من رحم ربك وما أندرهم ، وانى للمبتسر ان يطلع عليهم أبو بكر أو عمر أو عثمان أو على ، أو شبيههم عمر الأشج بن عبد العزيز ٠

أما قولك انت اننا اذا تعمقنا فى التاريخ قد نجد حجم الايجابيات لبعض الطغاة أكثر من حجم سلبياتهم فعجيبة تذهل لها العجائب ٠

تعمق انت يا أخى التاريخ ما شاء لك التعمق ، ولكن الناس عندى ليســـوا فئران معامل يجرى عليهـــا الطغاة تجاربهم فيسرقون ويقتلون وينهبون ، ثم يقول عنهم التاريخ ان ايجابياتهم كانت أكثر من سلبياتهم ٠ وان قتل انسان واحد بغير حق ينسف كل حسنات ذلك القاتل ٠ فان الله من فوق سبع ســـماوات حكم عليه انه كانما قتل الناس جميعا ٠ وما أظنك يا سيدى بقاتل للناس جميعا ٠

أما الثورة يا سيدى فأمرها ليس مطروحا للمناقشة فى هذا الحديث مطلقا ٠ ولا يعنينى ولا يعنى الناس فى شىء أن يكون الأستاذ صلاح بين من مهدوا لها أو لا يكون ٠ ويبدو ان هذه الجملة جميعا قد أرغمت ارغاما على أن تساق فى خطابك هذا ٠

أما قولك يا سيدى ان الحكم العلمانى والنظم العلمانية تتفق مع ميلى ، فتلك هى الأخرى عجيبة تذهل لها العجائب ٠

متى حكمت مصر حكما علمانيا وكيف تقول هذا وفى مصر الأزهر منذ ألف عام ٠ والحكم والأحوال الشخصية فى مصر يتبع مذهب أبى حنيفة منذ قديم ٠ وكل قوانين مصر المدنية متفقة فى الأساس الجوهرى منها مع الشريعة الربانية ٠ وان اعتبر بعض الفقهاء فوائد البنوك نوعا من الربا

فان بعضا آخرين من عظماء الأئمة لهم فى ذلك رأى آخر ، وعلى رأسهم الشيخ الامام محمد عبده . والربا كما تعلم معاقب عليه بين الأفراد فى قانون العقوبات المصرى . فأين هو هذا الحكم العلمانى الا انكم ترفعون لافتات على غير مكانها وشعارات هى أبعد ما تكون عن واقع الأمر .

وأما قولك اننى مكلف بمقتضى الآيات أن أحمل الرسالة بالقدوة والموعظة فهذا حق ، ولكننى يا سيدى أصدر فى ذلك عن رأيى أنا ولست فى ذلك مبلغا ، فكلمة مبلغ فى سياق مقالتى تعنى الرسول صلى الله عليه وسلم وحده ، وما ينبغى ان يرقى الى هذا المكان فى البشر أحد من بعده فهو الخاتم .

وهو صلى الله عليه وسلم كلفه الله بالبلاغ وحده وأمره جل علاه أن يترك الحساب له وحده ، فهو وحده العدالة المطلقة ، وهو وحده الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وما يتاح هذا لأحد من الناس بل انه غير متاح لسيد البشر قاطبه محمد بن عبد الله رسول الله ونبيه صلى الله عليه وسلم والمشفع عنده فى الخلق أجمعين .

أما أنتم ياسيدى — أو المتطرفون منكم على الأقل — فأحسب أنكم تريدون — بما نشاهده من أشياعكم فى مصر — ان تبلغوا رسالة لم يكلفكم الله بها فما كنتم ولن تكونوا رسلا . ثم تريدون ان تتهموا ولستم مؤهلين من الله بذلك . وتريدون أن تحاسبوا والحساب لله وحده ، وتريدون أن تنفذوا أحكامكم . وكبر هذا عند الله . وأعيذ نفسى وأعيذكم أن أصف هذا الذى تريدون أن تفعلوا بما يستحقه من وصف .

أما ما ذكرته عن القاضى والقانون فهو هو ما أخشاه فأنا لا أخاف من الشريعة ، وانما أخاف من الانسان الذى يطبقها . فالشريعة كلمة الله والانسان ظلوم جهول ، وأما ما تراه يا سيدى من أن الشريعة الاسلامية فيها من المتانة والمرونة والكفاءة ما تواجه به الأمر الواقع والعدالة مع التدرج الطبيعى لنمو المجتمع ، فهو أمر اتفق معك فيه كل الاتفاق ، بل اننى أهتف به وأنادى . فماذا يريد اذن الأستاذ صلاح وشيعته من المتطرفين ممن يصرخون بغير هذا ، ويمتد بهم التطرف الى القتل وسفك الدماء والجبروت . وما لهم لا يتركون لمن ذكرتهم من القضاة والمشرعين ان يصدروا فى أحكامهم عن هدى القرآن دون تعسف منكم أو عدوان .

أما دفاعك عن المتطرفين الذين قتلوا فأمر لا أسمح لنفسى بمناقشته ، فما كنت لأتصور ان مسلما يدافع عن شارب خمر فكيف به ان يدافع عن قاتل نفس : أشهد الله انى برىء مما تزعمون .

واما ان الاسلام شيء وأخطأ المســـلمين شيء آخر فتلك مقالة عدت لها . ولهذا أسمح لنفسى ان أعود .. ان المقارنة بين الاســـلام وهو شرع الله وبين البشر لا يجــوز أن ترد بذهن انسان ، فكيف ســمحت لنفسك يا سيدى ان تفكر فيها وتكتبها أيضا . هيهات ... لا مقارنة .

فما دار لى هذا بخلد وانما أخشى يا سيدى من أقوام يريدون ان يفعلوا فعل أنصار معاوية فيرفعوا المصاحف على أسنة السيوف ، ويصبحوا متحايلين يرفعوا حقا ويريدون به باطلا .

فالمصحف حق . أما الوصول عن طريق رفعه على السيوف الى كراسى الحكم فباطل يا سيدى .. باطل وحق الله ... باطل بطلانا مطلقـــا لا سبيل الى تصحيحه ، أما حديثك الباقى يا سيدى عن الدولتين العظميين فأمر أراه أيضا دخيلا على ما نحن بصدده فما أحسب يا سيدى انكم تنوون الذهاب الى أمريكا أو روسيا لترفعوا عليهما الشــعارات التى ترفعونها هنا علينا ، فأرجو يا صديق الصبا ان تعفينى من مناقشة هذا الحديث ، وأشكر لك ما حسن من ظنك بى داعيا الله سبحانه ان يهديك ويهدينا الى ما يحبه ويرضاه . وان يرحم مصر ويقيها من كل عادية ؛ سبحانه كتب على نفسه الرحمة وسبحانه وحده هو الملاذ فى الشدة يدرأ عن عباده المؤمنين عادية أنفسهم وعدوان الظالمين ... جلا علاه .

الأهرام ١٩/٤/١٩٨٧م

بين الخلـود والهـوان

فى كتاب بلوغ الأرب هذه القصة التى سأقدمها بين يديك · ولقد حاولت أن أدافع هذه الرغبة فالحت على الحاحا شديدا · فظللت بهـا وبنفسى أتعمق كلا منهما حتى وجدت نفسى ممسكا بقلمى باسطا صحائفى ناقلا اليك ما طالعنى من هذا الكتاب العظيم · وأنا فيما أنقل ما فى القصة من طرافة ولست بمستبعد أن تكون القصة من غير واقع الحيـاة وانما اختلقها شاعر ذكى ودفع بها الى مجالس المنادمة والسمر فسارت طريقها فى التاريخ حتى أدركها قلم كاتب فأثبتها وبقيت حتى ظهر أعظم كشف عرفه الانسان وكانت المطبعة وسعت اليك القصة اليوم فى العصر الذى اعتلينا فيه الأقمار وسمعنا عن ذلك الأمريكى الذى قال أنه سمع الآذان يتردد فى آفاق السماوات العليا وهو فوق سطح القمر ·

ألم أقل لك أن المطبعة هى أعظم كشف فى التاريخ · كيف كان يمكن أن تلتقى هذه القصة البالغة القدم · بعجائب هذا الزمن الذى نعيش فيه فى بوتقه واحدة هى رأسك ورأسى الا بما خلدته المطبعة من تاريخ الأقدمين ·

ولا تعجب أن يساورنى الشك فى صدق القصة التى أقدمها اليك · فقد كان العرب لا يعرفون القصة التى يبدعها القصاصون اليوم · وانما كانت القصة عندهم قصا للأثر والنبأ وتتبعا للحدث · وحين قال القرآن الكريم « نحن نقص عليك أحسن القصص » فان الكلمة هنا تعنى التاريخ الصادق الذى لا يأتيه الباطل أو الاختلاق من أى ناحية له ·

أما البشر اذا قصوا فهم يتزيدون ويكذبون ما شـاء لهم الكذب ويبتدعون ما شاء لهم الابتداع من الأحداث ولكنهم يوهمون السامعين ان ما يرونه انما هو الحق · ولو كانوا عرفوا القصة التى تؤلف نحن اليوم أحداثها ما احتاجوا الى الكذب وما كان هناك داع أن يزوروا على سامعيهم ويدعوا أن القصة التى اختلقوها انما هى خبر وقع وليس حدثا أنشأه خيالهم ·

واليك القصة . ولنا بعد نقلها اليك حديث آخر .

« صحب رجل كثير المال عبدين فى سفر ، فلما توسطا الطريق هما بقتله ، فلما صح ذلك عنده قال : أقسم عليكما - اذا كان لابد من قتلى - أن تمضيا الى دارى وتنشدا ابنتى الاثنتين هذا البيت ؟ قال :

من مبلغ بنتى أن أباهمـا ... للـه دركما ودر أبيكمـا

فقال أحدهما للآخر ما نرى فيه بأسا .

فلما قتلاه جاءا الى داره وقالا لابنته الكبرى : ان أباك قد لحقه ما يلحق الناس والى علينا أن نخبركما بهذا البيت فقالت الكبرى : ما أرى فيه شيئا تخبرانى به ، ولكن اصبرا أستدعى أختى الصغرى .

فاستدعتها فأنشدتها البيت فخرجت حاسرة بلا خمار على رأسها وقالت : هذان قتلا أبى يا معشر العرب ، ما أنتم فصحاء ، قالوا : وما الدليل عليه ؟ قالت : المصراع الأول يحتاج الى ثان ، والثانى يحتاج الى ما يكمله ، ولا يليق أحدهما بالآخر . قالوا : فما ينبغى أن يكون ؟ قالت ينبغى أن يكون :

من مخبر بنتى ان أباهمـا ... أمسى قتيـلا بالفـلاة مجنـدلا

للـه دركمـا ودر أبيكمـا ... لن يبـرح العبـدان حتى يقتـلا

« فاستخبروهما فوجدوا الأمر على ما ذكرت » .

والى هنا تنتهى القصة التى رواها التراث . ولا شك أن شكا مريبا اعتمل فى صدرك كهذا الشك المريب الذى اعتمل فى صدرى . ولكن لا شك أيضا انك استمتعت بالقصة مثلما استمتعت .

والشك يعتمل فى العقل والمتعة تنداح فى النفس .

والعقل يتساءل . كيف يتسنى لرجل معرض للقتل من عبديه أن يؤلف بيتا يعرف انه لا يعنى شيئا الا اذا أكملته ابنتاه . وكيف خطر له وهو فى هذا الكرب العظيم ان ابنتيه ستكملانه بما يفيد أن العبدين قتلاه . وما لهما لا تكملانه بأن العبدين أكرماه فيما يسبق الوفاه . فان كان الأب والابنتان يعلمان ان العبدين لئيمان ولا أمان لهما . فلماذا

اختارهما الأب ليكونا رفيقى طريقه الذى لا يصاحبهم فيه آخرون • ولماذا قبلت الابنتان ان يخرج العبدان مع أبيهما وهما لا يتمتعان بالثقة الكاملة منهما ؟ ولماذا أدركت البنت الصغرى ما لم تدركه الكبرى الا أن يكون ذلك مبالغة فى محاولة الابهار واثارة العجب فى نفوس المستمعين حين كانت القصة تروى شفاها ثم فى نفوس القراء حين أصبحت القصة فى شكل حروف مكتوبة ثم مطبوعة • والا أن يكون هذا جريا على عادة مختلقى القصص فى ذلك الحين من جعل الأصغر دائما هو الأكثر ذكاء وفصاحة والأعظم ارتفاعا فى الخلق ونقاء فى الدخيلة والتصرف • ومن هذا المورد تجد أن ألف ليلة وليلة استنبعت طريقتها فى القص والحكاية • مع اختلاف جوهرى • ان ما كان يرويه العرب كانوا يدعون انه حق وقع وحدث وأنهم له ناقلون لا مختلفون • وان رواة ألف ليلة وليلة لم يدعوا هذا الادعاء ولا كان يعنيهم أن يدعوه كما لم يكن يعنيهم أن يصدقهم الناس أو لا يصدقون •

وعودا الى تلك القصة • ولنحاول ان نفكر فى انسجام التصرف عند العبدين • فالقصة التى يكتبها القصـــاصون اليوم تحتم أن يكون التصرف متسقا مع الشخصية التى تقوم به • فكيف لقاتلين سارقين لا أمانة لهما ولا شرف ولا ذمة أن يحملا رسالة غير مفهومة الى بنتى الرجل الذى قتلاه •

ان حمل الرسالة نوع من الأمانة النادرة • فهما تجشما العودة الى ديار القتيل خصيصا ليؤديا أمانة كلامية كان من الطبيعى أن ينتهباها مع ما انتهبا من حياة الرجل ومن أمواله جميعا •

القصة اذن مختلقة • ولا بأس على العرب فى نديهم وسمرهم أن يستمعوا الى المختلفين من القصاصين • ولكن العرب كانوا أذكياء غاية الذكاء وكانوا يغضون الطرف عن القصص الجيدة السبك التى يجدون فيها ذكاء فى القص وفى الموضوع واذا تحلى هذا أيضا بشعر جميل فأنعم به وأكرم •

ولكنهم كانو يرفضون الهزيل من القصص • حتى أن رجلا كان اسمه خرافة كان يسير بين أحياء العرب ينقل اليهم ما يدعى أنه أخبار رأها أو سمعها • ولكنه كان لا يجيد بناء خبرة وتمويه قصته فأصبح بين العرب سخرية وأصبح حديثه بين أحياء العرب هزلا لا جد فيه • حتى لقد أطلقوا اسمه على كل كلام لا معنى له وأصبح صفة واشتقوا له الفعل والمصدر واسم الفاعل فيقال خرف الرجل تخريفــا فهو مخرف ولا يقول الا خرافة هكذا كان الأمر •

وأعود اليوم الى نفسى • ما الذى جعلنى أجبرها على أن أنقل اليك هذه القصة • أتراه ما شعرت به من متعة فى قراءتها بعثتنى أن أشركك معى فيها بما كان الأمر كذلك •

ولكننى أحسب ان دافعا آخر أهم بكثير من مجرد المتعة استحثنى أن أنقلها اليك •

لقد رأيت بآخرة بعض الكتاب الذين يظنون أنفسهم كبارا وهم أصغر من الهوان يقدمون الى الناس أحاديث يسوقونها على أنها تاريخ من التاريخ وصدق من الصدق وحق من الواقع •

ويقرأ الناس ما يقولون فيجدون الكاتب يجعل من نفسه الها متفردا يدور العالم كله على ركيزته • وتلف الكرة الأرضية حول دماغه • والعجيب أن التاريخ الذى يزورون ، عليه أن هذا الذى يرويه الكاتب الكاذب الغبى الأحمق ما هو الا حديث خرافة ، وان كان خرافة فى زمانه يلف كذبه بغشاء واه من الحقيقة ليموه الحدث على سامعية فان الكتاب الذين يزورون الحق اليوم أعظم وقاحة ألف مرة من خرافة وحكاياته السخيفة الهازلة •

والعجب العجيب أن هؤلاء الكتاب ينصبون أنفسهم بتاريخهم المزور معلمين للنـاس أجمعين فلا رأى الا رأيهم ولا قول الا قـولهم ولا أدب الا أدبهم •

وهم بوجه جامد صفيق يدعون أنهم يعرفون كل شىء فى أى شىء فهم علماء القانون والطبيعة والمجتمع والأدب والفن وما شئت أو لم تشأ من المعارف الانسانية •

وليس بعجيب أن ترى هؤلاء الصغار يهاجمون كل عظيم فى حياتنا سياسيا كان هذا العظيم أو كان عالما أو كان أديبا • ويحاولون ان يرفعوا كل خامل خافت الصوت هزيل العمل •

لأنهم واثقون ان العظماء يعرفون حقيقة أمرهم • وأنهم على علم دقيق بخفايا كذبهم وخفايا حياتهم والحقير الدنىء من تاريخهم العفن •

والكاتب عند الناس اما أن يكون صدقا أو لا يكون • وليس كاتبا من يحاول ان يخادع الناس حتى وان لجأ فى خداعهم الى تملقهم والهتاف بما يهتف به الغوغاء منهم والجهلاء والمضللون الذين يضللون الناس أو

المضللون الذين أضلهم الملفقون واستغلوا سذاجتهم أو جهلهم أو غباءهم أو هذه جميعا ٠

وكل كاتب لا يراعى الله والحق مع النفس ليس جديرا أن يحمل لقب كاتب ٠ فالكاتب فى عصرنا الحديث أمره يختلف كل الاختلاف عن عصور ما قبل المطبعة ٠ حينذاك كان الشعر فى أغلب أمره تكسبا للمال ٠ وكان الكتاب يصوغون ما يريد الحاكم أن يقول :

ولكنهم منذ ظهرت المطبعة أصبحوا هم لسان شعوبهم ونبض قلوبهم وصيحتهم فى وجه الظالمين وحريقهم للضلال ونورهم الذى يكشف الزيف وأملهم الذى يردد المستقبل ٠

ولعل أعظم مثل فى عصرنا الحديث هو عباس العقاد ٠ الذى لم يحاول يوما أن يصانع الغوغاء أو ينطق بهتافهم أو يجرى وراء الجهلاء ٠ ولم يقبل ان يمدح الا اذا اقتنع ان الممدوح جدير بأن يخط العقاد اسمه ٠ ولم يكن عجيبا ان يحاول الطغاه أن يحولوا بينه وبين الصحف فاذا اسم العقاد أعظم دورانا وانتشارا من أى صحيفة أو أى وسيلة من وسائل الاعلام ٠

وحين يعوزه المال ٠ وينضب منه وعاؤه يرفع قلمه الى أعلى ويرفض أن يذله من أجل كسرة خبز ويقبل ان يكون اعلانا لآلات الطباعة من دار الهلال ليعيش من ثمن الاعلان ولكن هيهات ان يكتب كلمة هى غير صادرة من صميم وجدانه ومن صادق مشاعره ومن شريف نفسه ٠

وفى نفس الوقت كان ينتهب أموال مصر والعرب أطفال لا يصلون الى نعل حذائه ولا يصلحون أن يكونوا قراء لقرائه ٠

ولكن التاريخ لا يفلت من صدقه أحدا ولا يغضى عينه عن مخادع أو منافق أو كذاب ويبقى الصغار الذين هانوا على أنفسهم فكانوا عند الناس هوانا صغارا ويبقى العقاد عقادا اسمه هو الشموخ وهو الصدق وهو الخلود ٠

الأهرام ١٩٨٧/٤/٢٦ م

شوق قبيل الرحيل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته • نعود اليكم بعد أن شاء الله لنا أن نغيب عن هذه الصفحة شهر رمضان المبارك •

ويشاء العزيز أن أكتب هذه المقالة وأنا أعد نفسى للسفر الى الصين بدعوة كريمة من اتحاد الكتاب الصينى •

والشقة بعيدة ، والسفر طويل ، ولكن الرغبة فى أن أشاهد بلاد السحر والطلاسم والأصول العريقة والخلق الرفيع تدفعنى دفعا لأغالب الاشفاق من الرحلة والبعاد •

وكيف لا أسعى الى دولة يمثل ساكنوها نصف البشرية • لا مناص وأسافر فى غدى باذن الله وفى النفس حنين بدأ يدب فى خلجان قلبى • وشوق الى مصر وأهلى وأهليها وأنا بعد لم أغادر الوطن •

ولكن مجرد تصورى أننى سأكون فى النصف الآخر من العـــالم يملأ جوانحى شوقا الى كل مصر • وأنا بعد ما زال فى ربوعها لم أبارحها •

وكم أخشى أن ينفرد بى ذلك الحنين فى آسيا وأذكر ما تركت فى مصر من حب وما تركته فيها أيضا من حقد • وما خلفته فى جوانحها من عظمة وشموخ وما خلفته أيضا من صغار ومن نفوس هانت فهان مقصدها وصغر مطلبها وهامت بالتوافه دون العظائم وأصبح هدفها حقيرا وصار أمرها فرطا •

لك الله يا مصر • على رأس الحكم فيك رجل قل مثله فى الرجال • هو من أعظم الناس حبا لمصر ، ومن أنقى الناس ضميرا ، ومن أشرف الناس يدا وقصدا ومتجها وذمة •

فما للعاملين فى مصر لا يجعلون منه نبراسا ، ولا يتخذون من قبلته قبلة ، ولا من ديدنه ديدنا •

ما لهم لا يتخذون قرارا وان اتخذوا فعلى حرف وهم راعدون وعلى وجل وهم خائفون ، أترى يعتريهم كل هذا الذى يعروهم حرصـا على منصب ، وضنا بالكرسى ، وعضا بالنواجذ على سيارة ذات تليفون وحرس يجانب السائق وتحية شرطى عند مرور ٠

هانت الدنيا وهان مظهرها وهان من ينظر الى مثل هذه الصغائر ويفارق بينها وبين مصلحة وطن ومستقبل أمة ، وخير شعب ، وحاضر اخوة ، ومستقبل أبناء ٠ ورحم الله المتنبىء وهو يقول : وتعظم فى عين الصغير صغارها وتصغر فى عين العظيم العظائم ما للدولة وكأنها فى خمار لا من سكر وانما من خوف ٠ وما لكبارهـــا لا يواجهون لهو اللاهى ، ولا عبث العـابث ، ولا اعتداء المعتـدى ، ولا اهمال معدوم الضمير ، ولا تحايل خرب الذمة ، ولا سارق أموالها ، ولا ناهب مقدراتها ، وما لقوم يتاجرون بمحكم القرآن وهو القرآن وبرفيع الدين وهو الدين ويعتدون ولا يردهم اسلامهم عن العدوان ويتجبرون ولا يقف بهم دينهم عن جبروت٠ والله رحمة وغفران ودينه حب وسلام ونبيه كان على الناس عزيزا طهره مولاه أن يكون للخلق عنتا ٠ وكان صلى الله عليه وسلم بشرى للعالمين وكان رسولا وبلاغا لا مسيطرا كان ولا كان حسيبا ٠

ما لهؤلاء يعيشون فى البلاد ولا يجدون فى مراحها قمعا ولا ردا ، وما للصوص أمن وسارقى أموال ومحطمى أخلاق ومدمرى قيم يفشون بيننا كوباء ولا علاج ، وكطاعون ولا مصل ٠

أين نجد مما بين الأخ وأخيه من حب ومرحمة وتسامح ووفاء حتى كان الاثنين انسان واحد ٠

أين حب بين الناس ٠ أين بينهم تراحم وايثـار وعون عند شدة واسجاح عند مكنة ، وكرم بلا مبخلة ، وعطاء بلا من ، وانجاز بلا فخر ، وعمل بلا شقشقة ٠

أنا فى طريقى الى الصين ٠ وفى السـماء سوف أدعو وهناك فى الغربة سوف أدعو فالغريب ضعيف بلا نصير الا الله وهو سبحانه أقرب للضعيف يوسع له من رحمته ويفسح له من كرمه ٠

سوف أدعو لمصر جميعا ٠

الأهرام ٣١/٥/١٩٨٧ م

عــودة ونشــار من الخــواطر

عودة الى مصر • فأنا أكتب هذا الآن في أحد فنادق بانكوك منتظرا موعد الطائرة المصرية التى أصبحت بفضل محمد فهيم ريان علامة مشرقة فى جبين مصر والموعد يحين فى الموهن الأخير من ليل بعد غد • وأنا الآن على موعد مع الستين فى هذا الشهر فمن حقى أن أحمل بين جوانحى خوفا من طول الســفر ويعلم الله ما على حياتى أخاف فما خفت عليها وأنا فى باكر الشباب فكيف بى وأنا رجل فى السنة الستين من عمرى • ولو اننى خفت عليها فيما مضى من سنواتها ما كتبت ما كتبت ولا صنعت ما صنعت • فقد عشت عمرى أتحسب وجه الله الكريم ولا أخاف الا يوما أنا فيه ملاقيه ســـبحانه وتعلم يومذاك ماقــدمت نفسى وما أخرت • وانما أخشى من طول السفر وندرة الرقاد ، وقلق النومة ،وبعد الشقة ، ومتاعب الجسم ، الذى عاش هو أيضــا ستين عاما ، يعلم الله وحده مع الطغيان ، ورفض لكل ما تأباه نفسى من حاكم سفاح أو جماعة كافرة أنا وروحى وجسمى من معارك مع الأباطيل وصراع مع الأراجيف ، وحروب مع الطغيان ، ورفض لكل ما تأباه نفسى من حاكم سفاح أو جماعة كافرة بالله والوطن وحق الانسان فى الحرية أو ثلة من الآخرين اتخذت الدين تجارة وستارا للصعود الى الحكم الدنيوى على سلم رث متهالك من ادعاء التقوى ودفاع عن حق الله فاذا هم اعصار من الطغوى • والله رحمة ، وعزيف من المقت والكراهية والقتل والارهاب • والله يقول فى محكم كتابه « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » سورة مريم ٩٦ • يا سبحانك يا عظيم يا خلاق يا من تدرى وحدك ما تخفى الصدور • فالود اذن عندك سبحانك هو الجزاء الأوفى لمن آمنوا وعملوا الصــالحات • فهؤلاء الذين يدعون أنهم حماة دينك يحاكمون الناس وما ندبهم أحد للادعاء ، ويحكمون عليهم وما خولهم أحد القضاء ، وينفذون أحكامهم قتلا ورميا بالرصاص ، وما هم أولياء دم ولا هم ــ ولن يكونوا ــ أولياء حكم ولا ذوى سلطان •

خواطر تواكبت على قلبى وأنا أكتب اليك فى انتظار السفر الى القاهرة من بعد غد وفى انتظار الستين من عمرى فى هذا الشهر •

واذا قدر الله لى العودة فى الموعد المنتظر أكون قد غبت عن مصر ستة عشر يوما • وأنا الآن أحس أنى بعدت عن مصر دهرا بأكمله • فالأيام لا تقاس بعدد ساعاتها وانما بما حدث فى هذه الساعات • فهل تراني محدثك عما عرض لى فى هذه الأيام التى هى عندى من الزمان دهر اذا قدر للانسان أن يعيش من السنين دهرا •

أى وحقك • قد تكون اللحظة دهرا •

فالغياب عن مصر لحظة هى عندى دهر •

وفى كل بلدة زرتها واجهت لحظات كانت كل لحظة منها عندى دهرا •

والغياب عن ابنتى وابنى لحظة وليس عندى عنهما نبا دهر •

كانت دهرا داهرا تزف الى قلبى وقد بلغ معى الستين أيضا أن حياتى لم تكن عبثا وان ما كتبت ما كان باطلا وأن جهادى فيها لم يضع فى هذه الدنيا سدى •

كانت دهورا من السعادة وما أقل ما نلتقى بلحظة من السـعادة ومن الرضا وما أندر ما ترضى منى النفس عنى • ومن الطمأنينة أننى صنعت فى حياتى شيئا وما أكثر ما تخلج الشك فى نفسى أننى صنعت شيئا يستحق الذكر •

أ أروى لك ؟ أم يخلق بى أن أكتم ما طالعتنى به الحياة من تكريم فى بلاد لم أزرها فى حياتى • خشية أن ترانى ما دحا نفسى ؟ •

أنا من أمرى فى حيرة واجفة • اذا لم أقل • ضاقت نفسى واذا قلت خشيت أن يمسنى زهو وأن ألقى منك أذنا غير مصغية ، أو عينا غير ناظرة أو نفسا غير مقبلة •

أحسب أننى سأقص عليك • ولكن ما أحسب اليوم موعدنا • فأنا بعد ما أزال فى غمرة من تكريم الناس ولما أملك من أمر نفسى ما أحب أن أملكه حين أكتب اليك •

والى موعد لا أحدده أقص عليك فيه ما تتوق نفسى أن أقصه عليك •

وان كنت على غير ثقة اننى فاعل ذاك • فانى سأقلب الأمر على كل جانب • وقد أخطرك بما انتهيت اليه اذا عزمت نفسى أمرها أن تقص عليك • وقد أضرب عن الأمر كله صفحا وكأننى ما قلت شيئا •

وماذا على وأنا على مشارف الستين أن أجعل منك أخا لى أو ابنا أبادلك المشورة ٠ لا بأس عليك ولا ضير على ٠

دعنى الآن أحدثك عن زميلى فى الرحلة ٠ فالحديث عن الغير أيسر ٠ وأنا عنده أملك من الأمر ما أحب أن أملكه اذا كتبت اليك ٠

ولكن فلينتظر الصديقان الكريمان صاحباى فى رحلتى حتى أعنىء مصر بممثليها فى كل البلاد التى زرتها ٠

سلمت مصر وبقيت غنية أنت برجال أن أغتنى غيرك بالمال ٠ عظماؤهم أبناؤك ٠ شرف هم لمصر وللانسانية جميعا على كل مستويات الانسانية ٠

كان أول سفير لقيته الدكتور العظيم ايهاب سرور سفيرنا فى تايلاند ومعه السيدة الرائعة زوجته ٠

لم أكن أعرفهما الا يوم استقبلنى السفير ٠ هكذا مصر ورجالها العظماء يبذلون كل جهدهم ليرتفع اسم مصر الى السماء ولا يرجون من مصر جزاء ولا شكورا كذلك كان ايهاب سرور فى تايلاند وكذلك رأيت سفيرنا العظيم ابن العظيم أحمد سليم والسيدة الفاضلة الكريمة زوجته ٠ وكذلك رأيت قنصلنا العام فى هونج كونج نبيل فهمى والسيدة المشرفة العظيمة زوجته ٠

دع عنك ما تفضلوا به جميعا قبلى ٠

تعال فانظر كيف توطدت العلاقات بين ايهاب سرور وجميع السفراء في تايلاند سواء كانوا سفراء دول عربية أم سفراء الدول الكبرى والدول الغربية ٠ ان كل سفير منهم يعتقد أنه الصديق الأول للسفير المصرى القادر المتمرس الموفق دائم الابتسام عذب الحديث المتمكن من الانجليزية تمكنه من العربية ايهاب سرور سفير مصر فى تايلاند ٠

وتايلاند التى عاصمتها بانكوك هى محط الطائرات الذاهبة الى الصين أو اليابان لسفيرنا فيها رجل ما أحسب أن أحدا من السفراء مضطر اضطراره الى الاهتمام بكل الذاهبين الى هذين البلدين الكبيرين وكل العائدين منهما الى القاهرة ٠ ولا يدرى عدد هؤلاء وضخامته الا من قام بهذه الرحلة وشهد ما شهدت من تقاطر المصريين الذين لا يفكر أحد منهم أن يعبر بانكوك دون أن يقيم فيها بضعة أيام ثم يكمل سفره ذاهبا أو عائدا أو ذاهبا وعائدا معا ٠

تحية اعجاب وحب الى هذا السفير راجيا أن يعفينى من شكره على ما تفضل هو وزوجته الودود الرائعة من اكرام لى ولزوجتى . وان كنت لا أستطيع أن أعفى نفسى من شكره على مصاحبتى فى لقائى لرئيس مجلس الشيوخ التايلاندى الدكتور أوكريت وهو الشخص التالى للملك تايلاند ثم دعوة هذه الشخصية العظيمة مع سفراء الدول من أمريكا الى أمريكا اللاتينية الى بلدان أوروبا الى افطار خـــاص على شرفه وعلى شرفى . ولا أستطيع أن أغضى عن شكره على تفضله الى دعوتى الى افطار مع سفراء الدول العربية على شرفى أيضا فكانت فرصة رائعة أن تعرفت بأخوة كرام أعزة .

وأنتقل الى الصين ويلقانى فى مطارها السفير العظيم أحمد سليم ويغمرنى يفيض من كرمه وأفاجأ بدعوة أن ألقى نائب رئيس الجمهورية الصينية أنا والوفد المصرى فيكون السفير القدير فى اللقاء وندرك كم يحظى بالاجـــلال والاكبـــار من الرجال الرسميين . وأجد نائب رئيس الجمهورية شخصية عظيمة على علم بأحوال مصر فأدرك أن سفيرنا هناك خبير بشئون عمله طب بها . ويدعونى مع الوفد الى عشاء فاخر مع اخوة مصريين .

وقبل أن أترك لقاءنا بنائب رئيس الجمهورية لابد لى أن أذكر أن الرجل كان سعيدا كل السعادة وهو يخبرنى أن كثيرين من الأفراد العاديين فى الشعب الصينى أصبحوا يعاملون البنوك ويودعون بها أموالهم الخاصة التى ربحوها من أعمالهم وأعلم من سفيرنا أن الحكومة فى الصين سمحت للفلاحين أن يبيعوا محاصيلهم للتاجر الحر . وأن النتيجة كانت زيادة المحصول عشرة أضعاف ما كانت عليه حين كان الفلاح ملزما ببيع المحصول الى الحكومة وان الحكومة اضطرت أن تدخل السوق مشترية بأثمان أعلى من أثمان الأفراد التجار وأن الفلاح اليوم أصبح يبيع الى الحكومة بيع سماح واقبال والمحصول يتضاعف .

وربما ينبغى لى أن أذكر هنا للمتشدقين بمكاسب العمال وحقوق الكادحين وتلك الأقوال الهلامية التى خربت اقتصاد مصر . ان مجلس الشعب فى الصين لاذكر فيه لنسبة الخمسين فى المائة المضحكة المخزية التى يجرى عليها الحال فى مصر وان الجامعة هنا لا تعلم الطلبة مجانا .

أشياء ذكرتها .. كان لابد أن أذكرها والا انفجرت نفسى بما يعتمل فيها من آلام لهذه الرشاوى الجماعية التى قدمها حكم أرعن مافون وما زلنا نحن نعانى بلواها حتى اليوم .

وأعود الى سفيرنا العظيم ابن الأستاذ العظيم · فسفيرنا فى الصين ابن أستاذ مؤرخى الآثار المصريين المرحوم العلامة العالمى سليم بك حسن · أما السيدة الرائعة زوجته فهى حفيدة مولانا الفقيه المتمكن الشيخ حسنين مخلوف أطال الله حياته ونفع به وبعلمه · وهكذا لم يكن عجيبا ان نسعد نحن والوفد المصرى فى بيت يجتمع فيه أمام المؤرخين لمصر الفرعونية ممثلا فى ابنه والشيخ الجليل الشامخ وأحد الأئمة الثقاة فى ديننا الحنيف ممثلا فى حفيدته رعاها الله ·

واعرج وزوجتى الى بانكوك الى هونج كونج فألقى القنصل المصرى العام بها وأعجب به غاية الاعجاب وأعجب بزوجته الاعجاب نفسه · فنبيل فهمى على صلة خبيرة متأصلة بهذه السوق العالمية التى يمثل مصر فيها وهو وزوجته على وعى كامل بشئون الوظيفة التى يشغلها وليعفينى من شكره على كريم لقائه الذى تفضل به على وعلى زوجتى ولتعفينى أيضا السيدة الفاضلة زوجته فالحديث حديث عام لا دخل للعاطفة فيه ·

وأعود الى زميلى فى الرحلة · الدكتور الجليل المتمكن العميد حسين نصار والأديب الفذ المتميز عبد العال الحمامصى ·

لحقا بى فى بانكوك ونحن فى طريقنا الى تلبية الدعوة فى الصين · وركبنا الطائرة معا الى بكين ثم لم نفترق الا حين اعتذرت أنا من اكمال الرحلة فى سائر البلدان التى اختارها لزيارتنا اتحاد الكتاب الصينى وعدت أدراجى أنا لأكتب لك هذا ولأعفى بنفسى من أسفار لا يحتملها من يستقبل الستين وصحته مثل صحتى ·

أما الدكتور حسين وعبد العال فقد أكملا الرحلة وأحسبهما سيقرآن هذا المقال معنا هنا فى القاهرة ·

ما هذا العلم الوافر الذى يفيض به أخونا الدكتور حسين نصار · لقد كان مشرفا وكان لمصر فخرا فى كل لحظة قال فيها كلمة · وكان يتدفق بالعلم والرأى فى ثبات وتواضع وهدوء وثقة ·· ان فى مصر رجالا ·

وكذلك كان أخى عبد العال يلقى برأيه فى عمق وأصالة وثبات · وقد لا يعلم الكثيرون أن عبد العال الحمامصى من أكثر الناس عمقا ومعرفة بالسياسة المصرية وخفاياها وله فيها آراء يحسده على ذكائه فيها كثيرون أعرفهم يعملون بالسياسة ·

ولم يشتر الدكتور حسين الا هدايا قليلة لحفيدته • أما عبد العال فأحسب سوق الصين ستغلق أبوابها بضعة أسابيع حتى يمكن أن تقوم المصانع بتعويض المتاجر التى أصبحت بمرور عبد العال بها قاعا صفصفا • كان فى الشراء ريحا عاتية لا تبقى ولا تذر •

وبعد فهذه نثار خواطر أنت ترى أنها أخذتنى متلاصقة أخذا بعضها برقاب بعض أقدمها اليك • ولا يعلم الغيب الا الله • وربما أعود اليك مرة أخرى بحديث آخر عن نفس الموضوع وربما اكتفيت •• لا يعلم الغيب الا الله •

الأهرام ١٩٨٧/٦/١٤ م

فى هـذا فاكتبوا أو فاصمتوا

طالعتنى جريدة اسلامية بمقالين متتاليين لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الغنى الراجحى · فقرأت عجبا · فما حسبت يوما أن يحتاج كلامى الى من يشرحه لقارىء ما فكيف بى وأنا أرى ما كتبت يستبهم بل ويستغلق على شيخ جليل القدر أستاذ الدراسات العليا بجامعة الأزهر ·

ويقول الأستاذ فى بداية مقاله الثانى « تناولنا فى حديثنا السابق مع الأستاذ ثروت أباظة الرد على ما زعمه من أن الحدود الاسلامية عقوبات فيها قسوة والاسلام لا يجوز أن يكون فيه قسوة » واكتفى بهذا · وأطرق محتسبا رب العرش العظيم فهو وكيلى وأنعم به حسيبا ووكيلا ·

وأعوذ بالله من سوء التأويل والادعاء على بغير ما قلت · من أنا حتى يتهم حدود الله بالقسوة · حنانيك أيها الشيخ الجليل · وكيف جاز عندك اننى أناقش الحدود وهى حدود الله فى محكم كتابه وفى كريم تنزيله · الذى نزله بالحق · وبالحق نزل ·

فرق كبير بين أن أقول أن العصر الذى نعيش فيه عصر تخلف عن حدود الله ونكص عنها وبين أن أناقش الحدود فى ذاتها ·

أنا حاولت أن أناقش محاولة تطبيقها بين أقوام لا شرف عندهم ، ولا ذمة ولا ضمير ، ولا خلق · وضربت بالملوك والخلفاء مثلا · واستثنيت الأئمة الهداة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وعمر بن عبد العزيز ·

فكيف جاز لك يا سيدى أن تتصور اننى أناقش الحدود وهى حدود الله · وانما كل خشيتى من أقوام يطبقونها فيميلون بها عن العدل الى الجور · وهؤلاء سيزعمون أنهم يطبقون الحدود الشرعية بينما هم يحتالون بها ليحققوا مصالحهم الشخصية فيصيبون بالحدود خصومهم فى الرأى ويعفون منها منافقيهم والسائرين فى مواكبهم ·

هيهات · هيهات ؛ وأنا المؤمن شديد الايمان أن أجرؤ على حد من حدود الله · فوالله الذى لا اله الا هو ما خفت الا من بشر لا شرف عندهم

ولا ذمة ولا خلق يحرفون كلام الله ــ جل وتعالى ــ عن مواضعه ويجعلون منه أداة ظالمة جائرة لحكم ظالم جائر .

فأنا يا سيدى أوافقك فى كل كلمة شرحت بها حدود الله . ولكن اسمح لى أولا أن أروى اليك قصة عمر بن عبد العزيز التى رويتها عدة مرات ولم أر لها أثرا فيما يساق من حجج فى الرد على .

أرسل أستاذ عمر بن عبد العزيز اليه وهو خليفة يسأله « الى أى هدف تقصد بكل العدل الذى تقيمه » .

فرد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قائلا : أريد أن أكون مثل جدى عمر بن الخطاب . فأرسل اليه الأستاذ يقول « لن تستطيع واذا استطعت تكون أعظم من عمر لأن الذين كانوا حول عمر كانوا يعاونونه على العدل أما الذين حولك فسيحاربونك على هذا العدل وسيقتلونك ان أصررت عليه » وصدق حدس الأستاذ وقتل عمر بن عبد العزيز ولم يكمل سنتين فى الحكم .

فالناس اذن هم العامل الأساسى فى تطبيق الحدود . وبتلك الحدود التى لا يجوز للبشر أن يناقشوها حكم الخلفاء الأربعة وتبعهم خامسهم ابن عبد العزيز فكانوا عدلا حيث حكموا . وكانوا مقسطين غير قاسطين . شرفاء غير ظالمين .

وبكتاب الله وحدوده التى لا يأتيها الباطل من أى جانب لها ادعى خلفاء لا حصر لهم ولا عدد أنهم حكموا . فكانوا جورا حيث حكموا وكانوا وبالا على الاسلام والناس جميعا .

هذا يا مولانا ما أناقشه وحاشاى واستغفر الله العلى القدير أن أجرؤ على التفكير فى مناقشة حدوده وهى حدوده .

انما أناقش الزمان الذى نحن .. ولا أناقش ولا أجرؤ أن أفكر فى أن أناقش كتاب الله الباقى الخالد من الأزل والى الأزل .

فكل ما كتبته يا سيدى لم يكن له بالنسبة لى أى داع ولا أحب أن أقول عنك ــ وأنت الفقيه الذى يفترض فيه انه محقق لا يكتب كلمة الا بعد أن يضعها فى ميزانها الدقيق ــ انك ظلمت ، لم تنصف ، وجرت ولم تقسط ، وتجاوزت ولم تعدل .

واسمح لى يا سيدى أن أورد بعضا مما كتبت واسمح لى أن أناقشك فيه وما أظن أننى اذا ناقشتك أكون قد جاوزت مكانى ٠

أليس تفسير الحدود والتشريع جمعيا ظل مطرحا على أهل الفقه منذ مئات السنين ٠ فما البأس به أن أناقشك ولو على سبيل الاستفتاء ومثلى والناس جميعا من حقهم السؤال ٠ ومثلك والفقهاء من اخوانك عليهم جميعا أن يفتوا بما يعرفون اذا عرفوا أو بالقول أنهم لا يدرون ٠ فانه قيل : من قال لا أدرى فقد أفتى ٠

أليس للشيخ الامام محمد عبده رأى فى فوائد البنوك ؟ وما لى يا مولانا الا أحترم رأى الامام وهو الامام ٠

دع عنك هذا وبنا الى الفقرة التى وردت فى بعض ما كتبت ٠

قلت يا مولانا بالحرف الواحد « انه كما تنزل العقوبات الدنيوية بالناس للمعاصى يقترفونها وللأعراض عن هدى الله الذى أنزله فيغير الله تعالى نعمه عليه من العزة والكرامة والقوة والسعادة الى الذلة والمهانة والضنك والشقاوة ٠ فكذلك فى المقابل بسبب الطاعات والالتزام بهدى الله احكامه تهبط عليهم الرحمات ويرفع الله عنهم الضنك والعيش المهين والحياة الرديئة » ٠

واكتفى بهذا منك وأسألك يا مولانا من أعطاك علم الله وكيف عرفت عدالته العليا والنبى نفسه وهو النبى يقول ما معناه :

« بين الناس من يبدو فى عمله فى الدنيا أنه من أهل الجنة بينما هو من أهل النار ومنهم من يبدو فى الدنيا من أهل النار وهو من أهل الجنة » ما أصدقك وأعظمك يا رسول الله ٠ ولكننى يا رسول الله أشكو اليك علماء فى زماننا هذا جعلوا أنفسهم مكان الله ذاته وأفتوا ثم حكموا ٠ ولا حول ولا قوة الا بالله ٠

ماذا أنت قائل أيها الأستاذ الدكتور فى أقوام بغير دين على الاطلاق أترى أنهم وهو أكثر من ألف وثلاثمائة مليون جميعا تعساء ٠

وماذا ترى يا سيدى العالم الجليل فى عالم متحضر لا يدين بالاسلام ألا ترى معى أنه أولى بك ثم أولى أن تردد معى قول الامام محمد عبده انه رأى فى باريس الاسلام وان كان أهلها غير مسلمين وانه رأى فى مصر مسلمين ولكنه لا يرى الاسلام ٠

ألا ترى معى يا سيدى ان لله وحده الحق فى اسعاد من شاء واشقاء من أراد حتى يرد اليه كل انسان كادحا فيلقاه ويومئذ تعلم نفس ما قدمت وأخرت ٠

أترى يا سيدى كل الدول التى يختلف الأمر فيها بين الالحاد الكامل بفكرة الأديان وبين اعتناق الدينيين السماويين الأخرين وبين الدول التى تؤمن بآلهه من البشر مثل بوذا وغيره ٠ أترى أن هؤلاء ينزل عليه الله فى حياتهم اليوم سخطا : فكيف اذن هم سعداء ٠

أليس ما هم فيه اليوم لحكمة يعلمها الله سبحانه وبتقدير منه جل شأنه سبحانه ، فكيف سمحت لنفسك يا مولانا أن تحكم هذا الحكم المطلق العام ٠

ان عدالة السماء لا يعرفها الا الله وحده ٠ وهو وحده الذى يحدد لها الثواب والعقاب وبالصورة التى يحددها هو وحده سبحانه والقول بغير هذا تجاوز لحدود العبد المؤمن وافتئات على المنطق واغفال للأمر الواقع الذى نراه فى روسيا الملحدة وأوروبا المسيحية والصين واليابان وأغلب دول آسيا التى تعبد مخلوقا ، هذا غير أديان كثيرة يدين بها أهلها أقليات كانوا أو كانوا كثيرا من بينها من يعبد البقر وهو البقر وكل بما يدين به مؤمن ٠

كيف يا سيدى الأستاذ تحكم على سعادة هؤلاء فى الدنيا جميعا حكما مطلقا جامعا مانعا انهم ماداموا لا يدينون بالاسلام الحنيف فهم أشقياء فى دنياهم تحيط بهم الفواجع والمصائب ٠ أترى هذا واقعا ٠ أو ترى هذا من حقك ٠

ان الدين عند الله الاسلام ٠ لا شك فى ذلك ولا نقاش ٠ أما عقاب الله ومثوبته فى الدنيا والأخرة فأمر اختص به نفسه وما أحسب أنك تفكر أن تشارك الله فيما اختص نفسه به ٠

وبعد يا سيدى فأنت ناقشت ما ناقشت وقلت فأسهبت ولكنك لم تعرض للأمر الأساسى فيما أكتب ٠

هل من حق أقوام أن يفرضوا علينا رأيهم بدعوى أنهم يدافعون عن الدين ٠ وهل من حقهم بموجب هذا الادعاء ان يقتلوا الناس بغير محاكمة وهل من حقهم أن ينصبوا أنفسهم مدعين وقضاة ومنفذين وقتلة ٠

أترى هذا اسلاما · أتراه حقا ؟ ! فى هذا فاكتب ؟

أترى أن تصبح جماعة تدعى أنها مسلمة ذعرا فى طول البلاد وعرضها تقتل بغير حساب وتطلق الرصاص بلا سؤال منهم لمن يتقصدونه فيثيرون بذلك الخوف والهلع فى نفوس اخوانهم من البشر · أو ترى أن أن الاسلام يبيح لهم أن يكونوا قتلة مجرمين وسفاحين بلا ضمير · أو ترى من حقهم أن يرفعوا راية الاسلام الحق · الشريف · الأسمى · السلام على اجرامهم ورصاصهم وجرائمهم ·

فى هذا فأكتب يا مولاى ·

وفى هذا فليكتب كل شيخ يرعى الله ودينه القيم وشرعه الحنيف · أترضى الفتنة يا مولانا تضطرب فى البلاد ·

أترضى الخوف يا مولانا يتملك قلوب المسلمين وغير المسلمين ·

أترضى أن يصبح الأمر فوضى ·

فى هذا فليكتب اليوم كل عالم من علماء الاسلام ·

فى هذا يا مولانا فأكتب ·

وفى هذا ينبغى أن يكتب كل مسلم اليوم ·

من جعل هؤلاء السفاحين مسيطرين والله لم يرض لنبيه سيد البشر أن يكون مسيطرا وهو حامل رسالته وخاتم أنبيائه وعلى لسانه نزلت آخر كلمة من السماء الى الأرض ·

واذا لم يكتب فى هذا ·· وفى هذا وحده ·· فليصمت فانه خير له وللاسلام ألف مرة أن يصمت من أن يميل عن الجد الى الهزل ·· وعن خطير الأمر الى هينه وتافهه ·

ان الفتنة تطل على البلاد من وراء ستار يدعى مثيروها أنه اسلامى · وعلم الله أنهم يفترون على الدين ما يأباه ويرفضه بل ويحاربه واذا لم يتصد لهؤلاء السفاحين علماء الاسلام ·· فواضيعتا اذن لديننا عند علمائه وفقهائه والأئمة منهم المفروض فيهم أنهم المصابيح والهداة ·

فى هذا فليكتبوا ·· أو فليسكتوا ولا يقولوا شيئا مطلقا وحسب الاسلام وحسبنا نحن المسلمين المؤمنين الله وانه سبحانه نعم الحسب وانه نعم الوكيل ·

الأهرام ٢١/٦/١٩٨٧ م

أين أنتم من النبى صلى الله عليـه وسـلم

الخوف من أبشع المشاعر الانسانية · فان النفس الانسانية بلطف من الله الرحمن الرحيم تستطيع أن تواجه الشدائد حين تقع · والانسان فى مواجهة البلاء له من عون الله ملجأ ومرتفق · وله من اشفاق اللطيف سبحانه مرفأ وما من وجنة · وللانسان فى هجير الحياة واحة من ايمانه وله من يقينه فى عزيف الرياح الهوج حوله حصن وسياج ·

ولكن الانسان عند الخوف مذهوب العقـل ذاهل الفكر · ضـاع رشده واختل حكمه · عصر الرعب مشاعره فاذا هو حطام وبتايا ·

فالخائف لا يدرى قدر الكارثة القادمة · ولا هو يعلم كيف ستحل به · ولا فى أى جانب من جوانب حياته ستصدعه ·

ولهذا يقول الرحمن جـل وعلا وهو الرفيـق بعبـاده الشـفوق « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » البقرة ١٥٥ ــ ١٥٦ ــ ١٥٧ ·

وأنت ترى أن الله حين يختبر عباده يبلوهم بشىء من الخوف وليس بالخوف كله · وبعض الخوف هذا أشد وقعا وفتكا من الجوع وهو الجوع ، ونقص الأموال بل هو أشد فتكا من نقص الأنفس وهى الأنفس ·

فالموت يهون اذا نحن قارناه بانتظاره ·

هكذا هو الله جل وعلا ·· رحمن رحيم رؤوف شفوق عطوف حان حنانا لا تعرف البشرية له مثـلا ·· ضئيل كل الضآلة حنـان الأم على وليدها اذا نحن ذكرنا معه حنان الله · وهزيل غاية الهزال اشفاق الأب على بنيه اذا نحن تمثلنا معه اشفاق الله بعباده ·

هذا هو الله ·

فمن اين أتت هذه الطغمة القاتلة السفاحة بقسوتها تلك ومن اين استوحت جبروتها وطغواها · وكيف أذنت لنفسها ان تدعى نسبا الى روح الله وهو رحمة · والى دين الله وهو حنان · والى كتاب الله وهو الهدى · والى أحكام الله وهى عدل وقسط وقسطاس مستقيم ·

وكيف تفجرت هذه الجماعات بيننا ذعرا وهلعا وجبروتا · تفشى الخوف وتدفع به دفعا الى أفئدة الوادعين من شعب طيب النفس كريم العنصر مؤمن جميعه بروح الله ورحمته وهداه ·

وكيف سمحت لنفسها أن توجه التهمة فى غيبة الاتهام وتحاكم المتهم فى غيبة المتهم وفغيبة كل مدافع · وتصدر الحكم فى غيبة الضمير وتنفذ الحكم فى غيبة الايمان منها وفى غيبة العدالة وفى خفاء عن رجال الأمن الذين لا يجـوز أن ينفذ حكم الا بأيديهم بناء على حكم صـادر من قضاء ينظر القضية مثنى وثلاث ورباع ·

أبدين الله يدين هؤلاء ؟ لا ورب الكعبة · لا وبيت الله · لا وحق الكتاب المنزل بالحق ·

أيتوهمون أنهم ماداموا قد أطلقوا لحاهم أصبح لهم حق قتلنا باسم الدين وبشرع الله ؟ ضلوا والله وفسدوا وأفسدوا وجنح بهم الطريق كل الجنوح ·

أيتوهمون أنهم وقد لبسوا جلابيبهم مسوخا وزيفا أصبحوا قوما على المسلمين يرعـون أمنهم ويقتلون بريئهم ويجتاحـون شوارع مصر يصيبون من يتقصدون ومن لا يتقصدون · أطفالا وعابرى السبيل ومن لا شأن لهم بالقضية الباطلة الهازلة الحزينة الدموية التى نصبوا أنفسهم زورا وبهتانا رعاة لها ومدعين وقضاة ومنفذين ؟ ··· خاب رأيهم وضلوا وحق الله ضلالا مبينا ·

ان الفتى من هؤلاء يقف أمام المرآة فلا يرى شيئا · فراغ هو حيث وقف · لا وجود له وان كان ذا وجه وجسم ويدرك الفتى أنه ليس له معنى ولا أعماق وانه يمر بالناس حين يمر فكأنه ما وجد ·

والفتى غرير · والرأس فارغ · والعقل هزيل خواء لا أثر فيـه لعلم · ولا نصيب له من وسائل تفكير ·

والفتى يحب أن يشعر به الناس اذا هو بدا للنـاس . والغالبية الكاثرة من الشـباب تحسـن التفكير وتعلم ان قدر الانسان انما يكون بمخبره لا بمظهره وبعلمه لا بتنكره . ولكن الفتى الغرير الجاهل فارغ الرأس هزيل التفكير يريد أن يصبح شيئا مذكورا . بلا جهد عقلى وان كان على استعداد أن يقوم بجهد جسدى شأن البهم والدواب والوحوش .

اذن ليحل لنفسه أن يقول تشبها بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، خسئت أيها الفتى . وأين أنت من هذا الرحاب ؟ وأين الثرى من ثريا البشرية وكوكبها المفرد وحامل أعظم رسالة من السماء . ومن هو على خلق عظيم . ومن أدبه ربه فأحسن تأديبه ؟

خسئت أيها الفتى . وجل النبى عن هذا وصلى الله عليه وسلم . وصلى عليه المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها وسلموا تسليما . جل متسودا على البشرية أن يكون التشبه به فى لحية أو جلباب انما التشبه بقمة البشريـة وذؤابتها يكون فى الايمان سما حتى السحاب وما فوق السحاب .. فى الخلق العذب.. فى الرحمة بالناس.. فى حب الشر .. فى الايناس فى أدب السماء .. اذا مر باللغو مر كريما واذا خاطبـه الجاهلون قال سلاما .

أما اللحية يامن ترتدون اللحية نفاقا وجهلا فقد كان يلتحى بها أبو لهب الذى تبت يداه وتب . وكان لعنة الله عليه يلبس الجلبـاب أيضا ، وكان كل كفار العرب يطلقون لحاهم ويلبسون الجلابيب فقـد كانت اللحية والجلباب سمة العصر . وكان النبى صلى الله عليه وسلم بشرا رسولا . هكذا بعثه ربه وهكذا سار بين الناس . لا يختلف عنهم فى مظهر أو هيئة أو ملبس . انما المعجزة فيه أنه بشر رسول لم يحى ميتا ولم يلق بعصاه لتلقف أفكار . هو بشر يحمل المعجزة ألم يقـل عنه ربه جـل وعلا « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى » أو لم يقـل سبحانه « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد فان مت فم الخالدون » أو ألم يقل تقدست أسماؤه « قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا » .

هكذا أراده ربه . أراده بشرا يحمل معجزة السماء . والرسول صلى الله عليه وسلم يعلم هذا كل العلم ويحرص عليه كل الحرص ويقول للناس انما أنا بشر مثلكم أكل وأشرب وأمشى فى الاسواق . وكانت اللحية سمة البشر فالتحى النبى وكان الجلباب ملبس العصر فارتداه . بشرا كسائر الناس معجزته أودعها ربه صـدره وأعلنهـا للناس لسانه وفعله .

فما لكم لا تتشبهون بالنبى فى أخلاقه العظيمة وانه لعلى خلق عظيم . ولماذا لا تتأثرون بسيرته فى أمانته وتتأثرون بلحيته . ولماذا لا تأتسون به فى عدله وشرفه ورحمته وعفته وصبره وتواضعه ونزاهته وطهارته . وتأتسون به فى لحيته وجلبابه ونعله . وأين أنتم من نعله . واللحية والملبس والنعل عارض والخلق هو الأصل وهو الحقيقة . ألم يقل الله عنه فى سورة التوبة « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » .

فأين .. أين أنتم من عنت اخوانكم ذوى أرحامكم وأين أعزازكم لهذا العنت ؟

وأين حرصكم على المؤمنين وأنتم تثيرون بينهم الرعب وتشيعون القتل وتفشون الدمار ؟ ضل سعيكم كم تفسدون .

وأين رأفتكم ورحمتكم ؟ أهى قتل الناس ممن تتقصدون بغيا وعدوانا أم أصابتكم من لا تعرفون من الأطفال والمارة قاتلين أو محطمين أو ممزقين ؟ أم تحسبون الرأفة والرحمة نعلا تنتعلون ؟ خاب رأيكم كم تضلون .

وما أكثر اللحى الصالحة المشرقة بنور الله وما أكثر اللحى الفاسدة المفسدة وما أكثر الجلابيب على جسوم ضالة وما أكثر النعال فى أقدام تسير فى طريق عاج عن الهدى وابتعد عن الايمان وشط به الفساد وكانت الرذيلة نبراسه وأمامه ومهواه .

لو أن النبى سيد البشر صلى الله عليه وسلم شهد التليفزيون والمذياع لكانا وسيلتيه لاعلان الدعوة . ولو أنه شهد الطائرة لركبها لينشر الرسالة . لقد كان النبى قمة الذكاء . وكيف لا والوحى يأتيه من الخالق الأوحد الفرد الصمد .

ولكن أين أنتم من طريق الله ؟ وأين أنتم من الرسالة ؟ واين أنتم .. أين من الرسول الكريم ؟

ما ذكرونى الا بقول ابن الرومى لأحد أغنياء عصره ممن كانوا يتنكرون باللحية عن حقيقة غبائهم :

ان تطل لحية عليـك وتعرض فالمخالى معروفـة للحمـير
علـق اللـه فى عـذاريك مخـلاة ولكنها بغـير شـعير

وان كنت ـ أستغفر الله ـ ان تمثلت بالبيتين فشتمت الحمير ٠ والحمير لا تقتل ولا تخيف الأمن ولا تشيع الفساد ولا تحطم الطمأنينة ولا تفشى الرعب بين الناس ٠

فمعذرة للحمير حيث لامعذرة لكم ولاسلام عليكم ولا رحمة وانتظرو أمر الله فانه سبحانه بالظالمين محيط ٠

الأهرام ١٩٨٧/٦/٢٨

انهـــا لــــكبيرة

ومن عجب أن اقرأ لأساتذة أجلهم واقدرهم ·· ان بعض الناس يخافون على الاسلام ! ويحهم هؤلاء الخائفون الا يعقلون · ماذا يظنون بالاسلام ؟! انه أعظم أديان العالم · انه المعجزة الوحيدة من معجزات الأديان كلها التى بقيت خالدة على الزمان انه الدين الذى ارتضاه الله للبشرية جميعا وفى كلمات كريمات يعلن الله فيها ان المشركين الكافرين قد يئسوا من ديننا فلا خشية منهم ولا خوف ·· اقرأ قوله تعالى فى الاية الثالثه من سورة المائدة « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ، اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » فمن هؤلاء الذين يخشون على الاسلام · ما شانهم ؟ وكيف يجوز لهم أن ينصبوا أنفسهم حراسا على الاسلام والله من فوق سبع سماء ومنذ ألف وأربعمائة سنة يعلن المسلمين جميعا من أبناء عصر التنزيل الى يوم القيامة أن الكافرين قد يئسوا من ديننا · وان سعيهم فى محاربته قد خاب وأكدى وفشل · وان على المؤمنين أن ينبذوا أمرهم نبذ النواة فلا تنشغل أفئدتهم الا بخشية الله ·

فمن هؤلاء الذين يخشون على الاسـلام · وبأى منطـق أو عقـل قواعده ورفع بناءه ، وأعلى صوتـه يجوب الآفاق والسنوات والتـاريخ يخشون ، والله هو الحفيظ للاسلام · وهو الذى ثبت دعائمه وأرسى قواعده منذ ألف وأربعمائة عـام فى أسماع التـاريخ والزمن والأجيـال والأحقاب والناس يصدع مناوئيه ويمحق محاربيه ويبقى بأمر كن من خالق الأكوان وتعلو الكلمات القدسـية الالهية على الأيـام والأحـداث والمرجفين الكفار الملحدين فاذا هى تذهب بريحهم وتدمر تدبيرهم وتمحق كيدهم وتبيد ما يمكرون وتدحض حجتهم وتنقض غزلهم انكاثـا وتفرى كبودهم كمدا وغيظا وهوانا · ولم لا والله من فوق سدرة المنتهى ومن عرشه ورفيع سماواته يقول « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ·

كانت عندما حملها النبى صلى الله عليه وسلم كلمة ربانية ووعدا للمسلمين ووعيدا للكافرين · وهى اليوم حقيقة اكتملت· ووعد تم انجازه ووعيد حاق بالكافرين واحاط بهم فما لهم عليه من سبيل ·

فمن هؤلاء الذين يخشون على الاسلام ؟ وما قيمتهم عنـد الاسلام وماذا شأنهم بدين أئمة الله وأمر المؤمنين الا يخشوا عليه بعد يوم مر عليه ألف وأربعمائة عام • وما هم ؟ الا ما أهون حرصهم وما أجدرنا ان نسخر منه • أيخشون هم على دين نزل الله ذكر وتعهد هو بحفظه حتى تقوم الساعة • وقد فعل وهو من بعد فاعل بما كتبه على نفسه عز وعلا • ان القرآن معجزة السماء الباقية والتى ستبقى •

فمن هؤلاء الذين يخشون على الاسلام ؟

ان الانسان لا يخاف الا من قادم الأيام وقابل الأحداث • أما الماضى فقد وقع • وقد نشقى به ولكننا ابدا لا نخشاه ولن نخافه فانه لا يستقيم فى العقول أن يخشى الانسان مما حدث فعلا الا اذا كانت آثار الماضى لم تتم فصولا وكان لها خفـايا المستقبل آثار وعقـابيل فأين هـم اذن من الاسلام •

ان الاسلام واقـع تم وحاضر شـاهق عميق عريق الأصول ثابت الرواسى رفيع الهامات رأسه فى السماء •

هكذا كان ، هو الآن ، وهكذا هو فى المستقبل بأمر من الله تم نفاذه على مدى أربعة عشر قرنا ويتم نفاذه الى يوم يبعثون • ويوم يخالجنا فى ذلك خلجة من شك نصسبح أبعد ما نكون عن الايمان بالله الواحـد القهار الحق الصادق فهو دائما والى الأبد منجز وعده • واذا كان المسلمون فى عهد النبوة قد آمنوا به سبحانه منجزا للوعد بوحى من ايمانهم وحده ، فننا نحن أبناء هذه الأيام التى تتسم القرن الخامس عشر من أيام الاسلام نؤمن بقوله سبحانه لأننا مؤمنون أولا ثم لاننا شهدنا الوعد منجزا قد أصبح حقيقة ثابتة رأيناها وعاصرها التاريخ على مدى ألف وأربعمائة عام وما زلنا نحن نعاصر الذكر الذى نزله الله والذى أعلن سبحانه ووعد انه له حافظ • فقد حفظه فعلا ••• وها نحن أولاء نقرأ الذكر فى صباح ومساء وظهيرة وأصيل وعند غروب ويقرأه معنا أبناء كوكب الأرض فى كل الأفاق• بل ان صاعدا الى القمر يسمع الأذان هناك فوق القمر ويعلن• سيظل الاسلام ثابتا على الأيام شامخا عاليا رفيعا حصينا يكلؤه ويرعاه ويحفظه ويحميه الخالق • وكفى به حافظا •

فمن هؤلاء الذين يخشون على الاسلام ؟!

ما أشبههم بشخص متخلف العقل غائب الفهم يذهب الى حصن تحميه القنابل الذرية والطائرات الحربية والمدافع الثقيلة والقادة الحربيون

السداد ويقف هو ومعه خنجر من صفيح صدىء ويصيح : أنا أحمى هذا الحصن ·

وأعجب ما أعجب له أنهم يدعون أنهم يخافون على الاسلام من الغزو الحضارى · خسئتم ما أنتم وما تدعون ·

ان الاسلام هو قمة الحضارة وهو الذؤابة العليا من الادراك الرشيد السليم · وما كل هذا التقدم الحضارى الا أسرار الكون العليا هى عند الله ، يتيح كوامن خوافيها للبشر حينا بعد حين ·

ان العلماء فى أنحاء العالم أجمع لا يخلقون قوة وانما يكشفونها فقط ثم هم لا يعرفون سرها ولا يدرون من الذى أودع فيها خواصها الا أن يقولوا هو الله جل وعلا وتباركت آلاؤه · ويصيح بهم القرآن والمسلمون : « فبأى آلاء ربكما تكذبان » ·

ان الغاز الذى اخترق به الانسان طبقات الجو العليا وبلغ به القمر من صنع الله وليس من صنع البشر · وصل الانسان الى سره وركب مكونات من عناصر هى من خلق الله وليست ـ وما كان لها أن تكون ـ من صنع البشر · فما الحضارة فى أسمى مراقيها وأعلى مراتبها الا قوة كونية ، الله هو خالقها كما خلق كل شىء وهو وحده من أذن للانسان أن يصـل الى أسرارهـا وخوافيها بأمر كن منه وحين أراد هو ولحكمة لا يعلمها الا هو ·

وان الذى أودع الروح فى الانسان وجعله سيد مخلوقاته هو وحده الذى خلق كل عنـاصر الحياة · من غاز الى نبات الى حيوان الى دواب وما الانسان العالم الا أداة شاء الله فى كرسيه الأسنى أن يتيح له سرا من أسراره · وخافية من وسيع علمه وقبسة ضئيلة من أنواره العلوية كانت مستترة عن العلم فأعلنها · وكانت فى مطوى علمه وأذان لها أن يعرفها الناس ·

فمن هؤلاء الذين يخشون على الاسلام ·

انهم قوم سمحوا للملحدين أن يفرضوا أنفسهم على صحفنا ويتكلموا مقارنين بين العلم والدين وكأنما العلم أصبح مستقلا على الدين · أو كأنما العلم كافر والعلماء ملحدون ·

ان هذه الحجج الواهية التى يصطنعها الشيوخ الأجلاء لا تصلح أن تستر ما ينبغى أن يتصدوا له من هذا العبث المجرم السفاح الذى يلهو به فتية لم يؤمنوا بربهم وانما آمنوا كل الايمان بدنياهم وبالأموال التى تنهمر عليهم انهمارا من أعداء مصر وأعداء الانسانية وأعداء الدين قبل كل شيء ·

ان المشايخ الذين يدعون أنهم يخافون على الاسلام انما يخافون على أرواحهم والله على ما أقول شهيد ·

أين أيها المشايخ الاسلام من فتية مخابيل يطلقون الرصاص الأحمق على من يريدون ومن لا يريدون ·

أين أيها المشايخ الاسلام من فتية يريدون أن يروعوا الأمن والطمأنينة فى الحياة وان يقضوا مضاجع السكينة والاستقرار فى مصر· أين أيها المشايخ الأجلاء الاسلام من عابثين كفرة يرفعون شعائر الاسلام لافتة كاذبة ويقتلون كل ما هو كريم شريف فى حياتنا من أمان ·

أين الاسلام من القتل والله يحكم أن من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ·

أين الاسلام من الذين يثيرون الفتن والله يحكم أن الفتنة أشد من القتل ·

وأين الاسلام من قوم مالوا عن طريق الله الى طريق الرشوة والضلالة · وعملوا على حرق الوطن بأموال أعدائه ورصاص الحاقدين عليه ·

لا ، ما على الاسلام خفتم ولكن على حياتكم والا فأين أنتم ؟

أين فتاواكم وأنتم تنشرون الفتاوى كل يوم فى ضامر الأمور وهزيلها وفى أحقر ما يمر بحياتنا اليومية · وأشهد الله ان كثيرا منكم يعتسف الفتوى اعتسافا ويختلقها اختلاقا ·

فما لكم لا تفتون فى الذين يقتلون الناس ظلما وعدوانا وبهتانا وزورا وافكا وضلالة ·

أين فتــاوى مصــباح الألف عام ازهرنــا الشريف ٠ أين رجالــه الأكرمون ٠ اين علمهم الوضاح : أين فتواهم فيما يحاول هذه الفئة الضالة أن تصنع بمصر ٠

وبعد هؤلاء ٠

أين الحزب الوطنى ؟

اتراه يحسب أن دعايتــه للرئيس محمد حسنى مبــارك هى التى ستجعله يفوز فى الانتخابات ٠ لا وحق الاله الأعظم ٠

انما الصلة بين مبارك والشعب صلة مبــاشرة لا يد للحزب فيها ولا فضل ٠ بل اننى أعتقد اعتقاد يقين أنه سينجح رغم دعاية الحزب له ٠

ان الشعب المصرى لم يحب زعيما واستمر على حبه له فى الزمن الأخير قدر حبه لذلك الرجل ٠ والشعب لا يعرف عنه الا كل ما يزين الرجال ويرفع قدرهم ٠ الشرف عند الوعد ، والتعفف كل التعفف عند أى مغنم ٠ يمر باللغو فلا يمر الا كريما وان خاطبه الجاهلون قال سلاما ٠

وقد أعطى الشعب حبــا ، والشعب من طبائعه الوفــاء ٠ فكيف لا يكافئه حبا بحب ٠ واعزازا باعزاز واكراما باكرام ٠

بأمر من الله الذى يطيعه حسنى مبارك ولا يخرج فى أى فعل له عن طاهر ساحته سينجح حسنى مبارك ٠

على الرغم من دعاية الحزب ٠

فما للحزب لا ينصرف الى صنع مبادىء يلتف حولها الشباب حتى لا يجتذب الأبرياء منهم كل ضليل محتال افاك لص من شيوعى ملحد أو من ارهابى يدعى الاسلام ٠

أيها المشايخ فى هذا فاكتبوا أو فاقبلوا منا أن تثور حولكم بنفوسنا ما يثور من صفات نجلكم أن نذكرها ولكننا مع ذلك لا نستطيع أن نقمعها فى نفوســنا ٠

وأيها الحزب الوطنى ٠ بهذا فانشغل أو انك لا شــغل لك فانه لا أحد يجهل أن الحزب يعتمد فى كيانه ووجوده وانتخاب الناس له على حسنى مبارك ٠

فاذا كان الناس ينتخبون الحزب من أجل مبارك فكيف يسوغ فى العقول أن ينتخب الناس مبارك من أجل الحزب ؟ انما الحزب أما أن يكون صاحب مبدأ واضح أو هو بلا وجود الا كيانا مؤقتا لا يدوم والله يوفقكم ويرعى خطاكم اذا أنتم على الطريق وضعتم خطاكم ٠

١٩٨٧/٧/٥ الأهرام

زمـــان وزمـــان

الى غير رجعة يا زمن الاجماع المزيف · والى غير عودة يا عهد الهمس والصراخ · ان انتخاب الرئيس اليوم من القلوب لا من الحناجر ، ومن الاقتناع لا من الرعب · ومن الاختيار الحر لا من الأمر الذى يعلم مخالفه أنه مسلق الى الموت وقد أصبح الموت له أملا ، أو الى السجن والتعذيب والاعتداء على كل المقدسات · زمان قال فيه الشاعر :

جلـوا صـارما وتلوا باطـلا   وقالوا صدقنـا فقلنـا نعـم

وقال فيه شاعر آخر :

على الذم بتنا مجمعين وحالنا   من الرعب حال المجمعين على الحمد

وقال فيه المتنبى :

كفى بك داء ترى الموت شافيـــا   وحسب الأمانى أن يكن أمانيا

زمان كان فيه الموت سعادة وهناء · زمان اعتدى على أعراض الرجال والنساء فى خسة لم تعرف لها الانسانية ولا الوحشية مثيلا · زمان دمر كل معنى للقيم وحطم كل رمز للطهارة ومحق كل نبضة حب تصل بين الابن وأبيه أو الزوج وزوجه أو الأخ وأخيه · زمان تجرد من النور وانفصل عن مسار الأيام ليصبح وحده قطعة من حياتنا مجردة من كل تعاطف أو مودة · كل لحظاته قهر وحطم وجبروت زمان غاب عنه وجه الايمان ليطالع الناس فيه وجه ملعون مكشر عن أنياب شيطانية بشعة · الخوف قوامه ، والرعب أساسـه ، والتمزيق للجسـم والروح دبدنه وسـبيله · زمان تحكم فيـه غول من الجـان له أعوان من القردة وبنى النسناس يتقافزون ، اذا ضحك ويتوارون هلعا ان احمرت عيناه ·

زمان بلا رأى · ألغى فيه صـاحبه العقل أن يفـكر الا فى خدمته والكلمة أن تقال الا لنفاقه · والصوت أن يصوت الا بحمده · والشفاه أن تنبس الا بما يشتهى ·

زمان السيد الواحد والعبيد الراكعين الساجدين له لا لوجه الله أو الوطن ·

زمان أبى للحياة أن تحيا أو للانسان أن يأنس أو للسكينة ان تلم ببيوت الناس · أو للرحمة أن ينبض بها قلب بشر ·

زمان أخرس جبار · زمان صم · ليس فيه الا صوت واحد جهير مخيف يثير الفزع عى أنحاء مصر من أسوانها الى ثغرها · فاذا الهواء نار وجليد واذا النسيم فى أعصاف الوادى رياح ذات شرة وعزيف فهى أعصار ذو لفحات هوج طائشة تدمر حيث تهب فلا تبقى ولا تذر ·

زمان اعتصر أبناء مصر فاذا هم آلات · واذا كل بيت له نائب يمثله في السجن أو المعتقل تنصب عليه ألوان العذاب فنونا مبتكرات · يعتدى فيها على عرضه فيحطم كل معنى موجود فى كيانه ، أو على جسمه فيدمر وعاء الروح فيه ، أو على روحه فاذا الموت عنده أمل ورجاء ·

ويبقى من هذا الزمان ذكرى · هى أصوات نكيرة تذكر به ونحن نريد أن ننسى · وتعبد ظلاله الدنسة الى أذهان من عاصروه فتتعالى اللعنات على الزمان وذاكريه · وتنصب على من يرفعون شعاره كل ألوان المقت والسخط والكراهية ·

فالذاكرون ما ذكروه الا لأنهم من أعوانه وخدمه ومن زبانيته ومناصريه ·

وناصريه ومنتفعيه أيضا خابوا زبانية ومناصرين · وناصرين ومنتفعين ·

أيعودون الى أبواقهم اليوم والحرية تملأ الحياة حولنا ·

ها هى ذى انتخابات الرئاسة تتعالى فيها أصوات المعارضة فتثبت أن مصر فيها رأى آخر · وان المعترض فيها ــ حتى وان كان باطل ــ يستطيع أن يجاهر برأيه · فى أمن هو غير خائف ولا هو مذعور ·

وينتهز بعض كتاب المعارضة هذه الفرصة ليركبوا خيولا من الوهم ويشهروا سيوفا من الورق ويصرخوا بكل الأكاذيب ولا يمسهم من الحكم ارهاب ·

أين كان هؤلاء وأين كانت شجاعتهم · علم الله انهم كانوا فى مواكب النفاق زمرا · وكانوا المنشدين فى مواكب الهوان أو كانوا المرتعدين فرائص وقلوبا ·

خرج الذين كانوا فى السجون يرتدون الملابس الزرق وأصبحوا قادة وزعماء وبدلا من أن يدلوا بأرائهم بريئة من الغرض بعيدة عن الهوى هاجموا فى ضراوة وحجبوا ثقتهم آلمين حين هاجموا بعيدين عما يعرفون أنه الحق حين حجبوا ·

وانتفض الذين كانوا يتعرضون للاعتداء على أعراضهم وجسومهم وأرواحهم وأصبح لهم حزب تجمعوا فيه وصحف يملأون أنهارها بالكفر والالحاد وكراهيـة الوطن وعهد الحريـة والكرامة المصونـة والعرض السليم ·

وخرج الارهابيون ممن اتخذوا الدين وسـيلتهم ليصـلوا به الى مناصب الدنيـا وانتشروا فى جنبـات مصر تقتيلا وذعرا فلقيهم الحكم بالحزم الرفيق بالمواجهة لا بالارهاب ·

أيريد المعارضون أن يعودوا الى السجون والمعتقلات والاعتداء على الأعراض والأنفس والجسوم ·

فليتقوا الله فى أنفسهم إذا هم كانوا أهون من أن يتقوا الله فى دينهم وفى وطنهم وفى أبناء شعبهم وليتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا وحدهم · فانهم هم سيكونون أول الأعواد التى تلقى الى حريق هذه الفتنة اذا هم أضرموها ··· ما لهم الا يعقلون ؟

انهم جميعا ونحن معهم كادحون الى ربنا كدحا فملاقونه · ويل يومئذ كل الويل لمن لا يؤتى كتابه بيمينه هاؤم اقرءوا كتابيه · أنى ظننت أنى ملاق حسابيه ·

الأهرام ١٩٨٧/٧/١٢

انه جـد لا هزل فيـه

لقد أذن الله لمصر ان يتولى أمرها رئيس يتحلى بأكرم ما يتحلى به الرجال . شريف هو صادق الوعد امين لا يقطع على نفسه عهدا الا اذا كان واثقا انه قـادر على انفاذه . ليس فى سجايـاه كبر ولا هو عاتية او غليظ القلب وانما سلس المأخذ هو قريب المورد ، يحرص على دينه كل الحرص فى غير حرص على دنياه . بعيد كل البعد على المظهر الكاذب ، والزينة الفارغة ، فى ملبس أو مسكن أو مركب . يعلم كل العلم ان المنصب الذى يتولاه عبء فادح وليس تشريفا ولا جاها ولا مظهرا . أطيب الناس هو نفسا لا شرة له ولا قسوة فيه . لا ينتقم ولا تمر فكرة الانتقام بذهنه . ترك الأطفال من هواة ألعاب البطولة السركية يقحمون اسمه فى المقالات فما تنازل يوما أن يتخذ منهم موقفا مثل الذى يتخذه كل العاملين فى الحياة العامة من رفع الدعوى أمام القضاء لقمع الكاذبين والمدعين بغير حق والذين يرمون الشرفاء عن كيد أثم ومكر سيىء بلا تدبر أو رعاية لأمانة الكلمة أو اقدار الكرام .

تفتح اذاعات ليبيا وسوريا عليه كل منافذها مطلقة كلابها النابحة الجرباء فما يفكر رئيسنا أن يواجهوا بمثل ما يرتكبون . فهو رجـل ديدنه فى الحياة انه اذا مر باللغو كريما يمر واذا خاطبه الجاهلون قال سـلاما .

ومحمد حسنى مبارك لا يقيم بينـه وبين الشعب أعوانا ولا أنصارا وانما يذهب هو الى الشعب وكم كان يتمنى أن يأتى الشعب كله اليه . وما دام ذلك غير متاح فهو هو الذى يذهب الى التجمعات الشعبية ويسأل الأفراد عن أحوالهم ما استطاع الى ذلك من سبيل ثم هو يزور البيوت بلا تفرقة ويتحرى أن تكون زيارته للفـلاح الضارب بفأسه فى الأرض أو للصانع الذى يعمل بيده على الآلة ليشعر كل فلاح وعامل فى مصر انه جدير بزيارة رئيس جمهورية مصر .

ورئيسنا ذو أناة فى القـرار لا يتخذه الا اذا قلبه على كل جانب له بعيدا فى تفكيره عن كل غرض شخصى أو غاية ذاتية وانما يسأل الخبرا

ويتبين رأيهم ويجرى بينهم النقـــاش حتى تلتقى الحجة بالحجة والرأى بالرأى ·

والرئيس محمد حسنى مبارك أبعد ما يكون عن اتخاذ أفراد من الناس يجعلهم مقربين اليه ليتاجروا بأسمه أو يتخذوا من صـــلتهم به وسيلة لجاه لا يستحقه صاحبه أو مال يستلبه عن غير طريقه الشرعى ·

أصدقاؤه الخلص الذين وصلته بهم حياته الخاصة لا يسمح لأحد منهم أن يتحدث عن شخص مسئول بحديث مرسل أو باشارة فيه انتقاص أو مديـــح · فالرئيس محمد حسنى مبـــارك يعرف خطورة المكان الذى يشغله ولا يسمح لأصدقائه أن يجعلوا من صداقتهم به وسيلة لرفع من لا يستحق أو لقدح فيمن لا يستوجب أمره انتقاضا ·

وهكذا فنحن أبناء الشعب لا نعرف أسماء هؤلاء الأصـــدقاء لأن صداقتهم به بعيدة كل البعد عن الحياة العامة فى مصر سياسية كانت هذه الحياة أو اقتصادية ·

والرئيس محمد حسنى مبارك لا تجوز عنده الأقـــاويل ولا يأخذ بالظن ولا يصدق بغير دليل ·

وهو يدرى المنـــافقين حين ينافقون ولا تختلج نفسه بمديحهم فهو يعرف ماذا يقف وراء مديحهم والانسان الشريف لا يطرب لمديح ينطلق عن تزلف أو يندفع الى منفعة شخصية يتغاياها المادح المنافق ·

لم يسمع أحـــد عن محمد حسنى مبـــارك الا ما يشرفـــه ويزينـــه وما سمعنا عن أسرته جميعا ــ رعاها الله ــ الا ما يشرف الأسر الكريمة ·

السيدة الفاضلة زوجته تهتم بما لا خلاف حوله من الحياة الاجتماعية وأمور الطفـــل وثقـــافة المجتمع مما تتفق حوله كل الآراء مهما تتبـــاين المعتقدات السياسية أو الدينية والفكرية ·

وابناه ــ أكرمه الله فيهما ــ موفقـــان كل التوفيق فى حيـــاتهما تخرجا متقدمين ويمارسان حياتهما بعيدا كل البعد عن الحكومة حريصين كل الحرص أن يخرسا أى لســـان يحاول أن يمس سمعة واحـــد منهما مقدرين كل التقدير المكانة التى فرضت عليهما فرضا لا يد لهما فيه فهما يتحملان قدرهما فى الدائرة الضيقة كل الضيق التى يتيحها لهما منصب

والدهما راضيين بأن يحرما من كل ما يتمتع به اخوانهما فى مصر وفى أنحاء العالم أجمع من حرية وانطلاق ٠

وبعد فالله يعلم أننى مهما أمدح هذا الرجل فأنا مقصر فى شأنه لم أبلغ ما يستحقه هو وما تستحقه أسرته من تقدير واجلال ٠

وبعد فالله يعلم اننى سألاقى من هذا الذى أقول عنتا أى عنت وسيدعون اننى منافق واننى أتمدح بالرئيس زورا وبهتانا ولكن هؤلاء سيعجزهم أن يجدوا سببا لنفاقى فهم يعلمون اننى أولا وقبل كل شىء كاتب والكاتب لا يحتاج لمخلوق فى جميع حياته فأنا لا أستعين الا بالله وحده فى علياء سمائه تقدست أسماؤه ٠ عبد أنا فى رحابه ٠ وليس لى فى غير رحابه مأرب أو مطمع ٠

وانه لجبن غاية الجبن أن نحبس الحق من المديح خوفا أن يقال عنا منافقون ٠ كما هو جبن غاية أن نحبس نقدا نعرف انه الحق خوفا من طاغية أو ظالم والذين تتبعوا حياتى يعلمون أننى — والحمد لله — لم أكن يوما جبانا ومن لم يكن جبانا هيهات هيهات أن يكون منافقا ٠

وبعد مرة ثالثة ففيم هذا الحديث عن الرئيس ؟ الحق اننى انما وجهه الى الحزب الوطنى أرجوه بكل ما أملك من صدق أن يقف بين الشعب والرئيس فالشعب لا يحب الزحوف المصطنعة ولا التأييد المدبر ولا المبايعات المفتعلة ولا اللافتات الرخيصة ٠

ان محمد حسنى مبارك عظيم ٠ وكريم المكانة ومكين عند الشعب والشعب يكره كل الكراهية الصخب والضجيج الذى لا داعى له ٠ فهذا اللون من التأييد الذى ابتدعه حزب الوفد قبل الثورة وتبناه الاتحاد الاشتراكى والتنظيم الطليعى وهيئة التحرير ومالا أدرى من أسماء لا تدل على شىء ٠٠ هذا اللون الغوغائى الرخيص أنزه تأييد حسنى مبارك أن يتسم به ٠

ان حب محمد حسنى مبارك مكين عميق الجذور فى نفوس أفراد الشعب وهذا الصخب الذى نراه يظهرنا وكأننا نحن محبيه نخاف ألا يختاره الشعب ٠

ولماذا لا يختاره الشعب وهو لم يكن يوما الا حبا وما كان فى يوم من الأيام قهرا أو عنفوانا أو ظلما وجبروتا ٠

واستحلف الأخ العزيز صفوت الشريف أن يمنع أى محاولة لتأليف أغنيات عن حسنى مبارك • فان القلوب حين تغنى بحب رئيس دولة تكره أن تفرض عليها أغنيات من الحناجر • لأن الأغانى التى تؤلف وتلحن عن الرؤساء لا تكون الا فى دول ديكتاتورية الحكم فيها مطلق وليس فيها الحرية التى ننعم بها فى مصر •

لقد صان الرئيس محمد حسنى مبارك الأمانة وحملها فى جدية لا هزل فيها ولا لهو ولا عبث •

فيا حزبى الوطنى كن جادا مثل رئيسنا وابتعد ـ بحق الله والوطن ـ عن الهزل واللهو والعبث • حتى يدرك الشعب انك تقف على نفس الأرض التى يقف عليها رئيسنا أعانه الله وأيد خطاه وسدد يمناه •

الأهرام ١٩٨٧/٧/١٩

والـد ومـا ولـد

بطل هو اليوم يدبج المقالات النارية يحاول بها أن يخادع الناس عن حقيقته وماله لا ينتقد ويبالغ في النقد وماله لا يؤجج الحماسة في نفسه فيتجاوز النقد والرأى الى الهجوم والسباب · لعل الناس أن يقولوا عنه صنديد فارس ، وجرىء · مقدام ، والناس تعلم كما يعلم هو ان شرا لن يمسه مهما يبالغ في الهجوم ومهما يتجاوز حد النقد الى منطقة التنابز بالألقاب واصطناع الكلمات الفخام والالفاظ الضخام وما شاء له هواه من صيال وتجوال عبدا في ثوب عنترى ضئيلا في ثوب الكبار ·

والصورة التي أقدمها اليوم صورة مزدوجة ليست له وحده وانما له ولأبيه على السواء وقديما قال الناس كل اناء بالذى فيه ينضح وقديما قيل أيضا الأصل غلاب كما قيل لا تلد الحية الا حيية· وشدد الياء الثانية حتى تتضح الصورة وتبين ·

كان أبوه يعيش في مدينة من مدن مصر وكان يستأجر بيتا من صاحبه ولم يكن أبوه فقيرا أو معوزا أو متكففا للرزق · وانما كان موظفا في زمان كان يقال فيه ان فاتك الميرى تمرغ في ترابه فالحياة بالنسبة اليه في ذلك الحين لم تكن عنتا ولا محلا ولا يابسة ·

وانما كان هو كما سأروى لك ·

ظل الشهور الطوال لا يدفع أجرة البيت وكانت في ذلك الزمان قروشا أقل من أن تعد · ولما ضيق عليه صاحب البيت الخناق فعل عجبا ·

كان الانجليز يومذاك يحتلون الوطن المصرى وكانوا يفرضون عليه نظاما ظالما قاهرا · وأى محتل عدل ! ·

كان النظام يسمى الحماية وبمقتضاه لا ترفع الدعوى من مصرى على انجليزى أو اى أجنبى الا أمام محكمة خاصة كانت تسمى المحاكم المختلطة وكان قضاتها معروفين بالظلم والحيف والميل كل الميل الى

الأجنبى والميل كل الميل على المصرى . وكانت الاجراءات أمام هذه المحاكم تجعل المصرى يأنف يائسا أن يتقدم اليها بظلامة . وكانت الاحكام فى مجملها تزيده يأسا أن يفكر فى رفع الدعوى أمامها .

وهكذا تفتق ذهن والد البطل الذى اروى لك قصته عن أمر عجيب فلقد كان يستأجر بيتا بأكمله لا شقة وهكذا ترى انه لم يكن فقيرا من المال وسترى من فورك انه كان الى الخلق والى الوطنية افقر خلق الله أجمعين .

جاء صاحب البيت الى بيت والد البطل ليطالبه بالأجرة فرأى عجبا ... رأى الوالد الحقير يرفع على قمة البيت علما من أعلام الدول الأوروبية التى يتمتع رعاياها بالحماية فى مصر .

وادعى المصرى المسلم ابن الأرض المصرية والفلاح المصرى انه من رعايا هذه الدولة ومن ثم لا يجوز رفع الدعوى عليه الا أمام المحاكم المختلطة . وهيهات لحق أن تحكم به المحكمة المختلطة لمصرى على أجنبى .

باع المصرى وطنه ومصريته من أجل قروش زهيدة ليأكل حق صاحب البيت ما أهون الوالد وأحقره ! وما أرخص ما باع مصره ومصريته .

ولم يجد صاحب البيت مناصا من أن يرجو المستأجر الوضيع أن يترك البيت ولا يدفع شيئا .

وكانت البيوت فى ذلك الحين تبحث عن مستأجريها وكانت البيوت خالية فى كل مكان وقد ظلت كذلك حتى أراد عهد جائر جاهل أن ينافق المستأجرين فتدخل بينهم وبين الملاك فتوقف البناء فى مصر وطمت الأزمة التى تنشب أظافرها الحادة اليوم فى شبابنا وفى أمالهم ومستقبلهم .

لا عليك ولا علينا . انتقل والد البطل الى بيت آخر وأقام فيه ما حلا له أن يقيم رافضا أن يدفع أجرا وكان المالك قد فطن الى ما صنعه آنفا فأصر أن يكتب والد البطل فى العقد أنه مصرى الأصل والجنسية ولم يجد بدا من الاذعان فكتب وأصبح ممتنعا عليه أن يرفع علم دولة من أعلام الحماية .

ولكنه حين ألح عليه المالك أن يدفع أجر البيت عمد الى بعض أثاث قديم من بيته كان يعده للحريق فألقى عليه كميات ضخمة من الماء وأعلن المالك انه أجر له بيتا متهالك السقف وان الأمطار انهمرت على أثاث بيته

فأفسدته وهدد المالك انه سيرفع عليه دعوى تعويض عن الأثاث قيمتها أضعاف الايجار فخاف المالك المسكين وظل والد البطل النصاب يقيم فى البيت دون مقابل ٠

وهكذا كان الأب فى أيام الاحتلال فماذا صنع الابن فى أيام القهر والعدوان وفى زمان الطغيان المصرى لا الأجنبى ٠

كان محاسبا لشركة كبرى وضعت تحت الحراسة وقصد اليه أصحاب الشركة أن يقدم حساباتهم لتثبت حقوقهم الشخصية التى لا تخضع للحراسة الظالمة المفروضة فاذا هو ينكل عن هذا ويعدم الوثائق ويهرب من أن يذكر اسمه وتتكرر منه مواقف الجبن الراعد والضمير الغائب ٠ حتى يجىء عهد الحرية فاذ هو يشرع القلم ويستل السيف الورقى ويهاجم فى سفالة ونذالة وصغار ٠ وما العجب فانه فتى نشأ على ما كان عوده أبوه لقد باع الأب وطنيته من أجل قروش وباع الابن ضميره ومازال يبيعه بالمال حينا وبادعاء البطولة دائما وبدلا من أن يمتدح الحرية ويطالبها بما يرنو اليه وطن انهارت الأركان فيه وجفت موارده بصب الرعديد ابن الخائن جام غضبه على الحرية وعلى النظام الذى أتاح لها ما لم يكن متاحا ألم أقل لك ان الحية لا تلد الا حيية أو لم أطلب اليك أن تشدد الياء الثانية حتى تتضح الكلمة وتبين معالمها ٠

الأهرام ١٩٨٧/٧/٢٦

هيهات لموت أن ينـاله

لا أعرف أحدا بذاته أعزيه فى وفاة توفيق الحكيم وانما أعزى فيه الأدب العربى جميعه قديمه وحديثه وأعزى فيه الانسانية فى شتى معانيها ومختلف صورهـا ٠

ثم بعد من أى جوانب توفيق الحكيم يبدأ الحديث ٠ ان الأمر يستغلق على الكاتب اذا اتسع الموضوع فاذا هو محيط لا يدرى الكاتب من أى شاطىء له يبحر والى أى شاطىء له يرسو ٠

ان توفيق الحكيم ملأ العالم جميعه بأدبه وفنه السامى الرفيع حتى أصبح علامة مشرقـة على الأدب العربى فى شتى أنحاء العـالم لا يضىء بجانبه الا قلة من الأنداد أمثال شوقى وهيكل وطه حسين والعقاد ٠

وقد كان توفيق الحكيم فنانا مبدعا عميق الفكر يقدم اليك أعظم الآراء الفلسفية فى مسرحية يقرءوها القارىء الساذج فيراها قريبة منه ميسورة وكلما ازدادت ثقافة القارىء زاد اعجابه بتوفيق الحكيم ٠

فقد كان موسوعى الدراسة قرأ فى كل الآداب وفى كل الفنون ودرس جميع الفلسفات ، وألم المام العالم الخبير ، وقدمها فى روعة المسرحى الفنان القدير المتمكن عميق الجذور مشرقة اللفظة فى حوار لم تعرف له العربية مثالا من قبله ٠

عرفنا توفيق الحكيم نحن أبناء جيلنا فى نفس اللحظة التى عرفنا فيها أن هنـاك شيئا اسمه الأدب وعشقناه يوم عشقنا القراءة وأمسك بيدنا جميعا فى حنان الأباء ليصل بنا الى الأدب الكبير دون أن تتقطع منا الأنفاس أو يشق علينا الطريق ٠

كنت اذا أمسكت كتابا لتوفيق الحكيم لا أغلقه أو أنتهى منه حتى اذا اضـطرتنى الحياة أن أغير ملابسى لخروج كنت أضـع كتاب توفيق الحكيم بحيث أستطيع مواصلة قراءته ثم أنا أصحب الكتاب حيث أذهب

حتى أفرغ منه . ولا أذكر أننى قرأت كتابا له مرة واحدة فقد تعلمنا القراءة وكتب توفيق الحكيم فى المكتبة لا تزيد على أربعة كتب أو خمسة أو ربما أقل وكنا نظل نرنو الى أبواب المكتبة فى انتظار الوافد الجديد من ابداعه الفكرى الشامخ وقرأنا مسرح المجتمع والمسرح المنوع وهما ينشران أجزاء منجمة فى الصحف . ثم قرأنا المجموعتين الكبيرتين مرات ومرات وهما كتابان ضخمان .

أما توفيق الحكيم الانسان بالنسبة لى فان لى به صلة تمتد على مدى سبعة وثلاثين عاما كنت قبلها أعرفه ولا يعرفنى ، وانما كان يعرف أبى وقد تعرف به يوم تولى أبى وزارة الشئون الاجتماعية وكان أستاذنا توفيق الحكيم مديرا لمصلحة الفنون بالوزارة وكان ابى شديد الاعجاب بتوفيق الحكيم وكانت ثقافته الفرنسية تتيح له أن يصل الى أعمق أغوار توفيق الحكيم .

وقد دعاه مع الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى لتناول الغداء ببيتنا بالعباسية وكنت فى ذلك الحين قد بدأت أنشر مقالاتى بمجلتى الثقافة والرسالة ولكننى مع ذلك خجلت أن أرحب بالكاتبين الكبيرين مرتئيا أننى لا يجوز لى بعد أن يعرفنى واحد منهما . ولم يكن هذا الخجل يتولانى وأنا أرحب بالوزراء أو رؤساء الوزارات أو الأمراء اذا هم جاءوا الى بيتنا . لقد كان مكان الأديبين الكبيرين فى نفسى أكبر من كل هؤلاء الذين ذكرت . واكتفيت أن أراهما وهما ينصرفان سائرين على الأقدام يعتمد كل منهما عصاه فكانت عصا الكاتب منهما أعظم عندى فخامة من أروع أنواع السيارات التى تقل الحكام والأمراء .

وكان توفيق الحكيم يجلس فى المقهى المقابل للبنك الأهلى فكنت أعبر الشارع وأقف عند البنك الأهلى وأكتفى بالنظر الى الكاتب الأسطورة وهو جالس بمقهاه .

وكنت أذهب فى ندوة الخميس بلجنة التأليف والترجمة والنشر وكنت أظل صامتا وتمر السنون ويأتى يوم أخرج من الندوة لأجد العملاق واقفا فى ممشى الدار الخارجى ونظره الى المبنى فى شكل يقطع بأنه ينتظر خروج شخص من الدار فحسبت انه ينتظر صديقا له فاذا هو يبدأنى بالحديث .

— هل أنت فلان .

فاقول :

— نعم .

ـ يقول : اننى أستمع الى تمثيلياتك فى الاذاعة وأعجب بها ويوم أعرف ان لك تمثيلية لا أخرج من البيت حتى أسمعها ٠

وهيهات أن يدرك أحد مقدار النشوة التى شعرت بها يومذاك ٠٠ وانما حسبك أن تعرف أننى اليوم وأنا فى الستين وقد نلت ما أشكر الله عليــه من تكريم فى مصر وفى خارج مصر ولكننى قط لم أشــعر بخفق الفرح فى قلبى الذى أحسست به فى تلك اللحظة الا مرة واحدة أخرى يوم امتدح لى عميد الأجيال طه حسين روايتى « هارب من الأيام » ثم كتب عنها مقاله بجريدة الجمهورية ٠

بدأت معرفــة توفيق الحكيم بى منــذ ذلك اليوم ٠ وتواصــلت العلاقة ٠٠ بيننا هو منى دائما بمكان الوالد وأنا منه مكان الابن ٠

وأنا اليوم أكتب ما أكتب وأنا مريض بالاسكندرية يمنعنى المرض أن أستقبل فيه العزاء ولا أعزى فيه فأنا لا أعرف أحدا أجدر بالعزاء منى بعد ابنته أطال الله عمرها ٠

وبعد فما هذا الذى أكتبه ولمن أكتبه ٠ وماذا قلت ولمن أقول وماذا يفيد القول أو ماذا تفيد الدموع ٠ انما هى نفوسنا تموت شيئا فشيئا فلا صبر يجدى ولا جزع يفيد ولا عزاء بنافع ولا بكاء يستطيع أن يعدنا بالصبر ولا هلع يطبق أن يمدنا بعون وانما هى الحياة تحمل فى حروف لفظها الموت أيضا فكلنا نحيا يعنى اننا كلنا نموت ٠ ولكن توفيق الحكيم توارى بشخصه ولكن توفيق الحكيم خالد بفنه يصدق عليه معنى الحياة وهيهات للموت أن يناله ٠

الأهرام ١٩٨٧/٨/٢

ألــوان من الحقـــد

لحكمة لا يعلمها الا هو سبحانه وتعالى قضى أن يكون اعتمادى فيما أكتب على وجدانى وحده لا استتبع الكتب ولا أنقل منها ولا أترجم عنها • وأذكر كلمة للعقاد العظيم يقارن بين كاتبين قال عن أحدهما انه اذا كتب فانما يحك رأسه أما الكاتب الآخر فيحك رأس الأخرين • وقد أراد الله لى أن أكون من صنف الكاتب الأول فما أذكر أننى حككت رأس أحد •

وأنا اليوم عازف عن الكتابة فى السياسة وكثر عزوفا عن الكتابة فى الأدب وأحب أن يكون حديثى اليك عن الناس • وحين أتحدث عن الناس فانما أتحدث فى السياسة والأدب جميعا •

ويثور بنفسى اليوم أن أتحدث عن الحقد وقاك الله شره وجنبك لفحه وأبعدك عن وقده •

فما أعرف داء هو أفتك بالانسان من الحقد • وأذكر أننى كنت صغيرا الى درجة أننى كنت واقفـا بسيارة أبى حين هو مع صـديق له يستقلان السيارة فى سفر له وأذكر أن أبى قال لصديقه فى ذلك اليوم •

ـ أنا ما حقدت فى حياتى على أحد وما غضبت عمرى من حاقد على ولا تمنيت له شرا وانما أنا دائما راحم له مشفق عليه من النار التى تأكل صدره وطالما قلت لنفسى كفاه ما هو فيه من محنة حقده على الناس •

فالحاقد لا يرضى مهما تهب له الحياة من نعم • هكذا نجد الله سبحانه وتعالى حين يعد عبده ويبشره بقوله جل علاه لنبيه « ولسوف يعطيك ربك فترضى » فهو تقدست ألاؤه يعلم ـ ومن غيره يعلم ـ ان النعمة ليست فى أن ينال الانسان وانما النعمة الحق فى أن يرضى بما نال • تلك هى السعادة التى لا تقاربها سعادة وذاك هو الهناء الذى لا يشبهه هنـاء •

أما الحاقد فلا يرضى أبدا • وهكذا نجد الحقد عند الأغنياء كما نجده عند الفقراء ونجده عند ذوى الجاه كما نجده عند من لا جاه له •

فلا المال الغامر يرد الحقد عن النفس ولا المنصب الرفيع يذوده ولا الشهرة تمنعه • فالحقد داء وبيل يتسرب الى النفوس فيقلب النعمة عندها شقاء وأسباب العز نقمة ووبالا •

فأما ذو المال الحاقد فانه لا يرضى مهما يبلغ به الغنى • بينما قد تجد الفقير راضيا قانعا سعيدا • فقل لى بربك أيهما أهنأ حالا غنى لا يرضى فهو لا يعرف السعادة أم فقير يرى ما عنده على قلته ــ وفرة ونعيما •

ولا حدود للمال والأرقام لا نهاية لها وصاحب المليون يحقد على صاحب المليونين وهكذا دواليك الى ما لا نهاية فما للأرقام مدى تقف عنده ولا مرفأ ترسو اليه •

وهكذا ينقلب المال نقمة ووبالا مع أن الله جعله احدى الزينتين وقدمه سبحانه على البنين •

ولكن الغنى الحاقد مسكين أنزل الله عليه سخطه وغضبه حين وهب له المال ولم يهب له الرضا •

أما ذو المنصب من الحاقدين فهو شر حالا والعن مالا • فمصيبته ليست مقصورة عليه وحده وانما هى تشمل كل من يسعهم منصبه وجاهه •

والجاه هو أيضا لا يعرف قصدا فالمدير الحاقد يريد أن يكون وزيرا والوزير الحاقد يصبوا الى رياسة لوزراء ورئيس الوزارة أو من ماثله يريد أن يكون الحاكم المطلق •

والويل كل الويل لشعب يرأسه حاكم مطلق يملأ الحقد جوانبه ويأخذ عليه مسالك حياته • فان الحاكم حينئذ يحقد على كل فرد فى شعبه نال مالا أو نال شهرة أو نال علما أو أصاب قيمة ترفع فى الحياة ذكره • والرئيس الحاقد اذ تفرد بالحكم لا يكتفى بحكم شعبه وانما تمتد مطامعه للشعوب الأخرى يريد أن يحكمها ويتولى أمورها ويتمكن من مقدراتها • وحينئذ يصبح شعبه هو أول ما يلقى على منضدة المقامرة •

أما صاحب الشهرة الحقود فكارثته هو أيضا عميقة الجذور بعيدة المدى • فهو لا يكتفى أن يكون مشهورا فى دولة واحدة أو عدة دول وانما هو بحقده يصر أن تتسع شهرته حتى يصبح اسمه على كل لسان

العالم وهكذا تجده أشبه ما يكون بالبهلوان فى السرك يتقافز حين ينبغى له الوقار ويقف على رأسه حين يجمل به أن يقف على قدميه فيصبح دون أن يدرى أضحوكة للقوم وهو يجاهد أن يكون عندهم ذا شهرة ومكان . والحقود صغير النفس يشقى بصغاره شر ما يكون الشقاء .

ومن عجب أن ترى الحقد فاشيا بين الأصدقاء وأبناء المجال الواحد ولكن أقبح صورة وأكثرها انحطاطا وأبعدها فحشا حين تراه بين الأقارب. وهى صورة قديمة بعيدة الغور فى أعماق الزمان يصرخ بها الشاعر العربى القديم .

وان الذى بينى وبين بنى أبى | وبين بنى عمى لمختلف جدا
اذا أكلوا لحمى وفرت لحومهم | وان طلبوا هدمى بنيت لهم مجدا
يعيرنى بالدين قومى وانما | ديونى فى أشياء تكسبهم حمدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهمو | فليس كبير القوم من يحمل الحقدا

رعى الله ذكراك أيها الشاعر القديم كم من محقود عليه يردد أبياتك تلك فيجد فيها مقنعا وشفاء

بل رعى الله ذكراك أيها الشاعر القديم فان مصر الكبرى تردد هذه الأبيات فى مواجهة بنى أبيها وبنى عمها من العرب أجمعين . وانها لتجد فيها مقنعا وشفاء .

الأهرام ١٩٨٧/٨/٩

المســـــتقردون

هذا اشتقاق لم أعرف أن أحدا قاله قبل اليوم ٠ فالذى لا شك فيه أن اللغة العربية لم تكن محتاجة اليه ولا احتاج اليه العرب قبلا ٠ فقد عرف العرب اناسا حاولوا أن يتشبهوا بالأسد وهم بأخلاق الفيران أوالكلاب فقال عنهم العرب استأسد الفأر أو استأسد الكلب ٠ وعرف العرب بعضا آخر حاولوا أن يظهروا بمظهر النمور وهم بأخلاق القطط فقال عنهم العرب تنمر الهر أو القط واختر ما شئت ٠

ولكن العرب لم تعرف ولا عرف أحد غيرهم على مدى تاريخ البشرية ناسا من البشر الذين رفعهم الله وجعلهم سادة المخلوقات حاولوا أن يتشبهوا بالقردة عن علم منهم بما يفعلون متقصدين هدفهم فى وعى به وادراك له ٠

أنهم بعض انسان أعرفهم وأعرف أنهم على قدر من الثقافة والدراسة ولكنهم يتعجلون الشهرة ويضربون ظهور الأيام بالسياط لتصل بهم الى المنصب الرفيع ٠ والذكر المنتشر والقدر العزيز ، وظنوا أن خير طريق لهم أن يتقافزوا على الحبال فعل القردة ويتواثبوا على أوراق الجرائد فعل النسناس ليعلو بهم الصيت ويلقى فلان من الناس فلانا ويسأله هل قرأت للقرد ما كتب اليوم أو ما صرح به فى منتدى من الناس ٠

هؤلاء وجدت نفسى مضطرا أن اشتق لهم فعلا ما عرفته البشرية من قبل هو استقرد وفاعله مستقرد وجمعه مستقردون ٠

وكم يحز فى نفسى أنهم ــ كما انتهيت اليك من قبل ــ على قدر من الثقافة كان جديرا أن يصل بهم الى المكان المرموق والتقدير والاحترام ٠ ولكنهم امتهنوا ثقافتهم وعلمهم ، وسحقوا جهدهم الذى بذلوه فى الدراسة والتحصيل ليستبقوا الشهرة وان كانت رخيصة وليذيع أسمهم وأن كان بالانحطاط يذيع ٠ جهلوا أن الشهرة ان لم يصحبها التقدير فهى فضيحة وأن الذيوع اذ لم يحط به الاجلال والاكبار فهو انهيار الى حماة سحيقة من الخمول والضياع والفقدان ٠

وهؤلاء المستقردون أهون شأنا من القردة فهم مهما يحاولوا أن يقلدوا يظلوا مقلدين لا اصلاء · فهم حين يتقافزون ويتواثبون لا يصلون فى هذا المضمار الى مدى المهارة التى خلق عليها القردة ، لأن القردة تصنع ما تصنع عن سليقة وهبها الله لها غير مكتسبة ولا هى مفتعلة ·

وحين يدق المستقردون صدورهم ليتخذوا مظهر الأبطال الصناديد يشبهون القردة ولكن تظل القردة هى الأصل ويظلون هم مستقردين لا مقلدين ولا أصلاء ·

واذا كانت حركات القردة جميعا تثير عند البشر مكامن الضحك والتسلية والسرور فان حركات المستقـردين تثير عند خلق الله الاسى والاشفاق والاحتقار لدى هذا فى كتاب يكتبون فى بعض الصحف لا عمل لهم الا الشتيمة ولا أقول النقد والسب ولا أقول الرأى والتطاول ولا أقول الحجـــة ·

ولأنهم مستقردون ولأنهم يريدون أن يسبوا فانهم يختارون لسبهم أرفع الناس مقاما وأعلاهم قدرا ومالهم لا يفعلون ماداموا واثقين أن يدا من البطش لن تمتد اليهم بل لن تمد اليهم يد بأى سوء · وأشهد الله أننى فى زمان القهر شهدتهم فئرانا مذعورة متهالكة يحاول كل منهم أن يبحث عن جحر أو مهجر يتوارى فيه · وأشهد الله أننى رأيتهم يستأسدون اذا آمنوا ويصبحون خرافا هالعة اذا طالعهم من الطاغية ناب يتوهمون انه على صلة به أو ظفر يحسبون أنه قريب من قريب له ·

أصبحوا اليوم ليوثا ضـــارية وملئوا الصفحات سبابا وسخيمة ووقاحة وسفولا ·

مستقردون هم وليسوا قردة لأن القردة حين تختار حبالها تجيد الاختيار ولا تثب بالحبل من شجرة الى شجرة أو تثق كل الوثوق ان الحبل سيصل بها الى الهدف المنشود والغاية المرجوة ·

أما المستقردون فيختارون حبالهم من خيوط رثة متهرئة تسقط فور امساكهم بها وتنهار بهم أول الطريق فهم فى هوة من سخرية الناس ومن احتقارهم مرشحون ·

مستقردون هم وليسوا قردة ·

ومن عجب – وقد أصبحنا نعيش فى دنيا الأعاجيب – ان الاستقراد – والكلمة كما ترى مصدر لا محيد عنه – لم يصبح مقصورا على أفراد من الأغبياء شغلوا ببشريتهم وانحطوا بانسانيتهم ·

وانما أصبحنا نرى حكام دول تستقرد وتتقافز فعل القردة والنسناس وقد كانوا الى أمس القريب اثنين فقد صـــاروا بعد احداث الحجيج ثلاثـة ٠

والمستقرد الأخير رجل ادعى زورا وبهتانا وافكا أنه من رجال الله والاسلام فاذا هو يفجر الدماء فى البيت الحرام وفى الشهر الحرام وفى الأيام المباركات التى قدسها الله أن تكون للمسلمين اجتماع كلمة وألفة بين شعوب المسلمين فى العالم وبين أفراد المسلمين يقضون هناك فى الرحاب الأطهر سواسية لا يفرق بينهم عرق ولا مال ولا طن ٠٠ لبيك اللهم لبيك ٠٠٠

واذا حكام ايران يلبون للشـــيطان ويرمون أبناء وطنهم للموت ويعرضون الحجيج جميعا للهلاك ويصبح المستقردون ثلاثة واحد فى ليبيا وآخر فى سوريا وثالثهم فى ايران ولله فى خلقه شئون ٠

حيا الله عاهل السعودية خادم الحرمين الشريفين كان حازما فى المواجهة وقضى على الفتنة الوافدة فى صدق وأمانة واخلاص ٠

جدير هو أن يكون خادم الحرمين ٠ الأراضى المقدسة فى ظل حكمه مطمئنة قريرة ٠ وما صدق منه وايمان أمده الله بعونه وثبت يمينه وأيد على الحق ملكه ٠ والله غالب على أمره وهو سبحانه يختار لمشيئته المخلصين من عباده الصادقين فى عبادته جل علاه ٠

الأهرام ١٩٨٧/٨/١٦

هـم أصـحابه ومجرمـوه

في ذلك الحوار الرائع الذى يتصدر خالدة شوقى كليوباترا نرى أثر الغوغائية فى مخاطبة الجماهير .

حابى ـ اسمع الشعب ديون كيف يوحون اليه
مـلأ الجـو هتـافا بحيـاتى قاتليـه
أثر البهتـان فيه وانطـلى الزور عليـه
يالـه من ببغـاء عقـله فى أذنيـه
ديون ـ حابى سمعت كمـا سمعت وراعنى
ان الرميـة تحتـفى بالـرامى
هتفـوا بمن شرب الطـلى فى تاجهـم
وأصـار عرشـهمو فـراش غـرام
ومشى عـلى تاريخهـم مسـتهزئا
ولـو اسـتطاع مشى على الأهـرام

وقد وصل شوقى الى أعماق الحقيقة فى أبياته تلك . فالهتافون لا عقل لهم وانما هم حناجر تنشق عن غير فهم ودون تفكير . فى مظاهرة بكلية الآداب راح قائد المظاهرة يهتف والحناجر تردد هتافه وفجأة أحس القائد بلذعة برد تحيط به فصاح وكأنما يخاطب نفسه « الدنيا برد » وانشقت الحناجر من ورائه « الدنيا برد » .

ومازال الغوغاء يشقون حناجرهم وراء كل صوت عريض جهير دون أن يعملوا فكرا أو رأيا وبغير أن يتدبروا قولهم ويتقصوا الحق فيه والباطل ومصر اليوم تتكاثر فيها الأصوات العالية ويندر فيها التبصر والرؤية ونحن اليوم نعرف أدواءنا كلها . والحكومة القائمة تعرف هذه الأمراض وتعرف وسائل علاجها تمام المعرفة وليس العلاج محتاجا الى عبقرية نادرة وانما يعرفه كل الناس .

فليس فى دول العالم جميعه من شرقيه الى غربيه دولة تعرف أن القطاع العام فيها مدمر خراب وتبقى عليه • والحكومة تعرف ذلك فما هو بسر ولا هو بشيء مكتم متخف على أحد • ولكن الحكومة أيضا تعلم أن الغاء القطاع العام بقانون واحد يؤدى الى انهيار اقتصادى لا مثيل له • وأحسب أنها تتدبر الأمر وتحاول أن تصل فيه الى العلاج الأمثل والأمر يحتاج الى كثير من الوقت ويحتاج أيضا الى بلوغ الطريق الأمثل لمواجهة الشعب والعاملين فى القطاع العام والمنتفعين منه والسارقين لأمواله والناهبين لحقوقه التى هى فى الواقع حقوق الشعب •

وليس فى دول العالم دولة تدعم السلع للفقير والغنى على السواء الا مصر • فلا الدول الغنية ولا الدول الفقيرة تتيح أن يحصلوا على السلع بأثمان أقل من أثمانها الحقيقية الا مصر • وليس فى دول العالم دولة تخدع نفسها كما تفعل مصر حين تدعى أن بعض شركاتها تكسب مصطنعة لذلك حسابا وهميا لا يقبله عقل أو ضمير مثل هذا الذى يحدث فى صناعة الألومنيوم التى تستهلك من الكهرباء المدعمة ملايين الجنيهات ثم تدعى أنها تكسب غير محتسبة الخسائر التى توقعها بأموال الدولة حين تحصل على قوة كهربية بأقل من عشر تكلفتها ومثل هذا يحدث فى شركة الحديد والصلب التى تكلف الدولة الملايين من أجل هتاف غوغائى ان لدينا شركة للحديد والصلب •

وليس فى العالم أجمع دولة كمصر يعمل فيها العامل سبعا وعشرين دقيقة فى اليوم بفضل القوانين الهازلة المتسيبة التى يعمل فى ظلها عمال القطاع العام • والحكومة تعرف ذلك وتعرف أنه لا صلاح للانتاج فى وطننا أو تصبح قوانين مصر مثل أى قوانين فى دول العالم شيوعية كانت هذه الدول أو كانت حرة •

وليس فى العالم مالك محطم كالمالك فى مصر سواء كان هذا المالك يملك أرضا زراعية أو بناء • والكلام فى شأن مالك البناء ينصرف بطبيعة الحال الى ذلك الشقى الذى ترك له أبوه عقارا قبل الفجور الذى حدث فى أثمان العقارات فى السنوات الأخيرة •

أولئك الذين أخنى عليهم الدهر بكلكله وحكم عليهم أن يكونوا مالكين فى زمن أسود اعتبر أن المالك ليس مصريا ولا انسانا فانهال عليه بقوانين مجرمة سفاحة جعلته اليوم لا يجد قوت يومه وأوقفت البناء فى مصر ايقافا تاما نتج عنه هذه الأزمة الطاحنة فى المساكن والتى هصرت آمال الشباب أن يجد مأوى يأوى اليه بأسرة جديدة ينشئها ـ ونتج عنه ما نسمعه مما يمزق وجه الانسانية ويدمر أواصر الرحم المقدسة من ابن يقتل أباه أو آخر يقتل جدته أو أب يطرد أبناءه • الى غير هذه

الحيوانات الشرسة التى فجرتها فى حياتنا قوانين الاسكان العاتية المجنونة . وليس فى العالم برلمان يتمتع خمسون فى المائة من المشرعين فيه ببعدهم كل البعد عن العلم كما هو الحال عندنا فى مصر . وليس فى العالم دولة تقبل أن يقوم فيها مجلس نيابى يضم صفوة العقول وكبار العلماء وتحرمه مع ذلك من ممارسة حقوقه التشريعية مثلما تفعل مصر . والدليل على انهيار المجلس التشريعى الواحد المتمتع بالخمسين فى المائة من غير المتعلمين ما حدث أخيرا فى شأن قانون النقابات الفنية . أنها لطخة حقيرة فى وجه المجلس التشريعى الواحد . وكيف لا وهو يصدر قانونا يموت قبل أن يحيا ويقضى نحبه وهو جنين لم يتشكل ولم يتخذ فى الحياة سمتا ولا رسما ولا هيكلا .

فلو أن هذا القانون عرض على القمم الأعلام فى مجلس الشورى لما سمحوا لهذه المهزلة أن تتم . وكم نصيح أن القوانين تستطيع أن تعرض على مجلس الشورى دون تغيير فى الدستور وأن الدستور الحالى يحتم عرض بعض القوانين ويتيح لكل القوانين أن تعرض على مجلس الشورى ولكن مجلس الشعب يعض على القوانين بالنواجذ يصر على أن تعرض عليه وحده ثم هو اذا عرضت لا يناقشها وانما يجعلها تمر فى هزالها وهزلها ونظل نصيح ولكن :

لقد أسمعت اذ ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى

ونلقى نظرة على كل هذه المصائب التى تشقى بها مصر فنجد ان زمان الطغيان مازال يحكمنا بها . اننا بقوانين القطاع العام والمالك والمستأجر وقوانين العمال والخمسين فى المائة من العمال والفلاحين لانزال نحكم بحكم الستينات . ولانزال بحريتنا العظيمة التى نلناها نحاول أن نرفع هذا المقت عنا وما نزال نخاف ذلك الببغاء الذى وصفه شوقى بأن عقله فى أذنيه .

وأعجب معى ما شاء لك العجب حين ترى رجال الستينات الذين عملوا على هوان الشعب واذلاله والذين كانوا أعوان الطاغية فى طغواه هم الذين اليوم يشقون الجيوب ويلطمون الخدود ويثيرون الثائرات غضبا على ما بلغه حال مصر . ويحهم أحسبوا أننا نسينا أن الخراب الذى نرزح فيه والذى نعانى فى ازالته ما نعانى انما هم أربابه وصانعوه وانما هم .. هم وحدهم أصحابه ومجرموه .

هيهات لم ننس وهيهات لنا أن ننسى . ونما نقول ما يقول المؤمنون المحتسبون لا حول ولا قوة الا بالله .

الأهرام ١٩٨٧/٨/٢٣

بــرىء دين من فتنــة

هيهات هيهات أن يحسب هؤلاء السفاكون أن الدين يرضى أن يكون ستارا لاجرامهم يتخذونه ذريعة ليرتكبوا هذا الفجور الذى يرتكبون ٠

الدين هو قوام الدنيا والآخرة وهو ميزانها القسط وهو الرحمة كتبها الله على نفسه نفتتح برحمته القرآن وكل آية نتلوها من كتابه المنزل ٠ فهو الرحمن الرحيم وهو العدالة المطلقة وهو جل علاه يرفض فى فيض رحمته المعتدى والآثم والظالم والفاجر ويسفل عن هؤلاء جميعا القاتل الذى يحل نفسه مكان الخالق الأعلى الذى يملك النفوس يخرجها الى الحياة ويقبضها اليه وهل نحن الا ملك يمينه نولد بمشيئته وننتقل الى جواره بمشيئته وحده ٠ وهؤلاء السفاحون لا يملكون ولا يملك غيرهم من بنى آدم ان يخلق شيئا وأقرأ معى قوله عزت الأؤه ٠

« يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له أن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » فالخلق قدوة الهية لا يملكها الا الواحد الأحد الذى لا اله الا هو أما القتل فما أيسره وما القتل الا اعدام الوعاء الذى أنشأه الله ليحمل سره الذى ينفرد بعلمه من الروح ٠ فالحيوان فى الغابة يقتل والميكروب الذى لا تراه العين المجردة يقتل والهواء يقتل وشعاع الشمس ٠ ولكن كل هؤلاء لا جناح عليهم ولا لوم ٠ فالحيوان يقتل ليأكل أو ليدافع عن نفسه مما يتوهم انه خطر يواجهه والميكروب يقتل ليعيش وقد جعله الخالق سببا من الأسباب التى ينهى بها حياة الانسان الذى يكدح الى ربه كدحا فيلاقية والهواء يقتل ليدرك الانسان أن موته يمكن أن يحدث بأهون الأشياء وشعاع الشمس يقتل ليعلم الانسان ان موته قد يكمن فى حياته ٠ فبغير الهواء وبغير الشمس ليس للانسان حياة ٠ وهكذا يرينا سبحانه وتعالى ان فى حياتنا موتنا ٠

أما القاتل السفاك من بنى الانسان فيقتل اعتداء على الحياة وهو يرتكب جريمته مختارا لأنه من ذلك الانسان الذى قبل ان يحمل الأمانة وهي ما عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها ٠

فان يقتل هؤلاء المجرمون انسانا ويجعلوا من أنفسهم مدعين وقضاة ومنفذين أمر لا يقبله منطق أو شرف أو عقل وجل الدين وتسامى أن يكون حجة لأمر يرفضه المنطق والشرف والعقل جميعا • أما هؤلاء الذين حاولوا أن يعتدوا على الوزير السابق نبوى اسماعيل فأمرهم أعظم هولا وأكثر سفولا وأشد حقارة •

لا •• أنهم ليسوا مجرد قتلة مجرمين يريدون ان يعتدوا على انسان يكنون له الحقد والبغضاء •

بل أنهم يريدون أن يثيروا فى مصر فتنة ، ويجعلوا الأمن يضطرب فى جنباتها • ويبعثوا الفوضى تضطرم فى ربوعها • ويفجروا القلاقل تهشم الأمن فى أنحائها ، وتثير الذعر والهلع بين أبناء الشعب • فالقاتل الذى يريد أن يقتل شخصيا بعينه لا يطلق الرصاص بصورة عشوائية رعناء على بيت يسكنه غير مبال ان يصيب الرصاص من يصيب من قوم ليس لهم أى شأن بالوزير السابق وليس لهم أى شأن بالقضية التى يدعى المجرمون أنهم يدافعون عنها •

وأثارة الفتنة فى مصر هيهات ان تكون عقيدة لأبناء مصر • وانما هى أمل أعداء مصر ممن يتحكمون فى مصائر دولهم ظلما وعسفا وجورا وجبروتا وقهرا من أمثال الأسدالذى ليس بأسد والقذافى الذى شاء الله أن تخيب كل قذائفه حتى السخيفة منها والخومينى الذى قتل الشعب الايرانى وقضى عليه قضاء مبرما •

هؤلاء الذى أطلقوا النار على بيت الوزير عملاء لا شك فى عمالتهم مدفوع أجرهم • ويعلمون أنهم لن يصلوا الى ما يريدون فراحوا يطلقون الرصاص العشــــوائى بغير هدف الا أن يظهروا لمن دفع لهم المال أنهم ينفذون أوامره وأنهم يقدمون عملا ـ ساء عملهم ـ مقابل مال تعس مالهـــم •

انهم يصوبون رصاصهم على مصر جميعا على كل فرد فيها •• على كل أمجادها ومستقبلها •• على أمنها وسلامتها •

الشعب جميعا هو من يريدونه ضحية لهم فليس عجبا ان يكرههم الناس ويمقتوا لحاهم وطلعتهم البغيضة • ان هذه اللحى ليست تمثلا بنبى الرحمة •• جل النبى أن يكون مثلا أعلى لهؤلاء وهو حامل الرسالة وأمين الذكر الذى أنزله الله بالحق وبالحق أبلغه الرسول صلى الله عليه وسلم عدد انسام الهواء وعدد كل شهيق للانسان أو زفير •

رسول هو من أنفسنا ما أعظم ما كرمه الله فقال له « وانك لعلى خلق عظيم » وقال لنا عنه « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

أهؤلاء يعرفون قدر النبى ؟ فأين هم من ممشى نعاله أنهم ليسوا بعزيز عليهم عنتنا أو جهدنا أو متاعبنا وما هم بحريصين علينا ولا على وطنهم ولا على أخوانهم ولا على أهليهم من أب يثكلهم وهم على قيد الحيـــاة وأم تفتقدهم فتفقدهم وهم على ظهر الأرض وما يعرف هؤلاء بالمؤمنين رأفة أو رحمة .

انما لحى هؤلاء هو لحى أبى جهل وأبى لهب والخومينى وكل عدو زنديق من أعداء الاسلام .

كبر مقتا عند الله وعند الناس ما يرتكبون وسيرى الله عملهم ورسوله وأنهم لمردودون الى عالم الغيب والشهادة فينبئهم بما كانوا يعمـــلون .

الأهرام ١٩٨٧/٨/٣٠

تكلمي يا منـــارة الأزهـــر

فكرت كثيرا أن أجعل عنوان هذا المقال « وا أزهراه » ثم رددت نفسى فهذا نوع من الألفاظ لم يعد أحد يكتب به اليوم · مع أنه لفظ لا يغنى عنه غيره · ففى نبراته الاستصراخ وطلب الغوث والافتقاد والحزن واللهفة والمناشدة · ولا تستطيع لفظة واحدة فى عربية اليوم ان تموج بكل هذه المعانى · فقد أصبح العالمون بأسرار اللغة قلة نادرة · وأصبحنا نحن الذين نكتب والذين أحببنا لغتنا وأعجبنا بها نرد أنفسنا فى كثير من الأحيان الى ألفاظ ليست هى التى نريد كتابتها · وليست هى التى تعبر عما يجيش بنفوسنا وما يتردد فى جوانحنا ·

كنت أريد أن أصيح بالأزهر القديم أين أنت · أين أيام كنت فيها منارة الدين والدنيا جميعا · لقد طحنك الطاغوت فيما طحن من القيم العليا ومن الخلق الأسنى ومن كل معنى كريم فى حياتنا ·

كان الأزهر الشريف منارة الأجيال فى العالم أجمع · وحسبك أن كرسى الأزهر المتواضع القابع بجانب أحد أعمدته نشأت عنه كلمة كرسى الأستاذ فى جميع أنحاء العالم وفى كل جامعات المعمورة كم هو جليل وأصيل هذا الكرسى ليس ذا زينة هو ولا هو بصاحب حلى ، ولكنه كان فى تجرده وأخبأته شامخا عالى الذروة رفيع المكان أشبه بالشيخ الزاهد يعطى ولا يأخذ ويهب ولا يستوهب ويغدق ولا يسترفد ·

محاه الطاغية وحطم منارة الأزهر ليجعل منه جامعة تشبهها جامعات العالم أجمع · كان لا يدخل الى الأزهر الا من حفظ القرآن الكريم · وكان حفظ القرآن الكريم حصنا للدين ان يعبث به العابثون وحصنا للغة العربية أن يستهين بها الماجن والهازل ومن لا صنعة له ·

وها نحن أولاء نجنى الثمار المرة الغضة التى خلفها غياب الأزهر ولم يعد فى ساحته الشريفة الأقلة من العلماء الذين أخذوا عنه فى أيام ازدهاره وتفرده ·

وخلت منابر المساجد من المشايخ الاجلاء الأقلة لا تغنى وانفرد الجهال بالمنابر وراحوا يفسرون الدين على هواهم • وينشئون فى شريعته السمحة الغراء ما تاباه الشريعة وما ينفر منه الدين كل نفور •

وها هم أولاء بضعة منهم اتخذوا الارهاب صناعة ويريدون ان يتخذوا الدين ـ وهو الدين ـ حجة لارهابهم وفجورهم وأطماعهم الدنيوية الحقيرة جل دين الله أن يبيح لهم ما يمكرون •

وهم أجهل خلق الله بالدين وزعماؤهم يغريهم المال أن يتنكروا للآخرة •• ويميلون بأطماعهم عن سبيل الرشاد • فهم ينتهزون الفرصة المتاحة من غياب العلماء الاجلاء فيفتكون بعقول شباب غرير ملأوا عقله الخاوى بالجهالة والاجرام وجعلوا منه فئة ارهابية تدمر المجتمع تدميرا •

وأصرخ بالأزهر الشريف • أو بما بقى من الأزهر الشريف ان يعلن رأيه فى هذا الذى يجرى فى أرض مصر • ولكن الذى بقى من الأزهر الشريف يأبى أن يسمع • وكأننى ما تكلمت أو كأننى لا أكتب هذا الذى أكتبه فى أكبر جريدة ناطقة باللغة العربية فى العالم أجمع •

وشيخ الأزهر رجل جليل له مكانته وهيبته • شريف هو حين يتكلم له فى نفوسنا جميعا كل توقير وتعظيم • وهو أمامنا ونحن نرضاه لديننا أماما • فما باله لا يقول رأى الدين وهو الامام الأكبر فى هذا الذى يجرى من الارهاب وهذا الذى يحاوله الصبية المخابيل من جعل الدين شعارا لما يرتكبون من اعتداء على حياة الأبرياء وعلى سلامة مصر وأمن أرضها واطمئنان النفس والمال فى ربوعها •

اننى أقدم بكل الاجلال والاكبار بين يدى امامنا الأكبر قصة سمعتها عن أحد الأئمة المصابيح •

كان الشيخ سليمان العبد على خلاف مع الامام محمد عبده وكان الخلاف بينهما فى أمور فقهية • وكان الخديوى عباس يضيق كل الضيق بالامام محمد عبده فحين مات أرسل أحد رجال القصر الى الشيخ سليمان العبد • وكان الشيخ فى ذلك اليوم يصارع حمى شديدة الوطأة • واستقبل مندوب الخديوى وهو فى فراش مرضه وقال مندوب الملك :

ـ ان مولانا الخديوى أرسلنى لأسأل عن صحتك •

وتعجب الشيخ سليمان وقال :

ـ شكر الله له •

وصمت المندوب بعض الحين ثم قال :

ـ أخيرا مات الزنديق ·

ـ أى زنديق تقصـــد ·

ـ الشيخ محمد عبده ·

وانتفض الشيخ جالسا كالأسد :

ـ كيف تجرؤ أن تقول هذا عن شيخ عالم جليل ·

وتخاذل المندوب وقال :

ـ لا اعتذر اليك ولكن مولانا قد أرسلنى لأرجوك ألا تسير فى جنازته ·

ونزل الشيخ سليمان من فراشه وهو يقول :

ـ الآن وضـــح الأمر فكم مرضت قبل اليوم فما عادنى من القصر عائد ولا سأل الخديوى عن مرضى · فهو اليوم يرسلك لتمنعنى أن أسير فى جنازة الشيخ الامام لا للسؤال عن صحتى · انى مريض كما ترى ولم أكن أنوى أن أشيع جنازة الشيخ أما وقد جئت بهذا الأمر الخديوى فانى ذاهب ·

وقال المندوب فى استحياء :

ـ ألم تكن تعارضه ياموﻻنا وزار الشيخ ·

ـ وماذا تفهم أنت فى شأن الفقه الذى أناقش فيه الشيخ محمد عبده وماذا يفهم الخديوى ومن سمح له أو لك أن تتكلما فى شئون الدين والفقه والشريعة الاسلامية وأنتم أجهل الناس بها ·

وصاح الشيخ بخادمه :

ـ جهز البغلة يابنى ·

وعلى مشهد من مندوب الخديوى نزل الشيخ سليمان العبد الى بغلته وركبها وهو لا يكاد يقيم جسمه عليها · ولم يكتف بذلك وانما مر بجميع المشايخ الذين يعرفهم يلح عليهم أن يصحبوه ليشيعوا جنازة الامام محمد عبده وكان الشيخ سليمان العبد يسكن فى الحلمية بجوار السيدة زينب وكانت جنازة الشيخ محمد عبده فى عين شمس قريبا من مصر الجديدة اليوم ·

بين يدى مولانا الامام الأكبر أضع هذه القصة وأقدمها أيضا الى كل المشايخ الأجلاء الذين يعرفون عظمة الأزهر وسموقه أضعها بين أيديهم، ثم انحنى اجلالا · ثم اصمت ·

الأهرام ١٩٨٧/٩/٦

الصمت جحيم

أكتب هذا من لندن وقد جئت اليها أجمع من نفسى ما مزقته الواجبات الرسمية والاجتماعية فى مصر • وكنت أضمر أن أستمنحك اجازة أفرغ فيها لكتابة رواية اذا تسنى ذلك أو أفرغ لمشاهدة جزء من أجزاء العالم الأوروبى •

ولكن مصر هيهات أن تفارق دماءنا وخلجات نفوسنا ونبضات قلوبنا وخطوات عقولنا ، نحن فيها مهما تبعد الشقة ويشط المكان ــ وهى فينا حيثما حللنا •

وقد شاهدت بالأمس مسرحية روابط خطرة ، وهى رواية فرنسية عالمية • وظللت طوال المسرحية التى تدور أحداثها فى زمان غير زماننا أفكر فى مصر • وفى الأدب المصرى وفى المسرح المصرى • وحين عقدت المقارنة بكت نفسى • فانه لا سبيل الى المقارنة بين شعب احتفل بوفاة آخر أمى بين ربوعه كلها منذ قرابة عشر سنوات وبين شعب يصر دستوره على أن يجعل غير المتعلمين يمثلون خمسين فى المائة على الأقل من أعضاء البرلمان وهو الهيئة التشريعية التى تعتبر أهم سلطة فى الدول الديمقراطية • وأوشكت وأنا فى المسرح أن يعلو بى نشيج البكاء • من عهد ارتضى له ضميره أن يشرع هذا التشريع فيسمح لغير المتعلمين أن يشرعوا للمتعلمين •

ولكن على أية حال ليس هذا ما أريد الحديث عنه اليوم وان كنت أحسب أن لى اليه رجعة فى يوم من الأيام وأغلب الأمر أن يكون هذا بعد عودتى الى مصر •

أما الذى أفسد على ما أضمرت من الاجازة فهو ما قرأته فى أهرام السبت للأستاذ الكبير د• لويس عوض • والمقال وان كان بقلمه الا أنه لم يكتب فيه الا مقدمة فى سطور قلائل لخطاب شخصى من أستاذنا كبير كتاب العصر الحديث توفيق الحكيم الى الدكتور لويس عوض •

وقد أحسست من نشر الخطاب أمرا دفعنى دفعا أن أعود اليك وأكتب ما أكتبه الآن • فاننى أخشى أن يظن الدكتور لويس عوض أو غيره أن حربنا على التطرف والارهاب الدينى تعنى بعدنا عن الدين • هيهات انما نحارب التطرف حبا فى الدين وحرصا عليه وتمسكا به •

فالأصل فى الانسان أن يتمسك بدينه • بل ان الانسان حين عبد الأصنام والشمس والنار وغيرها كان يبحث عن دين يتمسك به •

والغالبية العظمى من العالم المتحضر متمسكة بدينها بل اننى أعتقد بيقين راسخ أن الدكتور لويس عوض من المتمسكين أشد التمسك بدينهم وأخشى أن أقول انه من المتطرفين فيه والقلم سلاح يقتل قتلا أدبيا حين يقتل السلاح الآخر قتلا ماديا ولا أحد يعرف أى القتلتين شر من صاحبتها• والذى حمى الدكتور لويس م نأن يكون قاتلا أنه اختار لقتلاه أشخاصا غير قابلين للقتل الأدبى • بل ان من يحاول قتلهم يزيدهم حياة وعظمة وجدلا • ولأضرب مثلا من الأموات الأفغانى الذى حاول الدكتور أن يقتل ذكراه فأحياها أعظم ما يكون الأحياء •

ومثلا آخر من الأحياء الأستاذ الكبير محمود شاكر الذى حاول الدكتور لويس أن يصارعه فى حلبة هو صاحبها وأحد السادة الكبار الشامخين فى ميدانها فكانت النتيجة أن ازداد الأستاذ شاكر عظمة ورفعه وشموخا •

واليوم يحاول الدكتور لويس أن يجتذب عملاقنا توفيق الحكيم بعد وفاته الى فرع من التفكير هو أبعد الناس عنه • والذى لا شك فيه أن العلمانية فى عرف توفيق أمر أبعد ما يكون عن العلمانية عند د• لويس عوض •

فالدين الاسلامى عند توفيق الحكيم مقدس مثلما هو مقدس عندنا جميعا • ومثلما الدين المسيحى مقدس عند الدكتور لويس عوض •

اننا نأبى جمعيا أن يتخذ بعض المأجورين والمخابيل والمهازيل والهازلين الدين وهو أكرم ما عرفته الانسانية على الاطلاق وسيلة لهم ليصلوا الى الحكم وويل لنا كل الويل اذا حكمنا المأجور والمخبول والمهزول والهازل •

وأخرى يا دكتور لويس ما الذى تعنيه بقولك أن الفكر الانسانى هو الفكر العقلانى • كيف نزعت الانسانية عن الفكر الدينى • مع أن الفكر

الدينى هو أعظم ما عرفته الانسانية ٠ وأن المعانى السامية جميعها لا تستطيع واحدة منها أن تعيش بمعزل عن الفكر الدينى ٠ وما رأيك يا دكتور فى الوصايا العشر أليست فكرا دينيا هى ٠ وما الفكر الانسانى اذا لم يكن ما جاء فى هذه الوصايا العشر ٠

اننى استحلفك يا دكتور لويس يا عوض أن نعفى توفيق الحكيم من محاولاتك هذه وان تبعد به أن يكون واحدا من سدنة أفكارك ٠

فتوفيق الحكيم كتب فى حياته ما يجعل فكره يستعصى فى عظمة وشموخ عن أى محاولة لألصاق أشياء لم تجل بخاطره وبفكره ٠٠ لقد كتب الرجل فكره فى مسرحيات وروايات قصص ومقالات بل كتب فكره فى كتاب مستقل هو التعادلية فأى محاولة بشرح ينتزعه من آرائه الى آراء أخرى مقضى عليها بالفشل الكامل ٠ واذا لم يكن الذى كتب رأيه فى مسرحيات وروايات وقصص ومقالات ثم فى كتاب فكرى قائم بذاته واضحا جليا لا شبهة عليه ولا شك فى آرائه فمن يكون الواضح اذن ٠

وان مقالات توفيق الحكيم الأخيرة فى الأهرام قاطعة اتجاه رأيه فى تمسكه بدينه وحفاظه عليه وانى واثق أن الدكتور لويس لا يحاول مطلقا أن يقول أن توفيق الحكيم حين ينشر مقالا غير توفيق الحكيم حين يكتب خطابا خاصا ٠

وكم كنت أتمنى لو أن الدكتور لويس نشر خطابه هذا فى حياة توفيق الحكيم ٠ اذن لأغنانا الحكيم من شرح عوض ٠

وانى واثق أن الدكتور لويس لن يحاول أن يشرح توفيق الحكيم على غير حقيقته كما فعل مع أستاذنا نجيب محفوظ حين جعل منه شيوعيا فى روايته السمان والخريف مع أن الرواية ومؤلفها العملاق أبعد ما يكونان عن الشيوعية فالدكتور لويس ينبغى أن يعلم أن تكرار المحاولة المؤكدة الفشل أمر غير حبيب الى الناس ٠

وبعد فاننى أحب أروى فى هذا الحديث أمرا رأيته رأى العين من أستاذنا الحكيم ٠ فقد تعودت أن أصحبه الى بينه فى سيارنى عند انتهاء جلستنا الصباحية فى الاسكندرية وكان الطريق الى بيته يحتم أن نمر بجامع سيدى بشر ويكون الحديث متصلا وغالبا من جانب واحد فقد كنت اتخذ موقف المستمع وأفاجأ ، ودائما أفاجأ بالأستاذ توفيق يقطع الحديث ويصمت وأنظر اليه فأجده يتمتم بكلمات فاتحة الكتاب تحية منه لصاحب مسجد سيدى بشر ٠

أليس هذا أمرا يستحق أن أرويه على الأقل بعد مقال الدكتور لويس عوض وقد سألته أول مرة ٠

ـ هذا أمر قـل أن يلتفت اليه أحد ٠ فأنت تعرف أننى مؤمن شديد الايمان ولكننى لا أستطيع أن أحرص حرصك على قراءة الفاتحة لسيدى بشر كلما مررت به ٠

فقــال :

ـ بل اننى فى العيد أذبح لفقرائه خروفا أيضا ٠ هذه عقيدتى ٠ وليكن فكرى حرا ما طابت له الحرية ٠ ولكن هذه هى عقيدتى ٠ لا حياة لى بغيرها ٠

ان الرجل لم يتركنا الا منذ أربعين يوما وما أقل هذه الأيام حتى نبدأ معه لعبة الأحياء مع الأموات ٠ ولكن لا بأس بالدكتور لويس مادام ولدا أخيه سارعا الى المحكمة يطلبان مسكنه وهو مستأجر وأوسمته وانى أشكر الأستاذ صلاح منتصر لكلمته الطيبة فى عدد الأهرام نفسه وأعده أن أنفذ اقتراحه ٠ ولكن أمر القلادتين عجيب فان أحداهما لا تعرف السيدة كريمته مكانها والأخرى لم يتسلمها بعد من رئاسة الجمهورية ٠ وأرجو أن يتسلمها اتحاد الكتاب عنه ويفتتح بها متحف أوسمة الأدباء ٠

وبعد فما أدرى هل أنا بعد هذا الحديث سأنفذ ما أضمرته من اغتصاب أجازة أم أننى سأجد دائما ما يدفعنى الى هذا العناء لكم أرجو من القراء أن يقدروا ما يشقى به الكتاب ٠ فالكلام بالنسبة اليهم جهد وعذاب ٠ ولكن الصمت جحيم وحسبنا الله ونعم الوكيل ٠

الأهرام ١٩٨٧/٩/١٣

المستوزرون

هم فئة ثابتة الوجود فى كل عصر وكل عهد وكل زمان يتغير أشخاصها ولا يتغير كيانها ·

ويحوى وعاء هذه الفئة السخيف والتافه · وقد يحوى أيضا العالم المثقف الذى يبلوه الله ببلاء الاستوزار · وهو مرض ـ والعياذ بالله ـ يجعل المريض به يقيم حياته كلها على أمل أن يصبح وزيرا ·

والوزارة منصب ذو بريق فى العالم أجمع · ولكنه فى مصر بخاصة شديد الوهج حتى ليصبح المريض بالاستوزار أعمى لا يرى ولا يفكر ولا يعيش الا بأمل الوزارة ·

أعرف رجلا من أيام العهد الملكى أصابه هذا المرض · فكان مستعدا بالردنجوت على سبيل الدوام والاستمرار · واذا ترك البيت أمر خادمه ألا يبرح التليفون بمظنة له مضحكة بلهاء انه سيستدعى ليحلف اليمين بين لحظة وأخرى · وكانت الحالة تلازمه سواء كان هناك تغيير وزارى أو تعديل أو لم يكن ·

كان هذا الرجل فى زيارة لأبى وكان من أدب هذه الأيام أن تصحب الضيف الى سيارته · ونزلت مع الرجل لأودعه ووقفنا على الباب الخارجى لمنزلنا · فاذا الرجل يقول لى ·

ـ يا أخى قل لأبيك يجعلنى وزيرا ·

وأصابنى الوجوم الشديد · فأنا فى ذلك الحين طالب بكلية الحقوق وراعنى أن يتشفع بى شخص ما ليكون وزيرا · ولم يكن ذلك الرجل ضئيل الشأن فان له تاريخا فى الوظائف وكان عضوا بمجلس النواب لفترات طويلة · ويصلح أن يكون وزيرا ولا عيب فيه ولا ضير على من يختاره ليكون وزيرا · وأحسب أن هذا الرجل لم يصل الى الوزارة لشدة رغبته فى الوصول الى الوزارة حتى لأذكر أن أحمد باشا عبد الغفار قال له مرة ·

يا فلان لقد أصبحنا وزراء لأننا لم نسع الى الوزارة فكف عن السعى لها فقد تأتى هى اليـك ٠

ولاشك أن كلمة أحمد باشـا نصيحة غاليـة ٠ فان المريض بداء الاستوزار يصاب أول ما يصاب بضياع الكرامة فهو مستعد أن يكون بهلوانا رأسه فى الأرض وقدماه الى أعلى ليصبح وزيرا ٠ ومستعد أن يقوم بكل ما لا يتفق مع الرأى السديد والفكر الرشيد ليصبح وزيرا ٠ فمرض الاستوزار يذهب بما وهبه الله للمستوزر من نعمة التفكير ٠

والنفاق أبسط ما يقدم عليه المستوزر من سقوط ٠ ألم أقل لك أنه يفقد كرامته ؟ وهل النفاق الا لون من ألوان الكرامة الغائبة !

وفى حميا الرغبة فى الحصول على كرسى الوزارة يحسب المستوزر أن جميع لناس غافلون عما يقوم من تصرف أحمق ومن قول سخيف وأنه بمقدوره أن يأتى ما يأتيه من صغار دون أن يسخر منه الناس ويجعلوا منه أضحوكتهم وسخريتهم ويجن جنون المستوزر حين يرى بعض أمثاله يصلون فى غفلة زمن الى كرسى الوزارة فيزداد هو تفاهة ونفاقا وهوانا على نفسه وعلى الناس ٠

والمستوزر أعمى لانه يفـكر فى الفترة التى يقضـيها فى الوزارة ولا يفكر فيما سيكون عليه أمره حين ينسحب الكرسى من تحته ويصبح وزيرا سابقا ٠ ويرى العبوس فى الوجوه التى كانت ضاحكة ٠ والتجهم فى اللقاء الذى كان مرحبا ٠ وهو بطبيعة الحال لا يعرف البيت العربى القديم الذى صرخ به غنى صار فقيرا فقال هذا البيت الخالد :

وكان بنو عمى يقولون مرحبا ... فلما رأونى معدما مات مرحب

وأغلب الناس شأنهم مع الوزير السابق شأن أبناء العم هؤلاء حين انتقل حال الشاعر من الغنى الى الفقر ٠

فان الانسان ان لم يكن هو نفسه جديرا بالاحترام لذاته لا لمنصبه٠ ولمكانته الانسانية لا لكرسى مؤقت يجلس عليه فانه يشقى بالمنصب حين يتركه المنصب شقاء لا يعادله شقاء ٠ وانى لمعجب بما قاله أحد الوزراء الذين سعت اليهم الوزارة ولم يسعوا اليها من ان الوزير يفقد نصف عقله حين يصبح وزيرا ويفقد النصف لآخر حين يترك الوزارة ٠

وقد كثر المســـتوزرون فى أيامنا هذه • وقد أرى هؤلاء يدبجون المقالات فى هوان وصغار • ويتقافزون فى كل مكان يظنون بعض الظن انه قريب أن يصل أمره الى شخص قريب من آخر قريب من آخر قريب الى رئيس الجمهورية • وأن الرئيس حين يسمع بمايصنعون سيعينهم من صباحهم فى الوزارة •• أن وزارة •• لا يهم •

وانما المهم أن تكون وزارة والسلام •

قرأت فى الصحف لأمثال هؤلاء وقرأت عن أشباههم •• وأنا فى لندن وجنيف التى وجدتها هذا العام شديدة الحرارة حتى لم أطق أن أقيم بها الفترة التى كنت أعددت نفسى لها وجاء ما قرأت وزادت وطأة الحر عنفا • وسارعت الى بلدى • فهى أولى بى أن أجد من نسمة النيل ما يرفع عنى قيظ البلاد التى كان مفروضا أن تكون باردة ، وأجد من هذا الحديث الذى أسوقه اليــك ما يهون على ما أجده فى نفسى من احتقــار للمستوزرين واستهانة بعقولهم •

وانى أطمئن هؤلاء أن اليأس أحرى بهم واعدام الأمل أولى بهم ثم أولى •• وضياع الرجاء بهم أخلق •

اطمئنهم أن رئيس جمهوريتنا محمد حسنى مبارك من أذكى الناس الذين عرفتهم فى حياتى وان له لحاسة لماحة • يدرك بها أسرار الحديث الذى يساق اليه ويدرى خوافيه وسراديبه ، وطرائقه ،•ومدارته وهو كل الادراك نغمة النفاق ونغمة الصدق • وهو بموهبة الهية وبوعى صادق يدرى الى أين تترامى الجملة وأين مستقرها ومن أى نبع تخرج •

وهو لا يزهيه مديح كاذب ولا يلين جانبه لنفاق• وكلما كان الحديث ممعنا فى النفاق سقط صاحبه عنده • فليعلم هؤلاء المستوزرون أنهم الى سعى فاشل • والى جهد ضائع • والى أمل معدوم • فليصرفوا سخفهم وتقافزهم الذى يجعلهم كما القردة الى شىء قد يصيبون منه ما يرد عليهم الجهد والتقافز والسخف وحسبهم وحسبنا الله ونعم الوكيل •

الأهرام ١٩٨٧/٩/٢٧

الأزهر أكبر من كل اعــلام

مولانا الامام الأكبر :

أكرمك الله قدر ما أكرمتني ، وشكر لك جميل ظنك ونبيل قولك ‥ وسامق خلقك ‥ وبعد ‥

فوقى الله الأزهر عاديـات الزمان ٠ ووهب له الصمود فى وجه الرياح القاصفة ٠ والأنواء العاصفة ، والطغيان الفاجر ، والالحاد الكافر وكم كنت أرجو يا مولانا الامام أن يخطوا الأزهر ألفه الثانية ، وهو فى مثل جلاله الذى ألفه منه العالم أجمع فى ألفه الأول ، ولكن الطغاة أدركوا أنه حصن الاسلام الشامخ وقلعته الوطيدة الراسية ، فلفقوا الأسماء كما تعودا أن يلفقوا ، ورفعوا اللافتة الكاذبة الماجنة ، وزعموه اصـــلاحا للأزهر ، وكانت النتيجة الفاجعة أن أصبح الأزهر مثله مثل آلاف الجامعات الأخرى ، بعد أن كان منارة الاسلام وضياءه الوضاح ، ونوره الوهاج يضىء أنحاء العالم الاسلامى أجمع ، وألفوا شرط حفظ القرآن للمنتسبين اليه ، وقال قائلهم زورا ومينا بهتانا ٠

ان الصحابة ما كنو حافظين للقرآن ٠ ونسوا أن الطباعة لم تكن وجدت فى عهد الصحابة ، ومولانا الامام الاكبر يعلم كل العلم ، أن حفظ القرآن شرف لمن يحفظه ، وما الله بحاجـة الى حافظـين له بألســنتهم أو بقلوبهم ، فهو سبحانه بكلمة « كن » حفظ القرآن الى أبد الأبدين ، وبقوله جل قوله : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وقد فعل ، انما حفظ القرآن يمنح حافظيه والمتعلمين على أيديهم روح الدين الصحيحة، فلا تزوغ قلوبهم ، ولا تخرج على الطريق الذى هدى اليه القرآن الكريم ، ويهب لهم استقامة اللسان العربى ، وسلامة البيــان ، واللغة كما تعلم يا مولانا الامام هى وعاء القرآن ، تستمد عظمتها منه ، وتستنبع جلالها من جلاله ، وحين اعتدى الطغاة على جلال الأزهر ، أصبح أمره بين رجال الصحافة والدولة والاعلام فرطا ، فاستيسروا أن يمنعوا ، كلمته ، وأن يوهنوا بنيانــه ، وبطامنوا من شموخه ، ولكنه بكلمة الله العليـا التى يستوهب قوتها منه ، يظل بين الناس شامخا ، فحين تقدمت الى منارته أن تقول ، كنت على وعى كامل بمكانة الأزهر فى النفوس ، ليس فى مصر وحدها انما فى العالم أجمع ٠

فان يكن الازهر قد طالب باعادة المساجد الى المدرس ، وان تكن اللجنة العليا للثقافة الاسلامية ، قدمت مشروعا ، ولم يلتفت اليه أحد ، وان تكن الصحافة على اختلاف مستوياتها ، ونوعيانها واتجاهانها ، قد أغفلت آنها أداة تثقيف وتعليم وانها ان تكن قد ردت العلماء والكتاب أن يدلوا برأيهم في قضايا الساعة الحادة والجادة ليرشدوا الضال ويهدوا الحائر دون توغل في مسالك التيه الذى تمتلأ به الصحف من تشكيك في العقيدة ، وتعرض للاسلام بأقبح الفكر وأشده فسادا وضلالا ، ان تكن قد فعلت ذلك ، فالازهر أكبر من الصحافة وأكبر من الاعلام ، وبيان منه رسمى سيجد مكانه في أنحاء العـالم أجمع ، ان لم يجد مكانه في الصحف المصرية ، وأقرب مثال على التشكيك ، ما قال به أحدهم من أن القرآن ، لم ينزل الى الناس كافة ، وكان دليله المنهار المائع انه نزل باللغة العربية ، وكان أبسط سؤال يوجه اليه بأى لغة كنت تريد أن ينزل بها القرآن ليكون للناس كافة ؟!

وان شأنه لأهون وأحقر من أن أرد عليه بما جاء في القرآن ذاته ، من أنه موجه لجميع الناس .

مثل هذا الالحاد كان خليقا بأن يجبهه ويواجهه بيان صريح للأزهر يصدر ، فاذا امتنعت عنه الصحف المصرية ، فان جميع صحف العالم من شرقه الى غربه كانت ستتلقف هذا البيان ، وتنشره في أكرم مكان .

وهان الاعلام المصرى أن يرد الأزهر عن مكانه أو المشايخ الأجلاء من أساتذته عما ينبغى لهم من توقير وتعظيم ، الا أن أمر هؤلاء الأجلاء اختلط بالجهلاء ومدعى العلم من غير القارئين أو الدارسين ، أو الحافظين للقرآن ، لأن الأزهر الشريف لم يقمع هؤلاء ، ولم يصدر بيانا بمن يجوز له أن يفسر لنا الشريعة السمحة الغراء ومن لا يجوز .

وفى عماية الخلط بين العالم والجاهل ، وبين الدارس والمدعى ، خفت صوت الأزهر الذى كان ينبغى أن يظل مجلجلا الى أبد الأبدين .

ولقد كان عظيما مولانا الامام حين طالب بتدريس الدين الاسلامى دراسة وافية شاملة في المدارس ، ولكننى أستأذنه في سؤال يظل حائرا ولا يجد جوابا : من هؤلاء الذين سيدرسـون الدين ؟ فاننى أراهم قد أصبحوا قلة نادرة أخشى معها أن يصبح تدريسهم تجهيلا ، تعليمهم بعيدا عن الدين فتصبح هدايتهم ضلالة ووعيهم جهالة ، ولكم سمعت يا مولانا

الأمام من هؤلاء فى الاذاعة وغيرها من وسائل الاعلام فتاوى تضحك الثكلى ، وتبكى المؤمنين الصادقين على ما صار اليه أصحاب الراى والفتوى فى شئون الدين ، فلا سبيل اذن يان مولانا الامام الى تعليم الدين ، الا ان يكون معلموه ، على حظ وافر من الدراسة والفهم والتعمق ، وغياب هؤلاء أدى الى وجود المجرمين ، السفاحين ، السفاكين فى الساحة يقتلون الأبرياء باسم الدين ، ويسعون للدنيا ، على حصان الأخرة ، وقد كان عظيما مولانا الامام حينما وصم أعمالهم ، بأنها كأفعال غيرهم من الأشقياء المطاردين مثل خط المنيا الأخير وعصابته ·

وليسمح لى مولانا الامام الاكبر ، أن أتلمس العذر ، لمن وصفه بأحد السادة الكتاب ، حين قال : أن العلماء ومنهم كبارهم ، قتلة بالنوايا فما قال هذا الذى قال ، الا حين وجد الازهر الشريف الشامخ العملاق ، حصن الدين وجنته يصمت ، حين يقتل الأبرياء باسم الدين ظلما ، وزورا وبهتانا ، وتعديا على الدين ، قبل أن يكون تعديا على روح الانسان ·

وبعد يا مولانا الامام الاكبر فما أصبح الأزهر شامخا ، الا برجاله الشامخين ، وانت بالشموخ جدير ، وان مولانا الامام ، لاشك يذكر الامام الاكبر الشيخ مصطفى المراغى ، حين وقف ، عملاقا وصاح فى أثناء الحرب العالمية الثانية ، والانجليز يحتلون مصر ، وهم الطرف الاكبر فى هذه الحرب : « ان هذه حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل » · وزلزل العالم زلزالا ، ولكن الشيخ ثبت كالطود الأشم ، غير هياب لملك يحكم فى ظل الانجليز ،ولا لمحتل يغتصب أرضنا بقوة السلاح ، هذه المواقف يامولانا الامام وأمثالها ، لا تستطيع أركان الاعلام أن تغض منها ، فان كلمة منك أكبر من الاعلام كله ، وان ما شرفت بنشره لفضيلتكم بجريدة الأهرام ، كان له من الأثر على المجرمين والأشقياء المدعين انهم يحافظون على الاسلام ــ ما يتضاءل بجانبه كل ما قيل فى هذا المضمار ·

وفق الله مولانا الامام الأكبر ، وأيده بروح من عنده · فانه سبحانه وتعالى ينصر من ينصره ، وهو العزيز ذو القوة المتين ·

والسلام عليكم وحمة الله ·

الأهرام ١٩٨٧/١٠/٤

بعيـــد حـــديد

● وصلت الى خطابات عديدة تعليقـا على موضوع ا.زهر وقد اخترت هذين المقالين من شيخين جليلين ورايت اننى اذا حجبت رأيهما أكون مقصرا غير أمين وانى أنشر المقالين وأرى انهما لا يحتاجان الى اى تعليق منى أو مناقشة وأرجو أن يجد فيهما القارىء ما وجدت من صدق واخلاص وحرص على أكبر منارة إسلامية فى التاريخ ٠

الكاتب الكبير والاديب المبدع الأستاذ ثروت أباظة ٠

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠ يصلنى (الأهرام) يوميا لأقرأ ابداعاتك واليوم هزنى مقالك بتاريخ ٨٧/٩/٦ (تكلمى يا منارة الأزهر) قرأت كلمتك لأتزود من أدبك العالى وفكرك الرفيع ٠ اننى حين أقرأ لك فكأنما أقرأ فى تراثنا الخالد المجيد وحين تطلب الى منارة الأزهر أن تتكلم فكأنما تستنطق الأطلال ٠

يادار عبلة بالجواء تكلمى   وعمى صباحا دار عبلة واسلمى

أخى الأستاذ الأديب الكبير :

لقد طالما والله كلمت منارة الأزهر وكلمتنى وطالما جبت أروقتـه وساحاته وشممت منها عبق الماضى وعبير المجد وكنت عضوا فى مجلس الأمة الذى طور الأزهر بل كنت فى اللجنة التى باغتوها بأمر واضـح وترتيب مبيت وكان على رأس اللجنة فضيلة الامام الأكبر الشيخ حسن مأمون شـيخ الأزهر الأسبق وكان عضوا فى المجلس ورفضت اللجنـة بالاجماع التطوير وسهرنـا بالمجلس ليـلة للفجر نبـكى حين أعلنوا أن المجلس أصبح لجنة وهو الذى يقر التطور ٠ وقصة التطور طويلة شهدها الله تعالى وعلم المؤامرة المدبرة وتفصيلها عندى لا يتسع لها المجال هنا ٠

لقـد صحت بالأزهر القـديم كما صحت أين أنت وكتبت مذكرة للرئيس جمال عبد الناصر ورفعتها اليه عن طريق الأستاذ الجليل المهندس عبده أحمد الشرباصى عضو مجلس الرياسة وقتها اقترحت فيها اعادة

ما ذكرتم من عادة كرسى الازهر المتواضع القابع بجانب أحد اعمدته واستدعاء العلماء الأجلاء الذين أحيلوا الى المعاش ليعيدوا نظام الحلقات على المذاهب الأربعة ويحضر الطلبة من جميع الافاق يحملون فى أيديهم ملازم التراث القديم الصفراء حتى لا تموت رسالة الازهر بعد جريمة تطويره • جزى الله المهندس الشرباصى خيرا فقد رحب بالمذكرة التى أبعث لكم بصورة ما نشر عنها بجريدة الاخبار • أما حكايتكم الطريفة عند الشيخ سليمان العبد الشيخ محمد عبده فأذكركم فى ايجاز حكاية تقاربها وهى أن أحد مدرسى الازهر من مدرسيه القدامى جاء الى تلاميذه يبكى • ظن الطلبة أن شيخهم قد أصابه مكروه فى أسرته أو أهله فزاد بكاؤه وقال رفعوا مرتباتنا بعد ادخال النظام الجديد وكنا نتقاضى ثلاثة جنيهات فى الشهر فسوونا بموظفى الدولة والويل لنا بعد هذه التسوية • وما ذكرتم عمن يمارسون الارهاب باسم الدين فما أبعدهم عن الدين وما أبعد الدين السمح الكريم عنهم • وكلما قرأت لكم ذكرت الأدب العالى والابداع الرفيع فى تراث عزيز باشا أباظة رحمه الله وفيما تكتبون وتبدعون ولا يسعنى الآن الا أن أسجد لله اجلالا وأدعو لكم بكل خير وأصمت •

عبد الرحمن البنا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد •• فقد أطلعت على مقالكم الرائد الهادف تحت عنوان (تكلمى يا منارة الأزهر) بديباجته الصافية •• وجرسه الهادىء الأليف •• يلامس قلب المؤمن •• وضميره الحى •• ووجدانه السليم •• اشفاقا على الازهر العريق •• لما أصابه من وهن •• وما اعتراه من ذبول •• وايقاظا للهمم •• وتنشيطا للعزايم •• للعود به الى الازدهار والشموخ •• ورغبة صادقة خالصة فى الحفاظ على صرحه العالى العتيق •• والنهوض به الى المستوى المنشود •• بعد أن أخذت فى ازاحة الستار عن وجهه الشاحب مع مقارنة بين ماضيه المجيد •• وحاضره الحزين •• وواقعه الأليم •• وأشرت الى ضرورة حفظ القرآن الكريم •• والرجوع الى النظام القديم •• الذى ارتوى منه أبناؤه وقتذاك •• فخرجوا الى الحياة هداة مرشدين •• وعلماء نافعين •• ومما لاشك فيه أن الأزهر على وضعه الراهن قد ضعف مستواه •• وتعثرت خطاه •• بعد أن تغير مجراه •• نتيجة ما طرأ عليه من تطوير وتغيير •• فاصبح الاهتمام بالشكل قبل الموضوع •• وبالمظهر دون الجوهر •• واستبدلت بالألفاظ العربية أخرى أجنبية •• فذابت الشهادة العالية والعالمية والأستاذية الى الليسانس وماجستير ودكتوراه •• فتغيرت معالم العلماء

كما انتقلت كواهل طلاب الأهر بالجمع بين العلوم الدينية والشرعية وبين الموارد لحديثة والاجنبيه ·· فكان الضعايه والافلاس من هذا وذاك ·· لا سيما بعد اقتصار التدريس بالكليات على حديثى التخرج من هؤلاء ·· ممن تنقصهم الخبرة والدراية والكفاءة ·· وفوق هذا كله عدم توافر حفظ القرآن الكريم الذى لا يتصور وجود عالم بدونه ·· لأنه حينئذ يصبح كالهيكل الأجوف الخاوى الذى لاروح فيه ولا حياة ·· وايضا الغاء هيئة كبار العلماء الذين كانوا أساتذة وجهابذة ·· ليحل محلهم ·· ويأخذ مكانهم مجمع البحوث ···

واستجابة لدعوتك الطيبة التي ناديت فيها باعادة النظر فى شأن الأزهر حتى يعود اليه مجده وبهاؤه ·· وعزه وصفاؤه ·· وتشع بين الوجود أنواره ·· ليصبح ـ كما كان ـ دار علم ·· ومنبع ايمان ·· ومشرق حضارة ·· ومصدر معرفة · وطريق هداية ·· استجابة لذلك جاء رد فضيلة شيخ الازهر تحت عنوان (منارة الأزهر تتكلم) بعبارات مصقولة ·· وألفاظ مسبوكة ·· تتحدث عن تاريخ مضى ·· وزمن ولى ·· وعصر باد وزال ·· وعهد انقضى ورحل ·· ورأينا اجابة فضيلته على تساؤلك واستفسارك عن أسباب الارهاب ·· الذى تفشى بين الشباب ·· بأن الاسلام يرفضه ولا يقره ·· ويستنكره ولا يؤيده ·· وهذا أمر ظاهر لا يخفى على أحد ·· يعرفه العالم والجاهل ·· والمثقف والأمى ·· لقد كنا فى حاجة ماسة الى الداء ·· ووصف الدواء ·· وطريقة العلاج ·· وأمام الواقع المرير نرى أن قضية الأزهر المعاصر تحتاج الى وقفة طويلة ·· ونظرة فاحصة مديدة ·· نتفحص من خلالها الموقف مع مواجهة الحقيقة بصدق وحزم ·· وعزم وحسم ·· وبحث وتمحيص ·· لازالة الخلل والشوائب ·· والقضاء على الطفيليات والطحالب ·· التى تشعبت وانتشرت وخيمت على وجه الأزهر ذلك النهر العظيم ···

وان من اللجاج والمكابرة ضعف الأزهرى الحديث ·· كما أن من الاجحاف وعدم الانصاف تجميد البقية الباقية من العلماء القدامى الذين ترشفوا من ينابيع الأزهر الصافية ·· وتنشقوا العبير من رياضه الفواحة ·· فكان منهم البذل والعطاء ·· كذلك نرى من مجافاة الحق والعدل أن نعلل انحراف بعض الشباب ·· وما ترتب عليه من ارهاب ·· بانصراف الناس عن المساجد وعن العلماء ·· فالمسلمون بخير وشبابنا ـ والحمد لله ـ من أطهر شباب العالم لو أنهم وجدوا مجالس العلم ميسرة أمامهم ومفتوحة فى وجوههم ·· ولو أنهم وجدوا العلماء الصالحين الذين لم تشغلهم الدنيا ·· أو تبهرهم الحياة ·· فالناس متعطشون الى الثقافة

الدينية انبثاقا من فطرتهم الربانية الطاهرة .. آية ذلك انهم اذا التقوا بعالم جليل انطلقت اسئلتهم اللاهثة جريا وراء المعرفة .. وما سبب انحراف بعض الشباب الا تهافتهم على أشباه العلماء بعد أن خلت الساحة من العلماء الحقيقيين .. فتاثروا بهم وانقادوا لهم دون وعى او تفكير .. وأما عن عدم تعاون أجهزة الاعلام مع العلماء .. فأقول : ان أجهزة الاعلام لا تضن بسطورها وصفحاتها ووسائلها ولم تغلق أبوابها فى وجه العلماء اذا وجدت منهم قضية عادلة .. أو فكرة واعية .. أو دعوة هادفة بعيدة عن الثرثرة والتكرار .. وأما عن المساجد فهى فى حاجة ماسة الى دروس رائدة .. ومواعظ نيرة .. وتوجيهات رشيدة .. وعلماء نابهين .. من أهل الايمان والتقوى واليقين .. وأن واحدا من هؤلاء لجدير بجذب الناس والتأثير فيهم . وتربيتهم وتربية سليمة قوية . سواء فى ذلك الرجال والنساء .. والشيوخ والشباب .. فهل الى ذلك من سبيل ... ؟

اننا كأزهريين كثيرا ما نقف حيارى أمام واجب الرسالة السامية التى حملنا أمانتها .. وأمام اللوائح والقوانين التى تحجبنا وتجعلنا جاحدين .. ننطوى على أنفسنا ــ لا عن عجز أو تقصير ــ بل مرغمين .. نبتلع الغصة الكاوية .. لنتحول الى زفرة لاهية .. وأنفاس لاهثة .. ثم نشكو الأمر لرب السماء ..

جابر حمزة فراج

المدير العام السابق للاعلام بالأزهر وأستاذ الشريعة بالمعهد الدبلوماسى بالرياض

الأهرام ١٩٨٧/١٠/١١

وجـــوم ...

أما العارض الصحى الذى ألم بى فهو لا شىء وأحمد الله سبحانه فما أشكو فيما يتصل بسلامة الجسم شكوى ذات شأن . ولا أحسب أحدا فى مثل سنى يرجو خيرا مما أنا فيه .

أما العارض الآخر الذى أعاني منه أشد المعاناة فهو ما أصابنى فى الاسبوع الماضى من أنباء لم أجد ما ألقاه بها الا الوجوم ، ولن أجد كلمة تعبر عما أوجهه الا الوجوم وقد بحثت فى القاموس عن مادة : وجم فوجدتها اللفظة التى خلقت لما أنا عليه اليوم .. وجم يجم وجوما : عبس وأطرق وسكت عن الكلام لشدة الحزن .

وهـا أنذا عابس كسيف وها أنذا أريـد أن أسكت عن الكلام . وها آنذا شديد الحزن .

ما العبوس فلا محيد عنه .

أما السكوت فتلك هى الكارثة . فما تعودت السكوت عن حق أؤمن به . بل عشت عمرى أقول ما أعتقد انه جدير بأن يقال لم يمنعنى عن القول شىء منذ أمسكت القلم . وحين جثم على مصر الطاغوت اخترنا لما نكتب طريق الرمز نستغنى به عن الكلمة الصريحة التى حرمتها الديكتاتورية والحكم الفرد . وقلنا وفهم النـاس ما نقول فكان الرمز أعظم بيانا من التصريح ، وكان أشد نفاذا من القول المباشر . ولم تختف الكلمة الشريفة حين الجبروت يسد أقطار الحياة . ويغلق على الانسانية منافذ الوجود .

٢٤٥

واليوم تشهد مصر فى عهد حسنى مبارك ما لم تشهده من الحرية فى أى عهد من عهود الحكم فى مصر . لا أستثنى فى ذلك ما قرأناه وسمعناه عن ابنائنا واجدادنا من تاريخ ، او ما شهدناه معايشة وعيانا ومشاركة .

فكيف اذن يسوغ أن نسكت وعلى أطراف اللســان ما عليه من قول يكاد القلب ينفجر به غيظا وحزنا وخذلانا واخلاف ظن وبعدا عن التوقع وعلى سن القلم كلمات تتجمد ولا تستطيع أن ترتسم حروفا كما تعودت أن ترتسم على مدى أربعين عاما وتزيد ٠

كيف ونحن فى أعظم العهود حرية يملك الوجوم أقلامنـا ونفوسنا وألسنتنا ٠

واذا لم نجم فماذا نقول ٠

واذا لم نصمت فكيف نقول ٠

حديثنا اليوم وجوم وصمت ٠

وأقلامنا اليوم جفاف وأطراق وحزن ٠

اليوم لا يصلح الرمز طريقا لأقلامنا ٠

واليوم لا سبيل للكلمة الشريفـة أن تجد منفذا الى الحياة ماتت الكلمات على الألسنة ٠٠ ووئدت الألفاظ على أسنة الأقلام ٠

حتى ما نستطيع أن نصرح فيم الحزن منا والاطراق والأسى والوجوم وحتى لم نعد نملك حتى الاشارة المبهمة ٠

ومن يقرأ حديثى اليوم من الكتاب الاشراف يدرك عمق الكارثة التى أشعر بها ٠ فالكتاب الشرفاء يعلمون حق العلم مدى الشقاء الذى ينوء به الكاتب اذا ألجم الكلمة ووأد الحق وسكت لا قهرا من حاكم وانما لأن الكلمة التى يريد أن يقولها لا تستطيع أن تكون معلنـة للنـاس مشهرة للكافة ٠

فصمتا اذن الى أن يأذن الله لجرح أن يندمل ولنفس أن تطيب ووجوما اذن الى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا ٠ وحسبنا الله ونعم الوكيل ؟

الأهرام ١٩٨٧/١٠/٢٨

الـرجال ثروة مصر

اذا اختال علينا ذو مال وصاحب غنى بماله وغناه فاننا نحن المصريين نباهى بثروة لايستطيع أن يباهى بها الا القليل النادر من الدول والجماعات .

رجالنـــا على مدى التاريخ هم الكنز الذى لايفنى وهم القمم التى لا مثيل لرفعتها وسموقها .

لنا في ميادين السياسة الرجال الكبار كتبوا تاريخ مصر وعــرف التاريخ باسمهم وأذكر ثورة ١٩١٩ وأذكر رجالهــا كل رجل منهم أمة فى ذاته .

وأذكر جهادنا ضد المحتل ووقفتنـــا نصـــد عتوه وجبروته حتى لتعتبرنا الهند مثلا أعلى لها .

ولنا فى ساحة الدين الأئمة الهداة . ولنا الأزهر الشريف يرسل اشعاعه المبارك الى كل مسلم فى أنحاء العالم .

ولنـــا فى ميادين العــلم الأئمــة وحسبنا ما قال شــوقى يكرم د . على باشا ابراهيم .

ابتغــوا ناصـــية الشمس مكانا
وخذوا القمـــة علما وبيـــانا

واطلبـــــوا بالعبقــريات المدى
ليس كل الخيل يشهدن الرهانا

ابعثوها سابقـــــات نجبـــــا
تمــلأ المضــــمار معنى وعيــانا

وثبــوا : للعز مـــن شهوتهـــا
وخذوا المجد عنــيانا

ولنا في دنيا الأدب والانفافة المنـارات الشامخـة • كان الأدب في القرن الماضي لعبا باللفظ فهو لهو ومهارة حواة • فاذا جيـل العباقرة يظهر في الوجود يقود كوكبته في الشعر أحمد شوقي من بعد ارهاصـات من محمود سامي البارودي ويكن واسماعيل صبري •

ويشرق شوقي أعظم شاعر عرفته العربية في تاريخها كله وخلفه يقف حافظ ابراهيم وخليل مطران وتتوالى المواكب محـرم ونسيم وعلى محمود طه وابراهيم ناجي ويعيـد عزيز أباظة أمجاد شـوقي في المسرح الشعري الذي لم يعرفه العالم العربي الا من هنا •

ويقود كوكبه الرعيل العملاق الباذخ طه حسين • ونحن في ذكراه في هذه الأيام ويسـير الموكب الفذ الذي لم يشـهد جيـل له مثيلا د • محمد حسين هيكل والعقـاد وأحمـد أمين وتوفيق الحكيم والمازني وتيمور والزيات وزكي مبارك • وأحمد زكي • وزكي نجيب محمود واذا الأدب العربي الذي عرف المسرح الشعري على موسيقى شوقي يعرف من هؤلاء الرواية والقصة القصيرة والمسرح الانساني العظيم •

ويتخرج الأدب العربي الحديث على يدي عميده د • طه حسين وعلى أيدي أساتذة الأدب من جيله السابق •

وتتوالى أجيال المبدعين وقد لقفوا الرايات من أساتذتهم وتبقى مصر وقد زال عنها المال المصنوع هي أغنى الناس في الرجال وفي البشر •

وتتعلم الأجيال من هؤلاء أن الأديب شجرة ضخمة وليست ظلا لأحد وانما هي التي تمد الناس بالظلال •

وان الكاتب قيمه في ذاته لايحتاج الى قيمة أخـرى من خارجه • ويثبت في الأذهان أن الانسـان يستطيع أن يعين الحكام والأمراء ولكن الكاتب لايكون الا بأمر الله وحده في علياء سمائه •

ان الكاتب كلمة من كلمات الله وهكذا فالكاتب كلمة والكلمة عرض • فاذا أباح الكاتب كلمته للبيع والشراء في أسـواق النخاسـة فقد أباح عرضه وسقط عن مكانته ، وأصبح عند الناس بقية من شيء بلا قيمة بعد ان كان عندهم أسمى من انسان •

لقد أشرق طه حسين في سماء الأدب العربي أجمع نورا يبهر العالم كله ، وان كان هو لايرى الى النور المادى فقد كانت في داخله شلالات من ضياء وبهذا رفع رأسه عاليا وجعل من صاحب الكلمة صاحب جلالة وما أعظم خليل مطران وهو يقول عن البارودي وكأنى به ينظر الى طه حسين ٠

اذا وســـع الكون فكر امـــرىء

فلا بأس بالطـــرف أن يحسرا

على الشمس ان تهدى المبصرين

وليس عـــلى الشمس أن تبصرا

لقد نشأنا نحن في ظلال هذه الغابة المعطاء ٠ وعرفنا أن قيمة الكاتب أعظم من أية قيمة ٠ فكل سلطان الى زوال الا سلطان الكلمة ٠ اختارها الله جل علاه لتكون معجزته الخالدة على الأرض ، وحسبها ذاك مجدا ٠

وفي الغابة تنبت حشائش تدوسها الأقدام وتسقط أوراق جـــافة حطمها الذبول وتتداولها الأرجل ، وفيها أيضا نباتات متسلقة لا تصلح الا بغيرها ولكن الأشجار العاليـــة تظل شماء أصلهـــا ثابت وفرعها في السـمـــاء ٠

الأهرام ١٩٨٧/١١/١

الكلمـــة « ضـــمير »

حين يأذن الله لواحد من عباده ان يكون كاتبا يقضى ان يلقى هذا الكاتب في حياته عناء أى عناء . ولكنه أيضا يلقى فى حياته هناء أى هناء .

فالكاتب يشقى بالفكرة حين تومض في ذهنه وتظل به ويظـــل بها يجذبها وتجذبه ويقلبها وتلهبه ويدفعها حينا فتلاحقه أو تروغ منه فيغريها فهو فى أمواج متلاطمة تعلو به حينا وحينا تهبط وتغرقه ساعات أو تطفو به وهو فى دفاع التيار لا يملك من نفسه أمرا . وملاك الأمر جميعه فى يديه .

وويل له أى ويل اذا كانت الفكرة الوامضة موضوع رواية أو قصة أو مسرحية فكل لون من هذه الألوان يحتاج الى تركيب خاص . وبعد ذلك كل رواية لها مداخلها الخاصة بها وتناولها الذى لا يصلح لغيرها . وكذلك الأمـــر فى القصة القصيرة أو المسرحية وما يصلح لواحدة من الروايات أو القصة أو المسرحية قد لا يصلح لغيرها . وما تتبلور به واحـــدة قد يطمس أخـــرى .

أما الهناء فيلتقى به الكاتب حين ينتهى من عمـــل ويحس انه صنع شيئا تسرى فى أوصاله الحياة .

وبين الفكرة وهى بداية . والرواية وهى رواية أهوال وأهوال . وصنوف من العذاب والسعادة وألوان من الحزن والفـــرح . ودروب من الحيرة والهدى . ومن الضياع والوصول الى المرفأ . ومن الشد والجذب . ومن الاقبال فى تحمس والنفور فى رفض .

أما اذا وصلنا الى ميدان المقـــال فأهوال أخرى . أما الأفكار ففى مألوف الحياة وفى مسراها اذا أليلت وسيرها اذا أشرق بها نهار .

والكلام ــ بطبيعة الحال ــ عن المقالة . غير الجامعية التى تشـــمل بحثا أو دراسة . فان الجهد فى هذا اللون من المقالات من نوع آخر .

وانما الحديث عن المقالة المرسلة مثل هذه التى ابتليت أنا بهـــا • فما أنا بأستاذ فى الجامعة حتى أكتب مقالة بحث أو دراسة وانما أكتب مقالة رأى •

ولم يجمع الناس على رأى قط منذ بدء الخليقة وما أظنهم سيجمعون على رأى حتى يرث الله الأرض ومن عليها •

وقد أخذت نفسى منذ بدأت كتابة المقالة منذ نيف وأربعين عاما أن أكتب رأيى أنا • ولا أنظر الى ارضاء أحد أو جماعة أو اغضاب آخر أو آخرين •

هذه كلمتى وليكن رأيك أنت ما يكون •

فهيهات هيهات ان ترضى الناس جميعا وفيهم الذكى والغبى والمخلص والخائن والصغير والكبير والشريف واللص والصريح والمنـــافق والمتزن والمخلوط •

وهكذا جعلت قبلتى ربى وضميرى •

وربى هو عالم الغيب والشهادة وهو سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور •

وأنا أدرى ان ضميرى واحد لم يتغير ولم يتلون ولم يتخذ له صبغا ليرائى الناس أو يداجى آدميا على وجه الأرض •

وضـــميرى هذا يصاحبني فى نومى ويقظتى وفى غدوى ورواحى عنيف بى غاية العنف لا ذو رحمة هو ولا غفور ولا يترك لى لحظة من حياتى أرتاح فيها منه •

فليس أمامى من سبيل الا ان أرضيه •

ولايزال يلح بى فى اصرار •• قل كلمتك ولا تتركها بل قف الى جانبها ولا ضير عليك مما يلحق بك • فانه لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا فعلى الله توكل وليكن ما يكون •

وانني حين أمدح أعلم أنهم قائلون عنى انى منافق وان كانوا يعلمون اننى أبعد ما أكون عن النفاق • ولكن الذى يكتم الشـــهادة هو المنافق • سواء كانت الشهادة مديحا أم ذما • فالذى يكتم شهادة المديح ينافق الناس الذين سيقولون عنه منافق والذى يكتم شهادة التفنيد منافق يخشى الحق• ولا أدرى أيهما شر من صاحبه •

واذا أنا هاجمت صاحب سلطـة · وسـيقال عني أنني أبتغي الى البطولة سـبيلا ·

فلا أنا بمفلت من الذم اذا مدحت ولا أنا بناج من النقد اذا عارضت أما ربى فهو العليم ·

وأما ضميرى فهو وحده من يعنينى بعـد الله · ولو عرف الناس ما معنى ان يكون الانسان كاتبا صادقا مع ربه ونفسه لما زاغت قلوبهـم ولأدركوا انه ليس فى العالم لقب يسمو الى لقب كاتب ·

ورحم الله العقاد حين قال :

أغنى البرية عن حـلى لقـب

مـن كان يشرف باسـمه فردا

وما أحسبه ـ بقيت ذكراه ـ الا كان يعنى نفسه بهذا البيت وكل من سار على دربه من صدق مع الضمير الذى لايبتغيا الا ان يكون عند الله صادقا · ومن كان عند الله صادقا فانه عنـد جمهور الناس وعند كل الشرفاء صادق أمين ·

شقاء هى الكلمة أى شقاء ولكنها حين تصدر صادقة مؤمنـة تصبح سعادة لا يعرفها الا من عرف قلبه الايمان أعمق ما يكون الايمان بالله جل علاه · وهل الحق الا اسم من أسـمائه وهل العدل الا واحد من صفاته تقدست أسماؤه وتعالت صفاته ·

الأهرام ١٩٨٧/١١/٨

فمــا الدنيــا اذن؟

يستطيع أى انسان فى العالم ان يسمع الأنباء من أى مصدر لها أو يقرأ الصحيفة اليومية ويستطيع ان يرضى ويستطيع ان يغضب ما شاء له الغضب ثم يقلب شفته ويلقى الجريدة ويقول لنفسه .. لا شأن لى .. ما دام الذى أغضبه لا يدخل فى خاصة عمله ولا يعـــدو على أمر يتصل بنفسه أو بماله أو بولده ثم يضطرب بعد ذلك فى الحياة ما شاء له الاضطراب بعيدا كل البعد عن هذا الذى أغضبه فى النبأ الذى سمعه أو قرأه .

الا الكاتب فهو مسئول عن كل ما يجرى فى بلده مسئولية ينبغى ان تبتعد كل البعد عن ذاته فى حيـــاته أو ذوات أبنـــائه أو اخوته أو أهله الأقربين .

فالكاتب اذا كان شريفا ينبغى عليه وجـــوبا الا يكون قلمه سلاحه ليدافع به عن أغراضه الشخصية أو منافعه الخاصة .

فان الشعب قد عينه وكيلا عنه . ورضى قلمه مدافعـــا عن صوالحه العامة ولا يرضى القارىء منه ان يحول قلمه الى الدفاع عن حوائجه الخاصة أو تلك التى تتصل بالمقربين منه .

والكاتب الذى يتحول الى محارب عن هذه الحوائج الخاصة يسقط عند الناس ويصبح غير ذى قيمة عند القارىء وهو الشعب أو عند صاحب السلطان المتصرف فى أقدار الناس وحوائجهم .

فبما حب من الناس وثقة من القراء بقلم الكاتب وضميره يمتنع عليه ان يتاجر بحبهم هذا وبثقتهم به .

والكاتب ينال هذا الحب وتلك الثقة بالجهد الجهيد والزمن ليديه والمواقف الثابتة الصلبة لا تميـــل مع هوى أو منفعة ولا تلين مع تهديد أو ارهاب وان رصد له العتاه أسباب البطش وألوان الجبروت . والكاتب

يفقد هذه النفة نى لحظه اذا هو مال عن الطريق وصاحب السلطان بيده السيف والذهب • فان كان جبـــارا طاغية فسيفه طائع لهواه يهوى على رأس من يخالفه الرأى فى غير تدبر أو مرحمة يرفض فى شـأنه الشفاعة ويأبى كل الآباء ان يستمع الى رجاء بعفو أو سعى بغفران •

ولهذا كره الطغاة الكتاب الأحرار واصطنعوا لانفسهم الأقلام التى لا يملك أصحابها من أمرها شيئا الا ان يحركوها على الورق ناظرين فى كل حرف يخطونه الى سيف الطاغية وذهبه •

ولكن الطغاة يموتون • والكلمة تبقى • وتظل خزيا للكاتب على مدى الأجيال واذا شاء الله وعاش الكاتب بعد الطاغية تظـل الكلمات المرائية المنافقة الكاذبة تلحق بالكاتب ما طالت به الحياة ثم هى لاحقة به بعد ان يعبر الحياة وينقضى منه الجسد ولم يبق منه الا الذكرى وقد لطخها نفاقه بالقذر الأبدى •

ومن الكتاب من تعود الا يعيش الا فى ظل الطغاة يدابجهم بالمديح وان سفل وبالتعظيم وان حقر يرجو فيض نائلهـــم أو يتقى تقطيبــه فى وجوههم •

وهؤلاء الكتاب لا يستطيعون العيش فى ظـل حاكم شريف لا ينزل سخطه بكاتب ولا يقصف بغضبه قلما •

وهذا هو محمد حسنى مبارك ما سمعنا يوما انه عصف بكاتب ان غضب عليه • والمؤيدون والمعارضون عنده سواء • ولكن قد يصلح الحاكم ولا يصلح الكاتب ما دام هذا الكاتب قد نشأ وربى وشب هينا على نفسه وعلى الناس • ومن لا يكرم نفسه هيهات هيهات ان يكرمه رئيس أو مرؤوس •

وأعرف من هؤلاء النفر من الكتاب بعضا لا يكتبون الا لينعشـــوا أموالهم أو ليفجروا حول أسمائهم ضجيج الشهرة أشبه ما يكون بلعب الأطفال التى تخرج أصواتا تملأ السمع ثم لا تصيب من الناس بعد ذلك الا السخرية المريرة مليئة بالاحتقار والزراية والهوان •

وهؤلاء النفر لا يتصورون ان يكتب كاتب رأيا الا سعيا وراء منفعة تتمثل فى أذهانهم العفنة مالا أو منصـــبا أو جاها • ولا يمر باخيلتهـم المريضة الضامرة ان هناك شرفاء يكتبون ما يكتبون لأنهم شرفاء • فالشرف

معنى بعيد كل البعد عن كاتب يلهث لهاث الكلب وراء مال دنس أو شهرة زائفـــة ٠

والكتاب الشرفاء اذا تحسبوا آراء هؤلاء الساقطين حبسوا كلمتهم خشية ما قد يكتبه عنهم هؤلا اللاهثون ٠

ولكن الكلمة أمانة والكاتب يحمل هذه الأمانة ويعلم مدى ثقلهـــا ويدرى كل الدراية ما هو ملاقيه عند غير الشرفاء ٠ فان جعله هؤلاء يميل عن القول الى الصمت فقد نجحوا ان يجعلوه يروغ عن الحق الى الهوى ٠ وهان هؤلاء ان يجعلوا كاتبا شريفا يميل عن الحق الى الهوى فان الحق هو الكاتب واذا تخلى عنه ايثارا الى الدعة وطلبا للعافية فانه بذلك يخون الأمانة ٠ ويتيح للعبيد ان يخلو لهم الميدان وتصبح الحياة غير جديرة بأن تعاش ٠

فما قيمة الحياة ان تمكن المغرضون ان يسكتوا الاتقياء وما الدنيا ان استطاع الملوثون ان يفرضوا الصمت على الاتقياء ٠ ولماذا يعيش الكاتب اذا لم يستطع ان يصيح بأعلى صوت له مال الميزان حين يميـــل الميزان ٠ وحطمت القيم اذا انحطمت القيم ٠ ولماذا يحمل قلمه اذا لم يدع به الى الشرف والخلق الاسنى وطهارة الذيل ٠

وما وجوده اذا هو لم يكن صوتا متصلا بالسماء يمجد ما يرضى الله عنه ويمحق بسن قلمه ما يغضب الله ورسوله والمؤمنين ٠

ان الكتاب الشرفاء هم ظل الأنبياء فى الأرض ٠ ولو ان محمدا عليه أزكى الصلاة والسلام خاف المشركين ما انتشر الاسلام فى ربوع العالمين لقد عرضوا عليه ــ صلى الله عليه وسلم ــ الملك فسخر منهم وصاح بهم بل ان الشمس اذا أمسكتها بيمينى والقمر ان استقر بشمالى عاجزان كلاهما ان يغريانى عن الدعوة الى الله العلى القدير ٠

وبما ايمانه أبلغ رسالة الرحمن بالحق كلمات خالدات على الزمان الحلال فيها بين والحرام فيها بين ٠ فهى الفرقان وهى القرآن وهى الاسلام دين الهداية والطهر ، والشرف والنقاء ٠

١٩٨٧/١١/١٥ الأهرام

طفــولة الرجـــال

ماذا أصاب العصر . وما للرجـــال أصبحوا أطفالا . وما للأطفال لم يصبحوا أطفالا . ماذا أصاب العصر . وماذا دهاه حتى أصبحنا ونحن ـ بعد ـ لم نبـــلغ من العمر أرذله نعيش غـــرباء فى عصرنا مستوحشين فى أوطاننـــا .

لم تصبح الرذيلة رذيلة . لا ولا الفضيلة أضحت فضيلة . اختلط الخير بالشر . والقمـــة بالحضيض . والبهاء بالدمامة . والســماحة بالخديعة . وتخلق الرجال بخلق النساء والأطفال فما أصبحنا ندرى هل نحن نتعامل مع رجل أم امرأة أم طفل صغير ضـــئيل الآمال منهــــار الشخصية .

حسبك فانظر بعض أصـــحاب الوظائف ذات الادارة والامارة . وحسبك فانظـــر كيف يعضون عليهـــا بالنواجذ حتى لكأنهم أطفال بله يمسكون بلعبة يتلهون بها . وانظـــر كيف تتمثل الوظيفة الكبرى ذات المسئوليات الجسام فى ذهن القائم عليها .. وحقك ليست عنده الا تحية الساعى ومركب السيارة واحترام السائق أما جذور الوظيفـــة ولبهـــا . واما صوالح الناس وأعمالهم . فاخـــر ما يفكر فيـــه هذا البعض التافه الكبير الصغير . الشيخ الطفل . العجوز الصبى .

أين الرجال . وماذا دهاهم .. وماذا أصاب الرجولة فيهم .

وما الذى زلزل أركان الجد فى نفوسهم .. فقلبهم أطفالا يلهون .

رأينا والعهد قريب محمود محمد محمود رئيس ديـوان المحاســبة يقدم تقريره الى مجلس النواب رافضا ان ينال كريم ثابت خمسة آلاف جنيه بغير وجه حق من أموال مستشفى المواساة لا سند له فى نيلهـــا الا أمر صادر من الملك ويصيح محمود محمد محمود ـ أطال الله عمره ـ لا ، ليس هذا من حق كريم ثابت ولا من حق الملك . انها أمـوال دولة . ويزلزل أركان المجالس التشريعية . ويسعى اليه من يسعى . ان الملك يريد ان يمنحه رتبـة الباشوية فيقول فى غير جلبة وفى غير تظـاهر بالبطولة :

شكرا له . ولكن هذا لا شأن له بالآلاف الخمسة . ويصر وهو يعلم كل العلم ان اصراره معناه ان يترك كرسيه وقد كان كرسى وزير فى ذلك الزمان وحين أبى المسئولون ان يستجيبوا لما طالبهم به قدم استقالته فى تواضع شديد وفى غير جلبة ولا ضجة ولا صياح .

ووقف مصطفى مرعى يزلزل أركان مجلس الشيوخ باستجوابه عن الأسلحة الفاسدة والاستجواب موجه الى الوزارة فى شكله ولكنه نافذ كالسهم الى العرش والجالس عليه واللائذين به والدائرين حول فتاته .

ورأينا مصطفى مرعى نفسه حين لم يرض عن تعبير قاله رئيس الوزراء الذى يعمل معه يقدم استقالته الشهيرة المضيئة فى التاريخ السياسى والانسانى . ورأيناه نفسه يضرب عرش الملك باستجوابه عن اليخت فخر البحار قائلا ان كان هذا اليخت ملكا للدولة فعلى الدولة ان تصلحه على الا يستعمله الملك . واذا كان اليخت ملكا لصاحب العرش فعليه ان يصلحه وله من بعد ان يستعمله . وكان أجر الاصلاح نصف مليون من الجنيهات .

ورأينا يومذاك بدايات العصر الأنكد الذى يحيط بنا صغاره وهوانه وبلواه ورأينا حكومة ذلك الزمان تطيح بأكثر من عشرين شيخا من مجلس الشيوخ متسترة خلف الدستور فاذا بالستر يفضحها ويتأبى ان ينصاع لشهوات الحكومة وسيدها الملك فى ذلك الحين .. ومن بين هؤلاء الشيوخ رئيس المجلس القطب الأدبى والسياسى العتيد د . محمد حسين هيكل باشا . ومن بينهم أيضا مصطفى مرعى .

ورأينا قبل هذا جميعه الموظفين المصريين فى ثورة ١٩ يتجمعون فى حلف خطير . والمحتل يومذاك أسد هصور ضار لا تغيب الشمس عن دول امبراطوريته . ولكن أبناء مصر يزأرون فيرتجف الأسد ويبدأ الموظفون بالاضراب عن العمل ثم يبدأ أحدهم بالاستقالة بعد أن دوخ المحتل بتحقيقات تظل حتى اليوم منارة مشرقة فى تاريخ التضحية والفداء وشجاعة النفس . وتتوالى بعد ذلك الاستقالات من الموظفين المصريين وتزلزل استقالاتهم أركان الامبراطورية زلزالا مروعا .

ونعود ــ والحسرة تعتصرنا ــ الى عصرنا هذا . أليس رجال اليوم هم أبناء رجال الأمس .. فما لرجال الأمس كانوا منارات ومالهم كانوا رموز شرف وأصالة وشموخ ؟ وما لرجال عصرنا تنماع رجولتهم حتى

ما ندرى من أى الجنسين هم • وحتى ما ندرى أرجـــال هم بلغوا الرشد منهم أم هم ما زالوا أطفالا صغارا يلهون والدنيا من حولهم تجد وتكشر عن أنياب لها قاسية شرسة •

اننا اليوم فى حرب مع أنفسنا وهى أشـــد ضراوة من الحرب التى خاضها آباؤنا مع المحتلين •

نحن فى حرب طاحنة مع ضعف الانتاج ومع اللصوص ومع السفاحين ومع ادعياء الدين ومع الملحدين ومع الارهابيين ومع تجـــار السموم ومع المتاجرين بأقدار الدولة ومصائرها • ومع المستفيدين بحرية الديمقراطية والمنتفعين بأيام الطغيان والجبروت •

حروب لا نهاية لها وليست حربا واحدة •

وأرى بعض الرجال ـ ولا أقول جمعيهم ـ يحاولون الهرب من واجبهم وأرى بعضا آخرين ـ ولا أقول جميعهم ـ يستمسكون بمناصـــبهم حتى ولو كانوا قد بلغوا المعاش وان لهم ان يتيحوا الفرصة للقادمين بعدهم •

وأرى من أحسبه رجـــلا يخون الأمانة ويفشى ما تستودعه من سر ويضرب فى تيـــه الجبن المرتعـد الهزيل ويبيع الشرف بالذلة والكرامة بالهـــوان •

وأرى ـ فيما أرى ـ الشباب غير جاد هو ولا هو حازم •

منه ـ ولا أقول كله ـ من يتخذ ملبس النساء وحليهن • أو يتخلق بخلق الطفل فى تفاهته وضمور عقله أو منه ـ ولا أقول كله ـ من يتنكر وراء اللحى مدعيا الدين والدين منه براء • أو منه ولا أقول كله اذا أراد أن يختار فآخر الملبس جعل ملبسه الخيش الأزرق الحقير الذى لا يصلح ان يكون خرقة لتنظيف الآلات • ما هؤلاء ولا أقول من هؤلاء فقد تعلمنا ان لفظة من لا تقال الا للعاقل • أو عقلاء هؤلاء أو ينتسب أولئك الى أبناء البشر هيهـــات •

أى عصر هذا الذى كتب علينا ان نعيش فيه • غـرباء نحن نعيش وما أعظم الوحشة التى يحس بهـــا الغـريب وويل لنـــا كل الويل اذا استوحشت بنا الغربة ونحن بين ربوع وطننا الذى نشقنا عبيره منذ نحن

فى المهد ومن ذراته اكتملت جسومنا • ومن أمواهه جرت دماؤنا • وفى ترابه ثوى آباؤنا وأجدادنا •

فاذا شعرنا هنا اننـــا غرباء فأين بنا المرفأ وأين لنا الملاذ أم نحن غرباء على الزمان • فأى قبلة نوليها • وأى زمان نرتجيه •

اللهم يا الله ياذا العرش والملكوت • اليك وحـــدك الوجهة والى ساحتك القدسية المهرب والملاذ • سبحانك تعاليت لا اله الا أنت فانك بارىء النفوس فالهمها الرضا يارب العالمين أو الهمها الرشاد أو فاطو بنا الحياة لنلقى وجها لا يخيب عنده رجاء • ولا يرتد عنه قاصد يفنى كل حى ويبقى هو الى ما بعد الأزل ذا الاجلال والاكرام •

الأهرام ١٩٨٧/١١/٢٩

التطهير لا التشهير

ماذا أصاب الزمان . أين ذهب المجتمع المصرى . ما شـــأنه . ماذا يشغله عن نفسه . ما الذى جعل الأفراد كانهم فى يوم الحشر يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ، ومن صاحبته وبنيه ، فيمسى لكل انسان شأن يغنيه . أنكون على مشارف الساعة ونحن لاندرى . أيكون الزمن قد بلغ المنتهى . ووافت منيته . وانقضت أيامه ؟! .

والا فما هذا الذى يطالعنا من جماعة الناس . مالهم وقد أصبحوا بغير رباط يجمعهم . ولا رأى ينتهون اليه . المحسن منهم يحسن الى نفسه . والمسىء منهم يسىء الى ناسه جميعا . وماذا عليه ان يمضى فى سوئه مادام المجتمع لايصيح به حسبك فقف .. اسأت فارجع ومال بك الطريق فعد . وجمح بك المركب . وعاج بك الدرب . وانفلت بك الزمام . فاســـتقم أو تريث . أو أخرج من جماعتنا مذموما مدحورا ملعونا . ابليس أنت . وما نرضى فى مجتمعنا ابليسا .

المحسن لايفكر ان يحسن الى الناس مهما يكن فى فيض من النعم ، وفى وفرة من الغنى ، وفى سعة غاية السعة من الأمر . يثير حوله الأحقاد ولا يحاول ان يكسر حدة الحسد بأية العطاء ولايفكر ان يعين من خاصته الأقربين ما يرد عنهم كيد زمن ، أو شدة أيام ، أو مسيس حاجة . يلهو اللاهى منهم بالمال فى أرض العاهرات وفى نقيع الخمر . وفى مساحيق الخدر . وفى دخانه . ولايمر ببـــاله أقارب يطحنهم الزمان وتمخضهم الأيام وتضرب بهم الأرض فى مذلة الجوع وفى هوان العرى .

وأرى الى هذا العربيد المأفون فى زحـــام الناس . فأجد المجتمع يفسح له كل تكريم واجلال واكبار .

أين جزاء المجتمع . كان هناك زمان يخشى السارق فيه ان يسرق حتى لايحتقره المجتمع الذى يعيش فيه ويحـــاذر فيه الانسان ان تشيع عنه الرذيلة أو يشتهر أمره بين الناس بالمجون والعربدة حتى يبقى على احترام الناس له .

فما لهم اليوم يتيهون فخرا انهم لصوص · ويملأهم الزهو انهم فجرة ويشرفون غاية الشرف انهم عرابيد خمر ومساحيق يبتلعونها أو يشمونها أو يدخنون ·

لقد أصبح المجتمع أبعد ما يكون عن توقيع الجزاء · وأصبح يغدق بفضله على من ينبغى أن ينبذهم نبذ الهواة · ويقصيهم عن احترامه ويلقى عليهم احتقاره وتقززه ·

ان المحاكم لاتستطيع وحدها ان تقوم بشأن المجتمع · وكم من جرائم يرتكبها الانسان ولاتجريم لها فى قانون العقوبات ·

الثرى الذى ينفق ماله على المظاهر الحقيرة التافهة ويترك الفقراء حوله لايعين معوذهم ولايرد الجوع عنهم ولايكسر معوزهم أشواك الحياة · غير مجرم فى مواد القانون · ولو كان المجتمع واعيا مدركا لحقه بل لواجبه · لاعتبر فعله جرما يستحق تشديد العقوبة الاجتماعية مادامت العقوبة القانونية قد انثنت عنه ·

ولكن المجتمع يحترمه ويجله ويوقره · لقد أصبح المجتمع عبدا ذليلا للمال · وللمال وحده ·

هذه الأموال المنهمرة فى أسواق الجوارى وفى شراء المخدرات ينفقها أصحابها وهم يعلمون كل العلم انها أموال ذاهبة الى تجار لن يدفعوا عنها أى ضريبة · وكيف لها ان تكون ذات ضريبة وصفقاتها تعقد فى أستار الظلام الدامس وفى كهوف معتمة أبعد ماتكون عن ضوء الشرف أو مشروعية السبب ·

هذه الأموال لو أنفقت فى سداد ديون مصر لتم السداد فى لحظة من الزمن · ولكن أصحاب هذه الأموال انتهبوها من دماء بشر وهيهات لشارب الدماء ان يفكر فى أمر وطن ·

فليلق بماله اذن فى متاهات الدعارة وفيما يقضى على كيانه المادى فانه أصلا بغير كيان آدمى · وليمتع هذا المال الذى يقتل به نفسه أن يحيى به وطنا أواه ورعاه ومد له أسباب الثروة ومناهل الغنى ·

كيف لحقير مثله ان يفكر فى شأن وطنه ؟! ··

.. لو ان المجتمع حطم أنفه ورفض أن يكون مشـه فى نسيجه ومزق ما يصله به · لعاد صواب وارتد الى بعض عقل أو بعض حياء ·

ولكن المجتمع لم يعد يوفع عفابه على أحد يرحب بالغنى مهما تكن أسباب غناه ·· ويرحب بالموفور حتى وان كان يرمى بماله فى أسـفل ما يستوعبه مال ·

أرى هؤلاء الأثرياء السفلة فى كل دعوة · يتصدرون الأفراح ويسدون أقطار المجتمع جالسين فى المقدمة · ودائما فى المقدمة · والنقابات · وهى المجتمعات الصغرى · لاتتخذ أى اجراء ضد أولئك الذين ارتموا فى حماة الرذيلة وفى مهاوى العفن · بل والعن من ذلك ـ أرى بعض الناس تصدر عليهم من القضاء وهو القضاء أحكام · ثم أنظر فأرى اعلام الرسمى يوسع لهم فى جنباته ويرحب بهم فى شاشاته وصحفه واذاعاته ·

وأرى فيم أرى من أصبح بعيد الصيت فى غير الشرف ومن علا شأنه فى دنيا الخمور والفجور يتصدر موائد الاجلال والاكبار والتوقير ·

هل أصبح المجتمع بلا خلق هو أيضـا · هل أصبح المجتمع مخمورا مخدورا متاجرا فى أسواق الرقيق · اذن فواضيعتنا للحياة · لاسبيل لنا ان نطلب الطريق الشريف اذا لم يرسم المجتمع هذا الطريق · والمجتمع يبدأ بالاعلام وماكنا لنطالب الاعلام بالتشهير وانما نطالبه فقط بالتطهير · فليبعد عن ساحاته كل عربيد ذاع اسـمه فى ميـدان المهانة البعيد عن الشرف · فان البوهيمى العربيد لايحترم الناس ولا يعبأ برأى المجمـوع فيه · فليس أقل من ان يرفض المجتمع ان يحترمه · ولا أقل من ان نطالب المجتمع الا يعبأ به فهو فرد والمجتمع أمة ·

ولا صـلاح لمجتمع أو لأمة ان لم يرفع الاعـلام فيها شأن الشريف ويرفض أن يمجد المناكيد العاربيد الذين باعـوا كرامتهم فى أسواق العبيد · فكل من غلبت عليه أخلاق الحيوان عبد لشهواته · وكل من تناول المخدر أعلن على الناس أنه يبيع وعيه بالغيبوبة ويبيع عقله لأنه عنه فى غنى وانسان بغير عقل شر من الحيوان فالانسان كان ذا عقل واختار ان يتنازل عنه أما الحيوان فقد فرض عليه البارىء المصور الخالق ان يكون بغير عقل فلا لوم عليه ولا تثريب ·

اننا لا نطلب الا الطهارة فيمن تتصـــدر أســـماؤهم آفاق الاعـلام والمجتمعات ٠

ولا نطلب الا أن ينـــال المجتمع حقــه ممن أتاح له المكانة من الغنى أو الجاه أو السلطان ٠ وحق المجتمع أن يكون نجومه شرفاء يعرفون واجبهم ماداموا قد نالوا حقوقهم أو انتهبوها فان الله سبحانه لايدخل فى رحمته من زين لهم سوء أعمالهم وهو رجل علاه لا يهدى القوى الكافرين ٠

١٩٨٧/١٢/١٣ الأهرام

بين الهـدف والطـريق

لابد من هدف لكل انسان ٠ أو ينبغي ان يكون لكل انسان هدف ٠ ولكن يبدو ان هذه القاعدة تبددت اليوم ٠ فالشباب بعد ان يحصل على شهادته ينقطع ما بينه وبين الهدف فى الحيـاة فيصبح هباءً فى أجواء الحياة تتقاذفها الرغبات المفاجئة وتلتقطها الأيدى المغرضة وتجعلها تسير وفقا للأهواء والمطامع الخاصة والشهوات الملتاثة والأفات النفسية القاتلة ٠ وربما كان انعدام الهدف مبتدئا مع الشباب منذ هو حاصل على شهادة الثانوية ويسعى سعيه للانتساب الى الجامعة ٠ فقد يكون من الذين يرجون ان يصبحوا من حملة شهادة الثانوية أو شهادة التجارة أو شهادة الزراعة أو شهادة العلوم ولكنـــه يجد نفســه نهبا لما تلقى اليه به التنسيقات الحكومية فيوطد نفسه الا يجعل لنفسه هدفا ولا غاية ، ويصبح بعد ذلك نهبا لكل ما يريده الآخرون اه ٠ وقد تنتاشه الجماعات الضالة أو تتكالب عليه براثن من الشـيوعيين آو تسـتولى عليه قوى خارجيـة مجنـــونة ذات ثـراء ٠

ولكن حديثى اليوم عن أولئك الذين نجوا من هذا البلاء ٠ وأصبح لهم فى الحياة هدف يسعون اليه ويحثون له الخطى ٠

وقد يكون الهدف واضحا جليا ٠ وقد يكون شريفا ٠ فلا بأس ان يطلب الانسان الغنى ٠ فالغنى قدرة وقوة ومرفأ ومنتجع وأمان وطمانينة ولابأس بالفتى ان يطلب الغنى ويسعى له سعيه وقد يكون الهـــدف هو ارتفاع الذكر وعلو القدر والحصـول على المكانة وقد يـكون الهدف هو السلطان وتولى شئون الناس والقيـــام بالأعباء الجسام ٠ وليس طلب السلطان بالأمر الكريه فى ذاته فكل انسان يريد لنفسه أحسن المناصب وأعظم الكراسى فى دنيا الناس وهيهات هيهات ان يلم تعـداد بأهـداف الناس وأحلامهم وآمالهم وما يرجونه فى يومهم لغدهم ٠ وانما أضرب أمثلة ضئيلة لأنواع من الأهداف ليس لها نهاية ولا حصر ٠

وانما يشغلنى كيف يسعى الناس الى آمالهـــم تلك ٠ وأعتقد ان الطريق الى الهدف هو أهم ما يكون صورة الانســان فى ضمائر مواطنيه

فالذى يسعى الى الغنى تتشعب أمامه الطرق وتتكاثر · قليـــل منهـا قليل ما هو شريف نقى · وكثير منها كثير ما هو دنىء وضيع · ان اختيار الانسان لطريقه هو الانسان ·

والذى يسعى الى السلطان أمامه الطرق شتى · فالكلمـــة النبيلة والتصرف الجرىء المخلص والعمل الدائب والثقافة الواسعة والسعى الكريم كلها طرق نبيلة وضيئة ينيرها هدى الســـماء ويحف بها اكبار الملائكة واعجاب الناس ·

والنفاق الوضيع والدس للآخرين والوقيعة بين الرؤساء والمرؤوسين واصطناع الرشاوى بالمال وأداء الخدمات الوضيعة وامتهان الذات والقيام بأحقر الأعمال لارضاء ذوى الجاه وغير ذلك مما سمعنا عنه وما لم نسمع كل تلك الدنايا طرق وقد يلتمسها صاحب الهدف وأسمع فيما أسمع أن بعض هؤلاء كانوا يعملون قوادين فى سوق الوظائف ويقدمون النســـاء فيما يقدمون ليصعدوا على أجسادهن العفنة الى سناء الهدف · والى كرسى المكان الرفيع ·

هذا الطريق الذى يختاره صاحب الهدف هو معالم الانســـان وهو ملامحه · وهو حكم الناس عليه أوله ، واحتقارهم له أو اعجابهم به بل — وأعجب معى — فى دنيا العلم والثقافة والدرجات الجامعية أسمع ان منهم ·· بل ان كثيرا منهم يختار فلا يختار الا الغش والخديعـــة وسرقة أعمـال الآخرين والانتفاع بجهد المجتهدين بغير حق والدس للزملاء والوقيعة بينهم وتأليب القوى عليهم ·· مثل هذا الحقير قد يصل ، ولكنه يظل عند عارفيه آفة اجتماعية وضيعة وصلت فما وصلت الا الى احتقار الناس وامتهانهم لشـــأنه ·

وبعد فما قدمت الا أمثلة للطرق وهى الأخرى لايطيقها عد ولا يحيط بها حصر بل ان السفلة يخترعون من الطرق الدنيئة مالا يخطر على بال الشريف ورحم الله الشاعر الذى وصف مجتمعه بقوله :

نشأت فى أحقـر البيئات ديدنها
خلق المعاصى التى ليست بمعروفة

وأرى بين أبناء زمانـا الكثيرين · بل أرى الكثيرين جدا من الذين اختاروا طريق الدنس ليصلوا به الى أحلامهم · وقد يعجب صاحب المنطق

السليم كيف يصـــل صاحب الهدف المشروع الى هدفه عن طريق غـير مشروع · وليس في الأمر عجب · فالله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كادحا فملاقيـه » فكلنـــا فى الحياة نقطع طريقا الى وجه ربك ذى الاجلال والاكرام ·

طريقنا هو كتابنا يلقاه باليمين عنده سبحانه من يلقاه فهو فى عيشة راضية أو يلقاه باليسار من يلقاه فأمه هاوية · والطريق الشريف قديم والطريق الدنىء قديم · وفى بدء الخليقة أخطأ آدم وحواء ثم استقاما · وقتل قابيل أخاه هابيل ثم ندم ووارى ســوءة أخيه · وعلى مدى التاريخ نجد الواصلين لأهدافهم عن طريق الاباء والشرف والكبرياء والسرفع عن الدنايا · ونجد الأغلبية العظمى تصل عن طريق الذلة والهـوان والنفاق والخنوع وانتهاز الفرص من ضعف السلطان الذى كان دائمـــا منذ بدء الخليقة بشرا من البشر وانسانا من الانسان · ويظل السؤال الاستنكارى على رءوس الناس ويطلون له خاضعين هل يستوى الطيب والخبيث أم هل تستوى الحسنات والسيئات أم هل تستوى الظلمات والنـــور هيهـات لايستويان · وشتان شتان بين الباقيات الصالحات وبين الخطايا والعدوان والميزان يوم الميزان « وما ربك بظلام للعبيد » ·

١٩٨٧/١٢/٢٧ الأهرام

سنة ١٩٨٨

فاذا وصـــل ٠٠ !

ويسعى الانسان الى الغنى فيبلغه أو يجهد الى السلطان فيناله ٠ ثم ماذا بعد ؟ ! ماذا هو فاعل بعد أن يصل الى مبتغاه ويصبح من الغنى نارا على علم ، ومن السلطان على كرسى من القمم ٠ تنشعب الطرق أمام كل منهما ويجوز لنا أن نردد مع الشاعر العظيم العوضى الوكيل بيته :

أمامـــك فانظـر أى نهجيـــك تنهـــج

طريقـــان شـــتى مســـتقيم وأعـــوج

يستطيع صاحب الغنى أن يكون انسانا شريفا يملأ الدنيـا حوله سعادة وهناء وليبدأ بأهل بيته ذاكرا الحديث النبوى الشريف خيركم ، خيركم لأهله ٠ ثم هو بماله قادر أن يفيض على المحتاج يرد عنه الحاجة وعلى من تعثر به الزمان يقيل عثرته بل هو قادر بماله أن يقيم المنشآت يعين قومه أجمعين ٠ وفى بلد مثل بلدنا يحتاج الوطن الى كل شىء والدولة لا تطيق أن تقوم الا بالقليل ٠ نحن فى حاجة الى مدارس ٠ وفى حاجة الى مستشفيات ٠ وفى حاجة الى آلات طبية حديثة غالية الثمن ينعم بها البشر فى العالم الغنى المتحضر ويشقى بغيابها أبناء آدم فى مصر ٠ ومصر على قدر من الحضارة وعلى قدر أكبر من الفقر ٠

واجتماع الحضارة والفقر كارثة فالمتحضر يعرف الأشياء الضرورية التى يحتاج اليها وعدم قدرته على اقتنائها يشعره بالهوان والمذلة ! فلو أن الغنى رد عن قومه هذا الشعور الأليم الذى يسحق انسانية الانسان ويجعلها حطاما بددا ٠ فمبارك اذن غناه محمود له ٠ وأى امرىء أعظم من هذا الذى أصاب نعمة فأشاعها بين قومه ٠ ولم يكنزها لنفسه ٠ ومن هنا لم يكن عجبا أن نشيد بالفتى العظيم المسرى الذى تبرع بأربعة ملايين جنيه لانشاء مدرسة ببلدته وهو ذو ولد ٠ وما كان أحد ليلومه لو حبس هذا المال مدعيا انه يبقيه لأبنائه ٠ ومن حق كل من يتبرع لوطنه أن ينال الاعجاب والاشادة والتقدير ٠ فكم من اعجاب واشادة وتقدير ينالها من لا يستحق فالمتبرع بالمالي أولى ٠ وهو بالاكبار أجدر ٠

وقد تسمع بعض المتنطعين يقولون أن المتبرع لا يتبرع الا هروبا من الضرائب ··· ويل لهم الا يستحون · ان التبرع للدولة عمل عظيم لا يقدح فى عظمته شىء · وقد أسمع سخفاء آخرين يقولون انه ما تبرع الا لينال حمد النـاس ومديحهم ويل لهؤلاء · أى هدف أكـرم وأسمى من أن ينال الانسان مديح الأخرين بحق · وأذكر حوارا عربيا قديما ·

قال أحدهم :

ــ والله ما أبالى مدحنى الناس أم ذموا ·

فأجابه الآخر :

ــ استرحت من حيث تعب الكرام ·

وان هذه الاجابة على بساطتها لرائعة الدلالة عميقة الأبعاد · فان الانسان لا ينال مديح الناس الا بالجهد الجهيد والبذل الشديد والعطاء المغدق من النفس والمال والصحة جميعا ·

قد يكون الغنى اذا بلغ الغنى على هذا القدر الرفيع من الانسانية والشرف · ولكن هناك الغنى الذى يجمع ملايين الملايين ولا يشعر انه بلغ ذروة الغنى ·

وهذا الذى شغله جمع المال عن احصائه مخلوق مسكين · لقد ذهب المال بعقله · وأصبح المال بالنسبة اليه سعارا وأصبح المال فى ذاته هو الغاية والنشيدة · انه لا يجمعه ليسعد به وانما يجمعه ليجمعه وحين يصبح المال فى ذاته غاية يجن صاحبه جنونا ويروح ينتهب المال غير ملتفت أن المال هو الذى ينتهبه ، يظن نفسه سيدا لماله بينما هو فى الحقيقة عبد ذليل لماله هو وللسعار الذى جعله هو ربه وركع له ركوع الذلة والهوان ·

ومن هؤلاء الأغنياء من راح ينفق أمواله على شهوات جسده فاجرا داعرا عتيا ظلوما · حياته سكر وعربدة وشهوات حقيرة · لا يرده حياء ولا يقف به بعض عقل أو أباء · ومنهم من ينفق ماله على المظاهر الفارغة الجوفاء من سيارة فارهة الى طيارة أحيانا الى مركب يسميه يختا فى الماء ويصبح التنافس هو حيـاتهم التى بهـا يحيون ولها يجـدون ويحسبون ــ وما أحقر ما يحسبون ــ أنهم بلغوا من المجد علاه ومن الرفعة المنتهى غير واعين انهم بهذا الذى يصنعون يثيرون عليهم النفوس التى تبحث عن

كسرة الخبز فلا تجدها أو عن ثوب يستر عريهم ويقيهم شدة البرد أو قيظ الحرور فلا يحصلون عليه ٠

وكم تتمزق النفس حسرات أن الفئة الغالبة من أهل الغنى هم أولئك الضعاف الذين يظنون أنهم بمالهم أقوياء غير واعين ان القوة الحق هى أن يصارع الانسان صغائر نفسه فيصرعها ويرد شهواته الى العيش الهنيء المعقول فى غير سرف مخجل وفى اتقاء لحق الله فيما سكب عليه من نعمة هو كافرها ومن رغد هو جاحده ٠

أما الذين بلغوا السلطان فويل لهم من السلطان ٠ منهم الكبير الذى يتصدى لكبريات الأمور دون صغائرها ٠ متذكرا بيت المتنبى الخالد :

وتصغر فى عين الكبير كبـــارها   وتكبر فى عين الصــغير الصغائر

أولئك الذين يدركون أن كل سلطان زائل ٠ وانه ما دام الكرسى لم يدم لغيره فانه لن يدوم له ٠ وانه لولا تنقل المنصب من سلف الى خلف لما وصل اليه ٠

ولكن اغلب أصحاب الكراسى لا يكادون يصلون اليه حتى ينشبوا فيه أظافر نمر وتروح أعينهم تتقلب فى الجهات الأربع تبحث فى ذعر مرهوب عمن سيطيح بهم عن كراسيهم ٠ وأمثال هؤلاء يصبحون خدماً للكرسى ولمن وضعهم عليه وينصرفون عن كبريات الأمور التى ينبغى أن يصرفوا اليها هممهم وجهدهم وتفكيرهم ٠ فتميل الموازين وتتدهور أحوال البلاد ٠ ويصيب الناس القحط ويصبح أمرهم بورا ٠ ويحطم أوليـاء الأمور هذه الأمور ويدمرونها تدميرا ٠ وكيف لا وهم لا عمل لهم الا ارضاء أفراد لا جماعات ولا عمل لهم الا أن يبقوا فى كراسيهم الى أن ينتقلوا الى الواحد الديان وويل لهم كل الويل حين ينتقلون الى الواحد الديان يومئذ تعرف كل نفس ما قدمت وما أخرت وهم ما قدموا شيئا أو أخروا كل جليل كريم وهم عدوا وما عدلوا ، ومالوا وما استقاموا ، وهانوا وما تابوا ، وذلوا فما كبروا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ٠

الأهرام ١٩٨٨/١/٣

الحـــق كلمـــة

ويقول قائل انك منذ شهور تطالع القراء بوجه متجهم ، وقلم متشائم، ونفس مظلمة ، وروح غاضبة ، ويقول القائل : والذى نعرفه ان الكاتب وجه مشرق متفائل ونفس مضيئة وروح شفافة بالنور .

ويل للشجى من الخلى . انما الكاتب كلمة وطنه وتعبيره ودعاؤه وصيحته وليس على الكاتب بأس ان تضج نفسه بالآمال الكبار لوطنه والتى يعلقها الشعب بحاكميه .

ولا عليه اذا هو ضاقت نفسه حين يرى بعض القائمين بشأن الأمور الجسام يتركون العظائم للصغائر ، ويميلون عن كبريات المشكلات ليهتموا بتوافه الأشياء . وكيف لا نغضب حين نرى الكتاب يكتبون والأراء تتزاحم على أبواب الوزارات ونجد الوزير يبحث عن مظاهر هينة ضئيلة ؟ وكيف لا نغضب حين يتكلم الشعب فى حاضره ومستقبله ويطالب كتابه بالبيان أو الرأى أو الحقائق فاذا الوزارات تغضى عن أقوال الكتاب وكأنهم ما قالوا وما طالبوا وما سألوا وما استفسروا أو استبينوا ؟ .

وكيف لا تتولى نفوسنا القتامة حين نجد كثيرا من الوزراء بعيدين عن الشعب غاية البعد وكأنهم فى صحراء جرداء يسكنها الفراغ ويعمرها الهواء .

وكيف تضىء أرواحنا ونحن نرى بعض الوزراء يتكلمون الى الشعب، وكأنهم متفضلون بالحديث غير مدركين أى شرف ينالون حين يتكلمون الى الشعب الذى هو مصدر السلطات والذى أتى بهم الى كراسيهم .

وكيف نتفـــاءل ذا رأينـــا بعض الوزراء وقد تســـمرت عيـــونهم الى أعلى لا يحاولون مطلقا أن يصرفوها الى ما يعانيه الشعب وما يشغل ناس مصر من أمور مصر .

الكاتب هو هذا الشعب • وهو روحه • والكاتب يقول في غير تفاؤل وفي غير تشاؤم • وانما يقول الحق الذى يراه والذى يثق به ضميره فما هو بقارىء طوالع حتى يميل الى تفاؤل أو تشاؤم وانما هو قارىء لنفوس البشر الذين يعيش معهم ثم هو بعد ذلك قلمهم وصيحتهم • جزء نابض هو منهم ان صمتوا قال وان حزبهم اليأس جاهد هو في اصرار ، وما جهاده الا كلمة وما الكلمة بالشيء القليل •

فالأديان قامت على الكلمة • والكلمة هي التى اختارها الله لتكون معجزة سيد الأنبياء الخالدة على وجه الزمن حتى يرث الله الأرض جميعا ومن عليها •

وحين سلط الطغاة أسلحتهم على مصر • منعوا الكلمة فابت أن تمتنع ومالت عن القول السافر الى القول المتشح بالرمز فكانت الكلمة أعظم ما واجه الطغيان وأعقد ما حيره في أمره • لأن الكلمة أقوى من المدفع والصاروخ • وخاصة اذا كان الصاروخ من صنع المدعين الكاذبين الواهمين الذين أطلقوا عليه القاهر والظافر فما قهر ولا ظفر ولا ترك الأرض ولا صعد الى الهواء ولا أقول السماء • فأين هو وأين صانعوه من أي سماء مهما تقازمت واقتربت •

واليوم الكلمة متاحة تتسع لها صفحات الجرائد وأصوات الاذاعة والتليفزيون طليقة هي الكلمة حرة لا يردها عن سمع الزمان قهر أو عنف أو جبروت • ولكن الحرية على عظمتها غاية ووسيلة في وقت معا فاذا نحن لم نقل والعهد حر • كنا لأنفسنا خائنين وكنا لبني وطننا أكثر خيانة •

عند القهر يفرض الحاكم الصمت والتجمد على الناس جميعا الا هو وزبانيته • فيصبح الوطن ملكا لهم مغتصبا ويصبح الشعب وهو المالك الشرعي لا يملك من الأمر شيئا فان أسكتته الأسلحة الضارية والعدوان على العرض والنفس والمال فهو في سكوته الظاهرى معذور لا لوم عليه ولا تثريب •

اما اذا انفسحت آفاق الحرية للشعب وصمت فان صمته عندئذ جريمة في حق نفسه وفي حق وطنه جميعا •

واذا ظل يقول فلا يقول الا مديحا كان منافقا • والنفاق لا يكون من صفة الشعوب أبدا • قد ينافق الفرد شعبا وقد ينافق الشخص الواحد سلطانا أو صاحب منصب ولكن الشعب كشعب هيهات ان يكون منافقا

أبدا . بل ان له دائما كلمته . يحاول الطغاة أن يقمعوها فيأبى ويقولها فى رواية أو قصة لها من الرمز ستار واه تخترقه العيون والقلوب والأفهام . فان أعجزته الرواية أو القصة لجأ الى النكتة يطلقها على الطغاة نارا حامية .

وما عرف الناس على مدى التاريخ شعبا نافق وان عرف التاريخ وكثيرا ما عرف شعوبا ردت عن نفسها عادية الطغاة بالصمت فى ظاهر الأمر ولكنه صمته مرتفع الصوت أشد فى جبروته وفى مهابته من الضجيج .

ونكون ظالمين اذا لم نذكر ان مصر تقدمت فى عهد الحرية تقدما رائعا وحسبك انك تمسك التليفون فيصلك الى أقاصى الأرض بعد ان ظل سنوات فى البيت شأن سقط المتاع يشغل حيزا ولا نفع فيه وازدادت الطرق عددا وتعالت الكبارى وتقدمت الصناعة فى كثير من جوانب الحياة وتفتحت لنا منافذ الحياة وتواصلت بين مصر وبين دول العالم الثقافات وأقبلت السياحة على مصر الآمنة .

نذكر هذا جميعا . ولكن التقدم يغرى بالتقدم . والنجاح يبعث الى مزيد من النجاح . وقد فوتت علينا سنوات الطغيان والعماية والجبروت سنوات هى من أعظم سنوات البشرية تقدما ولا نجاة لنا من الأزمات الا ان نلهث حتى نسترد ما فاتنا وأخشى ما أخشاه ويخشاه معى الشعب أن يمسكنا عن انطلاقنا قوانين ضامرة هزيلة صنعها الطغاة لينافقوا بها الشعب وليقدموا بها الرشوة الى فئاته .

علينا نحن الكتاب ان نخاطب المشرع والفئات التى تسلمت الرشوة أن تعيد الى الوطن حقه المنتهب . ولن يكون ذلك الا بالعمل أصدق ما يكون العمل وبالانتاج أغزر ما يكون الانتاج .

وعلينا نحن الكتاب ان نبصر الشعب ان مجانية التعليم هزل لا جد فيه ولينظر الوالد الى ولده أحقا هو يتعلم علما أم هو يتعلم الجهل أبشع ما يكون الجهل . فشر أنواع الجهلاء جاهل يجهل انه جاهل . وهذا ما تصنعه المدارس بأبنائنا اليوم . فهى تعلمهم الجهل لا العلم .

ولينظر الوالد الى ولده أحقا هو يتعلم مجانا أم الدروس الخصوصية تنفض عليه بأسنانها الضارية الشرسة .

وهكذا نجد أن قانون مجانية التعليم أفاد الأغنياء وحدهم أولئك الذين يطيقون مواجهة الدروس الخصوصية وهكذا أيضا ينعدم مبدأ تكافؤ الفرص . وأين التكافؤ حين ينجح الغنى لأنه قادر على أهوال الدروس الخاص ويسقط الفقير لأنه عاجز عن استجلاب المدرسين أو الأساتذة .

وكيف يتاح لنا أن ننطلق في طريقنا ان كان حتما علينا أن ننفذ قانون تعيين كل الخريجين .

هيهات هيهات أن نتمكن من السير حتى وإن كان ونبدأ ونحن مكبلون بقيود نعلم انها هازلة ماجنة وانها ما وضعت الا ذرا للرماد فى العيون . والرماد فى العين قذى يمنع عنها الرؤية ولكن قليلا ما يبقى فما هى الا دمعة صافية رقراقة حتى يزول ويكشف الله عن الانسان غطاءه فاذا بصره حديد .

سبحانه جل شأنه هو الهادى الى سواء السبيل وهو من يلهم عباده الصراط المستقيم .

الأهرام ١٩٨٨/١/١٠

أطلس تاريخ الإسلام

لا يزال الكبار يظهرون علينا بأعمال تعيد ثقتنا فى الحياة : ها هو ذا د٠ حسين مؤنس يطلع على التاريخ والعالم أجمع بواحد من أعظم الأعمال الثقافية فى حياتنا جميعا الماضي منها والحاضر والمستقبل ٠ قد صدر له فى هذه الأيام أطلس تاريخ الاسلام وهو أطلس ضخم يقع فى أكثر من خمسمائة وعشرين صفحة من القطع الكبير ٠

ولو أن دولة مثل أمريكا تصدت لعمل مثل هذا لأنشأت له مؤسسة قائمة بذاتها ولكن الدكتور حسين مؤنس قام وحده بهذا العمل العملاق يعاونه فى ذلك رهط قليل مختص بالاخراج الفنى والمراجعة التاريخية وان الأمانة تقتضينى أن أذكر جميع الذين عاونوه ٠

كان رئيس التحرير أحمد رائف صاحب مؤسسة النشر التى تفضلت بنشر الأطلس غير ناظرة الى الكسب المادى لأن استعادة ما أنفق على هذا الأطلس تستغرق لا شك وقتا طويلا ٠

مساعد رئيس التحرير : محمود حلمى ٠

تصميم ورسم الخراط : جيوفانى دى اجوستين ومحمود حلمى — مرسم خرائط الزهراء ٠

والاخراج الفنى

عصمت داوستاشى

تصميم الغلاف : أ٠ عبد السلام الشريف ٠

متابعة المادة التاريخية على الخرائط : أ٠ أحمد عادل كمال ٠ أ٠ أحمد رائف د٠ صلاح عيسى ٠ د٠ وجيه عتيق ٠ د٠ عبادة كحيل ٠ د٠ محمود عرفه ٠

رئيس لجنة اللغة العربية وترتيب الفهارس : عبد الحكيم خاطر .

رئيسية السكرتارية والمتابعة : سحر الطويجى .

رئيس التجهيزات الفنية : شعبان حسن .

الخطوط العربية : المرحوم عبد المنعم الشريف ، محمود منصور مصطفى البنا ، ماجد محمود .

الاشراف المالى : أحمد الموجى .

هذا هو الرهط الكريم الذى خرج على العالم أجمع ولا أقول على العالم العربى وحده أو العالم الاسلامى وحده بهذا العمل العملاق .

ولا شك أن الدكتور حسين مؤنس الذى قدم الى المكتبة العربية كتبا رائعة فى التاريخ والأدب والسياسة يستحق منا كل اجلال واكبار وتعظيم لهذا العمل المتفرد الذى قام به . فقد استطاع فى مقدرة فائقة أن يربط أحداث التاريخ الاسلامى جميعا ويثبتها على خرائط فى وقت معا .

بل انه استطاع فى قدرة المؤرخ المتعمق صادق النظرة أن يفسر الأحداث تفسيرا جديدا غير لذى عرفه الناس واستقروا عليه .

ويقع الأطلس فى عشرين فصلا :

الفصل الأول : مدخل فى علم الخرائط عند المسلمين .

الفصل الثانى : مراحل انتشار الاسلام فى العالم حتى اليوم .

الفصل الثالث : جداول تاريخية مقارنة لأهم أحداث التاريخ الاسلامى وتعاصر الدول الاسلامية منذ ظهور الاسلام حتى آخر القرن الرابع عشر الهجرى .

الفصل الرابع : العالم قبل الاسلام .

الفصل الخامس : السيرة النبوية والعصر النبوى ويشمل شجرات الأنساب لعدنان وقيس بن عيلان بن مضر بن نزار وكنانة وقريش وعبد شمس ابن عبد مناف وعبد المطلب وعبد العزى بن قصى وشجرة نسب

أبى بكر الصـــديق وشجرة نسب بنى سهم بن عمرو بن كعب ابن هصيص ومخزوم بن يقظه بن مره ونسب قحطان ونسب الأزد والخزرج بن حارثة وأنساب الأوس ·

الفصل السادس : الفتوحات الاسلامية ·

الفصل السابع : الدولتان الأموية والعباسية ·

الفصل الثامن : المغرب والأندلس ·

الفصل التاسع : شبه الجزيرة العربية ·

الفصل العاشر : الجناح الشرقى لدولة الاسلام « ايران » ·

الفصل الحادى عشر : الهند الاسلامية ·

الفصل الثانى عشر : الحروب الصليبية ·

الفصل الثالث عشر : المسلمون فى البحر المتوسط ·

الفصل الرابع عشر : مصر والشام ·

الفصل الخامس عشر : مصر ·

الفصل السادس عشر : مصر والسودان ·

الفصل السابع عشر : الدولة العثمانية ·

الفصل الثامن عشر : الاسلام بوسع عالمه ·

الفصل التاسع عشر : الاقتصاد وطرق المواصلات والحج ·

الفصل العشرون : عالم الاسلام فى العصور الحديثة ·

وبعد فلا أملك الا أن أزجي التهنئة الخالصـــة الى الدكتور حسين مؤنس واذا كان يدخل الى قلبه شيئا من السرور جزاء ما أنجز من عمل متفرد عملاق انه جعل الأمل ينتعش في نفوسنا نحن المصريين ان مصر ما زالت على عهد الغالم بها البلد المعطاء برجالها الاعلام المصابيح · فليسمح لهذا السرور ان يراود جوانحه واذا كان شكر مثلى انني وجدت فى هذا العمل الفذ بارقة أمل فى خياتى انها لم تنفذ بعد وانه ما دام رجل فى

مثل سن الأستاذ العظيم د. حسين مؤنس ومع نظره الذى لا يسعفه كل الاسعاف قد استطاع ان يقدم مثل هذا العمل الذى لا يطيق ان يواجهه الا الجماعة ذات القوة الأيدى والأصرار ان كان مثل هذا الشكر يرد اليه بالعرفان بعض جهـــده فها أنذا أقدمه بين يديه وأدعو له بطول العمر وبالصحة والعافية . وعند الله ما قدم وعند الناس أجمعين .

الأهرام ١٩٨٨/١/١٧

بين القيمـة والشـهرة

ما الحياة اذا لم يسع الانسان فيها الى النجاح كل النجاح · والنجاح عند الناس ألوان وأشكال وفصائل · ويختلف من فرد الى فرد اختلاف البصمات فى الأصابع ·

من الناس من يتمثل النجاح عندهم فى المال وهؤلاء أشقى البشر ·· فالمال عز ومتعة الا أن يصبح فى ذاته غاية لا وسـيلة للحياة المرفهة الكريمة · أما اذا أصبح هو النشيدة والأمل والهدف فانه ينقلب الى ذل وهوان ويصبح الانسان بفضل حبه له حقيرا على نفسه وعلى الناس ·

اذكر ان كان لنا دين على أحد الأثرياء نشأ من أنه اشترى أرضا كان أبى يستأجرها فحين توفى أبى كان لنا على الأرض بعض حقوق مالية وكان الرجل ثريا ثراء فاحشا وكان المبلغ زهيدا بالنسبة اليه أذكر انه كان مائتى جنيه أو قريبا من ذلك ·

ولما كان هذا المال حقى وحق الورثة جميعا فقد اضطررت ان ألاحقه شهورا حتى جاء الى بيتنا بغزالة أخرجت الكمبيالات وأخرج هو المبلغ ولو اننى سكت لانقضى الأمر بسلام ولكن لماذا لا أتفلسف قلت للرجل على سبيل المباسطة :

ـ يا فلان بك الانسان اما كرامة واما فلوس ·

واذا الرجل يقول فى بديهة حاضرة وفى سرعة خاطر منقطعة النظير ·

ـ أنا بالذات الكرامة لا تلزمنى مطلقا ولا أنا أريدها ولا أحتاج اليها ولا أفكر فيها ووجدت نفسى بسذاجة الشباب الباكر أمزق الكمبيالات وألقى بها الأرض وأنا أقول له ·

ـ وأنا لا أريد حقى ان كان عند رجلا بلا كرامة ·

ويعجز قلمي حتى اليوم عن وصف السعادة التي طفرت على وجهه وهو يصيح ·

ـ الله يخليك ·· الله يطيل عمرك ·· عاجز عن الشكر ·

وقام مسرعا الى باب الخروج مذعورا ان أتراجع عما فعلت ·· لست أنسى وكيف انهال على وكيل أعمالنا وكنت أعامله معاملة الوالد قد عرفني وأنا طفل وليد. وكان ذا مكانة في القرية واحترام ووقار لست أنسى كيف انهال على بالتأنيب قائلا :

ـ أمثل هذا الحلوف تعامله هذه المعاملة انك لو ضربته على قفاه في سبيل المبلغ الذى لنا عنده لكان أسعد الناس ·

والحقيقة انه قد مر على هذه الواقعة أكثر من ثلاثين عاما ما خامرتنى فيها لحظة أسف على ما فعلت ويخيل الى انها لو تكررت اليوم لما صنعت الا ما صنعته في ذلك اليوم ·

وقد يتمثل نجاح الانسان في الشهرة والذكر البعيد ، ولا بأس عليه ان فعل وربما تكون فكرة الشهرة هي التي حفزتنى ان أكتب هذا الحديث اليك ·

فللشهرة ويلات ومحاذير ، فويل كل الويل لمحب الشهرة ان حاول ان يسعى اليها من أى سبيل لا يرعى في سبيل ذلك خلقا ولا ضميرا ولا شرفا ولا كرامة ·

فالشهرة في ذاتها شيء عظيم وجدير بأن يسعى الناس اليه · ولكن المهم هو نوع الشهرة · فالمشاهير من المجرمين كثيرون في أنحاء العالم · أفشهرتهم هذه أمر يستحق أن يسعى الانسان الشريف اليه ؟!

ان الشهرة ان لم تقترن بالنبالة والشرف والسمو والكرامة فهى وبال على صاحبها · وويل لمحب الشهرة ان بذل ماء وجهه في الغرف المغلقة ليصبح على الملأ شهيرا ·

فالشهرة كرامة واحترام من الناس لصاحبها فان لم يكن صاحب الشهرة ذا كرامة عند نفسه وعند من يعاملهم من الناس فشهرته هباء لا قيمة له·وان لم يحترم طالب الشهرة نفسه فلن يحترمه أحد·فمن لم يكن عزيزا على نفسه فأولى به ثم أولى أن يكون عند الناس رخيصا محتقرا·

ولكل وظيفة فى المجتمع أدابها · وكثيرا ما يكون العزوف عن الشهرة مقوما أساسيا من أهم مقومات هذه الوظيفة فاذا سعى واحد من أهلها الى شهرة يكون سعيه كارثة كبرى لا عليه وحده ولا على أهل وظيفته وانما على المجتمع كله ·

فالقاضى اذا سعى الى الشهرة انقلبت موازين القضاء وويل للحياة اذا انقلبت موازين القضاء فالقضاء قبس من روح الله فعلى يديه يلتمس المظلوم رفع الظلم عنه وعلى يديه يتلمس المجتمع كله النجاة من الكوارث وبين الانهيار · والقاضى يمثل العدالة التى يرمز لها بصورة ملاك معصوب العينين لأن المفروض فيمن يقوم بشأن العدالة الا ينظر الى المتقاضين ولا الى صفاتهم ومكانتهم فى الحياة ولأنه من الحتم عليه الا يرى مصلحة شخصه تمثلت هذه المصلحة فى مادة أو فى شهرة · ان العدالة معصوبة العينين لأنها تستمد النور من داخلها فلا ترى الا حق الله ·

فاذا حكم القاضى فى قضية ثار حولها من الناس والمجتمع جدل وأحاديث وآراء وأقاويل بما يرضى هؤلاء الناس الجالسين حول المدفأة يقطعون الوقت ويمزقونه برأيهم حول القضية كان القاضى فيما فعل وبالا على الحق · تحطيما لمعنى العدالة · فهو فى حكمة قد رفع العصابة عن عين العدالة ونظر الى ما يجعله بين الناس شهيرا · والقاضى اذا فعل ذلك يكون قصير النظر لأن الشهرة فى مثل هذه الظروف لا تدوم اذ ريثما ينسى الناس القضية التى حكم فيها وما أسرع ما ينسى الناس القضايا بعد الحكم فيها · والشهرة لا تكون الا بين الناس · ولكن الحق دامغ · والحكم السيىء يلازم مصدره على مدى الحياة ·

وللشهرة خاصية عجيبة فهى ترفض الذى يلاحقها وتقبل على من يزهد فيها · فاذا لاحقها أحدهم أقبلت عليه بالسمعة المشينة التى تهين صاحبها ولا تكرمه ·

واذا كان هذا شأن القضاة مع الشهرة فهو أيضا شأن الأطباء معها · لأن الطبيب عند الناس ثقة وقيمة واحترام يضع الانسان بين يديه روحه وجسمه وحياته فان مس هذه الثقة ظل من هوان أو شاب نصاعتها شائب من شك سقط الطبيب فى حمأة مترديه من الضياع ، وان شهرة يكتسبها طبيب من طنين كاذب انما هى شهرة تؤدى به الى المهالك ولن يكسب منها الا احتقار العلماء له · فالطبيب أولا وقبل كل شىء عالم · والعالم قيمة كبرى · اذا كان بين العلماء مذكورا ولا يزيد العالم قيمة

ان يكون بين عامة الناس مشهورا . ففي كثير من الأحيان يصبح ذكر شخص واحد لعالم جليل أكرم وأعظم من ذكر آلاف من الذين لا يعرفون حقيقة العلم الذى يعمل العالم فى ميدانه . فالشهرة هنا لا قيمة لها ولا وزن انهـا الحقيقة العلمية وحدها هى القيمة . ومع الزمن سيصبح العالم مشهورا فى أقطار المعمورة كلها وليس فى بلده وحده . وستكون شهرته قائمة على أســاس علمى وليس على الاحتيال والدجل والطبل الأجوف والادعاء المتهالك . وكل هذا يحقر الانسان كانسان اما ان كان عالما فانه يقضى عليه القضاء المبرم .

ان السعى الرخيص الى الشهرة يعلن الى الناس ان ذلك الســاعى لا يثق بنفسه ولا بقيمته الشخصية وهيهات ان يثق أحـد بمن لا يثق بنفسه والأديب الشاب اذا سعى للشهرة باذاعة الأخبار عن نفسه بالضجيج الفارغ يصطنعه وبالطنطنة الرعناء وبالجلبة الجوفاء قد يصبح شهيرا عند الناس ولكن ما يلبث الناس أن يبحثوا عما كتب وعما قدم الى الأدب فان عادوا من بحثهم بالهازل من الأمر وبالهزيل من القول أصبح الكاتب الذى كان شهيرا أضحوكة بين الناس وأكذوبة . فالكاتب يكتب ليقول شيئا فان أصاب شهرة لما كتب فتلك اذن هى الشهرة الجديرة به والخليقة بمن يمسك القلم ويكتب الحرف . وليس القلم أو الحرف مجرد كلام وانما هو حياة بأكلمها .

والكاتب لا يكتب لجيله وحده وانما لأجيال قادمة لا تنتهى . واذا رحم المعاصرون ـ وما هم براحمين ـ فلن يرحم القادمون فى ضمير الغيب . فما بعجيب ان يكون الأديب بعيدا عن الغنى المادى فان الحياة لا تظلم ... الخالق جل وعلا هو العدل المطلق يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر . فان شاء سبحانه ان يقدر على الكتاب رزق المال فانه يبسط لهم بكريم عدله رزق القيمة بين الناس والاحترام فى العصر الذى يحيون فيه . ثم يبقى سبحانه ذكرهم حيا بعد ذلك على مدى العصور وما ربك بظلام للعبيد .

الأهرام ١٩٨٨/١/٣

السـلطة مسـئولية

لم تمض الا شهور على عودة العلاقات بين مصر والدول العربية حتى استطاع الرئيس العظيم حسني مبارك ان يحول أنظار العالم الى القضية العربية بصورة لم يسبق لها مثيل منذ سنوات طوال ٠

الكارثة الكبرى أن القائمين بالأمر في مصر لا يدركون الفرصة المواتية لهم بوجود محمد حسني مبارك في كرسي الرئاسة ٠ وبدلا من أن يعملوا على ارضائه بالعمل يحاولون ارضائه بتافه الأمور وهينها ٠

انما المنصب كرامة ٠ وتبـدأ الكرامة باحترام الذات ٠ واحترام الذات ان تعمل ما يرضى ضميرك ثم نتوكل بعد ذلك على الله ٠٠ فانك ان فعلت وصلت الى ما تسعى اليه من رضاء رئيس الجمهورية بل واعجابه أيضـا ٠

ان هذا الرئيس المبارك محبوب من الشعب بما وهب الله من سمت مصرى هو بطبيعته قريب الى نفوس الناس ٠ ثم هو من أعظم المصريين اخلاصا لمصر على مدى التاريخ ٠ لم يطالب في يوم مغنما لنفسه ٠ وما هو بصاحب زهو ولا تكبر ولا ادعاء وان كان صاحب وقار وكبرياء وصدق للناس وللنفس ٠

فما بعجيب أن يحبه الشعب فان يده دائما على نبض الشعب وقلبه يختلط بقلوب النـاس يشنـعر بآلامهم ٠٠٠ ويتعرف آمالهـم ، ويعنى بمريضهم ٠ ويسعف محتاجهم ويشجع نابغهم وعاملهم وكادحهم ٠ ما أنزل بأحد عقابا ٠ ولا سخط على هؤلاء القردة المتقافزين على صفحات الصحف من قومية الى معارضـة ولا ضرب الأقزام من الأطفـال والشيوخ الذين يحاولون أن يتسلقوا على مكانته العملاقة البالغة أسباب السماء ٠

ما بعجيب أن يحبه الشعب ٠ وقد عاش عمره بيننا شريف الماضى نقيه عفيف الحاضر وضيئه ٠ مصرى الآمال مخلصها ، عاملا على تحقيقها بالخلق الأرفع وبالمثل الأعلى ٠ وبالجهد لا يستريح لحظة ٠ وبالقلب لا يهدأ

هنيهة ... وبكيانه كله يضنيه ويحمله فوق ما يطيق بشر من أجل مصر ومن أجل العرب أجمعين . لا يتغيا لنفسه منفعة خاصة . ولا يطلب جاها فوق جاهه . ولا ينظر الى خارج مصر الا من أجل مصر . غير طامع فى زعامة عربية أو أفريقية ... وانما سعيه كل سعيه من أجل مكانة مصر والعالم العربى والأفريقى . صوالح هؤلاء جميعا متقدمة عنده على صوالحه .

يسمع أقوال الذين يتخابثون والذين ينافقون والذين يتكلمون من جيوبهم وحساباتهم فى البنوك والذين يثارون من حكام سابقين فى شخصه وهو مما ارتكب قبله برىء جدير أن يقول مع الشاعر العربى القديم :

لم أكن من جناتها ــ علم الله ــ وانى بحرهــا اليوم صــال

يلاقى هــذا جميعه ويقف بخلقه الأمثل كالطود الأشم لا تهتز له شعرة ولا يميل له ميزان ولا ينزل عقابا بسليط اللسان ، ولا بمهزول الأمر حقير الشأن يريد أن يكبر على حسابه . ولا بمخلوط العقل ممرور النفس مختل الميزان .

فما بعجيب أن يحبه الشعب .

وهو لم يكن فى يوم قهرا ، وما شهدنا طغواه لحظة . وما رأيناه يقتل أو يعتقل ، أو يصادر ، أو يماكر ، أو يعتدى على نفس أو عرض أو مال .

فما للشعب الا يحبه .

وما لكم أنتم يا من اختاركم لتقوموا على أمور هــذا البــلد الأمين الا تؤدوا واجبكم تحت رئاسة هى بالنسبة لكم ولمصر فرصة نادرة وأين أنتم واجدون رئيسا كل قلبه لمصر ، وكل آماله بعيدة غاية البعد عن صوالحه الشخصية ومآربه الذاتية . وليس أداء الواجب لمصر عنده بأن تهتف له وتنشر له التحايا والمباركات وترسل البرقيات بالتهنئات العاطرات وليست هى عنده بالخطب العصماء ولا بالمدائح الحافلة بالمبالغات . ولا هى باللقاء عند سفر ولا بالاستقبال عند عودة .

انها الواجب الذى يريده الرجل ولا يريد غيره هى ان تنظروا الى صوالح هذا الشعب والى حاضره فى أزمته الطاحنة والى مستقبله المحفوف بالأخطار .

الواجب الذى يرضيه ويجعله يرضى عنكم . والذى يرضى الله من قبل والذى ينبغى أن يرضى ضمائركم . أن يتقدم نفع مصر على منافعكم الخاصة . وألا تكون الصداقة والصلات الشخصية هى دافع القرارات منكم بالمنح والاعطاء . والا تكون العداوة الشخصية والتباعد النفسى هى دفع القرارات منكم بالمنع والحرمان .

الواجب منكم الا يصدر عنكم قرار باختيار شخص لوظيفة كبيرة كانت أو صغيرة الا بعد الوثوق كل الوثوق انه جدير بالمكان الذى سيشغله وانه سيضفى على المنصب الاحترام لا الاحتقار والعزة لا الذلة والاكبار لا الهوان .

الواجب منكم الذى يجعل الله يرضى ورئيس الجمهورية والناس أجمعين أن تثيبوا المحسن وتوفروا له فى احسانه الأمان . وان تحترموا الأمين وتحيطوا أمانته بالحصانة وتذكروا بيت شوقى :

لا تنيبوهــــا على ما قلدت   من أياد حسدا أو شــــنانا

والواجب أن تعاقبوا المسىء اذا قبل رشوة أو أهمل أو أساء الى أى فرد من الشعب أو الى الشعب كله فى معاملته لمن ترجو مصر على أيديهم الخير والتقدم اقتصاديا كان هذا التقدم أو كان أدبيا وأنتم تعرفون كم من عاملين فى مصر أساءوا اليها أبلغ الاساءة وأفدحها .

وانما الأمة رجالها وليس هناك أمة تقدمت الا برجالها والعاملين فيها وكل وزير مسئول عن وزارته جميعا فليست الوزارة سيارة وحارسا وتليفون سيارة وليست الوزارة وجاهة ومنظرا وتقدما للصفوف انما الوزارة مسئولية وكرامة . وكما أكرمتك الدولة فانها تسائلك لأنك أنت كوزير مفروض فيك أن تسائل كل الموظفين فى وزارتك من أكبر موظفيها الى أصغر موظف ومن حدود مصر الشمالية الى حدودها الجنوبية ومن حدودها الشرقية الى أقصى حدودها الغربية ولن تستطيع هذا الا اذا أحسنت اختيار معاونيك كما لا يستطيع رئيس الوزراء أن يقوم بمنصب رئاسة الوزراء ان لم يحسن اختيار وزرائه . فان الوزير بعد أن يتم تعيينه تصبح مسئوليته كاملة عن وزارته . ولا يجوز للهيئة التشريعية أن تسأل غيره فى شأن من شئون وزارته .

انه ـ والله الذى لا اله الا هو ـ لولا ثقتى ان الرئيس حسنى مبارك يعرف مواطن الصدق فى الحديث ومساقط النفاق لامتلأت نفسى خوفا

على مصر · ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يرعاه بنور البصيرة وسلامة المقصد ومن كان الله يرعاه فانه لا يفلح معه خداع ماكر ممن تحركهم رغبة السلطان أو البقاء فى السلطان ·

وعند الله المرفا وفى ظلاله الملاذ وهو القـــادر سبحانه ان يثبت المخلصين على طريق الهداية وعلى الصراط المستقيم جل علاه ·

الأهرام ١٩٨٨/٢/٧

الزمن المخدور

اذا كان الزمن كيانا نحن خلاياه فهو زمن مخدور أدمن الكوكايين والهيروين وكل ما يستعمله المخابيل ليخدروا مشموما كان ما يتعاطونه أو محقونا أو مبتلعا ٠ وكان قدرنا المقدور ان أصبحنا نحن الخلايا مدمرين بفعل الزمن وبلا اختيار منا ٠ لكن تشاء حكمة المولى سبحانه الذى عرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان أن يجعل لنا من زماننا ملاذا ومن خباله نجاء ومن خدره وقاء وصلاحا ٠

هناك عند البيت المقدس وفى الرحاب الطاهر وحـول بيت الاله جل جلاله تشعر الخلية التى هى الانسان ان الله يعيدها وليدة من جديد نقية كماء المطر ، بريئة من الدمار كيوم خلقت ٠ هناك حين تتألق روح الخالق بالأفق الأسنى من الرحاب القدسية يحس الانسان انه أقوى من الزمن وخدره ومن هبوطه وغدره ويعود الانسان انسانا يمشى على الأرض بجناحى ملك ويسعى بين الناس بقلب ملؤه النور والألق الأسنى وشلالات الضياء ٠

هناك يشعر الانسان ان الدنيا كلها لا تساوى تلبية واحدة الى رب السماوات وان الأرض دنيا وان للروح الى العليا وشيجة هى أكرم ما فى الكيان الانسانى من نبض وأعظم ما فيه من معنى ٠ وان الدنيا كلهـا وزمنها المخدور وناسها الذئاب يتلاشون كما يتلاشى الحلم فى صباح الحقيقة وكما يتبدد الخيال فى نهار الواقع ٠ وتصبح مادة الانسـان الدنيوية وكأنها وهم ، وتصبح الشرور كلها من الناس وكأنها ما كانت ، هناك تنقلب المادة الى وهم وتصبح الروح هى الحقيقة الوحيدة فى مشاعر الانسان وفى وجوده ٠

وعند البيت المقدس تشف أرواحنا متعلقة بالملأ الأعلى وحين تنحسر الموجة الطاغية من أنسام الروحانية الشفيفة نعجب غاية العجب كيف تجرأ أقوام أن يتخذوا هذا الدين الروحانى الرءوف حجة لمقتلة الناس ووسيلة للوصول الى حكم دنيوى لا يزعهم وازع من كلمات الله ٠ ولكنه

الزمن المخدور دمرهم فجعلهم خـــلايا سرطانية مقبوحة مشوهة النفس والخلق جميعا ٠

وتسعى بنا الطائرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقف أمام قبره نحن فى مكة نقف مخلوقات أمام بيت الخالق فنحن هناك ذرات من هباء امام العظمة الالهية الكبرى حتى اذا بلغنا النبى أصبحنا بشرا أمام بشر ولكن هيهات فأين نحن بأخطائنا وأوزارنا أمام النور المطهر الذى قيل عنه انه أوشك ان يمسك الشيطان ٠ ويكبله ولكنه أبى ليتحداه أن يتجرأ على الاقتراب من رحابه ٠ وغالبه فغلبه فهو المعصوم وحده ٠ ومن معصوم بين البشر الا هو ٠ وهو القناة التى اختارها الوهاب لارساله الالهى وهو من وهب نفسه للحق فأكرمه الحق ٠ وهو الذى نفى الدنيا عن ساحته وهو المطهر وهو آخر من وصل السماء بالأرض وهو الذى ترتجف للمثول به يديه والوقوف أمام سدته ٠ وهو الهيبة وهو التواضع يتــأتى اليه رجل يريد أن يسلم بين يديه فترتجف أوصاله ويرده نور الرسول عن التقدم وتقيده هيبته عن السعى فاذا الرسول يدرك ما به فيقول له فى تواضع لم تعرف له البشرية مثيلا : « ادخل فما أنا الا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة » يا صلاة الله عليك وسلم أأنت هـذا فقط ٠ وتأبى أن تذكر انك المختار وانك مستقبل كلام الله لتنشره على البشر كافة وعلى أجيال الزمان وانك المثل الأعلى للبشرية وانك سـيد الأنبياء وخاتمهم وآخر من أبلغ رسالة من السماء الأرض يا صلى الله عليك وسلم ألم يقل عنك خالقك « انك لعلى خلق عظيم » فماذا لنا من بعد أن نقول ٠ واقف أنا أمامه أتشفع به وهو المشفع وتنهمر الدموع وترتجف الأوصال ومع كل قطرة دمع يغتسل القلب وتضىء النفس ويشرق كيان الانســان فاذا هو ملائكى النبض تسرى الدماء فى أعراقه نورا وضياء وسنى ٠ وتصبح الخلية التى دمرها الزمن المخدور صحيحة الشـكل وضيئة المظهر مطهرة المخبر ٠

وحين أعود الى الانسان أعجب من الانسان كيف سولت له نفسه أن يكون وهو المسلم حربا على المسلم ٠ وان يكون وهو الانسان حربا على الانسان آى مكان يريد أن يرتقى والى آى مجد يبتغى ان يصل وهو فى لحظة لا يعرفها منقلب الى ربه لا ينفع عنده مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ٠

انما شأن هذا الانسان فى الزمن المخدور انه قصير النظر غارق فى الضلال والوهم ولو لم يكن كذلك لرفت روحه الى هذا الملأ الأعلى من رحاب الله والى الحرم الطاهر من بيت النبى ومنبره والروضـة بينهما

ولا تقى الله ولكف عن الضلالة متسترا بالاسلام وهو الهدى ولما حاول ان يركب أجنحة الملائكة الى أرض الشياطين حاسبا ان الله لا يرى وهو الذى يعلم السر وأخفى ، أم يحسبون انهم يمكرون بالناس اذن فقد غاب عنهم ان الله هو خير الماكرين وسبحان الله ولا اله الا الله والحمد لله فى البداية والنهاية والى الأبد الأبيد وصلى الله وسلم على سيدنا محمد بن عبد الله ما غرد طير وما كان فى الانسان عرق ينبض والى أن يرث الله الأرض ومن عليها والى الأزل ٠

الأهرام ١٩٨٨/٣/٢٠

من سيطركم علينا ؟

أى زمان عجيب نعيش فيه . ما للناس وكل منهم له شأن يغنيه . وكل منهم يفر من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه . وكل منهم له قبلة هو موليها ، ليس بينهم من يشعر بالجماعة ، وليس فيهم من يفكر فى الوطن . ترى أيخشى الانسان منهم أن يفكر فى مصر فترين عليه الكآبة ويتولاه السقم والسأم . أين شعور المصريين بمصر ، وان لم يقفوا بجانبها وهى تعانى ما تعانى فمتى يكون الوقوف منهم .

أهؤلاء المصريون اليوم هم أبناء الأبطال من ثورة ١٩ . وأولئك الذين تحدوا الموت والجبروت والسلاح المشهر والامبراطورية التى لا تغيب الشمس عن أملاكها كلما قارنت أبناء اليوم بأبطال الأمس قلت مع أبى نواس :

أين النجوم التاليات ... من الأهلة والبدور

أين القليل بنو القليل ... من الكثير بنى الكثير

وكلما فكرت فى المصريين اليوم وقارنتهم بالمصريين فى زمن الأبطال ذكرت البيت العربى الأصيل :

فان يك بحر الحنظليين واحدا ... فما تستوى حيتانه والضفادع

فماذا أصاب المصريين وما لهم وقد أصبح اهتمامهم ـ جل اهتمامهم ـ بتافه الأمور وساذجها .

أيجتمع شباب متعلم يدرس بالجامعة ويتسلح بالمسدسات والجنازير ليهاجم اخوانا له يستمعون الى موسيقى فى حرم الجامعة .

أى عصر هذا ؟ ومن زعماء هؤلاء الطلبة ؟ وماذا يخططون لهم ؟ وأى صورة مشوهة مطموسة المعالم مقبوحة السمات يقدمونها للعالم عن مصر .

هل حلت مشاكل مصر جميعا ولم يبق الا الاستماع الى الموسيقى حتى يجيشوا لها الجيوش ويسيروا لها الزحوف ٠

ومن حرم الموسيقى وعلى أى نص يعتمدون فى حربهم هذه غير المقدسة الا ساء ما يفكرون وشاه ما ينفذون وهانوا فان أمرهم كان فرطا ٠

ألم يطلب الاسلام أن يعلن الزواج بالدف وما الدف ؟ أليس موسيقى ٠٠ فى أى حديث ولا أقول أية حرم الاسلام الموسيقى ٠

أهى الموسيقى التى تنحرف بالشباب الى المخدرات ؟ أهى التى تدفعهم الى السرقة والاعتداء على الحرمات والبعد عن الثقافة والعزوف عن الجاد من الحياة الهازل التافه من الأمور ؟

أتكونت جماعات الارهاب فى طول مصر وعرضها لتحارب الموسيقى ؟ أأطلقوا اللحى وشهروا السلاح ليضربوا المستمعين الى الألحان ؟

فماذا هم قائلون عن الألحان الدينية ٠٠ أهى أيضا كفر والحاد ٠ الا انما السوء هو ما يصنعون وأى سوء أبشع من أن يظهروا الدين الاسلامى بهذه الصورة أمام العالم ، ألم يقل رسول الاسلام والبشرية « من أحل حراما أو حرم حلالا فليتبوأ مقعده من النار » أو كما قال وهم لم يكتفوا بتحريم حلال أو تحليل حرام ٠ انما هم حاكموا وتداولوا وتسلحوا وهجموا ٠

أهذا هو الاسلام فى أى شرع ، أو فى أى مذهب وجدوا هذه الأحكام٠

ان الاسلام الخالد الباقى على الزمان عظيم ورائع انه الدين الذى لم يجعل بين الفرد والله وسيلة ولا شفيعا ٠

انما نؤدى فرائضنا متجهين الى الله وحده واذا حزبنا من الدنيا مكروه نتجه الى ساحته وحده ٠ نناجيه فى نفوسنا تضرعا وخيفة ٠ اليه وحده تتجه قلوبنا وصلاتنا ودعاؤنا ، وهو وحده الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ٠

فما بال أقوام جهلوا الاسلام يريدون أن يقيموا أنفسهم مسيطرين على ديننا وعلى الصلة الكريمة الرفيعة بين العبد وربه وعلى الوشيجة العليا السامية التى تصل الانسان بخالقه جل وتقدست أسماؤه ٠

ان دينا لم يوسع على الناس كما وسع الدين الاسلامى على أتباعه وكفى سعة علينا أن الله سبحانه وتعالى جعل الأرض جميعها مسجدا نقيم عليها صلاتنا اليه ٠

لا رهبانية عندنا ولا طقوس اللهم انما هو وضوء يمثل فى ضمائرنا الطهارة فى الجسم والنفس جميعا ٠٠ وركعات وضيئات نتوجه بها الى سماواته العلا ٠

ثم الدين المعاملة ٠ معاملة الانسان لنفسه ولولده ولأهله ولقومه ولاخوانه ولزملائه ولوطنه ٠

فأين أنتم من الدين حين تهاجمون اخوانا لكم عزلا بلا سلاح فى أيديهم ٠ وأين أنتم من الدين حين تثيرون الفتن بين ربوع وطنكم وأين أنتم من الدين وأنتم تشوهون الدين أسوأ ما يكون التشويه وتدمرون الأمن والطمأنينة فى نفوس أبناء وطنكم جميعا مسلمين وغير مسلمين ٠

ومن نصبكم قضاة على ديننا والله سبحانه هو وحده من يحاسب الناس فى دينهم وهو جل جلاله من يقول لنبيه فى آيات بينات « لست عليهم بمسيطر » ويقول « انما عليك البلاغ وعلينا الحساب » والآيات متواترة فى هذا المعنى تخاطب سيد البشر وحامل الرسالة والذى نزل عليه القرآن بالحق وبالحق أبلغه ٠

الا ثوبوا الى الرشد منكم وعودوا الى الاسلام فقد بعدتم عنه وشططتم وحملتم أنفسكم من الأوزار ما لا يطيقه بشر ٠

هدى الله ضلالكم فانه سبحانه هو الهادى الى الصراط المستقيم ؟

الأهرام ١٩٨٨/٣/٢١

أرخبيــل الــوزراء

الأرخبيل مجموعة من الجزر منفصلة . وقد وثب اسمها الى ذهنى وأنا أرقب حال مصر فى أيامنا هذه . فأنا أرى ان السلطات فيها منفصلة عن بعضها البعض كل الانفصال . وان جاز هذا لسلطة القضاء فما أحسبه جائزا للسلطة التشريعية والتنفيذية .

فانى أرى السلطتين تعمل كل منهما بعيدا عن السلطة الأخرى . وتلك عجيبة فى الحياة الديموقراطية . وليس الانفصال تأييدا أو معارضة وانما هو بعد كل من الطريقين عن الآخر .

أما أعجب ما يثير دهشتى هو أرخبيل الوزراء . فالوزارة فيما أعلم مسئولية تضامنية . فالسياسة العامة لكل وزارة هى مسئولية مجلس الوزراء مجتمعا . أى انها مسئولية كل وزير . فما ينبغى أن يكون الوزير مسئولا عن وزارته وحدها . وانما هو مسئول عن السياسة العامة لكل الوزارات الأخرى . لأن مجلس الوزراء مسئول عن السياسة العامة لكل وزارة على حدة . فمجلس الوزراء هو صاحب الفلسفة العامة للوزارات كافة . والوزراء يتفاوضون الأمر فى هذا المجلس بشأن جميع الوزارات ويصلون فى شأن هذا الأمر الى فلسفة سياسية واحدة .

مجلس الوزراء ليس مسئولا عن طريقة تنفيذ هذه الفلسفة فى كل وزارة فهذا من اختصاص الوزير . انما الفلسفة العامة للحكم هى مسئولية مجلس الوزراء . واذا رأى الوزير أن السياسة العامة للوزارة تختلف عن وجهة نظره الخاصة فعليه أن يقدم استقالته على الفور .

تستطيع ان تلقى أى وزير فترى صدق هذا الذى أذهب اليه . نجد الوزير يعرف كل شىء عن وزرته هو . وليس يدرى شيئا عن سياسة الحكومة .

وتلك عجيبة من عجائب الزمن . ما شهدنا مثلهـا فى أى حـكم ديموقراطى .

ان علماء القانون الدستورى يقولون ان الأمور العامة تعرض جميعها على مجلس الوزراء ويدلى كل وزير فيها برأى فاذا حدث ان أدلى أحد الوزراء برأى فى موضوع عام وخالفته الأغلبية فان عليه اذا أدلى بتصريح صحفى فى هذا الشأن أن يذكر آراء خصومه ولا يذكر رأيه هو الذى رفضته الأغلبية وتلك هى الوحدة الوزارية كما نعرفها ٠

فان كان الخلاف حول موضوع جوهرى أساسى فى سياسة الحكم فعلى الوزير أن يستقيل أما ان كان الموضوع فرعيا لا يمثل اتجاها ذا شأن جليل فالمفروض ان يبقى الوزير فى مكانه من مجلس الوزراء فليس من المعقول أن يستقيل الوزير كلما حدث خلاف فى الرأى حول مسائل غير أساسية ٠ والا ما أكملت وزارة أياما فى الحكم ولتحطم الاستقرار ٠

والذى نشهده اليوم بعيد كل البعد عن هذا الفكر وعن هذه الفلسفة انما نشهد وزراء ولا نشهد فكرا واضحا لمجلس وزراء ٠

المفروض ان أسأل أى وزير عن السياسة الاقتصادية للوزارة مثلا فيكون على علم واف بكل دقائقها ٠ لأن السياسة الاقتصادية سياسة حكم بأكمله وليست سياسة وزير وحده ولا رئيس الوزراء وحده وانما هى مسئولية الوزراء جميعا ٠

والقى الوزراء ويدور بيننا الحديث فأجد الوزير أبعد ما يكون علما عن السياسة الاقتصادية ٠

وأعجب فالوزير ليس مجرد موظف رقى الى درجة وزير وانما هو سياسى بالدرجة الأولى وأهم مقعد يجلس اليه هو مكانه فى مجلس الوزراء وفى المجالس التشريعية وليس أهم مقعد له كرسيه فى مبنى وزارته ٠

وان هذا الذى أقوله ليس ابتداعا ولا تفكيرا فرديا جئت به من عندى وانما هو قاعدة دستورية أصيلة معمول بها فى كل بلاد العالم التى اختارت السياسة الديمقراطية سياسة لها ٠

ولهذا لم يكن عجبا ان يكون وجود وزير واحد من الوزارة فى مقاعد الوزراء بالمجلس التشريعى كافيا لأن تكون الوزارة جميعها ممثلة فى المجلس ٠ فكل وزير يستطيع أن ينوب عن أى زميل له من الوزراء ٠

انما الصــورة القائمة اليوم هى أرخبيل وزراء كل ورير جزيرة مستقلة كل الاستقلال عن الوزارة جميعا يعتبر انه مسئول فقط عن شئون وزارته وهو بعد ذلك بعيد كل البعد عن السياسة العامة للوزارة مجتمعة٠

ولكن الناس فى المجتمعات العامة والخاصة لا ترى هذا الرأى ولا تقبل هذا المنطق ولا يسوغ عندها هذا التفكير ٠

فما ان يجتمع اثنان أو ثلاثة أو أكثر بوزير حتى نراهم يعتبرونه مسئولا عن كل ما يجرى فى البلاد وأشهد الوزير فى موقعه هذا فأشفق عليه وتتقطع نفسى حسرات على موقفه فقد أصــبح مساءلا بلا مسئولية وحين يحاول أبناء الشعب أن يتداولوا معه الرأى فى شتى الموضوعات يجدونه أبعد الناس عنها وأكثر الناس زهدا فى التعليق ٠ لأنه يعتبر أى موضوع ليس متصلا بوزارته أمرا يجرى فى المريخ أو فى أى كوكب آخر غير كوكب الأرض ٠

وليس هذا بالأمر الهين فليس من المفروض ان يكون الوزير عالما فقط فى شئون وزارته بل لابد أن يكون ذا فكر سياسى مستنير وصاحب رأى متعمق فى كل ما يعرض على مجلس الوزراء من شئون أما أرخبيل الوزراء هذا فانه يجعل الناس فى حال من البلبلة لا يقر لهم قرار ٠ ويجعل الرؤية دائما غير واضحة بالنسبة للسياسة العامة والفلسفة التى تنتهجها الحكومة ٠

ولابد لكل حكومة من سياسة عامة وفلسفة يعرف الناس فى داخل الدولة مصائرهم على هداها ٠ ويعرف الذين يريدون التعامل مع الدولة من الخارج أى مصيرهم مقدمون عليه ٠ فان المتعاملين مع الدولة أقوام يأتون الى الدولة بمالهم والمال لا يدخل أبدا الى منطقة يحجب الظلام جوانبها بل لابد أن يكون المكان واضح المعالم كل الوضوح يملأ النور أركانه جميعا ولا يجتمع نور الوضوح وعتمة الظلام أبدا ٠

وكيف يكون المجال منيرا للأجنبى القادم من دولة أخرى اذا كان معتما غير واضح السمات لشعب مصر نفسها بل والأدهى والأمر انه غير واضح لوزراء مصر أنفسهم وهم الوزراء ٠

لابد ان تتضح الرؤية للوزراء وللمصريين حتى تكون واضحة لمن يقدم الى مصر ٠ وحتى يصبح الشعب على بينة من أمره فان الحيرة احباط ٠ والاستقرار والضياء هما الأمل والفلاح ٠

الأهرام ١٩٨٨/٤/١٠

ضـياء الـكاتب قلمـه

أرى النـاس تحمل الكاتب فوق ما يطيق · فان كتب في موضوع توجه اليه الناس يسائلونه : لماذا لم يتم تنفيذ الرأى الذى نادى به ؟ وهم ينسون انه مطالب بالكتابة فقط وعمله فى الحياة ان يقول كلمته لأنه لا يملك غيرها · وما هى بالشيء القليل · وليس يعنى الكاتب أين تقع كلمته من التنفيذ · فانفاذ الرأى ليس عمل الكاتب وانما عمله القول فحسب ·

ولكن الناس لا يكتفون منه بهذا فهم يلاحقونه بالالحاح عليه ان يسعى الى انفاذ الرأى الذى ينادى به أو هم يطالبونه أن يعود فيكتب فى نفس الموضوع ثانية وثالثة وعشرا ·

وهم لا يعلمون ان الكاتب ليس نجارا يصنع الكلمات مثلما يصنع النجار المناضد ، انما الكتابة شعور وحافز · فالكاتب لا يشرع قلمه الا اذا امتلأت نفسه يقينا ان الموضوع الذى سيعرض له جدير بالكتابة · فاذا اقتنع لا يقف به شيء · فالضمير عند الكاتب هو مصدره الوحيد وارضاء ضميره هذا هو هدفه الوحيد · أو ينبغى أن يكون الأمر كذلك · فان لم يكن · فالكاتب عند الناس أجير وكلامه لديهم لا قيمة له ولا وزن ·

والكاتب لا يكون كاتبا الا اذا نزل فى نفوس القراء فى موقع الاجلال والاحترام والا أصبحت كلماته أهون شأنا من ثمن الحبر الذى كتبت به ·

وليس معنى ذلك ان يرضى الكاتب قراءه جميعا ·· فان كاتبا يحاول هذه المحاولة مصيره الفشل الذريع والسقوط الى هاوية ما لها من قرار ·

فالكاتب رأى · ولكل رأى معارض · وحتم على الكاتب أن يقول رأيه هو الذى يقتنع به كل الاقتناع لأنه مطالب ان يقنع الأخرين وهيهات ، لغير المقتنع ان يقنع آخر ·

وحين أقول ان الكاتب لا يمك الا الكلمة لا يحسبن أحد ان هذه الكلمة أمر هين · انها قوة جانحة ·

الكلمة هى المعجزة التى اختارها الله من فوق سماوات سبع لتكون معجزته الباقية الخالدة . على الزمان . وكل معجزات الأنبياء ما كان أحد ليصدقها لولا أن الكلمة خلدتها . فلولا كلمة الله فى كتابه لما تصـــور الناس أن عيسى من روح الله وان موسى شق البحر وان سليمان سخر الجن وكلم النمل .

ربما كلمة من الله تبث فى نفوس المؤمنين ما تحمله كل هذه المعجزات من خروج عن سنة الكون ومن بعد عن نواميس الطبيعة .

الكلمة هى المعجزة الباقية الخالدة التى اختارها الله لتكون صلة السماء بالأرض والخالق بالمخلوق .

والقلم فى أنامل الكاتب الشريف جيوش زاحفة . كم من طاغيـة مستبد وقف أمام القلم مرتعدا هالعا .. والظالمون على مدى التاريخ لم يخشوا شيئا قدر خشيتهم حرفا يخطه قلم ..

فما على الكاتب بأس أن يقول . ولا يفعل شيئا الا ان يقول .. فحسبه قوة ومنعة وعزة ان يكتب كلمته .

وما على الكاتب بأس ان أخذ الأخرون برأيه أو لم يأخذوا . فهو قد قال . وهذا منه الضمير واطمأنت به النفس ، وسكن من نفسه ما كان ثائرا . فان ثورة نفسه لم تعد بعد فى اضالعه حبيسة وانما هو أعلنها الى الملأ وعلى الملأ أن يحمل من بعد عبئها ويتولى أمرها .

والناس يريدون من الكاتب عجبا . ان هناك صلة روحية وطيدة بين الكاتب وقرائه ، ولعل من أعظم ما فرحت به ان قريبا لى لقى شخصا يعرفه وفى معرض الحديث قال القريب :

– كنت عند ثروت أباظة .

فقال صديقه الذى لا تربطنى به أى صلة الا الكتابة منى والقراءة منــه .

– ثروت أباظة بتاعنا ؟ !!

أفرحتنى الكلمة العابرة فرحا شديدا وأى فرح أعظم من أن أشعر اننى لست ملكا لنفسى ولا لأهل بيتى وانما ملك للناس كل الناس .

وهذا الشعور يجعل الناس يفكرون فى الكاتب على أن الكاتب كلمتهم هم وانه هو المسئول أن يرد عنهم الظلم اذا وقع عليهم ظلم ، ويرفع عن كاهلهم العنت ان تحيفهم عنت أو مال بهم ميزان ٠

وكم حمل الينا البريد خطابات تطالبنا أن نشارك مرسليها ما يشقون به ونحاول ان نرد عنهم كيد ظالم أو حيف زمان ٠

ولا ضير على هؤلاء أن يتشفعوا بالكتاب فيما يلم بهم من متاعب الحياة فليس العجب منى لهذا ٠

وانما الذى أعجب له ان بعض الناس أو كثيرا من الناس ، يريدون من الكاتب أن يجعل من مشاكلهم الشخصية مشاكل وطنية عامة ويريدونه ان يكتب عن المسألة الخاصة بكل منهم وكأنها مسألة الناس جميعا ٠

وأعود فأرد العجب عن نفسى ٠ فكل انسان يرى أنه محور الكون فالناس جميعهم بخير ما دام هو بخير ٠ والناس جميعهم فى شر حال ، ان مسهم من الحياة عنت أو ضير ٠

وهين الأمر عند الانسان كبير ضخم ٠ والناس جميعا والكاتب من قبل كل الناس مسئولون عما يعانيه الفرد مهما يكن هذا الذى يعانيه يسيرا ضئيل الشأن ٠

والكاتب يسعد ــ كما سعدت ــ ان يكون ملكا للناس فى مجموعهم ٠٠ ولكنه لا يستطيع أن يكون ملكا لفرد منهم مهما يكن هذا الفرد رفيع المكانة سامى الشأن ٠

الكاتب ملك ضميره وملك الناس جميعا ولكنه فى نفس الوقت ليس ملكا خاصا لأحد ٠ فاذا أصبح كذلك سقطت عنه صفة الكاتب بل أكاد أقول ان صفة الانسان تسقط عنه أيضـــا ٠ فانما يملك الفرد متاعا ولا يملك الفرد انسانا ٠ وهيهات والف هيهات أن يملك الانسان انسانا ٠ فما الخطب اذا كان هذا الانسان كاتبا ؟

انما الكاتب كلمة أمة وسمة عصر ونبض شعب ولسانه ٠

بعيد الكاتب كل البعد ان يكون ملكا لأحد ٠ وويل له كل الويل أن تملك هو نفسه وأذلته رغبة فى غنى أو ملك قلمه طموح الى نفع شخصى من شهرة أو مجد فارغ أو منصب تحيط به الأضواء ٠٠ ضياء الكاتب

قلمه وشرفه وصدقه . ويوم يتخلى الكاتب عن شرف الكلمة أو صدق النفس والأمانة فيما يخاطب الناس به تسقط عنه صفة الكاتب .

ليس هنـاك كاتب بلا قـراء . والقراء أذكى الناس حسا وأكثرهم شفافية وأقدر من أى فرد على الوصول الى ضمير الكاتب ومقدار صدقه مع نفسه ومعهم .

والكاتب بلا قراء مذياع أبكم . ومصباح لا ينير ..

وسبحان من أقسم بالقلم فرفع قدره الى عنان السماء وهل بعد اكرام الخالق العليم اكرام ينال .. أو بعد كلمته كلما تقال ؟!!!

الأهرام ١٩٨٨/٤/١٠

وديعـة في أيد أمينـة

عن طيب خاطر نترك « الصفحة الأدبية » في شهر رمضان المبارك لتشغلها « الصفحات الدينية » ٠ داعية للقراء أن يعيد الله عليهم الشهر المعظم وهم في أسعد حال هانئين بالسعادة الشخصية والسعادة الوطنية في وقت معا ٠ وما لنا ألا ندعو أن يعود شهر الاسلام العظيم على المسلمين في أنحاء الأرض وقد شملهم السلام وانتهت الحرب المؤسفة بين العراق وايران ٠ والثورة الموجعة في لبنـان ٠ واذا كانت الحقـائق لا تتسع لأحلامنا فرحمة الله تسع أمالنا جميعا ، ومهما تضق بنا الحياة وواقعها فان باب الرحمن الرحيم اللطيف الودود السلام لا يرد دعاء ولا يخزى عنده رجاء ٠

هنيئا « للصفحات الدينية صفحتنا الأدبية » طوال شهر رمضان ٠ ولكن هل لنا ونحن نودع الصفحات أمانة بين أيدى كتاب الاسلام أن نأمل أن يخاطبوا العقول التى أفسدها الجهل ٠ والتى مالت بالشريعة السمحا ميلا يرفضه الله في رفيع سماواته وتأباه الشريعة السماوية ٠

وهل لنا أن نسأل هؤلاء الكتاب الذين يكتبون لنا في رمضان أن يردوا الجامحين الى هدى من أمرهم ٠ والمارقين الى صراط مستقيم ٠ وهل أن يذكروا لهم ان الاسلام أعظم الأديان السماوية به ختم الله رسالاته الى الأرض وهو الدين القيم المتين وان علينا أن نوغل فيه برفق ٠ وان أحدا لم يسىء الى الاسلام قدر المسلمين أنفسهم ٠

ولنذكر هؤلاء الخلفاء والأمراء الذين انحرفوا بالاسلام الى أهوائهم والى حقير رغباتهم والى مظامعهم الشخصية ودنىء أحلامهم من خمر الى نساء الى بلهنية واسراف يرفضها الاسلام روحا ونصا وطريقا وسنة ٠

ولنذكر مئات الجوارى في القصـــور مستغلين اباحة ملك اليمين متعامين عن روح الدين ونص قرآنه حين يقول سبحانه جل علاه « يقول أهلكت مالا لبدا ٠ أيحسب أن لم يراه أحد ٠ ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين ٠ وهدينه النجدين ٠ فلا أقتحم العقبة ٠ وما أدراك ما العقبة ٠ فك رقبة » (سورة البلد) ٠

ولنذكر أن الاسلام لم يعمل بشريعته أمينا فى تطبيقها عظيما فى عدالته الا أبو بكر وعمر وعثمان وعلى · وتبعهم بعد سنوات طوال عمر ابن عبد العزيز · أما مئات الحكام كانوا وبالا على الاسلام وشريعته وعلى شعوب المسلمين ·

وكلهم كان يدعى أنه يطبق الشريعة وليس يخجل أن يعتدى على العلماء بالسجن والتعذيب ويظل يدعى أنه يطبق الشريعة ادعى المنصور والسفاح والخلفاء الذين عمل لهم الحجاج بن يوسف الثقفى أنهم يعملون بشرع الله ·

ويدمر الحجاج الكعبة بيت الله ومثابة المسلمين وقبلتهم ويقتل فى ظلم بين وفى اجرام عنيد ويدعى أنه يطبق شرع الله ·

اذكر له محاكمة أجراها مع قوم كانوا ثائرين أعلن فيها ان من يقول انه على دين محمد حين ثار فانه سيقتله ومن يقول انه على غير دين محمد سيقتله ويتقدم اليه شاب صغير فيسأله :

ـ على أى دين أنت ؟ فيقول الفتى فى شجاعة ·

ـ على دين محمد فيقول الحجاج :

ـ اقتلوه ·

ثم يتقدم شيخ عجوز علت به السن ويسأله الحجاج :

ـ على أى دين أنت ؟

فيقول الشيخ :

ـ على دين أبيك الشيخ يوسف ·

فيقول الحجاج فى جرأة على الحق :

ـ لقد كان والله قواما صواما أطلقوا الرجل ·

ولكن العجوز يأبى هذا الصفح ويصيح بالطاغية :

ـ أيقول لك الفتى انه على دين محمد فتقتله وأقول اننى على دين أبيك فتطلقنى ولو لم يكن لأبيك مساءة سوى انه أبوك لكفاه خزيا ؟
فيصيح الحجاج :

ـ اقتلوا الرجل ظالما حين قتل ظالما حين صفح · انما هى خطرات من وساوسه لا تعرف دينا ولا ملة ولا قال به شرع ولا سمح به قانون سماوى أو أرضى ·

خطـأ بشر

الدين الاسلامى أعظم ما وصلت اليه البشرية ولكن الذين حكموا به كانوا طغاة عتاة ظلموا الشريعة الاسلامية أول ما ظلموا ثم مالوا على الناس فأوسعوهم عنتا وظلما وتجبرا والله لا يحب الجبارين كما لا يحب كل مختال فخور فان الانسان لن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولا ·

ويظل الاسلام فى اشراقه ولآلئة وفى سموه شـموخا لا يجرؤ كل هؤلاء ان يمسوا لبه وحقيقته الوضيئة المنيرة بروح الله لأن الناس تعلم أن الخطأ كان دائما فى التطبيق · وانه خطأ بشر أراد أن يطوع شرع الله لدنيوياته الصغيرة الحقيرة · وهيهات أن يرضى شرع الله ذلك أو أن يقره: ان الدين الاسلامى أعلى من كل نقاش ولكن الناس من الجهلاء يجهلون عليه ويجهلون به على الشعوب والله سبحانه من فوقنا جميعا يرد كيد الجاهلين ·

هذه « صفحتنا » نتركها لكتاب الاسلام نتركها بين أيديهم وديعة ونحن واثقون ان الودائع عندكم أمينة السرب مرعية الجانب ونسألهم أن يعلنوا باسم علماء الاسلام أننا نحن المسلمين لا نخشى على الاسلام من الارهابيين أو غيرهم وانما نخشى على الارهابيين من الاسلام · فهم اخوان لنا غرر بهم مال أو غرر بهم جاهل محتال أو جنح بهم عن الطريق راغب فى سـلطة دنيوية واستخدم الاسـلام وسيلة لتحقيق آماله الوضيعة وطموحاته الساذجة ·

وما صارع الاسلام أحد أو جماعة الا وكانت الغلبة للاسلام ـ علا اسـم الله وتقدست آلاؤه ـ فهونا أتباع الهوى هونا · فان الله غالب على أمره وان رغمت كل الأنوف وسلام عليكم علماء الدين فى شهر الصوم الذي أنزل فيه القرآن ورحمة الله وبركاته ·

١٩٨٨/٤/٢٥ الأهرام

هيبـــة .. الدولـــة

لم أتصور فى يوم من الأيام ان حينا من الدهر سيأتى علينا نناقش فيه ان كان الغناء حلالا أم حراما وان كان مباحا أو محظورا . فقد كنت أحسب ان هذا أمر حسمه النبى عليه الصلاة والسلام منذ ألف وأربعمائة عام .

وقد استقبلته المدينة المنورة بالدفوف وبالأبيات الطيبة المشرقة : طلع البدر علينا . ثم تواترت منه عليه الصلاة والسلام الأفعال والكلمات التى تؤيد الاباحة فى أمر الغناء . ومنها حديثه الساطع العظيم « اعلنوا الزواج ولو بالدف » فاعلان الزواج أمر يراه صلوات الله عليه أمرا واجبا حتى يضفى الشرعية على علاقة رجل بامرأة تزوجا بسنة الله ورسوله .

ولكن أطفال اليوم الذين يريدون أن يجعلوا ديننا لهوا لهم ، وعبثا ، ومراحا وافراغ طاقة أعادوا الى حياتنا البحث فيما اذا كانت الموسيقى حلالا أم حراما . وهم جاهلون ان أيام النبى لم يكن هناك من أنـواع الموسيقى الا الدف وقد أباحه النبى بشكل قاطع لا شك فيه ولا شبه ولا شبه وكان من الطبيعى أن يتصدى للأمر المشايخ الأجلاء ليحاولوا أن يعلموا هؤلاء الصبية الجهلاء ما لا يعلمون أو ما يعلمون انه الحق ويميلون عنه فى اصرار معتدين على الدين والانسان والحرية ووجه مصر الحضارى بل مشوهين وجه الزمن جميعه شاهت وجوههم وشاهوا .

وكان من بين ما قرأت مقالة رائعة لفضيلة الشيخ د. عبد المنعم النمر بالأهرام حسم بها الكلام حسما قاطعا وقد جاء فى مقال فضيلة الأستاذ فقرة تستحق التعليق لأنها تثير فى النفس نوعا من التساؤل الذى يتحتم علينا ان نوجهه الى هؤلاء الصبية الهازلين . والفقرة فى ذاتها منطقية لا شك فى صـدق الحكم فيها يقول فضيلة الدكتور : « فالسماع للأصوات الحسنة خارجة من حنجرة انسان أو من الآلات الموسيقية لا ضرر فيه شرعا من حيث الأصل . ولكن اذا آتى من ناحية الموضـوع وكيفية الأداء وملابسات الغناء والموسيقى كشرب الخمر مع الموسيقى والغناء . مما يشجع على الاسترسال فى الشرب . كان ذلك ممنوعا سماعه » .

اذا كان هذا الذى يذهب اليه الشباب الارهابى فتلك اذن كارثة ٠ فلا شك أنهم يعلمون ان الشراب يصاحبه أيضا الطعام ٠ أو نحرم الطعام على الناس لأنه عند الشاربين يكون مصاحبا للشراب ٠ اذا كان هذا منطقهم وما ببعيد أن يكون فويل اذن للحياة من هذا الرهط الضال الجاهل المضل ٠

ان الخمر محرمة بنص القرآن ولا شك فى تحريمها أما الموسيقى فعجيب ان تقوم جماعة ارهابية مسلحة لتحرمها ٠ فما عرف الاسلام هذا فى أى عهد من عهوده ٠

وانه لمما يملأ النفس أسفا وحزنا ان نرى العالم يتقدم ٠ ونحن لا نكتفى بالجمود بل نتجاوز الجمود الى التأخر والتقهقر ٠

ان هؤلاء الارهابيين يسعون الى الحكم رافعين شعارات من الدين ويعلم الله سبحانه وتعالى ان الدين براء منهم وان الدين الحنيف يرى ان الفتنة أشد من القتل ٠ ويرى ان اثارة الرعب فى نفوس الناس جريمة لا تماثلها جريمة فى تاريخ البشرية ٠

وان الأسلحة التى يحصلون عليها تؤكد أنهم دمى بشرية فى أيدى أموال ضخمة تحركهم والهدف الواقف وراءهم هو تدمير الاستقرار والأمن فى مصر واثارة الفزع والرعب فى ربوع الوادى الأمين المطمئن ٠

والذى لا شك فيه انهم غير واعين للحريق الذى يشعلون والذى سيكون هم حطبه حين يندلع ٠ ولو انهم يعقلون لألقوا نظرة الى ايران وقد أتت الطغمة الحاكمة فيها على كل الأعواد الخضر التى كانت تعيش فى ايران ٠ انهم هم الأعواد التى ستلقى فى الحريق فليتقوا الله فى أنفسهم ان عز عليهم ان يتقوا الله فى أوطانهم ٠

والذى لا شك انه ينبغى للدولة أن تواجه هذه الكارثة بكل حزم وقد أعجبت كل الاعجاب بالقرارات التى اتخذها د٠ عبد العزيز حمودة عميد آداب القاهرة ليردع العابثين فى الكلية ٠

ولا شك ان الدولة تحتاج الى كل هيبتها لتواجه هذا الخطر الوبيل وانني أعتقد ان الدولة تفقد الكثير من هيبتها اذا تخلت عن مواجهة الواقع ٠ وكل تصريح فيه « لا مساس » انتقاص هيبة الدولة والهيبة للدولة أمر

متكامل فلا يجوز أن نشعر بهذه الهيبة فى أمر من الأمور ونفتقد الهيبة فنفقدها فى أمر آخر من أساسيات الحياة فى الوطن ٠

الهيبة كل متكامل ينبغى أن يشعر بها كل انسان فى مصر ٠ يشعر بها حتى هذا الذى يرتكب مخالفة مرور ٠ لأن مخالفة مرور واحدة قد تؤدى الى ضياع حياة انسان أو عشرين انسانا أو مائة ٠

واذا ضاعت هيبة الدولة انماعت حياة الانسان فى الوطن ٠

وأصبح وهو لا يدرى كيف يستطيع العيش ٠

فهيبة الدولة وحدهـــا هى التى تجعل الأبرياء الذين يمتـــازون بالشخصية السوية ويحيون حياة سوية ٠

وهيبة الدولة تمنع الجرم قبل وقوعه لأنها تمتد الى دخائر النفوس وتجعلها تدرج انها اذا ارتكبت جرما فلن تفلت من العقاب ٠

فالهيبة أهم ألف مرة من العقاب ٠ ويوم يشعر هؤلاء الارهابيون بهيبة الدولة سيتبددون ويصبح أمرهم فرطا ٠ ويعلمون علم اليقين أن لن يغنى عنهم مالهم أو شيطانهم شيئا ٠

الأهرام ١٩٨٨/٥/٢٢

الحـــرية حـــوار ٠٠

حيرة أنا واقع فيها لست أبصر عليها طريقى ولا أتبين على دربى هدى ٠٠

وما أنا بالشاكى الى القراء أمرا أشقى به وحدى ٠٠ انما شـأن الكاتب أن يكون صوت الناس الى الناس ٠٠ ولا يجمل به ان يبث ما يعانيه هو الى قرائه ٠٠ انما وثقوا به ليكون كلمتهم الى الملأ ٠٠ ولم يثقوا به ليكونوا هدى له عند حيرة ٠٠ ولا ليكونوا أهل شورته ٠٠ وملجأه اذا حزبه أمر ٠٠

انما حيرتى هذه ليست حيرتى وحدى ٠ وانما أحسب انها حيرتهم معى ٠٠ ولا أشك انها حيرة الكثرة الكاثرة من كتاب مصر فى أيامنا هذه ٠ اننا نكتب فى مصر ولا نجد لما نقول أثرا عند مسئول وان كنا نجد الأثر أكبر الأثر عند كل مصرى ليس فى يده من الأمر شيء ٠

والحيرة التى تغشى حياتنا هى هل نكتب أم نكف عن الكتابة ٠٠ فان كانت الأولى فلمن نكتب ٠٠ وهل أولو الأمر يملكون من الوقت لحظات يقرأون ما نكتبه ٠ أم تراهم مشغولين عن الصحف كل شغل ، بعيدين عنها غاية البعد ٠

ما شأنهم مع الصحف ؟ ٠٠ قومية كانت هذه الصحف أم كانت حزبية ٠ اننا نقول ما نقول ونصيح ما نصيح ٠ ولكن هيهات أن يصل صوتنا الى اذن من آذان السلطة التنفيذية ٠ وهم يعلمون اننا لا نبغى مما نكتب الا أن نكون عيونهم بين الشعب وضمير الشعب عندهم وان لم نكن كذلك فما نحن ؟ اننا نبض الناس ، وكلمتهم الصادقة ، وضميرهم النقى الصافى لا يكدره دخل ولا يحفظه على الحكام غاية أو مطلب شخصى ٠ أو مأرب خاص ٠

وان لم نكتب ٠ فماذا نصنع بين قومنا وقد ألقوا على أكتافنا ثقتهم وأنزلونا من نفوسهم منازل أمل عند يأس وكلمة صـادقة منشورة ان استغلقت عليهم دروب النشر وأغلقت دونهم مسالك الحديث ٠٠

وما دولة بلا كتاب . وأى دولة تلك التى يصمت فيها الكتاب ويكون الحديث حبيسا والكلمة متجمدة على الشفاه والحقيقة تتخفى فى زوايا الصمت ، وتتوارى فى طوايا الكتمان .

وماذا يبقى لنا نحن الكتاب اذا لم نكتب . وأى دولة تلك التى يصمت الكتاب فيها والحرية تملأ جنباتها .

على السلطة التنفيذية أن تعلم ان الحرية ليست أقوالا يطلقها الكتاب فقط .

وانما الحرية حوار . وقول واجابة وحديث يواجهه حديث اما أن تهز السلطة التنفيذية كتفيها لاقوال الكتاب ولا تعنى الا بالحديث فى المجالس التشريعية فهذا أمر بعيد كل البعد عن الديمقراطية بل هو أيضا أقصى الى أبعد مدى عن معنى الحرية .

فالحرية ليست شكلا وانما هى فكر . ولا فكر بلا حوار ولا حوار بلا كاتب يكتب ومسئول يجيب .

نحس نحن الكتاب كأننا نكتب فى عالم آخر غير العالم الذى نعيش. ولا أقول اننا نحس كأننا نكتب فى بلد آخر غير بلدنا فاننا حتى ان كتبنا فى بلد آخر فحتم على حكومة بلدنا أن تشعرنا انها قرأت ما كتبنا وبلغت أعماقه وأنها تقبله وستنفذه أو انها ترفضه ولماذا رفضته .

نشعر نحن الكتاب اننا نكتب نبض الناس فلا ينبض بما نكتب الا من كتبنا عنهم . اما من نريد أن نصل اليهم بحديثنا فهم منا فى مدار غير المدار . وفى كوكب غير الكوكب ..

وعجيبة أخرى .

نرى الاتهامات تنهال على بعض من رجال السلطة التنفيذية . فى الجرائد المعارضة ، وغير المعارضة ، والاتهامات فادحة .. والكلمة المتهمة ذات أجنحة عريضة . سريعة هى فى التنقل فما يمر على اطلاقها يوم أو بعض يوم حتى تجدها حديث الناس فى كل مجال .

ولا نجد للتهمة تكذيبا من الجهات المسئولة الا فى حالات نادرة وأحيانا نجد التكذيب تأييدا للتهمة وتلك هى الأخرى عجيبة من عجائب الزمن . تهمة وتأييد ولا حكم ولا عقوبة .

والتهمة من أى مصدر لها حين تنشر تصبح اذا لم يكذبها المسئولون واقعة صحيحة لا شك فيها ولا ريب ٠

أنا لا أتصور أن رجال الدولة لا يدركون مدى الخطورة في الصمت الذى يواجهون به التهم المنسوبة اليهم ٠

ان كل رجل مسئول فى مصر انما يستمد كيانه من ثقة الشعب به واحترام المجموع لشخصه ٠ والرجل المسئول حياته الخاصة والعامة ملك للشعب أجمع وهكذا رفض الشعب الأمريكى أن يتقدم لترشيحات الرئاسة رجل على صلة غير شريفة بغانية ٠٠ وهكذا شهدت انجلترا عشرات من المسئولين يبعدون عن مواقعهم لصلات شخصية ولكنها غير نقيـــة ٠

وهكذا يقع فى ضمير كل مسئول ان يواجه ما تنشره عنه الصحف من تهم تمس شخصه فور ظهور التهمة ٠ لأن سمعته ليست ملكا له وانما هى ملك الشعب أجمع ٠ وهو ليس واجهة لنفسه فى موقعه ذاك وانما هو واجهة لمصر كلها ٠ ويأبى الله ويأبى الشعب ويأبى التاريخ أن تكون واجهـــة مصر الا الشرف كل الشرف والاشراق غاية الاشراق والشموخ قمة الشموخ ٠

الأهرام ١٩٨٨/٥/٢٩

الادغـــال •• والقــانون

يقول القاموس الدغل الشجر الكثير الملتف ويقول أيضا دغل القانص دغلا أى دخل فى مكان خفى ليختل الصيد ويقول القاموس ان من معانى الفعل دخل دخرل المريب •• ويقول القاموس أيضا فى المادة ذاتها أدغل المكان كان ذا دغل أو خفيا وأدغل بفلان خانه واختانه والداغل الذى يبغى أصحابه الشر يضمره لهم ويحسبونه يريد لهم الخير ••

وما دعانى أن أبحث فى القاموس عن مادة دغل هــذه الا الهول الذى يثب الى ذهنى كلما ذكرت ان فى مصر كميات من القوانين يعجز عنها الاحصاء فالأرقام متفاوتة متضاربة بين أربعة عشر ألف قانون وسبعة عشر وكلا الرقمين مروع فالقانون اذن أصبح فى بلادنا أدغالا لا سبيل فيها لسالك وكيف يسلك والمواد متاهات يضرب بعضها بعضا وتتشابك منها الأذرع والسـيقان فالقانون بحالته هذه قد أدغل بالشعب فخانه واختانه وأراد به الشر وهو الذى يعتبره الناس ملجأهم عند ظلم وحماهم عند جور •• وحصنهم عند طغيان •• لقد أصبح القانون هو الظلم أشد الظلم وهو الجور أعظم الجور بل هو الطغيان ذاته فان كثرة القوانين بهذه الصورة هي وانعدام القانون سواء ••

وويل للناس وحياة الناس ان أصبح القــانون ظلما وهو أساس العدالة •• أو أصبح جورا وهو طريقهم الى الحق •• أو أصبح طغيانا وهو أمل الناس في العدالة ••

ان الظالم اليوم يستطيع ان يدغل كما يدغل القانص ليتخفى عن صاحب الحق فيغتصب منه ما ليس له بحق وانه فى أدغال القوانين المتراكمة يتمكن فى سهولة ويسر ان يصرع العدالة وينالها فى مقتل ••

أى قاض يستطيع أن يدعى اليوم انه على علم بالقوانين وهو الذى يفترض فيه أن يكون سادن القوانين وحارسها وكلمتها •

ان هذا الانفجار القانونى انما هو وليد حكم الطغيان لأن الطاغية بطبيعته لا يعترف بالقانون ولا بحكمه وهكذا أصبح اصدار قانون ما أيسر

شيء فعلا ٠٠ وقد سمعنا ان وزيرا جديدا في أحدى وزارات الطغيان كان في مجلس الوزراء يستمع الى الأوامر حتى اذا صدر أمر يخالف القانون وكان الوزير لنكد طالعه من رجال القانون وكان لسذاجته يحسب ان الوزراء من حقهم أن يتكلموا وهكذا قال في براءة الطفل وفي جهالة الجديد في وظيفته ٠٠

ـ هذا الأمر مخالف للقانون ٠٠

وتولى الرعب وجوه الوزراء السابقين عليه والعارفين كل المعرفة بالطريقة التى تسير بها الأمور في مجلس الوزراء ٠٠ وسكت مصدر الأوامر ونظر الى الوزير الجديد ثم نظر الى الوزراء الآخرين وقال لهم في استنكار وسخرية مريرة ٠٠

ـ ماذا يقول الأستاذ ؟

وتعالت أصوات الوزراء ٠٠

ـ انه جديد يا أفندم ٠٠ ولن يتكرر هذا منه ٠٠

وراحت الأوامر تصدر من جديد متدفقة لا يعوق تيارها عائق أو يقف دون مجراها واقف ٠٠

وانتهت الجلسة ووقف الوزراء عندما وقف الآمر ٠٠ واتجه الى باب الخروج وقبل أن ينصرف وقف لحظة وكأنما تذكر شيئا غير ذى قيمة وقال ٠٠

ـ وأصدروا قانونا آخر حتى يستريح الأستاذ ٠٠

وتعالت الأصوات أمرك ٠٠ حاضر ٠٠ وخرج ٠

وهكذا لم يعد غريبا ان أصبحت القوانين في مصر بهذا العدد الذى لم تعرفه دولة في العالم ولم يره تاريخ على مدى الأجيال ٠٠

وقد كانت القوانين تصدر في مصر بعد خطوات متعددة متأنية وكانت كل كلمة في القانون الجديد تناقش مناقشة مستفيضة من جميع جوانبها القانونية واللغوية وكان المتناقشون يتعمقون مدلول كل كلمة واستعمالاتها في اللغة المكتوبة أو المسموعة ٠

كان القانون يقدم الى المجلس التشريعى فيحال الى اللجنة المختصة ثم يعرض على اللجنة التشريعية ٠٠ ثم يقدم الى مجلس الشيوخ فيناقش ٠٠

ثم يقرر المجلس بشأنه ما يراه ثم يحول الى مجلس النواب فيناقش ويؤخذ عليه الرأى فان كان متفقا مع ما ارتآه مجلس الشيوخ تمت الموافقة عليه والا أعيد ثانية الى مجلس الشيوخ فان أصر على رأيه فان الدستور ينص على أن يجتمع المجلسان فى شكل مؤتمر ويؤخذ الرأى على القانون ولا تتم الموافقة الا اذا حصل القانون على أغلبية الثلثين ٠٠ وأعتقد أن هذا النص لم تدع الحاجة الى أعماله فيما عرض على المجلسين من قوانين ٠٠

فالقاعدة القانونية ان القانون حين يولد فانما يولد للبقاء وللثبات لا يعتريه تعديل ولا يجرى عليه الغاء الا عند الضرورة القصوى ٠٠ فالقانون كائن حى تتعلق بمواده حقوق الناس الشخصية التى تتصل بكيان الانسان أو المادية التى تتصل بحقوق الفرد والتزاماته والحقوق والالتزامات هى صلات الأشخاص فى شتى صورها سواء كانت هذه الصلات بين الشخص والدولة أو بين الشخص وغيره من الأشخاص الطبيعية أو المعنوية ٠٠

فكيف لهذه الصلات أن تسبتين من خلال هذه الأدغال الخاتلة الخائنة من القوانين الحالية ٠٠ ولست أدرى لماذا تسير اللجان التشريعية التى تتولى النظر فى هذا الهول سيرا وانى الخطو بطيئا وكان الأمر يسير هينا غير ذى خطر ٠

واننا حين نصبح أن يصبح مجلس الشورى صاحب حق ثابت فى نظر القوانين انما نحاول ان نصدر القوانين وقد أحاطت بها حصانة البحث المتعمق التى تكفل لها الحياة والجدية والاحترام ٠٠ ولسنا بحاجة الى تغيير الدستور فى هذا الشأن ٠

فاذا كانت القوانين فى غفلة من الزمن الطاغى قد أصبحت بهذا التضخم القاتل للحقوق فليس أقل من أن نزجرها أن تغافل الزمن الحر أيضا ٠

الأهرام ١٩٨٨/٦/٥

فاذا هــم مبصرون ..

أما نحن المؤمنين فنقول لا اله الا الله محمد رســـول الله .. هو سبحانه الذى خلق الكون جميعه بعضـــه يكمل بعضا وألقى على الأرض الرواسى أن تميد بنا . وجعل الجبال تمر مر السحاب وان خيل لنا انها ثابتة فى مكانها لا تتحرك . وخلق الطعام وجعل لكل لون من الطعـــام أنزيمات فى جسم الانسان . والذى وهب البشرية هذا النوع من الطعام هو سبحانه من خلق العصارات التى تتعامل معه فى جســـم الانسان . فما الحاجة الى السكر مثلا ان لم يكن فى تكوين جسم الانسان من الأعضاء والانزيمات ما يعامل هذا السكر ويجعل منه شيئا مفيدا للانسان وقس على ذلك ما شاء لك القياس من لحوم وخضروات وفواكه ونقل وكل ما أنعم الله به على الانسان من أطعمة .

فحين يقول الكافرون الطبيعة أصبح من حقنا ان نسألهم أتستطيع الطبيعة وهى مخلوق ان تخلق هذا التكامل فى الحياة جميعا .

أتستطيع ان تخلق كل هذه الحشرات وتجعل بعضها طعاما لبعض .. وتخلق كل هذه الدواب وتجعل لكل منها عمـــلا تقوم به .. هيهات .. ألف هيهات .

ان الطبيعة لا تستطيع ان تتمرد .. فالشمس والقمر والأفلاك كل منها يجرى فى مداره .. ولابد من قوة عليا تمسك بها الا تجور ولا تطغى فلا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار .

ان الطبيعة تحتم انه اذا التقى موجب كهربى بسالب كهربى فلابد ان تولد شحنة كهربية . والمعادلات الكيماوية وهى آلاف مؤلفة لا تجرؤ واحدة منها على ان تتخلف عما أراد لها الخالق ــ لا الطبيعة ــ ان تكون . فاذا أضيفت مادة معينة الى مادة معينة تطبيقا لمعادلة كيماوية فلابد حتما ان تنتج مادة أخرى قدر لها الخالق العليم ان تكون نتـــاج هذا التكوين .. لأن الطبيعة لا عقل لها وهيهات أن يكون لها عقل .

أما الخالق فهو صاحب الارادة العليا التى لا يعرف عدالتها الا هو ٠٠ فهو الذى ينزل المطر ٠٠ ولو كان المطر ينزل نتيجة معادلة كيماوية ثابتة ما انقطع أبـدا ٠

الشمس هى الشمس ٠٠ والمسطحات المائية هى المسطحات المائية والأشعة تسقط على مسطحات الماء وتكون البخار ويصبح سحابا ٠ فلو كانت الطبيعة هى صاحبة الأمر لسقط المطر فى موعده المرسوم لا يخلف يوما عن موقته ٠٠ فكيف اذن توقف المطر سبع سنوات متوالية عن أفريقيا ٠٠ ذلك لأن الله هو وحده ينزل المطر حين يشاء لعدالة يعلمها هو ولأمر يريده جل علاه لا يرتفى الى ما قدر علم بشر أو منطق انسان ٠

وهو سبحانه يهب لمن يشاء البنين ويهب لمن يشاء البنات ويجعل من يشاء عقيما ٠ فلو كانت الطبيعة هى صاحبة الرأى لأصبح من الحتم ان يلد كل زوجين ليس باحدهما ما يعوق الانجاب ولكنك ترى الزوج والزوجة وليس باحدهما ما يعوق الانجاب ولكنهما لا يرزقان من البنين أو البنات ٠ وقد يطول بهما الزواج عشر سنوات أو خمس عشرة سنة ثم ينجبان ٠٠ أو قد يشاء الله لهما ألا ينجبا على الاطلاق ٠ وقد يفترقان ويتزوج الزوج من أخرى وتقترن الزوجة بزوج آخر فينجب كل منهما من الزوج الجديد لأن تلك ارادة الله وحده قدرها بارادته المفردة لا شريك له سبحانه لحكمة لا يرقى الى سماواتها عقل انسان٠وكيف يرقى وما هو الا كما قال سبحانه « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ٠٠ وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ٠٠ ضعف الطالب والمطلوب » والطالب هنا هو الانسان والمطلوب هو ما سلبه الذباب منه ٠٠ المقارنة بين هذا المخلوق الذى يظن نفسه طاغية جبارا وبين ما سلبه الذباب منه ٠٠ كم هو حقير ذلك الانسان ٠٠ انه أضعف مما يسلبه الذباب ٠٠ وناهيك بهوان المقارنة ٠٠ وما أعظم الهوان الذى ينبغى أن يشعر به وهو أحقر مما سلب الذباب فاعجب معى واعجب ثم اعجب ٠ فيم التكبر والطغيان والظلم والجبروت ٠

ويقول الملحدون انما أصل العالم مادة والذين يقولون ان الله هو الخالق انما يؤمنون بالغيبيات ٠

ويحهم الا يستحون ٠٠

أما نحن المؤمنين حين نقول الله هو الخالق فانما نبصر المعجزة فى أنفسنا ويزلزل كياننا البشرى جميعا حين تطـالنا الآية المعجـزة « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » • ما الروح •• ما سرها •• وكيف تجعل الانسان وهو قطرة من ماء يصبح هذا المخلوق الذى جعـل الله منـه الوسيلة للوصول الى أسرار الكون جميعا فالانسان حين يصل الى القمر لا يخلق القوة التى يصل بها اليه وانما يصل الى الأسرار الخفية التى أودعها الله فى طوايا الكون ليكشفها مخلوقه الذى اختاره لذلك وهو الانسان •

ما الروح تلك المعجزة •• لقد حاول الملحـدون باصرار ان يخلقوا الخلية ليصلوا الى سر الروح •• وخاب سعيهم •• ونسوا انهم حتى اذا وصلوا الى الخليـة فانما يصلون اليها بمواد من خلق الله وليست من خلقهـم •

ونحن المؤمنين حين نقول هو الله •• هو الخالق البارىء •• المصور فبين أيدينا أدلة مادية لا يأتيها الباطل من أى سبيل ، منها الروح •• ومنها كتاب الله العزيز الذى مر عليه ألف وأربعمائة عام •• ظهر فيه عمالقة الشعراء والكتاب ان وضعنا فى كفة من الميزان كل ما نظموه وكتبوا •• وفى الكفة الأخرى آية قليلة الكلمات الكريمة من القرآن المعجزة لرجحت الآية وجعلت كل ما قالوه هباء •• أو أقل من الهباء •

أما الملحدون فيقولون ان أصـل العـالم مادة ويقولون ان الذين يقولون بغير هذا غيبيون •

فأينا اذن الغيبى •• نحن الذين نؤمن بروح الله وكتاب الله وهى أدلة ملموسة لا يجحدها الا متبجح جاهل •• أم الذين يقولون ان أصـل العالم مادة ويلقون حكمهم قطعا جازما بغير دليل الا الظن وما يغنى الظن عن الحق شيئا •

وانى أسألهم وليجيبوا :

أكانوا شهودا على الكون يـوم بدأ ورأوه وهو يبـدأ من المـادة •• ويحهم كم يسرفون فى وقاحتهم وتبجحهم •• انهم لا يستحون •• أليسوا هم الغيبيين اذن •• انما العقبى لنا نحن المؤمنين الذين قال عنهم سبحانه جل علاه « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون •• » •

صدق الله العظيم

١٩٨٨/٦/١٢

حتى يغيروا ما بأنفسهم

في احدى المقالات التى نشرها « الأهرام » فى الاسبوع الماضى دعا الكاتب فى مقاله الى ان تنسى الأحزاب حزبيتها وتتجه كلها الى هدف واحد هو مصر ٠

وتلك — ولا شك — خطة رشيدة فى ظاهرها ولكن مادمنا نريد ان نواجه أنفسنا فلابد ان نكون صادقين كل الصدق فى هذه المواجهة ٠

والأمر الذى لا شك فيه ان اجتماع الأحزاب من شأنه ان يجعل الجبهة التى تصارع الأزمات قوية صلبة قادرة على تخطى الكثير من معاناة الشعب ٠

ولكن هل تستطيع الأحزاب المصرية ان تكون عند المسئولية الملقاة على عاتقها ؟!

هل يستطيع رجال الحزب الوطنى ان يكفوا عن السعى وراء المناصب الوزارية والحزبية ، أو البحث بكل الجهد على لقب من هنا أو لقب من هناك يضفى على العضو منهم سرابيل الأهمية ويتيح له ان ينفخ صدره جاهلا انه انما ينفخ هذا الصدر بالفراغ ؟ ٠

وهل يستطيع رجال الحزب الوطنى وهو الحزب الحاكم ان يكفوا عن جعل أمداحهم حين يمدحون نابعة عن نفاق يريدون ان يحققوا منفعة خاصة عاجلة سافحين ماء وجوههم على مرأى ومسمع من الشعب الذى أولاهم ثقته ؟ ٠

وهل يستطيع رجال الحزب الوطنى ان يكفوا عن الهجوم على السلطة التنفيذية حين تأبى هذه السلطة أن تستجيب لهم ليحققوا نفعا شخصيا يأباه الشرف وترفضه الأمانة ؟ ٠

هل يستطيع أعضاء الحزب الوطنى ان يحطموا الفصائل التى لا يجمعها الا جنون الرغبة فى الحصول على سلطان أوسع ٠ وياليتهم بهذا

السلطان الذى يسعون اليــه يحققون لمصر العظمى خيرا أو بعض خـير أو يا ليتهم بهذا السلطان يحققون للحزب وجودا فى الساحة المصرية ؟٠

هل يستطيع الحزب الوطنى الذى أصبح أحزابا متنافرة متضاربة ان يصبح حزبا واحدا لا أحزابا وجماعة واحدة لا جماعات ؟ ٠

هل يستطيع أعضاء الحزب الوطنى ان يتقوا الله فيما وهب لهـم ويردوا للشعب دينه وقد وثق بهم وأجلسهم على الكراسى ليكونوا صوته الحق ٠٠ صوته هو الشعب ٠٠ الشعب جميعا ٠ لا أصـواتا لا نـراها صاتت الا لكسب شىء من المال بطريق غير مشروع أو لكسب حرف كرسى فى حــزب أو وزارة أو مصلحة أو شركة ؟ ولا حــول ولا قوة الا بالله العلى القدير ٠

واذا اجتمعت هذه الأحزاب ٠

هل يستطيع حزب الوفد ان ينفى الشائعـة المؤسـفة التى يؤيدها ما تنشره جريدته ان الوفد تقاضى ملايين الجنيهــات من بعض شركات توظيف الأموال ليكون هو دفاعهم وجريدتهم وحصنهم وجنتهم ؟ ٠

ان لم يكن هذا صحيحا ففيم كل هذا الدفاع الذى يصدر عن رأى واحد ٠ وفيم يصف واحد من رجال تلك الشركات فؤاد باشا سراج الدين بانه أعظم انسان فى العالم ؟ ٠

وكيف لمن يتلقى الهبات ان يصبح صاحب رأى حر ؟ ٠ ان المال اذا وصل الى الضمير عن طريق غير مشروع انعدم الضمير الى الأبد ٠

وهل يستطيع حزب الوفد ؟ اذا قدر له أن ينضـم الى جبهة واحدة لمصلحة مصر ان ينسى ثارا قديما وان يجعل سياسته واضحة المعالم بينة السمات ٠ فلا نراه يدافع عما كان يهاجم ولا نراه ينزل سخطه على ما كان يتمدحه ؟ ٠

هل يستطيع ان يفكر لمصلحة مصر فى شـأن القطاع العام والعلاقة بين المالك والمستأجر ٠ وجعل الصناعة كلها لرأس المال الخاص والمطالبة باصدار الصحف للأفراد ٠ وكانمـا الأفراد ٠ ان أصــدروا الصحف سينقذون مصر مما هى فيه ؟ ٠

هل يستطيع الوفديون التخلى ولو الى حين عن المطالبـة بانتخاب رئيس الجمهـورية بدل من الاستفتاء تلك الصرخـة التى لا يكفون عن اطلاقها • وهم يرون مصر تتعرض لغزوات بربرية دنيئة من ايـران حينـا وحينا من ليبيا ؟ •

هل يكف الوفديون عن المطالبة بانشاء أحزاب جديدة وكانما الفرقة التى نحن فيها لا تكفيهم فهم يطالبون بمزيد من الفرقة والشقاق ؟ •

هل يستطيع الوفديون ان يكونوا – ولو لفترة قصـيرة – مصريين فقط ينظرون الى المصلحة العامة وليس الى المهاترة ولا الى اصطناع بطولات زائفة يحاولون بها ان يجرفوا السلطة التنفيذية الى اتخاذ اجراء ضدهم هى لن تتخذه وان بالغ كتاب الوفد ما شـاءت لهم المبالغـة فى الهجوم بلا اصلاح وفى التعدى بلا هداية ؟ •

واذا اعتبرنا حزب التجمع حزبا مع انه غير ممثـل فى السلطـة التشريعية على الاطـلاق مما يدل على انعـدامه رسـميا وشعبيا فى وقت معـا •

اذا تجاوزنا عن ذلك وانضم الى صفوف الدولة أتراه سيكف عن المتاجرة بآلام الشعب وينتهى عن رفع اللافتات على فراغ ؟ •

هل سيعدل عن المطالبة بأن تتولى الدولة كل ما يغل مالا الأمر الذى تعدل عنه روسيا الآن وهى الزعيمة الأولى لمذهبهم ؟ •

وهل سيعدل عن المطالبة بأن تسيطر الدولة على كل الصناعات ؟ •

وهل سيسكت عن المطالبة بأن تظـل الدولة تدفع الدعم مهما يكن فى ذلك خرابها • وهل سيحين له ان يتبين ان الدعم مال الشعب وليس مال الأفراد وانه خراب عائد على الشعب وليس على أصحاب رءوس الأموال؟•

وحـزب الأحرار وما أدراك ما حـرب الأحرار هل يستطيع أن يكون ذا وجود حقيقى فى هذه الجبهة وينظر الى مصلحة مصر وليس الى الصراخ الساذج بالمطالبة بالحرية الكاملة لرأس المال فى مجالى الصناعة والتجارة الأمر الذى لا تعرفه أي دولة مهما تكن متعصبة للحكم الرأسمالى ؟ •

هل سيظل ينادى بحرية الاستيراد بدون تحويل عمله دون دراسة لشعاره هذا ومدى أثره على الاقتصاد المصرى ؟ ٠

وهل سيظل يجأر بتكوين أحزاب جديدة كأن الأحزاب القديمة لا تكفى وكأنها أدت واجباتها فاستوفتها ؟ ٠

وهل سيصر على المطالبة بصحف جديدة للأفراد وهو يرى رأى العين كم تخسر المجلات العريقة ذات التاريخ ؟ ٠

وحزب العمل ٠ أتراه سينضم الى الجبهة أم تراه سيظل يجعل من الدين وسيلة للوثوب الى الحكم ؟ ٠ ان ظل كذلك فان انضمامه سيكون وبالا على الدين أولا ثم على مصر والمصريين جميعا ٠ وان لم يصر على هذا المكر السيىء ففيم وجوده اذن ٠

ان الأمر ليس مجرد جبهة تلتئم ٠ انما الأمر يبدأ من الأحزاب التى ستلتئم فى هذه الجبهة ٠

ان جعلوا مصر هى الغاية والنشيدة استطاعت مصر ان تواجه قدرها ٠ اما ان ظل كل حزب على ما هو عليه فلك الله يا مصر وهو الحسب وهو نعم الوكيل ٠

الأهرام ١٩٨٨/٦/١٩

الحكم ثقة

وتلك عجيبة من أعاجيب هذا الزمان · لا يكتب كاتب كلمة أو يقول انسان قولة رأى الا راحت جماعة من الناس تبحث وراء الكلمة عن غرض خاص أو دافع شخصى كانما الرأى الحر أصبح أمرا مستحيل الوقوف ·

ترى تلك الجماعة تمزق صاحب الرأى بالسنة حداد · وتدعى عليه ما يأباه الحق · وتذيع عنه الاذاعات وتطلق عليه الاشاعات ·

فهو ان دافع عن رأى فهو بدفاعه هذا يدافع عن المنفعة الخاصة لا العامة ولابد ان يكون قد تقاضى ثمن دفاعه مالا أو خدمة خاصة أو صفقة مريبة ·

وهو ان هاجم راحت هذه الجماعة تطلق عليه القذائف انه ما هاجم الا لأنه طلب منفعة ورفضت · أو انه حاول ان ينال ثراء فلم ينل ·

كم أنا حزين وأنا أكتب ما أكتب اليوم ·

أنا لا أستطيع ان ألوم هذه الجماعة صاحبة الاشاعات والاذاعات ·

فان كثيرا من الكلام يكتبه كاتبه لمثل هذا الذى تقول به جماعة المتهمين هذه ·

ولكن هؤلاء الكتاب المغرضين على كثرتهم قلة قليلة اذا عقدت مقارنة بين حجمهم وحجم جماعات الكتاب الشرفاء ·

ولكن الناس يميلون بطبيعتهم الى الشك ولا يصلون الى اليقين الا بعد جهد جهيد ·

فمعذور هو الانسان اذا رأى بين الكتاب مائلا عن الحق جانحا الى الهوى فجعل الاستثناء هو القاعدة والشذوذ هو الأصل ·

فان العرق الدنىء يظهر على العروق الشريفة وان له لونا طاغيا يرين على العروق الأخرى النقية الخالصة ·

والكاتب حين يستغل قلمه ليجعله وسيلة تهديد أو نفاق يسقط من المكان الرفيع الذى ينبغى ان يناله صاحب القلم الى لص أراه أنا أرخص أنواع اللصوص وأكثرها سفولا وحطة ٠

ان صاحب القلم الذى يتخذ قلمه مطية للثراء الدنس يسرق ثقـــة شعب ٠٠ ويعتدى على تاريخ الانسانية ٠ أما اللص ســـارق البيت فان اساءته تقع على فرد أو بعض أفراد ولكن اللص صاحب القلم فان اساءته تقع على أصحاب القلم وعلى كل من يقرأ له ٠ وتحتم علينـــا ان نلتمس العذر لمن يسىء الظن بالكتاب ٠

قد يقول قائل بعض هذا فان شعراء الأزمنة الماضية كانوا يمدحون الملوك وأصحاب الجاه أو أهل الثراء لينالوا جدواهم ويحصلوا على المال ٠ وما كان هؤلاء الشعراء يراعون حقا ولا يتجنبون باطـــلا ٠ بل كان المال عندهم هو الحق والباطل جميعا فيمدحون الظـــالم ويشيدون بالطاغيـــة ويتحيفون على الكرامة ويجعلون كلمتهم وسيلتهم الى الحياة لا يترفعون بها عن حماة الهوى ولا يتعالون بها عن حطة النفاق ٠

قد كان هذا ولكن أين نحن فى زماننا هذا من ذلك الزمان وقد كان الأمر فيه غير ما نحياه اليوم ٠ وقد كان لهؤلاء الشعراء عذرهم ٠ فما كانت هناك جريدة تنشر قصائدهم وينالون عليها رفدا أو مكافأة وما كان هناك اذاعة مسموعة أو مرئية تتيح للكاتب ان يعيش أى عيشة ٠ وكان الملوك وأصحاب الجاه وأهل الثراء هم وحدهم ملجأ الشعر وموئل آماله وفى ساحاتهم وسائل النشر والاذاعة ٠

فأين نحن من هؤلاء ٠

اننا فى زمن ننادى فيه بكرامة الانسان وبالحرية ٠ وكرامة الانسان تبدأ عند صدق الانسان مع نفسه ومع مواطنيه ٠

وصاحب القلم هو نبض الناس ولسانهم فان لم يكن صادقا فمن يكون الصـــادق ٠

ولكننى مع كل ذلك أعجب من تلك الجمعاعات التى تثير الأقاويل حول كل كلمة تقال مهما تكن صادرة عن ضمير نقي ورأى شريف وهدف رفيـــع ٠

فان للناس حاسة غاية فى الصدق وهم يعرفون أين يفح الحق وأين يفح الباطل ورحم الله عزيز أباظة حين يقول فى روايته العباسة :

شعور الناس ياجعفر حق لا هوى فيه
له من وعيه الساذج مصباح فيهديه
يميز بوحى فطرته عداه من محبيه

والكاتب ينشر بين الناس الرأى وهم يحسون بوحى فطرتهم صدق الأمين وكذب الخائن ٠

فلو ان هذه الجماعة التى ترمى الكتاب بالباطل تريثت قليلا ثم حكمت ولو انها رجعت الى تاريخ الكاتب فتبينت مدى محاسبته لنفسه ٠ ولو انها اتقت الله سبحانه وتعالى قبل أن تطلق شائعتها لكان هذا بانسانيتها أجدر ٠

وعلى كل حال فالوزير الذى يخاف الكاتب اللص فيعطيه حتى يسكته أكثر سفالة من الكاتب نفسه ٠ فالكاتب يبيع ضميره فقط أما الوزير فيبيع ضميره ويعتدى على حق الدولة التى افترضت فيه الأمانة ووضعت يده على مقدراتها ٠

والوزير الذى يرشو كاتبا ليمدحه أشد انحطاطا من الكاتب اللص لأن الوزير ينبغى عليه وجوبا ان يجعل أعماله هى التى تمتدحه فلا يخشى الا الله ولا يطلب المديح الا بحقه وصدق فعله لا بأموال الشعب وبما أتاحه الله له من سلطة العطاء والمنع ٠ فما هو الا أمين على هذه السلطة تولاها بثقة من الدولة ان خانها خان الله وحق الوطن ٠

وان الأدواء الاجتماعية والسياسية والخلقية تتلاحق ويساعد بعضها على الانتشار ٠

وعند صلاح الوزراء والمسئولين يبدأ صلاح الأمة ٠

وعلى المسـئول اذ قيلت عنه كلمة مغرضة فيها له تهمة مزعومة أن يبادر بالتكذيب القاطع • فان ذيوع التهمة بين الناس يشجع الفساد ان يفشو ويزلزل ثقة الناس فى الحكم جميعا •

والحكم أولا وقبل كل شىء ثقة بين الحاكم والشعب ان فقدها الحاكم فقد شرعية بقائه على الكرسى •

الأهرام ١٩٨٨/٦/٢٦

« قولا يا أزهر الأجيال »

ويل للحضـــارة اذا تصـــدى لها الجهلاء وشر أنواع الجهلاء أولئك الذين يعـــرفون جزءا من الحقيقة · وقشرة من العلم · وصـــبابة من الدرس · وهينا من المعرفة وشذرة من زهرة · وشجيرة من دوحة ، وآية من القرآن ثم هم عن القرآن جميعا قد عميت منهم العيون · وفي آذانهم عنه وقر فهم لايسمعون · وعلى القلوب منهم أقفالها فهم لايفهمون ·

أولئك الارهابيون الذين أقاموا أنفسهم جبارين علينـــا · ونصبوا أنفسهم مسيطرين على ديننا ·

جهلوا الدين وجهلوا الاســـلام · وجهلوا حق الله الذى كتب على نفسه الرحمة فلو انهم قرأوا سورة الكهف ورأوا الرجل الصالح يخرق السفينة حتى يذهل النبى المرسل موسى عليه السلام · ثم رأوا الرجل الصالح يقتل طفلا حدثا بغير ذنب لادركوا ان الله بهذه الصورة يريد ان يعلن اليهم ان عدالته هو لايعلمها الا سبحانه وهو الذى يقيمها بميزان الهى لايدركه البشر ·

وما نلبث نحن المسلمين ان نتبين من قراءة الســـورة ان فى خـــرق السفينة رحمة وانقاذا لأصحابها من الطغاة · وان فى قتل الطفل خيرا أراده الله لأهله ولكن أى قوة فى الأرض تستطيع أن تطلع على الغيب لتعد له الحاضر ·

انه وحده عالم الغيب والشهادة · وهو وحـــده الذى يدرك كيف تسع رحمته عباده · وكيف ينزل بهم عقابه لايشاركه فى ذلك عبد من عباده حتى الأنبياء الذين أرسلهم هدى وبشرى ونذيرا ورحمة للعباد ·

وحسبك فانظر كيف تملك الروع النبى الكليم موسى وهو يرى الرجل الصالح يقوم بأعمال لم يألفها البشر · لأن الله هو الذى أمر بها بعدالته هو سبحانه التى لايدركهـــا من البشر ولا من الأنبيـــاء ولا من الملائكة أحـــد ·

هذه السورة في القرآن الكريم أوحاها ربك الى نبيه صلى الله عليه وسلم حتى يعرف العباد أن علمهم لايساوي ذرة من ملكوت علم الواحد الأحد • هو وحده صاحب الملكوت الأعلى الذي ينزل رحمته كيف يشاء وبالطريق الذي يختاره هو • فاذا هي رحمة لاتخطر على بال البشر • واذا هي أوسع الرحمات وأعظمها شمولا وأكثرها اشفاقا وحدبا وحبا للعباد •

وهو سبحانه وحده من يسع عباده بغفرانه يغفر ما يشاء لمن يشاء الا أن يشرك به • وهذا الشرك هو وحده الذي يقدره لايشاركه في تقديره مخلوق •

فبأي سلطان من الأرض رخص هؤلاء الارهابيون لأنفسهم ان يكونوا جبارين في الأرض ويشاركوا الله في رحمته ويزيدوا طغيانا وكبرا فيرسموا له غفرانه •

من ولاهم على ديننا ليبينوا الحلال والحرام • ومن أذن لهم ان يحاكموا ويحكموا وينفذوا حكمهم • اذن فهم يريدون أن يشاركوا الله الواحد الأحد في ملكوت الأرض والسماء •

ان الدين عبادة بيننا وبين الله وحده تقدست أسماؤه وعلا سبحانه أن نشرك بعبادته أحدا وهو يطلع منا على خائنة الأعين وما تخفي الصدور فعلى أي شيء يطلع الارهابيون في نفوس البشر ويحاكمونهم ويحكمون عليهم ويوقعون العقاب •

ان يريدوا الا ان يكونوا فراعين في الأرض جبارين • اعتنق فرعون الشرك وهم تظاهروا ان يعتنقوا الاسلام • جل الاسلام وعلا ان يكون أداه في يد أقوام كل سعيهم الى السلطان في الأرض أبعد ما يكونون عن ملكوت الله والدار الباقية •

وأين هم ممن قال عنهم الله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما •

وأين هم من قوله : « خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام » •

وأين هم من قوله « يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » •

ومن قوله « والسلام على من اتبع الهدى » ومن قوله « قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى » وقوله « سلام عليكم لانبتغي الجاهلين » •

وقوله جل علاه « تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما » ·

وقوله « فاصفح عنهم وقل سـلام فسوف يعلمون » وقوله يصف نفسه تقدست أسـماؤه « هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السـلام » ·

أين هم من هذا جميعه وأين هم من قوله فى فاتحـة الكتـاب « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم » ·

وأين هم من اجماع المسلمين على ان يبدأوا أى قراءة لكلمات الله بقولهم بسم الله الرحمن الرحيم وأين هم من المسلمين الذين يباركون كل عمل يبدأونه بقولهم بسم الله الرحمن الرحيم ·

أين الرحمة فيما يأخذون به مصر والمصريين اليوم من عنت وارهاق وأعمال السلاح تقتيلا وتخريبا وفتنة لا تماثلها فتنة ·

ان نبى الاسلام جاء مبشرا ونذيرا وجاء بشرا رسولا فهل يريد هؤلاء ان يكونوا أنبياء من نوع جديد لم تعرفه البشرية منذ بعث الله الى الأرض أنبياء حتى ختم رسالاته بسيد الأنبياء يصفه المولى بانه على خلق عظيم · ويقول عنه فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ·

فما لكم أنتم وقد تملكتكم الفظاظة وغلظت منكم القلوب وأنا من حولكم لمنفضون ·

ألم تقرأوا القرآن · فماذا قرأتم اذن · ألم تقرأوا سورة ق « نحن أعلم بما يقولون · وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » ·

صدق الله العظيم

فمالكم أنتم تبطشون بشعار القرآن · تبت أيديكم جميعا · فما هذا ديننا وما هـذا قرآننا · انما هو سعار الحـكم يحيط بكم · وويل لكم يوم اللقـاء ·

ألم تقرأوا سورة الغاشية وقوله · « فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر » ·

أو مذكرون أنتم لا ومن خلق الخلق وما أنتم علينـــا بمسيطرين تعالى الله ان يهب لكم مالم يهب لنبيه ســـيد البشر أجمعين عليه الصلاة والسلام وبعد فهذه حديث كنت أرجو ان أقرأه لعلماء الأزهـــر فهـم به أولى وانما ندبت نفسى له لما رأيت الأزهر صامتا الا قلة صاتت فى خفوت أو تحدثت على استحياء والأمر خطير • والأزهر هو أملنا وبمأذنه ومناراته والشيوخ الأجلاء فى ساحته ينعقد الموثق والى قممه يسعى المسلمون فيم نحن فيه اليوم •

فصوتا مجلجلا يا أزهر الأجيال المائة • واســمعنا صوتك مدويا • فاليوم اليوم هو موعد الصوت المدوى منك عاليا الى السماء لا اله الا الله وحده ومحمد رسول الله • وانها لا اله الا الله وانها محمد رسول الله الى أبد الأبدين وســلام على المؤمنين الذين عن ايمانهم ودينهم ينافحون ويذودون •

الأهرام ١٩٨٨/٧/٣

معجـــزات ..

سبحان مالك الملك فى كل لحظة من لحظات الحياة تشرق معجزاته ولكن أكثر الناس لايبصرون . ان الحياة التى نحياها فى مصر اليوم من أعظم معجزات الخلاق العظيم . كل أسرة فى مصر من أسرات الموظفين فى الحكومة أو فى القطاع العام تمثـــل معجزة لايستطيع العقل المجـــرد ان يفهمها .

كيف يستطيع موظف ليس له دخل الا مرتبه ان يقيم أسرة بأكملها من طعام وملبس وتعليم ومواصلات وعلاج .. الا أن يـكون ذلك ببركة خفية من لطيف السماوات والأرض ـ الملك القدوس .

انه سبحانه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر . وهو سبحانه حين يبسط الرزق يختار ما يشاء من وسائل لهذا البسط الكريم . وليس من الحتم ان تكون بسطة الرزق بالصورة التى يتمناها العبد .

بل تتمثل رحمة الله بالوسيلة التى يريدها هو جل شأنه .

كيف يعيش هؤلاء الموظفون لا استثنى منهم أحـــدا حتى الوزير اذا لم يكن للوزير مورد آخر للرزق .

بل كيف يعيش ملاك الأرض بالغة ما بلغت مساحة أرضهم اذا كانوا هم ملاكا فقط وليسوا زراعا لهذه الأرض .

فان أقصى ما يملكون لن يتعدى الخمسين فدانا وهؤلاء الثراه ، منهم الثراة وهم نسبة ضئيلة لاتكاد تذكر . اما أغلب الملاك فهم من أصحاب الأرض الضئيلة التى لاتتجاوز الأفدنة الخمســـة والتى تقل عن فدانين أو فدان .

ما مصير هؤلاء . كيف يعيشون .. كيف يستطيعون مواجهة الحياة فى سعارها هذا الجديد التى لم يتصور أحد ان تبلغ ما بلغت اليه من وحشية لا رحمة فيها ولا شفقة .

ان الذين واكبوا الحياة فى العالم منذ عشرين عاما اذا عقدوا مقارنة بين الأسعار على مدى هذه السنوات يصيبهم الذعر والرعب، ولو لم يكن الأمر واقعا لا شك فيه لرفضوا ان يصدقوه لأنه بعيد عن كل منطق ·· ويحطم كل تطور ·

لقد أخذتنا الأسعار على غرة فاذا هى تقفز فى اليوم ما كانت ترتفعه فى عام والناس حيارى ذاهلون ·· كتبت عليهم الحياة ولابد ان يحيوها ·· والدخول التى كانوا يواجهون بها الحياة لم تزد الا زيادة ضئيلة هزيلة لايكادون يشعرون بها ·

ويعيشـــون ··

انها المعجزة فى قمتها الالهية الشاهقة ·

وأولئك المساكين أصحاب العمارات القديمة أصبحوا جميعا يتمنون ان تهدم عمائرهم وتصبح قاعا صفصفا ·· فهى وهى مهدمة منقضة ركاما يستطيعون ان يبيعوها بملايين الجنيهات ·· ولكنها وهى قائمة فى شكل عمارة ضخمة فخمة أصلها ثابت وسطحها فى السماء تستطيع ان ترد عنهم جوعا أو مخمصة أو ربما كانت عاجزة ان تكسوهم من عرى أو تبل صداهم بشربة ماء ·

ويعيشون ··

انها المعجزة فى قمتها الالهية الشاهقة ·

سبحانه وتعالى ينزل اللطف مع الكارثة ·· كتب على نفسه الرحمة ·

وهل هناك رحمة أكثر من هذا الذى نشاهده فى أمر الموظفين وملاك الأرض وأصحاب العقارات ·

كيف يحيون ·· وكيف يواجهون الحياة ·· وليس الأمر حالة بعض أفراد وانما هم ملايين من الناس يكونون فى مجموعهم دولة بأكملها ·

أرى الكتاب يكتبون عن غلاء الأسعار وفجورها ·· وأرى الكتاب يكتبون عن ضـآلة المرتبات وهوانها ·· وأرى الصور الســـاخرة تبكى على الموظفين وما يعانون من عرى وجوع وافلاس ·

ولكن لا أرى أحدا يفكر فى المعجزة الالهية الكبرى ٠٠ وفى الرحمة الربانية العظمى التى يسبغها الله على عباده ٠

ونواجه فى هذه الأيام أزمة الشباب الذى يتخرج فى الجامعة ويبحث عن عمل ٠ وأبواب العمل مقفلة فى كل المجالات ٠

أما الحكومة فقد استفحل بهـــا عـــدد الموظفين وأصبحت ـ وهى معـذورة ـ لا تطيق أن تعين جميع الخريجين ٠٠ وأصبح من الحتم على الشباب ان ينتظر سنوات بلا عمل حتى يحين موعد تعيينه بالقوى التى يقال عنها انها عاملة وما هى بعاملة ٠

ولكن الشباب لم يعرف اليأس وأرى كثيرين منهم يقومون بأعمال توفر لهم الرزق وتكفيهم ذل السؤال ٠ وأرى كثيرين منهم تنازلوا عن أحلام المكاتب والساعى الذى يجلب لهم القهوة وعملوا هم بايديهـم ونسـوا الشـهادة العليا التى حصـلوا عليها وواجهوا الحياة مواجهة أحرار أباة يعفون بكرامتهم ان ينالوا مالا الا فى مقابل عمل ٠

وهناك الشباب الذى يريد ان يتزوج ليعصم نفسه من الزلل ويستقيم البيت الذى على أعتابه تجرى سنة الحياة منذ خلق الله آدام وحواء ٠

وتقف الشقة عائقا ضخما ٠٠ ثم المهر ٠٠ ثم تأثيث الشقة الى غير هذا مما لايجهله أحد ٠

ويتدارك رفيع السماوات ذو العرش هؤلاء أيضا برحمته ٠٠ فاذا البيت الذى لم يكن يحتمل فردين أو ثلاثة يتسع ويتسع فتعيش فيه أسرتان كاملتان ويأتى الأطفال ٠٠ ونصف حياة خير من انعدام الحياة ٠

اللهم يا رحمة السـماوات والأرض ٠٠ يا من وعدت ٠٠ ووعدك الحق ٠٠ كل دابة برزقها ٠٠ لجاهك نسجد ٠٠ نحمدك اللهم يامن لاتحصى نعمك ٠٠ أنت مولانا ونعم المولى ٠٠ وأنت اللطيف النصـير ٠٠ وأنت سبحانك وحدك أرحم الراحمين تقدست ياذا الاجلال والاكرام ٠

الأهرام ١٩٨٨/٧/١٠

قصص ٠٠ هــل زالت ؟

سيدنا الحسين بن علي وأخوه محمد بن الحنفية أنجبته من سيدنا الامام على فهما اخوان غير شقيقين ٠ كانا جالسين يتناجيان وثار بينهما موضوع اختلفا فيه واحتدم الخلاف وكان فى بيت سيدنا الحسين فقام سيدنا محمد بن الحنفية مغضبا وذهب الى بيته ٠

وحين استقر به المقام كتب الى أخيه يقول ما معنــــاه ٠ اننى وأنت ننتسب الى أب واحد ولكن أمى لو ان الأرض امتلأت من مثيلاتها ووضعن جميعا فى الميزان فى كفة وأمك بنت سيد البشر أجمعين فى كفة لرجحت كفة الزهراء وقد كنت أنوى ان أعود الى بيتك فاعتذر وأزيل ما شـــجر بيننا من خلاف ٠ ولكننى وجدت انك بأمومتك أجدر بهذا الفضل فاذا بلغك خطابى هذا فتعال الى منزلى من فورك وكن أنت صاحب المأثرة فى ازالة خلاف وقع بينك وبين أخيك فأنت أولى٠بهذا الشرف منى واخضلت عينا سيدنا الحسين من الدمع والتأثر وقام من فوره الى بيت أخيه وانتهى ما كان بينهما من أثر المناقشة ٠

قصة كلما قرأتها وجف قلبى وتزاحمت الدموع فى عينى أين هذه الأخوة وأين هذا الحب وأين هذا الايثار ؟

لقد أكلت الحياة الكثير من جمالها فى صلات الناس بعضهم ببعض ٠ ولكن هل تحجرت القلوب التى خلقها الله سبحانه وتعــــالى حبا ورحمة وأصبحت لاتنبض بحب الا بحب المنفعة الشخصية ولا تختلج لمعنى الا اذا كان ماديا صلبا جامدا من حــديد أو صلب أو حجر أو ذهب أو فضـــة ٠ هل توقفت الحيــاة أن تجعل المعنى الانســـانى المجرد الذى يهز المشاعر ويمر على القلوب فيجعلها ترق وتسجح وعلى العيون فيسيل الدمع السعيد من محاجرها ٠

وهل أصبحت الحياة قائمة على الجمود المالى وحده بعيدة كل البعد عن الغنى النفسى الذى يشعر به الانسان يملأ جوانحه وان كان لا يملك من المال شيئا اذن فبئس الحياة هذه ٠

وأقرأ فيما أقرأ ان أحد أثرياء العرب وقع فى ضائقة مالية حادة ·· ولم يجد بين أصدقائه من يطيق انقاذه منها · ولكنه كان يعرف ان واحدا فقط كان من أصدقائه ثم نشب بينهما خلاف جعله من ألد أعدائه هو الذى سيقيل عثرته كان على رغم هذا الخلاف يعرف انه رجل رفيع الخلق وانه لن يتأخر عن تقديم كل معونة اليه ·

أرسل اليه ابنه يطلب مائتى ألف درهم · فما سأل الصديق العدو ابن صديق الأمس وعدو اليوم فيما يريدها أبوه ولم يزد عن ان التفت الى خازنه وأمره ان يسلمه المبلغ الذى طلبه وقال الخازن :

ــ ألا نكتب ورقة بالدين ·

ــ فغضب السيد وثار بخازنه ·

ــ لو كنت أريــد ان تكتب لأمرتك أعطه المال وحذار ان تستكتبـه أى ورقة ·

وأخذ الابن المال وانصرف الى أبيه واستطاع الأب بالمال أن يعود الى مكانته من الغنى فكان أول شىء صنعه ان أعطى الدين الذى استدانه من الصديق العدو الى ولدهُ وقال له ·

ــ اذهب الى عمك ورد له المبلغ وأشكره على فضله وذهب الابن الى الرجل الكريم وقدم المبلغ بين يديه فاذا الرجل يلتفت اليــه فى أنفه وكبرياء ·

ــ أكنت خازن أبيك يأخذ حين يريد ويرد حين يشاء انما قدمت هذا المال الى أبيك هدية لا دينا والهدية لا ترد ·

ويجمع الابن المال ويعود به الى أبيه ·

أين نجد اليوم هذه النجدة والشهامة والرجولة والكبرياء والعفة والترفــع ·

ولاشك ان المدين كان يعرف هذا جميعه فى عدوه الذى كان صديقه فلو لم يكن يعرفه حق المعرفة ما قصد اليه دون أصدقائه أجمعين هل فى الحياة اليوم رجال مثل هؤلاء الرجال · أم أقفرت منهم الدنيا فأقفرت من المعانى النبيلة والخلق الرفيع والشرف الأسمى ·

أين نجد مثل عمر حين يأتى اليه قاتل أخيه وعمر أمير المؤمنين وقاتل أخيه واحد من الرعية صاحب مسألة ويقول عمر :

ــ انك قاتل أخى ؟

فيقول :

ــ نعــــم

فيقول عمــر :

ــ لا أحبك حتى تحب الأرض الدم •

ويسأل الرجل :

ــ أو مانعى هذا حقا ؟

ويقول عمر فى حزم :

ــ لا

فيقــول الرجل :

ــ فانه لا يأسى على الحب الا النساء •

أقص هذه القصص مثلا عليا قرأها علينا التاريخ وما رواها الا لأنها قمم رفيعة ولكن النظر الى القمم يجعل الحيــاة جديرة بأن تعاش خليقــة بأن يحياها الانسان وكان فى الحياة غير هذا كان فيها صاحب البيت العنيف الطريف •

وكانوا بنو عمى يقولون مرحبا
فلما رأونى مفلســا مات مرحب

وكان فيها صاحب الأبيات الخالدة :

وان الذى بينى وبين بنى أبى
وبين بنى عمى لمختلف جـــــدا
اذا أكلوا لحمى وفرت لحومهم
وان طلبوا هدمى بنيت لهم مجدا
يعيرنى بالدين قومى وانمــــا
ديونى فى أشياء تكسبهم حمدا
ولا أحمل الحقد القــــديم عليهم
فليس كبير القوم من يحمل الحقدا

وهذه الأبيات تجمع الآباء والعفة والترفع متمثلة فى الشاعر نفسه والصغار والحقد والحسد متمثلة فى بنى أبيه وبنى عمه .

فالحياة لم تخل يوما من الشر ولكنها أيضا لم تكن تخلو من الخير والجمال والسموق واستغفر الله ما أحسبها اليوم قد خلت ولكنها اتسعت وتزاحمت .

وأصبح الخير يتوارى فى غبار المادية الحقيرة .

انما ستظل الانسانية تجمع فى جوانحها مع الكراهية والحقد والحسد والحب والعطاء والايثار وربما كان بين جماعتنا من يمثل هذا الخلق الأرفع ولكنه يتوارى فى شرف الحياء وترفع البعد عن اذاعة ما يقدمه من الخير جاعلا منه قربى الى رفيع السماوات ذى العرش فعنده سبحانه لايضيع أجر المحسنين وكفى بالله وكيلا لهؤلاء وحسيبا .

الأهرام ١٩٨٨/٧/١٧

الكتـــاب والـــكاتب ..

الكاتب للمسرح والكاتب للسينما وكاتب التليفزيون والذين يلقون المحاضرات يعرفون من فورهم أثر ما كتبوه على قرائهم وتشملهم والجمهور روح انسانية واحدة يعرف منها الكاتب ان كان قد بلغ رضـــا الجماهير أم هو بعيد عن هذا الرضا .

وللكاتب المسرحي والتليفزيوني والسينمائي ان يبحث ـ عند فشله ـ عن الأسباب التى أدت الى هذا الفشل .. وكلها فى اعتقاده طبعا بعيدة كل البعد عن سوء تأليفه هو .. فهو حينا يوقع أسباب فشله على المخـــرج وحينا آخر يوقعها على المنتج أو هو ينزل بها على الممثلين . أو يريح نفسه ولا يفصل ويتهم الجميع بالفشل الذى أحاق بعمله الفنى .

فاذا نجح العمل الفنى نسب الكاتب نجاحه لنفسه وحده وعلا فى أوساط الفن صوت الصراخ تتجاذبه حناجر المخرج والمنتج والممثلين جميعا . فكلهم يهاجم كلهم وكل واحد منهم ينسب النجاح لعبقريته وحدها التى لولاها لفشل العمل وهوى الى حضيض أى حضيض .

وانى لأعجب اليوم وأنا أرى بعض الأفلام المصرية فاننى لم أكن أتصور ان عبقرية السقوط يمكن أن تتدنى فتسفل كل هذا السفول .

أى حضيض عجيب يحفرون العفن ليصلوا اليه .. أتكون هذه الأفلام نتاج الهيروين والكوكايين وما لا أدرى من وسائل الغاء العقل والاحساس والانسانية جميعا .

ثم بعد الى أين بنا الانحدار .. قد أصبح الفيلم الممتاز درة وهاجة التلألؤ وسط هذا الركام الحقير من الأفلام الساقطة .

ولابد لى أن أذكر بكل اعتزاز وفخر فيلم « عندما يأتى المساء » لعميد الرواية العربية نجيب محفوظ .. وقد أخرجه المخرج الشاب هانى لاشين فكان قمة نستطيع ان نضعها فى ثقة واطمئنان مع قمم الرواية العالميـــة

بأبطاله العتاة فريد شوقى وسناء جميل وابراهيم الشامى وعبد العظيم عبد الحق .. وأنا أرجع الفضل الأول ولا أقول الوحيد للمخرج الشاب فروايات نجيب محفوظ كلها عظيم وكثير منها لم يظهر على الشاشة بعد فاختيار المخرج لهذا العمل دليل قاطع على انه يملك حسـا رفيعا وفنا رفيعا أيضا .

فيلم واحد بين عشرات الأفلام التى بليت برؤيتها والتى لا يجوز مقارنتها بهذا الفيلم وان كان هناك فيلم أخذ اعجابى وسعدت به غاية السعادة فهو فيلم « حد السيف » بطولة محمـود مرسى ونجـوى فؤاد واخراج عاطف سالم وانهـا لنكبة كبرى الا نجـد فى ركام هذه الأفلام جميعا الا فيلمين ممتازين الى جانب بعض أفلام أخـرى قليلة من انتاج ممدوح الليثى جديرة بالاحترام .

أما الأفلام الأخرى فتكاد لا تجد كلمة فى اللغـة العربية يمكن ان نصف بها درجة حقارتها .. وما ذلك بعجيب فان اللفظة العربية تنشأ فى اللغة لتواجه حالة معينة تحتاج الى وصف .. وهذا الذى نراه فى السينما المصرية حالة انحطاط لم تشهدها اللغة العربية من قبـل لتقيم لها كلمة مناسبة فكل الفاظ السفول والإنحطاط والحقارة والتفاهة والصغار تعتبر اذا وصفت بها هذه الأفلام نوعا من المديح لأنها أهون من كل هذه المسبة التى تثيرها هذه الألفاظ فى نفس القارىء .

وويل لنا كل الويل نحن الكتاب اذا اشترى منتج عملا روائيا لنا .. تمزق العمل وانماعت سماته وبهتت معالمه ولم يبق منه الا اسمنا ويا ليته ما بقى وأسماء أشخاص الرواية المكتوبة وأحيـانا لا تبقى .. أما الفكرة وأما الموضوع الذى ماكتبنا الرواية الا من أجله فهيهـات .. كل هذا يمزقه بخل المنتج وفجاجة المخرج وحرص الممثلين ان يظهروا على الشاشة حتى وان كان ظهـورهم يسىء الى فكرة الفيلم .. وناهيك بجماعة يلتئم شملها على تمزيق فكرة تقف بينهم وحيدة عزلاء بلا نصـير ولا مجير لها وبلا ضمير منهم .

لذلك فنحن الكتاب مسئولون عن الكتاب الذى يظهر لنا فى شكل كتاب .. فالكتاب ملك الكاتب وحـده لا يشاركه فيه الا صاحب الملكوت تقدست الاؤه هو الذى يلقى بفكرته الى ضمير الكاتب .. وهو سبحانه الذى يهب له القدرة أن يتمه .. والكاتب ينشر كتابه لا يستشير فى أمره أحدا .. ولا يمتد أصبع من التعديل الى كلمة مما كتبه .

وقد يظهر الكتاب منجما في جريدة ثم يصـــدر منشورا في كتاب فلا الجريدة تحاول ان تغير من حروفه حرفا ٠٠ ولا الناشر يمد اليه قلم تعـــديل ٠

فمسئولية الكاتب كاملة عن كتابه فقط ٠٠ وليس الكاتب مسئولا أية مسئولية عن أى لون يظهر فيه الكتاب بعد ذلك ٠

لا شأن للكاتب اذا أصبح الكتاب عملا دراميا في المسرح ولا شأن له ان ظهر فيلما في سينما أو تليفزيون ولا شأن له ان ظهر الكتاب مسلسلا في سهرة بالشاشة الصغيرة ٠

ولو حاول الكاتب أن يتدخل لواجهته شتى صعاب لا قبل له بها ماذا هو صانع مثلا ان اختار المخرج والمنتج ان يصورا العمل خارج مصر ٠٠ هل يستطيع الكاتب أن يجرى وراء عمله في شتى بلاد الأرض ؟!

فاذا تم التصوير في مصر فكيف يستطيع الكاتب ان ينقطع لمراقبة التصوير ٠٠ وماذا هو صانع ان كان جزء من العمـــل يصور في الأقاليم والمحافظات الأخرى ٠ بل كيف له ان يرصد وقته للعمل ان كان يصور في القاهرة حتى ان كانت القاهرة محل اقامة الكاتب ٠

لاســـبيل ٠٠

ان الكاتب لا ينبغى ان يحاسبه أحد الا عما خطه بقلمه ووقع عليـه ودفع به الى المطبعة ٠٠ ولكل قارىء بعد ذلك مذهب ورأى في الكاتب ٠٠ ولذلك فان أثر الكتاب لا يعرفه الكاتب الا بعد فترات طويلة من ظهـور الكتـــاب ٠

وقد أخذت نفسى منذ البواكير الأولى من حياتى الا أصحح مفهوما وقر في نفس أى قارىء ٠٠ لأن لكل قارىء تكوينـــه الخاص وأفكاره التى لا يشاركه فيها أحد فاستقباله للكتاب استقبال فردى ولا يشاركه فيه انسان ولا يستطيع أحد حتى وان كان الكاتب نفسه ان يصحح من مشاعره ما استقبل به هو الكتاب وهو يقرؤه وحده وليس بينه وبين حروفه غلالة من رأى الجماهير أو من دعاية الدعاة ٠

فأنا لم أرد على ناقد في حياتى مادحا كان هذا الناقد أو قادحا ٠

وأنا أيضـــا لا أعتبر الكتابة عن أى عمل لى فى الاذاعـــة أو المسرح أو التليفزيون أو السينما نقدا موجها لكتابى ·· فالكتاب المطبوع مسئوليتى والكاتب حر فى رأيه عنه · وما يحول عن الكتاب الى عمل آخر فى أى ميدان ليس من شأنى فى شيء وقصارى الأمر منى ان أشاهده كما يشاهده الجمهور وكما أشاهد أنا أعمال الآخرين ·

اما ان تكون نتيجة مشاهدتى حزنا أم سعادة · شقاء أم فرحا ·· تعاسة أم ابتهاجا ·· فهذا أمر آخر ·· وكل ما أصنعه ان أتوجه الى البـــارىء الرحيم اللطيف بعباده وأقول حسبى الله ونعم الوكيل ·· وحسبى الله ونعم الوكيل ·

الأهرام ١٩٨٨/٧/٢٤

منـارة الأزهر والاعـلام

لحكمة الهية عظمى جعل الله ختام معجزاته كتاب الله أنزله بالحق وبالحق نزل وفى هذه الكلمات المباركة بشر الله عباده أنه هو سبحانه أنزله بالحق والأمر ساطع لا مناقشة فيه فما دام الله الحق قد انزله فهو بالحق أنزل ثم يزف الملك القـدوس الى عباده أنه أيضـا وصـل اليهم بالحق . وان الذى ألقى عليه القول أبلغ الرسالة الى العباد بالحق .

فالحق أنزله الله لأنه هو الذى أنزله وبالحق نزل لان النبى الذى اختاره الله لابلاغه أمين فصيح . ولهذا كان من طبيعة الأمور أن يقول سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وعدا من صادق الوعد الحكيم المتعال . وقد صدق سبحانه وعده وحفظ ذكره ومرت الأجيال تحمل على كتفيها ألفا وأربعمائة عام وتزيد وكتاب الله محفوظ لم يتغير فيـه حرف . ولا ندت منه كلمة عن موضـعها . تناقلته الأجيـال عن الأجيال أوراقا متناثرة غير متكتبة فى كتاب . وأبلغته صدور عن صدور وألسنة عن ألسنة . لم يختلف فى كلمة منه رأى عن رأى أو مذهب عن مذهب أو فكر عن فكر .

واختلف المسلمون وتمزقت وحـــدتهم وأصبح لكل جمـاعة منهم مذهب وتناحروا وتحاربوا وتناجزوا .

ولكن كلمات الذكر محفوظة بحروفها لا يقترب منها خلاف مهما يكن هينا ولا يجرؤ على المساس بها مذهب مهما يكن مغاليا متطرفا .

وكفر بالاسلام أقوام ولكنهم فى كفرهم لم يجرأوا أن يمسوا حروف المصحف بتصحيف أو تبديل .

ونحن هنا لا شأن لنا بالكافرين فأمرهم الى الواحد الحق يكتب لهم ما لهم ويكتب عليهم ما عليهم لا يظلمون فتيلا . فهو من قال عن نفسه أنه ليس بظلام للعبيد . تقدست أسماؤه . وهل العدالة الا قبسة من نوره الأسنى .

وأنا حديثى هنا عن المسلمين الذين يقولون الشهادة وبالله الواحد ونبيه الكريم يؤمنون •

ألم يقرأوا القرآن •• لا •• ما أحسب أنهم قرأوه •• وان كانوا قرأوه أتراهم فهموه •• هيهات • وان فهم القرآن ليس بالشىء اليسير فأنا رجل صناعتى اللغة وقد ختمت قراءة القرآن مرات ومرات• وها أنذا أصبح بملء فمى أننى عاجز عن فهمه جميعا • وانني كثيرا ما توجهت الى المشايخ الأجلاء من العلماء المتخصصين ليبينوا لى ما لم أستطيع أن أصل أنا اليه •

وأصيح مرة أخرى بملء قلبى وقلمى اننى فى كل مرة أقرأ القرآن يملأنى شعور أننى أقرأه للمرة الأولى فى حياتى • معجزة تلك من معجزات القرآن • وكم للقرآن الكريم من معجزات •

ولكن فى القرآن آيات واضحة كل الوضوح لا تحتاج الى جهد فى فهمها أرادها الله كذلك • لأنها من أسس الدين والدنيا ومن أقدر من مالك الدين والدنيا على جعل الكلمات واضحة كل الوضوح حين يشاء لها ذلك • له فى ذلك حكمته العليا ورأيه الأسنى فى القرآن آيات أراد الله ألا يتضح معناها الا بعد فترة من نزوله لأن القرآن نزل ليظل معجزة السماء حتى يرث الله السموات والأرض وما عليها فمن الطبيعى أن تكون به آيات تتضح أسرارها مع مرور الزمان مثل معجزة البصمات مثلا • ومن الطبيعى كذلك أن تكون فيه آيات واضحة لا تحتاج الى سنوات من الزمن أو تفسير من أحد •

وفى هذه الأيام وأنا أقرأ سورة الأنعام أشرقت أمام بصيرتى آيات بينات واضحة وضوح الشمس لا مجال فيها لجدل أقرأ معى قوله تقدست كلماته الآيات ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من أملاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون • ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » •
صدق الله العظيم •

آيات مشرقات واضحات • ان هذا هو صراطه مستقيما جل علاه • فاتبعوه • ولم يكتف سبحانه بأمره الى عباده أن نتبعه بل زاد ولا تتبعوا السبل لأنكم اذا اتبعتم السبل تفرقت عن سبيله الذى هو الصراط المستقيم •

ليس فى الآيات البينات حديث عن الموسيقى و ان من يستمع اليها حق عليه عقاب • ولم يأت ما يجعل حد استماع الموسيقى الضرب بالجنازير ولا بالمطاوى • بل جاء لا تتبعوا السبل فتفرق بكم •

وها هم أولاء الارهابيون من حملة الجنازير ومن القتلة اتبعوا السبل وتفرقت بهم عن السبيل وعن صراط الله المستقيم •

علم الله انما أنا مجتهد أتلمس من نور القرآن مشكاة تضىء لى الطريق •

وعلم الله اننى أندب نفسى وقلمى الى موضوعات يعرفها الأئمة الهداة من الأزهر الشريف خيرا مما أعرفها • وهم بها أولى ثم هم بها أولى • فأولى •

وأسمع أن الاعلام لا يتيح لهم الفرصة أن يقولوا فينيروا بقولهم الطريق لمن استبهم عليهم الطريق • ولمن اليل عليهم السبيل • ولمن ضاقت بهم منافذ التفكير الاسلامى الرفيع •

وان كان الأمر كذلك فانى أشفع رجائى الى رجال الأزهر أن يقولوا برجائى لرجال الاعلام أن يفسحوا لهم كل منافذ القول •

وأنا واثق اننى لم أسمع من الأزهر ما ينبغى أن أسمعه فى شأن الارهاب الاسلامى •

ولكننى لا أعلم من شأن اغلاق منافذ الاعلام عنهم الا ما أنبأنى به شيوخ أجلاء من مصابيح الأزهر الاعلام •

وانى هنا أنقل حديثهم الى الاعلام والى كل مسئول •

وأقول مع سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشبه التابع بالمتبوع والمؤمن بحامل الرسالة وعبد الله بنبى البشرية اللهم هل بلغت •• اللهم فاشهد •

الأهرام ١٩٨٨/٧/٣١

قد عزلنـاك فقـم

جلس أحد الأمراء الهازلين الهزلاء فى ايوانه الفخم المطرز بالحرائر المضمخ بالطيب وحوله رجال الدولة من كل فارع الطول هين الشأن كبير العمامة ضامر الرأس يندر بينهم من له قيمة العقل المتزن أو العلم الوافر، أو الضـمير النقى أو الشـجاعة فى الحق ، وعند الأمير الهزيل تتساوى الرءوس فى اتقان الانحناء يصدق عليهم البيتان القديمان :

وما بقيـت من اللـذات الا مخاطبـة الرجال ذوى العقول

وقد كنـا نعدهـم قليـلا فقد صاروا أقـل من القليـل

ويصدق عليهم أيضـا وعلى أميرهم قول أمير الشعر العربى بحق أحمد شوقى قالها بعد اجتماعهم هذا بمئات السنين ولكن لانه شعر أمير الشعراء أصبح صالحا للتمثل به فى الماضى والحاضر كما سيظل صالحا للمستقبل أيضا قال شوقى الخالد بعد مئات السنين من جلسة الأمير المزركش ورجاله الكبار الصغار لا تستشير وفى الحمى •• عدد الكواكب من مشير •

كم سـبحوا لك فى الـروح والهوك لـدى البـكور

ورأيتـهم لـك سـجدا كسـجود موسى فى الحضـور

خفضـوا الرءوس ووتـروا بالـذل أقـواس الظهـور

وفى يومه ذاك بدأ الأمير الحديث لان آداب الثقافة فى ذلك العصر ألا يبدأ أحد بالحديث الا الأمير •

وقبل أن يبـدأ الحـديث كان قد أدار عينيه الفارغتين على رءوس مجالسيه وكان بينهم قاض اشتهر بالأمانة والعدل والعلم جميعا وكان

قاضيا على بلدة اسمها قم اشتهر بين أهلها بالعفة والتعمق فى دراسة الشرع الاسلامى · وأراد الأمير أن يرفع من قدر القاضى الوقور وشاء له حظه العيى وحظ القاضى العاثر أن يبدأ الكلام بكلمات انتظمت شطرة ضائعه من الشعر ·

أيها القاضى بقـــم :

وانتبه الأمير انه قال شعرا وقاله صدفة دون تدبير وتصور انه لابد له أن يكمل الشطرة بشطرة ولما لم يكن شاعرا ولما كان محبا للظهور ولما كان عاجزا عن الكلام المنثور ولما كان عن الكلام المنظوم أكثرعجزا فقد تولاه الصمت وانعقد لسانه وطال الصمت · وخشى أن يعلن صمته للحاضرين عن جهله بتصريف الكلام واصداره ايراده فانه لم يجد شطرة يكمل بها بيت الشعر للقاضى المبجل الا قوله · أيها القاضى بقم قد عزلناك فقـــم ·

وبهت القاضى لحظة ثم قال للأمير فى ملمحية وذكاء وفى شجاعة ثابتة الجنـــان ·

والله أيها الأمير ما عزلتنى الا القافيـــة ·

وصارت هذه أمثولة تضرب على هوان العزل والترقية والتوليـة والتعيين فى ظل الأزمنة التى لا تقدر الرجال حق قدرهـم ·

وها نحن أولاء وبعد مئات السنين من قاضى قم الذى عزل بقافية ضائعة لم ترد فى مكانها ·

نرى الموظفين عندنا يعينون بقافية لا معنى لها ويعزلون بكلمة قم دون أن يكون وراءها معنى يبررها أو منطق يؤيدها ·

ان اختيـار كبـار الموظفين فى شتى أركان الدولة اليوم لا ندرى أسبابه ولا دوافعه · ونرى الموظف الجديد من هؤلاء يتولى أمور وظيفته فلا نجد فى مجرى العمل بالوظيفة ما كان يدعو الى عزل السابق وتعيين الحاضر ·

ونرى منهم من يقدم الى الوظيفة تسبقه أقـاويل كان شـأنها أن تقصيه عن المكان الذى الحق به فاذا بها على هوانها تقربه من الوظيفة التى ألحق بها وتثبته عليها أيضـا ·

والذى يملك أمر التعيين فى الوظائف الكبرى رجل يستشير وليس له أى مصلحة فى تعيين شخص فى مكان ما كما انه بعيد لأن البعد عن مصلحة خاصة تربط بينه وبين الشخص الذى ينبغى أن يقال له قد عزلنك فقم .

ان محمد حسنى مبارك من أعدل من حكم هذه البلاد منذ مئات السنين وهو يستشير ولكن تخلف عنه قول شوقى :

لا يستشير وفى الحمى عدد الكواكب من مشير

أما هو فيستشير أما الذين يقدمون اليه المشورة فلكل منهم شأن يغنيه فمنهم من ينأى بنفسه عن عداوه من ساءت سمعتهم ومنهم من يشير استشارة متعجلة حتى يبدو جاهدا أمام رئيس الدولة ومنهم من يشير لغرض فى نفسه لايبين عنه ومنهم من يلقى بها خبط عشواء لا دراسة وراءها ولا تدبر ومنهم من يريد أن يصطنع لنفسه كبار العاملين فى الدولة حتى يكون من جنوده أو من الويته .

والاستشارة غير هذا جميعا . انها حكم كأحكام القضاء وانها شرف وانها ضمير وانها نزاهة وانها مسئولية وانها كلمة حق يحاسب عليها الواحد الديان يوم يقوم الحساب وان لنا بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم مقنعا يكفينا فان فيه الصراط المستقيم والشريعة المثلى والطريق السواء والنهج الأمثل حين قال (صلعم) من غش أمتى فليس منى أو ـ كما قال الذى وصفه ربه بأنه على خلق عظيم وانه رءوف بنا ـ يأبى لنا العنت فى الحياتين ويرفع المثل العليا فى الدنيا وفى العليا وفى الفانية والخالدة وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الأهرام ١٩٨٨/٨/١٤

الانســـان عملـــه

اهتم الشـاعر العربى بفكرة الاصــول والأسرات ولو ان الذاكرة أسعفتنى لرويت الكثير من الشعر فى هذا الشأن ولكننى سأروى لك ما علق بالذاكرة منها · فأذكر مثلا بيتين كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه يرويهما فى جلساته لأصحابه وخلصائه ·· يقول البيتان :

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم   طابوا وطاب من الأولاد ماولدا
محسدون على ما كان من نعم   لا زايل الله عنهم ماله حسدوا

وأذكر أيضا لأبى نواس يقول فيهما :

أين النجـــوم التـــاليات من الأهلـــة والبـــدور
أين القليـــل بنو القليـــل من الكـــثير بـــنى الكـــثير

وأذكر أيضا من الشعر القديــم :

مصابيــح فى الهيجا مكاشـيف للدجى
بـــنى لهم أباؤهـــم وبـــنى الجـــد

وتعـــذلنى أفنـــاء ســـعد عليـــهم
وما قـــلت الا بالـــذى علمت ســـعد

ولو اننى تتبعت هذا المعنى فى الأشعار العربية لعجزت عن جمعه ووقفت بى كثرته عن الالمام ·

ومع اعجابى الشـديد بالصـياغة فى هذه الأبيـات التى ذكرت وبغيرها مما لا أذكر الا اننى أخالف الشعراء الذين ذهبوا هذا المذهب كل المخالفـة وأرفض أن أوافق أن أبنـاء الأصول مبرأون من المعـايب بعيدون عن الصغار · وان أبناء خلق الله ممن لا يتمتعون بالغنى فى المال أو الكثرة فى العدد يرتكبون الصغار ويذلون أنفسهم للهوان ·

فليس هذا صحيحا فى جملته ولا تفصيله ٠

وكم من فقراء عرفتهم لهم من عزة النفس والكبرياء ما لا يتمتع به الكثيرون من أبناء الأسرات الشهيرة بالكثرة المالية أو بالتاريخ العريض ٠

اننى أرفض رفضا باتا قاطعا تقسيم الناس فى أخلاقهم وتصرفاتهم الى طبقات ٠

لقد بدأ العالم بأن قتل الأخ أخاه ٠ فالجريمة قديمة قدم الخلق ٠ وأبنــاء البيوتات خلق من خلق الله كما ان أبنــاء الرزق المقدور الضيق خلق من نفس الخلق وجد الفئتين قابيل وهابيل وفى البشر جميعا أعراق من الأخوين ٠

ولذلك أعجب حين تأخذ النظرية الماركسية بفكرة الطبيعة فتجعل العمال طبقة والفلاحين طبقة وأصحاب رءوس الأموال طبقة وتطبق عليهم نظريات خلقية واحدة ٠

فالعمال الكادحون والفلاحون شرفاء ٠

وأصحاب رءوس الأموال لصوص ٠

علم الله ان اللصوص موجودون فى الطبقات جميعا ٠

وأنا كذلك أعجب من الذين يبرئون أبناء الأصول من أن يرتكبوا الدنية أو الحطة أو السرقة أو النهب أو الزلل ٠

بل ان منهم من بلغ فى الاجرام ما يعجز عن بلوغه أبناء الطبقات الكادحة ان الشر قديم والخير قديم ، والشر موجود فى جميع الطبقات والخــير موجود فى جميع الطبقات ٠ وكم لقينـا أبناء أسرات بلا كرامة ولا خلق يستحلون ما حرم الله وما يرفضه الخلق الكريم وكم رأينا أبناء كادحين لا يملكون قوت يومهم يتقون الله ويأبون الا الكرامة والاعتزاز بانسانية الانسان ، ولكن هذا لا يمنع اننا رأينا من أبناء البيوتات من يصبر فى الفاجعة ويعفو عند المقدرة ويثبت عند العاصفة ويعطى عنـد النازلة ويتكبر عند الهوان ويعلو اذا انحنى الأخرون ويشمخ اذا أنماع الأذلاء ٠

وكم رأينا مثل هؤلاء فى الطبقات التى ضاق عليها الرزق ، يقيلون عثرة الصديق • ويعطون المال على حبه وعلى خصاصة لمن هم أكثر حاجة اليه منهم • رجالا برئت قلوبهم من الحقد وتنزهت نفوسهم عن الكراهية اشربوا الحب فهو دماؤهم لا تعرف نفوسهم الا المودة فى القربى وفى غير القربى أيضا ، وانى أوافق بيت الشعر الذى قاله عزيز أباظة فى روايته شجرة الدر :

ان الكرام الصيد من أبائكم   قد انجبوا غاوين غير كرام

فما أكثر ما رأينا كراما صيدا أبناؤهم لا هم كرام ولا هم صيد وانما هؤلاء هازلون أصحاب خمر وميسر ومجون يمدون أيديهم لما ليس لهم ويستحلون كل ما حرمه الدين وكل ما يرفضه المجتمع الشريف •

وأنا أرفض أيضا فيما أرفض الأمثال البلدية التى تدور فى هذا المدار من هذه التى تريد أن تكفى القدرة على فمها لتطلع البنت لأمها ومن هذه التى تقول ان الأصل يبهت •

انما الناس شتى معادن تؤثر فى أخلاقهم بيوتهم بقدر ثم يخرجون الى الحياة فمنهم من يثبت لتيارها الجارف ومنهم من يلفه أعصار الكسب السريع حتى وان لم يكن شريفا •

وكم يحزننى أن أجد بين المثقفين أنفسهم من يسفل بخلقه عن الجهلاء وكم عرفنا من أقوام لهم أباء مشاهير ولهم علم وفير ولكنهم فى السفالة والانحطاط ليس لهم نظير •

كيف يتكون الانسان • ما هى العوامل التى تجعل الشريف شريفا والدنىء دنيئا : ما أحسب ان علم النفس على عظمته استطاع أن يصل الى حكم قاطع فى الميدان • ولو كانت أسرة الانسان مسئولة مسئولية كاملة عن خلقه ما حاسب الله الفرد على فعله وسبحانه هو من قال « وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه » فلو أن كل انسان تشكل على ما صنعه بيته أو صنعته أسرته لما كان طائره فى عنقه وانما فى عنق بيته أو أسرته •

ومن اختلاف الناس تضطرب الحياة وتحل المودة ويسود الحب ويصطرع الكره وتغلى الأحقاد •

ويظل طائر كل انسان فى عنقه الى أن يرث الله الآرض ومن عليها ويوم نلتقى فى رحابه فثم لكل كتابه سطرته أفعاله لا يظلم فتيلا فهو سبحانه جل وعلا ليس بظلام للعبيد •

الاهرام ١٩٨٨/٩/٥

شعر وحب وسياسة

هل علينا من بأس أن نروى شيئا من أخبار بعض الشعراء نسمة ترد عنا بعض هذه الحرور ولعلك تجد فيها شيئا يرد اليك الثقة بالحياة ٠ وبأن الحياة ليست كلها سعار مال ولهيب مطامع ٠

عمر بن أبى ربيعة شاعر من أعظم شعراء عصره وهو قرشى ينتسب الى بيت النبوة وقد طار صيته على أنه شاعر نساء وغزل ٠ وهو لم يحب فتاة واحدة مثل زملائه قيس ليلى وقيس لبنى وجميل بثينة وجميل عزة ٠ وانما أحب عمر فتيات كثيرات ٠

ومن عجيب الأمر انه وهو الشاعر الغزلى ينسب إليه بعض المؤرخين انه كان من الأسباب التى أدت الى نكبة البرامكة على سيوف هارون الرشيد ٠ فان لعمر أبياتا شهيرة يقول فيها :

ليت هندا انجزتنا ما تعد　　وشفت أنفسنا مما تجد

واستبدت مرة واحدة　　انما العاجز من لا يستبد

وقيل ان أعداء البرامكة أوعزوا الى احدى مضيفات الرشيد أن تغنى أمامه هذه الأبيات وان تكثر من اعادة شطر البيت انما العاجز من لا يستبد ٠ واستقر الشطر فى ذهن الرشيد وقيل انه ظل يردده لنفسه حتى أوقع بالبرامكة نكبتهم ٠

ولم يلتفت الرشيد ان العاجز الذى قصد اليه عمر انما هو العاجز فى الحب فالمحب الذى لا يستبد ربما كان عاجزا فيما يرى عمر بن أبى ربيعة. أما الحاكم اذا استبد فهو العاجز ٠ فالاستبداد من الحاكم عجز وعدم الاستبداد من المحب عجز ٠ وشتان بين حاكم تتعلق بيديه أقدار الناس وبين فتاة لعوب تصطنع الاستبداد لتثير مكامن الحب فى نفس حبيبها ٠

أيا كان الأمر • وسواء كانت هذه الرواية صادقة أم غير صادقـة فانى انما أردت أن أسوق اليك قصة أخرى لعمر بن أبى ربيعة • فهو قد تاب وأناب فى أواخر أيامه وصار يحج فى كل عام ليؤدى الفريضة بعد أن كان يحج ليغازل النساء فى موسم الحج وليصدق عليه البيت •

تروح يبغى أن تحط ذنوبه فعاد وقد زادت عليه ذنوب •

أقلع عمر عن الغزل والتشبيب بالنساء وأقسم على أن يطلق عبدا أو جارية تكفيرا عن أى بيت شعر يقوله •

وأخلص عمر قلبه لله جل علاه وحسن اسلامه وصدقت توبته وحدث أن كان يطوف بالكعبة المشرفة فسمع فتى وفتـاة يتناجيان قريبـا من أستارها فقصد اليهما •

ـ أتكون المناجاة فى هذا المكان المقدس ـ وقال الفتى :

ـ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين •

فليكن ذاك فى أى مكان آخر •• لماذا لا تتزوج فتاتك ؟

ـ أبوها يغالى فى المهر •

ـ كم يطلب •

ـ مائة دينـار •

ـ قوما بنـا اليـه •

وذهب ثلاثتهم الى والد الفتاة ودفع عمر بن أبى ربيعة مهر الفتاة من خاصة ماله وتزوج الفتى من الفتاة •

وعاد عمر الى بيته وقد انتعش قلبه فرحا أن جمع حبيبين على سنة الله ورسوله وهاج الشعر فى جوانحه يهزه هزا • وأدركت زوجته ان به شيئا فجابهته •

ـ لست أنت كما عهدتك •• ماذا بك •

فلم يطق سكوتا واندفع يكتب شعره فنظم تسعة أبيات وأطلق تسعة عبيد •

مما أذكره من هذه الأبيات قوله :

تقول وليدتى لما رأتنى ·

طربت وكنت قد اقصرت حينا

أراك اليــوم قد أحدثت شوقا	وهــاج لك الهوى داء دفينــا
بربك هــل أتاك لها رســول	فشاقك ان لقيت لها خدينــا
فقلت لها لقيت أخــا محبــا	كبعض زماننا اذ تعلمينـــا
فقــص على ما يلــقى بهنــد	فذكر بعض ما كنا نســينا
وذو الشوق القــديم وان تعزى	مشوق حــين يلقى العاشقينا

الى هنا تنتهى قصة عمر وأنا رويتها لأخفف عنك وطأة الحر ولأناقش هذا البيت الأخير فليس صحيحا فيما أرى ان ذا الشوق القديم وان تعزى مشوق حين يلقى العاشقين · فللسنين شيبة لا تترك للقلب نضارة فان الزمن حين يباعد بين المحبين لا يبقى الا أثارا بليت لا تعنى شيئا ولعل الشاعر جوته كان صادقا مع نفسه كل الصدق حين قصدت اليه وهو فى منصبه الوزارى فتاته التى أحبها فى شبابه حبا مجنونا عارما حتى ليقال انها هى التى ألهمته كل شعره · وكانت الفتاة التى أصبحت امرأة عجوزا تظن انها حين تقصد اليه وهو فى منصبه الوزارى ستجد عنده الترحيب وانه سيستعيد معها أيام الهوى التى انطوت والزمان الخالى الذى مضى ·

ولكنها فوجئتبوجه جامد لا حرارة فيه ولا ترحيب وسألها بكل برود ان كانت تريد شــيئا بعد أن أبلغها فى قسوة انه مشــغول تماما بالمهام الكبار حتى لقد خجلت السيدة التى كانت هواه وانصرفت تسحب ذيول الأمل الكسير وتغطى الدموع الباقية لها الطريق حتى ما تكاد ترى ·

ترى لو لم يكن عمر بن أبى ربيعــة شــاعرا أتراه كان يقول هذه الأبيات · أترى الواقعة التى شهدها بين حبيبين فى سن الشباب هى التى حركت ما حركت فى نفسه أم هو الشاعر القديم فيه ·

هذه قصة أقدمها الى رجال السياسة عندنا راجيا أن تجد اللمسات الانسانية مكانا تطرقه فى افئدتهم فترق للفتيان والفتيات الذين يريدون

الزواج فيقف بهم المهر وأجر الشـقة وثمن الملابس ثم تحطمهم الحياة بعد ذلك اذا هم كانوا موظفين فى الحكومة أو القطاع العام ٠

فالشاعرية يا ساسة أساس من أسس الحياة ومن يرد منكم أن يكون سياسيا فعليه أولا أن يكون انسانا ٠ وليس انسانا من لا يرق فؤاده لشباب محب وشباب يريد أن يعتصم بالزواج من زلل الخطيئة ٠

وبعد فماذا لويت لك وأى حديث قدمته بين يديك أهو حديث حب أم حديث شعر أم حديث سياسة ٠

وهل على بأس أو عليك أن يكون هذا جميعا ومعه مما ستضيفه أنت اليه من معان تتخفى فى أنحائه وتتوارى فى ثناياه ٠

فالقارىء حين يقرأ يشارك الكاتب ويصبح معه كاتبا ٠ وانى واثق انك ستكتب معى ثانية هذه الذى قرأته لى ٠٠ وفقك الله ٠

الأهرام ١٩٨٨/٩/١٢

سنة ١٩٨٩

كتـــاب نحن لا شعراء

الشاعر أيليا أبو ماضى من أعظم شعراء المهجر · وللشعر عنده موسيقى متميزة لا تجدها عند شاعر غيره فى العصر الحديث وربما وجدت منها نغمات فى شعر البهاء زهير أو فى شعر الشريف الرضى ·

من أبدع قصائد ايليا أبو ماضى قصيدته التى يقدم بها ديوانه الجداول أذكر منها :

يا صـــديقى انـــه لولاك ما وقعـــت لحنـــا
كـــنت فى سرى لـمـــا كـــنت وحـــدى أتغـــنى
ألبس الـروض حــــلاه انـــه يومـــا سيجنى
مالصـــوت أغلـــقت من دونـــه الأســماع معـــنى
ليس نـــورا كل نـــور مر بالأعـــين وســـنى
قـــد سكبت الخمـــر كى تشرب فـــاشرب مطمئنـــا
واســـق من شـــئت كريمـــا لا تخـــف ان تتجـــنى
فهى بالانفـــاق تبـــقى وهى بالامســـاك تفـــنى

ألحت على هذه الأبيات فى أيامنا هذه وخيل الى انها تومىء الينا من طرف مضاد · فجمال الشعر أن يروى وأن تتناقله الناس ويستمتعوا به ويتناشدوه · لطلاوة الموسيقى فيه وحلاوة الجرس ·

انما المقالات المنشورة فى الصحف السياسية شأنها بعيد كل البعد عن شأن الشعر ·

المقالة رأى صاحبها · وهى حين تكون صادقة تكون نبض جماهير وآلام شعب وأزمات بشر من البشر يلقون من الحياة عنتا ·

وكاتب المقالة ليس شاعرا ، وليس كاتب المقالة مغنيا يتغيا اثارة الطرب والاعجاب في نفوس قرائه ولا عازف قانون موسيقى هو وانما هو مطالب بقانون تشريعى وشتان شتان والف شتان بين قانون ذى اوتار وقانون ذى مواد · فان كان الأول موسيقى وطربا وسعادة ومرحا فان الآخر اقدار ناس ، وطريق حياة ومستقبل جماعات وأمل عند يأس ، وفرج عند ضيق ·

القانون التشريعى هو الحكم وليس أنغاما تدغدغ أوتار النفوس ثم ينتهى أثرها ·

فكاتب المقالة حين يكتبها يرجـــو لها واحدة من اثنتين · اما أن تصبح موضع اهتمام المسئولين فيناقشوا ما جاء فيها ويطلعوا على الناس بقرار حاسم وأما يصدر من المسئولين بيان يناقش ما جاء في المقالة ويبين المحاذير التى قد تترتب على تنفيذ الرأى فى المقالة ·

المقالة مشاركة من الكاتب الذى يمثل الشعب فى المسئولية · وليس من الحتم أن يكون الكاتب حامل حقيبة وزارية حتى يشارك فى الرأى · فهو بما هو كاتب يعايش الجماهير معايشة لا يطيقها الوزير المشـغول بالمقابلات وبطلبات أعضاء مجلسى الشعب والشورى وباستقبال العائدين وتوديع المسافرين من ضيوف الوطن ·

فهيهات له ألف هيهات ان يفـرغ الى نبض الجماهير ومشـاكلهم وآلامهم واذا اضفنا الى أعبائه مناقشاته مع الدول الدائنـة ومع الدول التى نرجو أن تكون دائنة واضطراره أن يكون حاضرا فى حفلات الاستقبال التى تقام لممثلى تلك الدول لأدركنا ـ مع كل اشفاقنا على الوزير ـ انه عاجز تماما عن تعرف رأى الناس فى أنحاء مصر جميعا · وأنا لست أعنى العذابات الصغرى مثل انقطاع النور فى قرية غزالة بالشرقية ولا انقطاع المياه فى حى السيدة زينب ـ رضى الله عنها ـ بالقاهرة لا ، ولا أقصد انفجار ماسورة أو تراكم نفايات ·

انما أقصـد الخطوط العريضـة فى الحـكم التى لو التفت اليها المسئولون ما نغصت هذه المسائل الصغرى حياة الناس ·

ولكننى أرى عجبا · تظهر المقالة لى اليوم فاذا بى فى المساء أتلقى الكثير من التليفونات يطلبنى فيها أصـدقائى من الوزراء يهنئون بالمقالة

أسـلوبا وموضـوعا ، وككل ممدوح ينعقد مني اللسان وينولانى العى وتسيطر اللعثمة على لسانى وتتخلج شفتاى من نضوب الكلام ..

ولكن معالى الوزراء يفوتهم اننى مع شكرى العميق لكريم مديحهم لم أتصور أن يكون هو الاجابة .

فأنا انسان وبما هذه الصفة يزهينى المديح وأسعد له وأخجل معه أيضا ولكن ما اليه أتصيده ولا أنا أحاول أن أقصده بما أكتب .

انما أنا فرد من هذا الشعب يسرنى الله سبحانه وتعالى ألا أقول الا ما أعتقد أنه الحق يؤازرنى فى ذلك اننى برىء من أى مطلب شخصى فلا طامع أنا فى منصب حكومى ولا ناظر الى مكسب مادى . كل أملى أن أقول كلمة حق وأن تجد فى موطنها أذنا صاغية تبتعث عملا حاسما ان كان ما أقوله على صواب أو بيانا من الحكومة ان كان ما أقول يستحق الحوار .

ولست أحسب ان ما نكتبه نحن الكتاب من الهزال بحيث لا يحتاج الى اذن أو بيان . فأنا لا أنسى كلمة قالها رئيس دولة أجنبية عن كتاب مصر . أكاد أذكر بحرفيتها « ليس فى كتـاب العـالم كتـاب يتمتعون بالاجلال والاكبار قدر ما يتمتع كتاب مصر به فى مصر وفى العالم العربى من الشعوب العربية جميعا » .

فان كان هذا صحيحا وانه لصحيح فنحن من معاملة الناس لنـا فى مصر والعالم العربى نحس انه صحيح فكيف لا نحظى من حكومتنـا بمناقشة ما نقول .

واستدرك . ان الحكومة فى مصر فى تعاملها الشخصى معنا لا تبدى الا كل احترام وتوقير واجلال . وهذ أمر طبيعى فالوزراء فئة متحضرة تفهم ما تعنيه صفة كاتب فى الحياة .

وانا نشكو ان الحكومة لا تناقش ما نكتب ، ولو ان كل وزير خصص فى مكتبه موظفا ليقرأ له ما ينشر عن وزارته . ثم وجه هذا الذى ينشر الى الجهة المسئولة للمناقشة أو للمحاسبة لأصبح الأمر ميسورا لاعنت فيه على الوزير ولا أرهاق .

أما أن نقول ولا نلقى الا المديح فهذا امر جعل منا شعراء لا كتابا وما اعظم ان نكون شعراء ، الا اننا أصبحنا شعراء بالمعامله ولسنا شعراء بالشعر .

وينتهى بنا الأمر أن نصبح أو نمسى ونحن لا شعراء ولا كتابا وانى أتمنى من الحكومة الموقرة ، أن تشيع بين ربوعها أن الشعراء يحبون المديح وتناقل ما تفيض به عبقريتهم أما الكتاب فينتظرون شيئا آخر هو أن يصبح قولهم عملا ، وجواب ندائهم لبيك ... لبيك نعم ... أولبيك لا ... لاننا نوجه قولنا الى الهيئة التنفيذية والتشريعية معا وكل آملنا أن نجد منهم سميعا وعاملا .. وما هذا علينا ولا على الوطن بكثير .

الأهرام ١٩٨٩/٩/١٩

يا عجبا كل العجب

أقلب عينى فى الناس فى بلدى فأرى عجبا : أرى الفقر الطاحن الشديد والعسر القاصم العنيد وينفجر موضوع الريان فاذا : الاحصاءات تقول : أن المودعين لديه يزيدون على مليونين من المودعين ·

وأقلب عينى فى الناس فى بلدى فأرى عجبا : أرى الموظفين فى الحكومة وفى القطاع العام تؤودهم الحياة وتثقلهم أعباؤها وأرى السيارات الفارهة تنوش شوارع القاهرة · وأرى من البضائع ما لا يستطيع شراءه الا من فحش ثراؤه واستشرى ماله وفجر غناه · وأسمع ان بعض ملابس السيدات منها الفستان يتجاوز الألفين والثلاثة والخمسة والعشرة من الجنيهات · ولو لم تجد هذه البضائع مشتريها ما عرضها بائعها ·

وأقلب عينى فى الناس فى بلدى فأرى عجبا : أرى خريج الجامعة مشردا يتسكع حول الوزارات والمصالح وشركات القطاع العام وبيوت القطاع الخاص ولا يجد وردا يسقيه ولو بضع نقاط يبل بها شفتيه وأرى غير المتعلمين مقبلين على المخدرات يبذلون فى سبيلها المال الضخم ويتباهون ان ينفقوا على أمزجتهم الملايين ·

وأسأل نفسى وأسأل الناس وأسأل الخبراء أكان هؤلاء الملايين من الناس يلجأون الى الريان لو كانت أموالهم تجد الثقة والطمأنينة فى البنوك الشرعية والمشروعة ·

ان أموالهم تفر كالفئران الجازعة الى شركات النصابين والأفاقين لأنها لا تجد الأمان فى المكان الذى كان ينبغى له أن يستقبل أموالهم · فتصبح كالمستجير من الرمضاء بالنيران لا بالنار الواحدة ·

وأى أبله يضع ماله فى بنك شرعى فاذا وافاه الأجل المحتوم صادرت الدولة ماله باسم قانون أخرق مجنون اسمه « ضريبة التركات » كان وما زال من أكبر العوامل التى دمرت اقتصاد مصر · فالآباء قلوبهم على أبنائهم رقيقة شديدة النبض وهم يريدون أن يتركوا لأبنائهم ما يقيهم

التشرد وتكفف الناس وسؤال اللئيم أو الكريم . والآباء فى آخر عمرهم يحتاجون الى الدواء والى شىء من الدعة والطمأنينة فاذا باعوا لأبنائهم ما يستحقونه من ميراث أصبح لآباء تحت رحمة الأبناء وتنقلب شريعة الله رأسا على عقب وكثير من الأبناء — كفانا الله السيئات — قساة على آبائهم وأمهاتهم غلاظ القلوب فى أعراقهم نحو ذويهم جفاف وفى خلقهم تنكر وخسة .

ويعيش الأب الذى أعطى مهددا من الابن الذى أخذ أو يعيش الذى وهب يستوهب الأخرين بعد أن قطع عنه ابنه موارد العيش .

هذه حالة من حالات الذين لجأوا الى الريان وأشباهه . وهناك حالات أخرى كثيرة .

فالمال عزيز شديد الهلع مرتعش القلب من الخوف . والذى لاشك فيه أن الغالبية العظمى من ألقوا بأموالهم الى الريان لا يستشعرون الثقة فى البنوك الشرعية وهم يرون الحالات أمامهم تثير الرعب والذعر .

طمأنتهم الحكومة الى شهادات الاستثمار فأقبلوا عليها فاذا بقانون التركات يلاحقها ويقطع ريعها وينضب عطاءها .

وطمأنتهم الحكومة الى الاستثمار فاذا باللوائح والقوانين تلاحق المستثمرين وكأنهم لصوص أو تجار مخدرات وتفترض فيهم الاتهام قبل البراءة والخبث والكذب دون سلامة الطوية والصدق . وليس المستثمر متبرعا وانما هو انسان يريد أن يزيد ماله وينفع مصر فى وقت معا .

ولكن كيف يجرؤ على هذا . كيف تسمح له آماله أن يزيد ماله . ما دام قد تجرأ وأقدم فليذق اذن الوبال والنكال ولتنقض عليه القوانين تفترس جهده افتراسا وليتعطل ماله أو ليذهب به الى المفترسين من وحوش الريان .

ولو أن هناك بورصة أوراق مالية يتداول الناس فيها الأسهم تحت رقابة الحكومة وتحت أعينها لنشأت الشركات المساهمة ولقصدها اليها الناس فى اقبال وطمأنينة .

ولو ألغى قانون التركات جملة وتفصيلا لأودع الناس أموالهم آمنين ولانهالت على مصر أموال المصريين الذين يودعون أموالهم بالخارج ويبقون

الى جانبها فاذا ماتوا فليموتوا بجوارها وليلحق بهم الورثة الذين يفضلون أن يعيشوا مستورين بالخارج على أن يعيشوا متسولين بمصر .

وأصحاب الغناء الفاحش يهربون اموالهم ويترجمونها الى عمارات شاهقة بأسماء ورثتهم اما أصحاب الأموال المتوسطة فهم الحائرون وهم الغالبية الكاثرة .

وكانوا فى الماضى يشترون بها أسهم الشركات المسـاهمة وتطمئن بهم القلوب وترتاح جنوبهم الى المضاجع وتنام منهم العيون ملء جفونهم فهم فى حمى الدولة .

ولكنهم اليوم ماذا يصنعون والدولة هى التى توقع الهلع فى قلوبهم وتقض منهم المضاجع .

ان أموالهم لا تكفى لشراء أو اقامة بيت أو حجرة وهم لا يستطيعون أن يشتروا أرضا زراعية فمالك الأرض اليوم متسول على أبواب القرية لا يكاد يجد قوت يومه .

وان ذهب الى الريان انتهت أمواله .

وان أودع فى البنك ماله التهمه قانون التركات وان اشترى شهادات الاستثمار التقمه رسم الأيلولة .

وان شارك مستثمر انهالت عليه سياط القوانين الشاذة المدمرة .

ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم وحسبنا هو ونعم الوكيل .

الأهرام ١٩٨٨/١٢/١٢

بعد غد

من الأبيات الشهيرة لعمر بن أبى ربيعة قوله :

كلما قلت متى ميعادنا ضحكت هند وقالت بعد غد

وربما لم يعرف الأدب العربى تعبيرا أجمل مما جاء فى هذا البيت عن الموعد المطول والوعد الذى لا يتحقق ويروى الناس عن صاحب مطعم صنع مثل هذا الصنيع فعلق لافتة على مطعمه تقول « ياكل اليوم بالأجر يأكل غدا بلا أجر » وأبقى اللافتة لم يرفعها فلم يأت هذا الغد المجانى أبدا ٠

وأحسب ان السلطتين التنفيذية والتشريعية سمعتا عن بيت ابن أبى ربيعة الذى يماطله ويقصيه عن موعده الى حيث لا يدرى من الأيام ٠

أو لعل السلطتين ـ وهذا أقرب للمعقول سمعنا عن هذه اللافتة المانحة المانعة الواعدة الكاذبة التى علقها صاحب المطعم ٠ والتى منحت الأمل ثم منعته وبذلت الوعد يوم تبدت على باب المطعم ثم أخلفته ببقائها فى مكانها ٠

أرى السلطتين تؤجلان القوانين التى تعدان بها تأجيل هند لعمر وتأجيل التاجر لموعده والا فبربك قل ٠ أين القانون الخاص بالعلاقة بين المالك والمستأجر فى العقارات والأرض الزراعية على السواء ٠

ترى أتدرى السلطتان أن عقد ايجار الشقة غير المفروشة قد ألغى تماما من الحياة المصرية اليوم وأصبح أصحاب العمارات لا يتعاملون الا فى بيع الشقق دون أن يفكروا لحظة فى ايجارها ٠

ونسمع أرقام البيع والشراء للشقق فنصيح واغوثاه ولولا بقية من تماسك لأغمى على المستمعين ٠

أرقام تعتبر بالنسبة الينا نحن أبناء جيلنا سماعيات · نسمع بها ولا نراها ونستهولها اذا سمعناها وكأنما هي ألفاظ من المريخ أو الزهرة او مما شئت من كواكب الكون التي لا شأن لنا بها نحن اصحاب الدخول الشريفة الذين لا نعمل في شركات توظيف الأموال ولا في تهريب المخدرات ولا في تجارة العمله · ولا في سوق الرشاوى ·

نسمع في ميادين الشقق المعروسه بمائه وخمسين الفا ومائتين وخمسين الفا · وثلاثمائة ألف ويصل الهوس الى خمسمائه الف وقد ينفجر المليون في اذان السامعين ·

أتدرك السلطتان معنى هذا ان الذين يطيقون أن يحصلوا على سقف يحميهم برد الشتاء وزمهريره ، وحرور الصيف وسعيره هم أولئك الذين يسرقون الشعب أو يخدرونه أو يتاجرون بشرفهم وبوظائفهم في أموال مصر ولا سقف للشرفاء ولا لأبنائهم ·

وكل ذلك بفضل القوانين المخبولة التي تحكم صلات المالك بالمستأجر والتي جعلت الملاك جميعا يحجمون عن بناء عمائر للايجار · وماذا يدعوهم الى هذا النوع من الاستثمار الذى يجعلهم يتعرضون لما يسمى بقانون خلو الرجل ويجعلهم عرضة لسفك الدماء يطالعهم من لجان التقدير شريفة كانت هذه اللجان أو غير شريفة ·

وهكذا أصبحت القوانين الرعناء التي تقول اللافتات الجوفاء انها تحمي بها ذوى الدخل المحدود هي التي تقضى القضاء المبرم على ذوى الدخل المحدود · فهؤلاء قد يجدون ايجار شقة مهما يرتفع سعره ولكنهم باليقين وبالقطع لن يجدوا ثمن شقة مهما يرخص قدره ·

والمساكين الأخرون الذين قضى عليهم الزمان أن يكونوا أصحاب أرض زراعية يغتالهم قانون الاصلاح الزراعى الذى صدر منذ ستة وثلاثين عاما · مات في أثنائها أغلب الذين تسلموا الأفدنة الخمسة الشهيرة وأصبحت الفدادين الخمسة فتاتا في أيدى خريجين من الجامعات لا يزرعون ولا يفلحون ولا يستطيعون أن يبيعوا الفتات الذى بقى لهم · وقس على حالهم كل مالك حكم عليه القدر أن يترك له أبوه أرضا زراعية وتركه يصارع الأيام وقوانين الاصلاح الزراعى على ملك لا يملكه ومال لا يجرؤ على التصرف فيه وانما تحيط به المخالب الحادة القاطعة والأنياب الشرسة المسعورة ·

: كم من سيدة لا حول لها ولا قوة لا تملك الا عشرة أفدنة أو أقل لا يستطيع ريعها أن يسد منه الرمق وحدها فكيف بها لو كان لها أبناء يريدون أن يتعلموا ويأكلوا ويلبسوا ويعالجوا • وتحاول أن تبيع أرضها أو تبيع من أرضها فتظل عليها قوانين الاصلاح الزراعي وحوشا ضاريه سفاحة للدماء خذة بكل خناق •

ويقول أصحاب اللافتات ان الارض لمن يزرعها وان هذه المرأة المسكينة وأشباهها وقد أصبح أغلب الملاك اليوم أشباهها — اقطاعيون استلبوا الارض وما ملكوها واغتالوها ولم يأخذوها بالطريق المشروع الذى قضى به رب العرش فى علاه •

وننظر الى القرآن الكريم فنجده لم يفصل فى آياته أحكاما كما فصل المواريث فى سورة النساء مما يدل على قداسة الملكية فهى مال الله استخلف فيه عباده ويريد سبحانه أن يطهر ماله من الظلم والعسف والجبروت •

ولكن قانون الاصلاح الزراعى يعارض رحمة ربك وينزل العذاب الأشقى بمن كتب عليه أن يكون صاحب أرض •

وكذلك يفعل قانون التركات أيضا وانى أنتهز الفرصة وأقدم أصدق التحية والاجلال لمفتى الديار المصرية السيد الأستاذ الدكتور سيد طنطاوى على فتواه الخاصة بقانون التركات تلك الفتوى التى تدل على أمانة الرجل وشرفه وتصديه للمنكر بقوله لا اله الا الله محمد رسول الله • وبارك الله فى رئيس الجمهورية حسنى مبارك الذى استجاب وأمر •

قوانين كثيرة وعدت السلطتان بالنظر فيها • وكلما قابل بها الشعب متى ميعادنا ضحكت السلطتان وقالتا بعد غد • ولا حول ولا قوة الا بالله العلى القدير •

الأهرام ١٩٨٨/١٢/١٩

الانسان تراحم

سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله يقول فى كتابه العزيز « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

تعاليت يا سبحانك أكرمتنا وكرمتنا ونأبى نحن الا أن نقتل انسانيتنا ونمر المعانى الشريفة الكريمة السامية التى أودعتها فى كياننا. فما الحياة يا رحمن السماوات والأرض ان لم تتناسم فيها الرياح الطيبة الجنون من التآخى والمحبة والتواد والمشاركة الوجدانية بين الانسان والانسان .

أى حياة تلك اذا سادها عقل الحيوان وهو بلا عقل وعواطفه وهو بلا عواطف وقوانينه وهو بلا قانون أى حياة تلك إن أصبح الانسان الذى خلق الله له العالم أجمع وفضله على كثير من خلق تفضيلا بلا خلق ولا رحمة ولا قلب ينبض بالمعانى الانسانية الرفيعة .

هانت الحياة وشاهت معالمها وسقط عمودها وانهارت فيها معانى الوجود اذا أمست كذلك .

اذا لم نشارك أخانا الانسان فى أحزانه واذا لم نعرف كيف نواسى المحزون الذى فقد ابنه أو أباه أو أمه أو أخاه بكلمة طيبة ونبرة تعينه على بلواه فماذا نحن من الانسان وكيف ندعى إننا جديرون بما فضلنا به الله على كثير ممن خلق تفضيلا ؟!! ثارت فى نفسى هذه الثائرات وأنا أرقب مقتله ذلك الضابط الشهيد فصام الدين شمس بيد كافرة جاحدة غادرة فاذا بجرائد المعارضة تطلع علينا وكأنها سعيدة بالحادث قريرة العين به .. ويل للانسانية من الانسان اذا كان على هذا النمط من الانحدار والهبوط وتوغل احدى الجرائد المعارضة فتحاول أن تنال أم الشهيد بما تنشره من أخبار كاذبة ساقطة مهينة وتصدر الجرائد الأخرى فى اليوم التالى ان أم الشهيد مصابة بالشلل .. من أى جبلة هؤلاء الذين يتصدون للحياة العامة وعلى أى خلق هم أو لا تسرى فى عروقهم دماء

انسان أم هى دماء حيوانات باطشة كاسرة آكلة للحوم البشر أهم الذين ضرب الله بهم مثلا فى النذالة فى قوله « ايحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه » .. انهم صنف من البشر يشرف البشرية أن يتقى منها ويلغى من سجلاتها ويحذف من وجودها .

ان هؤلاء الضباط هم أمننا وحمانا وهم حصننا فى مواجهة الوحوش الكاسرة التى يسلطها الأعداء على مصر بالمال المنهمر أولئك الذين يشهرون السلاح على الآمنين من أبناء مصر ليصلوا بسلاحهم الباطل الى الحكم المشروع أولئك الذين فشا الجهل فى رؤوسهم ويريدون أن يجعلوا من جهلهم دستورا وقانونا وحكما سيصبحون فيه دمى تحركهم الأيدى التى انفقت عليهم وأغدقت على فجورهم بالسلاح الحديث وبالمال الوفير .

ان هؤلاء الضباط هم دروعنا من المؤامرات فى الداخل والخارج فكم ذا بمصر من عدو يتربص بها الفتن من الثورات وقد بلغ بهم الفجور انهم يدعون الى الثورة علانية فى غير خجل وهم فى جهلهم العمى المافون يجهلون ان هذه الثورة التى يدعون اليها وينادون بها سنجعلهم هم أول حطب لها وستحرقهم أول من تحرق . هؤلاء الضباط يحمونهم من ويلات غيرهم ومن ويلات أنفسهم ولكنهم قوم خصمون كما يقول القرآن الكريم يحرصون على الخصام أكثر من حرصهم على الحياة ان هؤلاء الضباط يبذلون السهر ليتيحوا لنا ان ننام ويضاعفون من جهدهم فى العمل لنستطيع نحن أن نقوم بأعمالنا فى أمان ويقدمون حياتهم ليحافظوا على حياتنا أيكون شكرنا لهم ما تطالعنا به هذه الصحف الوالغة فى دماء البشرية والمحطمة لانسانية الانسان ان المعارض الأمين هو الذى يصدر عن الشرف والصدق والانسانية والكرامة انه يحتاج الى رضا المصريين عنه ويعلم الله ان المصريين يقدسون الحب ويذرفون الدمع فى مواساتهم بعضهم لبعض ويفرحون غاية الفرح لخير يصيب بعضهم حتى كأن الخير أصابهم . هم شعب حليم يحب الحب شعب مصر وتتناغم أصداء التراحم من جوانحه شعب يكره الحقد ويحتقر الذى لا يوقر الموت مهما يكن شأن الميت فكيف اذا كان شابا فى مقتبل العمر وفى زين أيام الحياة وكيف اذا كان ضابط شرطة وكيف اذا كان قدم حياته وهو يقوم بواجبه .

اذا لم تنبض قلوبنا بالرحمة لمقتل هذا الشاب فمتى تنبض أما أن يكون نبضها حقدا وكراهية وسخيمة فلا والله ما هؤلاء من الانسان فى شىء أسمعوا يا هؤلاء ان الشعب لن يهب لكم شيئا من عطفه ان لم يشعر ان فى صدوركم قلب انسان لا قلب حيوان واسمعوا يا هؤلاء ان الشعب

لن يهب لكم شيئا من حبه اذا لم يشعر أنكم تحبون مصر كل الحب وانها هى لا كراسى الحكم فيها هى الهدف وهى الغاية وهى النشيدة التى نسعى لاعلائها سعى المخلصين المؤمنين بربهم ووطنهم ولن تبلغوا من الشعب هذا المكان أو يقرأ الكلمة الصادقة تصدر عن صحفكم بريئة من الشتائم بعيدة عن الأحقاد والله من فوقنا هو ولى التوفيق ٠

الأهرام ١٩٨٨/١٢/٢٦

لك الله يا مصر ..

لك الله يا مصر ورعاك وحفظك .. تكاثرت حولك السهام تصوب اليك من الخارج ومن الداخل فى وقت معا .. وتتناوشك مشاعر الغضب عليك أحيانا أو عوامل الحقد فى أحيان أخرى ثم لا يرحمك من تجرى مياهك فى دمائه وهواؤك فى صدره .

يطلع عليك من الغرب عفريت يدعى أننا نصنع الأسلحة الكيماوية . وهى أسلحة لا يستعملها أحد مهما يكن مجرما ولكنهم لا يجدون ما يهاجموننا به الا هذه القالة الساذجة الرخيصة وعلم الله أنهم بهذه التهمة انما يخفون أسبابا سياسية أخرى فهم يريدون صلتنا بهم أن تكون صلة التابع بالمتبوع لا الند بالند متوهمين أننا لا ندرك كل الادراك أنهم اذا كانوا يقدمون لنا المنح والقروض فما ذاك الا لصوالحهم الوطنية فى منطقة نحن فيها الدولة الكبرى . ولا بأس عليهم ولا حرج علينا أن تكون المعاملة بيننا تبادل مصالح لدولنا .. أما أن يتصوروا أن نكون تابعين فهيهات وكبرت كلمة تخرج من أفواههم . فاذا أبينا راحوا يلقون هذه الحجارة الرعناء الخرقاء التى لا يصدقها أحد . ووالله ما اهتزت لنا شعرة من تهمتهم .

ولقد تصدى للتهمة رئيس الجمهورية محمد حسنى مبارك بما يحيط به من ثقة وطيدة فى صدقه يعرفها عنه العالم أجمع وقمع الفتنة فى مهدها وجعل حديثهم هراء هذا الحديث الذى يذكرنا بالبيت القديم ..

هذا كلام له خبىء   معناه ليست لنا عقول

ويطلع علينا من بعض صحفهم حديث آخر يتناقله المغرضون فى مصر بصحفهم أن أموال المنح والقروض لا تنفق جميعها فى المصالح العامة وانما تختانها وتستولى على نسبة كبيرة منها أيد ليست أمينة .

وأنتظر أن أجد تكذيبا لهذا التصريح الخطير ولكن لا تكذيب وكأن التهمة ما وجهت . والوزراء المسئولون كل لهم شأن يغنيه تاركين تهمة على هذه الدرجة من الخطورة تجتاح سمعتنا .

وان ما يترتب على هذا التصريح أمور على درجة بشعة من آثار ان لم تفعل الا أن تفزع الآمن من نفوس الدول التى تتعامل معنا لكان هذا حسبها وفوق الحسب ٠

اذا لم يكذب الوزراء مثل هذه الآقاويل فماذا يكذبون ٠٠ بل أى شيء يصنعونه أهم من ان يجعلوا سمعة مصر المالية نقية نقاء البللور شفيفة متألقة كأحجار الماس ٠

لك الله يا مصر ورعاك وحفظك ٠٠

ام ينتظرون أن يكذب رئيس الدولة ـ مع كل الشواغل التى تحيط به ـ كل كلمة تقولها صحف الغرب عن مصر فهم أذن فى لهو يلعبون ٠٠ ان رئيس الدولة بما يعرفه العالم عن شخصيته العظيمة لا يعنيه مطلقا أن يتخلف وزير عن استقباله ويشغل نفسه بأى شيء يكون فيه مصلحة مهما تكن ضئيلة لمصر ٠٠ عام الله ليس يعنى رئيس جمهوريتنا بالمظاهر والمظاهرات وعلم الله أنها لا تحرك منه ساكنا وعلم الله أنه يهتم كل الاهتمام بأقل نفع يعود على مصر والمصريين ٠ فمتى متى ـ بحق الله ـ يعرف عنه الوزراء هذا ٠ وقد ظلوا فى مناصبهم سنوات عرفوا فيها خلق الرئيس وترفعه عن صغائر الأمور واهتمامه بكل ما يعود على مصر بالخير والوفر والرفاهية ٠

لك الله يا مصر ورعاك وحفظك ٠٠

أما كان بحسبك أن تواجهى المتألبين عليك من خارجك بل فرض عليك أيضا أن تشقى ببعض العاملين بالفنون بين ربوعك ٠٠

وأشهد ـ فيما أشهد ـ أفلاما للسينما تقدم أسوأ ما فى مصر من أماكن وقبور واطلال وحفائر ولا يقف بهم الأمر عند هذا ٠٠ بل أرى منذ أيام فيلما يرمى كل شيء فى مصر بالقذارة ٠٠ فالبنوك المصرية حافلة بالقذارة فى أرضها ومبانيها وبسوء المعاملة من العاملين للعملاء وعلم الله أن ما قاله الفيلم كذب واختلاق ٠

أيحتمل الحال فى مصر ان نختلق المســـاوىء اذا لم توجد ٠٠ أمصريون هؤلاء ؟! أقسم غير حانث لو أن أعداء مصر كتبوا عن مصر بكل الحقد الذى يحملون ما تجرأوا أن يختلقوا هذه الأكاذيب عن مصر ٠٠ ولا يكتفى المؤلف والفنانون الذين شاركوا فى هذا الفيلم بهذا بل أنهم

يزيدون كاذبين أن الكراسى فى الفنادق الكبرى عندنا تمزق الملابس لما بها من مسامير وأدوات حادة ..

أين هـذا ؟

كذبوا والله وافتروا .

بل ان الفنادق الكبرى عندنا تنافس أعظم فنادق العالم فى أناقة الأثاث والنظافة وحسن المعاملة ..

وأريد أن أسأل أمثال هؤلاء المتهجمين على مصر من داخلها أما اختلجت فى نفوسكم نامة أو خجلة من حب مصر .. وهل تدركون ماذا أنتم صانعون بوطنكم عند من يرغب فى زيارتها سائحا أو مستثمرا .. وهل قدرتم وأنتم تختلقون هذه العيوب الخرقاء الحمقاء التى لا تمثل الحقيقة فى شىء .. أى سلاح فتاك تغرسونه فى صدر الاقتصاد المصرى بمثل هذا الهذر الذى ألقاه ممثلكم فى الفيلم ببساطة كأنما يذكر حقائق لا تقبل المجادلة ..

وان عجبت فأعجب معى من شخصى يلقى على أمة .. وهى أمة السخرية والهجوم وكأنه لا يصنع جرما يتصاغر معه كل جرم .

عشت يا مصر .. وستعيشين خفاقة الاعلام وأن رغمت من الخارج أنوف .. وان ضمرت فيك من الداخل عقول .. فان الله جل علاه هو يراعيك فى علياء سمائه .. وحسبك الله راعيا وكفيلا ..

الأهرام ١٩٨٩/٤/١٣

حين يميــل الميزان

وقد يتساءلون وربما طاف تساؤلهم نحن الكتاب أيضا • اذا كنتم تكتبون الى غير سميع وتتنادون على غير مجيب ففيم تجهدون أنفسكم وفيم تتعبون خلق الله من القائمين على شئون الجرائد الى جامعي الكلمات الى القراء ••

أليس الصمت بكم أولى ثم أولى ••

ولكن هيهات ••

فنحن الكتاب واجبنا أن نكتب وليس يجوز لنا أن نتخلى عن واجبنا والا جعلنا من أنفسنا مثلا للهازلين غير الجادين الذين لا يعملون ولا يريدون أن يعمل الناس •

والكاتب شخصية عامة • وكل شخصية عامة عليها واجبــات لا تحتملها الشخصية غير العامة ••

الشخصية العامة عليها أن تكون مثلا أعلى فى كل تصرفاتها الخفى منها والظاهر ، وينبغى أن تقــدر الحمل الذى يقع على كتفيها تقــديرا عظيما • فما يجوز لغير الشخصية العامة لا يجوز للشخصية العامة مادامت الشخصية قد حظيت بمعرفة الناس لها أصبح واجبا عليها لا محيد عنه أن تحترم نفسها عند هؤلاء الناس •

والشخصية كل متكامل • أنا أرفض أن أعطى للشخصية العامة حريتها الشخصية كاملة ، فهى منذ أصبحت عامة ضاقت عليها دائرة الحرية الشخصية الى أقصى حد •

انظروا الى أمريكا التى تأبى تعيين وزير بها لأنه يشرب الخمر • أليس شرب الخمر حرية شخصية ولكن المجتمع الأمريكى الذى لا يحرم دينه الخمر رفض أن يكون وزيره حليف كأس وأخا شراب •

والأمر عندنا مرفوض بما حكم به ديننا من تحريم للخمر ، وربما يتحتم على الشخصية العامة من استقامة خلق ونقاء سيرة وبراءة صفحة .

وانظروا الى انجلترا كم أرغموا وزراءهم أن يتركوا الحكم لأنهم لم يستطيعوا أن يحافظوا على صورة كريمة لهم عند الرأى العام ..

وانظروا الى جميع دول العالم المتحضر تجدوا هذه القاعدة ثابتة صلبة لا تضعف ولا يصيبها وهن ..

واذا كانت هذه القاعدة الكريمة واجبة وجوبا على الوزراء وأصحاب المناصب ..

فهى أشد وجوبا على الكاتب لأن الكاتب نصبه مواطنوه لسانا لهم ونبضا لمشاعرهم . وكلمة منه لا تصدر عن القلب تسقطه عند الذين اختاروه سقوطا لا قيام له بعده ..

فاذا امتنع عن الكتابة لأن نداءه لا يبلغ الأذن التى ينبغى أن تسمعه فقد نكص عن واجبه وخذل أولئك الذين يثقون به وملأهم حسرة وألما ويأسا ومرارة .

فاذا كان هذا حتما عليه وفيم يكتب فهو حتم عليه أيضا فيم يفعل حتى فى خاصة شأنه ، وفى المطوى من سرائره ، والمخفى من أفعاله ، لأن الكاتب يطالب بالمثل الأعلى ولا تصلح المطالبة بخلق ما الا ممن كان على هذا الخلق أولا أو هو عند الناس وعند من يطالبهم سخرية وأضحوكة واهزوءة بينهم .. كيف تطالب بما لا تفعل وتدعو الى شىء وتأتى ضده .. ان هذا يرجعك الى زمان كان فيه الشعراء يستجدون بشعرهم ولا يهمهم أن يكونوا أصحاب خلق أو مثل عليا .

وهكذا كتاب اليوم .. فهم اليوم ليسوا وسائل اعلام فحسب ، وانما هم اليوم أصحاب رأى ، وأصحاب مسئولية وحملة أمانة .. يضعهم الناس فى أكرم مكان ، فان أبوا الكرامة فليسوا خليقين أن يكونوا أصحاب أقلام أو رأى أو فكرة فى شئون بلادهم ، بل فى الشئون الانسانية جميعــا .

فواجبهم أذن أن يكتبوا ·· ولا شـــأن لهم بالمصير الذى يواجه كتاباتهم ·· فقد يستحب بعض الوزراء أن يقرأوا الحديث الموجه اليهم ثم يطووا الجريدة وكأنهم ما قرأوا شيئا ·

فاذا واجههم الحديث من مجلس تشريعى سارعو الى الملجأ الذى يلجأ اليه المسئولون من بدء الخليقة وهو الوعد دون تنفيذ · ذلك الوعد الذى ضاق به المتنبى منذ أكثر من ألف عام فقال بيته الرائع الفريد :

أصبحت أروح مثر خازنا ويـــدا   أنا الغنى وأمـــوالى المواعيد

وحين يضن أصحاب المسئولية بنفاذ وعدهم عن بخل منهم أو عدم اهتمام أو عن خوف من اصدار القرار يطلع عليهم المتنبى ببيته الخـالد العمـــلاق :

وللبخيل على أمـــواله علل   زرق العيون عليها أوجـه ســـود

فالوعد دون نفاذ قديم ·· وربما كان الخـــوف والبخل أكثر تقـــدما ··

ولكن علينا نحن الكتاب أن نكتب كلما رأينا الميزان قد مال · فحين يميل الميزان واجب الكاتب أن يقومه ليستقيم العدل بين الناس ·

فالكاتب هو أنه المظلوم ودعاؤه وهو صوته وصراخه · والا فمن للناس اليوم ··

ومما يزيد الأمر مرارة أننا نرى رئيس الدولة عادلا شريفا يأبى الظلم ويرفض الحيف ويعف عن مغنم ويصارح بالرأى البعيد كل البعد عن الغرض الشخصى · فما للرجال العاملين معه لا يتخذون منه المثل الأعلى والنبراس وأكرم به مثلا أعلى وأعظم به نبراسا ·

الا فارضوا ضمائركم واعملوا ما توقنون أنه الخير ثم توكلوا من بعد ذلك على الله العلى القدير فانه سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عمـــلا ··

الأهرام ١٩٨٩/٤/١٠

سنة ١٩٩٠

القانون هو السيد ..

قال الرئيس العظيم محمد حسنى مبارك فى حديث للصحافة نحن نريد ارساء سيادة القانون وهذا تصريح يجعل مصر عالية الرأس مرفوعة الهامة شعبها فى أمن واستقرار وسمعتها العالمية فى أرفع سماء ..

ان احترام القوانين واحكام القضاء هو السمة التى تمتاز بها الدولة الشريفة الكريمة التى تحترم وجهها أمام العالم والتى تجعل شعبها كريما مطمئنا على يومه وغده عزيزا بحريته وكرامته .

ولقد روى لى أحد كبار رجال القضاء السابقين فى مصر .. « سافرت الى انجلترا وأنا مستشار لدراسة القضاء فيها وأحكام المحاكم .. والتقيت هناك بحامل أختام الملكة لأنه ليس بانجلترا وزير عدل ..

كان ذلك فى أعقاب الحرب العالمية الثانية .. وسألنى عن القضاء فى مصر وكان القضاء فى مصر فى ذلك الحين مستقرا ثابت الأسس عظيم الدعامات .. واجبته فقال لى :

أما عن القضاء فى انجلترا فيكفى أن أروى لك هذه الواقعة ..

أنشأت وزارة الحربية مطارا بجانب احدى المحاكم فى انجلترا وكانت الحرب فى ذلك الحين فى قمة اشتعالها وكانت الغارات تتوالى على انجلترا فى كل ساعة ولا أقول فى كل اليوم وقد أنشأت الوزارة هذا المطار ليرد عن انجلترا عادية هذه الغارات المكثفة ولكن أصوات الطائرات كانت تمنع القاضى فى المحكمة ان يسمع المترافعين فكانت المحكمة تتوقف عن العمل ..

فأرسل قاضى المحكمة خطابا الى مدير المطار أن يمنع الطائرات من الطيران من الساعة التاسعة صباحا الى الساعة الثانية عشرة ولم يتصور مدير المطار أن يتلقى أوامره من القاضى فلم يحفل بخطاب القاضى واستمرت الطائرات تطير غير أبهة بخطاب القاضى .

فاذا بالقاضى يصدر حكما باغلاق المطار · وذهل رجال الطيران والجيش جميعا وذهب وفد منهم الى تشرشل وكان وزيرا للحربية بجانب رئاسته للوزارة وقالوا له أن قاضى المحكمة أصدر حكما لم يطلب منه أحد أن يصدره وأن هذا الحكم أوقعهم فى حيرة شديدة فمكان المطار مكان خطير ومنه يستطيع الطيران البريطانى أن يرد غارات العدوا ولا يعقل ان يتعرض أمن انجلترا جميعا للخطر من أجل حكم قضائى ولا يتصور أحد أن تخسر انجلترا الحرب من أجل حكم أصدره قاض لم يطالبه أحد به ·

فاذا بتشرشل يقول :

ان تخسر انجلترا الحرب خير لها من أن يقال عنها أنها لا تحترم أحكام القضاء فيها ·

وأمر باغلاق المطار ·

ولم يحاول أن يناقش القاضى فى حكمه فأحكام القضاء ليست موضع نقاش ·· فأعجب معى من أولئك الذين حاولوا فى مصر أن يناقشوا حكم المحكمة الدستورية العليا الذى صدر أخيرا ببطلان المادة الخامسة من قانون الانتخابات ·

وأعجب ما شاء لك العجب من أولئك الذين حاولوا أن يقولوا أن المحكمة تجاوزت وظيفتها حتى قطع الرئيس مبـــارك كل هذه الترهات والخزعبلات بتصريحه العظيم نحن نريد ارساء سيادة القانون ··

فقد جاء حين من الدهر لم يكن للقانون فى مصر سيادة فكانت السجون والحبوس تغفر فاها لتلتقم الأبرياء يلقون بين قبضاتها بلا أحكام وبلا رقيب ولا حسيب ·

بل جاء علينا حين من الدهر حدثت فى مصر مذبحة القضاة أو مذبحة القضاء اختر أيهما شئت ··

وجاء حين من الدهر قال مسئول فى الحكومة ان القانون فى اجازة ، كان الحكم الديكتاتورى أبعد ما يكون عن القانون فلا كانت له سيادة ولا كان له وجود والهدم لا يستغرق الا لحظة من الزمن ·

أما البناء فيحتاج الى سنوات وسنوات ..

ونحن اليوم فى مصر نحتاج ان نثبت أركان القضاء ليشعر المصرى انه آمن فى وطنه وعلى أبنائه وزوجته وماله .. مطمئن أن أحدا لن يخطفه الى السجن بعد أن كان غير آمن على حياته أو عرضه أو كرامته أو ماله .

وحتى يعلو القانون وتثبت رواسيه لابد أن تكون أحكام القضاء مقدسة لا مجال فيها للتحايل أو التلاعب أو الأقاويل الفارغة غير المسئولة .

ان تشرشل قارن بين أن تخسر انجلترا الحرب جميعا وبين أن يقال عنها أنها لا تحترم القضاء فيها ورأى أن خسارة الحرب أهون من أن تفقد انجلترا كرامتها بامتهان سيادة القانون ..

تحية الى الرئيس العظيم محمد حسنى مبارك لتصريحه هذا .. وعاشت مصر كريمة على نفسها وعلى كل الشعوب وستبقى عالية الهامة مرفوعة الرأس ما بقى القانون فيها هو السيد .. حفظها الله ووقاها وأيد ركنها انه سميع قريب .

الأهرام ١٩٩٠/٥/٢٨

لا كسب لعدوان

عنصر المفاجأة فى السياسة خطير ٠٠ والسياسى البارع هو الذى يقدر المفاجأة حق قدرها ويعرف كيف يبادر بها وكيف يستقبلها فى وقت معا ٠

وقد كانت المبادرة التى طلع بها بوش على العالم مفاجأة سياسية من الدرجة الأولى ٠ وقد كان بارعا فى اختيار وقتها فهو لم يشر اليها ولم يقدم لها ولم يتصور العالم أن يعلنها ٠٠ فكل أحاديثه وخطبه لم تجعل أحدا يفكر أن يقوم بهذه المبادرة من جانبه مطلقا ٠

وقد اختار أن يذيعها فى اللحظة التى قرر فيها مجلس الأمن جواز استعمال القوة العسكرية اذا لم تجد كل الوسائل الأخرى فى تراجع صدام حسين عن تعنته واصراره على احتلال الكويت ٠

والدول الديمقراطية ينظر رؤساؤها الى المجالس البرلمانية فيها والى رأى الأغلبية فى شعوبهم ٠

ولا شك ان دخول الحرب أمر بالغ الخطورة وليس من الميسور أن يوافق عليه الكونجرس أو يرضى عنه الشعب الأمريكى الا اذا كان الأمر متعلقا بالمصالح العليا للأمة وبكرامة الدولة ومكانتها بين الدول ٠

ولا شك أيضا أن أمريكا تمقت الحرب غاية المقت ٠ وأى شعب لا يمقت الحرب ؟! ٠٠ انها أبناء يقتلون وآباء يفقدون ودمار للمال وهول أخذ وتخريب وبيل لنفوس الشعب واقتصاده ، وأثرها لا ينتهى بانتهائها بل أن آثارها الوخيمة تبقى أجيالا متلاحقة من آباء وأمهات يفقدون أبناءهم ومن زوجات يواجهن الترمل ومن أبناء صغار يشبون الى الحياة يتامى وقد حرمتهم الحرب السند والحصن والأمان والحنان من آبائهم وهم بعد براعم تتفتح الى الحياة فيواجهون الموت فى فقدان آبائهم وعائلهم ومعينهم على الحياة ٠

واذا كانت الحرب وبالا للدول جميعا فهى أشد عصفا بالدول التى خاضتها وعرفت العواقب المريرة ألتى تترتب عليها · وأمريكا خاضت حروبا كثيرة · فاسم الحرب بغيض عند شعبها بغضا مقيتا ضاريا ، فهم عرفوا قســاوة الحرب سنوات كثيرة من حياتهم : عرفوها فى حرب التحرير وعرفوها فى الحرب الأهلية وعرفوها فى الحرب العالمية وعرفوها فى حرب فيتنام ، وقاسوا من أهوالها ما يجعلهم يفكرون ألف مرة قبل أن يقدموا عليها · والرئيس بوش يعلم هذا حق العلم · والرئيس بوش لا يستطيع أن يخوض الحرب برأى مفرد ، فهو رئيس دولة ديموقراطية اعلان الحرب فيها من حق ممثلى الشعب وليس من حق رئيس الدولة حتى ولو كان النظام الجمهورى فى أمريكا نظاما رئاسيا وليس نظاما برلمانيا ·

فرئيس الدولة فى أمريكا مطلق اليد والوزراء هناك لا يســمون وزراء ، وانما سكرتارية لرئيس الجمهورية ويطلقون على الوزير سكرتير الدولة · وتوشك الدولة فى أمريكا أن تكون الرئيس وحده · الا عند الحرب فلابد أن يوافق الكونجرس ·

الكونجرس يعلم حق العلم مقدار الخطر الداهم الذى يواجههم من التصرف الأخرق الذى أقدم عليه صدام حسين · بل هم يقدرون بما يشبه الثقة التى لا تقبل النقاش ان فى استيلاء صــدام حسين على الكويت خطرا داهما على العالم أجمع ، يدركون انه اذا نجح فى التقامه للكويت واستولى عليها فهو من بعد لن يسكت ولن تهدأ أطماعه أو يستولى على البترول فى الخليج أجمع ·

وهم يقارنون بين أن يتركوا هذا العابث اللاهى يستولى على مقدرات العالم أو يدخلوا معه فى حرب هم يبغضونها أشد البغض ·

وهكذا ترى بعضها منهم يرى أن يؤجل الحرب حتى يفعل الحصار الاقتصادى فعله وتسمع آخرين يقولون ان هذا قد يستغرق عاما أو أكثر من عام · ويرى بعض العسكريين أن يؤجلوا الحرب عسى أن يجدى السلام ، ويرى آخرون منهم أن يعجلوا بالحرب حتى لا يصبح الاستيلاء على الكويت أمرا واقعا يتمتع به صدام حسين ·

ويرى بعض من ساسة العالم وكثير من رجال الكونجرس الا تلجأ أمريكا والدول المشاركة لها الى الحرب الا بعد أن يستنفدوا جميع فرص المفاوضة والسلام · وتقديرا من بوش لرأى هؤلاء وحتى يقدم الدليل القاطع للكونجرس وللشعب الأمريكى انه لم يدخل الحرب الا بعد أن بذل أقصى الجهد فى الحديث والكلام وفى أعمال ووسائل السلام ·

فكانت هذه المبادرة التى تتم فصولها فى هذه الايام . ولكن هذه المبادرة فى تقديرى ليست مفاوضة بين أمريكا وصدام حسين .. فالمفاوضة تؤدى فى غالب أمرها الى تنازل من الجانبين عن بعض ما يتمسك به كل جانب منهما .

والذى لا شك فيه أن بوش لن يتنازل عن خروج صدام من الكويت ، كما لن يتنازل عن عودة الحكم الشرعى الى الكويت .

وصدام طاغية لا يهمه ان يفنى شعبه كله بل وشعوب المنطقة جميعا . فمن المستبعد أن يتنازل عن استيلائه على الكويت التى جعل منها حيا من أحياء العراق .

ان هذا اللقاء بين بوش والوزير العراقى انما هو فى اعتقادى ابلاغ رسمى عما انتهى اليه الرأى عند مجلس الأمن والدول التى تشارك أمريكا فى موقفها .. وان هذا اللقاء بين وزير خارجية أمريكا وصدام ليس الا انذارا نهائيا بما يترتب على اصرار صدام وتعنته .

ان هذه المبادرة ليست موجهة الى صدام وانما هى موجهة لاعضاء الكونجرس وللشعب الأمريكى كافة حتى يعلموا ان رئيسهم لم يعلن الحرب الا بعد أن استنفد فرص السلام جميعا . وهيهات أن تكون شيئا آخر فحتى لو اكتفى صدام بالجزيرتين التى يدعى أن للعراق حقا فيهما ، وحتى لو اكتفى بان يكون للعراق طريق الى الخليج ، فانه لا يجوز أن تسمح دول العالم أن ينال هذه المطالب الضئيلة مكافأة له على احتلاله للكويت وضمها الى العراق .

ان اليوم الذى يستطيع فيه المعتدى ان ينال مكافأة على عدوانه هو اليوم الذى يقول فيه البشر وتقول الانسانية سلام على العالمين .. فانها القيامة ..

الأهرام ١٩٩٠/١٢/١٠

« وســـــاوس »

الله لنا نحن الكتاب فى هذه الأيام • فالكاتب اليوم لا يستطيع أن يعرف ماذا يمكن أن يحدث فى اللحظة التى تفصل بين كلمة وأخرى مما يكتب ، وأنا واحد من أولئك الناس الذين لا يهدأ لهم خاطر وهم يعلمون أن هناك مسئولية ملقاة على عواتقهم • ولذلك أحرص على كتابة مقالتى قبل موعد نشرها ببضعة أيام وهأنذا أمسك بقلمى وأمثل أمام أوراقى وأتهيأ للكتابة وأفكار كثيرة تتجاذبنى ثم ما تلبث أن تنماع فى ذهنى لأننى لا أدرى ماذا يمكن أن يحدث فى اللحظة القادمة فى السياسة العالمية أو السياسة المصرية •

وأهم موضوع يشغل السياسة العالمية والسياسة المصرية فى أيامنا هذه هو موضوع الخليج •

وموضوع الخليج كله اليوم بيد رجل استعصى فهمه على كبار المحللين السياسيين أو النفسيين أو الاجتماعيين • فهو انسان أعجوبة بين بنى الانسان يملؤه الغرور ويملؤه الخضوع • يتظاهر بالقوة كل القوة ثم يتصرف تصرفات ذليلة غاية الذلة • جهير الصوت فى بعض الأحيان ويغمغم فى أحيان أخرى بتصريحات لا يفهمها أحد •

انظر كيف فعل مع ايران • من كان يتصور أن ذلك العاتية المتجبر الذى حارب ثمانى سنوات قتل فيها من قتل من أبناء شعبه وأصاب فيها من أصاب من بنى وطنه • وقتل أيضا مســلمين فى ايران لا عدد لهم ولا حصر حتى ان ايران استعانت بالصبية الصــغار فى هذه الحرب الضروس الطاحنة •

وتنتهى الحرب بانتصار ضئيل للعراق حفظ للرئيس الطاغية بعضا من ماء وجهه ان كان فى وجهه ماء •

من كان يتصور انه بكلمة مفردة يتنازل عن هذا الانتصار فيجعل الدماء التى سالت كلها هباء منثورا لا قيمة لها •

غير أبه بالأسرات العراقية والايرانية جميعا التى فقدت أبناءها وآباءها وغير ملق بالا الى الأموال الطائلة التى أبهظ بها العراق وايران ودول البترول جميعا ٠

كان جبارا طاغية حين حارب وكان ذليلا ضئيلا عندما تنازل عما حارب من أجله ٠

ولماذا تنازل ؟ ٠٠ ما أهون الثمن الذى تغياه وما أقل العائد الذى سعى اليه ٠٠ أكان كل ما يرجوه أن يضمن ايران الى جانبه فى اغتياله للكويت ؟!

وماذا لو كانت ايران قد استجابت لمسعاه الخائب والعالم كله يقف ضده ومع ذلك فقد خذلته ايران وأبت أن تبيع رأيها وكرامتها وانسانيتها مقابل ما تنازل عنه لها ٠

وانظر اليه مرة أخرى فى موقفه من الرهائن الذين احتجزهم من دول العالم فكان بما صنع وصمة فى جبين التاريخ والانسانية ٠

ثم هو ازداد فجورا فجعل من الافراج عن بعض هؤلاء الرهائن هدية لكبار رجال السياسة الذين قصدوا اليه ليفرج عمن يحتجز فيطلق لكل زائر بضع مئات لأجل خاطره وكأنما الانسان من الرهائن أصبح أشياء جامدة لا حس لها ولا شعور ولا حياة وكأنهم لا يشاركونه فى الانسانية ٠

أقصى ما يبلغ البشر من جمود الحس وفقدان المشاعر الآدمية ٠ ثم هو فى كلمة مفردة يطلق الرهائن جميعا ويقف علماء السياسة وعلماء النفس وعلماء الاجتماع حيارى ذاهلين ٠٠ لماذا صنع ما صنع ؟

ولماذا سمح اليوم بما رفضه بالأمس ؟

ولماذا طابت نفسه ان يلقى هؤلاء الرهائن وأهليهم وذويهم الى العذاب الوبيل طوال فترة احتجازهم ثم لماذا وفى لحظة أفرج عنهم جميعا بلا أى مقدمات ؟!

ان كان يقصد أن يرضى العالم بما صنع فهيهات فقد كان حبس الرهائن سبة ٠ وازالة السبة لا تستحق أن يرضى عنها الناس فالأصل الذى تعارف عليه البشر الا يصنع حاكم صنيعه فى الحبس والاحتجاز ٠

.عودة الأمور الى مجراها الطبيعى الانسانى الذى تواضع الناس عليه لا تستحق شكرا ولا رضاء .

ثم انظر اليه ثالثة وهو يسعى لاهثا بكل جهده أن يجرى حوارا مع أمريكـا .

وتقبل أمريكا بعد قرار مجلس الأمن بإباحة الحرب اذا امتنع طريق السلام أن تجرى حديثا مع العراق .. ونسمع رنة فرح صادرة من العـــراق .

ولكن الطاغية لغبائه يظن ان ليس فى العالم من هو فى مثل ذكائه فيحاول بلعبة مواعيد الحديث أن يجعل قرار مجلس الأمن بتحديد ١٥ يناير آخر فرصة للمسعى السلمى كأنه لم يكن .

وتفهم أمريكا اللعبة طبعا ولم يكن الأمر محتاجا لذكاء للوصول الى هذه النتيجة .

ويتعثر اللقاء مع أمريكا والعراق من أجل تصرفات صبيانية تثير الضحك والحزن فى وقت معا أن يكون حاكم عربى بهذه التفاهة وهذا الصـــغار .

ويزداد الأمر استدعاء للسخرية حين نرى العراق تحاول ان تصل أسبابها بالعالم الأوروبى بعيدا عن أمريكا فى مظنة خائبة ان تشق ما بين أمريكا وأوروبا من وحدة فى رفض الاحتلال الغادر للكويت .

وها هى ذى الحرب تطل علينا وأنا أكتب هذه الكلمات حتى تكاد تصبح أمرا لا محيد عنه ولا وسيلة غيره .

ولكن من يدرى حين ينشر هذا الكلام ويشرف بقراءتك له ماذا يمكن أن يحدث ..

فمع انسان مثل صدام حسين كل شئ قابل للحدوث .. ما أشبهه بابن عمار الذى قال عنه الشاعر القديم :

لا تمدحن ابن عمـــار اذا نديت   كفـاه يوما ولا تذممـه ان حرما
فانهـــا خطرات من وساوسه   يعطى ويمنع لا بخـــلا ولا كرما

ما أصدق الشاعر :
وسبحان الله فله فى خلقه شئون ..
ولا حول ولا قوة الا بالله .

الأهرام ١٩٩٠/١٢/٢٤

سنة ١٩٩١

دمـــاء لا ورقـــة

أحاول بكل الجهد ان أكتب في موضوع آخر غير أزمة الخليج ولكن هيهات فكيف أستطيع ان افكر في موضوع آخر والعالم أجمع على حـافة بركان فجره ديكتاتور أحمق فرض علي الدنيا جنونه واجتاح دولة بأكملها وأطلق نكتـة سخيفة هزيلة صدقها ان الكويت ما هي الا محـافظة من محافظات العراق وغير لوحات السيارات المعدنية في الكويت وحاول ان يغير جنسية أهل الكويت بتغيير بطاقاتهم واهما أن الجنسية بطاقة وان الانتساب الى دولة انما هو ورقة يعبث بها كيف يشاء !!

ناسيا ان الوطن حياة ، ودماء ، وأنفاسنا التى تتردد في جوانحنا ، وانتماء وحب ، وطفولة ، وصـــبا ، وشباب ، وكهولة ، وشـــيخوخة ، وذكريات ، وزواج وأسرة ٠

الوطن هو التراب الذى نبتنا فيه من غرس الآباء والأجداد والأحداث والأيام ٠ وفيه الهواء الذى لانطيق ان نعيش في غيره والأرض لو تركناها لاختل التوازن منا واضطرب بنا المسير وضاع في خطونا الطريق والذى بغيره نصبح هباءة لاقوام لهـــا ولا وجـود ولاقيمة ولا ماضى ولا حاضر ولا مستقبل ٠

ان أهل الكويت الذى حـــاول هذا المعتوه التائه العقـل ان يغير جنسيتهم سيظلون كويتيين بالقلب والجســـم بالدماء والأرواح وبالهوى والانتمـــاء ٠

ولكنه يقول ان الكويت جزء من العراق ٠ تنازل ان استطعت عن سلاحك واعط هذا الجزء الذى تزعم انه من العراق سلاحا ثم انظر من بعد لمن سيكون هواه وانظر كيف سيحارب العراق حرب مستميت يدافع عن وطنه الذى هو شرفه والذى فيه نما وعليه شب والذى عليه انجب من أنجب من بنين والذى يطيب له ان يبذل حياته فداء له ٠

العالم كله يدرك معنى الوطن الا صدام حسين الذى يريد ان يغير معالم التاريخ والجغرافيا والذى بلغ به الجنون انه يريد ان يغير مسرى الدماء فى الجسوم ودقات الأفئدة فى الصدور · غير واع لما يدور حوله منتكسا فى جحره كالجرذان لايسمع الا ما يريد ان يسمع · صم أذنيه عن العالم أجمع مقتنعا – ولا أدرى كيف اقتنع – ان الكويت أصبح جزءا من العـــراق !

وكم أسفت وحزنت وأنا أقرأ أن واحدا من رؤساء الأحزاب المصرية اشترك فى هذه الجريمة العالمية التى يرتكبها صدام حسين · وكم أسفت ان مصريا يزعم ان له حزبا وانه زعيم يذهب الى بلد آخر ويهاجم رئيس مصر الذى وقف مع الحق فى عظمة يتوجها الآباء ويحيط بها الشموخ ·

وأذكر زعيم معارضة انجليزيا ذا حزب حقيقى ووجود سياسى خطير خرج من انجلترا الى دولة أخرى وتحلق حوله الصحفيون يحـــاولون ان ينالوا منه تصريحا ضد حكومته فاذا هو يقول انما ننتقد أنفســـنا فى بلادنا ، فاذا خرجنا منها الى دولة أخرى فجميعنا ينطق بلســـان واحـد لا اختلاف بين مؤيد للحكومة أو معارض لها !!

ولكن هذا المصرى – وما أظنه مصرى الهوى أو الفؤاد – خرج لينتقد رئيسه ويؤيد صدام حسين فى بلد آخر غير مصر لا يرده خجل ولا يقف به حياء ولا تمسك لبسانه كرامة مصر وسمعتها التى حاول أن يشينها ويحثو عليها التراب ·

كبرت كلمة تخرج من فيه وشاه قولا وفعلا وحسبنا فيه مقت وطنه واحتقاره والصغار الذى يحيط به من كل جانب ·

وبعد ·· فماذا يخفى الغد ؟ ·· أحربا – وهذا هو الأمـر الراجح رجحانا يقرب من التأكيد – أم سلاما – وهذا هو الأمل الذى مازال يداعب بعض النفوس ·

الأبله المجنون فى العراق يقول لن أنسحب من الكويت أبدا فهى جزء من العراق ·

والرئيس الأمريكى يأبى حتى ما يقوله قواد جيشه ان الحرب يجب ان تؤجل الى فبراير · ويصمم على ان تكون الحرب فى يناير ، ومع اقتراب

يناير من فبراير الا ان الرئيس الأمريكي مصمم ان ينفذ قرارات مجلس الأمن ودول العالم أجمع ٠

ورئيس وزراء انجلترا يهدد طاغية العراق بانه سيفعل به الأفاعيل ان حاول ان يستعمل المواد الكيميائية في الحرب ٠

ورئيس تركيا لايكتفي بهذه الحشـود التي جيشتها دول عظمى في العالم ويطالب بأن يشترك في الحرب وأن تكون أرض تركيـا منطلقـا للطائرات الضاربة في حرب العراق ٠

وكم هو ضئيل بصيص السلام وكم هي مشتعلة نيران تعد للحرب فالرؤساء في الدول المشتركة في حرب الخليج كلهم يدركون معنى كرامة أوطانهم ولا يتصور أحد ان يخذل واحد منهم وطنه ويطيح بمصالحه لتصبح جميعها في يد رجل واحد مذهوب العقل مزلزل الوجدان ٠

وما جيش هؤلاء الرؤساء جيوشهم ضد صدام الا حفاظا على مصالح أوطانهم وكرامة هذه الأوطان وترسيخا لاستقرار الحياة في العالم ٠

فأي عالم سيصبح ذاك اذا حكمه المجانين والمخابيـل والساعون الى الدمار والمخربون في الأرض والمحطمون للحيـاة والناهبون للأوطـان والساحقون للقيم والذين لايخشون ربا قاهرا فوق عباده ؟!!

لا كان ذلك اليوم ولن يكون فالله أرحم بعباده ان يسلط عليهم من تجردوا من انسانية الانسان ومن يدمرون عزة الآدمي وكرامته فالله جعل الانسان سيد المخلوقات أجمعين فمن تجرد عن انسانيته لابد ان تدوسه الأقدام ويخزيه الله في الدنيا والآخرة وهو سبحانه أرحم الراحمين ٠

الأهرام ١٤/١/١٩٩١

ومن الحرب سلام

تعالى الله سبحانه جل شـــانه وتباركت ذاته فهو لاينزل بعباده نازلة أو كارثة الا احاطها بلطفه وشمل عباده مع الشدة بالرحمة فقد كتب على نفسه الرحمة ٠

وها نحن أولاء نشهد حربا ضارية قاسية تشارك فيها ثمان وعشرون دولة ضد دولة واحدة أو ان شئت الدقة في التعبير فهي ثمـــان وعشرون دولة ضد شخص واحد ٠ هذا الشخص يمثـــل النازلة او الكارثة التى سلطها الله على عباده ليمتحنهم بها ٠ وقد هبت هذه الدول جميعا لتحافظ على التوازن العالمى فلا تلتهم دولة ذات عسكر وحشود وجند وعتاد وشرة واضراس شرسة وأنياب طاحنة دولة أخـــرى تعيش حياتها بلا جيوش ولا أطماع عسكرية وانما هي سلام وهدوء واطمئنان متخذة مـــن حبهـــا للسلام درعها التى تقيها شرور الآخرين وضراوتهم وعدوانهم ٠

قامت الدول الثماني والعشرون تقطم قانون الغاب المتخلف ان يكون هو قانون البشرية اليوم ٠

قامت هذه الدول بجميع سلاحها وبجماع قوتها لتحافظ على السلام الذى دعا الله عباده ان يدخلوا فيه كافة ومثلما قال الله تعـالى فى كتابه العزيز « ولكم في القصاص حيـــاة » كذلك يحدث اليـوم ويكون لنا من الحرب ســـلام ٠

فمع وجود عاتية طاغ سفاح قاتل للشعوب مثل صدام حسين لاتصلح الحيـــاة الا بان تذود الدول الكبرى عتوه وطغيانه وسفحه للدماء وقتله للشعوب وترد عن العالم ما يريد ان يفشيه فيه من دمار شامل وخراب محطم ونيران لاينطفىء لها أوار ولايخمد لها لهيب ٠

ومنذ اللحظة الأولى من التهام العراق للكويت توقعتها حـربا عليه ضروسا طاحنة ٠ وتوقعت الا يستمع العاتية الى أى نصح والا يلقى مسمعا لأية محاولات تبذل معه ان يتراجع عن التقامه للكويت ٠ فهو حين أقدم على

فعلته المروعة كان يتوقع ـ لاشك ـ ان تسعى اليه الدول من جميع أقطار الأرض ليرتد عن غزوه ويعدل عن غيه ·

كما كان يتوقع أيضا ان يقف الى جانبه الضعاف المهازيل من الحكام ولاشك ان هذا التوقع أو ذاك لم يكن ذا شأن عنده ، وربما استبعد ان تقوم حرب فمثله لايستطيع ان يقدر هول ما فعل وفداحة ما ارتكب ·

وسعت الدول سعيها اليـــه ووجه اليـــه الزعيم المصرى وحده ستة وعشرين نداء غير محاولاته التى بذل فيها من الجهد البدنى والذهنى ما يفوق طاقة البشر ·

واستنفدت الدول العظمي كل وسائل الاقناع لتقي العالم شر حرب يحتم عليها واجبها العالمى ان تخوضها ·

ولكن صدام أبى واستكبر وتشبث وأطلق مقولته الرعناء السخيفة المضحكة ان الكويت ما هى الا محافظة فى العراق وجعل لها التاسع عشر رقما أيضا · وأعجبه ما تفتق عنه ذهنه المريض فتمسك به لايبغى عنه حولا ولا منصرفا ·

وظل على حاله بعد ان جيشت ثمان وعشرون دولة جيوشها وأرسلت بها لتحيط بالعراق من جميع نواحيه ·

وربما توهم ان رؤساء هذه الدول شأنهم كشأنه يتصرفون فى أرواح شعوبهم وأموالها بلا حسيب ولا رقيب ·

وربما دار بنفسه المريضة ان ارسال الجنود شيء والدخول فى حرب شيء آخر · ولكن ها هو ذا اليوم قد عرف ان الأمر جد لا هزل فيه وها هى ذى آلاف الطائرات تحطم فى كل يوم · المواقع والحصون فى العراق ·

والسفاح على حاله من جمود العقل وتحجر الفؤاد وانعدام الانسانية لايشفق على شعبه الذى جعل منه وقودا لمعركة مؤكدة الخسارة بالنسبة له وجعل الأحياء يعيشون بلا عيش ولا حياة ينقصهم الزاد والماء والنـــور ويحيط بهم ـ وهذا أشنع ما فى الأمر ـ الرعب والرهب والخوف القاتل على أنفسهم وعلى أولادهم وآبائهم وأمهاتهم وأخواتهم وذويهم ·

ويطول أمد الحرب ويتساءل الناس كيف لهذا الأمد ان يطول • وكيف لدولة واحدة ان تصمد أسابيع في مواجهة العالم في ذروة ما وصل اليه الانسان والتقدم البشرى في الأسلحة الى درجة لم تعرفها البشرية في تاريخها ولم يشهد العالم لها مثيلا في كل الحروب التى خاضها العالم •

وهنا يأتى لطف الله الذى شرفت بأن بدأت به هذا الحديث اليك •

يقول قائد القوات الأمريكيـــة ما معنـــاه ان هذه الحرب لم تكن لتستغرق يومين لو أن القوات المتحالفة ضربت المدنيين فى العراق • وهكذا تقف رحمة الله جـــل وعلا حائلا بين هذا الهول الأخذ والأسلحة الفتاكة وبين نفوس بشر ليس لهم فيما فرضـــه عليهم رئيسهم ذنب أو جريرة • ولالوم عليهم فى هذه الكارثة ولاتثريب • وانما هم وقودها وحجارتها • أبناؤهم وآباؤهم فى الجبهة ولكن الله لطف بهم وجعل من أعدائهم بشرا من البشر يقدسون الحياة ويحاولون بكل جهـــدهم ان يحفظوها على من لايحاربهم ولايقف فى الميدان مقاتلا •

فلتطل الحرب ما شاء الله لها أن تطول مادامت أيامهـــا تبقى على أرواح هؤلاء الأبرياء من شعب العراق •

ومن عجب ان يشفق على الشعب العدو ويرمى به من كان المفروض فيه ان يكون راعيه وحاميه الى الهلك والدمار •

اللهم سبحانك •• لانسالك رد القضاء وانما نسالك اللطف فيه انك وحدك الرحيم بعبادك اللطيف بخلقك ••

الأهرام ١٩٩١/٢/٤

المنزوف لطمـــا

كانت القبيلة تعلم ان قبيلة أخرى ستهاجمها وكانت تعلم ان هذه القبيلة التى تعد العدة لحربها فيها رجال بواسل وفرسان أشداء فى حين لاتجد القبيلة التى تنتظر الهجوم بينها رجالا ذوى بأس فكانت فى رعب شديد ودمر حياتها الخوف والذعر ٠

وفى يوم استقبلت القبيلة المذعورة ضيفا من الذين يعرفون أخبار القبائل ويتولون نشر الأنباء بينها ٠ وعرف الضيف ما تعانيه القبيلة من هلع فقــال لهم أنا كفيل أن أحقق لكم النصر فى هذه الحرب ٠٠ كيف ؟! قال لهم أحضر لكم فلانا بن فلان الفارس المجرب العظيم الذى ما شهد حربا الا انتصر فيها ٠

وما هى الا بضعة أيام حتى كان الفارس الأشهر بين رجال القبيلة المذعورة فاحاطوه بالاجلال والاكبار والاكرام ٠ وأصبح ولا عمل لهم الا ان يستجيبوا لرغباته فما هى الا اشارة حتى يجد ما يريده حاضرا ٠

حتى جاء اليوم المشهود وأغارت القبيلة التى كانوا ينتظرونها وصاح صائحهم الحرب فاذا البطل المغوار يصرخ « الحرب » ثم لايمسك سيفا ولا رمحا وانما يكتفى بأن يظل يصيح الحرب ٠٠ الحرب ويلطم خديه حتى مات من الخوف دون ان يشارك فى الحرب جميعا ، فسمى المنزوف لطما ٠

أذكر هذه القصة التى طالعتها منذ سنوات بغاذ فيما أقرأ من كتب التراث وأنا أرى الطائرات العراقية التى بذل فى شرائها العراق الأموال الضخام واطمأن بوجودها فى حوزته أنه قادر على الحرب ٠

فاذا طائرات العراق تفعل كما فعل البطل المكذوب فى القبيلة التى استأجرته صاحت الطائرات العراقية الحرب الحرب ثم فرت الى ايران تحتمى بها من الحرب التى ما اشتريت الا لتشارك فيها ٠ والتى منهــا لم تهرب الى ايران اختبأت فى سراديب تحت الأرض والذى نعرفه ان السماء هى مجال الطائرات لا أعماق التراب ٠

ان أى طاغية لم يصنع ببلاده ولا بشعبه ما صنعه هذا الأخرق وكيف يطعم نوما أو تهدأ له نفس وشعبه برجاله ونسائه وأطفاله وشيوخه يلقى هذا الهلاك الوبيل ان لم يتمثل فى القنابل والقذائف تمثل فى الجوع والحياة القاسية التى يحيونها وان لم يتمثل فى هذين طالعهم البلاء من الخوف والهلع على أنفسهم وعلى أبنائهم وعلى آبائهم وعلى ذويهم ٠

ويقول بعض الناس ان الهلاك الذى يصبه الحلفاء على الجيوش العراقية تحطيم للانسانية لايقل اجراما عن تحطيم صدام للكويت ٠ أى منطق هذا ٠ أيمكن ان يسكت عنه العالم ٠ وما مصير البشرية اذا لم يواجه العالم هذا السرطان غير الانسانى ٠ أينتظر العالم حتى يفعل فعله هذا مع السعودية ودول الخليج كلها ٠

وليس أدل على رغبة الشعب العراقى فى السلام وعزوفه عن احتلال الكويت من هذه المظاهرات ٠ المنفجرة بالفرح والمؤيدة باطلاق الرصاص فى الهواء تعبيرا عن السعادة والحبور التى قام بها شعب العراق حين سمع كلمة الانسحاب لأول مرة تخرج فى بيان رسمى عن رئيسه العاتية ٠

وقد جاءت المبادرة الأخيرة التى فاجأ بها صدام العالم أكبر دليل على انه يظن بنفسه الدهاء الذى لا مثيل له فهو يحسب انه بها يستطيع ان يغافل الناس أجمعين ٠

وهذه المبادرة الهازلة فيها من جديد ان انه كف عن اعتبار الكويت المحافظة التاسعة عشرة وهو زعم يدعو الى السخرية والهزء والعدول عنه لايستحق ان نعتبره شيئا جديرا بالتفاؤل أما فيما عدا ذلك فصدام يحاول ان يجعل من نفسه زعيم العرب أجمعين الذى استطاع ان يحل مشكلة فلسطين التى استعصى حلها على نيف وأربعين عاما ٠

ويحاول ان يؤكد هذا الزعامة بالحديث عن انسحاب سوريا من لبنان ٠

ولست أدرى وما أحسب أحدا يدرى أى صلة تربط بين وجود جيش سورى فى لبنان وبين اغتياله هو الكويت ٠

وهكذا لم يكن غريبا ان يقابل العالم أجمع مبادرة صدام حسين بالرفض والاعراض ٠

فلينسحب من الكويت بلا شروط ان كان يريد حقا ان يستجيب لأى قرار لمجلس الأمن وليكف عن محـــاولة المكر بالنـــاس فما يستطيع أى انسان أن يمكر بالعالمين ٠

والله من فوقنا هو خير الماكرين ٠

الأهرام ١٩٩١/٢/١٨

كيـــان بلا شـــبيه

اذن فأنت هكذا فقط • واذن فكل ما كنت تقوله وتدعيه عن النشامى والأشاوس وما لا يدريه العالم من قوة ومالم يعهده التاريخ من بأس يتضح جميعا عن حرب يومين •• أخزاك الله • لقد استوليت على الكويت فى بضع ساعات لأنك أخذتها فى غفلة من العـالم ثم رحت تخطب الخطب الرنانة الجهيرة تهز بها أذان العالم وتشغل الاذاعات بأم الحروب وبالنيران القاتلة والأسلحة الرائعة والويل والثبور والشر المستطير وما لايتصوره الأعداء ولايتوقعه العالم •

ويقصد اليك الأفراد من أكابر الأقوام والوفود من أقطار الأرض ان تعدل فتأبى أو تلين فلا تزداد الا صلابة فى الرأى وتشبثا بما انتهى عليه أمرك من امتلاك الكويت • وتكذب فتدعى ان الكويت قد استنجدت بك لتخلصها من حكامها حتى اذا لم تجد فى الكويت خائنا واحدا تنشىء لها حكومة من أصاغر أهلك ثم تحلهـا وتعلن ان الكويت هى المحافظـــة التاسعة عشرة وانها عادت الى مكانهـــا الجغرافى وانهـــا ما هى الا جزء من العـــراق •

وتتوالى اليك النصائح والجموع والدول فتأبى الا الثبات على ضلالك والتمســـك بظلمك •• وتزيد فتأمر جنـــودك ان تخـــرب محافظتك التاسعة عشرة وتفجر بنسائها وتقضى على رجالها وتعلق قتلاك من النساء والرجال عرايا فى الطرقات •

وتأمر ان تلغى الجنسية الكويتية وتفرض على كل كويتى ان يستخرج بطاقة عراقية • وتغلو فى ضلالك فتريق البترول فى مياه الخليج ليلوث البيئة فى العالم أجمع • ثم تحرق آبار البترول فما تستفيد أنت منها شيئا ولاتتركها لأبناء الكويت وهم ما حاربوك وأنت تغتصـــب وطنهـــم ولا ردوك وأنت تلتقم أمتهم وما قدموا اليك الا الخير والمال الذى بددته فى حرب ايران وحربهم •

فأى ذنب جناه شعب الكويت لتفعل به هذه الأفاعيل • بل أى ذنب جناه عليك شعبك فى العراق لتصنع بهم هذا الصنيع •

من أى مادة أنت ·· لقد حـــارت معك العقول وتاهت في حالتك الافهــام فلا من انســــان أنت ولا أنت من الحيوان ولا من المجانين أنت ولا أنت من العقلاء ·

من أى مادة ركبت ذاتك · وفى أى عصر تعيش · وماذا يصنع بك عقلك حتى تصب على شعبك والشعوب العربية بل وشعوب العالم أجمع هذا الهول الذى صببت · ان بعض الناس لم يتصور انك تفعل ما تفعل الا وأنت واثق من جيشك وقوته ومن بطشه وبأسه وثوقا لايقبل الشك · وتوقع هؤلاء حتى والطائرات تدك أركان جيشك انك تخفى فى طوايا الغيب مفاجآت لاتخطــر على ذهن البشر · وراح هذا البعض ينتظـــر فاذا أنت تفاجئهم بهوان منك بعد هوان واذا أسلحتك الخفيـــة خنــوع وضعف واستسلام ويصدق عليك قول العزيز الحكيم : « حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون » (المؤمنون ٧٧) والمبلسون هم المنكسرون الحزانى ·· ويحك أتبلس فى يومين وتظل تخطب أكثر من مائتى يـوم ·

وتبلغ بك الصفاقة ان تعلن وجنودك تستسلم بالآلاف ان جنـــود أعدائك يتساقطون كالذباب ·· وتزداد قحة وجرأة على الحق فتعلن وأنت تلقى خطاب انسحابك ان جيوشك النشامى قد انتصرت ·· من أى عنصر ركب كيانك ؟! ·

واليوم ماذا يصنع العالم أمام هذا التدمير الشامل الذى أشعته فى بلادك وفيما حولك من بلدان وكم من السنوات تحتاج البشرية لتعيد الحياة فيما خربت وأحرقت وبددت وما مصير تلك الأسر التى اغتلت عائلهـــا وما الغد للنساء اللواتى هتكت أعراضهن · وأى شىء فى العـــالم يعوض الناس الذين فقدوا رجالهم ونساءهم وشرفهم ·

وما أنت حتى تصيب البشرية بكل هذا الهول الذى أصبت ·

ان عدل الله وحده هو الكفيل بك وعنـده وحـده تلقى ما يقــدره سبحانه لمن كان مثلك ·· وهيهات ان يكون فى العالم أو التاريخ لك مثيل ·

الأهرام ١٩٩١/٣/٤

ومن الموت حياة

القائد العظيم زعيم النشامى والأشاوس يجنى اليوم ثمار انتصاره الرائع الذى لا يعرفه أحد الا اذاعته وجريدة هزيلة تصدر بمصر وهل هناك دليل على النصر أوضح من الحرب الأهلية التى تدور رحاها اليوم فى بغداد أو هل هناك برهان أسطع مما ذكرته بعض الصحف من ان صدام تعرض لمحاولة اغتيال وانه أصيب فى يده اليمنى ٠

ونذكر الآية الكريمة فى سورة سبأ « قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد » ٠

ان الكارثة التى أنزلها صدام حسين بالعالم العربى أعظم من ان يحيط بها وصف والله وحده يعلم متى تنقشع عنا آثارها ٠

والتخريب الذى حدث بالكويت تتبلور آثاره أعظم ما تتبلور فى التخريب الانسانى والنفسى مما شهده أهل الكويت وما حل بهم من القهر والتعذيب ومن فقدان الأبناء والآباء والأخوة والأعزة ولانملك الا ان نسأل الرحمن تقدست أسماؤه ان يقرن الكارثة باللطف والمصيبة بالرحمة والوبال بالصبر انه سبحانه وحده هو القادر على شفاء القلوب مما عانت وتدارك النفوس التى تمزقت ولكن الذى لاشك فيه ان المصيبة التى حلت ومازالت تحل الى اليوم بالعراق أضخم وأعمق وأكثر شناعة مما أصابته ٠

فهاهى ذى العراق تتمزق شر ممزق وهاهى ذى تصبح شيعا وشراذم وفرقا وها هى ذى يعمرها خرابها ويقاتل فيها الأخ أخاه ٠

والحقيقة ان هذه الحرب الأهلية غير متكافئة فالثوار لايملكون من السلاح قدر ما يملك الطاغية الذين يريدون ان يزيلوه عن مقعد الرئاسة وهو بجانب ما يملك من قوات الجيش والحرس الجمهورى يملك ــ والشهادة لله ــ قدرا من الاجرام لم يشهد العالم له مثيلا فى انسان قبله مطلقا فقتل الانسان عنده أهون الأمور وأبسطها وأقرب الأفكار اليه ٠ وليس يعنيه فى كثير أو قليل بريئا كان من يقتله أم كان مظلوما ٠ فانه يقتل أولا ثم قد يفكر بعد ذلك أكان القتل على حق أم كان على باطل وهذه

الشراسة التى يعف عنها الحيوان ان تجسدت فى حاكم يدافع عن سلطانه لاتبقى ولاتذر والذى لا أتوقعه أبدا ان يستجيب صدام لهذه الثورة العارمة التى اندلعت فى مدن العراق وقراها وانما هو سيحارب بكل من جند ومن طغيان ومن أجرام ٠

وأخشى ما أخشاه ان ينتهى الأمر بتقســـيم العراق فيصبح دويلات صغيرة ولا قوام لها ولا قيمة ولا كيان فتفقد الأمة العربية بذلك دولة ذات تاريخ عريض وذات وجود واضح ٠

وعلى كل حال ومهما تكن الكارثة التى وصلت بالعالم العربى فادحة فان الأمر فى شأنها لايخلو من نتيجة ذات خير عميم ٠

فالذى لاشك فيه ان هذه الكارثة قد ثبتت أركان السلام فى المنطقة كما انه فى بعض الأحيان يكون من الموت حياة فمنذ اليوم لاتستطيع دولة على شىء من قوة السلاح ان تفكر فى الاعتداء على دولة لاتعتمد على السلاح فى ارساء الأمن ٠

لقد وضعت كارثة الكويت الحد الفاصل الحاسم بين تحكم السلاح وتحكم السلام وقد عرفت كل الدول اليوم ان المجتمع الدولى ذو أظافر وأنياب وان هذا العالم لن يتركها تعبث فسادا فى الأرض دون ان ينزل بها العقاب الرادع ٠

ترى هل تبينت الدول التى كانت تؤيد صــــدام أى ضلالة كانوا يتبعون وهل ظهر النور فى الطريق لأولئك الصغار الذين يصدق عليهم قول جميل الشاعر :

لحا الله من لا ينفع الود عنده
ومن حبله ان مد غير متين
ومن هو ذو لونين ليس بدائـــم
على العهـــد خـــوان لكل أمين

يرعى الله محمد حسنى مبارك الذى أثبت أنه من أعظم ساسة العالم بعد نظر ، وشرف قصد ، وثبات مبدأ ٠ وياليت هؤلاء الأصاغر استمعوا

الى نصحه الذى لم يقصد منه الا صوالحهم ولكنهم نأوا عن النصح الشريف وارتموا فى أحضان النفع الهين السريع الزائل فكان نصيبهم اليوم انهم حيارى ذاهلون لايدرون أين يولون وجوههم أو أين يخفون هذه الوجوه التى خلت من الشرف وتجردت من الحياء وغابت عنهـــا دماء الانسانية ويصدق عليهم قول الشاعر القديم ٠

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوا فلم يستبينوا الرشد الأضحى الغد اللهم ياذا الجلال هون على عبادك المؤمنين بك ، المسلمين لك ما جره عليهم من لايخافك ولا يخشاك انك العزيز ذو الرحمة ٠

الأهرام ١٩٩١/٣/١٨

وإلا فما الحيـــاة ؟

كم أدهش حين أفكر فى الذين لايؤمنون بالله كيف يستطيعون العيش وكيف يلاقون الحياة وكيف يستقيم بهم الفكر ٠

وكيف يواجهون العبارة القرآنيـــة المباركة ذات الدلالة القاطعة الحاسمة « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » فاذا كانوا لا يعرفون سر الروح فيهم ففيم يجادلون فى الله ٠ وكيف تطمئن بهم الحياة ، وتسكن منهـم النفوس ، والى أى وجهة يتوجهون اذا ضاقت بهم مسالك الدنيا ، وماذا يقولون اذا لم يقولوا « يارب » وان مرضـــوا وأمسك عنهم الشفاء يده وعجزت عن مرضهم منابع الطب ونبغاء الأطباء ٠ ماذا يقولون اذا لم يقولوا « يارب » ٠

وان وقع عليهم الظلم والقهر واستبدت بهم أسباب التحير وأحاط بهم الطغيان ممن لايملكون لهم دفعا ولا قوة بهم لردهم ماذا يفعلون أو ماذا يقولون ان لم يقولوا « يارب » ؟

وان اعتنقتهم الكآبة وضاقت بهم النفوس حتى ما يطيقون أبناءهم أو أزواجهم أو ذويهم ماذا يقولون ان لم يقولوا يارب ؟

وما الحياة عندهم اذا لم يعرفوا البهجة التى يعرفها المؤمنون وهم يلوذون الى ظل من العرش ونفحة من الرحمن وأمان من اللطيف العزيز وما الحياة اذا احتجب عنهم فيها نور الاله تقدست أسماؤه سبحانه وتعالى عما يدعون ٠

كم أرثى لهم وأشفق عليهم يعيشـــون ولا يعيشون ويصلون هجير الحياة بلا قطرة من ندى الرحمة المطلقة وترتعد قلوبهم من البرد والزمهرير بلا شعاع من دفء اللطف الأعظم ٠

أعجب لهم كيف يعيشون ٠ وأى انس يلقونه فى حياتهم ؟

ان كانت لهم زوجات تؤنس وحشتهم فطبيعة الحيـــاة مع الأزواج لايمكن ان تخلو من شد وجذب وأخذ وعطـــاء وضيق وفـرج وكم تصبح الزوجة وهى حبيبة مصدر هم وكدر ٠

وقد تمرض أو يصيبها مكروه فيجزع الزوج ويتخبطه مس الشياطين الى من يفزع ان لم يقل « يارب » ؟

وان كان الرحمن قد رزقهم البنين والبنات وان كان سبحانه قد أتاح لهم فى حياتهم التوفيق والنجاح والفلاح ٠

فان الحيـــاة لاتعطى دون ان تأخذ ولابـد ان يقع هؤلاء الأبنـــاء فيما لا يحبون من زوج لابن لا يسلس لها قياد ولا تطيب لها نفس أو زوج لابنه ذى مرار ٠٠ وشراسة وجبروت ويحمل الأب هم أبنائه فى المحنة التى لايلقون وفى الكارثة التى يواجهون ٠

ان لم يكن مؤمنا ٠٠ فماذا يقول اذا هو لم يقل « يـارب » فمن غيره الملجأ والملاذ والمرفأ والشاطئ والغوث وان كان البنون والبنات أطفالا فانهم بالغريزة التى أودعها الله فى الانســان ـ أنس آبائهم وأمهـاتهم وقرة أعين لهم وهناآ وسعادة ٠

ولكنهم أيضا مثار هلع واشفاق وخوف وفرق ماذا يقول غير المؤمنين ان مرض طفل من أطفاله اذا لم يقل يارب ؟

بل ماذا هو قائل اذا فقد واحدا من هؤلاء الأبناء فى طفولته أو فى شبابه أو رجولته اذا لم يقل يارب ؟

وبما يصبر نفسه اذا لم يكن مؤمنا على يقين بالآخرة والثواب والعقاب وكيف يستطيع الحياة بعد ابنه أو ابنته اذا لم يحتسب فيه أو فيها الله واذا لم يستمد السكينة من ملكوت السماء ذاكرا ان الموت حق وانه عند العدالة العليا ليس عقابا ولا هو فنـــاء وانما هو مرحلة كلنـــا بالغوها لا استثناء فيها لأحد حتى وان كان نبيا أو رسولا ٠

أى انس فى الحياة يجده الانسان اذا لم يأنس الى فيء من رحمة الله وأى قبلة يوليهـــا اذا لم تكن له من الرحمن قبلة ٠ وأى حياة يمكن ان يحياها ان لم يكن واثقا بالآخرة وبالجنة والنار ٠

وماذا تصبح الحياة اذا لم تكن هناك حياة أخرى وأى معنى يبقى من هذه الحياة اذن ·

مهما يحاول أبناء الحياة ان يبنوا وان يملكوا وان يتمتعوا وأن يمشوا فيها مرحا فانهم لن يخرقوا الأرض ولن يبلغوا الجبال طولا ·

وكيف تستقيم حياتنا هذه اذا لم يكن هناك بعد الموت حياة أخرى ينال فيها المحسن جزاء ويصيب فيها المسىء عقابا ؟ والا تساوت الحسنات والسيئات وأصبح صاحب الضمير النقى واليد العفيفة والنفس الشفيفة مساويا وندا للطاغوت المجرم السفاك اللص النهاب غير الوهاب الآخذ بلا عطاء والمغتصب المقيت ·

فنحن هنا فى الحياة لانلاقى الجزاء العدل لأعمالنا واذا لم ننل جزاء عند صاحب العدالة المطلقة هناك فى السماء بعد الحياة · فهى عبث اذن هذه الحياة ولاتستحق ان تعاش وأولى بنا ان نتركها بأسرع ما نستطيع · فما نصبر على البقاءفيها الا بقولنا « يا رب » ننظر اليه بشعورنا كله وبغير ان نشعر ، ونتحسبه بوعينا الكامل وبغير ان نفكر ونحس به فى كل خلجة من خلجاتنا ونحس به بالسليقة المطلقة ودون ان نحس ونفكر فيه بعقولنا وقلوبنا ونفكر فيه بالطبيعة الخالصة النقية وتصيح باسمه قلوبنا فى كل نبضة تنبضها ·

يا رب ·· ليس لنا الا أنت موئلا من عواصف الحياة ·· أنت الرحمة وأنت الرفق وأنت اللطف الشفوق وأنت سبحانك ملاذ البشرية الأمين تعاليت وتقدست أسماؤك يارب العالمين ·

الأهرام ١٩٩١/٤/١

رمضان لا أنساه

لعل من أمتع شهور رمضان التى مرت على ان لم يكن أمتعها ذلك الشهر الذى قضيته فى رأس البر فى أربعينيات هذا القرن وكنت فى ذلك العام طالبا بشهادة الثقافة وهى شهادة لايعرفها أبناؤنا اليوم كانت هذه الشهادة ينلها الطالب وهو فى السنة الرابعة الثانوية قبل شهادة التوجيهية بعام واحد ٠

وكنت فى هذا العام أنتظر نتيجة شهادة الثقافة فى رأس البر ، وقد كانت رأس البر هى المصيف المزدهر فى سنوات الحرب تلك فقد كانت الاسكندرية مقصد غارات كثيرة من طائرات المحور لقربها من ميدان القتال ولوجود أعداد كبيرة من جيوش الحلفاء بها ٠ ولذلك فقد هجرها كثير من أهلها ولجأوا الى الريف المصرى والشواطىء الأخرى ٠

وهكذا أتاحت الحرب لرأس البر أن تصبح مصيفا حافلا بالمصطافين الذين كانوا يستمتعون غاية المتعة بالاقامة فى العشش دون المنازل وكانت هذه العشش تقام مما كان يطلق عليه « الأكياب » ولا أدرى ـ مصدر هذه الكلمة الا ان تكون كلمة اصطلاحية تواضع على استعمالها بناة العشش ٠ والأكياب هذه كانت مصنوعة من الغاب المتلاصق الذى يسمح للهواء العذب ان يتخلله دائما ولست أدرى لماذا لم تستمر هذه العشش وحلت مكانها البيوت التى نعرفها فى كل مكان فى العالم والتى أفقدت رأس البر أجمل ما تتميز به وغيبت عنها السمة التى تنفرد بها ٠ ويبدو اننا خبراء فى طمس المعالم الجميلة فى حياتنا ٠

لا علينـــا ٠

كنا نقضى شهر رمضان فى رأس البر ٠ ولم يكن الراديو قد أصبح شائعا مثلما هو الآن فهو اما أن يعمل بالكهرباء ولم يكن فى رأس البر كهرباء واما ان يعمل ببطارية ضـــخمة هى بطارية السيارة التى سرعان ما تفقد تيارها الكهربائى ويحتاج صاحبهـــا ان يحملها الى مقر الشحن

فتشحن ليعمل بها الراديو يوما أو يومين ثم تعود الى مقر الشـــحن مرة أخـــرى ٠

فكان من الطبيعي الا نحمل معنا راديو في مصيف رأس البر ٠ فقد كان مقر الشحن في الناحية الأخرى من النيل حيث تستقر ســـيارات المصطافين فلم يكن هناك وسيلة لتنتقل السيارات الى رأس البر وكان أقصى مدى لطريقها هو النيل الذى يفصـــل بين دميـاط وعزبة البرج وبين رأس البر ٠

ولذلك فقد كان أبى يستقدم شيخا قارئا من بلدتنا غزالة ليحيى الشهر الكريم وهو الشيخ محمد أبو سليمان وكان ذا صوت جميل حتى انه قرأ بضع مرات فى الاذاعة المصرية ٠ وكنا نهيىء له غرفة في العشة ويقيم معنا طوال شهر رمضان وكان يؤذن للمغرب فى شرفة العشة فتفطر العشش المجاورة على آذانه ٠

وفى هذا العام الذى كنت أنتظر فيه نتيجة شـــهادة الثقافة كنت أستحم فى البحر ثم أخرج الى العشة وأبدل ثيابى وأحمل كرسيا من كراسى الشاطىء ومظلة شاطىء أيضا وكتاب « حيـــاة محمـــد » للأستاذ العظيم د ٠ محمد حسين هيكل باشـــا وأذهب الى ضفاف البحر فاغرس المظلة أقرأ فى كتاب « حياة محمد » حتى الغروب ٠

هذه المتعة التى كنت أحسها وأنا فى صحبة سيد البشر صلى الله عليه وسلم لم أشعر بها بعد ذلك مطلقا مع اننى كنت أقرأ الكتاب للمرة الثـــانية الا اننى كنت أستغرق فى قراءته حتى لا أحس بالدنيـــا وما فيها وأنسى كل شيء فى العالم فأنا مع النبى محمد عليه الصلاة والسلام فى دعوته السماوية أماشيه فى روحاته وغدواته وفى حربه وســـلامه وفى معاملته لأهل بيته وللناس ٠ وأنا فى دنيا طهور نقية شـفيفة فى السماء أنا لا فى الأرض ولا أذكر الشهادة التى أنتظر نتيجتها ولا أفكر فى المقالة التى أرسلتها الى مجلة الثقافة فى ذلك الحين وأنتظر نشرها كأمل عظيم يعرفه شداة الأب الذين يضعون أقدامهم على أول الطريق ٠

أنا هناك مع البشير النذير مع المثل الأولى من البشرية الذى صنعه الله على عينه واختاره ليكون حامل الرســـالة الخالدة الباقية على الزمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها ٠ والذى اجتباه ربه ليكون قدوة للبشر والبشرية الى يوم الدين لم أكن أخشى فى هذه الأيام الا ان يحين الغروب ويؤذن الشيخ محمد أبو سليمان للافطار ٠ لم أكن أريد ان أفطر فلم يكن

بى وأنا مع النبى صلى الله عليـــه وسـلم جوع ولا عطش وكاننى لست بانسان بشر . اننى معه هناك لا أتمنى الا ان أظل معه فى دنياه هو لا فى دنيا الناس وفى مسابحه صلى الله عليه وسلم لا فى مسابح البشر وطعامهم وشرابهم ورغباتهم .

واين هذا جميعه من صـــحبة ســيد الخلق أجمعين أنا معه روح بللورية نحيــا فى الســـماء العليا من الخلق الأسنى ومن الشرف ومن التواضع ومن الأدب الرفيع ومن التسامح .

أنا هناك شنسى اننى انسان ولاتحتـــاج جوارحى الى ما يحتـاجه الانسان أملى الوحيد الذى يملأ جوانح نفسى ان يتأخـــر آذان المغـرب وكأننى لم أكن صائما .

ولكن المغرب كان لابد ان يأتى فى موقته فيتولانى الأسى اننى تارك ســـيرة النبى صــــلى الله عليه وسلم الى الغد وأذهب كسيفا الى العشة ليس بى اثارة من فرح الصائم بالافطار .

واصحبه أنا الى مجلس لنا خلف العشة ويلقى منى الأمرين فقد كنت أقرأ له شعر شوقى على ضوء القمر ولم يكن المسكين يحب الشعر ولكن كان يسمعه ويتجيده مجاملة منه لى حتى اذا أصـــبح القمر هلالا كالعرجون اصطنعت مصباحا يضاء بالغاز ورحت أقرأ على ضوئه فأقضى أمسية من أمتع الأمسيات .

أين منى اليوم هذه المباهج لم يبق لى منهــا الا حلاوة الايمان بالله وهى حلاوة يخالطها الخوف الشديد من عزته وجلاله وأنا فى سنى هذه أعد حقائبى للانتقال من الفانية الى الباقية وأنا لا أدرى ماذا تحوى هذه الحقائب أخيرا فتهدأ النفس أم غير ذلك فالويل كل الويل ؟! فهو سبحانه العدل المطلق وعدالته لايعرفها البشر فهى عدالة يختص بها هو تقدست أسماؤه ولسنا نملك من مرافعة أمامها الا قولنا ربنا اغفر لنا واعف عنا انك أنت التواب ذو الرحمة التى وسعت السماوات والأرض جل شأنك اللهم اسكب علينا من رحمتك وغفرانك فليس لنـــا الا وجهك تباركت ياذ الجلال والاكرام .

الأهرام ١٩٩١/٤/١٥

كتـــــابان

لاشيء أعظم عند الكاتب من شـــعوره بأن له قراء يتابعون ما يكتب ويستقبلون ما يقول بروح جادة ناقده • فالكاتب لاينـال من هذه الدنيا مالا ، والشهرة التى يصيبها لاتعنيه ان لم تكن شـهرة قائمـة على احترام القارىء لما يكتب وتقديره لارائه حتى وان عارضـها وليس هنـــاك كاتب ان لم يكن له قراء فالقارىء والكاتب مثلهما مثل طرفى الكهرباء السالب والموجب فان لم يلتق الطرفان لايضىء المصباح ولا يتألق الكاتب أيضا ، ولن أحدثك عن جهد الكاتب وما يلاقيـه فى حيـاته من عنت وهو يقرأ ، ثم ما يلاقيه من ارهاق يفوق طاقة البشر وهو يكتب •

أنا واحد من هؤلاء الكتاب الذين لايشعرون انهـم أحيـــاء الا اذا كتبـــوا ، ذكرت هذه جميعـه وأنا أتلقى كتـــابين ظهرا للكاتب الكبير طارق حجى ذلك الشاب الذى عرفته منذ سنوات طوال عائدا من المغرب حيث كان يعمل هناك أستاذا وتوثقت صلته بى ورحت أرقبه وهو ينشر مقالاته وكتبه فاذا هو يقطع فى ســـنوات قصــار ما يحتـاج الكتاب الى عشرات السنوات لينالوه قوة حجة • ونصاعة اسلوب ، وعمق فكرة ، وسعة ثقافة ، وشمول نظرة •

يعينه على ذلك قراءة واسعة ضخمة لايطيقها الا صاحب الصلابة فى العمل صـــلابة يندر أن تتحقق لغيره لا يفلت من قراءته ميدان فهو عند الاقتصاد عالم متمكن وهو مع القانون قارىء واسع القراءة وهو فى الأدب هاو ومحترف فى وقت معا ذو حظ رائع من التذوق والقراءة ومنصبه فى شركة من أكبر شركات البترول لم يصل اليه مصرى أو عـــربى من قبل فهو رئيس مجلس ادارة هذه الشركة فى المنطقة •

وأحسب ان من حقك على الآن ان أقدم اليك الكتابين اللذين وصلا الى وهذا أصعب ما ألاقيه فى هذا الذى أكتبه فالكتابان يتناولان موضوعات شتى كلها هام وكلها جدير بالتأمل •

أما الكتاب الأول فاسمه ثالوث الدمار • ويرى الأستاذ طارق حجى ان هذا الثالوث هو الدعم وزيادة السكان والتطرف ويطلق على الدعم النار الموقدة فى أموال المصريين وقد كتب في هذا الباب فصلا كاملا تناول فيه نشأة الدعم وموقف المذاهب المختلفة منه وقدم شتى الأفكار التى تناولت هذا الموضوع ورأى الاقتصاديين والسياسيين فى شأنه وعرج فى هذا الميدان الى القطاع العام ورأى ان القطاع العام الخاسر شكل مدمر من أشكال الدعم ثم تحدث عن المنهج الأمثل لتخفيض الدعم تمهيدا لالغائه وتناول موقف الاعلام من سياسة الدعم •

ثم تناول بعد ذلك الانفجار السكانى وجعل عنوان هذا الفصل الانفجار السكانى على مرأى ومسمع من التخاذل العام وشرح هذا الانفجار من جميع أبعاده وعرض للآراء الكثيرة التى ثارت حوله •

ثم تحدث عن التطرف وقدم له ببيت شوقى الخالد :

هداك الله من شعب برىء
يصرفه المضال كيف شاء

والكتاب حافل بعد ذلك بفصول أخرى كثيرة منها ما هو عن الزراعة ومستقبل الاقتصاد المصرى ومنها ما هو عن قانون الاستثمار الجديد بين التجديد والتقليد ومنها مقال بعنوان بل سيشهد العالم نهاية الاشتراكية

وغير ذلك من الموضوعات ولم ينس ان ينهى كتابه الثرى بفصلين فى صميم الأدب أحدهما بعنوان « نجيب محفوظ • ملاحظات حول الأديب العبقرى والجائزة الكبرى » والآخر بعنوان « العقاد •• شاعرا وفيلسوفا » •

وبقى ان أذكر أنا رأيى الخاص عن شعر العقاد الذى يكن له صاحب الكتاب اجلالا واكبارا لاينتهى بهما حد • وأنا أيضا من هؤلاء الذين يرون العقاد قمة من قمم الأجيال الأدبية جميعها قديمها وحديثها وان لى به صلة حميمة فقد كان صديقا لصيقا لوالدى وله فيه قصائد من عيون الشعر العربى وقد رثاه بقصيدة فريدة رائعة •

وقد تفضل رحمه الله فنوه بى فى مطالع حياتى الأدبية وكان يكرمنى بقراءة رواياتى ويزيدنى اكراما بالتشجيع والرعاية وقد عملت

تحت اشرافه مع الأستاذ عثمان نويه فى سلسلة كتب حول مائدة المعرفة التى كانت تصدرها مؤسسة فرنكلين ومع كل هذا فاننى أقف من شعره موقفا متحفظا بعض الشىء مرتئيا انه يغلب فيه العقل والمنطق على الروح ولشعرية التى تتألق عند شوقى والشعراء العباقرة الآخرين فى تاريخ الأدب العربى ٠

والآن هلم بنا نلقى نظـــرة سريعـــة على الكتاب الثانى للأستاذ طارق حجى وهو بعنوان « مصر بين زلزالين » وهو فصول سياسية نستطيع أن ندرك منها الى أى مدى يعيش طارق حجى عصره فهو منقوع فيه بجميعه ونقع النوب أى جعـــل الماء يتخلل خيوطه ٠ عميق النظـرة هو لايتخلل أصابعه مأرب أو هدف الا مصلحة وطنه فتشهد فيما يكتب حرية العالم والتزام الوطنى الصادق ٠

وموضوعات الكتاب كثيرة متنوعة فهو يتكلم عن التخلف وأسـبابه وعلاجه عن الديموقراطية بين نور العلم وظلام الأمية،ويتكلم عن الوطنية بين الأفعال والأقوال ، وعن الأمية وعن حاجاتنا للثقافة والتنوير ، وفى أحد فصول الكتاب يقدم مشروعا قوميا لاصلاح طبيعتنا ، ويكتب فصلا عن مصر بين الهوية المصرية والهويات الأخرى ٠

وموضوعات أخرى كثيرة تستطيع أن تتفق معه فيها وتستطيع طبعا ان تختلف ولكنك على الحالين لاتملك الا ان تقدر الكاتب فى فكره وثقافته وأسلوبه جميعا ٠

الأهرام ١٩٩١/٤/٢٩ م

عبد الوهاب في رحاب الله

وليس فقد محمد عبد الوهاب فقد واحد وانما بنيان فن تصدع ، لقد ظل عشرات السنوات هو غناء العالم العربى كله كم ألم الناس وحزنوا فلم يجدوا سلواهم الا فى صوت عبد الوهاب وألحانه ٠

كان آهة الطرب والحزن والفرح والأسى ٠

كان صوت العالم العربى كله فى هزائمه وانتصاراته ٠ فى آلامه وآماله واليوم انقطع النهر ٠

ولكن الأنهار التى تجرى فى أنحاء العالم العربى كله انما هى من جداوله ومن فيضه ٠

كيف لكاتب أن يجمع عظمة عبد الوهاب جميعها فى سطور ؟ سيظل الكتاب يكتبون وسيظل الشعراء يرثون عبد الوهاب ولكنهم أبدا لن يصلوا الى ما يستحقه عبد الوهاب من اجلال ومن خلود ٠

انما هو خالد خلود الفن نفسه وهيهات أن يجد العالم العربى عنه بديـــلا ٠

ان كل نغمة يغنيها الشرق اليوم انما هى نبعة من بحار عبد الوهاب فقد تخرج الفن الموسيقى كله فى الأجيـــال الثلاثة الماضية على أنغام عبد الوهاب ٠

وسيظل الفن الغنائى لأجيـــال طويلة مدينا لعبد الوهاب ولفنه الرائع ٠

المغنـــون الذين يغنـــون اليوم هم أغانيه ونبت فردوسه وحدائقه الغنـــاء ٠

وسيظلون كذلك الى أجيال وأجيال ليس عبد الوهاب مجرد صوت غنى العالم أجمعه وليس عبد الوهاب مجرد ألحان هزت الدنيا طربا وانما هو مدرسة خالدة فى حياة الفن وحياة العرب ٠

عرفته منذ أكثر من أربعين عاما ٠ وعرفته يومذاك وهو يمـــلأ الدنيا فنا ٠

واتصلت أسبابى بصداقته طوال هذه الأعوام ٠

نلتقى أو نتحدث بالتليفون لا يكاد يمر أسبوع لا يكون بيننا لقاء ٠

وكان دائم الود معى يقطر حديثه فنا كأنه يغنى وكم تناشدنا شعر الخالد شـــوقى ٠

فقد كان شوقى هو سبب صلتى به فقد سمع عنى أننى من المكبرين لشوقى ومن الذين يعتبرونه أكبر شعراء العربية قديمهم وحديثهم فأرسل يدعونى الى بيته وكان يسكن فى بيته الذى كان جديدا فى ذلك الحين والذى كان يسميه عش البلبل ٠

وذهبت اليه وتناشدنا شعر شوقى ٠ وأخبرنى فى ذلك اليوم انه يلحن له قصيدته الرئعة : مضناك جفاه مرقده ٠

ولست أنسى يوما سمعت فيه عبد الوهاب وحدى فقد أعطانى عمى عزيز باشا قصيدته ومعه جائزة لأذهب بها الى عبد الوهاب فكلمته فى التليفون وحدد لى موعدا فى مكتبه وذهبت وكان وحده فقرأ الأبيات ٠ وقال لى :

ـ ماذا وراءك الآن ؟

قلت لا شىء ٠

ـ انزل لتتمشى فى الشـــارع مدة ربع ســاعة ثم عد الى فنزلت وعـــدت ٠

فاذا هو يفاجئنى بأسماعى الأبيات الأولى من القصيدة ملحنة وكنت المستمع الوحيد ٠

ولا احسب أحدا يتصور سعادتى فى ذلك اليوم وكم بينى وبين عبد الوهاب من ذكريات ٠

وكم له من ذكريات في حافظة التاريخ ٠

هذه دمعات يفيض بها القلم لا هى قالت ما يعتمل فى نفسى ولا هى خففت الحزن العميق الذى حل بنفسى ولكن ماذا أستطيع أن أفعل الا أن أبكى هذه الكلمات ٠

ما أظن حزنى عليه سينتهى أبدا كظاهرة كونية كان من حظنا أن تظهر فى جيلنا وكصديق من أحب الأصدقاء الى رحمة الله ؟

الأهرام ١٩٩١/٥/٦

المجـرم والمجتمع

الانسان إبن مجتمعه وكل انسان لا يرعى حقوق المجتمع الذى يعيش فيه يصبح أمره بين الناس هينا محتقرا فالسنة الخلق أقلام الحق لأن الناس لا يجتمع أمر الغالبية فيها على باطل • فان احترموا انســانا وأنزلوه من مجتمعهم منزلة الاجلال والأكبار فلا شـــك أنه بهذا جدير وبمكانته خليق •

ومكانة الانسان فى مجتمعه لا تأتى وليدة لحظة أو عمل وانما هى مجموع صلات الانسان • أنها صلته بربه وانها صلته بزوجه وانها صلته بأبنائه وهى صلته بعمله وصلته بأصدقائه •

ولا شىء يخفى على الناس فحتى هذه الصلات الحميمة المستترة خلف الجدران يعرفها المجتمع ويتسامع بها الناس • وكم هى حساسة مرهفة آذان المجتمع هذا لا يكاد يخفى عليها شىء وقديما قال الشاعر :

ومهما تكن عند أمرىء من خليقة   وأن خالها تخفى على الناس تعلم

ولست أدرى وما أحسب أحدا يدرى كيف تذيع بين الناس أنباء البيوت وأسرار الحجرات •

ربما كانت همسة تلقيها زوجة الى صديقة حميمة لها • أو شكوى عابرة يناجى بها زوج صديقا لصيقا له • أو ربما كانت ثرثرة ابن يعبث بها بين أصدقائه أو لعلها بغام طفل لا يدرى معنى لما يقول •

ولكن السر يذاع واخبار الناس تشيع •

وقد تكون أسرارا تافهة بسيطة المظهر • وربما كانت هينة الدلالة واهنة الشأن • ولكن من مجموع هذه الأمور الصغيرة تتكون شخصية الناس عند الناس •

فاذا كان الأمر كذلك فى بسيط الأمور من أحوال الناس اليومية ـ وانه لكذلك ـ فكيف بك بالأمور الكبرى من معالم تصرفات الانسان وأعمـــاله •

اذا كان الناس يحكمون على الانسان من صلاته بأسرته أو خاصته فكيف بهم اذا كان هذا الانسان من الناس مجرما مفترسا ينتهب حقوق الخلق ويعتدى على المقدسات ويتاجر فى أرزاق الناس ويستجلب المخدرات ويرتكب الاثام التى ينزل بها القانون العام عقابه الصارم الرادع ٠

لا شك أن شأنه سيصبح بين الناس شهيرا جهيرا لا يجهله أحد والمظهر دائما يجعل المخبر معلنا فثروات الناس بين الناس معروفة لا يخفى من شأنها أمر ٠

فاذا رأينا شخصا نعرف ما يملكه وما يطيقه هذا الملك من انفاق ثم رأيناه يحيا حياة فاجرة الغنى شاهقة الثراء فى مركب وملبس ومأكل وسفر ودعوات وابهار

فمن أين ؟

فاذا صاحب هذا السؤال عن ظاهر الأمر حديث شائع عن أموال استلبها أو تجارة موبوءة يحترفها فالاشاعة حقيقة والهمس جهر لا محيد لنا عن تصديقه ٠

وكم من اللصوص وتجار المحرمات يعيشون فى الأرض فسادا قادرين أن يخفوا أجرامهم عن طائلة القانون ٠ وقد يطول بهم الأمد ناعمين بحرية الاجرام وبلهنية الفساد وبالجرأة على الحق ٠

ولكن الناس تعرف حقيقتهم معرفة وثيقة لا شك فيا ولا ابهام ولا تردد ٠

وانهم ليلقون الناس فى المجتمعات بوجه وقح ويلقاهم الناس ، لا يعرفون حقيقة ثرائهم وما يظنه المجرمون خافيا من سفول مسعاهم ودنوء نشاطهم وحقير ثرائهم وتلك هى الكارثة الحقيقية التى يعانيها مجتمعنا ٠

ان المجتمع لا ينزل عقابه على من يستحقون هذا العقاب ٠ وأرى — ويالهول ما أرى — الناس يحترمون الثرى مهما يكن مصدر ثرائه ٠

بل يحترمونه وهم واثقون كل الثقة أن هذا الثراء مصدره الجريمة المتوقحة من نهب أو سلب أو نصب أو اتجار بما أجمع المجتمع على هول الآثار التى يدمر بها أجيالا وأوطانا ٠

لابد أن يوقع المجتمع جزاءه على المجرم مهما يكن قادرا على التفلت من يد العدالة القانونية ٠ أن عدالة المجتمع ينبغى أن تكون أقوى وأعظم فعالية من عدالة القانون ٠

فالقانون نصوص وقد يكون القاضى مقتنعا كل الاقتناع بأدانه مجرم ينظر فى قضيته ولكنه مع ذلك لا يستطيع أن يدينه لأن مواد القانون تقف حائلا بين المجرم والأدانة ٠

وليس هذا نقصا فى القانون ولكن تلك هى طبيعة القوانين فانها تتوخى أن توفر الجزء الأكبر من العدالة مع المحافظة على حرية الأفراد وافتراض البراءة حتى تثبت الأدانة ٠

وحتى يتم التوفيق بين الحرية والادانة قد يقف القانون قاصرا عن ادانة من يستحق الادانة ٠

وهنا ينبغى للمجتمع ان يكون هو القانون ٠ ويتحتم عليه أن يوقع جزاءه على المجرم حتى وأن أفلت من أصابع القانون ٠

يروى المرحوم حفنى محمود باشا فيما يروى عن أخيه محمد محمود باشا رئيس الوزراء الأسبق ٠

انه كان جالسا ــ أى حفنى باشا ــ مع سيدة من أجمل سيدات مصر ومن أكثرهن شهرة ولم تكن سمعتها فوق مستوى الشبهات وكانت الجلسة فى شرفة الكونتننتال القديمة وكان يعلم أن أخاه محمد باشا قادم الى الفندق لموعد هام ٠

فاخبر السيدة التى يجالسها أن أخاه قادم بعد دقائق فتمنت السيدة بالحاح أن يقدمها الى الباشا أخيه ٠ لأنها معجبة به غاية الاعجاب فوعدها حفنى باشا بذلك وما لبث أن جاء محمد باشا محمود وقام اليه أخوه حفنى باشا ومعه السيدة وصافح حفنى باشا أخاه وقدم اليه السيدة فما أن سمع محمد باشا اسمها حتى وضع يده اليمنى وراء ظهره ورفض أن يسلم على السيدة التى لم تكن سمعتها فوق مستوى الشبهات ٠

ويقول حفنى باشا انه كاد يغمى عليه ولكن أخاه لم يلتفت اليه وواصل طريقه الى داخل الفندق .

لو أن المجتمع اليوم وضع يده اليمنى وراء ظهره ورفض أن يصافح أولئك الذين يمزقون الحياة لكان فى تصرف المجتمع رادع أشد وقعا مما يردعه القانون .

أيمكن أن يتم هذا .. هيهات ؟

الأهرام ١٩٩١/٥/١٣

نـــزوة أمـــير

أعيد فى هذه الأيام قراءة كتاب من أعظم كتب التراث العربى وهو كتاب « تجريد الأغانى » تأليف ابن واصل الحموى وتحقيق عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين والأستاذ العلامة المحقق ابراهيم الابيارى ٠

وللكتاب قيمة خاصــة عندى لأن عليه اهــداء الى مهمورا باسم أستاذنا العميد د٠ طه حسين ٠

وبالكتاب طرف كثيرة ربما قدمت اليك منها بعض شذرات ٠ ولكن طرفة بذاتها قرأتها اليوم وجدت أنها جديرة بالرواية والتعليق واليك هى ربما غيرت فى صياغتها بعض الألفاظ لتصبح يسيرة قريبة ٠

ذكر أن أبا دلامة ــ وهو شاعر معروف ــ دخل المهدى وعنده جماعة من أهل بيته ومن بنى هاشم فقال المهدى لأبى دلامة :

ــ اذا لم تهج واحدا من الحاضرين قطعت لسانك ٠

فبهت أبو دلامة وراح ينظر الى الجالسين وينظرون اليه وكلما التقت عيناه بعينى واحد منهم غمزه بأنه سيكافئه اذا هو لم يهجه ويقول أبو دلامة وهو يروى هذه القصة : فعلمت أنى قد وقعت فريسة لنزوة من نزوات الأمراء وليس لى منها مخرج ولا عنها محيد فلم أر واحدا أحق بالهجاء منى ولا أدعى الى السلامة من هجاء نفسى فقلت :

ألا أبلغ لديــــك أبا دلامــــة　　فليس من الـــكرام ولا كرامة
اذا لبس العمامة قلت قردا　　وخنزيرا اذا نزع العمــــامة
جمعت دمامة وجمعت لؤمـــا　　كذلك اللؤم تتبعـــه الدعامة
فان تك قد أصبت نعيم دنيـــا　　فلا تفرح فقـــــد دنت القيـــامة

وقد أعجبنى فى هذه الأبيات قوله وكذلك اللؤم تتبعه الدمامة فقد عبر بهذه الشبطرة عن حقيقة انسانية رائعة فليس اللؤم هو الخبث

« بسكون الباء » وانما هو الخبث « بفتح الباء » وهو الحقد وانكار الفضل وكره الذين يكرمهم الله واستكثار كل نعمة تصيبهم والاستهانة بكل فضل يناله اللئيم · والذين على هذه الشاكلة ترى على وجوههم قترة وغبرة فليس القبح هنا مصروفا الى تقاطيع الوجوه وانما يقصد به اظلام الوجـوه فهى مربدة مكشرة وحين يقول النبى صـلى الله عليه وسـلم « استصبحوا الوجوه » لا يقصد الجمال فى تقاطيع الملامح وانما يقصد ذلك الاشراق الذى يعلو سمات الوجه صادرا من داخل النفس الصبوح المشرقة ·

فالحقد يجعل النفوس ظلاما قاتما تعلوها أمواج وأمواج وسحاب لا ترى الا النور لا تشتهى ان ترى اليه ·

وقد سمعت من أبى كلمة قالها لصديق له وكنت صغيرا الى درجة اننى كنت واقفا أمامه داخل السيارة ومع ذلك ظلت الكلمة لاصقة بنفسى منذ تلك السن الباكرة قال أبى « ما حقدت على أحد فى حياتى وما كرهت حاقدا على مطلقا وانما أنا دائما أرثى له وأقول فى نفسى كفاه ما بصدره من نار تأكل كيانه جميعا » ·

وعودة الى هذه الأبيات التى هجا بها أبو دلامة نفسه فهى واقعة جديدة بانعام النظر ، لقد هجا الشاعر نفسه ليأمن غدر الجالسين العظام وليستجدى جدواهم وكرمهم ومالهم ومال الأمير أيضا ·

فقد كان الشعراء فى ذلك الزمان هم الاذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح والصحافة وكل وسائل الاعلام والاعلان أيضا ·

وكان الأمراء يستجدن مديح الشعراء باغداق المال عليهم وكانوا ينزلون بهم أشـد العقاب اذا هم تجرأوا بنظم أبيات لا تمدحهم المدح الصريح الذى لا شك فيه ولا شبهة ·

وكان الشعراء يعيشون على ما يغدقه الأمراء ·

واليوم تحرر الشعراء من هذه العبودية وأصبحت قصائد المجيدين منهم أغنيات تذاع فى كل وسائل الاعلام وعلى المسارح وشاشات السينما وهكذا أكرمهم الله بحرية الكلمة فأكرموا كلمتهم وصانوا وجوههم ·

ولكن هل اختفى من الحياة أولئك الذين يهجون أنفسهم أشهد الله أنهم كثروا وزادوا وأن كان التاريخ يروى لنا عن أبى دلامة حين هجا

نفسه وعن الحطيئة الذى هجا نفسه هو الآخر فقد أصبح الذين يهجون أنفسهم فى حياتنا اليوم الوفا مؤلفة . وان لم يكن هجاؤهم لأنفسهم بالشعر فهو هجاء بالعمل والقول جميعا .

والا فقل لى بربك ألا يهجو نفسه ذلك المنافق الذى يكيل المديح لمن لا يستحقه لينال رضاءه أو جدواه سواء كانت هذه الجدوى مالا أو ترقية أو علاوة .

وقل لى بربك أليس كل من يدعى ما ليس فيه يذم نفسه أليس يقول اننى بما خلقنى الله عليه وبما أصنع حقير فيتظاهر بغير طبيعته ويدعى ما ليس له بحق ويحكى عن أعماله ما لم يعمل هذا الذى تسميه اللغة العربية « النفاج » ويسميه المصريون « الفشار » و « المزاع » .

أليس هذا يهجو نفسه كما فعل أبو دلامة ؟

والذى يتناول المخدرات ألا يعلن هذا للملأ أن عقله الذى وهبه له الله تافه سخيف وانه يلجأ للمخدرات لتجعله يغيب عن وعيه وعن انسانيته وعن عقله أعظم ما كرم به الله عباده ؟

والذى يشترى السيارات الفاخرة ليعلن على الناس انه صاحب ثروة باذخة وغنى عريض أليس هذا هاجيا لنفسه يقول للناس انه كانسان لا يستحق الاحترام وانما هو كصاحب مال جدير بالاحترام وقس عليه كل أولئك الذين ينفقون أموالهم فى المظاهر الكاذبة أليسوا جميعا يهجون أنفسهم بالفعل والعمل والتصرف اذا كان أبو دلامة هجا نفسه بالشعر فقط ؟!

والمرتشون والراشون ألا يهجون أنفسهم حين تجد المرتشى يسمح للراشى ان يعتدى على حقوق الآخرين لأنه قدم اليه الرشوة أو حين يمتنع أن يعطى الحق لصاحبه الا اذا نال منه الرشوة وحين يقبل الراشى ذلك ويقدم رشوته يشجع المرتشى على صنيعه أليسوا جميعا يهجون أنفسهم ؟

انهم لم يقرأوا القرآن الكريم فلو قرأوه لذكروا الآية الكريمة « ١٨٨ » من سورة البقرة « وتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » .

أن المرتشين أو طالبى الرشوة والراشين أيضا يهجون أنفسهم ولكن الله ناصر من ينصره .

ولو حاولنا أن نحصى الذين يهجون أنفســـهم لامتنع علينا العدد وعجزت بنا الاحاطة وانما هى أمثلة ومثلها كثير كثير .

كم من أبى دلامة بيننا ولكنهم يتخفون وراء مظاهرهم وجهلهم بالشعر والقافية ولا يذيع من أمرهم ما ذاع من أمر أبى دلامة غفر الله له ..

الأهرام ١٩٩١/٥/٢٧

السـبب الضـائع

وكلمة السبب كلمة واسعة المعنى كثير المجرى على السنة الناس ٠ ولكن السبب الذى أقصده كلمة قانونية خالصة ٠ فالسبب ركن من أركان العقد اذا مس سلامته خلل ما وقع باطلا واذا بطل السبب أصبح العقد كله باطلا ٠

ومن شروط سلامة السبب مثلا أن يكون مشروعا ولذلك فدين القمار باطل اذا عرف القاضى أن الدين الذى يطالب به المدعى بموجب ورقة ما ناتج عن القمار رفض الحكم باستحقاق الدين لأنه ناتج عن سبب غير مشروع ٠

واذا طالبت سيدة ما شخصا ما بأموال وكان معها ما يثبت مديونيته بها وعرف القاضى أن هذا الدين مقابل علاقة غير مشروعة وقع العقد باطلا وامتنع القاضى أن يحكم لها بدينها ٠

ومن شروط سلامة السبب أن يكون العقد مبرما بين متعاقدين من الطبيعى أن يقوموا بالعمل موضوع العقد وألا يكون أحدهم يعمل فى ميدان بعيد كل البعد عن نشأة العقد بصورة تتنافى مع طبيعة عمله وكرامة هذا العمل والا وقع العقد باطلا ٠

وكان أستاذنا العظيم الدكتور عبد المعطى الخيال يملى علينا مذكراته لأنه رفض أن يصدر كتابا حتى لا يتهم انه يتاجر على الطلبة ٠

والمثل الذى ضربه لنا فى طبيعة عمل المتعاقدين وتنافرها مع موضوع العقد المبرم كان مثالا صارخا لا يستطيع الطالب أن ينساه يقول المثال « فلو تعاقد استاذ فى كلية الحقوق مع شخص آخر أن يقيم الأستاذ حفلا ماجنا للمتعاقد الآخر وقع العقد باطلا لأنه من غير المقبول أن يقيم أستاذ فى كلية الحقوق حفلا ويتقاضى فى سبيل ذلك أجرا وكأنه محترف يعمل فى هذا الميدان ٠

وكانت نظرية السبب هذه تدرس لنا ونحن فى السنة الثانية بكلية الحقوق وكان الموضوع المقرر على هذه السنة هو الالتزامات ٠

وكان من حظى أن أمتحن الامتحان الشــفوى فى الالتزامات أمام الأستاذ العظيم د٠ حلمى بهجت بدوى وكان موضوع سؤاله الســبب وأركانه فأجبت وذكرت فى اجابتى ذلك المثال الذى أملاه علينا الدكتور الخيال الذى يتخذ أستاذ كلية الحقوق الحفل الماجن نموذجا للعقد الباطل فاذا بالدكتور حلمى بهجت بدوى يتقزز فى مجلسه وتتقلص ملامح وجهه ويكاد يضيح بى :

ــ ما هذا أيصح أن تضرب مثلا كهذا ولا تراعى كرامة أستاذ لك فى كلية الحقوق ؟

فقلت بهــدوء :

ــ ان المثل يكرم أستاذ الحقوق ولا يمس كرامته فهو ينزهه أن يقوم بهذا العمل وجعل منه الطَرفِ الأشرف البعيد كل البعد عن الاتيان بهذا الفعل المشين ٠ ثم ان المثل الصارخ كفيل بأن يجعله ثابتا فى الذهن لا تفلته الذاكرة بل تحفظه وتعيه ومع كل هذا فان هذا المثل ألقاه علبنا فى مذكراته أستاذ من أعظم أساتذة الحقوق ٠

فقال د٠ حلمى :

ــ تقصد الدكتور الخيال ٠

ــ نعم الدكتور الخيال ٠

ــ أهذا المثال فى المذكرات ٠

ــ نعــم ٠

وأوقف الدكتور حلمى الامتحان حتى أحضروا له المذكرات من أحد التلاميذ الذين ينتظرون لجان امتحاناتهم وقرأ الدكتور المقال فى مذكرات الدكتور الخيال وارتاحت نفسه وابتسم وأنهى امتحانى وعرفت الدرجة التى نلتها فيما بعد طبعا وكانت درجة عالية ٠

وأنا لا أسوق هذه الواقعة لمجرد أن أروى عليك طرفا من طرف القانون أو واقعة تستحق الرواية من أيام حياتى ٠

وانما أرويها لأنني اليوم أذكر هذا المثال دائما وأتساءل هل مازال هذا الركن قائما ضمن مقومات صحة السبب وسلامة العقد ٠

وما أظن فقد أمسينا اليوم وكل انسان يفعل ما يريد ليستجلب المال الى حيز ملكيته فما أصبحنا ندرى ماذا يعمل هذا وعلى أى مادة يتعاقد ذاك ٠

الذين يتمتعون بالحصانة البرلمانية بعضهم – ربما كانوا قلة ولكنهم قلة كثيرة ان جاز التعبير وقد أصبح جائزا فى أيامنا هذه – الذين يتمتعون بالحصانة البرلمانية يتخذونها وقاء للاعتداء على الحياة والأحياء ٠ وبعضهم يتخذها قلعة يحارب منها أعداءه لا فى السياسة – فلم تصبح فى حياتنا عداوات سياسية – وانما هو يحارب أعداءه فى اغتصاب الأموال والحقوق٠ وبعضهم يتذرع بها لينال ما ليس له بحق من أقوام لا حول لهم ولا طول ولا قوة ٠ مع أن الحصانة لا يطلب رفعها الا فى القضايا الجنائية ولا يطلب رفعها فى القضايا المدنية ٠ لأن الحصانة شرعت لحماية العمل البرلمانى وعدم اعاقة العضو عن أداء هذا العمل عن طريق قيد حريته وهذا لا يتوافر فى القضايا المدنية والصانع يعمل فى غير صنعته والأستاذ يقوم بغير عمله والتاجر يتاجر بالشرف قبل أن يتاجر ببضاعته ٠

ان ركن السبب الذى تعلمناه تاه فى الحياة وضاع وكان الله فى عون القضاة بماذا يحكمون اليوم ٠ بالسبب الذى تعلمناه فى كلية الحقوق أم بالأسباب التائهة الضائعة التى تسيطر اليوم على حياتنا ؟! ٠٠ كان الله فى عونهم ٠

الأهرام ١٩٩١/٦/١٠

الديمقراطية وضـــوح

يتحمس بعض المصريين للديمقراطية ويذهبون فى ذلك مذاهب موغلة فى التطرف وينبغى أن يعلم هؤلاء أن علماء القانون يكادون أن يجتمعوا على أن الديمقراطية ليست هى طريقة الحكم المثلى التى لايعتورها عيب بل أن بها كثيرا من العيوب · ولكن هؤلاء العلماء أنفسهم يجمعون أيضـــا على أن الديموقراطية هى أحســن نظم الحـــكم التى عرفتهـــا البشريـــة ·

ومن بين ما يطالب به أولئك المتحمســـون للديمقراطية أن يكون اختيار المحافظين فى المحافظات بالانتخاب ، ولو تحقق هذا لادى الى كارثة لا يستطيع أحد أن يتلافاها أو يتجنبها ·

فانتخاب المحافظ سيجعله لا شـــك يحاول أن يكون على أحسن الصلات مع الأعيان وذوى الشأن الذين يســتطيعون أن يســيطروا على كثير من الأصوات وهكذا تذهب مصالح الأفراد الضعاف بددا وقد ينصب عليهم الظلم من ذوى النفوذ ويقف المحافظ مع صاحب الأصوات وينزل ظلمة بالمظلوم ·

وقد أظهرت الانتخابات فى كثير من الأحيان انها لا تختار الأحسن وأنها قد تختار الأسوأ والأمثلة حاضرة من قريب ومازلنا نعانى منها معاناة فيها كثير من الألم والمرارة ·

فقد يســـتطيع هذا الأسوأ أن يغرى الناس بأمواله وبصـــلاته فلا يعنيهم فى شىء ما يتمتع به من سيرة عفنة ومن تصرفات يندى لها جبين الانسانية وتتنافى مع الشرف والمثل العليا كل المنافاة ·

وما أحسب كلامى هذا خافيا على القراء بل انهم يعلمونه حق العلم ولا أحتاج فى شأنه الى ايضاح ·

ومازلت أذكر والألم يعتصر نفسى أحدى مرات الانتخابات تقدم فيها مرشح متهم بالسرقة والرشوة والاختلاس وكان أنصـــاره فى المعركة

الانتخابية يهتفون حرامى حرامى ولكن نحبه فكانت هتافاتهم سبة فى جبين الانسانية والشرف وقد اكتسح هذا المرشح منافسيه .ونجح نجاحا ساحقا وأصبح عضوا بمجلس الشعب .

واذا كان هذا المثال ينصرف الى جماعات كانت لها الجرأة أن تهتف هذا الهتاف المهين فان كثيرا من الناخبين ينتخبون الذى تربطهم به صلة مهما يكن غير جدير بأن ينتخب وأن كثيرا آخرين من الناخبين ينتخبون القادر على أن يؤدى لهم مصالحهم الصغيرة غير ناظرين الى خلق هذا المرشح أو فضله أو علمه .

ولـــكن وجـــود غير ذوى الفضل فى مجلس كثير العدد قد يجعل أصواتهم خافتة ويجعل المثل العليا تفوز آخر الأمر .

أما اذا أصبح هذا المرشح محافظا ينفرد بالأمر والنهى فالكارثة محققة لا سبيل الى دفعها ومع ذلك فليس هناك لاختيار الأعضاء فى المجالس التشريعية وسيلة خيرا من الانتخاب على ما فيه من عيوبا غير خافية على أحد أما انتخاب المحافظين فأمر يؤدى بأمة مثل مصر الى الهلاك فانه ينبغى على كل دولة ان تختار من الديمقراطية ما يتمشى مع أحوالها الاجتماعية والثقافية فلا تحاول أن تقلد تقليدا أعمى دولا أخرى تختلف أحوالها عن أحوالنا كل الاختلاف .

ان المحافظ ممثل فعال غاية الفعالية فى السلطة التنفيذية والسلطة التنفيذية يختارها الحزب صاحب الأغلبية والحزب صاحب الأغلبية وصل الى أغلبيته والى الحكم عن طريق الانتخاب فمن الطبيعى أن يختار هو ممثلية فى السلطة التنفيذية .

ولذلك فان دول العالم الديمقراطية جميعا لا يصل فيها الوزراء الى كراسيهم بطريق الانتخاب وانما يختارهم حزب الأغلبية ولا شك أن سلطات الوزير أكبر من سلطات المحافظ فهو ليس مسئولا فقط عن الأعمال التنفيذية فى وزارته التى تشرف على مصالح تشمل الدولة جميعها وانما هو أيضا الواجهة التى تحاسبها المجالس التشريعية وهو صاحب رأى فى مجلس الوزراء الذى يتولى أمور الدولة كلها والذى اليه ترجع المسئولية فى كل شئون البلاد .

والمحافظ المنتخب ليس من الحتم أن يكون منســجما مع ممثلى السلطة التنفيذية جميعها وان لم يسد الانسجام أعضاء السلطة التنفيذية

جميعها يصبح الأمر فوضى لا قوام له ولا كيان ومن القواعد الدستورية المقررة انه لابد أن يكون مجلس الوزراء متفقا فى المبادىء الأساسية التى يسير عليها الحكم فى البلاد فاذا رأى وزير أن رأيه يتنافى مع مبدأ أساسى من هذه المبادىء فعليه أن يستقيل •

أما اذا اختلف وزير مع اخوانه فى موضوع ليس جوهريا وأبدى رأيه فى مجلس الوزراء ولكن الوزراء رأوا بالأغلبية رأيا غير رأيه فان عليه اذا خرج الى الصحفيين والاعلام أن يؤيد الرأى الذى انتهت اليه الأغلبية ويذكر الحجج التى اعتمدت عليها هذه الأغلبية وان كانت غير متفقة مع رأيه ويسمى بعض فقهاء الدستور هذا التصرف تسمية عنيفة فهم يطلقون عليه النفاق الوزارى • وليس النفاق هنا صفة منمومة مرفوضة بل هو أمر محمود ولابد منه ، ولعل النفاق لا يكون محمودا الا فى هذا الموضع • وطبيعى أن هذا الأمر لا يكون الا فى المسائل البسيطة التى لا تمثل مبدأ أساسيا من مبادىء الحكم أما فى المبادىء الأساسية فان النفاق الوزارى غير جائز بل يصبح خيانة للنفس وللوطن فى وقت معا •

وليس من المعقول أن يستقيل الوزير كلما اختلف مع زملائه فى موضوع من الموضوعات التفصيلية التى تمثل أساسا من أسس الحكم ولكن حتم عليه أن ينأى عن السلطة التنفيذية اذا كان مسار الحكم عندها يتعارض مع مبادئه الأساسية •

ولذلك فانه يتحتم أن تكون سياسة السلطة التنفيذية واضحة المعالم وأن تكون العناصر الكبرى فيها بينة السمات ليس فيها شك ولا ابهام وان يكون الانسجام سائدا بين عناصرهما •

الأهرام ١٩٩١/٦/٢٤

رجـــل مـــات

فقدت في هذا الأسبوع صديقا ربما كان أقرب الأصدقاء الى نفسي عرفته وأنا طفل صغير وظلت معرفتي به دائمة طوال هذه الأعوام فقد عمل مديرا لمكتب أبي ومعاونا له في حزب الأحرار الدستوريين وربما كنت أثقل عليك بأحزاني الخاصة ولكن هذا الرجل كان مثلا أعلى في كل حياته ومن حقه على ككاتب أن أرفع ذكراه نموذجا فريدا في الانسانية والعفة وطهارة اليد والايمان بالله وبالوطن واذا لم نكرم نحن الكتاب المثل العليا لتكون أعلاما خفاقة على الخلق الأسني فمن يفعل ذلك ...

أنه المرحوم عبد الفتاح الشناوي كانت آخر وظيفة تولاها هي وكيل وزارة فما أحسب أن الحكومة المصرية أو غير المصرية عرفت رجلا في مثل نزاهته وشرفه ووقوفه مع الحق وأن كانت حياته هي الثمن · يقول الكلمة لا يرجو بها الا وجه الله والشرف والخلق الرفيع غير مبال بما قد تعود عليه هذه لكلمة من الويل والنكال والتشريد ·

كان مديرا لمكتب أحد الوزراء في الأيام الأولى للثورة ووصل اليه خطاب موجه الى الوزير من مكتب رئيس الوزراء وكان يحمل توقيع مدير مكتب رئيس الوزراء ورأى في هذا امتهانا للوزير الذي يعمل معه · فرفع سماعة التليفون وطلب مكتب رئيس الوزراء وطالعه صوت مدير المكتب وجرى بينهما الحديث :

ـ سيادتكم مدير مكتب رئيس الوزراء ·

ـ نعم أنا هو ·

ـ أنا عبد الفتاح الشناوي مدير مكتب وزير ··

ـ أهلا وسهلا ·· نعم ·

ـ جاء الى الوزير خطاب من رئيس الوزراء موقع باسمك وهذا مخالف للأصول المرعية · فالوزير لا يخاطبه الا رئيس الوزراء شخصيا ولا يجوز أن يخاطبه مدير مكتبه ·

ـ ما هذا الكلام الفارغ ٠

ـ ليس كلاما فارغا وانما هي المحافظة على كرامة الوزراء وكيف يعمل الوزراء اذا لم نحافظ على كرامتهم ٠

ـ قال مدير مكتب رئيس الوزراء في صلف غاضب :

ـ أتعرف الى من تتكلم ٠

ـ نعم أكلم مدير مكتب رئيس الوزراء ٠

ـ أنا فلان عضو مجلس قيادة الثورة ٠

ـ ولم يكن الاسم عاديا فقد كان مجرد ذكره يجعل الفرائص ترتعد والقلوب ترتجف ولكن عبد الفتاح الشناوى قال في شجاعة منقطعة النظـــير :

ـ لا شأن لى بموقعك في مجلس قيادة الثورة انما أخاطبك كمدير لمكتب رئيس الوزراء ٠

ـ الظاهر أنك حمار فعلا ٠

ـ بل الحمـــار أنت ٠

ـ أنت ابن ٠٠ وابن ٠٠٠

وذكر أباه وأمه معا فاذا الشناوى يقول في طبيعة مواتية ٠

ـ بل انك أنت ابن ٠٠ وابن ٠٠

وذكر أباه وأمه أيضا ٠

ووضـــع السـمـــاعة ٠

وبعد دقائق استدعى الوزير مدير مكتبه عبد الفتاح الشناوى ٠

ـ ما هذا الذى فعلته ٠

ـ أحافظ على كرامتك ٠

ـ وهل طلبت منك أن تحافظ على كرامتى ٠

ـ أنا متحمل لكل المسئولية ٠

ـ تحملهـــا وحـــدك ٠

ـ اتحملهـــا وحـــدى ٠

وخرج الى مكتبه وكأنه لم يصنع شيئا ٠

ومر اليوم وذهب الى بيته وأعد حقيبته التى سيصحبها الى السجن وفى اليوم التالى ذهب الى مكتبه شأنه فى كل يوم وما هى الا بعض الساعة حتى دق جرس التليفون بمكتبه ٠

ـ الســـلام عليكم

ـ وعليكم السلام أهلا وسهلا ٠٠ من حضرتك ٠

ـ أقول لك من أنا ولا تشتمنى ٠

ـ أنا لست قليل الأدب ٠

ـ أنت لست قليل الأدب ولكن أنا قليل الأدب أنا فلان ٠

انه هو مدير مكتب رئيس الوزراء وعضو مجلس قيادة الثورة والاسم الذى ترتعد له الفرائص وترتجف القلوب وقال الشناوى :

ـ أهلا وســهلا ٠

ـ وقال عضو مجلس قيادة الثورة :

ـ أهلا بك قد طلبتك لاعتذر اليك فهل يكفى التليفون أم أحضر اليك لأقدم اعتذارى فى مكتبك ٠

ـ لا ياسيدى يكفى التليفون وقد قبلت اعتذارك ٠

ـ لقد بدأتك بالعدوان ومن حقك على أن أعتذر اليك ٠

ـ انتهى الأمر ان الله غفور رحيم ٠

ومرت سنوات وجاءت حرب ٥٦ فجمعت جلسة من الضباط بين عضو مجلس قيادة الثورة وبين ابن أخ الشناوى فحين سمع عضو المجلس اسم الضابط قال له :

ـ الك قرابة بعبد الفتاح الشناوى ٠

ـ هـو عمى ٠

ـ لو كان بمصر عشرة رجال من أمثال عمك ما وصلت مصر الى ما وصلنا اليه ٠

وبعد فقد مات عبد الفتاح الشناوى فى الأسبوع الماضى ألا ترى أنه جدير بهذا الرثاء وهذه الدمعات التى اسكبها بين يديك ٠

أنا لا أبكى فيه صديق عمر وتوءم روح وانما أبكى فيه رجلا حين أصبح الرجال ندرة لا تكاد تعثر على واحد منهم يستحق ما يستحقه عبد الفتاح الشناوى من اجلال وأكبار ٠

رحمة الله واسعة وأنزله منازل الشهداء والصديقين انه سميع قريب ٠

الأهرام ١٩٩١/٧/٨

الثقـــافة كتــــاب

لا أملك الا أن أشيد كل الاشادة بما تقدمه السيدة العظيمة حرم السيد رئيس الجمهورية من جهد رائع لتهيئة المكتبات للأطفال بل حق على أن أشيد بكل ما تقوم به من أعمال مشرقة في ميدان الحياة الاجتماعية والانسانية فى شتى جوانب الحياة من اهتمام بالمرضى والمستشفيات والحدائق والمعوقين فان الأعمال التى تقوم بها لا يحيط بها احصاء وكلها تدعو الى الاجلال والاكبار والاعتزاز ٠

والذى يكتم شهادة الحق مديحا كانت أو نقدا جبان ٠ فكما ينبغى على الكاتب أن ينتقد ما يراه يستحق الانتقاد يتحتم عليه حتما أن يمتدح ما يستحق الثناء ٠

وان هذا الجهد الذى تقوم به السيدة حرم السيد الرئيس فى ميدان الكتاب للأطفال من حقها علينا أن نفخر به وبها ونقدره ونكبرها كل الاكبار ونعتز به وبها غاية الاعتزاز ٠ فالقراءة تعود وأن استطعنا أن نجعل الطفل يتعود القراءة أطمأنت نفوسنا أنه سيصبح قارئا طوال حياته ومادام قد أمسك بالكتاب وأحس متعة القراءة وما تعود به عليه من ثقافة وسعادة فانه سيشب والكتاب فى يديه يستطيع أن يستغنى به عن كل المغريات الأخرى التى تقطع الوقت ولا تهب لروادها غناء فى المعرفة أو العـــلم ٠

فالاهتمام بالقراءة للأطفال شىء عظيم وانما ينبغى الا يشغلنا هذا عن الاهتمام بالقراءة للشباب أيضا بل والكبار فقد أصبحت المكتبات نادرة كل الندرة فى المدن ومعدومة تماما فى القرى وتلك كارثة كبرى ٠

وأذكر فى أيام الدراسة أن كان عندنا فى المدرسة مكتبة من أعظم المكتبات وأذكر أننا قررنا ونحن فى السنة الرابعة الثانوية أن ننشىء مكتبة فى الفصل فكان التلاميذ يشترون الكتب الجديدة ويقرأونها ثم يعيرونها لمكتبة الفصل فيتمكن تلاميذ الفصل جميعا من قراءتها ثم يسترد أصحاب الكتب كتبهم آخر العام الدراسى ٠

وكانت عندنا أيضا المكتبة الرائعة فى باب الخلق فى وسط القاهرة وكانت استعارة الكتب منها ميسورة ليس فيها أى تعقيد ٠

وكانت عندنا فى الزقازيق مكتبة طالما لجأت اليها فلم تخذلنى مرة واحدة وكنت أجد فيها ما أريد دائما ٠ واعتقد أن جميع المحافظات كان بها مكتبات مماثلة ٠

فأين اليوم مكتبات المدارس ولا أقول الفصول وأين المكتبات العامة فى مدن المحافظات ٠ لقد استغنينا عنها بقصور الثقافة ومكتباتها فقيرة لا كتب فيها الا الهابط الذى لا يجد من يقرأه ثم نجد قصور ثقافة قد انقلبت الى دور للسـينما التافهة والندوات التى لا يحضرها الا قلة قليـلة ٠

حتى أننى أسميها اليوم قصورا فى الثقافة لا قصور ثقافة فهى فى مبانيها قصور وهى فيما تحويه لا ترتقى الى مرتبة العشش وقد عشنا فترة كبيرة من حياتنا نضع العناوين الضخمة على الفراغ ٠ ونكتفى بالهتاف عن العمل وبالهتاف عن الجهد وباللهو عن الجدية ٠

ان الفقر الشـديد الذى تعانيه مصر فى المكتبـات العـامة يتيح الفرصة للشباب أن ينأى عن الثقافة بدعوى ـ هو محق محق فيها الى حد ما ـ أن الكتب مرتفعة الثمن وانه لا يجد مكتبات عامة ٠

ولو أن هذا العذر ليس مقنعا عندى بالقدر الحاسم فانى أرى اقبالا ضخما على شراء أشرطة الفيديو واستئجارها وثمن الكتاب لا يزيد على قيمة الاستئجار ويتضاءل اسيفا بجانب اثمان الشراء للأشرطة ٠

فالحجة ليست مقنعة ولكن من حق الشباب الذى لا يملك ثمن أشرطة الفيديو او قيمة ايجارها أن يجد الكتاب متاحا له بالمجان فى كل مكـان ٠

وانى لا أنسى خطابا جاءنى من أحد الشباب بالصعيد يقول لى فيه انه لم يقرأ فى حياته الا نصف كتاب استعاره من صديق له أبى أن يتركه لديه حتى يتم قراءته ٠

والشباب فى القرى يقضى شهور الأجازات الدراسية الطويلة لا يجد شيئا يفعله الا لعب الرياضة ٠

ولست أدرى أى شيطان أوحى الى هيئات الشباب فى مصر أن تهتم بأقدام الشبان ولا تهتم برؤوسهم ٠

فالنوادى الرياضية اليوم فى كل قرية فأى ضير أن يوضع فى كل ناد دولاب يكون مكتبة لأبناء القرية وتستطيع القرى المجاورة أن تتبادل هذه المكتبات بين بعضها البعض كل فترة معينة ٠

ولماذا لا نجد فى نوادى القاهرة الرياضية مكتبات ، وفى المساجد والكنائس والمصانع ٠

ويستطيع القائمون على هذا الأمر أن يتفقوا مع الناشرين على طبع كتب عظيمة فى طبعات شعبية ٠ ولا شك أن الناشرين سيسعدون بهذا اذا ضمنوا انهم سيوزعون من هذه الكتب كميات تعود عليهم بالكسب المادى ٠ فالناشر ليس مستعدا أن يتبرع بأمواله ولكنه ينشر الكتب ليكسب منها وهذا أمر طبيعى لا يستطيع أحد أن يلومه عليه ٠

ان عبء نشر المكتبات فى القرى يقع على هيئات الشباب وعلى وزارة الثقافة وعلى وزارة التعليم وأعتقد أن ميزانية الثلاثة مجتمعين تستطيع أن تحقق هذا الأمل فى سهولة ويسر ٠ كل ما نحتاج اليه هو تضافر هذه الجهات فاذا فعلوا فان الله سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عمـــلا ٠

الأهرام ١٩٩١/٧/٢٢

وداعـا أخـا العمـر

ربما لم تعرف العلاقات الأدبية أو العلاقات الانسانية مثيلا لما كان بينى وبين الراحل العظيـم يوسف ادريس فقد تعارفنـا فى أوائل الخمسينات وكانت الصلة بيننا صلة عجيبة فربما نكون اختلفنا فى كل ما نكتب من آراء فى المقالات ولكننا نلتقى فاذا نحن متفقان فى كل ما نقول وهكذا نختلف فى كل ما كتبنا ونتفق كلما التقينا وربما كان الاستثناء الوحيد الذى اتفقنا عليه فيما نكتب يوم كتبنا عريضة الاحتجاج للمطالبة بالحرية للرئيس الراحل أنور السادات قبل حـرب ٧٣ تلك العريضة التى وقع عليها أستاذنا توفيق الحكيم ونجيب محفوظ فقد وقع عليها معنا الراحل العزيز يوسف ادريس ٠٠ وكنا اذا التقينا أنا ويوسف وكثيرا ما كنا نلتقى فى الأهرام فحجرته ملاصقة لحجرتى وطالما جمعتنا غرفة عميدنا توفيق الحكيم كنا اذا التقينا حدث بيننا هذا النوع من التجاذب الذى لا ندرى من أين ينبعث وانما هو لقاء روح بروح وأحس أننى أحبه وأرى فى عينيه أنه يحبنى ٠ ولا يمنعنا هذا الذى يثق فيه كلانا كل الثقة أن يخاصم أحدنا الآخر وقد نعالن بهذه الخصومة فى مقال أو فى حديث اذاعى أو آخر تليفزيونى ٠

ونلتقى فنتعانق ولا عتاب وانما هو حب له اردية فى نفسى وحب منه لى أراه فى محياه كان هذا حالنا ، أما يوسف ادريس الكاتب القصاص فأنا أعتبر قصصه القصيرة تقف شامخة مع أعظم القصص العالمية ان لم تتفوق عليها ٠ وأعتقد اعتقادا راسخا أن يوسف ادريس هو الأب الشرعى للقصة القصيرة فى عهدها الحديث ٠ وأحسب ـ وأرجو لله أن يخلف حسبانى فيما بقى لنا من حياة ٠

وبعد فيا صديقى الذى رحل لن تبقى بيننا غير الصداقة وغير تلك الذكريات الشفيفة التى طالما جلسنا فيها وجدنا وكاشف كل منا الآخر بالدقيق المستخفى من أسراره ٠

ويا صديقى أننا فى مولدنا متقاربان لا يفصل بين ميلادك وميلادى الا شهر واحد تكبرنى به فأنت ابن جيلى وأخ عمرى مهما يكن قد نشب بيننا من خلاف فالذى بيننا من حب كان دائما أكبر وأعظم ٠ فأستودعك الله سبحانه ٠ يا يوسف خير الودائع من خير المؤدين ٠ أننا له وأننا له راجعـون ٠

الأهرام ١٩٩١/٨/٣

استقيموا يرحمكم الله

نسمع هذه الجملة في كل صلاة جامعة يقولها الأمام لمن يؤمهم في الصلاة ويتبعها بقوله ان الله لا ينظر الى الصف الأعوج ٠

واستقامة الصفوف خلف الامام رمز لأن تكون الاستقامة هي مثلنا الأعلى في الحياة فمالى أرى الحياة والناس فيها لا يستقيم لهم صف ولا خلق وما لى أرى الذين يتولون كثيرا من المناصب لا يستقيم لهم شرف ومادام الرؤساء ذوى عوج في أخلاقهم فالعاملون تحت رئاستهم أشد عوجا هل أصبحت الاستقامة نادرة في الحياة هذه الندرة التي نراها وما الذى أدى بالمتعرضين للحياة العامة أو بعضهم على الأقل لا يسيرون على الطريق المستقيم ٠

ما هذه الأنباء التى تفجعنا في كل يوم بان صاحب مكان هام انتهب ما هو عليه أمين أو من كان مفروضا فيه أن يكون أمينا عليه ٠
عجيب أن يحدث هذا ورئيس الجمهورية محمد حسنى مبارك مثل أعلى في طهارة اليد ونقاء الذمة وشرف العمل بل هو مثل أعلى في الجهد الذى يقوم به في سبيل الوطن لا يبغى من وراء ذلك الا صوالح الأمة وما فيه خيرها ورغدها وهناؤها ٠

ما لهؤلاء الرؤساء لا يتخذون من رئيس الجمهورية نبراسا لهم منيرا ونوره ساطع ومالهم لا يترسمون خطاه وهى جميعا خطى لا يحدوها الا نبالة القصد وشرف الهدف ورفعة المتجه ٠

ان الشخص الذى يعمل بالحياة العامة ليس ملكا لنفسه وانما هو ملك للعاملين معه وللجمهور كافة بل وللعالم أجمع فالذى يحيد عن الشرف منهم لايسىء الى نفسه وأسرتـه فقط وانما هو يسىء الى الأمة كلها والى الناس أجمعين فى وطنه وفى سمعة وطنه فى جميع بلدان العالم ٠

هل أصبحت الأمانة غريبة فى بلادنا لا تجد لها جماعة يقدسونها ويدينون بها ٠

أذكر ان أحد أصدقائى قام أمامى بعملية شريفة فقلت له باعجاب ·

أنت رجل أمين ·

فاذا به يغضب ويقول :

انما يمدح بالأمانة الخدم وانما أرفض مدحك هذا فأين الأمانة اليوم أنا لا أبحث عنها ـ والحمد لله عند الأفراد ـ وانما أبحث عنها فى الجماعة وفى الذين يتولون مناصب تجعل منهم نماذج لمن يعملون معهم ·

أجد الأمانة فى القلة وأفتقدها فأنقدها فى بعض آخر ربما لو قيس عدده بعدد الأمناء كان قليلا ولكن الفرد الواحد غير الأمين يسىء بفعله للأمناء أجمعين ·

وأحاول أن اطمئن نفسى فأقول مع الشاعر توفيق عوضى أباظة بيتا له أحبه وأردده كثيرا :

فى كل طائفة من الناس أو شاب   حتى قريش لها أنف وأذناب

وهذا حق فكل جماعة من الناس لها أوشابها ولكن ان يكون الأوشاب من الذين يتولون مناصب كبرى فهى الكارثة تملأ نفوسنا حزنا وأسفا على مصير الأخلاق فى بلادنا وقد روى لى أحد الأصدقاء حوارا دار بينه وبين إبنه الصبى قال الابن لأبيه :

كيف يجوز لبعض الذين يتولون مناصب أن يسرقوا وينهبوا ما ليس لهم ويختلسا من مال المفروض أن يكونوا أمناء عليه ·

وقال الأب حائرا أسفا :

يا بنى انهم قلة نادرة وهم استثناء من القاعدة العامة والاستثناء كما يقول رجال القانون لا يقاس عليه ولا يتوسع فيه ·

ويقول الابن مصرا :

ولكن هؤلاء مثل لنا نحاول نحن الشباب أن نصل الى ما وصلوا اليه من مكانة ·

ويقول الأب :

إبعدهم من نظرك واتخذ من الشرفاء لك مثلا رفيعا .

ولكن الابن لا يقتنــع .

فان الشخصية العامة يحاسبها الناس على مالا يحاسبون عليــه الآخرين ممن لا يتعرضون للحياة العامة ويصبحون فيها رموزا .

وأذكر قصة وقعت لى تريك الى أى مدى يحاسب الناس الشخصيات العــامة .

كتبت مقــالا بالأهرام ذكرت فيــه اننى كنت فى مجلس الشورى أجلس خارج القاعة فى غرفة الأعضاء واتابع الجلسة من مكبر الصوت الرابض فيها لينقل للجالسين بها وقائع الجلسة وسمعت اسمى يتردد فى داخل القاعة فقلت فى المقال إننى أطفــأت سيجارتى وســارعت الى القاعة لاشهد ما دعا المتكلم أن يذكر اسمى .

وما هى الا أيام حتى جاءنى خطاب من أحد القراء يلومنى فيه أشد اللوم اننى كتبت فى المقال اننى أطفأت سيجارتى ويقول صاحب الخطاب ما معناه ألا تدرى انك شخصية عامة وان كثيرا من الشباب يطيب لهم أن يقلدوك وقد تدعو بجملتك العارضة هذه من لا يدخن منهم أن يصبح مدخنا كيف تقبل هذا على ضميرك وحين فكرت فيما قال صاحب الخطاب وجدته محقا ووجدت نفسى مخطئا وأقلعت عن التدخين فاذا كان الجمهور يحاسب الشخصية العامة على سيجارة يذيع انه يدخنها فكيف حسابه لمن يذاع عنه انه اختلس أو قبل الرشوة أو خان الأمانة اللهم الطف بمصرنا العظيمة وانر السبيل لأصحاب المناصب فيها اللهم وأجعل صفهم مستقيما اللهم أننا نعلم أنك لا تنظر للصف الأعوج فأقم الصف للناس أجمعين وخاصة لمن كان منهم مثلا ونبراسا أنك سميع مجيب .

الأهرام ١٩٩١/٨/١٢

أهي حشرجة ؟ !!

سبحان الله العظيم ما هذا الذى يحدث فى مصر التى تشرئب فى سماء عاصمتها ألف مئذنة تصيح « الله أكبر » خمس مرات فى اليوم كيف طغى الشيوعيون عليها هذا الطغيان الباغى الذى لا يبقى ولا يذر وكيف سيطروا على صحافة مصر واذاعة مصر وتليفزيون مصر وثقافة مصر هذه السيطرة العارمة وكيف طفوا على سطح الاعلام والثقافة بهذا الجبروت وهذا العنفون ..

أكل هذا وليد السنوات السود التى كانوا فيها يسيطرون على الحكم وعلى كل المناصب الاعلامية والتى استطاعوا فيها أن يمنعوا الاحتفال بمولد سيد البشر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقاموا هم احتفالا بمولد لينين !؟

ما أحسب ذلك .. لا .. ان شيئا جديدا حدث .

أيكون انهيار الشيوعية وفناؤها وتحطيم ألهتها وقواعدها فى البلاد التى شقيت بها فى العالم أجمع هو الذى فجر الشيوعية الاعلامية فى مصر .. أتكون أصواتهم حشرجة الموتى وهم يرون حصونهم تندك وأعلامهم تحترق ونظريتهم تدوسها أقدام من عاشوا فى ظلها سنوات وسنوات ؟!

كيف يستقيم هذا ؟ ..

روسيا كبيرة الشيوعية وصنمها الأعظم تحطم الشيوعية وتمحقها وتختار رئيسا فيها من المتطرفين فى الحرية والديمقراطية ومصر يسيطر الشيوعيون على صحافتها واعلامها وثقافتها بهذا الجبروت وما هذا الانقلاب الذى حدث بأخره بمانع أن الشعب الروسى أعلن رأيه واضحا جليا لا شبهة فيه ولا لبس .

ولتكن نتيجة هذا الانقلاب ما تكون فالأمر الذى لا شك فيه أن الشعب الروسى يرفض الشيوعية بما تحمله من قهر وجبروت وان كان

للجيش رأى غير ذلك فان الأحداث لاشك ستثبت ان الذى يصنعه الجيش بانقلابه سيؤدى الى دمار محقق للاتحاد السوفيتى وجمهورياته المختلفة وان تمكن الجيش من ولاية روسيا فماذا هو صانع بالولايات الأخرى التى تطالب بالاستقلال ؟!

لقد سقط صنم الشيوعية الى الأبد وليس له عودة مهما يفعل الانقلاب العسكرى .. وأنا أكتب هذا الحديث فى اليوم الذى أعلن فيه الانقلاب والى أن يظهر هذا المقال الله وحده يعلم الى أى مصير سيسير الأمور فى الاتحاد السوفيتى . ان للشيوعيين بينهم نقيقا مثل نقيق الضفادع اذا صات رئيسهم أو كبيرهم الزعيم صاتوا من ورائه وصنعوا هذا النقيق الذى يحطم الهدوء ويسحق الطمأنينة ولا يقول شيئا مالهم اليوم يصرخون فى كل جريدة وكل اذاعة وكل تليفزيون ماذا أصاب مصر ؟

أنا أعلم ان فيهم صفاقة لا تتأتى لغيرهم أليسوا هم الذين حاولوا فى تبجح وجمود أن يجعلوا هزيمة يونية انتصارا وانتصار أكتوبر هزيمة ؟!

أوليس هم من قبل من هتفوا ان الدين أفيون الشعوب وكفروا بالله .. وليس بعد الكفر ذنب ؟

وها هم أولاء اليوم فى مصر يتصايحون بمذهبهم الذى مات ويرفعون أعلامهم التى احترقت فى حصونها العتيدة ؟

أتراهم يخشون على ما نالوه من كسب وهم يرون عالمهم فى جميع بلاد الكتلة الشيوعية يباد ويزال ويتحطم وينسحق ربما كان أمرهم كذلك فان مذهبهم هو مذهب المادة وقد فهم الشيوعيون فى مصر ان المادة هى المال وقد كانوا ومازالوا يكسبون من مذهبهم الأموال الباهظة الفاجرة وقد رأيت حياة بعضهم فأقسم ما رأيت مثيلا لها الا عند أصحاب الملايين فى بلاد البترول ورأيت بعضهم يشترى السيارة ذات الثمن الذى يقف معه القلب فى دقائق معدودات .

انهم يتعاملون مع الصحف الشيوعية فى العالم أجمع ويجمعون من وراء ذلك الأموال الباذخة يكدسونها أو ينفقونها انفاق البذخ الذى لا يقف به حياء وهم ــ وأشهد الله ــ لا حياء لهم وهذا أمر طبيعى فمن لا دين له لا حياء له . وها هم أولاء يحاولون أن يحطموا كل انسان لا يكفر كفرهم وهم فى محاولة التحطيم هذا خبراء يحطمون بالتطاول وبقلب

الحقائق وبالسب وبالهجر في اللفظ أو يحاربون أحيانا بالصمت يحسبون ان صمتهم يقضى على أعدائهم ·

ولكن الله يخزيهم فى كل ما يسعون اليه ·

هم قادرون على مهاجمة الأعلام الكبار فى ميادين الكلمة هجوما كافرا لا عقل فيه لا يحترمون فيه أنفسهم ولا يحترمون فيه قراءهم ولا أقول ضميرهم فهم — والحمد لله — بلا ضمير ·

يطوفون بلاد العالم يستجدون بشيوعيتهم منابع المال فينهمر عليهم المال · ويبيعون أوطانهم فانهم لاشعور عندهم بالوطنية أليسوا هم من يصيحون يا عمال العالم اتحدوا أى انسوا أوطانكم واعبدوا شيوعيتكم وحدها · فلا عجب أن يبيعوا أوطانهم ويقبضوا ثمن تنكرهم لبلادهم أموالا ضخمة · بئست وهانت من أموال · أما أنهم لهم بين الشعب وجود فهيهات وها هم أولاء خمسة نفر فى مجلس الشعب الذى يقارب أعضاؤه الخمسمائة · اذن فتلك هى حقيقة رأى الشعب فيهم · وأنا أعرف من أعضائهم الشيوعيين فى مجلس الشعب اثنين نجحا برغم انهما شيوعيان وليس لانهما يدينان بالشيوعية وهذان الاثنان لكل منهما أسرة ذات مكانة بين الناس فالذى انتخبهما فعل ذلك وهو كاره فانما يفعله لصلاته بأسرتيهما وليس لرضائه عن المذهب الكافر الذى يعتنقان · فالمصرى مؤمن والايمان عنده هو سر حياته ووجوده وصبره ·

فهونا يا أيها الشيوعيون فليس ذنب مصر ان رفض العالم كله مذهبكم الذى لم تر منه البلاد التى حكمها الا الهوان والمذلة والفقر والجوع · فقد خدعهم المذهب السنوات الطوال وقال لهم رغيف العيش قبل الحرية فلا أعطاهم رغيف العيش ولا منحهم الحرية فما بعجيب أن تلعن شعوب الستار الحديدى الشيوعية وتسحقها فى هذه الحماسة العارمة التى قضت بها عليها ··

وبعد ··· فيا أيها الشيوعيون ··

أنا لا أكتب هذا الكلام محاولا أن أحث الاعلام ان يقصف أقلامكم ولا أن يمنع أعمالكم فنحن فى عهد لا تعرفونه من حرية الرأى التى لا تعترفون بها ومن الأمن الذى يخالف مذهبكم ومن الأمان الذى لم تشهده نفس عاشت فى ظل حكمكم · فى زمن الحرية فيه للجميع والطمأنينة والاستقرار والشرف فى معاملة الانسان واحترام كيانه سواء كان هذا الكيان جسد انسان أو عرضه أو كرامته أو كلمته · وقد سألت يوما أحد أقطابكم :

ـ كيف تتصورون انكم تصلون الى الحكم ؟

فقال في عفوية وبلا ريث من تفكير :

ـ بالسـلاح طبعا ٠٠

وما كا بحاجة أن يقول ذلك فانكم لم تصلوا الى حكم اى بلد فى العالم الا بقوة سلاح ٠

ولكننا اليوم فى مصر نؤمن بالحرية وبالسلام وبالأمن وبالطمأنينة فأنا انما أوجه هـذا الحديث اليكم أنتم أن تضعوا على وجوهكم بعض الخجل أو تدفعوا الى دمائكم بعض لحياء ٠

فان لم تفعلوا وما أظنكم بفاعلين ، فانى أخاطب شعب مصر جميعا ليتبين ما تخفيه سطوركم المقيتة من كفر وحقد وطغيان والشعب المصرى من أعظم الشعوب ذكاء وفكرا ، ويقظة فهم وانما على أن أقول الحق وان كره الكافرون ٠

وانى أراكم اليوم تسـيطرون على الثقافـة فى الصحف والمجلات وخاصة المجلات والصفحات الأدبية ٠ وهذا خطير لأنه يجعل الشباب من الأدباء الذين لا يدينون بالشيوعية يضطرون أن يدينوا بها أو يتظاهروا باعتناقها حتى يتاح لهم النشر فى المجلات والصفحات الأدبية وهى المكان الوحيد الذى يستطيعون أن ينشروا فيه ٠

وأنا بما أكتب أدعو المشرفين على هذه المجلات والصفحات أن يتقوا الله أو بعض الشرف فى الشباب ولا يرغموهـم أن يتخذوا وجوها غير وجوههم وضميرا غير ضميرهم ليتمكنوا من النشر ٠٠

اللهم ياذا الجلال والاكرام اليك نتجه أن تنجى مصر من الماكرين المتآمرين عليها من داخلها فان عدوا واحدا فى داخل الوطن شر من ألف عدو فى خارجه اللهم أحفظ مصر كنانتك التى ذكرت فى كتابك الكريم وأيدها بروح من عندك أنك سبحانك قريب مجيب ٠٠٠

الأهرام ١٩٩١/٨/٢٦

الـدين والرحمـــة

أقرأ في هذه الأيام للمرة الثالثة أو الرابعـة – لا أذكر – كتاب تجريد الاغاني تأليف ابن واصل الحموى وتحقيق عميد الأدب العربي د. طه حسين والأستاذ ابراهيم الابيارى ، وقد طالعتني فيه شخصية رأيت أنها جديرة بأن أنقل خبرها اليك ·

انها شخصية عبـد الله بن معـاوية وجـده جعفر ابن أبي طالب المشهور في التاريخ الاسلامي وهو ابن عم النبي « صلى الله عليه وسلم » وهو الذي عرفه التاريخ بذى الجناحين لأنه كان يمسك بالعلم في معركة اسلامية حاسمة فقطع العدو ذراعه فأمسك العلم بذراعه الثانية فقطعها العدو أيضا فاحتضن العلم بما بقى من ذراعيه حتى قتل وبشر النبي « صلى الله عليه وسلم » المسلمين ان الله سبحانه وتعـالى قد وهب له جناحين في الجنة بدلا من ذراعيه فعرفه التاريخ باسمه الشهير جعفر ذى الجناحين ·

وعبد الله بن معاوية هذا الذى أروى عليك قصته هو حفيد ذلك الشهيد العظيم ·

وهو الى جانب ذلك شـاعر وقد أدهشني انه شـاعر فأنا أتصور الشاعر أو الكاتب أو الفنان رقيق الاحساس يحب الناس ويألم لبلواهم ويشفق على كل انسان ·

فالشاعر أو الفنان انسان يعيش بمشاعره وبقلبه أكثر مما يعيش بجسده وحيوانية الانسان فيه ·

فالفن هو رفاهية الحياة ونورهـا وهو المنطقة المضيئة في الحياة التى تشيع بين الناس المودة والتراحم والحب والتآلف والخير وتقترب بالانسان الى الملائكة وتنأى به عن الجمود والظلم والقسوة والجبروت ، والفن في جميع العصور وفي جميع ألوانه حارب الظلم والقهر والطغيان ولذلك كره الطغاة الفن النظيف الذى يأبى صاحبه أن يبيعه بالمال أو بالجاه أو بالمنصب ·

فاذا عدنا الى حياة معاوية بن عبد الله وجدنا عجبا ثم اذا تقصينا خبره ما يلبث العجب أن يزول ٠

فهذا رجل ينتسب فى ارومته الى سيد البشر أجمعين فجده ابن عم النبى « صلى الله عليه وسلم » وليس هذا فقط بل ان هذا الجد هو جعفر ذو الجناحين ٠

وننظر الى شعره فنجد شعرا جميلا يدل على أنه شاعر أصيل ذو عارضة قوية ولفظ نقى ونسج أنيق ٠ والغريب ان الكتاب يقول ان ابن معاوية كان من ظرفاء عصره ٠٠٠ وأيضا من الظرفاء الذين يفيضون على جلسائهم السعادة والحبور ــ والذين يستملحون الجملة الذكية السمات ويروون الطرف ويضفون على مجلسهم السعادة والبشر والهناء ٠

أما ظرفه هذا فلم يرو الكتاب من أمره شيئا الا انه كان مشهورا بذلك الظرف أما شعره فانى سأقدم اليك بعض نماذج منه فهو يقول :

ألا نـزع القـلب عن جهـله ... وعما تؤنب مـن أجـله
تبـدل بعـد الصـبا حلمه ... وأقصر ذو القول عن عـذله
فـلا تركبن الصـنيع الـذى ... تلـوم أخـاك على مثـله
ولا يعجـبك قـول أمـرئ ... يخـالف ما قـال فى فعـله
ولا تتبـع الطرف مالا تنـال ... ولكن سـل الله من فضـله
فـكم من مقـل ينـال الفتى ... ويحمـد فى رزقـه كلـه

أترى هذا الخير وهذه الفلسفة الانسانية التى تحظى بها الأبيات ؟ وأقرأ معى قوله :

إذا افتقرت نفسى قصرت افتقارها ... عليها فلم يظهر لها أبدا فقرى
وان تلقنى فى الدهر مندوحة الغنى ... يكن لاخلاقى التوسع فى اليسر
فلا العسر يزرى بى اذا هو نالنى ... ولا اليسر يوما ان ظفرت به فخرى

أبيات تدل على نفس شـاعر صميم لا يأبه بالغنى ولا بالفقر فان أصابه الفقر قصر شره على نفسه وان أصابه الغنى أفاض به على أخلائه وأصدقائه واقرأ معى قوله الشهير الجهير :

رأيت حسينا كان شيئا ملفقا فكشفه التمحيص حتى بدا ليا
وعين الرضى عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا
وانت أخى مالم تكن لى حاجة فان عرضت أيقنت ان لا أخاليا

وأكاد أسمعك الآن تقول فأين العجب من كل ماورويت ؟ اليك هذه القصة التى أوردها الكتاب أرويها بموضوعها وليس بألفاظها ·

يقول ان ابن معاوية هذا الشاعر المجيد الظريف الذى اشتهر بالظرف كان أقسى خلق الله · فقد كان أميراً لفترة قصيرة وفى أثنائها غضب على غلام له فاذا به يأمر أن يرمى الغلام الى أسفل من أعلى القصر الذى حدثت فيه هذه الواقعة فسقط الغلام ولكنه تعلق بدرابزين كان على الغرفة فأمر بقطع يده التى أمسك بها الدرابزين فقطعت وهوى الغلام الى الأرض فمات ·

جاءت هذه القصة فى آخر الحديث عن معاوية بن عبد الله فأثارت دهشتى مما جعلنى أعود الى الصفحات التى قرأتها أستعيد قراءتها فى اناة لا أفلت منها كلمة حتى طالعتنى جملة خفيت عنى فى قراءتى الأولى ازالت دهشتى وجعلتنى أدرك السبب الحقيقى وراء هذه القسوة · فان الكتاب يقول عن عبد الله ابن معاوية انه لم يكن محمود المذهب فى دينه وكان يرمى بالزندقة ويستولى عليه خلق الزنادقة الذين أشتهر أمرهم ·

اذن فالأمر كذلك حين يكفر الانسان تنعدم الرحمة من قلبه مهما يكن شاعرا عظيما أو فنانا ساطعا حتى وان كان جعفر ذو الجناحين جده لأبيـه ·

فبغير الدين والايمان فى قلب الانسان لا رحمة اذن تنتظر منه ولا تبقى منه الا هذه القسوة التى يرويها الكتاب عن الشاعر عبد الله بن معاوية · اللهم ثبت ايماننا واملأ قلوبنا بالرحمة التى هى أحب أسمائك اليك انك سميع مجيب ···

١٩٩١/٩/٩ الأهرام

ولـكنهم لا إله لهـم

الشيوعيون المصريون واقعون فى أزمة لا نجاة لهم منها ومع انهم يسيطرون على كثير من الصفحات الأدبية والمجـلات والمجالات الثقـافيه فى مصر ولكنهم واثقون أن كيـانهم العقـائدي قد تهدم على رؤوسـهم وأصبحوا حيارى ذاهلين ولو كانوا يعرفون الله لاتجهوا اليه أن ينتشلهم من ضياعهم ولكنهم لا يعرفون الله فليس لهم ملجأ الا الكلام الهش التافه يحاولون به أن يصبروا أنفسهم على بلواهم ٠

كتب أحدهم فى جريدة كبرى كلاما عجيبا رأيت حتما على أن أعلق عليه فهو كلام يحمل ما تعودته أقلامهم من تجاهل للحقائق واعتداء على البديهات بجرأة لا تتأتى الا لهم ٠

فهم يبكون ان العالم لم تصبح فيه الا قوة واحدة تسـيطر عليـه ويقتبس كاتبهم جملة قالها نهرو نصها « لو لم يوجد الاتحاد السوفيتى لاخترعناه » ناسين أن الاتحاد السوفيتى لم يزل من الوجود وانما مازال قوة لها وجودها بما يملكه من سلاح خطير يستطيع أن يهدد العالم الا أن الاتحاد السوفيتى أدرك أن الشيوعية التى عبدوها سبعين عاما كانت هباء وانها أنزلت بهم الدمار والجوع والهلاك والوبال ٠

فابكوا أيها الشيوعيون اذا اردتم البكاء على الشيوعيـة فهى التى زالت ولا تبكوا على الاتحاد السوفيتى فهو لم يزل ولن يزول ٠

ويقول الكاتب ان الشيوعيـة كانت العدو الرئيسى للغرب والآن سوف يستدير الغرب ومعه روسيا بوضعها الحالى ضد الشرق كله وخاصة الاسلام ٠

من أين جاءوا بهذا الحديث ولماذا تهاجم روسيا أو أمريكا الشرق والاسلام ها نحن أولاء نرى بوش يقف من اسرائيل موقفا صلبا فى شأن مؤتمر السلام فقد أدركت أمريكا بعد موقف مصر من أزمة الخليج انها ـ الدول العربية ـ وهى القوة العظمى فى الشرق الأوسط وانها قـادرة

متمكنة أن تحفظ أمن المنطقة والفضل فى هذا كل الفضل يرجع الى موقف الرئيس مبارك الرائع فى أزمة الخليج ·

وها هى ذى روسيا تصر على أن تشارك فى مفاوضات السلام والصلات بين الدول تقوم على مصالح هذه الدول ولاشك ان امريكا وروسيا يدركان الان كل الادراك ان مصالحهما هى فى ان يساندا الدول العربية ويؤيداها بكل وسائل المساندة والتأييد ·

ويا أيها الشيوعيون لا تحاولوا أن تبكوا على الاسلام فللاسلام رب يحميه وان كان ينقصكم الدليل فحسبكم عودة الاسلام الى ربوع روسيا والى مساجدها وهم هناك عدد عديد ضخم ليس يحتاج منكم الى سند فهم قد عادوا الى العبادة جهرا بعد أن كانوا يمارسونها سرا فى عهدكم الشيوعى الاسود البغيض ·

ويقول كاتبهم ان المستفيد الرئيسى من البروستوريكا هى اسرائيل· ما صلة اسرائيل بهذا الموضوع وماذا تستطيع أن تفيد منه · وما الذى يجعل حكام روسيا يرعون مصالح دولة صغرى على حساب أمة عربية بأكملها ·

أليس هذا هو الهراء بعينه · وسبقا للأحداث بغير منطق أو دليل ·

ثم يقول عجبا : يقول انه سمع من مستشرق سوفيتى ان الشعب الروسى أثناء الانقلاب الخائب ظل فى البيوت بعيدا عن الساحة التى شهدت مظاهرات قدر عددها أول يوم بعشرة آلاف وأقصى تقدير لها كان خمسين ألفا · وماذا يعنى هذا العدد فى عاصمة يقدر ساكنوها باثنى عشر مليونا ·

يا عجبا كل العجب اذن فهى الأقلية التى حطمت الانقلاب والاثنا عشر مليونا كانت تؤيده فلماذا اذن بقوا فى البيوت ولم ينزلوا الى الساحة ليسحقوا الآلاف العشرة أو الخمسين ألفا ·

وماذا يقول الشيوعيون عن الجموع التى احتشدت حول البرلمان ترد عنه الدبابات الفاتكة الماحقة من الجيش الأحمر هذه الجموع التى جعلت من أجسادها وأرواحها سياجا حول الديمراطية وماذا يقولون عن الشباب الأعزل وهو يضرب بيده الجندى السوفيتى المحتمى بدبابته والمدجج بالسلاح فاذا الجندى يذود عن نفسه بيده ثم يختبىء داخل دبابته ·

وماذا يقولون عن السيدة التي كانت تضرب جنديا في الجيش الأحمر فوق الدبابة ٠

بل ماذا يقول عن الجيش السوفيتي الذي أبى أن يسحق المتظاهرين وانسحب عن البرلمان المحاط بالشعب ٠ رافضا أن يجعل من روسيا مجرا اخرى أو تشيكوسلوفاكيا التي كان يمحقون فيها الانفس محقا حين كان الجيش الروسي تحت أمر السفاكين من الشيوعيين وماذا يقول الكاتب الشيوعي عن الدول التي حطمت الستار الحديدي وتمسكت بالحرية والديمقراطية مثل ألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا والمجر وبولندا وغيرها أو ماذا يقول مستشرقه السوفيتي :

أخلاط من الحديث معناها البيت القديم :

هذا كلام لـه خبيء معنـاه ليست لنـا عقول

ويقول الكاتب الشيوعي في محاولة مضحكة كي يبعث الطمأنينة الى نفسه ونفوس اخوانه من الشيوعيين انه برغم كل ما جرى فشعوره يؤكد له أن الكلمة الأخيرة لم تقل بعد وان اللحظة التي سيرون فيها دبابات الجيش الأحمر مرة أخرى تسير في الشوارع ليست ببعيدة ٠

ويدرك مدى الهزل فيما يقول فيدعي ان هذا حدس كاتب مبدع (هكذا يسمي نفسه) وليس تحليلا سياسيا ٠

لا وربي لا هي بهذا ولا بذاك وانما هي أمان مخجلة وهل هناك أكثر مدعاة للخجل من كاتب مبـدع يتمنى أن يرى الدبابات في السـاحات والشوارع والدبابات هي القتل والفتك والدمار ٠

انها أماني الشيوعيين الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره أترى مازالت الأمال تراودكم بعد أن رأيتـم علم المطرقة الأحمر يدوسه الشعب بالأقدام انما هو الوهم يحاول أن يبقى على حطامكم الذي أصبح هشيما تذروه الرياح ٠٠ وماذا يقولون عن مدينة لينين جراد التي محقوا اسمها من الوجود ٠ وماذا يقولون عن تماثيـل لينين والأخرين من رموز الظلم وتـدمير الانسـان التي تحطمت بأيـدي الشعب في روسيا وفي كل دول السـتار الحديـدي الذي هوى الى غير

رجعة • أيها الكاتب المبدع هيهات لحلمك وحلم أتباعك أن يتحقق • مبدعين كانوا او كانوا غير مبدعين •

وكيف يكون مبدعا ذلك الذى يتمنى للبشر الفتك والقتل والدمار •

وشيء آخر لا أستطيع السكوت عليه ذلك الذى جاء بمجله المصور بقلم الكاتبه صافيناز كاظم من أنها رأت فى أحد العروض التى تقدمها وزارة الثقافة بعضا من الشباب أقاموا فى المسرح بناء على شكل الكعبة وترقص فوقها راقصا يدور حولها بعض اناس من المتخلفين عقليا يتخذون ملابس دراويش مجانين مجاذيب ثم انقلب البناء الذى يمثل الكعبة الى بئر من البترول ومازالت الراقصة الخليعة ترقص فوقه والحق انني عندما قرأت ما كتبته الأستاذة صافيناز وهى ثائرة كل الثورة دهشت أن يصل الأمر فى مصر الى هذا الحد والحق ومع انني كاتب صناعتى الكتابة أجد أن أى تعليق على هذا الذى حدث لا يصل الى ما ينبغى أن يقال •

الآن نقول حسبنا الله ونعم الوكيل فى ثقافة مصر ومجدها وشرفها الفنى الرفيع ولا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله •

الأهرام ١٩٩١/٩/١٦

قصص فى أبيــات

لى كتيب صغير عنوانه « القصة فى الشعر العربى » قدمت فيــه قصــائد طويلة تحكى فى مجملها قصــة ، والكتاب أو الكتيب لم يجمع الا قصائد قليلة جمعتها من بعض دواوين ، ولكنى اعتقد أننى لم اجمع فيه كل ما نظمه العرب فى هذا اللون من الشعر .

ولكنى اليوم أكتب عن أبيات قليلة تروى قصصا وانى اكتبها من الذاكرة فى محاولة منى أن أرفه عنك فى هذا الحز الشديد الذى تعانيه وأجتذبك من مشكل الحياة اليومية التى يحياها الانسان ليس فى مصر وحدها وانما فى كل مكان فى العالم ، وأذكر مثلا قصة عمر بن أبى ربيعة أعظم شاعر عرفه الغزل العربى وهو طبعا ليس مثل مجنون ليلى أو جميل بثينة أو قيس لبنى أو كثير عزة الذين اقتصر شعرهم على حبيبة واحدة انتسبوا اليها وانما كان يحب النساء جميعا ويتنقل بينهن فى سهوله ويسر ويكتب شعرا ويقول ان خادمته قالت له فى احدى مغامراته :

أهذا ســـحرك النســوان   قــد خبرتــنى خبرك .

حين علت به السن أقلع عن الحب والغزل جميعا وأقســم أن يفك رقبة عن كل بيت فى الغزل ينظمه .

خرج وهو فى توبته الى الكعبة فوجد بها فتى وفتاة يتناجيان فقال لهما أهذا مكان يصلح للمناجاة ؟ فعرف أن أبا الفتــاة يأبى أن يزوجها لفتاها لفقره ولأنه لا يستطيع أن يقدم الى أبيها المهر الذى يقدره لابنته فصـــحب الفتاة والفتى الى أبيها وقدم المهر من ماله الخاص وتزوج الحبيبـــان .

ولكن الواقعة راحت تعيد الى ذاكرته ما مضى من تاريخه الطويل فى الحب والغزل ، وراحت الأبيات تنثال الى عقله وقلبه وملكه الوجوم ورأته زوجته على هذا الحال فسألته :

ـ ماذا بك ؟

فلم يطق صبرا وجاهر بالأبيات وأطلق عن كل بيت عبدا والذى أذكره من الأبيات هو :

تقول وليـــدتى لما رأتـــنى طربت وكنت قد اقصرت حينا
أراك اليوم قد أحدثت شـوقا وهـاج لك الهوى داء دفينـا
بربك هـل أتـاك لى رسول فشاقك أم لقيت لها خدينـا
فقلت لها لقيت أخــا محبـا كبعض زماننـــا اذ تعلمينـا
فقص على ما يلـقى بهنـــد فذكر بعض ماكنـا نسـينا
وذو الشوق القديم وان تعزى مشوق حين يلقى العاشـقينا

وأعتقد أن الأبيات أكثر من ذلك ولكن هذه الأبيات تروى الواقعة كاملة ، ولهذا علقت بحافظتى ، وهكذا ترى أن الشـعر حين يعتمل فى نفس الشاعر يصبح أحب اليـه من ماله فيطلقـه مهما يكن فى اطلاقـه خسارة من المال .

وقصة أخرى فى أبيـات للبحترى حين أهدى اليه المتوكل فرسـا ومات الفرس فى اليوم التالى فكتب البحترى اليه هذه الأبيات :

أهـــديتنى أعجـــوبة هى فى العجـائب نـــادرة
فرســا كان هبوبـــه وشـــك الريـــاح الطائرة
فى ليـلة قطـع المســافة من هنـــا للآخـــرة

وطبعا نال فرسا آخر بدلا من الفرس الذى جرى الى الآخرة من الدنيا فى ليــلة واحدة . ولم يقـل له المتوكل ان الخلق جميعـا يقطعون المسافة الى الآخرة فى أقل من لحظة فالفرس الذى مات كان بطيئا كل البطء ولم يكن فى سرعة الرياح الطائرة كما تقول .

وقصة أخى فى أبيات قليلة وأحسبها لابن الرومى ولست واثقا يقول فيها :

رأيت الفضل مبتسما يناغى العيش والسمكا
فأسبل عينه لما رأنى قادما وبكى
فلما أن حلفت له بأنى صائم ضحكا

وأنا معجب بهذه الأبيات وبقصتها البسيطة كل الاعجاب فان أحدا لا يستطيع أن يرويها بهذا اليسر والاحكام الا شاعر عبقرى حتى أن أحدا لا يستطيع أن يستبدل فيها كلمة بكلمة ولا يستطيع أن يزيد على الأبيات الثلاثة حرفا واحدا .

وأبيات أخرى لابن الرومي تشكل قصة ومنطقا متينا فى وقت معا :

نظرت الى المرأة فروعتنى طوالع شيبتين المتسابى
فأماشيبة ففزعت منها الى المقراض حبا فى التصابى
وأما شيبة فصفحت عنها لتشهد بالبراءة من خضابى
فأعجب بالدليل على مشيب أقمت به الدليل على شبابى

وعلى هذه النسق من القصة المنطقية قول ابن الرومى نفسه :

تعممت أحصانا لرأسى برهة من الحر يوما والقرور اذا سفع
فلما دهى طول التعمم لمتى وأودى بها بعد الاطالة والفرع
عمدت الى لبس العمامة حيلة لتستر ما جرت على من الصلع
فيالك من جان على جناية جمعت اليه من جنايته الفزع
وأعجب شيء كان دائى جعلته دوائى وأعجب بأن نفع

أترى استطعت أن أروح عنك بهذه الأبيات التى ذكرتها لك وهل ترانى استطعت أن أنتزعك لحظات فى التفكير فى الحر وأزمات الحياة ؟ فان كنت فعلت فانى سعيد وان لم فحسبى اننى حاولت . وأرجو ألا يحاسبنى علماء الشعر فانى أروى كل هذا الذى كتب من الذاكرة وقد تكبو بى الذاكرة ولا لوم عليها فهى تحمل أكثر مما تطيق ذاكرة أن تعى .

والله المستعان ..

الأهرام ١٩٩١/٩/٣٠

عشر سنوات مباركه

عشر سنوات لم نقصف الدولة قلما لكاتب ولم تصادر صحيفة ولم تنتقم من معارض عشر سنوات مرت ــ وليس كل قلم نزيها ــ بل بين الأقلام ما هو مشبوه أو ماجور وبينها ما يحاول أن يقيم لنفسه بطولة ورقية على حساب رئيس الجمهورية فلم يفكر الرئيس ان يحاصر ذلك القلم ولا صاحبه ولا فكر أن يحجب عنه الحرية أو يرد عنه ما يتمتع به الانسان من حقوق .

ورئيس الجمهورية انسان يغضب ويسر ويسخط ويبتهج فما رأينا غضبه على مصرى يتحول الى عقاب أو حتى عتاب وانما يبقيه مستسرا فى دخيلة نفسه فى غير ثورة ولا حفيظة ناظرا الى قوله سبحانه وتعالى « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس » .

فهو الانسان حين يكون الانسان فى قمة الرقى والرقة وفى أوج الرفعة عن الضغن والبعد عن القسوة .

عشر سنوات والمصريون ينعمون بالأمن فلا يخيط بهم الذعر أو الخوف ولا يتحلقهم الجبروت ولا القهر ولا يتعرض عرض رجل منهم أو سيدة لقهر الدولة أو تمزيقها والخوف هو شر ما يتعرض له الانسان وحسبنا قول الله سبحانه وتعالى : « ولنبلونكم بشىء من الخوف » رحمة منه جل شأنه وتقدست أسماؤه أن يبلو عباده بالخوف كله .

عشر سنوات فى مصر اختفت فيها كلمة الاعتقال السياسى اختفاء تاما واختفى فيها كل زائر بغيض .

عشر سنوات ــ وزعيم مصر يعمل من أجل مصر لا من أجل زعامة شخصية فاذا مصر تستعيد مكانتها من الذروة العالمية واذا الزعامة الدولية تسعى الى زعيم مصر فيجمع حكام العالم ورؤساؤه على اجلالة واكباره والاعجاب به .

عشر سنوات وقف فيها كلها مواقف الشرف والحق والانتصار للخلق الأسنى والمثل العليا والوقوف بجانب الحق والحق ذو مخاطر ومحاذير فالطغاة يكرهون الحق كما يكرهون العدالة والذى يحاول أن يحملهم على الجادة أو يعارضهم يطلقون عليه كل ما تعرفه البشرية من أسلحة بخيسة ويأمرون كتابهم ـ فكتابهم لا يكتبون الا بالأمر ـ ان ينهشوا صـاحب العدالة المؤمن بالحق بأسنانهم ويقرأ محمد حسنى مبارك عدوان هؤلاء ويستغفر الله لهم ولا يحاول أن يرد عليهم فهو يعلم عن أى مصدر يصدرون ومن أى منطلق ينطلقون ويتكلم الرجل فى خطب كثيرة لا تفلت منه الا الكلمات النبيلة العفيفة وحتي ان عرض للطغاة فالنبالة تحيط بنقده والأدب الرفيع لا يتخلى عن لفظة يقولها ....

وقد تولى مصر وأغلب العرب يقفون منها موقفا معاديا فاذا هو لا يتكلم عن كل الدول العربية الا بالحسنى فاذا الذى بيننا وبينه عداوة كأنه ولى حميم .

وتعود الوحدة العربية وترجع الدول العربية الى مصر وتتخذ منها اما رؤوما وتشهد المؤتمرات النتيجة المحتومة لخلق مبارك السامى فاذا عدو الأمس القريب هو الأخ الصديق الحبيب وها هى ذى أعلام الجامعة العربية ترفرف على ضفاف النيل تجسيدا لخلق مبارك وترفعه عن مجابهة العداوة بالعداوة أو الهجوم اللفظى بمثله مقدرا ان أهون ما يكتبه كاتب هو السب والهجر والشتم والهجران وأن الحب لابد أن ينتهى عند الطرف الآخر بالحب وما خسر من عفا وماذل من أكرم نفسه عن الانتقام .

بالحب جمع مبارك شعب مصر حوله وبالحب جمع العرب حول مصر وبالحب يعيش وبالحب يتنفس وبالحب يرتفع ولا ينبت الحب الا حبا .

وحين يرى مبارك العدوان من دولة عربية على دولة عربية وحين يشهد الحق تنتهك حرماته يعود ذلك الصقر الذى حارب ٦ أكتوبر والذى شقت طائراته أوهام الدولة التى لا تقهر والذى استطاع بعظمته الحربية الجوية أن يؤمن النصر لجيش مصر العظيم .

ويقف فى وجه طاغية العراق ويرسل جيوشه المصرية التى لولاها لما استطاعت جيوش أمريكا وحلفائها أن تطأ المنطقة .

فقد كانوا سيخشون ـ لولا مصر ـ ان يقال عنهم انهم يعتدون على الشرق الأوسط والأمة العربية ولكن وجود مصر فى الميدان أعفاهم من هذه التهمة وحتى اليوم مازالت صحف العراق وتابعها الملك حسين

يهاجمون مصر ومبارك ولكنه عنهم وعن تابعهم فى شغل شاغل بالقضية العربية وما يحيط بها من مصاعب ومتناقضات وكثيرا ما يتكلم بعض الناس ولكنهم لا يقولون شيئا ·

عشر سنوات لانرى من حسنى مبارك الا الرجولة مع السماحة والنزاهة مع الشهامة ولا نرى من بيته الا كل ما يزين البيوت ويشرفها ·

فها هى ذى السيدة الرائعة حرمه لا تهدأ ولا يقر لها قرار باذلة أقصى الجهد فى الشئون الثقافية والصحية والاجتماعية بعيدة كل البعد عن السياسة التى هى شأن زوجها وحده ·

وها هو ذا الطفل يجد كتابا يقرؤه فيتعلم كيف يصادق الكتاب وها هم أولاء الوزراء يهتمون بالمرضى والعاجزين تقف الى جانبهم حرم الرئيس فى حدب انسانى رفيع ·

ألم أقل لك انه بيت يفوح منه عبق الحب للناس كل الناس فى غير مظاهر كاذبة ولا ادعاءات فارغة ولا دعاية واهية وها هما أبناهما رعاهما الله تعالى كل منهما يسعى حياته جادا لا شأن له بمكانة أبيه العظيمة ويتزوج احدهما منذ أيام فاذا زواجه لا يزيد على مجرد الاعلان الذى لابد منه ليشهر الزواج فقد دعا النبى صلى الله عليه وسلم الى اعلان الزواج ولو بالدف حتى تصبح العلاقة الزوجية معروفة بين الناس ·

عشر سنوات شهدنا فيها هذا وشهدنا مصر تنقلب من دولة بلا تليفونات ولا ماء قادم أو منصرف ولا كهرباء الى دولة تقف مع أرقى الدول فى بنيتها الأساسية فاذا السياحة تنتعش واذا العملة الصعبة عندنا تصبح غير صعبة ·

عشر سنوات يحمل حسنى مبارك العبء فلا يرحم نفسه فيمن يرحم بل يعنف عليها ولا يشق بها حنانيك يا سيدى فلست ملك نفسك وانما أنت ملك مصر والعروبة كلها فارحم نفسك بعضا مما ترحم به المصريين وأرحم معاونيك فانهم وأنت بشر من البشر ولكل بشر طاقة وان كان لى شكوى خاصة فهى اننى حرمت أن أكتب رواياتى وقصصى بالرمز وفيم الرمز وأنا أستطيع أن أعلن ما أريد دون ان ألوب حوله أو ادور به والله أسأل أن يديم على هذا الحرمان وان يطيل حياة رئيسنا ويكلأه بما يحبه له من رعاية وتوفيق انه سبحانه قريب مجيب ·

الأهرام ١٩٩١/١٠/١٤

الانتظـار والفـرج

الانتظار بالنسبة لى يورثنى أرقا شديدا يمتد حتى يتمثل عنـدى مرضا عضويا وقد اصبت بكراهية الانتظار منذ أيام الدراسة فقد كان انتظـار نتيجة الامتحان أمرا مفزعـا لى وأذكر اننى بعد أن حصلت على ليسانس الحقوق أصبت بمرض فى معدتى أدركت انه عصبى وقصدت الى الدكتور سامى جنينة رحمه الله فقال لى قد تعرضت لذعر شديد هو الذى أدى بك الى هذا المرض العضـوى ولم يكن هذا الذعر الا انتظار نتيجـة الليسانس ٠

ونحن اليوم نتعرض فى حياتنا العامة والخاصة لألوان كثيرة من الانتظار أما الأمور الخاصة فهذه شأنى أنا ولا حاجة بى ولا بالقراء أن يشركونى فيها ـ فليس بهم حاجة الى مزيد من المشاكل ٠ أما الأمور العامة فهى تهم الكافـة ومن حق الكافة أن يعرفوهـا أو يعرفوا أمثلة منها على الأقل ٠

من هذه الأمثلة الحالة الاقتصادية التى تمر بها البلاد وقصور جميع الأجور والمرتبات لمختلف الفئات ـ لا أستثنى الوزير ـ ان تواجه مطالب الحياة الضرورية وهذا أمر يحتاج الى انتظار طويل حتى يعتدل الميزان وتتساوى الكفتان أو تتقاربا على الاقل ٠

ومن هذه الأمثلة أيضا مشكلة المجانية فى التعليم عامة والجامعى بصفة خاصة وقد كتبت فى هذا الموضوع كثيرا ويحلو لى قبل أن أستعيد ما كتبت أن أروى واقعة لى مع عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين ٠٠ ذهبت اليه بعد فترة انقطاع لم يتعودها منى فطالعنى ببيتين كان دائما يطالعنى بهما كلما تأخرت عن زيارته ٠

إن كنت أزمعت على هجرنـا من غير ماذنب فصبر جميل
وان تبـدلت بنـا غيرنـا فحسبنا الله ونعـم الوكيـل

فاعتذرت عن تأخيرى وبدأت أحادثه ـ ولم يكن معنا ثالث الا الله سبحانه فقلت محاولا أن أنسيه عتبه لانقطاعى عنه سألته :

ـ هل قرأت معاليك مجلة كذا ؟

ـ ماذا بها ؟

ـ مقـال عنـك ..

ـ عما يتحدث المقال ؟

ـ عن ندائك الشهير التعليم كالماء والهواء ..

فسكت الدكتور فترة ثم قال فى أسى :

ـ والله يا ثروت لا أدرى أحسنت أم أسأت بهذا النداء ..

ولم أعلق . وأرجع الى ما كنت كتبته فى موضوع مجانية التعليم وخاصة التعليم الجامعى كنت قد قلت فيما كتبت انه ليس من المعقول أن يحظى بالتعليم المجانى أصحاب الثراء الذين ينفقون على أبنائهم فى المدارس الخاصة ومدارس اللغات الآلاف المؤلفة من الجنيهات حتى اذا بلغ أبناؤهم التعليم العالى يصبح تعليمهم بالمجان ويدخلون الى المدرجات بينما تنتظرهم خارجها السيارات ذات الأسعار الفـاجرة التى لا يطيقها الا كل غنى باذخ الثراء .

وأذكر أيضا اننى قلت ان التلميذ فى التعليم الابتدائى والثانوى الذى يسقط فى الامتحان لا يجوز له أن يعيد السنة بالمجان أيضا فما دام لا يؤدى واجبه فمن واجب الدولة ألا تعطيه حقه فى المجانية .

كتبت هذا وانتظرت أن أجد له صدى بل زدت فقلت هذا الرأى فى مجلس الشورى وانتظرت وطال بى الانتظار حتى قرأت أخيرا تصريحا للدكتور العالم وزير التربية والتعليم أن هناك اتجاها أن يحجب المجانية فى الجامعة عن الذين تلقوا تعليمهم الثانوى فى المدارس الأجنبية لأن فى هذا ما يـدل على مقدرتهم الماليـة وليس من المعقول أن تمنـح المجانيـة للقادرين . كما جاء فى تصريح الوزير أيضا انه سيحرم من المجانية التلاميذ الذين يسقطون فى الامتحان فى التعليم الذى يسبق الجامعة . وعوض الله انتظارى أو قل صبرى خيرا .

وذكرت بيتين لمحمد بن يسير الرياشي يقول فيهما :

ان الأمور اذا انسدت مسالكها فالصبر يفتح منهـا كل ما ارتجا
لا تيأسن وان طالت مطالبـه اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

ومادمت أتكلم عن التعليم فان هناك حقا أجد من الحتم أن أؤديه فقد قرأت منذ قليل أن الأمير تركي بن عبد العزيز يتكفل بتعليم الطلبة غير القـادرين ليتيح لهم الحصول على الدرجات العلمية الكبرى مثـل الماجستير والدكتوراه في جامعات أمريكا ·

وانتظرت أن أجد تحية تقدير لهذا الأمير العظيم من أمراء العرب التي تنبىء مواقفه لها عن الشموخ والكرم وتشجيع الثقافـة ولا ننسى ما قدمه هدية لمكتبة الاسكندرية من ماله الخاص ·

وان الذي يحجب الثناء عن الذي يستحقه جبان مثل الذي يتملق من لا يستحق ·

فلابد من تحية أجلال وأكبار لهذا الأمير السامق ولابد أن نقدم له من الشكر بعض ما يستحقه ·

وفي مجال التعليم أيضا لابد أن نشيد بالجامعة الأهلية هذا المشروع العملاق الذي تولى كبره الوزير العظيم حسب الله الكفراوي الذي أنشأ من المدن ما تفخر به مصر وها هو ذا اليوم يطلع علينا بمشروع الجامعـة الأهلية ويختار لها مدينـة في قلب الصحراء ليجعل منها منارة ثقافيـة ولينقل اليها خضرة العلم والحضارة فالجامعات تجتذب الى مواقعها كل مرافق التعمير ·

ولابد أن نوجه الشكر الى رائد الصحافة العربيـة اليوم الأستاذ مصطفى أمين للمجهد الرائـع الذي يدعم به هذا المشروع العملاق وانني أتوجـه الى الملايين من الجنيهات التي في حوزة المصريين وغير المصريين أجمعين ان حطمي عنك السجون التي تحتبسين فيها وسارعي الى المساهمة في هذا المشروع ترفعي العالم العربي منارة تشع العلم والمعرفة والتالق الذهني · وكم كنت أرجو أن أساهم مع المساهمين ولكنني لا أملك الا هذا القلم أردد به مع المتنبي :

لاخيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق ان لم يسعد الحال

الا اننى مع هذا مصمم أن أسهم فى هذا المشروع الضخم ولو بمبلغ رمزى سأقدمه فى اللحظة التى أجده فيها بين يدى .

أما أن لأصحاب الأموال الباذخة أن يقدموا أموالهم فى مشروعات تحجب عنهم صفة التخلف الذهنى والثقافى فانهم حين يسهمون فى هذا المشروع لن تضيع عليهم أموالهم وانما سترتد عليهم لا بالثقافة وانما بالمال أيضا فهو مشروع مضمون الربح ذو مستقبل مالى .

اللهم يأذ المن والاكرام أعقب انتظارنا بالفرج منك وابعث السخاء الى نفوس عبادك ...

٢١/١٠/١٩٩١ الأهرام

اذاعة لنـــدن والســلام

داب القسم العربى باذاعة لندن منذ حرب الانتصار المصرية عام ٧٢ حتى الآن على أن يدس السم الناقع ضد مصر فى نشراته وأخباره وتعليقاته بطريقة يدركها العربى الذى يتكلم العربية ويعرف الكلمات العربية بكل معانيها ولا يدركها المشرفون البريطانيون وخاصة اذا كان الذى يترجم لهم مغرضا يخفى المعانى المختلفة للكلمة التى يدركها المتكلمون الأصلاء بالعربية • فاذا كان هناك خبر فيه مديح لمصر وجدت المشرفين العرب على الاذاعة البريطانية يصدرون الخبر بقولهم ويزعم المصدر الذى أعلن هذا الخبر انه كذا وكذا فاذا كان الخبر يسىء الى مصر ، وجدت الخبر يلقيه المذيع بلغة التأكيد الذى لا يقترب اليه الشك من قريب أو من بعيد ، مع كثير من المبالغة فى أغلب الأحيان •

وواضح ان الذين يشرفون على القسم العربى باذاعة لندن رافضون للسلام الذى استقر بين مصر واسرائيل بعد معاهدة كامب ديفيد • ومنذ أيام أذاعت لندن خبرا يفيد أن مصر لا تزال تعيش فى الحكم الشمولى وفى ظل التعذيب والهوان الذى كانت تعيش فيه قبل حكم السادات • وقبل هذه الحرية العريضة التى تحياها فى ظل حسنى مبارك • وراحت لندن تؤكد الخبر وتعيد اذاعته وأعلن أمره الأستاذ الكبير سعيد سنبل بجريدة الأخبار ولما لم يجد أثرا فى مصر أو همة لتكذيب الخبر والاحتجاج عليه عاد الى الكتابة مرة أخرى فى الأسبوع الماضى يستحث الجهات المسئولة أن تتخذ موقفا ازاء هذا الخبر الكاذب والذى يعرف المصريون جميعهم انه كاذب • ثم كتب بعد ذلك مقالا ثالثا أوضح فيه أن اذاعة لندن بالغت كل المبالغة فى الخبر الذى نشرته مما يؤكد ما أذهب اليه من أن القسم العربى له موقف عدائى عميق ضد مصر •

وأنا أكتب هذا الكلام اليوم وأعلم أن بالسفارة البريطانية قسما يترجم للمسئولين فى بريطانيا ما يكتبه كتاب مصر عن لندن • وأعلم أيضا اننى أثير على نفس المشرفين على القسم العربى باذاعة لندن الذين يحتفون بى فى اذاعتهم كل الاحتفاء ويقدمون الكثير من أعمالى بصورة مشرفة •

لكن متى كانت مصلحتى الشخصية تحول بينى وبين الوقوف بجانب مصر • ولقد تحملت فى حياتى التى نهجت فيها جميعا هذا المنهج الكثير من العنت والجور من الظالمين الطغاة ، فما استطاع شىء أن يقف بينى وبين ما أخذت نفسى به منذ أمسكت القلم حتى اليوم وأرجوا الله أن يكمل أيامى فى الدنيا وأنا فى موقفى هذا •

ويكفينى اطمئنانا الى نفسى انها باقية على ما هى عليه مع اننى حرمت من التعيين فى أى جريدة أو مصلحة أو شركة مدة خمسة وعشرين عاما وبيدى شهادة الليسانس وبيدى قلمى فما استطاع هذا الطغيان أن يغير من خلقى وظللت صادقا مع ربى وقلمى ومع القراء لا أكتب الا ما أثق انه الحق وليكن بعد ذلك ما يكون •

ان المشرفين على القسم العربى فى اذاعة لندن يعارضون كامب ديفيد ويحقدون على مصر انها استعادت أرضها وانها تعيش حياة سلام منذ عام ٧٣ حتى اليوم •

ولست أدرى ماذا هم فاعلون اليوم أو ماذا هم قائلون بعد أن قال بعض الفلسطينيين المتطرفين انهم تسرعوا فى الحكم على معاهدة كامب ديفيد •

وهذا قول يوائم مواقفهم اليوم فى المفاوضات الجارية فى مدريد أليست هى كامب ديفيد لم يتغير منها سوى الاسم فهى اليوم معاهدة مدريد بدلا من كامب ديفيد ؟!

وقد زارنا فى مجلس الشورى وفد من حزب الليكود الاسرائيلى وقد بدأت حديثى معه بقولى ان أى دولة فى العالم لا تستطيع أن تستمر فى الحرب مدة ثلاث وأربعين سنة • وان اسرائيل ستكون أكثر الدول استفادة من السلام • وقال بعضهم ان اسرائيل فقدت ستة عشر ألف مواطن فى حروبها وفى أثناء حديثه قال ان الأرض التى أعطيناها لكم •• فاستوقفه الدكتور مصطفى كمال حلمى رئيس المجلس وقاطعه قائلا ان هذه الأرض التى تقول انكم أعطيتموها لنا هى أرضنا وقد بذلنا نحن فى سبيلها مائة ألف شهيد لا ستة عشر ، ونحن مستعدون أن نبذل مائة ألف أخرى فى سبيل أى بوصة من أرض مصر •• فاستخزى المتحدث وقال واحد منهم آخر موجها الكلام لى انك تقول ان أى دولة فى العالم لا تستطيع أن تستمر فى الحرب مدة ثلاث وأربعين سنة وهذا صحيح ولكن من السبب فى أن تظل اسرائيل فى حرب لمدة ثلاث وأربعين سنة ؟•

ت له فى هدوء ودون انفعال : أرجو أن تذكروا ان هذه الأرض التى
مونها اسرائيـل اليوم كان اسمها فلسطين فى عام ١٩٧٤ فلم يجدوا
ة يردون بها على ما قلت ٠٠

وها هى ذى فلسطين اليوم تفاوض إسرائيل فلنعله الى اذاعه لندن
هى فاعلة ازاء هذه المفاوضـات ٠٠ اما حال أن تساندها وتؤيد
وصات فى سبيل السلام ولا تحاول أن تظـل على موقعها المعـادى
لام ٠٠ فقد ثبت على مر الأيام ان المفاوضات هى الوسيلة المثلى لانهاء
اع بين العرب واسرائيل فهل حان لاذاعة لندن العربية آن تذكر الجهود
له المباركه التى قام بها حسنى مبارك للوصول الى هده المفاوضات
ى تجرى اليوم أم تراها ستهتف مع الهاتفين بالحرب والدمار ٠ مع ان
اء الهاتفين يعلمون انه لا سبيل امامنا الى السلام الا التفـاوض ٠٠
ن يبـدو أن بعض النـاس يحبون ان يسمعوا أصوات أنفسهم وهـم
ون مهما يطل بهم هذا الهتاف ومهما يكن الطريق امام هتافهم فراغا
جدوى منـه ٠

ان اسرائيل تعلم حق العلم وهى جالسة اليوم على مائدة التفاوض
ستكسب من السلام مكاسب هائلة ومهما يحاول قادتها أن يتظاهرون
شـنج والتعصب ، فهذه الحقيقـة لاشك فيها يعلمها كل مواطن فى
ائيل ٠٠ وأعظم دليل عليها هذه المظاهرات الضخمة التى سارت فى
ائيل تطالب شامير أن يخفف من غلوائه وغلظتـه القـاسية فى هذه
وضات ٠

فيا اذاعة لندن العربية ٠٠ عودى الى رشد من الأمر ٠٠ وأنتم أيها
رفون عليها أدعوا الله معنا أن يكلأ هذه المفاوضات بالنجاح والتوفيق
ود السلام منطقتنا بعد أن أحاطت بها الأهوال السنوات الطوال ٠٠٠
ه هو السلام ومنه السلام واليه السلام ٠٠٠ والسلام عليكم ورحمة
٠٠٠

٤/١١/١٩٩١ الأهرام

ابواب التاريخ شتى

فى الاسبوع الماضى كان عيد الميلاد الرابع لحفيدتى ياسمين وذهبت ابنتى - عمتها تشترى لها « لعبة » وجاءت ابنتى الى ومعها اللعبة ومعها أيضا ثورة عارمة مما رأت فى دكان اللعب وحين التقطت ابنتى أنفاسها قالت لى انها وجدت هناك لعبة لأطفال فى الرابعة أو الخامسة من اعمارهم ثمنها اربعة آلاف جنيه .. نعم ان الرقم الذى تقرؤه صحيح ، انه أربعة آلاف جنيه ثمنا للعبة أطفال أغلب الامر أن تتحطم فى ساعات فان حالفها الحظ فقد يطول عمرها بضعة أيام .. تولانى حزن شديد أن يواجه العالم وليس مصر وحدها هذا الجنون الفاجر !

إن التاجر الذى اشترى هذه اللعبة يعلم علم اليقين انه سيجد من يشتريها والا لما حبس ماله فيها فالتاجر أدرى الناس بما يعرض وما لا يعرض فى دكانه .

ان الذين ينفقون الأموال بهذا السفه مجرمون فى حق أنفسهم وحق مواطنيهم وحق أوطانهم وحق البشرية جمعاء ، ويجرمون أعظم ما يجرمون فى حق دينهم ان كان لهم دين .

وحين يقول سبحانه جل علاه : « ا المبذرين كانوا اخوان الشياطين » يجعل منهم لامجرد فاسدين فسقة فجرة وأنما يجعل منهم دعاة فساد وفسق وفجور فانهم اخوان الشياطين .

بمثل هذا تنهار الدول وتثور الأحقاد فى نفوس الناس وتتدهور الأخلاق ويتهشم الاقتصاد ويعم الخراب .

وفى أشباه هذا تبددت أموال عربية ومصرية جعلت العالم أجمعه يسخر منا ومن أوجه الانفاق التى يختارها أثرياء المنطقة . وهى أوجه تدعو الى الخزى والخجل مما يجعلنا ننكس رؤوسنا أمام العالم ونغض الجباه . وقد تكدست الأموال فى مصر فى يدى أقوام لا يدفعون عنها ضرائب لأنها ناتجة فى الخفاء من كل المظان غير المشروعة ، فهى أما أن تكون وليدة سرقة أو نصب أو احتيال أو اختلاس من الدولة حكومة كانت

أو كانت قطاعا عاما أو تكون نتاج تجارة دنسة في المخدرات أو الرقيق الأبيض أو مصدرها رشاوى حقيرة لذوى سلطان تعفنت ضمائرهم وتحللت او لم توجد لهم ضمائر منذ خلقهم الأول ٠

وهكذا توجد هذه اللعبة ذات الآلاف الأربعة ليشتريها أمثال هؤلاء الذين اهتبلوا الأموال من أحقر المصادر واخسها وأشدها دناءة وحقارة ٠

أو تكون أموالا لم يبذل أصحابها في سبيل الحصول عليها اى جهد وانما وجدوا أنفسهم أثرياء دون أن يعرفوا لثرائهم سببا من سعى سعوه هم أو نهض به آباؤهم من قبل وانما انسكب عليهم من حيث لا يحتسبون٠

ومنذ سنوات كتبت قصة العربى الذى كان بفندق نزلت فيه بلندن وروى لى نائب مدير الفندق انه فوجىء بأحد زبائنــه من دول البترول يعطيه شيكا بعشرة آلاف جنيه استرليني وهو ما يساوى خمسين ألف جنيه مصرى تقريبا ، وطلب اليه أن يصرفها جميعها من البنك بعملة من ذات الجنيه الواحد ــ الاسترلينى طبعا ــ ٠

وتصور الراوى ان الرجل يريد أن يهب المنح لمن يقومون بالعمل فى الفندق ٠ فسعى لدى البنك حتى استطاع البنك أن يوفر له المبلغ الضخم بعملة كلها من ذات الجنيه الواحد ، ويقول الراوى انه اتصــل بصاحب الشيك وأخبره ان المبــلغ موجود بالصورة التى طلبها فطلب اليــه أن يصعد اليه به فحمل المبــلغ فى صندوق وساعده أحد معاونية فى حمل الصندوق الذى يحوى المبلغ وصعدا الى صاحب الشيك فى حجرته فطلب اليه أن يصرف معاونه ويجلس هو وفعــل فحين اســتقر به المجلس قال صاحب الشيك وكان معه صديق له :

ــ اتفقت أنا وصــديقى أن نشرب معـــا أغلى فنجان قهوة عرفــه التاريخ ٠٠ وذهل الراوى ولم يصدق ما يسمع وسأل :

ــ ماذا ؟

واستمر صاحب الشيك فى حديثه ٠٠٠

ــ سوف نضــع فنجان قهوة على أوراق البنكنوت ونشــعل هذه الجنيهات جنيها بعد جنيه حتى تصبح القهوة صالحة للشرب ٠

وفى غمرة الأسى والحزن التى استولت على نائب مدير الفندق راح صاحب المال يحرق الجنيهات تحت اناء القهوة واحدا أثر الآخر ٠٠

أذكرتنى اللعبة ذات الآلاف الاربعة بقصه حرق الأموال هذه التى كنت روايتها منذ سنوات بالاهرام فوحقك ما وجدت فارقـا بين جنون حارق الجنيهات وبين مشترى هذه اللعبـة كلاهما أحمق مافون وحارق الجنيهات أراد أن يدخل التاريخ بأنه شرب أغلى فنجان قهوة فليدخل النار اذن وليتخطفه الجحيم وبئس المصير ..

وكما أن أسفار التاريخ تحوى بين دفتيها العظماء والأدباء والفنانين، فهى تحوى أيضا القتلة والمجرمين والطغاة فليدخل هؤلاء المبذرون التاريخ اذا شـاءوا ولكنهم يدخلونه من أحط أبواب وأسـفلها وأهونها على الله والناس قيمة ومكانا ..

وحسبنا الله ونعم الوكيل ..

الأهرام ١٩٩١/١١/١١

أحمـــد قـــدرى

الله وحده يعلم كم ترددت ان أكتب هذا المقال عن السينما المصرية فى أيامنا هذه فقد أصبحت أعتقد ان الكتابة عن سينما اليوم مهانة للقلم ومضيعة للوقت وامتهان لشرف الكلمة ٠

فقد بلغت السينما حضيضا هى فيه متفردة غير مسبوقة فلو ان هناك جائزة للسفول والانحطاط والكذب والتشويه والعبث الوضـــيع وقلب الحقائق وافشاء الفساد والتغنى بالفسوق لكانت السينما فى أيامنا هذه هى أولى الفنون بالحصول على تلك الجائزة ٠

لست أدرى ماذا يريدون ان يصنعوا بمصر وبتاريخها وبكرامتها وبعراقتها وقيمها الدينية والانسانية ٠

وما أدرى لماذا يتآمرون على مستقبل أبنائنا وعلى ســـمعة حاضرنا ولا لماذا يسحقون الأمل فى نفوســـنا والصدق فى حياتنا والشرف فى أخلاقنـــا ٠

ما هذا الهوان البعيد الذى تتردى اليه أفلامنا السينمائية أو عروضنا المسرحية ٠ وقد كنا من قبل نفاخر بأفلامنا وبمسرحنا على السواء الا أننى لا أريد ان أتناول أمر عروضنا المسرحية فهى فى ذاتهـــا كارثة من أعظم الكوارث لا تصلح معها الكتابة العارضة ولا الاشارة العابرة ٠

لقد أخذت نفسى منذ سنوات الا أذهب الى دور السينما حماية لنفسى من الكآبة وسوء المصير ٠ ولكن جزى الله الذى اخترع الفيديو شر الجزاء فقد اقتحم بأفلامه بيتى وأصبحت أواجهه فى عقر دارى ٠ وليس لى منه مهرب ألوذ به ولا محيد لى من مشاهدته فأنا رجل لى أعمالى الروائيـــة ومنتسب ــ شئت أم أبيت ــ الى ثقافة مصر ولا يستطيع من هو فى مثل حالى ان يتجاهل الى أى حضيض تدهورت سمعة الثقافة فى بلاده ٠

محتم على اذن ان أشاهد هذه الأفلام وأحمل قدرى على كتفى وأتابع الانهيار الوبائى المتلاحق السريع كأنه ريح عاصفة الذى أصاب الثقافة فى مصر ممثلة فى أفلامها السينمائية وفى غيرها ٠

وما أحسب ان لجوء السينما الى قصص كبار الكتاب يصلح ما فسد وتعفن من صناعة السينما وأقرب دليل على ذلك اننى شاهدت منذ فترة ليست بعيدة فيلما مأخوذا عن رواية من رواياتى فاقسم غير حانث اننى لولا اننى شاهدت اسمى مكتوبا على الشاشة فى مقدمة الفيلم ما عرفت اننى صاحب هذه الرواية التى كتبتها بدمى وأعصابى وخبرتى وحسبى الله ونعم الوكيل ٠

وما حدث لى حدث لعميد الرواية المصرية نجيب محفوظ فى فيلم شاهدته منذ قريب لقصة أعرفها له وأقدرها وأجلها تقديرا واجلالا يخالط نفسى لكل أعمال عميدنا العظيم ٠

ولعلك سائل نفسك أو سائلى ما الذى جعلك اليوم تتناول هذا الموضوع والانهيار العاصف يطيح بالسينما منذ سنوات ٠

لقد شاهدت منذ أيام فيلما لن أذكر اسمه تعففا منى ان يخط قلمى اسمه وحفاظا على كرامة القارىء ان يقرأ الاسم فى مقال لى ٠

ومن عجب ــ ولو انه لم يصبح فى دنيا السينما عجب ــ ان الممثلين فى هذا الفيلم من أكبر الممثلين فى الشرق ونستطيع ان نفاخر بهم ٠ كبار الممثلين فى العالم أجمع ٠

فانه مما يثير الحزن والأسى واللوعة فى نفوسنا ان الممثلين المصريين يقفون بفنهم مع أعظم الممثلين فى العالم فكيف يسوغ لهؤلاء العمالقة ان يشتركوا فى أعمال على هذا الحال من الهبوط والانهيار والتخلف والكذب على الله وعلى الحق ٠

ربما كان المال ؟! فانهم ان أبوا ان يعملوا فى هذه الأفلام لن يجدوا أفلاما تليق بفنهم الرفيع وما يلبثون ان ينضب رزقهم ٠

ولكن الذى أعرفه ان لديهم من الأموال ما تعيا عن تبديده السنوات الطوال ولا أبالغ ان قلت ما لا تفنيه القرون ٠

أيكون هذا الذى يفعلون حرصا منهم الا يبعدوا عن الميدان ولكن الا يعلمون انه خير لهم ألف مرة ان يبتعدوا عن الميدان اذا كان الميدان على هذه الدرجة من الحقارة الموبوءة التى تشين كل من يعمل فيه ٠

أما هذا الفيلم الذى أثارنى فهو عمل يصيب مصر فى صميم ما تعتز به اليوم من حرية ومن صون لكرامة الانسان فيها فهو يصور مصر دولة بلا حرية ٠ ورجال الأمن فيها ينتهكون الحرمات بالتسمع والتجسس بالصوت والصورة معا ويعيد مصر الى أيام الاعتداء على الكرامات والأعراض والأموال وكل المقدسات الانسانية التى تنادى بها الأديان ٠

ولم يقف الأمر بهم عند ذلك بل لجأ الفيلم الى الجنس بطريقة بالغة الهوان والكذب فى وقت معا وحسبى ان أذكر ان بالفيلم موقفا يصور شابا وفتاة يرتكبان الفاحشة فى غرفة ضابط المخابرات فى مكان عمله وعلى مكتبه والضباط الآخرون يراقبون الخنا بشاشات التليفزيون واذا كنا غضبنا من أعداء مصر انهم يشوهون عزتها وآباءها وكرامتها فماذا نحن قائلون عن المصريين ـ ان كانوا مصريين حقا ـ وهم يسفلون بمصر الى هذا الحضيض ٠

ان الأفلام المصرية السينمائية تنتقل فى بلدان العالم وتشاهدها الجماهير الغفيرة فى أرجاء الدنيا ٠ فهل هذا الذى يفعلون بمصر هو الذى يليق بمصر ان تقدمه الى الانسانية ٠

بلغت الثورة فى نفسى كل مبلغ وطلبت الأستاذ مدير الرقابة أسأله كيف سمحت الرقابة ان تذيع هذا الفساد على الناس فأقسم انه حاول ان يحذف كثيرا من المشاهد ولكنه لم يستطع وانه ليس المسئول عن اشاعة الفاحشة فى أفلامنا ٠

فمن المسئول اذن ٠ والى من نتجه ٠ واذا كانت الرقابة لا تتدخل فى الرأى السياسى أفلا تتدخل أيضا فى تحطيم القيم الدينية والخلقية ٠ فما الداعى لوجودها اذن ٠ ولماذا لا تلغى ونوفر على الدولة ما تستفيده من أموال ٠

انهم فى فرنسا أوقفوا الاعانة عن أفلام الجنس ٠ فاذا كانت فرنسا ترفض الأفلام التى تدعو الى هذا الفسق والفجور ٠ أفنبيحها نحن ٠

اللهم ياذا الجلال والاكرام يـا من فضلت الانســـان على كثير من مخلوقاتك أرفع عنا عضبك وأشملنا بكريم رعايتك وأنقذ كنانتك مما ينافى كتبك المقدســـة ٠

انك وحدك المجير ولا مجير سواك من قوم مأواهم جهنم وبئس المصير كلما نضجت جلودهم أبدلتهم جلودا غيرها حتى لا يموتوا فيها ولا يحيوا ضل سبيلهم وخاب سعيهم فانقذنا منهم ياذا الجلال والاكرام انك سميع قريـب ٠

الأهرام ١٩٩١/١١/١٨

القــانون المحتضر

بحثت عن قانون اسمه « من أين لك هذا ؟ » فلم أجده ولكنى وجدت قانونا يحمل رقم ٦٢ لسنة ١٩٧٥ وعنوانه الكسب غير المشروع ٠

وقد قرأت القانون وأستطيع ان أحمله لك دون داع الى تقديم مواده بالتفصيل فلست عالما قانونيا وان كنت أحمـــل ليسانس حقوق الا أننى لم أعمل بالمحاماه الا ثمانى سنوات كانت ســـنوات عجافا ولم أكسب من المحاماه الا خمسين جنيها على طول الاعوام الثمانية ٠

يذكر القانون فى مواده الأولى الخاضعين له وهم كثيرون ، منهـــم القائمون بأعباء السلطة العامة والعاملون بالجهاز الادارى للدولة وأعضاء مجلس الشعب والمجالس الشعبية المحلية وغيرهم ممن لهم صفة نيابية سواء كانوا منتخبين أو معينين وبهذا النص خضع للقانون أعضاء مجلس الشورى رغم ان المجلس لم يكن قائما حين صدور القانون ويمتد القانون فيشمل أعضاء مجالس الادارة والعاملين بالهيئات العامة والمؤسسات وأعضـــــاء مجلس الادارة والعاملين بالشركات أو الهيئـــات العـــامة أو المؤسسات أو الوحدات الاقتصادية التى تساهم الحكومة فى رأس مالها ورؤساء وأعضاء مجالس ادارة النقابات المهنية أو الاتحادات العماليـــة ولم يكتف القانون بهؤلاء بل أجاز لرئيس الجمهورية ان يضيف الى هؤلاء فئات أخـــرى بناء على اقتراح من وزير العدل اذا اقتضت ذلك طبيعة العمل ٠

ويمضى القانون بعد ذلك فيذكر العقوبات التى تقع على من يدلس فى المعلومات المقدمة منه وهى عقوبات تتأرجح بين الحبس والغرامة أو كليهما والجزاءات هينة والغرامات بمعايير السنوات الأخيرة التى نعيشها ضئيلة القيمـــة ٠

ان هذا القانون بوضعه الحالى يجعل اللص المغفل وحـده هو الذى يقع تحت طائلتـه والأغلبيـــة الكاثرة بل أكاد أقول ان جميع اللصوص خبثاء لهم قدرات متفاوتة على النصب والتحايل ٠ فالذى يسرق هو بطبيعته

بغير ضمير والذى لاضمير له كذاب بتكوينه ، واقرار الكذاب مثله لا صدق فيه ولا حقيقة ٠

ولهذا ولد هذا القانون شبه ميت حتى اننا سمعنا ـ ولست أدرى ان كان هذا حقا أو على سبيل التفكه والتندر ـ ان القانون لم يطبق الا على قلة نادرة من بينها حاضنة مولدة تعمل بالحكومة وبنت لنفسها باحدى القرى بيتا من اللبن وقدمت للمساءلة من أين لها بتكاليف بناء هذا البيت ؟!

وفى الحكم الشمولى كانت السرقة مقصورة على دهاقين الحكم وأعمدته وكبار الوزراء فيه وليس كل الوزراء وسمعنا فى هذه الأيام السود عن الحسابات فى سويسرا وغيرها وسمعنا عن حقائب الذهب وسمعنا حين أريد لنا ان نسمع عن السجاد والفراء القادم من روسيا ٠

وكان الحكم يختار لنا ما يريد ان نسمعه ويحجب عنا مالايريد ان يقال ٠

حتى اذا سطعت الحرية على بلادنا وصحافتنا ذاع ما كان سرا وشاع ما كان خفيا من قديم وحديث ٠ وأصبحنا نقرأ فى كل يوم عن سرقات واختلاسات فالصحافة الحرة وراء كل اللصوص وهم كثرة فالسرقة لم تصبح مؤممة بل انها أصبحت حلا مغتصبا للجميع بلا تفرقة وهكذا أصبح وجود المدعى الاشتراكى حتميا لمواجهة جيوش اللصوص الذين ينتهبون أموال الدولة حكومة كانت أو كانت قطاعا خاصا ٠

وعودة الى هذا القانون الذى ولد وهو محضر ٠٠ أليس من الطبيعى ان نقدم مع اقرارات الذمة التى نوقع عليها فى كل عام ما يثبت صحة البيانات التى أوردناها فى الاقرار التى لاتدل على شىء والتى نقوم بتقديمها كعمل روتينى ٠ ان هذه الفئات الضخمة لو علمت انها مطالبة بارفاق ما يثبت صحة ما تدعيه فى اقرارات الذمة لأصبح فى الأمر من الجديد ما يجعل لهذه الاقرارات قيمة ٠

وليس هذا اجراء غريبا فنحن الكتاب نقدم للضرائب فى كل عام شهادات رسمية بما نحصل عليه من أموال أثناء العام من الاذاعة والتليفزيون وغيرهما من الجهات التى نتعامل معها ٠

ان هذا القانون المسخ الذى لانجد له أى آثر فى حياتنـــا جديرــ اذا اهتم به المشرع ــ ان يصبح قانونا ذا فاعلية ٠

ولعل هذا القانون اذا شفى من مرضه يصبح سيفا مسلطا على السارق والناهب والمختلس والمغتصب والمحتال وتاجر المحرمات اذا كان من الذين يعملون فى الحياة العامة ولعله أيضا اذا استقام ان يرد عادية الشائعات الحقيرة عن الشرفاء ٠ فالشرف سمعة وأخشى ان تكون الشائعات أسلحة قتل لقوم لاذنب لهم الا أنهم شرفاء ٠

فالشريف بين اللصوص مرفوض وسيحاربه جميع اللصوص بكل سلاح دون ان يراعوا فى حربهم حـــرمة ولا ضميرا ولا كرامة ومن أيــن للصوص اتقاء لحرمة ومن أين لهم ضمير أو كرامة ٠

اللهم قنا شر أنفسنا واحفظنا ٠٠ اللهم ممن لايخافك ولايخشاك انك أنت وحدك الذى تحمى الشرفاء منـا وتـــرد عنهم عادية من لايراعى لك ولا ذمة سبحانك اللهم تقدست أسماؤك يارب العالمين ٠

٢٥/١١/١٩٩١ الأهرام

حي بلا حيـــاة

اسم يلح على حياتنا وعلى أسماعنا وآذاننا فيثير في النفوس الأسى والحزن والألم ، ذلك الأسى الذى يخالج نفوسنا كلما تذكرنا حبيبا طواه الردى وحجبه عنا الحدثان وباعدت بيننا وبينه صروف الزمان ٠

والموت نهاية كل حي ، فياليت الذى يحمل هذا الاسم انتقل الى حيث سبقه أبناء الزمان من عهد آدم الى يومنا هذا ٠

ولكن العزيز الذى أعنيه لا هو حي فيرجى ولا هو ميت فنحتسب فيه الله ولكنـــه مازال على قيد حيـــاة ولكن أى حياة انها حياة الموت خير منها ألف مرة والموت أكرم وأكثر حياة من الحياة التى يعيشها اليوم بيننا ٠

أحسبك عرفت الآن ما هذا الذى لا أنا بقادر على الحديث عنـــه حديث من مازال يحيـــا ولا أنا مستطيع الحديث حديثى عن عزيز مات فنترحم عليه ونقمع الأسى فى نفوسنا ونرد قلوبنا الى الصبر ان كان الى صبر من سبيل ٠

أحسبك عرفت الآن ذلك الكيان الذى مات وهو حي والذى لا هو غائب ولا هو حاضر ٠ وأحسبك عرفت اسمه وتحار حيرتى فى شأنه ٠

لا أطيل عليك أكثر مما أطلت ٠

انه ذلك العلاق الذى عرفته مصر عملاقا فصار أكثر ضآلة من قزم وأشد حقارة من عدم ٠

انه المسرح ٠

والله وحده يعلم قدر ما انتابنى من حزن عميق وألم صـــارخ وشقاء أخذ وأنا أخط هذا الاسم وأكتب عنه ٠

وكم حاولت أن أرد نفسى عن ذكر هذه الكارثة التى تعانيهـا اليوم والتى تسمى من الدولة ومن خلق الله بالمسرح ٠

ولكنى كتبت عن السينما وتحملت ما تحملتـــه مـن عنت وعذاب وأنا أكتب عن السينما والعياذ بالله ٠

فلتتكسر النصال على النصال ولأكتب عن المسرح وقد أصبح كيانا أبخس هوانا من السينما وأكثر منها هزالا وأحط منها هزلا ٠

قد تنبت خطأ مسرحية فى كل عام أو كل عامين تذكرنا ان المسرح لم يمت ولكن ما مسرحيـــة فى كل عام أو عامين ، ماذا تغنى هذه النبتـة الوحيدة فى حقل المسرح الواسع العريض انها تضيع كسراب بقيعة يحسبه الظمأن ماء ثم ما يلبث اذا أمه ان يجده لايغنى شيئا ولا هو بذى قيمة تبل العطش أو تشفى اللهاث ٠

ولا فارق ثمة بين مسرح الدولة ولا المسرح الخاص ٠ المسرح جميعه انحدر الى هوة عميقة مالها من قرار ٠

أين هذا مما كان عليه المسرح وأين نحن من الفـــرقة القومية التى بدأت حياتها برواية منشىء المسرح العربى توفيق الحكيم « أهل الكهف » ؟٠

أين هذا المسرح الذى شهد روائع شوقى وعزيز أباظة وتوفيق الحكيم وعلى أحمد باكثير وسعد وهبة وغيرهم ٠٠ وان غيرهم لكثير ٠

اذا كان المسرح قد أفلس فلماذا لايعيد الى الحياة مسرحيات هؤلاء العمالقة والمسرحيات العالمية الأخرى التى نالت الاعجـــاب والاكبـار من جماهير المشاهدين ٠

كنا حين نذهب الى المسرح تخفق قلوبنا فرحا ان سنستمتع بالفن الرفيع الشريف النبيل من ممثلين هم فى القمة ونص رائع واخراج واع عميق الفهم لما يقدمه الى الناس ٠

أين مسرح الريحانى الذى كنـا نشاهد مسرحياته عشرات المرات ونضحك كما لايضحكنا شىء فى الحياة وكاننا نشاهد المسرحية لأول مرة كان الممثلون فى مسرح الريحانى يحترمون الجمهور فيحترمهم الجمهور وقد

شهدت كل مسرحياته أكثر من مرة فلم أسمع فى يوم من أيام هذه المشاهدة تعليقا واحدا مرتفع الصوت من الجمهور ولا خرج ممثل واحد عن النص وقد كنا نكاد نحفظ النصوص من كثرة ما شاهدناها ٠

أين هذا من مسرح اليوم الذى أصبح أشبه ما يكون ببؤرة مخدرات ، أعيد السيرك ان أشبهه بالسيرك بل هو أشد حقارة من كباريه المخمورين السكارى ساقطى الكرامة ٠

ولا يقولن أحد ان الجماهير هى التى تحدد للمسرح مساره ٠ الحقيقة ان المسرح هو الذى يكون جمهوره ٠

ومسرح اليوم بانهياره الفادح هو الذى يستجلب الجمهور الذى يرضى عن التقافز والبذاءة ومداعبة أحط مالدى الانسانية من غرائز ٠

وهو الذى يسمح للجمهور ان يبادله الحوارات الرخيصة وهو الذى يجعل الممثل يؤلف مسرحية أخرى من عندياته على المسرح مما يجعل الكتاب الشرفاء والممثلين الكبار يعفون بأقلامهم وقيمتهم ان يشاركوا فى هذه المسرحيات ٠

وكل الممثلين يغنون غناء النواح خير منه لأن للنواح معنى على الأقل يرقصون وأى رقص انه رقص لا حياء فيه ولا احترام لأسمائهم أو لماضيهم أو للناس ٠

وكل الممثلين يغنون غناء النواح خير منه لأن للنواح معنى على الأقل فى حين غناؤهم بلا معنى ولا طرب ولا نغمة ٠

سلام على المسرح فى حياته التى لا حياة فيها وسلام عليه محتضرا لايموت ولا يحيا ٠

والأمر لله من قبل ومن بعد ٠

الأهرام ١٩٩١/١٢/٣

الشرف ســمعه

الشرف سمعة وتتكون سمعة الانسان من مجموع تصرفاته الصغيرة والكبيرة على السواء . أما المجرمون الذين صدرت ضدهم أحكام من المحاكم فلا شرف لهم . وسمعتهم لاتحتاج فى تكوينها الى تصرفات . انهم مجرمون دمغهم القضاء بحكمه .

انما الخطورة في هؤلاء الذين يشيع من أمورهم ما يحطم الشرف ويجعل الناس تلوك أسماءهم بالتهم التى لا دليل عليها يدينهم أمام القضاء أولئك يسيرون في الأرض مرحا يريدون ان يخرقوها أو يبلغوا الجبال طولا مادامت أحكام المحاكم لم تصمهم بما يجعل أمرهم لاشك فى انحطاطه ولا شبهة فى سقوطه من صفوف المجتمع السوى الى هوة المجرمين والمنحرفين الذين ضلوا السبيل ومالوا عن الطريق الكريم .

اسم الانسان تتكون سمعته من تصرفاته مع أبناء المجتمع صغارهم وكبارهم وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال « السنة الخلق أقلام الحق » أو كما قال . فالسنة الخلق هى التى تكون سمعة الناس والناس كل الناس لايجمعون على باطل .

ان كل انسان معرض لكراهية بعض الناس قد يتناولونه بالباطل ولكن تصرفاته فى سائر الأمور وفى معاملة الآخرين ترد عنه الباطل وتنفى الشين والسب والمهانة ان تكون هى سمعته التى أجمع عليها الناس .

هناك تصرفات صغيرة تنبىء عن حقيقة الانسان ومدى ما يتمتع به من مكانة شريفة بين الناس أو مكانة وضيعة عند خلق الله .

ومرة أخرى صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال « من وضع نفسه فى مواضع الشبهات اتهم ولا أجر له » أو كما قال : فينبغى ان يعرف الانسان كيف يعامل الحياة محافظا فيها دائما على كرامته وعلى سمعته ، أعرف أحد الوزراء من وزراء ما قبل الثورة كان يحب ان يلعب النرد ليسلى بها نفسه دون مقامرة ، زاره مرة أحد التجار وكنت معه ، وكنت أعرف ان

هذا التاجر ليس بعيدا عن الشبهات ولكنه يجيد لعب النرد اجادة تامة ، فاقترحت على الوزير ان يلاعبه فصمت قليلا ثم قال :

ـ أنا متعب الآن ولا أريد ان ألعب ٠

فحين انصرف التاجر سألت الوزير :

ـ لماذا لم تلاعبه ؟

فقال فى ترفع وأمانة :

ـ أتريدنى ان ألاعبه فيروح يذيع بين الناس انه لاعب الوزير فلانا ، فيتاجر باسمى وينهب الرشاوى من الناس ويوهمهم انه من الواصلين الى المراكز الكبرى ويلاعب الوزير فلانا النرد ؟ ان لم يكن الانسان حصيفا فى اختيار أصدقائه فليس جديرا ان ينال حسن السمعة بين الناس ٠

وكان هذا الوزير متواضعا كل التواضع ولم يكن يمانع ان يكون على أوثق الصلات بأشد الناس فقرا مادام شريفا حسن السمعة ٠ وقد رأيته يلعب النرد مع اناس أقل شأنا بكثير من هذا التاجر الذى أبى ان يلاعبه ٠

ومحمد باشا محمود له حكاية معروفة ٠ فقد تصادف حين كان وزيرا ان كان معه عند انصرافه من الوزارة وكيله الذى يعمل معه ٠ وكان الوقت شتاء ٠ وكان حاجب الوزير ممسكا بمعطف الوزير ليعينه على لبسه ولكن وكيل الوزارة أخذ المعطف من الحاجب وقام هو بالباسه للوزير ٠

ومرت الأيام وكلف محمد محمود باشا بتأليف الوزارة ، وبينما هو يشاور معاونيه فى شأن اختيار الوزراء الذين سيعملون معه عرض أحدهم عليه اسم وكيل الوزارة الذى تصدى لالباسه المعطف ، فاذا محمد باشا يقول فى حسم :

ـ ان هذا الرجل أخذ معطفى من الحاجب ليساعدنى ان ألبسه ومن يقوم بأعمال الخدم لايرقى ان يكون وزيرا ٠

من مثل هذه القصص تتكون سمعة الانسان مع انها أحداث قليلة الشأن لاتمثل جرائم أو أعمالا كبرى ٠ ولكن الذى يتصرف تصرفا صغيرا فى صغار الأمور يكون فى كبارها أشد حقارة ٠

والرجل الذى يعمل بالحياة العامة مطالب ان يكون واعيـــا لكل تصرف يصدر عنه · فان أحدا لايرى الراشى والمرشو ولكن أمرهما يذيع حتى لايبقى أحد يجهل أمرهما ·

والفحشاء ترتكب فى الحجرات المغلقـــة ولكن أمرها مفضوح بين الناس أجمعين ·

وأحسب أنك تذكر تلك القصة التى رويتها لك منذ قليل عن تلك السيدة التى لم تكن فى سمعتها بعيدة عن الشبهات وارادت ان تصافح محمد محمود باشا فاذا هو يضع يده اليمنى وراء ظهره ويشير بسبابة يده اليسرى يمنة ويسرة بما يعنى انه لايقبل مصافحتها ·

وأحسب أيضا انك تذكر ذلك الخطاب الذى جاءنى من أحـد القراء يلومنى فيه اننى ذكرت فى احدى مقالاتى اننى أطفأت سيجارتى فأرسل الى يقول الا تعرف ان كثيرا من الشباب يحب ان يقلدك وأنت رجل عام وانك بهذا الذى كتبت قد تغرى الشـباب ان يســـيروا على نهجك فى التدخين ·

فالرجل العام محاسب كما ترى على السيجارة التى يشيع انه يشربها ·· فما خطبك ان كان يرتكب جرما أو يميـــل عن الطريق الى فظائع الأمور ومهاوى الخطيئة ·

ان السمعة لاتنشأ من فراغ وما رأينا أحدا ساءت سمعته الا كان له من سمعته النصيب الأوفر ·

اللهم قنا شر أنفسنا وأحسن رأى الناس فينا انك سميع مجيب ·

١٩٩١/١٢/٩ الأهرام

طاهـر أبو فاشـا

عرفته منذ قرابة خمسين عاما وكنت طفلا وكان يزور والدى ويقرأ له شعره وكنت أرى البشر والاعجاب على وجه أبى ولم أكن فى تلك السن أدرك الشعر الذى يلقيه الأستاذ طاهر على والدى فقد كنت طفلا لم أصل الى العاشرة من عمرى حتى اذا علت بى السن قليلا وبدأت أتذوق الشعر كنت أرى الأستاذ طاهر فى بيتنـا وبدأت أسـمع منه فكنت أحس فى الاستماع اليه نشوة واعجابا ومتعة تزداد كلما ازداد وعيى وحبى للشعر وكان طاهر أبو فاشا من أكثر من عرفت خفة ظل ، وذكاء حديث ، ولباقة تعليق ، ومن الأحداث الطريفة التى سمعتها منه ان أباه تأخر فى ارسال مصروفه اليه وكان يرسل الخطابات الى أبيه يتعجله ان يرسل اليه المال وهو طالب بكلية دار العلوم ولكن أباه لم يسعفه فاتفق طاهر مع صديقه المرحوم الشاعر أحمد عبد المجيد الغزالى ان يرسل برقية الى أبيه يخبره فيها ان طاهرا قد مات وزلزل الأب زلزالا شديدا وجاء مع ولدة طاهر الى القاهرة واستقبلهما الغزالى على باب الشقة وراحت الأم والأب يصيحان أين ولدنا أين طاهر وقادهما الغزالى الى حجرة طاهر الذى كان نائما تحت الغطاء فما ان دخل الوالدان حجـرته حتى قفز من السرير وهو يصرخ لأبيـه •

ــ الا تأتى الا حين أموت •

وأعطاه أبوه ما طلبه من المال وطبعا خسر مصاريف السفر الى جانب ما تجشمه من متاعب فى المجىء من دمياط الى القاهرة •

وقد كان طاهر خليقا ان يكون أعظم شعراء جيله فصياغته المنسابة الرصينة مع حداثة التعبير والقدرة الفائقة على اختيار الالفاظ الشعرية والتعمق فى اللغة مع الموهبة الباذخة كل ذلك كان جديرا بأن يجعـل شعره منتشرا فى العالم العربى كله الا انه لم يكن مكثرا وقد شـغلته الاذاعة وما اشتهر به من تمثيليات « ألف ليلة وليلة » عن ان ينصرف الى الشعر ويبدع فيه أكثر مما أبدع وقد سألته فقال ان الاذاعة تجعله مبلول اليد بينما الشعر لايعود عليه بأى عائد من مال وقلت فى نفسى لعن الله

الفقر والغنى جميعا فقد حرما اللغة العربية من شاعر كان يستطيع ان يقف وراء شـوقى ٠

ومن أطرف شعر طاهر ذلك الشعر الذى قاله عن صـديق له كان يجلس معه فى مقهى كبير بميدان العتبة وأراد صديقه ان ينصرف وكان طاهر يعلم ان صديقه ليس معه أجر تذكرة الترام فعرض عليه خمسة قروش لتذكرة الترام فتأبى صديقه ورفض ولكنه ألح عليه الحاحا شديدا حتى قبل القروش وكتب طاهر فى هذه الواقعة أبياتا من أجمل أبيات الشعر العربى قال فيها وأنا أرويها من الذاكرة ٠

وكريم تقول حاجتـه شـيئا

ويأبى لسـانه ان يقـولا

مسـتبد الابـاء عـوده المجـد

وقاضـاه ان يـرى مسـؤولا

لايغيب البخـار ثـرثرة النهـر

بمـد مشى اليهـا خجـولا

ومن النبل ان تعين على النبـل

وتخمى طيـوفه ان تـزولا

ومن معانى الاحسان ان تقبـل

الخشنى حفيا بها كريما نبيلا

ومن أروع شـعره قوله :

ما أشـبه الشاعر فى غمـرته

بممسـك الخنجر من شـفرته

يذود بالمقبض عن جـوزته

يدمى فلايدمى سـوى راحتـه

ما أرحـم الشعر على قسـوته

ومن شعره الفلسفي الرائع قوله ولا أزال أروى من الذاكرة :

هل رأيت الراكض المجنون ... يعدو خلف ظله
جاهدا يسبقه الظل ... ويغبريه بنيبله
هو منه خطوة ... لكنها كالكون كله
هكذا الانسان في الدنيا ... ضليلا خلف عقله
كلما ازداد علوما ... زاد ايقانا بجهله

ومن شعره الرائع قصيدته التي أنشدها حين دعاه أحد عظماء زمانه الى حفل في بيته لتكريم شاعر كبير نال تكريما يقول فيها ومازلت أروى من الذاكرة :

اليك وأنت أكرم من دعاني
ومنك وأنت فني وافتناني
وباسمك ياصديقي وهو معنى
بعيد فوق ماتسمو المعاني
أجوب الدهر مخمورا أغني
وأحدو ونحو ساحتك الأغاني
دعوت ووعكة تمشي بجسمي
فتمخضني وتوهن من كياني
ولو اني منعت عليك نفسي
تمرد خاطري وسعى جناني
ولو اني طويت على دهري
ضربت اليه أكباد الزمان
فلا سفري اليك ولا التنائي
ولابعد الزمان ولا المكان

تساوت كلها والحب يدني
ويبعد في بعيد منك دان

على بكاسة فلدي شعر
أدور به وأسقى من سقاني

على بها وجفت كل كأس
اذا لم تروه مما رواني

ملاحم تسترد من الليالي
ملامح ما طواه الدائران

اني اعتبر هذه القصيدة من أروع ما قيل في الشعر العربي ٠

وبعد فلابد لي في حديثي عن الشاعر العملاق ان أشكر الأديب السعودي العظيم الشيخ عبد الحميد مشخص الذي طبع ديوان طاهر على نفقته الخاصة وأهداه الى ذويه ٠

رحم الله طاهرا في الخالدين وهيأ للغة العربية من يترسم خطاه ويسير على آثاره انه سميع مجيب ٠

الأهرام ١٩٩١/١٢/١٦

ارجعو إذن إلى الحق

أكتب منذ كان عمرى ستة عشر عاما وقد دخلت معارك كثيرة أعلم فيها كل العلم ان الذين أهاجمهم سيهاجموننى بكل سلاح وكانت خصومتى أشد ماتكون مع الشيوعيين الذين يرفض مذهبهم فكرة الدين جملة وتفصيلا • وخاصمت بالضراوة ذاتها الارهابيين من مدعى الاسلام الذين عموا عن الآيات المقدسة تنهى عن القتل والتعذيب والظلم وعن الفحشاء والمنكر والبغى وتدعو الى السلام والحب والأخوة وترى الفتنة أشد من القتل • فالاسلام يجعل الحساب لله وحده ولم يعط حق الحساب حتى لنبى الله وسيد البشر صلى الله عليه وسلم • ولو أردت ان أتقصى الآيات التى تقضى بأن يكون للنبى صلى الله عليه وسلم البلاغ ويكون الحساب لله الواحد العادل لوجدتها فى سور الكتاب الكريم كثيرة غزيرة قاطعة فى دلالتها •

وقد علمت فى أول يوم حاربت فيه الملحدين والارهابيين انهم سيضيقون بهجومى أشد الضيق • وانهم لن يدخروا وسعا فى الاساءة الى بكل ما يملكون ومالا يملكون من وسائل •

وكم من خطابات تنذر بالويل والثبور وعظائم الأمور تلقيتها من الجانبين معا • منها ما يهدد بالقتل ومنها ما يهدد بدون ذلك •

وأحمد الله لم يهتز منى قلم ولم انكص عن حربى هذه للطغيان الملحد أو الطغيان الذى يتاجر بالدين ويتخذ منه وقاء له وجنة والدين برىء منهم ومما يكفرون بآياته وسلامه وداوعى الرحمة التى تشيع فى جنباته جميعا وهل عند الرحمن اسم أحب من الرحمة افتتح بها كتابه وكتبها على نفسه • وبها نفتتح كل قراءة لآيات المصحف الشريف وبها نبدأ كل عمل نتمنى له النجاح والتوفيق •

أما الشيوعيون فلم يكتفوا بالخطابات يرسلونها الى كلما ظهرت لى مقالة تكشف الحادهم وتدين مذهبهم • ونحمد الله جل جلاله فقد محقت الشيوعية نفسها وانهارت أركانها وتحطمت على رؤوس الذين عاشوا بها ولها والذين يأكلون الأطايب ويشربون أغلى الخمور ويسكنون أعظم الغرف

ويركبون أفخر السيارات من جدواها واموالهـــ فكلنا يعلم ان الغالبية الكاثرة من الشيوعيين يعيشون وينفقون مما يستلبونه من الجهـات التى تحمل لواءهم وتقدم ركبهم شأنهم فى ذلك شأن الارهابيين الذين تجد معهم قوات الأمن العديد من الأموال المصرية والأجنبية على السواء يعجزون عن الافصاح عن مصادرها وقنواتها ٠

لم يكتف الشيوعيون معى بالتهديد بل انهـم وهم يسيطرون على الاعلام المصرى قرابة أربعين عاما حتى اليوم تزداد سيطرتهم حينا وتهن أحيانا ولكنها تظل سيطرة غالبة فاجرة يحاولون ان يحاربونى باغفال أسمى دائما أو يذكره منهم كل غماز هماز لماز مشاء بنميم عتل بعد ذلك زنيم ٠ وأحمد الله لم يجدوا لى من المثالب الا ما يشرفنى ويجعلهم يبوءون بالخزى ٠ وأحمد الله لم تستطع حربهـم الضارية هذه ان ترد أدبى عن قراء مصر

واذا أراد اللـه نشر فضـيلةطويت أتاح لها لسـان حسـود

والعالم العربى واذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود أو حقود أو عدو أو ما شئت من هذا الضرب ٠ ولا أكذبك فانى أشعر من تغافلهم بالشرف وأى شرف لى أعظم من إن تمتنع أقلامهم البخيسـة عن ذكرى ٠ أما هجومهم على بالغمز والهمز واللمز والنميمة فاشعر معه بالعزة والفخار ٠ وكم تحلقوا حول أفراد منهم ليجعلوا منهم كتابا ونشروا لهم فى الغرب والشرق وترجموا لهم بمختلف اللغـات ولكنهم عجزوا ان يجعلوا منهم كتابا وكم حاولوا ان يردوا كتابا عن قرائهم فصاحبهم الفشـل والخذلان وان من لاعدو له لاقيمة له وأى مجد أعظم من ان يكون عدوك ملحدا أو طاغية ٠ نحمده سبحانه على ما وهب وعلى ما منع انه تقدسـت أسماؤه هو الوهاب ذو القوة المتين ٠

وأراك تسألنى فيم تكتب هذا الذى تكتبـه اليـوم وأنى مجيبك إن شاء الله فقد انتويت على اسم الله ان أهاجمهم مرة أخرى ولو أنهم أصبحوا اليوم أهون من الهجوم بعد ان سقطت قلاعهم وأعلنت حصونهم الكبرى افلاس الشيوعية وفشلها الذريع فى مواجهة الحياة ٠

يجرى هذا العالم الشيوعى أجمع الا مصر فانهم مازالوا بها يطغون على مجلاتها الأدبية وصحفها القومية وغير القوميـة والصفحات الأدبيـة والسياسية على حد سواء مع شاشات التليفزيون والاذاعة أيضا ٠

وقد طلع علينا أحدهم باعلان أو مانيفستو يعلن قيام يسار جديد وفي اعلانه عن اليسار الجديد اعلان عن فشل اليسار القديم الذى نفق واندثر ودفن في بلاد العالم كلها ومازالت ذيوله تتحرك بقوة فى مصر

وقد جاء فى هذا الاعلان الجديد ان الحزب الحديد يعدل عن سيطرة الطبقة ويعدل عن منع الملكية الخاصة ويقبل بين جنبـــانه المؤمنين غير المتطرفين ويسعى الى افشاء الحرية ويقف ضد الرأى الواحد ٠

الى آخر ما جاء فى المانيفستو من عناصر لاتخرج فى مجموعها عن هذا المعانى ٠

ولا أكتمك اننى عجبت كل العجب من هذا الذى يدعـــو اليــــه ويدعون انه يسار جديد ان هذا اليسار الجديد ما هو الا الديمقراطية القديمة التى ظلوا عمرهم كله يحاربونها فلماذا لاتواتيهم الشجاعة ويعلنون انضمامهم الى الديموقراطية وحل تجمعاتهم وانتهاء أمرهم كما فعل أعضاء حزبهم فى انجلترا الذين اجتمعوا وأعلنوا حل حزبهم الشيوعى وشربوا الانخاب بهذه المناسبة وحيا بعضهم بعضا وانصرفوا ٠

ولكن متى كان الشيوعيون المصريون صادقين مع أنفسهم أو مع الناس لقد عاشوا عمرهم كله يخادعون أنفسهم ويضللون الناس عن حقيقتهم ٠ ومنهم من ادعى انه مؤمن بالله وبرسله وكان الحزب لايقف موقف العداء من الأديان ومنهم من يملك الأرض ويحاسب فلاحيه حسابا عسيرا لايجدونه عند من كانوا يسمونهم ٠ بالاقطاعيين ٠ وكلهم ينادى بالحرية ليقول هو ما يشاء وفى نفس الوقت يمنع غيره ان يعبر عن رأيه ٠ وكم صاحوا فى عهد الطغيان ٠ الحرية للشعب ولا حرية لأعداء الشعب وما كان أعــــداء الشعب عندهم حينذاك الا المؤمنون بالله واليوم الآخر والرافضون للظلم والطغيان ٠

متى كان الشيوعيون صادقين مع أنفسهم أو مع الناس وقد استطاعوا فى أحد الأعوام ان يمنعوا الاحتفال بمولد النبى (عليه الصلاة والسلام) واحتفلوا فى العام نفسه بمولد لينين وادعوا بعد ذلك انهــــم لايحاربون الأديـان ٠

لايقولن لى أحد لقد ماتت الشيوعية ماذا تريد لهـــا أكثر من ذلك فصحيح انها ماتت فى العالم أجمع ولكنهـــا فى مصر مازالت تحيا أقوى ما تكون الحياة ٠ ولن أمسك عن هجومهم حتى يلحق الشيوعيون فى مصر بالشيوعيين فى العالم ويخجلوا من تاريخهم البغيض ويرجعوا الى الحق فان الحق قديم والرجوع الى الحق خير من التمادى فى الباطل ٠

الأهرام ١٩٩١/١٢/٢٣

الجريمـة السـلبية

من القواعد الدستورية التى يعرفها الجميع انه لا جريمة ولا عقوبة الا بنص ·· وهذه قاعدة لابد منها والا أصبح الأمر فوضى وأصبح لكل محكمة قانونها الخاص ولكل جماعة دستورها فتنماع الحياة ويصبح العيش فيها مستحيلا لا يطيقه البشر ·

ولكن هذه القاعدة تتصل بأحكام المحاكم وحدها وقد كانوا يقولون لنا فى كلية الحقوق ان مواد القانون تنشأ ميتة لا حياة فيها ثم ينفخ فيها الروح ويجعلها ذات وجود وحياة اعمالها واصدار الأحكام تطبيقا لها ·

ولكن هناك أنواع من الجريمة تقع فى حياتنا ولا تستطيع أن تمتد اليها أيدى القانون الذى يصدر بالتشريـع ولا سبيل لطائلة العقوبة أن تمسك بها ، تلك هى الجريمة السلبية وهى جريمة تقع بالامتناع عن أفعال معينة أكثر مما تقع بأعمال ايجابية ولكنها مع ذلك أشد هولا من بعض الأعمال الاجرامية التى تعاقب عليها محاكم الجنايات ·

واليك أسوق بعض الأمثلة وفى النفوس ما فيها من أسى ولوعـة وحزن وألم ·· الطبيب الذى يلجأ اليه مريض على شفا الموت ويحتاج الى عملية عاجلة · وقد تتوقف حياته على بضع دقائق · وقد تكون حياته عماد أسرة بأكملها مكونة من نفوس بشرية عديدة · وقد يكون المريض قد واجه مرضه وهو من المال خاوى الوفاض لا يملك منه ما يواجه به هول المرض ويده الفراسـة · فان المرض خبيث مخاتل يصيب الانسـان من مأمنه وينقض عليه فى كثير من الأحيان بغير انذار للمريض أن يدبر أمره ويسعى سعيه ليكون على أهبة الاستعداد حين يحين الحين ويصبح اجراء الجراحة له أمرا محتوما غير قابل للتأجيل أو لتسويف ·

ذلك الطبيب الذى صـدرت به هذه الفقرة ألا يكون مجرما قـاتلا سفاكا سفاحا حين يمتنع عن اجراء الجراحة الا اذا حصل على أجره · وويل للمرضى وذويهم مما يقدره مثل هذا الطبيب لنفسه من أجر ·

القاتل يقتل فرداً أو اثنين ولكن هذا الطبيب يقتل أسرة بأكملها لاذنب لها الا أن المرض قد فاجأ عائلها قبل أن يتهيأ للقائه وقبل أن يطمئن على أسرته حين يلقى هو ربه ٠

انها جريمة من أبشع الجرائم وهى جريمة سلبية وليست ايجابية ولا يستطيع قانون أن يواجهها أو يرتب على مرتكبها عقوبة رادعة له ومانعة لغيره أن يقدم على ارتكابها ٠

وأخرى :

المدرس الذى يتصدى للتدريس دون أن يعد نفسه للتدريس الاعداد الجدير بمن حمل على كتفيه هذه الأمانة الغالية ٠ وهذه المسئولية الفادحة وأى أمانة أعظم من أن يتصدى انسان لتعليم جيل وأى مسئولية أفدح من أن تقيم نشأهم فى مستقبل غدهم أعمدة الوطن وأساسه وأطنابه وهم الأمل الذى به يعيش آباؤهم وأوطانهم فى وقت معا ٠

ذلك المدرس الذى يعلم الجهل لتلاميذه أليس سفاحا هو أيضا وهو يخرب العقول الهلامية التى تبدأ حياتها على يديه ٠ واذا بدأوا حياتهم هذه البداية المنهارة فأى غد ينتظرهم ٠ كانت تصل الى وأنا أشرف على الصفحة الأدبية فى الأهرام خطابات تريد أن تكون مقالات بأقلام مدرسين للغة العربية ٠ وكم كنت أروع ويتغشانى الدوار وأنا أقرأ فيها أخطاء املائية ٠٠ أى كارثة ٠٠ أما عن الأخطاء النحوية فحدث عنها ما شئت أن تتحدث ولا حرج عليك ٠ فهى أكثر من الألفاظ الصحيحة اذا كان هذا هو علم المدرس فما علم التلميذ أذن أن العدم لن يقدم الا عدما ٠

أليس هذا المدرس مجرما جديرا بأقصى عقوبة مع كل ظروف التشديد التى عرفتها قوانين العالم ؟

ان السارق يسرق بيتا أو بعض مال أو ذهبا أو فضة ٠ فما الخطب الذى يسرق عقول أجيال ومستقبل أمم وآمال حياة ؟!

ومرة أخرى ذلك الطبيب الذى اكتفى بما تعلمه فى الكلية ولم يلاحق العلم بعد ذلك ولم يقم بما ينبغى عليه من تثقيف نفسه تثقيفا يتواءم مع مسئوليته فى فحص المريض والتوصل الى مرضه ومعرفة الدواء المناسب له ٠

كنت يوما فى مجلس الشورى وجاءت الى ابنتى على غير توقع فهى لا تجىء الى فى المجلس وأخبرتنى أن أستاذنا توفيق الحكيم رحمه الله طلبنى فى البيت ليخبرنى بانه مريض مرضا شديدا • وروعت وسارعت الى بيت أستاذنا الذى كنت أعتبره بمثابة الأب وكان يتخذ منى ابنا • ووجدته فى حالة شديدة من الأعياء ووجدت عنده طبيبا شابا سبقنى اليـــه •

وسألت الطبيب عما يعانيه أستاذنا فقال يعانى شللا رعاشا قالها فى هدوء الواثق وطمأنينة العالم •

وكان الدكتور أحمد عبد العزيز اسماعيل هو الذى يعالج أستاذنا الحكيم فبادرت استدعيه وما أسرع ما جاء •• وحين رآه الطبيب الشاب امتقع لونه فأغلب الأمر انه درس عليه فيمن درس • وتراجع الطبيب الشاب وكشف الدكتور أحمد • ولم يسأل الطبيب الشاب عن تشخيصه وانما قال فى ابتسامة عريضة أنف ألونزا وما هى الا أيام حتى تماثل ستاذنا توفيق الحكيم للشفاء بدواء الأنف ألونزا •

هذا الطبيب الشـــاب ألا ينبغى أن تصل اليه يد القانون ولكن كيف ؟ ••

ما أظن أن هناك سبيلا الى ذلك الا عقوبة واحدة لا يوقعها القاضى و القانون • وانما ينبغى وجوبا أن يقع العقاب من المجتمع •• ترى يمكن هذا ؟ •• كم أرجو •••• ولكن هيهات !!!

الأهرام ١٩٩١/١٢/٣٠

الفهـــــــرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٩/٣٣٥٩

ISBN — 977 — 01 — 5595 — 0

٢٠٠٠ قــرش

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب